
4337
51A

الايمان وعن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان المعروف والمنكر خليقتان) أي مخلوقتان ذكره الطيبي رحمه الله والظاهر ان المعنى سيخلقان خلقا آخر كسائر المعاني من الاعمال والموت ونحو ذلك فيجسدان ويجسمان لقوله (تنصبان) بصيغة التأنيث على بناء المجهول وفي نسخة بالتذكير وهو الاظهر لان التاء في الخليقة ليست للتأنيث بل للمبالغة والمعنى انهما نوعان من المخلوقات يظهران (للناس يوم القيامة فأما المعروف فيبشر أصحابه) أي أهل المعروف بالفعل أو الامر (ويعدهم الخير) أي ويعدهم ابتغاء الجميل والجزاء الجزيل والمواصلة بينه وبينهم (وأما المنكر فيقول) أي لاصحاب المنكر بلسان المقال أو بيان الحال (اليكم اليكم) أي ابعدوا عني وتحولوا من قربي (وما يستطيعون له الا لزوما) أي لصوقا وقربا من نتيجة المنكر وما يترتب عليه من عذابه والحاصل ان العمل الصالح يظهر في أحسن صورة وأطيب ريح في القبر وكذا يوم القيامة والعمل الطالح بخلاف ذلك ويؤيده ما ورد في حديث قدسي يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وتحقيق المرام في هذا المقام ان أعمال العباد وان كانت غير موجبة للثواب والعقاب بذواتها الا أنه تعالى أجرى عادته بربطها وربط المسببات بالاسباب وأنشد بعض أرباب الالباب

أخاف وأرجو عفوه وعقابه * وأعلم حقا انه حكم عدل

فان يك عفوا فهو منه تفضل * وان يك تعذيبا فاني له أهل

والتدقيق والله ولي التوفيق ان السبب الفاعلي للخير والشر ليس الا الله وحده بمقتضى فضله وعدله وبموجب جماله وجلاله وأما السبب القابلي فهو وان كان أيضا منه في الحقيقة الا ان قابلية الخير من الاستعداد الاصلي الذي من الفيض الاقدس الذي لا دخل للاختيار فيه وقابلية الشر من الاستعداد الحادث بسبب ظهور النفس بالصفات والافعال الحاجبة للقلب المكدرة لجوهر الروح حتى احتاج الى الصقل بالرزايا والبلايا ونحوهما ولذا قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وههنا يتموج أمواج بحر القضاء والقدر لتقسيم العباد فيما يفعلون وسفينة النجاة قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسألون (رواه أحمد والبيهقي في شعب الايمان)

(كتاب الرقاق)

الرقاق بالكسر جمع رقيق وهو الذي له رقة أي لطافة قاله شارح والظاهر ما قاله السيوطي من أن المراد بها الكلمات التي ترق بها القلوب اذا سمعت وترغب عن الدنيا بسببها أو تزهد فيها سميت هذه الاحاديث بذلك لانها تحدث رقة ورحمة

(الفصل الاول) (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان) مبتدأ (مغبون فيهما كثير من الناس) صفة له أو خبره (الصحة والفراغ) أي صحة البدن والقوة الكسبية وفراغ الخاطر بحصول الامن ووصول كفاية الامنية والمعنى لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الاعمال كفاية ما يحتاجون اليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم قال تعالى ذلك يوم التغابن وقال صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وفي حاشية السيوطي رحمه الله قال العلماء معناه ان الانسان لا يتفرغ للطاعة الا اذا كان مكفيا صحيح البدن فقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحا وقد يكون صحيحا ولا يكون مستغنيا فلا يكون متفرغا للعلم والعمل لشغله بالكسب فمن حصل له الامران وكسل عن الطاعة فهو المغبون أي الخاسر في التجارة مأخوذ من الغبن في البيع اه ويمكن ان يكون الغبن كناية عن فساد حاله وضياع ماله كما قال بعضهم ان الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء أي مفسدة وقال العارف بالله ابن الفارض

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له فيها نصيب ولا سهم

(رواه البخاري) وفي الجامع الصغير رواه البخاري في تاريخه والترمذي وابن ماجه عنه (وعن المستورد بن

الايمان وعن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان المعروف والمنكر خليقتان تنصبان للناس يوم القيامة فأما المعروف فيبشر أصحابه ويعدهم الخير وأما المنكر فيقول اليكم اليكم وما يستطيعون له الا لزوما رواه أحمد والبيهقي في شعب الايمان

(كتاب الرقاق)

(الفصل الاول) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ رواه البخاري وعن المستورد بن

شداد قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول
والله ما الدنيا في الآخرة الا
مثل ما يجعل أحدكم أصبعه
في اليم فلينظر بم ترجع
رواه مسلم وعن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم مر بجدي أسك ميت قال
أيكم يحب ان هذا له بدرهم
فقالوا ما نحب انه لنا بشيء قال
فوالله للدنيا أهون على الله
من هذا عليكم رواه مسلم
وعن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر

شداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله) قسم للمبالغة في تحقيق الحكم (ما الدنيا) مدتها
أي ما مثل الدنيا من نعيمها وزمانها (في الآخرة) أي في جنبها ومقابلة نعيمها وأيامها (الا مثل) بكسر الميم
ورفع اللام وفي نسخة بنصبها وما في قوله (ما يجعل أحدكم) مصدرية أي مثل جعل أحدكم (أصبعه) وفي
الجامع بزيادة هذه والظاهر ان المراد بها أصغر الاصابع (في اليم) أي مغموسا في البحر المفسر بالماء الكثير
(فلينظر) أي فليتأمل أحدكم (بم يرجع) أي بأي شيء يرجع أصبع أحدكم من ذلك الماء واعلم ان قوله
يرجع ضبط بالتذكير في أكثر الاصول وفي بعض النسخ بالتأنيث وهو الاظهر لان ضميره يرجع الى
الاصبع وهو مؤنث وقد يذكر على ما في القاموس والمعنى فليتفكر بأي مقدار من البلة الملتصقة من اليم
يرجع أصبعه الى صاحبه اللهم الا ان يقال المعنى بم يرجع الحال وينتقل المآل وحاصله ان نعم الدنيا ونعمها
في كسب الجاه والمال من الامور الفانية السريعة الزوال فلا ينبغي لاحد ان يفرح ويغتر بسعتها ولا يعجز
ويشكو من ضيقها بل يقول في الحالتين لا عيش الا عيش الآخرة فانه قاله صلى الله عليه وسلم مرة في يوم
الاحزاب وأخرى في حجة الوداع وجمعية الاصحاب ثم يعلم ان الدنيا مزرعة الآخرة وان الدنيا ساعة فيصرفها
في الطاعة قال الطيبي رحمه الله وضع موضع قوله فلا يرجع بشيء كأنه صلى الله تعالى عليه وسلم يستحضر تلك
الحالة في مشاهدة السامع ثم يأمره بالتأمل والتفكر هل يرجع بشيء أم لا وهذا تمثيل على سبيل التقريب والا
فأين المناسبة بين المتناهي وغير المتناهي (رواه مسلم) وكذا أحمد وابن ماجه (وعن جابر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر بجدي) أي ولد معز (أسك) بتشديد الكاف أي صغير الاذن أو عديمها أو مقطوعها (ميت
قال أيكم يحب ان هذا له بدرهم) أي مثلا (فقالوا ما نحب انه لنا بشيء) أي بشيء تا مما يطلق عليه اسم الشيء من
تراب وغيره والمراد انا لا نحبه بلا شيء أيضا (قال فوالله للدنيا) أي بجميع أنواع لذاتها (أهون) أي أسهل
وأحقر وأذل (على الله) أي عنده تعالى (من هذا) أي من هوان هذا الجدي (عليكم) ويؤيده ما سيأتي ان
الدنيا لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء والمقصود منه التزهيد في الدنيا
والترغيب في العقبى فان حب الدنيا رأس كل خطيئة على ما رواه البيهقي عن الحسن مرسلا كما أن ترك الدنيا
رأس كل عبادة والسبب في ذلك ان محب الدنيا ولو اشتغل بامور الدين تكون اعماله مدخولة باغراض
فاسدة وتارك الدنيا ولو اشتغل بامر دنيوي يكون له مطمح أخروي ولذا قال بعض العارفين من أرباب اليقين
من أحب الدنيا لم يقدر على هدايته جميع المرشدين ومن ترك الدنيا لم يقدر على ضلالته جميع المفسدين
(رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) أي
كالسجن للمؤمن في جنب ما أعد له في الآخرة من الثواب والنعيم المقيم وكالجنة للكافر في جنب ما أعد له
في الآخرة من العقوبة والعذاب الاليم وقيل ان المؤمن صرف نفسه عن اللذات وأخذها بالشدائد فكأنه في
السجن والكافر سرحها بالشهوات فهي له كالجنة كذا ذكر في الفائق ويؤيد القول الاخير ما قال
فضيل بن عياض من ترك لذات الدنيا وشهواتها فهو في سجن فاما الذي لا يترك لذاتها وشهواتها فأي سجن
عليه وأقول الظاهر ان مراتب السجن ومنازله مختلفة باختلاف أحوال أهله مع انه لا يخلو أحد من ضيق
التكاليف الشرعية من ارتكاب الواجبات العلمية واجتناب الامور المنهية وكذا من مشقات الاحوال
الكونية من البرد والحر في الصيف والشتاء والبلاء والغلاء وموت الاحباء وغلبة الاعداء وامثال ذلك من
ابتداء خلق النطفة وأطوارها في مشيمة البطن الى الظهور في المهد والبطور في اللحد وما بينهما من أنواع
الكد والكبد ولذا قال تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد أي لا يزال في تعب عظيم مبدؤه ظلمة الرحم ومضيقه
ومنتهاه الموت وما بعده الى ان يكون بعد هذا السجن اما البساتين الجامع السلطانية والقرار في المناصب العلية
واما السلاسل الزبانية بموجب الغضب الالهي عليه ونقله من السجن السهل الفاني الى الحبس الصعب الباقي
نعوذ بالله من ذلك ولما مات داود الطائي سمع هاتف ينادي أطلق داود من السجن قال أبو حفص السهروردي

ان السجن والخروج منه يتعاقبان على قلب العبد المؤمن على الساعات ومرور الاوقات لان النفس كلما ظهرت بصفاتها أظلم الوقت على القلب حتى ضاق وانكمد وهل السجن الا التضييق وحجز من الخروج والولوج وكلما هم القلب بالتبرز عن مشائم الاهواء الدنيوية والتخلص عن قيود الشهوات العاجلة تسببا الى الآجلة وتنزها في فضاء الملكوت ومشاهدة الجمال الازلي حجزه الشيطان المردود من هذا الباب المطرود بالاحتجاب والتدلي بجذب النفس الامارة اليه فيكدر صفو العيش عليه وحال بينه وبين محبوب طبعه وهذا من أعظم السجون وأضيقها فان من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت عليه الارض بما رحبت وضاقت عليه نفسه ولهذا المعنى أخبر الله تعالى عن جماعة من الصحابة حيث تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات فقال الله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت الآية (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة والطبراني والحاكم عن سلمان والبزار عن ابن عمر ورواه أحمد والطبراني وأبو نعيم في الحلية والحاكم عن ابن عمرو بن العاص ولفظه الدنيا سجن المؤمن وسنته فاذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة والسنة بفتح أوله القحط والجدب وأخرج ابن المبارك عن ابن عمر وقال ان الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وانما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الارض ويتفسح فيها وأخرجه ابن أبي شيبة عنه نحوه وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر يا أباذر ان الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره يا أباذر ان الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره وروى ابن لال عن عائشة الدنيا لا تصفو لمؤمن كيف وهي سجنه وبلاؤه (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة) قال شارح أي لا يضيع أجر حسنة المؤمن ولا يخفى انه حاصل المعنى وأما بحسب التركيب والمعنى فالظلم يتعدى الى مفعولين قال تعالى ان الله لا يظلم الناس شيأ وفي القاموس ظلمه حقه أي منعه اياه فالحديث تفسير لما في القرآن وتبيين لما فيه من نوعي جنس الانسان وبيان ان الله يجازي عباده المؤمن والكافر على النقير والقطمير والقليل والكثير من الخير والشر اما في الدنيا واما في العقبى كما قال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال عز وجل ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ولذا قال عمر رضي الله عنه لو كان لي حسنة واحدة لاكتفيت بناء على المضاعفة المذكورة والمثوبة العظيمة المسطورة (يعطى) استئناف بيان بصيغة المجهول أي يعطى المؤمن كل خير (بها) أي بسبب تلك الحسنة (في الدنيا) من رفع البلاء وتوسعة الرزق وغير ذلك من النعماء وفي نسخة بصيغة الفاعل أي يعطي الله اياه بتلك الحسنة أجرا في الدنيا (ويجزى بها في الآخرة) على بناء المفعول أو الفاعل طبق ما قبله (وأما الكافر فيطعم) بصيغة المجهول لا غير أي يعطى وفي العدول اشارة الى ان مطمح نظر الكافر في العطاء انما هو بطنه والمعنى انه يجزى (بحسنات ما عمل بها لله) أي من اطعام فقير واحسان ليتيم واغاثة ملهوف ونحوها من طاعات لا يشترط في صحتها الاسلام (في الدنيا) ظرف ليطعم (حتى اذا أفضى) أي وصل (الى الآخرة لم تكن) بالتأنيث وتذكر أي لم يبق ولم يوجد له (حسنة يجزى بها) فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا وفي شرح السنة قوله لا يظلم لا ينقص وهو معدى الى مفعولين أحدهما مؤمنا والآخر حسنة ومعناه ان المؤمن اذا اكتسب حسنة يكافئه الله تعالى بان يوسع عليه رزقه ويرغد عيشه في الدنيا وبان يجزى ويثاب في الآخرة والكافر اذا اكتسب حسنة في الدنيا بان يفك أسيرا أو ينقذ غريقا يكافئه الله تعالى في الدنيا ولا يجزيه في الآخرة اهـ وحاصله ان الله يقابل عبده المؤمن بالفضل والكافر بالعدل ولا يسئل عما يفعل ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب (رواه مسلم) وفي الجامع رواه أحمد ومسلم عن أنس بلفظ ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى عليها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا اهـ ومقتضى المقابلة

رواه مسلم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها رواه مسلم

ما ورد في حديث آخر أن المؤمن يجزى بسيئته في الدنيا من أنواع المحنة والمشقة والبلاء والرزايا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم يكن له سيئة يعاقب عليها ويؤيده ما روى أحمد وابن حبان انه لما نزل قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فمن ينجو من هذا يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام غفر الله لك يا أبا بكر ألست تحزن ألست تنصب ألست تمرض ألست تصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو مما تجزون به وقد صح على ما رواه الترمذي وابن جرير المصائب والامراض في الدنيا جزاء وروى الحاكم في مستدركه عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه مرفوعا من يعمل سوءا يجز به في الدنيا وعن ابن عمر قال لا يصيب عبد من الدنيا شيئا الا نقص من درجاته عند الله وان كان عليه كريما رواه ابن أبي الدنيا (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبت النار) أي أحيطت (بالشهوات) كالخمر والزنا (وحجبت الجنة بالمكاره) كالصلاة والزكاة (متفق عليه الا عند مسلم حفت بدل حجبت) يعني لفظ حجبت للبخاري ولفظ حفت لمسلم فالحديث متفق عليه عن أبي هريرة معنى وقد وافق مسلما أحمد والترمذي عن أنس لكن حديثهم فيه تقديم وتأخير مخالف للبخاري في ترتيبه على ما ذكره في الجامع بلفظ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات والله تعالى أعلم قال النووي رحمه الله معناه لا يوصل الى الجنة الا بارتكاب المكاره ولا يوصل الى النار الا بارتكاب الشهوات وكذلك هما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل الى المحجوب فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره وهتك حجب النار بارتكاب الشهوات وأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة على الطاعات والصبر عن الشهوات ونحو ذلك وأما الشهوات التي النار محفوفة بها فالظاهر انها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والغيبة ونحو ذلك وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذا الـ ويناسب هذا الحديث ما ذكره السيوطي في الجامع الكبير انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله بنى مكة على المكروهات والدرجات أي لا تحصل درجاتها الا بالتحمل على مكروهاتها والله تعالى أعلم (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس) بكسر العين ويفتح أي خاب وخسر (عبد الدينار) أي الذي اختاره على رضا معبوده الجبار بأن يأخذه من غير حله وأن لا يصرفه في محله وكذا قوله (عبد الدرهم) وهذان مثالان وخصا بالذكر لانهما النقدان الحاصل بهما جميع مقاصد النفس والشيطان (وعبد الخميصة) وهي ثوب خز أو صوف معلم وخصت بالذكر لان الغالب في لبسها الخيلاء والرعونة والرياء والسمعة ومن كمال ميل النفس اليها وعدم الطاقة على مفارقتها فكأنه عبد لها وقيل هي كساء أسود مربع له علمان أراد به محب كثرة الثياب النفيسة والحريص على التجمل فوق الطاقة وحاصله ذم التقيد بالزينة الظاهرة مما يتعلق بالثياب الجميلة لا سيما اذا كانت محرمة أو مكروهة وعدم التعلق بتحلية الباطن عن الاوصاف الدنية وتحليتها بالنعوت الرضية فان من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن جر ثوبه فقد تقدم نهيه لم يلق الاحكام وجر الاذيال حرام على وجه التكبر والخيلاء ومكروه اذا كان بخلافه وأما اذا كان اللبس على الوجه المباح في الشريعة فيختلف باختلاف النية في اختيار التكلف والتقشف فقد قال تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق الآية واختلف السادة الصوفية في أيهما أفضل ويختار الشاذلية والنقشبندية والبكرية التلبس بلباس الاغنياء كما عليه بعض السلف من الاولياء كما روي ان فرقدا السبخي دخل على الحسن وعليه كساء وعلى الحسن حلة فجعل يلمسها فقال له الحسن ما لك تنظر الى ثيابي ثيابي ثياب أهل الجنة وثيابك ثياب أهل النار بلغني ان أكثر أهل النار أصحاب الاكسية ثم قال الحسن جعلوا الزهد في ثيابهم والكبر في صدورهم والذي يحلف به لاحدهم بكسائه أعظم كبرا من صاحب المطرف بمطرفه ثم الجملة خبر أو دعاء على من استعبده حب الدنيا واسترقه الهوى وأعرض عن عبودية المولى ولذا قال بعض العارفين

أتمنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتاي طلعة حر

ثم يحتمل أن يكون المذموم من يكون أسيرا لجمع المال بحيث لا يؤدي حق الله تعالى (ان أعطي

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره متفق عليه الا عند مسلم حفت بدل حجبت وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان أعطي

أي هذا التعيس (رضي وان لم يعط سخط) بكسر الخاء أي غضب والجملة بيان لشدة حرصه وانقلاب حاله كما أخبر
الله تعالى عن حال المنافقين بقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها
اذا هم يسخطون الآية وكما قال عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان
أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (تعس) كرر للتأكيد
وليعطف عليه بالتشديد قوله (وانتكس) أي صار ذليلا (واذا شيك) بكسر أوله أي دخل شوك في عضوه
(فلا انتقش) بصيغة المجهول وفي نسخة على بناء المعلوم أي فلا يقدر على اخراجه أو لا يجد من يخرجه والمعنى انه
اذا وقع في البلاء لا يرحم عليه ولا يقدر على دفعه بنفسه أيضا هذا وفي النهاية تعس اذا عثر وانكب لوجهه وقد
تفتح العين وهو دعاء عليه بالهلاك وانتكس أي انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة لان من انتكس في
أمره فقد خاب وخسر واذا شيك أي اذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو اخراجها بالمنقاش والخميصة
ثوب خز وصوف معلم وقيل لا تسمى خميصة الا أن تكون سوداء معلمة وكانت من لباس الناس قديما قال الطيبي
رحمه الله قيل خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا خلاص له عن
أسره ولم يقل مالك الدينار ولا جامع الدينار لان المذموم من الدنيا الزيادة على قدر الحاجة لا قدر الحاجة وقوله
ان أعطي رضي وان لم يعط سخط يؤذن بشدة حرصه في جمع الدنيا وطمعه فيما في أيدي الناس وفي قوله
تعس وانتكس مفيد للترديد مع الترقي أعاد تعس الذي هو الانكباب على الوجه ليضم معه الانتكاس الذي هو
الانقلاب على الرأس ليترقى في الدعاء عليه من الأهون الى الأغلظ ثم ترقى منه الى قوله واذا شيك فلا انتقش على
معنى انه اذا وقع في البلاء فلا يترحم عليه لان من وقع في البلاء اذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه ويتسلى
بعض التسلي وهؤلاء بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الأعداء وشماتتهم وانما خص انتقاش الشوك بالذكر
لان الانتقاش أسهل ما يتصور من المعاونة لمن أصابه مكروه فاذا انتفى ذلك الأهون يكون ما فوق ذلك منفيا
بالطريق الأولى (طوبى) أي حالة طيبة أو شجرة في الجنة (لعبد) أي خالص لله تعالى (آخذ) بصيغة
الفاعل أي ماسك (بعنان فرسه) بكسر العين أي بلجامه (في سبيل الله) أي طريق الجهاد (أشعث)
بالنصب على انه صفة عبد أو حال منه وقوله (رأسه) مرفوع على الفاعلية لأشعث وهو مغبر الرأس وفي نسخة
برفعه على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة عبد وقوله (مغبرة) بالنصب وفي نسخة بالرفع وفي أخرى بالجر
على انها صفة عبد وقوله (قدماه) فاعلها وقال الطيبي رحمه الله أشعث ومغبرة حالان من الضمير في آخذ
لاعتماده على الموصوف ويجوز أن يكونا حالين من العبد لانه موصوف (ان كان) أي ذلك العبد (في
الحراسة) بكسر الحاء أي حماية الجيش ومحافظتهم عن ان يهجم عليهم عدوهم (كان) أي كاملا (في
الحراسة) غير مقصر فيها بالنوم والغفلة ونحوهما والحراسة وان كانت في اللغة أعم لكنها في العرف
مختصة بمقدمة العسكر ولذا قابل (وان كان في الساقة) أي في مؤخر الجيش (كان في الساقة) أي كاملا في
تلك الحالة أيضا بأن لا يخاف من الانقطاع ولا يميل الى السبق بل يلازم ما هو لاجله وقد تقرر في علم المعاني ان
الشرط والجزاء اذا اتحدا يراد بالجزاء الكمال والمعنى ان كان في الحراسة أو الساقة يبذل جهده فيهما ولا يغفل
عنهما على وجه الكمال قال التوربشتي رحمه الله أراد بالحراسة حراسته من العدو أن يهجم عليهم وذلك يكون في
مقدمة الجيش والساقة مؤخرة الجيش فالمعنى ائتماره لما أمر واقامته حيث أقيم لا يفقد من مكانه بحال وانما
ذكر الحراسة والساقة لانهما أشد مشقة وأكثر آفة الأول عند دخولهم دار الحرب والآخر عند خروجهم
(ان استأذن) أي طلب الاذن في دخول محفل وفي نسخة اذا استأذن (لم يؤذن له) أي لعدم ماله وجاهه
(وان شفع) أي لأحد (لم يشفع) بتشديد الفاء المفتوحة أي لم تقبل شفاعته وتوضيحه ما قيل ان فيه اشارة الى
عدم التفاته الى الدنيا وأرباب الحيث بحيث يفنى بكليته في نفسه لا يبتغي مالا ولا جاها عند الناس بل يكون عند الله
وجيها ولم يقبل الناس شفاعته وعند الله يكون شفيعا مشفعا (رواه البخاري) وروى الترمذي صدر الحديث

رضي وان لم يعط سخط
تعس وانتكس واذا
شيك فلا انتقش طوبى
لعبد آخذ بعنان فرسه في
سبيل الله أشعث رأسه
مغبرة قدماه ان كان في
الحراسة كان في الحراسة وان
كان في الساقة كان في الساقة
ان استأذن لم يؤذن له وان
شفع لم يشفع رواه البخاري

باللفظ لعن عبد الدرهم مختصرا (وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مما أخاف عليكم) أي من جملة ما أخشى عليكم أيها الصحابة أو أيها الامة (من بعدي) أي بعد وفاتي وفقد حياتي (ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا) بفتح الزاي وسكون الهاء ويفتح ففي القاموس الزهرة ويحرك النبات أو نوره أو الاصفر منه والمراد حسنها وبهجتها فقوله (وزينتها) عطف تفسير وانما عبر بالزهرة اشارة الى حدوثها حلو خضرة وسرعة فنائها والمعنى انى أخاف عليكم ان كثرة أموالكم عند رفع بلادكم تمنعكم من الاعمال الصالحة وتشغلكم عن العلوم النافعة وتحدث فيكم الاخلاق الدنية من التكبر والعجب والغرور ومحبة المال والجاه وما يتعلق بهما من لوازم الامور الدنيوية والاعراض عن الاستعداد للموت وما بعده من الاحوال الاخروية (فقال رجل يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر) بفتح الواو والاستفهام للاسترشاد والمعنى أيفتح علينا ويأتي الخير من الغنائم والمال والحلال وتوسيع الرزق معه وبا بالشر المترتب عليه ترك الخير من الطاعة والعبادة مما يخاف علينا وقيل الباء صلة يأتي وهي للتعدية اى هل يستجلب الخير الشر وتوضيحه ان حصول الغنيمة انما خير وهل يكون ذلك الخير سببا للشر (فسكت) أي متأملا أو مستغرقا أو منتظرا الوحي سكوتا ممتدا (حتى ظننا انه ينزل) بصيغة المجهول أي نزل الوحي (عليه) أي بواسطة جبريل والا فهو ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى اما وحيا جليا أو خفيا (قال) أي الراوي (فمسح عنه) أي عن وجهه الشريف (الرحضاء) بضم الراء وفتح الحاء المهملة وبالضاد المعجمة وبالمد عرق الحمى على ما في المقدمة والمراد هنا عرق يظهر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول الوحي عليه فالتركيب من باب التشبيه البليغ والمعنى انه مسح عنه عرقا كعرق أثر الحمى ترحض الجسد أي تغسله من كثرته (وقال اين السائل وكأنه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حمده) أي حمد السائل واستحسنه في سؤاله لكونه سؤال استرشاد لنفع العباد والعباد (فقال انه) أي الشأن (لا يأتي الخير بالشر) أي حقيقة لتناقضهما لكن قد يكون الخير سببا للشر فضرب لذلك مثلا بقوله المناسب لتعبير الخير بالزهرة حيث قال (وان مما ينبت الربيع) أي بقدرته تعالى وارادته وخلق أسبابه وآلاته (ما يقتل) أي نباتا أو شيأ يهلك الدواب (حبطا) بفتحتين أي انتفاخ بطن من الامتلاء وهو تمييز والمراد انه قد يقتل حقيقة (أو يلم) بضم ياء وتشديد ميم أي يكاد أن يقتل ويقرب بان يهلك فالأو للتنويع والمعنى ان الربيع ينبت خيار العشب فتستكثر منه الماشية لاستطابتها اياه حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق امعاؤها من ذلك فتموت أو تقرب الموت ومن المعلوم ان الربيع ينبت اضراب العشب فهي كلها خير في نفسها وانما يأتي الشر من قبل افراط الآكل فكذلك المفرط في جمع المال من غير حله أو من الحلال المشغل عن حاله يكثر في التنعم به من غير تأمل في مآله فيفسق من كثرة الاكل فيورث الاخلاق الدنية فيتكبر ويتجبر ويحقر الناس ويمنع ذا الحق حقه منها فيؤل مآل المال اهلاكه في الدنيا وعذابه في العقبي بصير سبب لو بال وشدة النكال وسوء الحال (الا آكلة الخضر) بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين وهو الطري الغض من النبات وفي نسخة بضم ففتح على انه جمع خضرة وروى بزيادة الهاء والمعنى يقتل أو يلم كل آكلة الا آكلة الخضر على الوجه المذكور والبيان المعلوم بقوله (أكلت) أي الماشية الآكلة المفرطة أكلها (حتى امتدت) أي امتلأت وشبعت (خاصرتاها) أي جنباها وعبر عن الشبع بامتدادهما لانهما يمتدان عند امتلاء البطن (استقبلت عين الشمس) أي ذاتها وقرصها والمعنى انها تركت مستقبلة اليها تستمري بذلك ما أكلت وقال شارح أي تركت الاكل ولم تأكل ما فوق طاقتها كرشها حتى تقتلها كثرة الاكل وتوجهت الى مسقط ضوئها واستراحت به (فثلطت) أي ألقت روثها رقيقا سهلا (وبالت) أي فزال عنها الحبط (ثم عادت فأكلت) أي ثم اذا حصل لها الهضم واستراحت الا ثم عادت ... فكذلك من أخرج في المال من الحقوق ... بالاحتماء ...
وعرف ... كلام ... من الا ... يكون ... لانه ...

وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل يا رسول الله أو يأتي الخير بالشر فسكت حتى ظننا انه ينزل عليه قال فمسح عنه الرحضاء وقال أين السائل وكأنه حمده فقال انه لا يأتي الخير بالشر وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم الا آكلة الخضر أكلت حتى امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم عادت فأكلت

تحصيل الخير ودفع الشر لكن لما كان الخطر فيه كثيرا بحيث يضر السالكين بحسب الاغلب اختار الله لا كثر الانبياء والاولياء طريق الفقر والفاقة وذهب الصوفية أجمعهم والعلماء أكثرهم الى ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر والله سبحانه وتعالى أعلم هذا مجمل الكلام في مرام المقام وأما تفصيله اذة وحلا من جهة المبنى والمعنى ففي النهاية الحبط بالتحريك الهلاك يقال حبطت الدابة تحبط حبطا بالتحريك اذا أصابت مرعى طيبا فأفرطت في الاكل حتى تنتفخ فتموت وذلك ان الربيع ينبت أحرار العشب فتستكثر منه الماشية ويلم أي يقرب ويدنو من الهلاك والخضر بكسر الضاد نوع من البقول ليس من احرارها وجيدها وانما ترعاه المواشي اذا لم تجد غيرها فلا تكثر من أكلها ولا تستمرئها قال القاضي أكلة نصب على انه مفعول بقتل والاستثناء مفرغ والاصل ان مما ينبت الربيع ما يقتل آكله الا آكل الخضر على هذا الوجه والاستثناء المفرغ من المثبت لقصد التعميم فيه ونظيره قرأت الا يوم كذا قال الطيبي رحمه الله تعالى وعليه ظاهر كلام المظهر والاظهر ان الاستثناء منقطع لوقوعه في الكلام المثبت وهو غير جائز عند الكشاف الا بالتأويل فيه لان ما يقتل حبطا بعض ما ينبت الربيع لدلالة من التبعيض عليه وأيضا تقسيم في قوله الا آكل الخضر لان الخضر غير ما يقتل حبطا وقد قال في شرح السنة قال الازهري فيه مثلان ضرب أحدهما المفرط في جمع الدنيا ومنعها من حقها وضرب الآخر للمقتصد في أخذها والانتفاع بها وأما قوله وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا فهو مثل للمفرط الذي يأخذها بغير حق وذلك ان الربيع ينبت احرار العشب فتستكثر منها الماشية حتى ينتفخ بطونها لما قد جاوزت حد الاحتمال فتنشق أمعاؤها فتهلك كذلك الذي يجمع الدنيا من غير حلها ويمنع ذا الحق حقه يهلك في الآخرة بدخول النار وأما مثل المقتصد فقوله عليه الصلاة والسلام الا آكلة الخضر وذلك ان الخضر ليست من أحرار البقول التي ينبتها الربيع فتستكثر منها الماشية ولكنها من كلا الصيف التي ترعاها المواشي بعد هشيم البقول شيأ فشيأ من غير استكثار فضرب مثلا لمن يقتصد في أخذ الدنيا ولا يحمله الحرص على أخذها فهو ينجو من وبالها كما نجت آكلة الخضر قال الاشرف في قوله حتى امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس ان المقتصد المحمود العاقبة وان جاوز حد الاقتصاد في بعض الاحيان وقرب من السرف المذموم لغلبة الشهوة المركوزة في الانسان وهو المعنى بقوله أكلت حتى امتدت خاصرتاها لكنه يرجع عن قريب عن ذلك الحد المذموم ولا يلبث عليه بل يلتجئ الى الدلائل المميزة والبراهين الواضحة الدافعة للمرض المهلك القامعة له وهو المدلول عليه بقوله استقبلت عين الشمس وثلطت وبالت فحذف ما حذف في المرة الثانية لدلالة ما قبلها عليه وفيه ارشاد الى ان المحمود العاقبة وان تكرر منه الخروج عن حد الاقتصاد والقرب من حد الاسراف مرة بعد أولى وثانية بعد أخرى لغلبة شهوة عليه وتوثبها فيه لكنه يمكن ان يبعد بتثبيته الله تعالى عن الحد المذموم الذي هو الاسراف ويقرب من الاقتصاد الذي هو الحد المحمود قال الطيبي رحمه الله وعلى هذا الاستثناء متصل لكن يجب التأويل في المستثنى منه والمعنى ان من جملة ما ينبت الربيع شيأ يقتل آكله الا الخضر منه اذا اقتصر فيه آكله وتحرى دفع ما يؤديه الى الهلاك (وان هذا المال) أي المحسوس في البال (خضرة) بفتح فكسر (حلوة) بضم الحاء أي حسنة المنظر لزيادة المذاق والتأنيث باعتبار ان هذا المال عبارة عن الدنيا وزينتها اذا التقدير ان زهرة هذا المال خضرة حلوة قال التوربشتي رحمه الله كذلك رويناه من كتاب البخاري على التأنيث وقد روي أيضا خضر حلو والوجه فيه ان يقال انما أنث على معنى تأنيث المشبه به أي ان هذا المال شيء كالخضرة وقيل معناه كالبقلة الخضرة أو يكون على معنى فائدة المال أي ان الحياة أو المعيشة خضرة قال الطيبي رحمه الله ويمكن ان يعبر عن المال بالدنيا لانه أعظم زينة الحياة الدنيا قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا فيوافق حديث أبي سعيد الخدري الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم على ما مر في الباب السابق اهـ والمعنى ان هذا المال مشبه بالمرعى المشتهاة للانعام (فمن أخذه بحقه) أي بقدر احتياجه من طريق حله (ووضعه في حقه) أي في محله الواجب أو ندبه (فنعم المعونة) أي

وان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة

ما يعان به على الطاعة و يدفع به ضرورات المؤنة اذ المراد بالمعونة الوصف مبالغة أي نعم المعين على الدين (هو) أي المال ونظيره ما ورد نعم المال الصالح للرجل الصالح (ومن أخذه بغير حقه) أي من غير احتياج اليه وجمعه من حرام ولم يصرفه في مرضاة ربه (كان كالذي يأكل ولا يشبع) فيقع في الداء العضال والورطة المهلكة لغلبة الحرص كالذي به جوع البقر وكالمريض الذي به الاستسقاء حيث ما يروى وكل ما يشرب يزيد عطشا وانتفاخا (و يكون) أي المال (شهيدا عليه يوم القيامة) أي حجة عليه يوم يشهد على حرصه واسرافه وانه أنفقه فيما لا يرضاه الله تعالى ولم يؤد حقه من مال الله لعباد الله قال الغزالي رحمه الله مثال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم ناقع فان أصابها المعزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن شرها وطريق استخراج ترياقها كانت نعمة وان أصابها السوادي الغبي فهي عليه بلاء مهلك وتوضيحه ما قاله الخواجه عبيد الله النقشبندي رحمه الله ان الدنيا كالحية فكل من يعرف رقيتها يجوز له أخذها والا فلا فقيل وما رقيتها فقال ان يعرف من أين يأخذها وفي أين يصرفها (متفق عليه وعن عمرو بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لا الفقر) بالنصب مفعول مقدم للاهتمام على عامله وهو قوله (أخشى عليكم) والمعنى ما أخشى عليكم الفقر لان الغالب عليه السلامة وانه أنفع لكم ولذا قيل ان من العصمة ان لا تقدر وان كاد الفقر ان يكون كفرا (ولكن أخشى عليكم ان تبسط) أي توسع (عليكم الدنيا) أي فتعملوا معاملة الاغنياء الاغبياء تنكرا بانواع البلاء (كما بسطت على من كان قبلكم) أي فهلكوا بسبب عدم ترحمهم على الفقراء لاجل كمال الميل الى المال (فتنافسوها) بحذف احدى التاءين عطف على تبسط من نافست في الشيء أي رغبت فيه وحقيقة ان المنافسة والتنافس ميل النفس الى الشيء النفيس ولذا قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والمعنى فتتناولوها أنتم وترغبوا فيها غاية الرغبة (كما تنافسوها) بصيغة الماضي أي كما رغب فيها من قبلكم (وتهلككم) أي الدنيا (كما أهلكتهم) قال الطيبي رحمه الله فان قلت ما الفائدة في تقديم المفعول في القرينة الاولى دون الثانية قلت فائدته الاهتمام بشأن الفقر لان الاب المشفق اذا احتضر انما يكون اهتمامه بشأن الولد وضياعه واعدامه المال كأنه صلى الله تعالى عليه وسلم يقول حالي معكم خلاف حال الوالد فاني لا أخشى الفقر كما يخشاه الوالد ولكن خوفي من الغنى الذي هو مطلوب الوالد للولد ثم التعريف في الفقر اما ان يكون للعهد فهو الفقر الذي كانت الصحابة عليه من الاعدام والقلة والبسط هو ما بسط الله عليهم من فتح البلاد واما للجنس وهو الفقر الذي يعرفه كل أحد ما هو والبسط الذي يعرفه كل أحد ونظيره ما فسر به قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا اه والظاهر ان المراد بالفقر ما لم يكن عنده جميع ما يحتاج اليه من ضروريات الدين والبدن وبالغنى الزيادة على مقدار الكفاية الموجبة للطغيان وشغل الانسان عن عبادة الرحمن فالمعنى كما قال الطيبي رحمه الله ترغبون فيها فتشتغلون بجمعها وتحرصون على امساكها فتطغون بها فتهلكون ثم قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى و يحتمل ان يكون هلاكهم من أجل ان المال مرغوب فيه فيطمع الناس و يتوقعون منه فمنعه منهم فتقع العداوة بينهم فيفضي ذلك الى الهلاك اه وهذا الاحتمال بعيد عن ان يكون مراد الحديث بل عن البال بالاجمال (متفق عليه) وروى الطبراني في الصغير عن أنس مرفوعا قال من أصبح حزينا على الدنيا أصبح ساخطا على ربه تعالى ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما يشكو الله تعالى ومن تضعضع لغني لينال مما في يديه أسخط الله تعالى ومن أعطي القرآن فدخل النار فأبعده الله تعالى ورواه أبو الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء الا انه قال في آخره ومن قعد أو جلس الى غني فتضعضع له لدنيا تصيبه ذهب ثلثا دينه ودخل النار (وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اللهم اجعل رزق آل محمد) أي ذريته وأهل بيته أو أتباع محمد وأحبابه على وجه الكمال (قوتا) أي ما يكسب بقوة على الطاعة و يسد رمقا في المعيشة (وفي رواية كفافا) بفتح الكاف وهو من القوت ما كان بقدر الحاجة من الجوع أو عن السؤال والظاهر ان هذه الرواية تفسير للاولى وبيان ان الاكتفاء بالكفاية مبادي النهاية ...

هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع ويكون شهيدا عليه يوم القيامة متفق عليه وعن عمرو بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم متفق عليه وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفي رواية كفافا

وقد استجاب الله دعاءه في حق من شاء ممن أراد اصطفاءه واجتباءه ويؤيد القول الثاني وهو أن يكون المراد بالآل خواص أمته من أرباب الكمال ما ورد في دعائه عليه الصلاة والسلام على ما رواه ابن ماجه عن عمرو بن غيلان الثقفي والطبراني عن معاذ بن جبل اللهم من آمن بي وصدقني وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأقلل ماله وولده وحبب إليه لقاءك وعجل له القضاء ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم أن ما جئت به الحق من عندك فأكثر ماله وولده وأطل عمره ولعل السبب في ذلك ما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وفي رواية قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ونعم ما قال بعض أرباب الحال

زيادة المرء في دنياه نقصان * وربحه غير محض الخير خسران

هذا وفي النهاية الكفاف هو الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة إليه قال الطيبي رحمه الله هذه الرواية مفسرة للرواية الأولى لأن القوت ما يسد به الرمق وقيل سمي قوتا لحصول القوة منه سلك صلى الله تعالى عليه وسلم طريق الاقتصاد المحمود فإن كثرة المال تلهي وقلته تنسي فما قل وكفى خير مما كثر وألهى وفي دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إرشاد لأمته كل الإرشاد إلى أن الزيادة على الكفاف لا ينبغي أن يتعب الرجل في طلبه لأنه لا خير فيه وحكم الكفاف يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فمنهم من يعتاد قلة الأكل حتى إنه يأكل في كل أسبوع مرة فكفافه وقوته تلك المرة في أسبوع ومنهم من يعتاد الأكل في كل يوم مرة أو مرتين فكفافه ذلك أيضا لأنه إن تركه أضر ذلك ولم يقو على الطاعة ومنهم من يكون كثير العيال فكفافه ما يسد رمق عياله ومنهم من يقل عياله فلا يحتاج إلى طلب الزيادة وكثرة الاشتغال فإذا قدر الكفاية غير مقدر ومقداره غير معين إلا أن المحمود ما به القوة على الطاعة والاشتغال بها على قدر الحاجة (متفق عليه) وفي الجامع اللهم ارزق آل محمد في الدنيا قوتا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة (وعن عبد الله ابن عمرو) بالواو (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفلح) أي فاز وظفر بالمقصود (من أسلم) أي انقاد لربه المعبود (ورزق) أي من الحلال (كفافا) أي ما كفاه في أمر دنياه وكفه عما سواه (وقنعه الله) أي جعله قانعا (بما آتاه) أي بما أعطاه إياه بل جعله شاكرا لما أعطاه راضيا بكل ما قدره وقضاه (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي وابن ماجه وفي رواية لأحمد عن أبي ذر مرفوعا قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وأذنه مستمعة وعينه ناظرة وجاء في رواية مختصرا قد أفلح من رزق لبا رواه البيهقي عن قرة بن هبيرة وقد قال تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآيات والله تعالى أعلم بحقيقة النيات (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد) أي مع أن العبد وما في يده لمولاه ولا ينبغي له أن ينسب إلى نفسه شيئا كما قالته الصوفية الصفية (مالي مالي) أي مالي كذا ومالي كذا والمعنى يعده افتخارا أو يذكره احتقارا أو لم يعرف المقصود من المال ولا ما يترتب عليه في المآل من الوبال (وإن ماله من ماله ثلاث) ما الأولى موصولة وله صلته ومن ماله متعلق بالصلة وثلاث خبر وإنما أنثه على تأويل المنافع ذكره الطيبي رحمه الله والمعنى أن الذي يحصل له من ماله ثلاث منافع في الجملة لكن منفعة واحدة منها حقيقة باقية والباقي منها صورية فانية (ما أكل) أي ما استعمل من جنس المأكولات والمشروبات فيه تغليب أو اكتفاء (فأفنى) أي فأعدمه (أو لبس) أي من الثياب (فأبلى) أي فأخلقها (أو أعطى) أي لله تعالى (فاقتنى) أي جعله قنية وذخيرة للعقبى (وما سوى ذلك) أي وما عدا ما ذكر من سائر أنواع المال من المواشي والعقار والخدم والنقود والجواهر ونحو ذلك (فهو) أي العبد (ذاهب) أي عنه (وتاركه للناس) أي من الورثة أو غيرهم بلا فائدة راجعة إليه مع أن مطالبة المحاسبة والمعاقبة عليه (رواه مسلم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت) أي إلى قبره (ثلاثة) أي من أنواع الأشياء (فيرجع اثنان) أي إلى مكانهما ويتركانه وحده (ويبقى معه واحد) أي لا ينفك عنه (يتبعه أهله) أي أولاده وأقاربه وأهل صحبته ومعرفته (وماله) كالعبيد

متفق عليه وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد مالي مالي وإن ماله من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس رواه مسلم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه أهله وماله

والاماء والدابة والخيمة ونحوها قال المظهر أراد بعض ماله وهو مماليكه وقال الطيبي رحمه الله اتباع الاهل
على الحقيقة واتباع المال على الاتساع فان المال حينئذ له نوع تعلق بالميت من التجهيز والتكفين ومؤنة
الغسل والحمل والدفن فاذا دفن انقطع تعلقه بالكلية (وعمله) أي من الصلاح وغيره (فيرجع أهله وماله)
أي كانت اهله وماله (ويبقى) أي معه (عمله) أي ما يترتب عليه من ثواب وعقاب ولذا قيل القبر
صندوق العمل وفي الحديث القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران (متفق عليه وعن عبد
الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ايكم مال وارثه أحب اليه من ماله) أي من مال
نفسه (قالوا يا رسول الله ما منا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال فان ماله) أي حقيقة (ما قدم) أي
ما قدمه على موته بارساله الى الدار الآخرة فانه النافع الباقي له فيها قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير
تجدوه عند الله (ومال وارثه ما أخر) أي ما خلفه لهم حيث يفعلون فيه ما قدره الله عليهم من الخير والشر
قال تعالى علمت نفس ما قدمت وأخرت (رواه البخاري وعن مطرف) بضم الميم وكسر الراء المشددة (عن أبيه)
أي عبد الله بن الشخير بكسر فتشديد دومر ذكره (قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم
التكاثر) أي أشغلكم طلب كثرة المال (قال يقول ابن آدم) أي لكونه ظلوما جهولا في حمل الامانة المانعة
عن الخيانة (مالي مالي) أي يغتر بنسبة المال تارة ويفتخر به أخرى (قال) أعيد للتأكيد ودفعا لتوهم أن
يكون من قول الراوي (وهل لك) أي وهل يحصل لك من المال وينفعك في المآل (يا ابن آدم الا ما أكلت
فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت) أي فأمضيته من الافناء والابلاء وأبقيته لنفسك يوم الجزاء
قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقال عز وجل من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله
أجر كريم (رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الغنى) أي المعتبر
عند أرباب الحقيقة غنى صادرا (عن كثرة العرض) وهو غنى اليد من الامور العارضة والاحوال الحادثة
وهو بفتح العين والراء متاع الدنيا وحطامها على ما في النهاية وقال شارح العرض بالتحريك يتناول النقود
وغيرها من الاموال وبالسكون لا يتناول النقود وقال الطيبي رحمه الله وعن هذه مثلها في قوله تعالى فأزلهما
الشيطان عنها الكشاف أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنه
(ولكن) بتشديد النون ويجوز تخفيفه (الغنى) أي الغنى الحقيقي (غنى النفس) أي عن المخلوق لاستغناء
القلب باغناء الرب والمعنى ان الغنى الحقيقي هو قناعة النفس بما أعطاه المولى والتجنب عن الحرص في طلب
الدنيا فمن كان قلبه حريصا على جمع المال فهو فقير في حقيقة الحال ونتيجة المآل وان كان له كثير من الاموال
لانه محتاج الى طلب الزيادة بموجب طول الآمال ومن كان له قلب قانع بالقوت وراض بعطية مالك الملك
والملكوت فهو غني بقلبه مستغن عن الغير بربه سواء يكون في يده مال أولا اذ لا يطلب الزيادة على القوت ولا
يتعب نفسه في طلب الدنيا الى أن يموت بل يسعى بالقليل من الدنيا لتحصيل الثواب الجميل في العقبى والثناء
الجزيل من المولى رزقنا الله المقام الاعلى وفي الحديث القناعة كنز لا يفنى وفي رواية لا ينفد وما أحسن من قال
من أرباب الحال

عزيز النفس من لزم القناعه * ولم يكشف لمخلوق قناعه

قال الاشرف المراد بغنى النفس القناعة ويمكن ان يراد به ما يسد الحاجة قال الشاعر

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة * فان زاد شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

قال الطيبي رحمه الله ويمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلمية والعملية وأنشد أبو الطيب معناه

ومن ينفق الساعات في جمع ماله * مخافة فقر فالذي فعل الفقر

يعني ينبغي أن ينفق ساعاته وأوقاته في الغنى الحقيقي وهو طلب الكمالات ليزيد غنى بعد غنى لا في المال لانه
فقر بعد فقر اه وقد قال بعض أرباب الكمال

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللاعداء مال

وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا أحد الا ماله أحب اليه من مال وارثه قال فان ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر رواه البخاري وعن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالي مالي قال وهل لك يا ابن آدم الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس

فان المال يفنى عن قريب * وان العلم يبقى لا يزال

ومن المعلوم ان المال ارث فرعون وقارون وسائر الكفار والفجار وان العلم ارث الانبياء والاولياء والعلماء الابرار (متفق عليه) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه

(الفصل الثاني) (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عني هؤلاء الكلمات) أي الاحكام الآتية للسامع المصورة في ذهن المتكلم ولذا [illegible] (فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن) أو بمعنى الواو كما في قوله تعالى عذرا أو نذرا ذكره الطيبي رحمه الله وتبعه غيره والظاهر ان أو في الآية للتنويع كما أشار اليه البيضاوي بقوله عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين ويمكن ان تكون أو في الحديث بمعنى بل اشارة الى الترقي من مرتبة الكمال الى منصة التكميل على ان أو للتنويع [illegible] وتنبيه على ان العاجز عن العمل قد تكون [illegible] على مقتضى قوله رب حامل فقه الى من هو افقه منه (قلت انا) أي آخذها عنك (يارسول الله) [illegible] وكان اذا وقع سوطه من يده وهو راكب [illegible] من أصحابه (فأخذ بيدي) أي لتحقيق القضية وتقرير الخصوصية (فعد خمسا) أي من الخصائل أو من الاصابع على ما هو المتعارف واحدة بعد واحدة (فقال اتق المحارم) وهي ما نهى عنه الشرع [illegible] (تكن أعبد الناس) اذ لا عبادة أفضل من الخروج [illegible] وعوام الناس [illegible] ويتركون كثيرا من الحلال فيضيعون الاصول ويقومون بالفضائل وربما تكون على بعضهم تبعات ويغفل عن أدائها ويصلي [illegible] ويجتهد على طواف وعبادات [illegible] من الزكاة وحقوق الناس فيعطيها للفقراء أو بنى المساجد والمدارس ونحوها [illegible] على قاعدة الحكماء في معالجة الداء بالدواء (وارض بما قسم الله لك) أي سواء فعلت بواسطة مخلوق أو بغيرها (تكن أغنى الناس) سأل شخص السيد أبا الحسن الشاذلي رحمه الله عن الكيمياء فقال هي كلمتان اخرج الخلق عن قلبك واقطع طمعك عن الله ان يعطيك غير ما قسم لك وقال السيد عبد القادر الجيلي عليه رحمة الباري اعلم ان القسم لا يفوتك لترك الطلب وما ليس بقسمك لا تناله بحرصك في الطلب والجد والاجتهاد فاصبر والزم الحال وارض به ليرضى عنك ذو الجلال (وأحسن الى جارك) أي ولو مسيئا اليك (تكن مؤمنا) أي كاملا ومعطيا له الامن لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه أي شروره وغوائله (وأحب للناس) أي عموما (ما تحب لنفسك) أي مثل ما تحبه لنفسك حتى تحب الايمان للكافر والتوبة للفاجر ونحو ذلك (تكن مسلما) أي كاملا وهذا الحديث أتم من حديث المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقد استشهد الطيبي رحمه الله بذلك [illegible] حديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (ولا تكثر الضحك) أي [illegible] (فان كثرة الضحك) أي الموردة للغفلة عن الاستعداد للموت [illegible] (تميت القلب) أي ان كان حيا أو تزيده اسودادا ان كان ميتا (رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث غريب) وفي التصحيح للجزري رواه الترمذي من حديث الحسن عن أبي هريرة والحسن لم يسمع من أبي هريرة قال وروى أبو عبيدة الناجي عن الحسن هذا الحديث قوله ولم يذكر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال المنذري بعد نقل قول الترمذي الحسن لم يسمع من أبي هريرة ورواه البزار والبيهقي نحوه في كتاب الزهد له عن مكحول عن واثلة لكن بقية اسناده فيه ضعف ذكره ميرك وفيه أن حديث الحسن اعتضد بحديث مكحول فترقى عن درجة الضعف مع انه معتبر في فضائل الاعمال اجماعا (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى يقول ابن آدم) خص بالنداء لانه عمدة العابدين وأضيف الى آدم اشعارا بانه يتبعه في مرتبة التائبين (تفرغ لعبادتي) أي بالغ في فراغ قلبك لعبادة ربك

متفق عليه

(الفصل الثاني) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا فقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول ابن آدم تفرغ لعبادتي

أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وان لا تفعل ملأت يدك شغلا ولم أسد فقرك رواه أحمد وابن ماجه وعن جابر قال ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة واجتهاد وذكر آخر برعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعدل بالرعة يعني الورع رواه الترمذي وعن عمرو بن ميمون الاودي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس

(املأ صدرك غنى) أي احسن قلبك علوما ومعارف تورث الغنى عن غير المولى (وأسد فقرك) أي وأسد باب حاجتك الى الناس وهو بفتح الدال المشددة في النسخ المصححة لعطفه على المجزوم من جواب الامر وفي نسخة بضمها المتابعة عينها وقد جوز في لم يمد الحركات الثلاث مع الادغام (وان تفعل) أي ما أمرتك من الاعراض عن الدنيا والاقبال على عبادة المولى النافعة في الدنيا والاخرى (ملأت يدك) أي جوارحك كما يدل عليه رواية يديك وفي الجامع يديك بصيغة التثنية وانما خصت اليدان لأنه أكثر الافعال بهما (شغلا) بضم فسكون ويجوز ضمهما وفتحهما وفتح فسكون على ما في القاموس أي اشتغالا من غير منفعة (ولم أسد فقرك) أي لا من شغلك ولا من غيره وحاصله انك تتعب نفسك بكثرة التردد في طلب المال ولا تنال الا ما قدرت لك من المال في الازل وتحرم عن غنى القلب لترك عبادة الرب (رواه أحمد وابن ماجه) وكذا الترمذي والحاكم على ما ذكر في الجامع وفي التصحيح رواه الترمذي وابن ماجه من طريق أبي خالد الوالبي واسمه هرم ويقال هرم عن أبي هريرة قال ابن عدي في حديث أبي خالد لين وقال الحافظ المنذري في الترغيب رواه ابن ماجه والترمذي واللفظ له وقال حديث حسن وابن حبان في صحيحه باختصار الا أنه قال يديك شغلا والحاكم وقال صحيح الاسناد والبيهقي في كتاب الزهد قال ميرك وله شاهد من حديث معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ربكم يا ابن آدم تفرغ لعبادتي املأ قلبك غنى واملأ يديك رزقا يا ابن آدم لا تباعد عني املأ قلبك فقرا واملأ بدنك شغلا رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وروى ابن عساكر والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعا خير سليمان بين المال والملك والعلم فاختار العلم فأعطي الملك والمال لاختياره العلم وروى البيهقي عن عمران بن حصين مرفوعا من انقطع الى الله عز وجل كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله تعالى اليها وروى الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة والبيهقي عن علي مرفوعا أبى الله أن يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب (وعن جابر قال ذكر رجل عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعبادة واجتهاد) أي في طاعة مع قلة ورع عن معصية والتنوين فيهما للتعظيم أو للتنكير (وذكر) أي عنده (آخر برعة) بكسر الراء على وزن عدة أي بورع عن حرام مع قلة عبادة والمعنى انه طلب منه صلى الله تعالى عليه وسلم بيان الافضل منهما (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تعدل) بصيغة الفاعل مجزوما وقيل بصيغة المفعول مرفوعا أي لا تزن ولا تقابل العبادة (بالرعة يعني الورع) تفسير من الراوي والمراد بالورع التقوى عن المحرمات فانه قد يفضي الى امتثال الواجبات من العبادات قال المظهر لا تعدل يجوز أن يكون نهي المخاطب المذكر مجزوم اللام يعني لا تقابل شيأ بالرعة وهي بكسر الراء وتخفيف العين الورع فان الورع أفضل من كل خصلة ويجوز أن يكون خبرا منفيا بضم التاء وفتح الدال أي لا تقابل خصلة بالورع فانه أفضل الخصال قال الراغب الورع في عرف الشرع عبارة عن ترك التسرع الى تناول اعراض الدنيا وذلك ثلاثة أضرب واجب وهو الاحجام عن المحارم وذلك للناس كافة وندب وهو الوقوف عن الشبهات وذلك للاوساط وفضيلة وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على أقل الضرورات وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين رواه الترمذي قال الطيبي رحمه الله وقد الحق في بعض نسخ المصابيح بعد قوله لا تعدل بالرعة قوله شيأ وليس في جامع الترمذي وأكثر نسخ المصابيح منه أثر قلت وفي الجامع ضبط لا يعدل بصيغة المذكر المجهول على ان الجار والمجرور نائب الفاعل وهو ظاهر جدا حيث لا يحتاج الى تقدير شيء مطلقا (وعن عمرو بن ميمون الاودي) بفتح فسكون فمهملة نسبة الى أود بن صعب ذكره السيوطي رحمه الله وقال المؤلف أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يلقه وهو معدود في كبار التابعين من أهل الكوفة روى عن عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وابن مسعود (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه) حال (اغتنم) من الاغتنام وهو أخذ الغنيمة (خمسا) أي من الاحوال الموجودة في الحال (قبل خمس) أي من العوارض

المتوقعة في الاستقبال (شبابك) أي زمان قوتك على العبادة (قبل هرمك) بفتحتين أي قبل كبرك وضعفك عن الطاعة (وصحتك) أي ولو في هرمك (قبل سقمك) بفتحتين وبضم فسكون أي مرضك (وغناك) أي قدرتك على العبادات المالية والخيرات والمبرات الاخروية في مطلق الاحوال ومن أعم الاموال (قبل فقرك) أي فقدك اياه بالجائحة أو الممات فان المال في صدد الزوال (وفراغك قبل شغلك) سبق بيان مبناه ومعناه (وحياتك) ولو في الكبر المقرون بالمرض والفقر الممكن فيه الاتيان بذكر الله (قبل موتك) أي وقت اتيان أجلك وانقطاع عملك (رواه الترمذي مرسلا) قال الجزري رحمه الله في التصحيح حديث عمرو بن ميمون رواه النسائي هكذا مرسلا وعمرو بن ميمون تابعي كبير من المخضرمين أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يلقه قال ميرك وله شاهد مرفوع من حديث ابن عباس بهذا اللفظ أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرطهما قلت وفي الجامع بلفظ اغتنم خمسا قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس مرفوعا ورواه أحمد في الزهد وأبو نعيم في الحلية والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلا (وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما ينتظر أحدكم) خرج مخرج التوبيخ على تقصير المكلفين في أمر دينهم أي متى تعبدون ربكم فانكم ان لم تعبدوه مع قلة الشواغل وقوة البدن فكيف تعبدونه مع كثرة الشواغل وضعف القوى لعل أحدكم ما ينتظر (الاغنى مطغيا) أي جاعلك طاغيا عاصيا مجاوز الحد (أوفقرا منسيا) من باب الافعال ويجوز أن يكون من باب التفعيل ولكن الاول أولى لمشاكلة الاولى أي جاعلا صاحبه مدهوشا ينسيه الطاعة من الجوع والعري والتردد في طلب القوت (أومرضا مفسدا) أي للبدن لشدته أو للدين لاجل الكسل الحاصل به (أوهرما مفندا) بالتخفيف أي مبلغا صاحبه الى الفند وهو ضعف الرأي يقال أفنده اذا جعل رأيه ضعيفا وقال شارح يقال فند الرجل اذا كثر كلامه من الخرف وأفنده الكبر يعني الذي لا يدري ما يقول من غاية كبره اه والاظهر ان التفنيد النسبة الى الخرف ومنه قوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه الصلاة والسلام اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قال البيضاوي رحمه الله أي تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم وفي القاموس الفند بالتحريك الخرف وانكار العقل لهرم أو مرض والخطأ في القول والرأي والكذب كالافناد وفنده تفنيدا كذبه وعجزه وخطأ رأيه كأفنده ولا تقل عجوز مفندة لانها لم تكن ذات رأي أبدا اه وكذا قال البيضاوي رحمه الله معللا بكون نقصان عقلها ذاتيا أقول ولا شك ان نقصان عقلها اضافي ومع هذا لا ينافي صحة اطلاقه عليها لنقصان مرضي هذا وفي النهاية الفند في الاصل الكذب وأفند تكلم بالفند وفي الفائق قالوا للشيخ اذا هرم قد أفند لانه يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة فشبه بالكاذب في تحريفه والهرم المفند من اخوات قولهم نهاره صائم جعل الفند للهرم وهو للهرم ويقال أيضا أفنده الهرم وفي كتاب العين شيخ مفند يعني منسوب الى الفند ولا يقال امرأة مفندة لانها لا تكون في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها قال التوربشتي رحمه الله قوله مفند الرواية فيه بالتخفيف ومن شدده فليس بمصيب (أوموتا مجهزا) بالتخفيف أي قاتلا بغتة من غير ان يقدر على توبة ووصية ففي النهاية المجهز هو السريع يقال أجهز على الجريح اذا أسرع قتله قال القاضي رحمه الله الموت المجهز المسرع ير يد به الفجاءة ونحوها مما لم يكن بسبب مرض أو كبر سن كقتل وغرق وهدم (أوالدجال فالدجال) وفي نسخة والدجال (شر غائب ينتظر) أي أسوأه (أوالساعة) أي القيامة (والساعة أدهى) أي أشد الدواهي وأفظعها وأصعبها (وأمر) أي أكثر مرارة من جميع ما يكابده الانسان في الدنيا من الشدائد لمن غفل عن أمرها ولم يعد لها قبل حلولها قال الطيبي رحمه الله تعالى الفاء في قوله فالدجال تفسيرية لانه فسر ما أبهم مما سبق والواو في والساعة نائبة مناب الفاء الملابسة للعطف قلت والظاهر ان الواو للحال والله تعالى أعلم وحاصل مجمل الحديث انه استبطاء لمن تفرغ لامر وهو لا يغتنم الفرصة فيه فالمعنى

شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك رواه الترمذي مرسلا وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينتظر أحدكم الاغنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر

ان الرجل في الدنيا ينتظر احدى الحالات المذكورة فالسعيد من انتهز الفرصة واغتنم المكنة واشتغل بأداء مفترضه ومسنونه قبل حلول رمسه وهذه موعظة بليغة وتذكرة بالغة (رواه الترمذي والنسائي وعنه) أي عن أبي هريرة (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا) للتنبيه (ان الدنيا ملعونة) أي مبعودة من الله لكونها مبعدة عن الله (ملعون ما فيها) أي مما يشغل عن الله (الا ذكر الله) بالرفع وفي نسخة بالنصب وهو استثناء منقطع (وما والاه) أي أحبه الله من أعمال البر وأفعال القرب أو معناه ما والى ذكر الله أي قاربه من ذكر خير او تابعه من اتباع أمره ونهيه لان ذكره يوجب ذلك قال المظهر أي ما يحبه الله في الدنيا والموالاة المحبة بين اثنين وقد تكون من واحد وهو المراد هنا يعني ملعون ما في الدنيا الا ذكر الله وما أحبه الله مما يجري في الدنيا وما سواه ملعون وقال الاشرف هو من الموالاة وهي المتابعة ويجوز أن يراد بما والى ذكر الله تعالى طاعته واتباع أمره واجتناب نهيه (وعالم أو متعلم) أو بمعنى الواو أو للتنويع فيكون الواوات بمعنى أو قال الاشرف قوله وعالم أو متعلم في أكثر النسخ مرفوع واللغة العربية تقتضي أن يكون عطفا على ذكر الله فانه منصوب مستثنى من الموجب قال الطيبي رحمه الله هو في جامع الترمذي هكذا وما والاه وعالم أو متعلم بالرفع وكذا في جامع الاصول الا ان بدل أو فيه الواو وفي سنن ابن ماجه أو عالما أو متعلما بالنصب مع أو مكررا والنصب في القرائن الثلاث هو الظاهر والرفع فيها على التأويل كأنه قيل الدنيا مذمومة لا يحمد ما فيها الا ذكر الله وعالم ومتعلم قال في مختصر الاحياء الدنيا أدنى المنزلتين ولذلك سميت دنيا وهي معبرة الى الآخرة والمهد هو الميل الاول واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة هي القنطرة وهي عبارة عن أعيان موجودة للانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل ونعني بالاعيان الارض وما عليها من النبات والحيوان والمعادن ونعني بالحظ حبها فيندرج فيها جميع المهلكات الباطنة كالرياء والحقد وغيرهما ونعني بقولنا له في اصلاحها شغل انه يصلحها بحظ له أو لغيره دنيوي أو أخروي فيندرج فيه الحرف والصناعات واذا عرفت حقيقة الدنيا فدنياك ما لك فيه لذة في العاجل وهي مذمومة وليست وسائل العبادات من الدنيا كأكل الخبز مثلا للتقوى عليها واليه الاشارة بقوله الدنيا مزرعة الآخرة وبقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع قال الطيبي رحمه الله وكان من حق الظاهر ان يكتفى بقوله وما والاه لاحتوائه على جميع الخيرات والفاضلات ومستحسنات الشرع ثم بين في المرتبة الثانية بقوله والعلم تخصيصا بعد التعميم دلالة على فضله فعدل الى قوله وعالم ومتعلم تفخيما لشأنهما صريحا بخلاف ذلك التركيب فان دلالته عليه بالالتزام وليؤذن ان جميع الناس سوى العالم والمتعلم همج ولينبه على ان المعني بالعالم والمتعلم العلماء بالله الجامعون بين العلم والعمل فيخرج منه الجهلاء والعالم الذي لم يعمل بعلمه ومن تعلم علم الفضول وما لا يتعلق بالدين وفي الحديث ان ذكر الله رأس كل عبادة ونور رأس كل سعادة بل هو كالحياة للابدان والروح للانسان وهل للانسان عن الحياة غنى وهل له عن الروح معدل وان شئت قلت به بقاء الدنيا وقيام السموات والارض روينا عن مسلم قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله فالحديث اذا من بدائع الحكم وجوامع الكلم التي خص بها هذا النبي المكرم صلى الله تعالى عليه وسلم لانه دل بالمنطوق على جميع الاخلاق الحميدة وبالمفهوم على رذائلها (رواه الترمذي) أي وقال حسن (وابن ماجه) وكذا البيهقي وفي الجامع نسب اليهما بدون لفظ الاو بالنصب ولفظ أو في قوله عالما أو متعلما وهذا في باب الهمزة وأما في باب الدال فقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان منها لله عز وجل رواه أبو نعيم في الحلية عن جابر وأيضا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما أو متعلما رواه ابن ماجه عن أبي هريرة والطبراني في الاوسط عن أبي سعيد وأيضا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر او ذكر الله رواه البزار عن ابن مسعود

رواه الترمذي والنسائي

وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم رواه الترمذي وابن ماجه

وأيضا الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله عز وجل رواه الطبراني عن أبي الدرداء (وعن سهل بن سعد) أي الساعدي الانصاري صحابيان جليلان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل) بفتح التاء وكسر الدال أي تزن وتساوي (عند الله جناح بعوضة) أي ريشة ناموسة وهو مثل للقلة والحقارة والمعنى انه لو كان لها أدنى قدر (ما سقى كافرا منها) أي من مياه الدنيا (شربة ماء) أي يمنع الكافر منها أدنى تمتع فان الكافر عدو الله والعدو لا يعطى شيأ مما له قدر عند المعطي فمن حقارتها عنده لا يعطيها لاوليائه كما أشار اليه حديث ان الله يحمي عبده المؤمن عن الدنيا كما يحمي أحدكم المريض عن الماء وحديث ما زويت الدنيا عن أحد الا كانت خيرة له ومن كلام الصوفية ان من العصمة ان لا تقدر وفي دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم الجامع المانع القائم في مقام الرضا القانع بما جرى عليه من القضاء اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب اللهم وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغا لي فيما تحب ومن دناءتها لديه ان يكثرها على الكفار والفجار بل قال تعالى ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر أما ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قال تعالى وما عند الله خير للابرار ورزق ربك خير وأبقى (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه) وكذا الضياء وقال الترمذي حديث صحيح (وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة) وهي البستان والقرية والمزرعة وفي النهاية الضيعة في الاصل المرة من الضياع وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالضيعة والتجارة والزراعة وغير ذلك (فترغبوا في الدنيا) أي فتميلوا اليها عن الاخرى والمراد النهي عن الاشتغال بها وبامثالها مما يكون مانعا عن القيام بعبادة المولى وعن التوجه كما ينبغي الى أمور العقبى وقال الطيبي رحمه الله المعنى لا تتوغلوا في اتخاذ الضيعة فتلهوا بها عن ذكر الله قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية (رواه الترمذي والبيهقي في شعب الايمان) وكذا أحمد والحاكم (وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أحب دنياه) أي حبا تغلب على حب مولاه (أضر بآخرته) الباء للتعدية وكذا في القرينة الآتية أي نقص درجته في الآخرة لانه يشتغل ظاهره وباطنه بالدنيا فلا يكون له فراغ لامر الاخرى ولطاعة المولى (ومن أحب آخرته أضر بدنياه) أي لعدم توجه فكره وخاطره لامرها لاشتغاله بامر الآخرة وبهمها (فآثروا) تفريع على ما قبله أو جواب شرط مقدر فكأنه قال اذ عرفتم انهما ضدان لا يجتمعان ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم أجوعكم في الدنيا أشبعكم في العقبى ورب كاسية في الدنيا عارية في الاخرى وقال تعالى في حق الساعة خافضة رافعة فآثروا بالمد أي فاختاروا (ما يبقى على ما يفنى) فان العاقل يختار الخزف الباقي على الذهب الفاني فكيف والامر بالعكس ولذا قال الغزالي رحمه الله أقل العلم بل أقل الايمان بل أقل العقل ان يعرف صاحبه ان الدنيا فانية وان الاخرى باقية ونتيجة هذا العلم ان يعرض عن الفاني ويقبل على الباقي وعلامة الاقبال على العقبى والاعراض عن الدنيا الاستعداد للموت قبل وقوع الميعاد وظهور المعاد قال الطيبي رحمه الله أي هما ككفتي ميزان فاذا رجحت احدى الكفتين خفت الاخرى وبالعكس وذلك ان محبة الدنيا سبب لاشتغاله بها والانهماك فيها وذلك للاشتغال عن الآخرة بخلوه عن الذكر والفكر والطاعة فيفوت الفوز بدرجاتها وثوابها وهو عين المضرة سوى ما يقاسيه من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها في البلاد (رواه أحمد) ورواته ثقات (والبيهقي في شعب الايمان) وكذا الحاكم في مستدركه وروى الخطيب في الجامع عن أنس مرفوعا خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس (وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعن عبد الدينار ولعن عبد الدرهم) كذا بالعطف في الاصول المعتمدة والنسخ المصححة ووقع في الجامع بغير الواو العاطفة والله تعالى أعلم ونظيره من حديث تعس عبد الدينار قد تقدم (رواه الترمذي وعن كعب

وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا رواه الترمذي والبيهقي في شعب الايمان وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى رواه أحمد والبيهقي في شعب الايمان وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن عبد الدينار ولعن عبد الدرهم رواه الترمذي وعن كعب

ابن مالك) انصارى خزرجى شهد العقبة الثانية (عن أبيه) هكذا فى النسخ الحاضرة جميعها وهو سهو وقلم وخطأ قدم ولذا قال ميرك صوابه عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أو عن كعب بن مالك بدون عن أبيه وقال السيد جمال الدين هكذا وقع فى أكثر نسخ المشكاة التى رأيناها وكذلك وجدناه فى غير واحد من نسخ المصابيح وهو سهو والظاهر انه كان واقعا من كتاب المصابيح ووقع من صاحب المشكاة تقليدا وصوابه عن ابن كعب ابن مالك عن أبيه كما فى أصل الترمذى والابن المذكور هو عبد الله كما هو مصرح فى جامع الاصول (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما) نافية (ذئبان) بهمزة ساكنة ويبدل (جائعان) أتى به للمبالغة (أرسلا) أى خليا وتركا (فى غنم) أى فى قطيعة غنم (بأفسد) الباء زائدة أى أكثر افسادا (لها) أى لتلك الغنم والتأنيث باعتبار الجنس أو القطعة (من حرص المرء) المشبه بالذئبين لتعلقه بالشيئين ظاهرا و باطنا وهما قوله (على المال) أى الكثير (والشرف) أى الجاه الوسيع وقوله (لدينه) متعلق بأفسد والمعنى ان حرص المرء عليهما أكثر افساد الدينه المشبه بالغنم لضعفه بجنب حرصه من افساد الذئبين للغنم قال الطيبى رحمه الله تعالى ما بمعنى ليس وذئبان اسمها وجائعان صفة له وأرسلا فى غنم الجملة فى محل الرفع على انها صفة بعد صفة وقوله بافسد خبر لما والباء زائدة وهو أفعل تفضيل أى باشد افسادا والضمير فى لها للغنم واعتبر فيها الجنسية فلذا أنث وقوله من حرص المرء هو المفضل عليه لاسم التفضيل وقوله على المال والشرف يتعلق بالحرص والمراد به الجاه وقوله لدينه اللام فيه بيان كما فى قوله تعالى لمن أراد ان يتم الرضاعة كأنه قيل بأفسد لاى شئ قيل لدينه ومعناه ليس ذئبان جائعان أرسلا فى جماعة من جنس الغنم باشد افسادا لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه فان افساده لدين المرء أشد من افساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم اذا أرسلا فيها أما المال فافساده انه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويجر الى التنعم فى المباحات فيصير التنعم مألوفا وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم فى الشبهات مع انها ملهية عن ذكر الله تعالى وهذه لا ينفك عنها أحد وأما الجاه فكفى به افسادا ان المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال وهو الشرك الخفى فيخوض فى المراآة والمداهنة والنفاق وسائر الاخلاق الذميمة فهو أفسد وأفسد اه وقد قالت السادة الصوفية رحمهم الله ان آخر ما يخرج من رأس الصديقين محبة الجاه فان الجاه ولو كان فى الامور العلمية والعملية والمشيخة والحالات الكشفية فمن حيث النظر الى المخلوق والغفلة عن الغيرة الربوبية أو الرؤية الاثنينية بعد ظهور أنوار الاحدية تحجب السالك عن الخلوة فى الجلوة بوصف البقاء بالله والفناء عما سواه هذا وقد روى صاحب الكشاف فى ربيع الابرار عن ابن مسعود رضى الله عنه يكون الرجل مرائيا فى حياته وبعد موته قيل كيف ذلك قال يحب أن يكثر الناس فى جنازته (رواه الترمذى والدارمى) لعل لفظ الحديث للترمذى والاحق الترتيب ان يقدم الدارمى فانه روى عنه مسلم وأبو داود والترمذى وغيرهم هذا وفى الجامع رواه أحمد والترمذى عن كعب بن مالك من غير ذكر عن أبيه (وعن خباب) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى وهو ابن الارت بفتحتين وتشديد الفوقية يكنى أبا عبد الله التميمى لحقه سبى فى الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته أسلم قبل دخول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دار الارقم وهو ممن عذب فى الله على اسلامه فصبر نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة روى عنه جماعة (عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما أنفق مؤمن من نفقة الا أجر) بصيغة المجهول أى أثيب (فيها) أى فى تلك النفقة أو انفاقها (الا نفقته) بالنصب على الاستثناء من الموجب لان النفى عاد الى الايجاب بالاستثناء الاول فتأمل (فى هذا التراب) أى البناء فوق الحاجة وهذا التحقير وقيل التراب كناية عن البدن وما يحصل له من اللذة الزائدة على قدر الضرورة الدينية والدنيوية قال الطيبى رحمه الله نفقته منصوبة على الاستثناء من الكلام الموجب اذ المستثنى منه مستثنى من كلام منفى فيكون موجبا (رواه الترمذى وابن ماجه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله

ابن مالك عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه رواه الترمذى والدارمى

وعن خباب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أنفق مؤمن من نفقة الا أجر فيها الا نفقته فى هذا التراب رواه الترمذى وابن ماجه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم النفقة كلها في سبيل الله) أي ثابت في طريق رضاه (الا البناء) اللام للعهد أي الا البناء الزائد على مقدار الحاجة (فلا خير فيه) لوقوع الاسراف وان الله لا يحب المسرفين وأما النفقة فلا يتصور فيها السرف لانها من باب الاطعام والانعام وكل منهما خير سواء وقع لمستحق أو غيره من الانام والفاء في قوله فلا خير فيه تفريعية وهي ثابتة في جميع النسخ الحاضرة وكأنه وقع في أصل الطيبي رحمه الله بالواو حيث قال في شرحه قوله ولا خير فيه حال مؤكدة من الجملة (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعنه) أي عن أنس (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خرج يوما) أي وقتا (ونحن معه) جملة حالية (فرأى قبة مشرفة) أي بناء عليا (فقال ما هذا) استفهام انكار أي ما هذه العمارة المنكرة ومن بانيها (قال أصحابه هذه لفلان رجل) بالجر وفي نسخة بالرفع (من الانصار فسكت وحملها) أي أضمر تلك الفعلة في نفسه غضبا على فاعلها في فعلها ففي أساس البلاغة حملت الحقد عليه اذا أضمرته قال الشاعر

ولا أحمل الحقد القديم عليهم * وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

(حتى لما جاء صاحبها فسلم) أي صاحبها (عليه) أي على النبي عليه الصلاة والسلام (في الناس) أي في محضر منهم أو فيما بينهم (فأعرض عنه) أي فلم يرد عليه السلام أورده وأعرض عن الالتفات كما هو دأبه من الملاطفة لديه صلى الله تعالى عليه وسلم تأديبا له وتنبيها لغيره (صنع ذلك مرارا) لا يبعد ان يكون جوابا لما ويحتمل ان يكون مدخول حتى ولما الحينية ظرف معترض بين العامل والمعمول مسامحة وكان الطيبي رحمه الله جعل قوله صنع استئناف بيان حيث قال فقوله فأعرض يجوز ان يكون جواب لما مع الفاء وهو قليل ويجوز ان يقدر جواب لما أي كرهه فأعرض عنه وقوله (حتى عرف الرجل الغضب فيه) أي عرف أن الغضب كان لاجله (والاعراض عنه) أي بسببه (فشكا ذلك) أي ما رآه من أثر الغضب والاعراض (الى أصحابه) أي أصحابه الخاص أو الى أصحاب نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) تفسير لما قبله (والله اني لانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي أرى منه ما لم أعهده من الغضب والكراهة ولا أعرف له سببا وفي نسخة الى رسول الله ولا يظهر لها وجه (قالوا خرج فرأى قبتك فرجع الرجل الى قبته فهدمها حتى سواها بالارض) اختيارا لرضا الله تعالى على نفسه وما تهواه (فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يرها) أي القبة (قال) استئناف بيان (ما فعلت القبة) بصيغة الفاعل وفي نسخة على بناء المجهول (قالوا شكا الينا صاحبها اعراضك) أي سببه (فأخبرناه) أي بأنه لاجل بناء تلك القبة (فهدمها فقال أما) بتخفيف الميم للتنبيه (ان كل بناء) بكسر الواو وحدة وهو اما مصدر واو أريد به المبني (وبال على صاحبه الا ما الا ما) كرره للتأكيد (يعني الا ما لا بد منه) أي لا فراق عنه قيل معنى الحديث ان كل بناء بناه صاحبه فهو وبال أي عذاب في الآخرة والوبال في الاصل الثقل والمكروه أراد ما بناه للتفاخر والتنعم فوق الحاجة لا أبنية الخير من المساجد والمدارس والرباطات فانها من الآخرة وكذا ما لا بد منه للرجل من القوت والملبس والمسكن (رواه أبو داود) وروى البيهقي عن أنس مرفوعا كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا مسجدا وروى الطبراني عن واثلة مرفوعا كل بنيان وبال على صاحبه الا ما كان هكذا وأشار بكفه وكل علم وبال على صاحبه يوم القيامة الا من عمل به (وعن أبي هاشم بن عتبة) بضم عين فسكون فوقية فموحدة بعدها هاء قال المؤلف هو شيبة بن عتبة بن ربيعة القرشي وهو خال معاوية بن أبي سفيان أسلم يوم الفتح وسكن الشام وتوفي في خلافة عثمان وكان فاضلا صالحا رضي الله تعالى عنه روى عنه أبو هريرة وغيره (قال عهد الي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أوصاني (قال) بدل من عهد أو تفسير وبيان للعهد واختار الطيبي رحمه الله الاول حيث قال بدل منه بدل الفعل من الفعل كما في قوله

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

أبدل تلمم بنا من قوله تأتنا (انما يكفيك من جميع المال) أي الوسيلة لتحسين المآل (خادم) أي في السفر

عليه وسلم النفقة كلها في سبيل الله الا البناء فلا خير فيه رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما ونحن معه فرأى قبة مشرفة فقال ما هذه قال أصحابه هذه لفلان رجل من الانصار فسكت وحملها في نفسه حتى لما جاء صاحبها فسلم عليه في الناس فأعرض عنه صنع ذلك مرارا حتى عرف الرجل الغضب فيه والاعراض عنه فشكا ذلك الى أصحابه وقال والله اني لانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خرج فرأى قبتك فرجع الرجل الى قبته فهدمها حتى سواها بالارض فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلم يرها قال ما فعلت القبة قالوا شكا الينا صاحبها اعراضك فأخبرناه فهدمها فقال أما ان كل بناء وبال على صاحبه الا ما الا ما يعني الا ما لا بد منه رواه أبو داود وعن أبي هاشم بن عتبة قال عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يكفيك من جميع المال خادم

لضرورة الحاجة اليه (ومركب) أي مركوب يسار عليه (في سبيل الله) أي في الجهاد أو الحج أو طلب العلم والمقصود منه القناعة والاكتفاء بقدر الكفاية مما يصلح ان يكون زاداً للآخرة كما رواه الطبراني والبيهقي عن خباب انما يكفي أحدكم ما كان في الدنيا مثل زاد الراكب (رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه) وفي الجامع من قوله انما يكفيه الخ نسبة الى الثلاثة الاخيرة عن أبي هاشم بن عتبة وللحديث تتمة قصة تأتي في الفصل الثالث (وفي بعض نسخ المصابيح عن أبي هاشم بن عتبد) بضم فسكون فوقية ففتح موحدة (بالدال) أي المهملة (بدل التاء) أي الفوقية الواقعة في آخر لفظ عتبة (وهو تصحيف) اذ لم يوجد في الاسماء مع مخالفته لما سبق من الضبط الواقع في الاصول وهنا تحريف في بعض النسخ وبعض الحواشي أيضاً فاحذر فان الصواب ما تحرر (وعن عثمان رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليس لابن آدم حق) أي حاجة (في سوى هذه الخصال) قال الطيبي رحمه الله موصوف سوى محذوف أي شئ سوى هذه اهـ وفي نسخة موافقة لما في الجامع فيما سوى هذه الخصال والمراد بها ضروريات بدنه المعين على دينه (بيت) بالجر وروي بالرفع وكذا فيما بعده من الخصال المبينة (يسكنه) أي دفعاً للحر والبرد (وثوب يواري) أي يستر (به عورته) أي عن أعين الناس أو حال الصلاة لكونه شرطاً فيها (وجلف الخبز) بكسر جيم وسكون لام ويفتح ففي القاموس الجلف بالكسر الغليظ اليابس من الخبز غير المأدوم أو حرف الخبز والظرف والوعاء وقال شارح الجلف ظرفهما من جراب وركوة وأراد المظروف والاظهر انه أراد الظرف والمظروف واكتفى بذكر أحدهما عن الآخر لتلازمهما في الحاجة (والماء) بالجر عطفاً على الجلف أو الخبز وهو الظاهر المفهوم من كلام الشراح وفي بعض النسخ بالرفع بناء على أنه احدى الخصال قال شارح أراد بالحق ما وجب له من الله من غير تبعة في الآخرة وسؤال عنه واذا اكتفى بذلك من الحلال لم يسأل عنه لانه من الحقوق التي لا بد للنفس منها وأما ما سواه من الحظوظ يسأل عنه ويطالب بشكره وقال القاضي رحمه الله أراد بالحق ما يستحقه الانسان لافتقاره اليه وتوقف تعيشه عليه وما هو المقصود الحقيقي من المال وقيل أراد به ما لم يكن له تبعة حساب اذا كان مكتسباً من وجه حلال وفي النهاية الجلف الخبز وحده لا ادم معه وقيل هو الخبز الغليظ اليابس قال ويروى بفتح اللام جمع جلفة وهي الكسرة من الخبز وفي الغريبين قال شمر عن ابن الاعرابي الجلف الظرف مثل الخرج والجوالق قال القاضي رحمه الله ذكر الظرف وأراد به المظروف أي كسرة خبز وشربة ماء اهـ والمقصود غاية القناعة ونهاية الكفاية كما نقل عن ابن أدهم

وما هي الا جوعة قد سددتها ✽ وكل طعام بين جنبي واحد

والشافعي رحمه الله تعالى

أيا نفس يكفيك طول الحياة ✽ اذا ما قنعت ورب الفلق
رغيف بقوذنج يابس ✽ وماء روى ولبس خلق
وخفش تكفك جدرانه ✽ فماذا العناء وماذا القلق

(رواه الترمذي) وكذا الحاكم في مستدركه (وعن سهل بن سعد قال جاء رجل فقال يارسول الله دلني على عمل) أي جامع نافع في باب المحبة (اذا أنا) للتأكيد (عملته أحبني الله وأحبني الناس) بفتح ياء المتكلم ويسكن (قال ازهد في الدنيا) أي بترك حبها والاعراض عن زوائدها والاقبال على الآخرة وعوائدها (يحبك الله) أي لعدم محبتك عدو الله تعالى وهو بفتح الموحدة المشددة للجزم على جواب الامر وقيل مرفوع على الاستئناف (وازهد فيما عند الناس) أي من المال والجاه (يحبك الناس) لتركك محبوبهم وعدم المزاحمة على مطلوبهم وأنشد بعضهم

وما الزهد الا في انقطاع الخلائق ✽ وما الحق الا في وجود الحقائق
وما الحب الا حب من كان قلبه ✽ عن الخلق مشغولاً برب الخلائق

وقيل الزهد عبارة عن عزوب النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الآخرة خوفاً من النار أو طمعاً في الجنة

ومن كب في سبيل الله رواه
أحمد والترمذي والنسائي
وابن ماجه وفي بعض نسخ
المصابيح عن أبي هاشم بن
عتبد بالدال بدل التاء وهو
تصحيف وعن عثمان ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال
ليس لابن آدم حق في سوى
هذه الخصال بيت يسكنه
وثوب يواري به عورته
وجلف الخبز والماء رواه
الترمذي وعن سهل بن
سعد قال جاء رجل فقال
يارسول الله دلني على عمل
اذا أنا عملته أحبني الله
وأحبني الناس قال ازهد
في الدنيا يحبك الله وازهد
فيما عند الناس يحبك
الناس

أو ترفعا عن الالتفات الى ما سوى الحق ولا يكون ذلك الا بعد شرح الصدر بنور اليقين ولا يتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه وقيل لابن المبارك رحمه الله يا زاهد قال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها وأما أنا ففيم زهدت قلت هذا بيان كمال الزهد والا فأصل الزهد هو عدم الميل الى الشيء وهو في الحقيقة لا يحصل الا بجذبة الهية تصرف السالك عن الامور الفانية وتشغله بالاحوال الباقية وغايته ان النفس مدعية للزهد ولا يظهر صدقها من كذبها الا عند القدرة على الدنيا ووجودها وأما عند فقدها فالامر دائر بين أحد الاحتمالين والله تعالى أعلم وثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد الطريق وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر عورته ومسكن يصونه عن الحر والبرد وأثاث يحتاج اليه كما سبق في الحديث المتقدم وفي المنازل ما حاصله ان الزهد اسقاط الرغبة في الشيء عنه بالكلية وهو على ثلاث مراتب الزهد في الشبهة بالحذر عن معتبة الحق عليه ثم الزهد فيما زاد على البلاغ من القوت باغتنام التفرغ الى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة ثم الزهد في الزهد باستحقار ما زهد فيه بالنسبة الى عظمة الرب واستواء الزهد وعدمه عنده والذهاب عن اكتساب أجر تركها ناظرا بعين الحقيقة الى وحدانية الفاعل الحق فيشاهد تصرف الله في الاعطاء والمنع والاخذ والترك قال الطيبي رحمه الله وفيه دليل على ان الزهد أعلى المقامات وأفضلها لانه جعله سببا لمحبة الله تعالى وان محب الدنيا متعرض لبغض الله سبحانه (رواه الترمذي وابن ماجه) قال ميرك أظن ان ذكر الترمذي وقع سهوا من نساخ الكتاب أو من صاحبه فان الحافظ المنذري والامام النووي والشيخ الجزري رحمهم الله تعالى قالوا كلهم رواه ابن ماجه فقط فتأمل قلت ذكر النووي في أربعينه انه حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره اه لكن الترمذي غير مذكور في الاصول ويؤيده انه ذكر في الجامع من قوله ازهد في الدنيا الخ وقال رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم والبيهقي عن سهل بن سعد نعم في حديث رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي ذر مرفوعا الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله تعالى وان تكون في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أبقيت لك وفي حديث رواه أحمد في الزهد والبيهقي عن طاوس مرسلا الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة في الدنيا تطيل الهم والحزن ورواه القضاعي عن ابن عمر ومرفوعا ولفظه يكثر بدل يطيل ورواه الطبراني في الاوسط وابن عدي والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعا والبيهقي عن عمر موقوفا تشعب القلب والبدن وروى البيهقي عن الضحاك مرسلا أزهد الناس من لم ينس القبر والبلى وترك أفضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من أيامه وعد نفسه من الموتى وعن ابن عمرو مرفوعا صلاح أول هذه الامة بالزهادة واليقين وهلاك آخرها بالبخل والامل رواه الطبراني (وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نام على حصير فقام) أي عن النوم (وقد أثر) أي أثر الحصير (في جسده) أي غاية التأثير (فقال ابن مسعود لو أمرتنا ان نبسط) بضم السين يحتمل ان تكون لو للتمني وان تكون للشرطية والتقدير لو أذنت لنا ان نبسط لك فراشا لينا (ونعمل) أي لك ثوبا حسنا أي لكان أحسن من اضطجاعك على هذا الحصير الخشن (فقال مالي وللدنيا وما أنا والدنيا) ما نافية أي ليس لي ألفة ومحبة مع الدنيا ولا للدنيا ألفة ومحبة معي حتى أرغب اليها وأنبسط عليها وأجمع ما فيها ولذتها أو استفهامية أي ألفة ومحبة لي مع الدنيا أو أي شيء لي مع الميل الى الدنيا أو ميلها الي فاني طالب الآخرة وهي ضرتها المضادة لها هذا وقال الطيبي رحمه الله قوله ونعمل متعلقه محذوف فيقدر من جنس الكلام السابق وهو وجود التنعم والتلذذ بالاعراض الدنيوية أتم من أن يكون بساطا ومن ثم طابقه قوله مالي وللدنيا وقوله وما أنا والدنيا أي ليس حالي مع الدنيا (الا كراكب) أي الا كحال راكب (استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) وهو من التشبيه التمثيلي وهو التشبيه لسرعة الرحيل وقلة المكث ومن ثم خص الراكب واللام في للدنيا مقحمة للتأكيد ان كان الواو بمعنى مع وان كان للعطف فالتقدير مالي مع الدنيا وما للدنيا معي (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه)

رواه الترمذي وابن ماجه

وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام على حصير فقام وقد أثر في جسده فقال ابن مسعود يا رسول الله لو أمرتنا أن نبسط لك ونعمل فقال مالي وللدنيا وما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها رواه أحمد والترمذي وابن ماجه

وكذا الحاكم والضياء (وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أغبط أوليائي) أفعل تفضيل بني للمفعول لان المغبوط به حاله أي أحسنهم حالا وأفضلهم مآلا (عندي) أي في ديني ومذهبي (لمؤمن) اللام زائدة في خبر المبتدأ للتأكيد أو هي للابتداء أو المبتدأ محذوف أي لهو مؤمن (خفيف الحاذ) بتخفيف الذال المعجمة أي خفيف الحال الذي يكون قليل المال وخفيف الظهر من العيال فيتمكن من السير في طريق الخالق بين الخلائق ولا يمنعه شيء من العلائق والعوائق ويحمل المعنى أحق أحبائي وأنصاري عندي بان يغبط ويتمنى حاله مؤمن بهذه الصفة (ذو حظ من الصلاة) أي ومع هذا هو صاحب لذة وراحة من المناجاة مع الله والمراقبة واستغراق في المشاهدة ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم قرة عيني في الصلاة وأرحنا بها يا بلال أي بوجودها وحصولها وما أقرب الراحة من قرة العين وما أبعدها مما قيل معناه أذن بالصلاة نستريح بادائها من شغل القلب بها وقوله (أحسن عبادة ربه) تعميم بعد تخصيص ذكره الطيبي رحمه الله أو الأول اشارة الى الكمية والثاني عبارة عن الكيفية (وأطاعه في السر) أي كما أطاعه في العلانية فهو من باب الاكتفاء والتخصيص لما فيه من الاعتناء وجعله الطيبي عطف تفسير على أحسن ونفسير لأحسن ويمكن أن يكون المعنى وأطاعه في عبادته بالاخفاء ولا يظهر طاعته في الملأ الاعلى على عادة الملامتية من الصوفية ويناسبه قوله (وكان غامضا) أي خاملا خافيا غير مشهور (في الناس) أي فيما بينهم وفيه اشارة الى انه لا يخرج عنهم فان الخروج عنهم يوجب الشهرة بينهم وفيه ايماء الى ان المراد بالناس عمومهم فلا يضره معرفة خصوصهم من الاولياء والصلحاء ممن يصاحبهم كما يدل عليه قوله (لا يشار اليه بالاصابع) أي علما وعملا وهو بيان وتقرير لمعنى الغموض (وكان رزقه كفافا) أي قدر كفايته بحيث يكفه ويمنعه عن الاحتياج الى الكافة (فصبر على ذلك) أي على الرزق الكفاف أو على الخمول والغموض أو على ما ذكر دلالة على ان ملاك الامر الصبر وبه يتقوى على الطاعة قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وقال أولئك يجزون الغرفة بما صبروا وقال وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا (ثم نقد) بالنون والقاف والدال المهملة المفتوحات (بيده) أي نقد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بيده بأن ضرب احدى أنملتيه على الاخرى حتى سمع منه صوت وفي النهاية هو من نقدت الشيء بأصبعي أنقده واحدا بعد واحد نقد الدراهم ونقد الطائر الحب اذا لقطه واحدا بعد واحد وهو مثل النقر ويروى بالراء اه وهو كذا في نسخة أي صوّت بأصبعه وفي رواية وهي الظاهر من جهة المعنى جدا ثم نفض يده (فقال عجلت) بصيغة المجهول من باب التفعيل (منيته) أي موته (قلت بواكيه) جمع باكية وهي المرأة التي تبكي على الميت (قل تراثه) أي ميراثه وماله المؤخر عنه مما يورث حمل على سبيل التعداد قال التوربشتي رحمه الله أريد بالنقد ههنا ضرب الانملة على الانملة وضربهما كالمتقلل للشيء أي لم يلبث قليلا حتى قبضه الله تعالى يقلل مدة عمره وعدد بواكيه ومبلغ تراثه وقيل الضرب على هذا هيئة يفعله المتعجب من الشيء أو من رأى ما يعجبه ويحسنه وربما يفعل ذلك من يظهر قلة المبالاة بشيء أو يفعل طربا وفرحا بشيء اه ومعنى من كان هذه صفته فهو يتعجب من حسن حاله وجمال مآله وقيل قوله عجلت منيته انه يسلم روحه بسرعة لقلة تعلقه بالدنيا وغلبة شوقه الى المولى لحديث الموت تحفة المؤمن قال الاشرف رحمه الله ويمكن انه أراد به انه قليل مؤن الممات كما كان قليل مؤن الحياة (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه) وفي الجامع رواه أحمد والترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي امامة ولفظه أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة وكان رزقه كفافا فصبر عليه حتى يلقى الله وأحسن عبادة ربه وكان غامضا في الناس عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وروى الديلمي في مسنده عن حذيفة خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ الذي لا أهل له ولا ولد قال شيخ مشايخنا السخاوي في المقاصد الحسنة في الاحاديث المشهورة على الالسنة عند داود ولذا قال الخليلي ضعفه الحفاظ فيه وخطؤه اه فان صح فهو محمول على جواز الترهب ايام الفتن وفي معناه أحاديث كثيرة واهية منها ما رواه الحارث بن أبي أسامة من حديث ابن مسعود مرفوعا يأتي على الناس زمان تحل فيه

وعن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقد بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه رواه أحمد والترمذي وابن ماجه

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك رواه أحمد والترمذي وعن عبيد الله بن محصن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم آمنا في سربه

العزبة ولا يسلم لذي دين دينه الا من يفر بدينه من شاهق الى شاهق ومن جحر الى جحر كالطائر بفراخه وكالثعلب بأشباله وأقام الصلاة وآتى الزكاة واعتزل الناس الا من خير الحديث ومنها ما رواه الديلمي من حديث زكريا بن يحيى الصوفي عن ابن حذيفة بن اليمان عن أبيه حذيفة مرفوعا خيرنسائكم بعد ستين ومائة العواقر وخير أولادكم بعد أربع وخمسين البنات وفي الترمذي من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة مرفوعا ان أغبط أوليائي الى ان قال فصبر على ذلك ثم نفض بيده فقال عجلت منيته الحديث وقال عقبه علي ضعيف وقد أخرجه أحمد والبيهقي في الزهد والحاكم في الاطعمة من مستدركه وقال هذا اسناد للشاميين صحيح عندهم ولم يخرجاه اه ولم ينفرد به علي بن يزيد فقد أخرجه ابن ماجه في الزهد من سننه من غير طريقه من حديث صدقة بن عبد الله عن ابراهيم بن قرة عن أيوب بن سليمان عن أبي امامة ولفظه أغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ فذكر نحوه ومن شواهده ما للخطيب وغيره من حديث ابن مسعود رفعه اذا أحب الله العبد اقتناه لنفسه ولم يشغله بزوجة ولا ولد وللديلمي من حديث عبد الله بن عبد الوهاب رحمه الله الخوارزمي عن داود بن غفال عن انس رفعه يأتي على الناس زمان لان يربي أحدكم جرو كلب خير له من ان يربي ولدا من صلبه (وعنه) أي عن أبي امامة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض على ربي) أي الى عرضا حسيا أو معنويا وهو الاظهر والمعنى شاورني وخيرني بين التوسع في الدنيا واختيار البلغة لزاد العقبى من غير حساب ولا عتاب (ليجعل لي) أي لملكي أو مخصوصا لامتي على تقدير اقبالي عليها والتفاتي اليها واصيرلاجلي (بطحاء مكة) أي أرضها ورمالها (ذهبا) أي بدل حجرها ومدرها وأصل البطحاء مسيل الماء وأرادها عرصة مكة وصحاريها اضافته بيانية قال الطيبي قوله بطحاء مكة تنازع فيه عرض وليجعل أي عرض علي بطحاء مكة ليجعلها لي ذهبا (فقلت لا) أي لا أريد ولا أختار (يارب ولكن أشبع يوما) أي اختار أو أريد ان أشبع وقتا أي فاشكر (وأجوع يوما) أي فأصبر كما فصله وبينه بقوله (فاذا جعت تضرعت اليك) أي بعرض الافتقار اليك (وذكرتك) أي بسببه فان الفقر يورث الذكر كما أن الغنى يوجب الكفر (واذا شبعت حمدتك) أي بما ألهمتني من ثنائك (وشكرتك) على اشباعك وسائر نعمائك قال الطيبي رحمه الله جمع في القرينتين بين الصبر والشكر وهما صفتا المؤمن الكامل قال تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور الكشاف صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه أقول وتحقيقه على طريقة الصوفية السادة الصفية ان الصفتين المذكورتين والخصلتين المسطورتين ناشئتان من تربية الله للسالك بين صفتي الجلال والجمال اذ بهما تتم مرتبة الكمال وهو الرضا عن المولى بكل حال بخلاف حال المنحرفين وأحوال المتحيرين المذنبين حيث قال تعالى فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وقال ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين (رواه أحمد والترمذي وعن عبيد الله بن محصن) بكسر الميم وفتح الصاد قال المؤلف في فصل الصحابة انصاري خطمي يعد في أهل المدينة وحديثه فيهم روى عنه ابنه سلمة قال ابن عبد البر ومن الناس من يرسل حديثه اه وهو يحتمل كونه صحابيا لكن ليس له سماع منه عليه الصلاة والسلام فحديثه من مراسيل الصحابة وهو حجة اتفاقا ويحتمل كونه تابعيا فمرسله معتبر عند الجمهور خلافا للشافعية والله تعالى أعلم والاول أظهر لاطلاقهم حديثه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أصبح منكم) أي أيها المؤمنون (آمنا) أي غير خائف من عدو أو من أسباب عذابه تعالى بالتوبة عن المعاصي والعصمة عن المناهي ولذا قيل ليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن أمن الوعيد (في سربه) المشهور كسر السين أي في نفسه وقيل السرب الجماعة فالمعنى في أهله وعياله وقيل بفتح السين أي في مسلكه وطريقه وقيل بفتحتين أي في بيته كذا ذكره شارح وقال التوربشتي رحمه الله أبى بعضهم الا السرب بفتح السين والراء أي في بيته ولم يذكر فيه رواية ولو

سلم له قوله ان يطلق السرب على كل بيت كان قوله هذا حريا بان يكون أقوى الاقوال بل الاولى السرب يقال
للبيت الذي هو في الارض وفي القاموس السرب الطريق وبالكسر الطريق والبال والقلب والنفس
وبالتحريك جحر الوحش والحفير تحت الارض اه فيكون المراد من الحديث المبالغة في حصول الامن ولو في
بيت تحت الارض ضيق كجحر الوحش أو التشبيه به في خفائه وعدم ضيائه (معافى) اسم مفعول من باب
المفاعلة أي صحيحا سالما من العيوب (في جسده) أي بدنه ظاهرا وباطنا (عنده قوت يومه) أي كفاية قوته
من وجه الحلال (فكأنما حيزت) بصيغة المجهول من الحيازة وهي الجمع والضم (له) والضمير عائد لمن رابط
للجملة أي جمعت له (الدنيا) أي بحذافيرها كما في نسخة صحيحة أي بتمامها والحذافير الجوانب وقيل الاعالي
واحدها حذفار أو حذفور والمعنى فكأنما أعطي الدنيا بأسرها (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب)
وفي الجامع رواه البخاري في الادب المفرد والترمذي وابن ماجه من غير ذكر حذافيرها (وعن المقدام بن
معدي كرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملأ آدمي وعاء) أي ظرفا (شرا من بطن)
صفة وعاء (بحسب ابن آدم) مبتدأ والباء زائدة وقوله (أكلات) بضمتين خبره وقوله بحسبك
درهم والاكلة بالضم اللقمة وفي رواية لقيمات بالتصغير للاشارة الى التحقير مع الدلالة على التقليل بالتنكير
(يقمن صلبه) أي ظهره لاقامة الطاعة وقيام المعيشة واسناد الاقامة الى الاكلات مجازي سببية (فان كان
لا محالة) بفتح الميم ويضم أي لابد من الزيادة (فثلث) بضمهما ويسكن اللام (طعام) مبتدأ وخبر أي ثلث
منه للطعام وكذا قوله (وثلث شراب) واللام مقدر فيهما قرينة قوله (وثلث لنفسه) بحركتين والمعنى
فان كان لا يكتفي بأدنى قوت ألبتة ولابد أن يملأ بطنه فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلثه للشراب وليترك ثلثه
خاليا لخروج النفس ولا ينبغي أن يكون كطائفة القلندرية حيث يقولون على البطن من الطعام والماء
يحصل مكانه ولو في المساء والنفس ان اشتهى خرج والافلا بعد تمام المرام فاولئك كالانعام بل هم أضل قال
تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وسبق ان المؤمن يأكل في معى واحد والكافر
يأكل في سبعة أمعاء وقال الطيبي رحمه الله أي الحق الواجب ان لا يتجاوز عما يقام به صلبه ليتقوى به على
طاعة الله فان أراد البتة التجاوز فلا يتجاوز عن القسم المذكور جعل البطن أولا وعاء كالاوعية التي تتخذ
ظروفا لحوائج البيت توهينا لشأنه ثم جعله شر الاوعية لانها استعملت فيما هي له والبطن خلق لانه
يتقوم به الصلب بالطعام وامتلاؤه يفضي الى الفساد في الدين والدنيا فيكون شرا منها قال الشيخ
أبو حامد في الجوع عشر فوائد الاولى صفاء القلب وايقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة
ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه الشبكة حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه
عن الجولان وثانيها رقة القلب وصفاؤه الذي به يتهيأ لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر وثالثها
الانكسار والذل وزوال البطر والاشر والفرح الذي هو مبدأ الطغيان ولا تنكسر النفس لشيء ولا تذل كما
تذل بالجوع فعنده تسكن لربها وتقف على عجزها ورابعها انه لا ينسى بلاء الله وعذابه وأهل البلاء فان
الشبعان ينسى الجائع والجوع وخامسها وهي من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء
على النفس الامارة بالسوء وتقليلها بضعف كل شهوة وقوة والسعادة كلها في ان يملك الرجل نفسه والشقاوة
في ان تملكه نفسه وسادسها دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه وفي
كثرة النوم ضياع العمر وفوات التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب والعمر أنفس الجواهر وهو رأس
مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره تنقيص من العمر وسابعها تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل
يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمن يشتغل بالاكل وربما يحتاج الى زمان في شراء الطعام أو طبخه
ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء ولو صرف هذه الاوقات في الذكر والمناجاة
وسائر العبادات لكثر ربحه قال السري رأيت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا

معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن المقدام بن معدي كرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه

فقال انى حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة وثامنها من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط فى المعدة والعروق ثم المرض يمنع عن العبادات ويشوش القلب ويحوج الى الفصد والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن وفى الجوع ما يدفع عنه كل ذلك وتاسعها خفة المؤنة فان من تعوّد قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير وعاشرها أن يتمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على المساكين فيكون يوم القيامة فى ظل صدقته فما يأكله فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله تعالى (رواه الترمذى وابن ماجه) وفى الجامع رواه أحمد والترمذى وابن ماجه والحاكم بلفظ فثلث لطعامه وثلث لشرابه (وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمع رجلا يتجشأ) بتشديد الشين المعجمة بعدها همزة أى يخرج الجشاء من صدره وهو صوت مع ريح يخرج منه عند الشبع وقيل عند امتلاء المعدة وقيل الرجل وهب بن عبد الله وهو معدود فى صغار الصحابة وكان فى زمانه عليه الصلاة والسلام لم يبلغ الحلم وروى انه لم يملأ بطنه بعد ذلك قال التوربشتى الرجل هو وهب أبو جحيفة السوائى روى عنه انه قال أكلت ثريدة بر بلحم وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا أتجشأ (فقال أقصر) بفتح الهمزة وكسر الصاد أى امتنع (من جشائك) بضم الجيم ممدودا وكان أصل الطيبى رحمه الله أقصر عنا فقال معناه اكفف عنا والنهى عن الجشاء هو النهى عن الشبع لانه السبب الجالب له اه وقيل التجشؤ التكلف (فان أطول الناس) أى أكثرهم فى الزمان (جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا) بكسر ففتح (فى الدنيا رواه فى شرح السنة) قال ميرك هو وهب بن عبد الله أبو جحيفة روى عنه انه قال أكلت ثريدة بلحم وأتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانا أتجشأ فقال يا هذا كف من جشائك فان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أكثرهم جوعا يوم القيامة رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد قال المنذرى بل واه جدا فيه فهد بن عوف وعمرو بن موسى لكن رواه البزار باسنادين رواة أحدهما ثقات ورواه ابن أبى الدنيا والطبرانى فى الكبير والاوسط والبيهقى وزاد قال الراوى فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تعشى لا يتغدى واذا تغدى لا يتعشى وفى رواية لابن أبى الدنيا قال أبو جحيفة فما ملأت بطنى منذ ثلاثين سنة اه (وروى الترمذى نحوه) قال ميرك ولفظه عن ابن عمر قال تجشأ رجل عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له كف عنا جشاءك فان أكثرهم شبعا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة رواه ابن ماجه والبيهقى كلهم من رواية يحيى البكاء عن ابن عمر وقال الترمذى حديث حسن كذا فى الترغيب للمنذرى وقال الشيخ الجزرى فى سند هذا الحديث عبد العزيز بن عبد الله عن يحيى البكاء وهما ضعيفان لكن للحديث شاهد من حديث أبى جحيفة وهب بن عبد الله السوائى (وعن كعب بن عياض) أى الاشعرى معدود فى الشاميين روى عنه جابر بن عبد الله وجبير بن نفير (قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان لكل أمة فتنة) وهى ما توقع أحدا فى الضلالة والمعصية (وفتنة أمتى) بالرفع وفى نسخة بالنصب (المال) لانه جامع لحصول المنال ومانع عن كمال المآل (رواه الترمذى) وكذا الحاكم فى مستدركه (وعن أنس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يجاء) أى يؤتى (بابن آدم يوم القيامة كأنه) أى من كمال ضعفه (بذج) بفتح موحدة وذال معجمة فجيم ولد الضأن معرب بره أراد بذلك هوانه وعجزه وفى بعض الطرق كأنه بذج من الذل وفى شرح السنة شبه ابن آدم بالبذج لصغاره ومهونه أى يكون حقيرا ذليلا (فيوقف) أى فيحبس (قائما بين يدى الله تعالى) أى عند حكمه وأمره سبحانه (فيقول له) أى بلسان ملك أو بلا واسطة بيان القال أو الحال (أعطيتك) أى الحياة والحواس والصحة والعافية ونحوها (وخوّلتك) أى جعلتك ذا خول من الخدم والحشم والمال والجاه وامثالها وقيل معناه جعلتك مالكا لبعض ومملوكا لبعض (وأنعمت عليك) أى بانزال الكتاب وبارسال الرسول وغير ذلك (فماصنعت) أى فيما ذكر (فيقول رب جمعته) أى المال (وثمرته) بتشديد الميم أى انميته وكثرته

رواه الترمذى وابن ماجه وعن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يتجشأ فقال اقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا فى الدنيا رواه فى شرح السنة وروى الترمذى نحوه وعن كعب ابن عياض قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال رواه الترمذى وعن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج فيوقف بين يدى الله فيقول له أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فما صنعت فيقول يا رب جمعته وثمرته

وتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به كله فيقول له أرني ما قدمت فيقول رب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به كله فاذا عبد لم يقدم خيرا فيمضي به الى النار رواه الترمذي وضعفه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما يسأل العبد يوم القيامة من النعيم ان يقال له ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد رواه الترمذي وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وماذا عمل فيما علم

(وتركته) أي في الدنيا بعد موتي (أكثر ما كان) أي في أيام حياتي (فارجعني) بهمزة وصل أي ردني الى الدنيا (آتك به كله) أي بانفاقه في سبيلك كما أخبر عن الكفار انهم يقولون في الآخرة رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت (فيقول له) أي الرب (أرني ما قدمت) أي لاجل الآخرة من الخير (فيقول) أي ثانيا كما قال أولا (رب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به كله فاذا عبد) الفاء فصيحة تدل على المقدر واذا للمفاجأة وعبد خبر مبتدأ محذوف أي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو عبد (لم يقدم خيرا) أي فيما أعطى ولم يمتثل ما أمر به ولم يتعظ ما وعظ به من قوله تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله (فيمضى) بصيغة المجهول أي فيذهب (به الى النار) قال الطيبي رحمه الله فظهر مما حكى عن هذا الرجل انه كان كعبد أعطاه سيده رأس مال ليتجر به ويربح فلم يمتثل أمر سيده فأتلف رأس ماله بأن وضعه في غير موضعه واتجر فيما لم يؤمر بالتجارة فيه فاذا هو عبد خائب خاسر قال تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فما أحسن موقع العبد وذكره في هذا المقام قال الشيخ أبو حامد رحمه الله اعلم ان كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر يسمى نعمة ولكن النعمة الحقيقية هي السعادة الاخروية وتسمية ما عداها انما أو غلط كتسمية السعادة الدنيوية التي لا تعين عليها الى الآخرة فان ذلك غلط محض وكل سبب يوصل الى السعادة الاخروية ويعين عليها اما بواسطة واحدة أو بوسائط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الى النعمة الحقيقية (رواه الترمذي وضعفه) بتشديد العين أي نسب اسناده الى الضعف وان كان صحيحا (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما يسأل العبد) أي عنه (يوم القيامة) ما موصولة أي أول شيء يحاسب به في الآخرة (من النعيم) بيان لما (أن يقال له) خبران وكان الطيبي رحمه الله جعل من النعيم متعلقا بيسأل حيث قال ما فيه مصدرية وان يقال خبران أي أول سؤال العبد هو أن يقال له (ألم نصح) أي بعظمتنا (جسمك) من الاصحاح وهو اعطاء الصحة (ونروك) بتشديد الواو وفي نسخة من الارواء (من الماء البارد رواه الترمذي) وكذا ابن حبان والحاكم ولفظهما أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ان يقال له ألم أصح لك جسمك وأروك من الماء البارد وقال الحاكم صحيح الاسناد ذكره ميرك (وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس) أي خمسة أحوال تذكر وتؤنث وقال الطيبي رحمه الله أنثه بتأويل الخصال (عن عمره) بضمتين ويسكن الميم أي عن مدة أجله (فيما أفناه) أي صرفه (وعن شبابه) أي قوته في وسط عمره (فيما أبلاه) أي ضيعه وفيه تخصيص بعد تعميم واشارة الى المسامحة في طرفيه من حال صغره وكبره وقال الطيبي رحمه الله فان قلت هذا داخل في الخصلة الاولى فما وجهه قلت المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذي يتمكن منه لي أقوى العبادة (وعن ماله مما اكتسبه) أي أمن حرام أو حلال (وفيما أنفقه) أي في طاعة أو معصية (وماذا عمل فيما علم) ولعل العدول عن الاسلوب للتفنن في العبارة المؤدية للمطلوب وأما ما ذكره الطيبي رحمه الله من انه انما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل وعن علمه ماذا عمل به لانه أهم شيء وأولاه فغير ظاهر نعم يمكن ان يكون نكتة لختم الخصال بها ترقيا ثم قال وفيه ايذان بان العلم مقدمة العمل وهو لا يعتد به لولا العمل اه وهو غير صحيح باطلاقه وانما يصلح هذا في العلم بالفروع الدنيوية وأما علم بذات الله تعالى وصفاته ومعرفة كتابه وآياته ونحو ذلك من الاصول الدينية فاشرف العلوم وأفضلها وأفضلها وأكملها ولذا قال الشيخ أبو سعيد بن أبي الخير قدس سره لابي علي بن سينا اصحبه الله تعالى ما تعلم علما ينتقل معك بانتقالك وفيه اشارة الى ما ورد من أن أهل الجنة فيها يحتاجون الى العلماء أيضا هذا وفي حديث رواه ابن عساكر عن أبي الدرداء رضي الله عنه كيف أنت يا عويمر اذا قيل لك يوم القيامة أعلمت أم جهلت فان قلت علمت قيل لك فماذا عملت فيما علمت وان قلت جهلت قيل لك فما كان عذرك فيما جهلت لا تعلمت ومع هذا روى ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع

مرات وفي حديث صحيح أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) وتمامه لا نعرفه من حديث ابن مسعود الا من حديث حسين بن قيس وهو ضعيف في الحديث ذكره ميرك

(الفصل الثالث) (عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له انك لست بخير) أي بأفضل (من أحمر) أي جسما (ولا اسود) أي لونا والمرادات الفضيلة ليست بلون دون لون واختصاصا بالذكر مثلا لكونهما أكثر وجودا والاظهر ان المراد بهما لون السيد والعبد كما هو الغالب وأغرب الطيبي رحمه الله حيث جزم وقال المراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب (الا ان تفضله) بضم الضاد أي تزيد أنت أحدهما (بتقوى) بالقصر وفي نسخة بالتنوين وقد قال تعالى أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله في قراءة شاذة بالتنوين والمعنى ان الفضيلة ليست بالصورة الظاهرة ولا بالنسبة الباهرة بل بالتقوى كما قال تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى الى ان قال ان أكرمكم عند الله أتقاكم قال الطيبي رحمه الله والضمير في تفضله عائد الى كل واحد منهما أولهما بتأويل الانسان والاستثناء مفرغ والتقدير لست بأفضل منهما بشيء من الاشياء الا بالتقوى وقوله ان تفضله ذكر تأكيدا لما تقدم فيه فان جعل الضمير الى كل واحد منهما مع دلالته على العموم من الجنس الذي وقع مخاطب يرد انه غير صحيح وكذا تأويلهما بالانسان المراد به الجنس فتدبر (رواه أحمد) ثم الظاهر ان الاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أي لست بأفضل عند الله من أحد النوعين في حال من الاحوال الا حال زيادتك عليه بتقوى معتبرة في الشرع وهي لها مراتب أدناها التقوى عن الشرك الجلي وأوسطها عن المعاصي والمناهي والملاهي وعن الشرك الخفي وهو الرياء والسمعة في الطاعة وأعلاها أن يكون دائم الحضور مع الله غائبا عن حضور ما سواه واليه الاشارة فيما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه ذكره الغزالي رحمه الله وقال العراقي لم أجده مرفوعا وهو عند الحكيم الترمذي في النوادر من قول بكر بن عبد الله المزني (وعنه) أي عن أبي ذر (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما زهد) بكسر الهاء (عبد في الدنيا) أي زيادتها على قدر الحاجة من مال أو جاه (الا أنبت الله الحكمة) أي أثبت المعرفة المتقنة (في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره) بتشديد الصاد من التبصيرة أي جعله معاينا (عيب الدنيا) أي معايبها من كثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها وغير ذلك من اتعاب البدن واكثار الحزن واشغال القلب عن ذكر الرب قال الطيبي رحمه الله هو اشارة الى الدرجة الثانية يعني الزهد في الدنيا لما حصل له من علم اليقين بعيوب الدنيا أورثه الله به بصيرة حتى حصل له بها حق اليقين (وداءها) أي علة محبتها وسبب طلبتها (ودواءها) أي معالجتها بعيون العلم والعمل والاحتماء عنها بالصبر والقناعة والرضا بما قسم له منها (وأخرجه) أي الله تعالى (منها) أي من الدنيا وآفاتها وبلياتها (سالما) أي بالاعراض عنها والاقبال على العقبى (الى دار السلام) وفيه اشارة الى أن من لم يزهد فيها ولم يطلع على عيبها ودائها ودوائها لم يدخل الجنة أصلا أو لم يدخل بسلام بل بعد سابقة عذاب أو لاحقة حجاب والله تعالى أعلم (رواه البيهقي في شعب الايمان) وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ما زان الله العباد بزينة أفضل من زهادة في الدنيا وعفاف في بطنه وفرجه (وعنه) أي عن أبي ذر أيضا (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أخلص الله قلبه للايمان) أي جعل قلبه خالصا للايمان بحيث لا يسعه غيره وما ينافيه (وجعل قلبه سليما) أي عن الحسد والحقد والبغض وسائر الاخلاق الذميمة والاحوال الرديئة من حب الدنيا والغفلة عن المولى والذهول عن العقبى قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم (ولسانه صادقا) أي في قوله ووعده وعهده (ونفسه مطمئنة) أي بذكر ربه وحبه (وخليقته) أي جبلته التي خلق عليها من أصلها مع قطع النظر عن عوارضها المعبر عنها بالفطرة (مستقيمة) أي غير مائلة الى طرفي

رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
(الفصل الثالث)
عن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انك لست بخير من أحمر ولا أسود الا ان تفضله بتقوى رواه أحمد وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زهد عبد في الدنيا الا أنبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصره عيب الدنيا وداءها ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلام رواه البيهقي في شعب الايمان وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد أفلح من أخلص الله قلبه للايمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة

الافراط والتفريط (وجعل أذنه) بضمتين وبسكن الثانية (مستمعة) أي للحق واعية للعلم (وعينه ناظرة) أي الى دلائل الصنع من الآفاق والانفس (فاما) بالفاء العاطفة ولعل المعطوف عليه مقدر والمعنى أما ما سبق من القلب واللسان وغيرهما فامره ظاهر في كونه شرطا للافلاح وأما (الاذن فقمع) بفتح فسكون وبكسر القاف مع سكون الميم وفتحها في القاموس القمع بالفتح والكسر وكعنب ما يوضع في فم الاناء فيصب فيه الدهن وغيره وفي النهاية القمع كضلع اناء يترك في رؤس الظروف لتملأ بالمائعات من الاشربة والادهان قال الطيبي رحمه الله شبه اسماع الذين يستمعون القول ولا يعونه بقلوبهم بالاقماع (وأما العين فمقرة) بضم الميم وكسر القاف وتشديد الراء كذا في أصل الاصيل وفي أكثر النسخ بفتحات وهو الاظهر أي محل قرار (لما يوعى) أي يحفظ (القلب) بالرفع وفي بعض النسخ بالنصب وهو يؤيد ما في الاصيل ويناسب الايعاء قال الطيبي قوله فمقرة وارد على سبيل الاستعارة لانها تثبت في القلب وتقر فيه ما أدركته بحاستها فكان القلب لها وعاء وهي تقر فيه ما رأته قال في أساس البلاغة ومن المجاز قر الكلام في أذنه وضع فاه على أذنه فاسمعه وهو من قر الماء في الاناء اذا صبه فيه والقلب مرفوع على انه فاعل يوعى ويحتمل النصب أي يقر في القلب أي يحفظه وانما خص السمع والبصر لان الآيات الدالة على وحدانية الله اما سمعية فالاذن هي التي تجعل القلب وعاء لها أو نظرية فالعين هي التي تقرها في القلب وتجعله وعاء لها ومن ثم جعل قوله (وقد أفلح من جعل قلبه واعيا) أي حافظا كالفذلكة للقرينتين قلت وبه يتم آلات العلم وأسبابه ولذا قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وفي تقديم السمع اشعار بان العمدة هي العلوم الشرعية التي تعرف من الادلة السمعية المورثة لعلم اليقين ثم يرتقي الى مرتبة النظار ورتبة الفكر الى أن يصير علمه عين اليقين وينتهي الى القلب الذي هو عرش الرب وبه يصل الى كمال حق اليقين رزقنا الله تعالى جميع مراتب اليقين في درجات الدين المعبر عنها بقوله سبحانه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ووجه الغاية أنه لا يتصور بعد تحقق اليقين ترك العبادة في الدين بل يحصل له مرتبة وضع الميت بين يدي الغاسل كما قيل موتوا قبل أن تموتوا ولذا أجمع المفسرون على أن المراد باليقين في الآية هو الموت وما أحسن هذا الموت الذي هو عين الحياة اذاقنا الله منه بعض الذوق الممزوج بحلاوة الشوق (رواه أحمد والبيهقي في شعب الايمان وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه) أي مع وجود فعله اياها (ما يحب) أي من أسبابها (فانما هو) أي ذلك الاعطاء (استدراج) أي مكر منه سبحانه قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الطيبي رحمه الله الاستدراج هو الاخذ في الشئ والذهاب فيه درجة فدرجة كالمراقي والمنازل في ارتقائه ونزوله ومعنى استدراج الله استدراجهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن تواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان متواترة النعم أثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد (ثم تلا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي استشهادا أو اعتضادا (فلما نسوا) أي عهده سبحانه أو تركوا أمره ونهيه وهو المعنى بقوله (ما ذكروا به) أي وعظوا (فتحنا) بالتخفيف ويشدد (عليهم أبواب كل شئ) أي من أسباب النعم التي في الحقيقة من موجبات النقم (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) أي اعطوا من المال والجاه وصحة البدن وطول العمر (أخذناهم بغتة) أي فجأة بالموت أو العذاب فانه أشد في تلك الحالة (فاذا هم مبلسون) أي واجمون ساكتون متحسرون متحيرون آيسون (رواه أحمد) وفي الجامع عنه بلفظ اذا رأيت الله تعالى يعطي العبد من الدنيا ما يحب وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك منه استدراج رواه الطبراني وأحمد والبيهقي (وعن أبي أمامة ان رجلا من أهل الصفة) في النهاية هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منزل يسكنه وكانوا يأوون الى موضع

وجعل اذنه مستمعة وعينه ناظرة فاما الاذن فقمع وأما العين فمقرة لما يوعى القلب وقد أفلح من جعل قلبه واعيا رواه أحمد والبيهقي في شعب الايمان وعن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله عز وجل يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فانما هو استدراج ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون رواه أحمد وعن أبي أمامة ان رجلا من أهل الصفة

مظلل في مسجد المدينة يسكنونه قال الطيبي رحمه الله وفي وصف الرجل بهذا النعت اشعار بان الحكم الذي يا سيعلل به يعني انتماءه الى الفقراء الذين زهدوا في الدنيا مع وجود الدينار بين أو الدينارين دعوى كاذبة يستحق به العقاب وإلا فقد كان كثير من الصحابة كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنهم أجمعين يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن الفتنة لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناع فيها مباح مرخص لا يذم صاحبه ولكل شيء حد والحاصل ان رجلا منهم (توفي) بصيغة المجهول وجوز المعلوم أي قبض ومات (وترك دينارا) أي وجد عنده أو عند غيره (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كية) أي هو كية للمبالغة أو سبب كية أو آلة وهو الاظهر لقوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم الآية (قال) أي الراوي (ثم توفي آخر) أي من أهل الصفة (فترك دينارين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيتان) وتوضيح المرام في هذا المقام ما قاله ما كان من الفقراء الذين كان الناس يتصدقون عليهم بناء على نهاية حاجتهم وغاية فاقتهم فهم بمنزلة السائلين اما قالا واما حالا ولا يحل لاحد يسأل وعنده قوت يوم فوقع أي السؤال لكلهما مع وجود الدينار لهما حراما وكذا كل من أظهر نفسه بصورة الفقراء من لبس الخلق أو زي الشحاذين وعنده شيء من النقود أو ما يقوم مقامها وأخذ مما في أيدي الناس وأكل فهو حرام عليه وكذا من أظهر نفسه عالما أو صالحا أو شريفا ولم يكن في نفس الامر متحققا وأعطى لاجل علمه أو صلاحه أو شرفه فيكون حراما عليه وقد حكى أن الشيخ أبا اسحق الكازروني رحمه الله رأى جماعة من الفقراء يأكلون من الطعام الموضوع للمستحقين من تكيته فقال يا أكلة الحرام فامتنعوا من الاكل فقال كل من لم يكن معه شيء من الدنيا يأكل والا فلا فأكل بعضهم وامتنع بعضهم فقال سبحان الله جل شأنه طعام واحد حرام لقوم وحلال لآخرين فليحذر أهل الحرمين الشريفين أعزهما الله في الدارين من أن يأكل أحدهم والحال انه غني شرعي من الاوقاف الموضوعة للفقراء وكذلك كل من سكن الخلاوي الموقوفة للمساكين فقد صرح ابن الهمام رحمه الله بان الغني يحرم عليه أن يسكن في خلاوي الاربطة ولا يغتر أحد بما اشتهر من أن أوقاف الحرمين عام للفقير والغني فانه على تقدير صحته لا يصح الوقف عندنا على الاغنياء اذا كانوا غير محصورين وبهذا ظهر ان امامنا الاعظم ومقتدانا الاقوم لو كان في هذا الزمان وشاهد سكان هذا المكان لقال بحرمة المجاور فضلا لما وقع في الصدر الاول من كراهتها العدم من يقوم بحق عظمتها وحرمتها الا النادر والنادر لا حكم له (رواه أحمد والبيهقي في شعب الايمان وعن معاوية) أي ابن أبي سفيان وهو خال المؤمنين (انه دخل على خاله) أي النسبي (أبي هاشم بن عتبة) وسر ترجمته (يعوده) حال أو استئناف بيان أي يزوره لمرضه (فبكى أبو هاشم فقال ما يبكيك) أي أي شيء يجعلك باكيا (يا خال) بكسر اللام وفي نسخة بضمها على حد يا غلام (أوجع يشئزك) بضم الياء وكسر الهمزة أي يقلقك ويتعبك فيبكيك ففي القاموس شئز أي غلظ واشتد يقال قلق واشأزه أقلقه (أم حرص على الدنيا) أي يقلقك فيبكيك وفيه تنبيه على أن الامر لا يخلو اما من اشتداد مرض صوري أو عرض معنوي يكون كل منهما باعثا على نكد ظاهري وباطني (قال كلا) أي ارتدع عن حسبانك كلا ومعناه ليس الباعث أحدهما (ولكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عهد الينا عهدا لم آخذ به) والمراد بالعهد اما وصية عامة أو مبايعة خاصة (قال وما ذلك) أي العهد وفي نسخة وماذاك (قال سمعته يقول انما يكفيك من جمع المال) أي الذي يحصل المال في المال (خادم ومركب في سبيل الله واني أراني) بضم الهمزة أي أظن وفي نسخة بفتحها أي أبصرا وأعلم (قد جمعت) أي زيادة على ما عهدت وأغرب الطيبي رحمه الله حيث قال حذف متعلقه ليدل على الكثرة من أنواع المال والله تعالى أعلم بالحال (رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وعن أم الدرداء قالت قلت لابي الدرداء ما لك لا تطلب) أي مالا أو منصبا

توفي وترك دينارا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية قال ثم توفي آخر فترك دينارين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيتان رواه أحمد والبيهقي في شعب الايمان وعن معاوية انه دخل على خاله ابن أبي هاشم بن عتبة يعوده فبكى أبو هاشم فقال ما يبكيك يا خال أوجع يشئزك أم حرص على الدنيا قال كلا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا عهدا لم آخذ به قال وما ذلك قال سمعته يقول انما يكفيك من جمع المال خادم ومركب في سبيل الله واني أراني قد جمعت رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وعن أم الدرداء قالت قلت لابي الدرداء ما لك لا تطلب

(كما يطلب فلان) أي وهو من نظرائك (فقال اني) بكسر الهمزة ويجوز فتحها بتقدير لاني (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان أمامكم) بفتح الهمزة أي قدامكم وهو ظرف وقع خبرا مقدما والاسم قوله (عقبة) بفتحات أي مرقى صعبا من الجبال على ما في القاموس (كؤدا) بفتح فضم همزة فواو فدال أي شاقة فاصلة بينكم وبين دخول الجنة قال الطيبي رحمه الله والمراد بها الموت والقبر والحشر وأهوالها وشدائدها شبهها بصعود العقبة ومكابدة ما يلحق لرجل من قطعها (لا يجوزها) أي لا يتجاوز تلك العقبة على طريق السهولة (المثقلون) من باب الافعال أي الحاملون ثقل المال ومؤنة الجاه وسعة الحال ولذا قيل فاز المخفون وهلك المثقلون (فاحب أن أتخفف) أي بترك الطلب والصبر على قلة المؤنة (لتلك العقبة) لئلا يحصل لي التعب فيها (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من أحد يمشي على الماء الا ابتلت قدماه) أي هل يمشي على الماء في حال من الاحوال الا في حال الابتلال وحاصل معناه هل يتحقق المشي على الماء بلا ابتلال (قالوا لا يا رسول الله قال كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب) أي من المعاصي اللازمة لصاحب حب الدنيا قال الطيبي رحمه الله فيه تخويف شديد للمتقين وحث أكيد على الزهد في الدنيا وايثار الآخرة على الاولى وكفى بما تبعه أن يدخل الفقراء في الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام عافانا الله منها بكرمه وفضله (رواهما) أي الحديثين (البيهقي في شعب الايمان) وكذا الحاكم روى الحديث الاول وقال ميرك نقلا عن المنذري حديث أم الدرداء رواه الطبراني باسناد صحيح ورواه البزار عن أبي الدرداء رفعه ان بين أيديكم عقبة كؤدا لا ينجو منها الا كل مخف واسناده حسن (وعن جبير بن نفير) بالتصغير فيهما قال المؤلف تابعي حضرمي أدرك الجاهلية والاسلام وهو من ثقات الشاميين وحديثه فيهم روى عن أبي الدرداء وأبي ذر وعنه جماعة (مرسلا) أي بحذف الصحابي (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أوحي الي) أي لم يوح لي (أن أجمع المال) أن مصدرية والباء مقدرة وقوله (وأكون) عطف عليه (من التاجرين) أي المتوغلين في التجارة (ولكن أوحي الي) أي قيل لي بالوحي (أن سبح) أن مفسرة لما في الوحي من معنى القول أي سبح (بحمد ربك) أي مقرونا به والمعنى نزه الله تعالى عما لا يليق بذاته وصفاته منتهيا الى ثناء ربك باثبات صفات الجلال والجمال له (وكن من الساجدين) أي المصلين بذكر أحد الاركان وارادة تمام الصلاة فهو من قبيل مجاز اطلاق الجزء وارادة الكل ووجه تخصيص السجدة ما ورد في حديث مسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (واعبد ربك) تعميم بعد تخصيص سواء كان المراد به الامر بالعبادة أو بالعبودية (حتى يأتيك اليقين) أي الموت باجماع المفسرين وفيه اقتباس من قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك الخ (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي عن جبير بن نفير (وأبو نعيم) بالتصغير (في الحلية عن أبي مسلم) قال المؤلف هو أبو مسلم الخولاني الزاهد لقي أبا بكر وعمر ومعاذا رضي الله عنهم روى عنه جبير ابن نفير وعمر وقتادة وأبو قلابة ومناقبه كثيرة مات سنة اثنتين وستين انتهى فيحتمل ان الحديث مروي من طريق جبير عن أبي مسلم أو من طريق غيره والله تعالى أعلم (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا) أي من طريق حلال (استعفافا) أي لاجل طلب العفة عن المسئلة ففي النهاية الاستعفاف طلب العفاف والتعفف وهو الكف عن الحرام والسؤال من الناس (وسعيا على أهله) أي لاجل عياله ممن يجب عليه مؤنة حاله (وتعطفا على جاره) احسانا عليه بما يكون زائدا لديه (لقي الله تعالى يوم القيامة ووجهه) أي والحال أن وجهه من جهة كمال النور وغاية السرور (مثل القمر ليلة البدر) قيد به لانه وقت كماله وفيه اشارة خفية الى ان هذا النور له ببركة المصطفى المنزل عليه طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فان طه أربعة عشر بحساب أبجد الذي يعرفه الاب والجد وهذا يوم لا ينفع ذا الجد منك الجد (ومن طلب الدنيا حلالا) أي فضلا عن أن يطلب حراما (مكاثرا) أي حال

كما يطلب فلان فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان امامكم عقبة كؤدا لا يجوزها المثقلون فاحب ان أتخفف لتلك العقبة وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من أحد يمشي على الماء الا ابتلت قدماه قالوا لا يا رسول الله قال كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب رواهما البيهقي في شعب الايمان وعن جبير بن نفير مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحي الي ان أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحي الي أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين رواه في شرح السنة وأبو نعيم في الحلية عن أبي مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره لقي الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالا مكاثرا

كونه طالبا كثرة المال لا حسن الحال ولا صرفه في تحسين المآل (مفاخرا) أي على الفقراء كما هو دأب الاغنياء من الاغنياء (مرائيا) أي ان فرض عنه صدور خير أو عطاء (لقي الله تعالى وهو عليه غضبان) ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يذكر من طلب الحرام اما اكتفاء بما يفهم من فحوى الكلام واما ايماء الى انه ليس من صنيع أهل الاسلام أو اشعار بان الحرام أكله وقربه حرام ولو لم يكن هناك طلب ومرام قال الطيبي رحمه الله وفي الحديث معنى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهما عبارتان عن رضا الله تعالى وسخطه فقوله و وجهه مثل القمر مبالغة في حصول الرضا بدلالة قوله في مقابلته وهو عليه غضبان (رواه البيهقي في شعب الايمان وأبو نعيم في الحلية وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان هذا الخير) أي هذا الجنس من الخير المحسوس المعلوم كالمحسوس (خزائن) أي أنواع كثيرة مخزونة مكنونة مركوزة موضوعة فيما بين عباده (لتلك الخزائن) خبر مقدم على مبتدئه وهو قوله (مفاتيح) أي على أيدي عبيده الذين هم بمنزلة وكلائه ثم الظاهر ان ذكر الخير بدون ذكر الشر من باب الاكتفاء أو اشارة الى ان الشر ما خلق لذاته ولذا ورد في قوله تعالى بيده الخير مع ان الامر كله لله وفي الحديث الشريف الخير كله بيديك والشر ليس اليك أدبا نعم المعنى انه لا ينسب اليك والاظهر أن الشر انما يحصل بترك الخير فيكون بينهما نسبة التضاد كالنور والظلمة والوجود والعدم ومما يدل على ان لله خزائن للشر أيضا قوله (فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير) أي علما وعملا أو حالا أو مآلا (مغلاقا للشر وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر) أي للكفر والعصيان والبطر والطغيان والبخل وسوء العشرة مع الاخوان (مغلاقا للخير) قال الراغب الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا والعدل والفضل والشئ النافع والشر ضده والخير والشر قد يتحدان وهو ان يكون خيرا لواحد شرا الآخر كالمال الذي يكون ربما كان خيرا لزيد وشرا لعمرو ولذلك وصفه الله تعالى بالامرين فقال في موضع ان ترك خيرا أي مالا وقال في موضع آخر أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات انتهى وكذا العلم بالنسبة الى بعضهم حجاب وسبب العذاب وبالنسبة الى بعض آخر اقتراب الى رب الارباب وقس على هذه العبادة فان منها ما يورث العجب والغرور ومنها ما يورث النور والسرور والحبور كالسيف والخيل ونحوهما فقد يجعل آلة للجهاد مع الكفار ويتوصل بها الى القرار في دار الابرار وقد يتوصل بها الى قتل الانبياء والاولياء وينتهي بهم الى الدرك الاسفل من النار وهذا معنى ما سيأتي من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وان الخير كله بحذافيره في الجنة الا وان الشر كله بحذافيره في النار يعني بحسب ما قسم لاهلها قسمة أزلية بديعة مبنية على جعل بعضهم مرائي الجمال وبعضهم مظاهر الجلال كما قال فريق في الجنة وفريق في السعير وقد قال خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالي مشيرا الى قوله سبحانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فبحر القضاء والقدر عريض عميق لا يغوص فيه الا من له تحقيق بتوفيق يتحير فيه أرباب السواحل ويعمى منه أصحاب سفن الشرائع الكوامل (رواه ابن ماجه) وروى الطبراني في الاوسط عن أبي هريرة مرفوعا ان هذه الاخلاق من الله فمن أراد الله تعالى به خيرا منحه خلقا حسنا ومن أراد به سوأ منحه سيئا (وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا لم يبارك للعبد في ماله) أي بان لا يصرفه في رضاه مولاه وعمارة عقباه وحسن مآله (جعله) أي أنفق ماله وضيعه (في الماء والطين) أي المعبر بهما عن عمارة الدنيا بسبب اعراضه عن أعراض الدين (وعن ابن عمر أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتقوا الحرام) أي احذروا انفاقه وفي الجامع اتقوا الحجر الحرام (في البنيان) أي في صرف عمارة الدنيا الفانية (فانه أساس الخراب) أي في الايام الآتية كما ورد لدوا للموت وابنوا للخراب والتقييد بالحرام ليس له مفهوم معتبر بل فيه اشارة الى أن المال الحلال لم ينفق صرفه في غير حسن المآل فقد قال الامام الغزالي لو أكل الناس أربعين يوما من الحلال لخربت الدنيا ولم يبق لها انتظام في الحال ولذا قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقال بعضهم الغفلة رحمة ولذا قال تعالى اقترب للناس

مفاخرا مرائيا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان رواه البيهقي في شعب الايمان وأبو نعيم في الحلية وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الخير خزائن لتلك الخزائن مفاتيح فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير رواه ابن ماجه وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لم يبارك للعبد في ماله جعله في الماء والطين وعن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الحرام في البنيان فانه أساس الخراب

حسابهم وهم في غفلة معرضون قيل التقدير أسباب خراب الدين أو أساس خراب البنيان فعلى الاول يدل على جواز انفاق الحلال في البنيان وعلى الثاني لا وهذا أنسب بالباب والله تعالى أعلم بالصواب (رواهما) أي الحديثين (البيهقي في شعب الايمان) وروى الطبراني الحديث الاول عن أبي هريرة مرفوعا ولفظه للرجل بدل للعبد (وعن عائشة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الدنيا دار من لا دار له) قال الطيبي رحمه الله لما كان القصد الاولى من الدار الاقامة مع عيش هنيء ودار الدنيا خالية عنها لا يستحق لذلك ان تسمى دارا فمن داره الدنيا فلا دار له قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون وقال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم لا عيش الا عيش الآخرة (ومال من لا مال له) فان المقصود من المال هو الانفاق في المبرات والصرف في وجوه الخيرات فمن أتلفه في تحصيل الشهوات واستيفاء اللذات خفة وبان يقال لا مال له قال تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ولذا قدم الظرف على عامله في قوله (ولها) أي للدنيا (يجمع) أي المال (من لا عقل له) أي عقلا كاملا أو عقل الدين دلالة على ان جمع الدار الآخرة للتزود وهو محمود قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى قلت ومجمل المعنى ان الدنيا لا تستحق ان تعد دارا الا لمن لا دار له ولا مالا الا لمن لا مال له والمقصود استحقارها واسقاطها عن ان تعد دارا أو مالا لمن كانت الآخرة له قرارا وما لا قال الراغب كل اسم نوع يستعمل على وجهين أحدهما دلالة على المسمى وفصلا بينه وبين غيره والثاني لوجود المعنى المختص به وذلك هو الذي يمدح به فكل شيء لم يوجد كاملا لما خلق له لم يستحق اسمه مطلقا بل قد ينفى عنه كقولهم فلان ليس بانسان أي لا يوجد فيه المعنى الذي خلق لاجله (رواه أحمد والبيهقي في شعب الايمان) ورواه البيهقي أيضا في الشعب عن ابن مسعود موقوفا (وعن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في خطبته) أي موعظته (الخمر جماع الاثم) بكسر الجيم أي مجمعه ومظنته وقيل أصل الجماع ما يجمع عددا ويراده حديث ابن عباس على ما رواه الطبراني مرفوعا الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر من شربها وقع على أمه وخالته وعمته وفي رواية البيهقي عن ابن عمر بلفظ الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر ومن شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وعمته وخالته قيل دعي رجل الى سجدة الصنم فأبى ثم الى قتل النفس فأبى ثم الى الزنا فأبى ثم الى شرب الخمر فلما شرب فعل جميع ما طلب منه (والنساء) أي جنسهن (حبائل الشيطان) والمراد به الجنس أو رئيسهم ويؤيد الاول ما في نسخة بلفظ الشياطين أي مصائدهم واحدها حبالة بالكسر وهي ما يصاد بها من أي شيء كان قيل ما أيس الشيطان من بني آدم الا أتى من قبل النساء (وحب الدنيا رأس كل خطيئة) أي ملاكها ومقدمها ومنه ان ترك الدنيا رأس كل عبادة وقد قيل من أحب الدنيا لا يهديه جميع المرشدين ومن تركها لا يغويه جميع المفسدين قال الطيبي رحمه الله والكلمات الثلاث كلها من الجوامع لان كل واحدة منها على الانفراد أصل في المأثم والمغرم (قال) أي حذيفة (وسمعته) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يقول أخروا النساء حيث أخرهن الله) قال الطيبي رحمه الله حيث للتعليل أي أخرهن الله تعالى في الذكر وفي الحكم وفي المرتبة فلا تقدموهن ذكرا وحكما ومرتبة قلت وأصحابنا استدلوا به على بطلان محاذاة المرأة بشروطها المعتبرة على ما هو مقرر عندهم ومحقق عند المحقق ابن الهمام رحمه الله (رواه) أي الحديث بكماله (رزين) وفي التمييز لابن الربيع حديث أخروهن من حيث أخرهن الله يعني النساء قال شيخنا في مصنف عبد الرزاق رحمه الله وذكر أحاديث بمعناه من طريق الطبراني ثم قال ولا أعلمه لهم وأشار شيخنا البعض اله مختصر تخريج الهداية انتهى فالحديث مشهور عند المحدثين لكن بالمعنى اللغوي لا بالمعنى الاصطلاحي فانه يطلق على القريب من المتواتر القطعي ولذا قال ابن الهمام عند قول صاحب الهداية ولنا الحديث المشهور لا يثبت رفعه فضلا عن شهرته والصحيح انه موقوف على ابن مسعود لكنه في حكم المرفوع (وروى البيهقي عنه) أي من الحديث الطويل المشتمل على جمل من الكلام (في شعب الايمان) أي باسناد حسن (عن الحسن مرسلا حب الدنيا رأس كل

رواهما البيهقي في شعب الايمان وعن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له رواه أحمد والبيهقي في شعب الايمان وعن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته الخمر جماع الاثم والنساء حبائل الشيطان وحب الدنيا رأس كل خطيئة قال وسمعته يقول أخروا النساء حيث أخرهن الله رواه رزين وروى البيهقي منه في شعب الايمان عن الحسن مرسلا حب الدنيا رأس كل

خطيئة) قلت وهو عند أبي نعيم في ترجمة سفيان الثوري من قول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وعند ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان له من قول مالك بن دينار وكذا البيهقي في الزهد من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام قال السيوطي رحمه الله وقد عد الحديث في الموضوعات وتعقبه شيخ الاسلام ابن حجر العسقلاني رحمه الله بان ابن المديني اثنى على مراسيل الحسن والاسناد حسن اليه وقد رواه الديلمي من حديث علي بن أبي طالب في مسنده ولم يذكر له اسنادا وهو في تاريخ ابن عساكر عن سعد بن مسعود الصدفي التابعي بلفظ حب الدنيا رأس الخطايا (وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أخوف ما أتخوف على أمتي الهوى) أي هوى النفس ومشتهياتها (وطول الامل) أي بتسويف العمل وتأخيره الى آخر حياتها (فأما الهوى) أي المخالف للهدى الموافق للباطل (فيصد) أي يمنع صاحبه (عن الحق) أي عن قبوله وانقياده (وأما طول الأمل فينسي) من الانساء ويجوز بالتشديد (الآخرة) لان ذكرها يقطع الامل ويوجب العمل (وهذه الدنيا) أي المعلومة ذهنا والمفهومة حسا (مرتحلة) أي ساعة فساعة (ذاهبة) أي رائحة من حيث لا يدري صاحبها كما لا يشعر بسير السفينة راكبها ولذا قيل كل نفس خطوة الى أجل واعيها (وهذه الآخرة مرتحلة قادمة) أي آتية شبههما بالمطيتين المختلفتين في طريقهما وفيه اشعار بان كل ما هو آت قريب وايماء الى أن كل ساعة يحتمل أنها تكون النفس الاخير المقتضي أن يصرفها الى طاعة (ولكل واحدة منهما بنون) أي ملازمون ومحبون وراكبون وراغبون والجمع بينهما من الاضداد المذمومة كما حققه العلماء العاملون (فان استطعتم ان لا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا) وفيه اهتمام تام بترك الدنيا ومبالغة بليغة في ملازمة أمر الاخرى حيث لم يقل فان استطعتم ان تكونوا من أبناء الآخرة فافعلوا وعدل العدول لما يلزم من ترك حب الدنيا حصول الآخرة ولا يلزم من وصول الآخرة ترك حظ الدنيا لقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ولقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا (فانكم اليوم في دار العمل) أي في دار يطالب منكم عمل الآخرة فان الدنيا دار تكليف فاغتنموا العمل قبل حلول الاجل بترك الامل لان الدنيا ساعة فينبغي ان تصرف في طاعة (ولا حساب) أي اليوم بحسب الظاهر بالنسبة الى الفاجر والاغرى خطابا للابرار حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون (وأنتم غدا في دار الآخرة) أي وفي الحساب المترتب عليه الثواب والعقاب (ولا عمل) أي يومئذ لانقطاعه بالاجل قال السيوطي رحمه الله قوله ولا حساب بالفتح بغير التنوين ويجوز الرفع بالتنوين وكذا قوله ولا عمل قال الطيبي رحمه الله أشار بهذه الدنيا الى تحقير شانها وشك زوالها وفي قوله الآخرة أشار الى تعظيم أمرها وقرب نزولها وقوله فان استطعتم يعني بينت لكم حال الدنيا من غرورها وفنائها وحال الآخرة من نعيمها وبقائها وجعلت زمام الاختيار في أيديكم فاختاروا أيهما شئتم وكان من حق الظاهر أن يقال فانكم اليوم في دار الدنيا ولا حساب فوضع دار العمل موضعها ليؤذن بان الدنيا ما خلقت الا للعمل والتزود منها للدار الآخرة ولم يعكس ليشعر بان الدار هي دار الآخرة (رواه البيهقي في شعب الايمان) قال الطيبي رحمه الله وهذا الحديث رواه جابر مرفوعا وفي رواية البخاري عن علي رضي الله تعالى عنه كما سيأتي موقوفا وهذا الحديث يدل على أن حديث علي رضي الله عنه أيضا مرفوع قلت وفيه بحث لانه انما يقال في الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه انه في حكم المرفوع ولا شك ان هذا الموقوف ليس من ذلك القبيل المعروف فيحتمل ان يكون مرفوعا ومسموعا ويحتمل

خطيئة وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أتخوف على أمتي الهوى وطول الأمل فأما الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة وهذه الدنيا مرتحلة ذاهبة وهذه الآخرة مرتحلة قادمة ولكل واحدة منهما بنون فان استطعتم ان لا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا فانكم اليوم في دار العمل ولا حساب وأنتم غدا في دار الآخرة ولا عمل رواه البيهقي في شعب الايمان

أن يكون وقع منه رضي الله تعالى عنه تورداً بقاءً طبوعاً (وعن علي رضي الله عنه) أي موقوفاً (قال ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة) أي ظهر إدبار الدنيا ودنا وقوعها وإقبال الآخرة وبقاؤها (ولكل واحدة منهما بنون) أي بهما متعلقون (فكونوا من أبناء الآخرة) أي بالتوجه إليها (ولا تكونوا من أبناء الدنيا) أي بالإعراض عنها وعدم الإقبال عليها (فإن اليوم عمل) أي وقت عمل (ولا حساب) أي زمان لا محاسبة على الانتساب وقد يقال جعل اليوم نفس العمل والمحاسبة مبالغة كذا قوله (وغداً) أي يوم القيامة (حساب ولا عمل) وتقدم ما في العمل والحساب من اختلاف الإعراب (رواه البخاري في ترجمة باب) أي من غير ذكر إسناد في كتاب (وعن عمرو) بالواو (أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوماً فقال في خطبته ألا) للتنبيه (إن الدنيا عرض) بفتحتين أي مال حادث وحال عارض (حاضر) أي عاجل محسوس (يأكل منه) أي من العرض وفي نسخة منها أي من الدنيا (البر والفاجر) أي المؤمن والكافر فإنه تعالى قال وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وقال كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً أي ممنوعاً هذا وقال الراغب العرض ما لا يكون له ثبات ومنه استعار المتكلمون قولهم العرض لما لا ثبات له إلا بالجوهر كاللون والطعم وقيل الدنيا عرض حاضر تنبيهاً على أن لا ثبات لها (ألا وإن الآخرة) قال الطيبي رحمه الله حرف التنبيه ههنا مقحم وما بعده معطوف على قوله إن الدنيا وبلت القرينة السابقة بقوله ألا وإن الآخرة (أجل) أي مؤجل (صادق) أي وقوعها (ويقضي) أي يحكم (فيها ملك قادر) أي يميز بين البر والفاجر والمؤمن والكافر بالثواب والعقاب قال الطيبي رحمه الله الأجل الوقت المضروب الموعود ووصفه بالصدق دلالة على تحققه وثباته ووفائه وقال الراغب يستعمل التصديق في كل ما فيه تحقيق يقال صدقني فعله وكتابه وفي المثل صدقني سن بكره وصدق في القتال إذا وفى حقه وفعل على ما يجب وكما يجب (ألا وإن الخير) أي أصحابه (كله) أي جميع أصنافه (بحذافيره) أي بجوانبه وأطرافه (في الجنة ألا وإن الشر كله بحذافيره في النار) الظاهر أن كلاً من المعطوف والمعطوف عليه أتى بحرف التنبيه إشارة إلى استقلال كل من الجملتين خلافاً لما سبق من الطيبي رحمه الله فتدبر (ألا فاعملوا) أي الخير (وأنتم من الله على حذر) أي على خوف من وقوع شر (واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم) قال الطيبي رحمه الله أي الأعمال معروضة عليكم من باب القلب كقولهم عرضت الناقة على الحوض انتهى والأظهر أن معناه مقابلون بأفعالكم مجزيون على أعمالكم كعرض العسكر على الأمير ومنه قوله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية على أنه يحتمل أن تكون على للعلة كما قال تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم أو التركيب من قبيل علفتها تبناً والتقدير معروضون على مجازون على أعمالكم إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) أي جزاءه في إحدى الدارين (ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قال السيوطي رحمه الله الذرة النمل الأحمر الصغير وسئل ثعلب عنها فقال إن مائة نملة وزن حبة وقيل الذرة ليس لها وزن ويراد بها ما يرى في شعاع الشمس الداخل في الكوة النافذة (رواه الشافعي وعن شداد) بتشديد الدال الأولى أي ابن أوس (قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أيها الناس إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها) أي من الدنيا ويتمتع بها (البر والفاجر) أي المؤمن والكافر (وإن الآخرة وعد) أي موعود (صادق) أي واقع غير كاذب في مختصر الطيبي رحمه الله وصف الوعد بالصدق على الإسناد المجازي أي صادق وعده أي في وعده (يحكم فيها) أي يقضي في الآخرة (ملك) أي سلطان (عادل) أي غير ظالم (قادر) أي غير عاجز (يحق الحق) أي يثبت ويبين (ويبطل) أي يزهق (الباطل) والمعنى يميز بين أهليهما ويفصل بينهما بالثواب والعقاب (كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها ولدها) ومكان الدنيا الباطلة مقرها النار وبئس القرار والآخرة الحقة مقرها الجنة فنعم الدار (وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله

وعن علي قال ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل رواه البخاري في ترجمة باب وعن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوماً فقال في خطبته ألا إن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر ألا وإن الآخرة أجل صادق ويقضي فيها ملك قادر ألا وإن الخير كله بحذافيره في الجنة ألا وإن الشر كله بحذافيره في النار ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره رواه الشافعي وعن شداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك عادل قادر يحق فيها الحق ويبطل الباطل كونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها ولدها وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم ما طلعت الشمس الا وبجنبتيها) بفتح الجيم والنون ويسكن وفتح الموحدة وسكون التحتية تثنية الجنبة وهي الناحية وفي المقدمة انه بالتحريك وفي القاموس الجنب والجانب والجنبة محركة شق الانسان وغيره وجانبتا الانف وجنبتاه ويحرك جنباه قال الطيبي رحمه الله الواو للحال والاستثناء مفرغ من أعم عام الاحوال وقوله (ملكان) يجوز أن يكون فاعل الجار والمجرور على رأي أو مبتدأ والجار والمجرور خبره انتهى وقوله (يناديان) حال أو استئناف أو صفة لقوله ملكان وقوله (يسمعان الخلائق غير الثقلين) بدل عما قبله أو حال من ضميره أو بيان بعد بيان والظاهر حمل الاسماع للخليقة على الحقيقة ثم لعل السر لعدم اسماع الثقلين ان لا يرتفع التكليف بمعاينة الغيب كما حقق في قوله عليه الصلاة والسلام لولا ان تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر فان قلت فما فائدة النداء لغيرهما مع انهما هما المحتاجان للتنبيه عن غفلة الانباء قلت فائدته ان يخبر الصادق المصدوق بقوله ناقلا عما سمع بنفسه أو بما أخبر به الحق المطلق (يا أيها الناس هلموا) أي تعالوا (الى ربكم) أي أمره وحكمه أو انقطعوا اليه من غيره كما قال تعالى ففروا الى الله وتبتل اليه تبتيلا (ما قل) أي من المال وما موصولة (وكفى) أي في أمر الدنيا أو زاد لعقبى (خير مما كثر) أي من المال (والهى) أي شغل عن المولى وحسن الحال وحسن المآل وقال الطيبي رحمه الله يجوز أن يكون الاسماع على الحقيقة وأن يكون على التنبيه عن الغفلة مجازا فمعنى يسمعان الخلائق غير الثقلين انهما يقصدان بالاسماع الثقلين فيسمعان غيرهما ثم خص من الثقلين الانسان بقوله يا أيها الناس تنبيها على تماديهم في الغفلة وانهماكهم في الحرص وجمع حطام الدنيا حتى ألهاهم ذلك من الاقبال الى ذكر الله تعالى وعبادته فقيل لهم الى كم هذه الغفلة والاعراض عن ذكر الله هلموا الى طاعة ربكم ما قل من المال ويكفيكم ولا يلهيكم خير مما كثر والهى فمن سمع هذا النداء ممن ألقى السمع وهو شهيد أولئك هم الذين أشار الله بذكرهم ورفع من منزلتهم في قوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية ومعنى اسماع غير المكلفين كونها مسبحة لله منقادة لما يراد منها وان من شيء الا يسبح بحمده انتهى ولا يخفى ان صحة كلامه يحتاج الى ان يقال لتقدير غير عامة الثقلين والله تعالى أعلم (رواهما) أي الحديثين (أبو نعيم في الحلية) وقد روى ابن حبان الاول في صحيحه (وعن أبي هريرة يبلغ) بفتح الباء (به) والباء للتعدية والمعنى يرفع مرويه الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال اذا مات الميت) قال الطيبي رحمه الله هو من باب المجاز باعتبار ما يؤول فان الميت لا يموت بل الحي هو الذي يموت قلت الا الحي الذي لا يموت وفي الكشاف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة فسمى المشارف للمرض والضلال مريضا وضالة وعلى هذا يسمى المشارف للموت ميتا قلت ومنه قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومآل القولين واحد وانما الخلاف باعتبار النظر في أول أمره أو آخر حاله كنظر الصوفية في أمر السابقة واللاحقة والاولى هي الاولى (قالت) وفي رواية الجامع تقول (الملائكة ما قدم) بتشديد الدال أي من الاعمال (وقال بنو آدم) وفي رواية الجامع ويقول الناس (ما خلف) بتشديد اللام أي أخر من الاموال قال الطيبي رحمه الله تعالى وفائدته اهتمام شأن الملائكة بالاعمال أي ما قدم من عمل حتى يثاب به أو يعاقب عليه واهتمام الوراث بماله ليرثوه (رواه البيهقي في شعب الايمان وعن مالك) أي ابن أنس (ان لقمان قال لابنه يا بني) بتشديد الياء المفتوحة وتكسر على صيغة التصغير للشفقة (ان الناس) أي من عهد آدم الى يومنا هذا (قد تطاول) أي بعد (عليهم ما يوعدون) أي من البعث والحساب وما بعدهما من الثواب والعقاب وقال الطيبي رحمه الله أي طال عليهم مدة ما وعدوا به (وهم الى الآخرة سراعا) أي مسرعين حال من المبتدأ أو من ضمير الخبر وهو قوله (يذهبون) قدم اهتماما والجملة حال من ضمير ما يوعدون والمعنى تطاول على الناس بعد الوعد وقرب العهد والحال انهم كل ساعة بل كل نفس يذهبون الى ما يوعدون كالقافلة السيارة لكنهم لا يحسون كالسكان في

صلى الله عليه وسلم ما طلعت الشمس الا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعان الخلائق غير الثقلين يا أيها الناس هلموا الى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر والهى رواهما أبو نعيم في الحلية وعن أبي هريرة يبلغ به قال اذا مات الميت قالت الملائكة ما قدم وقال بنو آدم ما خلف رواه البيهقي في شعب الايمان وعن مالك ان لقمان قال لابنه يا بني ان الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون وهم الى الآخرة سراعا يذهبون

الفلك المشحون ثم بين هذا المعنى بقوله (وانك) أى أيها الولد وأريد به خطاب العامة الشامل لنفسه وغيره (قد استدبرت) أى أنت (الدنيا) أى ساعة فساعة (مذ كنت) أى وجدت وولدت (واستقبلت الآخرة) أى نفسا فنفسا من غير اختيار لك فى هذا السير من المبدا والمصير ثم أوضح له القصة بطريق الحكمة حيث بين الدارين المعنويتين بالدارين المحسوستين فقال (وان دارا تسير اليها أقرب اليك من دار تخرج منها) والمقصود من هذه الموعظة دفع الغفلة عن أمر الآخرة (رواه رزين وعن عبد الله ابن عمرو) بالواو (قال قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى الناس أفضل قال كل مخموم القلب) بالخاء المعجمة أى سليم القلب لقوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم من خممت البيت اذا كنسته على ما فى القاموس وغيره فالمعنى ان يكون قلبه مكنوسا من غبار الاغيار ومنظفا من أخلاق الاكدار (صدوق اللسان) بالجر أى كل مبالغ للصدق فى لسانه فيحصل به المطابقة بين تحسين لسانه وبيانه فيخرج عن كونه منافقا أو مرائيا مخالفا (قالوا صدوق اللسان) بالجر على الحكاية ويجوز رفعه على اعراب الابتدائية والخبر قوله (نعرفه فما مخموم القلب قال هو النقى) أى نقى القلب وطاهر الباطن عن محبة غير المولى (التقى) أى المجتنب عن خطور السوى (لا اثم عليه) فانه محفوظ وبالغفران محظوظ وبعين العناية ملحوظ ومن المعلوم ان لا لنفى الجنس فقوله (ولا بغى) أى لا ظلم له (ولا غل) أى لا حقد (ولا حسد) أى لا تمنى زوال نعمة الغير من باب التخصيص والتعميم على سبيل التكميل والتتميم لئلا يتوهم اختصاص الاثم بحق الله فصرح بانه لا مطالبة عليه لا من الخالق ولا من جهة الخالق والله تعالى أعلم بالحقائق قال الطيبى رحمه الله الجواب ينظر الى قوله تعالى أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى أى اخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضى الله تعالى عنه أذهب الشهوات عنها (رواه ابن ماجه والبيهقى فى شعب الايمان وعنه) أى عن ابن عمرو (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أربع) أى من الخصال (اذا كن فيك) أى وجدن فى وجودك ظاهرا وباطنا (فلا عليك) أى لا بأس (ما فاتك الدنيا) وفى الجامع ما فاتك من الدنيا قال الطيبى رحمه الله يحتمل ان تكون ما مصدرية والوقت مقدر أى لا بأس عليه وقت فوت الدنيا ان حصلت لك هذه الخلال وان تكون نافية أى لا بأس عليك لانه لم تفتك الدنيا ان حصلت لك هذه الخصال انتهى والاول أظهر كما لا يخفى (حفظ أمانة) يشمل امانة الاموال والاعمال (وصدق حديث) يعم الاقوال (وحسن خليقة) أى خلق والتعبير بها اشارة الى الحسن الجبلى لا التكلفى والتصنعى فى الاحوال (وعفة فى طعمة) بضم الطاء مع تنوين التاء أى احتراز من الحرام واحتفاظ على الحلال (رواه أحمد والبيهقى فى شعب الايمان) ولفظ الجامع صدق الحديث وحفظ الامانة وحسن الخلق وعفة مطعم رواه أحمد والطبرانى والحاكم والبيهقى عن ابن عمرو بلا واو والطبرانى عن ابن عمر وبالواو وابن عدى وابن عساكر عن ابن عباس (وعن مالك) أى الامام (قال بلغنى انه قيل للقمان الحكيم ما بلغ بك ما نرى يعنى الفضل) يحتمل ان يكون من كلام مالك أو غيره تفسيرا والمعنى يريد لقمان بما الموصولة فى قوله ما نرى الفضل وأما ما الاولى فهى استفهامية والمعنى أى شئ أوصلك هذه المرتبة التى نراها فيك من الفضيلة الزائدة على غيرك (قال صدق الحديث) أى ملازمة صدق الحديث قولا ونقلا (واداء الامانة) أى مالا وعملا (وترك ما لا يعنينى) أى ما لا ينفعنى حالا ومآلا (رواه) أى مالك (فى الموطا) أى عن مالك وقد تقدم بحث ذلك (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجىء) بالتأنيث ويجوز تذكيره أى تأتى (الاعمال) أى مجسمة لتحتج لاصحابها وتشفع لمراعيها أو تخاصم لمخالفيها وتاركيها (فتجىء الصلاة فتقول) أى بلسان القال ويمكن ان يكون لسان الحال وان المراد بالمجىء ظهور أثر الاعمال ونتيجة الافعال فى المآل (فتقول يارب أنا الصلاة) أى المبدوءة فى كتابك عن جميع الاعمال حيث قلت الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والمختومة منها بقولك والذين

وأنك قد استدبرت الدنيا منذ كنت واستقبلت الآخرة وان دارا تسير اليها أقرب اليك من دار تخرج منها رواه رزين وعن عبد الله بن عمرو قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أفضل قال كل مخموم القلب صدوق اللسان قالوا صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب قال هو التقى النقى لا اثم عليه ولا بغى ولا غل ولا حسد رواه ابن ماجه والبيهقى فى شعب الايمان وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربع اذا كن فيك فلا عليك ما فاتك الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة فى طعمة رواه أحمد والبيهقى فى شعب الايمان وعن مالك قال بلغنى انه قيل للقمان الحكيم ما بلغ بك ما نرى يعنى الفضل قال صدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنينى رواه فى الموطأ وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجىء الاعمال فتجىء الصلاة فتقول يارب أنا الصلاة

هم على صلاتهم يحافظون أولئك في جنات مكرمون وقيل التقدير أنا المعروفة المشهورة بالفضل والمزية كما يقال أنا العالم ومنه قول القائل * أنا أبو النجم وشعري شعري * وقال الطيبي رحمه الله أي ان لي مرتبة الشفاعة لاني عماد الدين (فيقول) أي الرب (انك على خير) وهذا اوردها على أعلى وجه أي أنت ثابتة مستقرة على خير كقوله تعالى أولئك على هدى ولكن لست بمستقلة فيها ولا كافية في الاحتجاج وعلى هذا المنوال سائر الاعمال من الصدقة والصيام وبقية الافعال (فتجيء الصدقة فتقول يا رب أنا الصدقة فيقول انك على خير ثم يجيء الصيام) ولعل وجه تأخيره عن الصدقة في العقبى تأخير وجوبه عنها في الدنيا (فيقول يا رب أنا الصيام فيقول انك على خير ثم تجيء الاعمال) أي سائرها من الحج والجهاد وطلب العلم ونحوها (على ذلك) أي على هذا المنوال متفقة على هذا المقال (يقول) استئناف أو حال وكان مقتضى الظاهر فيقول (الله تعالى) وفي نسخة صحيحة عز وجل (انك) أي أيها العمل (على خير ثم يجيء الاسلام) أي الانقياد الباطن الموجب للانقياد الظاهر المعبر عنه بالايمان وعلى ترادفهما أصحاب الايقان وأرباب الاتقان (فيقول يا رب أنت السلام وأنا الاسلام) أي وبيننا مناسبة الاشتقاق الاسمية المعتبرة عند العلماء الرسمية والوصفية كما حقق في حديث الرحم شجنة من الرحمن فان المقتضى بذلك ان القاضي يدخل دارك دار السلام (فيقول الله تعالى انك على خير) أي خير عظيم لاشتمالك على دين وسيم (بك اليوم آخذ) بصيغة المتكلم أي آخذ بك من أؤاخذه بالعقوبة (وبك أعطي) أي من أسامحه بالمثوبة فانك أنت الاصل المدار عليه لك أمر الطاعة والمعصية (قال الله تعالى في كتابه ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وفيه اشارة لطيفة متضمنة لبشارة شريفة وهي أن من مات على الاسلام ليس من الخاسرين أبدا بل من المفلحين الناجين مآلا ومثالا وان أمر الطاعة والعبادة مع قوة الاسلام يرجى فيهما المسامحة نسأل الله العفو والعافية ونعوذ بالله من دركات الهاوية (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان لنا ستر) بكسر السين أي شيء يستر به الجدار أو باب الدار (فيه تماثيل طير) أي تصاوير طيور أو طير (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا عائشة حوليه) أي غيريه بتبديله أو تنقيله (فاني اذا رأيته ذكرت الدنيا) وفي هذا التعليل دليل على ان الصور كانت صغيرة جدا أو قبل العلم بتحريم التصوير وامتناع دخول ملائكة الرحمة في مكانه مع الايماء الى ان رؤيته أسباب نعيم الاغنياء مما تذهب بحلاوة قلوب الفقراء وقد قال تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (وعن أبي أيوب الانصاري قال جاء رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عظني وأوجز) أي اختصر ودلني على المهم اقتصر (فقال اذا قمت) أي شرعت (في صلاتك فصل صلاة مودع) بكسر الدال المشددة أي مودع لما سوى الله بالاستغراق في مناجاة مولاه أو المعنى صل صلاة من يودع الصلاة ومنه تحية الوداع أي اجعل صلاتك آخر الصلاة فرضا فحسن خاتمة عملك واقصر طول أملك لاحتمال قرب أجلك وقال الطيبي رحمه الله أي فأقبل على الله بشراشرك وودع غيرك لمناجاة ربك (ولا تكلم) بحذف احدى التاءين وفي نسخة باثباتهما أي لا تحدث (بكلام تعذر) بفتح التاء وكسر الذال أي تحتاج ان تعتذر (منه) أي من أجل ذلك الكلام (غدا) أي يوم القيامة والمعنى بقوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (وأجمع الاياس) بفتح الهمزة وكسر الميم ويجوز عكسه ومنه قوله تعالى فأجمعوا كيدكم فقد قرأ أبو عمرو بوصل الهمزة وفتح الميم من جمع يجمع والباقون بقطعها والكسر من أجمع بمعنى عزم على الامر او هما لغتان بمعنى الجمع فالمعنى اعزم على قطع اليأس أو أجمع خاطرك على قصد اليأس وترك الطمع (مما في أيدي الناس) أي قناعة بالكفاية المقدرة بالقسمة المحررة المقررة في قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا الى ان قال وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين وفي الحديث اشارة الى ان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس وان الغنى القلبي هو الاياس مما أيدي الناس وقال

فيقول انك على خير فتجيء الصدقة فتقول يا رب أنا الصدقة فيقول انك على خير ثم يجيء الصيام فيقول يا رب أنا الصيام فيقول انك على خير ثم تجيء الاعمال على ذلك يقول الله تعالى انك على خير ثم يجيء الاسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الاسلام فيقول الله تعالى انك على خير بك اليوم آخذ وبك أعطي قال الله تعالى في كتابه ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وعن عائشة قالت كان لنا ستر فيه تماثيل طير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة حوليه فاني اذا رأيته ذكرت الدنيا وعن أبي أيوب الانصاري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عظني وأوجز فقال اذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع ولا تكلم بكلام تعذر منه غدا واجمع الاياس مما في أيدي الناس

الطيبي رحمه الله أى أجمع رأيك على اليأس من الناس وصمم عليه وهو من قوله تعالى فأجمعوا كيدكم قال والظاهر أن الاياس وقع موقع اليأس سهوا من الكاتب لان الاياس مصدر آسه اذا أقنطه وايس مصدر أيس مقلوب يئس لان مصدر المقلوب يوافق الفعل الاصلى لا المقلوب ويمكن أن يقال انه من آيس نفسه مما فى أيدى الناس ايئاسا فخفف الهمزة أى بالنقل والحذف انتهى وفى القاموس أيس منه كسمع اياسا قنط فبطل تخطئته الرواة الحفاظ المعتمدين على ذوات الصدور لا على ما فى السطور خصوصا وقد جاء هذا الحديث من طرق متعددة مصححة على ما ذكره ميرك نقلا عن المنذرى بعد قول المؤلف (رواه أحمد) أى عن أبى أيوب ولهذا الحديث شاهد من حديث سعد بن أبى وقاص قال جاء رجل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله أوصنى قال عليك بالاياس مما فى أيدى الناس واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاتك وأنت مودع واياك وما يعتذر منه رواه الحاكم والبيهقى فى الزهد وقال الحاكم واللفظ له صحيح الاسناد ورواه الطبرانى من حديث ابن عمر نحوه اه ومن المحال اتفاق الحفاظ والاصحاب على سهو وقع من أحد الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب (وعن معاذ بن جبل قال لما بعثه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لما أراد ارساله قاضيا أو عاملا (الى اليمن خرج معه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوصيه) بالتخفيف ويشدد (ومعاذ راكب) أى بأمره (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى تحت راحلته) أى تواضعا لله وتلطفا للمؤمنين ومنه يؤخذ استحباب مشايعة الاصحاب (فلما فرغ) أى من الوصية (قال يا معاذ انك عسى ان لا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك ان تمر بمسجدى هذا وقبرى) أى مع قبرى على ان الواو بمعنى مع ذكره الطيبي رحمه الله والظاهر انه عطف على مسجدى والتقدير ان تمر بمسجدى هذا وبقبرى أيضا وأبهمه لعدم ظهوره حينئذ على ما لا يخفى ثم اعلم ان عسى معناه الترجى فى المحبوب والاشفاق فى المكروه وقد اجتمعا فى قوله تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وأما لعل فمعناه التوقع وهو ترجى المحبوب والاشفاق من المكروه ونحو لعل الحبيب واصل ولعل الرقيب حاصل ويختص بالممكن بخلاف ليت فانه يستعمل فى المحال نحو ليت الشباب يعود فاستعمال عسى ولعل فى الحديث بالمعنيين الاخيرين على ما هو الظاهر المتبادر ثم فى المغنى يقترن خبر لعل بأن كثيرا حملا على عسى كقوله

لعلك يوما أن تلم ملمة * عليك من اللائى يدعنك أجدعا

وقال الطيبي رحمه الله استعمال لعل على الحقيقة لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم راغبا لقاء الله تعالى وادخل ان فى الخبر تشبيها لعل بعسى تلويحا الى قوله عز وجل عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (فبكى معاذ جشعا) بفتح الجيم والشين المعجمة أى جزعا وفزعا فى النهاية الجشع الجزع لفراق الالف فقوله (لفراق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) للتأكيد أو للتجريد (ثم التفت) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن معاذ (فأقبل بوجهه نحو المدينة) تفسير للالتفات ولعل وجه الالتفات بادارة وجهه الشريف عن معاذ لئلا يرى بكاءه ويصير سببا لبكائه عليه الصلاة والسلام ويشتد الحزن فى ذلك المقام مع الايماء بانه لا بد من المفارقة فى الدنيا والمواجهة فى العقبى فلا يعلو وصاه قولا وحيث بين فيه انك تفارقنى وتفارق المدينة وترى المدينة ولا ترانى وأشار الى أن مجمع الانبياء والاتقياء فى دار البقاء (فقال ان أولى الناس بى) أى بشفاعتى أو أقرب الناس الى منزلتى (المتقون من كانوا) جمع باعتبار معنى من والمعنى كائنا من كان عربيا أو عجميا أبيض أو أسود شريفا أو وضيعا (وحيث كانوا) أى سواء كانوا بمكة والمدينة أو باليمن والكوفة والبصرة فسره فانظر الى رتبة أويس القرنى باليمن على كمال التقوى وحالة جماعة من أكابر الحرمين الشريفين من حرمان المنزلة الزلفى بل من ايصال ضررهم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى من بعض ذوى القربى وحاصله أنه لا يضرك بعدك الصورى منى مع وجود قربك المعنوى بى فان العبرة بالتقوى كما يستفاد من اطلاق قوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم من غير اختصاص بمكان أو زمان أو نوع انسان

وعن معاذ بن جبل قال لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى تحت راحلته فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى ان لا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك ان تمر بمسجدى هذا وقبرى فبكى معاذ جشعا لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال ان أولى الناس بى المتقون من كانوا وحيث كانوا

فليه تعريض على مراعاة التقوى المناسبة للوصية عند المفارقة الصغرى والكبرى وقد قال تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله مع ما فيه من التسلية لبقية الأمة الذين لم يدركوا زمن الحضرة ومكان الخدمة هذا الذي سنح لي في هذا المقام من حل الكلام على ظهور المرام وقال الطيبي رحمه الله لعل الالتفات كان تسلية لمعاذ بعد ما نعى نفسه اليه يعني اذا رجعت الى المدينة بعدي فاقتد باولى الناس بي وهم المتقون وكنى به عن أبي بكر الصديق ونحوه حديث جبير بن مطعم ان امرأة أتت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فكلمته في شيء فامرها أن ترجع اليه فقالت يارسول الله أرأيت ان جئت ولم أجدك كأنها تريد الموت قلت والذي ظن أنه المراد خلاف الادب على ما هو المتبادر بل الظاهر أنها تريد عدم وجوده في المدينة أو البيت قال فان لم تجديني فاتي أبا بكر قال وفيه دليل على أنه رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده وقائم مقامه قلت لما لم يكن صريحا في المدعى لاحتمال أن القضية تتعلق بأبي بكر رضي الله تعالى عنه صرح العلماء بأنه لا نص في أمر الخلافة لا على الصديق ولا على المرتضى (روى الاحاديث الاربعة أحمد) أي في مسنده وأقل مراتب أسانيده أنه حسن (وعن ابن مسعود قال تلا) أي قرأ (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه) أي هداية الخاص الموصل الى مقام الاختصاص (يشرح صدره) أي يوسع قلبه (للاسلام) أي انشراحه على سبيل الاخلاص قال الطيبي رحمه الله أي يلطف به ويقذف النور فيه حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه قلت هذا معنى صحيح في نفس الامر لكنه غير ملائم لما سيجيء في تفسير شرح الصدر (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان النور) أي نور الهداية (اذا دخل الصدر انفسح) أي انشرح وتوسع بحيث يسعه قبول جميع شرائع الاسلام ويحلو في مذاقه مرارة قدره وقضاه من الاحكام وهذا القلب في الحقيقة عرش الرب الذي عبر عنه بالحديث القدسي لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن لان السفليات والعلويات ليس لهن قابلية ادراك الكليات والجزئيات المتعلقة بالذات والصفات ولهذا قال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآيات وهذا فيمن شرح الله صدره وأراد هدايته بخلاف غيره ممن يرد الله غوايته كما أخبر عنه بقوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء (فقيل يارسول الله هل لتلك) أي الخصلة كذا قيل والصواب هل لتلك الحالة المعبر عنها بالانفساح (من علم) أي علامة وأمارة ومن زائدة للمبالغة (تعرف) أي تلك الحالة وفي نسخة بالتذكير نظرا الى معناها وهو الانفساح (به) أي بذلك العلم حتى نقيس حالنا عليه ونرجع عند اختلاف الآراء اليه (قال نعم) أي فيه علم بل علامات وهي (التجافي) أي المبالغة والتكلف في البعد على طريق الزهد لتحصيل السعد (من دار الغرور) أي الدنيا الغرارة السحارة الغدارة المكارة كما قال تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها دار العناء والشقاء وان كان صورتها أنها النعماء كسراب بقيعة يحسبه الظمآن أنه الماء حتى اتبعهم فيها الملوك والامراء والاغنياء الاغبياء (والانابة) أي الرجوع والميل التام (الى دار الخلود) أي دار البقاء واللقاء (والاستعداد للموت) أي بالتوبة والمبادرة الى العبادة وصرف الطاقة في الطاعة (قبل نزوله) أي قبل حلول الموت أو ظهور مقدماته من المرض والهرم حيث لم يقدر حينئذ على تحصيل علم أو عمل ولا ينفعه الندم وكان هذا فذلكة لما قبله وهو العمدة لكونه مآله وما قبله انما هو باعث بطرفيه هنالك على اقدام السالك على ذلك (وعن أبي هريرة وأبي خلاد) بتشديد اللام قال المؤلف أبو خلاد رجل من الصحابة وقال ابن عبد البر لم أقف له على اسم ولا نسبة حديثه عند يحيى بن سعيد عن أبي فروة عن أبي خلاد قال اذا رأيتم المؤمن قد أعطي زهدا في الدنيا وقلة منطق فاقربوا منه فانه يلقي الحكمة وفي رواية مثله ولكن بين أبي فروة وأبي خلاد أبو مريم وهذا أصح انتهى ففيه اشارة الى الخلاف في ان هذا الحديث منقطع أو متصل وانه أراد رواية مثله ما ذكره المصنف بقوله (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا رأيتم العبد يعطى زهدا) أي قلة رغبة

روى الاحاديث الاربعة أحمد وعن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يارسول الله هل لتلك من علم يعرف به قال نعم التجافي من دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وعن أبي هريرة وأبي خلاد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم العبد يعطى زهدا

(في الدنيا وقلة معاش) أي في اللهو والهوى (فاقتربوا منه) أي اطلبوا القرب منه ولتميلوا الى مجالسته القربى الى المولى (فانه يلقى) بتشديد القاف المفتوحة وفي نسخة بتخفيفها أي يلقن ويؤتى (الحكمة) أي الموعظة المطابقة للكتاب والسنة لقوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب والحكمة في الحقيقة اتقان العلم والعمل على سبيل الشريعة والطريقة وصاحبها الحكيم حديث من أخلص لله أربعين صباحا ظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فهو العالم العامل الخالص الكامل يكون مرشدا مكملا فيجب على كل أحد أن يطالب مجالسته ويحصل محادثته قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين أي قالا وحالا وقال بعض العارفين اصحبوا مع الله فان لم تطيقوا فاصحبوا مع من يصحب مع الله وعلامة صحة أحواله بعد تصحيح أقواله وأفعاله ما تقدم في الحديث السابق من علامة انشراح الصدر بحيث تؤثر صحبته في جميع الامر ويزهد أصحابه في الدنيا وتوابعها من تحصيل المال والجاه زيادة على قدر الحاجة الموصلة الى دار العقبى بل يجعلهم فارغين عن أمور الكونين على ما أشار اليه خلع لعلين غائبين عن السوى حاضرين في حضرة المولى ذاهلين عن مراقبة الفناء واصلين الى مشاهدة البقاء حاصلين في الجنة العاجلة على لذة اللقاء فهذا العارف حينئذ خليفة الانبياء وقائم مقام الاولياء الاصفياء رزقنا الله رؤيته وخدمته وصحبته (رواهما) أي الحديثين (البيهقي في شعب الايمان) والحديث الاول منهما أخرجه ابن المبارك في الزهد والفريابي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات عن أبي جعفر المدايني رجل من بني هاشم وليس هو محمد بن علي قال سئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم ذكرا للموت وأحسنهم لما بعده استعدادا قال وسئل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح له قالوا فهل لذلك من أمارة يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت وفي رواية قبل نزول الموت وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام يقول يوسع قلبه للتوحيد والايمان به ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يقول شاكا كأنما يصعد في السماء يقول كما لا يستطيع ابن آدم أن يبلغ السماء فكذلك لا يقدر على أن يدخل التوحيد والايمان قلبه حتى يدخله الله في قلبه وللحديث في الدراية ثور طرق كثيرة والله تعالى أعلم

(باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي صلى الله تعالى عليه وسلم)

المراد بالفضل هنا زيادة الاجر والثواب لا فضيلة المال وزيادة تحسين الثياب وقوله وما كان من عيش النبي أي معيشته وفي نسخة من عيش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على فضل الفقراء على ما لا يخفى ونكتة الجمع بينهما أنه عليه الصلاة والسلام كان عيشه عيش الفقراء كأكثر الانبياء والاولياء وكفى به فضلا للفقراء على الاغنياء وان خفي هذا الامر على بعض الاغنياء ممن ادعى أنه من العلماء

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رب أشعث)* أي رب رجل أشعث أي متفرق شعر رأسه (مدفوع) بالجر (بالابواب) أي ممنوع منها باليد أو اللسان والمعنى أنه لا يدخله أحد في بيته لو فرض وقوفه على بابه من غاية حقارته في نظر الناس وذلك لما أراد الله ستر حاله عن الخلق لئلا يحصل له بالغير شيء من الاستئناس فحفظه من الوقوف على أبواب الظلمة وأكل الحرام كما يحمي أحدنا المريض عن استعمال الطعام فلا يحضر الابواب ولا يسأل عما سواه من كمال غناه وليس المراد منه أنه يأتي أبواب أرباب الدنيا فيطردونه عنها ويدفعونه عن دخوله منها فان الاولياء محفوظون عن هذه المذلة وان كان قد يقع لبعضهم من اختيار أرباب الملامة أو ممن صدر عنه لذة

في الدنيا وقلة معاش فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة رواهما البيهقي في شعب الايمان

(باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي صلى الله عليه وسلم)

(الفصل الاول) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعث مدفوع بالابواب

ولعل في بعض النسخ مرفوع بالراء حتى قال القاضي البيضاوي رحمه الله الاشعث هو المغبر الرأس المتفرق الشعر وأصل التركيب هو التفرق والانتشار والصواب مدفوع بالدال أي يدفع عن الدخول على الاعيان والحضور في المحافل فلا يترك أن يلج الباب فضلا أن يحضر معهم ويجلس فيما بينهم (لو أقسم على الله) أي على فعله سبحانه بان حلف ان الله يفعل كذا أو لا يفعله (لابره) أي اصدقه وصدق يمينه وأبره فيها بان يأتي بما يوافقه كما وقع لانس بن النضر في قوله والله لا تكسر ثنيتها بعد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كتاب الله القصاص فرضوا أهلها بالدية بعدما أبوا عليها وقال القاضي أي لو سأل الله شيأ وأقسم عليه ان يفعله لم يخيب دعوته فشبه اجابة المنشد والمقسم على غيره بوفاء الحالف على يمينه وبره فيها وقال شارح قيل معناه لو أقسم على الله بان يقول اللهم اني أقسم عليك بجلالك أن تفعل كذا ولا يستقيم هذا المعنى في هذا الموضع لانه قال لابره أي صدقه ولا مدخل للصدق والكذب في مثل هذا اليمين فيدخلها الابرار قلت اللهم الا أن يقال المعنى صدق رجاءه ووافق دعاءه (رواه مسلم) وكذا أحمد وفي رواية الحاكم وأبي نعيم في الحلية عنه بلفظ رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لابره (وعن مصعب بن سعد) أي ابن أبي وقاص القرشي سمع أباه وعلي بن أبي طالب وابن عمر روى عنه سماك بن حرب وغيره (قال رأى سعد) أي ظن أو توهم (ان له فضلا) أي زيادة فضيلة أو مثوبة من جهة الشجاعة أو السخاوة أو نحوهما (على من دونه) أي من الفقراء والضعفاء (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جوابا له واسماعا لغيره (هل تنصرون) أي على أعدائكم (وترزقون) أي الاموال من الغنيمة وغيرها (الا بضعفائكم) أي الا ببركة وجود ضعفائكم ووجود فقرائكم فهم بمنزلة الاقطاب والاوتاد لثبات العباد والبلاد وحاصله انه انما جعل النصر على الاعداء وقدر توسيع الرزق على الاغنياء ببركة الفقراء فاكرموهم ولا تتكبروا عليهم فانهم أهل سلوك المحبة على أضيق المحجة وملوك الجنة في أعلى مراتب العزة وقال الطيبي رحمه الله قوله ان له فضلا أي شجاعة وكرما وسخاوة فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم بان تلك الشجاعة ببركة ضعفاء المسلمين وتلك السخاوة أيضا ببركتهم وابرزه في صورة الاستفهام ليدل على مزيد التعزير والتوبيخ (رواه البخاري) ورواه أبو نعيم في الحلية عنه بلفظ هل تنصرون الا بضعفائكم بدعوتهم واخلاصهم (وعن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قمت على باب الجنة) أي ليلة المعراج أو في المنام أو حالة كشف المقام أو بطريق دلالة المرام (فكان عامة من دخلها) أي أكثرها وهي مرفوعة وقيل منصوبة فيعكس (المساكين) أي الفقراء والضعفاء (وأصحاب الجد) وفي الجامع واذا أصحاب الجد بفتح الجيم أي أرباب الغنى من المؤمنين الاغنياء والامراء (محبوسون) أي موقوفون يوم القيامة في الصحراء وخلاصته ان أصحاب الحظ الفاني من أرباب الاموال والمناصب محبوسون في العرصات لطول حسابهم في المتاعب بسبب كثرة أموالهم وتوسيع جاههم وتلذذهم بما في الدنيا وتنعمهم على وفق شهوات النفس والهوى فان حلال الدنيا له حساب وحرامها عقاب والفقراء من هذا برآء فلا يحاسبون ولا يحبسون بل قبل الاغنياء بأربعين خريفا في الجنة يدخلون مكافأة لهم في العقبى لما فاتهم من الدنيا (غير ان أصحاب النار) أي الكفار (قد أمر بهم الى النار) قال الطيبي رحمه الله أي يساق الكفار الى النار ويوقف المؤمنون في العرصات للحساب والفقراء هم السابقون الى الجنة لفقرهم أي من غير وقوف في العرصات وفي الجامع الا أصحاب النار فقد أمر بهم الى النار وخلاصته ان غير بمعنى لكن والمعنى ان أصحاب الجنة جعلوا قسمين محبوسين ومدخلين ولكن أصحاب النار جعلوا قسما واحدا أمر بادخالهم النار (وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها) أي أكثر من دخلها مع الكفار (النساء) لكثرة ميلهن الى الدنيا ولمنعهن الرجال عن طريق العقبى (متفق عليه) ورواه أحمد والنسائي عنه (وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اطلعت في الجنة) أي أشرفت عليها لقوله تعالى لو اطلعت عليهم ففي بمعنى على كقوله

لو أقسم على الله لابره رواه مسلم وعن مصعب بن سعد قال رأى سعد ان له فضلا على من دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم رواه البخاري وعن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير ان أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء متفق عليه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلعت في الجنة

فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء متفق عليه وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا رواه مسلم وعن سهل بن سعد قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رأيك في هذا فقال رجل من أشراف الناس هذا والله حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال ان لا يسمع لقوله

تعالى لاصلبنكم في جذوع النخل وحاصله نظرت اليها واوقعت الاطلاع عليها (فرأيت) أي علمت (أكثر أهلها الفقراء) وقال الطيبي رحمه الله تعالى ضمن اطلعت بمعنى تأملت ورأيت بمعنى علمت ولذا عداه الى مفعولين ولو كان الاطلاع بمعناه الحقيقي لكفاه مفعول واحد انتهى وفيه انه لم يتعد هنا الى مفعولين كما لا يخفى (واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء متفق عليه) هذا الحديث رواه البخاري من حديث عمران بن حصين ومن حديث أبي هريرة أيضا ورواه مسلم من حديث ابن عباس ورواه الترمذي من حديث عمران وابن عباس كذا قال الشيخ الجزري وعلى هذا فقول المؤلف في آخر حديث ابن عباس متفق عليه لا يخلو عن تأمل ذكره ميرك وفيه ان مبناه على المسامحة حيث وقع الاتفاق على لفظ الحديث وان اختلف المروي عنه من الصحابة نعم كان حقه أن يقول رواه مسلم ورواه البخاري عن عمران بن حصين كما قال في الجامع بعد ايراد الحديث بعينه رواه أحمد ومسلم والترمذي عن ابن عباس والبخاري والترمذي عن ابن عباس والبخاري والترمذي عن عمران بن حصين (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء) أي من المهاجرين وغيرهم بالاولى ولذا أطلق الاغنياء وعلى هذا يقاس فقراء كل طائفة من أهل زمان ومكان على أغنيائهم (يوم القيامة) أي لمحاسبة الاغنياء وخلاص الفقراء عن المناقشات المفلس في أمان الله دنيا واخرى (الى الجنة) متعلق بيسبقون أي يسابقون ويبادرون اليها (باربعين خريفا) قال الطيبي رحمه الله نقلا عن النهاية الخريف الزمان المعروف بين الصيف والشتاء ويريد به أربعين سنة لان الخريف لا يكون في السنة الا مرة واحدة انتهى فالمعنى بمقدار أربعين سنة من أعوام الدنيا أو الاخرى مع احتمال ان يراد بها الكثرة ويختلف باختلاف أحوال الفقراء والاغنياء في الكمية والكيفية المعتبرة وخلاصته ان الفقراء في تلك المدة لهم حسن العيش في العقبى مجازاة لما فاتهم من التنعم في الدنيا كما قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية أي الماضية أو الخالية عن الأكل والشرب صياما أو وقت المجاعة وقد ورد على ما سبق ان أطول الناس جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا في الدنيا ويؤيد ما ذكرناه من تفاوت المراتب انه جاء في رواية ابن ماجه عن أبي سعيد بلفظ ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار خمسمائة سنة (رواه مسلم وعن سهل بن سعد قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده) الظاهر انه كان من الاغنياء ويكون في سؤاله وجوابه له تنبيه نبيه على فضل الفقراء (جالس) بالجر صفة رجل وفي نسخة بالرفع على انه فاعل الظرف أو خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ محذوف هو هو (ما رأيك في هذا) أي ما ظنك في حق هذا الرجل المار أتظنه خيرا أم شرا ذكره ابن الملك (فقال) أي الذي عنده (رجل) أي هو أو هذا يعني المار (من أشراف الناس) أي كبرائهم وعظمائهم (هذا) أي هذا الرجل بعينه أو هذا الشخص بجنسه أي مثل هذا الرجل (والله حري) على وزن فعيل وهو خبر هذا والقسم معترض بينهما أي جدير وحقيق (ان خطب الناس) أي طلب ان يتزوج امرأة (ان ينكح) بصيغة المجهول أي بان يزوجه اياها أهلها (وان شفع) أي لاحد عند الحكام أو الرؤساء في جانب العطاء أو دفع البلاء (ان يشفع) بصيغة المفعول مشددا أي تقبل شفاعته (قال) أي الراوي (فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي عن الجواب ولم يذكر ما تقتضيه المحاورة من الخطاب (ثم مر رجل) أي آخر (فقال له) أي للرجل الذي عنده (ما رأيك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري) ترك القسم لاحتمال التخلف وأما تأكيد الحكم به سابقا فللمبالغة في تحقق الظن فيه والمعنى هذا الائق (ان خطب ان لا ينكح وان شفع أن لا يشفع وان قال) أي بكلام ولو كان صدقا أو حقا (ان لا يسمع) بصيغة المجهول ونائب الفاعل قوله (لقوله) والمعنى ان أحدا لا يسمع لكلامه ولا يلتفت اليه من غاية فقره وقلة نظام أمره * في غرائب ما يحكى ان رجلا غريبا فقيرا رافق شخصا مالكا بعيرا وحمله حملا ثقيلا فقال ما حملك هذا وما حملك على هذا قال عدل منه حب الطعام وعدل آخر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الارض مثل هذا متفق عليه وعن عائشة قالت ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى

على من البطحاء بمقتدل النظام قال الفقير له لو تركت البطحاء وقصمت الحب في الغدلين متناصفين لحب جالك وركبت جمالك فقال بارك الله فيك لماصد ومن ذلك فاطاعه فجب ابينه وركب على وجه عينه فسأله هل أنت بهذا العقل كنت في بلادك سلطانا فقال لا فقال فوزيرا فاميرا فتاجرا فرئيسا فصاحب ابل وصاحب خيل أو غنم أو زراعة ونحو ذلك فيقول لا فقال أكنت في بلادك فقيرا على هذا الحال وحقيرا على هذا المنوال فقال نعم فقال أنت شوم وجهلك شوم ومن يصحبك أيضا شوم ونزل عن بعيره وأمر على تغييره من سوء تدبيره ومثل هذا مشاهد في العالم كثيرا مثلا اذا كان العالم فقيرا والشيخ اذا كان حقيرا حيث لا يلتفت أحد الى كلامه ولا يعظم على قدر مقامه بخلاف العالم والشيخ اذا كان مشهورا وعلم جاهه بين العوام منشورا فانه يقبل قوله ويتبع فعله ولو كان في نفس الامر ناقصا في علمه أو عمله والله ولي دينه وناصر نبيه ومن هذا القبيل قول أهل الجاهلية في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان تاركا للمال والجاه على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وأرادوا بالقريتين مكة والطائف كان كل أهل قرية قالوا هذه المقالة نافي الشرا اعتمادا على معرفة تلك الحالة فقال تعالى ردا عليهم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا الآيات (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا) أي هذا الرجل وحده وكذا أمثاله (خير من ملء الارض مثل هذا) أي مثل الرجل الاول ووجهه والله تعالى اعلم ان الفقير لصفاء قلبه أقرب الى قبول أمر ربه والوصول الى مرتبة حبه بخلاف الاغنياء الاغبياء فان لهم الطغيان والاستغناء والتكبر والخيلاء وقد قال الله تعالى ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وهذا أمر مشاهد مرئي في تلامذة العلماء ومريدين الصلحاء والتابعين أولا للانبياء بل السابقين الى العبادات من الصلوات وغيرها حتى الحج الذي لم يجب الا على الاغنياء فالفائزون به لاسيما على وجه الاخلاص المبرا عن الاغراض الفاسدة والمكاسب الكاسدة انما هم الفقراء هذا وقال شارح مثل منصوب على التمييز من ملء الارض ويؤيده قول الطيبي رحمه الله وقع ملء الارض مفضلا عليه باعتبار تمييزه وهو قوله مثل هذا لان البيان والمبين شيء واحد انتهى ويمكن أن يكون نصبه بنزع الخافض ويؤيده انه وقع في بعض النسخ بالجر أي من مثل هذا الرجل الاول لكن النسخ المصححة من نسخة السيد وغيرها على الاول فهو المعول ولا يغرك قول ابن حجر مثل هذا بكسر اللام ويجوز فتحها ثم المراد من الرجل الاول المعبر عنه بانه من أشراف الناس واحد من أغنياء المؤمنين وانما عبر عن الخاص بلفظ العام للمبالغة في تحصيل المرام فان الغني يغير الخواص والعوام ولا يتوهم ان المراد بالرجل الاول أحد من الكفار لعدم انتظام الكلام حينئذ في قوله عليه الصلاة والسلام هذا خير بمعنى أفضل منه اذ لا فاضلة بين الكفار وأهل الاسلام لانه لا خير في كفار الانام حتى قال بعض العلماء الاعلام ان من قال النصراني خير من اليهودي يخشى عليه الكفر اذا اثبت الخير فيمن لا خير فيهم وانما لم يجزم بكفره لانه قد يقصد بالخير انه أقرب الى الحق ولذا قال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى كما انه قد يقصد بالخير مجرد زيادة الحسن ومنه قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا لكن ايراد الحديث في هذا الباب يدل على ان ما ذكرناه هو الصواب وهو لا ينافي ما ذكره الغزالي ان عذاب الكافر الفقير الذي أخف من الكافر الغني فاذا كان الفقر ينفع الكافر في النار فما ظنك بنفعه للابرار في دار القرار (متفق عليه وعن عائشة قالت ما شبع آل محمد) اي أهل بيته من حرمه وخدمه (من خبز الشعير) فمن البر بالاولى (يومين متتابعين) أي بل ان حصل الشبع يوما وقع الجوع يوما بناء على ما اختاره صلى الله تعالى عليه وسلم حين عرض عليه خزائن الارض وان يجعل جبال مكة ذهبا فاختار الفقر قائلا أجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر لان الايمان نصفان نصفه شكر ونصفه صبر كما قال تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أي لكل مؤمن كامل بالوصفين عالم وعامل (حتى) أي استمر عدم الشبع

على الوجه المذكور حتى (قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا من الشعير وفيه رد على من قال صار صلى الله تعالى عليه وسلم في آخر عمره غنيا بما وقع من المال كثير في يده لكنه ما أمسكه بل صرفه في مرضاة ربه وكان دائما غني القلب بغنى الرب (متفق عليه) ورواه الترمذي في شمائله وروى عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا أي جائعا هو وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير وبهذا الحديث تبين ان أحدا في زماننا من الفقراء ما يعيش عيشه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أفضل الانبياء ففي فعله صلى الله عليه وسلم تسلية عظيمة للفقراء كما ان في قوله توصية جسيمة للاغنياء فهو رحمة للعالمين وامام للعالمين العاملين (وعن سعيد) وفي نسخة أبي سعيد وهو خطأ مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة على ما صرح به بعضهم وقال هو سعيد بن أبي سعيد المقبري واسم أبي سعيد كيسان وكان يسكن عند مقبرة فنسب اليها انتهى ولم يذكرهما المؤلف في أسمائه ثم قوله (المقبري) بفتح ميم وسكون قاف وضم موحدة وبفتح وبكسر نسبة الى موضع القبور والمراد أبو سعيد وابنه سعيد كذا في أنساب المغني (عن أبي هريرة انه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية) اسم مفعول من صلى يصلي وزن مرمية أي مشوية (فدعوه) أي أبا هريرة الى أكلها (فأبى ان يأكل) أي فامتنع من أكله (وقال) أي معتذرا (خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير رواه البخاري وعن أنس انه مشى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بخبز شعير) أي مصحوبا به (واهالة) بكسر الهمزة كل دهن يؤتدم به (سنخة) بفتح سين مهملة وكسر نون وفتح خاء معجمة بعدها هاء أي متغيرة الريح لطول المكث في النهاية قيل الاهالة ما أذيب من الالية والشحم وقيل الدسم الجامد والسنخة المتغيرة الريح (ولقد رهن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم درعا له بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيرا) أي مقدارا معينا من الشعير (لاهله) أي لاهل بيته ولعل وجه الاخذ منه لتكون اشارة بالغة عليه أو سترا لحاله عن الصحابة لكن أو لئلا يثقل عليهم فيعطوا استحياء ولم يأخذوا منه وقت العطاء ربما والاظهر انه مبالغة في تنزهه صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلب الاجر من الامة ولو صورة حيث قال قل لا أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على الله ونظيره ما وقع لامامنا الاعظم رحمه الله حيث لم يقف في ظل جدار من كان يطالبه بدين معللا بحديث كل قرض جر منفعة فهو ربا وقد روي ان الامام حمزة أحد الائمة القراء السبعة الذي قال الشاطبي رحمه الله في حقه من المنقبة

وحمزة ما أزكاه من متورع * اماما صبورا للقرآن مرتلا

كان لا يأخذ أجرا على الاقراء لانه تمذهب بحديث التغليظ في أخذ الاجرة عليه أو من كمال تورعه حتى عرض تلميذه عليه ماء في يوم حر فأبى وقيل انه وقع في بئر فكل من جاء ليستخرجه منها سأله هل قرأت علي فيقول بلى فيمتنع ان يستعين به الى الخروج من الخلال الى الملا وأهل الكوفة كلهم كانوا تلامذته فعجز واحتى رأوا أعرابيا فأتاه فخرجه منها بعد ان بين له انه قط ما قرأ عليه ولا سمع ممن يقرأ لديه (ولقد سمعته) قال الطيبي ضمير الفعول في سمعته عائد الى أنس والفاعل هو راوي أنس انتهى وتبعه ابن الملك وغيره من الشراح أي قال راوي الحديث عن أنس سمعت أنسا (يقول ما أمسى) أي لاذخيرة (عند آل محمد صاع بر) أي للقوت (ولا صاع حب) تعميم بعد تخصيص والمعنى انه لم يدخر في الليل للغد (وان عنده لتسع نسوة) بكسر الهمزة والجملة حالية وفي بعض الروايات وان عنده يومئذ لتسع نسوة وهذه الجملة من كلام الراوي قطعا لقوله عنده والتأويل بالالتفات مما لا يلتفت اليه ولا يعول عليه وانما الخلاف فيما قبله حيث قال بعضهم الحق ان الضمير المفعول راجع الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والقائل هو أنس كما صرح به الشيخ ابن حجر العسقلاني رحمه الله ويدل عليه رواية أحمد قال ولقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخ ويؤيده قوله ما أمسى عند آل محمد اذ لو كان من

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم متفق عليه وعن سعيد المقبري عن أبي هريرة انه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية فدعوه فأبى ان يأكل وقال خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير رواه البخاري وعن أنس أنه مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير واهالة سنخة ولقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعا له بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيرا لاهله ولقد سمعته يقول ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب وان عنده لتسع نسوة

كلام الراوي ناسب ان يقول عند آل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى أعلم (رواه البخاري وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير) بالاضافة أي على رمال من حصير قال شارح الرمال بكسر الراء وضمها جمع رميل بمعنى مرمول أي منسوج ويستعمل في الواحد وهذا من اضافة الجنس الى النوع كخاتم فضة والمراد بالحصير هنا المنسوج من ورق النخل انتهى وقيل الرمال ما نسج عودا وعودا والظاهر ان ضم الراء أشهر ولذا صاحب القاموس عليه اقتصر وقال رمال الحصير كغراب مرموله وفي النهاية الرمال ما رمل أي نسج قال الزمخشري ونظيره الحطام والركام لما حطم وركم وقال غيره الرمال جمع رمل بمعنى مرمول كخلق الله تعالى بمعنى مخلوقه والمراد انه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير ذكره الطيبي رحمه الله لكن كون المراد برمال الحصير شريط السرير بعيد عند الفقير بل الظاهر انه مضطجع على منسوج من حصير (ليس بينه) أي بين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وبينه) أي بين الحصير (فراش) أي لا من القطن ولا من الحرير (قد أثر الرمال بجنبه) أي من بدنه لاسيما عند كشفه من ثوبه (متكئا) أي حال كونه معتمدا (على وسادة) أي مخدة (من أدم) بفتحتين أي جلد (حشوها) أي محشو الوسادة (ليف) في القاموس ليف النخل بالكسر معلوم (قلت يا رسول الله ادع الله فليوسع) بكسر السين المشددة وسكون العين (على أمتك) أي فانهم لا يطيقون متابعتك في تحمل محنتك فربما ينفرون عن الميل الى ملتك (فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله) وكأن ابن الخطاب الناطق بالصواب الموافق رأيه للكتاب أخذ هذا المعنى من قوله تعالى ولولا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الآية ومفهومها انه ما وسع عليهم توسيعا كليا ولا ضيق على المؤمنين تضييقا كليا وان كان ذلك مقتضى ظاهر العدل من تقسيم الدارين بين الفريقين كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فالحكمة البالغة هي المانعة من ميل المؤمنين الى طريق الكافرين وهي الحالة الوسطى بالنسبة الى عموم الخلق وان كانت المرتبة العليا بالاضافة الى الخواص من الانبياء والاولياء كمال الزهد في الدنيا والقناعة باقل ما يتصور من متاعها ليكون تنعمهم تاما في العقبى (فقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أوفي هذا أنت) بفتح الواو بعد استفهام انكاري والمعطوف عليه مقدر أي أتقول هذا الكلام وأنت الى الآن في هذا المقام ولم يحصل لك الترقي الى فهم المرام وقيل قدم الاستفهام لصدارته والواو لمجرد الربط بين الكلام السابق واللاحق (يا ابن الخطاب) قيل في خطابه يا ابن الخطاب دون عمر ايذان بان الالتذاذ بطيبات الدنيا من خصال ذوي الجهل والعمى وكأنه يقول يا ابن ذلك المقيد بطيبات الدنيا الغافل عن نعيم دار العقبى (أولئك) أي فارس والروم وسائر الكفار (عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا) أي كما أخبر الله في كتابه انه ينكر عليهم يوم القيامة بخطابه حيث قال ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون هذا وقد قال الطيبي رحمه الله قوله فليوسع الظاهر نصبه ليكون جواب الامر أي ادع الله فيوسع واللام للتأكيد والرواية الجزم على أنه أمر للغائب كأنه التمس من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدعاء لامته بالتوسعة وطلب من الله الاجابة وكان من حق الظاهر ان يقال ادع الله ليوسع عليك فعدل الى الدعاء للامة اجلالا لمحله صلى الله تعالى عليه وسلم وابعاد المنزلة من رسخ للنبوة ان يطلب من الله تعالى هذا الدنيء الخسيس لنفسه النفيس ومع ذلك أنكر عليه هذا الانكار البليغ وقوله أوفي هذا مدخول الهمزة محذوف أي أتطلب هذا وفي هذا أنت وكيف يليق بمثلك ان يطلب من الله التوسعة في الدنيا (وفي رواية أما ترضى ان تكون لهم الدنيا) أي موسعة خاصة (ولنا الآخرة) أي مرضية خالصة (متفق عليه) وروى ابن ماجه الرواية

رواه البخاري وعن عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف قلت يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فقال أوفي هذا أنت يا ابن الخطاب أولئك عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وفي رواية أما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة متفق عليه

الاخيرة (وعن أبي هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة) وفي نسخة من أهل الصفة وهم كانوا
أربعمائة من المهاجرين تهيؤا لتعلم القرآن والخروج في السرايا للقتال أهل الطغيان وكان أبو هريرة
ناظرهم ونقيبهم ومتفقد حالهم ورقيبهم وكانوا يأوون في صفة آخر مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم وقد نزل
في حقهم للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من
التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا أي أصلا بل كانوا متوكلين ومتقنعين بالتقاط النواة
ونحوها من جهة الزاد للمعاش والمعاد وأما من جهة الكسوة فكما بينه أبو هريرة بقوله (ما منهم رجل
عليه رداء) ففي النهاية هو الثوب أو البرد الذي يضعه الانسان على عاتقه وبين كتفيه فوق ثيابه قال
السيد جمال الدين رحمه الله قوله فوق ثيابه خلاف ما عليه أئمة اللغة وانما الرداء هو الذي يستر أعالي
البدن فقط قلت ويؤيده قوله (اما ازار واما كساء) أي ازار واحد يستر عورته واما كساء واحد
يشتمل به كما بينه بقوله (قد ربطوا) أي طرفه (في أعناقهم) وحاصل المعنى انه لم يكن له ثوب ترديه بل
كان له اما ازار فحسب أو كساء فحسب وفي العدول عن ضمير المفرد الى الجمع في قوله قد ربطوا في أعناقهم حيث
لم يقل قد ربط في عنقه اشعار بان حال جميعهم كان على هذا المنوال كما فيه تنكير رجل واستغراق النفي مع
زيادة المبالغة بزيادة من في قوله منهم ثم تأنيث الضمير في قوله (فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ
الكعبين) مع انه راجع الى الكساء والازار باعتبار الجمعية في الاكسية والازر أو الاكسية وحدها لقربها
والمقايسة غيرها عليها ولها نظائر من قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين ومن
قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فان المفرد يدل على الجمع لا سيما
والمراد به الجنس الذي قد يعبر عنه بالتأنيث لدلالته على جمعية الجماعة كما قد يفرد باعتبار لفظه وهو المعنى
بقوله (فيجمعه) أي يجمع الرجل ذلك الثوب من الكساء أو الازار (بيده) لئلا يفترق أحد طرفيه
من الآخر (كراهة ان ترى عورته) أي في نظر غيره أو حال صلاته هذا وقد قال الطيبي رحمه الله التأنيث
باعتبار الجمعية في الاكسية والازر وتعدد المكتسين والافراد في بيده باعتبار الرجل المذكور (رواه
البخاري وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل
عليه) بصيغة المجهول من التفضيل أي زيد عليه (في المال والخلق) أي في الصورة أو في الخدم والحشم
وحاصله انه اذا رأى أحدكم من هو أكثر منه حشمة ومالا ولباسا وجمالا ولم يعرف ان له في الآخرة
وبالا (فلينظر الى من هو أسفل منه) بفتح اللام وبضم أي من هو دونه في الدنيا وأقل رتبة منه مالا
ومآلا وله في الآخرة الدرجة العليا مآلا وفي الحديث دلالة على ان حال أكثر الخلق هو الاعتدال ولو بحسب
الاضافة والانتقال فالسالك بالنظر الى حال طرفيه يحصل له حسن الحال وايماء الى ان المفضل على الخلق
كلهم من جميع الوجوه مثلا أو فرضا لا ينظر الى من تحته لئلا يحصل له العجب والغرور والافتخار والتكبر
والخيلاء بل يجب عليه ان يقوم بحق شكره على النعماء وأما من لم يكن تحته أحد في الفقر فينبغي ان
يشكر ربه حيث لم يبق له بالدنيا اهتمام لقلة غنائمها أو كثرة عنائها أو سرعة فنائها وخسة شركائها ولذا كان الشبلي
رحمه الله تعالى اذا رأى أحدا من أرباب الدنيا قال اللهم اني أسألك العفو والعافية في الدنيا والعقبى ويناسبه
ما حكي أن شخصا من الفقراء قام في مجلس واعظ من الاولياء وشكا انه لم يأكل كذا مدة في الخلا والملا
فقال الشيخ كذبت يا عدو الله فانه لا يعطي الجوع الشديد الا لاصفيائه وخاصة انبيائه وخلاصة أوليائه
ولو كنت منهم لما أظهرت هذه الشكاية واسترت عن الخلق هذه العناية وتجمل الحال وخلاصة المقال ان
المؤمن اذا سلم دينه من الخلل والزوال فلا يبالي بنقصان الجاه والمال وسائر المشقات الكائنة في الحال
والاستقبال كما روي ان صاحبا للغزالي ضرب وحبس فشكا اليه فقال اشكر فان البلاء قد يكون
أعظم من هذا ثم طرح في بئر من السجن فشكا اليه ورده بما سبق ثم أتي بيهودي يسهل كل ساعة و وضع

وعن أبي هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء اما ازار واما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهة ان ترى عورته رواه البخاري وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر أحدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو أسفل منه

معه سلاسل لسلته يحتاج كل نفس الى مراقبته ومصاحبته مع ضيق المكان وظلمة الزمان والعفونة في كل آن فشكا الى الامام من ضيق الصدر فامره بالشكر والصبر فاجاب جزعا أي بلاء أشد من هذا العذاب فقال الامام في الجواب هو ان يوضع في رقبتك طوق الكفر والحجاب و يسلب عنك صوب الصواب ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب (متفق عليه) ورواه أحمد (وفي رواية لمسلم) وقد أخرجها أحمد والترمذي وابن ماجه عنه أيضا مرفوعا (قال انظروا الى من هو أسفل منكم) أي دونكم رتبة (ولا تنظروا الى من هو فوقكم) أي مرتبة (فهو) أي النظر المذكور اثباتا ونفيا (أجدر) أي أحق وأولى (ان لا تزدروا نعمة الله عليكم) أي بعدم الازدراء والاحتقار لما قسم الله عليكم في هذه الدار فانه يظهر لكم بذلك النظر ان الله تعالى عليكم نعما كثيرة بالنسبة الى من دونكم أو نعما كثيرة حيث اختار لكم الفقر والبلاء وجعلكم من أهل الولاء وشبهكم بالانبياء والاولياء وخلصكم عن ظلم الامراء وظلمة الاغنياء الاغبياء

(الفصل الثاني) (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الفقراء) أي الصابرون وقيل ولو كانوا شاكين (الجنة قبل الاغنياء) أي الشاكرين (بخمسمائة عام) أي سنة (نصف يوم) بالجر على انه صفة فارقة أو بدل أو عطف بيان عن خمسمائة عام فان اليوم الاخروي مقدار طوله ألف سنة من سني الدنيا لقوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون فنصفه خمسمائة وأما قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فمخصوص من عموم ما سبق أو محمول على تطويل ذلك اليوم على الكفار كما يطوى حتى يصير كساعة بالنسبة الى الابرار كما يدل عليه قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير قال الاشرف فان قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق من قوله بأربعين خريفا قلت يمكن ان يكون المراد من الاغنياء في الحديث الاول أغنياء المهاجرين أي يسبق فقراء المهاجرين الى الجنة بأربعين خريفا ومن الاغنياء في الحديث الثاني الاغنياء الذين ليسوا من المهاجرين فلا تناقض بين الحديثين انتهى وفيه ان هذا انما يتم اذا أريد بالفقراء الخاص وبالاغنياء العام ولا يفهم حكم الفقراء من غير المهاجرين فالاولى حمل الحديث على معنى يفهم الحكم عموما وهو بان يقال المراد بكل من العددين انما هو التكثير لا التحديد فتارة عبر به وأخرى بغيره تفننا وما لهما واحد أو أخبر أولا بأربعين كما أوحي اليه ثم أخبر ثانيا بخمسمائة عام زيادة من فضله على الفقراء ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم أو التقدير بأربعين خريفا اشارة الى أقل المراتب وبخمسمائة عام الى أكثرها ويدل عليه ما رواه الطبراني عن مسلمة بن مخلد ولفظه سبق المهاجرون الناس بأربعين خريفا الى الجنة ثم يكون الزمرة الثانية مائة خريف انتهى فالمعنى ان يكون الزمرة الثالثة مائتين وهلم جرا وكأنهم محصورون في خمس زمر والله تعالى اعلم أو الاختلاف باختلاف مراتب أشخاص الفقراء في حال صبرهم ورضاهم وشكرهم وهو الاظهر المطابق لما في جامع الاصول حيث قال ووجه الجمع بينهما ان الاربعين أراد بها تقدم الفقير الحريص على الغني وأراد بالخمسمائة تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب فكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد وهذه نسبة الاربعين الى الخمسمائة ولا تظن ان هذا التقدير وأمثاله يجري على لسان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جزافا ولا باتفاق بل لسر أدركه ونسبة أحاط بها علمه فانه صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى (رواه الترمذي) وقال حسن صحيح ورواه ابن حبان في صحيحه قال المنذري ورجاله محتج بهم في الصحيح ورواه ابن ماجه بزيادة من طريق موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر (وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أحيني مسكينا) ولم يقل فقيرا لئلا يتوهم كونه محتاجا حقيرا ولذا قيل فيه دعاؤه اللهم اجعلني في نفسي صغيرا وفي أعين الناس كبيرا وأما المسكين فهو من مادة المسكنة

متفق عليه وفي رواية لمسلم قال انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم

(الفصل الثاني)

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام نصف يوم رواه الترمذي

وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أحيني مسكينا

وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فقالت عائشة لم يارسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة أحبي المساكين وقربيهم فان الله يقربك يوم القيامة رواه الترمذي والبيهقي في شعب الايمان و رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الى قوله في زمرة المساكين وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابغوني في ضعفائكم

وهو التواضع على وجه المبالغة ولو أفضى الى المذلة أو من السكون والسكينة وهو الوقار والاطمئنان والقرار تحت أحكام الاقدار ورضا بقضاء الجبار وقال بعضهم أي اجعلني متواضعا لا جبارا متكبرا وفيه تعليم الامة ليعرفوا فضل الفقراء فيحبوهم ويجالسوهم لينالهم بركتهم وفيه تسلية المساكين وتنبيه على علو درجاتهم ويجوز أن يراد بهذا أن يجعل قوته كفافا ولا يشغله بالمال فان كثرة المال في حق المقربين نوع من الوبال في خشية المآل وخشونة الحال (وأمتني) وفي رواية الحاكم وتوفني (مسكينا) دل على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على وصف المسكنة الى آخر العمر (واحشرني في زمرة المساكين) أي فريقهم وجماعتهم وفيه مبالغة لا تخفى لانه لو قال واحشرهم في زمرتي لكان لهم فضل كثير وعلو كبير ونظيره ما قال صلى الله تعالى عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم حيث لم يقل كفضل علي على أعلاكم هذا وقد مر بعض سلاطين الاسلام على طائفة من الفقراء والصلحاء الكرام فلم يلتفتوا اليه ولم يقبلوا عليه فقال من أنتم فقالوا نحن قوم محبتنا ترك الدنيا وعداوتنا ترك العقبى فجاوزهم وتجاوز عنهم وقال نحن لم نقدر على محبتكم ولا طاقة لنا على عداوتكم (فقالت عائشة رضي الله عنها لم يارسول الله) أي لاي شيء دعوت هذا الدعاء واخترت الحياة والممات والبعثة مع المساكين والفقراء دون أكابر الاغنياء (قال انهم) استئناف في معنى التعليل أي لانهم مع قطع النظر عن بقية فضائلهم وحسن أخلاقهم وشمائلهم (يدخلون الجنة قبل أغنيائهم) أي زمانا ومكانا ومكانة (بأربعين خريفا) والاكتفاء به لانه أقل موعود في مدة المسابقة كما علقة الحسنة بالعشرة في الطاعة (يا عائشة لا تردي المسكين) أي لا تردينه خائبا بل سائليه جوابا وآتيه أو احسني اليه قليلا أو كثيرا (ولو بشق تمرة) أي بنصفها أو بعضها أو رديه ردا جميلا أستحق به جزاء جزيلا ولذا لما وقف مسكين عندها وأعطته حبة عنب بقيت في يدها وعاتب المسكين عليها ولم يدر ما ألقى من الفهم اليها قالت قال تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره والحبة مشتملة على مقدار كذا من الذرة (يا عائشة أحبي المساكين) أي بقلبك (وقربيهم) أي الى مجالسك حال تحديثك (فان الله يقربك يوم القيامة) أي بتقريبهم تقربا الى الله سبحانه وتعالى (رواه) أي الحديث بكماله (الترمذي والبيهقي في شعب الايمان) أي عن أنس (وروى) وفي نسخة ورواه (ابن ماجه عن أبي سعيد الى قوله في زمرة المساكين) قال ميرك نقلا عن المنذري ورواه الحاكم أي عن أبي سعيد وزاد وان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة وقال صحيح الاسناد ورواه ابو الشيخ والبيهقي عن عطاء بن أبي رباح سمع أبا سعيد يقول أيها الناس لا يحملنكم العسر على طلب الرزق من غير حله فاني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين فان أشقى الاشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة قال أبو الشيخ زاد فيه غير أبي زرعة عن سليمان بن عبد الرحمن ولا تحشرني في زمرة الاغنياء قلت ان لم يكن دليل آخر غير هذا الحديث الشريف لكفى حجة واضحة وبينة لائحة على أن الفقير الصابر خير من الغني الشاكر وأما حديث الفقر فخري وبه افتخر فباطل لا أصل له على ما صرح به الحفاظ من العسقلاني وغيره وأما حديث كاد الفقر أن يكون كفرا فهو ضعيف جدا وعلى تقدير صحته فهو محمول على الفقر القلبي المؤدي الى الجزع والفزع بحيث يفضي الى عدم الرضا بالقضاء والاعتراض على تقسيم رب الارض والسماء ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد روي الفقر أزين على المؤمن من العذار الحسن على خد العروس رواه الطبراني عن شداد بن أوس وروي الفقر شين عند الناس وزين عند الله يوم القيامة رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس وروي الفقر أمانة فمن كتمه كان عبادة ومن باح به فقد قلد اخوانه المسلمين رواه ابن عساكر عن عمر (وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ابغوني) بهمزة قطع مفتوحة وفي بعض النسخ بهمزة وصل مكسورة أي اطلبوا رضائي (في ضعفائكم) أي فقرائكم

بالاحسان اليهم ولو من أغنيائكم بالمساعدة لهم (فانما ترزقون) أى رزقا حسيا أو معنويا (أو تنصرون) أى على الاعداء الظاهرة والباطنة واو للتنويع ويؤيده رواية الواو ويحتمل أن تكون أو للشك من الراوى (بضعفائكم) أى ببركة وجودهم واحسانهم اذ منهم الاقطاب والاوتاد وبهم نظام البلاد والعباد قال ابن الملك يعنى اطلبوا الى حفظ حقوقهم وجبر قلوبهم فانى معهم بالصورة فى بعض الاوقات وبالقلب فى جميعها الا أعلم من شرفهم وعظيم منزلتهم عند الله فمن أكرمهم فقد أكرمنى ومن آذاهم فقد آذانى انتهى ويؤيده الحديث القدسى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالحرب قال الطيبى رحمه الله قوله ابغونى بهمزة القطع والوصل يقال بغى يبغى بغاء اذا طلب وهذا نهى عن مخالطة الاغنياء وتعليم منه انتهى ويؤيده حديث اتقوا مجالسة الموتى قيل ومن الموتى قال الاغنياء وفى مختصر النهاية ابغنى كذا بهمز الوصل أى اطلبه لى وبهمز القطع أعنى على الطلب وفى القاموس بغيته طلبته وأبغاه الشئ طلبه له كبغاه اياه كرماه أو أعانه على طلبه (رواه أبو داود) وكذا الترمذى والنسائى وقال الترمذى حسن صحيح نقله ميرك عن التصحيح وفى الجامع بلفظ ابغونى الضعفاء فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم رواه أحمد والثلاثة والحاكم وابن حبان عنه (وعن أمية) بالتصغير (بن خالد بن عبد الله بن أسيد) بفتح فكسر لم يذكره المؤلف فى أسمائه ونقل ميرك عن التصحيح انه قال ابن عبد البر أمية بن خالد روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر هذا الحديث وقال ولا يصح عندى صحبته والحديث مرسل فان مرسل التابعى حجة عند الجمهور فكيف مرسل من اختلف فى صحة صحبته (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه كان يستفتح) أى يطلب الفتح والنصرة على الكفار من الله تعالى (بصعاليك المهاجرين) أى بفقرائهم وببركة دعائهم وفى النهاية أى يستنصر بهم ومنه قوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال ابن الملك بان يقول اللهم انصرنا على الاعداء بحق عبادك الفقراء المهاجرين وفيه تعظيم الفقراء والرغبة الى دعائهم والتبرك بوجوههم أقول ولعل وجه التقييد بالمهاجرين لانهم فقراء غرباء مظلومون مجتهدون مجاهدون فيرجى تأثير دعائهم أكثر من عوام المؤمنين وأغنيائهم والصعاليك جمع صعلوك كعصفور الفقير على ما فى القاموس (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) باسناده وحيث أطلقه وما بين ارساله دل على انه قال بصحبة الراوى واتصال سنده مع انه معتضد فى المعنى بما سبق من حديث انما تنصرون بضعفائكم ثم رأيت فى الجامع انه رواه ابن أبى شيبة والطبرانى عن أمية بن عبد الله ولفظه كان صلى الله تعالى عليه وسلم يستفتح ويستنصر بصعاليك المسلمين (وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تغبطن) بكسر الموحدة وتشديد النون المؤكدة (فاجرا) أى كافرا أو فاسقا (بنعمة) أى بنعمة هو فيها من طول عمر أو كثرة أولاد أو سعة مال وجاه بان تطلب زوالها عنه أو تريد مثلها لنفسك (فانك لا تدرى ما هو لاق) أى ملاق فى مقابلة تلك النعمة من النقمة والمحنة (بعد موته) أى فى القبر أو الحشر (ان له) أى للفاجر (عند الله قاتلا) أى مهلكا له أو معذبا عذابا شديدا من شأنه ان يقتل (لا يموت) أى لا يفنى ولا ينعدم ذلك القاتل بل موجود دائما ولا ينقطع أبدا (يعنى النار) قال الطيبى رحمه الله تعالى هذا تفسير عبد الله بن مريم راوى أبى هريرة كذا فى شرح السنة انتهى وقال الجزرى قيل قوله قائلا بهمزة مكسورة من القيلولة أى مقيلا باقيا يعنى تحشر معه النار وتقيل حيث قال وتبيت حيث بات وقيل هو بالتاء المثناة من فوق أى من تقتله أى النار (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) أى باسناده وفى الجامع رواه البيهقى فى الشعب عنه ولفظه لا تغبطن فاجرا بنعمة ان له عند الله قاتلا لا يموت (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن) أى حبسه وعذابه بالنسبة الى ما أعد الله له فى الآخرة من نعيمه وثوابه (وسنته) بفتحتين أى قحطه وشدة معيشته والدارى لا يخلو المؤمن من قلة أو علة أو ذلة وقد يجتمع للمؤمن الكامل جميع ذلك قال الطيبى رحمه الله السنة من الاسماء الغالبة للقحط وقال ابن عطاء ما دمت فى هذه الدار

فانما ترزقون أو تنصرون بضعفائكم رواه أبو داود وعن أمية بن خالد بن عبد الله بن أسيد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين رواه فى شرح السنة وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمة فانك لا تدرى ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت يعنى النار رواه فى شرح السنة وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وسنته

واذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة رواه فى شرح السنة وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمى سقيمه الماء رواه أحمد والترمذي وعن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اثنتان يكرههما ابن آدم يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة و يكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب

لا استغرب وقوع الا كذا أى بل استغرب بخلاف ذلك ان وقع شئ هنالك (واذا فارق الدنيا) أى المؤمن (فارق السجن والسنة) ولعل الجمع بينهما لدفع ما يتوهم ان السجن قد يكون فيه السعة كما قد يقع نادرا فدفع هذا الوهم قوله والسنة فيكون زيادته من باب التذييل والتكميل وأطلق فيما سبق من الحديث الصحيح اعتمادا على غالب الاحوال مع انه لا يخلو من نوع ضيق مكان و بطء رزق وتشتت البال ولو قام بخدمته الرجال (رواه فى شرح السنة) وقد أخرجه ابن المبارك والطبراني عنه قال ميرك رواه الحاكم فى صحيحه لكن فى سنده عبد الله بن أيوب المغافرى انتهى وقد سبق طرف هذا الحديث و بعض معانيه فى أول الباب والله تعالى أعلم بالصواب قال الامام الحافظ أبو القاسم الوراق ان قيل كيف يكون معنى الحديث وقد نرى مؤمنا فى عيش رغد وكافرا فى ضنك وتعب قلنا الجواب من وجهين احدهما ان الدنيا كالجنة للكافر فى جنب ما أعد الله له من العذاب فى الآخرة وانما كالسجن للمؤمن بالاضافة الى ما وعده الله له من الثواب فى الآخرة ونعيمها ولكافر يحب المقام فيها و يكره مفارقتها والمؤمن يتشوف الخروج منها و يطلب الخلاص من آفاتها كالمسجون الذى يريد ان يخلى سبيله الثانى ان يكون هذا صفة المؤمن المستكمل الايمان الذى قد عزف نفسه عن ملاذ الدنيا وشهواتها فصارت عليه بمنزلة السجن فى الضيق والشدة وأما الكافر فقد أهمل نفسه وامرحها فى طلب اللذات وتناول الشهوات فصارت الدنيا كالجنة له فى السعة والنعمة (وعن قتادة بن النعمان) بضم أوله قال المؤلف انصارى ظفرى بدرى شهد المشاهد كلها روى عنه أخوه من أمه أبو سعيد الخدرى وعمر ابنه وغيرهما مات سنة ثلاث وعشرين وله خمس وستون سنة وصلى عليه عمر وكان من فضلاء الصحابة (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا حماه الدنيا) أى حفظه من مال الدنيا ومنصبها وما يضر بدينه ونقصه فى العقبى قال الاشرف أى منعه عنها ووقاه من ان يتلوث بزينتها كيلا يمرض قلبه بداء محبتها (كما يظل) بفتح الظاء من ظل زيد صائما أى صار والمعنى كما يكون (أحدكم يحمى سقيمه) أى مريضه لاسيما اذا كان معه مرض الاستسقاء أوضعف المعدة ونحوهما مما يضره الماء فيمنعه (الماء) أى الذى لا يزيد مرضه بشربه ولا ينظر الى رأى العليل من طلب الماء وحبه مع ان الماء أرخص شئ غالبا فلا يتصور فيه البخل خصوصا بالنسبة الى المريض الذى يحن عليه كل أحد والحاصل ان الحكمة تقتضى ان المحبوب عند أهله وآله يكون ممنوعا من كل شئ يضره فى حاله (رواه أحمد والترمذي) ولفظ الجامع اذا أحب الله عبدا حماه الدنيا كما يحمى أحدكم سقيمه الماء رواه الترمذي والحاكم والبيهقى فى الشعب وفى رواية للبيهقى عن حذيفة بلفظ ان الله يحمى عبده المؤمن كما يحمى الراعى الشفيق غنمه عن مراتع الهلكة وهذا المعنى مقتبس من التنزيل وهو قوله أنت أرحم الراحمين (وعن محمود بن لبيد) بفتح فكسر قال المؤلف انصارى أشهلى ولد على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحدث عنه أحاديث قال البخارى له صحبة وقال ابو حاتم لا يعرف له صحبة وذكره مسلم فى التابعين فى الطبقة الثانية منهم قال ابن عبد البر والصواب قول البخارى فاثبت له صحبة وكان محمود أحد العلماء روى عن ابن عباس وعتبان بن مالك مات سنة ست وتسعين (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اثنتان) أى خصلتان (يكرههما) أى بالطبع (ابن آدم) أى وهما خير له كما بينه بقوله (يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة) قال ابن الملك الفتنة التى الموت خير منها هى الوقوع فى الشرك أو فتنة يسخطها الانسان ويجرى على لسانه ما لا يليق وفى اعتقاده ما لا يجوز وقال الراغب الفتنة من الافعال التى تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الافعال الكريهة قال الطيبى رحمه الله وقد تكون الفتنة فى الدين مثل الارتداد والاكراه على المعاصى واليه أشار بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون قات وقد أخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى عبد الله الصنابحى قال الدنيا تدعو الى فتنة والشيطان يدعو الى خطيئة ولقاء الله خير من الاقامة معهما (و يكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب) أى وأبعد من

العذاب (رواه أحمد) وكذا سعيد بن منصور في سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد وأخرج البيهقي في شعب الايمان عن زرعة بن عبد الله مرسلا ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يحب الانسان الحياة والموت خير لنفسه ويحب الانسان كثرة المال وقلة المال أقل لحسابه هذا وأخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير وابن المبارك في الزهد والبيهقي في شعب الايمان عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وأخرج المروزي في الجنائز وابن أبي شيبة في المصنف والطبراني عن ابن مسعود قال ذهب صفو الدنيا فلم يبق منها الا الكدر فالموت تحفة لكل مسلم وأخرج المروزي وابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال حبذا المكروهان الفقر والموت وأخرج أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود قال ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله تعالى وأخرج ابن أبي الدنيا عن جعفر الاحمر قال من لم يكن له في الموت خير فلا خير له في الحياة قلت وكذا من لم يكن له خير في الحياة فلا خير له في الممات وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وعبد الرزاق في تفسيره والحاكم في المستدرك والطبراني والمروزي في الجنائز عن ابن مسعود قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها من الحياة فان كان بارا فقد قال الله تعالى وما عند الله خير للابرار وان كان فاجرا فقد قال عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين (وعن عبد الله بن مغفل قال جاء رجل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اني أحبك) أي حبا بليغا والا فكل مؤمن يحبه (قال انظر ما تقول) أي تفكر فيما تقول فانك تدعي أمرا عظيما وتقصد خطبا جسيما (فقال والله اني لاحبك ثلاث مرات) ظرف لقال (قال ان كنت صادقا) أي في دعوى محبتي وعلى تحمل محنتي ولفظ الجامع ان كنت تحبني (فاعد) أي فهيئ (للفقر) أي بالصبر عليه بل بالشكر والميل اليه (تجفافا) بكسر الفوقية وسكون الجيم أي درعا وجنة وفي المغرب هو شيء يلبس على الخيل عند الحرب كأنه درع تفعال من جف لما فيه من الصلابة واليبوسة انتهى فتاؤه زائدة على ما صرح به في النهاية وفي القاموس التجفاف بالكسر آلة للحرب يلبسه الفرس والانسان ليقيه في الحرب فمعنى الحديث ان كنت صادقا في الدعوى ومحقا في المعنى فهيئ آلة تنفعك حال البلوى فان البلاء والولاء متلازمان في الخلاء والملاء ومجمله انه تهيأ للصبر خصوصا على الفقر لتدفع به عن دينك قوة يقينك ما ينافيه من الجزع والفزع وقلة القناعة وعدم الرضا بالقسمة وكنى بالتجفاف عن الصبر لانه يستر الفقر كما يستر التجفاف البدن عن الضر (للفقر) بلام مفتوحة وهي لام الابتداء (أسرع الى من يحبني من السيل) أي الماء الكثير (الى منتهاه) والمعنى انه لا بد من وصول الفقر بسرعة اليه ومن نزول البلايا والرزايا بكثرة عليه فان أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل خصوصا سيد الانبياء فيكون بلاؤه أشد من بلائهم ويكون لاتباعه نصيب على قدر ولائهم والمرء مع من أحب فيما يكره وأحب وفيه ان الفقر أشد البلايا لاشتماله على جميع المحن والرزايا كما مع مرارته في الدنيا ورث حلاوة في العقبى بزيد العطايا (رواه الترمذي) وكذا أحمد (وقال) أي الترمذي (هذا حديث حسن غريب وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد أخفت) مجهول ماض من الاخافة أي خوفت (في الله) أي في اظهار دينه (وما يخاف) بضم أوله أي مثل ما أخفت (أحد) أي غيري (ولقد أوذيت) أي بالفعل بعد التخويف بالقول (في الله) أي في سبيله وطريق رضاه (وما يؤذى أحد) أي خوفت وحدي وأوذيت بانفرادي وفائدة التقييد بالجملة الحالية في الجانبين ان أمره كان صعبا في تينك الحالتين فان البلية اذا عمت طابت وخلاصة المعنى انه حكاية حال لا شكاية بال بل تحدث بالنعمة وتوفيق بالصبر على المحنة الى ان تنتهي الى المنحة على ما تقتضيه المحبة وتسلية للامة لازالة ما قد يصيبهم من الغمة أي كنت وحيدا في ابتداء اظهاري للدين فخوفني في ذلك وآذاني الكفار الملاعين ولم يكن معي أحد حينئذ يوافقني في تحمل الاذى الا مساعدة المولى ومعاونة الرفيق الاعلى ثم بين انه كان مع ذلك كله في قلة الزاد وعدم

رواه أحمد وعن عبد الله ابن مغفل قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني أحبك قال انظر ما تقول فقال والله اني لاحبك ثلاث مرات قال ان كنت صادقا فاعد للفقر تجفافا للفقر أسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن أنس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد

الاستمداد بقوله (ولقد أتت) أي مضت (على ثلاثون من بين ليلة و يوم) أي من بين أوقات وهي الليلة
واليوم وقال الطيبي تأكيد للشمول أي ثلاثون يوما وليلة متواترات لا ينقص منها شيء من الزمان (ومالي)
أي والحال انه ليس لي (ولبلال طعام يأكله ذو كبد) بفتح فكسر وفي القاموس بالفتح والكسر وككتف
معلوم أي حيوان قال الطيبي أي ما مناطعام سواء كان مما يأكل الدواب أو الانسان (الاشيء) أي قليل
(يواريه) أي يستره ويغطيه (ابط بلال) بكسر الهمزة وسكون الموحدة وتكسر وفي الصحاح الابط
بسكون الباء ما تحت الجناح وفي القاموس الابط ما تحت المنكب وتكسر الباء وقد يؤنث والمعنى ان بلالا
كان رفيقي في ذلك الوقت وما كان لنا من الطعام الاشيء قليل بقدر ما يأخذه بلال تحت ابطه ولم يكن لنا ظرف
نضع الطعام فيه (رواه الترمذي) وفي الجامع بتقديم لقد أوذيت رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن
حبان عنه (وقال) أي الترمذي وفي نسخة قال (ومعنى هذا الحديث حين خرج النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم هاربا من مكة) أي فارا من الخلق الى الله كما قال تعالى ففروا الى الله وروى انه صلى الله تعالى
عليه وسلم خرج من مكة هاربا الى عبد ياليل بالطائف ليحميه من كفار مكة حتى يؤدي رسالة ربه فسلط عليه
صبيانه فرموه بالاحجار حتى أدموا كعبيه صلى الله تعالى عليه وسلم كذا ذكره بعضهم وفي المواهب اللدنية
أن خروجه عليه الصلاة والسلام الى الطائف كان بعد موت خديجة بثلاثة أشهر في ليال بقين من شوال
سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت أبي طالب وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهرا يدعو أشراف
ثقيف الى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه قال موسى بن عقبة ورجموا عراقيبه
بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء زاد غيره وكان اذا أذلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذونه بعضديه
فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا وفي
الصحيحين عن عائشة انها قالت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد
لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني
الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا بسحابة
قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبرائيل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث اليك
ملك الجبال لتأمره بما شئت فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وانا
ملك الجبال وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بامرك ان شئت أن أطبق عليهم الاخشبين وفي القاموس
هما جبلا مكة أبو قبيس والاحمر أو جبلا منى قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل أرجو أن يخرج
الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ وعبد ياليل بتحتانية بعدها ألف ولام مكسورة فتحتانية
ساكنة فلام ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام وكان عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من
ثقيف وقرن الثعالب هو ميقات أهل نجد ويقال له قرن المنازل وروى الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد
الله بن جعفر قال لما توفي أبو طالب خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم الى
الاسلام فلم يجيبوه فأتى تحت ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني
على الناس أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني
أي يلقاني بغلظة ووجه كريه على ما في النهاية أم الى صديق قريب كلفته أمري ان لم تكن غضبانا علي فلا
أبالي غير ان عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة
أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك ثم قوله (ومعه بلال) لا ينافي
كون زيد بن حارثة معه أيضا مع احتمال تعدد خروجه عليه الصلاة والسلام لكن أراد بقوله معه بلال انه
لم يكن هذا الخارج في الهجرة من مكة الى المدينة لانه لم يكن معه بلال حينئذ (انما كان مع بلال من الطعام
ما يحمل تحت ابطه) وهو كناية عن كمال قلته وخفة مؤنته (وعن أبي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله

ولقد أتت على ثلاثون
من بين ليلة و يوم ومالي
ولبلال طعام يأكله
ذو كبد الا شيء يواريه ابط
بلال رواه الترمذي
وقال ومعنى هذا الحديث
حين خرج النبي صلى الله
عليه وسلم هاربا من مكة
ومعه بلال انما كان مع
بلال من الطعام ما يحمل
تحت ابطه وعن أبي طلحة
قال شكونا الى رسول الله
صلى الله

تعالى عليه وسلم) وفي نسخة الى النبي (الجوع فرفعنا عن بطوننا) أي فكشفنا ثيابنا عنها كشفا صادرا (عن حجر حجر) أي لكل منا حجر واحد ورفع عنه فالتكرير باعتبار تعداد المخبر عنهم بذلك (فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن بطنه عن حجرين) قال الطيبي رحمه الله عن الاولى متعلقة برفعنا على تضمين الكشف والثانية صفة مصدر محذوف أي كشفنا عن بطوننا كشفا صادرا عن حجر ويجوز ان يحمل التنكير في حجر على النوع أي عن حجر مشدود على بطوننا فيكون بدلا وعادة من اشتد جوعه وخمص بطنه ان يشد على بطنه حجرا ليتقوم به صلبه انتهى وتوضيحه ان تعلق حرفي جر بمعنى لعامل في مرتبة واحدة غير جائز وأما تعلق الثاني بعد تقييد الاول فجائز كما تقرر في محله فكونه صفة مصدر محذوف ظاهر لا غبار عليه وأما تجويز البدل على انه بدل اشتمال باعادة الجار مع ان بدل الاشتمال لا يخلو عن ضمير المبدل فمبني على ان يراد بالحجر النوع والتقدير عن حجر مشدود عليها وكلام الطيبي رحمه الله يوهم ان القول بالبدل كلامه وقد نقل ميرك عن زين العرب انه قال بدل اشتمال كما تقول زيد كشف عن وجهه عن حسن خارق ثم قيل فائدة شد الحجر على البطن ان لا يدخل النفخ في الامعاء الخالية وان تحبس شد الامعاء اعانة على شد الصلب وقيل انما ربط الحجر على البطن لئلا يسترخي البطن وينزل المعى فيشق التحرك فاذا ربط حجرا على بطنه يشتد بطنه وظهره فيسهل عليه الحركة واذا اشتد الجوع يربط حجرين فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكثرهم جوعا وأكثرهم رياضة فربط على بطنه حجرين قال صاحب المظهر وهذا عادة أصحاب الرياضة وقال ابن حجر رحمه الله هذا عادة العرب أو أهل المدينة وقال صاحب الازهار في ربط الحجر على البطن أقوال أحدها ان ذلك احجار بالمدينة تسمى المشبعة كانوا اذا جاع أحدهم يربط على بطنه حجرا من ذلك وكان الله تعالى خلق فيه برودة تسكن الجوع والحرارة وقال بعضهم يقال لمن يؤمر بالصبر اربط على قلبك حجرا فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالصبر وأمر أمته بالصبر قالا وحالا والله تعالى أعلم (رواه الترمذي) أي في جامعه (وقال هذا حديث غريب) وهو ما يتفرد بروايته عدل ضابط من رجال النقل فان كان المنفرد بروايته متنه فهو غريب متنا أو بروايته عن غير المعروف عند من كان يعرف الحديث عن صحابي غير وبه عدل وحده عن صحابي آخر فهو غريب اسنادا وهذا هو الذي يقول فيه الترمذي غريب من هذا الوجه وقد صرح في الشمائل بقوله هذا حديث غريب من حديث أبي طلحة لا نعرفه الا من هذا الوجه انتهى فغرابته ناشئة عن طريق أبي طلحة لا من سائر الطرق مع انه قال ميرك رواته ثقات (وعن أبي هريرة انه أصابهم) أي الصحابة والظاهر انهم أصحاب الصفة (جوع) أي شديد والظاهر انه في سفر بعيد (فأعطاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تمرة تمرة) أي مقدارا قليلا من التمر بحيث عند توزيعه عليهم وتقسيمه اليهم وصل لكل واحد منهم تمرة واحدة اذ كانوا أربعمائة بل أكثر وربما وقعت البركة في تلك التمرة حتى كانت تمرتهم ارفع المحنة وحبتها انتجت المحبة التي فوق كل منحة (رواه الترمذي وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده) أي ابن عمرو على ما صرح به في الجامع (عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال خصلتان من كانتا فيه كتبه الله صابرا شاكرا) أي مؤمنا كاملا لقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وفي الحديث الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر فالصبر عن السيآت والشكر على الطاعات وزاد في الجامع ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا (من نظر في دينه) أي خصلة من نظر في أمر دينه من الاعمال الصالحة (الى من هو فوقه) أي الى من هو أكثر منه علما وعبادة وقناعة ورياضة أحياء وأمواتا (فاقتدى به) أي في الصبر على مشاق الطاعات وعن ارتكاب السيآت أو تأسف على ما فاته من الكمالات ويمكن أن يكون قوله من نظر استئنافا مبينا للصابر والشاكر المتضمن للخصلتين المبهمتين احداهما هذه والثانية مبينة بقوله (ونظر في دنياه الى من هو دونه) أي الى من هو أفقر منه وأقل منه مالا وجاها (فحمد الله على ما فضله الله عليه) أي فشكره

عليه وسلم الجوع فرفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أبي هريرة انه أصابهم جوع فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة تمرة رواه الترمذي وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا من نظر في دينه الى من هو فوقه فاقتدى به ونظر في دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله الله عليه

على ما زاده عليه من فضله وفي رواية الجامع فحمد الله على ما فضله به (كتبه الله شاكرا) أي الخصلة الثانية (صابرا) أي الخصلة السابقة ففيه لف ونشر مشوش اعتمادا على فهم ذوي العقول بالنسبة الى الفذلكة وان كان مرتبا باعتبار المقدمة ولما كان المفهوم قد يعتبر وقد لا يعتبر ومع اعتباره المنطوق أقوى أيضا صرح بما علم ضمنا حيث قال (ومن نظر في دينه الى من هو دونه) أي في الاعمال الصالحة والنتيجة الغرور والعجب والخيلاء (ونظر في دنياه الى من هو فوقه) أي من أصحاب المال والجاه وأورثه الحرص والامل والرياء (فاسف) بكسر السين أي حزن (على ما فاته منه) أي من المال وغيره بعدم وجوده أو حصول فقده وقد قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة ألف سنة ومن أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة (لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا) لعدم صدور واحد منه بل قام بضدهما من الكفران والجزع والفزع باللسان والجنان (رواه الترمذي وذكر حديث أبي سعيد) أي في ضمن حديث طويل صدره يناسب باب القراءة (ابشروا يامعشر صعاليك المهاجرين) أي بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة رواه أبو داود (في باب) أي بعده عنوان (بعد فضائل القرآن) أي بعد كتاب فضائل القرآن

(الفصل الثالث) (عن أبي عبد الرحمن الحبلي) بحاء مهملة وموحدة وضمهما قال المؤلف اسمه عبد الله ابن يزيد المصري تابعي (قال سمعت عبد الله بن عمرو) بالواو قال الطيبي لابد من محذوف أي سمعته يقول قولا يفسره ما بعده أقول ويمكن أن يقدر مضاف ويقال سمعت قول عبد الله بن عمرو (وسأله) أي وقد سأله (رجل قال) أي الرجل استئناف مبين (ألسنا) أي نحن وأمثالنا (من فقراء المهاجرين) أي من خواصهم الذين يسبقون أغنياءهم (فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي اليها) أي تضمها وتسكن اليها وتقبل عليها (قال نعم قال ألك مسكن) بفتح الكاف وتكسر أي مكان (تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنياء) أي أغنياء المهاجرين فان فقراءهم ما كان لهم امرأة ولا مسكن أو ان كان لاحدهم أحدهما ما كان له الآخر منهما (قال فان لي خادما) أي عبدا أو جارية أو أجيرا زيادة على ما سبق (قال فانت من الملوك) أي ولا يصح أن يقال لك الصعلوك فلست من صعاليك المهاجرين ولعله اقتبس هذا الكلام من قوله تعالى وجعلكم ملوكا على ما رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى وجعلكم ملوكا قال الزوجة والخادم وزاد ابن جرير عنه وكان الرجل من بني اسرائيل اذا كانت له الزوجة والخادم والدار يسمى ملكا (قال عبد الرحمن) هكذا في جميع نسخ المشكاة الحاضرة وصوابه أبو عبد الرحمن لما سبق قال السيد جمال الدين المحدث هكذا في أكثر نسخ المشكاة التي رأيناها وهو غلط ظاهر والصواب أبو عبد الرحمن وهو راوي الحديث كما في مسلم (وجاء ثلاثة نفر) بالاضافة كقوله تعالى تسعة رهط والجملة عطف على قوله وسأله رجل أي والحال انه أتى ثلاثة نفر فقراء (الى عبد الله بن عمرو وأنا عنده فقالوا يا أبا محمد والله لا نقدر على شيء لا نفقة) تعميم مبين (ولا دابة) أي نجاهد عليها أو نحج بها (ولا متاع) أي زائد يباع ويصرف ثمنه في النفقة والدابة (فقال لهم ما شئتم) ما استفهامية أي أي شيء شئتم ويمكن أن تكون موصولة مبتدأ والخبر محذوف أي ما أردتم من الامور المعروضة عليكم فعلناه (ان شئتم) أي أن نعطيكم شيأ من عندنا (رجعتم الينا) فانه لا يحضرنا الآن شيء (فاعطيناكم) أي بعد هذا (ما يسر الله لكم) أي ما سهله على أيدينا (وان شئتم) أي ان نرفع أمركم الى الخليفة أو من يقوم مقامه (ذكرنا أمركم للسلطان) أي للمتسلط على خزانة بيت المال فيعطيكم ما يوسع لكم البال (وان شئتم صبرتم) أي على هذه الحال فانه مقام أرباب الكمال وأصحاب حسن المآل وطيب المال (فاني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء) أي أغنياءهم فضلا عن غيرهم (يوم القيامة الى

كتبه الله شاكرا وصابرا ومن نظر في دينه الى من هو دونه ونظر في دنياه الى من هو فوقه فاسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا رواه الترمذي وذكر حديث أبي سعيد ابشروا يامعشر صعاليك المهاجرين بالنور التام في باب بعد فضائل القرآن

(الفصل الثالث) عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال سمعت عبد الله بن عمرو وسأله رجل قال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنياء قال فان لي خادما قال فانت من الملوك قال عبد الرحمن وجاء ثلاثة نفر الى عبد الله بن عمرو وأنا عنده فقالوا يا أبا محمد والله لا نقدر على شيء لا نفقة ولا دابة ولا متاع فقال لهم ما شئتم ان شئتم رجعتم الينا فاعطيناكم ما يسر الله لكم وان شئتم ذكرنا أمركم للسلطان وان شئتم صبرتم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى

الجنة بأربعين خريفا) أي سنة (قالوا فانا نصبر لا نسأل شيأ) أي حال كوننا لا نطلب شيأ من أحد بعد ذلك (رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال بينا) وفي نسخة بينما (أنا قاعد في المسجد) أي مسجد المدينة (وحلقة) بفتح فسكون ويفتح أي وجماعة متحلقة وقلوبهم بهم متعلقة (من فقراء المهاجرين قعود) أي قاعدون أوذو وقعود في القاموس حلقة الباب والقوم وقد يفتح لامها ويكسر أو ليس في الكلام حلقة محركة الاجمع حالق أو لغة ضعيفة والجمع حلق محركة أو كبدر (اذ دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقعد اليهم) أي فجلس متوجها الى الفقراء لقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الآية (فقمت اليهم) أي مائلا اليهم ميلا للمتابعة ونيلا للقربة لديهم ولا طلع على كلام من طلع عليهم (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليبشر) أمر مجهول من التبشير ويجوز من البشارة أريد به الخبر أو الدعاء (فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم) بالنصب أي بشيء يفرح قلوبهم ويظهر أثر السرور على ظاهر أشرف بشرتهم وألطف جلدتهم وفي نسخة برفع وجوههم فيكون التقدير بما يسر به وجوههم (فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما قال) أي ابن عمرو (فلقد) اللام جواب القسم أي فوالله لقد (رأيت ألوانهم اسفرت) أي أضاءت من الاسفار وهو اشراق اللون قال الله تعالى وجوه يومئذ مسفرة والصبح اذا اسفر وفي الحديث اسفروا بالفجر فانه أعظم للاجر (قال عبد الله بن عمرو حتى تمنيت) متعلقة باسفرت أي أشرقت اشراقا كاملا تاما حتى وددت (أن أكون معهم) أي في الدنيا دائما موصوفا بحالهم أو منهم أي في العقبى محشورا في زمرتهم وحسن مآلهم فأو للتنويع أو للشك والمعنى أحببت أن أكون من جملة فقراء المهاجرين (رواه الدارمي) ورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي سعيد ولفظه ليبشر فقراء المهاجرين بالفوز يوم القيامة قبل الاغنياء بمقدار خمسمائة عام هؤلاء في الجنة ينعمون وهؤلاء يحاسبون (وعن أبي ذر قال أمرني خليلي) أي حبيبي ورسولي (بسبع) أي بسبع خلال (أمرني بحب المساكين والدنو منهم) أي والقرب من حالهم أو التقرب من مآلهم (وأمرني ان أنظر الى من هو دوني) أي في الامور الدنيوية (ولا أنظر الى من هو فوقي) أي في المال والجاه والمناصب الدنية (وأمرني ان أصل الرحم وان أدبرت) أي ولت بان غابت أو بعدت والمراد أهلها ويؤيده حديث صلوا أرحامكم ولو بالسلام وقال الطيبي رحمه الله أي وان قطعت على ما ورد صل من قطعك وأسند الادبار الى الرحم مجازا لانه اصاحبها (وأمرني ان لا أسأل) أي لا أطلب (أحدا شيأ) ومن دعاء الامام أحمد اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسئلة غيرك ويمكن أن يكون أحدا على عمومه بناء على ما قاله بعض أرباب الكمال الهي كفى علمك بالحال عن المقال وكرمك عن السؤال وهو المقام الجليل المأخوذ من حال الخليل حيث قال له جبرائيل ألك حاجة قال أما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وهو معنى قوله تعالى حكاية عن قول أصحاب الجبل حسبنا الله ونعم الوكيل وفي الحكم لابن عطاء الله ربما استحيى العارف أن يرفع حاجته الى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحيي أن يرفعها الى خليقته (وأمرني ان أقول بالحق) أي اتكلم به (وان كان مرا) أي على السامع أو صعبا علي (وأمرني ان لا أخاف) أي ظاهرا أو باطنا (في الله) أي في حقه أو في سبيله ولاجله (لومة لائم) ملامة أحد من خلقه (وأمرني ان أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله) أي للاستعانة على الطاعة واصابة المصيبة والاستعانة على دفع المعصية خصوصا العجب والغرور والخيلة (فانهن) أي هذه الكلمات (من كنز تحت العرش) أي من جملة كنز معنوي موضوع تحت عرش الرحمن لا يصل اليه أحد الا بحول الله وقوته أو كنز من كنوز الجنة لان العرش سقفها وأبعد من قال فانهن أي الخصال السبع من كنز تحت العرش اذ لا طائل تحته بل ورد من طرق كثيرة أخرجه الستة عن أبي موسى الاشعري وأحمد والبزار عن أبي هريرة والطبراني عن معاذ والنسائي عن أبي هريرة وأبي ذر أيضا مرفوعا لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة واختلف العلماء في معناه فقيل سمي هذه الكلمة

الجنة بأربعين خريفا قالوا فانا نصبر لا نسأل شيأ رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو قال بينما أنا قاعد في المسجد وحلقة من فقراء المهاجرين قعود اذ دخل النبي صلى الله عليه وسلم فقعد اليهم فقمت اليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليبشر فقراء المهاجرين بما يسر وجوههم فانهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء بأربعين عاما قال فلقد رأيت ألوانهم اسفرت قال عبد الله بن عمرو حتى تمنيت ان أكون معهم أو منهم رواه الدارمي وعن أبي ذر قال أمرني خليلي بسبع أمرني بحب المساكين والدنو منهم وأمرني ان أنظر الى من هو دوني ولا أنظر الى من هو فوقي وأمرني ان أصل الرحم وان أدبرت وأمرني ان لا أسأل أحدا شيأ وأمرني ان أقول بالحق وان كان مرا وأمرني ان لا أخاف في الله لومة لائم وأمرني ان أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فانهن من كنز تحت العرش

كنزاً لأنها كالكنز في نفاسته وصيانته من أعين الناس أو أنها من ذخائر الجنة أو من محصلات نفائس الجنة وقال النووي المعنى ان قولها يحصل ثواباً نفيساً يدخر لصاحبه في الجنة انتهى ويحتمل أن يقال انها كنز من كنوز الجنة العاجلة فمن قام بها وأدرك معناها واستمر على مبناها فانه ظفر بكنز عظيم مشتمل على كنوز لا يعرف كنهها ومنتهاها فقد روى البزار عن ابن مسعود قال كنت عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقلتها فقال تدري ما تفسيرها قلت الله ورسوله أعلم قال لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بعون الله قال النووي رحمه الله هي كلمة استسلام وتفويض وان العبد لا يملك شيأ وليس له حيلة في دفع شر ولا قوة في جلب خير الا بارادة الله تعالى انتهى فيكون صاحبها في ملك جسيم وكنز عظيم حال كونه حاضراً بقلبه مشاهداً فعل ربه بالنسبة الى جميع خلقه فصح ما قال بعض العارفين في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في الدنيا وجنة في العقبى وقال بعض الصوفية في معنى قول رابعة العدوية استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير اردت ان الاعتذار من الذنب مشتمل على ذنوب كثيرة تستحق أن تكون كبيرة من دعوى الوجود الاصلي ودعوى الفعل الحقيقي ودعوى الاقتدار الاستقلالي وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ايماء الى نفي ما سوى الله لا حول ولا قوة الا بالله (رواه أحمد وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعجبه من الدنيا ثلاثة) أي ثلاثة أشياء كما في رواية (الطعام) أي لحفظ البدن وتقويه على دينه (والنساء) أي لصون النفس النفيسة عن الخواطر الخسيسة (والطيب) أي لتقويه الدماغ الذي هو محل العقل عند بعض الحكماء (فأصاب اثنين) أي شيئين بوصف الكثرة (ولم يصب واحداً أصاب النساء) أي حتى بلغ تسعاً (والطيب) أي من الخارج مع ان عرقه كان من أفضل أنواع الطيب (ولم يصب الطعام) أي الا بوصف القلة فاطلاق النفي للمبالغة لما سبق من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشبع من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض وأغرب الطيبي رحمه الله في قوله أي لم يكثر من اصابتها كاكثارهما حيث انه يوهم أنه وقع له اكثار من الطعام أقل من اكثار النساء والطيب (رواه أحمد) قال السيوطي رحمه الله في تخريج أحاديث الشفاء اسناده صحيح الا أن فيه رجلاً لم يسم (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حبب الي) اي من دنياكم كما في رواية (الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة) كذا في نسخ المشكاة بلفظ جعلت وكأنه غير موجود في أصل الطيبي رحمه الله كما ورد في رواية أو غفل عنه حيث قال قوله قرة عيني في الصلاة جملة اسمية عطفت على جملة فعلية لدلالته على الثبات والدوام في الثانية والتجدد في الاولى قلت وفيه بحث اذ القول بالتجدد انما هو في الفعل المضارع وأما الماضي فهو للثبات حتى اذا عبر عن المضارع بالماضي يعلل بانه لتحققه كأنه قد وقع قال وجيء بالفعل المجهول دلالة على ان ذلك لم يكن من جبلته وطبعه وانه مجبور على الحب رحمة للعباد بخلاف الصلاة فانها محبوبة لذاتها ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أرحنا يا بلال أي اشغلنا عما سواها بها فانه تعب وكدح وانما الاستراوح في الصلاة فأرحنا بندائك بها (رواه أحمد والنسائي) وكذا الحاكم في مستدركه والبيهقي في الشعب كذا في الجامع وذكر ابن الربيع في مختصر المقاصد للسخاوي ان الطبراني رواه في الكبير والنسائي في سننهما بهذا اللفظ والحاكم في مستدركه بدون لفظ جعلت وقال انه صحيح على شرط مسلم وأما ما اشتهر في هذا الحديث من زيادة ثلاث فقال السخاوي لم أقف عليه الا في موضعين من الاحياء وفي تفسير آل عمران من الكشاف وما رأيتها في شيء من طرق هذا الحديث بعد مزيد التفتيش وبذلك صرح الزركشي فقال انه لم يرد فيه لفظ ثلاث قال وزيادته محيلة للمعنى فان الصلاة ليست من الدنيا (وزاد ابن الجوزي بعد قوله حبب الي من الدنيا) أي قوله من الدنيا منصوباً على انه مفعول زاد وقد ذكر الحافظ السيوطي في الفتاوى الحديثية مسئلة قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة لم بدأ بالنساء وأخر الصلاة الجواب لما كان المقصود من سياق الحديث ما أصاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من متاع الدنيا بدأ به كما قال في الحديث

رواه أحمد وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه من الدنيا ثلاثة الطعام والنساء والطيب فأصاب اثنين ولم يصب واحداً أصاب النساء والطيب ولم يصب الطعام رواه أحمد وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب الي الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة رواه أحمد والنسائي وزاد ابن الجوزي بعد قوله حبب الي من الدنيا

ما أصابنا من دنيا كم هذه الا النساء ولما كان الذى حبب اليه من متاع الدنيا هو أفضلها وهو النساء بدليل قوله فى الحديث الآخر الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ناسب ان يضم اليه بيان أفضل الامور الدينية وذلك الصلاة فانها أفضل العبادات بعد الايمان فكان الحديث على أسلوب البلاغة من جمعه بين أفضل أمور الدنيا وأفضل أمور الدين وفى ذلك ضم الشئ الى نظيره وعبر فى أمر الدين بعبارة أبلغ مما عبر به فى أمر الدنيا على مجرد التحبيب وقال فى أمر الدين جعلت قرة عينى فان قرة العين من التعظيم فى المحبة ما لا يخفى انتهى ولعل السكوت عن الطيب لانه تابع للنساء وجودا وعدما على ما فى الروايتين ثم الصلاة عند الجمهور محمولة على العبادة المعروفة وقيل المراد بالصلاة فى هذا الحديث الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام وشرفه لديه (وعن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما بعث به) أى أرسله (الى اليمن) أى قاضيا أو واليا (قال اياك والتنعم) وهو المبالغة فى تحصيل قضاء الشهوة على وجه التكلف فى البغية بتكثير النعمة والحرص على النهمة (فان عباد الله) أى الخاصين (ليسوا بالمتنعمين) بل التنعم مختص بالكافرين والفاجرين والغافلين والجاهلين كما قال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال يأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم وقال انهم كانوا قبل ذلك مترفين (رواه أحمد) وكذا البيهقى فى شعب الايمان (وعن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من رضى من الله باليسير من الرزق) أى من قنع منه بقليل من العطاء (رضى الله منه) وفى نسخة عنه (بالقليل) وفى نسخة باليسير (من العمل) أى من الطاعة وفى حديث رواه ابن عساكر عن عائشة من رضى عن الله رضى الله عنه فان قلت هذا الحديث يدل على ان رضا العبد مقدم وفى قوله سبحانه رضى الله عنهم ورضوا عنه ايماء الى ان رضا العبد متأخر قلت التحقيق ان رضا العبد محفوف برضاءين من الله رضا أزلى تعلق به العلم الاولى ورضا أبدى تعلق بعمل العبد يترتب عليه الجزاء الاخروى وفى الحقيقة رضا العبد انما هو أثر رضا الله عنه أولا وأما رضا الله آخرا فانما هو غاية الرضا الذاتى من النعت الصفاتى وهو الاحسان والانعام وكذلك القول فى قوله تعالى يحبهم ويحبونه وقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من جاع) أى فى نفسه بالفعل (أو احتاج) أى الى ما يدفع الجوع أو غيره والتنويع (فكتمه الناس) قيل أى من الناس ففيه اشارة الى ان الرواية بتخفيف التاء وانه متعد الى واحد فنصب الناس على نزع الخافض ويحتمل ان تكون الرواية بتشديدها وانه حينئذ متعد الى اثنين على ما فى القاموس كتمه كتما وكتمانا وكتمه اياه (كان حقا على الله عز وجل) أى وعدا ثابتا عليه أو أمرا لازما لديه (ان يرزقه رزق سنة من حلال) والمراد بالجوع جوع يتصور معه الصبر ويجوز فيه الكتمان والا فقد صرح العلماء بان الشخص اذا مات جوعا ولم يسأل أو لم يأكل ولو من الميتة يموت عاصيا (رواهما) أى الحديثين (البيهقى فى شعب الايمان وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال) المعنى انه مع كونه صاحب العيال وفقيرا لا مال وكثير البال تعفف عن السؤال فهو المؤمن على وجه الكمال فلذا أحبه ذو الجلال والجمال (رواه ابن ماجه وعن زيد بن أسلم) قال المؤلف يكنى أبا أسامة مولى عمر بن الخطاب مدنى من أكابر التابعين سمع جماعة من الصحابة وروى عنه الثورى وأيوب السختيانى ومالك وابن عيينة مات سنة ست وثلاثين ومائة (قال استسقى) أى طلب الماء (يوما عمر فجىء بماء قد شيب) بكسر أوله أى خلط (بعسل فقال انه) أى ماء العسل (لطيب) أى طبعا وشرعا وعرفا ونفعا (لكننى أسمع الله عز وجل) قال الطيبى رحمه الله مستدرك عن مقدر يعنى انه لطيب أشتهيه لكنى أعرض عنه لانى سمعت الله عز وجل (نعى) أى عاب (على قوم شهواتهم) أى استيفاءها (فقال أذهبتم) بهمزة انكار مقدرة وهى فى قراءة موجوده (طيباتكم) أى أخذتم لذاتكم (فى حياتكم الدنيا) أى فى مدة الحياة

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث به الى اليمن قال اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين رواه أحمد وعن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رضى من الله باليسير من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاع أو احتاج فكتمه الناس كان حقا على الله عز وجل ان يرزقه رزق سنة من حلال رواهما البيهقى فى شعب الايمان وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال رواه ابن ماجه وعن زيد بن أسلم قال استسقى يوما عمر فجىء بماء قد شيب بعسل فقال انه لطيب لكنى أسمع الله عز وجل نعى على قوم شهواتهم فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا

الدنيوية الدنية (واستمتعتم بها) أى متابعة الشهوات النفسية وما تركتم شيأ ذخيرة للدار الاخروية (فانخاف ان تكون حسناتنا) أى مثوباتها (عجلت لنا) قال الطيبي رحمه الله أى ثواب حسناتنا التى نعملها نستوفيها فى الدنيا قبل الآخرة قال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا فان الآيتان وان كانتا نزلتا فى الكفار لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فلم يشربه) أى لم يشرب عمر ذلك الماء تورعا ومخالفة للنفس والهوى (رواه رزين وعن ابن عمر قال ماشبعنا) أى أهل بيت عمر أو نحن معشر الصحابة معه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر (حتى فتحنا خيبر رواه البخارى)

(باب الامل والحرص)

الجوهرى الامل الرجاء وقال الراغب الحرص فرط الشره فى الارادة قال تعالى ان تحرص على هداهم أى ان تفرط ارادتك فى هدايتهم وفى القاموس أسوأ الحرص ان تأخذ نصيبك وتطمع فى نصيب غيرك انتهى والمراد بالامل هنا طول الامل فى أمر الدنيا غافلا عن الاستعداد للموت وزاد العقبى كما قال سبحانه ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل واما طول الامل فى تحصيل العلم والعمل فمحمود بالاجماع كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم طوبى لمن طال عمره وقال لو عشت الى قابل لاصومن التاسع وكذلك الحرص فى أمر جمع المال وكثرة الجاه ولاقبال مذموم والا فالحرص على القتال وعلى تحصيل العلوم وتكثير الاعمال فمستحسن بلا نزاع ثم تحقيق الامل على ما حققه المحققون من أهل اليقين ما ذكره الغزالى فى منهاج العابدين رحمه الله انه قال أكثر علمائنا انه ارادة الحياة للوقت المتراخى بالحكم وقصر الامل ترك الحكم فيه بان يقيده بالاسناد لمشيئة الله سبحانه وعلمه فى الذكر أو بشرط الصلاح فى الارادة فاذن ان ذكرت حياتك بان أعيش بعد نفس ثان أو ساعة ثانية أو يوم ثان بالحكم والقطع فانت آمل وذلك منك معصية اذ هو حكم على الغيب وان قيدته بالمشيئة والعلم من الله تعالى فقد خرجت عن حكم الآمل فتأمل وانما جمع بينهما فى العنوان لتلازمهما فى الامكان وقدم الامل لانه الباعث على تأخير العمل والحرص على الزلل

(الفصل الاول) (عن عبد الله) أى ابن مسعود (قال خط النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خطا مربعا) الظاهر انه كان بيده المباركة على الارض قال الطيبي رحمه الله المراد بالخط الرسم والشكل (وخط) أى خطا كما فى نسخة مصححة والمعنى وخط (خطا) آخر (فى الوسط) أى وسط التربيع (خارجا منه) أى حال كون الخط خارجا من أحد طرفى المربع (وخط خططا) بضم الخاء المعجمة والطاء الاولى للاكثر وجوز فتح الطاء أى خطوطا (صغارا) جمع صغيرة (الى هذا) أى متوجهة ومائلة ومنتهية الى هذا الخط (الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط) أى من جانبيه اللذين فى الوسط فالمراد بالمفرد الجنس (فقال هذا الانسان) أى الخط الوسط كذا قاله شارح والظاهر ان المراد به ذا مركز الدائرة المربعة وان كان ليس له صورة مستقلة فى الخط الظاهرى أو المراد به مجموع التصوير المعلوم خطا المفهوم ذهنا فان الانسان مع ما فيه من الامل العوارض المنتهية الى الاجل المشار اليه بهذا فالتقدير ان هذا الخط المصور بمجموعه هو الانسان (وهذا) أى الخط المربع (أجله) أى مدة أجله ومدة عمره (محيطا به) أى من كل جوانبه بحيث لا يمكنه الخروج والفرار منه (وهذا الذى هو خارج) أى من المربع (أمله) أى مرجوه ومأموله الذى يظن انه يدركه قبل حلول أجله وهذا خطأ منه لان أمله طويل لا يفرغ منه وأجله أقرب اليه منه (وهذه الخطط) أى الخطوط (الصغار الاعراض) أى الآفات والعاهات والبليات من المرض والجوع والعطش وغيرها مما يعرض للانسان وهو جمع عرض بالتحريك (فان اخطأه هذا) أى أحد الاعراض (نهشه) بسين مهملة وقيل بمعجمة أى أصابه وعضه (هذا) أى عرض آخر وعبر عن الاصابة بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة فى المضرة (وان أخطأه هذا) أى عرض آخر (نهشه هذا) أى عرض آخر وهلم جرا الى انقضاء الاجل وعدم انتهاء الامل وصورة الخط هذه عند بعضهم

واستمتعتم بها فانخاف ان تكون حسناتنا عجلت لنا فلم يشربه رواه رزين وعن ابن عمر قال ماشبعنا من حتى فتحنا خيبر رواه البخارى

(باب الامل والحرص)

(الفصل الاول) عن عبد الله قال خط النبى صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط خطا فى الوسط خارجا منه وخط خططا صغارا الى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط فقال هذا الانسان

قال الشيخ ابن حجر العسقلاني رحمه الله هذه الصفة هي المعتمدة وسياق الحديث يتنزل عليه فالاشارة بقوله هذا الانسان الى النقطة الداخلة وبقوله وهذا أجله محيط به الى المربع وبقوله وهذا الذي هو خارج أمله الى الخط المستطيل المنفرد وبقوله وهذه الى الخطوط وهي مذكورة على سبيل المثال لا أن المراد انحصارها في عدد معين ويؤيده قوله في حديث أنس بعده اذ جاءه الاقرب الى الخط المحيط به ولا شك ان الذي يحيط به أقرب اليه من الخارج عنه انتهى والاولى ان يجعل عدد الخطوط سبعا لاتيان هذا العدد كثيرا على لسان الشارع ولانه عشر العدد الذي يعبر به من الكثرة مع الايماء الى الاعضاء السبعة للانسان والاطوار السبعة في مراتب الايقان ومرور الايام السبعة على دوران الافلاك السبعة المحيطة بالاراضي السبعة ثم اعلم ان ما أشار الشيخ به الى النقطة الداخلة فغير مستفاد من التصوير النبوي ولذا ما صوره غير واحد من الشراح كالطيبي رحمه الله ثم رأيت صورة أخرى غير الصورة المسطورة المشهورة وهي هذه فهذه الهيئة هي المطابقة لما قاله بعض الشراح والاظهر في التصوير فتدبر (رواه البخاري وعن أنس قال خط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطا) أي مختلفة على الهيئة الصورة السابقة (فقال هذا) أي أحد الخطوط وهو الخط الخارج من دائرة التربيع (الامل) أي أمل الانسان (وهذا) أي الخط المربع المحيط به (أجله فبينما هو كذلك) أي بين أوقات هو أي أمره دائر كما صور في الدائرة بين طلبه الامل وطلب الاجل اياه (اذ جاءه الخط الاقرب) وهو الاجل المحيط به من كل جانب وأخطأه الخط الابعد الخارج من دائرة الاحاطة وهو خطه من قصور الامل وقال الطيبي رحمه الله قوله فبينما هو كذلك أي هو طالب لامله البعيد فتدركه الآفات التي هي أقرب اليه فتؤديه الى الاجل المحيط به وهذا التأويل محمول على معنى الحديث السابق ويجوز ان يحمل على حديث أبي سعيد في الفصل الثاني ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غرز عودا بين يديه الحديث قلت حمل هذا الحديث مع التصريح بقوله خط خطوطا على الغرز خطا ظاهر لان الظاهر المتبادر ان يكون الخط خطا ظاهرا (رواه البخاري وعنه) أي عن أنس (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يهرم) بفتح الراء أي يشيب كما في رواية والمعنى يضعف (ابن آدم ويشب) بكسر الشين المعجمة وتشديد الموحدة اي ينمو ويقوى (منه) أي من اخلاقه (اثنان) ففي التاج للبيهقي وكذا في القاموس ان الهرم كبر السن من باب علم وشب شبابا من باب ضرب (الحرص على المال) أي على جمعه ومنعه (والحرص على العمر) أي بتطويل أمله وتسويف عمله وتبعيد أجله قال النووي رحمه الله قوله يشب استعارة ومعناه ان قلب الشيخ كامل الحب محتكم احتكاما مثل احتكام قوة الشاب في شبابه قال الطيبي رحمه الله يجوز ان يكون من باب المشاكلة والمطابقة لقوله يهرم أي يعني يشيب (متفق عليه) قال ميرك هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري يكبر ابن آدم والباقي مثله ورواه الترمذي وابن ماجه انتهى فقوله متفق عليه معناه انهما اتفقا على روايتهما في المعنى دون اللفظ في جميع المبنى وهذا مبني على ما ذكره والا فلفظ الجامع أيضا يهرم ابن آدم ويبقى منه اثنان الحرص والامل رواه أحمد والشيخان والنسائي عن أنس فالظاهر ان لفظ يكبر رواية للبخاري وان في الصحيحين روايات متعددة كما يدل عليه كلام السخاوي في المقاصد حديث يهرم ابن آدم ويبقى فيه اثنان الحرص والامل متفق عليه وفي لفظ يشيب ابن آدم ويشب فيه (وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يزال قلب الكبير شابا) أي قويا نشطانا (في اثنين) أي في أمرين (في حب الدنيا) ويلزم منه كراهة الاجل (وطول الامل) وهو يقتضي

وهذا أجله محيط به وهذا الذي هو خارج أمله وهذه الخطط الصغار الاعراض فان أخطأه هذا نهسه هذا وان أخطأه هذا نهسه هذا رواه البخاري وعن أنس قال خط النبي صلى الله عليه وسلم خطوطا فقال هذا الامل وهذا أجله فبينما هو كذلك اذ جاءه الخط الاقرب رواه البخاري وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر متفق عليه وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال قلب الكبير شابا في اثنين في حب الدنيا وطول الامل

تأخير العمل (متفق عليه وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعذر الله) قيل الهمزة للسلب أي أزال الله العذر منها (الى امرئ أخر أجله) أي منتهاه وفي رواية عمره (حتى بلغه) بتشديد اللام أي أوصله وفي رواية حتى بلغ (ستين سنة) أي ولم يتب عن ذنوبه ولم يقم بإصلاح عيوبه ولم يغلب خيره شره فيكون ممن لم يبق الله له عذرا في ترك الطاعة وتم ما ضيع عمره وحاصله من بلغ ستين سنة وقيل أربعين ولم يغلب خيره شره فالموت خير له قال التوربشتي رحمه الله المعنى انه أفضى بعذره اليه فلم يبق له عذر يقال أعذر الرجل الى فلان أي بلغ به أقصى العذر ومنه قولهم اعذر من انذر أي أتى بالعذر أو أظهره وهذا مجاز من القول فان العذر لا يتوجه على الله وانما يتوجه له على العبيد وحقيقة المعنى فيه ان الله تعالى لم يترك له سببا في الاعتذار يتمسك به انتهى فالمعنى انه أزال أعذاره بالكلية فكأنه أقام عذره فيما يفعل به من العقوبة والبلية وفي مختصر النهاية أي لم يبق فيه موضعا للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتبر (رواه البخاري) وكذا أحمد وعبد بن حميد والنسائي والبزار وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقي عنه وأخرج عبد بن حميد والطبراني والرو ياني والرامهرمزي في الامثال والحاكم وابن مردويه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغ العبد ستين سنة فقد أعذر الله اليه في العمر وقد قال تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وأخرج عبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس انه قال في تفسيره ستين سنة وأخرج ابن جرير عن علي في الآية قال العمر الذي أعذرهم الله منه ستون سنة وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الحسن في الآية قال أربعين سنة وأما قوله تعالى وجاءكم النذير فأخرج ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة قال الشيب وكذا أخرجه ابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس انه الشيب (وعن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو كان لابن آدم) أي فرضا وتقديرا (واديان من مال) وفي رواية من ذهب (لابتغى) أي لطلب (ثالثا) أي واديا آخر أعظم منهما ذخرا وهلم جرا كما يشير اليه بقوله (ولا يملأ جوف ابن آدم) أي بطنه أو وسط عينه (الا التراب) أي تراب القبر ففيه تنبيه على ان البخل الموروث للحرص مركوز في جبلة الانسان كما أخبر الله تعالى عنه سبحانه في القرآن حيث قال أبلغ من هذا الحديث والمقال قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا فهذا يدل على ان حرص ابن آدم وخوفه من الفقر الباعث له على البخل حتى على نفسه أقوى من الطير الذي يموت عطشا على ساحل البحر خوفا من نفاده ومن الدودة التي قوتها التراب وتموت جوعا خشية من فراغه لان ما ذكر من الماء والتراب في جنب خزائن رحمة رب الارباب كقطرة من السحاب (ويتوب الله) أي يرجع بالرحمة (على من تاب) أي رجع اليه بطالب لعصمة أو يتفضل الله بتوفيق التوبة وتحقيق استعادة العقبى على من تاب أي من محبة الدنيا والغفلة عن حضرة المولى قال النووي رحمه الله معناه انه لا يزال حريصا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره وهذا الحديث خرج على حكم غالب بني آدم في الحرص على الدنيا ويؤيده قوله ويتوب الله على من تاب وهو متعلق بما قبله ومعناه ان الله يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات قال الطيبي رحمه الله ويمكن ان يقال معناه ان بني آدم كلهم مجبولون على حب المال والسعي في طلبه وان لا يشبع منه الا من عصمه الله تعالى ووفقه لازالة هذه الجبلة عن نفسه وقليل ما هم فوضع ويتوب الله على من تاب موضعه اشعارا بان هذه الجبلة المركوزة فيه مذمومة جارية مجرى الذنب وان ازالتها ممكنة ولكن بتوفيق الله وتسديده ونحوه قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون أضاف الشح الى النفس دلالة على انها غريزة فيها وبين ازالته بقوله يوق ورتب عليه قوله فأولئك هم المفلحون وههنا نكتة دقيقة فانه ذكر ابن آدم تلويحا الى انه مخلوق من التراب ومن طبعه

متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعذر الله الى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة رواه البخاري وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب متفق عليه

القبض واليبس فيمكن ازالته بان يمطر الله عليه السحائب من غمائم توفيقه فيثمر حينئذ الخصال الزكية
والشمائل الرضية كما قال تعالى جل جلاله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج
الا نكدا فمن لم يتداركه التوفيق وتركه وحرصه لم يزدد الا حرصا وتهالكا على جمع المال وموقع قوله ولا يملأ
جوف ابن آدم موقع ركوز الجبلة وتنيط به حكم أشمل وأعم كأنه قيل ولا يشبع من خلق من التراب الا
بالتراب وموقع ويتوب الله على من تاب موقع الرجوع يعني ان ذلك لعسير صعب ولكن يسير على من يسره
الله تعالى عليه فحقيق ان لا يكون هذا من كلام البشر بل هو من كلام خالق القوى والقدر وروينا عن
الترمذي عن أبي بن كعب ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ
عليه لم يكن الذين كفروا وقرأ فيها ان الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا
المجوسية ومن يعمل خيرا فلن يكفره وقرأ عليه لو أن لابن آدم واديا من مال لابتغى اليه ثانيا ولو أن له ثانيا
لابتغى اليه ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب انتهى (رواه البخاري) قال
ميرك نقلا عن التصحيح حديث لو كان لابن آدم واديان الى آخره رواه البخاري بهذا اللفظ من حديث ابن
عباس وبمعناه من حديث أنس ومسلم بهذا اللفظ وبمعناه من حديث ابن عباس ورواه الترمذي أيضا وقد ثبت
في الحديث ان هذا كان قرآنا فنسخ خطه رواه أحمد وغيره وفي رواية لابن عباس وأنس فلا ندري أشيء أنزل
أم شيء كان يقوله ولانس عن أبي قال كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت الهاكم التكاثر أخرجه البخاري
انتهى وفي الجامع لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى اليه ثانيا ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ
جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب رواه أحمد والشيخان والترمذي عن أنس وأحمد
والشيخان عن ابن عباس والبخاري عن ابن الزبير والنسائي عن أبي هريرة وأحمد عن أبي واقد والبخاري في
تاريخه والبزار عن بريدة ورواه أحمد وابن حبان عن جابر ولفظه لو كان لابن آدم واد من نخل لتمنى مثله
ثم تمنى مثله حتى يتمنى أودية ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب (وعن ابن عمر قال أخذ رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ببعض جسدي) أي بمنكبي كما في رواية ونكتة الاخذ تقريبه اليه وتوجهه عليه ليتمكن
في ذهنه ما يلقي لديه وفيه ايماء الى أن هذه الحالة الرضية لا توجد الا بالجذبة الالهية (فقال كن) أي عش
وحيدا وعن الخلق بعيدا (في الدنيا كأنك غريب) أي فيما بينهم لعدم مؤانستك بهم وقلة مجالستك
معهم قال النووي رحمه الله أي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق منها الا بما يتعلق الغريب في غير
وطنه انتهى وذلك لان الدنيا دار ممر وجسر عبور فينبغي للمؤمن ان يشتغل بالعبادة والطاعة وان
ينتظر المسافرة عنها ساعة فساعة متهيئا لاسباب الارتحال برد المظالم والاستحلال مشتاقا الى الوطن الحقيقي
فانه في سفر بالغة وسيرة مستقبلا للبليات الكثيرة في سفره غير مشتغل بما لا يعنيه من الأمل الطويل
والحرص الكثير (أو عابر سبيل) أي مسافر الطريق وأو للتنويع أو بمعنى بل للترقي والمعنى بل كن
كأنك مار على طريق قاطع لها بالسير ولو بلا رفيق وهذا أبلغ من الغربة لانه قد يسكن الغريب في غير وطنه
ويقيم في منزل مدة زمنية فلله در طائفة رفضوا الدنيا وتوجهوا الى العقبى شوقا الى لقاء المولى واعتزلوا
بالكلية عن الناس فان الاستئناس بالناس علامة الافلاس وتجردوا عما عليهم من الاثقال والالباس
بل صاروا احفاة عراة مماسي الراس وهم العقلاء الاكياس الخارج فضلهم عن حد الحدود ومقياس القياس

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا نظروا فيها فلما عرفوا * انها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

(وعد نفسك) بضم العين وفتح الدال المشددة أي اجعلها معدودة (في أهل القبور) أو عدها كائنة
أو ساكنة فيهم وفي بعض النسخ المصححة من أهل القبور أي من جملتهم وواحدة من جماعتهم ففيه
اشارة الى موتوا قبل أن تموتوا وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا (رواه البخاري) قال ميرك

وعن ابن عمر قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في أهل القبور رواه البخاري

فيه نظر لان الذى أورده هو لفظ الترمذى ولفظ البخارى عن ابن عمر قال أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنكبي فقال كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وليس فى البخارى وعد نفسك فى أهل القبور بل هو فى الترمذى والبيهقى والله تعالى أعلم وأحكم أقول وفى الجامع كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل رواه البخارى عن ابن عمر زاد أحمد والترمذى وابن ماجه وعد نفسك من أهل القبور وزاد النووى فى أربعينه وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح واذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك وخذ من حياتك لموتك وزاد الامام الغزالى فى الاربعين قوله فانك ياعبد الله لاتدرى ما اسمك غدا وجعل صدر الحديث مرفوعا بان قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا أصبحت الى آخره والله تعالى أعلم

(الفصل الثانى) (عن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال مر بنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا وأمى نطين) بتشديد الياء المكسورة أى نصلح (شيأ) أى مكانا أو جزأ (من البيت فقال ماهذا) أى استعمال الطين (ياعبد الله) أى لاعبد الهوى (قلت شئ) أى من البيت (نصلحه) أى خوفا من فساده أو زيادة على استحكامه واستبداده (قال الامر أسرع من ذلك) أى الامر الذى ينبغى لنا أن نعمره وعلى تعميره بناء القدماء نعتبره أعجل مما ذكرته من أن نصلحه ونعمره والظاهر ان عمارته لم تكن ضرورية بل كانت ناشئة عن أمل فى تقويته أو صادرة عن ميل الى زينته قال الطيبى رحمه الله أى كوننا فى الدنيا كعابر سبيل أو راكب مستظل تحت شجرة أسرع مما أنت فيه من اشتغالك بالبناء وقال شارح أى الاجل أقرب من تخرب هذا البيت أى تصلح بيتك خشية أن ينهدم قبل ان تموت وربما تموت قبل ان ينهدم فاصلاح عملك أولى من اصلاح بيتك (رواه أحمد والترمذى وقال هذا حديث غريب) قال ميرك نقلا عن المنذرى حديث عبد الله بن عمرو رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وقال السيد جمال الدين رحمه الله هذا الحديث بهذا اللفظ لم أجده فى جامع الترمذى ولكن أخرج عبد الله ابن عمر وقال مر علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا فقال ماهذا فقلنا قد وهى فنحن نصلح فقال ما أرى الامر الا أعجل من ذلك وقال هذا حديث صحيح حسن (وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يهريق الماء) بضم الياء وفتح الهاء ويسكن أى يصب والماء كناية عن البول فالمعنى انه كان يبول أحيانا (فيتيمم بالتراب) أى أو مايقوم مقامه لما ثبت انه اكتفى بوضع يده على الجدار حال التيمم من غير وجود الغبار (فأقول يارسول الله ان الماء منك قريب) أى فالتيمم حينئذ غريب (يقول) استئناف (مايدرينى) ما للاستفهام (لعلى) للاشفاق أى أخاف (لاأبلغه) أى لاأصل الماء لسارعة أجلى مبادرا فأحب ان أكون حينئذ طاهرا باطنا وظاهرا وما أبعد قول الاشرف وما أقربه الى الوجه الاضعف حمل الحديث على معنى غير مناسب بابا ومبنى حيث قال أى يستعمل الماء قبل الوقت فادام لم يبق تيمم والله تعالى أعلم (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة وابن الجوزى فى كتاب الوفا) اسم كتاب له اظنه فى شرف المصطفى عليه الصلاة والسلام (وعن أنس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا ابن آدم) الظاهر ان هذا اشارة حسية الى صورة معنوية وكذا قوله (وهذا أجله) وتوضيحه انه أشار بيده الى قدامه فى مساحة الارض أو فى مسافة الهواء بالطول أو العرض وقال هذا ابن آدم ثم أخرها وأوقفها قريبا مما قبله وقال هذا أجله (ووضع يده) أى عند تلفظه بقوله هذا ابن آدم وهذا أجله (عند قفاه) أى فى عقب المكان الذى أشار به الى الاجل (ثم بسط) أى نشر يده على هيئة فتح لبشير بكفه وأصابعه أو معنى بسط وسع فى المسافة من المحل الذى أشار به الى الاجل (فقال وثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم أى هنالك واشار الى بعد مكان ذلك (أمله) أى مأموله وهو مبتدأ خبره ظرف قدم عليه للاختصاص والاهتمام وخلاصة العبارات والاعتبارات ان هذه الاشارات المؤيدة بالبشارات

(الفصل الثانى) عن عبد الله بن عمرو قال مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وأمى نطين شيأ فقال ماهذا ياعبد الله قلت شئ نصلحه قال الامر أسرع من ذلك رواه أحمد والترمذى وقال هذا حديث غريب وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يهريق الماء فيتيمم بالتراب فأقول يارسول الله ان الماء منك قريب يقول مايدرينى لعلى لاأبلغه رواه فى شرح السنة وابن الجوزى فى كتاب الوفاء وعن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هذا ابن آدم وهذا أجله ووضع يده عند قفاه ثم بسط فقال وثم أمله رواه الترمذى

المؤكدة بالحركات والسكنات القولية والفعلية المطابقة لما سبق من التصورات الصورية اغناه وللاشارة المعنوية المنبهة من نوم الغفلة المبينة ان أجل ابن آدم أقرب اليه من أمله وان أمله أطول من أجله كما قال الله در قوله

كل امرئ مصبح فى اهله ＊ والموت أدنى من شراك نعله

هذا ما سنح لى فى هذا المقام من توضيح المرام وقال الطيبي رحمه الله ممتازا عن سائر الشراح الفخام قوله و وضع يده الواو للحال وفى قوله وهذا أجله للجمع مطلقا فالمشار اليه أيضا مركب فوضع اليد على قفاه معناه أن هذا الانسان الذى يتبعه أجله هو المشار اليه و بسط اليد عبارة عن مدها الى قدام انتهى الكلام (رواه الترمذى وعن أبى سعيد الخدرى ان النبي) وفى نسخة صحيحة ان رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم غرز) أى أدخل فى الارض (عودا) أى خشبا طويلا (بين يديه وآخر الى جنبه) أى وغرز عودا آخر الى جنب العود الاول (وآخر أبعد) أى من الثانى أو منهما (فقال أتدرون ما هذا) أى مجموع ما ذكر والمعنى أتعلمون ما المراد بهذا الغرز والتقرير وما الغرض من هذا التصوير (قالوا الله ورسوله أعلم) أى بما فى الضمير (قال هذا الانسان) أى العود الاول مثاله (وهذا الاجل) أى وهذا العود الثانى المتصل الى جنبه أجله أى انتهاء عمره وانقطاع عمله (أراه) بضم الهمزة أى قال الراوى أظنه (قال وهذا الامل) أى هذا العود الابعد هو طول أمله ومآل آماله (فيتعاطى) أى يتناول الانسان (الأمل) بان يباشره و يستعمله و يشتغل بما يأمله و يريد ان يحصله (فلحقه الأجل) أى فيلحقه الموت قبل ان يصله وعبر عن المضارع بالماضى مبالغة فى تحقق حال وقوعه (دون الأمل) أى قبل ان يتم امله و يكمل عمله قال الطيبي رحمه الله دون الامل حال من الضمير المنصوب أى لحقه وهو متجاوز عما قصده من الامل قال أمية ＊ يا نفس مالك دون الله من واق ＊ (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة وعن أبى هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال عمر أمتى) أى غالبا (من ستين سنة الى سبعين) قيل معناه آخر عمر أمتى ابتداؤه اذا بلغ ستين سنة وانتهاؤه سبعون سنة وقل من يجوز سبعين وهذا محمول على الغالب بدليل شهادة الحال فان منهم من لم يبلغ ستين ومنهم من يجوز سبعين ذكره الطيبي رحمه الله وفيه ان اعتبار الغاية فى جانب الزيادة على سبعين واضح جدا وأما كون الغالب فى آخر عمر الامة بلوغ ستين فى غاية من الغرابة المخالفة لما هو ظاهر فى المشاهدة فالظاهر ان المراد به ان عمر الامة من سن المحمود الوسط المعتدل الذى مات فيه غالب الأمة ما بين العددين منهم سيد الانبياء وأكابر الخلفاء كالصديق والفاروق والمرتضى وغيرهم من العلماء والاولياء مما يصعب فيه الاستقصاء و يعسر الاستحصاء (رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وعنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين) أى نهاية أكثر أعمار أمتى غالبا ما بينهما (وأقلهم من يجوز ذلك) أى السبعين فيصل الى المائة وما دونها وأكثر ما اطلعنا على طول العمر فى هذه الامة من المعمرين فى الصحابة والأئمة من انس بن مالك فانه مات وله من العمر مائة وثلاث سنين واسماء بنت أبى بكر ماتت ولها مائة سنة ولم يقع لها سن ولم ينكر فى عقلها شئ وأزيد منهما عمر حسان بن ثابت مات وله مائة وعشرون سنة عاش منها ستين فى الجاهلية وستين فى الاسلام وأكثر منه عمر سلمان الفارسى فقيل عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلثمائة وخمسين سنة والاول أصح والله تعالى أعلم ثم من تاريخ موته يفهم انه عاش فى الاسلام قليلا لانه ذكر المؤلف انه مات بالمدائن سنة خمس وثلاثين وقد أدركنا سيدنا السيد زكريا وسمعنا منه ان عمره مائة وعشرون سنة رحمه الله تعالى (رواه الترمذى وابن ماجه) وكذا ابو يعلى فى مسنده عن انس قال ابن الربيع وصححه ابن حبان والحاكم وقال انه صحيح على شرط مسلم وقال الترمذى حسن غريب وفى لفظ لاحمد والترمذى مرفوعا معترك المنايا ما بين الستين الى السبعين انتهى لكن فى الجامع أسنده الى الحكيم الترمذى والله تعالى أعلم (وذكر حديث

وعن أبى سعيد الخدرى ان النبي صلى الله عليه وسلم غرز عودا بين يديه وآخر الى جنبه وآخر أبعد منه فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل أراه قال وهذا الامل فيتعاطى الأمل فلحقه الأجل دون الأمل رواه فى شرح السنة وعن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر أمتى من ستين سنة الى سبعين وأقلهم من يجوز فى ذلك رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك رواه الترمذى وابن ماجه وذكر حديث

عبد الله بن الشخير) بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين وضبط فيما سبق بدون لام التعريف (في باب
عيادة المريض) أي في أواخر الفصل الثاني وهو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثل ابن
آدم أي صور والى جنبه تسع وتسعون منية أي مهلكة ان أخطأته المنايا وقع في الهرم حتى يموت انتهى
ولا شك ان مناسبة هذا أظهر من هناك فان جعلوه اليه فالحجة عليه وان أسقط عن تكرار فقد يسلم لديه

(الفصل الثالث) (عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أول
صلاح هذه الامة اليقين) أي في امر العقبى (والزهد) أي في شأن الدنيا (وأول فسادها البخل) بضم فسكون
وبفتحتين وهو الانسب هنا للمشاكلة قوله (والامل) فالامل انما هو الغفلة عن سرعة القيامة الصغرى
والكبرى والبخل انما ينشأ من حب الدنيا ويقرب من هذا الحديث معنى قول الحسن البصري صلاح الدين
الورع وفساده الطمع قال الطيبي رحمه الله معناه ان اليقين بان الله هو الرزاق المتكفل للارزاق وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها فمن تيقن هذا زهد في الدنيا فلم يأمل ولم يبخل لان البخيل انما يمسك المال لطول الامل
وعدم اليقين وروى عن الاصمعي انه قال تلوت على اعرابي والذاريات فلما بلغت قوله وفي السماء رزقكم
وما توعدون قال حسبك وقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما
وولى فلقيته في الطواف قد نحل جسمه واصفر لونه فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله
من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف فلم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه
(رواه البيهقي في شعب الايمان وعن سفيان الثوري) أي الكوفي امام المسلمين وحجة الله على خلقه أجمعين
جمع زمنه بين الفقه والاجتهاد فيه والحديث والزهد والعبادة والورع والعفة واليه المنتهى في علم الحديث
وغيره من العلوم اجمع الناس على دينه وزهده وورعه وثقته ولم يختلفوا في ذلك وهو أحد الائمة المجتهدين
وأحد أقطاب الاسلام واركان الدين ولد في أيام سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين سمع خلقا كثيرا
وروى عن معمر والاوزاعي وابن جريج ومالك وشعبة وابن عيينة وفضيل بن عياض وخلق كثير سواهم مات
سنة احدى وستين ومائة ذكره المؤلف (قال ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ) أي في الغزل
(والخشن) بفتح فكسر أي في النسج (وأكل الجشب) بفتح الجيم وكسر الشين المعجمة أي ولا بأكل
الغليظ الجشب من الطعام وقيل غير المأدوم (انما الزهد في الدنيا قصر الامل) بكسر قاف ففتح صاد وفي نسخة
بضم فسكون أي اقتصار الامل والاستعداد للاجل بالمسارعة الى التوبة والعلم والعمل وحاصله ان الزهد
الحقيقي هو ما يكون في الحال القلبي من عزوب النفس عن الدنيا وميلها الى العقبى وليس المدار على الانتفاع
القالبي فانه يستوي الامران فيه باعتبار الحقيقة وان كان التقشف في اللبس والتقلل في كمية الاكل وكيفيته
له تأثير بليغ في استقامة العبد على الطريقة والحاصل ان حب الدنيا في القلب هو المهلك لها لا وجودها
على قالب السالك وشبه القلب بالسفينة حيث ان الماء المشبه بالدنيا في قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء
أنزلناه من السماء ان دخل داخل السفينة أغرقها مع أهلها وان كان خارجها وحولها يسيرها وأوصلها الى
محلها ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقد اختار جماعة من الصوفية أكابر
الملامية لبس العوام وبعضهم لبس أكابر الخدام لتستر الاحوال لهم ومنازلهم الكرام ويتعدى عما ينادي لبس
المرقع من الشكاية من الحق الى الخلق والى السؤال بلسان الحال ومن الطمع في غير المطامع ومن المظنة في
موقع الرياء والسمعة وقد أخرج الديلمي في مسند الفردوس عن أبي سعيد الخدري مرفوعا لبس الصوف يحسن
اللباس والزي [illegible] السكينة والوقار وهذا والطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق والمدار على الاخلاص
والخلاص من الله لا من الخلائق (رواه في شرح السنة وعن زيد بن الحسين) لم يذكره المؤلف في أسمائه
لكونه من رواة مالك وهو وشيخه ليسا من الصحابة والتابعين (قال سمعت مالكا وسئل) أي والحال انه سئل

عبد الله بن الشخير في باب عيادة المريض

(الفصل الثالث) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أول صلاح هذه الامة اليقين والزهد وأول فسادها البخل والامل رواه البيهقي في شعب الايمان وعن سفيان الثوري قال ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ والخشن وأكل الجشب انما الزهد في الدنيا قصر الامل رواه في شرح السنة وعن زيد بن الحسين قال سمعت مالكا وسئل

(أى شئ الزهد فى الدنيا قال طيب الكسب) أى المكسوب من المأكول والمشروب بأن يكون حلالا طيبا يورث علما نافعا وعملا صالحا لانه قال تعالى للرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون (وقصر الامل) أى بكثرة العمل مخافة الفوات لاجل المزهد فى الدنيا المرغب فى العقبى قال الطيبي رحمه الله فان قلت أى مدخل لطيب الكسب فى الزهد قلت هذا رد على من زعم ان الزهد فى مجرد ترك الدنيا ولبس الخشن وأكل الجشب أى ليس حقيقة الزهد ما زعمته بل حقيقته ان تأكل الحلال وتلبس الحلال وتقنع بالكفاف وتقصر الامل ونحوه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا بان لا تكون بما فى يديك أوثق بما فى أيدى الناس انتهى وتمامه على ما فى الجامع برواية الترمذى وابن ماجه عن أبى ذر وان تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب منك فيها لو انها أبقيت لك وسيأتى هذا الحديث فى أصل الكتاب من أواخر الباب ونظيره انه قيل للامام محمد صاحب أبى حنيفة رحمهما الله تعالى لم لم تصنف فى التصوف فقال صنفت فى الفقه فقيل ما هو فقال كتاب البيع فمن لم يعرف صحته وفساده يأكل حراما ومن أكل حراما لا يصلح حاله أبدا (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

(باب استحباب المال والعمر للطاعة)

أى جواز طلب حب المال وطول العمر لصرفهما فى الطاعة والعبادة

(الفصل الاول) (عن سعد) أى ابن أبى وقاص (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يحب العبد التقى) أى من يتقى المناهى أو من لا يصرف ماله فى الملاهى، وقيل هو الذى يتقى المحرمات والشبهات ويتورع عن المشتهيات والمباحات (الغنى) قال النووى رحمه الله المراد بالغنى غنى النفس وهذا هو الغنى المحبوب لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الغنى غنى النفس واشار القاضى رحمه الله الى أن المراد به غنى المال قلت وهذا هو المناسب لعنوان الباب وهو لا ينافى غنى النفس فانه الاصل فى الغنى والفرد الاكمل فى المعنى ويترتب عليه غنى اليد الموجب لتحصيل الخيرات والمبرات فى الدنيا ووصول الدرجات العاليات فى العقبى والحاصل ان المراد به الغنى الشاكر وقد يستدل به على انه أفضل من الفقير الصابر لكن المعتمد خلافه لما سبق بيانه وتحقق برهانه (الخفى) بالخاء المعجمة أى الخامل المنقطع لعبادة ربه المشتغل بامور نفسه أو الخفى الخير بان يعمله ويصرف ماله فى مرضاة ربه بحيث لا يطلع عليه غيره الشامل للفقير أيضا كما ورد حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وهو الاظهر وروى بالمهملة أى المشفق وقال النووى رحمه الله معناه الواصل للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء والصحيح الاول وفيه حجة لمن يقول الاعتزال أفضل من الاختلاط ومن قال بتفضيل الاختلاط تأول هذا بالاعتزال فى وقت الفتنة أقول أو يحمل على اختلاط أرباب البطالة وقال ابن الملك أراد به الخفى عن أعين الناس فى نوافله لئلا يدخله الرياء وقيل هو من لا يتكبر على الناس ولا يفتخر عليهم بالمال بل يجعل نفسه منكسرة من التواضع وقيل أراد به قليل التردد والخروج الى نحو الاسواق (رواه مسلم) أى من طريق عامر بن سعد بن أبى وقاص ذكره الجزرى وفى الجامع رواه أحمد ومسلم عن سعد بن أبى وقاص قال الطيبي رحمه الله وفى بعض نسخ المصابيح الحق بعد قوله التقى النقى بالنون ولم يوجد فى صحيح مسلم وشرحه ولا فى الحميدى وجامع الاصول (وذكر حديث ابن عمر لا حسد الا فى اثنين) أى رجل آتاه الله القرآن ورجل آتاه الله مالا (فى باب فضائل القرآن) صوابه فى كتاب فضائل القرآن ثم لما كان الحديث مشتملا على المعنيين المناسبين للبابين باعتبار الرجلين والاول منهما متعلق بفضل القرآن خص به أولا مقررا وصار الثانى مستدركا مكررا

(الفصل الثانى) (عن أبى بكرة) بالتاء (ان رجلا قال يا رسول الله أى الناس) أى أى أصنافهم (خير) أى أخير (قال من طال عمره) بضمتين على ما هو الافصح الوارد فى كلامه سبحانه وبضم فسكون على ما هو المشهور

أى شئ الزهد فى الدنيا قال طيب الكسب وقصر الامل رواه البيهقى فى شعب الايمان

(باب استحباب المال والعمر للطاعة)

(الفصل الاول) عن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقى الغنى الخفى رواه مسلم وذكر حديث ابن عمر لا حسد الا فى اثنين فى باب فضائل القرآن

(الفصل الثانى) عن أبى بكرة ان رجلا قال يا رسول الله أى الناس خير قال من طال عمره

على السنة العامة تخفيفا وفتح العين وسكون الميم لغة فيه ومنه قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وفى القاموس العمر بالفتح وبالضم وبضمتين الحياة (وحسن عمله قال فاى الناس شر) أى أشر (قال من طال عمره وساء عمله) قال الطيبي رحمه الله وقد سبق ان الاوقات والساعات كرأس المال للتاجر فينبغى ان يتجر فيما يربح فيه وكلما كان رأس ماله كثيرا كان الربح أكثر فمن مضى لطيبه فاز وأفلح ومن أضاع رأس ماله لم يربح وخسر خسرانا مبينا انتهى وبقى صنفان مستويان ليس فيهما زيادة من الخير والشر وهما من قصر عمره وحسن عمله أو ساء عمله (رواه أحمد والترمذى) وفى نسخة وقال حسن صحيح (والدارمى) وكذا رواه الطبرانى باسناد صحيح والحاكم والبيهقى عنه وروى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية عن عبد الله بن بسر مرفوعا طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وروى الحاكم عن جابر مرفوعا خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا (وعن عبيد) بالتصغير (بن خالد) قال المؤلف فى فصل الصحابة سلمى بهزى مهاجرى سكن الكوفة روى عنه جماعة من الكوفيين (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آخى) أى عقد عقد الاخوة وبيعة الصحبة والمحبة (بين رجلين) أى من أصحابه (فقتل أحدهما) أى استشهد (فى سبيل الله) أى فى الجهاد (ثم مات الآخر) أى على فراشه (بعده) وفى نسخة بعد بضم الدال مبنيا والمعنى بعد قتل أخيه (بجمعة) أى باسبوع (أو نحوها) أى قريبا منها تقديرا أقل أو أكثر وانما نبه احتياطا (فصلوا) أى المسلمون (عليه) أى على الآخر (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما قلتم) أى فى حقه من الكلام ومن الاستفهام (قالوا دعونا الله أن يغفر له) أى ذنوبه (ويرحمه) أى يتفضل عليه ويثيبه (ويلحقه) من الالحاق أى يوصله (بصاحبه) أى فى علو درجته لكى يكونا فى غرفة واحدة من الجنة فى العقبى كما كانا فى مرتبة واحدة من المحبة فى الدنيا (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاين) جواب شرط مقدر أى اذا كنتم تدعون الله بان يلحقه بصاحبه وزعمتم منكم ان مرتبته دون مرتبة أخيه فاين (صلاته) أى الزائدة للميت (بعد صلاته) أى الواقعة للشهيد (وعمله بعد عمله) تعميم بعد تخصيص أو التقدير وسائر عمله أى عمل الميت بعد انقطاع عمل الشهيد (أو قال) شك من الراوى (صيامه بعد صيامه) ولعله كان فى رمضان أو المتخلف كان ممن يصوم النافلة كثيرا (لما بينهما) قال ابن الملك اللام فيه موطئة للقسم أو للابتداء فات الثانى هو الصحيح لان شرط الموطئة ان تكون مقرونة بان الشرطية نحو قوله تعالى لئن أشركت الآية نعم يمكن ان تكون اللام فى جواب القسم المقدر أى والله لما بينهما والمعنى للتفاوت الذى بين الاخوين فى القرب عند الله تعالى (أبعد مما بين السماء والارض) يعنى مرتبة الميت أعلى فالحاق الشهيد به أولى وذلك لانه أيضا كان مرابطا فى سبيل الله فله المشاركة فى الشهادة حكما وطريقة وله الزيادة فى الطاعة والعبادة شريعة وحقيقة والا فمن المعلوم ان لا عمل أزيد ثوابا على الشهادة جهادا فى سبيل الله واظهار الدينه لاسيما فى مبادى الدعوة مع قلة أعوانه من أهل الملة وقال الطيبي رحمه الله فان قلت كيف تفضل هذه الزيادة فى العمل بلا شهادة على عمله مع الشهادة قد عرف صلى الله تعالى عليه وسلم ان عمل هذا بلا شهادة ساوى عمله مع شهادته بسبب مزيد اخلاصه وخشوعه ثم زاد عليه بما عمل بعده وكم من شهيد لا يدرك شأو الصديق فى العمل انتهى فتأمل فانه ليس فى الحديث اشعار بقلة اخلاص الشهيد فهذا الظن بالصحابة ليس بالسديد مع انه لو كان هذا علة التفضيل لبينه صلى الله تعالى عليه وسلم فى وجه التعليل ولا كلام فى الصديق انه ممن تفضل عليه سبحانه بزيادة التوفيق مع انه رضى الله تعالى عنه شهيد حكما وقد قدم الله سبحانه مرتبة الصديقين على الشهداء فى مواضع من كتابه والله أعلم (رواه أبو داود والنسائى) رجال هذا الحديث رجال الصحيح الا عبد الله بن ربيعة السلمى عن عبيد بن خالد قال النسائى انه صحابى وعلى تقدير ان لا يكون [illegible] تابعى ولم [illegible] أحد بضعف وأما عبيد بن خالد وهو أبو عبد الله السلمى البهزى وله صحبة [illegible] روى [illegible] ربيعة وتميم بن سلمة وسعد بن عبيدة [illegible]

وحسن عمله قال فاى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله رواه أحمد والترمذى والدارمى وعن عبيد بن خالد ان النبى صلى الله عليه وسلم آخى بين رجلين فقتل أحدهما فى سبيل الله ثم مات الآخر بعده بجمعة أو نحوها فصلوا عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما قلتم قالوا دعونا الله ان يغفر له ويرحمه ويلحقه بصاحبه فقال النبى صلى الله عليه وسلم فاين صلاته بعد صلاته وعمله بعد عمله أو قال صيامه بعد صيامه لما بينهما أبعد مما بين السماء والارض رواه أبو داود والنسائى

عبدالله بن ربيعة بن فرقد السلمي ذكر في الصحابة ونفاها أبو حاتم ووثقه ابن حبان انتهى وسيأتي زيادة
كلام في هذا المرام (وعن أبي كبشة الانماري) قال المؤلف هو عمرو بن سعيد نزل بالشام وروى عنه
سالم بن أبي الجعد ونعيم بن زياد (انه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ثلاث) أي من الخصال
(أقسم) أي أحلف (عليهن وأحدثكم) عطف على قوله ثلاث بحسب المعنى فكأنه قال أخبركم بثلاث
أؤكدهن بالقسم عليهن وأحدثكم (حديثا) أي تحديثا عظيما أو بحديث (آخر فاحفظوه) أي
الاخير أو المجموع ومما يدل على ما اخترناه من التقدير المذكور والتحرير المسطور قوله (فاما الذي أقسم
عليهن) أي الذي أخبركم بثلاث وأحلف عليهن هو هذا الذي ابينه (فانه) أي الشأن (مانقص مال
عبد) أي بركته (من صدقة) أي من أجل اعطاء صدقة لانه مخلوفة معوضة كمية أو كيفية في الدار الدنيوية
والاخروية قال تعالى جل جلاله وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه (ولاظلم عبد) بصيغة المجهول (مظلمة)
بفتح الميم وكسر اللام اسم ما أخذه الظالم ظلما كذا ذكره ابن الملك وفي القاموس المظلمة بكسر اللام
ما يظلمه الرجل والظاهر انه هنا مصدر بمعنى المفعول صفته قوله (صبر) أي العبد (عليها) أي على
تلك المظلمة ولو كان متضمنا لنوع من المذلة (الازاده الله بها عزا) أي عنده تعالى كما نه يزيد لظالم عنده
ذلابها أو يزيده الله بها عزا له في الدنيا معاقبة كما يحصل للظالم ذلبها ولو بعد حين من المدة بل ربما ينقلب
الامر ويجعل الظالم تحت ذل المظلوم جزاء وفاقا (ولافتح عبد) أي على نفسه (باب مسئلة) أي باب سؤال
وطلب من الناس لا لحاجة وضرورة بل لقصد غنى وزيادة (الافتح الله عليه باب فقر) أي باب احتياج
آخر وهلم جرا أو بان سلب عنه ما عنده من النعمة فيقع في نهاية من النقمة كما هو مشاهد في أصحاب التهمة
ومثل حاله بالحمار الذي ليس له الذنب وهو دائر في الطلب فدخل في بستان حريصا عليه فقطع الحارس أذنيه
وشبه أيضا بكلب في فمه عظم ومر على نهر لطيف يظهر من تحته عظم نظيف ففتح الكلب فمه حريصا على أخذ ما في
قعر الماء فوقع ما في فمه من العظم في الماء فالحريص شوم والحريص محروم هذا وقال الطيبي رحمه الله في قوله
فاما الذي أقسم عليهن أفرده وذكره باعتبار كون المذكور موعودا وجمع الراجع الى الموصول باعتبار
الخصال المذكورات وبه فسر قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد في وجه أي الجمع أو الفوج وفي المصابيح
أما الذي أقسم عليهن وهو ظاهر وليس المراد تحقيق الحلف بل تأكيده وتنويهاته المدعي يثبت بذكر
القسم تارة وأخرى بلفظ القسم انتهى والاظهر ان يقال التقدير فاما قولي الذي أقسم فيه على الخصال الثلاث
وأؤكده فانه الى آخره (وأما الذي أحدثكم حديثا فاحفظوه فقال انما الدنيا) هو تفسير وبيان بل قال
جملة معترضة للتأكيد والتقدير فانما الدنيا ويؤيده انه ليس في الجامع لفظ فقال بل فيه انما الدنيا (لاربعة
نفر) أي كل واحد عبارة عن جمع وصف (عبد) بالجر ويرفع (رزقه الله مالا وعلما) فيه ايماء الى ان العلم
رزق أيضا وان الله تعالى هو الذي يرزق العلم والمال وبتوفيقه وفتحه يفتح باب الكمال وقد ورد في حديث ان
علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه فيدخل العلماء ولو كانوا فقراء في قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون ثم فيه
اشعار بان المراد بالمال هنا ما يزيد على قدر ضرورة الحال (فهو يتقي فيه) أي في المال (ربه) بان لا يصرفه ماله
في معصية خالقه (ويصل رحمه) أي بالمواساة لي أقاربه (ويعمل لله فيه) أي في العلم (بحقه)
أي قياما بحق العلم وما يقتضيه من العمل بحق الله وحق عباده ففيه لف ونشر مرتب ويؤيده لفظ الجامع
ويعلم لله فيه حقا ويمكن رجوع كل من الضميرين الى كل من المال والعلم وافرده باعتبار ماذكر وقال
ابن الملك أي بحق المال والمعنى يؤدي ما في المال من الحقوق كالزكاة والكفارة والنفقة واطعام الضيف
ويجوز كون الضمير لله أي بحق الله الواجب في المال (فهذا) أي العبد الموصوف بما ذكر (بافضل المنازل)
أي في أكمل مراتب الشمائل في الدنيا أو في أعلى الدرجات في العقبى (وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا
فهو صادق النية) أي ظاهره مطابق لما في الطوية (يقول) أي بلسان المقال أو بلسان الحال (لو أن لي

وعن أبي كبشة الانماري انه
سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ثلاث أقسم
عليهن وأحدثكم حديثا
فاحفظوه فاما الذي أقسم
عليهن فانه مانقص مال عبد
من صدقة ولاظلم عبد مظلمة
صبر عليها الازاده الله بها
عزا ولافتح عبد باب مسئلة
الافتح الله عليه باب فقر وأما
الذي أحدثكم فاحفظوه
فقال انما الدنيا لاربعة نفر
عبد رزقه الله مالا وعلما
فهو يتقي فيه ربه ويصل
رحمه ويعمل لله فيه بحقه
فهذا بأفضل المنازل وعبد
رزقه الله علما ولم يرزقه مالا
فهو صادق النية يقول لو أن لي

مالا لعملت بعمل فلان) أى من أهل الخير (فأجرهما سواء) وهو استئناف بيان أو حال (وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط) بكسر الباء بدون فهو فهو حال أو استئناف بيان والمعنى يقوم ويقعد بالجمع والمنع (فى ماله) أو يختلف فى حاله باعتبار الانفاق والامساك فى ماله (بغير علم) أى بغير استعمال علم بأن يمسك تارة حرصا وحبا للدنيا وينفق أخرى للسمعة والرياء والفخر والخيلاء (لا يتقى فيه ربه) أى لعدم علمه فى أخذه وصرفه (ولا يصل فيه رحمه) أى لقلة رحمته وعدم حلمه وكثرة حرصه وبخله (ولا يعمل فيه بحق) أى بنوع من الحقوق المتعلقة بالله وبعباده ولفظ الجامع ولا يعلم لله فيه حقا (فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان) أى من أهل الشر (فهو نيته) أى فهو مغلوب نيته ومحكوم طويته أو الحمل بطريق المبالغة فكأنه عين نيته كرجل عدل وفى نسخة فهو بنيته وكذا فى الجامع أى مجزى بها ومعاقب عليها ولما كان الظاهر ان اثمه بمجرد نيته دون اثم العامل المشتمل عمله على النية والمباشرة أكد الوعيد وشدد التهديد بقوله (ووزرهما سواء) ولفظ الجامع فوزرهما سواء قال الطيبى رحمه الله فهو نيته مبتدأ وخبر أى فهو بسيء النية يدل عليه وقوعه فى مقابلة قوله فهو صادق النية فى القرينة الاولى وقوله يقول لو أن لى مالا الى آخره تفسير لقوله صادق النية وقوله فهو يقول لو أن لى مالا الى آخره مقابل قوله فأجرهما سواء وقوله ووزرهما سواء مقتبلات قال ابن الملك هذا الحديث لا ينافى خبر ان الله تجاوز عن أمتى ما وسوست به صدورها ما لم تعمل به لانه عمل هنا بالقول اللسانى والمتجاوز عنه هو القول النفسانى انتهى والمعتمد ما قاله العلماء المحققون ان هذا اذا لم يوطن نفسه ولم يستقر قلبه بفعلها فان عزم واستقر يكتب معصية وان لم يعمل ولم يتكلم وقد تقدم والله تعالى أعلم (رواه الترمذى وقال هذا حديث صحيح) قال المنذرى حديث أبى كبشة رواه أحمد والترمذى واللفظ له وقال حسن صحيح وابن ماجه بمعناه ذكره ميرك وفى الجامع وكذا رواه أحمد فى مسنده وروى ابن أبى الدنيا فى ذم الغضب عن عبد الرحمن بن عوف صدر الحديث فقط ولفظه ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها الا زاده الله تعالى بها عزا فاعفوا يزدكم الله عزا ولا فتح رجل باب مسئلة يسأل الناس الا فتح الله عليه باب فقر وهذا يدل على ان الحديث الاول مركب من حديثين جمعهما الراوى وجعلهما حديثا واحدا ومما يدل عليه ان لفظ الجامع عن الانمارى ثلاث أقسم عليهن الى قوله باب فقر ثم قال وأحدثكم حديثا فاحفظوه انما الدنيا الخ فالتفسيرات المحتاجة الى التأويلات انما هى من تصرفات بعض الرواة والله تعالى أعلم (وعن أنس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا أراد بعبد خيرا) أى فى عاقبته (استعمله) أى جعله عاملا (فى الطاعة) فانه الفرد الاكمل عند اطلاق العمل (فقيل وكيف يستعمله يارسول الله) أى والحال انه دائم الاستعمال (قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت) أى حتى يموت على التوبة والعبادة فيكون له حسن الخاتمة وزاد فى الجامع ثم يقبضه عليه (رواه الترمذى) أى وقال صحيح الاسناد نقله ميرك عن التصحيح ورواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ذكره المنذرى وفى الجامع رواه أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم ورواه الطبرانى عن أبى أمامة ولفظه اذا أراد الله بعبد خيرا طهره قبل موته قالوا وما طهور العبد قال عمل صالح يلهمه اياه حتى يقبضه عليه ورواه أحمد والطبرانى عن أبى عنبسة ولفظه اذا أراد الله بعبد خيرا عسله بفتح العين والسين المهملة قالوا وما عسله بالضبط المذكور على الحكاية قال يفتح له عملا صالحا قبل موته ثم يقبضه عليه ورواه أحمد والحاكم عن عمرو بن الحمق بفتح فكسر ولفظه اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله قيل وما استعمله قال يفتح له عملا صالحا بين يدى موته حتى يرضى عنه من حوله هذا ورواه أحمد وابن حبان عن أبى سعيد مرفوعا ان الله اذا رضى عن العبد اثنى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعمله واذا سخط على العبد اثنى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعمله انتهى وكأن العمل فى الموضعين بمعنى على نيته أو محمول على

مالا لعملت بعمل فلان فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل فيه بحق هذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو نيته ووزرهما سواء رواه الترمذى وقال هذا حديث صحيح وعن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا أراد بعبد خيرا استعمله فقيل وكيف يستعمله يارسول الله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت رواه الترمذى

أخذ عبادة ظالم لظالم ووضع مظلمة من مظلوم على ظالم والله تعالى أعلم (وعن شداد) بتشديد الدال الاولى (ابن أوس) بفتح فسكون قال المؤلف يكنى أبا يعلى الانصاري قال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء كان شداد ممن أوتي العلم والحلم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكيس) بفتح الكاف وتشديد الياء أي العاقل الحازم المحتاط في الامور (من دان نفسه) أي جعلها دنية مطيعة لامره تعالى منقادة لحكمه وقضائه وقدره وفي النهاية أي اذلها واستعبدها وقيل حاسبها وذكر النووي انه قال الترمذي وغيره من العلماء معنى دان نفسه حاسبها انتهى أي حاسب أعمالها وأحوالها وأقوالها في الدنيا فان كانت خيرا حمد الله تعالى وان كانت شرا تاب منها واستدرك ما فاتها قبل ان يحاسب في العقبى كما روي حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وقد قال تعالى ولتنظر نفس ما قدمت لغد (وعمل) أي عملا نافعا (لما بعد الموت والعاجز) أي عن استعمال العقل والاحتياط في الامر والحاصل ان الكيس هو المؤمن القوي والعاجز هو المؤمن الضعيف وهو (من أتبع نفسه هواها) من الاتباع أي جعلها تابعة لهواها من تحصيل المشتهيات واستعمال اللذات والشبهات بل من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات (وتمنى على الله) فالا ربي كريم رحيم وقد قال تعالى جل شأنه ما غرك بربك الكريم وقال نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم وقال ان رحمت الله قريب من المحسنين وقال ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله وقد عبر عن الرجاء مع غير الطاعة بلفظ التمني اشارة الى أن وقوعه قريب من المحال وان كان يمكن صدوره من الملك المتعال على طريق الافضال قال الطيبي رحمه الله والعاجز الذي غلبت عليه نفسه وعمل ما أمرته به نفسه فصار عاجزا لنفسه فاتبع نفسه هواها وأعطاها ما اشتهته قوبل الكيس بالعاجز والمقابل الحقيقي للكيس السفيه الرأي وللعاجز القادر ليؤذن بان الكيس هو القادر والعاجز هو السفيه وتمنى على الله أي يذنب ويتمنى الجنة من غير الاستغفار والتوبة (رواه الترمذي وابن ماجه) وكذا أحمد والحاكم

(الفصل الثالث) (عن رجل) سيأتي اسمه (من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال كنا في مجلس فطلع علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فظهر لنا كطالعة الشمس (وعلى رأسه أثر ماء) أي من الغسل (فقلنا يا رسول الله نراك طيب النفس) أي ظاهر البشر والسرور ومنشرح الخاطر على ما يتلألأ منك من النور (قال أجل) بفتحتين وسكون اللام المخففة أي نعم (قال) أي الرجل الراوي (ثم خاض القوم) أي شرعوا وبالغوا (في ذكر الغنى) أي في سؤاله أو ذم حاله وسوء مآله (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا بأس بالغنى لمن اتقى الله عز وجل) أشار بقوله لا بأس ان الفقر أفضل لمن اتقى الله (والصحة) أي صحة البدن ولو مع الفقر لمن اتقى (خير من الغنى) أي مطلقا أو الغنى وصحة الحال لمن اتقى المال خير من الغنى الموجب للحساب والعقاب في المآل (وطيب النفس) أي انشراح الصدر المقتضي للشكر والصبر المستوي عنده الغنى والفقر (من النعيم) أي من جملة النعيم الذي يعبر عنه بجنة نعيم على ما قاله بعض العارفين في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في الدنيا وجنة في العقبى وقيل من النعيم المسؤل عنه المذكور في قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم وهو لا ينافي ما ذكرناه فانه الفرد الاكمل من جنس النعيم الذي لا ينبغي ان يقال لغيره بالنسبة اليه انه النعيم فان ما عداه قد يبعد كونه من الماء الحميم أو من عذاب الجحيم (رواه أحمد) وكذا ابن ماجه والحاكم عن يسار بن عبد على ما في الجامع فتبين ابهام الرجل مع ان جهالة الصحابي لا تضر فان الصحابة كلهم عدول (وعن سفيان الثوري قال كان المال فيما مضى يكره) أي عند أرباب الحال (فأما اليوم) أي في هذا الزمان (فهو ترس المؤمن) أي جنته من جنة وجنته بلا ممنه وحاصله ان المال الحلال يقي صاحب الحال من الوقوع في الشبهة والحرام ويمنعه من ملازمة الظلمة ومصاحبتهم في الظلام أو يستر به المؤمن عن الرياء والسمعة

وعن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله رواه الترمذي وابن ماجه

(الفصل الثالث)

عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كنا في مجلس فطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه أثر ماء فقلنا يا رسول الله نراك طيب النفس قال أجل قال ثم خاض القوم في ذكر الغنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بالغنى لمن اتقى الله عز وجل والصحة لمن اتقى خير من الغنى وطيب النفس من النعيم رواه أحمد وعن سفيان الثوري قال كان المال فيما مضى يكره فأما اليوم فهو ترس المؤمن

والشهرة عند العوام (وقال لولا هذه الدنانير) أي وجودها عندنا ولطهو واستغنائنا بها عن الخلق (لتمندل بنا هؤلاء الملوك) أي لجعلونا مناديل أوساخهم وهي كناية عن الابتذال والمذلة للظلمة أو عن موافقتهم في تصويرات حيل المسئلة قيل هو مأخوذ من المندل وهو لوح قيل لبعضهم ان المال يدنيك من الدنيا فقال لئن أدناني من الدنيا لقد صانني عنها وقيل لان أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من أن احتاج الى الناس يعني احتياجي الى الله خير من احتياجي الى ما سواه وقد أخرج الطبراني في الاوسط عن المقدام بن معدي كرب مرفوعا يأتي على الناس زمان من لم يكن معه أصفر ولا أبيض لم يتهن بالعيش وهو عند الامام أحمد بلفظ يأتي على الناس زمان لا ينفع فيه الا الدرهم والدينار هذا وقد قيل الدراهم للجراحات مراهم (وقال) أي الثوري (من كان في يده من هذه) أي الدنانير والاموال (شيء) أي قليل على قدر الكفاية (فليصلحه) أي ليصرفه على وجه القناعة أو لا يتلفه بل يستزده بنوع من التجارة (فانه) أي زماننا (زمان) أي عجيب من وصفه (ان احتاج) أي الشخص فيه (كان أول من يبذل دينه) أي لتحصيل دنياه وأول منصوب وقيل مرفوع قال الطيبي رحمه الله أي كان ذلك الشخص أول شخص يبذل دينه فيما يحتاج اليه وهو ولو حمل من على ما كما نقل المالكي عن قطرب لكان أبين ويؤيده رواية الكشاف كان أول ما يأكل دينه فما موصوفة وأول اسم كان ودينه خبره قلت ويمكن عكسه بل هو الاظهر فتدبر (وقال) أي الثوري (الحلال) أي لانه قليل الوجود في المال (لا يحتمل السرف) أي صرفه بالاكثار قال الطيبي رحمه الله يحتمل معنيين أحدهما ان الحلال لا يكون كثيرا فلا يحتمل الاسراف وثانيهما ان الحلال لا ينبغي ان يسرف فيه ثم يحتاج الى الغير انتهى وفي كل منهما نظر اذ معنى الاسراف هو التجاوز عن الحد بان يصرفه في غير محله زيادة على قدره وهو يحتمل في القليل والكثير ويشمل المال الحلال والحرام فالاوجه ان يقال ان الحلال من خاصيته انه لا يقع في الاسراف كصرفه في الماء والطين بلا ضرورة وكزيادة اعطاء الاطعمة على طريق الرياء والسمعة ولذا قيل لا سرف في خير ولا خير في سرف وفيه تنبيه انه ينبغي للطالب ان يجتهد في تحصيل الحلال ولو كان القليل من المال وان يقنع به ولا يصرفه على طريق الاسراف لئلا يحوج نفسه الى الاكابر والاشراف (رواه في شرح السنة وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة اين أبناء الستين) أي أصحابها من وصل عمره اليها (وهو العمر الذي قال الله تعالى) أي في حقه (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) قال الطيبي رحمه الله ما موصوفة أي عمرنا كم عمرا يتعظ فيه العاقل الذي من شأنه ان يتعظ (وجاءكم النذير) أي المنذر أو الانذار وهو الشيب أو القرآن أو الرسول أو الموت أو جنس المنذر فيشمل الكل والجملة حالية (رواه البيهقي في شعب الايمان) وقد سبق ما يتعلق به رواية ودراية (وعن عبد الله بن شداد) تابعي جليل كما سيجيء بيانه ولم يذكره المؤلف في أسمائه (قال ان نفرا من بني عذرة) بضم فسكون قبيلة مشهورة (ثلاثة) بالنصب بدلا أو بيانا من نفرا (أتوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جاؤه (فاسلموا) أي وأرادوا الاقامة بنية المجاهدة وهم من أهل الفقر والفاقة (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) استئناف بيان (من يكفينيهم) أي مؤنتهم من طعامهم وشرابهم ونحو ذلك قال الطيبي رحمه الله هم ثاني مفعولي يكفي على تقدير مضاف (قال طلحة أنا) أي أكفيكهم (فكانوا) أي الثلاثة أو النفر (عنده) أي عند أبي طلحة (فبعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعثا) أي أرسل سرية فالبعث بمعنى المبعوث (فخرج فيه) أي في ذلك البعث (أحدهم فاستشهد) بصيغة المجهول أي صار شهيدا (ثم بعث بعثا فخرج فيه الآخر فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه) أي مرابطا أو بالجهاد (قال) أي ابن شداد (قال طلحة فرأيت) أي في المنام أو في كشف المقام (هؤلاء الثلاثة في الجنة ورأيت الميت على فراشه) أي الكائن عليه (امامهم) بفتح الهمزة أي قدامهم قال الطيبي رحمه

الله

وقال لولا هذه الدنانير لتمندل بنا هؤلاء الملوك وقال من كان في يده من هذه شيء فليصلحه فانه زمان ان احتاج كان أول من يبذل دينه وقال الحلال لا يحتمل السرف رواه في شرح السنة وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة أين أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير رواه البيهقي في شعب الايمان وعن عبد الله بن شداد قال ان نفرا من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يكفينيهم قال طلحة أنا فكانوا عنده فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا فخرج فيه أحدهم فاستشهد ثم بعث بعثا فخرج فيه الآخر فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه قال قال طلحة فرأيت هؤلاء الثلاثة في الجنة ورأيت الميت على فراشه امامهم

الله الظاهر ان يقال امامهما الا أن يقال المراد المقدم من بينهم أو يذهب الى أن أقل الجمع اثنان (والذى
عطف على الميت وفى نسخة فالذى (استشهد آخرا يليه) أى يقرب الميت (وأولهم) بالنصب وقيل برفعه
(يليه) أى يلى المستشهد آخرا (فدخلنى) أى شئ أو اشكال (من ذلك) أى مما رأيته من التقديم
والتأخير على خلاف ما كان يخطر فى الضمير والفاعل محذوف على مذهب ابن مالك (فذكرت للنبى صلى
الله تعالى عليه وسلم ذلك) الفاء فصيحة أى فجئت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكرت له ذلك
مستغربا ومستنكرا (فقال وما أنكرت) أى وأى شئ أنكرته (من ذلك) والمعنى لاتنكر شيأ منه
فانه (ليس أحد أفضل عند الله) فالاستئناف مبين متضمن للعلة أى ليس أحد أكثر ثوابا عنده سبحانه (من
مؤمن يعمر) بتشديد الميم المفتوحة أى يطول عمره (فى الاسلام لتسبيحه) أى لاجل تسبيحه (وتكبيره
وتهليله) أى ونحو ذلك من سائر عباداته القولية والفعلية ولفظ الجامع رواه عن أحمد لتكبيره وتحميده
وتسبيحه وتهليله قال ميرك حديث عبد الله بن شداد رواه أحمد وأبو يعلى ورواتهم رواة الصحيح وفى أوله
عند أحمد ارسال لكن وصله أبو يعلى بذكر طلحة فيه كذا قاله المنذرى فى الترغيب وكأنه يشير الى أن
عبد الله بن شداد ليست له صحبة وان ولد على عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كذا ذكره العجلى انه من
كبار التابعين الثقات وكان معدودا فى الفقهاء ولم يصرح فى هذا الحديث عند أحمد بالسماع بل قال ان
نفرا الخ وصرح أبو يعلى بانه رواه عن طلحة ومما يناسب حديث عبد الله بن شداد هذا وحديث عبيد بن خالد
الذى سبق فى الفصل الثانى ما رواه أحمد باسناد حسن عن أبى هريرة قال كان رجلان من بنى قضاعة أسلما
مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة قال طلحة بن عبيد الله
فرأيت المؤخر منهما ادخل الجنة قبل الشهيد فتعجبت لذلك فاصبحت فذكرت ذلك للنبى صلى الله تعالى عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أليس قد صام بعده رمضان وصلى ستة آلاف ركعة وكذا
وكذا ركعة صلاة سنة ورواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى كلهم عن طلحة بنحوه أطول منه
وزاد ابن ماجه فى آخره فلما بينهما أبعد مما بين السماء والارض (وعن محمد بن أبى عميرة) بفتح العين وكسر
الميم قال المؤلف مزنى يعد فى الشاميين روى عنه جبير بن نفير (وكان من أصحاب رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ان عبدا لو خر) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء أى سقط (على وجهه من يوم ولد)
بفتح الميم على البناء وقيل بجرها منونا (الى أن يموت هرما) بفتحتين أى ذا هرم وفى نسخة بكسر الراء أى
شيخا كبيرا (فى طاعة الله لحقره) بتشديد القاف أى لعده قليلا لما يرى من ثواب العمل (فى ذلك اليوم ولودّ)
أى لاحب وتمنى (انه رد الى الدنيا كيما يزداد) أى ليزيد (من الاجر والثواب) أى من أجر العمل بمقتضى
الوعد والعدل وزيادة المثوبة على طريق الفضل (رواهما) أى الحديثين (أحمد) أى فى مسنده لكن
الثانى رواه موقوفا والاول رواه مرسلا كما تقدم والله تعالى أعلم وروى أحمد والبخارى فى تاريخه والطبرانى
عن عتبة بن عبد الله مرفوعا أن رجلا يخر على وجهه من يوم ولد الى يوم يموت هرما فى مرضاة الله لحقره
يوم القيامة

(باب التوكل والصبر)

قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله يحب المتوكلين وقال واصبر وما صبرك الا بالله ان الله
مع الصابرين جمع بينهما لتلازمهما وعدم انفكاكهما وقدم التوكل لانه منتج الصبر وبه يحلو المر
وينكشف الضر فان النصر مع الصبر ومن توكل على الله كفاه وقال بعضهم التوكل على أحد هو ان يتخذه
بمنزلة الوكيل القائم بامره المتكفل باصلاح حاله على قدره وقال ابن الملك المراد بالتوكل هو ان يتيقن انه
لا يصيبه الا ما كتب الله عليه من النفع والضر انتهى والصبر على مراتب من حبس النفس عن المناهى وعن
المشتهيات والملاهى وعلى تحمل المشقات فى أداء العبادات وعلى تجرع المرارات عند حصول المصيبات
ووصول البليات هذا وفى النهاية يقال توكل بالامر اذا ضمن القيام به ووكلت أمرى الى فلان أى ألجأت

والذى استشهد آخرا يليه وأولهم يليه فدخلنى من ذلك فذكرت للنبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال وما أنكرت من ذلك ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمر فى الاسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله وعن محمد ابن أبى عميرة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عبدا لو خر على وجهه من يوم ولد الى ان يموت هرما فى طاعة الله لحقره فى ذلك اليوم ولود انه رد الى الدنيا كيما يزداد من الاجر والثواب رواهما أحمد

(باب التوكل والصبر)

اليه واعتمدت فيه عليه و وكل فلان فلانا اذا استكفاه أمره ثقة بكفايته أو عجزا عن القيام بأمر نفسه والوكيل هو القيم الكفيل بأرزاق العباد وحقيقته انه مستقل بأمر الموكول اليه وقال الراغب الصبر الامساك في ضيق يقال صبرت الدابة حبستها بلا علف والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان في امساك الكلام سمي كتمانا وضده الافشاء وزاد في عين العلم وفي فضول العيش زهدا وضده الحرص وفي اليسير من الدنيا قناعة وضده الشره انتهى والتوكل بلسان العارفين على ما قال السري السقطي هو الانخلاع من الحول والقوة بلا نزاع وقال ابن مسروق التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء في الاحكام وقال الجنيدي رحمه الله التوكل ان يكون لله كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل ثم قيل الصبر على ثلاثة أنواع صبر العوام وهو حبس النفس على ما يكره وصبر الخواص وهو تجرع المرارة من غير تعبس وصبر أخص الخواص وهو التلذذ بالبلاء وبه يصل الى مرتبة الشكر وغاية الرضا بالقضاء وقد ورد اعبد الله على الرضا فان لم تستطع فالصبر على ما تكره خير كثير وقال تعالى فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اه

(الفصل الاول) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون

(الفصل الاول) (عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب) أي مستقلا من غير ملاحظة اتباعهم فلا ينافي ما ورد من أن مع كل واحد منهم سبعون ألفا هم (الذين لا يسترقون) أي لا يطلبون الرقية مطلقا أو بغير الكلمات القرآنية والاسماء الصمدانية (ولا يتطيرون) أي ولا يتشاءمون بنحو الطير ولا يأخذون من الحيوانات والكلمات المسموعات علامة الشر والخير بل يقولون كما ورد اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يذهب بالسيآت الا أنت (وعلى ربهم يتوكلون) أي في جميع ما يفعلون ويتركون قال الطيبي رحمه الله الجمع بين جملتي لا يسترقون ولا يتطيرون من التثنية الذي يراد به الاستيعاب اقوله لا ينفع زيد ولا عمرو على معنى لا ينفع انسان ما قال صاحب النهاية هذا من صفة الاولياء المعرضين عن أسباب الدنيا وعوائقها الذين لا يلتفتون الى شيء من علائقها وتلك درجة الخواص لا يبلغها غيرهم وأما العوام فرخص لهم في التداوي والمعالجات ومن صبر على البلاء وانتظر الفرج من الله سبحانه بالدعاء كان من جملة الخواص والاولياء ومن لم يصبر رخص له في الرقية والعلاج والدواء ألا ترى ان الصديق لما تصدق بجميع ماله لم ينكر عليه صلى الله تعالى عليه وسلم علما منه بيقينه وصبره ولما أتاه الرجل بمثل بيضة الحمام من الذهب وقال لا أملك غيره فضربه بحيث لو أصابه عقره وقال فيه ما قال ذلك الظاهر ان سبب غضبه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن اتيانه بجميع ماله بل ادخاء سره واظهار حاله بقوله لا أملك غيره مع الايماء الى توهم السمعة والرياء والله تعالى أعلم وفي شرح مسلم للنووي رحمه الله تعالى قال المازري احتج بعضهم به على ان التداوي مكروه ومعظم العلماء على خلاف ذلك واحتجوا بالاحاديث الواردة في منافع الادوية وبانه صلى الله تعالى عليه وسلم تداوى وباخبار عائشة رضي الله تعالى عنها عن كثرة تداويه وبما علم من الاستشفاء برقياه فاذا ثبت هذا حمل الحديث على قوم يعتقدون ان الادوية نافعة بطبعها ولا يفوضون الامر الى الله تعالى قلت لا يصح حمل الحديث المذكور على القول المسطور فانه صريح في أنهم من كمل الاولياء وخلص الاصفياء فالصواب ما ذكره صاحب النهاية من أن الاولى في حق أهل الهداية اعماله وعدم تعاطي الاسباب الغير العادية وان كان جائزا لعوام وباب البداية ويحمل فعله عليه الصلاة والسلام في المعالجة بالادوية على اختيار الرخصة رعاية لعامة الامة أو على مرتبة جمع الجمع المشهور عند الصوفية من ان مشاهدة الاسباب وملاحظة صنائع رب الارباب هو الاكمل ولا يصل عند الكمل فتدبر وتأمل ولعل الحديث مقتبس من أحد

معنيين في قوله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب والله تعالى أعلم بالصواب (متفق عليه وعنه)
أي عن ابن عباس (قال خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما فقال عرضت علي) أي أظهرت لدي
(الأمم) أي مع أنبيائهم (فجعل يمر النبي صلى الله عليه وسلم) التعريف فيه للجنس وهو ما يعرفه كل أحد انه
ما هو فهو بمنزلة النكرات ذكره الطيبي رحمه الله فالمعنى انه يمر نبي منهم عند العرض علي (ومعه الرجل) أي
الواحد من اتباعه ليس له تابع غيره (والنبي ومعه الرجلان والنبي ومعه الرهط) أي الجماعة والمراد الرجال
(والنبي وليس معه أحد) أي لا من الرجال ولا من النساء والمراد من النبي هنا الرسول عليه الصلاة والسلام
المأمور بالتبليغ وقيد الرجولية واقعية غالبية أو قضية مثالية والمراد الوحدة والتثنية والجمعية (فرأيت) أي
من امامي (سوادا كثيرا) أي جماعة عظيما وفوجا جسيما (سد الافق) أي ستر طرف السماء بكثرته
(فرجوت أن يكون) أي السواد الكثير (أمتي فقيل هذا موسى في قومه) أي ممن آمن به ولم يتغير عن
دينه (ثم قيل لي انظر) فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم أطرق حينئذ وأعرض عن موضع لمرض حياء فقيل
له انظر ترى رجالا (فرأيت) أي من قدامي (سوادا كثيرا سد الافق) أي فقنعت بذلك وشكرت لما
هنالك (فقيل لي) أي بل لك الزيادة على ما ذكرت من الاستفادة (انظر هكذا وهكذا) أي اليمين
والشمال (فرأيت سوادا كثيرا سد الافق فقيل) أي لي (هؤلاء) أي مجموع ما بين يديك وطرفيك
(أمتك ومع هؤلاء) أي من جملتهم أو زيادة عليهم (سبعون ألفا قدامهم) وفيه منقبة عظيمة لهم كما في قوله
(يدخلون الجنة بغير حساب) قال النووي رحمه الله يحتمل هذا أن يكون معناه وسبعون ألفا من أمتك غير
هؤلاء وان يكون معناه في جملتهم سبعون ألفا ويؤيد هذا رواية البخاري هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء
سبعون ألفا (هم) استئناف بيان أي السبعون هم (الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون)
أي الا عند الضرورة قلما وقع الكي من بعض الصحابة منهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرة أو مطلقا
استسلاما للقضاء وتلذذا بالبلاء مع علمهم بانه لا يضر ولا ينفع الا الله ولا تأثير بحسب الحقيقة لما سواه فهم في
مرتبة الشهود خارجون عن دائرة الوجود فانون عن حظوظ أنفسهم باقون بحق الله في حراسة أنفاسهم كما قال
(وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة) بضم العين وتشديد الكاف وتخفف على ما في القاموس والمغني (ابن
محصن) بكسر ميم وفتح صاد قال المؤلف أسدي شهد بدرا وما بعدها وانكسر سيفه يوم بدر فأعطاه النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم عرجونا أي عودا فصار في يده سيفا وكان من فضلاء الصحابة مات في خلافة الصديق وله
خمس وأربعون سنة روى عنه أبو هريرة وابن عباس وأخته أم قيس (فقال ادع الله أن يجعلني منهم)
ما أحسن هذا السؤال المشير الى انه من أصحاب الكمال بل من أرباب الوصال حيث علم انه لم يصل الى هذا
المقام والحال الا بوسيلة دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم من ذي الجلال والجمال (قال اللهم اجعله منهم ثم قام
رجل آخر فقال ادع الله أن يجعلني منهم) والظاهر ان الأول كان ناويا قاصدا القيام بأعمالهم بل متصفا
بأحوالهم وان الثاني طلبه على وجه التمني من غير التعني وطريق التقليد في التحلي من غير قصد التجلي (قال
سبقك بها) أي بهذه الدعوة أو هذه المسئلة (عكاشة) وقد استجيب له والمعتبر فيها هي الاولية كما ورد ان الصبر
عند الصدمة الاولى ولعل وجه الامتناع من الدعاء ان لا ينفتح هذا الباب المتفرع عليه الا كتفاء قال ابن
الملك لانه لم يؤذن له في ذلك المجلس بالدعاء الا لواحد وفيه حث على المسارعة الى الخيرات وطلب دعاء الصالحين
لان في التأخير آفات وقيل كان الرجل منافقا فأجابه صلى الله تعالى عليه وسلم بكلام محتمل ولم يصرح
بانك لست منهم لحسن خلقه انتهى وقيل قد يكون سبق عكاشة بوحي ولم يحصل ذلك للآخر وقال القاضي
عياض قيل ان الرجل الثاني لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة ولا كان بصفة أهلها بخلاف عكاشة وفي شرح
الطيبي رحمه الله قال الشيخ وقد ذكر الخطيب البغدادي انه قال في كتابه في الاسماء المبهمة انه يقال ان
هذا الرجل هو سعد بن عبادة فان صح هذا بطل قول من زعم انه منافق (متفق عليه وعن صهيب) بالتصغير

متفق عليه وعنه قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فقال عرضت على الامم
فجعل يمر النبي ومعه الرجل
والنبي ومعه الرجلان والنبي
ومعه الرهط والنبي وليس
معه أحد فرأيت سوادا
كثيرا سد الافق فرجوت ان
يكون أمتي فقيل هذا موسى
في قومه ثم قيل لي انظر
فرأيت سوادا كثيرا سد
الافق فقيل لي انظر هكذا
وهكذا فرأيت سوادا كثيرا
سد الافق فقيل هؤلاء أمتك
ومع هؤلاء سبعون ألفا
قدامهم يدخلون الجنة بغير
حساب هم الذين لا يتطيرون ولا
يسترقون ولا يكتوون وعلى
ربهم يتوكلون فقام عكاشة
ابن محصن فقال ادع الله ان
يجعلني منهم قال اللهم اجعله
منهم ثم قام رجل آخر فقال
ادع الله ان يجعلني منهم قال
سبقك بها عكاشة متفق عليه
وعن صهيب

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن ان أمره كله له خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير

قال المؤلف هو ابن سنان مولى عبد الله بن جدعان التيمي يكنى أبا يحيى كانت منازلهم بأرض الموصل فيما بين دجلة والفرات فاغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشأ بالروم فابتاعه منهم كلب ثم قدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان فاعتقه فاقام معه الى أن هلك وأسلم قديما بمكة وكان من المستضعفين المعذبين في الله بمكة ثم هاجر الى المدينة وفيه نزل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله وروى عنه جماعة مات سنة ثمانين وهو ابن تسعين سنة ودفن بالبقيع (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عجبا) أي عجبت عجبا (لامر المؤمن) أي لشأنه وماله في كل حاله (ان أمره كله) بالنصب ويجوز رفعه كما قرئ بالوجهين في قوله تعالى قل ان الامر كله لله أي جميع أموره (له خير) أي خير له في المآل وان كان بعضه شرا صوريا في الحال وقدم الظرف اهتماما (وليس ذلك لاحد الا للمؤمن) قال الطيبي رحمه الله مظهر وقع موقع المضمر ليشعر بالعلية انتهى وفيه ان الاظهار والاضمار مستويان في الاشعار بالعلية ولعل النكتة هي اظهار الاشعار على وجه التصريح فانه آكد من طريق التلويح ثم بينه على وجه التوضيح بقوله (ان اصابته سراء) أي نعماء وسعة عيش ورخاء وتوفيق طاعة من أداء وقضاء (شكر فكان) أي شكره (خيرا له وان أصابته ضراء) أي فقر ومرض ومحنة وبلية (صبر فكان) أي صبره (خيرا له) وبهذا تبين قول بعض العارفين انه لا يقال على الاطلاق ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر بل حالة التفويض والتسليم أولى والقيام بمقتضى الوقت أعلى بحسب اختلاف الاحوال وتفاوت الرجال قال تعالى جل جلاله والله يعلم وأنتم لا تعلمون وقال تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسد حاله وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لضاع حاله ولذا قال عمر رضي الله تعالى عنه الفقر والغنى مطيتان لا أبالي أيتهما اركب وعلى هذا الاختلاف الواقع بين قوم في طلب طول العمر لطاعة الله أو طلب الموت لخوف الفتنة والاشتياق الى لقاء الله تعالى ثم المعتمد التفويض والتسليم كما أشار اليه صلى الله تعالى عليه وسلم في دعائه اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر ثم وجه حصر الخير في كل حال للمؤمن الكامل لان غيره ان أصابته سراء شبع وبطر وان أصابته ضراء جزع وكفر بخلاف حال المؤمن فانه كما قال بعض أرباب الكمال

اذا كان شكر نعمة الله نعمة * علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتسع العمر
اذا مس بالنعماء عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبه الاجر

(رواه مسلم) وكذا الامام أحمد وروى أحمد وابن حبان عن أنس مرفوعا عجبت للمؤمن ان الله تعالى لم يقض له قضاء الا كان خيرا له وروى الطيالسي والبيهقي في شعب الايمان عن سعد مرفوعا عجبت للمسلم اذا اصابته مصيبة احتسب وصبر واذا أصابه خير حمد الله وشكر ان المسلم يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها الى فيه (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المؤمن القوي) أي القادر على تكثير الطاعة (خير وأحب الى الله) عطف تفسير (من المؤمن الضعيف) أي العاجز عنه (وفي كل خير) أي أصل الخير موجود في كل منهما قيل المراد بالمؤمن القوي الصابر على مخالطة الناس وتحمل أذيتهم وتعليمهم الخير وارشادهم الى الهدى ويؤيده ما رواه أحمد وغيره عن ابن عمر مرفوعا المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم وقيل أراد بالمؤمن القوي الذي قوي في ايمانه وصلب في ايقانه بحيث لا يرى الاسباب ووثق بمسبب الاسباب والمؤمن الضعيف بخلافه وهو في أدنى مراتب الايمان وقال النووي رحمه الله القوة هنا يراد بها عزيمة النفس في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا أكثر اقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا وذهابا في طلبه

وأشد عزيمة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الاذى في كل ذلك وقوله في كل خير معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الايمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات (احرص) بكسر الراء ومنه قوله تعالى ان تحرص على هداهم وفي نسخة بفتحها ففي القاموس حرص كضرب وسمع والمعنى كن حريصا (على ما ينفعك) أي من أمور الدين (واستعن بالله) أي على فعلك فانه لا حول ولا قوة الا بالله (ولا تعجز) بكسر الجيم ومنه قوله تعالى جل جلاله أعجزت وفي نسخة بالفتح ففي القاموس عجز كضرب وسمع أي ولا تعجز عن الحرص والاستعانة فان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يعطيك قوة على طاعته اذا استقمت على استعانته وقيل معناه لا تعجز عن العمل بما أمرت ولا تتركه مقتصرا على الاستعانة به فان كمال الايمان ان يجمع بينهما قال الطيبي رحمه الله يمكن ان يذهب الى اللف والنشر فيكون قوله احرص على ما ينفعك ولا تترك الجهد بيانا للقوي ولا تعجز بيانا للضعيف (وان أصابك شيء) أي من أمر دينك أو دنياك (فلا تقل لو أني فعلت) أي كذا وكذا (كان) أي لصار (كذا وكذا) فان هذا القول غير سديد ومع هذا غير مفيد فانه قال تعالى جل شانه قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وقد قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم (ولكن قل) أي بلسان القال أو لسان الحال (قدر الله) بتشديد الدال أي قل قدر الله ويجوز تخفيفها أي قل قدر الله كذا وكذا أي وقع ذلك بمقتضى قضائه وعلى وفق قدره (وما شاء) أي الله فعله (فعل) فانه فعال لما يريد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه (فان لو) أي كلمة الشرط أو ان (تفتح عمل الشيطان) قال الشاطبي رحمه الله ولم ولو وليت تورث القلب انفلالا قال بعض شراح المصابيح أي ان قول لو واعتقاد معناها يفضي بالعبد الى التكذيب بالقدر أو عدم الرضا بصنع الله لان القدر اذا ظهر بما يكره العبد قال لو فعلت كذا لم يكن كذا وقد قدر في علم الله انه لا يفعل الا الذي فعل ولا يكون الا الذي كان وقد أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله قبل ذلك ولكن قدر الله وما شاء فعل ولم يرد كراهة التلفظ بلو في جميع الاحوال وسائر الصور وانما عنى الاتيان بها في صيغة تكون فيها منازعة القدر والتأسف على ما فاته من أمور الدنيا والا فقد ورد في القرآن مثل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل وفي الحديث لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لانه لم يرد به منازعة القدر وقال القاضي رحمه الله قوله فان لو تفتح أي لو كان الامر لي وكنت مستبدا بالفعل والترك كان كذا وكذا وفيه تأسف على الفائت ومنازعة للقدر وايهام بان ما كان يفعله باستبداده ومقتضى رأيه خير مما ساقه القدر اليه من حيث ان لو تدل على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيما مضى ولذلك استكرهه وجعله مما يفتح عمل الشيطان وقوله عليه الصلاة والسلام في حديث فسخ الحج الى العمرة لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ليس من هذا القبيل وانما هو كلام قصد به تطييب قلوبهم وتحريضهم على التحلل بأعمال العمرة وفي شرح مسلم للنووي رحمه الله وقال القاضي عياض رحمه الله هذا النهي انما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما وأما قول أبي بكر رضي الله عنه لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا فهذا لا حجة فيه لانه انما أخبر عن مستقبل وكذا قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت راجما بغير بينة لرجمت هذا وشبه ذلك لا اعتراض فيه على قدر ولا كراهة فيه لانه انما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته وأما الماضي فليس في قدرته واما معنى قوله فان لو تفتح عمل الشيطان انه يلقي في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان قال الشيخ رحمه الله تعالى وقد جاء استعمال لو في الماضي كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي فالظاهر انما ورد فيما لا فائدة فيه فيكون نهي تنزيه لا تحريم واما من قاله متأسفا على ما فات من طاعة الله أو هو متعذر من ذلك فلا بأس به وعليه يحمل اكثر استعمال لو الموجود في الاحاديث أقول بل التأسف على فوت طاعة الله مما يثاب فينبغي ان يعد من باب الاستحباب فقد روى الرازي في مشيخته عن أبي عمرو من أسف على دنيا فاتته اقترب

احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان رواه مسلم

من النار مسيرة ألف سنة ومن أسف على آخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة ألف سنة ذكره السيوطي في الجامع (رواه مسلم) ولفظ الجزري في الحصن ومن وقع له ما لا يختاره فلا يقل لو أني فعلت كذا وكذا أي لكان كذا وكذا ولو للتمني ولكن ليقل بقدر الله وما شاء فعل رواه مسلم والنسائي وابن ماجه وابن السني لكن لفظ النسائي وابن السني قدر الله موضع بقدر الله وقد ضبط بصيغة الفعل مخففا ومشددا وبصيغة المصدر بالرفع مضافا وأيضا لفظهما صنع بدل فعل والله تعالى أعلم وروى أبو داود والنسائي وابن السني عن عوف بن مالك الأشجعي مرفوعا من غلبه أمر فليقل حسبي الله ونعم الوكيل

(الفصل الثاني) (عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لو أنكم تتوكلون) وفي رواية الجامع بحذف احدى التائين أي تعتمدون (على الله حق توكله) أي بأن تعلموا يقينا أن لا فاعل في الوجود موجود إلا الله وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وضر ونفع وفقر وغنى ومرض وصحة وموت وحياة وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الموجود من الله تعالى ثم يستعمل في الطلب على الوجه الجميل ويشهد لذلك تشبيهه بالطير فإنها تغدو خماصا ثم تسرح في طلب القوت فتروح بطانا (لرزقكم) ولو تركتم الأسباب فإنه يرزق البطال والعمال وقد يرزق الضعيف بحيث يتعجب القوي (كما يرزق الطير) (تغدو) بصيغة الفاعل أي تذهب أول النهار (خماصا) بكسر الخاء المعجمة جمع خميص أي جياعا (وتروح) أي ترجع آخر النهار (بطانا) بكسر الموحدة جمع بطين وهو عظيم البطن والمراد شباعا وفي قوله تغدو إيماء إلى أن السعي بالإجمال لا ينافي الاعتماد على الملك المتعال كما قال تعالى جل جلاله وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم فالحديث للتنبيه على أن الكسب ليس برازق بل الرازق هو الله تعالى لا للمنع عن الكسب فإن التوكل محله القلب فلا ينافيه حركة الجوارح مع أنه قد يرزق أيضا من غير حركة بل بتحريك غيره إليه يصل رزق الله ببركته كما يستفاد العموم من قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وقد حكي أن فرخ الغراب عند خروجه من بيضته يكون أبيض فيكرهه الغراب فيتركه ويذهب ويبقى الفرخ ضائعا فيرسل الله تعالى إليه الذباب والنمل فيلتقطهما إلى أن يكبر قليلا ويسود فيرجع إليه الغراب فيراه أسود فيضمه إلى نفسه فيتعهده فهذا يصل إليه رزقه بلا سعي والحكايات في ذلك كثيرة والروايات به شهيرة ومن غرائب ما حكي أنه سبحانه وتعالى قال لعزرائيل هل رحمت على أحد عند نزع الأرواح فقال نعم يا رب حين غرق أهل سفينة وبقي بعض أهله على الألواح وكانت امرأة بولدها ترضعه وفي لوح فأمرت بقبض روحها فرحمت حينئذ على ولدها قال تعالى فالقيته على جزيرة وأرسلت إليها أسدا ترضعه إلى أن كبر قليلا ثم قيضت له بعضا من الجن ليعلمه لسان الإنس إلى أن نشأ نشأة كاملة ودخل في العمارة وحصل له الإمارة ووصل إلى مرتبة السلطنة وأحاط بجميع المملكة فادعى الألوهية ونسي العبودية وحقوق الربوبية واسمه شداد والله رؤوف بالعباد فالرحيم الذي يرزق أعداءه كيف ينسى أحباءه قال الشيخ أبو حامد رحمه الله تعالى قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة أو كلحم على وضم وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظور من محظورات الدين بل نكشف عن الحق فيه فنقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعمله إلى مقاصده وقال الإمام أبو القاسم القشيري اعلم أن التوكل محله القلب وأما الحركة بالظاهر فلا تنافي التوكل بالقلب بعدما تحقق العبد أن الرزق من قبل الله تعالى فإن تعسر شيء فبتقديره وإن تيسر شيء فبتيسيره (رواه الترمذي وابن ماجه) وكذا أحمد والحاكم (وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيها الناس ليس من شيء) من زائدة مبالغة أي ليس شيء من الأشياء (يقربكم) بتشديد الراء أي يجعلكم قريبا (إلى الجنة ويباعدكم) أي ومن شيء يبعدكم (من النار) أي على وجه النسبية

(الفصل الثاني) عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الترمذي وابن ماجه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس ليس من شيء يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار

فالنسبة في الفعلين مجازية (الا قد أمرتكم به) أي بما ذكر أو بكل منهما (وليس شئ) ليس من منافي الاصول (يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا قد نهيتكم عنه) وفيه دليل صريح على ان جميع العلوم من الامور النافعة والامور الدافعة يستفاد من الكتاب والسنة وان الاشتغال بغيرهما تضييع العمر من غير المنفعة (وان الروح الأمين) وفي نسخة وان روح الأمين أي جبرائيل عليه السلام كما قال تعالى نزل به الروح الأمين (وفي رواية وان روح القدس) بضمتين وتسكن الدال كقوله تعالى وأيدناه بروح القدس أي الروح المقدسة من الاخلاق المدنسة قال الطيبي رحمه الله هو كما يقال حاتم الجود ورجل صدق فهو من باب اضافة الموصوف الى الصفة للمبالغة في الاختصاص في الصفة القدس منسوب اليها وفي الاضافة ما عكس نحو مال زيد (نفث في روعي) بضم الراء أي أوحى الي وألقى من النفث بالفم وهو شبيه بالنفخ وهو أقل من التفل لان التفل لا يكون الا ومعه شئ من الريق والروع الجلد والنفس كذا في النهاية والمعنى انه أوحى الي وحيا خفيا (ان نفسا) بفتح الهمزة ويجوز الكسر لان الايحاء في معنى القول والمعنى ان نفسا ذات نفس وهي حي مخلوق (لن تموت حتى تستكمل رزقها) أي المقدر لها كما اشار اليه سبحانه بقوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم (ألا) للتنبيه أي تنبهوا (فاتقوا الله) فانكم مأمورون بالتقوى وبالسعي الى الدرجات العلى (واجملوا) أي من الاجمال أي واحسنوا (في الطلب) أي في تحصيل الرزق ولا تبالغوا في طلبه فانكم غير مكلفين بطلب الرزق قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقال عز وجل وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى فالامر للاباحة أو المعنى اطلبوا من الحلال فالامر للوجوب ويؤيده قوله (ولا يحملنكم) بكسر الميم أي لا يبعثنكم (استبطاء الرزق) أي تأخيره ومكثه عليكم (أن تطلبوه) أي على ان تبتغوه (بمعاصي الله) أي بسبب ارتكابها بطريق من طرق الحرام كسرقة وغصب وخيانة واظهار سيادة وعبادة وديانة وأخذ من بيت المال على وجه زيادة ونحو ذلك (فانه) أي الشأن (لا يدرك ما عند الله) أي من الرزق الحلال أو من الجنة وحسن المآل (الا بطاعته) أي لا بتحصيل المال من طريق الوبال قال الطيبي رحمه الله قوله فاجملوا أي اكتسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا تطلبه الا بالوجه الشرعي والاستبطاء بمعنى الابطاء والسين فيه للمبالغة كما ان استعف بمعنى عف في قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف وفيه ان الرزق مقدر مقسوم لا بد من وصوله الى العبد لكن العبد اذا سعى وطلب على وجه مشروع وصف بانه حلال واذا طلب بوجه غير مشروع فهو حرام فقوله ما عند الله اشارة الى ان الرزق كله من عند الله الحلال والحرام وقوله ان تطلبوه بمعاصي الله تعالى اشارة الى ان ما عند الله اذا طلب بمعصية الله ذم وسمي حراما وقوله الا بطاعته اشارة الى أن ما عند الله اذا طلب بطاعته مدح وسمي حلالا وفي هذا دليل بين لاهل السنة على ان الحلال والحرام يسمى رزقا وكله من عند الله خلافا للمعتزلة (رواه) أي البغوي (في شرح السنة والبيهقي في شعب الايمان الا انه) أي البيهقي (لم يذكر وان روح القدس) فرواية روح القدس من روايات البغوي أو غيره قال ميرك ورواه ابن أبي الدنيا في القناعة والحاكم وصححه عنه وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا أيها الناس اتقوا الله واجملوا في الطلب فان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وان أبطأ عنها فاتقوا الله واجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم رواه ابن ماجه واللفظ له والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم قلت وروى أبو نعيم في الحلية عن أبي أمامة مرفوعا ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته (وعن أبي ذر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الزهادة) بفتح

الا قد أمرتكم به وليس من شئ يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا قد نهيتكم عنه وان الروح الأمين وفي رواية وان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ألا فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته رواه في شرح السنة والبيهقي في شعب الايمان الا انه لم يذكر وان روح القدس وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الزهادة في الدنيا

الراوي أي ترك الرغبة في الدنيا (ليست بتحريم الحلال) كما يفعله بعض الجهال لزعمهم ان هذا من الكمال فيمتنع من أكل اللحم أو الحلواء والفواكه ولبس الثوب الجديد ومن التزوج ونحو ذلك وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم فعل هذه الافعال ولا أكمل من حاله الكمال (ولا اضاعة المال) أي بتضييعه وصرفه في غير محله بان يرميه في بحر او يعطيه للناس من غير تمييز بين غني وفقير وحاصله انه لا عبرة بالزهادة الظاهرة وخلو اليد عن الاموال الظاهرة ثم توجه القلب الى الخلق عند الاحتياج الى المعيشة الحاضرة بل المدار على الزهد القلبي بالانجذاب الربي ولذا استدرك ما سبقه من المقال حيث قال (ولكن الزهادة) بتشديد النون وبخفف أي ولكن الزهادة المعتبرة الكاملة (في الدنيا) أي في شأنها (ان لا تكون بما في يديك) أي من الاموال أو من الصنائع والاعمال (أوثق) أي أرجى منك (بما في يدي الله) بصيغة التثنية أي بخزائنه الظاهرة والباطنة وفيه نوع من المشاكلة والمعنى ليكن اعتمادك بوعد الله لك من ايصال الرزق اليك ومن انعامه عليك من حيث لا تحتسب ومن وجه لا تكتسب أقوى وأشد مما في يديك من الجاه والمال والعقار وأنواع الصنائع من الاستعمال ولو علم الكيمياء وعلم السيميا فان ما في يديك يمكن تلفه وفناؤه بخلاف ما في خزائنه فانه محقق بقاؤه كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق (وان تكون) عطف على ان لا تكون والزهادة فيها أيضا ان لا تلتفت الى التنعم فيها والتلذذ بوجود نعمها بل وان تغتنم حصول المحنة ووصول البلية فيها لئلا يميل قلبك اليها ولا تستأنس نفسك بما عليها فتكون حينئذ (في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها) بصيغة المجهول (أرغب فيها) أي في حصول المصيبة (لو انها) أي لو فرض ان تلك المصيبة (أبقيت لك) أي منعت لاجلك وأخرت عنك فوضع أبقيت موضع لم تصب وجواب لو ما دل عليه ما قبلها وخلاصته ان تكون رغبتك في وجود المصيبة لاجل ثوابها أكثر من رغبتك في عدمها فهذان الامران شاهدان عدلان على زهدك في الدنيا وميلك في العقبى وقال الطيبي لو انها أبقيت لك حال من فاعل أرغب وجواب لو محذوف واذا ظرف والمعنى ان تكون في حال المصيبة وقت اصابتها أرغب من نفسك في المصيبة حال كونك غير مصاب بها لانك تثاب بوصولها اليك ويفوتك الثواب اذا لم تصل اليك (رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث غريب وعمرو بن واقد الراوي منكر الحديث) قلت وغايته انه حديث ضعيف معنى لكنه حديث شريف معنى ومثله يعتبر في فضائل الاعمال في جميع الاقوال ومن جملتها الزهادة في الدنيا والرغبة في العقبى (وعن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوما) أي رديفه وفيه اشعار بكمال حفظه واحسانه واستحضار لفظه واتقانه فهذا الحديث من جملة أحاديثه التي سمعها من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والا فا كثر مرو ياته بالواسطة لكنها معتبرة لكونها من مراسيل الصحابة وما ذاك الا لاجل صغره في زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال المؤلف ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة وقيل عشر لكن صار حبر هذه الامة وعالمها لانه قد دعا له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالحكمة والفقه والتأويل ورأى جبريل عليه والسلام مرتين وكف بصره في آخر عمره ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وهو ابن احدى وسبعين سنة وروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين قيل المعنى أمشي خلفه لانه راكب رديفه وهو مردود لما في وسيط الواحدي عن ابن عباس انه أهدى كسرى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بغلة فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه وسار بي ميلا ثم التفت (فقال يا غلام) بالرفع كذا في الاصول المعتمدة والنسخ المتعددة والظاهر كسر الميم بناء على ان أصله يا غلامي بفتح الياء وسكونها ثم بعد حذفها تخفيفا اكتفى بكسرة ما قبلها لكن قد يضم وذلك في الاسم الغالب عليه الاضافة الى الياء للعلم بالمراد ومنه القراءة الشاذة رب احكم بضم الباء على انه يحتمل وقوع ضمها للمشاكلة لضم الكاف كما حقق في وان احكم حيث قرئ بالوجهين من السبعة ثم

ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يديك أوثق بما في يدي الله وان تكون في ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها ارغب فيها لو انها أبقيت لك رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث غريب وعمرو ابن واقد الراوي منكر الحديث وعن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال يا غلام

احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا

فى ياغلام لغة أخرى وهى قلب الياء ألفا وقد جاء شاذا ياغلاما بالفتح اكتفاء بالفتحة عن الالف ثم الاظهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف عليه بالسكون ولم يظهر عليه اعرابا على ما هو المتعارف فى مثل هذا والمراد بالغلام هنا الولد الصغير لا المملوك ففى القاموس الغلام الطار الشارب والكهل ضد أو من حين يولد الى حين يشب والمقصود من النداء استحضاره لديه وتوجهه الى ما يلقى اليه وزاد فى الاربعين انى أعلمك كلمات أى فصولا مفيدة فى دفع الاذى واجلاب المنافع والآلاء (احفظ الله) أى أمره ونهيه (يحفظك) أى يحفظك فى الدنيا من الآفات والمكروهات وفى العقبى من أنواع العقاب والدركات جزاء وفاقا من كان لله كان الله له (احفظ الله) أى حقه من دوام ذكره وتمام فكره وقيام شكره (تجده تجاهك) بضم التاء أى أمامك والمعنى انك تجده حينئذ كانه حاضر تلقاءك وقدامك وتشاهده فى مقام احسانك وايقانك وكمال ايمانك كانك تراه بحيث تفنى بالكلية عن نظرك ما سواه فالاول حال المراقبة والثانى مقام المشاهدة وقيل المعنى اذا حفظت طاعة الله وجدته يحفظك وينصرك فى مهماتك أينما توجهت ويسهل لك الامور التى قصدت وقيل المعنى تجده بعنايته ورأفته قريبا منك يراعيك فى جميع الحالات وينقذك من جميع المضرات ويسعدك بانواع التحف والكرامات فهو تلميح الى قوله تعالى وهو أقرب اليه من حبل الوريد وقد أشار بعض العارفين الى انه لا ذرة من ذرات العالم الا ونور الانوار محيط بها قاهر عليها قريب من وجوده اليها لا بمجرد العلم فقط ولا بمعنى الايجاد فقط بل بمعنى آخر لا يجوز كشفه رمزت اليه حذار الرقيب وكتمان سر الحبيب

اذا ما تلاشيت فى نوره * يقول لى ادع فانى قريب

قال الطيبى رحمه الله أى راع حق الله وتحر رضاه تجده تجاهك أى مقابلك وحذاءك والتاء بدل من الواو كما فى تقاة وتخمة أى احفظ حق الله تعالى حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والآخرة (واذا سألت) أى أردت السؤال (فاسئل الله) باثبات الهمز ويجوز نقله أى فاسأل الله وحده فان خزائن العطايا عنده ومفاتيح المواهب والمزايا بيده وكل نعمة أو نقمة دنيوية أو أخروية فانما تصل الى العبد أو تندفع عنه برحمته من غير شائبة غرض ولا ضميمة علة لانه الجواد المطلق والغنى الذى لا يفتقر فينبغى ان لا يرجى الا رحمته ولا يخشى الا نقمته ويلتجئ فى عظائم المهام اليه ويعتمد فى جمهور الامور عليه ولا يسأل غيره لان غيره غير قادر على العطاء والمنع ودفع الضر وجلب النفع فانهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ولا يترك السؤال بلسان الحال أو ببيان المقال فى جميع الاحوال ففى الحديث من لم يسأل الله يغضب عليه اذ السؤال اظهار شعائر الانكسار والاقرار بسمت العجز والافتقار والافلاس عن ذروة القوة والطاقة الى حضيض الاستكانة والفاقة ونعم ما قيل

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسئل يغضب

(واذا استعنت) أى أردت الاستعانة فى الطاعة وغيرها من أمور الدنيا والآخرة (فاستعن بالله) فانه المستعان وعليه التكلان فى كل زمان ومكان (واعلم) زيادة حث على التوجه اليه والتقرب بالاستفادة لديه (ان الامة) أى جميع الخلق من الخاصة والعامة والانبياء والاولياء وسائر الامة (لو اجتمعت) أى اتفقت فرضا وتقديرا (على ان ينفعوك بشئ) أى فى أمر دينك أو دنياك (لم ينفعوك) أى لم يقدروا ان ينفعوك (الا بشئ قد كتبه الله لك) أى قدره وأثبته فى الذكر وفرغ منه وقد أذنهم فى ذلك (ولو اجتمعوا) ووقع فى الاربعين هنا بلفظ وان اجتمعوا فقال بعض الشراح من المحققين ان لفظة لو فيما سبق بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال لقوله تعالى لو تركوا من خلفهم فنكتة العدول هو ان اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف الاتفاق على الايذاء فانه ممكن ولذا قيل

الظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

انتهى كلامه وهو غفلة منه عن الحكم المقرر فى الاعتقاد أن اجتماعهم على ايصال النفع والضر بدون

المشيئة من المحال فان ثبتت الرواية بالاستئناف فهو من باب التفنن واختيار لوفق القرينة الاولى أولى لانها أدل على الفرضية الحالية و وقوع ان فى الثانية دلى أصلها مع استفادة الحكم من المعطوف عليها (على ان يضروك بشيء) أى من جلب نفع أو جلب ضر (لم يضروك) أى لم يقدروا أن يضروك (الا بشيء قد كتبه الله عليك) وخلاصة المعنى انك وحد الله فى المطالب والمهارب فهو الضار النافع والمعطى المانع وفى بعض الكتب الالهية وعزتى وجلالى لاقطعن من يؤمل غيرى وألبسنه ثوب المذلة عند الناس ولاجنبنه من قربي ولابعدنه من وصلى ولاجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيرى فى الشدائد والشدائد بيدى وأنا الحى القيوم و يطرق بالفكر أبواب غيرى و بيدى مفاتيح الابواب وهى مغلقة و بابى مفتوح لمن دعانى هذا وأورد اللام فى جانب النفع لانه للملك وحقيقته الاختصاص النافع وقوله وان أساءتم فلها مجاز فى صورة الضر على ما هو المشهور عند الجمهور (رفعت الاقلام) أى من كتابة الاحكام (وجفت الصحف) أى نشفت مادون فيها من أقضية المخلوقين الى يوم القيامة فلا يوضع عليها قلم بعد بتدوين شيء وتغيير أمر وخلاصته انه كتب فى اللوح المحفوظ ما كتب من التقديرات ولا يكتب بعد الفراغ منه شيء آخر فعبر عن سبق القضاء والقدر برفع القلم وجفاف الصحيفة تشبيها بفراغ الكاتب فى الشاهد من كتابته وقد سبق فى أول الكتاب حديث ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب قال وما أكتب قال اكتب القدر فكتب ما كان وما هو كائن الى الابد وحديث جف القلم على علم الله أى ما علمه الله وحكم به فى الازل لا يتغير ولا يتبدل وجفاف القلم عبارة عنه والله تعالى أعلم لا يقال هذا ينافى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء و يثبت لانا نقول المحو والاثبات أيضا مما جفت الصحف لان القضاء قسمان مبرم ومعلق وهذا بالنسبة الى اللوح المحفوظ وأما بالاضافة الى علم الله فلا تبديل ولا تغيير ولهذا قال وعنده أم الكتاب وقيل عند الله كتابان اللوح وهو الذى لا يتغير والذى يكتبه الملك على الخلق وهو محل المحو والاثبات فهذا القدر من الحديث (رواه أحمد والترمذى) وقال هذا حديث حسن صحيح كما قاله النووى ثم قال وفى رواية غير الترمذى احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله بتشديد الراء أى تحبب اليه بحفظ أحكامه ذكره النووى رحمه الله لان المعرفة سبب المحبة يعرفك فى الشدة بتخفيف الراء أى يجازك فيها واعلم ان ما أخطأك أى جاوزك من النعمة والرخاء والشدة والبلاء وأصل الخطأ العدول عن الجهة لم يكن ليصيبك أى محال أن يصيبك وفيه مبالغة من وجوه من حيث دخول اللام المؤكدة للنفى على الخبر وتسليط النفى على الكينونة وسرايته فى الخبر وما أصابك لم يكن ليخطئك فيه الحث على التوكل والرضا ونفى الحول والقوة عنه اذ ما من حادثة من سعادة وشقاوة وعسر و يسر وخير وشر ونفع وضر وأجل و رزق الا و يتعلق بقدره وقضائه قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف عام جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون فيجب الشكر فى حال السراء والصبر فى حال الضراء قائلا كما قال تعالى قل كل من عند الله واعلم ان النصر أى على الاعداء مع الصبر أى على المحن والبلاء وان الفرج وهو الخروج من الغم مع الكرب أى الغم الذى يأخذ بنفس النفس ولذا ورد * اشتدى أزمة تنفرجى * وان مع العسر يسرا قال شارح وقد وقعت الآية فى القرآن مكررة ليعلم انه لا يوجد عسر الا معه يسران وهذا مبنى على القاعدة المشهورة ان النكرة المعادة غير الاولى والمعرفة المعادة عين الاولى لكنها غالبية لان قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك لا شك فيه ان اللام الاولى للاستغراق والثانية للجنس الذى يحصل بوجود فرد منه ثم قيل مع بمعنى بعد وهذا بعيد عن حقيقة المعنى وارادة المبالغة فى المبنى حيث قصد معاقبة أحدهما الآخر واتصاله به حتى جعله كالمقارن لزيادة فى التسلية والتنفيس على ان المحن لا تخلو عن المنح بل انها عينها وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم وما يلقاها الا ذو حظ عظيم هذا وقد قال القطب الربانى والغوث الصمدانى السيد عبد القادر الجيلانى قدس سره فى فتوح الغيب ينبغى لكل مؤمن ان يجعل هذا الحديث مرآة قلبه وشعاره ودثاره وحديثه فيعمل به فى جميع حركاته وسكناته حتى يسلم فى الدنيا والآخرة ويجد العزة برحمة الله تعالى رواه أحمد والترمذى قال

على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه أحمد والترمذى

الطيبي رحمه الله وزاد بعد قوله تجاهك في رواية رزين تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفي آخره فان استطعت ان تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين والحديث بطوله قد جاء مثله أو نحوه في مسند أحمد بن حنبل رحمه الله في النهاية معنى تعرف الى الله أي اجعل تعرفك بطاعته والعمل فيما أولاك من نعمته فانه يجازيك عند الشدة والحاجة اليه في الدنيا والآخرة وأراد بقوله لن يغلب عسر يسرين ان التعريف في العسر الثاني في قوله تعالى للعهد والتنكير في يسر للنوع فيكون العسر واحدا واليسر اثنين فالعسر ما كانوا عليه من متاعب الدنيا ومشاقها واليسر في الدنيا الفتح والنصرة على الاعداء وفي العقبى الفوز بالحسنى ولقاء الاحباء (وعن سعد) أي ابن أبي وقاص (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له) أي ومن سعادة ابن آدم استخارة الله ثم رضاه بما حكم به وقدره وقضاه كما يدل عليه مقابلته بقوله (ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله) أي طلب الخيرة منه فانه يختار له ما هو خير له ولذا قال بعض العارفين اترك الاختيار وان كنت لا بد أن تختار فاختر ان لا تختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وقد قال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم (ومن شقاوة ابن آدم سخطه) أي غضبه وعدم رضاه (بما قضى الله له) فالرضا بالقضاء باب الله الاعظم وهو من بين منازل السائرين موسوم بالمقام الافخم ثم تقديم الاستخارة لانه سبب للرضا ولانه لا توجد قبل تحقق القضاء قال الطيبي رحمه الله أي الرضا بقضاء الله وهو ترك السخط علامة سعادته وانما جعله علامة سعادة العبد لامرين أحدهما ليتفرغ للعبادة لانه اذا لم يرض بالقضاء يكون مهموما أبدا مشغول القلب بحدوث الحوادث ويقول لم كان كذا ولم لا يكون كذا والثاني لئلا يتعرض لغضب الله تعالى بسخطه وسخط العبد ان يذكر غير ما قضى الله له وقال انه أصلح وأولى فيما لا يستيقن فساده وصلاحه فان قلت ما موقع قوله ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله بين المتقابلين قلت موقعه بين القرينتين لدفع توهم من يترك الاستخارة ويفوض أمره بالكلية انتهى وفيه أن الاستخارة والتفويض ما لهما واحد وكذا لا تنفي الاستخارة في القرينتين في رواية على ما يأتي ثم لا شك ان التسليم المطلق أولى من الاستخارة لانها نوع طلب وارادة وضيق منازعة في أمر قد تحقق هذا وحقيقة الاستخارة هي أن يطلب الخير من الله في جميع أمره بل وان يعتقد ان الانسان لا يعلم خيره من شره كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ثم يترقى بان يرى أن لا يقع في الكون غير الخير ولذلك ورد والخير بيديك والشر ليس اليك ثم المستحب دعاء الاستخارة بعد تحقق المشاورة في الامر المهم من الامور الدينية والدنيوية وأدناه أن يقول اللهم خر لي واختر لي ولا تكلني الى اختياري والاكمل ان يصلي ركعتين من غير الفريضة ثم يدعو بالدعاء المشهور في السنة على ما قدمناه في كتاب الصلاة (رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث غريب) تمامه ولا نعرفه الا من حديث محمد بن حميد وليس هو بالقوي عند أهل الحديث ورواه الحاكم في صحيحه وزاد فيه من سعادة ابن آدم استخارته الله ومن شقاوته تركه استخارة الله رواه الحاكم والترمذي قال ميرك كلاهما من حديث سعد بن أبي وقاص وقال الترمذي غريب ولفظه من سعادة ابن آدم كثرة استخارته الله تعالى ورضاه بما قضى الله تعالى له ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله تعالى وسخطه بما قضى الله تعالى له وفي الجامع أسند الحديث الى الترمذي والحاكم عن سعد لكن لفظه من سعادة ابن آدم استخارته الله تعالى ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله فهذا وما قبله مما يدل على ان لفظ المشكاة وقع فيه اختصار مخل والله سبحانه وتعالى أعلم وروى الطبراني في الاوسط عن أنس مرفوعا ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد وقال بعض الحكماء من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن

وعن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله له ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث غريب

أعطى الاستخارة لم يمنع الخير ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب

(الفصل الثالث) (عن جابر أنه غزا مع النبي) وفي نسخة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نجد) بكسر القاف وفتح الباء أي جهته وجانبه وفي النهاية النجد ما ارتفع من الارض وهو اسم خاص لما دون الحجاز (فلما قفل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي رجع وسمي القافلة قافلة ولو كانت ذاهبة تفاؤلا بمآلها (قفل معه) أي قفل جابر مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فأدركتهم) أي الصحابة أو الغزاة (القائلة) أي الظهيرة أو وقت القيلولة (في واد كثير العضاه) بكسر العين وهو الشجر الذي له شوك (فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي فأراد النزول أو أمر بالنزول (وتفرق الناس يستظلون بالشجر) أي بجنسه من أنواع الاشجار (فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت سمرة) بفتح سين فضم ميم شجرة من الطلح وهي العظام من شجر العضاه (فعلق بها) أي بغصن من أغصانها (سيفه ونمنا) بكسر أوله (نومة) أي خفيفة (فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعونا) أي ينادينا ويطلبنا (واذا) وفي نسخة فاذا (عنده اعرابي) أي بدوي كافر (فقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (ان هذا) أي الاعرابي (اخترط) أي سل (علي سيفي) أي المعلق (وأنا نائم) حال (فاستيقظت وهو) أي والحال أن سيفي (في يده صلتا) بفتح الصاد وبضم أي مسلولا مجردا عن الغمد قال الجوهري هو بفتح الصاد وضمها وفي القاموس الصلت السيف الصقيل الماضي ويضم وفي النهاية وسيف مجرد (قال) أي الاعرابي (من يمنعك مني) أي من أذيتي فالفعل على حقيقته والمضاف مقدر قال الطيبي رحمه الله أي من يحميك مني قال في أساس البلاغة ومن المجاز فلان يمنع الجار أي يحميه من أن يضام (فقلت الله) أي الله يمنعني على الحقيقة أو نظر الى العصمة الموعودة بقوله سبحانه والله يعصمك من الناس (ثلاثا) أي ثلاث مرات وفيه ايماء الى انه يستحب تثليث لفظ الجلالة حالة الاستغاثة والاستعانة (ولم يعاقبه) أي الاعرابي (وجلس) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما كان قائما أو مضطجعا ثم يحتمل أن تكون القضية وقعت قبل المنادات فأخبرهم بما وقع من خرق العادة ويمكن أن تكون بعدها فناداهم ليريهم المعجزة والاول أظهر والله أعلم (متفق عليه وفي رواية أبي بكر الاسماعيلي في صحيحه فقال من يمنعك مني فقال الله تعالى فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السيف فقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ) أي متناول للسيف وهو كناية للعفو مع القدرة وقال الطيبي رحمه الله تعالى أي بالجنايات يريد العفو انتهى فالاخذ بمعنى المؤاخذة (فقال تشهد) أي أتشهد (أن لا اله الا الله واني رسول الله قال لا) أي لا أشهد (ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك) أي بانفرادي (ولا أكون) أي ولا أن أكون (مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله) أي فتركه حتى مضى الى طريقه (فأتى) أي الاعرابي (أصحابه) أي قومه (فقال جئتكم من عند خير الناس) أي كرما وحلما (هكذا) أي هذا الحديث المتفق عليه مع الزيادة (في كتاب الحميدي وفي الرياض) أي وكذا في كتاب رياض الصالحين للنووي (وعن أبي ذر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اني لاعلم آية لو أخذ الناس) أي عملوا (بها) أي بانفرادها (لكفتهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا) أي من البلايا (ويرزقه من حيث لا يحتسب) أي من العطايا وما بعده ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا قال الطيبي رحمه الله يريد الآية بتمامها فقوله ومن يتق الله الى قوله من حيث لا يحتسب اشارة الى انه تعالى يكفيه جميع ما يخشى ويكره من أمور الدنيا والآخرة وقوله ومن يتوكل الخ اشارة الى انه تعالى يكفيه جميع ما يطلبه ويبتغيه من أمور الدنيا والآخرة وبالغ أمره أي نافذ أمره وفيه بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوفيقه لم يبق الا التسليم للقدر والقضاء والتوكل وأنشد

اذا المرء أمسى حليف التقى * فلم يخش من طارق حله

(الفصل الثالث) عن جابر أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا قال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس متفق عليه وفي رواية أبي بكر الاسماعيلي في صحيحه فقال من يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فقال تشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله قال لا ولكني أعاهدك على ان لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فأتى أصحابه فقال جئتكم من عند خير الناس هكذا في كتاب الحميدي وفي الرياض وعن أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب

(رواه أحمد وابن ماجه والدارمي وعن ابن مسعود قال أقرأني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حملني على ان أقرأ ذكره الطيبي والاظهر ان معناه علمني (اني أنا الرزاق) أي قراءته هكذا قال الطيبي رحمه الله هي قراءة شاذة منسوبة الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمشهور ان الله هو الرزاق انتهى والمراد انها كانت قراءة قطعية متواترة معنوية وكان علمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن مسعود لكنها نسخت أو شذت طرقها بعد ابن مسعود (ذو القوة المتين) أي الشديد القوة والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شئ وقوله ذو القوة خبر بعد خبر وفيه من المبالغات تصدير الجملة بان وتوسيط ضمير الفصل المفيد للاختصاص وتعريف الخبر بلام الجنس ثم اردفه بقوله ذو القوة وتتميمه بالمتانة فوجب ان لا يتوكل الا عليه ولا يفوض الامور الا اليه ذكره الطيبي رحمه الله (رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن أنس قال كان اخوان) أي اثنان من الاخوان (على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في زمنه (فكان أحدهما يأتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لطلب العلم والمعرفة (والآخر يحترف) أي يكتسب أسباب المعيشة فكأنهما كانا يأكلان معا (فشكا المحترف) أي في عدم مساعدة أخيه اياه في حرفته أو في كسب آخر لمعيشته (أخاه النبي) بنزع الخافض أي الى النبي (صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لعلك ترزق به) بصيغة المجهول أي أرجو أو أخاف انك مرزوق ببركته لانه مرزوق بحرفتك ولا تمنن عليه بصنعتك وفي الحديث دليل على جواز ان يترك الانسان شغل الدنيا وان يقبل على العلم والعمل والتجرد لزاد العقبى قال الطيبي رحمه الله ومعنى لعل في قوله لعلك يجوز ان يرجع الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيفيد القطع والتوبيخ كما ورد فهل ترزقون الا بضعفائكم وان يرجع للمخاطب ليبعثه على التفكر والتأمل فينتصف من نفسه (رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح غريب) ورواه الحاكم أيضا (وعن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان قلب ابن آدم بكل واد شعبة) أي لقلبه قطعة والمعنى بعض توجه منه لان القلب واحد وأودية الهموم متعددة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ففي النهاية الشعبة الطائفة من كل شئ والقطعة منه قال الطيبي رحمه الله ولا بد فيه من تقدير أي في كل واد له شعبة (فمن اتبع قلبه الشعب كلها) من الاتباع أي من جعل قلبه تابعا للشعب الهموم في أودية الغموم (لم يبال الله بأي واد أهلكه ومن توكل على الله كفاه الشعب) أي كفاه الله مؤن حاجاته المتشعبة المختلفة وفي معناه ما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جعل الهموم هما واحدا هم الدين كفاه الله هم الدنيا والآخرة (رواه ابن ماجه وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال ربكم عز وجل لو ان عبيدي أطاعوني) أي في أمري ونهيي (لاسقيتهم) أي لانزلت عليهم (المطر بالليل) أي وهم نائمون مستريحون (وأطلعت) من باب الافعال أي أظهرت وأبرزت (عليهم الشمس بالنهار) أي وهم بمكاسبهم وأمورهم مشتغلون (ولم أسمعهم) وفي رواية الجامع ولما أسمعتهم (صوت الرعد) أي لا ليلا ولا نهارا كيلا يخافوا ولا ينفعوا ولا يتضررون قال الطيبي رحمه الله هو من باب التتميم فان السحاب مع وجود الرعد فيه شائبة الخوف لقوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا فنفاه ليكون رحمة محضة (رواه أحمد) وكذا الحاكم (وعنه قال دخل رجل على أهله) أي أهل بيته وأصحاب نفقته (فلما رأى ما بهم من الحاجة) أي من الجوع والفاقة (خرج الى البرية) أي الى قطعة من الارض منسوبة الى البر للتضرع الى خالق البرية (فلما رأت امرأته) أي خلوه بدار الرجل وادباره عن الاهل من الحياء والخجل (قامت الى الرحى فوضعتها) أي الطبقة العليا على السفلى والمعنى فهيأتها ونظفتها (والى التنور فسجرته) بتخفيف الجيم وتشدد أي أوقدته (ثم قالت) فيه اشارة الى ان العبد يسعى في طلب الحلال ما أمكنه الوقت ويقتضيه الحال ثم

رواه أحمد وابن ماجه والدارمي وعن ابن مسعود قال أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أنا الرزاق ذو القوة المتين رواه أبو داود والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن أنس قال كان اخوان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أحدهما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعلك ترزق به رواه الترمذي وقال هذا حديث صحيح غريب وعن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلب ابن آدم بكل واد شعبة فمن أتبع قلبه الشعب كلها لم يبال الله بأي واد أهلكه ومن توكل على الله كفاه الشعب رواه ابن ماجه وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال ربكم عز وجل لو ان عبيدي أطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد رواه أحمد وعنه قال دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج الى البرية فلما رأت امرأته قامت الى الرحى فوضعتها والى التنور فسجرته ثم قالت

يستعين في تحصيل أمره لي الملك المتعال بالدعاء بنحو (اللهم ارزقنا) أي من عندك فانك خير الرازقين
وقد انقطع طمعنا عن غيرك ولا نطمع الا في خيرك (فنظرت) أي الى الرحى (فاذا الجفنة) وهي القصعة
على ما في القاموس أو القصعة الكبيرة على ما في خلاصة اللغة والمراد هنا ما وضع تحت الرحى ليجتمع فيها
الدقيق (قد امتلأت) أي من الدقيق (قال) أي الراوي (وذهبت) وفي نسخة صحيحة فذهبت (الى
التنور) أي لتخبزه من الدقيق بعد عجنه (فوجدته ممتلئا) أي من الخبز الملتصق به (قال) أي الراوي
(فرجع الزوج) أي راجيا لما قام بامر الله داعيا (قال) أي الزوج وهو استئناف بيان (أصبتم)
أي أكلتم أو حصلتم (بعدي شيأ) أي من الاشياء أو من الاصابة (قالت امرأته نعم) أي أصبنا (من
ربنا) أي من عند ربنا أو من رزقه وما أخطانا وأغرب الطيبي رحمه الله في قوله اللهم ارزقنا حيث قال
دعت ان تصيب زوجها بما تطحنه وتعجنه وتخبزه فهيأت الاسباب لذلك انتهى (وقام) أي فتعجب الزوج
وقام (الى الرحى) أي ورفعها ليرى أثرها (فذكر) بصيغة المجهول وفي نسخة صحيحة فذكر أي هو
بنفسه (ذلك) أي ما ذكر من القضية بتمامها (للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أما) بالتخفيف
للتنبيه (انه) أي الشان (لو لم يرفعها لم تزل تدور الى يوم القيامة رواه أحمد وعن أبي الدرداء قال قال
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله) أقول بل حصول الرزق أسبق
وأسرع من وصول أجله لان الاجل لا يأتي الا بعد فراغ لرزق قال الله تعالى الله الذي خلقكم ثم رزقكم
ثم يميتكم ثم يحييكم (رواه أبو نعيم في الحلية) قال ميرك نقلا عن المنذري رواه ابن ماجه في صحيحه والبزار
ورواه الطبراني باسناد جيد الا انه قال ان الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله قلت وكذا رواه ابن عدي
في الكامل وهو يؤيد ما قررته وفيما سبق من المعنى حررته وروى أبو نعيم في الحلية عن جابر مرفوعا لو ان
ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت (وعن ابن مسعود قال كأني انظر
الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في استحضار القضية واستحفاظ القصة (يحكي نبيا) أي حال
كونه يحكي حال نبي (من الانبياء ضربه قومه) أي قد ضربه قومه فهو حال بتقدير قد وجوز بدونه أيضا
قال الطيبي رحمه الله قوله نبيا منصوب على شريطة التفسير بقرينة قوله ضربه قومه وهو حكاية لفظ الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان تقدر فنافا أي يحكي حال نبي من الانبياء وهو معنى ما تلفظ به وحينئذ
ضربه يجوز ان يكون صفة للنبي وان يكون استئنافا كان سائلا سأل ما حكاه فقيل ضربه قومه (فادموه)
أي جعلوه صاحب دم خارج من رأسه (وهو يمسح الدم عن وجهه) أي خوفا من الوقوع في فمه وعينه
(ويقول) أي من كمال صبره (اللهم اغفر لقومي) أي فعلهم هذا بمعنى لا تعذبهم به في الدنيا ولا تستأصلهم
والا فمن المعلوم ان مغفرة الكفار بمعنى العفو عن شركهم وكفرهم غير جائز بالاجماع ويمكن ان تكون المغفرة
كناية عن التوبة الموجبة للمغفرة واليه الاشارة بقوله (فانهم لا يعلمون) وهذا من كمال حلمه وحسن
خلقه حيث أذنب القوم وهو يعتذر عنهم عذرهم بانهم ما فعلوا ما فعلوا الا لجهلهم بالله ورسوله ففيه اشعار
بان الذنب مع الجهل أهون في الجملة بالنسبة الى الذنب مع العلم ولذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم
سبع مرات (متفق عليه)

(باب الرياء والسمعة)

في المغرب يقال فعل ذلك سمعة أي ليريه الناس من غير ان يكون قصد به التحقيق وسمع بكذا شهره تسميعا
انتهى والتحقيق ان الرياء مأخوذ من الرؤية فهو ما يفعل ليراه الناس ولا يكتفي فيه برؤية الله سبحانه
والسمعة بالضم مأخوذة من السمع فهو ما يفعل أو يقال ليسمعه الناس ولا يكتفي فيه بسمعه تعالى ثم يستعمل
كل منهما موضع الآخر وقد يجمع بينهما تأكيدا أو لارادة أصل المعنيين تفصيلا وضدهما الاخلاص
في العمل لله على قصد الخلاص ثم الرواية الصحيحة في الرياء الهمز وعليه السبعة ويجوز ابداله ياء وبه قرأ
بعض القراء وهو المشهور على السنة العامة

اللهم ارزقنا فنظرت فاذا الجفنة قد امتلأت قال وذهبت الى التنور فوجدته ممتلئا قال فرجع الزوج قال أصبتم بعدي شيأ قالت امرأته نعم من ربنا وقام الى الرحى فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال أما انه لو لم يرفعها لم تزل تدور الى يوم القيامة رواه أحمد وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله رواه أبو نعيم في الحلية وعن ابن مسعود قال كأني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيا من الانبياء ضربه قومه فادموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون متفق عليه

(باب الرياء والسمعة)

(الفصل)

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا ينظر) أى نظر اعتبار (الى صوركم) اذ لا اعتبار بحسنها وقبحها (وأموالكم) اذ لا اعتبار بكثرتها وقلتها (ولكن) وزاد في الجامع ولكن انما (ينظر الى قلوبكم) أى الى ما فيها من اليقين والصدق والاخلاص وقصد الرياء والسمعة وسائر الاخلاق الرضية والاحوال الردية (وأعمالكم) أى من صلاحها وفسادها فيجازيكم على وفقها هكذا وفي النهاية معنى النظر ههنا الاجتباء والرحمة والعطف لان النظر في الشاهد دليل المحبة وترك النظر دليل البغض والكراهة وميل النفس الى الصور المعجبة والامور الفانية والله يتقدس عن شبه المخلوقين فجعل نظره الى ما هو البر واللب وهو القلب والعمل والنظر يقع على الاجسام والمعاني فما كان بالابصار فهو للاجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني ذكره الطيبي رحمه الله ولا يخفى بعد المراد من النظر هنا ما ذكره من الرحمة والعطف لا سيما في جانب النفي فتقدير خصوصا فيما ذكره من تفصيل النظر فان نفيه في حقه تعالى لا يتصور والله تعالى اعلم (رواه مسلم) وكذا ابن ماجه (وعنه) أى عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء) أى أنا أغنى من يزعم انهم شركاء على فرض ان لهم غنى (عن الشرك) أى عما يشركون به مما بيني وبين غيري في قصد العمل والمعنى ما أقبل الا ما كان خالصا لوجهي وابتغاء لمرضاتي فاسم المصدر الذي هو الشرك مستعمل في معنى المفعول ويؤيد ما قررناه ما أوضحه بطريق الاستئناف بقوله (من عمل عملا أشرك فيه) أى في قصد ذلك العمل (معي) أى مع ابتغاء وجهي (غيري) أى من المخلوقين فلا يضره قصد الجنة وثوابها مثلا فانها من جملة مرضاته سبحانه وان كان المقام الاكمل ان لا يعبده لطمع جنة أو خوف نار فانه عد كفرا عند بعض العارفين لكن التحقيق فيه انه لو كان بحيث لو لم تخلق جنة ولا نار لما عبده سبحانه لكان كافرا فانه يستحق العبادة لذاته ولذا مدح صهيب بما روى في حقه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله ما عصاه وقوله (تركته وشركه) خبر من والواو بمعنى مع أو المعنى تركته عن نظر الرحمة وتركت عمله المشترك عن درجة القبول (وفي رواية فانا منه بريء) قيل من ذلك العمل والاظهر من عامل ذلك العمل لئلا يكون تكرارا في قوله (هو) أى ذلك العمل (للذي عمله) أى لاجله ممن قصده بذلك العمل رياء وسمعة وهو تأكيد لما قبله وقال شارح أى هو العامله يعني تركت ذلك العمل وفاعله لا أقبله ولا أجازي فاعله بذلك العمل لانه لم يعمله لي انتهى وفيه انه يلزم منه ان يكون عمله حينئذ مباحا مع ان العمل على وجه الاشراك حرام اجماعا يعاقب فاعله بذلك العمل فتأمل ولنذكر بقية كلام الشراح فقال ابن الملك رحمه الله أغنى أفعل التفضيل من غني به عنه غنية أى استغنى به عنه واضافته اما للزيادة المطلقة أى أنا غني من بين الشركاء واما للزيادة على ما أضيف اليه أى أنا أكثر الشركاء استغناء عن الشرك لكون استغنائه من جميع الجهات وفي جميع الاوقات وفيما ذكره من الوجه الثاني ما لا يخفى وقال الطيبي رحمه الله اسم التفضيل هنا لمجرد الزيادة والاضافة فيه للبيان أو على زعم القوم وفيه ان وجه الاضافة للبيان يحتاج الى مزيد البيان وكأنه أراد ان معناه أنا غني مما بينهم دونهم ثم قال والضمير المنصوب في تركته يجوز ان يرجع الى العمل والمراد من الشرك الشريك قال النووي رحمه الله تعالى معناه أنا غني عن المشاركة وغيرها فمن عمل شيأ لي ولغيري لم أقبله بل أتركه مع ذلك الغير ويدل عليه الحديث الاول من الفصل الثاني ويجوز ان يرجع الى العامل والمراد بالشرك الشركة وقوله هو يعود الى العمل على الوجه الاول والى العامل على الوجه الثاني أى العامل لما عمل به من الشرك يعني يختص به ولا يتجاوز عنه وكذا الضمير في منه أقول ويمكن ان يقال معناه أنا أغنى كل من يطلق عليه اسم الشريك كقوله تعالى أحسن الخالقين فان كثيرا من الشركاء في الدنيا من الاغنياء اذا وقع لهم سهم مع الفقراء فانهم يسامحونهم به ويعطونهم اياه أو يهبونه لواحد منهم من أفقرهم فاذا كان هذا وصف بعض الشركاء من الضعفاء فكيف بالذي لا شريك له وله وصف العظمة والكبرياء هذا وقال الامام حجة الاسلام درجات الرياء أربعة أقسام الاولى وهي أغلظها

(الفصل الاول) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه وفي رواية فانا منه بريء هو للذي عمله

ان لا يكون مراده الثواب أصلا كالذي يصلي بين أظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما صلى من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصده للرياء فهو الممقوت عند الله تعالى والثانية ان يكون له قصد الثواب أيضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الرياء يحمله على العمل فقصد الثواب فيه لا ينفي عنه المقت والثالثة ان يكون قصد الثواب والرياء متساويين بحيث لو كان واحد خاليا عن الآخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة وظواهر الاخبار تدل على أنه لا يسلم رأسا برأس والرابعة ان يكون اطلاع الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لم يترك العبادة ولو كان قصد الرياء وحده لما أقدم فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط أصل الثواب ولكنه ينقص منه أو يعاقب على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وأما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا أغنى الشركاء فهو محمول على ما اذا تساوى القصدان أو كان قصد الرياء أرجح (رواه مسلم) وكذا ابن ماجه الرواية الاولى (وعن جندب) مر ذكره (قال قال النبي) وفي نسخة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم من سمع) بتشديد الميم أي من عمل عملا للسمعة بان نوه بعمله وشهره ليسمع الناس به ويمتدحوه (سمع الله به) بتشديد الميم أيضا أي شهره الله بين أهل العرصات وفضحه على رؤس الاشهاد وأما ما نقله الطيبي رحمه الله عن النووي رحمه الله بان معناه من أظهر عمله للناس رياء فهو غير ملائم لمقام التفصيل والتمييز بين المعنيين من السمعة والرياء حيث قال (ومن يرائي يرائي الله به) باثبات الياء في الفعلين على ان من موصولة مبتدأ والمعنى من يعمل عملا ليراه الناس في الدنيا يجازيه الله تعالى به بان يظهر رياءه على الخلق وخلاصة القرينتين وزبدة الجملتين ان المعنى يسمع الله الخلق بكونه مسمعا ويظهر لهم بكونه مرائيا وفي شرح مسلم معنى من يرائي من أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم وليس هو كذلك يرائي الله به أي يظهر سريرته على رؤس الخلائق وفيه أن قيده بقوله وليس هو كذلك ظاهره انه ليس كذلك بل هو على اطلاقه سواء يكون كذلك أولا يكون كذلك ثم قال وقيل معناه من سمع بعيوب الناس واذاعها أظهر الله عيوبه وقيل أسمعه المكروه وقيل أراه الله ثواب ذلك من غير ان يعطيه اياه ليكون حسرة عليه وقيل معناه من أراد ان يعلمه الناس أسمعه الله الناس وكان ذلك حظه منه قال الشيخ أبو حامد الرياء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع وانما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائهم الخصال المحمودة فحد الرياء هو ارادة العبادة بطاعة الله تعالى فالمرائي هو العابد والمرائى له هو الناس والمرائى به هو الخصال الحميدة والرياء هو قصد اظهار ذلك (متفق عليه) ورواه أحمد ومسلم وابن عباس ولفظه من سمع سمع الله به ومن راأى راأى الله به (وعن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أرأيت) أي أخبرني كما قاله شارح فقوله (الرجل يعمل العمل) مبتدأ وخبر في محل النصب وقال الطيبي رحمه الله أي أخبرنا بحاله فالرجل منصوب بنزع الخافض والمراد بالعمل جنسه وقوله (من الخير) بيان له ومن المعلوم ان لا خير في العمل للرياء فيكون عمله خالصا (ويحمده الناس عليه) أي يثنون عليه على ذلك العمل أو على ذلك الخير (وفي رواية ويحبه الناس) أي يعظمونه (عليه) أي على ذلك الخير أو لاجل ذلك العمل (قال تلك) أي المحمدة أو المحبة أو الخصلة أو المثوبة (عاجل بشرى المؤمن) أي معجل بشارته وأما مؤجلها فباق الى يوم آخرته وظاهره انه يستوي فيه انه يحبه حمدهم ومحبتهم أولا والثاني أولى والاول أظهر ويجيء التصريح به في حديث أبي هريرة من الفصل الآتي قال المظهر أي أخبرنا بحال من يعمل عملا صالحا لله تعالى لا للناس ويمدحونه هل يبطل ثوابه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم تلك عاجل بشرى المؤمن يعني هو في عمله ذلك ليس مرائيا فيعطيه الله تعالى به ثوابين في الدنيا وهو حمد الناس له وفي الآخرة ما أعده (رواه مسلم)

(الفصل الثاني عن أبي سعد بن أبي فضالة) بفتح الفاء قال الطيبي رحمه الله أبو سعد بسكون العين كذا في مسند أحمد وفي الاستيعاب وجامع الاصول وفي نسخ المصابيح أبو سعيد بياء بعد العين انتهى قال الجزري

رواه مسلم وعن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به متفق عليه وعن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه وفي رواية ويحبه الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن رواه مسلم

(الفصل الثاني)

عن أبي سعد بن أبي فضالة

هو تصحيف وقال المؤلف اسمه كنيته وهو حارثي انصاري يعد في أهل المدينة (عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم) أي لحسابه وجزائه (لا ريب فيه) أي في وقوع ذلك اليوم أو في حصول ذلك الجمع قال الطيبي رحمه الله اللام متعلق بجمع ومعناه جمع الله الخلق ليوم لابد من حصوله ولا يشك في وقوعه لتجزى كل نفس بما كسبت وقوله يوم القيامة توطئة له ويجوز أن يكون ظرفا لجمع كما جاء في الاستيعاب اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ليوم لا ريب فيه الحديث فعلى هذا قوله ليوم مظهر وقع مقام المضمر أي جمع الله الخلق يوم القيامة ليجزيهم فيه (نادى مناد من كان أشرك في عمل عمله لله أحدا) منصوب على انه مفعول أشرك أي أحدا غير الله ولذا قال (فليطلب ثوابه من عند غير الله) ولعل وجه العدول عن قوله من عنده أو من عند ذلك الاحد ما يحصل به من ابهام الابهام ويخل به مقام المرام (فان الله أغنى الشركاء عن الشرك) فهذا الحديث يؤيد ما قررناه آخرا في معنى الحديث الاول فتأمل (رواه أحمد) وكذا الترمذي وابن ماجه ورجاله رجال مسلم الا زياد بن مينا وقد وثقوه ورواه ابن حبان في صحيحه والبيهقي ذكره ميرك (وعن عبد الله ابن عمرو) بالواو (انه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من سمع الناس) بتشديد الميم أي راآهم بعمله أي المطلوب منه ان يخفيه عن أنظار الخلق فاظهره لهم فكأنه ناداهم (سمع الله) بالتشديد أيضا أي أسمع (به) أي بعمله الريائي والسمعي (أسامع خلقه) أي آذانهم ومحال سماعهم والمعنى جعله مسمع عالمهم ومشهورا فيما بينهم في العقبى أو أظهر لهم سريرته وملأ أسماعهم مما ينطوي عليه من خبث سرائره جزاء لفعله ويمكن ان يكون الضمير في قوله به راجعا الى الموصول ففي شرح السنة يقال سمعت بالرجل تسميعا اذا أشهرته وقوله أسامع خلقه هي جمع أسمع يقال سمع وأسمع وأسامع جمع الجمع يريد ان الله يسمع اسماع خلقه به يوم القيامة وحاصله ان أسامع بالنصب مفعول سمع أي بلغ الله مسامع خلقه أنه مراء مزور وأشهره بذلك فيما بين الناس فاسامع جمع أسمع وهو جمع سمع بمعنى الاذن وروى سامع خلقه مرفوعا على انه صفة لله فالمعنى سمع الله الذي هو سامع خلقه يعني فضحه الله قال صاحب الفائق في هذه الرواية ولو روي بالنصب لكان المعنى سمع الله به من كان له سمع من خلقه (وحقره وصغره) بالتشديد فيهما أي جعله حقيرا ذليلا من الصغار وهو الذل ولا يبعد ان يجعله كالذر صغيرا كما ورد في حق المتكبرين والله سبحانه وتعالى أعلم (رواه البيهقي) وفي نسخة صحيحة رواه أحمد والبيهقي (في شعب الايمان) قال ميرك حديث عبد الله بن عمرو رواه الطبراني باسانيد أحدها صحيح والبيهقي كذا قاله المنذري (وعن أنس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال من كانت نيته) أي قصده الاصلي في الامر العلي والعملي (طلب الآخرة) أي مرضاة مولاه (جعل الله غناه في قلبه) أي جعله قانعا بالكفاف والكفاية كيلا يتعب في طلب الزيادة (وجمع له شمله) أي أموره المتفرقة بان جعله مجموع الخاطر بتهيئة أسبابه من حيث لا يشعر به (وأتته الدنيا) أي ما قدر وقسم له منها (وهي راغمة) أي ذليلة حقيرة تابعة له لا يحتاج في طلبها الى سعي كثير بل تأتيه هينة لينة على رغم انفها وانف أربابها ولذا قيل العلم يعطي ولو يبطي (ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر) أي جنس الاحتياج الى الخلق كالأمر المحسوس منصوبا (بين عينيه وشتت) بتشديد التاء الاولى أي فرق (عليه أمره ولا يأتيه منها) أي من الدنيا (الا ما كتب له) أي وهو راغم فلا يأتيه ما طلب من الزيادة على رغم أنفه وأنف أصحابه قال الطيبي رحمه الله تعالى يقال جمع الله شمله أي ما تشتت من أمره وفرق الله شمله أي ما اجتمع من أمره فهو من الاضداد والحديث من باب التقابل والمطابقة فقوله جعل الله غناه في قلبه مقابل لقوله جعل الله الفقر بين عينيه وقوله جمع له شمله مقابل لقوله وشتت عليه أمره وقوله وأتته الدنيا وهي راغمة لقوله ولا يأتيه منها الا ما كتب له فيكون معنى الاول وأتاه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة ومعنى الثاني وأتاه ما كتب له من الدنيا وهو راغم (رواه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله أغنى الشركاء عن الشرك رواه أحمد وعن عبد الله بن عمرو انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع الناس بعمله سمع الله به أسامع خلقه وحقره وصغره رواه البيهقي في شعب الايمان وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه أمره ولا يأتيه منها الا ما كتب له رواه

الترمذي) أي عن أنس (ورواه أحمد والدارمي عن أبان) بفتح همزة وتخفيف موحدة يصرف ولا يصرف وهو ابن عثمان بن عفان تابعي سمع أباه وكثيرا من الصحابة (عن زيد بن ثابت) قال ميرك ورواه البزار والطبراني معناه وابن حبان في صحيحه (وعن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي اذ دخل علي رجل فأعجبني الحال التي رآني عليها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رحمك الله يا أبا هريرة) قال الطيبي رحمه الله صدر الحديث اخبار فيه معنى الاستخبار يعني هل تحكم على هذا انه رياء أم لا وكذلك طابقه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم رحمك الله يا أبا هريرة (لك أجران أجر السر) أي لاخلاصك (وأجر العلانية) أي للاقتداء بك أو لفرحك بالطاعة وظهورها منك قيل معناه فأعجبه رجاء ان يعمل من رآه مثل عمله فيكون له مثل أجره وهذا معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها ذكره في شرح السنة والاظهر ان اعجابه بحسب أصل الطبع المطابق للشرع من انه يعجبه ان رآه أحد على حالة حسنة ويكره ان يراه على حالة قبيحة مع قطع النظر عن ان يكون ذلك العمل مطمعا للرياء ومطمعا للسمعة ويكون من قبيل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه الطبراني عن أبي موسى من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن وقد قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون فالمؤمن يفرح بتوفيق الاعمال كما ان غيره يفرح بتكثير الاموال والله تعالى أعلم بالاحوال (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) أي اسنادا وقال ميرك نقلا عن الجزري رواه صاحب المصابيح في شرح السنة بهذا السياق من طريق سعد بن بشر عن الاعمش عن أبي هريرة ثم قال قال أبو عيسى الترمذي هذا حديث غريب وظاهر هذا الكلام يدل على ان الترمذي رواه هكذا والذي في الترمذي بغير هذا اللفظ فقال حدثنا محمد بن المثنى حدثنا أبو سنان الشيباني عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيسره فاذا اطلع عليه أعجبه ذلك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له أجران أجر السر وأجر العلانية قال أبو عيسى هذا حديث غريب وقد روى الاعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مرسلا انتهى كلام الترمذي والله تعالى أعلم (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج في آخر الزمان) أي يظهر (رجال يختلون) بسكون الخاء وكسر التاء أي يطلبون (الدنيا بالدين) أي بعمل أهل الآخرة أو يستبدلونها به ويختارونها عنه والاظهر ان معناه يخدعون أهل الدنيا بعمل الدين من ختله اذا خدعه والمعنى يختلون في طلبها بلابسة الامور الدينية والتدرع بلباسها على وجه الرياء والسمعة وسائر الاحوال الدنية كما يدل عليه قوله (يلبسون للناس) أي لاجله (جلود الضأن) بسكون الهمزة ويبدل والمراد به عينه أو ما عليه من الصوف وهو الاظهر فالمعنى انهم يلبسون الاصواف ليظنهم الناس زهادا وعبادا تاركين الدنيا راغبين في العقبى (من اللين) أي من أجل اظهار التلين والتلطف والتمسكن والتقشف مع الناس وأرادوا به في حقيقة الامر التملق والتواضع في وجوه الناس ليصيروا مريدين لهم ومعتقدين لاحوالهم (ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب) بهمز ويبدل أي أمر من مرارتها من شدة حب الدنيا والجاه وكثرة البغض والعداوة لاهل التقوى وغلبة الصفات البهيمية والشهوات الحيوانية والارادات النفسانية كما قال تعالى ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام أي على الطعام وعلى تحصيل المال الحرام (يقول الله أبي) أي بامهالي (يغترون) أي لم يدروا اني أمهل ولا أهمل والمراد بالاغترار هنا عدم الخوف من الله تعالى وترك التوبة من فعلهم القبيح أي أفلا يخافون من سخطي وعقابي (أم علي) أي على مخالفتي (يجترئون) أي بمكرهم الناس في اظهار الاعمال الصالحة افتعال من الجراءة ولذا قيل الاجتراء الانبساط والتشجع قال الطيبي رحمه الله أم منقطعة أنكر أولا اغترارهم بالله وبامهاله اياهم حتى اغتروا ثم أضرب عن ذلك وأنكر عليهم ما هو أعظم منهم

الترمذي ورواه أحمد والدارمي عن أبان عن زيد ابن ثابت وعن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله بينا أنا في بيتي في مصلاي اذ دخل علي رجل فأعجبني الحال التي رآني عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمك الله يا أبا هريرة لك أجران أجر السر وأجر العلانية رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله أبي يغترون أم علي يجترئون فبي حلفت لابعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران رواه الترمذي وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى قال لقد خلقت خلقا ألسنتهم أحلى من السكر وقلوبهم أمر من الصبر

وهو اجتراؤهم على الله (فبي) أي فبذاتي وصفاتي (حلفت لابعثن) من البعث أي لاسلطن أو لاقضين (على أولئك) أي الموصوفين بما ذكر (منهم) أي مما بينهم بتسليط بعضهم على بعض (فتنة تدع الحليم) أي تترك العالم الحازم فضلا عن غيره وفي بعض نسخ المصابيح الحكيم بالكاف بدل الحليم باللام والمؤدى واحد (فيهم) أي فيما بينهم (حيران) أي حال كونه متحيرا في الفتنة لا يقدر على دفعها ولا على الخلاص منها لا بالاقامة فيها ولا بالفرار منها قال الاشرف من في منهم يجوز أن يكون للتبيين بمعنى الذين والاشارة الى الرجال وتقديره على أولئك الذين يختلون الدنيا بالدين وان يجعل متعلقا بالفتنة أي لابعثن على الرجال الذين يختلون الدنيا بالدين فتنة ناشئة منهم (رواه الترمذي وعن ابن عمر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تبارك) أي تكاثر خيره وبره (وتعالى) أي تعظم أن يدرك كنهه (قال لقد خلقت خلقا) أي جمعا من المخلوقين (ألسنتهم أحلى من السكر) أي لما يظهر عليهم من أثر الوعظ والذكر وأثر الصبر والشكر (وقلوبهم أمر من الصبر) ضبط في أكثر النسخ بكسر الباء وفي بعضها بسكونها وفي القاموس الصبر ككتف ولا يسكن الا في ضرورة الشعر عصارة شجر مر والمشهور على السنة العامة بكسر الصاد وسكون الباء ولعله مأخوذ من لغات الكتف فيكون من باب النقل تخفيفا (فبي حلفت لاتيحنهم) من الاتاحة بمعنى التقدير يقال أتاح الله لفلان كذا أي قدره له وأنزله به فالفعل من باب الحذف والايصال فالمعنى لاتيحن لهم (فتنة تدع الحليم فيهم حيران فبي يغترون) بتقدير الاستفهام (أم علي يجترؤن رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أبي هريرة قال قال النبي) وفي نسخة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم ان لكل شيء شرة) بكسر الشين المعجمة وتشديد الراء الحرص على الشيء والنشاط فيه والرغبة (ولكل شرة فترة) بفتح الفاء وسكون التاء أي وهنا وضعفا وفي نسخة برفعهما والمعنى ان العابد يبالغ في العبادة في أول أمره وكل مبالغ يفتر ويسكن حدته ومبالغته في أمره ولو بعد حين (فان صاحبها) فاعل فعل دل عليه قوله (سدد) أي قصد السداد والاستقامة أو اقتصد في أمره على مداومته لكن لا تقطعه الطاعة والعبادة (وقارب) أي دنا من التوسط واحترز من الافراط والتفريط (فارجوه) أي أن يكون من الفائزين فان من سلك الطريق المتوسط يقدر على مداومته لكن لا تقطعوا له فان الله هو الذي يتولى السرائر (وان أشير اليه بالاصابع) أي وان اجتهد وبالغ في العمل ليصير مشهورا بالزهد والعبادة وصار مشهورا ومشارا اليه فيها (فلا تعدوه) أي شيأ ولا تعتقدوه صالحا لكونه من المرائين حيث جعل أوقات فترته عبادة وهو لا يتصور الا فيما يتعلق به رياء وسمعة وأيضا اذا أقبل الناس عليه بوجوههم ربما زاد في العبادة وحصل له عجب وغرور فصار من الهالكين الا ان يتداركه الله بفضله ويجعله من المخلصين وتوضيحه ان الانسان يشتغل بالاشياء على حرص شديد ومبالغة عظيمة في أول الامر ثم ان تلك الشرة يتبعها فترة فان كان مقتصدا محترزا عن جانبي الافراط والتفريط وسالكا الطريق المستقيم فارجو كونه من الفائزين الكاملين وان سلك طريق الافراط حتى يشار اليه بالاصابع فلا تلتفتوا اليه ولا تعولوا عليه فانه ربما يكون من الهالكين لكن لا تجزموا بانه من الخاسرين ولا تعدوه منهم لكن لا ترجوه كما ترجو ثم المقتصد اذ قد يعصم الله في صورة الافراط والشهرة كما انه قد يعفو عن صاحب التفريط وراعي التقصير في العبادة قال الطيبي رحمه الله ويؤيد هذا التأويل الحديث الذي يليه والاستثناء فيه فترك ما القسم الثالث لظهوره (رواه الترمذي) ورواه البيهقي عن ابن عمرو مرفوعا ولفظه ان لكل شيء شرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى سنتي فقد اهتدى ومن كانت فترته الى غير ذلك فقد هلك (وعن أنس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال بحسب امرئ) الباء زائدة أي يكفيه (من الشر أن يشار اليه بالاصابع في دين أو دنيا) فان من اشتهر بخصلة قلما سلم من الآفات الخفية كالكبر والعجب والرياء والسمعة وغير ذلك من الاخلاق الدنية (الا من عصمه الله) أي حفظه الله في مقام تقواه ولذا اختار طائفة من الصوفية طريق الملامية في كتمان العبادات

في حلفت لا تيحنهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران في يغترون أم على يجترؤن رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء شرة ولكل شرة فترة فان صاحبها سدد وقارب فارجوه وان أشير اليه بالاصابع فلا تعدوه رواه الترمذي وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بحسب امرئ من الشر ان يشار اليه بالاصابع في دين أو دنيا الا من عصمه الله

الدينية اظهارا للشهوات النفسانية الدنيئة قيل للحسن البصري ان الناس قد أشاروا اليك بالاصابع فقال لا يريد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك وانما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه انتهى ووجهه أن الاشارة انما تكون في البدعة والغرابة لكن قد توجد في الكثرة المجاوزة عن حد العادة فيحصل به الاشارة والشهرة فتارة تفضي بصاحبها الى الرياء والسمعة والطمع من الناس في المنزلة وتارة يعصمه الله من نظر ما سواه فلا يلتفت الى غيره ويعرف أن الغير لا يقدر على دفع الشر ولا جلب الخير ولا اعتبار بالخلق مدحا وذما لا في العبارة ولا في الاشارة فانه ما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى فهذه حالة فيها اشارة الى كمال البشارة لكنه مزلة الاقدام للرجال ومزلقة افهام الجبال كما ورد لا يؤمن أحدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر وتوضيحه ماذكره الطيبي رحمه الله باحسن عبارة وأزين اشارة حيث قال وبين الحال يعني حب الرياسة والجاه في قلوب الناس هو من أضر غوائل النفس ومواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة من الزهاد فانهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات وحملوها بالقهر على أصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العلم والعمل فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة القبول عند الخلائق ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده فاحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته واكرامه وتقديمه في المحافل فاصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وألذ الشهوات وهو يظن ان حياته بالله تعالى وبعباداته وانما حياته بهذه الشهوات الخفية التي تعمى عن دركها الا العقول النافذة قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن انه عند الله من عباده المقربين فهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون من المخلصين ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة وهو أعظم شبكة للشياطين فاذا المحمود هو المخمول الا من شهره الله تعالى بنشر دينه من غير تكلف منه كالانبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين والعلماء المحققين والسلف الصالحين والحمد لله رب العالمين (رواه البيهقي في شعب الايمان) أي عن أنس وعن أبي هريرة أيضا على ما في الجامع

(الفصل الثالث) (عن أبي تميمة) قال المؤلف هو طريف بن مجالد الجهمي البصري كان أصله من عرب اليمن فباعه عمه وهو تابعي روى عنه نفر من الصحابة وعنه قتادة وغيره مات سنة خمس وتسعين (قال شهدت صفوان وأصحابه) الظاهر ان المراد به صفوان بن سليم الزهري مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف تابعي جليل القدر من أهل المدينة مشهور روى عن أنس بن مالك ونفر من التابعين كان من خيار عباد الله الصالحين يقال انه لم يضع جنبه على الارض أربعين سنة ويقال ان جبهته ثقبت من كثرة السجود وكان لا يقبل جوائز السلطان ومناقبه كثيرة روى عنه ابن عيينة ذكره المؤلف ثم الظاهر ان المراد باصحابه اتباعه في العلم والعمل (وجندب) أي حضرتهم والحال ان جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي وهو من أكابر الصحابة (يوصيهم) بالتخفيف ويشدد والمعنى يعظهم في الاستقامة على المجاهدة أو بزيادة العبادة أو بالاقتصاد في الطاعة أو بالاحتراز عن الرياء والسمعة وعن الاشارة والشهرة والاظهر الاخيران كما يدل عليه السؤال والجواب (فقالوا هل سمعت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ) أي من الاحاديث فحدثنا به وأفدنا من كلامه فانه أقوى تأثيرا وألطف تعبيرا (قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من سمع سمع الله به يوم القيامة) سبق مبناه ومعناه (ومن شاق) صيغة المفاعلة اذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة فالمعنى ان من شق على نفسه بان يكلفها فوق طاقتها أو شق على غيره بان حمله فوق استطاعته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لولا ان أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة قال الطيبي رحمه الله أطلق ليشمل فتأمل (شق الله) وفي نسخة صحيحة شق الله (عليه يوم القيامة قالوا) أي الصحابة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم بدلالة المقام على ذكرهم وهو الظاهر أو صفوان وأصحابه لجندب على ما هو المتبادر من قاعدة رجوع

رواه البيهقي في شعب الايمان *(الفصل الثالث)* عن أبي تميمة قال شهدت صفوان وأصحابه وجندب يوصيهم فقالوا هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع سمع الله به يوم القيامة ومن شاق شق الله عليه يوم القيامة قالوا

الضمير (أوصنا فقال ان أول ما ينتن) بضم أوله أي ما يفسد (من الانسان بطنه) أي في الدنيا فانه محل النتن أو في القبر بالتفقع (فمن استطاع ان لا يأكل الا طيبا) أي حلالا (فليفعل) أي ما استطاع أو معناه فليأت بكل فان من عرف ان مآل المأكول ما ذكر من الاحوال فلا ينبغي له ان يجتهد في لذات النفس من طرق الوبال بل عليه ان يكتفي بالحلال ولو بقليل من المال وقد أنشد ابن أدهم

وما هي الا جوعة قد سددتها * وكل طعام بين جنبي واحد

وتكلف الطيبي رحمه الله حيث قال نتن البطن كناية عن مسه النار وانما يفتقر الى هذا التأويل ليطابق قوله فمن استطاع ان لا يأكل الا طيبا أي حلالا ونظيره قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا ولا دلالة على ان أول ما يمس النار منه هو البطن (ومن استطاع ان لا يحول) أي من قدر على ان لا يمنع (بينه وبين الجنة) أي دخولها أولا مع الفائزين (ملء كف من دم اهراقه) بفتح الهاء ويسكن أي صبه (فليفعل) أي ما استطاع مما ذكر وقاله بقوله ملء كف اشارة الى أن القليل يحول فكيف بالكثير وقيل اشعار الى تسفيه القائل بان فوت الجنة على نفسه بهذا الشيء الحقير المسترذل (رواه البخاري) وذكره السيوطي في باب نتن الميت وبلاء جسده الا الانبياء ومن ألحق بهم من كتاب شرح الصدور في أحوال القبور وأخرج البخاري من حديث جندب البجلي أول ما ينتن من الانسان بطنه انتهى والظاهر من عبارته ان الحديث بكماله مرفوع والله تعالى أعلم (وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه خرج يوما الى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فوجد معاذ بن جبل قاعدا عند قبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يبكي فقال) أي عمر رضي الله تعالى عنه (ما يبكيك) أي أي شيء يجعلك باكيا أشوقا الى اللقاء أم وقوعا من الله ببعض البلاء أو غير ذلك من أسباب البكاء (قال يبكيني شيء سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) جواب سؤال مقدر (يقول ان يسير الرياء) أي قليله (شرك) أي عظيم أو نوع من الشرك يعني وهو في غاية من الخفاء لانه أدق من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء وقلما يسلم منه الاقوياء فكيف الضعفاء فهو من جملة أسباب البكاء وسبب آخر أذى الاولياء وغالبهم أخفياء كما في الحديث القدسي أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري والانسان لا يخلو عن بذاءة اللسان مع الاخوان مما يجر الى العصيان وكأنه أراد هذا المعنى بقوله (ومن عادى) أي آذى وأغضب بالفعل أو القول (لله وليا) أي واحدا من أوليائه تعالى (فقد بارز الله) أي أظهر له نفسه (بالمحاربة) وفي التعبير عن المخالفة بالمحاربة اشارة الى انها جراءة عظيمة وجناية جسيمة قال الطيبي رحمه الله قوله لله لا يجوز ان يكون متعلقا بعادى فهو اما متعلق بقوله وليا أو صفة له قدم فصار حالا منه (ان الله يحب الابرار) أي الذين يعملون عمل البر وهو الطاعة للحق والاحسان للخلق ولذا قال بعض العارفين مدار الدين على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله (الاتقياء) أي عن الشرك الجلي والخفي وعن المناهي والملاهي (الاخفياء) أي عن نظر الخلق من عامتهم وعن مخالطتهم ومعاشرتهم (الذين اذا غابوا) أي من غاية الخمول (لم يتفقدوا) بصيغة المجهول ففي القاموس تفقده طلبه عند غيبته ومنه قوله تعالى وتفقد الطير (وان حضروا) أي فيما بينهم (لم يدعوا) بصيغة المفعول أي لم يطلبوا الى الدعوة وغيرها (ولم يقربوا) بالمجهول أيضا أي ولم يقربهم العامة ولم يعرفوا قدر قربهم ومقدار منزلتهم قال الطيبي رحمه الله قوله ان الله استئناف مبين لحقيقة الولي وذكر لهما أوصافا ثلاثا اذا كانوا سفرا لم يتفقدوا واذا كانوا حاضرين لم يدعوا الى مأدبة وان حضروها لم يقربوا وتركوا في صف النعال وهذا تفصيل ما ورد رب أشعث أغبر لا يؤبه به لو أقسم على الله لابره (قلوبهم مصابيح الهدى) أي هم أدلة الهداية وهداة العناية فيستحقون الرعاية بل ينبغي ان يطلب منهم الحماية (يخرجون من كل غبراء مظلمة) أي من عهدة كل مسئلة مشكلة أو بلية معضلة وقال الطيبي رحمه الله كناية عن حقارة مساكنهم وانها مظلمة مغبرة لفقدان

أوصنا فقال ان أول ما ينتن من الانسان بطنه فمن استطاع ان لا يأكل الا طيبا فليفعل ومن استطاع ان لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم أهراقه فليفعل رواه البخاري وعن عمر بن الخطاب انه خرج يوما الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد معاذ بن جبل قاعدا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقال ما يبكيك قال يبكيني شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان يسير الرياء شرك ومن عادى لله وليا فقد بارز الله بالمحاربة ان الله يحب الابرار الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يتفقدوا وان حضروا لم يدعوا ولم يقربوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة

أو إنما يتنور ويتفقه به (رواه ابن ماجه) أي في سننه (والبيهقي في شعب الايمان) وقد جاء في صدر حديث من أحاديث الاربعين مما رواه البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب قال شارحه أي أعلمته بمحاربته ومعاداته معي أو باني ساحاربه وأقهره وأنتصر منه وأنتقم له وفي رواية واني لاغضب لاوليائي كما يغضب الليث للجرو أي لولده وفي أخرى انه ينتقم بعدوه ثم الولي بحسب التركيب يدل على القرب فكأنه قريب منه سبحانه لاستغراقه في نور معرفته وجماله وجلاله وكمال مشاهدته واختلفوا في تعريفه فقال المتكلمون الولي من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل وبالاعمال الشرعية أي كذلك ويؤيده ما قاله بعض الكبراء انه ان كان العلماء ليسوا باولياء فليس لله ولي وقال الغزالي رحمه الله تعالى الولي من كوشف ببعض المغيبات ولم يؤمر باصلاح الناس وفي كل منهما نظر اذ أكثر الاولياء لاسيما من السلف الصالحين لم يظهر عليهم كرامة وكشف حاله بخلاف بعض الخلف المتأخرين من قبل الفوقلوب الاولين وضعف دين الآخرين ولان الاولياء وهم العلماء العاملون لاشك انهم كاملون في أنفسهم مكملون لغيرهم وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله والواعظون عن الاشتغال بما سواه كما أشار اليه الحديث بقوله مصابيح الهدى فطوبى لمن بهم اقتدى وبنورهم استضاء واهتدى فالاقرب في معناه ما ذكره القشيري رحمه الله من ان الولي اما فعيل بمعنى المفعول وهو من يتولى الله حفظه وحراسته على التوالي أو بمعنى الفاعل أي من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى عليها من غير تخلل معصية وكلا الوصفين شرط في الولاية انتهى كلامه وفيه اشعار بان أول النوعين ايماء في الاول الى المجذوب السالك المعبر عنه بالمراد وفي الثاني الى السالك المجذوب المعبر عنه بالمريد وقد أشار اليهما سبحانه في قوله الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وتحقيقه ان يقال الولي هو من يتولى الله بذاته أمره فلا تصرف له أصلا اذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا وصف فهو الفاني بيد الباقي كالميت بين يدي الغاسل يفعل به ما يشاء حتى يمحو رسمه واسمه ويمحو عينه وأثره ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه ويوصله الى لقائه (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان العبد اذا صلى في العلانية فأحسن) أي في أداء صلاته بالقيام بشرائطه وواجباته وسننه ومستحباته وكذا في سائر طاعاته وعباداته (وصلى في السر) أي في الخلوة عن الخلق (فأحسن) أي عملها اكتفاء بنظر الحق (قال الله تعالى هذا) أي العبد (عبدي) أي المخلص لي (حقا) أي صدقا خاليا عن ان يكون عمله في العلانية نفاقا ولعل هذا هو السر في حثه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يصلي السنن والنوافل في البيت (رواه ابن ماجه وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يكون) ان يوجد ويحدث (في آخر الزمان أقوام) أي جماعات كثيرة ومختلفة مؤتلفة (اخوان العلانية أعداء السريرة) أي احباء في الظواهر واعداء في السرائر ذكرهما من غير عطف على سبيل التعداد أو من قبيل الخبر بعد الخبر قال الطيبي رحمه الله في مقدرة فيهما وفي قرينتها الجوهري السر ما يكتم والسريرة مثله (فقيل يا رسول الله وكيف يكون ذلك) أي ما ذكر وما يكون سببه (قال ذلك برغبة بعضهم الى بعض) أي بسبب طمع طائفة منهم الى أخرى (ورهبة بعضهم) أي خوفهم (من بعض) والحاصل انهم ليسوا من أهل الحب في الله والبغض لله بل أمورهم متعلقة بالاغراض الفاسدة والمقاصد الكاسدة فتارة يرغبون في قوم لاغراض فيظهرون لهم الصداقة وتارة يكرهون قوما لعلل فيظهرون لهم العداوة وخلاصته انه لا عبرة بمحبة الخلق وعداوتهم فانهما مبنيتان على غرضهم وشهوتهم (وعن شداد بن أوس قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول من صلى يرائي) أي مرائيا (فقد أشرك) أي شركا خفيا كما سيجيء مصرحا فيما يليه من حديثه (ومن صام يرائي فقد أشرك) فيه اشعار بان الرياء له مدخل في الصيام أيضا خلافا لمن نفاه وعلله بان مدار الصوم على النية ولا يدخل فيها الرياء ولا عبرة بعدم أكله وشربه مع عدم صحة الطوية فانا نقول الرياء المحض لا يتصور

رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا صلى في العلانية فأحسن وصلى في السر فأحسن قال الله تعالى هذا عبدي حقا رواه ابن ماجه وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في آخر الزمان أقوام اخوان العلانية أعداء السريرة فقيل يا رسول الله وكيف يكون ذلك قال ذلك برغبة بعضهم الى بعض ورهبة بعضهم من بعض وعن شداد بن اوس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى يرائي فقد أشرك ومن صام يرائي فقد أشرك

في الصوم لكن الرياء قد يوجد على وجه الاشتراك بأن يريد به وجه الله ويريد به أيضا التشهير أو غرضا سواه سواء يكون المقصدان متساويين أو متفاوتين على ما تقدم تفصيل المرام في كلام حجة الاسلام (ومن تصدق يرائي فقد أشرك رواهما) أي الحديثين (أحمد وعنه) أي عن شداد (انه بكى فقيل له ما يبكيك قال شيء) أي يبكيني شيء (سمعت) أي سمعته (من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيه استعمال من على أصله (يقول) أي حال كونه قائلا وفيه نوع من التأكيد (فذكرته) أي المسموع أو المقول (فأبكاني) أي فصار ذلك سببا لحزني وبكائي وفيه نوع من الاجمال ولذا استأنف بيانه فقال (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول تخوف) قال الراغب الخوف توقع أمر مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة والتخوف ظهور الخوف من الانسان انتهى والظاهر ان التاء للمبالغة والمعنى أخاف خوفا كثيرا (على أمتي الشرك) أي الخفي ويدل على صحة تقديرنا ما جاء في رواية أخوف ما أخاف على أمتي الاشراك بالله (والشهوة الخفية) أي التي لا يدركها الا أصحاب الرياضات الرضية والمجاهدات القدسية والمخالفات النفسية (قال قلت يا رسول الله أتشرك) بالتذكير وتؤنث (أمتك من بعدك قال نعم أما) بالتخفيف للتنبيه على انه لا يريد به الشرك الجلي (انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا) أي ولا صنما ونحو ذلك فهو تعميم بعد تخصيص (ولكن يراؤن بأعمالهم) وقد قال تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (والشهوة الخفية ان يصبح أحدهم صائما) أي ناويا للصوم (فتعرض) بكسر الراء مرفوعا ومنصوبا أي فتظهر (له شهوة من شهواته) أي كالأكل والجماع وغيرهما ذكره الطيبي رحمه الله والاظهر ان المراد بالشهوة الخفية شهوة خاصة عزيزة الوجود من بين مشتهياته بحيث لا توجد في جميع أوقاته فيميل اليها بالطبع ولا يلاحظ مخالفته للشرع حيث قال تعالى ولا تبطلوا أعمالكم والنفل يلزم بالشروع فيجب اتمامه (فيترك صومه) أي وهو حرام عليه من غير ضرورة داعية اليه قال الطيبي رحمه الله يعني اذا كان الرجل في طاعة من طاعات الله تعالى فتعرض له شهوة من شهوات نفسه يرجح جانب النفس على جانب الله تعالى فيتبع هوى نفسه فيؤديه ذلك الى الهلاك والردى قال تعالى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى اه وفيه ان المراد بالهوى في الآية الشهوة الجلية وهي المحرمات والامور المنهية ثم قال وسمي خفيا لخفائه ملاكه أو مشاكلة لقوله الشرك لأن المراد منه الشرك الخفي بدلالة ما ذكر في الحديث الآتي انتهى وفيه انه لا يظهر وجه المشاكلة لا في الاطلاق ولا في التقييد بحسب المقابلة (رواه أحمد) أي في مسنده (والبيهقي في شعب الايمان) قال ميرك ورواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وفي الجامع الشهوة الخفية والرياء شرك رواه الطبراني عن شداد ورواه ابن ماجه عنه ولفظه ان أخوف ما أخاف على أمتي الاشراك بالله أما اني لست أقول يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفية (وعن أبي سعيد) أي الخدري كما في نسخة (قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال ألا أخبركم) قال الطيبي رحمه الله ألا ليست للتنبيه بل هي لا النافية دخلت عليها همزة الاستفهام يعني بقرينة بلى في جوابهم والمعنى الا أعلمكم (بما هو أخوف عليكم) أي لعمومه وخفائه (عندي) أي في شريعتي وطريقتي (من المسيح الدجال) أي لخصوص وقته ولما هو رمقته فيجب عليكم رعاية محافظته (فقلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم) بدل مما قبله أو التقدير هو ان يقوم (الرجل فيصلي) بالرفع والنصب وكذا قوله (فيزيد) أي في الكمية أو الكيفية (صلاته) أي في جميع أركانها أو بعضها (لما يرى من نظر رجل) أي مخلوق مثله (اليه) ولم يكتف باطلاعه سبحانه عليه (رواه ابن ماجه وعن محمود بن لبيد) انصاري اشهلي ولد على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحدث عنه أحاديث قال البخاري له صحبة وقال أبو حاتم لا يعرف له صحبة وذكره مسلم في التابعين وقال

ومن تصدق يرائي فقد أشرك رواهما أحمد وعنه انه بكى فقيل له ما يبكيك قال شيء سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكرته فأبكاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية قال قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك قال نعم أما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراؤن بأعمالهم والشهوة الخفية ان يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه رواه أحمد والبيهقي في شعب الايمان وعن أبي سعيد الخدري قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال فقلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل فيصلي فيزيد صلاته لما يرى من نظر رجل رواه ابن ماجه وعن محمود بن لبيد

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يارسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء رواه أحمد وزاد البيهقي في شعب الايمان يقول الله لهم يوم يجازى العباد بأعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء أو خيرا وعن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوان رجلا عمل عملا في صخرة لاباب لها ولا كوة خرج عمله الى الناس كائنا ما كان وعن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له سريرة صالحة أو سيئة أظهر الله منها رداء يعرف به وعن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما أخاف على هذه الامة كل منافق يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور روى البيهقي الاحاديث الثلاثة في شعب الايمان وعن المهاجر بن حبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انى لست كل كلام الحكيم أتقبل ولكنى أتقبل همه وهواه فان كان همه وهواه في طاعتى جعلت صمته حمدا لى ووقارا وان لم يتكلم رواه الدارمي

(باب البكاء والخوف)

ابن عبد البر الصحيح قول البخارى (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يارسول الله وما الشرك الاصغر) فيه دلالة على ان التعبير بالشرك الاصغر وقع في هذا الحديث أولا (قال الرياء) أى جنس الرياء والسمعة من الظهور والخفاء (رواه أحمد وزاد البيهقي في شعب الايمان يقول الله لهم) أى للمرائين (يوم يجازى العباد) على بناء الفاعل ونصب العباد وفى نسخة على بناء المفعول ورفع العباد (بأعمالهم) أى ان خيرا فخير وان شرا فشر (اذهبوا) أى أيها المراؤن (الى الذين كنتم تراؤن) أى في حسن العبادة أو أصلها نظارهم تراعون (فانظروا هل تجدون عندهم جزاء وخيرا) الواو بمعنى أو كما في نسخة أو عطف تفسير والله تعالى أعلم قال الحافظ المنذرى حديث محمود بن لبيد هذا رواه أحمد باسناد جيد وابن أبي الدنيا والبيهقي في الزهد وغيره (وعن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لوان رجلا عمل عملا في صخرة) أى في داخل حجر صلب فرضا أو في جوف كهف جبل (لاباب لها ولا كوة) بفتح الكاف وتضم وتشديد الواو أى طاقة وقيل هى بالفتح اذا كانت غير نافذة وبالضم اذا كانت نافذة فالاولى أولى لانها في باب المبالغة أعلى (خرج عمله الى الناس) أى ظهر عليهم (كائنا) أى ذلك العمل (ما كان) أى من الاعمال ونصب كائنا على الحال أى حال كون ذلك العمل أى شئ كان خيرا أو شرا من الاقوال والافعال وفى نسخة من كان فالتقدير كائنا ذلك العامل أو صاحب العمل من كان أى سواء أراد ظهوره أو لم يرده لقوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون (وعن عثمان بن عفان) بلا صرف ويصرف (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت) بالتأنيث وفى نسخة من كان (له سريرة) أى طوية (صالحة أو سيئة أظهر الله منها) أى من تلك السريرة (رداء) أى علامة من هيئة وصورة (يعرف به) أى يمتاز به عن غيره كما يعرف بالرداء كون الرجل من الاعيان أو غيره من الاعوان (وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال انما أخاف على هذه الامة) أى أمة الاجابة (كل منافق) بالنصب والمعنى ما أخاف عليهم الا شر كل منافق أى مراء أو فاسق (يتكلم بالحكمة) أى بالشريعة والموعظة الحسنة (ويعمل بالجور) أى بالظلم والسيئة ويعدل عن جادة الاستقامة وقد أبعد الطيبي رحمه الله حيث جوز ان يكون كل منافق مجرورا بدلا من هذه الامة فانه يقتضى ان يكون التقدير ما أخاف الا على كل منافق ولا يخفى فساده الا ان حق سواء جعل بدل الكل أو البعض فان المبدل حينئذ يكون في قوة المطروح ويقع الاهتمام بشأن البدل فتأمل ثم لا يفيده استدراكه بقوله أى أخاف عليهم من النفاق فان هذا المعنى صحيح في نفس الامر بالوفاق (روى البيهقي الاحاديث الثلاثة في شعب الايمان وعن المهاجر بن حبيب) لم يذكره المؤلف في أسمائه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى انى لست كل كلام الحكيم) أى جميع قول العالم وهو مفعول مقدم لخبر ليس وهو قوله (أتقبل) لانى لا أنظر الى الاقوال وحركة اللسان بل انظر الى الاحوال وبركة الجنان وهذا معنى قوله (ولكنى أتقبل همه) أى نيته ولو كانت في أوائل مراتب الخواطر (وهواه) أى قصده المقرر في الاواخر لان نية المؤمن خير من عمله حتى له الاجر على طول أمله ولو بعد حلول أجله (فان كان همه وهواه في طاعتى) أى في موافقتى (جعلت صمته) أى سكوته (حمدا لى) أى بمنزلة الثناء اللسانى على (ووقارا) أى سكينة وطمأنينة ورزانة في الحلم ومتانة في العلم (وان لم يتكلم) أى بالحمد ونحوه ومفهومه فان كان همه وهواه في معصيتى أى مخالفتى جعلت كلامه وزرا وان تكلم بالحمد وأظهر علما وذكرا (رواه الدارمي) في مسنده

(باب البكاء والخوف)

جمع بينهما تنبيها لتلازمهما غالبا وقدم البكاء ولو سببه الخوف لظهوره أولا أو أريد بالخوف التعميم فذكره بعد البكاء كالتتميم ثم البكا بالقصر خروج الدمع مع الحزن وبالمد خروجه مع رفع الصوت كذا قيل والمد

أشهر والظاهر ان المراد به ههنا المعنى الاعم لحمله على التجريد في أحد معنييه هو الاثم

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة قال قال أبو القاسم صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم) أي من عقاب الله للعصاة وشدة المناقشة يوم الحساب للعتاة وكشف السرائر وخبث النيات (لبكيتم) جواب القسم الساد مسد جواب لو (كثيرا) أي بكاء كثيرا أو زمانا كثيرا أي من خشية الله ترجيحا للخوف على الرجاء وخوفا من سوء الخاتمة (ولضحكتم قليلا) وكان الحديث مقتبس من قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال الغزالي رحمه الله هذا الحديث من الاسرار التي أودعها قلب محمد الامين الصادق ولا يجوز افشاء السر فان صدور الاحرار قبور الاسرار بل كان يذكر ذلك لهم حتى يبكوا ولا يضحكوا فان البكاء ثمرة شجرة حياة القلب الحي بذكر الله واستشعار عظمته وهيبته وجلاله والضحك نتيجة القلب الغافل عن ذلك فبان الحقيقة حث الخلق على طلب القلب الحي والتعوذ من القلب الغافل (رواه البخاري) أي من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه من حديث أنس وكذا رواه الترمذي والنسائي ذكره ميرك وفي الجامع رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس والحاكم عن أبي هريرة ورواه الضياء عن أبي ذر وزاد ولما ساغ لكم الطعام والشراب ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي عن أبي الدرداء ولفظه لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لا تدرون تنجون أو لا تنجون وسيأتي هذا الحديث في الفصل الثاني مطولا وروي ان المنادي ينادي من السماء ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم اذا خلقوا علموا لماذا خلقوا وعن الصديق الاكبر انه قال وددت اني أكون خضرا تأكلني الدواب مخافة العذاب وعن عمر الفاروق انه سمع انسانا يقرأ هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا فقال ليتها تمت بل ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في رواية انه قال ليت رب محمد لم يخلق محمدا وعن الفضيل انه قال اني لا أغبط ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا عبدا صالحا أليس هؤلاء يعاينون يوم القيامة انما أغبط من لا يخلق (وعن أم العلاء الانصارية) هي من المبايعات روى عنها خارجة بن زيد بن ثابت وهي أمه وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعودها في مرضها (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله لا أدري) وفي نسخة (والله لا أدري) مكررا (وأنا رسول الله) صلى الله عليه وسلم جملة حالية (ما يفعل بي ولا بكم) مفعول لا أدري ودخول لا المزيدة التأكيد ليفيد اشتمال النفي على كل واحد من القبيلين على حدة قال الطيبي رحمه الله فيه وجوه أحدها ان هذا القول منه حين قالت امرأة عثمان بن مظعون لما توفي هنيئا لك الجنة زجرا لها على سوء الأدب بالحكم على الغيب ونظيره قوله لعائشة رضي الله عنها وعن أبيها حين سمعها تقول طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة قلت لا يخفى ان هذا سبب ورود الحديث وزمان صدوره ولا مدخل له في ازالة اشكال معناه وثانيها ان يكون هذا منسوخا بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر كما ذكره ابن عباس في قوله تعالى لا أدري ما يفعل بي ولا بكم قلت وفيه ان النسخ على تقدير صحة تأخير الناسخ انما يكون في الاحكام لا في الاخبار كما هو مقرر في الاعتبار وثالثها ان يكون نفيا للدراية المفصلة دون المجملة قلت هذا هو الصحيح ورابعها ان يكون مخصوصا بالامور الدنيوية من غير نظر الى سبب ورود الحديث قلت وهذا مندرج فيما قبله والحكم بطريق الأعم هو الوجه الأتم والمراد من الامور الدنيوية بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم هي الجوع والعطش والشبع والري والمرض والصحة والفقر والغنى وكذا حال الامة وقيل المعنى وأخرج من بلدي أم أقتل كما فعل بالانبياء قبلي وأترمون بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين من قبلكم والحاصل انه يريد نفي علم الغيب عن نفسه وانه ليس بمطلع على المكنون قال التوربشتي لا يجوز حمل هذا الحديث وما ورد في معناه على ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان مترددا في عاقبة أمره غير متيقن بماله عند الله من الحسنى لما ورد عنه صلى الله تعالى

(الفصل الاول) عن أبي هريرة قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا رواه البخاري وعن أم العلاء الانصارية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أدري والله لا أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم

عليه وسلم من الأحاديث الصحاح التي ينقطع العذر دونها بخلاف ذلك وأنى يحمل على ذلك وهو المخبر عن الله تعالى انه يبلغه المقام المحمود وانه أكرم الخلائق على الله تعالى وانه أول شافع وأول مشفع الى غير ذلك (رواه البخاري وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عرضت على النار) أي اظهرت لي وأهلها (فرأيت فيها امرأة من بني اسرائيل) أي من مؤمنيهم (تعذب في هرة) أي في شأن هرة ولاجلها وفي نسخة صحيحة في هرة لها (ربطتها) استئناف بيان (فلم تطعمها) أي كفايتها (ولم تدعها) أي ولم تتركها (تأكل) بالرفع والجملة حال أي تصيد وتأكل (من خشاش الارض) بفتح الخاء المعجمة وتكسر وتضم ففي القاموس الخشاش مثلث حشرات الارض وقال ابن الملك هو بفتح الخاء المعجمة وكسرها وضمها والفتح أظهر وفي النهاية وروى بالحاء المهملة وهو يابس النبات وهو وهم (حتى ماتت) أي الهرة (جوعا ورأيت عمرو بن عامر الخزاعي) بضم الخاء المعجمة نسبة الى بني خزاعة قبيلة مشهورة قال التوربشتي هو أول من سن عبادة الاصنام بمكة وحمل أهلها بالتقرب اليها بتسييب السوائب وهو ان يترك الدابة فتسيب حيث شاءت فلا ترد عن حوض ولا علف ولا يتعرض لها بركوب ولا حمل وكانوا يسيبون العبيد أيضا بان يعتقوهم ولا يكون الولاء للمعتق ولا على المعتق بجرفي ماله فيضعه حيث شاء وقد قال له انه سائبة (يجر) أي يجذب (قصبه) بضم قاف فسكون صاد مهملة أي امعاءه (في النار) وقيل انما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كوشف من سائر ما كان يعاقب به في النار بجر قصبه في النار لانه استخرج من باطنه بدعة جربها الجريرة الى قومه الجريئة (وكان أول من سيب السوائب) أي وضع تحريم السوائب جمع سائبة وهي ناقة يسيبها الرجل عند برئه من المرض أو قدومه من السفر فيقول ناقتي سائبة فلا تمنع من المرعى ولا ترد عن حوض ولا عن علف ولا يحمل عليها ولا يركب عليها ولا تحلب وكان ذلك تقربا منهم الى أصنامهم وقيل ناقة ولدت عشر اناث على التوالي ذكره ابن الملك (رواه مسلم) أي من حديث طويل يتضمن ذكر صلاة الكسوف عن جابر واتفق هو والبخاري على اخراج حديث الهرة عن ابن عمر وعن أبي هريرة أيضا وليس فيه ذكر عمرو بن عامر لكن رويا حديث عمرو من حديث أبي هريرة كذا نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب وبحر البحائر يعني اذا نتجت الناقة خمسة أبطن بحروا اذنها أي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب (وعن زينب بنت جحش) مر ذكرها وهي احدى أمهات المؤمنين (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دخل عليها فزعا) بفتح فكسر أي خائفا (يقول لا اله الا الله ويل للعرب) في القاموس الويل حلول الشر وهو تفجيع انتهى وخص بذلك العرب لانهم كانوا معظم من أسلم حينئذ (من شر) أي خروج جيش يقاتل العرب (قد اقترب) أي قرب ذلك الشر في غاية القرب بيانه قوله (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج) بالالف وبهمزة فيهما بلا انصراف والمراد بالردم السد والاسم والمصدر فيه سواء وهو السد الذي بناه ذو القرنين (مثل هذه) بالرفع على انه نائب الفاعل لقوله فتح والاشارة الى الحلقة المبينة بقوله (وحلق) بتشديد اللام أي جعل حلقة (باصبعيه) أي بضمهما (الابهام والتي تليها) بالنصب على انه مفعول حلق أو على تفسير الاصبعين بتقدير أعني ويجوز جرهما على البدلية والمراد انه لم يكن في ذلك الردم ثقبة الى اليوم وقد انفتحت فيه اذ انفتاحها من علامات قرب الساعة فاذا اتسعت خرجوا وذلك بعد خروج الدجال كما سيأتي قريبا ويأجوج ومأجوج جنسان من بني آدم وطائفتان كافرتان من الترك (قالت زينب فقلت يا رسول الله أفنهلك) بصيغة المجهول من الاهلاك وفي نسخة صحيحة بفتح النون وكسر اللام (وفينا الصالحون) أي أنعذب فنهلك نحن معشر الامة والحال ان بعضنا مؤمنون وفينا الطيبون الطاهرون ويمكن ان يكون هذا من باب الاكتفاء على تقدير الاستغناء أي وفينا الصالحون ومنا القاسطون (قال نعم) أي يهلك الطيب أيضا (اذا كثر الخبث) بفتحتين أي الفسق والفجور والشرك

رواه البخاري وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بني اسرائيل تعذب في هرة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض حتى ماتت جوعا ورأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب رواه مسلم وعن زينب بنت جحش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث

والكفور وقيل معناه الزنا والمقصود ان النار اذا وقعت فى موضع واشتدت أكلت الرطب واليابس وغلبت على الطاهر والنجس ولا تفرق بين المؤمن والمنافق والمخالف والموافق وسيأتى ان الله اذا أنزل بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم وفى نسخة صحيحة الخبث بضم فسكون أى الفواحش والفسوق أو معناهما واحد (متفق عليه) و روى أبو داود والحاكم عن أبى هريرة ويل للعرب من شر قد اقترب قد أفلح من كف يده (وعن أبى عامر) هو عم أبى موسى الأشعرى واسمه عبيد بن وهب (وأبى مالك الأشعرى) و يقال له الأشجعى واسمه مختلف فيه وقد أخرج حديثه البخارى بالشك فقال عن أبى مالك الأشعرى أو أبى عامر (قال) أى أحدهما (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ليكونن من أمتى) كذا هو فى نسخ البخارى أى من جملتهم ووقع فى المصابيح فى أمتى (أقوام) أى جماعات (يستحلون الخز) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الزاى نوع من الحرير رديء (والحرير والخمر) تخصيص بعد تعميم أو المراد بالنهى عن الخز هو الركوب عليه وفرشه للوطء لانه من الاسراف وهو مكروه والافلا وثم به عن لبسه فانه ثوب ينسج من صوف وابريسم نعم اذا كان لحمته حريرا وسداه غيره فممنوع لبسه الا فى الحرب بخلاف العكس فانه قطعى مشروع لبسه (والمعازف) بفتح الميم أى آلات اللهو يضرب بها كالطنبور والعود والمزمار ونحوها والمعنى يعدون هذه المحرمات حلالات بايرادات شبهات وأدلة واهيات منها ما ذكره بعض علمائنا من أن الحرير انما يحرم اذا كان ملتصقا بالجسد واما اذا لبس من فوق الثياب فلا باس به فهذا تقييد من غير دليل نقلى ولا عقلى ولاطلاق كلام الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة وكثير من الامراء والعوام اذا قيل لهم لبس الحرير حرام يقولون لو كان حراما ما لبسه القضاة وعلماء الاعلام فيقعون فى استحلال الحرام وكذلك لبعض العلماء تعلقات بالمعازف يطول بيانها فاعرضت عن تفصيل شانها فانه يحتاج الى مصنف مستقل فى تبيانها وهذا الحديث مؤيد بقوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم وروى ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى عن أنس مرفوعا ليكونن فى هذه الامة خسف وقذف ومسخ وذلك اذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف أى اذا فعلوا هذه الاشياء مستحلين لها (ولينزلن أقوام) أى منهم على ما هو الظاهر من استحقاقهم العذاب (الى جنب علم) أى جبل (يروح) أى يسير (عليهم بسارحة لهم) أى ماشية لهم والباء زائدة فى الفاعل وقيل الصواب يروح عليهم رجل بسارحة ذكره الطيبى رحمه الله والاظهر ان الفعل نزل منزلة اللازم والتقدير يقع السير عليهم بسير ماشية وفيه اشارة لطيفة الى انهم فى سيرهم تابعون لحيواناتهم على مقتضى الطباع الحيوانية والشهوات النفسانية وتاركون متابعة العلماء بالآيات القرآنية والاحاديث النورانية ولذا وقعوا فيما وقعوا أولا وجوزوا على ما عملوا آخرا وقيل الاظهر ان الفاعل ضمير مفهوم من السياق أى يأتيهم راعيهم كل حين بسارحة أى ماشية لهم تسرح بالغدوة ينتفعون بالبانها وأوبارها (يأتيهم رجل لحاجة) أى ضرورية والا فهم يبعدون من ان يأتيهم الناس أو من ان يحصل لهم باحد من المؤمنين شئ من الاستئناس (فيقولون) أى تعللا أو بخلا وتدللا (ارجع الينا غدا) أى لنقضى حاجتك أو لنودى طلبتك من غير ان يقولوا ان شاء الله (فيبيتهم) بالتشديد أى يعذبهم (الله) بالليل فانه أدهى بالويل (ويضع) أى يوقع الله ويسقط (العلم) أى الجبل على بعضهم كما يدل عليه قوله (ويمسخ آخرين قردة وخنازير) أى ويحول صور بعضهم الى صور القردة والخنازير فيكون نصبها بنزع الخافض وايصال الفعل اليهما ففى القاموس مسخه كمنعه حول صورته الى أخرى ولعل المراد ان شبابهم صار واقردة وشيوخهم خنازير لكثرة ذنوب الكبار وتخفيف أمر الصغار فان القرد يبقى فيه نوع من المعرفة وصنف من المشابهة بالجنس الانسانى وقوله (الى يوم القيامة) اشارة الى ان مسخهم امتد الى الموت وان من مات فقد قامت قيامته ويمكن ان يكون حشرهم على تلك الصور أيضا (رواه البخارى)

متفق عليه وعن أبى عامر أو أبى مالك الاشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الخز والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام الى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم رجل لحاجة فيقولون ارجع الينا غدا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير الى يوم القيامة رواه البخارى

وكذا أبو داود وروى الطبراني عن أبي أمامة ليبيتن أقوام من أمتي على أكل ولهو ولعب ثم ليصبحن قردة وخنازير (وفي بعض نسخ المصابيح الحر بالحاء) أى المكسورة (والراء) أى المخففة (المهملتين وهو تصحيف وانما هو بالخاء) أى المفتوحة (والزاى) أى المشددة (المعجمتين نص عليه الحميدى) أى الجامع بين الصحيحين (وابن الاثير) أى صاحب جامع الاصول (فى هذا الحديث وفى كتاب الحميدى عن البخارى) أى رواية عنه أيضا (وكذا فى شرحه) أى شرح البخارى (للخطابى تروح) قيل بالتأنيث ويجوز تذكيره بل هو الاظهر فتدبر (عليهم سارحة لهم) أى بغير الباء الجارة (يأتيهم لحاجة) أى بحذف الفاعل والتقدير يأتيهم الآتى أو المحتاج أو الرجل على ما يفهم من السياق وللاسماعيلى يأتيهم طالب حاجة على ما ذكره العسقلانى والله تعالى أعلم ثم للشراح هنا مباحث شريفة واجوبة لطيفة منها قول الشيخ التوربشتى رحمه الله الحر بتخفيف الراء الفرج وقد صحف هذا اللفظ فى كتاب المصابيح وكذلك صحفه بعض الرواة من أصحاب الحديث فحسبوه الخز بالخاء والزاى المنقوطتين والخز لم يحرم حتى يستحل ولقد وجدت من الناس من اعتنى بخط من كان يعرف بعلم الحديث وحفظه فقد كان قيده بالخاء والزاى المنقوطتين حتى ثبت له انه صحف أو اتبع رواية بعض من لم يعلم ومنها قوله أيضا فى قوله تروح عليهم بسارحة سقط منه فاعل تروح فالتبس المعنى على من لم يعلم به وانما الصواب يروح عليهم رجل بسارحة لهم كذا رواه مسلم فى كتابه وانما السهو من المؤلف لانا وجدنا النسخ سائرة على ذلك ومنها قوله وبعض العلم سقط كلمة وهى عليهم انتهى ويؤيده ما ذكره صاحب المفاتيح من شراح المصابيح من ان الحر بحاء مهملة مكسورة وراء مهملة مخففة وأصله الحرح فحذفت الحاء الاخيرة وجمعه احراح والحر الفرج يعنى قد يكون جماعة فى آخر الزمان يزنون ويعتقدون انه اذا رضى الزوج والمرأة حل منها جميع أنواع الاستمتاعات ويقولون المرأة مثل البستان فكما ان لصاحب البستان ان يبيح ثمرة بستانه لمن شاء فكذلك للزوج ان يبيح زوجته لمن شاء والذين لهم هذا الاعتقاد هم الحرفيون والملاحدة واما لبس الحرير فهو حرام على الرجال ومن اعتقد حله فهو كافر وفى هذا الحديث اختلف نسخ المصابيح فى موضعين أحدهما فى الحر فانه فى بعض النسخ بالخاء والزاى المعجمتين والصواب ما قلنا فانه ذكر فى سنن أبى داود بالحاء والراء المهملتين والموضع الثانى قوله يروح عليهم رجل بسارحة لهم ففى بعض النسخ هكذا وفى بعضها يروح عليهم من غير لفظ رجل والرجل مذكور فى سنن ابى داود وأفاد هذا الحديث انه يكون فى آخر الزمان نزول الفتن ومسخ الصور فليجتنب المؤمن العاصى كيلا يقع فى العذاب ومسخ الصور وقال الطيبى رحمه الله بعد نقله كلام الشارح الاول اما قوله أولا فقد صحف الى آخره فجوابه ما ذكره الحميدى فى الجمع بين الصحيحين فى هذا الحديث بعد ما روى يستحلون الخز بالخاء والزاى المعجمتين قلت معارضة الخصم لا تصلح ان تكون جوابا قال والذى ذكره أبو اسحق الحربى فى باب الحاء والراء ليس من هذا فى شئ انما هو حديث آخر عن أبى ثعلبة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال أول دينكم نبوة ورحمة ثم ملك ورحمة وخيرة ثم ملك عض يستحل فيه الحر والحرير يريد استحلال الحرام من الفروج وهذا لا يتعلق مع الذى أخرجه البخارى وكذلك أخرجه أبو داود فى السنن فى كتاب اللباس فى باب الخز ولباسه وانما ذكرنا ذلك لان من الناس من يتوهم فى ذلك شيأ فبيناه وحديث أبى ثعلبة ليس من شرط الصحيح ثم كلامه أى كلام أبى اسحق وقريب منه ما ذكره صاحب النهاية فى باب الحاء والراء المهملتين قلت كونه حديثا آخر مسلم لكنه مؤيد للمنازع فيه بل نص فى المعنى المراد ولا يضره انه ليس على شرط الشيخين اذا ثبت صحته والاصل توافق الاحاديث لان بعضها يفسر بعضا لاسيما والخز بالزاى ليس من المحرمات حتى يكون استحلاله من الكفريات ثم رأيت فى الجامع الصغير ان ابن عساكر روى عن على مرفوعا أوشك أمتى ان تستحل فروج النساء والحرير واما قوله ثانيا والخز لم يحرم حتى يستحل فجوابه ما ذكره ابن الاثير فى النهاية فى حديث على انه نهى عن ركوب الخز والجلوس عليه والخز

وفى بعض نسخ المصابيح الحر بالحاء والراء المهملتين وهو تصحيف وانما هو بالخاء والزاى المعجمتين نص عليه الحميدى وابن الاثير فى هذا الحديث وفى كتاب الحميدى عن البخارى وكذا فى شرحه للخطابى تروح عليهم سارحة لهم يأتيهم لحاجة

المعروف في الزمن الاول ثياب تنسج من صوف وابريسم وهي مباحة وقد لبسها الصحابة والتابعون فيكون النهي عنها لاجل التشبه بالعجم وزي المترفين وان أريد بالخز النوع الآخر وهو المعروف الآن فهو حرام لان جميعه معمول من الابريسم وعليه يحمل الحديث الآخر معنى هذا الحديث يستحلون الخز والحرير تم كلامه أي كلام ابن الاثير وفيه ان كون الركوب على الخز وفراشه مكروها مع ان الحرير كذلك لا يقتضي ان استباحته كفر يوجب العذاب لاسيما والخز لغة واصطلاحا في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من جملة المباحات فكيف يصح ان يحمل عليه واما على ما تعورف عند بعض الناس من حمل الخز على الابريسم فيبعد كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ان يفسر به لاسيما مع وقوع تكراره مع صريح لفظ الحرير والاصل التغاير بين المتعاطفين قال الطيبي رحمه الله فان قلت كيف يعطف الحرير على الخز والاول مكروه والثاني حرام على المعنى الاول وعلى الثاني يلزم عطف الشيء على نفسه أو كيف يحرم وانه لم يكن مصطلحا حينئذ والجواب عن الاول انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذهب الى التغليب لارادة التغليظ قلت التغليب تغلب ومن ظاهره تقلب قال والجواب عن الثاني انه عطف بيان وعن الثالث بانه اخبار عن الغيب فكان معجزة قلت عطف البيان مسلم لو كان الخز في زمنه يطلق على الحرير واما جعله معجزة بانه يطلق بعده على الحرير ففي غاية من البعد قال وأما قوله ثالثا سقط منه فاعل يروح فالتبس المعنى فجوابه انه ما التبس منه بل رواه البخاري كما في المصابيح ولكن الحميدي والخطابي وصاحب جامع الاصول ذكروا تروح عليهم سارحة بالتاء المقيدة بنقطتين من فوق وبرفع سارحة على الفاعلية فوجب ان يقال ان الباء زائدة على ان الباء تزاد في الفاعل كما استدل بقول امرئ القيس

ألا هل أتاها والحوادث جمة ✽ بان امرأ القيس بن تملك بيقرا

قلت لاشك في وقوع الالتباس على تلك النسخة وزيادة الباء في الفاعل من مختصات كفى والبيت ليس نصا في المعنى بل الاظهر فيه حذف الفاعل على ما جوزه بعضهم قال وأما نسبته الى مسلم وانه رواه في كتابه كذا فهو سهو منه لاني ما وجدت الحديث في كتاب مسلم فكيف وقد أورده الحميدي في أفراد البخاري فحسب وصاحب جامع الاصول رواه عن البخاري وأبي داود قلت من حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي والشيخ ثقة محقق لاسيما وهو في صدد الاحتجاج قال وأما قوله رابعا وقد سقط منه كلمة عليهم فاني ما وجدت في الاصول هذه الكلمة ثابتة قلت فثبت المدعى بالاقوى مع انه أثبت وجوده في بعض النسخ وأسنده الى مسلم واسناده مسلم ثم قال فان قلت كيف يكون نزول بعضهم الى جنب علم ورواح سارحتهم عليهم ودفعهم ذا الحاجة بالمطل والتسويف سببا لهذا العذاب الاليم والنكال الهائل العظيم قلت انهم لما بالغوا في الشح والمنع بولغ في العذاب وبيان ذلك ان في ايثار ذكر العلم على الجبل ايذانا بان المكان مخصب مرع ومقصد لذوي الحاجات ويلزم منه ان يكونوا ذوي ثروة ومواثلا للملهوفين فلما دل خصوصية المكان على ذلك المعنى دل خصوصية الزمان في قوله تروح عليهم سارحتهم وتعديته بعلى المنبهة للاستعلاء على ان ثروتهم حينئذ أوفر واظهر وأن احتياج الواردين اليهم أشد وأكثر لانهم أحوج ما يكونون حينئذ وفي قولهم ارجع الينا غدا ادماج لمعنى الكذب وخلف الوعد واستهزاء بالطالب فاذا يستأهلون قلت هذا كله لم يفد استحقاق العذاب الشديد من المسخ لقردة فانه لا يوجد في غير أهل الكفر فالصواب ما قررناه وفيما سبق قدرناه وحررناه قال وانما قلنا ان العلم يدل على الشهرة والمقصد لقول الخنساء في مدح أخيها ✽ كأنه علم في رأسه نار ✽ نبهت به على ان أخاها مشهور معروف وملجأ للملهوفين ومأمن للمضطرين فان رواح السارحة تدل على وفور الثروة وظهورها كقوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون قال صاحب الكشاف فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة أظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت الى الحظائر قال الخطابي فيه بيان ان المسخ قد يكون في هذه

الامة وكذلك الخسف كما كان في سائر الامم خلاف قول من زعم ان ذلك لا يكون انما مسخها بقلوبهم أقول فما جاء في الاحاديث من نفيها فهو اما محمول على أول زمان الامة فهو عام خص منه آخر الزمان بهذا الحديث واما محمول على مسخ جميع الامة وخسفهم والمثبت منهما ما وقع لبعضهم والله تعالى أعلم (وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم) أي جميعهم الصالحين والطالحين (ثم بعثوا) أي يوم القيامة (على أعمالهم) أي بعث الصالح على عمله وكذا الطالح قال المظهر يعني اذا أذنب بعض القوم نزل العذاب بجميع من كان في القوم سواء فيه المذنب وغيره بشرهم ولكنهم يجزون يوم القيامة على حسب أعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر (متفق عليه) أي من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن أبيه ذكره ميرك فكان حق المؤلف ان يسند الحديث الى عمر رضي الله تعالى عنه (وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبعث) أي يحشر يوم القيامة (كل عبد على ما مات عليه) أي من العمل خيرا كان أو شرا فيجازى به (رواه مسلم) وكذا ابن ماجه وفي رواية أحمد عن أبي هريرة مرفوعا يبعث الناس على نياتهم

(الفصل الثاني) (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأيت) فيه معنى التعجب أي ما علمت (مثل النار) أي شدة وهولا (نام هاربها) مفعول ثان ويمكن ان يكون رأيت بمعنى أبصرت فتكون الجملة صفة أو حالا أي صار غافلا عنها وينبغي للهارب من عذاب النار ان يفر من عمل الفجار (ولا مثل الجنة) أي نعمة ومنزلا (نام طالبها) وينبغي له ان يجد كل الجد في امتثال الأوامر ليدرك الجنة (رواه الترمذي) ورواه الطبراني في الاوسط عن أنس (وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني أرى ما لا ترون) أي أبصر ما لا تبصرون بقرينة قوله (وأسمع ما لا تسمعون) ثم بين سماعه لقربه ولكونه نتيجة لكثرة ما رآه بقوله (أطت السماء) بتشديد الطاء من الأطيط وهو صوت الاقتاب وأطيط الابل أصواتها وحنينها على ما في النهاية أي صوتت (وحق) بصيغة المجهول أي ويستحق وينبغي (لها ان تئط) أي تصوت ثم بين سببه وهو ما رآه من الكثرة بقوله (والذي نفسي بيده ما فيها) أي ليس في السماء جنسها (موضع أربعة أصابع) بالرفع على انه فاعل للظرف المعتمد على حرف النفي والمذكور بعد الا في قوله (الا وملك) حال منه أي وفيه ملك (واضع جبهته لله ساجدا) أي منقادا ليشمل ما قيل ان بعضهم قيام وبعضهم ركوع وبعضهم سجود كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم أو خصه باعتبار الغالب منهم أو هذا مختص باحدى السموات والله تعالى أعلم ثم اعلم ان أربعة بغير هاء في جامع الترمذي وابن ماجه ومع الهاء في شرح السنة وبعض نسخ المصابيح وسببه ان الاصبع يذكر ويؤنث قال الطيبي رحمه الله أي ان كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن ثمة أطيط وانما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى قلت ما الموجب عن عدول كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم من الحقيقة الى المجاز مع امكانه عقلا ونقلا حيث صرح بقوله وأسمع ما لا تسمعون مع انه يحتمل ان يكون أطيط السماء صوتها بالتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد لقوله سبحانه وان من شيء الا يسبح بحمده لا سيما وهي معبد المسبحين والعابدين ومنزل الراكعين والساجدين (والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرشات) بضم الفاء والراء جمع فرش فهو جمع الجمع للمبالغة (ولخرجتم) أي من منازلكم العاليات (الى الصعدات) بضمتين أي الى الصحاري واختيار الجمع للمبالغة والصعد جمع صعيد كطرق جمع طريق وطرقات والصعيد هو الطريق وفي الاصل التراب أي لخرجتم الى الطرقات البراري والصحاري وممر الناس كما يفعل المحزون لبث الشكوى والهم المكنون والاظهر أن الصعيد هو وجه الارض وقيل التراب ولا معنى له ههنا قال التوربشتي المعنى لخرجتم من منازلكم الى الجبانة متضرعين الى الله تعالى ومن حال المحزون ان يضيق

وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم متفق عليه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه رواه مسلم

(الفصل الثاني)

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها رواه الترمذي وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم الى الصعدات

به المنزل فيطلب الفضاء الخالي لشكوى بثه (تجأرون الى الله) أى تتضرعون اليه بالدعاء ليدفع عنكم البلاء (قال أبوذر ياليتني كنت شجرة تعضد) بصيغة المجهول أى تقطع وتستأصل وهذا نشأ من كمال خوفه من عذاب ربه (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه) قال التوربشتي رحمه الله قوله ياليتني هو من قول أبي ذر ولكن ليس في كتاب أحد ممن نقل هو عن كتابه قال أبوذر بل أدرج في الحديث ومنهم من قال قيل هو من قول أبي ذر وقد علموا انه بكلام أبي ذر أشبه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم بالله من أن يتمنى عليه حالا هي أوضع مما هو فيه ثم انه مما لا تكون قال الطيبي رحمه الله تعالى في جامع الترمذي وجامع الاصول هكذا تجأرون الى الله لوددت انى شجرة تعضد وفي رواية ان أباذر قال لوددت انى شجرة تعضد ويروى عن أبي ذر موقوفا وفي سنن ابن ماجه كما في المتن ونسخ المصابيح قال أبوذر ياليتني الى آخره وللبحث فيه مجال (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خاف) أى البيات والاغارة من العدو وقت السحر (أدلج) أى سار أول الليل ومن خاف فوت المطلوب سهر في طلب المحبوب (ومن أدلج) أى بالسهر (بلغ المنزل) أى وصل الى المطلب قال الطيبي رحمه الله هذا مثل ضربه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لسالك الآخرة فان الشيطان على طريقه والنفس وأمانيه الكاذبة اعوانه فان تيقظ في مسيره وأخلص النية في عمله أمن من الشيطان وكيده ومن قطع الطريق باعوانه ثم أرشد الى ان سلوك طريق الآخرة صعب وتحصيل الآخرة متعسر لا يحصل بادنى سعي فقال (ألا) بالتخفيف للتنبيه (ان سلعة الله) أى متاعه من نعيم الجنة المعبر عنه بالحسنى وزيادة (غالية) بالغين المعجمة أى رفيعة القدر (ألا ان سلعة الله) أى الغالية (الجنة) أى العالية والمعنى ثمنها الاعمال الباقية المشار اليها بقوله سبحانه والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا أملا والمومى اليها بقوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة (رواه الترمذي) وكذا الحاكم (وعن أنس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يقول الله جل ذكره) أى عظم ذكره وفخم ذاكره وما أحسن رفع ذكره في هذا المقام من حيث انه توطئة لذكره في الايام وخوفه في كل مقام (أخرجوا من النار من ذكرني) أى بشرط كونه مؤمنا مخلصا (يوما) أى وقتا وزمانا (أوخافني في مقام) أى مكان في ارتكاب معصية من المعاصي كما قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى قال الطيبي رحمه الله أراد الذكر بالاخلاص وهو توحيد الله عن اخلاص القلب وصدق النية والا فجميع الكفار يذكرونه باللسان دون القلب يدل عليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه دخل الجنة والمراد بالخوف كف الجوارح عن المعاصي وتقيدها بالطاعات والا فهو حديث نفس وحركة لا يستحق أن يسمى خوفا وذلك عند مشاهدة سبب هائل واذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة قال الفضيل اذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت واذا قلت نعم كذبت أشار به الى الخوف الذى هو كف الجوارح عن المعاصي (رواه الترمذي) أى في سننه (والبيهقي في كتاب البعث والنشور وعن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذه الآية والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوه من الزكاة والصدقات وقرئ يأتون ما أتوا بالقصر أى يفعلون ما عملوه من الطاعات (وقلوبهم وجلة) أى خائفة ان لا يقبل منهم وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذون به وتمامه انهم الى ربهم راجعون أى لان مرجعهم اليه أولئك الذين يسارعون في الخيرات أى يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرونها وهم لها سابقون أى لاجلها فاعلون السبق أو سابقون الناس الى الطاعات أو الثواب أو الجنة قال الطيبي رحمه الله هو كذا في نسخ المصابيح وهي القراءة المشهورة ومعناه يعطون ما أعطوا وسؤال عائشة رضي الله تعالى عنها (أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون) لا يطابقها وقراءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأتون ما أتوا بغير مد أى يفعلون ما فعلوا وسؤالها مطابق لهذه القراءة وهكذا هو في تفسير الزجاج والكشاف قلت مؤدى القراءتين واحد لان المراد بالقراءة الشاذة

تجأرون الى الله قال أبوذر ياليتني كنت شجرة تعضد رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة رواه الترمذي وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله جل ذكره أخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام رواه الترمذي والبيهقي في كتاب البعث والنشور وعن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون

المنسوبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل قطع طرق التواتر يفعلون مافعلوه من الطاعة لاما ظنت عائشة رضي الله عنها ان المراد به مافعلوه من المعصية ولا المعنى الاعم من الخير والشر لعدم مطابقته لقوله سبحانه أولئك يسارعون في الخيرات (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لا) أي ليسوا هم أوليس المراد من الآية أمثالهم (يابنت الصديق) وفي نسخة يا ابنة الصديق وفي هذا النداء منقبة عظيمة لها ولأبيها على وجه التحقيق فكأنه قال ليس كذلك وأنت الصادقة على ماهو المتعارف من حسن الآداب بين الاحباب (ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون) فهذا تفسير لقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا على القراءتين غايته أن في كل نوع منهما التغليب فالمشهورة ظاهرها متعلق بالعبادة المالية كما ان الشاذة تتعلق بالطاعة البدنية على ان المشهورة يمكن ان يقال في تفسيرها يعطون من أنفسهم ما أعطوا من الطاعات فيشمل النوعين من العبادة (وهم يخافون ان لا يقبل منهم) أي لا انهم يخافون مما فعلوا بدليل قوله تعالى (أولئك الذين يسارعون في الخيرات) فانه لا يصح ان يحمل على شربة الخمر وسرقة المال وسائر السيآت (رواه الترمذي وابن ماجه وعن أبي بن كعب قال كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس) أراد به النائمين من أصحابه الغافلين عن ذكر الله ينبههم عن النوم ليشتغلوا بذكر الله تعالى والتهجد وفي هذا مأخذ للمذكرين من المؤذنين وانه ينبغي لهم ان لا يقوموا قبل مضي الثلثين من الليل وفيه اشارة الى استحباب القيام في الثلث الاخير من الليل استحبابا مؤكدا (اذكروا الله) أي بوحدانية ذاته وسائر صفاته (اذكروا الله) أي عقابه وثوابه لتكونوا بين الخوف والرجاء ممن قال تعالى فيهم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وفي نسخة اذكروا الله ثلاث مرات أي آلاءه ونعماءه وسراءه وضراءه (جاءت الراجفة) فيه اشارة الى قوله تعالى يوم ترجف الراجفة وعبر بصيغة المضي لتحقق وقوعها فكأنها جاءت والمراد انه قارب وقوعها فاستعدوا والتهويل أمرها والراجفة هي الاجرام الساكنة التي تشتد حركتها حينئذ من الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال أو مجاز عن الواقعة التي ترجف الاجرام عندها وهذا المعنى أنسب بالحديث في هذا المقام وهي النفخة الاولى (تتبعها الرادفة) أي التابعة وهي السماء والكواكب تنشق وتنتثر أو النفخة الثانية وهي التي يحيى فيها الخلق والجملة في موقع الحال أو استئناف بيان لما يقع بعد الرجفة قال الطيبي رحمه الله اراد بالراجفة النفخة الاولى التي يموت منها جميع الخلق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد اذا تمخض وأراد بالرادفة النفخة الثانية وردفت النفخة الاولى أنذرهم صلى الله تعالى عليه وسلم باقتراب الساعة لئلا يغفلوا عن استعدادها (جاء الموت بما فيه) أي مع ما فيه من الشدائد الكائنة في حالة النزع والقبر ومابعده وفيه اشارة الى ان من مات فقد قامت قيامته فهي القيامة الصغرى الدالة على القيامة الكبرى (جاء الموت بما فيه) لعل الاول بيان ماوقع وتحقق لمن قبلنا موعظة لنا فقد وردكفى بالموت واعظا والثاني اشارة الى قرب مجيئه بالموجودين وهذا التأسيس السديد المؤسس على التأبيد أولى من حمل التكرار على التأكيد (رواه الترمذي) قال المنذري رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه وقال الترمذي حديث حسن صحيح (وعن أبي سعيد قال خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لصلاة) أي لاداء صلاة والظاهر المتبادر من مقتضى المقام انها صلاة جنازة لما ثبت أنه عليه الصلاة والسلام اذا رأى جنازة رؤيت عليه كآبة أي حزن شديد وأقل الكلام (فرأى الناس كأنهم يكتشرون) أي يضحكون من الكشر وهو ظهور الاسنان للضحك ولعل التاء للمبالغة ففي القاموس كشر عن اسنانه أبدى يكون في الضحك وغيره انتهى فيؤخذ منه انهم جمعوا بين الضحك البالغ والكلام الكثير قال التوربشتي رحمه الله أي يضحكون والمشهور في اللغة الكسر (قال اما) بالتخفيف لينبه على نوم الغفلة الباعث على الضحك والمكالمة (انكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات) بالدال المهملة في أصل السيد وأكثر النسخ المعتمدة وفي بعضها بالذال

قال لا يا ابنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ان لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات رواه الترمذي وابن ماجه وعن أبي بن كعب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه رواه الترمذي وعن أبي سعيد قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة فرأى الناس كأنهم يكتشرون قال اما انكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات

المعجمة واقتصر عليه السيوطي رحمه الله في حاشية الترمذي وفي القاموس هذم بالمعجمة قطع وأكل بسرعة وبالمهملة نقض البناء والمعنى لو أكثرتم من ذكر قاطع اللذات (لشغلكم عما أرى) أي من الضحك وكلام أهل الغفلة (الموت) بالجر تفسير لهادم اللذات أو بدل منه كما يأتي فيما بعده وبالنصب باضمار أعني وبالرفع بتقدير هو الموت (فأكثروا ذكر هادم اللذات) أي الموجودة المعمولة للأغنياء والمفقودة المسؤلة للفقراء فهو موعظة بليغة للطائفتين ومن الغريب ان ذكر الموت يحيي القلب النائم والنوم أخو الموت وكان شيخنا العارف بالله تعالى رحمه الله الولي مولانا نور الدين علي المتقي يعمل كيسا مكتوبا عليه لفظ الموت يعلق في رقبة المريد ليستفيد منه انه قريب غير بعيد فيقصر أمله ويكثر عمله وكان بعض الصالحين من السلاطين أمر واحدا من أمرائه ان يقف دائما من ورائه يقول الموت الموت ليكون دواء لدائه ثم انه صلى الله تعالى عليه وسلم بين للصحابة وجه حكمة الامر باكثار ذكر الموت واسبابه بقوله (فانه) أي الشان (لم يأت على القبر يوم) أي وقت وزمان (الا تكلم) أي بلسان القال أو بيان الحال وفي رواية زيادة فيه أي في ذلك اليوم (فيقول أنا بيت الغربة) أي فكن في الدنيا كأنك غريب (وأنا بيت الوحدة) أي فلا ينفع الا التوحيد وشهود الواحد القهار (وأنا بيت التراب) أي أصل كل حي مخلوق فمن مرجعه للتراب ينبغي أن يكون مسكينا ذا متربة لئلا تفوته جنسية المناسبة (وأنا بيت الدود) أي فلا ينبغي أن تكون همتكم وتهمتكم في استعمال اللذات من المأكول والمشروب لان مآل أمرها الى الفناء ولا ينفع في ذلك المكان الا العمل الصالح فالقبر صندوق العمل قيل يتولد الدود من العفونة وتأكل الاعضاء ثم يأكل بعضها بعضا الى أن تبقى دودة واحدة فتموت جوعا واستثنى الانبياء والشهداء والاولياء والعلماء من ذلك فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء وقال تعالى في حق الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون والعلماء العاملون المعبر عنهم بالاولياء مدادهم أفضل من دماء الشهداء (واذا دفن العبد المؤمن قال له القبر) أو ما يقوم مقامه (مرحبا) أي أتيت مكانا واسعا لرقدتك (وأهلا) أي وحضرت أهلا لمحبتك (أما) بتخفيف الميم للتنبيه (ان كنت) أي انه كنت فان مخففة من المثقلة واللام فارقة بينها وبين ان النافية في قوله (لاحب) وهو أفعل تفضيل بني للمفعول أي لافضل (من يمشي على ظهري الي) متعلق باحب (فاذ) بسكون الذال وأبعد الطيبي حيث قال وفي اذ معنى التعليل اذ الصحيح انه هنا ظرف محض والعلة والسبب كونه مؤمنا أي فحين (وليتك) من التولية مجهولا أو من الولاية معلوما أي صرت قادرا حاكما عليك (اليوم) أي هذا الوقت وهو ما بعد الموت والدفن (وصرت الي) أي مقهورا ومجبورا (فسترى) أي ستبصر أو تعلم (صنيعي بك) من الاحسان اليك بالتوسيع عليك (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما أعاده لطول الكلام ولئلا يتوهم أن ما بعده من كلام الراوي تفسير للمرام (فيتسع) أي فيصير القبر وسيعا وفي رواية فيوسع (له) أي للمؤمن (مد بصره) أي من كل جانب حقيقة أو كشفا أو مجازا عن عدم التضييق حسا ومعنى وفيه كناية عن تنويره أيضا (ويفتح له باب الى الجنة) أي ويعرض له مقعده منها يأتيه من روحها ونسيمها ويشم من طيبها وتقر عينه بما يرى فيها من حورها وقصورها وأنهارها وأشجارها وأثمارها (واذا دفن العبد الفاجر) أي الفاسق والمراد به الفرد الاكمل وهو الفاسق بقرينة مقابلته لقوله العبد المؤمن سابقا ولما سيأتي من قول القبر له بكونه أبغض من يمشي على ظهره ومنه قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا الآية (أو الكافر) شك من الراوي لا للتنويع وقد جرت عادة الكتاب والسنة على بيان حكم الفريقين في الدارين والسكوت عن حال المؤمن الفاسق سترا عليه أو ليكون بين الرجاء والخوف لا لاثبات المنزلة بين المنزلتين كما توهمت المعتزلة (قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا أما ان كنت لابغض من يمشي على ظهري الي فاذ وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه

لشغلكم عما أرى الموت فأكثروا ذكر هادم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيقول أنا بيت الغربة وأنا بيت الوحدة وأنا بيت التراب وأنا بيت الدود واذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أما ان كنت لاحب من يمشي على ظهري الي فاذ وليتك اليوم وصرت الي فسترى صنيعي بك قال

وسلم (فيلتئم) أى ينضم القبر (عليه حتى تختلف أضلاعه) أى يدخل بعضها فى بعض وفى رواية حتى تلتقى وتختلف أضلاعه (قال) أى الراوى (وقال) أى أشار (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باصابعه) أى من اليدين الكريمتين (فادخل بعضها) وهو أصابع اليد اليمنى (فى جوف بعض) وفيه اشارة الى أن تضييق القبر واختلاف الاضلاع حقيقى لا أنه مجاز عن ضيق الحال وان الاختلاف مبالغة فى أنه على وجه الكمال كما توهمه بعض أرباب النقصان حتى جعلوا عذاب القبر روحانيا لا جسمانيا والصواب ان عذاب الآخرة ونعيمها متعلقان بهما (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ويقيض) بتشديد الياء المفتوحة أى يسلط ويوكل (له) أى بخصوصه والا فهو عليه (سبعون تنينا) بكسر التاء وتشديد النون الاولى مكسورة أى حية عظيمة يقال له اژدر بالفارسى وبالعربى أدهى وعدد السبعين يحتمل التحديد والتكثير ويؤيد الثانى ماذكره فى الاحياء عن أبى هريرة مرفوعا هل تدرون فيماذا أنزلت فان له معيشة ضنكا قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا هل تدرون ما التنين قال تسعة وتسعون حية لكل واحدة تسعة وتسعون رأسا يخدشنه ويلحسنه وينفخن فى جسمه الى يوم القيامة انتهى (لو أن واحدا منها نفخ) بالخاء المعجمة أى تنفس (فى الارض ما أنبتت) أى الارض (شيأ) أى من الانبات أو النباتات (ما بقيت الدنيا) أى مدة بقائها (فينهسنه) بفتح الهاء وسكون السين المهملة أى يلدغنه وفى القاموس نهس اللحم كمنع وفرح أخذه بمقدم اسنانه ونتفه (ويخدشنه) بكسر الدال أى يجرحنه (حتى يفضى) بضم فسكون فاء ففتح ضاد معجمة أى يوصل (به) أى بالكافر (الى الحساب) أى ثم الى العقاب وفيه دليل على ان الكافر يحاسب خلافا لما توهم بعضهم ان الكافر يدخل النار بغير حساب اللهم الا ان يقال المراد بالحساب الجزاء وان ظواهر الآيات من قوله ومن خفت موازينه فصريح فى حسابهم نعم يمكن ان يكون بعضهم من العصاة العتاة يدخلون النار من غير حساب ولا كتاب كما يدخل بعض المؤمنين المبالغين فى الصبر والتوكل على ما سبق بغير حساب والله تعالى أعلم بالصواب (قال) أى الراوى (وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى هذا المحل أوفى وقت آخر قائلا (انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) بصيغة الافراد المناسبة للفظة الجنة وفى نسخة النيران لمناسبة جمع الحفر ولان المراد بالجنة الجنان قال الطيبى رحمه الله قوله من حفر النار كذا فى جامع الترمذى وجامع الاصول وأكثر نسخ المصابيح وفى بعضها النيران بالجمع (رواه الترمذى) قال السيوطى رحمه الله وحسنه وأخرج الطبرانى فى الاوسط عن أبى هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى جنازة فجلس الى قبر فقال ما يأتى على هذا القبر من يوم الا وهو ينادى بصوت طلق ذلق يا ابن آدم كيف نسيتنى ألم تعلم انى بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضيق الا من وسعنى الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القبر روضة وفى نسخة اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار قال سفيان الثورى من أكثر من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار (وعن أبى جحيفة) بضم الجيم وفتح الحاء المهملة وبالفاء ذكر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم توفى ولم يبلغ الحلم ولكنه سمع منه وروى عنه مات بالكوفة روى عنه ابنه عون وجماعة من التابعين (قال قالوا) أى بعض الصحابة (قد شبت) أى ظهر عليك آثار الضعف قبل أوان الكبر وليس المراد منه ظهور كثرة الشعر الابيض عليه لما روى الترمذى عن أنس قال ما عددت فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا أربع عشرة شعرة بيضا (قال شيبتنى هود) بغير انصراف وفى نسخة بالصرف قيل ان جعل هود اسم السورة لم يصرف والا صرف فالمضاف مقدر حينئذ أقول لانه اذا لم يصرف كان كجور واذا صرف كان التقدير سورة هود ويؤيده ما فى نسخة صحيحة سورة هود (وأخواتها) أى واشباهها من السور التى فيها ذكر القيامة والعذاب قال التوربشتى

فيتسع له مد بصره ويفتح له باب الى الجنة واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبا ولا أهلا اما ان كنت لأبغض من يمشى على ظهرى الى فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك قال فيلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم باصابعه فادخل بعضها فى جوف بعض قال ويقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الارض ما أنبتت شيأ ما بقيت الدنيا فينهسنه ويخدشنه حتى يفضى به الى الحساب قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار رواه الترمذى وعن أبى جحيفة قال قالوا يا رسول الله قد شبت قال شيبتنى سورة هود وأخواتها

رحمه الله تعالى يريد ان اهتمامي بما فيها من أهوال القيامة والحوادث النازلة بالامم الماضية أخذ مني مأخذه حتى شبت قبل أوان المشيب خوفا على أمتي وذكر في شرح السنة عن بعضهم قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام فقلت له روى عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت بأية آية قال قوله فاستقم كما أمرت قال الامام فخر الدين رحمه الله الملك المعين وذلك ان الاستقامة على الطريق المستقيم من غير ميل الى طرفي الافراط والتفريط في الاعتقادات والاعمال الظاهرة والباطنة عسر جدا قلت لاشك ان الاستقامة خير من ألف كرامة لكونها أصعب من جسر القيامة مع انها أدق من الشعر وأمر من الصبر وأحد من السيف وأحر من الصيف لكن حمل الحديث على الآية غير ظاهر لقوله وأخواتها المفسرة بالسور والآية التي ليس فيها ذكر الاستقامة فاما ان يقال المقصود من ذكر القيامة وأهوالها والنار وأهوالها انما هو تحصيل الاستقامة للتخليص عن الندامة والملامة فكأنها مذكورة في جميعها أو يقال الجواب للنائم كان على طبق ما يناسبه من المقام الذي هو فيه والتحريض على ما هو المطلوب منه فيكون من باب أسلوب الحكيم والله سبحانه وتعالى أعلم (رواه الترمذي) أي عن أبي جحيفة ورواه الطبراني عن عقبة بن عامر وعن أبي جحيفة أيضا وزاد ابن مردويه عن أبي بكر قبل المشيب (وعن ابن عباس قال قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات) بالرفع ويجوز كسرها على الحكاية (وعم يتساءلون واذا الشمس كورت) يعني وأمثالها مما فيه ذكر القيامة وأهوالها (رواه الترمذي) وكذا الحاكم ورواه أيضا عن أبي بكر ورواه ابن مردويه عن سعد ورواه سعيد بن منصور في سننه عن أنس وابن مردويه عن عمران بلفظ شيبتني هود وأخواتها من المفصل وفي رواية لابن مردويه عن أنس شيبتني سورة هود وأخواتها الواقعة والقارعة والحاقة واذا الشمس كورت وسأل سائل (وذكر حديث أبي هريرة لا يلج النار) أي لا يدخلها من بكى من خشية الله الحديث بطوله (في كتاب الجهاد) أي فاسقط للتكرار

(الفصل الثالث) (عن أنس قال انكم لتعملون أعمالا) أي عظيمة في نفس الامر تستصغرونها وتعدونها من الكرامات وهذا معنى قوله (هي أدق في أعينكم من الشعر) قال الطيبي رحمه الله عبارة عن تدقيق النظر في العمل وامعانه فيه والمعنى انكم تعملون أعمالا وتحسبون انكم تحسنون صنعا وليس كذلك في الحقيقة (كنا نعدها) أي تلك الاعمال (على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في زمانه (من الموبقات) بكسر الموحدة يعني المهلكات تفسير من أحد الرواة أي يريد أنس بالموبقات المهلكات ومنه قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا بفتح الميم أي مهلكا (رواه البخاري وعن عائشة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا عائشة اياك ومحقرات الذنوب) أي صغائرها وخص بها فانه ربما يسامح صاحبها بها بعدم تداركها بالتوبة وبعدم الالتفات بها الى الخشية غفلة عنه انه لا صغيرة مع الاصرار وان كل صغيرة بالنسبة الى عظمة الله وكبريائه كبيرة والقليلة منها كثيرة ولذا قد يعفو الله عن الكبيرة ويعاقب على الصغيرة كما يستفاد من قوله تعالى ويغفر مادون ذلك لمن يشاء وأما قوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم الصغيرة بسبب العبادات المكفرة لكن بشرط اجتنابكم الكبائر لا بمجرد اجتناب الكبائر على ما ذهب اليه المعتزلة والله تعالى أعلم (فان لها) أي للمحقرات من الذنوب (من الله) أي من عنده سبحانه (طالبا) أي نوعا من العذاب يعقبه فكأنه يطالبه طلبا لامر دله فالتنوين للتعظيم أي طالبا عظيما ولا ينبغي ان يغفل عنه بل ينبغي ان يخشى منه وقال الطيبي رحمه الله قوله من الله طالبا هو من باب التجريد كقول القائل *وفي الرحمن للضعفاء كاف* وأقول الظاهر في قول القائل ان معناه وفي رحمة الرحمن للضعفاء كفاية فان اسم الفاعل قد يأتي بمعنى المصدر كما هو مذكور في مقامه المقرر (رواه ابن ماجه) أي في سننه (والدارمي) أي في مسنده (والبيهقي في شعب الايمان) ورواه أحمد والطبراني والبيهقي والضياء عن سهل بن سعد مرفوعا ولفظه اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود

رواه الترمذي وعن ابن عباس قال قال أبو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت رواه الترمذي وذكر حديث أبي هريرة لا يلج النار في كتاب الجهاد *(الفصل الثالث)* عن أنس قال انكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات يعني المهلكات رواه البخاري وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا رواه ابن ماجه والدارمي والبيهقي في شعب الايمان

وجاهدنا بعوده حتى جلوا ما أنصحوا به خبزهم وان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه رواه أحمد والطبراني أيضا عن ابن مسعود نحوه (وعن أبي بردة بن أبي موسى) قال المؤلف هو عامر بن عبد الله بن قيس الاشعري أحد التابعين المشهورين المكثرين التابعين سمع أباه وعليا وغيرهما كان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج (قال قال لي عبد الله بن عمر هل تدري ما قال أبي لابيك) أي في أمر غلبة الخوف المعنون به الباب (قال) أي أبو بردة أو التقدير قال الراوي ناقلا عن أبي بردة (قلت لا) أي لا أدري (قال فان أبي قال لابيك يا أبا موسى) ناداه بكنيته اشعارا بعظمته وتقريبا لحضرته (هل يسرك) أي يوقعك في السرور (ان اسلامنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي منضما مع بعثته (وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا) كالصلاة والصوم والزكاة والحج وأمثالها (كله) أي جميعه بجميع أفراده وأصنافه (معه) أي في زمنه (برد) أي ثبت ودام (لنا) ففي النهاية في الحديث الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة أي لا تعب فيه ولا مشقة وكل محبوب عندهم بارد وقيل معناه الغنيمة الثابتة المستقرة من قولهم برد لنا على فلان حق أي ثبت انتهى كلامه وهو خبر قوله ان اسلامنا والجملة فاعل هل يسرك ذكره الطيبي رحمه الله (وان كل عمل) عطف على ان اسلامنا (عملناه بعده) أي بعد موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (نجونا منه) أي من ذلك العمل كله (كفافا) بفتح الكاف أي سواء (رأسا برأس) بدل أو بيان ونصبه على الحال من فاعل نجونا أي متساويين لا يكون لنا ولا علينا بان لا يوجب ثوابا ولا عقابا وقال الطيبي رحمه الله قوله كفافا نصب على الحال من الضمير المجرور أي نجونا منه في حالة كونه لا يفضل علينا شيء منه أو من الفاعل أي مكفوفا عنا شره (فقال أبوك لابي لا والله) أي لا يسرنا وبين سببه بقوله (قد جاهدنا) أي الكفار (بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصلينا) أي صلوات (وصمنا) أي سنوات (وعملنا خيرا كثيرا) أي من الصدقات ونوافل العبادات (وأسلم على أيدينا) أي بسببنا (بشر كثير) أي من فتح البلاد (وانا لنرجو ذلك) وفي نسخة ذلك أي ثواب ما ذكر زيادة على ما سبق لنا من الاسلام والهجرة وسائر الاعمال (قال أبي) يعني عمر (لكني أنا) زيد لتأكيد (والذي نفس عمر بيده لوددت ان ذلك) أي ما سبق لنا من العمل معه صلى الله تعالى عليه وسلم (برد لنا) أي تم ولم يبطل ولم ينقص ببركة وجوده وفضله وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (وان كل شيء عملناه) باثبات الضمير هنا (بعده) أي بعد مماته وفقد حياته وبعد بركاته (نجونا منه كفافا رأسا برأس) وذلك والله تعالى اعلم ان التابع أسير المتبوع في الصحة والفساد اعتقادا واخلاصا وعلما وعملا أما ترى صحة بناء صلاة المقتدي على صلاة الامام المقتدى وكذا فسادها ولاشك في وصول الكمال وحصول صحة الاعمال في حال ملازمته صلى الله تعالى عليه وسلم وأما بعده فما وقع من الطاعات لا يخلو من تغيير النيات وفساد الحالات ومراعات الرايات كما أخبر بعض الصحابة عند الوفاة بقوله فما نفضنا أيدينا عن التراب وانا لفي دفنه صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا يعني بالظلمة الناشئة عن غيبة نور شمس وجوده وقمر جوده فالغنيمة الباردة ان يكون في مرتبة المريبات بين الطاعات والسيئات وهذا بالنسبة الى اجلاء الصحابة وعظماء الخلافة وأما من بعدهم فطاعاتهم المشحونة بالغرور والعجب والرياء أسباب للمعاصي ووسائل لعقوبات العاصي غالبا الا ان يتفضل الله برحمته وعنايته بان يلحق المسيئين بالمحسنين بل قال بعض العارفين معصية أورثت ذلا واستغفارا خير من طاعة أورثت عجبا واستكبارا (فقلت ان أباك) أي عمر (والله كان خيرا من أبي) أي أبي موسى في كل شيء فهذا كذلك لان كلام السادات سادات الكلام وكيف وهو الناطق بالصواب والفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل من كل باب والموافق رأيه نزول الكتاب وقد طابق قوله حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم انا أعلمكم بالله وأخشاكم له وقال سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء هذا وقال الطيبي رحمه الله قوله لوددت خبر لكني مع اللام وهو ضعيف ويجوز ان يكون لوددت جواب القسم والجملة القسمية خبر لكني على التأويل قلت بل

وعن أبي بردة بن أبي موسى قال قال لي عبد الله ابن عمر هل تدري ما قال أبي لابيك قال قلت لا قال فان أبي قال لابيك يا أبا موسى هل يسرك ان اسلامنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتنا معه وجهادنا معه وعملنا كله معه برد لنا وان كل عمل عملنا بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس فقال أبوك لابي لا والله قد جاهدنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا وصمنا وعملنا خيرا كثيرا وأسلم على أيدينا بشر كثير وانا لنرجو ذلك قال أبي ولكني انا والذي نفس عمر بيده لوددت ان ذلك برد لنا وان كل شيء عملنا بعده نجونا منه كفافا رأسا برأس فقلت ان أباك والله كان خيرا من أبي

الحديث

الحديث حجة للكوفيين فني المغني ولا يدخل اللام في خبر لكن خلافا للكوفيين احتجوا بقوله * ولكنني من حبها لعميد * وخرج على زيادة اللام أو على ان الاصل لكن انني ثم حذفت الهمزة تخفيفا ونون لكن للساكنين قلت هذه كلها تكلفات بعيدة وتعسفات مزيدة ما أنزل الله بها من سلطان ولا دليل ولا برهان فالصواب انها للتأكيد كما جوزفي بعض أخوات لكن على القياس السديد لا سيما وقد ورد على لسان الاوحدى من فصحاء العرب باسناد هو أصح الاسانيد (رواه البخاري) ثم من أعجب الغرائب وأغرب العجائب انه لو حكي من طريق الاصمعي ونحوه ان اعرابيا ممن يبول على عقبيه تكلم بمثله نثرا أو نظما أخذ النحاة به وجعلوه أصلا ممهدا وأساسا مؤبدا فصدق من قال ان أدلة الصرفيين والنحويين كتارات بيت العنكبوت فتارة تطارد وتارة تفوت (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمرني ربي بتسع) أي خصال (خشية الله) بالجر ويجوز الحتماله أي خوفه المقرون بالعظمة (في السر والعلانية) أي في القلب والقالب أو في الخلا والملا (وكلمة العدل في الغضب والرضا) بالقصر أي في الحالين (والقصد) أي الاقتصاد في المعيشة أو التوسط بين الصبر والشكر غير خارج عنهما بالجزع والطغيان (في الفقر والغنى وان أصل من قطعني) أي من ذوي الارحام أو غيرهم وهذا غاية الحلم ونهاية التواضع (وأعطي من حرمني) وهذا كمال الكرم والجود (وأعفو عمن ظلمني) أي مع قدرتي على الانتقام وهذا نتيجة الصبر وقضية الشكر ورعاية الاحسان والرحمة على أفراد الانسان (وان يكون صمتي فكرا) أي في أسمائك وصفاتك ومصنوعاتك ومعاني آياتك (ونطقي ذكرا) أي بتسبيحك وتحميدك وتقديسك وتمجيدك وتكبيرك وتوحيدك وتلاوة كتابك وموعظة عبادك (ونظري عبرة) أي في الآفاق والانفس وملكوت السموات والارض (وآمر بالعرف وقيل بالمعروف) أي بدلا عن العرف بالضم والسكون ولم يقل وانهى عن المنكر اكتفاء أو العرف يشمل المعروف في الشرع ارتكابا واجتنابا قال الطيبي رحمه الله ذكر تسعا وأتى بعشر فالوجه ان يحمل العاشر وهو الامر بالمعروف على انه مجمل عقب التفصيل لان المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات كانه قيل أمرني ربي بان اتصف بهذه الصفات وآمر غيري بالاتصاف بها فالواوات كلها عاطفة المفرد على المفرد وفي قوله وآمر بالمعروف عاطفة المجموع من حيث المعنى على المجموع بحسب اللفظ ونحوه في التفرقة بين الواوين قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور (رواه رزين وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه) أي أو من أحدهما (دموع) أي دمعات أقلها ثلاث (وان كان) أي الخارج أو كل دمع (مثل رأس الذباب) أي كمية أو كيفية (من خشية الله ثم يصيب) بالرفع وقيل بالنصب أي يصل الدمع (شيأ من حر وجهه) بضم الحاء وتشديد الراء المهملتين أي خالصه وفي القاموس حر الوجه ما أقبل عليك وبدا لك منه (الا حرمه الله على النار) وضمير المفعول راجع الى العبد المؤمن الموصوف ويمكن ان يرجع الى حر وجهه فيكون كناية عن تحريم ذاته والله تعالى اعلم (رواه ابن ماجه) وفي الجامع بلفظ ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه من الدموع مثل رأس الذباب من خشية الله فيصيب حر وجهه فتمسه النار أبدا رواه ابن ماجه عن ابن مسعود

(باب تغير الناس)

أي بتغير الزمان على ما هو المتبادر الموافق لمضمون أكثر أحاديث الباب أو المراد بالتغير اختلاف حالاتهم ومراتبهم في منازلاتهم الشاملة لتغير أزمنتهم وعليه ظاهر الحديث الاول من الفصل الاول فتأمل

(الفصل الاول) (عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما الناس) أي في اختلاف

رواه البخاري وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ربي بتسع خشية الله في السر والعلانية وكلمة العدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى وان أصل من قطعني وأعطي من حرمني وأعفو عمن ظلمني وان يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرة وآمر بالعرف وقيل بالمعروف رواه رزين وعن عبد الله ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد مؤمن يخرج من عينيه دموع وان كان مثل رأس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيأ من حر وجهه الا حرمه الله على النار رواه ابن ماجه

(باب تغير الناس)

(الفصل الاول) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الناس

حالاتهم وتغيير صفاتهم (كالابل المائة) قال الطيبي رحمه الله تعالى جل جلاله اللام فيهما للجنس قال التوربشتي رحمه الله تعالى الرواية فيه على الثبت كابل مائة بغير ألف ولام فيهما (لا تكاد) أي لا تقرب أيها المخاطب خطابا عاما (تجد فيها) أي في مائة من الابل (راحلة) أي ناقة شابة قوية مرتاضة تصلح للركوب فكذلك لا تجد في مائة من الناس من يصلح للصحبة وحمل المودة وركوب المحبة فيعاون صاحبه ويلين له جانبه وهذا زبدة كلام الشارح الاول ومن تابعه من شراح المصابيح وقال الخطابي معناه ان الناس في أحكام الدين سواء لا فضل فيها الشريف على مشروف ولا لرفيع منهم على وضيع كابل المائة لا يكون فيها راحلة قال الطيبي رحمه الله على القول الاول لا تجد فيها راحلة صفة لابل والتشبيه مركب تمثيلي وعلى الثاني هو وجه الشبه وبيان لمناسبة الناس للابل قلت ولا يخفى ظهور المعنى الاول فتدبر وتامل وخلاصته ان المرضي المنتخب من الناس الصالح للصحبة سهل الانقياد عسر وجوده كالنجيبة الصالحة للركوب التي لا توجد في الابل الكثيرة القوية على الاحمال والاسفار فذكر المائة للتكثير لا للتحديد فان وجود العالم العامل الخالص من قبيل الكيمياء أو من باب تسمية العنقاء ولذا قال بعض العرفاء

أتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاي طلعة حر

وقال الآخر
واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وأين ذاك الواحد

وكان يقول بعض أرباب الحال هذا زمان قحط الرجال وروي ان سهلا التستري خرج من مسجد ورأى خلقا كثيرا في داخله وخارجه فقال أهل لا اله الا الله كثير والخالصون منهم قليل وقد نبه سبحانه على هذا المعنى في آيات منها قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ومنها الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ومنها قوله تعالى في وصف السابقين المقربين ثلة من الأولين وقليل من الآخرين (متفق عليه) ورواه الترمذي وهذا اللفظ البخاري نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع بلفظ انما الناس كابل مائة بالتنكير رواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه (وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لتتبعن) بتشديد التاء الثانية وضم العين أي لتوافقن بالتبعية (سنن من قبلكم) بضم السين جمع سنة وهي لغة الطريقة حسنة كانت أو سيئة والمراد هنا طريقة أهل الاهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل وفي بعض النسخ بفتح السين في المقدمة أي طريقهم (شبرا بشبر) حال مثل يدا بيد وكذا قوله (ذراعا بذراع) أي ستفعلون مثل فعلهم سواء بسواء (حتى لو دخلوا) أي من قبلكم من بني اسرائيل (جحر ضب) وهو من أضيق أنواع الجحر وأخبثها (تبعتموهم) ولعل الحكمة في ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما بعث لاتمام مكارم الاخلاق في آخر الامم فيقتضي ان يكون أهل الكمال منهم موصوفين بجميع الخصال الحميدة في الاديان المتقدمة ومن لوازم ذلك ان يكون أهل النقصان منهم في كمال مرتبة القصور ومنعوتين بجميع الخلال الذميمة الكائنة في الامم السابقة ونظيره ان بعض المشايخ ذكر انه ارتاض بجميع ما سمع من رياضات أرباب الولايات فأعطي له جميع أصناف الكرامات وخوارق العادات ويناسبه ما ذكره بعض المحققين من ان التوقف لا يوجد في حق الانسان فان لم يكن في الزيادة فهو في النقصان وأيضا نوع بني آدم معجون مركب من الطبع الملكي الروحاني العلواني ومن الطبع الحيواني النفساني السفلاني فان كان يميل الى العلو فيصير الى الرتبة الاولى من الملأ الاعلى وان كان يميل الى اسفل فيسير في طريقته من مراتب البهائم أدنى كما أشار اليه سبحانه بقوله أولئك كالانعام بل هم أضل وهنا ينفتح باب القضاء ولا خلاص الى القضاء الا بقوله لا يسأل عما يفعل (قيل يا رسول الله اليهود والنصارى) بالنصب أي أتعني بمن نتبعهم أو بمن قبلنا اليهود والنصارى (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فمن) أي ان لم أرد هم فمن (سواهم) والمعنى انهم العالمون المشهورون من أهل الكتاب وغيرهم مندرسون فاذا أطلق من قبلكم فهم المراد وكانت غيرهم غير

كالابل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة متفق عليه وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن

موجودين في الاعتبار عند الاطلاق وقال شارح فمن استفهام أي فمن يكون غيرهم يعني المتبوعين لكم هم لا غيرهم وقال ابن الملك روى اليهود بالجر أي هل نتبع سنن اليهود وبالرفع على انه خبر المبتدا على تقدير حرف الاستفهام يعني من قبلنا هم اليهود انتهى وقيل التقدير أي المتبوعون هم اليهود والنصارى أم غيرهم (متفق عليه) ورواه الحاكم عن ابن عباس ولفظه لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو ان أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو ان أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه (وعن مرداس) بكسر الميم (الاسلمي) كان من أصحاب الشجرة يعد في الكوفيين روى عنه قيس بن أبي حازم حديثا واحدا ليس له غيره (قال قال النبي) وفي نسخة صحيحة رسول الله (صلى الله تعالى عليه وسلم يذهب) أي يموت (الصالحون الاول فالاول) بالرفع بدل من الصالحون وبالنصب حال أي واحدا بعد واحد أو قرنا بعد قرن (وتبقى حفالة) بضم الحاء المهملة وفي نسخة حثالة بالثاء المثلثة بدل الفاء ومعناهما الرديء من الشيء والتنكير في حفالة للتحقير (كحفالة الشعير) أي نخالته (أو التمر) أي دقله قال الطيبي رحمه الله الفاء للتعقيب ولا بد من التقدير أي الاول منهم فالاول من الباقين منهم وهكذا حتى ينتهي الى الحفالة مثل الافضل فالافضل قال القاضي الحفالة رذالة الشيء وكذا الحثالة والفاء والثاء يتعاقبان كثيرا (لا يباليهم الله) أي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا (بالة) أي مبالاة فيكون محذوف الميم والالف لكونهما من الزوائد كما قيل في لبيك فانه مأخوذ من ألب بالمكان أقام به وأصل بالة بالية مثل عافاه الله عافية حذفوا الياء منها تخفيفا يقال ما باليته وما باليت به ومنه أي لم أكترث به وقيل بالة بمعنى حالة أي لا يبالي الله حالة من أحواله ومنه البال بمعنى الحال (رواه البخاري) وكذا الامام أحمد

(الفصل الثاني) (عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا مشت أمتي المطيطيا) بضم الميم وفتح المهملة الاولى وكسر الثانية ممدودة وتقصر بمعنى التمطي وهو المشي فيه التبختر ومد اليدين وروى بغير الياء الاخيرة وهو لفظ الجامع ونصبه على انه مفعول مطلق أي مشي تبختر وقيل انه حال أي اذا صاروا في نفوسهم متكبرين وعلى غيرهم متجبرين (وخدمتهم) وفي الجامع خدمها وهو الانسب بالسابق واللاحق والمعنى قام بخدمتهم وانقاد في حضرتهم (أبناء الملوك أبناء فارس والروم) بدل مما قبله وبيان له (سلط الله شرارها) ولفظ الجامع سلط شرارها أي ظلمة الامة (على خيارها) أي مظلوميهم قال الشراح وهذا الحديث من دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أخبر عن الغيب ووافق الواقع خبره فانهم لما فتحوا بلاد فارس والروم وأخذوا أموالهم وتجملاتهم وسبوا أولادهم فاستخدموهم سلط الله قتلة عثمان رضي الله عنه عليه حتى قتلوه ثم سلط بني أمية على بني هاشم ففعلوا ما فعلوا وهكذا (رواه الترمذي) وكذا ابن حبان ذكره ميرك (وقال) أي الترمذي (هذا حديث غريب وعن حذيفة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم) أي الخليفة أو السلطان (وتجتلدوا) أي تتضاربوا (باسيافكم ويرث دنياكم شراركم) بان يصير الملك والمال والمناصب في أيدي الظلمة وغير أرباب الاستحقاق (رواه الترمذي وعنه) أي عن حذيفة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس) بنصب أسعد ويرفع أي أكثرهم مالا وأطيبهم عيشا وأرفعهم منصبا وأنفذهم حكما (بالدنيا) أي بامورها أو فيها (لكع بن لكع) بضم اللام وفتح الكاف غير مصروف أي لئيم بن لئيم أي رديء النسب دنيء الحسب وقيل أراد به من لا يعرف له أصل ولا يحمد له خلق وحذف ألف ابن لاجراء اللفظين مجرى علمين لشخصين خسيسين لئيمين قال ابن الملك رحمه الله في بعض النسخ بنصب أسعد على انه خبر يكون وفي بعضها برفعه على ان الضمير في يكون للشأن والجملة بعده تفسير للضمير المذكور انتهى ولا يجوز ان يكون أسعد اسما ولكع بنصب على الخبر به لفساد المعنى كما لا يخفى فلا يغرنك ما في بعض النسخ من نصب لكع فانه مخالف للرواية والدراية وقد اقتصر شارح على نصب أسعد وقال

متفق عليه وعن مرداس الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقى حفالة كحفالة الشعير او التمر لا يباليهم الله بالة رواه البخاري

(الفصل الثاني)

عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطياء وخدمتهم ابناء الملوك ابناء فارس والروم سلط الله شرارها على خيارها رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم وتجتلدوا باسيافكم ويرث دنياكم شراركم رواه الترمذي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون اسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع

لكع بالرفع اسم يكون وهو الاحمق وقيل العبد وهو معدول عن الكع يقال لكع الوسخ عليه لكعا فهو لكع اذا ألصق به وللرجل اللئيم كما عدلت لكاع المرأة اللئيمة ثم استعمل للأحمق والعبد لما فيه من القلة والمهش لما فيه من الحمق وللصبي لما فيه من الضعف ويقال للذليل الذى تكون نفسه كالعبيد وأريد به ههنا الذى لا يعرف له أصل ولا يحمد له خلق انتهى وبهذا ظهر معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حق الحسن ابن على رضى الله تعالى عنهما أثم لكع وحاصله انه يطلق على الصغير قدرا وجثة بحسب ما يقتضيه المقام من المعنى المناسب للمرام والذاقيل يقال للصبي الصغير لكع مصروفا ذهابا الى صغر جثته ويطلق على العبد واللئيم والاحمق لصغر قدرهم فاذا عرفت هذا فيصلح ان يراد بلكع كل من هذه المعانى من الصغير والحقير والعبد والاحمق واللئيم ثم قال بعضهم هو ليس بمعدول وانما هو مثل صرد ونغر فحقه ان ينون لانه ليس بمعدول وفي القاموس اللكع كصرد اللئيم والعبد والاحمق ومن لا يتجه لمنطق ولا لغيره والمهر والصغير والوسخ ويقول في النداء يالكع ولا يصرف في المعرفة لانه معدول عن الكع انتهى وهذا يؤيد ان يكون لكع هنا مصروفا وقال الطيبي رحمه الله وهو غير منصرف للعدل والصفة (رواه الترمذى) أى في سننه (والبيهقي في دلائل النبوة) وكذا أحمد والضياء وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان عن أنس مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد وروى أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعا وروى أحمد ومسلم عن ابن مسعود لا تقوم الساعة الا على شرار الناس وروى أبو يعلى الموصلى والحاكم عن أبي سعيد لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت وروى السجزى عن ابن عمر لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا وروى أحمد ومسلم والترمذى عن أنس لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله وسيأتى في أول باب الملاحم من حديث أبي هريرة المشتمل على ثلاث عشرة علامة لقيام الساعة مستوفى الكلام عليها ان شاء الله تعالى (وعن محمد بن كعب القرظى) بضم قاف وفتح راء فظاء معجمة نسبة الى بنى قريظة طائفة من يهود المدينة شرفها الله ذكره المصنف في التابعين وقال سمع نفرا من الصحابة ومنه محمد بن المنكدر وغيره وكان أبوه ممن لم ينبت يوم قريظة فترك (قال حدثنى من سمع على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه) لم يسم هذا السامع لكن تابعى تغتفر جهالته مع احتمال كونه صحابيا آخر فتدبر (قال) أى على رضى الله عنه (انا لجلوس) أى لجالسون (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد) أى مسجد المدينة أو مسجد قباء (فاطلع) بتشديد الطاء أى فظهر (علينا مصعب بن عمير) بضم الميم وفتح العين وعمير مصغرا (ما عليه) أى ليس على بدنه (الا بردة له) أى كساء مخلوط السواد والبياض (مرقوعة بفرو) أى مرقعه بجلد قال ميرك هو قرشى هاجر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وترك النعمة والاموال بمكة وهو من كبار أصحاب الصفة الساكنين في مسجد قباء وقال المؤلف عبدرى كان من أجلة الصحابة وفضلائهم هاجر الى أرض الحبشة في أول من هاجر ثم هاجر الى المدينة شهد بدرا وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث مصعبا بعد العقبة الثانية الى المدينة يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين وهو أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة وكان في الجاهلية من أنعم الناس عيشا وألينهم لباسا فلما أسلم زهد في الدنيا وقيل انه بعثه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن بايع العقبة الاولى فكان يأتى الانصار في دورهم ويدعوهم الى الاسلام فيسلم الرجل والرجلان حتى فشا الاسلام فيهم فكتب الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يستأذنه أن يجمع بهم فاذن له ثم قدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع السبعين الذين قدموا عليه في العقبة الثانية فاقام بمكة قليلا وفيه نزل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكان اسلامه بعد دخول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دار الارقم (فلما رآه) أى أبصر مصعبا بتلك الحال الصعباء (رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى للذى) أى للامر الذى (كان فيه) أى قبل ذلك اليوم (من النعمة والذى هو فيه) أى وللامر الذى هو فيه من المحنة والمشقة (اليوم) أى في الوقت الحاضر

رواه الترمذى والبيهقى في دلائل النبوة
وعن محمد بن كعب القرظى قال حدثنى من سمع على بن أبي طالب قال انا لجلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فاطلع علينا مصعب بن عمير ما عليه الا بردة له مرقوعة بفرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى للذى كان فيه من النعمة والذى هو فيه اليوم

والظاهر المتبادر من بكائه عليه الصلاة والسلام انما كان رحمة له وشفقة عليه لما رآه من فقره وفاقته لاسيما وقد كان عزيزا في قومه ومنغمسا في نعمته لكن ينافيه بعض المنافاة ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم مع عمر حيث بكى عمر رضي الله تعالى عنه لما رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مضطجعا على حصير سرير ليس بينه وبينه شيء وقد أثر الحصير على بدنه الشريف وتذكر عمر تنعم كسرى وقيصر فقال له أأنت في هذا المقام يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة فالاولى ان يحمل البكاء على الفرح في أنه وجد في أمته من اختار الزهد في الدنيا والاقبال على العقبى أو على الحزن في فقد ما عنده من بعض المساعدة لبعض الكسوة أو المعاونة في بعض المعيشة والله تعالى أعلم ويؤيد تأويلنا نقل الراوي (ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف) أي الحال (بكم اذا غدا) أي ذهب أول النهار (أحدكم في حلة) بضم فتشديد أي في ثوب أو في ازار ورداء (وراح) أي ذهب آخر النهار (في حلة) أي أخرى من الاولى قال ابن الملك أي كيف يكون حالكم اذا كثرت أموالكم بحيث يلبس كل منكم أول النهار حلة وآخره أخرى من غاية التنعم (ووضعت بين يديه صحفة) أي قصعة من مطعوم (ورفعت أخرى) أي من نوع آخر كما هو شأن المترفين من طائفة الاروام وهو كناية عن كثرة أصناف الاطعمة الموضوعة على الاطباق بين يدي المتنعمين من طبقة الاعجام (وسترتم بيوتكم) بضم الموحدة وكسرها أي جدرانها والمعنى زينتموها بالثياب النفيسة من فرط التنعم (كما تستر الكعبة) وفيه اشارة الى ان سترها من خصوصياتها لامتيازها (فقالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم) وبينوا سبب الخيرية بقولهم مستأنفا فيه معنى التعليل (نتفرغ) أي عن العلائق والعوائق (للعبادة) أي بانفسنا (ونكفى) بصيغة المجهول المتكلم (المؤنة) أي بخدمنا والواو لمطلق الجمع فالمعنى ندفع عنا تحصيل القوت لحصوله باسباب مهيأة لنا فنتفرغ للعبادة من تحصيل العلوم الشرعية والعمل بالخيرات البدنية والمبرات المالية (قال) وفي نسخة فقال (لا) أي ليس الامر كما ظننتم (أنتم اليوم خير منكم يومئذ) لان الفقير الذي له كفاف خير من الغني لان الغني يشتغل بدنياه ولا يتفرغ للعبادة مثل من له كفاف لكثرة اشتغاله بتحصيل المال فالحديث صريح في تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر فان الغني بالنسبة الى الصحابة وهم أقوياء اذا كان كذلك فما بال غيرهم من الضعفاء ويؤيده ما رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عمر مرفوعا ما زويت الدنيا عن أحد الا كانت خيرة له أقول قوله عن أحد على عمومه فان الكافر الفقير عذابه أخف من الكافر الغني في النار فاذا نفع الفقر الكافر في تلك الدار فكيف لا ينفع المؤمن الصابر في دار القرار (رواه الترمذي وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأتي على الناس زمان الصابر فيهم) أي في أهل ذلك الزمان (على دينه) أي على حفظ أمر دينه بترك دنياه (كالقابض) أي كصبر القابض في الشدة ونهاية المحنة (على الجمر) جمع الجمرة وهي شعلة من نار قال الطيبي رحمه الله الجملة صفة زمان والراجع محذوف أي الصابر فيه وفيه ان الرابط مذكور فيه بقوله فيهم كما أشرنا اليه سابقا قال والمعنى كما لا يقدر القابض على الجمر ان يصبر لاحراق يده كذلك المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته على دينه لغلبة العصاة والمعاصي وانتشار الفسق وضعف الايمان انتهى والظاهر ان معنى الحديث كما لا يمكن القبض على الجمرة الا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة كذلك في ذلك الزمان لا يتصور حفظ دينه ونور ايمانه الا بصبر عظيم وتعب جسيم ومن المعلوم ان المشبه به يكون أقوى فالمراد به المبالغة ولا ينافيه ان ما أحد يصبر على قبض الجمر ولذا قال تعالى فما أصبرهم على النار مع أنه قد يقبض على الجمر أيضا عند الاكراه على أمر أعظم منه من قتل نفس أو احراق أو اغراق ونحوها ولذا قال تعالى قل نار جهنم أشد حرا وقد أشار الشاطبي رحمه الله في زمانه الى هذا المعنى بقوله

وهذا زمان الصبر من لك بالتي * كقبض على جمر فتنجو من البلا

قال الجعبري أي هذا الزمان زمان الصبر لانه قد أنكر المعروف وعرف المنكر وفسدت النيات وظهرت

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بكم اذا غدا أحدكم في حلة وراح في حلة ووضعت بين يديه صحفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة فقالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونكفى المؤنة قال لا أنتم اليوم خير منكم يومئذ رواه الترمذي وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر

الخيانات واوذى الحق وأكرم المبطل فمن يسمع لك بالحالة التى لزومها فى الشدة كالقابض على جمر النار فقد روى أبو ثعلبة الخشنى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان وراءكم أياما الصبر فيهن مثل القبض على الجمر للعامل فيهن أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم انتهى (رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب اسنادا) قال ميرك نقلا عن التصحيح هذا الحديث وقع له ثلاثيا وفى سنده عمر بن شاكر شيخ الترمذى وحده وقد ذكره ابن حبان فى الثقات انتهى وروى ابن عساكر عن أنس أيضا يأتى على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من شاته (وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان) ولفظ الجامع اذا كانت (أمراؤكم خياركم) أى أتقياءكم (وأغنياؤكم سمحاءكم) أى اسخياءكم واحده سمح فكأنه جمع سميح بمعنى سمح (وأموركم شورى بينكم) مصدر بمعنى التشاور أى ذوات شورى على تقدير مضاف أو على أن المصدر بمعنى المفعول أى متشاور فيها ومنه قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم وقد قال سبحانه عز وجل لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وشاورهم فى الامر والمعنى ما دمتم متشاورين فى أموركم (فظهر الارض خير لكم من بطنها) أى لاجل انكم عاملون بما فى الكتاب والسنة وطوبى لمن طال عمره وحسن عمله (واذا كان أمراؤكم شراركم) أى بالفسق والظلم (وأغنياؤكم بخلاءكم) أى بقلة الرحمة والشفقة (وأموركم الى نسائكم) أى مفوض الى رأيهن والحال انهن من ناقصات العقل والدين وقد ورد شاوروهن وخالفوهن وفى معناهن كل من يكون فى مرتبة حالهن من الرجال ممن يغلب عليه حب الجاه والمال ولم يعلم ما يتعلق بضرر الدين ووبال المال (فبطن الارض خير لكم من ظهرها) أى فان من لم يغلب خيره شره فالموت خير له (رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وعن ثوبان) وهو مولى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوشك الامم) أى يقرب فرق الكفر والضلالة (ان تداعى) حذف احدى التاءين أى تتداعى (عليكم) بان يدعو بعضهم بعضا لمقاتلتكم وكسر شوكتكم وسلب ما ملكتموه من الديار والاموال (كما تداعى) أى تتداعى (الأكلة) بالمد وهى الرواية على نعت الفئة والجماعة أو نحو ذلك كذا روى لنا عن كتاب أبى داود وهذا الحديث من افراده ذكره الطيبى رحمه الله ولو روى الأكلة بفتحتين على انه جمع آكل اسم فاعل لكان له وجه وجيه والمعنى كما يدعو أكلة الطعام بعضهم بعضا (الى قصعتها) أى التى يتناولون منها بلا مانع ولا منازع فيأكلونها عفوا صفوا كذلك يأخذون ما فى أيديكم بلا تعب ينالهم أو ضرر يلحقهم أو بأس يمنعهم (فقال قائل ومن قلة) خبر مبتدا محذوف وقوله (نحن يومئذ) مبتدأ وخبر صفة لها أى اذلك التداعى لاجل قلة نحن عليها يومئذ (قال بل أنتم يومئذ كثير) أى عددا وقليل مددا وهذا معنى الاستدراك بقوله (ولكنكم غثاء) بالضم ممدودا قال الطيبى رحمه الله (كغثاء السيل) قال الطيبى بالتشديد أيضا ما يحمله السيل من زبد ووسخ شبههم به لقلة شجاعتهم ودناءة قدرهم وخفة أحلامهم وخلاصته ولكنكم تكونون متفرقين ضعيفى الحال خفيفى البال مشتتى الآمال ثم ذكر سببه بعطف البيان فقال (ولينزعن) أى ليخرجن (الله من صدور عدوكم المهابة) أى الخوف والرعب (منكم) أى من جهتكم (وليقذفن) بفتح الياء أى وليرمين أى الله (فى قلوبكم الوهن) أى الضعف وكأنه أراد بالوهن ما يوجبه ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت حيث قال (قال قائل يا رسول الله وما الوهن) أى ما سببه وما موجبه قال الطيبى رحمه الله سؤال عن نوع الوهن أو كأنه أراد من أى وجه يكون ذلك الوهن (قال حب الدنيا وكراهة الموت) وهما متلازمان فكأنهما شئ واحد يدعوهم الى اعطاء الدنية فى الدين من العدو المبين ونسأل الله العافية فقد ابتلينا بذلك فكأنا نحن المعنيون بما ذكر هنالك (رواه أبو داود) أى فى سننه (والبيهقى فى دلائل النبوة)

رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب اسنادا وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الامم ان تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن فى قلوبكم الوهن قال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت رواه أبو داود والبيهقى فى دلائل النبوة

(الفصل

(الفصل الثالث) (عن ابن عباس) أى موقوفا (قال ماظهر الغلول) بالضم أى خيانة المغنم (فى قوم الا ألقى الله فى قلوبهم الرعب) بسكون العين وضمها أى خوف العدو (ولا فشا الزنا) أى انتشر (فى قوم الا كثر فيهم الموت) أى بالوباء أو الطاعون أو موت القلب أو موت العلماء (ولا نقص قوم المكيال والميزان) أى ومافى معناهما كالذراع والعدد من طريق الغش والخديعة (الا قطع عنهم الرزق) أى الحلال أو بركة الرزق الذى فى أيديهم (ولا حكم قوم) أى من الحكام (بغير حق) أى بغير استحقاق أو بغير علم فى أحكامهم الفاسدة بل بآرائهم الكاسدة (الا فشا فيهم الدم) أى القتل والمراد ماينجر اليه (ولا ختر) بفتح الخاء المعجمة والفوقية ومنه قوله تعالى ان الله لا يحب كل ختار أى غدر (قوم بالعهد) أى بنقضه خديعة رجاء الغلبة (الا سلط) بصيغة المجهول أى بتسليط الله (عليهم العدو رواه مالك) أى فى باب ماجاء فى الغلول من الموطا

(باب) كذا فى الاصول المعتمدة والنسخ المصححة من غير ترجمة وهو مرفوع على أنه خبر مبتدا محذوف أو الباء ساكن على الوقف وقال ابن الملك باب فى ذكر الانذار والتحذير أى التخويف والتذكير

(الفصل الاول) (عن عياض بن حمار المجاشعى) بضم الميم قال المؤلف وكان صديقا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قديما روى عنه جماعة وهو تميمى يعد فى البصريين (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته) أى المعروفة أو فى موعظته (الا) بالتخفيف للتنبيه (ان ربى أمرنى أن أعلمكم ماجهلتم مما علمنى) يحتمل أن يكون من بيان ما أو تبعيضية على انه منقطع عما قبله خبر لما بعده مستأنف أى من جملة ما علمنى (يومى هذا) أى بما أوحى الله الى فى هذا اليوم بخصوصه (كل مال نحلته) أى أعطيته (عبدا) أى من عبادى وملكته اياه فلا يدخل الحرام (حلال) أى فلا يستطيع أحد أن يحرمه من تلقاء نفسه و يمنعه من التصرف فيه تصرف الملاك فى أملاكهم وهذا من مقول الله كما يدل عليه قوله (وانى خلقت عبادى حنفاء) أى مستعدين لقبول الحق ومائلين اليه عن الباطل (كلهم) أى جميعهم لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وهى التوحيد المطلق ومابه يتعلق لقوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله أى لا تبدلوا تخلقوا ته باليهودية والنصرانية والمجوسية ونحوها ذلك الدين القيم أى المستقيم فلا تعدلوا عن الجادة الى الطريق الزائغة كما قال تعالى وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله أى عن طريقها الحقيقى الواصل اليه المقبول لديه لمن أراد المنة عليه ومنه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهدا كم أجمعين ثم بين سبب ضلالة الخلق وغوايتهم عن الحق بقوله (وانهم) أى عبادى الحنفاء (أتتهم الشياطين) أى جاؤهم بالوسوسة (فاجتالتهم) أى صرفتهم وساقتهم مائلين (عن دينهم) من اجتاله أى ساقه وذهب به وقيل الافتعال هنا للحمل على الفعل كاختطب زيد عمرا أى حمله على الخطبة فالمعنى حملتهم الشياطين على جولانهم وميلانهم عن دينهم (وحرمت) أى الشياطين (عليهم ما أحللت لهم) أى من البحيرة والسائبة وغيرهما وتوضيحه ماحققه القاضى حيث قال قوله كل مال نحلته حكاية ماعلمه الله تعالى وأوحى اليه فى يومه هذا والمعنى ما أعطيت عبدا من مال فهو حلال له ليس لاحد ان يحرم عليه وليس لقائل ان يقول هذا يقتضى أن لا يكون الحرام رزقا لان كل رزق ساقه الله تعالى الى عبد نحله وأعطاه وكل ما نحله وأعطاه فهو حلال فيكون كل رزق رزقه الله اياه فهو حلال وذلك يستلزم أن يكون كل ماليس بحلال ليس برزق لانا نقول الرزق أعم من الاعطاء فانه يتضمن التمليك ولذا قال الفقهاء لو قال لامرأته ان أعطيتنى الفا فانت طالق فاعطته الفا بانت ودخل الالف فى ملكه ولا كذلك الرزق (وأمرتهم) أى الشياطين لهم (أن يشركوا بى ما) أى اشراكا أو شيأ (لم أنزل به) أى بوجوده (سلطانا) أى حجة وبرهانا سميت به لتسلطه على القلوب عندهم وهجوم الخواطر عليها بالقهر والغلبة والمعنى ماليس على اشراكه دليل عقلى ولا نقلى اذ لو كان أحدهما

(الفصل الثالث) عن ابن عباس قال ماظهر الغلول فى قوم الا ألقى الله فى قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا فى قوم الا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا ختر قوم بالعهد الا سلط عليهم العدو رواه مالك

(باب الانذار والتحذير)

(الفصل الاول) عن عياض بن حمار المجاشعى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته الا ان ربى أمرنى ان أعلمكم ماجهلتم مما علمنى يومى هذا كل مال نحلته عبدا حلال وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا

لبينه سبحانه وتعالى بل الامر بخلافه حيث قال وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه والقرآن مشحون بالادلة على بطلان الاشراك بالله تعالى قال القاضي هو مفعول يشركوا يريد به الاصنام وسائر ما عبد من دون الله أي أمرتهم بالاشراك بالله بعبادة ما لم يأمر الله بعبادته ولم ينصب دليلا على استحقاقه للعبادة وقال الطيبي رحمه الله ما لم انزل به سلطانا أي لا انزال سلطان ولا شريك على أسلوب قوله * على لاحب لا يهتدى بمناره * أي لا منار ولا اهتداء به وقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * أي لا ضب ولا انجحار نفيا للاصل والفرع أي القيد والمقيد وقيل هذا على سبيل التهكم اذ لا يجوز على الله ان ينزل برهانا ان يشرك به غيره (وان الله نظر الى أهل الارض) أي رآهم ووجدهم متفقين على الشرك منهمكين في الضلالة (فمقتهم) أي أبغضهم (عربهم وعجمهم) بدل من الضمير والمراد بالعجم غير العرب والمعنى أبغضهم بسوء صنيعهم وخبث عقيدتهم واتفاقهم قبل بعثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على الشرك وانغماسهم في الكفر قوم موسى عليه السلام كفروا بعيسى وعبدوا عزيرا وذهبوا الى أنه ابن الله وقوم عيسى ذهبوا الى التثليث أو الى أنه ابن الله وغير ذلك (الا بقايا من أهل الكتاب) أي من اليهود والنصارى تبرؤا عن الشرك كذا قاله بعضهم والاظهر ان المراد بهم جماعة من قوم عيسى بقوا متابعته الى أن آمنوا بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (وقال) أي الله تعالى (انما بعثتك) أي أرسلتك يا محمد (لابتليك) أي لامتحنك كيف تصبر على ايذاء قومك اياك (وابتلي بك) أي قومك هل يؤمنون بك أم يكفرون (وأنزلت عليك كتابا) أي عظيما وهو القرآن (لا يغسله الماء) أي لم نكتف بايداعه الكتب فيغسله الماء بل جعلناه قرآنا محفوظا في صدور المؤمنين قال تعالى بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وقال سبحانه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون أو المراد بالغسل النسخ والماء مثل أي لا ينزل بعده كتاب ينسخه ولا نزل قبله كتاب يبطله كما قال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال الطيبي رحمه الله أي كتابا محفوظا في القلوب لا يضمحل بغسل القراطيس أو كتابا مستمرا متداولا بين الناس ما دامت السموات والارض لا ينسخ ولا ينسى بالكلية وعبر عن ابطال حكمه وترك قراءته والاعراض عنه بغسل أوراقه بالماء على سبيل الاستعارة أو كتابا واضحا آياته بينا معجزاته لا يبطله جور جائر ولا يدحضه شبهة مناظر فمثل الابطال معنى بالابطال صورة وقيل كنى به عن غزارة معناه وكثرة جدواه من قولهم مال فلان لا يفنيه الماء أو النار وقوله (تقرؤه) أي أنت (نائما ويقظان) بسكون القاف والمعنى يصير لك ملكة بحيث يحضر في ذهنك وتلتفت اليه نفسك في أغلب الاحوال فلا تغفل عنه نائما ويقظان وقد يقال للقادر على الشيء الماهر به هو يفعله بالماء كذا ذكره الطيبي رحمه الله وخلاصته انه في قلبك وأنت نائم وأقول لا احتياج الى التأويل بالنسبة الى قلبه الجليل لانه تنام عيناه ولا ينام قلبه وقد شوهد كثير من الناس صغيرا وكبيرا انهم يقرؤن وهم نائمون وأغرب من هذا ما حكى بعض المريدين انه وشيخه كانا يتدارسان وقت السحر في تلاوة القرآن عشرا عشرا فلما توفي الشيخ رحمه الله تعالى أتاه المريد وقت السحر على عادته عند قبره وأراد ان يقرأ ورده فلما تم العشر سمع من القبر صوت شيخه انه قرأ عشرا وسكت وهكذا كان الامر مستمرا الى انه حكى المريد القضية لبعض أصحابه فوقع تحت حجابه ونظيره سماع سعيد بن المسيب صوت الاذان من الضريح الانور أيام فتنة يزيد في المدينة المعظمة حيث لم يبق في المسجد أحد الا سعيد وكانوا يقولون انه شيخ مجنون (وان الله أمرني ان أحرق) أي أهلك (قريشا) أي كفارهم (فقلت رب) أي يا رب (اذا) بالتنوين (يثلغوا) بفتح اللام أي يشدخوا ويكسروا (رأسي فيدعوه) بفتح الدال أي رأسي (خبزة) أي فيتركوه بالشدخ بعد الشكل المكروه مسطحا مثل خبزة (قال) أي الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (استخرجهم) أي قريشا والمراد كفارهم (كما أخرجوك) أي كاخراجهم اياك جزاء وفاقا وان كان بين الاخراجين بون بين فان اخراجهم اياه بالباطل واخراجه اياهم بالحق

وان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من أهل الكتاب وقال انما بعثتك لابتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما ويقظان وان الله أمرني ان أحرق قريشا فقلت رب اذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما أخرجوك

(واغزهم)

(واغزهم) أى وجاهدهم قالوا والمطابق الجمع فان القتال مقدم على الاخراج (نغزك) بضم النون من أغزيته اذا جهزته للغزو وهيأت له أسبابه (وانفق) أى مافى جهدك فى سبيل الله (سننفق عليك) أى نخلف عليك بدله فى الدنيا والاخرى قال تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين وفيه وعد وتسلية (وابعث) أى ارسل أنت (جيشا) أى كبيرا وصغيرا (نبعث خمسة) أى مقدار خمسة (مثله) بالنصب والمعنى نبعث من الملائكة خمسة أمثال تعينهم كما فعل ببدر قال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وكان المشركون يومئذ ألفا والمسلمون ثلثمائة (وقاتل بمن أطاعك) أى بمعونته أومعه (من عصاك) أى بعدم الايمان بك (رواه مسلم وعن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد) بكسر العين وهو جواب لما وفى بعض النسخ فصعد بالفاء فلاو جه له أى طلع (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الصفا) وهو جبل معروف بمكة من شعائر الله (فجعل) أى فشرع (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى) أى قبائل العرب (يابنى فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء قبيلة من قريش على مافى القاموس (يابنى عدى) وهم قبيلة من قريش أيضا على مافى القاموس فقوله (لبطون قريش) فيه اشكال اذ البطن دون القبيلة أودون الفخذ وفوق العمارة والقبيلة واحد قبائل الرأس لقطع الشعوب بعضها الى بعض ومنه قبائل العرب واحدهم قبيلة وهم بنو اب واحد كذا فى القاموس والحاصل ان القبيلة بمنزلة الجنس والبطن بمنزلة النوع والفخذ بمنزلة الفصل وقد يستعار بعضها للبعض والله تعالى أعلم وقال الطيبى رحمه الله اللام فيه بيان كقوله تعالى لمن أراد ان يتم الرضاعة كانه قيل لمن قيل لبطون قريش (حتى اجتمعوا) أى من كل قبيلة وبطن جمع (فقال أرأيتكم) بفتح التاء ويجوز تحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وأبدالها وحذفها والمعنى أخبرونى وتحقيقه ماذكره الطيبى رحمه الله من ان الضمير المتصل المرفوع من الخطاب العام والضمير الثانى لامحل له وهو كالبيان للاول لان الاول بمنزلة الجنس الشائع فى المخاطبين فيستوى فيه التذكير والتأنيث والافراد والجمع فاذا أريد بيانه باحد هذه الانواع بين به فاتى فى الحديث بعلامة الجمع بيانا للمراد انتهى فكانه قال أرأيتم فان رأيتم فاعلمونى (لوأخبرتكم ان خيلا) أى جيشا (بالوادى) أى نزل به قال شارح وهو موضع معروف بقرب مكة وكانه أريد به الوادى المشهور بوادى فاطمة بين مكة والمدينة شرفهما الله (تريد) أى الخيل (ان تغير عليكم) من الاغارة وهى النهب والبيوتة بالغفلة يعنى أصحابها على أحد المجازين فى قوله تعالى واسأل القرية (أكنتم مصدقى) أى مصدقين لى فى قولى (قالوا نعم) أى كنا نصدقك وسببه انا فى جميع عمرنا (ماجربنا عليك الاصدقا) قال الطيبى رحمه الله ضمن جرب معنى الالقاء وعداه بعلى أى ماألقينا عليك قولا نجربك فيه هل تكذب فيه أم لا ماسمعنا منك الا صدقا (قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد) أى قبل نزول عذاب عظيم وعقاب أليم والمعنى انكم ان لم تؤمنوا بى ينزل عليكم عذاب قريب قال الطيبى رحمه الله قوله بين يدى ظرف لغو نذير وهو بمعنى قدام لان كل من يكون قدام أحد يكون بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله وفيه تمثيل مثل انذاره القوم بعذاب الله تعالى النازل على اقوم بنذير قوم يتقدم جيش العدو فينذرهم (فقال أبولهب) مشهور بكنيته واسمه عبد العزى وهو ابن عبد المطلب بن هاشم عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (تبالك) أى خسرانا وهلاكا ونصبه بعامل مضمر قاله القاضى فهو امانصب على المصدر والمعنى تب تبا أو باضمار فعل أى ألزمك الله هلاكا وخسرانا وألزم تبالك (سائر اليوم) أى فى باقى الاوقات أوفى جميع الايام قال التوربشتى رحمه الله من ذهب فى سائر الى البقية فانه غير مصيب لان الحرف من السير لامن السور وفى أمثالهم فى الياس من الحاجة أسائر اليوم وقد زال الظهر قال الطيبى رحمه الله وفيه نظر لانه قال صاحب النهاية السائر مهموز الباقى والناس يستعملونه فى معنى الجميع وليس بصحيح وقد تكررت هذه اللفظة فى الحديث وكلها بمعنى

واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك رواه مسلم وعن ابن عباس قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين صعد النبى صلى الله عليه وسلم الصفا فجعل ينادى يابنى فهر يابنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال أرأيتكم لوأخبرتكم ان خيلا بالوادى تريدان تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا نعم ماجربنا عليك الاصدقا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبولهب تبالك سائر اليوم

باقي الشيء ويدل على تصحيح ما في النهاية ما في أساس البلاغة فانه أورده في باب السين مع الهمزة قال الاسآر الشارب في الاناء سؤرا وسؤرة أي بقية وفي المثل أسائر اليوم وقد زال الظهر انتهى كلامه فعلى هذا المراد بسائر اليوم بقية الايام المستقبلة وفي القاموس السؤر البقية والفضلة وأسأر أبقاه كسأر كمنع والفاعل فيهما سائر والقياس مسئر ويجوز والسائر الباقي لا الجميع كما توهم جماعات أو قد يستعمل له ومنه قول الاحوص

فجالتها لنا لبابة لما ✱ وفد القوم سائر الحراس

وضاف اعرابي قوما فأمروا الجارية بتطييبه فقال بطني عطري وسائري ذري وأغير على قوم فاستصرخوا بني عمهم فأبطؤا عنهم حتى أسروا وذهب بهم ثم جاؤا يسألون عنهم فقال لهم المسؤل أسائر اليوم وقد زال الظهر أي تطمعون فيما بعد وقد تبين لكم اليأس لان من كانت حاجته اليوم بأسره وزال الظهر وجب ان ييأس منها بالغروب (الهذا) أي ألهذا الاستخبار والاخبار (جمعتنا) أي بالمناداة (فنزلت تبت) أي هلكت وخسرت (يدا أبي لهب) بفتح الهاء ويسكن أي نفسه كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم أي بأنفسكم والباء زائدة وقيل المراد بهما دنياه وأخراه وقيل انما خصتا لانه لما قال ألهذا دعوتنا أخذ حجرا ليرميه به فنزلت وانما كناه والكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته أو لان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره أو لانه لما كان من أهل النار كانت الكنية أوفق بحاله وان كان كني لكمال جماله وقرئ أبو لهب كما قيل علي بن أبو طالب على لغة من قصر على الواو في الاسماء الستة كما قصر بعضهم على الالف فيها كقوله ان أباها وأبا أباها (وتب) اخبار بعد خبر للتأكيد والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه أو الاول دعاء والثاني اخبار (متفق عليه وفي رواية) قال ميرك هذه الرواية من أفراد مسلم (نادى يا بني عبد مناف) هو أخو هاشم وعبد شمس والمطلب ومناف صنم كذا في القاموس (انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو) أي بعينه (فانطلق) أي ذهب مسرعا (يربأ) بفتح الموحدة وبالهمز أي يحفظ من العدو (أهله) أي قومه ويرقبهم بقتالهم على موضع عال (فخشي) أي الرجل (ان يسبقوه) أي يسبق العدو الى أهله ويصلوا الى القوم قبل ان يصل اليهم بنفسه (فجعل) أي فشرع (يهتف) بكسر التاء أي يصيح وينادي من أعلى جبل وربما يجعل ثوبه على يده أو على خشب يرفعه لزيادة الاعلام ومنه النذير العريان أو هو كناية عن خلوه من الغرض أو ايماء الى انه أخذ وسلب عنه ثوبه وهرب منهم فحينئذ كل أحد يصدقه في قوله (يا صباحاه) بسكون الهاء ولما كانت الغارة غالبا تكون في الصباح خصت به ولو كانت في المساء أيضا والله تعالى أعلم فهي كلمة تقال لانذار أمر مخوف والمعنى يا قوم احذروا الاغارة بالذهاب قبل مجيء العدو فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال احذروا عقاب الله بالايمان قبل نزوله (وعن أبي هريرة قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين دعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قريشا) أي قبائله (فاجتمعوا فعم) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في النداء بما ذكره (وخص) ثم بين الراوي كيفية العموم والخصوص بقوله (فقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (يا بني كعب بن لؤي) بضم لام وفتح همز وقد يبدل واوا فتحتية مشددة وهو ابن غالب بن فهر (انقذوا) بفتح همزة وكسر قاف أي خلصوا (أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب) بضم ميم وتشديد راء أي أبو قبيلة من قريش على ما في القاموس (انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار) ختم بها لانها خلاصة قومها ثم عمم في تبري انقاذه اياهم من النار بغير الايمان والعمل الصالح بقوله (فاني لا أملك لكم) أي لجميعكم عامكم وخاصكم (من الله) أي من عذابه (شيأ) أي من الملك والقدرة والدفع والمنفعة والمعنى اني لا أقدر ان أدفع عنكم من عذاب الله شيأ ان أراد الله ان يعذبكم وهو مقتبس من قوله سبحانه قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل قال

ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب متفق عليه وفي رواية نادى يا بني عبد مناف انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله فخشي ان يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه وعن أبي هريرة قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين دعا النبي صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي انقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار فاني لا أملك لكم من الله شيأ

الله تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وهذا التوحيد على وفق التفريد وهو صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان قد ينفع المؤمنين بالشفاعة حيث يشفع ويشفع لكن أطلقه ترهيبا لهم على الاتكال عليه وترغيبا لهم على الاجتهاد في أمر زاد المعاد والله رؤف بالعباد وهذا معنى قوله (غير ان لكم رحما) أي قرابة (سأبلها) بضم موحدة وتشديد لام أي سأصلها (ببلالها) بكسر الموحدة ويفتح أي بصلتها وبالاحسان اليها وبجمله انى سأصل تلك القرابة بالشيء الذي يتوصل به الى الاقارب من الاحسان ودفع الظلم والضر عنهم وغير ذلك ففي النهاية البلال جمع بلل والعرب يطلقون الندا وة على الصلة كما يطلق اليبس على القطيعة لانهم لما رأوا ان بعض الاشياء يتصل بالنداوة ويحصل بينها التجافي والتفرق باليبس استعاروا البلل لمعنى الوصل واليبس لمعنى القطيعة والمعنى أصلكم في الدنيا ولا أغني عنكم من الله شيأ (رواه مسلم وفي المتفق عليه) هذا موجود في بعض النسخ المصححة (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم) أي اعتقوها وخلصوها من النار بالايمان وترك الكفران وبالطاعة لما جئت به والانقياد لما منعت منه (لا أغني عنكم من الله شيأ) أي لا أبعد منكم ولا أدفع عنكم شيأ من عذاب الله (يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب) بالنصب فيهما وفي نسخة برفع عباس (لا أغني عنك من الله شيأ ويا صفية) بالواو العاطفة بخلاف ما قبله من ألفاظ النداء فانها كانت على سبيل التعداد وصفية مرفوعة وقوله (عمة رسول الله) منصوبة (لا أغني عنك من الله شيأ) وكذا قوله (ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي) كذا في نسخ من موصولة قال التوربشتي رحمه الله تعالى أرى انه ليس من المال المعروف في شيء وانما عبر به عما يملكه من الامر وينفذ تصرفه فيه ولم يثبت عندنا انه كان ذا مال لا سيما بمكة ويحتمل ان الكلمتين أعني من وما وقع الفصل فيهما من بعض من لم يحققه من الرواة فكتبهما منفصلتين انتهى وفيه انه يرده قوله تعالى ووجدك عائلا فأغنى أي بمال خديجة رضي الله عنها على ما قاله المفسرون وأيضا لم يلزم من عدم وجود المال الحاضر للعواد ان لا يدخل في يده شيء من المال في الاستقبال فيحمل الوعد المذكور على تلك الحال ومهما أمكن الجمع لتصحيح الدراية تعين عدم التخطئة في الرواية والله سبحانه وتعالى أعلم (لا أغني عنك من الله شيأ)

(الفصل الثاني) (عن أبي موسى) أي الاشعري رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امتي هذه) أي امة الاجابة الموجودة ذهنا المعهودة معنى كأنها المذكورة حسا (أمة مرحومة) أي رحمة زائدة على سائر الامم لكون نبيهم رحمة للعالمين بل سمي بنبي الرحمة وهم خير امة (ليس عليها عذاب) أي شديد (في الآخرة) بل غالب عذابهم انهم يجزون باعمالهم في الدنيا بالمحن والامراض وأنواع البلايا كما حقق في قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به على ما تقدم والله تعالى أعلم ويؤيده قوله (عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل) أي بغير حق وقيل الحديث خاص بجماعة لم تأت كبيرة ويمكن أن تكون الاشارة الى جماعة خاصة من الامة وهم المشاهدون من الصحابة أو المشيئة مقدرة لقوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقال المظهر هذا حديث مشكل لان مفهومه ان لا يعذب أحد من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء فيه من ارتكب الكبائر وغيره فقد وردت الاحاديث بتعذيب مرتكب الكبيرة اللهم الا ان يؤول بان المراد بالامة هنا من اقتدى به صلى الله تعالى عليه وسلم كما ينبغي ويمتثل بما أمر الله وينتهي عما نهاه وقال الطيبي رحمه الله الحديث وارد في مدح أمته صلى الله تعالى عليه وسلم واختصاصهم من بين سائر الامم بعناية الله تعالى ورحمته عليهم وانهم ان أصيبوا بمصيبة في الدنيا حتى الشوكة يشاكها ان الله يكفر بها في الآخرة ذنبا من ذنوبهم وليست هذه الخاصية لسائر الامم ويؤيده ذكر هذه وتعقيبها بقوله مرحومة فانه يدل على مزية تمييزهم بعناية الله تعالى ورحمته والذهاب الى المفهوم مهجور في مثل هذا المقام وهذه الرحمة هي المشار اليها بقوله ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون الى قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي انتهى

غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها رواه مسلم وفي المتفق عليه قال يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيأ ويا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيأ ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيأ ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيأ

(الفصل الثاني)

عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل

ولا يخفى عليك ان هذا كله مما لا يدفع الاشكال فانه لاشك عند أرباب الحال ان رحمة هذه الامة انما هي على وجه الكمال وانما الكلام في ان هذا الحديث بظاهره يدل على ان أحدا منهم لا يعذب في الآخرة وقد تواترت الاحاديث في ان جماعة من هذه الامة من أهل الكبائر يعذبون في النار ثم يخرجون اما بالشفاعة واما بعفو الملك الغفار وهذا منطوق الحديث ومعناه المأخوذ من ألفاظه ومبناه وليس بمفهومه المتعارف المختلف في اعتباره حتى يصح قوله ان هذا المفهوم مهجور بل المراد بمفهومه في كلام المظهر المعلوم في العبارة ثم قول الطيبي رحمه الله وليست هذه الخاصية وهي كفارة الذنوب بالبلية لسائر الامم يحتاج الى دليل مثبت ولا عبرة بما فهم من المفهوم من قوله عذابها في الدنيا الفتن الى آخره فانه قابل للتقييد بكون وقوع عذابها غالبا (رواه أبوداود) وكذا الحاكم في مستدركه وصححه وأقره الذهبي ذكره ميرك وفي الجامع بلفظ امتي هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب انما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا رواه أبوداود والطبراني والحاكم والبيهقي عن أبي موسى ورواه الحاكم في الكنى عن أنس أمتي أمة مرحومة مغفور لها متاب عليها أي يتوب الله عليها ولا يتركها مصرة على الذنوب ففيه دليل على ان المراد به خواص هذه الامة والله تعالى أعلم (وعن أبي عبيدة ومعاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان هذا الامر) أي ما بعث به من اصلاح الناس دينا ودنيا وهو الاسلام وما يتعلق به من الاحكام (بدا) بالالف أي ظهر وفي نسخة بالهمزة أي ابتدأ أول أمر الدين الى آخر زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم زمان نزول الوحي والرحمة (نبوة ورحمة) نصب على التمييز أو الحال أي ذا نبوة ورحمة كاملة من نبي الرحمة على الامة المرحومة (ثم يكون) أي أمر الدين (خلافة) أي نيابة عن حضرة النبوة (ورحمة) أي شفقة على الامة بطريق كمال الولاية على وجه التبعية الى ثلاثين سنة فانقضت بستة أشهر أيام الحسن فليس لمعاوية نصيب في الخلافة خلافا لمن خالفه (ثم ملكا عضوضا) بفتح العين فعول للمبالغة من العض بالسن أي يصيب الرعية فيه ظلم يعضون فيه عضا وروي بضم العين جمع عض بالكسر وهو الخبيث الشرير أي يكون ملوك يظلمون الناس ويؤذونهم بغير حق وهذا مبني على الغالب اذ النادر لا حكم له فلا يشكل بان عمر بن عبد العزيز كان عادلا حتى سمي عمر الثاني وقضاياه مشهورة ومناقبه مسطورة (ثم كائن) أي ذلك الامر أو ثم هذا الامر كائن (جبرية) بفتح الجيم والموحدة على النصب أي قهرا وغلبة (وعتوا) بضمتين فتشديد أي تكبرا (وفسادا في الارض) أي في الحرث والانعام وغير ذلك من منكرات العظام ولعل وجه العدول في الكلام هو الاستمرار والدوام كما هو مشاهد في هذه الايام حيث استقرت الخلافة في أيدي الظلمة بطريق التسلط والغلبة من غير مراعاة شروط الامامة أولا ثم في زيادة الظلم والتعدي على الرعايا والتحكم عليهم بانواع البلايا وأصناف الرزايا ثانيا ثم في اعطاء المناصب لغير أربابها المستحق لها وعدم الالتفات الى العلماء العاملين والاولياء الصالحين ثالثا ثم غالب سلاطين زماننا تركوا القتال مع المشركين وتوجهوا الى مقاتلة المسلمين لاخذ البلاد واعطاء الفساد ولذا قال بعض علمائنا من قال سلطان زماننا عادل فهو كافر وما أقبح ما صدر من بعض خوانين الازبك في زماننا انه أمر بالقتل العام في بلد عظيم من بلدان أهل الاسلام المشتمل على المشايخ الكرام والسادات العظام وعلماء الاسلام والنساء والضعفاء والاطفال وسائر المرضى والعميان والاهل والعيال ألوف مؤلفة وصنوف مؤتلفة والحال ان أهل البلد المذكور على الملة الحنيفية ومذهب الحنفية من جملة أهل السنة والجماعة ومدعي السلطنة يزعم انه على تعظيم العلم والشريعة وقد صرح علماؤنا بان المسلمين لو فتحوا قلعة من أهل الكفر ويوجد فيهم الوف من أهل الحرب لكن فيهم ذمي واحد مجهول العين فيما بينهم لا يحل قتل العام في ذلك المقام فلا حول ولا قوة الا بالله وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن أعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما هذا وقد ظهر الفساد في البر والبحر حتى في الحرمين الشريفين مما لا يمكن ذكره ومما لم يتصور مكره والله ولي دينه وناصر نبيه وكل عام بل كل يوم بل كل ساعة

رواه أبو داود وعن أبي عبيدة ومعاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم ملكا عضوضا ثم كائن جبرية وعتوا وفسادا في الارض

شرهم ما قبله الى أن تقوم الساعة ولم يكن فى الارض من يقول الله الله ويؤيده قوله (يستحلون الحرير والفروج والخمور) أى بأنواعها كما سبق (يرزقون) وفى نسخة ويرزقون أى والحال انهم يرزقون (على ذلك) أى ما ذكر من الاستحلال وسائر قبائح الافعال (وينصرون) أى على مقاصدهم من الاعمال لحكمة عجزت عن ادراكها أرباب الكمال (حتى يلقوا الله) اشارة الى قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (رواه البيهقى فى شعب الايمان) قلت وكان الاولى ان يذكره فى كتابه دلائل النبوة (وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان أول ما يكفأ) بصيغة المجهول مهموزا من كفأت الاناء أى قلبته وأملته وكببته لافراغ ما فيه قيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتحدث فى الخمر فقال فى اثناء حديثه ان أول الى آخره فالخبر محذوف أى الخمر لكنه غير ملائم لما بعده من نقل المؤلف (قال زيد بن يحيى الراوى) أى أحد رواة هذا الحديث (يعنى الاسلام) فان الظاهر ان مراده تقدير الخبر وان معناه أول ما يتغير الاسلام وهو الانقياد الظاهر المتعلق بارتكاب الطاعات واجتناب المحرمات ويؤيده قوله (كما يكفأ الاناء) أى ما فيه ولهذا قال الراوى (يعنى) أى يريد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله الاناء (الخمر) اما على مجاز الحذف أى مظروف الاناء واما على ذكر المحل وارادة الحال كما حقق فى قوله تعالى واسئل القرية لكن يشكل بقوله (قيل فكيف يا رسول الله) أى يشربون الخمر ويمكن دفعه بان يقال المعنى فكيف الحال فى انقلاب أحكام الاسلام وتبيان الحلال والحرام (وقد بين الله فيها) أى فى الخمر مثلا (ما بين) أى من تحريمها (قال يسمونها بغير اسمها) أى يسمونها باسم النبيذ والمثلث (فيستحلونها) أى حقيقة فيصيرون كفرة أو فيظهرون انهم يشربون شيأ حلالا فيكونون فسقة مكرة ولذا قال بعض الشراح يعنى انهم يستترون بما أبيح لهم من الانبذة فيتوصلون بذلك الى استحلال ما حرم عليهم منها هذا ما ظهر لى فى هذا المقام من حل المرام وقال الطيبى رحمه الله خبر ان محذوف وهو الخمر والكاف فى كما يكفأ صفة مصدر محذوف يعنى أول ما يكفأ من الاسلام اكفاء مثل اكفاء ما فى الاناء انتهى وأفاد أن التقدير من الاسلام وان من تبعيضية ساقطة من الكلام أى من أحكامه وقال القاضى يكفأ يقلب ويمال ويقال كفأت القدر اذا قلبتها لينصب عنها ما فيها والمراد به الشرب ههنا فان الشارب يكفأ القدح عند الشرب وقول الراوى يعنى الاسلام يريد به فى الاسلام وسقط عنه والمعنى أن أول ما يشرب من المحرمات ويجترأ على شربه فى الاسلام كما يشرب الماء ويجترأ عليه هو الخمر ويؤولون فى تحليلها بان يسموها بغير اسمها كالنبيذ والمثلث انتهى فيفيد ان النبيذ والمثلث حلالان وان حقيقة الشئ لا يتغير بتغير اسم شئ عليه كما يسمى الزنجى بالكافور فلا يصح استدلال من توهم حرمة القهوة المحدثة بانها ما من أسماء الخمر ولا بانها تشرب على هيئة أهل الشرب لانا نقول لا نخصوصية حينئذ بالقهوة فان اللبن والماء وماء الورد كذلك على ان الشرب المتعارف فى الحرمين الشريفين وغيرهما ليس على منوال شرب الفسقة فانه يتناول لزبادى المتعددة وشرب جماعة فى حالة متعددة وبهذا تزول الشبهة وترتفع الشبهة ومما يدل على اباحتها ما نص الله فى كلامه بقوله هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وان الاصل فى الاشياء الاباحة ما لم يصرف عنها دليل من الكتاب والسنة واجماع الامة أو القياس على وجه الصحة (رواه الدارمى) وروى أحمد والضياء عن عبادة بن الصامت مرفوعا ليستحلن طائفة من أمتى الخمر باسم يسمونها اياه

(الفصل الثالث) (عن النعمان بن بشير) له ولابيه صحبة (عن حذيفة) أى صاحب أسرار النبوة المحمدية (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تكون النبوة) بالرفع على أن تكون تامة أى توجد وتقع (فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون خلافة) بالرفع وفى بعض النسخ المصححة بالنصب على أن تكون ناقصة وهو الملائم لما سيأتى من قوله ثم تكون ملكا والمعنى ثم تنقلب النبوة خلافة أو تكون الحكومة أو الامارة خلافة أى نيابة حقيقية (على منهاج النبوة) أى طريقتها الصورية والمعنوية

يستحلون الحرير والفروج والخمور يرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله رواه البيهقى فى شعب الايمان وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما يكفأ قال زيد بن يحيى الراوى يعنى الاسلام كما يكفأ الاناء يعنى الخمر قيل فكيف يا رسول الله وقد بين الله فيها ما بين قال يسمونها بغير اسمها فيستحلونها رواه الدارمى
(الفصل الثالث) عن النعمان بن بشير عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون خلافة على منهاج النبوة

(ماشاء الله أن تكون) أي الخلافة وهي ثلاثون سنة على ما ورد (ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون ملكا عاضا) أي يعض بعض أهله بعضا كعض الكلاب (فيكون) أي الملك أي الامر على هذا المنوال (ماشاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى) أي تلك الحالة (ثم تكون) أي الحكومة (ملكا جبرية) أي جبروتية وسلطنة عظموتية (فيكون) أي الامر على ذلك (ماشاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى) أي الجبرية (ثم تكون) أي تنقلب وتصير (خلافة) وفي نسخة بالرفع أي تقع وتحدث خلافة كاملة (على منهاج نبوة) أي من كمال عدالة والمراد بها زمن عيسى عليه الصلاة والسلام والمهدي رحمه الله (ثم سكت) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكلام (قال حبيب) قال المؤلف هو حبيب بن سالم مولى النعمان بن بشير وكاتبه روى عنه وعن محمد بن المنتشر وغيره (فلما قام عمر بن عبد العزيز) أي بامر الخلافة (كتبت اليه بهذا الحديث أذكره اياه) بتشديد الكاف من التذكير بمعنى الموعظة (وقلت ارجو أن تكون) أي أنت أو الخليفة (أمير المؤمنين) وفي نسخة بالغيبة أي يكون الموعود أمير المؤمنين وقال الطيبي رحمه الله أمير المؤمنين خبر يكون وقوله (بعد الملك العاض والجبرية) ظرف للخبر على تأويل الحاكم العادل نحو قوله تعالى وهو الله في السموات أي معبود فيها انتهى وفي بعض النسخ بالتذكير في يكون و بالرفع في أمير المؤمنين فيكون قوله بعد الملك ظرفا واقعا خبرا ليكون (فسر) بضم السين وتشديد الراء أي فرح (به) أي بهذا الحديث رجاء أن يكون في حقه (وأعجبه) عطف تفسيري (يعني) أي يريد القائل بالضميرين (عمر بن عبد العزيز رواه أحمد) أي في مسنده (والبيهقي في دلائل النبوة) وفي الجامع يكون أمراء يقولون ولا يرد عليهم يتهافتون في النار يتبع بعضهم بعضا رواه الطبراني عن معاوية وروى ابن عساكر عن علي رضي الله تعالى عنه مرفوعا يكون لاصحابي زلة يغفرها الله تعالى لسابقتهم معي

(كتاب الفتن)

الفتن جمع الفتنة وهي الامتحان والاختبار بالبلية

(الفصل الاول) (عن حذيفة قال قام) أي خطيبا أو واعظا (فينا) أي فيما بيننا أو لاجل ان يعظنا و يخبرنا بما سيظهر من الفتن لنكون على حذر منها في كل الزمن (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما) اما مصدر ميمي أو اسم مكان وقيل اسم زمان والجملة المنفية وهي قوله (ما ترك شيأ) الخ صفة وقوله (يكون) بمعنى يوجد صفة شيا وقوله (في مقامه) متعلق بترك و وضع مقامه موضع ضمير الموصوف وقوله (ذلك) صفة مقامه اشارة الى زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله (الى قيام الساعة) غاية ليكون والمعنى قام مقاما ما ترك شيا يحدث فيه و ينبغي أن يخبر بما يظهر من الفتن من ذلك الوقت الى قيام الساعة (الا حدث به) أي بذلك الشئ الكائن (حفظه من حفظه) أي المحدث به (ونسيه من نسيه قد علمه) أي هذا القيام أو هذا الكلام بطريق الاجمال (أصحابي هؤلاء) أي الموجودون من جملة الصحابة لكن بعضهم لا يعلمونه مفصلا لما وقع لهم بعض النسيان الذي هو من خواص الانسان وأنا الآخر ممن نسي بعضه وهذا معنى قوله (وانه) أي الشان وأبعد من قال ان الضمير لقوله شيا (ليكون منه الشئ قد نسيته) صفة الشئ واللام فيه زائدة واللام في ليكون مفتوحة على انه جواب لقسم مقدر والمعنى ليقع شئ مما ذكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد نسيته (فأراه فأذكره) أي فاذا عاينته تذكرت ما نسيته والعدول من الماضي الى المضارع لاستحضار حكاية الحال ثم شبه الموصوف بالماضي فقال (كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه) أي ثم ينساه (ثم اذا رآه عرفه متفق عليه وعنه) أي عن حذيفة (قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول تعرض) بصيغة المجهول أي توضع وتبسط (الفتن) أي البلايا والمحن وقيل العقائد الفاسدة والاهواء الكاسدة (على القلوب) وقيل تعرض عليه أي تظهر لها او يعرف ما تقبل منها وما يأباه و ينفر منها من عرض العود على الاناء اذا وضعه عليه بعرضه وقيل هو من عرض الجند بين يدي السلطان لاظهارهم واختبار أحوالهم

ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون ملكا عاضا فتكون ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون ملكا جبرية فيكون ماشاء الله أن يكون ثم يرفعها الله تعالى ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت قال حبيب فلما قام عمر بن عبد العزيز كتبت اليه بهذا الحديث أذكره اياه وقلت أرجو أن تكون أمير المؤمنين بعد الملك العاض والجبرية فسر به وأعجبه يعني عمر بن عبد العزيز رواه أحمد والبيهقي في دلائل النبوة

(كتاب الفتن)

(الفصل الاول) عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيأ يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشئ قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه متفق عليه وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تعرض الفتن على القلوب

(كالحصير)

(كالحصير) أي كما ينسج الحصير (عوداً عوداً) بضم عين ودال مهملة ونصبهما على الحال أي ينسج الحصير حال كونه على هذا المنوال وقال التوربشتي رحمه الله قد روي بالرفع وكذا رويناه عن كتاب مسلم وعلى هذا الوجه أورده صاحب المصابيح والتقدير هو عود عود ورواه آخرون بالنصب انتهى فهو خبر مبتدأ مقدر أو التقدير ينسج عوداً عوداً فهو مفعول ما لم يسم فاعله وفي نسخة عوذاً عوذاً بفتح العين والذال المعجمة أي نعوذ بالله من ذلك عوذاً بعد عوذ قال النووي رحمه الله هذان الحرفان مما اختلف في ضبطه على ثلاثة أوجه أظهرها وأشهرها ضم العين والدال المهملة والثاني فتح العين والدال المهملة أيضاً والثالث فتح العين والذال المعجمة ومعنى تعرض أي تلصق بعرض القلوب أي جانبها كما تلصق الحصير بجنب النائم وتؤثر فيه بشدة التصاقها ومعنى عوداً عوداً أي يعاد ويكرر شيئاً بعد شيء قال ابن السراج رحمه الله ومن رواه بالذال المعجمة فمعناه سؤال الاستعاذة منها كما يقال غفراً غفراً أي نسألك أن تعيذنا من ذلك وأن تغفر لنا وقال الخطابي معناه تظهر على القلوب أي تظهر لها فتنة بعد أخرى كما ينسج الحصير عوداً عوداً وشظية بعد أخرى قال القاضي عياض وعلى هذا تترجح رواية ضم العين وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عوداً أخذ آخر ونسجه شبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد انتهى فإذا كان الأمر كذلك (فأي قلب أشربها) بصيغة المفعول يقال أشرب في قلبه حبه أي خالطه فالمعنى خالط الفتن واختلط بها ودخلت فيه دخولاً تاماً ولزمها لزوماً كاملاً وحلت منه محل الشراب في نفوذ المسام وتنفيذ المرام ومنه قوله تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أي حب العجل والإشراب خلط لون بلون كأن أحد اللونين شرب الآخر وكسي لوناً آخر فالمعنى جعل متأثراً بالفتن بحيث يتداخل فيه حبها كما يتداخل الصبغ الثوب (نكتت) بصيغة المجهول أي نقطت وأثرت (فيه) أي في قلبه (نكتة سوداء) وأصل النكت ضرب الأرض بقضيب فيؤثر فيها (وأي قلب أنكرها) أي رد الفتن وامتنع من قبولها (نكتت فيه نكتة بيضاء) أي إن لم تكن فيها ابتداء ولا فمعنى نكتت أثبتت فيه ودامت واستمرت (حتى) غاية للأمرين (تصير) بالفوقية وفي نسخة بالتحتية أي تصير قلوب أهل ذلك الزمان أو يصير الإنسان باعتبار قلبه أو يصير قلبه (على قلبين) أي نوعين أو صفتين (أبيض) بالرفع أي أحدهما أبيض (مثل الصفا) بالقصر أي مثل الحجر المرمر الأملس من غاية البياض والصفا وفي نسخة بفتحهما على أن الأول بدل البعض من قلبين والثاني على الحال منه أي مماثلاً ومشابهاً للصفا في النور والبهاء (فلا تضره فتنة) وظلمة وبلية (ما دامت السموات والأرض) لأنه لما كان صافياً قد أنكرت تلك الفتن في ذلك الزمن حفظها عنها بعد تلك الساعة إلى يوم القيامة (والآخر) بالرفع وكذا قوله (أسود مربادا) بكسر الميم وبالدال المشددة من اربادّ كاحمارّ أي صار كلون الرماد من الربدة لون بين السواد والغبرة وهو حال أو منصوب على الذم (كالكوز) أي يشبه الآخر الكوز حال كونه مجخياً بضم ميم وسكون جيم وخاء معجمة مكسورة وياء آخر الحروف مشددة وقد تخفف وفي النهاية وروي بتقديم الخاء على الجيم أي مائلاً منكوساً شبه بها من هو خال من العلوم والمعارف بكوز مائل لا يثبت فيه شيء ولا يستقر وهذا معنى قوله (لا يعرف) أي هذا القلب (معروفاً ولا ينكر منكراً) والمعنى لا يبقى فيه عرفان ما هو معروف ولا إنكار ما هو منكر (إلا ما أشرب) أي القلب (من هواه) أي فيتبعه طبعاً من غير ملاحظة كونه معروفاً أو منكراً شرعاً هذا مجمل الكلام وتفصيله ما ذكره شراح الكتاب في هذا المقام قال القاضي رحمه الله أي حتى يصير جنس الإنس على قسمين قسم ذو قلب أبيض كالصفا وذو قلب أسود مربداً قال المظهر الضمير في يصير للقلوب أي تصير القلوب على نوعين أحدهما أبيض وثانيهما أسود قال التوربشتي رحمه الله الصفا الحجارة الصافية الملساء وأريد به هنا النوع الذي صفا بياضه وعليه نبه بقوله أبيض وإنما ضرب المثل به لأن الأحجار إذا لم تكن معدنية لم تتغير بطول الزمان ولم يدخلها لون آخر لا سيما النوع الذي ضرب به المثل فإنه أبداً على البياض الخالص الذي لا يشوبه كدرة

كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه

وانما وصف القلب بالربد لانه أنكر ما يوجد من السواد بخلاف ما يشوبه صفاء وتعلوه طراوة من النوع الخالص وفي شرح مسلم قال القاضي عياض رحمه الله تعالى ليس تشبيهه بالصفا بيانا لبياضه لكنه صفة أخرى لشدته على عقد الايمان وسلامته من الخلل وان الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الاملس الذي لا يعلق به شيء وأما قوله مربادا فكذا هو في روايتنا وأصول بلادنا وهو منصوب على الحال وذكر القاضي عياض رحمه الله خلافا في ضبطه فان منهم من ضبطه كما ذكرناه ومنهم من روى مربئد بهمزة مكسورة بعد الباء وأصله ان لا يهمز ويكون مربد امثل مسود ومحمر لانه من اربد الا على لغة من قال احمأر بهمز بعد الميم لالتقاء الساكنين فيقال اربأد فهو مربئد والدال مشددة على القولين قال المظهر قوله الا ما أشرب يعني لا يعرف القلب الا ما قبل من الاعتقادات الفاسدة والشهوات النفسانية وقال الطيبي رحمه الله ولعله أراد من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح أي ليس فيه خير البتة الا هذا وهذا ليس بخير فيلزم منه أن لا يكون فيه خير (رواه مسلم وعنه) أي عن حذيفة (قال حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حديثين) أي في أمر الامانة الحادثة في زمن الفتنة وبه يظهر وجه مناسبة ذكرهما في الباب قال النووي رحمه الله الاول حدثنا ان الامانة نزلت الى آخره والثاني حدثنا عن رفعها (رأيت أحدهما) وهو نزول الامانة (وأنا أنتظر الآخر) وهو رفع الامانة (حدثنا) وهو الحديث الاول (ان الامانة) وهي الايمان ومنه قوله تعالى انا عرضنا الامانة وعبر عنه بها لانها مدار أمر الديانة (نزلت في جذر قلوب الرجال) بفتح الجيم ويكسر أي أصل قلوبهم قال شارح جذر كل شيء أصله أي ان الامانة أول ما نزلت في قلوب رجال الله واستولت عليها فكانت هي الباعثة على الاخذ بالكتاب والسنة وهذا هو المعنى بقوله (ثم علموا) أي بنور الايمان (من القرآن) أي مما يتلقون عنه صلى الله تعالى عليه وسلم واجبا كان أو نفلا حراما أو مباحا مأخوذا من الكتاب أو الحديث وقوله (ثم من السنة) وفي نسخة صحيحة ثم علموا من السنة فيه اشارة الى تأخير رتبة المأخوذ من الحديث بالنسبة الى نص كلام القديم قال النووي رحمه الله الظاهر ان المراد بالامانة التكليف الذي كلف الله تعالى به عباده والعهد الذي أخذه عليهم قال صاحب التقرير الامانة في الحديث هي الامانة المذكورة في قوله تعالى انا عرضنا الامانة وهي عين الايمان انتهى والظاهر ان المراد بالعهد في كلام النووي العهد الميثاقي وهو الايمان الفطري فذكر قول صاحب التقرير لبيان مزيد تحرير التقرير لا لانه مخالف للظاهر على ما هو المتبادر فانه غير موافق لصدر الحديث السابق وكذا ما يأتيه من ختم الحديث بقوله اللاحق حيث قال وما في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان على ان الايمان هو منع الامانة وأما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا ايمان لمن لا أمانة له فالمراد به نفي الكمال والله تعالى أعلم بالحال (وحدثنا) وهو الحديث الثاني (عن رفعها) أي ارتفاع ثمرة الايمان وانتقاصه فانه سيكون بعدهم في عصر الصحابة (قال ينام الرجل النومة) وهي اما على حقيقتها فما بعده أمر اضطراري وأما النومة كناية عن الغفلة الموجبة لارتكاب السيئة الباعثة على نقص الامانة ونقص الايمان (فتقبض الامانة) أي بعضها كما يدل عليه ما بعده والمعنى يقبض بعض ثمرة الايمان (من قلبه فيظل) بفتحات وتشديد لام أي فيصير (أثرها) أي أثر الامانة وهو ثمرة الايمان (مثل أثر الوكت) بفتح الواو واسكان الكاف وبالفوقية وهو الاثر اليسير كالنقطة في الشيء (ثم ينام النومة) أي الاخرى (فتقبض) أي الامانة أي بعض ما بقي منها (فيبقى) معروفا وقيل مجهولا (أثرها مثل أثر المجل) بفتح الميم وسكون الجيم وتفتح وهو أثر العمل في اليد (كجمر) أي تأثيرا كتأثير جمر وقال شارح أبدل من مثل أثر المجل أي يكون أثرها في القلب كأثر جمر أو خبر مبتدأ محذوف أي هو يعني أثر المجل كجمر (دحرجته) أي قلبته ودورته (على رجلك فنفط) بكسر الفاء ذكر الضمير فيه وكذا قوله (فتراه منتبرا) بكسر الموحدة أي منتفخا مع ان الرجل مؤنث سماعي على ارادة الموضع المدحرج عليه الجمر ومنه قول عمر رضي الله تعالى عنه اياكم والتخلل بالقصب فان الفم ينتبر منه أي يرم وينتفط قيل المعنى يخيل اليك ان الرجل ذو أمانة وهو

رواه مسلم وعنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا ان الامانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة وحدثنا عن رفعها قال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا

فى ذلك بمثابة نقطة تراها منتفطة مرتفعة كبيرة لا طائل تحتها وفى الفائق الفرق بين الوكت والمجل ان الوكت النقطة فى الشئ من غير لونه والمجل غلظ الجلد من العمل لا غير ويدل عليه قوله فتراه منتبرا (وليس فيه شئ) أى صالح بل ماء فاسد وفى شرح مسلم قال صاحب التحرير معنى الحديث أن الامانة تزول عن القلوب شيأ فشيأ فاذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت وهو اعتراض لون مخالف للون الذى قبله فاذا زال شئ آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول الا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التى قبلها ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه فى القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة اياه بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى النفط واخاذ كرنفط ولم يقل نفطت اعتبارا بالعضو انتهى وقال شارح من علمائنا يريد ان الامانة ترفع عن القلوب عقوبة لاصحابها على ما اجترحوا من الذنوب حتى اذا استيقظوا من منامهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه ويبقى فيه أثر تارة مثل الوكت وتارة مثل المجل وهو انتفاط اليد من العمل والمجل وان كان مصدرا الا ان المراد به ههنا نفس النفطة وهذا أقل من المرة الاولى لانه شبهها بالمجوف بخلاف المرة الاولى أراد به خلو القلب عن الامانة مع بقاء أثرها من طريق الحساب (ويصبح الناس) أى يدخلون فى الصباح أو يصيرون (يتبايعون) أى يجرى بينهم التبايع ويقع عندهم التعاهد (ولا يكاد أحد يؤدى الامانة) بل يظهر من كل أحد منهم الخيانة فى المبايعة والمواعدة والمعاهدة ومن المعلوم ان حفظ الامانة أثر كمال الايمان فاذا نقص الامانة نقص الايمان وبطل الايقان وزال الاحسان (فيقال) أى من غاية قلة الامانة فى الناس (ان فى بنى فلان رجلا أمينا) أى كامل الايمان وكامل الامانة (ويقال) أى فى ذلك الزمان (للرجل) أى من أرباب الدنيا ممن له عقل فى تحصيل المال والجاه وطبع فى الشعر والنثر وفصاحة وبلاغة وصباحة وقوة بدنية وشجاعة وشوكة (ما أعقله وما أظرفه وما أجلده) تعجبا من كماله واستغرابا من مقاله واستبعادا من جماله وحاصله انهم يمدحونه بكثرة العقل والظرافة والجلادة ويتعجبون منه ولا يمدحون أحدا بكثرة العلم النافع والعمل الصالح (وما فى قلبه) حال من الرجل والحال انه ليس فى قلبه (مثقال حبة) أى مقدار شئ قليل (من خردل) من بيانية لحبة أى هى خردل (من ايمان) أى كائنا منه وهو يحتمل ان يكون المراد منه نفى أصل الايمان أو كماله والله تعالى أعلم قال الطيبى رحمه الله لعله انما حملهم على تفسير الامانة فى قوله ان الامانة نزلت بالايمان لقوله آخرا وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فهلا حملوها على حقيقتها لقوله ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدى الامانة فيكون وضع الايمان آخرا موضعها تفخيما لشأنها وحثا على أدائها قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا دين لمن لا أمانة له قلت انما حملهم عليه ما ذكر آخرا وما صدر أولا من قوله نزلت فى جذر قلوب الرجال فان نزول الامانة بمعنى الايمان هو المناسب لاصل قلوب المؤمنين ثم يعلمون ايقانه وايقانهم بتتبع الكتاب والسنة وأما الامانة فهى جزئية من كلية ما يتعلق بالايمان والقرآن والله سبحانه وتعالى أعلم (متفق عليه وعنه) أى عن حذيفة رضى الله تعالى عنه (قال كان الناس) أى أكثرهم (يسألون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الخير) أى عن الطاعة ليمتثلوها أو عن السعة والرخاء ليفرحوا به ويستعينوا بالدنيا على الاخرى (وكنت أسأله عن الشر) أى عن المعصية أو الفتنة المترتبة على التوسعة (مخافة ان يدركنى) أى خشية أن يلحقنى الشر نفسه أو بسببه وهذا الطريق هو مختار الحكماء وكثير من الفضلاء ان رعاية الاحتماء أولى فى دفع الداء من استعمال الدواء وان التخلية مقدمة على التحلية وفى كلمة التوحيد اشارة الى ذلك حيث نفى السوى ثم أثبت المولى بل مدار جل معرفة الله سبحانه على النعوت التنزيهية كقوله تعالى جل جلاله ليس كمثله شئ دون الصفات الثبوتية لظهور وجودها فى خالق الاشياء بالضرورة العقلية قال الطيبى رحمه الله تعالى المراد بالشر الفتنة ووهن عرى الاسلام واستيلاء الضلالة وفشو البدعة والخير عكسه يدل عليه ما نقله الراوى عنه (قال قلت يا رسول الله انا كنا فى جاهلية) أى أيام غلب فيها الجهل

وليس فيه شئ ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحد يؤدى الامانة فيقال ان فى بنى فلان رجلا أمينا ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان متفق عليه وعنه قال كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة ان يدركنى قال قلت يا رسول الله انا كنا فى جاهلية

بالتوحيد والنبوة وما يتبعهما من سائر أحكام الشريعة فقوله (وشر) عطف تفسيري أو المعنى به الكفر فهو تخصيص بعد تعميم (فجاءنا الله بهذا الخير) أي الخير العظيم وهو الاسلام ببركة بعثتك ومفهومه انه ذهب بالشر عنا بهدم قواعد الكفر والضلال ولعله حذف وجعل من باب الاكتفاء لاستوائهما ضدان لا يجتمعان (فهل بعد هذا الخير) أي الثابت (من شر) أي من حدوث بعض شر (قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن) بفتحتين أي كدورة الى سواد والمراد ان لا يكون خيرا صفوا بحتا بل يكون مشوبا بكدورة وظلمة (قلت وما دخنه قال قوم يستنون) بتشديد النون الاولى أي يعتقدون (بغير سنتي ويهدون) أي يدلون الناس (بغير هديي) أي بغير طريقتي ويتخذون سيرة غير سيرتي (تعرف منهم وتنكر) قال المظهر أي ترى فيهم ما تعرف انه من ديني وترى أيضا ما تنكر انه ديني قال الاشرف يعرف منهم المنكر بان يصدر المنكر عنهم وتنكر هو خبر بمعنى الامر أي أنكر عليهم صدور المنكر عنهم قال الطيبي رحمه الله الوجه الاول راجع الى معنى قوله نعم وفيه دخن أي تعرف فيهم الخير فتقبل والشر فتنكر فهو من المقابلة المعنوية والوجه الثاني راجع الى معنى قوله يستنون بغير سنتي فالوجه ان يكون المعطوف والمعطوف عليه كلاهما في معنى الامر أي اعرف منهم ذلك وأنكر والخطاب في تعرف وتنكر من الخطاب العام أقول وفيه نظر لا يخفى اذ ليس كل أحد له قابلية معرفة المعروف وانكار المنكر فالخطاب خاص لحذيفة وأمثاله من أهل العلم والديانة قيل المراد بالشر الاول الفتن التي وقعت عند قتل عثمان رضي الله تعالى عنه وما بعده وبالخير الثاني ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وبالذين تعرف منهم وتنكر الامراء بعده فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل ومنهم من يدعو الى البدعة ويعمل بالجور أو ومنهم من يعمل بالمعروف تارة ويعمل بالمنكر أخرى بحسب ما يقع لهم من تتبع الهوى وتحصيل غرضهم من أمور الدنيا الاانهم يريدون تحري الاحرى ورعاية الدار الاخرى كما عليه بعض أمراء زماننا وقيل المراد من الشر الاول فتنة عثمان رضي الله عنه وما بعده وبالخير الثاني ما وقع من صلح الحسن مع معاوية والاجماع عليه وبالدخن ما كان في زمنه من بعض الامراء كزياد بالعراق وخلاف من خالف عليه من الخوارج (قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة) جمع داع (على أبواب جهنم) قال الاشرف أي جماعة يدعون الناس الى الضلالة ويصدونهم عن الهدى بانواع من التلبيس ومن الخير الى الشر ومن السنة الى البدعة ومن الزهد الى الرغبة جعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة الدعاة واجابة المدعوين سببا لادخالهم اياهم في جهنم ودخولهم فيها وجعل كل نوع من أنواع التلبيس بمنزلة باب من أبواب جهنم (من أجابهم) أي الدعاة (اليها) أي الى جهنم يعني الى الضلالة المؤدية اليها (قذفوه فيها) أي رموه وصار واسبا لقذفه في جهنم قيل المراد بالدعاة من قام في طلب الملك من الخوارج والروافض وغيرهما ممن لم يوجد فيهم شروط الامارة والامامة والولاية وجعلوا دعاة على أبواب جهنم باعتبار المآل نحو قوله تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وقيل هو كقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فكأنهم كائنون على أبواب جهنم داعين الناس الى الدخول في ضيافتهم أولان المباشر بسبب شئ فكأنه واقع به داخل فيه (قلت يا رسول الله صفهم لنا) أي انهم منا أو من غيرنا (قال هم من جلدتنا) أي من أنفسنا وعشيرتنا كذا في النهاية وقيل معناه من أهل ملتنا ذكره الاشرف وهو الالطف وقيل من أبناء جنسنا وفيه ان الجلدة أخص من الجلد وجلد الشئ ظاهره وهو في الاصل غشاء البدن (ويتكلمون بألسنتنا) أي بالعربية أو بالمواعظ والحكم أو بما قال الله وقال رسوله وما في قلوبهم شئ من الخير يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم (قلت فما تأمرني) أي ان أعمل به فيهم (ان أدركني ذلك) أي ذلك الزمان (قال تلزم جماعة المسلمين) أي طريقتهم وحضور جمعتهم وجماعتهم (وامامهم) أي ورعاية امامهم ومتابعتهم ومساعدتهم (قلت فان لم يكن لهم جماعة) أي متفقة (ولا امام) أي أمير يجتمعون عليه وهو يحتمل فقدهما أو فقد أحدهما

وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت فما تأمرني ان أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وامامهم قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام قال

(قال فاعتزل تلك الفرق كلها) أى الفرق الضالة الواقعة على خلاف الجادة من طريق أهل السنة والجماعة (ولو أن تعض بأصل شجرة) أى ولو كان الاعتزال بالعض وأن مصدرية وتعض منصوب فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة وقيل ان مخففة من المثقلة قال التوربشتى رحمه الله أى تمسك بما يصبرك و تقوى به على اعتزالك ولو بما لا يكاد يصح ان يكون متمسكا قال الطيبى رحمه الله هذا شرط يعقب به الكلام تتميما ومبالغة أى اعتزل الناس اعتزالا لا غاية بعده ولو قنعت فيه بعض أصل الشجر افعل فانه خير لك (حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) أى على ما ذكرت من الاعتزال أو العض أو الخير (متفق عليه وفى رواية لمسلم) قال ميرك أخرج مسلم هذه الرواية عقب الحديث المتقدم من حديث أبى سلام عن حذيفة وذكر الدارقطنى ان أبا سلام لم يسمع من حذيفة ولا قال فيه قال حذيفة فيكون الحديث منقطعا وقال بعض الحفاظ انما لم يخرج البخارى لابى سلام شيأ فى صحيحه لان رواياته مرسلة اه وأبو سلام اسمه ممطور الاسود الحبشى وقال النووى رحمه الله ما قاله الدارقطنى صحيح ولكن المتن صحيح بالطريق الاول وانما أتى مسلم بها متابعة فان المرسل اذا أتى من طريق آخر تبين به صحة المرسل وجاز به الاحتجاج ويصير فى المسئلة حديثان صحيحان والله تعالى أعلم أقول هذا الاشكال انما هو على قول الشافعى ومن تبعه من أن المرسل ليس بحجة وأما على قول الجمهور بانه حجة ومنهم ابو حنيفة رحمه الله عنه فلا شبهة فيه (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يكون بعدى أئمة) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها وابدالها جمع امام على ان أصله أئمة على وزن أفعلة أى جماعة يطلق عليهم الائمة (لا يهتدون بهداى) أى من حيث العلم (ولا يستنون بسنتى) أى من حيث العمل والمعنى انهم لا يأخذون بالكتاب والسنة (وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين) أى كقلوبهم فى الظلمة والقساوة والوسوسة والتلبيس والآراء الكاسدة والاهواء الفاسدة (فى جثمان انس) بضم الجيم أى فى جسده والمراد به جنس الانس فيطابق الجمع السابق (قال حذيفة قلت كيف أصنع يا رسول الله ان أدركت ذلك) أى ذلك الوقت أو ما ذكر من أهل ذلك الزمان (قال تسمع) أى ما يأمرك الامير خبر بمعنى الامر وكذا قوله (وتطيع) فيما لا معصية فيه (الامير) مفعول تنازع فيه الفعلان (وان ضرب ظهرك) بصيغة المجهول أى ولو ضربت (وأخذ مالك) وفى نسخة بصيغة المعلوم فيهما ففيهما ضمير للامير والاسناد حقيقى أو مجازى وتخصيص الظهر لبيان الواقع غالبا وقوله (فاسمع وأطع) جزاء الشرط أتى لمزيد تقرير واهتمام تحرير بشأنه وا فيما قبل الشرط أغنى عنه قال ابن الملك الا اذا أمرك باثم فلا تطعه لكن لا تقاتل بل فر منه (وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بادروا) أى سابقوا وسارعوا (بالاعمال) أى بالاشتغال بالاعمال الصالحة (فتنا) أى وقوع فتن (كقطع الليل المظلم) بكسر القاف وفتح الطاء جمع قطعة والمعنى كقطع من الليل المظلم المفرط سوادها وظلمتها وعدم تبين الصلاح والفساد فيها وفيه ايماء الى ان أهل هذه الفتن ما قال تعالى فى حقهم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما وقد قرأ ابن كثير والكسائى فى الآية بسكون الطاء على ان المراد به جزء من الليل أو من سواده و يرادفه قطعة وحاصل المعنى تعجلوا بالاعمال الصالحة قبل مجىء الفتن المظلمة من القتل والنهب والاختلاف بين المسلمين فى أمر الدنيا والدين فانكم لا تطيقون الاعمال على وجه الكمال فيها والمراد من التشبيه بيان حال الفتن من حيث انه يشيع فظيع ولا يعرف سببها ولا طريق الخلاص منها فالمبادرة المسارعة بادراك الشىء قبل فواته أو بدفعه قبل وقوعه (يصبح الرجل مؤمنا) أى موصوفا بأصل الايمان أو بكماله (ويمسى كافرا) أى حقيقة أو كافرا للنعمة أو مشابها للكفرة أو عاملا عمل الكافر (ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا) وقيل المعنى يصبح محرما ما حرمه الله ويمسى مستحلا اياه وبالعكس وحاصله التذبذب فى أمر الدين والتتبع لامر الدنيا كما بينه بقوله (يبيع) أى الرجل أو أحدهم كما فى الجامع (دينه) أى بتركه (بعرض) بفتحتين أى بأخذ متاع دنىء وثمن ردىء (من الدنيا) زاد فى الجامع قليل بالجر على انه صفة عرض وقد روى ابن ماجه والطبرانى عن أبى أمامة مرفوعا ستكون فتن يصبح الرجل فيها

قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك متفق عليه وفى رواية لمسلم قال يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى ولا يستنون بسنتى وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان انس قال حذيفة قلت كيف أصنع يا رسول الله ان أدركت ذلك قال تسمع وتطيع الامير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا رواه مسلم

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به متفق عليه وفي رواية لمسلم قال تكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان واليقظان فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي فمن وجد ملجأ أو معاذا فليستعذ به وعن أبي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ستكون فتن ألا ثم تكون فتن

مؤمنا أو يمسي كافرا الا من أحياه الله بالعلم فقوله يصبح استئناف لبيان بعض الفتن في ذلك الزمن وقال الطيبي رحمه الله استئناف بيان لحال المشبه وهو قوله فتنا وقوله يبيع الخ بيان للبيان قال المظهر فيه وجوه أحدها ان يكون بين طائفتين من المسلمين قتال لمجرد العصبية والغضب فيستحلون الدم والمال وثانيها أن يكون ولاة المسلمين ظلمة فيريقون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم بغير حق ويزنون ويشربون الخمر فيعتقد بعض الناس انهم على الحق ويفتيهم بعض علماء السوء على جواز ما يفعلون من المحرمات من اراقة الدماء وأخذ الاموال ونحوها وثالثها ما يجري بين الناس مما يخالف الشرع في المعاملات والمبايعات وغيرها فيستحلونها والله تعالى أعلم (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي وروى البيهقي عن أبي أمامة مرفوعا بادروا بالاعمال هرما ناغضا وموتا خالسا ومرضا حابسا وتسويفا مبيسا وروى الترمذي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعا بادروا بالاعمال سبعا ما تنتظرون الا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فانه شر منتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر وروى الطبراني عن عابس الغفاري مرفوعا بادروا بالاعمال ستا امارة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافا بالدم وقطيعة الرحم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم وان كان أقلهم فقها (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن) أي عظيمة أو كثيرة متعاقبة متوالية أو متراخية (القاعد فيها) أي في تلك الفتن (خير من القائم) لانه يرى ويسمع ما لا يراه ولا يسمعه القاعد فيكون أقرب من عذاب تلك الفتنة بمشاهدته ما لا يشاهده القاعد ويمكن ان يكون المراد بالقاعد هو الثابت في مكانه غير متحرك لما يقع من الفتنة في زمانه والمراد بالقائم ما يكون فيه نوع باعث وداعية لكنه متردد في اثارة الفتنة (والقائم فيها) أي من بعيد متشرف عليها أو القائم بمكانه في تلك الحالة (خير من الماشي) أي من الذاهب على رجله اليها (والماشي فيها) أي اليها أو فيما بينها (خير من الساعي) أي من المسرع اليها ماشيا أو راكبا (من تشرف لها) بتشديد الراء أي من تطلع اليها (تستشرفه) بالجزم ويرفع أي تطلبه وتجذبه اليها قال التوربشتي رحمه الله أي من تطلع لها دعته الى الوقوع فيها والتشرف التطلع واستعير هنا للاصابة بشرها أو أريد به انها تدعوه الى زيادة النظر اليها وقيل انه من استشرفت الشيء أي علوته يريد من انتصب لها انتصبت له وصرعته وقيل هو من المخاطرة والاشفاء على الهلاك أي من خاطر بنفسه فيها أهلكته قال الطيبي رحمه الله ولعل الوجه الثالث أولى لما يظهر منه معنى اللام في لها وعليه كلام الفائق وهو قوله أي من غالبها غلبته قلت ولعل الوجه الاول أولى لما فيه من رعاية المعنى المفهوم منه المبالغة المفيدة للاحتراس واختيار الاحرى النافع في الدنيا والاخرى قال شارح تشرف واستشرف أي صعد شرفا أي مرتفعا لينظر الى شيء هذا هو الاصل ثم استعمل في النظر الى أي شيء في أي مكان كان يعني من قرب من تلك الفتن ونظر اليها نظرت اليه الفتن (وتجره الى نفسها) فالخلاص في التباعد منها والهلاك في مقاربتها (فمن وجد ملجأ) أي مناصا ومفرا ومهربا (أو معاذا) بفتح الميم أي موضعا أو شخصا ملاذا يتخلص بالذهاب اليه وبالعياذ به من الفتن (فليعذ) بضم العين أي فليستعذ (به) أي بالمعاذ أو بما ذكر من الملجأ والمعاذ أي فليعتزل اليهما (متفق عليه) ورواه أحمد (وفي رواية لمسلم رحمه الله قال تكون فتنة) أي عظيمة (النائم فيها خير من اليقظان) بسكون القاف أي المتنبه لعدم شعور النائم عنها وفي معناه الغافل ولو كان يقظان فالمراد باليقظان هو العالم بالفتنة سواء كان مضطجعا أو قاعدا أو قائما (واليقظان) أي مضطجعا أو جالسا (خير من القائم) أي لتطلعه واشرافه أو لان فيه نوع حركة (والقائم فيها) أي لتوقفه في مكانه (خير من الساعي) أي مشيا أو ركوبا اليها (فمن وجد ملجأ أو معاذا فليستعذ به) وفي الجامع روى الحاكم عن خالد بن عرفطة ستكون احداث وفتنة وفرقة واختلاف فان استطعت ان تكون المقتول لا القاتل فافعل (وعن أبي بكرة) أي الثقفي (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انها) أي القصة (ستكون) أي ستوجد وتحدث

وقع (ثم ألا) للتنبيه (ثم تكون فتنة) أى عظيمة وفى بعض النسخ المصححة ألا ثم تكون فتن بصيغة الجمع ثم بعده ألا ثم تكون فتنة بصيغة الوحدة قال الطيبى رحمه الله فيه ثلاث مبالغات أقحم حرف التنبيه بين المعطوف والمعطوف عليه لمزيد التنبه لها وعطف بثم التراخى مرتبة هذه الفتنة الخاصة تنبيها على عظمها وهولها على انه من عطف الخاص على العام لاختصاصها بما يفارقها من سائر أشكالها وانها كالداهية الدهياء نسأل الله العافية منها بفضله وعميم طوله (القاعد فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى اليها) اى يجعلها غاية سعيه ومنتهى غرضه لا يرى مطلبا غيرها ولام الغرض والى الغاية متقاربان معنى فحينئذ يستقيم التدرج والترقى من الماشى فيها الى الساعى اليها (ألا) للتنبيه زيادة للتأكيد (فاذا وقعت) أى الفتن أو تلك الفتنة (فمن كان له ابل) أى فى البرية (فليلحق بابله ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض) أى عقار أو مزرعة بعيدة عن الخلق (فليلحق بأرضه) فان الاعتزال والاشتغال بخويصة الحال حينئذ واجب لوقوع عموم الفتنة العمياء بين الرجال كما قال الشاعر ان السلامة من ليلى وجارتها * ان لا تمر على حال بواديها (فقال رجل يارسول الله أرأيت) أى أخبرنى (من لم تكن له ابل ولا غنم ولا أرض) أى فاين يذهب أو كيف يفعل (قال يعمد) بكسر الميم أى يقصد (الى سيفه) أى ان كان له (فيدق على حده) أى فيضرب على جانب سيفه الحاد (بحجر) والمعنى فليكسر سلاحه كيلا يذهب به الى الحرب لان تلك الحروب بين المسلمين فلا يجوز حضورها (ثم لينج) بكسر اللام ويسكن وبفتح الباء وسكون النون وضم الجيم أى ليفر ويسرع هربا حتى لا تصيبه الفتن (ان استطاع النجاء) بفتح النون والمد أى الاسراع قال الطيبى رحمه الله قوله يعمد الخ عبارة عن تجرده تجردا تاما كأنه قيل من لم يكن له ما يشتغل به من مهامه فلينج برأسه اه والظاهر انه حمل قوله فلينج على انه أمر من النجاة وليس كذلك كما يدل عليه قوله ان استطاع النجاء حيث لم يقل ان استطاع النجاة اللهم الا ان يراد به حاصل المعنى مع قطع النظر عن المادة والمبنى والله تعالى أعلم (اللهم) أى قال صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذكر هذه الفتن والتحذير عن الوقوع فى محن ذلك الزمن اللهم أى يا الله (هل بلغت) أى قد بلغت الى عبادك ما أمرتنى به ان أبلغه اياهم (ثلاثا) مصدر للفعل المقدر أى قاله ثلاث مرات (فقال رجل يارسول الله أرأيت) أى أخبرنى (ان أكرهت) أى أخذت بالكره وأجبرت (حتى ينطلق) بصيغة المجهول أى يذهب (بى الى أحد الصفين) أى صفى المتخاصمين (فضربنى رجل بسيفه أو) للتنويع (يجىء سهم) بصيغة المضارع عطفا على الماضى (فيقتلنى) الظاهر أنه تفريع على الاخير والاسناد مجازى ويحتمل ان يشتمل أيضا على الاول فتأمل والمعنى فما حكم القاتل والمقتول (قال يبوء) أى يرجع القاتل وقيل المكره (باثمه) أى بعقوبة ما فعله من قبل عموما (واثمك) أى وبعقوبة قتله اياك خصوصا أو المراد باثمه قصده القتل وباثمك لو مددت يدك اليه أو المراد باثمك سيآتك التى فعلتها بان توضع فى رقبة القاتل بعد فقد حسناته على ما ورد (ويكون) أى هو (من أصحاب النار) قال تعالى وذلك جزاء الظالمين وانما لم يقل وأنت من أصحاب الجنة وان كان هذا هو المفهوم منه وترك للاكتفاء احتياطا لتبادر الفهم الى الخطاب المعين لا المفروض المقدر المراد به الخطاب العام على طريق الابهام ثم الحكم مقتبس من قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق الخ وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم كن خير ابنى آدم وفى رواية كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل قال الطيبى رحمه الله قوله يبوء الخ فيه وجهان أحدهما ما أراد بمثل اثمك على الاتساع أى يرجع باثمه ومثل اثمك المقدر لو قتلته وثانيهما ما أراد بمثل قتلك على حذف المضاف واثمه السابق على القتل (رواه مسلم وعن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوشك) أى يقرب (ان يكون خير مال المسلم) بالنصب (غنم) أى قطعة من الغنم قال الطيبى رحمه الله غنم نكرة موصوفة وهو اسم يكون والخبر قوله خير مال معرف فلا يجوز اللهم الا ان يراد بالمسلم الجنس فلا يعتبر فيه حينئذ وفائدة التقديم ان المطلوب حينئذ الاعتزال وتحرى الخير باى وجه كان

ألا ثم تكون فتنة القاعد خير من الماشى فيها والماشى فيها خير من الساعى اليها ألا فاذا وقعت فمن كان له ابل فليلحق بابله ومن كان له غنم فليلحق بغنمه ومن كانت له أرض فليلحق بارضه فقال رجل يارسول الله أرأيت من لم يكن له ابل ولا غنم ولا أرض قال يعمد الى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج ان استطاع النجاء اللهم هل بلغت ثلاثا فقال رجل يارسول الله أرأيت ان أكرهت حتى ينطلق بى الى أحد الصفين فضربنى رجل بسيفه أو يجىء سهم فيقتلنى قال يبوء باثمه واثمك ويكون من أصحاب النار رواه مسلم وعن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك ان يكون خير مال المسلم غنم

اه وقيل يجوز رفع شير وغنم على الابتداء والخبر وفي يكون ضمير الشأن كذا في المفاتيح (يتبع) بتشديد التاء وفي بعض النسخ بسكونها وفتح الموحدة أي يتتبع (بها) أي مع الغنم أو بسببها (شعف الجبال) بفتح الشين والعين أي رؤس الجبال أو أعاليها واحدها شعفة (ومواقع القطر) بفتح فسكون أي مواضع المطر وآثاره من النبات وأوراق الشجر يريد بها المرعى من الصحراء والجبال فهو تعميم بعد تخصيص وفي تقديم شعف الجبال اشعار بالمبالغة في فضيلة الاعتزال عن الخلق في تلك الحال (يفر بدينه) أي بسبب حفظه من الفتن أي المحن الدينية أو يهرب (من الفتن) الدنيوية مصحوبا بدينه ليتخلص باقامته هنالك عنها (رواه البخاري وعن اسامة بن زيد) صحابيان (قال أشرف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي اطلع (على أطم) بضمتين أي شاهق جبل أو حصن أو بناء مرتفع (من آطام المدينة) بمد أوله جمع الاطم (فقال هل ترون ما أرى) أي من الاشياء الظاهرة منه المرتفعة عنه (قالوا لا قال فاني لارى الفتن تقع) أي منه (خلال بيوتكم) أي وسطها (كوقع المطر) والمعنى ان الله تعالى أرى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم حين رأى ذلك الاطم أو حين صعده اقتراب الفتن ليخبر بها أمته فيكونوا على حذر ويعرفوا أنها من قدر ويعدوا معرفتها من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم قال الطيبي رحمه الله قوله تقع يحتمل ان يكون مفعولا ثانيا والاقرب الى الذوق ان يكون حالا والرؤية بمعنى النظر أي كشف لي فابصرها عيانا (متفق عليه) وفي الجامع برواية أحمد والشيخين عن اسامة بلفظ هل ترى ما أرى اني لارى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلكة أمتي) بفتح الهاء واللام أي هلاكهم والمراد بالامة هنا الصحابة لانهم خيار الامة وأكابر الائمة (على يدي) تثنية مضافة الى (غلمة من قريش) بكسر الغين جمع غلام أي على أيدي الشبان الذين ما وصلوا الى مرتبة كمال العقل والاحداث السن الذين لا مبالاة لهم باصحاب الوقار وأرباب النهى والظاهر ان المراد ما وقع بين عثمان رضي الله تعالى عنه وقتلته وبين علي والحسن رضي الله تعالى عنهما ومن قاتلهم وقال المظهر لعله أريد بهم الذين كانوا بعد الخلفاء الراشدين مثل يزيد وعبد الملك بن مروان وغيرهما (رواه البخاري) ولفظ الجامع هلاك أمتي على يدي غلمة من قريش رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتقارب الزمان) أي زمان الدنيا وزمان الآخرة فيكون المراد اقتراب الساعة قال التوربشتي رحمه الله يريد به اقتراب الساعة ويحتمل انه أراد بذلك تقارب أهل الزمان بعضهم من بعض في الشر أو تقارب الزمان نفسه في الشر حتى يشبه أوله آخره وقيل بقصر أعمار أهله اه ويحتمل ان يكون كناية عن قلة بركة الزمان من كثرة العصيان وقال القاضي يحتمل ان يكون المراد به أن يتسارع الدول الى الانقضاء والقرون الى الانقراض فيتقارب زمانهم ويتدانى ايامهم (ويقبض العلم) أي في ذلك الزمان بقبض العلماء الاعيان (وتظهر الفتن) أي ويترتب عليها المحن (ويلقى الشح) في قلوب أهله أي على اختلاف أحوالهم حتى يبخل العالم بعلمه والصانع بصنعته والغني بماله وليس المراد وجود أصل الشح لانه موجود في جبلة الانسان الا من حفظه الله ولذا قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون (ويكثر الهرج) بفتح الهاء وسكون الراء وبالجيم (قالوا وما الهرج قال القتل) في القاموس هرج الناس وقعوا في فتنة واختلاط وقتل اه فعلم ان المراد بالهرج قتل خاص وهو الممزوج بالفتنة والاختلاط فاللام فيه للعهد (متفق عليه وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا) أي جميعها (حتى يأتي على الناس يوم) أي يوم عظيم فيه شر جسيم (لا يدري القاتل فيم قتل) أي المقتول هل يجوز قتله أم لا (ولا المقتول) أي نفسه وأهله (فيم قتل) هل بسبب شرعي أو بغيره كما كثر النوعان في زماننا (قيل كيف يكون ذلك) أي ما سبب وقوع القتل بحيث لا يعرف القاتل ولا المقتول بسببه (قال الهرج) أي الفتنة والاختلاط الكثيرة الموجبة للقتل المجهول والمعنى سببه فوران الهرج بالكثرة

يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن رواه البخاري وعن أسامة بن زيد قال أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على اطم من آطام المدينة فقال هل ترون ما أرى قالوا لا قال فاني لارى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر متفق عليه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش رواه البخاري وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقارب الزمان ويقبض العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل فقيل كيف يكون ذلك قال الهرج

وهيجانه بالشدة (القاتل والمقتول في النار) أما القاتل فلقتله مسلما وأما المقتول فلأنه كان حريصا على قتل مسلم أيضا ولم يجد الفرصة قال النووي رحمه الله أما القاتل فظاهر وأما المقتول فانه اراد قتل صاحبه وفيه دلالة للمذهب الصحيح المشهور أن من نوى المعصية وأصر على النية يكون آثما وان لم يفعلها ولم يتكلم بها (رواه مسلم وعن معقل بن يسار) هو ممن بايع تحت الشجرة مزني سكن البصرة واليها ينسب مات زمن ابن زياد وقيل زمن معاوية (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العبادة) أي ثوابها مع الاستقامة والاستدامة عليها (في الهرج) أي زمن الفتنة ووقت المحاربة بين المسلمين (كهجرة الي) أي قبل فتح مكة ومن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ونظيره ما ورد ذاكر الله في الغافلين بمنزلة الصابر في الفارين (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي وابن ماجه (وعن الزبير بن عدي) قال المؤلف همداني بسكون الميم كوفي كان قاضي الري وهو تابعي سمع أنس بن مالك روى عنه الثوري وغيره (قال أتينا أنس بن مالك فشكونا اليه ما نلقى من الحجاج) بفتح الحاء أي من ظلمه وهو حجاج بن يوسف روي انه قتل مائة وعشرين ألفا سوى ما قتل في حروبه (فقال اصبروا فانه لا يأتي عليكم زمان الا الذي بعده أشر منه) أي غالبا ومن وجه دون وجه (حتى تلقوا ربكم) قال القاضي رحمه الله أخير وأشر أصلان متروكان لا يكاد يستعملان الا نادرا وانما المتعارف في التفضيل خير وشر وفي القاموس هو شر منه وأشر منه قليلة أو رديئة وفيه أيضا هو أخير منك كخير اه وفيه تنبيه على ان استعمال أخير خير من استعمال أشر ولعل السبب فيه ان خير يستعمل للتفضيل وغيره فيكون أخير نصا في المقصود بخلاف شر وانما يبالغ فيه باتيان الهمز والله سبحانه وتعالى أعلم (سمعته) أي قوله اصبروا الخ والاظهر لما سيأتي انه لا يأتي عليكم الخ (من نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم) قيل هذا الاطلاق يشكل بزمن عمر بن عبد العزيز فانه بعد الحجاج بيسير وبزمن المهدي وعيسى عليه الصلاة والسلام وأجيب بانه محمول على الاكثر الاغلب وان المراد بالازمنة الفاضلة في السوء من زمن الحجاج الى زمن الدجال وأما زمان عيسى عليه الصلاة والسلام فله حكم مستأنف وأقول الاظهر ان يقال ان زمن عيسى عليه الصلاة والسلام مستثنى شرعا من الكلام وأما بقية الازمنة فيمكن ان تكون الاشرية فيها موجودة من حيثية دون حيثية وباعتبار دون آخر وفي موضع دون موضع وفي أمر دون أمر من علم وعمل وحال واستقامة وغيرها مما يطول تفصيلها وهذا من مقتضيات البعد البعدية عن زمان الحضرة النبوية فانها بمنزلة المشعل المنور للعالم فكلما أبعد عن قربه وقع في زيادة ظلام وحجبة وقد أدركت الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين مع كمال صفاء باطنهم التغير من أنفسهم بعد دفنه صلى الله تعالى عليه وسلم وحكى عن بعض المشايخ الكبار انى كنت في جامع شيراز مشغولا بوردي في ليل اذ هجم على الخاطر وأراد بالخروج من غير ظهور داع وباعث له فخرجت فاذا امرأة ملتصقة بجدار فخطر لي انها تريد بيتها وتخاف في طريقها من أهل الفساد فذكرت لها ذلك فأشارت الى بأن نعم فتقدمت عليها وقلت لها ما قال موسى عليه الصلاة والسلام لابنة شعيب ان اخطأت الطريق القويم ارمي بحجر ايدلني على الطريق المستقيم فاوصلتها الى بيتها ورجعت الى حزبي ولم يخطر لي حينئذ شيء من الخطرات النفسانية ثم بعد مدة من الازمنة المتأخرة عن تلك الحالة الروحانية هجس في النفس وتوسوس في الخاطر من الامور الشيطانية فتأملت انه هل باعث هذا التغير في مأكلي أو مشربي أو ملبسي أو في مقصدي لعبادتي وطاعتي أو حدوث حادث في صحبة أحبتي أو مخالطة ظالم وأمثال ذلك فما رأيت سببا لظهور هذه الظلمة الا البعد عن نور زمان الحضرة الموجب لحصول مثل هذه الخطرة (رواه البخاري) وفي الجامع عن أنس مرفوعا بلفظ لا يأتي عليكم عام ولا يوم الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم رواه أحمد والبخاري والنسائي وأخرج الطبراني عن أنس مرفوعا ما من عام الا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم وفي الكبير للطبراني عن أبي الدرداء مرفوعا ما من عام الا ينتقص الخير فيه ويزيد الشر قال الزركشي رحمه الله وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه قال ما من عام الا ويحدث الناس بدعة

القاتل والمقتول في النار رواه مسلم وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العبادة في الهرج كهجرة الي رواه مسلم وعن الزبير بن عدي قال أتينا أنس بن مالك فشكونا اليه ما نلقى من الحجاج فقال اصبروا فانه لا يأتي عليكم زمان الا الذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم رواه البخاري

ويحيون شيئاً في أمات السنن وتحيا البدع فهذا الحديث صريح في أن المراد بالشر موت السنن واحياء البدع ولاشك في تحقق هذين الامرين في كل زمن من الملوين ويؤيده ما في البخاري عن أنس مرفوعا لا يأتي على الناس زمان الا الذي بعده شر منه وأما ما اشتهر على الالسنة العامة من حديث كل عام ترذلون فهو من كلام الحسن البصري رحمه الله في رسالته على ما ذكره الزركشي وغيره والله تعالى أعلم

(الفصل الثاني) (عن حذيفة قال والله ما أدري أنسي أصحابي) أي من الصحابة (أم تناسوا) أي أظهروا النسيان (والله ما ترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قائد فتنة) أي داعي ضلالة وباعث بدعة ومن زائدة لتأكيد الاستغراق في النفي (الى ان تنقضي الدنيا) أي الى انقضائها وانتهائها (يبلغ) صفة للقائد أي يصل (من معه) اي مقدار اتباعه (ثلثمائة فصاعدا) أي فزائدا عليه (الا قد سماه) أي ذكر ذلك القائد (لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته) والمعنى ما جعله متصفا بوصف الا بوصف تسميته الخ يعني وصفا واضحا مفصلا لا مبهما مجملا فالاستثناء متصل وقال الطيبي رحمه الله قوله الى أن تنقضي متعلق بمحذوف أي ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قائد فتنة الى أن تنقضي الدنيا مهملا لكن قد سماه فالاستثناء منقطع قال المظهر أراد بقائد الفتنة من يحدث بسببه بدعة أو ضلالة أو محاربة كعالم مبتدع يأمر الناس بالبدعة أو أمير جائر يحارب المسلمين (رواه أبو داود وعن ثوبان) هو مولى النبي صلى الله عليه وسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أخاف على أمتي الائمة المضلين) الائمة جمع امام وهو مقتدى القوم ورئيسهم ومن يدعوهم الى قول أو فعل أو اعتقاد (واذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم الى يوم القيامة) أي فان لم يكن في بلد يكون في بلد آخر (رواه أبو داود والترمذي وعن سفينة) هو أيضا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان سفينة لقب له واسمه مختلف فيه وان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر وهو معه فاعيا رجل فألقى عليه سيفه وترسه ورمحه فحمل شيأ كثيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت سفينة روى عنه بنوه عبد الرحمن ومحمد وزياد وكثير (قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة) أي الحقة أو المرضية لله ورسوله أو الكاملة أو المتصلة (ثلاثون سنة ثم تكون) أي تنقلب الخلافة وترجع (ملكا) بضم الميم أي سلطنة وغلبة على أهل الحق قال في شرح العقائد وهذا مشكل لان أهل الحل والعقد كانوا متفقين على خلافة الخلفاء العباسية وبعض المروانية كعمر بن عبد العزيز ولعل المراد أن الخلافة الكاملة التي لا يشوبها شيء من المخالفة وميل عن المتابعة تكون ثلاثين سنة وبعدها قد تكون وقد لا تكون اه واعلم أن المروانية أولهم يزيد بن معاوية ثم ابنه معاوية بن يزيد ثم عبد الملك ثم هشام ابن عبد الملك ثم الوليد ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم الوليد بن يزيد ثم يزيد بن الوليد ثم مروان بن محمد ثم خرجت منهم الخلافة الى بني العباس هذا وفي شرح السنة يعني أن الخلافة حق الخلافة انما هي للذين صدقوا هذا الاسم باعمالهم وتمسكوا بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من بعده فاذا خالفوا السنة وبدلوا السيرة فهم حينئذ ملوك وان كان أساميهم خلفاء ولا بأس أن يسمى القائم بامور المسلمين أمير المؤمنين وان كان مخالفا لبعض سير أئمة العدل لقيامه بامر المؤمنين ويسمى خليفة لانه خلف الماضي قبله وقام مقامه ولا يسمى أحد خليفة الله بعد آدم وداود عليهما الصلاة والسلام قلت ولاشك ان نبينا صلى الله عليه وسلم خليفته في خليقته بل ويدل اطلاقها على غيره صلى الله عليه وسلم أيضا ما سيأتي من قوله صلى الله عليه وسلم فان كان لله في الارض خليفة الحديث قال وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يا خليفة الله فقال ويحك لقد تناولت متناولا ان أمي سمتني عمر فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت ثم وليتموني أموركم فسميتموني أمير المؤمنين فلو دعوتني بذلك كفاك أي في رعاية الادب وقصد التعظيم فهذا منه تواضع مع الخلق وتمسكن مع الخالق فليس فيه دلالة على أن مثله لا يقال له خليفة الله والله تعالى أعلم (ثم يقول سفينة) أي للراوي أو المراد به خطاب العام (أمسك) أي عد مدة الخلافة قال الطيبي رحمه الله لعل الوجه أن يقال امسك أي اضبط الحساب عاقدا

(الفصل الثاني) عن حذيفة قال والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته رواه أبو داود وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أخاف على أمتي الائمة المضلين واذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم الى يوم القيامة رواه أبو داود والترمذي وعن سفينة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم يقول سفينة أمسك

أصابعك حتى يكون اسمك محمولا على أصله اهـ وخلاصة المعنى احسب واحفظ (خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشرة) أي أعوام (وعثمان) أي خلافته (اثنتي عشرة سنة) وفي نسخة اثني عشر أي عاما (وعلي) أي وخلافة علي (ستة) أي ستة أعوام فعلي خاتم الخلفاء كالنبي خاتم الانبياء والمهدي خاتم الاولياء (رواه أحمد والترمذي وأبو داود) وكذا النسائي ذكره السيد جمال الدين وفي الجامع الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة وروى البخاري في تاريخه والحاكم عن أبي هريرة الخلافة بالمدينة والملك بالشام ففيه تنبيه على ان الخلافة الحقيقية ما توجد في مكان صاحب النبوة على اتفاق جمهور الصحابة من أهل الحل والعقد وانه لا عبرة في الحقيقة باهل الحل والعقد في غير ذلك المكان ومن أمثال غير ذلك الزمان وانما ينعقد بطريق التسلط التي تسمى ملكا للضرورة الداعية الى نظام حال العامة ولئلا يؤدي الى الفتنة الطامة والله تعالى أعلم (وعن حذيفة قال قلت يارسول الله أيكون بعد هذا الخير) أي الاسلام والنظام التام المشار اليه بقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم والمعنى أيوجد ويحدث بعد وجود هذا الخير (شركما كان قبله) أي قبل الخير من الاسلام وهو زمن الجاهلية (شر قال نعم) أي لان ما وراء كل كمال زوال الا كمال ذي الجلال والجمال (قلت فما العصمة) أي فما الطريق النجاة من الثبات على الخير والمحافظة عن الوقوع في ذلك الشر (قال السيف) أي تحصل العصمة باستعمال السيف أو طريقها أن تضربهم بالسيف قال قتادة المراد بهذه الطائفة هم الذين ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في زمن خلافة الصديق رضي الله عنه كذا ذكره الشراح ويمكن أن يشمل ما وقع من معاوية مع علي رضي الله عنهما فان الحق كان مع علي وان العصمة كانت بالمقاتلة مع معاوية كما يدل عليه حديث عمار تقتلك الفئة الباغية وقد قال تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله (قلت وهل بعد السيف بقية) أي من الشر أو من الخير قال شارح أي هل يبقى الاسلام بعد محاربتنا اياهم (قال نعم تكون امارة) بكسر الهمزة أي ولاية وسلطنة (على اقذاء) في النهاية الاقذاء جمع قذى والقذى جمع قذاة وهي ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك أراد أن اجتماعهم يكون على فساد في قلوبهم فشبهه بقذى العين ونحوها قال القاضي رحمه الله أي امارة مشوبة بشيء من البدع وارتكاب المناهي (وهدنة) بضم الهاء أي صلح (على دخن) بفتحتين أي مع خداع ونفاق وخيانة وفي الفائق هدن أي سكن ضربه مثلا لما بينهم من الفساد الباطن تحت الصلاح الظاهر اهـ ويمكن أن يكون المعنى ثم يكون اجتماع الناس على من جعل أميرا بكراهية نفس لا بطيب قلب يقال فعلت كذا وفي العين قذى أي فعلته على كراهة واغماض عين كما أن العين التي يقع فيها القذى ظاهرها صحيح وباطنها مريض وأصل الدخن هو الكدورة واللون الذي يضرب الى السواد فيكون فيه اشعار الى أنه صلاح مشوب بالفساد فيكون اشارة الى صلح الحسن مع معاوية وتفويض الملك اليه واستقرار أمر الامارة عليه وبه يظهر أن معاوية بصلح الحسن لم يصر خليفة خلافا لمن توهم خلاف ذلك والله تعالى أعلم (قلت ثم ماذا) أي ماذا يكون (قال ثم تنشأ) أي تظهر (دعاة الضلال) أي جماعة يدعون الناس الى البدع أو المعاصي (فان كان لله في الارض خليفة) أي موجودا فيها ولو من صفته انه (جلد ظهرك) أي ضربك بالباطل (وأخذ مالك) أي بالغصب أو مالك من المنصب النصيب بالتعدي (فاطعه) أي ولا تخالفه لئلا تثور فتنة (والا) أي وان لم يكن لله في الارض خليفة (فمت) أمر من مات يموت اشارة الى ما قيل موتوا قبل أن تموتوا وكأنه عبر عن الخمول والعزلة بالموت فان غالب لذة الحياة تكون بالشهرة والخلطة والجلوة (وأنت عاض) بتشديد الضاد والجملة حالية أي حال كونك آخذا بقوة وماسكا بشدة (على جذل شجرة) بكسر الجيم ويفتح أي أصلها قال القاضي أي فعليك بالعزلة والصبر على غصص الزمان والتحمل لمشاقه وشدائده وعض جذل الشجرة وهو أصلها كناية عن مكابدة الشدائد من قولهم فلان يعض بالحجارة لشدة الالم ويحتمل أن يكون المراد منه أن ينقطع عن الناس ويتبوأ أجمة ويلزمها الى أن يموت أو

خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشرة وعثمان اثنتي عشرة وعلي ستة رواه أحمد والترمذي وأبو داود وعن حذيفة قال قلت يارسول الله أيكون بعد هذا الخير شركما كان قبله شر قال نعم قلت فما العصمة قال السيف قلت وهل بعد السيف بقية قال نعم تكون امارة على اقذاء وهدنة على دخن قلت ثم ماذا قال ثم ينشأ دعاة الضلال فان كان لله في الارض خليفة جلد ظهرك وأخذ مالك فأطعه والا فمت وأنت عاض على جذل شجرة

ينقلب الامر من قولهم عض الرجل بصاحبه اذا لزمه ولصق به ومنه عضوا عليها بالنواجذ وقيل هذه الجملة قسيم قوله فأطعه ومعناه ان لم تعطه ادتك المخالفة الى ما لا تستطيع أن تصبر عليه ويدل على المعنى الاول قوله في الرواية الاخرى فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار فان مت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم قال الطيبي رحمه الله على الوجه الاول لفظه خبر ومعناه الامر وهو قسيم لقوله فان كان لله في الارض خليفة وعلى الثاني هو مسبب من قوله فأطعه هذا وفي نسخة مت بصيغة الخطاب من القيام بدل فمت قال السيد جمال الدين رحمه الله قم خبر بمعنى الامر (قلت ثم ماذا) أي من الفتن (قال ثم يخرج الدجال) أي زمن المهدي (بعد ذلك) أي بعد ما ذكر من وقوع أنواع الشرور والفتن (ومعه نهر) بسكون الهاء وفتحها أي نهر ماء (ونار) أي خندق نار قيل انهما على وجه التخييل من طريق السحر والسيمياء وقيل ماؤه في الحقيقة نار ونار ماء (فمن وقع في ناره) أي من خالفه حتى يلقيه في ناره وأضاف النار اليه ايماء الى أنه ليس بنار حقيقة بل سحر (وجب أجره) أي ثبت وتحقق أجر الواقع (وحط) أي ورفع ووضع (وزره) أي اثمه السابق (ومن وقع في نهره) أي حيث وافقه في أمره (وجب وزره) أي اللاحق (وحط أجره) أي بطل عمله السابق (قلت ثم ماذا قال ثم ينتج) بصيغة المجهول أي ثم يولد (المهر) بضم ميم وسكون هاء أي ولد الفرس قال التوربشتي رحمه الله ينتج من النتج لا من النتاج وهو الولادة ولا من الانتاج يقال نتجت الفرس أو الناقة على بناء ما لم يسم فاعله نتاجا ونتجها أهلها نتجا والانتاج اقتراب ولادها وقيل استبانة حملها (فلا يركب) بكسر الكاف من قولهم أركب المهر اذا حان وقت ركوبه وفي نسخة بفتح الكاف أي فلا يركب المهر لاجل الفتن أو لقرب الزمن (حتى تقوم الساعة) قيل المراد به زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فلا يركب المهر لعدم احتياج الناس فيه الى محاربة بعضهم بعضا والمراد أن بعد خروج الدجال لا يكون زمان طويل حتى تقوم الساعة أي يكون حينئذ قيام الساعة قريبا قدر زمان انتاج المهر واركابه وهذا هو الظاهر والله تعالى أعلم بالسرائر (وفي رواية) أي بدل تكون امارة على اقذاء الخ (قال هدنة على دخن) أي صلح مع كدورة وصفاء مع ظلمة (وجماعة على اقذاء) أي واجتماع على أهواء مختلفة أو عيوب مؤتلفة (قلت يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي قال لا ترجع قلوب أقوام) برفع قلوب وهو الاصح وبنصبه بناء على ان رجع لازم أو متعد أي لا تصير قلوب جماعات أو لا ترد الهدنة قلوبهم (على الذي) أي على الوجه الذي أو على الصفاء الذي (كانت) أي تلك القلوب (عليه) أي لا تكون قلوبهم صافية عن الحقد والبغض كما كانت صافية قبل ذلك (قلت بعد هذا) أي يقع بعد هذا (الخير شر قال فتنة) أي نعم يقع شر هو فتنة عظيمة وبلية جسيمة (عمياء) أي يعمى فيها الانسان عن أن يرى الحق (صماء) أي يصم أهلها عن أن يسمع فيها كلمة الحق أو النصيحة قال القاضي رحمه الله المراد بكونها عمياء صماء أن تكون بحيث لا يرى منها مخرجا ولا يوجد دونها مستغاثا أو ان يقع الناس فيها على غرة من غير بصيرة فيعمون فيها ويصمون عن تأمل قول الحق واستماع النصح أقول ويمكن أن يكون وصف الفتنة بهما كناية عن ظلمتها وعدم ظهور الحق فيها وعن شدة أمرها وصلابة أهلها وعدم التفات بعضهم الى بعض في المشاهدة والمكالمة وأمثالها (عليها) أي على تلك الفتنة (دعاة) أي جماعة قائمة بامرها وداعية الناس الى قبولها (على أبواب النار) حال أي فكأنهم كائنون على شفا جرف من النار يدعون الخلق اليها حتى يتفقوا على الدخول فيها (فان مت) بضم الميم وكسرها (يا حذيفة وأنت عاض على جذل) أي والحال انك على هذا المنوال من اختيار الاعتزال والقناعة بأكل ثمر الاشجار والمنام فوق الاحجار (خير لك من أن تتبع) بتشديد التاء الثانية وكسر الموحدة ويجوز تخفيفها وفتح الباء (أحدا منهم) أي من أهل الفتنة أو من دعاتهم (رواه أبو داود) والنسائي ذكره ميرك (وعن أبي ذر قال كنت رديفا) أي راكبا (خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال الطيبي رحمه الله ظرف وقع صفة مؤكدة لرديفا (يوما على حمار) فيه دلالة على كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم وحسن معاشرته مع أصحابه وكمال قرب أبي ذر له حينئذ ولذا ذكره مع الايماء الى كمال حفظه القضية واستحضاره اياها (فلما جاوزنا

قلت ثم ماذا قال ثم يخرج الدجال بعد ذلك معه نهر ونار فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره قال قلت ثم ماذا قال ثم ينتج المهر فلا يركب حتى تقوم الساعة وفي رواية قال هدنة على دخن وجماعة على اقذاء قلت يا رسول الله الهدنة على الدخن ما هي قال لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه قلت هل بعد هذا الخير شر قال فتنة عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار فان مت يا حذيفة وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم رواه أبو داود وعن أبي ذر قال كنت رديفا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على حمار فلما جاوزنا

بيوت المدينة قال كيف بك) قال الطيبي رحمه الله مبتدأ وخبر والباء زائدة في المبتدأ أي كيف أنت أي حالك (يا أباذر اذا كان) أي وقع (بالمدينة جوع) أي خاص لك أو قحط عام (تقوم من فراشك ولا تبلغ مسجدك) أي الذي قصدته أن تصلي فيه (حتى يجهدك الجوع) بضم الياء وكسر الهاء وفي نسخة بفتحهما أي يوصل اليك المشقة ويعجزك عن المشي من البيت الى المسجد (قال قلت الله ورسوله أعلم) أي بحالي وحال غيري في تلك الحال وسائر الاحوال (قال تعفف) بصيغة الامر أي التزم العفة (يا أباذر) وهي الصلاح والورع والتصبر على أذى الجوع والتقوى والكف عن الحرام والشبهة وعن السؤال من المخلوق والطمع فيه والمذلة عنده (قال كيف بك يا أباذر) في ندائه مكررا تنبيها على أخذ الحديث مقررا (اذا كان بالمدينة موت) أي بسبب القحط أو وباء من عفونة هواء أو غيرها (يبلغ البيت) أي يصل موضع قبر الميت (العبد) أي قيمته أو نفسه (حتى انه) بكسر الهمز ويفتح أي الشأن (يباع القبر بالعبد) هذا توضيح لما قبله من ابهام البيت ففي النهاية المراد بالبيت ههنا القبر وأراد ان موضع القبور يضيق فيبتاعون كل قبر بعبد قال التوربشتي رحمه الله وفيه نظر لان الموت وان استمر بالاحياء وفشا فيهم كل الفشو لم ينته بهم الى ذلك وقد وسع الله عليهم الامكنة اه كلامه وأجيب بأن المراد بموضع القبور الجبانة المعهودة وقد جرت العادة بانهم لا يتجاوزون عنها وفي شرح السنة قيل معناه ان الناس يشتغلون عن دفن الموتى بما هم فيه حتى لا يوجد من يحفر قبر الميت فيدفنه الا أن يعطى عبدا أو قيمة عبد وقيل معناه انه لا يبقى في كل بيت كان فيه كثير من الناس الا عبد يقوم بمصالح ضعفة أهل ذلك البيت قال المظهر يعني يكون البيت رخيصا فيباع بيت بعبد قال الطيبي رحمه الله على الوجهين الاخيرين لا يحسن موقع حتى حسنها على الوجهين الاولين قلت بل لا يصح حينئذ وقوع حتى ولعلها غير موجودة في المصابيح قال الخطابي قد يحتج بهذا الحديث من يذهب الى وجوب قطع النباش وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم سمى القبر بيتا فدل على انه حرز كالبيوت قلت لاسيما وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام قطع النباش لكن حمله أصحابنا على انه للسياسة والله سبحانه وتعالى أعلم (قال قلت الله ورسوله أعلم) كما تقدم (قال تصبر يا أباذر) بتشديد الموحدة المفتوحة أمر من باب التفعل وفي نسخة تصبر مضارع صبر على انه خبر بمعنى الامر أي اصبر بالبلاء ولا تجزع في الضراء ولا تنس بقية النعماء والسراء وارض بما يجري من القضاء تصب الاجر من خالق الارض والسماء (قال كيف بك يا أباذر اذا كان بالمدينة قتل) أي سريع عظيم (تغمر) بسكون الغين المعجمة وضم الميم أي تستر وتعلو (الدماء) أي كثرة دماء القتلى (أحجار الزيت) قيل هي محلة بالمدينة وقيل موضع بها قال التوربشتي رحمه الله هي من الحرة التي كانت بها الوقعة زمن يزيد والامير على تلك الجيوش العاتية مسلم بن عقبة المري المستبيح بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان نزوله بعسكره في الحرة الغربية من المدينة فاستباح حرمتها وقتل رجالها وعاث فيها ثلاثة أيام وقيل خمسة فلا جرم أنه انماع كما ينماع الملح في الماء ولم يلبث ان أدركه الموت وهو بين الحرمين وخسر هنالك المبطلون (قال قلت الله ورسوله أعلم قال تأتي من أنت منه) خبر معناه أمر أي ائت من يوافقك في دينك وسيرتك وقال القاضي أي ارجع الى من أنت جئت منه وخرجت من عنده يعني أهلك وعشيرتك قال الطيبي رحمه الله لا يطابق على هذا سؤاله (قال قلت وألبس السلاح) والظاهر أن يقال ارجع الى امامك ومن بايعته فحينئذ يتوجه أن يقول وألبس السلاح وأقاتل معه (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (شاركت القوم) أي في الاثم (اذا) أي اذا لبست السلاح المعنى لا تلبس السلاح وكن مع الامام وأرباب الصلاح ولا تقاتل حتى يحصل لك الفلاح هذا حاصل كلام الطيبي رحمه الله لكن فيه ان امامه اذا قاتل كيف يجوز له أن يمتنع من المقاتلة معه وقال ابن الملك رحمه الله قوله شاركت انما كيد الزجر عن اراقة الدماء والا فالدفع واجب اه وذكره الطيبي رحمه الله وقرره والصواب أن الدفع جائز اذا كان الخصم مسلما ان لم يترتب عليه فساد بخلاف ما اذا كان العدو كافرا فانه يجب الدفع مهما أمكن (قلت فكيف أصنع يا رسول الله قال ان خشيت أن

بيوت المدينة قال كيف بك يا أبا ذر اذا كان بالمدينة جوع تقوم عن فراشك ولا تبلغ مسجدك حتى يجهدك الجوع قال قلت الله ورسوله أعلم قال تعفف يا أباذر قال كيف بك يا أباذر اذا كان بالمدينة موت يبلغ البيت العبد حتى انه يباع القبر بالعبد قال قلت الله ورسوله أعلم قال تصبر يا أباذر قال كيف بك يا أباذر اذا كان بالمدينة قتل تغمر الدماء أحجار الزيت قال قلت الله ورسوله أعلم قال تأتي من أنت منه قال قلت وألبس السلاح قال شاركت القوم اذا قلت فكيف أصنع يا رسول الله قال ان خشيت أن

يبهرك) بفتح الهاء أي يغلبك (شعاع السيف) بضم أوله أي بريقه ولمعانه وهو كناية عن اعمال السيف (فالق) أمر من الالقاء أي اطرح (ناحية ثوبك) أي طرفه (على وجهك) أي لئلا ترى ولا تفزع ولا تجزع والمعنى لا تحاربهم وان حاربوك بل استسلم نفسك للقتل لان أولئك من أهل الاسلام ويجوز معهم عدم المحاربة والاستسلام كما أشار اليه بقوله (ليبوء) أي ليرجع القاتل (باثمك) أي باثم قتلك (واثمه) أي وبسائر اثمه (رواه أبو داود) وكذا ابن ماجه والحاكم في مستدركه وقال صحيح على شرط الشيخين نقله ميرك عن التصحيح (وعن عبد الله بن عمرو) صحابيان جليلان (ابن العاص) بغير ياء هو الصحيح (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف بك) سبق اعرابه وفي رواية كيف أنت أي كيف حالك (اذا أبقيت) مجهول من الابقاء أي اذا أبقاك الله بمعنى عمرك وفي نسخة بصيغة المعلوم من البقاء أي اذا بقيت (في حثالة) بضم الحاء وبالثاء المثلثة وهي ما سقط من قشر الشعير والارز والتمر والردي من كل شيء أي في قوم ردأى (من الناس مرجت) استئناف بيان وهو بفتح الميم وكسر الراء أي فسدت (عهودهم وأماناتهم) وفي نسخة أمانتهم بصيغة الافراد على ارادة الجنس أو باعتبار كل فرد والجمع انما هو للمقابلة والتوزيع مع امكان حقيقة الجمع فيهما فتأمل والمعنى لا يكون أمرهم مستقيما بل يكون كل واحد في كل لحظة على طبع وعلى عهد ينقضون العهود ويخونون الامانات قال التوربشتي رحمه الله أي اختلطت وفسدت فقلقت فيهم أسباب الديانات (واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه) أي يموج بعضهم في بعض ويلتبس أمر دينهم فلا يعرف الامين من الخائن ولا البر من الفاجر هذا وفي نسخة مرجت بفتح الراء وهو متعد ومنه قوله تعالى مرج البحرين فطيه ضمير الى الحثالة فالمعنى أفسدت تلك الجماعة القمامة عهودهم وأماناتهم واختلطوا في أمور دياناتهم فكانوا كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنهم في الاشتباك مشبهين بالاصابع المشبكة فما كتبه ميرك على هامش الكتاب من قوله مرجت بصيغة المجهول ورمز عليه ظاهر اشارة الى أنه هو الظاهر وعلله بأن المرج متعد والمعنى على اللزوم فهو غير ظاهر على ما يظهر من القاموس وغيره ففي القاموس المرج الخلط والمرج بحركة الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب وانما يسكن مع الهرج يعني للازدواج مرج كفرح وأمر مريج مختلط وأمرج العهد لم يف به اه وفي مختصر النهاية مرج الدين فسد وقلقت أسبابه ومرجت عهودهم أي اختلطت (قال فبم تأمروني قال عليك بما تعرف) أي الزم وافعل ما تعرف كونه حقا (ودع ما تنكر) أي واترك ما تنكر انه حق (وعليك بخاصة نفسك واياك وعوامهم) أي عامتهم والمعنى الزم أمر نفسك واحفظ دينك واترك الناس ولا تتبعهم وهذا رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا كثر الاشرار وضعف الاخيار (وفي رواية الزم بيتك واملك) أمر من الاملاك بمعنى الشد والاحكام أي امسك (عليك لسانك) ولا تتكلم في أحوال الناس كيلا يؤذوك (وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع أمر العامة رواه الترمذي وصححه) قال ميرك والرواية الثانية رواها أبو داود والنسائي أيضا (وعن أبي موسى) أي الاشعري (عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان بين يدي الساعة) أي قدامها من أشراطها (فتنا) أي فتنا عظاما ومحنا جساما (كقطع الليل المظلم) بكسر القاف وفتح الطاء ويسكن أي كل فتنة كقطعة من الليل المظلم في شدتها وظلمتها وعدم تبين أمرها قال الطيبي رحمه الله يريد بذلك التباسها وفظاعتها وشيوعها واستمرارها (يصبح الرجل فيها) أي في تلك الفتن (مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا) والظاهر أن المراد بالاصباح والامساء تقلب الناس فيها وقتا دون وقت لا بخصوص الزمانين فكأنه كناية عن تردد أحوالهم وتذبذب أقوالهم وتنوع أفعالهم من عهد ونقض وأمانة وخيانة ومعروف ومنكر وسنة وبدعة وايمان وكفر (القاعد فيها خير من القائم والماشي فيها خير من الساعي) أي كلما بعد الشخص عنها وعن أهلها خير له ممن قرب بها واختلاط أهلها لما سيؤول أمرها الى محاربة أهلها فاذا رأيتم الامر كذلك (فكسروا فيها قسيكم) بكسرتين وتشديد التحتية جمع القوس وفي العدول عن الكسر الى التكسير مبالغة لان باب

يبهرك شعاع السيف فالق ناحية ثوبك على وجهك ليبوء باثمك واثمه رواه أبو داود وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف بك اذا أبقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه قال فبم تأمرني قال عليك بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة نفسك واياك وعوامهم وفي رواية الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع أمر العامة رواه الترمذي وصححه وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا القاعد فيها خير من القائم والماشي فيها خير من الساعي فكسروا فيها قسيكم

التفعيل للتكثير وكذا قوله (وقطعوا) أمر من التقطيع (فيها أوتاركم) وفيه زيادة من المبالغة اذلا منفعة لوجود الاوتار مع كسر القسى أو المراد به انه لا ينتفع بها الغير ولا يستعملها فى الشر دون الخير (واضربوا سيوفكم بالحجارة) أى حتى تنكسر أو حتى تذهب حدتها وعلى هذا القياس الارماح وسائر السلاح (فان دخل) بصيغة المفعول ونائب الفاعل قوله (على أحد) ومن فى قوله (منكم) بيانية (فليكن) أى ذلك الاحد (كخير ابنى آدم) أى فليستسلم حتى يكون قتيلا كهابيل ولا يكون قاتلا كقابيل (رواه أبو داود وفى رواية له) أى لابى داود عنه (ذكر) أى الحديث (الى قوله خير من الساعى ثم قالوا) أى بعض الصحابة (فما تأمرنا) أى أن نعمل حينئذ (قال كونوا احلاس بيوتكم) احلاس البيوت ما يبسط تحت حر الثياب فلا تزال ملقاة تحتها وقيل الحلس هو الكساء على ظهر البعير تحت القتب والبرذعة شبهها به للزومها ودوامها والمعنى الزموا بيوتكم والتزموا سكوتكم كيلا تقعوا فى الفتنة التى بها دينكم يفوتكم (وفى رواية الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الفتنة) أى فى ايامها وزمنها وهو ظرف لقوله (كسروا فيها قسيكم وقطعوا فيها أوتاركم والزموا فيها أجواف بيوتكم) أى كونوا ملازمين لها لئلا تقعوا فى الفتنة والمحاربين فيها (وكونوا كابن آدم) المطلق ينصرف الى الكامل وفيه اشارة لطيفة تحت عبارة ظريفة وهو أن هابيل المقتول المظلوم هو ابن آدم لا قابيل القاتل الظالم كما قال تعالى فى حق ولد نوح عليه الصلاة والسلام انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح (وقال) أى الترمذى (هذا حديث صحيح غريب وعن أم مالك البهزية) بفتح الموحدة وسكون الهاء وبالزاى وياء النسبة قال المؤلف لها صحبة ورواية وهى حجازية روى عنها طاوس ومكحول (قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها) بتشديد الراء أى فعدها قريبة الوقوع قال الاشرف معناه وصفها للصحابة وصفا بليغا فان من وصف عند أحد وصفا بليغا فكأنه قرب ذلك الشئ اليه (قلت يا رسول الله من خير الناس فيها قال رجل فى ماشية) أى من الغنم ونحوها (يؤدى حقها) أى من الزكاة وغيرها (ويعبد ربه) لقوله تعالى جل جلاله ولا اله غيره ففروا الى الله وقوله وتبتل اليه تبتيلا وقوله واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون (ورجل آخذ) بصيغة اسم الفاعل أى ماسك (برأس فرسه يخيف العدو) من الاخافة بمعنى التخويف أى يخوف الكفار (ويخوفونه) قال المظهر يعنى رجل هرب من الفتن وقتال المسلمين وقصد الكفار يحاربهم ويحاربونه يعنى فيبقى سالما من الفتنة وغانما للاجر والمثوبة (رواه الترمذى وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة) أى عظيمة وبلية جسيمة (تستنظف العرب) أى تستوعبهم هلاكا من استنظفت الشئ أخذته كله كذا فى النهاية وبعض الشراح وقيل أى تطهرهم من الارذال وأهل الفتن (قتلاها) جمع قتيل بمعنى مقتول مبتدأ خبره قوله (فى النار) أى سيكونون فى النار أوهم حينئذ فى النار لانهم يباشرون ما يوجب دخولهم فيها كقوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال القاضى رحمه الله المراد بقتلاها من قتل فى تلك الفتنة وانما هم من أهل النار لانهم ما قصدوا بتلك المقاتلة والخروج اليها اعلاء دين أو دفع ظالم أو اعانة محق وانما كان قصدهم التباغى والتشاجر طمعا فى المال والملك (اللسان) أى وقعه وطعنه على تقدير مضاف ويدل عليه رواية واشراف اللسان أى اطلاقه واطالته (فيها أشد من وقع السيف) وقال الطيبى رحمه الله القول والتكلم فيها اطلاقا للمحل وارادة الحال اه والحاصل أنه لا بد من ارتكاب أحد المجازين المذكورين فى قوله تعالى واسأل القرية قال المظهر يحتمل هذا احتمالين أحدهما أن من ذكر أهل تلك الحرب بسوء يكون كمن حاربهم لانهم مسلمون وغيبة المسلمين اثم قلت وفيه انه ورد اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس ولا غيبة لفاسق ونحو ذلك فلا يصح هذا على اطلاقه ولذا استدرك كلامه بقوله ولعل المراد بهذه الفتنة الحرب التى وقعت بين أمير المؤمنين على رضى الله عنه وبين معاوية رضى الله عنه ولا شك ان من ذكر أحدا من هذين الصدرين وأصحابهما يكون مبتدعا لان أكثرهم كانوا أصحاب رسول الله

وقطعوا فيها أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة فان دخل على أحد منكم فليكن كخير ابنى آدم رواه أبو داود وفى رواية له ذكر الى قوله خير من الساعى ثم قالوا فما تأمرنا قال كونوا أحلاس بيوتكم وفى رواية الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الفتنة كسروا فيها قسيكم وقطعوا فيها أوتاركم والزموا فيها أجواف بيوتكم وكونوا كابن آدم وقال هذا حديث صحيح غريب

وعن أم مالك البهزية قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها قالت يا رسول الله من خير الناس فيها قال رجل فى ماشيته يؤدى حقها ويعبد ربه ورجل آخذ برأس فرسه يخيف العدو ويخوفونه رواه الترمذى

وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتنة تستنظف العرب قتلاها فى النار اللسان فيها أشد من وقع السيف

٦

صلى الله عليه وسلم اهـ وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أصحابي فامسكوا أي عن الطعن فيهم فان رضا الله
تعالى في مواضع من القرآن تعلق بهم فلا بد أن يكون مآلهم الى التقوى ورضا المولى وجنة المأوى وأيضا لهم
حقوق ثابتة في ذمة الامة فلا ينبغي لهم أن يذكروهم الا بالثناء الجميل والدعاء الجزيل وهذا انما لا ينافي أن
يذكر أحد مجملا أو معينا بأن المحاربين مع علي ما كانوا من الخاطئين أو بأن معاوية وحزبه كانوا باغين على
ما دل عليه حديث عمار تقتلك الفئة الباغية لان المقصود منه بيان الحكم المميز بين الحق والباطل والفاصل
بين المجتهد المصيب والمجتهد المخطئ مع توقير الصحابة وتعظيمهم جميعا في القلب لرضا الرب ولذا لما سئل بعض
الاكابر عمر بن عبد العزيز أفضل أم معاوية قال لغبار أنف فرس معاوية حين غزا في ركاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم أفضل من كذا وكذا من عمر بن عبد العزيز اذ من القواعد المقررة أن العلماء والاولياء
من الامة لم يبلغ أحد منهم مبلغ الصحابة الكبراء وقد أشار الى هذا المعنى قوله سبحانه وتعالى لا يستوي
منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكذا قوله تعالى
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقوله والسابقون السابقون أولئك المقربون قال المظهر
والثاني أن المراد به أن من مد لسانه فيه بشتم أو غيبة يقصدونه بالضرب والقتل ويفعلون به ما يفعلون بمن
حاربهم اهـ وحاصله أن الطعن في احدى الطائفتين ومدح الاخرى حينئذ مما يثير الفتنة فالواجب كف
اللسان وهذا المعنى في غاية من الظهور فتأمل لكن الطيبي رجح المعنى الاول حيث قال ويؤيده قوله ولعل المراد
بهذه الفتنة ما روينا عن الاحنف بن قيس قال خرجت وانما أريد هذا الرجل فلقيني أبو بكرة فقال أين
تريد يا أحنف قلت أريد نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال يا أحنف ارجع فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا توجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قال فقلت يا رسول الله
هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه متفق عليه قلت محمل هذا الحديث اذا كان
القتال بين المسلمين على جهة العصبية والحمية الجاهلية كما يقع كثيرا فيما بين أهل حارة وحارة وقرية وقرية
وطائفة وطائفة من غير أن يكون هناك باعث شرعي لاحدهما ولا يصح حمل الحديث على الاطلاق الشامل
لقضية صفين ونحوها لئلا ينافي قوله تعالى جل شأنه فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي ولان
الاجماع على ان قتلى طائفة علي ليسوا في النار فكلام أبي بكرة اما محمول على انه كان مترددا متحيرا في أمر علي
ومعاوية ولم يكن يعرف الحق من الباطل ولم يميز أحدهما من الآخر واما فهم من كلام الاحنف انه يريد
حماية العصبية لا اعلاء الكلمة الدينية على ما يشير اليه قوله أريد نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يقل أريد معاونة الامام الحق والخليفة المطلق وبهذا يتبين أن حمل هذه الفتنة على قضية علي لا يجوز
ويؤيده قال الطيبي رحمه الله وأما قوله قتلاها في النار فللزجر والتوبيخ والتغليظ عليهم وأما كف الالسنة
عن الطعن فيهم فان كلا منهم مجتهد وان كان علي رضي الله عنه مصيبا فلا يجوز الطعن فيهما والاسلم للمؤمنين
أن لا يخوضوا في أمرهما قال عمر بن عبد العزيز تلك دماء طهر الله أيدينا منها فلا نلوث ألسنتنا بها قال النووي
رحمه الله كان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطئا معذورا في الخطأ لانه كان بالاجتهاد والمجتهد اذا أخطأ لا اثم عليه
وكان علي رضي الله عنه هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة وكانت القضايا مشتبهة حتى
ان جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولو تيقنوا الصواب لم يتأخروا عن مساعدته
قلت وسبب هذا التحير لم يكن في أن عليا أحق بالخلافة أم معاوية لانهم أجمعوا على ولاية علي واجتمع
أهل الحل والعقد على خلافته وانما وقع النزاع بين معاوية وعلي في قتلة عثمان حيث تعلل معاوية بأني لم
أسلم الامر حتى تقتل أهل الفساد والشرور ممن حاصر الخليفة وأعان على قتله فان هذا ثلمة في الدين وخلل
في أئمة المسلمين واقتضى رأي علي وهو الصواب ان قتل فئة القتلة يجر الى اثارة الفتنة التي هي تكون أقوى
من الاولى مع أن هجوم العوام وعدم تعيين أحد منهم بمباشرة قتل الامام ليس بموجب لامام آخر أن يقتلهم

قتلا

قتلا عاما ولا من يتهم بقتله من غير حجة أو بينة شرعية لا سيما وقد رجعوا الى الحق ودخلوا فى بيعة الخليفة ومن المعلوم ان أهل البغى اذا رجعوا عن بغيهم أو شردوا عن قتالهم فليس لاحد أن يتعرض لهم هذا ولما كان صلى الله عليه وسلم ذكر الفتن وحذر عن الدخول فيها ورغب عن البعد عنها ورهب عن القرب اليها وأطلقها نظرا الى فسادعامها ولم يبين هذه الفتنة بخصوصها مفصلة بيان ونعت بجملة تغير فيها بعض الصحابة وظنوا ان الاسلم فيها بالخصوص أيضا ما ذكره صلى الله عليه وسلم فيها بالعموم لكن لما تبين لهم فى الآخر حقية على كرم الله وجهه وخطاء معاويه ندموا على ما فعلوا من العزلة وتحسروا على ما فاتهم من مثوبة الجلوة ولله حكمة فى ذلك كله لله الامر من قبل ومن بعد فلا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم والله تعالى أعلم (رواه الترمذى وابن ماجه) قال ميرك رواه أبوداود أيضا كلهم مرفوعا وقال البخارى الاصح وقفه على عبدالله بن عمرو بن العاص أقول لكن هذا الموقوف فى حكم المرفوع لان قوله قتلاها فى النار لا يتصور أن يصدر من رأى أحد (وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة صماء عمياء بكماء) أى باعتبار أصحابها حيث لا يجدون لها مستغاثا ولا يرون منها مخرجا وخلاصا أو لمعنى لا يميزون فيها بين الحق والباطل ولا يسمعون النصيحة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر بل من تكلم فيها بحق أوذى ووقع فى الفتن والمحن (من أشرف لها) أى من اطلع عليها وقرب منها (استشرفت له) أى اطلعت تلك الفتنة عليه وجذبته اليها (واشراف اللسان) أى اطلاقه واطالته (فيها كوقوع السيف) أى فى تأثيره بل أبلغ لما قيل

جراحات السنان لها التئام * ولا يلتام ما جرح اللسان ولهذا قال فى الرواية السابقة أشد من وقع السيف (رواه أبوداود عن عبدالله بن عمرو قال كنا قعودا) أى قاعدين (عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن) أى الواقعة فى آخر الزمان (فأكثر) أى البيان (فى ذكرها حتى ذكر فتنة الاحلاس) سيجئ معناه اللغوى (فقال قائل وما فتنة الاحلاس قال هى هرب) بفتحتين أى يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة (وحرب) بفتحتين أى أخذ مال وأهل بغير استحقاق (ثم فتنة السراء) بالرفع عطف على هرب بحسب المعنى فكانه قال وفتنة الاحلاس حرب وهرب وفتنة السراء وفى نسخة بالنصب عطفا على فتنة الاحلاس والمراد بالسراء النعماء التى تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية من البلاء والوباء وأضيفت الى السراء لان السبب فى وقوعها ارتكاب المعاصى بسبب كثرة التنعم أولانها تسر العدو وقال التوربشتى رحمه الله يحتمل أن يكون سبب وقوع الناس فى تلك الفتنة وابتلائهم بها أثر النعمة فأضيفت الى السراء يعنى يكون التركيب من قبيل اضافة الشئ الى سببه ويحتمل أن يكون صفة للفتنة فأضيفت اليها اضافة مسجد الجامع ويراد منها سعتها لكثرة الشرور والمفاسد ومن ذلك قولهم قلاه سراء اذا كانت وسيعة يعنى يكون التقدير فتنة الحادثة السراء أى الواسعة التى تعم الكافة من الخاصة والعامة وقوله (دخنها) بفتحتين أى اثارتها وهيجانها وشبهها بالدخان الذى يرتفع كما شبه الحرب بالنار وانما قال (من تحت قدمى رجل من أهل بيتى) تنبيها على أنه هو الذى يسعى فى اثارتها أو الى أنه يملك أمرها (يزعم أنه منى) أى فى الفعل وان كان منى فى النسب والحاصل ان تلك الفتنة بسببه وانه باعث على اقامتها (وليس منى) أى من اخلائى أو من أهلى فى الفعل لانه لو كان من أهلى لم يهيج الفتنة ونظيره قوله تعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح أوليس من أوليائى فى الحقيقة ويؤيده قوله (انما أوليائى المتقون) وهذا أبلغ من حديث آل محمد كل تقى (ثم يصطلح الناس على رجل) أى يجتمعون على بيعة رجل (كورك) بفتح وكسر (على ضلع) بكسر ففتح ويسكن واحد الضلوع أو الاضلاع وتسكين اللام فيه جائز على ما فى الصحاح وهذا مثل والمراد انه لا يكون على ثبات لان الورك لثقله لا يثبت على الضلع لدقته والمعنى انه يكون غير أهل الولاية لقلة علمه وخفة رأيه وحلمه وفى النهاية أى يصطلحون على رجل لا نظام له ولا استقامة لامر لان الورك لا يستقيم على الضلع ولا يتركب عليه لاختلاف ما بينهما وبعده وفى شرح السنة معناه ان الامر لا يثبت ولا يستقيم له وذلك ان الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله وحاصله انه لا يستعد ولا يستبد

رواه الترمذى وابن ماجه وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستكون فتنة صماء بكماء عمياء من أشرف لها استشرفت له واشراف اللسان فيها كوقوع السيف رواه أبوداود وعن عبدالله بن عمرو قال كنا قعودا عند النبى صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن فأكثر فى ذكرها حتى ذكر فتنة الاحلاس قال قائل وما فتنة الاحلاس قال هى هرب وحرب ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمى رجل من أهل بيتى يزعم أنه منى وليس منى انما أوليائى المتقون ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع

لذلك فلا يقع منه الامر موقعه كما أن الورك على ضلع يقع غير موقعه قال وانما يقال في باب الملاءمة والموافقة اذا وصفوا به هو ككف في ساعد وساعد في ذراع ونحو ذلك يريد ان هذا الرجل غير لائق للملك ولا مستقل به (ثم فتنة الدهيماء) بالرفع وينصب على ما سبق وهي بضم ففتح والدهماء السوداء والتصغير للذم أي الفتنة العظماء والطامة العمياء وفي النهاية هي تصغير الدهماء يريد الفتنة المظلمة والتصغير فيها للتعظيم وقيل المراد بالدهيماء الداهية ومن أسماء الداهية الدهيم زعموا ان الدهيم اسم ناقة غزا عليها سبعة اخوة فقتلوا عن آخرهم وحملوا عليها حتى رجعت بهم فصارت مثلا في كل داهية (لا تدع) أي لا تترك تلك الفتنة (أحدا من هذه الامة الا لطمته لطمة) أي اصابته بمحنة ومسته ببلية وأصل اللطم هو الضرب على الوجه ببطن الكف والمراد ان أثر تلك الفتنة يعم الناس ويصل لكل أحد من ضررها قال الطيبي رحمه الله هو استعارة مكنية شبه الفتنة بانسان ثم خيل لها بما يلابس الناس اللطم الذي هو من لوازم المشبه به وجعلها قرينة لها (فاذا قيل انقضت) أي فمهما توهموا ان تلك الفتنة انتهت (تمادت) بتخفيف الدال أي بلغت المدى أي الغاية من التمادي وفي نسخة بتشديد الدال من التمادد تفاعل من المد أي استطالت واستمرت واستقرت (يصبح الرجل فيها مؤمنا) أي لتحريمه دم أخيه وعرضه وماله (ويمسي كافرا) أي لتحليله ما ذكر ويستمر ذلك (حتى يصير الناس الى فسطاطين) بضم الفاء وتكسر أي فرقتين وقيل مدينتين وأصل الفسطاط الخيمة فهو من باب ذكر المحل وارادة الحال (فسطاط ايمان) بالجر على انه بدل وفي نسخة بالرفع واعرابه مشهور أي ايمان خالص (لا نفاق فيه) أي لا في أصله ولا في فصله من اعتقاده وعمله (وفسطاط نفاق لا ايمان فيه) أي أصلا أو كمالا لما فيه من أعمال المنافقين من الكذب والخيانة ونقض العهد وأمثال ذلك (فاذا كان ذلك فانتظروا الدجال) أي ظهوره (من يومه أو من غده) وهذا يؤيد ان المراد بالفسطاطين المدينتان فان المهدي يكون في بيت المقدس فيحاصره الدجال فينزل عيسى عليه الصلاة والسلام فيذوب الملعون كالملح ينماع في الماء فيطعنه بحربة له فيقتله فيحصل الفرج العام والفرح التام كما قال سيد الانام * اشتدي أزمة تنفرجي * وقد قال تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين وهما هنا الاقتران بين القمرين وضياء أنوارهما في أمر الكونين قال الطيبي رحمه الله الفسطاط بالضم والكسر المدينة التي فيها يجتمع الناس وكل مدينة فسطاط واضافة الفسطاط الى الايمان اما بجعل المؤمنين نفس الايمان مبالغة واما بجعل الفسطاط مستعارا للكنف والوقاية على المصرحة أي هم في كنف الايمان ووقايته (رواه أبو داود) أي وسكت عليه وأقره المنذري ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي نقله ميرك عن تصحيح الجزري (وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للعرب) الويل حلول الشر وهو تفجيع أو ويل كلمة عذاب أو واد في جهنم وخص العرب بذلك لانهم كانوا حينئذ معظم من أسلم (من شر) أي عظيم (قد اقترب) أي ظهوره والاظهر أن المراد به ما أشار اليه صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه بقوله فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج الحديث كما تقدم والله تعالى أعلم قال الطيبي رحمه الله أراد به الاختلاف الذي ظهر بين المسلمين من وقعة عثمان رضي الله عنه أو ما وقع بين علي كرم الله وجهه ومعاوية رضي الله عنه أقول أو أراد به قضية يزيد مع الحسين رضي الله عنه وهو في المعنى أقرب لان شره ظاهر عند كل أحد من العجم والعرب وقال ابن الملك رحمه الله قوله من شر أي من خروج جيش يقاتل العرب وقيل أراد به الفتن الواقعة في العرب أولها قتل عثمان واستمرت الى الآن أقول ولم يعرف ما يقع في مستقبل الزمان والله المستعان وعليه التكلان (أفلح) أي نجا وظفر على المدى وانتصر على الاعداء (من كف يده) أي عن الاذى أو ترك القتال اذا لم يتميز الحق من الباطل أقول ولعل وجه عدول الشراح عن المعنى الذي قدمته الى ما ذكروه ان قوله أفلح من كف يده يدل على خلاف ذلك فان وقت خروجهم لا يدي لاحد بطاقة المقاتلة معهم فمورد هذا الحديث غير الاول فتدبر وتأمل اللهم الا أن يقال انه هذه جملة مستقلة والمعنى أفلح من كف يده عمن قال لا اله الا الله الا باذن شرعي حكم به وقضاه (رواه أبو

ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدا من هذه الامة الا لطمته لطمة فاذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا حتى يصير الناس الى فسطاطين فسطاط ايمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا ايمان فيه فاذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو من غده رواه أبو داود وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للعرب من شر قد اقترب أفلح من كف يده رواه أبو

داود) أي باسناد رجاله رجال الصحيح والحديث متفق عليه من حديث طويل خلا قوله قد أفلح من كف يده نقله ميرك عن التصحيح وفي الجامع بلفظ المشكاة رواه أبو داود والحاكم وفيه أيضا حديث ويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره رواه أحمد والنسائي والحاكم وابن حبان عن أبي سعيد وفيه أيضا ويل لامتي من علماء السوء رواه الحاكم في تاريخه عن أنس (وعن المقداد بن الاسود) قال المؤلف هو ابن عمرو الكندي وذلك ان أباه حالف كندة فنسب اليها وانما سمي ابن الاسود لانه كان حليفه أو لانه كان في حجره وقيل بل كان عبدا فتبناه وكان سادسا في الاسلام (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السعيد لمن) باللام المفتوحة للتأكيد في خبر ان أي الذي (جنب) بضم الجيم وتشديد النون المكسورة أي بعد (الفتن) منصوب على انه مفعول ثان ومنه ما ورد من الدعاء اللهم جنبنا الشيطان وقيل انه منصوب بنزع الخافض أي بعد عنها (ان السعيد لمن جنب الفتن ان السعيد لمن جنب الفتن) كررها ثلاثا للمبالغة في التأكيد ويمكن أن يكون التكرار باعتبار أول الفتن وآخرها (ولمن ابتلى) اللام للابتداء أي لمن امتحن بتلك الفتن (فصبر) أي على أذاهم ولم يحاربهم في ذلك الزمن (فواها) بالتنوين اسم صوت وضع موضع المصدر سد مسد فعله ذكره الطيبي رحمه الله وقال ابن الملك معناه التلهف وقد يوضع موضع الاعجاب بالشيء والاستطابة له أي ما أحسن وما أطيب صبر من صبر وقيل معناه فطوبى له وفي النهاية قيل معنى هذه التلهف وقد يوضع موضع الاعجاب بالشيء يقال واهاله وقد يرد بمعنى التوجع وقيل يقال في التوجع آهاله قال الطيبي رحمه الله ويجوز أن يكون واها خبر المن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط فعلى هذا فيه معنى التعجب أي من ابتلى فصبر فطوبى له وأن لا يكون خبرا على ان اللام مفتوحة ويكون قوله ولمن ابتلى عطفا على قوله لمن جنب الفتن فعلى هذا واها للتحسر أي فواها على من باشرها وسعى فيها اه ويؤيده ما في الجامع بلفظ ان السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلى فصبر وقيل اللام مكسورة ويكون فواها بمعنى التعجب أي ولمن ابتلى فصبر يجب أن يتعجب من حاله هذا وفي القاموس واها ويترك تنوينه كلمة تعجب من طيب شيء وكلمة تلهف أي من تلف شيء (رواه أبو داود وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع السيف في أمتي) أي من بعضهم لبعض (لم يرفع عنها الى يوم القيامة) وقد ابتدئ في زمن معاوية وهلم جرا لا يخلو عنه طائفة من الامة فصدق في اخباره امام الائمة ثم الحديث مقتبس من قوله تعالى أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض وتحقيقه في الاحاديث المأثورة في تفسير الدر المنثور (ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين) منها ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم في خلافة الصديق رضي الله عنه (وحتى تعبد قبائل من أمتي الاوثان) أي الاصنام حقيقة ولعله يكون فيما سيأتي أو معنى ومنه تعس عبد الدينار وعبد الدرهم (وانه) أي الشان (سيكون في أمتي كذابون) أي في دعوتهم النبوة (ثلاثون) أي هم أو عددهم ثلاثون (كلهم يزعم) أفرد للفظ كل (انه نبي الله وأنا خاتم النبيين) بكسر التاء وفتحها والجملة حالية وقوله (لا نبي بعدي) تفسير لما قبله (ولا تزال طائفة من أمتي على الحق) خبر لقوله لا تزال أي ثابتين على الحق علما وعملا (ظاهرين) أي غالبين على أهل الباطل ولو حجة قال الطيبي رحمه الله يجوز أن يكون خبرا بعد خبر وأن يكون حالا من ضمير الفاعل في ثابتين أي ثابتين على الحق في حالة كونهم غالبين على العدو (لا يضرهم من خالفهم) أي لثباتهم على دينهم (حتى يأتي أمر الله) متعلق بقوله لا تزال (رواه أبو داود والترمذي) وكذا ابن ماجه ذكره السيد جمال الدين رحمه الله وفي الجامع لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون رواه الشيخان عن المغيرة (وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم تدور رحى الاسلام) أي تستقر وتستمر دائرة رحى الاسلام وتستقيم دورانها على وجه النظام أو يبتدئ دوران دائرة الحرب وتزلزله وحركاته وسكناته في الاسلام (لخمس وثلاثين) أي لوقت خمس وثلاثين من ابتداء ظهور دولة الاسلام وهي زمن هجرة خير الانام وبانتهاء المدة تنقضي خلافة الخلفاء الثلاثة بلا خلاف بين الخاص والعام اذ بعدها

داود وعن المقداد بن الاسود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان السعيد لمن جنب الفتن ان السعيد لمن جنب الفتن ان السعيد لمن جنب الفتن ولمن ابتلى فصبر فواها رواه أبو داود وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها الى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى تعبد قبائل من أمتي الاوثان وانه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي الله وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله رواه أبو داود والترمذي وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تدور رحى الاسلام لخمس وثلاثين

مقتل عثمان رضي الله عنه (أو ست وثلاثين) وفيه قضية الجمل (أو سبع وثلاثين) وفيه وقعة صفين وأو فيها للتنويع أو بمعنى بل فان الامر فيها أهون مما بعدهما لاسيما أمر الاسلام ونظام الاحكام وظهور الصحابة والعلماء الاعلام ولهذا قال (فان يهلكوا) أي ان اختلفوا بعد ذلك واستهانوا في أمر الدين واقترفوا المعاصي (فسبيل من هلك) أي فسبيلهم سبيل من هلك من الامم الماضية الذين زاغوا عن الحق في اختلافهم وزيغهم عن الحق ووهنهم في الدين وهي أسباب الهلاك والاشتغال بما يؤدي اليه هلا كاهذا مجمل الكلام وأما تفصيل المرام فقال الخطابي دوران الرحى كناية عن الحرب والقتال شبهها بالرحا الدوارة التي تطحن الحب لما يكون فيها من تلف الارواح وهلاك الانفس قال الشاعر * فدارت رحانا واستدارت رحاهم * قلت هو معنى ماقال غيره فيوما علينا ويوما لنا * فيوما نساء ويوما نسر وقال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس ثم الرحا وان كان فيها ماذكر من تلف الارواح وهلاك الانفس لكن فيها أيضا قوت الاشباح وقوة الارواح قال التوربشتي رحمه الله انهم يكنون عن اشتداد الحرب بدوران الرحى ويقولون دارت رحا الحرب أي استتب أمرها ولم نجدهم استعملوا دوران الرحا في امر الحرب من غير جريان ذكرها أو الاشارة اليها وفي هذا الحديث لم يذكر الحرب وانما قال رحى الاسلام فالاشبه انه أراد بذلك ان الاسلام يستتب أمره ويدوم على ما كان عليه المدة المذكورة في الحديث ويصح أن يستعار دوران الرحى في الامر الذي يقوم لصاحبه ويستمر له فان الرحى توجد على نعت الكمال مادامت دائرة مستمرة ويقال فلان صاحب دارتهم اذا كان أمرهم يدور عليه ورحى الغيث معظمه ويؤيد ما ذهبنا اليه ما رواه الحربي في بعض طرقه تزول رحى الاسلام مكان تدور ثم قال كان تزول أقرب لانها تزول عن ثبوتها واستقرارها وأشار بالسنين الثلاث الى الفتن الثلاث مقتل عثمان رضي الله عنه وكان سنة خمس وثلاثين وحرب الجمل وكانت سنة ست وحرب صفين وكانت سنة سبع فانها كانت متتابعة في تلك الاعوام الثلاثة (وان يقم لهم دينهم) أي وان صفت تلك المدد ولم يتفق لهم اختلاف وخور في الدين وضعف في التقوى (يقم لهم سبعين عاما) تمادى بهم قوة الدين واستقامة أمره سبعين سنة وقد وقع المحذور في الموعد الاول ولم يزل ذلك كذلك الى الآن قال الخطابي أراد بالدين الملك قال ويشبه أن يكون أراد بهذا ملك بني أمية وانتقاله عنهم الى بني العباس وكان ما بين استقرار الملك لبني أمية الى أن ظهرت الدعاة بخراسان وضعف أمر بني أمية ودخل الوهن فيه نحوا من سبعين سنة قال التوربشتي يرحم الله أبا سليمان فانه لو تأمل الحديث كل التأمل وبنى التأويل على سياقه لعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك ملك بني أمية دون غيرهم من الامة بل أراد به استقامة أمر الامة في طاعة الولاة واقامة الحدود والاحكام وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة وأخبرهم انهم يلبثون على ماهم عليه خمسا وثلاثين أو ستا وثلاثين أو سبعا وثلاثين ثم يشقون عصا الخلاف فتفرق كلمتهم فان هلكوا فسبيلهم سبيل من قد هلك قبلهم وان عاد أمرهم الى ما كان عليه من ايثار الطاعة ونصرة الحق يتم لهم ذلك الى تمام السبعين هذا مقتضى اللفظ ولو اقتضى اللفظ أيضا غير ذلك لم يستقم لهم ذلك القول فان الملك في أيام بعض العباسية لم يكن أقل استقامة منه في أيام المروانية ومدة امارة بني أمية من معاوية الى مروان بن محمد كانت نحوا من تسع وثمانين سنة والتواريخ تشهد له مع ان بقية الحديث ينقض كل تأويل يخالف تأويلنا هذا وهي قول ابن مسعود (قلت) أي يا رسول الله (أومما بقي أومما مضى) يريد ان السبعين تتم لهم مستأنفة بعد خمس وثلاثين أم تدخل الاعوام المذكورة في جملتها (قال مما مضى) يعني يقوم لهم أمر دينهم الى تمام سبعين سنة من أول دولة الاسلام لا من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين الى انقضاء سبعين وفي جامع الاصول قيل ان الاسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من احداثات الظلمة الى أن ينقضي مدة خمس وثلاثين سنة ووجهه أن يكون قد قاله وقد بقيت من عمره صلى الله عليه وسلم خمس سنين أو ست فاذا انضمت الى مدة خلافة الخلفاء الراشدين وهي ثلاثون سنة كانت بالغة ذلك المبلغ وان كان أراد سنة خمس وثلاثين من

أو ست وثلاثين أو سبع
وثلاثين فان يهلكوا
فسبيل من هلك وان يقم
لهم دينهم يقم لهم سبعين
عاما قلت أمما بقي أو مما
مضى قال مما مضى

الهجرة فطيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه وان كان سنة ست وثلاثين فطيها كانت وقعة الجمل وان كانت سنة سبع وثلاثين ففيها كانت وقعة صفين (رواه أبو داود)

(الفصل الثالث) (عن أبي واقد الليثي) قال المؤلف هو الحارث بن عوف قديم الاسلام عداده في أهل المدينة وجاور بمكة سنة ومات بها ودفن بفخ (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين) أي بعد فتح مكة ومعه بعض من دخل في الاسلام حديثا ولم يتعلم من أدلة الاحكام آية ولا حديثا (مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم) أي ويعكفون حولها يقال لها ذات أنواط جمع نوط وهو مصدر ناطه أي علقه (فقالوا) أي بعضهم ممن لم يكمل له مرتبة التوحيد ولم يطلع على حقيقة التفريد (يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط) أي شجرة نحن أيضا نعلق عليها أسلحتنا وكانهم أرادوا به الضدية والمخالفة العرفية وغفلوا عن القاعدة الشرعية (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله) تنزيها وتعجبا (هذا) أي هذا القول منكم (كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة) لكن لا يخفى ما بينهما من التفاوت المستفاد من التشبيه حيث يكون المشبه به أقوى (والذي نفسي بيده لتركبن) بضم الموحدة أي لتذهبن أنتم أيها الامة (سنن من كان قبلكم) بضم السين أي طرقهم ومناهجهم وسبل أفعالهم وفي نسخة بفتحها أي على منوالهم وطبق حالهم وشبه قالهم (رواه الترمذي) ورواه أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ليأتين على أمتي ما أتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ورواه الحاكم عن ابن عباس لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم وحتى لو ان أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه (وعن ابن المسيب) بفتح التحتية المشددة وقد تكسر تابعي جليل (قال وقعت الفتنة الاولى يعني) هذا كلام الراوي عن ابن المسيب وتفسير لكلامه أي يريد بالفتنة الاولى (مقتل عثمان فلم يبق من أصحاب بدر أحد) هذا كلام ابن المسيب أي انهم ماتوا منذ قامت الفتنة بمقتل عثمان الى أن قامت الفتنة الاخرى بوقعة الحرة والحاصل انهم ما ابتلوا بالفتنة مرتين لما صانهم الله ببركة غزوة بدر (ثم وقعت الفتنة الثانية يعني الحرة) في النهاية هذه أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة كانت الوقعة المشهورة في الاسلام أيام يزيد بن معاوية لما انتهب المدينة عسكره من أهل الشام الذين ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين وأمر عليهم مسلم ابن عقبة المري في ذي الحجة سنة ثلاث وستين (فلم يبق من أصحاب الحديبية) بالتخفيف ويشدد أي من أهل بيعة الرضوان (أحد ثم وقعت الفتنة الثالثة) لعلها فتنة ابن الزبير وما حصل له ولاهل مكة من الحجاج (فلم ترتفع) وفي نسخة ولم ترتفع (وبالناس طباخ) أي أحد وهو بفتح الطاء وتخفيف الباء الموحدة وبالخاء المعجمة على ما صرح به صاحب المشارق والمفهوم من النهاية فلا وجه لما ضبط في بعض النسخ من كسر الطاء نعم في القاموس الطباخ كسحاب وبضم القوة والاحكام والسمن قال الطيبي رحمه الله أصل الطباخ القوة والسمن ثم استعمل في غيره فقيل فلان لا طباخ له أي لا عقل له ولا خير عنده أراد انها لم تبق في الناس من الصحابة أحدا فالمراد بالناس الصحابة فأل للعهد أو المراد بهم الكاملون في مرتبة الانس ورتبة الانس (رواه البخاري)

(باب الملاحم)

بفتح الميم وكسر الحاء جمع الملحمة وهي القتلة أو هي الواقعة العظيمة وفي النهاية هي الحرب وموضع القتال مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لحمة الثوب بالسدى وقيل هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها اه ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم نبي الملحمة وفيه اشارة الى أنه معدن الجلال كما انه منبع الجمال لكونه نبي الرحمة والجمع بينهما هو الكمال وانما أطلق سبحانه في حقه قوله وما أرسلناك الا رحمة للعالمين بناء على غلبة رحمته تخلقا بأخلاق الله وصفته كما ورد في الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي ولذا ينادي بيا أرحم الراحمين بل الملحمة في الحقيقة عين الرحمة كما ان المحن من عنده سبحانه هي المنح والمنن والبلاء

رواه أبو داود

(الفصل الثالث) عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم رواه الترمذي

وعن ابن المسيب قال وقعت الفتنة الاولى يعني مقتل عثمان فلم يبق من أصحاب بدر أحد ثم وقعت الفتنة الثانية يعني الحرة فلم يبق من أصحاب الحديبية أحد ثم وقعت الفتنة الثالثة فلم ترتفع وبالناس طباخ رواه البخاري

(باب الملاحم)

عين الولاء وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة) بتأنيث الفعل ويذكر وكذا قوله (حتى تقتتل فئتان عظيمتان) أي كثيرتان أو كمية وكيفية لما كان في كل منهما جماعة من الصحابة ويمكن حمله على التغليب اذ الجماعة العظيمة في الحقيقة انما كانت جماعة علي كرم الله وجهه قال الاكمل وهذا من المعجزات لانه وقع بعده في الصدر الاول (تكون بينهما مقتلة عظيمة) أي حرب عظيم وقتال قوي (دعواهما واحدة) أي كل واحدة من الفئتين تدعي الاسلام قال ابن الملك المراد علي ومعاوية ومن معهما او يؤخذ من قوله دعواهما واحدة الرد على الخوارج في تكفيرهم كلتا الطائفتين اه وفي كون الحديث ردا عليهم بمجرد دعوى لايخفى فانه لا يلزم من تحقق الدعوى وصول المدعي وحصول المعنى مع ان الدعوى قد تصرف الى دعوى الخلافة ونحوها (وحتى يبعث) أي يرسل من عالم الغيب الى صحن الوجود ويظهر (دجالون) أي مبالغون في فساد العباد والبلاد (كذابون) أي على الله ورسوله في شرح السنة كل كذاب دجال يقال دجل فلان الحق بباطله غطاه ومنه أخذ الدجال ودجله سحره وكذبه وقيل سمي الدجال دجالا لتمويهه على الناس وتلبيسه يقال دجل اذا موه ولبس (قريب من ثلاثين) وهذا لاينافي جزمه فيما سبق بقوله ثلاثون فانه اما متأخر واما المراد منه التقريب وكذا لاينافي مارواه الطبراني عن ابن عمر ولاتقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا فان المراد منه التكثير او الثلاثون مقيدون بدعوى النبوة والباقون بغيرها على احتمال ان السبعين غير الثلاثين فتكمل المائة والله تعالى أعلم (كلهم يزعم أنه رسول الله) وفي نسخة نبي الله (وحتى يقبض) أي يؤخذ ويرفع (العلم) أي النافع المتعلق بالكتاب والسنة بقبض العلماء من أهل السنة والجماعة فيكثر أهل الجهل والبدعة (وتكثر الزلازل) أي الحسية وهي تحريك الارض أو المعنوية وهي أنواع البلية فان موت العلماء فوت العلم (ويتقارب الزمان) قال الخطابي أراد به زمان المهدي لوقوع الامن في الارض فيستلذ العيش عند ذلك لانبساط عدله فتستقصر مدته لانهم يستقصرون مدة أيام الرخاء وان طالت ويستطيلون أيام الشدة وان قصرت (ويظهر الفتن) أي ويترتب عليها المحن (ويكثر الهرج) قيل المراد بكثرته شموله ودوامه (وهو) أي الهرج (القتل) يحتمل ان يكون مرفوعا والاظهر انه تفسير من أحد الرواة فهو جملة معترضة (وحتى يكثر فيكم المال فيفيض) بالنصب ويرفع من فاض الماء اذا انصب عند امتلائه والضمير الى المال فهو مبالغة لحصول المال في المال (حتى يهم) بضم الياء وكسر الهاء وتشديد الميم من أهمه أحزنه وأقلقه وقوله (رب المال) منصوب على انه مفعول والفاعل قوله (من يقبل صدقته) على تقدير مضاف أي حتى يوقع في الحزن فقدان من يقبل الصدقة رب المال حيث لم يجد من يقبله والتمليك شرط لحصول الزكاة كما ان القبض شرط لحصول الصدقة وفي بعض النسخ بضم الياء وفتح الهاء على ان همه لغة بمعنى أحزنه فرب المال منصوب على حاله وفي بعضها برفعه على انه فاعل ومن مفعوله أي يقصده رب المال عكس المتعارف في بقية الازمنة والاحوال من هم به اذا قصده فيكون من باب الحذف والايصال والمعنى الاول هو المعول فتأمل قال النووي رحمه الله في شرح مسلم ضبطوه بوجهين وأشهرهما ضم أوله وكسر الهاء قال الطيبي رحمه الله وفي جامع الاصول مقيد بضم الياء ورب المال مفعوله والموصول مع صلته فاعله وقوله (وحتى يعرضه) بكسر الراء عطف على مقدر والمعنى حتى يهم طلب من يقبل الصدقة صاحب المال فيطلبه حتى يجده وحتى يعرضه اه أي حتى يعرض المال الذي أراد ان يتصدق به على من يظن انه يقبله (فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به) بفتح الهمزة والراء أي لاحاجة لي اليه اما الغنى قلبه أو لغنى يده والاظهر انه لهما جميعا وكان الخير وسع الجميع بما فيه وقنع كل أحد بما يكفيه فلا يريد ما يطغيه أو مالا يعنيه والا فمن المعلوم انه لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب على ما ورد في الحديث بل في القرآن المنسوخ التلاوة فكان أهل ذلك الزمان كلهم ممن تاب الله عليهم حتى رجعوا الى مقام

(الفصل الاول) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان ويظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به

الرضا بالقضاء والقناعة بالكفاية والاستغناء عما قسمه الله على الناس فان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس (وحتى يتطاول الناس في البنيان) أي حتى يتزايدوا في طوله وعرضه أو يفتخروا في تزيينه وتحسينه وهذا غير مقيد بزمان المهدي بل المراد به ما بعده وما قبله فان الآن قد كثر البنيان وافتخر به أهل الزمان وتطاول به اللسان في كل مكان وهدموا العمارة الموضوعة للخيرات وجعلوها دورا وبساتين ومواضع التنزهات ومحال التلهيات (وحتى يمر الرجل) أي من كثرة همومه وغمومه في أمر دينه أو دنياه أو كثرة بلائه وقلة دوائه (بقبر الرجل) أي من أقاربه أو أجانبه (فيقول) بالنصب ويرفع (ياليتني مكانه) نقل بالمعنى اذ لفظه مكانك أي ليتني كنت ميتا حتى لا أرى الفتنة ولا أشاهد المحنة (وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون) تأكيد للناس أو لضميره أي كلهم لما رأوه من الآية الملجئة والعلامة العيانية وكان المطلوب منهم الايمان في الحالة الغيبية كما أشار اليه سبحانه الذين يؤمنون بالغيب ولذا قال (فذلك) أي الوقت (حين لا ينفع نفسا ايمانها) وكذا ما يترتب على ايمانها من عمل خيرها أي الحادثين في ذلك الوقت كما بينه بقوله (لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا) فأو للتنويع اذ قد يوجد ايمان مجرد عن العمل وقد يقترن العمل بالايقان لكن لما كان وقوعهما في حال البأس ووقت اليأس لا يكونان نافعين قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل التقدير لا ينفع ايمانها ولا كسبها ان لم تكن آمنت من قبل أو لم تكن كسبت فالكلام من اللف التقديري والنشر الظاهري هذا وقيل جملة لم تكن آمنت صفة نفس والاولى ان تحمل على الاستئناف لئلا يقع الفصل بين الصفة والموصوف وقوله من قبل أي قبل اتيان بعض آيات الرب على ما في القرآن مبهما ومجملا ومن قبل طلوع الشمس من مغربها على ما في الحديث مفسرا ومبينا ثم قيل أو كسبت عطف على آمنت والمراد بالخير التوبة أو الاخلاص فتنوينه للتعظيم أي لا ينفع تلك النفس ايمانها وقبول توبتها فيفيد أن أو للتنويع فكأنه قال لا ينفعها توبة عن الشرك ولا توبة عن المعاصي وبهذا يندفع استدلال المعتزلة بالآية على ان العمل المعبر عنه بالخير جزء للايمان مع أن الظاهر من قوله تعالى في ايمانها خيرا يدفع ذلك ثم قيل عدم قبول الايمان والتوبة في ذلك الوقت مخصوص بمن شاهد طلوعها حتى ان من ولد بعده أو لم يشاهده يقبل كلاهما منه والصحيح انه غير مخصوص للخبر الصحيح ان التوبة لا تزال مقبولة حتى يغلق بابها فاذا طلعت الشمس من مغربها أغلق (ولتقومن الساعة) أي النفخة الاولى وهي مقدمة الساعة فأطلقت عليها (وقد نشر الرجلان) الجملة حالية أي والحال انهما فتحا وفرقا ثوبهما بينهما) الاضافة لاحدهما على انه صاحبه وللآخر على أنه طالبه (فلا يتبايعانه) أي لا يكملان البيع والشراء (ولا يطويانه) أي ولا يجمعان الثوب فيفترقان بل تقع الساعة عليهما وهما مشغولان بالبيع والشراء كما قال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون وحاصله ان قيام الساعة يكون بغتة لقوم وهم في أشغالهم كما قال تعالى لا تأتيكم الا بغتة (ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته) بكسر اللام وسكون القاف أي ناقة ذات لبن (فلا يطعمه) أي فلا يمكن الرجل ان يشرب اللبن الذي حلبه وهو في يده (ولتقومن الساعة وهو يليط) بفتح أوله أي يطين ويصلح (حوضه) أي ليسقي ابله أو غنمه منه (فلا يسقي) أي ابله وهو بفتح الياء ويجوز ضمها (فيه) أي في ذلك الحوض أو من مائه والمعنى ان الساعة تأخذ الناس بغتة تأتيهم وهم في أشغالهم فلا تمهلهم ان يتموها (ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته) بضم الهمزة أي لقمته (الى فيه فلا يطعمها) أي فلا يبلعها ولا يأكلها وهذا أبلغ مما قبله من الصور (متفق عليه وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر) بفتحتين وسكون العين أي من جلود مشعرة غير مدبوغة (وحتى تقاتلوا الترك) قال السدي من الترك شرذمة يأجوج ومأجوج وعن قتادة انهم كانوا اثنتين وعشرين قبيلة بنى ذو القرنين السد على احدى وعشرين وبقيت واحدة وهي الترك سموا بذلك لانهم تركوا

وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ياليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا الترك

نمارجين (صغار الاعين) بالنصب وهو من امارات الحرص على أمتعة الدنيا صغيرها وحقيرها والبخل على نقيرها وقطميرها (حمر الوجوه) أي من شدة حرارة باطنهم وغليان الغضب في أجوافهم (ذلف الانوف) بضم الذال المعجمة أي صغيرها فيكون كناية عن عدم شموخهم الحق أو عريضها فيدخل فيها الحق والباطل من غير تمييز لهم بينهما والاظهر أن معناه فطس الانوف كما في الرواية الآتية جمع أفطس من الفطس بالتحريك وهو تطامن قصبة الانف وانخفاضها وانتشارها فيرجع الى معنى عريضها وقال القاضي ذلف جمع أذلف وهو الذي يكون أنفه صغيرا ويكون في طرفه غلظ (كأن) بتشديد النون (وجوههم المجان) بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس (المطرقة) بضم الميم وفتح الراء المخففة المجلدة طبقا فوق طبق وقيل هي التي ألبست طراقا أي جلدا يغشاها وقيل هي اسم مفعول من الاطراق وهو جعل الطراق بكسر الطاء أي الجلد على وجه الترس اه شبه وجوههم بالترس لتبسطها وتدويرها وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها وفيه اشارة الى أنهم لكبر وجوههم وادارتها وكثرة لحمها ويبوستها أبو الوجوه الطامعة في المال والاهل ليس فيهم البنية الانسانية ولا ملاءمة الاحسانية بل كأنهم نوع آخر من جنس الناس ينبغي ان يقال انهم نسناس ويكفي في ذمهم انهم فضلة يأجوج ومأجوج ومن اخوانهم وأنموذج وعينة من أعيانهم فلا شك انهم يكونون في غاية من الفساد ونهاية من الضرر للعباد والبلاد ولا أرانا الله وجوههم الى يوم الميعاد قال القاضي رحمه الله وقد ورد ذلك في الحديث الذي بعده صفة لخوز وكرمان ولولم يكن ذلك من بعض الرواة فلعل المراد بهما صنفان من الترك كان أحد أصول أحدهما من خوز واحد أصول الآخر من كرمان فسماهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه وان لم يشتهر عندنا كما نسبهم الى قنطوراء وهي أمة كانت لابراهيم عليه الصلاة والسلام واعل المراد بالموعود في الحديث ما وقع في هذا العصر بين المسلمين والترك اه والاقرب انه اشارة الى قضية جنكيز وما وقع له من الفساد وخصوصا في بغداد والله رؤف بالعباد (متفق عليه وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاء) بضم الخاء المعجمة وسكون الواو وبالزاي في القاموس الخوز بالضم جيل من الناس واسم لجميع بلاد خورستان (وكرمان) بكسر الكاف وتفتح كذا ضبط في النسخ المصححة لكن في القاموس كرمان وقد يكسر أولها اقليم بين فارس وسجستان وقال التوربشتي رحمه الله الخوز جيل من الناس واغا جاء في الحديث منونا بسكون وسطه هكذا وقد ذكر ابن الاثير بالخاء المعجمة المضمومة وبالزاي مع الاضافة يقال خوز كرمان من غير واو العطف قال وروي خوز وكرمان قال والخوز جيل معروف وكرمان صقع معروف في العجم ويروى بالراء المهملة وهو من أرض فارس وصوبه الدارقطني رحمه الله وقيل انه اذا أضيف به فبالراء واذا عطف فبالزاي نقله الجزري (من الاعاجم) بيان لهما قال شارح المراد صنفان من الترك سماهما باسم أبويهما ولا نحمله على أهل خورستان وكرمان لانهم لم يوجدوا على النعت المذكور في الحديث بل وجد عليه الترك (حمر الوجوه فطس الانوف صغار الاعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر رواه البخاري وفي رواية له) أي للبخاري (عن عمرو بن تغلب) بالتاء فوقها نقطتان وبالغين المعجمة وهو غير منصرف قال المؤلف في فصل الصحابة هو العبدي ابن عبد القيس روى عنه الحسن البصري وغيره (عراض الوجوه) بالنصب على الحكاية وبالرفع على الاعراب لكونه مبتدأ خبره مقدم (وعنه) أي عن أبي هريرة نظرا الى ان مرجع الضمير الى المضمون السابق وفي نسخة صحيحة وعن أبي هريرة بالاظهار لئلا يتوهم عود الاضمار الى الصحابي اللاحق فانه أقرب وربما يظن انه الاحق بمرجع الاضمار (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم) أي غالبهم أو فيغلبهم (المسلمون حتى يختبئ) أي يختفي (اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر) أي كلاهما أو أحدهما (يا مسلم يا عبد الله) جمع بين الوصفين لزيادة التعظيم (هذا) أي تنبه ذا (يهودي خلفي فتعال فاقتله الا الغرقد) استثناء من الشجر وهو نوع شجر ذي شوك يقال له العوسج كذا

صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الاعاجم حمر الوجوه فطس الانوف صغار الاعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر رواه البخاري وفي رواية له عن عمرو بن تغلب عراض الوجوه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله الا الغرقد

ذكر

ذكره شارح وفي النهاية هو ضرب من شجر العضاه وشجر الشوك ومنه قيل لبقيع أهل المدينة بقيع الغرقد لانه كان فيه غرقد وقطع (فانه من شجر اليهود) أضيف اليهم بادنى ملابسة قيل هذا يكون بعد خروج الدجال حين يقاتل المسلمون من تبعه من اليهود (رواه مسلم وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان) بفتح القاف وسكون الحاء وهو أبو اليمن وقيل قبيلة منهم (يسوق الناس) اى لاجل حكمه (بعصاه) هذا عبارة عن تسخير الناس واسترعائهم كسوق الراعي غنمه بعصاه قيل لعل الرجل القحطاني هو الذي يقال له جهجاه على ما سيأتي (رواه البخاري وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تذهب الايام والليالي) أي لا ينقطع الزمان ولا تأتي القيامة (حتى يملك رجل يقال له الجهجاه) قال النووي رحمه الله بفتح الجيم وسكون الهاء وفي بعض النسخ الجهجاه بهاءين وفي بعضها الجهجا بحذف الهاء التي بعد الالف والاول هو المشهور (متفق عليه وفي رواية حتى يملك رجل من الموالي) بفتح الميم جمع المولى أي المماليك والمعنى حتى يصير حاكما على الناس (يقال له الجهجاه) قال الجزري لم أجد هذه الرواية في واحد من الصحيحين نقله ميرك فيكون من غير الصحيحين للاستشهاد والاعتضاد فلا يرد على المؤلف ايرادها في الفصل الاول لان اختصاصه بحديث الشيخين انما هو في الاصول (وعن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لتفتحن) بفتح الحاء وفي نسخة صحيحة لتفتتحن قال التوربشتي رحمه الله وجدناه في أكثر نسخ المصابيح بتاءين بعد الفاء ونحن نرويه عن كتاب مسلم بتاء واحدة وهو أمثل معنى لان الافتتاح أكثر ما يستعمل بمعنى الاستفتاح فلا يقع موقع الفتح في تحقيق الامر ووقوعه والحديث انما ورد في معنى الاخبار عن الكوائن والمعنى لتأخذن (عصابة) بكسر العين أي جماعة من المسلمين (كنز آل كسرى) بكسر الكاف ويفتح والآل مقحم أو المراد به أهله وأتباعه (الذي في الابيض) قال القاضي رحمه الله الابيض قصر حصين كان بالمدائن وكانت الفرس تسميه سفيد كوشك والآن بني مكانه مسجد المدائن وقد أخرج كنزه في أيام عمر رضي الله تعالى عنه وقيل الحصن الذي بهمدان بناه دارا بن دارا يقال له شهرستان (رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هلك كسرى) جملة خبر به أي سيهلك ملكه وانما عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه وقربه أو دعاء وتفاؤل (فلا يكون كسرى) وفي نسخة بالتنوين حيث أريد به التنكير (بعده) أي بعد كسرى الموجود في زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى لا يملك كسرى كافر بل يملكه المسلمون بعده الى يوم القيامة (وقيصر) وهو ملك الروم مبتدأ وخبره ليهلكن والتغاير بينهما للتفنن أو عطف على كسرى وأتى بقوله (ليهلكن) للتأكيد مع زيادة المبالغة المستفادة من لام القسم ونون التأكيد (ثم لا يكون قيصر) بالوجهين أي قيصرا آخر (بعده) أي بعد الاول قال الطيبي رحمه الله هلاك كسرى وقيصر كانا متوقعين فاخبر عن هلاك كسرى بالماضي دلالة على انه كالواقع بناء على اخبار الصادق وأتى في الاخبار عن قيصر بلام القسم في المضارع وبنى الكلام على المبتدأ والخبر اشعار الاهتمامه بالاعتناء بشأنه وانه أطلب منه وذلك ان الروم كانوا سكان الشام وكان صلى الله تعالى عليه وسلم في فتحه أشد رغبة ومن ثم غزا صلى الله تعالى عليه وسلم تبوك وهو من الشام أقول لما كان هلاك كسرى قبل قيصر بحسب وقائع الحال فناسب ان يعبر عن الاول بالماضي وعن الثاني بالاستقبال (ولتقسمن) بصيغة المجهول مخففا (كنوزهما) أي كنز كل منهما (في سبيل الله وسمى) عطف على قال رسول الله أي قال الراوي وسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الحرب خدعة) بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال وبضم الخاء مع فتح الدال على ما سبق مبناه وتحقق معناه ومجمله ما في القاموس الحرب خدعة مثلثة وكهمزة وروى بهن جميعا أي ينقضي بخدعة هذا والراوي جمع بين حديثين والظاهر انهما وقعا في وقتين فلا يحتاج الى طلب المناسبة بين ايرادهما معا على ان في ذكره اشارة الى ان هلاكهما وأخذ كنوزهما انما يكون بالحرب وربما يكون محتاجا الى خدعة فنبه أصحابه الى جوازها حتى لا يتوهموا ان الخدعة من باب الغدر

فانه من شجر اليهود رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الايام والليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه وفي رواية حتى يملك رجل من الموالي يقال له الجهجاه رواه مسلم وعن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتفتحن عصابة من المسلمين كنز آل كسرى الذي في الابيض رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك كسرى فلا يكون كسرى بعده وقيصر ليهلكن ثم لا يكون قيصر بعده ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله وسمى الحرب خدعة

والخيانة والله تعالى أعلم وقال الطيبي رحمه الله فان قلت ما وجه المناسبة بين قوله وسمى الحرب خدعة وبين الكلام السابق قلت هو وارد على سبيل الاستطراد لان أصل الكلام كان في ذكر الفتح وكان حديثا مشتملا على الحرب فأورده في الذكر كما أورد قوله تعالى ومن كل تأكلون لحما طريا بعد قوله وما يستوى البحران هذا عذب فرات اذ المراد منهما المؤمن والكافر قلت فقوله ومن كل تأكلون اشارة الى تكميل التشبيه وتتميم وتذييل وهو افادة انه ينتفع بهما ونظام العالم بوجودهما بل هما الدالان على مظهر الجمال والجلال وهما صفتا الكمال وعليهما مدار الكونين ومآل الفريقين كما دل عليهما مثال البحرين حيث قال هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج فكل في بابه في غاية من الكمال يضل من يشاء ويهدي من يشاء ويعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وهو على كل شئ قدير (متفق عليه وعن نافع بن عتبة) أي ابن أبي وقاص الزهري القرشي يعرف بالمرقال بكسر الميم وسكون الراء وبالقاف وهو ابن أخي سعد بن أبي وقاص صحابي من مسلمة الفتح من المؤلف روى عنه ابن عمرو وجابر بن سمرة نقله ميرك عن التصحيح (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تغزون) أي بعدي (جزيرة العرب) وقد سبق تفسيرها وتحريرها وتقريرها وتحمله على ما حكى عن مالك مكة والمدينة واليمامة واليمن فالمعنى بقية الجزيرة أو جميعها بحيث لا يترك كافر فيها (فيفتحها الله) أي عليكم (ثم فارس) أي ثم تغزونها (فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال) الخطاب فيه للصحابة والمراد الامة (فيفتحه الله) أي يجعله مقهورا مغلوبا ويقع هلاكه على أيدي بني اسرائيل لمعاونة الامة وأنزل لمساعدة الملة (رواه مسلم) أي في الفتن من حديث جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة ولفظه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع كلمات عدهن في يدي قال تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله الخ والعجب ان الحاكم أخرجه في مستدركه على الصحيح وقال على شرط مسلم وأقره الذهبي نقله ميرك عن التصحيح وفيه ان الظاهر هو أن الحاكم رواه باسناد آخر رجاله رجال مسلم فيكون مستدركا ولا يكون مستدركا (وعن عوف بن مالك) أي الاشجعي صحابي مشهور (قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة) أي خيمة (من أدم) بفتحتين أي من جلد (فقال اعدد) أي احسب وعد (ستا) أي من العلامات الواقعة (بين يدي الساعة) أي قدامها (موتي) أي فوتي بانتقالي من دار الدنيا الى الاخرى لانه أول زوال الكمال بحجاب الجمال (ثم فتح بيت المقدس) بفتح ميم وسكون قاف وكسر دال وفي نسخة بضم ففتح فتشديد (ثم موتان) بضم الميم أي وباء (يأخذ فيكم) أي يتصرف في أبدانكم (كقعاص الغنم) بضم القاف داء يأخذ الغنم فلا يلبثها ان تموت قال التوربشتي رحمه الله أراد بالموتان الوباء وهو في الاصل موت يقع في الماشية والميم منه مضمومة واستعماله في الانسان تنبيه على وقوعه فيهم وقوعه في الماشية فانها تسلب سلبا سريعا وكان ذلك في طاعون عمواس زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وهو أول طاعون وقع في الاسلام مات منه سبعون ألفا في ثلاثة أيام وعمواس قرية من قرى بيت المقدس وقد كان بها معسكر المسلمين (ثم استفاضة المال) أي كثرته في شرح السنة وأصله التفرق والانتشار يقال استفاض الحديث اذا انتشر وفي النهاية هو من فاض الماء والدمع وغيرهما اذا كثر (حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل) بالرفع وجوز النصب أي فيصير (ساخطا) أي غضبان لعده المائة قليلا وهذه الكثرة ظهرت في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه عند الفتوح وأما اليوم فبعض أهل زماننا يعدون الالف قليلا ويحقرونه (ثم فتنة) أي بلية عظيمة قيل هي مقتل عثمان وما بعده من الفتن المترتبة عليها (لا يبقى بيت من العرب الا دخلته) قيل المراد من بيوت أمته وانما خص العرب لشرفها وقربهم منه ففيه نوع تغليب أو ايماء الى ما قيل ان من أسلم فهو عربي (ثم هدنة) أي مصالحة (تكون بينكم وبين بني الاصفر) أي الارواح سموا بذلك لان أباهم الاول وهو الروم بن عيص بن يعقوب بن اسحق كان أصفر في بياض وقيل سموا باسم رجل أسود ملك الروم فنكح من نسائها فولد له أولاد في غاية الحسن فنسب الروم اليه (فيغدرون) أي ينقضون عهد الهدنة (فيأتونكم تحت ثمانين غاية) أي

متفق عليه وعن نافع بن عتبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله ثم فارس فيفتحها الله ثم تغزون الروم فيفتحها الله ثم تغزون الدجال فيفتحه الله رواه مسلم وعن عوف بن مالك قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب الا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الاصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية

راية وهى العلم قال الطيبى رحمه الله تعالى ومن رواه بالباء الموحدة أراد بها الاجمة فشبه كثرة رماح العسكر بها (تحت كل غاية اثنا عشر ألفا) أى ألف فارس قال الاكمل جملته سبعمائة ألف وستون ألفا (رواه البخارى) وكذا ابن ماجه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبى وهذا أيضا من الوهم فان الحديث فى صحيح البخارى فى كتاب الجهاد فى باب ما يحذر من الغدر نقله ميرك عن التصحيح وقدمت ما يدفع عنه والله تعالى أعلم بالصحيح (وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تنزل الروم بالاعماق) بفتح الهمزة قال التوربشتى رحمه الله العمق ما بعد من أطراف المفاوز وليس الاعماق ههنا بجمع وانما هو اسم موضع بعينه من أطراف المدينة (أو بدابق) بفتح الموحدة وقد تكسر ولا يصرف وقد يصرف قال التوربشتى رحمه الله هو بفتح الباء دار نخلة موضع سوق بالمدينة وفى المفاتيح هما موضعان أو شك من الراوى وقال الجزرى دابق بكسر الموحدة وهو الصواب وان كان عياض فى المشارق ذكر فيه الفتح ولم يذكر غيره وهو موضع معروف من عمل حلب ومرج دابق مشهور قال صاحب الصحاح الاغلب التذكير والصرف لانه فى الاصل اسم قال وقد يؤنث ولا يصرف اه والذى يؤنثه ولا يصرفه يريد به البقعة قلت وفى القاموس دابق كصاحب موضع بحلب لكن المضبوط فى النسخ بغير صرف (فيخرج) بالنصب ويرفع (اليهم جيش من المدينة) قال ابن الملك قيل المراد بها حلب والاعماق ودابق موضعان بقربه وقيل المراد بها دمشق وقال فى الازهار وأما ما قيل من أن المراد بها مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فضعيف لان المراد بالجيش الخارج الى الروم جيش المهدى بدليل آخر الحديث ولان المدينة المنورة تكون خرابا فى ذلك الوقت (من خيار أهل الارض) بيان للجيش (يومئذ) احتراز من زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا تصافوا) بتشديد الفاء المضمومة (قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا) على بناء الفاعل (نقاتلهم) يريدون بذلك مخاتلة المؤمنين ومخادعة بعضهم عن بعض ويبغون به تفريق كلمتهم والمرادون بذلك هم الذين غزوا بلادهم فسبوا ذريتهم كذا ذكره التوربشتى رحمه الله تعالى وهو الموافق للنسخ والاصول قال ابن الملك وروى سبوا ببناء المجهول قال القاضى ببناء المعلوم هو الصواب وقال النووى رحمه الله كلاهما صواب لان عساكر الاسلام فى بلاد الشام ومصر كانوا مسبيين ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار قال التوربشتى والاظهر هذا القول منهم يكون بعد الملحمة الكبرى التى تدور رحاها بين الفئتين بعد المصالحة والمناجزة لقتال عدو يتوجه الى المسلمين وبعد غزوة الروم لهم وذلك قبل فتح قسطنطينية فيطأ الروم أرض العرب حتى ينزل بالاعماق أو بدابق فيسأل المسلمين ان يخلوا بينهم وبين من سبى ذريتهم فيردون الجواب على ما ذكر فى الحديث (فيقول المسلمون لا والله لانخلى بينكم وبين اخواننا فيقاتلونهم) أى المسلمون الكفرة (فينهزم ثلث) أى من المسلمين (لايتوب الله عليهم أبدا) كناية عن موتهم على الكفر وتعذيبهم على التأبيد (ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء) بالرفع على تقدير مبتدأ وهو هم وفى نسخة بالنصب على انه حال (ويفتتح الثلث) أى الباقى من المسلمين (لايفتنون) أى لايبتلون ببلية أو لايمتحنون بمقاتلة أو لايعذبون (أبدا) ففيه اشارة الى حسن خاتمتهم (فيفتتحون) الفاء تعقيبية أو تفريعية قال ابن الملك وفى نسخة فيفتحون بتاء واحدة وهو الاصوب لان الافتتاح أكثر ما يستعمل فى معنى الاستفتاح فلا يقع موقع الفتح قلت سبق مثل هذا فى كلام التوربشتى لكن الظاهر ان فيه ايماء الى ان الفتح كان بمعالجة تامة وفى القاموس فتح كمنع ضد أغلق كفتح وافتتح والفتح النصر وافتتاح دار الحرب والاستفتاح الاستنصار والافتتاح والمعنى فيأخذون من أيدى الكفار (قسطنطينية) وهى بضم القاف وسكون السين وضم الطاء الاولى وكسر الثانية وبعدها ياء ساكنة ثم نون قال النووى رحمه الله هكذا ضبطناه ههنا وهو المشهور ونقل القاضى رحمه الله فى المشارق عن المتقنين زيادة ياء مشددة بعد النون قلت ونسخ المشكاة متفقة على ما قاله عياض وفى بعض النسخ زيادة ياء مخففة بدل ياء

تحت كل غاية اثنا عشر ألفا رواه البخارى وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى ينزل الروم بالاعماق أو بدابق فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الارض يومئذ فاذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لانخلى بينكم وبين اخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلث لايتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لايفتنون أبدا فيفتتحون قسطنطينية

مشددة فقد قال الجزري ثم نون ثم ياء مخففة وحكى بعضهم تشديدها وقال آخرون بحذفها ونقله عياض عن الاكثرين ثم هي مدينة مشهورة أعظم مدائن الروم قال الترمذي والقسطنطينية قد فتحت في زمن بعض أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وتفتح عند خروج الدجال قال الحجازي في حاشية الشفاء قسطنطينة وقسطنطينية ويروى بلام التعريف دار ملك الروم وبها ست لغات فتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة وتشديدها ومع حذفها وفتح النون وهذه بضم الطاء أكثر استعمالا والقاف مضموم بكل حال (فبيناهم) أي المسلمون (يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون) أراد الشجر المعروف والجملة حال دال على كمال الامن (اذ صاح فيهم الشيطان) أي نادى بصوت رفيع (ان المسيح) بكسر الهمزة لما في النداء من معنى القول ويجوز فتحها أي أعلمهم والمراد بالمسيح هنا الدجال (قد خلفكم) بتخفيف اللام أي قام مقامكم (في أهليكم) أي في ذراريكم كما في رواية (فيخرجون) أي جيش المدينة من قسطنطينية (وذلك) أي القول من الشيطان (باطل) أي كذب وزور (فاذا جاؤا) أي المسلمون (الشام) الظاهر ان المراد به القدس منه لما في بعض الروايات تصريح بذلك (خرج فبيناهم يعدون) بضم فكسر أي يستعدون ويتهيؤن (للقتال) فقوله (يسوون الصفوف) بدل منه (اذ أقيمت الصلاة) وفي نسخة صحيحة اذا بالالف أي وقت اقامة المؤذن للصلاة (فينزل عيسى بن مريم) أي من السماء على منارة مسجد دمشق فيأتي القدس (فأمهم) عدل الى الماضي تحقيقا للوقوع واشعارا بجواز عطف الماضي على المضارع وعكسه أي أم عيسى المسلمين في الصلاة ومن جملتهم المهدي وفي رواية قدم المهدي معللا بان الصلاة انما أقيمت لك واشعارا بانه تابع وانه غير متبوع استقلالا بل هو مقرر ومؤيد ثم بعد ذلك يؤمهم على الدوام فقوله فأمهم فيه تغليب أو تركب مجاز أي أمر امامهم بالامامة ويكون الدجال حينئذ محاصرا للمسلمين (فاذا رآه) أي رأى عيسى (عدو الله) بالرفع أي الدجال (ذاب) أي شرع في الذوبان (كما يذوب الملح في الماء فلو تركه) أي لو ترك عيسى عليه الصلاة والسلام الدجال ولم يقتله (لانذاب حتى يهلك) أي بنفسه بالكلية (ولكن يقتله الله بيده) أي بيد عيسى عليه الصلاة والسلام (فيريهم) أي عيسى عليه الصلاة والسلام أو الله تعالى المسلمين أو الكافرين أو جميعهم (دمه) أي دم الدجال (في حربته) أي في حربة عيسى عليه الصلاة والسلام وهي رمح صغير وقد روى الترمذي عن مجمع بن جارية مرفوعا يقتل ابن مريم الدجال بباب لد والمشهور انه من أبواب مسجد القدس وفي النهاية هو موضع بالشام وقيل بفلسطين ذكره السيوطي رحمه الله في شرحه للترمذي ولعل الدجال يهرب من بيت المقدس بعدما كان محاصرا فيلحقه عيسى عليه الصلاة والسلام في أحد الاماكن فيقتله والله تعالى أعلم (رواه مسلم) أي بهذا السياق وروى البخاري خروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام كذا ذكره ميرك عن التصحيح (وعن عبد الله بن مسعود قال ان الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث) أي من كثرة المقتولين وقيل من كثرة المال والاول أصح كذا في الازهار وقيل حتى يوجد وقت لا يقسم فيه ميراث لعدم من يعلم الفرائض وأقول لعل المعنى انه برفع الشرع فلا يقسم ميراث أصلا أولا يقسم على وفق الشرع كما هو مشاهد في زماننا ويحتمل ان يكون معناه انه من قلة المال وكثرة الفقراء لا يقسم ميراث بين الورثة اما لعدم وجود شئ أو لكثرة الديون المستغرقة أو لان أصحاب الاموال تكون ظالمة فيرجع مالهم الى بيت المال فلا يبقى لاولادهم نصيب في المال ولا لهم خلاق في المآل والله تعالى أعلم بالحال ويؤيده قوله (ولا يفرح) بصيغة المجهول أي ولا يفرح أحد (بغنيمة) اما لعدم العطاء أو ظلم الظلمة واما للغش والخيانة فلا يتهنأ بها أهل الديانة ومن القواعد المقررة ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا يضره ما ذكره الراوي (ثم قال) أي ابن مسعود (عدو) أي من الروم أو عدو كثير وهو مبتدأ خبره (يجمعون) أي الجيش والسلاح (لاهل الشام) أي لمقاتلة أهل الشام (ويجمع لهم) أي لقتال أهل الشام (أهل الاسلام يعني) أي قال الراوي يريد ابن مسعود بالعدو

فبيناهم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون اذ صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فاذا جاؤا الشام خرج فبيناهم يعدون للقتال يسوون الصفوف اذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فأمهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته رواه مسلم وعن عبد الله بن مسعود قال ان الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ثم قال عدو يجمعون لاهل الشام ويجمع لهم أهل الاسلام يعني

(الروم فيتشرط المسلمون) من باب التفعل استعمل تشرط مكان اشترط يقال اشترط فلان بنفسه لامر كذا أي قدمها وأعلمها وأعدها وأشرط نفسه للشيء أعلمه ويروى فيشترط المسلمون أي يهيؤن ويعدون (شرطة) بضم الشين وسكون الراء طائفة من الجيش تتقدم للقتال وتشهد الواقعة سموا بذلك لانهم كالعلامة للجيش وقوله (للموت) أي للحرب وفيه نوع تجريد ففي القاموس الشرطة واحد الشرط كصردوهم كتيبة تشهد الحرب وتتهيأ للموت وطائفة من أعوان الولاة اه والمراد هنا المعنى الاول وقيل سموا به لانهم يشترطون أن يتقدموا ويعدوا أنفسهم للهلكة ويؤيده قوله (لا ترجع) أي تلك الشرطة (الا غالبة) فالجملة صفة شرطة كاشفة مبينة موضحة والمعنى ان المسلمين يعينون مقدمتهم على ان لا ينهزموا بل يتوقفوا ويتثبتوا الى ان يقتلوا أو يغلبوا (فيقتتلون) أي المسلمون والكفار (حتى يحجز) بضم جيم ويكسر أي يمنع (بينهم الليل) أي دخوله وظلامه فيتركون القتال (فيفيء) مضارع من الفيء بمعنى الزوال أي يرجع (هؤلاء) أي المسلمون (وهؤلاء) أي الكافرون (كل) أي من الفريقين (غير غالب) أي وغير مغلوب (وتفنى) أي تهلك وتقتل (الشرطة) أي جنسها من الجانبين والحاصل انه يرجع معظم الجيش وصاحب الرايات من الطرفين ولم يكن لاحدهما غلبة على الآخر وتفنى شرطة الطرفين والا لكانت الغلبة لمن تفنى شرطهم وقد قال كل غير غالب هذا وفي بعض النسخ المصححة شرطة بفتح الشين فقال السيد جمال الدين اعلم ان لفظ الشرطة يحتمل وجهين ان كان الشين فيها مفتوحة فمعناه يشترطون معهم شرطة واحدة ومعنى فنيها زوالها بسبب دخول الليل وان كانت مضمومة فالمراد منها طائفة هي خيار الجيش ففيه اشكال من حيث ان الشرطة اذا فاءت غير غالبة لم تفن اذ لو فنيت غير غالبة فكيف قال فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ويمكن ان يقال كان مع الشرطة جمع آخر من الجيش وهم الراجعون غير غالبين لا الشرطة أو كان سائر المسلمين في كل يوم مع الشرطة ذلك اليوم فالراجع سائرهم دونها اه والمعتمد ما قدمناه ثم يؤيد ما قررناه ما ذكره الطيبي رحمه الله حيث قال في الفائق يقال شرط نفسه لكذا اذا أعلمها له وأعدها فحذف المفعول والشرط نخبة الجيش وصاحب رايتهم لا النفر الذين تقدموا وهم الشرطة وقوله فيتشرط فانه في الحديث كذلك استعمل تشرط مكان اشترط يقال اشترط فلان بنفسه لامر كذا أي قدمها واعدها واعلمها ولو وجدت الرواية بفتح الشين من الشرط لكان معناها أوضح وأقوم مع قوله وتفنى الشرطة أي يشترطون فيما بينهم شرطا ان لا يرجعوا الا غالبة يعني يومهم ذلك فاذا حجز بينهم الليل ارتفع الشرط الذي شرطوه وانما أدخل فيه التاء لتدل على التوحيد أي يشترطون شرطة واحدة لا مثنوية فيها ولا نعرف ذلك من طريق الرواية فقال الطيبي رحمه الله اذا وجدت الرواية الصريحة الصحيحة وجب الذهاب اليها والانحراف عن التحريف من ضم الشين الى فتحها والتزام التكلف في تاويل التاء والعدول عن الحقيقة في فنى الشرطة الى ذلك المجاز البعيد وأي مانع من ان يفرض ان الفئة العظيمة من المسلمين افرزوا من بينهم طائفة تتقدم الجيش للمقاتلة واشترطوا عليها ان لا ترجع الا غالبة ولذلك بذلوا جهدهم وصدقوا فيما عاهدوا وقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وهو المراد من قولهم وتفنى الشرطة قال الجوهري قد شرط عليه كذا واشترط عليه وشرط وقوله فيفيء هؤلاء وهؤلاء المراد منهما الفئتان العظيمتان لا الشرطة (ثم يتشرط المسلمون شرطة) أي أخرى (للموت لا ترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يتشرط المسلمون شرطة) أي ثالثة (للموت لا ترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا) أي يدخلوا في المساء بان يدخل الليل ففي العبارة تفنن (فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة فاذا كان يوم الرابع نهد اليهم) أي نهض وقام وقصد الى قتالهم (بقية أهل الاسلام فيجعل الله الدبرة) بفتح المهملة والموحدة اسم من الادبار وروى الدابر وهي بمعنى الاولى أي الهزيمة (عليهم) أي على الكفار وقال شارح أي على الروم (فيقتتلون) من باب الافتعال هذا هو الصحيح الموجود في أكثر النسخ المعتمدة وفي نسخة فيقتلون بصيغة

الروم فيتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ثم يتشرط المسلمون شرطة للموت لا ترجع الا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة فاذا كان يوم الرابع نهد اليهم بقية أهل الاسلام فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتتلون

المجهول من الثلاثى وهذا مبنى لما توهم من انه متعلق بقوله فيجعل الله والحال ان الامر خلاف ذلك بل هو متعلق بمجموع ما تقدم والله تعالى أعلم وقوله (مقتلة) مفعول مطلق من غير بابه أو بحذف زوائده ونظيره قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا والمعنى مقاتلة عظيمة (لم ير) أى لم يبصر أولم يعرف (مثلها حتى ان الطائر) بكسر الهمزة وتفتح (ليمر) أى ليريد المرور (بجنباتهم) بجيم فنون مفتوحتين فموحدة أى بنواحيهم (فلا) وفى نسخة صحيحة فما (يخلفهم) بكسر اللام المشددة من خلفت فلانا وراءى اذا جعلته متأخرا عنك والمعنى فلا يجاوزهم (حتى يخر) بكسر معجمة وتشديد راء أى حتى يسقط الطائر (ميتا) بتشديد التحتية و يخفف قال المظهر يعنى يطير الطائر على أولئك الموتى فما وصل الى آخرهم حتى يخر و يسقط ميتا من نتنهم أو من طول مسافة مسقط الموتى وقال الطيبى رحمه الله تعالى والمعنى الثانى ينظر الى قول البحترى فى وصف بركة

لا يبلغ السمك المحصور غايتها لبعد ما بين قاصيها ودانيها (فيتعاد) بصيغة المعلوم وقيل بالمجهول من باب التفاعل والمعنى يعد (بنو الاب) أى جماعة حضروا تلك الحرب كلهم أقارب (كانوا مائة فلا يجدونه) الضمير المنصوب لمائة بتأويل المعدود أو العدد أى فلا يجدون عددهم أو لبنى الاب لانه ليس بجمع حقيقة لفظا بل معنى كذا قيل والحاصل ان بنى الاب بمعنى القوم والقوم مفرد اللفظ جمع المعنى فروعى كل منهما حيث قال فلا يجدونه (بقى منهم الا الرجل الواحد) وخلاصة المعنى انهم يشرعون فى عد أنفسهم فيشرع كل جماعة فى عد أقاربهم فلا يجدون من مائة الا واحدا أو يزيدونه انه لم يبق من مائة الا واحد (فبأى غنيمة يفرح) الفاء تفريعية أو فصيحة قال الطيبى رحمه الله هو جزاء شرط محذوف ابهم أولا فى قوله تعالى ان الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة حيث أطلقه ثم بينه بقوله عدا الخ ما ذلك مقيد بهذه الصفة فحينئذ يصح ان يقال فاذا كان كذلك فبأى غنيمة يفرح (او أى ميراث) الظاهر انه بالرفع أى فأى ميراث (يقسم) وأو للتنويع وفى النسخ بالجر فالمعنى فبأى ميراث تقع القسمة وتأخير الميراث مع تقدمه سابقا نظير قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية (فبيناهم كذلك اذ سمعوا) أى المسلمون (ببأس) بموحدة وهمزة ساكنة ويبدل أى بحرب شديد (هو أكبر) أى أعظم (من ذلك) أى مما سبق والمراد بالباس أهله بارتكاب أحد المجازين المشهورين (فجاءهم) أى المسلمين (الصريخ) فعيل من الصراخ وهو الصوت أى صوت المستصرخ وهو المستغيث (ان الدجال) بفتح ان و يكسر (قد خلفهم) بتخفيف اللام أى قعد مكانهم (فى ذراريهم) بتشديد الياء أى أولادهم وفى رواية فى أهاليهم (فيرفضون) بضم الفاء أى فيتركون و يلقون (ما فى أيديهم) أى من الغنيمة وسائر الاموال فزعا على الاهل والعيال (و يقبلون) من الاقبال أى و يتوجهون الى الدجال (فيبعثون) أى يرسلون (عشر فوارس) جمع فارس أى راكب فرس (طليعة) وهو من يبعث ليطلع على حال العدو كالجاسوس فعيلة بمعنى فاعلة يستوى فيه الواحد والجمع وانما قال عشر نظرا الى ان الفوارس طلائع (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف أسماءهم) أى العشرة (وأسماء آبائهم وألوان خيولهم) فيه مع كونه من المعجزات دلالة على ان علمه تعالى محيط بالكليات والجزئيات من الكائنات وغيرها (هم خير فوارس أو من خير فوارس) ظاهره انه شك من الراوى (على ظهر الارض) احترازمن الملائكة (يومئذ) أى حينئذ وهو احتراز من العشرة المبشرة وأمثالهم (رواه مسلم وعن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هل سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر قالوا نعم يارسول الله) قال شارح هذه المدينة فى الروم وقيل الظاهر انها قسطنطينية ففى القاموس هى دار ملك الروم وفتحها من اشراط الساعة وتسمى بالرومية بوزنطيا وارتفاع سوره أحد وعشرون ذراعا وكنيستها مستطيلة و بجانبها عمود عال فى دور أربعة أبواع تقريبا وفى رأسه فرس من نحاس وعليه فارس وفى احدى يديه كرة من ذهب وقد فتح أصابع يده الاخرى مشيرا بها وهو صورة قسطنطين بانيها اه و يحتمل انها مدينة غيرها بل هو الظاهر لان قسطنطينية تفتح بالقتال الكثير وهذه المدينة تفتح بمجرد التهليل والتكبير (قال لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا

من

مقتلة لم ير مثلها حتى ان الطائر ليمر بجنباتهم فلا يخلفهم حتى يخر ميتا فيتعاد بنو الاب كانوا مائة فلا يجدونه بقى منهم الا الرجل الواحد فبأى غنيمة يفرح أو أى ميراث يقسم فبيناهم كذلك اذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ ان الدجال قد خلفهم فى ذراريهم فيرفضون ما فى أيديهم و يقبلون فيبعثون عشر فوارس طليعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس أو من خير فوارس على ظهر الارض يومئذ رواه مسلم وعن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هل سمعتم بمدينة جانب منها فى البر وجانب منها فى البحر قالوا نعم يارسول الله قال لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا

من بنى اسحق) قال المظهر من أكراد الشام هم من بنى اسحق النبي عليه الصلاة والسلام وهم مسلمون اه وهو يحتمل ان يكون معهم غيرهم من بنى اسمعيل وهم العرب أو غيرهم من المسلمين واقتصر على ذكرهم تغليبا لهم على من سواهم ويحتمل ان يكون الامر مختصا بهم (فاذا جاؤها) أى المدينة (نزلوا) أى حوالیها محاصرين أهلها (فلم يقاتلوا بسلاح ولا يرموا بسهم) تخصيص بعد تعميم لتأكيد افادة عموم النفى (قالوا) استئناف أو حال (لا اله الا الله والله أكبر فيسقط) بصيغة المضارع (أحد جانبيها) أى أحد طرفى سور المدينة (قال ثور بن يزيد الراوى) قال المؤلف فى فصل التابعين هو كلاعى شامى حمصى سمع خالد بن معدان روى عنه الثورى ويحيى بن سعيد له ذكر فى باب الملاحم (لا أعلمه) أى لا أظن أبا هريرة (الا قال الذى فى البحر) أحد جانبيها الذى فى البحر والمعنى لكنى لا أجزمه ويمكن ان يكون هذا منه ردا على من نازعه ممن سمع الحديث عن أبى هريرة بغير هذا القيد وبهذا يندفع ما قال الطيبى رحمه الله تعالى هذا اشارة الى ان ما وقع فى نسخ المصابيح من قوله الذى فى البحر مدرج من قول الراوى (ثم يقولون) أى المسلمون (الثانية) أى الكرة الثانية (لا اله الا الله والله أكبر فسقط) بصيغة الماضى تفننا وتحققا (جانبها الآخر) أى الذى فى البر (ثم يقولون الثالثة لا اله الا الله والله أكبر فيفرج) بتشديد الراء المفتوحة أى فيفتح (لهم) والظرف نائب الفاعل (فيدخلونها فيغنمون) أى ما فيها (فبيناهم يقتسمون الغنائم) أى يريدون الاقتسام ويشرعون فيه (اذ جاءهم الصريخ فقال ان الدجال قد خرج فيتركون كل شئ) أى من الغنائم وغيرها من الانفال (ويرجعون) أى مريدين لمقابلة الدجال ومساعدة الاهل والعيال (رواه مسلم)

(الفصل الثانى) (عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمران بيت المقدس) بالتخفيف وتشدد وعمرانه بضم العين وسكون الميم أى عمارته بكثرة الرجال والعقار والمال (خراب يثرب) أى وقت خراب المدينة قيل لان عمرانه باستيلاء الكفار وفى الازهار قال بعض الشارحين المراد بعمران بيت المقدس عمرانه بعد خرابه فانه يخرب فى آخر الزمان ثم يعمره الكفار والاصح ان المراد بالعمران الكامل فى العمارة اى عمران بيت المقدس كاملا مجاوزا عن الحد وقت خراب يثرب فان بيت المقدس لا يخرب قال ابن الملك وأما الآن فقد عمره السلطان الملك الناصر واستخرج فيه العيون وأجرى فيه المياه جزاه الله خيرا قلت وزاد بنو عثمان حفظهم الله من آفات الدوران فى عمارته وارزاقه وتكاياه لكنه مع هذا لم يبلغ عمارة المدينة المعطرة (وخراب يثرب خروج الملحمة) أى ظهور الحرب العظيم قال ابن الملك قيل بين أهل الشام والروم والظاهر انه يكون بين تاتار والشام قلت الاظهر هو الاول لما فى الحديث السابق ولما سيأتى فى الحديث اللاحق ولقوله (وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح قسطنطينية) وفى نسخة بالتعريف (خروج الدجال) قال الاشرف لما كان بيت المقدس باستيلاء الكفار عليه وكثرة عمارتهم فيها أمارة مستعقبة بخراب يثرب وهو أمارة مستعقبة بخروج الملحمة وهو أمارة مستعقبة بفتح قسطنطينية وهو أمارة مستعقبة بخروج الدجال جعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كل واحد عين ما بعده وعبر به عنه اه وخلاصته ان كل واحد من هذه الامور أمارة لوقوع ما بعده وان وقع هناك مهلة قال الطيبى رحمه الله فان قلت قال هنا فتح القسطنطينية خروج الدجال وفى الحديث السابق اذا صاح فيهم الشيطان ان المسيح قد خلفكم فى أهليكم فيخرجون وذلك باطل فكيف الجمع بينهما قلت انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل الفتح علامة لخروج الدجال لانها مستعقبة له من غير تراخ وصراخ الشيطان كان للايذان بانه واقع ليشتغلوا عن القسم وكان باطلا يدل عليه الحديث الآتى الملحمة العظمى فتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة أشهر والتعريف فى الصارخ فى هذا الحديث للعهد والمعهود الشيطان أقول والذى يظهر ان القضية متعددة وان المسلمين كانوا متفرقة وان المدينة غير القسطنطينية اذ قصة القسطنطينية كانت بالمقاتلة وفتح المدينة انما هو بالتهليل والتكبير من غير المحاربة فحينئذ يحمل صريخ الشيطان بالنسبة الى غزاة قسطنطينية وصريخ المسلمين الى أصحاب فتح المدينة وان كلا من

من بنى اسحق فاذا جاؤها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا لا اله الا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها قال ثور بن يزيد الراوى لا أعلمه الا قال الذى فى البحر ثم يقولون الثانية لا اله الا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولون الثالثة لا اله الا الله والله أكبر فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون فبيناهم يقتسمون المغانم اذ جاءهم الصريخ فقال ان الدجال قد خرج فيتركون كل شئ ويرجعون رواه مسلم *(الفصل الثانى)* عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح قسطنطينية خروج الدجال

الفريقين تركوا الغنائم وتوجهوا الى قتال الدجال والله تعالى أعلم بالحال (رواه أبو داود) أى وسكت عليه كما ذكره ميرك ورواه أحمد عن معاذ أيضا (وعنه) أى عن معاذ (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملحمة العظمى) وفى الجامع الملحمة الكبرى قيل هى التى يتعادفيها بنو الاب ولا يعدون من مائة الا واحدا كما مر لكن الاظهر ان المراد بها فتح المدينة حيث فتحت بعظمة أسماء الله الحسنى ولذا صح عطف قوله (وفتح القسطنطينية) وهى بلام التعريف هنا اذ الاصل فى العطف التغاير مع انضمامه الى التبادر (وخروج الدجال فى سبعة اشهر) أى باعتبار توجه المسلمين الى البلدتين وظهور الدجال وأما باعتبار فتحهما فهو متعاقب لهما من غير تراخ بينهما (رواه الترمذى وأبو داود) وكذا ابن ماجه ذكره السيد جمال الدين رحمه الله وفى الجامع رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والحاكم (وعن عبد الله بن بسر) بضم موحدة وسكون مهملة (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بين الملحمة وفتح المدينة) أراد باحدهما المدينة السابقة وبالاخرى القسطنطينية وهذا نص فى المغايرة بينهما وقوله (ست سنين) مشكل مخالف لما تقدم ويمكن أن يقال اللام فى الملحمة غير القسطنطينية من سائر الملاحم واللام للعهد بالنظر الى ملحمة سابقة ويدل عليه انها ما وصفت بالعظمى ونحوه (ويخرج الدجال فى السابعة) أى فى السنة السابعة فى آخر السادسة التى فيها فتح المدينة وأول السابعة التى رجع المسلمون عنها الى الدجال وأما ما قيل من انه لا يبعد من أن يشتبه سبع سنين بسبعة أشهر ففى غاية من البعد (رواه أبو داود) وكذا ابن ماجه (وقال هذا أصح) أى من الحديث السابق ففيه دلالة على ان التعارض ثابت والجمع ممتنع والاصح هو المرجح وحاصله ان بين الملحمة العظمى وبين خروج الدجال سبع سنين أصح من سبعة أشهر (وعن ابن عمر قال يوشك المسلمون أن يحاصروا) على بناء المجهول أى يحبسوا ويضطروا ويلتجؤا (الى المدينة) أى مدينة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمحاصرة العدو اياهم أو يفر المسلمون من الكفار ويجتمعون بين المدينة وسلاح وهو موضع قريب من خيبر أو بعضهم دخلوا فى حصن المدينة وبعضهم ثبتوا حواليها احترا سا عليها وهذا المعنى أظهر بقوله (حتى يكون أبعد مسالحهم) بفتح الميم (سلاح) بفتح السين وقد ضبط برفعه مضموما على انه اسم ومؤخر والخبر قوله أبعد وفى نسخة برده منونا وفى أخرى بكسر الحاء ففى القاموس سلاح كسحاب وقطام موضع أسفل خيبر وقال ابن الملك سلاح منون فى نسخة ومبنى على الكسر فى أخرى وقيل مبنى على الكسر فى الحجاز غير منصرف فى بنى تميم ثم فى النهاية المسالح جمع المسلح والمسلحة القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسموا مسلحة لانهم يكونون ذوى سلاح أو لانهم يسكنون المسلحة وهى كالثغر والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة فاذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له (وسلاح قريب) أى موضع قريب (من خيبر) وهذا تفسير من الراوى والمعنى أبعد ثغورهم هذا الموضع القريب من خيبر وهذا يدل على كمال التضييق عليهم واحاطة الكفار حواليهم (رواه أبو داود وعن ذى مخبر) بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الموحدة ابن أخى النجاشى خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم روى عنه جبير بن نفير وغيره يعد فى الشاميين ذكره المؤلف (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستصالحون الروم) الخطاب للمسلمين (صلحا) مفعول مطلق من غير بابه أو بحذف الزوائد (آمنا) بالصفة صلحا اى صلحا ذا أمن أو على ان الاسناد مجازى (فتغزون أنتم) أى فتقاتلون أيها المسلمون (وهم) أى الروم المصالحون معكم (عدوا من ورائكم) أى من خلفكم (فتنصرون) بصيغة المفعول أى فينصركم الله عليهم (وتغنمون) أى الاموال (وتسلمون) أى من القتل والجرح فى القتال (ثم ترجعون) أى عن عدوكم (حتى تنزلوا) أى أنتم وأهل الروم (بمرج) بفتح فسكون أى روضة وفى النهاية أرض واسعة ذات نبات كثيرة (ذى تلول) بضم التاء جمع تل بفتحها وهو موضع مرتفع (فيرفع رجل من أهل النصرانية) وهم الاروام حينئذ (الصليب) وهو خشبة مربعة يدعون أن عيسى عليه الصلاة والسلام صلب على خشبة كانت على ثلاث

رواه أبو داود وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة أشهر رواه الترمذى وأبو داود وعن عبد الله بن بسر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال فى السابعة رواه أبو داود وقال هذا أصح وعن ابن عمر قال يوشك المسلمون ان يحاصروا الى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح وسلاح قريب من خيبر رواه أبو داود وعن ذى مخبر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستصالحون الروم صلحا آمنا فتغزون أنتم وهم عدوا من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذى تلول فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب

الصورة (فيقول) أى الرجل منهم (غلب الصليب) أى غلبنا ببركة الصليب (فيغضب رجل من المسلمين حيث نسب الغلبة لغير الحبيب (فيدقه) أى فيكسر المسلم الصليب (فعند ذلك تغدر الروم) بكسر الدال أى تنقض العهد (وتجمع) أى رجالهم ويجتمعون (للملحمة) أى للقتال أو للمقتلة (وزاد بعضهم) أى الرواة (فيثور) أى يعدو ويقوم (المسلمون الى اسلحتهم) أى مسرعين وناهضين اليها (فيقتتلون) أى معهم (فيكرم الله تلك العصابة) أى الجماعة من المسلمين (بالشهادة) وجعلهم الله شهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين الآية (رواه أبو داود) وكذا ابن ماجه وسكت عليه أبو داود ورواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح ذكره ميرك (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اتركوا الحبشة) فى القاموس الحبش والحبشة محركتين جنس من السودان (ماتركوكم) أى مادام انهم تركوكم (فانه لا يستخرج كنز الكعبة) أى كنزا مدفونا تحت الكعبة وقيل مخلوقا فيها وقيل المراد ما يجمعه أهل السدانة من هدايا الكعبة كذا فى الازهار (الاذو السويقتين) أى صاحب دقيق الساقين (من الحبشة) أى هو منهم ويكون أميرهم أو المراد به جنس الحبش لكون هذا الوصف غالبا فيهم قال النووى هما تصغير ساقى الانسان لدقتهما وهى صفة سوق السودان غالبا ولا يعارض هذا قوله تعالى حرما آمنا الان معناه آمنا الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل يخص منه قصة ذى السويقتين وقال القاضى عياض رحمه الله القول الاول أظهر أقول الاظهر انه تعالى جعله حرما آمنا باعتبار غالب الاحوال كما يدل عليه قضية ابن الزبير وقصة القرامطة ونحوهما المراد بجعله حرما آمنا انه حكم بانهم يؤمنون الناس ولا يتعرضون لاحد فيه كما أجاب بهذا بعض أهل التوفيق لما قال رئيس أهل الزندقة من القرامطة بعد ما فعلوا من الفساد من قبل العباد وخراب البلاد فاين كلام الله ومن دخله كان آمنا فقال انما معناه فامنوا من دخله ولا تتعرضوا فى مدخله بنهبه أو قتله (رواه أبو داود) وكذا الحاكم فى مستدركه (وعن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال دعوا الحبشة) أى اتركوهم (ماودعوكم) بتخفيف الدال أى ماتركوكم قال التور بشتى قلما يستعملون الماضى منه الا ماروى فى بعض الاشعار كقول القائل * غاله فى الحب حتى ودعه * ويحتمل أن يكون الحديث ماوادعوكم أى ماسالموكم فسقط الالف من قلم بعض الرواة قال الطيبى رحمه الله لا افتقار الى هذا الطعن مع وروده فى التنزيل الكشاف فى قوله تعالى ماودعك ربك وقرئ بالتخفيف يعنى ماتركك قال وثم ودعنا الى عمرو عامر ولان لفظ الازدواج ورد العجز على الصدر يجوز ذلك وقد جاء فى كلامهم انى لآتيه بالغدايا والعشايا وقوله ارجعن مأزورات غير مأجورات قال المظهر كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم متبوع لا تابع بل فصحاء العرب عن آخرهم بالاضافة اليه باقل وأيضا فلغات العرب مختلفة منهم من انقرض لغته وأتى صلى الله تعالى عليه وسلم بها قال شمر زعمت النحوية ان العرب أماتوا مصدره وماضيه والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أفصح أقول فاحياهما باستعمال الماضى فى هذا الحديث وبالمصدر فى الحديث الذى رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن ابن عباس وابن عمر مرفوعا لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين هذا وهو من باب الشاذ الموافق للقياس المخالف للاستعمال كالمسجد ونظائره (واتركوا الترك ماتركوكم) قال الخطابى اعلم ان الجمع بين قوله تعالى قاتلوا المشركين كافة وبين هذا الحديث ان الآية مطلقة والحديث مقيد فيحمل المطلق على المقيد ويجعل الحديث مخصصا لعموم الآية كما خص ذلك فى حق المجوس فانهم كفرة ومع ذلك أخذ منهم الجزية لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب قال الطيبى رحمه الله ويحتمل ان تكون الآية ناسخة للحديث لضعف الاسلام وأما تخصيص الحبشة والترك بالترك والودع فلأن بلاد الحبشة وغيره بين المسلمين وبينهم مهامه وقفار فلم يكلف المسلمين دخول ديارهم لكثرة التعب وعظمة المشقة وأما الترك فبأسهم شديد وبلادهم باردة والعرب وهم جند الاسلام كانوا من البلاد الحارة فلم يكلفهم دخول البلاد فلهذين السرين خصهم وأما اذا دخلوا بلاد المسلمين قهرا والعياذ بالله فلا يجوز لاحد ترك

فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيدقه فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة وزاد بعضهم فيثور المسلمون الى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة رواه أبو داود وعن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اتركوا الحبشة ماتركوكم فانه لا يستخرج كنز الكعبة الاذو السويقتين من الحبشة رواه أبو داود وعن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال دعوا الحبشة ماودعوكم واتركوا الترك ماتركوكم

القتال لان الجهاد في هذه الحالة فرض عين وفي الحالة الاولى فرض كفاية قلت وقد أشار صلى الله تعالى عليه وسلم الى هذا المعنى حيث قال ما تركوكم وحاصل الكلام ان الامر في الحديث للرخصة والاباحة لا للوجوب ابتداء أيضا فان المسلمين قد حاربوا الترك والحبشة بادين والى الآن لا يخلو زمان من ذلك وقد أعز الله الاسلام وأهله فيما هنالك (رواه أبو داود والنسائي) وروى الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا ولفظه اتركوا الترك ما تركوكم فان أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء في النهاية هي جارية ابراهيم الخليل ولدت له أولادا منهم الترك والصين اه وسيأتي زيادة تحقيق لهذا في حديث أبي بكرة (وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يقاتلكم) ظاهره أن يكون بالاضافة لكنه في جميع النسخ بالتنوين وقطع الاضافة فالوجه ان قوله يقاتلكم خبر مبتدأ محذوف أي هو يقاتلكم الخ والجملة صفة حديث والمعنى في حديث هو ان ذلك الحديث يقاتلكم (قوم صغار الاعين يعني الترك) تفسير من الراوي وهو الصحابي أو التابعي (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو قال ابن مسعود مرفوعا (تسوقونهم) من السوق أي يصيرون مغلوبين مقهورين منهزمين بحيث انكم تسوقونهم (ثلاث مرات) أي من السوق (حتى تلحقوهم) أي توصلوهم آخرا (بجزيرة العرب) قيل هي اسم لبلاد العرب سميت بذلك لاحاطة البحار والانهار بحر الحبشة وبحر فارس ودجلة والفرات وقال مالك هي الحجاز واليمامة واليمن وما لم يبلغه ملك فارس والروم ذكره الطيبي رحمه الله وتبعه ابن الملك (فأما في السياقة الاولى فينجو) أي يخلص (من هرب منهم) أي من الترك (وأما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض) اما بنفسه أو بأخذه واهلاكه وهو الظاهر (وأما في الثالثة فيصطلمون) بصيغة المجهول أي يحصدون بالسيف ويستأصلون من الصلم وهو القطع المستأصل (أو كما قال) أي قال غير هذا اللفظ مما يكون بمعناه وهذا من غاية ورع الراوي حيث لم يرض أن يكون النقل بالمعنى (رواه أبو داود وعن أبي بكرة) بالتاء (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل أناس) بضم الهمزة لغة في ناس (من أمتي بغائط) أي بغائر من الارض ذكره شارح وفي الفائق اي بواد مطمئن (يسمونه البصرة) بفتح الموحدة وفي نسخة بكسرها وفي القاموس البصرة بلدة معروفة ويحرك ويكسر الصاد أو هو معرب بسرة أي كثير الطرق (عند نهر) بفتح الهاء ويسكن (يقال له دجلة) بكسر الدال ويفتح نهر بغداد (يكون عليه جسر) أي قنطرة ومعبر (يكثر أهلها) أي أهل البصرة وفي حاشية الشفاء للحلبي البصرة مثلث الباء والفتح أفصح بناها عتبة بن غزوان في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ولم يعبد الصنم قط على ظهرها والنسبة اليها بالكسر والفتح قال المغني والكسر في النسبة أفصح من الفتح قلت ولعله لمجاورة كسر الراء هذا وقد قال الاشرف أراد صلى الله عليه وسلم بهذه المدينة مدينة السلام بغداد فان دجلة هي الشط وجسرها في وسطها لا في وسط البصرة وانما عرفها النبي صلى الله عليه وسلم بالبصرة لان في بغداد موضعا خارجا منه قريبا من بابه يدعى باب البصرة فسمى النبي صلى الله عليه وسلم بغداد باسم بعضها أو على حذف المضاف كقوله تعالى واسئل القرية وبغداد ما كانت مبنية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الهيئة ولا كان مصرا من الامصار في عهده صلى الله عليه وسلم ولذا قال صلى الله عليه وسلم (ويكون من أمصار المسلمين) بلفظ الاستقبال بل كان في عهده صلى الله عليه وسلم قرى متفرقة بعد ما خربت مدائن كسرى منسوبة الى البصرة محسوبة من أعمالها هذا وان أحدا لم يسمع في زماننا بدخول الترك بصرة قط على سبيل القتال والحرب ومعنى الحديث ان بعضا من أمتي ينزلون عند دجلة ويتوطنون ثمة ويصير ذلك الموضع مصرا من أمصار المسلمين وهو بغداد (واذا كان) اسمه مضمر (في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء) بفتح القاف وسكون النون ممدودا وقد يقصر أي يجيئون ليقاتلوا أهل بغداد وقال بلفظ جاء دون يجيء ايذانا بوقوعه فكأنه قد وقع وبنو قنطوراء اسم أبي الترك وقيل اسم جارية كانت للخليل عليه الصلاة والسلام ولدت له أولادا جاء من نسلهم الترك وفيه نظر فان الترك من أولاد يافث ابن نوح وهو قبل الخليل بكثير كذا ذكره بعضهم ويمكن دفعه بان الجارية كانت من أولاد يافث أو المراد

رواه أبو داود والنسائي وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يقاتلكم قوم صغار الاعين يعني الترك قال تسوقونهم ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب فأما في السياقة الاولى فينجو من هرب منهم وأما في الثانية فينجو بعض ويهلك بعض وأما في الثالثة فيصطلمون أو كما قال رواه أبو داود وعن أبي بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل أناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها ويكون من أمصار المسلمين واذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء

بالجارية

بالجارية بنت منسوبة للقابيل لكونها من بنات أولاده وقد تزوّجها واحد من أولاد يافث فاتت بابي هذا الجيل فيرتفع الاشكال بهذا القال والقيل ويصح انتسابهم الى يافث والخليل (عراض الوجوه) بدل أو عطف بيان وكذا قوله (صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق أهلها ثلاث فرق) بكسر ففتح جمع فرقة (فرقة) بالرفع ويجوز نصبها (يأخذون في أذناب البقر) من أخذ في الشئ شرع فيه وقوله (في البرية) تتميم وتذييل لان أخذ أذناب البقر لا يكون غالبا الا في البرية الخارجة عن المدينة التي يعبر عنها بالبحرية ومنه قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر أو المراد بقوله في البرية اختيار العزلة وايثار الصحراء والخلاء على البلاد واجتماع الملأ فعلى الاول صفة أو حال وعلى الثاني بدل كل أو بعض ويمكن أن تكون في تعليلية وقوله (وهلكوا) فذلكة ونتيجة لافعالهم والمعنى ان فرقة يعرضون عن المقاتلة هربا منها وطلبا لخلاص أنفسهم ومواشيهم ويحملون على البقر فيهيمون في البوادي ويهلكون فيها أو يعرضون عن المقاتلة ويشتغلون بالزراعة ويتبعون البقر للحراثة الى البلاد الشاسعة فيهلكون قال الطيبي رحمه الله قوله يأخذون في أذناب البقر على معنى يوقعون الاخذ في الاذناب كقوله * يجرح في عراقيبها نصلي * وكانهم يبالغون في الاشتغال ولا يعبؤن بأمر آخر أو يوغلون في السير خلفها الى البلاد الشاسعة فيهلكون فيها (وفرقة يأخذون) أي يطلبون أو يقبلون الامان من بني قنطوراء (لانفسهم وهلكوا) أي بأيديهم ولعل المراد بهذه الفرقة المستعصم بالله ومن معه من المسلمين طلبوا الامان لانفسهم ولاهل بغداد وهلكوا بأيديهم عن آخرهم وقال شارح أراد النبي صلى الله عليه وسلم بالبصرة بغداد لان بغداد كانت قرية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من قرى البصرة اطلاقا لاسم الجزء على الكل فالواقعة وقعت كما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وان أراد البصرة المعهودة فلعله يقع بعد ذلك اذ لم يسمع ان الكفار نزلوا بها أو طالقتال (وفرقة يجعلون ذراريهم) أي أولادهم الصغار ونساءهم (خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم الشهداء) أي الكاملون والمعنى ان فرقة ثالثة هم الغازية المجاهدة في سبيل الله قاتلوا الترك قبل ظهورهم على أهل الاسلام فاستشهد معظمهم ونجت منهم شرذمة قليلون كذا ذكره الاشرف وقال غيره وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم فانه وقع كما أخبر وكانت هذه الواقعة في صفر سنة ست وخمسين وستمائة (رواه أبو داود وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أنس ان الناس يمصرون) بتشديد الصاد (امصارا) بفتح الهمزة جمع مصر أي يتخذون بلادا والتمصير اتخاذ المصر على ما ذكره الطيبي رحمه الله فالتقدير يتخذون امصارا ففيه تجريد وقال شارح أي يضعون أساس مصر وبناءه (وان مصرا منها) أي من الامصار (ويقال له البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها) أو للتنويع لا للشك (فاياك وسباخها) أي فاحذر سباخها وهو بكسر السين جمع سبخة بفتح فكسر أي أرض ذات ملح وقال الطيبي رحمه الله هي الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الشجر (وكلاءها) بفتح الكاف وتشديد اللام ممدودا موضع بالبصرة وقال شارح هو شط النهر وهو موضع حبس السفينة وقيل هو موضع الرعي ويؤيده ما في بعض النسخ بالتخفيف والقصر وقد اقتصر عليه نسخة السيد جمال الدين رحمه الله هذا وقوم يجعلون كلاء البصرة اسما من كل على فعلاء ولا يصرفونه والمعنى انه موضع تكل فيه الريح عن عملها في غير هذا الموضع فكان الحذر منها لعفونة هواه (ونخيلها) اما للشبهة فيها أو لخوف غرة بها (وبسوقها) اما لحصول الغفلة فيها أو لكثرة اللغو بها أو فساد العقود ونحوها (وباب امرائها) أي لكثرة الظلم الواقع بها (وعليك بضواحيها) جمع الضاحية وهي الناحية البارزة للشمس وقيل المراد بها جبالها وهذا أمر بالعزلة فالمعنى الزم نواحيها (فانه يكون بها) قيل الضمير للسباخ والصواب للمواضع المذكورة (خسف) أي ذهاب في الارض وغيبوبة فيها (وقذف) أي ريح شديدة باردة أو قذف الارض الموتى بعد دفنها أو رمي أهلها بالحجارة بان تمطر عليهم (ورجف) أي زلزلة شديدة (وقوم يبيتون) أي أهل ذلك المصر قوم يبيتون بحذف المبتدأ أو فيها قوم بحذف الخبر كذا

عراض الوجوه صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق أهلها ثلاث فرق فرقة يأخذون في أذناب البقر والبرية وهلكوا وفرقة يأخذون لانفسهم وهلكوا وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم الشهداء رواه أبو داود وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أنس ان الناس يمصرون امصارا فان مصرا منها يقال له البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها ونخيلها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون

قاله الشارح والظاهر أن قوم عطف على خسف أى يكون بها قوم يمسون طيبين (و يصبحون قردة) أى شبابهم (وخنازير) أى شيوخهم قال الطيبى رحمه الله المراد به المسخ وعبر عنه بما هو أشنع اه وقيل فى هذا اشارة الى أن بها قدرية لان الخسف والمسخ انما يكون فى هذه الامة للمكذبين بالقدر (رواه) هنا بياض فى الاصل وقال الجزرى رواه أبوداود من طريق لم يجزم بها الراوى بل قال لا أعلمه الا عن عيسى بن أنس عن أنس بن مالك (وعن صالح بن درهم) بكسر الدال وفتح الهاء وفى القاموس درهم كزبرج وبرز بح معلوم قال المؤلف باهلى روى عن أبى هريرة وسمرة وعنه شعبة والقطان ثقة (يقول انطلقنا حاجين) أى ذهبنا مريدين الحج (فاذا رجل) المراد به أبو هريرة وهو مبتدأ خبره محذوف وقوله (فقال) عطف عليه أى فاذا رجل واقف فقال (لنا الى جنبكم قرية) بحذف الاستفهام (يقال لها الابلة) بضم الهمزة والباء وتشديد اللام البلد المعروف قرب البصرة من جانبها البحرى كذا فى النهاية وهى أحد المنتزهات الاربع وهى أقدم من البصرة قال الاصمعى هى اسم نبطى ذكره ميرك عن التصحيح وقال شارح هى من جنان الدنيا وهى أربع أبلة البصرة وغوطة دمشق وسغد سمرقند وشعب بوان ثم قيل بوان هو كرمان وقيل نوبندجان فى الفارس (قلنا نعم قال من يضمن) استفهام للالتباس والسؤال والمعنى من يتقبل و يتكفل (لى) أى لاجلى (منكم أن يصلى لى) أى بنيتى (فى مسجد العشار) بفتح العين المهملة وتشديد الشين المعجمة مسجد مشهور يتبرك بالصلاة فيه ذكره ميرك (ركعتين أو أربعا) أى أربع ركعات وأو للتنويع أو بمعنى بل (و يقول) أى عند النية أو بعد فراغ الصلاة (هذه) أى الصلاة أو ثوابها (لابى هريرة) قيل فان قيل الصلاة عبادة بدنية ولا تقبل النيابة فما معنى قول أبى هريرة قلنا يحتمل أن يكون هذا مذهب أبى هريرة قاس الصلاة على الحج وان كان فى الحج شائبة مالية و يحتمل أن يكون معناه ثواب هذه الصلاة لابى هريرة فان ذلك جوزه بعضهم كذا ذكره الطيبى رحمه الله وقال علماؤنا الاصل فى الحج عن الغير ان الانسان له أن يجعل ثواب عمله لغيره من الاموات والاحياء حجا أو صلاة أو صوما أو صدقة أو غيرها كتلاوة القرآن والاذكار فاذا فعل شيأ من هذا وجعل ثوابه لغيره جاز و يصل اليه عند أهل السنة والجماعة (سمعت خليلى) قال التوربشتى رحمه الله قد سبق منه هذا القول فى عدة أحاديث وكانه قول لم يصدر عن روية بل كان الباعث عليه ما عرف من قلبه من صدق المحبة ولو تدبر القول لم يلتبس عليه كون ذلك زائغا عن نهج الادب وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم انى ابرأ الى كل خليل من خلته فليس لاحد أن يدعى خلته مع براءته عن خلة كل خليل قال الطيبى رحمه الله لو تأمل حق التأمل ماذهب الى ماذهب اليه لان الحب من فرط المحبة وصدق الوداد يرفع الاحتشام من البين لا سيما اذا امتد زمان المفارقة على أنه نسب الخلة الى جانبه لا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه رضى الله عنه منذ أسلم مافارق حضرة الرسالة مع شدة احتياجه وفاقته والناس مشتغلون بتجارتهم وزرعهم أقول قوله لان صدق الوداد يرفع الاحتشام من البين الخ كلام مدخول وتعليل معلول اذ مثل هذا لا يقال الا فى المتساويين من المتصاحبين ولا يقاس الملوك بالحدادين فأين منصب صاحب النبوة والرسالة عن مرتبة أبى هريرة فى الحضرة أو الغيبة حتى يعبر عنه صلى الله عليه وسلم بأنه خليله بأى معنى يكون سواء عمم اضافة الوصف الى فاعله أو مفعوله ومن المعلوم أن مثل هذا لو صدر عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه لانكر عليه لانه بظاهره مصادم لقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا الحديث هذا وقد قيل فى سبب تسمية ابراهيم بالخليل أنه بعث الى خليل له بمصر فى أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فأخرجت أحسن حوارى واختبزت واستنبه فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذه فقالت امرأته من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى

ويمسخون قردة وخنازير
رواه وعن صالح بن
درهم يقول انطلقنا حاجين
فاذا رجل فقال لنا الى جنبكم
قرية يقال لها الابلة قلنا نعم
قال من يضمن لى منكم أن
يصلى لى فى مسجد العشار
ركعتين أو أربعا و يقول
هذه لابى هريرة سمعت
خليلى

الله فسماه الله خليلا كذا ذكره في الكشاف قال النووي رحمه الله أصل الخلة الاختصاص والاستقصاء وقيل أصلها الانقطاع الى من خاللت مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بذلك لانه قصر حاجته الى الله سبحانه وتعالى جل جلاله ولا اله غيره وقيل الخلة صفاء المودة التي توجب تخلل الاسرار وقيل معناها المحبة والالطاف هذا كلام القاضي رحمه الله وقال ابن الانباري الخليل معناه المحب الكامل المحبة والمحبوب الموفي بحقيقة المحبة التي ليس في حبه نقص ولا خلل قال الواحدي هذا القول هو الاختيار لان الله تعالى خليل ابراهيم وابراهيم خليل الله ولا يجوز أن يقال الله تعالى خليل ابراهيم من الخلة التي هي الحاجة اه وبه تبين أن الخلة بالمعاني الذي ذكروها لا تصدق على أبي هريرة فكيف يسوغ له أن يخص نفسه من بين الاصحاب ويقول سمعت خليلي (أبا القاسم صلى الله عليه وسلم) بدل أو عطف بيان (يقول) فاعل سمعت (ان الله عز وجل يبعث) أي يحشر (من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لا يقوم) أي من القبور أو في المرتبة (مع شهداء بدر غيرهم) ولم يعرف انهم من شهداء هذه الامة أو من الامم السابقة (رواه أبو داود وقال) أي أبو داود (هذا المسجد مما يلي النهر) أي نهر الفرات قال المؤلف (وسنذكر حديث أبي الدرداء ان فسطاط المسلمين) تمامه يوم الملحمة بالغوطة الى جانب المدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام (في باب ذكر اليمن والشام ان شاء الله تعالى) جل شأنه

(الفصل الثالث) (عن شقيق) وهو ابن أبي سلمة أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ولم يسمع منه وروى عن خلق من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وابن مسعود وكان خصيصا به من أكابر الصحابة وهو كثير الحديث ثقة حجة مات زمن الحجاج (عن حذيفة) أي ابن اليمان قال المؤلف هو صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى عنه عمر وأبو الدرداء وغيرهم من الصحابة والتابعين مات بالمدائن بعد قتل عثمان بأربعين ليلة وقبره بها (قال كنا عند عمر فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة فقلت أنا أحفظ كما قال) صفة مصدر محذوف أي أنا أحفظ مقوله صلى الله عليه وسلم حفظا مماثلا لما قال ذكره الطيبي رحمه الله فأحفظ متكلم لا تفضيل كما يتوهم (قال هات) بكسر التاء أي اعط على ما في القاموس (انك لجريء) فعيل من الجراءة وهي الاقدام على الشيء ومعناه انك غير هائب قد تجاسرت على ما لا أعرفه ولا يعرفه أصحابك وادعيت انك عرفت صريح القول ومن ثم قال هات (وكيف قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم قال الطيبي رحمه الله تعالى هو عطف على هات أي هات ما قال وبين كيفيته اه وقد يقال ان الظاهر بالنظر الى حال حذيفة وما كان معلوما عندهم من انه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقع من الفتن أن يكون المعنى انك لجراءتك وكثرة مساءلتك أخذت عن النبي صلى الله عليه وسلم ما لم نأخذه منه فهات وبين (قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتنة الرجل في أهله) أي عياله من امرأته وجاريته أو أقاربه (وماله ونفسه وولده وجاره) أي وأمثال ذلك والمعنى ان الرجل يبتلى ويمتحن في هذه الاشياء ويسأل عن حقوقها وقد يحصل له ذنوب من تقصيره فيها فينبغي أن يكفرها بالحسنات لقوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت واليه أشار بقوله (يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عمر ليس هذا أريد) قال الطيبي رحمه الله وذلك ان عمر رضي الله تعالى عنه لما سأل أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة واحتمل أن يراد بالفتنة الاختبار والابتلاء كما في قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين وان يراد بها وقعة القتال وكان سؤاله عن الثاني قال ليس هذا أريد (انما أريد التي تموج كموج البحر) أي تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه وكنى بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة وانما أنث عمر رضي الله تعالى عنه المشار اليه بعد ما ذكره باعتبار المذكور دلالة على فظاعة المشار اليه وانه الداهية الدهياء (قال قلت مالك ولها) استفهام انكار أي أي شيء لك من الحاجة الى تلك الفتنة

أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل يبعث من مسجد العشار يوم القيامة شهداء لا يقوم مع شهداء بدر غيرهم رواه أبو داود وقال هذا المسجد مما يلي النهر وسنذكر حديث أبي الدرداء ان فسطاط المسلمين في باب ذكر اليمن والشام ان شاء الله تعالى

(الفصل الثالث) عن شقيق عن حذيفة قال كنا عند عمر فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة فقلت أنا أحفظ كما قال قال هات انك لجريء وكيف قال قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عمر ليس هذا أريد انما أريد التي تموج كموج البحر قال قلت مالك ولها

والى سوء الهاوما يترتب عليها من المحنة وأى شئ لها من الوصول اليك والحصول لديك فانه ليس لك ولها اقتران واجتماع فى زمان (يا أمير المؤمنين) يحتمل تعلقه بما قبله ومابعده (ان بينك وبينها بابا مغلقا) استئناف تعليل (قال فيكسر الباب) أى من شدته وصعوبته والاستفهام مقدر ولذا قابله بقوله (أو يفتح) أى من خفته وسهولته (قال قلت لا) أى لا يفتح فانصب النفى على الفعل القريب لكن لما كان وهما أن يتعلق بالفعلين جميعا استدركه وقال (بل يكسر) وفائدته التأكيد والتأبيد وقال الطيبى رحمه الله فان قلت كان يكفى فى الجواب أن يقول يكسر فلم أتى بلا وبل قلت للتنبيه على ان هذا ليس من مقام الترديد فى الكسر لظهوره فلا يسأل بأم المعادلة كما سبق مرارا اه ولا يخفى مافيه من الاعتراض البارد على من هو من زبدة الفصحاء وعمدة البلغاء وكذا من دعوى الظهور الذى لا يتوهمه أحد من الاغبياء مع ان أم ليس موجودا فى العبارة بل الترديد انما وقع بلفظ أو وفرق بينهما عند أرباب الاشارة بل الظاهر انما هو الاعتراض على حذيفة فى جوابه لما تقرر فى محله من ان جواب أم المتصلة بالتعيين دون نعم أو لا لانهما لا يفيدان التعيين بخلاف أو مع الهمزة كما اذا قلنا جاءك زيد أو عمرو فانه يصح جوابه بلا ونعم لان المقصود بالسؤال أحدهما لا على التعيين أجاءك أولا ولا شك هذا المعنى غير مراد هنا فى جوابه بل المراد التعيين وهو المقصود فى الحكم بالكسر غايته أنه نفى مقابله وهو الفتح أولا ثم أثبت الكسر لزيادة افادة الحصر كما حقق فى كلمة التوحيد فانه لو قيل الله موجود أو ثابت أو محقق لم يفد نفى ماسواه فلذا عدل عنه الى قوله لا اله الا الله (قال) أى عمر رضى الله عنه (ذاك) كذا بلا لام فى النسخ المصححة أى ذلك الباب الذى من وصفه أن يكسر ولا يفتح (أحرى) أى حرى وحقيق (أن لا يغلق أبدا) لان الفتح قد يرجى اغلاقه بخلاف الكسر فانه يبعد من الرجاء ذكره الطيبى ومما يقوى هذا المعنى مارواه الترمذى عن ثوبان اذا وضع السيف فى أمتى لم يرفع عنها الى يوم القيامة (قال) أى الراوى وهو شقيق (فقلنا لحذيفة هل كان عمر يعلم من الباب) كان الظاهر أن يقال ما الباب فكأنهم تفرسوا ان المراد بالباب الشخص لا الباب الحقيقى كذا حققه الطيبى رحمه الله وفى الكسر شهادة على شهادة عمر رضى الله عنه فكان ابن الخطاب كان باب الصواب ومفتاحا لعز الاسلام وما منا من الفتن بين الانام فرضى الله تعالى عنه وأدخله دار السلام (قال) أى حذيفة (نعم) أى كان يعلم من الباب (كما يعلم) أى كعلمه (ان دون غد) أى قدامه (ليلة) والمعنى ان الغد لا يتصور الاتيان متأخرا عن حصول الليلة وكأنه جعل زمن الامن فى قوة اليوم الحاضر ووقت الفتن بمنزلة الغد الحاضر والحاجز بينهما فى مرتبة ليل ساتر وما أحسن تعبير حذيفة رضى الله عنه عن ظهور يوم الفتنة بالغد الواقع بعد تحقق الظلمة المعبر عنها بالليلة لخفاء أمر الفتنة وشدة بلائها فان الليل أدهى للويل وحاصله أن علمه بانه هو الباب أمر ظاهر لا يشك فيه أحد من أولى الالباب (انى حدثته) استئناف فيه معنى التعليل أى ذكرت (له حديثا) أى ظاهرا (ليس بالاغاليط) وهى جمع الاغلوطة وهى المسئلة التى يغالط بها قال الطيبى رحمه الله أراد أن ماذكرت له لم يكن مبهما محتملا كالاغاليط بل صرحته تصريحا وفيه أنه قد آثر حذيفة الحرص على حفظ السر ولم يصرح لعمر بما سأل عنه وانما كنى عنه كناية أى لا يخرج من الفتن شئ فى حياتك وكأنه مثل الفتن بدار ومقابل لدار الامن وحياته بباب مغلق وموته بفتح ذلك الباب ثم انه كنى بالكسر عن القتل وبالفتح عن الموت وحاصله أنه لم يكن الكلام من باب الصريح بل من قبيل الرمز والتلويح لكن عمر ممن لا تخفى عليه الاشارة فضلا عن العبارة بل هو أيضا من أصحاب الاسرار وأرباب الانوار وانما أراد بالسؤال تحقيق الحال وأنه هل بقى أحد من الصحابة ممن يكون هذا العلم منه على الباب ولذا جزم حذيفة بقوله نعم والله تعالى اعلم ثم قول الطيبى رحمه الله ولعله لهذا السر قال له عمر انك لجرىء وفيه نظر ظاهر لان اظهار الحق المسموع من سيد الخلق لا يستبعد حتى يسمى جراءة على ان الرد ما الصواب ماتقدم والله تعالى أعلم (قال) أى شقيق (فهبنا) بكسر الهاء من الهيبة أى خشينا (أن نسأل حذيفة من الباب) أى فى ذلك المجلس (فقلنا لمسروق) وهو تابعى جليل (سله) أى سل حذيفة (فسأله فقال) أى حذيفة (عمر) أى هو الباب

يا أمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال فيكسر الباب أو يفتح قال قلت لا بل يكسر قال ذلك أحرى ان لا يغلق أبدا قال فقلنا لحذيفة هل كان عمر يعلم من الباب قال نعم كما يعلم ان دون غد ليلة انى حدثته حديثا ليس بالاغاليط قال فهبنا ان نسأل حذيفة من الباب فقلنا لمسروق سله فسأله فقال عمر

يعني السد الفتنة عن الاصحاب والاحباب أولانه باب النطق بالصواب (متفق عليه) وفي الجامع فتنة الرجل في أهله وماله وولده ونفسه وجاره يكفرها الصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه عن حذيفة (وعن أنس قال فتح القسطنطينية مع قيام الساعة) أي مع قرب قيامها وقد سبق تحقيق المباني وما يتعلق به من المعاني (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) أي اسنادا اومتنا والله تعالى أعلم وأحكم

(باب أشراط الساعة)

أي علامات القيامة ففي النهاية الاشراط العلامات واحدها شرط بالتحريك وبه سميت شرط السلطان لانهم جعلوا لانفسهم علامات يعرفون بها هكذا قال أبو عبيدة وحكى الخطابي عن بعض أهل اللغة انه أنكر هذا التفسير وقال أشراط الساعة ما ينكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة اه وكأنه أخذه مما ذكره صاحب القاموس ان الشرط محركة العلامة وأول الشئ ورذال المال وصغارها وهو لا ينافي أن يكون الشرط له معنيان كل واحد منهما يصلح للمقام فلا وجه للانكار مع ان قوله ما ينكره الناس ليس على اطلاقه اذ قد يوجد في الناس من لا ينكر صغار أمور الساعة لما حصل له من علم اليقين من صاحب السيادة والسعادة أولا وزيادة عين اليقين في مقام المشاهدة آخرا

(الفصل الاول) (عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم) أي يرتفع اما بقبض العلماء واما بخفضهم عند الامراء (ويكثر الجهل) أي بغلبة السفهاء (ويكثر الزنا) أي لاجل قلة الحياء (ويكثر شرب الخمر) بضم الشين وفتحها وقرئ بهما في المتواتر عند قوله تعالى فشاربون شرب الهيم ويجوز كسرها ففي القاموس شرب كسمع شربا ويثلث ثم كثرة شرب الخمر مورثة لكثير من الفساد في البلاد والعباد فيحصل الاعتداء (ويقل الرجال) أي وجودهم المطلوب منهم نظام العالم (ويكثر النساء) أي ممن لا يتعلق بظهورهن الامر الاهم بل وجودهن مما يكثر الغم والهم ويقتضي تحصيل الدينار والدرهم (حتى يكون لخمسين امرأة القيم) بكسر التحتية المشددة أي القائم (الواحد) أي المنفرد لمصالحهن وليس المراد انهن زوجات له بل أعم منها ومن الامهات والجدات والاخوات والعمات والخالات (وفي رواية يقل العلم ويظهر الجهل) والظاهر انهما بدلان من يرفع ويكثر فالتقدير ان يقل العلم ويظهر الجهل ولعل هذه الرواية مبنية على أول الامر فان مآل آخره الى رفع العلم بالكلية كما جاء في حديث رواه السجزي عن ابن عمر مرفوعا لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن وفي حديث أحمد ومسلم والترمذي عن أنس لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله (متفق عليه) ورواه الترمذي وابن ماجه ذكره السيد جمال الدين رحمه الله وفي الجامع رواه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس بلفظ ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد وفي رواية لاحمد والشيخين عن ابن مسعود وأبي موسى مرفوعا ان بين يدي الساعة لاياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج والمرج وهو القتل (وعن جابر بن سمرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان بين يدي الساعة كذابين) قال المظهر أراد منه كثرة الجهل وقلة العلم والاتيان بالموضوعات من الاحاديث وما يفترونه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل أن يراد به ادعاء النبوة كما كان في زمانه وبعد زمانه وأن يراد بهم جماعة يدعون أهواء فاسدة ويسندون اعتقادهم الباطل اليه صلى الله عليه وسلم كأهل البدع كلهم (فاحذروهم رواه مسلم) قال ابن الملك في شرح المشارق قوله فاحذروهم غير مذكور في صحيح مسلم لكن جاء في بعض روايات غيره وقيل انه قول جابر اه وفي الجامع كلفظ المشكاة بكماله وقال رواه أحمد ومسلم عن جابر بن سمرة (وعن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يحدث) أي يتكلم في أمر مع أصحابه (اذ جاء اعرابي فقال متى الساعة قال اذا ضيعت) بصيغة المفعول من التضييع وفي نسخة من الاضاعة (الامانة) أي حين جعلت الامانة

متفق عليه وعن أنس قال فتح القسطنطينية مع قيام الساعة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب
(باب أشراط الساعة)
(الفصل الاول) عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد وفي رواية يقل العلم ويظهر الجهل متفق عليه وعن جابر بن سمرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم رواه مسلم وعن أبي هريرة قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم يحدث اذ جاء اعرابي فقال متى الساعة قال اذا ضيعت الامانة

فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة رواه البخاري وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا رواه مسلم وفي رواية له قال تبلغ المساكن اهاب أو يهاب

ضائعة بالخيانة أو وضعت عند غير أرباب الديانة (فانتظر الساعة) أي فانه من أشراط القيامة (قال كيف اضاعتها) هذا يؤيد النسخة أي كيف تضييع الامانة والامة قائمون بامرها والعامة معتنون بقدرها (قال اذا وسد) بضم الواو وتشديد السين وقد تخفف على ما في المقدمة أي أسند وفوض (الامر) أي أمر السلطنة أو الامارة أو القضاء أو الحكومة (الى غير أهله) أي ممن لم يوجد فيه شرائط الاستحقاق كالنساء والصبيان والجهلة والفسقة والبخيل والجبان ومن لم يكن قرشيا ولو كان من نسل سلاطين الزمان هذا في الخليفة وقس على هذا سائر أولي الامر والشان وأرباب المناصب من التدريس والفتوى والامامة والخطابة وأمثال ذلك مما يفتخر به الاقران قال التوربشتي رحمه الله معناه أن يلي الامر من ليس له بأهل فيلقى له وسادة الملك وأراد بالامر الخلافة وما ينضم اليها من قضاء وامارة ونحوها والتوسيد أخذ من الوسادة يقال وسدته الشيء بالتخفيف فتوسده اذا جعله تحت رأسه ولفظة الى فيها اشكال اذ كان من حقه أن يقال وسد الامر لغير أهله فلعله أتى بها ليدل على اسناد الامر اليه اهـ وفي القاموس ان الى تأتي مرادفة للام نحو قوله تعالى والامر اليك اهـ ويريد أن المعنى والامر لك لكن الاظهر أن يقال الامر راجع اليك والاحسن في الحديث أن يضمن معنى التفويض والاسناد كما أشرنا اليه أولا (فانتظر الساعة) للدلالة على قرب قيامها وانما دل ذلك على دنو الساعة لافضائه الى اختلال الامر وعدم تمام النظام ووهن أمور الدين وضعف أحكام الاسلام وقال الطيبي رحمه الله لان تغير الولاة وفسادهم مستلزم لتغير الرعية وقد قيل الناس على دين ملوكهم قال القاضي رحمه الله أخرج الجوابين مخرج الاستئناف للتأكيد ولان السؤال الاول لما لم يكن مما يمكن أن يجيب عنه بجواب حقيقي يطابقه فان تأقيت الساعة غيب لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل عدل عن الجواب الى ذكر ما يدل على المسؤل عنه دلالة من أماراتها وسلك في الجواب الثاني مسلك الاول ليتسق الكلام قال الطيبي رحمه الله كان من حق الظاهر أن يكتفي عن جواب السؤال الاول بقوله اذا ضيعت الامانة وأن يؤتى في السؤال الثاني بما يطابق الجواب فزاد في الاول فانتظر الساعة لينبه على ان قوله اذا ضيعت الامانة ليس بيان الساعة بل من أماراتها فلا تكون اذا شرطية وتأويل السؤال الثاني متى تضيع الامانة وكيف حصول التضييع فقال اذا وسد الامر فاطنب في الاول لافادة معنى زائد واختصر في الثاني لدلالة الكلام عليه تفننا اهـ وفيه انه يوهم ان قوله فانتظر الساعة غير موجود في الجواب الثاني والحال أن الامر بخلافه بل هو موجود في الجوابين ولعله سقط من أصل الطيبي رحمه الله والله تعالى أعلم (رواه البخاري) ولفظ الجامع اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظر الساعة رواه البخاري عن أبي هريرة (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكثر المال) أي ابتلاء في الحال والمآل (ويفيض) بفتح الياء فيه وفيما قبله وهو عطف تفسير أي يسيل من كثرته من كل جانب كالسيل لميل الخلق اليه كل الميل (حتى يخرج) بضم الياء أي يفرز (الرجل زكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه) أي لكثرة المال وقلة الميل اليه بتشوش الحال (وحتى تعود أرض العرب) أي تصير أو ترجع (مروجا) بالضم أي رياضا كما كانت بنباتاتها وأشجارها وأثمارها (وأنهارا) أي مياها كثيرة جارية في أنهارها وفي النهاية المرج الارض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيه الدواب أي تخلى تسرح مختلطة كيف شاءت اهـ وفيه اشارة الى ما قيل من أن الدنيا جنة الحمقى في أنهم يأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن العقبى (رواه مسلم وفي رواية له) أي لمسلم (قال تبلغ المساكن) أي تصل نهاية مساكن المدينة (اهاب) بكسر الهمزة وفتح الموحدة (أو يهاب) بكسر الياء التحتية وهو الانسب للازدواج المعتبر عند الفصحاء والبلغاء وفي نسخة صحيحة بفتحها وهما موضعان قرب المدينة فأو للتنويع وعدم صرفهما باعتبار البقعة والمراد كثرة عمارة المدينة وما حولها وقال شارح أو نهاب بالنون المكسورة وروي بالياء المكسورة قال النووي رحمه الله أما اهاب فبكسر الهمزة وأما يهاب فبياء مثناة تحتية مفتوحة ومكسورة ولم يذكر القاضي في الشرح والمشارق

الا

الا الكسر وحكى القاضي رحمه الله عن بعضهم نهاب بالنون والمشهور الاول وقد ذكر في الكتاب انه موضع بقرب المدينة على اميال منها قال التوربشتي رحمه الله يريد أن المدينة يكثر سوادها حتى يتصل مساكن أهلها باهاب أو يهاب شك الراوي في اسم الموضع أو كان يدعى بكلا الاسمين فذكر أو للتخيير بينهما وفي التصحيح على مانقله ميرك ان قوله اهاب بكسر الهمزة ولم يصرفه على قصد البقعة ويهاب بياء آخر الحروف مكسورة كذا قيده عياض في المشارق وقيده غيره بالفتح وقيل فيه نهاب بالنون وكأنه تصحيف والشك فيه من الراوي وفي القاموس الاهاب ككتاب الجلد وكسحاب موضع قرب المدينة ولم يذكر فيه يهاب والله تعالى أعلم بالصواب (وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون) أي يوجد (في آخر الزمان خليفة) أي سلطان يحثي (يقسم المال) أي على المستحقين بالعدل ولا يخزنه كسلاطين زماننا (ولا يعده) بفتح الياء وضم العين والدال المشددة أي ويعطي كثيرا من غير عد واحصاء بل يكون احسانه جزافا قال ابن الملك رحمه الله ويحتمل كونه من الاعداد وهو جعل الشيء عدة وذخيرة أي لا يدخر اعدد ولا يكون له خزانة كفعل الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد سبقه شارح حيث قال اما بفتح الياء وضم العين أي لا يحصيه أو يعد بضم الياء وكسر العين أي لا يدخره وهو كذا في بعض النسخ لكن يضعف هذا الاحتمال مبنى ومعنى قوله (وفي رواية قال يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال) بفتح الياء وكسر المثلثة أي يعطيه بالكفين (حثيا) مفعول مطلق أتى به للمبالغة أي حثيا بليغا ثم أكد ذلك بقوله (ولا يعده عدا) مصدر بين ان فعله ثلاثي لا رباعي قال النووي رحمه الله تعالى والحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الاموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه وقال ابن الملك السر فيه ان ذلك الخليفة يظهر له كنوز الارض أو يعلم الكيمياء أو يكون من كرامته أن ينقلب الحجر ذهبا كما روي عن بعض الاولياء (رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الفرات أن يحسر) بضم السين وكسرها أي يكشف (عن كنز) ففي النهاية يقال حسرت العمامة عن رأسي وحسرت الثوب عن بدني أي كشفتهما وقال شارح أي يظهر ويكشف نفسه عن كنز فيه اشارة الى أن حسر متعد وقال الخلخالي أحد شراح المصابيح أي سيظهر فرات عن نفسه كنزا ففيه ايماء الى أنه وقع القلب في الكلام فهو من باب عرضت الناقة على الحوض وفي القاموس حسره يحسره ويحسره كشفه والشيء حسورا انكشف فالفعل متعد ولازم وعلى تقدير اللزوم لا يحتاج الى تكلف فالاولى حمله عليه فالمعنى يقرب الفرات أن ينكشف عن كنز أي انكشافا صادرا عن كنز عظيم (من ذهب) أي كثير (فمن حضر) أي فالغائب بالاولى (فلا يأخذ) بصيغة النهي (منه شيأ) أي لما يترتب على الاخذ منه ماسيأتي من المقاتلة الكثيرة والمنازعة الكبيرة ويحتمل أن يكون فلا يأخذ نفيا ويؤيده ماسيأتي من قوله فلا يأخذون منه شيأ (متفق عليه) ورواه أبو داود والترمذي (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب) الظاهر أن القضية متحدة والرواية متعددة فالمعنى عن كنز عظيم مقدار جبل من ذهب ويحتمل أن يكون هذا غير الاول ويكون الجبل معدنا من ذهب (يقتتل الناس عليه) أي على تحصيله وأخذه (فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون) أي من الناس المتقاتلين (ويقول كل رجل منهم) أي من الناس أو من التسعة والتسعين (لعلي أكون أنا الذي أنجو) قال الطيبي رحمه الله هو من باب قوله * أنا الذي سمتني أمي حيدره * أي أنا الذي ينجو فنظر الى المبتدا فحمل الخبر عليه لا على الموصول اه أي يرجو كل واحد منهم أن يكون هو الناجي فيقتل الباقي في الحال رجاء أن ينجو في المآل فيأخذ المال وهذا من سوء الآمال وتضييع الاعمال قال الطيبي رحمه الله فيه كناية لان الاصل أن يقال أنا الذي أفوز به فعدل الى أنجو لانه اذا نجا من القتل تفرد بالمال وملكه (رواه مسلم وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تقيء الارض) مضارع من القيء أي تلقي الارض (أفلاذ كبدها) بفتح الهمز جمع الفلذة وهي القطعة المقطوعة طولا وسمي مافي الارض كبدا تشبيها بالكبد

وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده وفي رواية قال يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا ولا يعده عدا رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضر فلا يأخذ منه شيأ متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الارض أفلاذ كبدها

التي في بطن البعير لانه أحب ماله وشبهها فيها كما أن الكبد أطيب ما في بطن الجزور وأحبه الى العرب وانما قال في بطن البعير لان ابن الاعرابي قال الفلذ لا يكون الا للبعير فالمعنى تظهر كنوزها وتخرجها من بطونها الى ظهورها (أمثال الاسطوان) بضم الهمزة والطاء وفي نسخة صحيحة الاسطوانة فهي واحدة والاول جنس وهو الانسب بجمع الامثال وقوله (من الذهب والفضة) لبيان مجمل الحال قال القاضي رحمه الله معناه ان الارض تلقي من بطنها ما فيه من الكنوز وقيل ما رسخ فيها من العروق المعدنية ويدل عليه قوله أمثال الاسطوانة وشبهها بافلاذ الكبد هيئة وشكلا فانها قطع الكبد المقطوعة طولا أقول ولعل الحديث فيه اشارة الى قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها (فيجيء القاتل) أي قاتل النفس (فيقول في هذا) أي في طلب هذا الغرض ولاجل تحصيل هذا المقصود (قتلت) أي من قتلت من الانفس (ويجيء القاطع) أي قاطع الرحم (فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي) بصيغة المجهول ولو روي معلوما لكان له وجه أي تسببت لقطع يدي (ثم يدعونه) بفتح الدال أي يتركون ما قاءته الارض من الكنز أو المعدن (فلا يأخذون منه شيأ رواه مسلم) وكذا الترمذي (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا) أي لا تفرغ ولا تنقضي (حتى يمر الرجل على القبر) المراد بهما الجنس فهما في قوة النكرة ويمكن أن يراد بهما الاستغراق فكل فرد في هذا لاستغراق (فيتمرغ) أي يتقلب الرجل (عليه) أي فوق القبر وقال ابن الملك أي يتمسك على رأس القبر ويتقلب في التراب (ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر) أي ميتا (وليس به الدين) بكسر الدال (الا البلاء) أي الحامل له على التمني ليس الدين بل البلاء وكثرة المحن والفتن وسائر الضراء قال المظهر الدين هنا العادة وليس في موضع الحال من الضمير في يتمرغ يعني يتمرغ على رأس القبر ويتمنى الموت في حال ليس التمرغ من عادته وانما حمل عليه البلاء وقال الطيبي رحمه الله ويجوز أن يحمل الدين على حقيقته أي ليس ذلك التمرغ والتمني لامر أصابه من جهة الدين لكن من جهة الدنيا فيقيد البلاء المطلق بالدنيا بواسطة القرينة السابقة (رواه مسلم) أي بهذا اللفظ واتفقا على لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه كذا ذكره ميرك عن التصحيح قلت وهذا اللفظ في الجامع أسند الى أحمد والشيخين وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج الدجال حتى لا يكون شيء أحب الى المؤمن من خروج نفسه وخرج أيضا عن أبي هريرة قال يوشك أن يكون الموت أحب الى المؤمن من الماء البارد يصب عليه العسل فيشربه وأخرج أيضا عن أبي ذر قال ليأتين على الناس زمان تمر الجنازة فيهم فيقول الرجل ياليت أني مكانه وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال مرض أبو هريرة فأتيت أعوده فقلت اللهم اشف أبا هريرة فقال اللهم لا ترجعها وقال يوشك يا أبا سلمة أن يأتي على الناس زمان يكون الموت أحب الى أحدهم من الذهب الاحمر ويوشك يا أبا سلمة ان بقيت الى قريب أن يأتي الرجل القبر فيقول ياليتني مكانك (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز) أي مكة والمدينة وما حولهما (تضيء) بضم أوله أي تنور (أعناق الابل) جمع العنق بضمتين وهو العضو المعروف وقيل بفتحتين وهو الجماعة (ببصرى) بضم موحدة وهي مدينة حوران بالشام وقيل مدينة قيسارية البصرة قال النووي رحمه الله هكذا الرواية بنصب أعناق وهو مفعول تضيء يقال أضاءت النار وأضاءت غيرها وبصرى بضم الباء مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة ست وخمسين وستمائة وكانت نارا عظيمة خرجت من جنب المدينة شرفها الله تعالى الشرقي وراء الحرة وتواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان وأخبرني من حضرها من أهل المدينة قال التوربشتي رحمه الله رأى هذه النار أهل المدينة ومن حولهم رؤية لا مرية فيها ولا خفاء فانها ابتدت نحوا من خمسين يوما تتقد وترمي بالاحجار المجمرة بالنار من بطن الارض الى ما حولها مشاكلة للوصف

أمثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين الا البلاء رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الابل ببصرى

التي ذكره الله تعالى في كتابه عن نار جهنم ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر وقد سال من ينبوع النار في تلك الصحاري مد عظيم شبيه بالصفر المذاب فيجمد الشيء بعد الشيء فيوجد شبيه بخبث الحديد قال القاضي رحمه الله فان قلت كيف يصح أن يحمل هذا عليها وقد روي في الحديث الذي يليه انه صلى الله عليه وسلم أنه قال أول اشراط الساعة نار تحشر الناس وهي لم تحدث بعد قلت لعله لم يرد بذلك أول الاشراط مطلقا بل الاشراط المتصلة بالساعة الدالة على انها تقوم عما قريب فان من الاشراط بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تتقدمها تلك النار أو أراد بالنار نار الحرب والفتن كفتنة التتر فانها سارت من المشرق الى المغرب (متفق عليه) قال ميرك نقلا عن التصحيح والعجب من الحاكم انه أخرجه في مستدركه على الصحيحين وأسنده من طريق رشد بن سعد عن عقبة عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة وساقه بلفظه فاستدركه عليهما وهو فيهما وأعجب من هذا روايته له من طريق رشد بن سعد وهو ضعيف باتفاق الحفاظ اه وقد سبق جوابه بانه أتى باسناد غير اسناد الصحيحين فيكون مستدركا لا مستدركا و يدل عليه انه روى من طريق رشد ولعله قوي عنده أو له متابع أو شاهد ينجبر به مع انه قل ما أجمعوا على ضعفه والله تعالى أعلم (وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول أشراط الساعة) سبق الكلام عليه (نار) أي شعلة ساطعة أو فتنة طالعة (تحشر الناس) أي تجمعهم (من المشرق الى المغرب رواه البخاري) ورواه الطيالسي عنه بلفظ أول شيء يحشر الناس نار تحشرهم من المشرق الى المغرب كذا في الجامع وبه يزول الاشكال السابق

(الفصل الثاني) (عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان) أي زمان الدنيا والآخرة أو يتقارب أهل بعضهم من بعض في الشر أو يتقارب الزمان نفسه في الشر حتى يشبه أوله آخره أو تقصر الايام والليالي وهو المناسب هنا لقوله (فتكون) بالرفع وينصب وهو بالتأنيث ويجوز تذكيره ليلا ثم عطف الشهر عليه والمعنى فتصير (السنة كالشهر) قال التوربشتي رحمه الله يحمل ذلك على قلة بركة الزمان وذهاب فائدته في كل مكان أو على ان الناس لكثرة اهتمامهم بما دهمهم من النوازل والشدائد وشغل قلبهم بالفتن العظام لا يدرون كيف تنقضي أيامهم ولياليهم فان قيل العرب تستعمل قصر الايام والليالي في المسرات وطولها في المكاره قلنا المعنى الذي يذهبون اليه في القصر والطول مفارق للمعنى الذي يذهب اليه فان ذلك راجع الى تمني الاطالة للرخاء أو الى تمني القصر للشدة والذي يذهب اليه راجع الى زوال الاحساس بما يمر عليهم من الزمان لشدة ما هم فيه وذلك أيضا صحيح (والشهر) أي ويكون الشهر (كالجمعة) بضم الميم ويسكن والمراد بها الاسبوع (وتكون) بالتأنيث رفعا وينصب أي وتصير (الجمعة كاليوم) أي كالنهار (ويكون اليوم كالساعة) أي العرفية النجومية وهي جزء من أجزاء القسمة الاثني عشرية في اعتدال الازمنة الصيفية والشتائية (وتكون الساعة كالضرمة بالنار) بفتح الضاد وسكون الراء ويفتح أي مثلها في سرعة ابتدائها وانقضائها قال القاضي رحمه الله أي كزمان ايقاد الضرمة وهي ما يوقد به النار أولا كالقصب والكبريت وفي القاموس الضرمة محركة السعفة والشيحة في طرفها نار وفي الازهار الضرمة بفتح المعجمة وسكون الراء غصن النخل والشيحة بت في طرفها نار فانها اذا اشتعلت تحرق سريعا اه فالمراد بها الساعة اللغوية وهي أدنى ما يطلق عليه اسم الزمان من اللمحة واللحظة والطرفة قال الخطابي و يكون ذلك في زمن المهدي أو عيسى عليه الصلاة والسلام أو كليهما قلت والاخير هو الاظهر لظهور هذا الامر في خروج الدجال وهو في زمانهما قال فان قيل اذا كانت السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة فما وجه التقارب ومعناه قلنا المراد بذلك أن السنة ذات شهور وجمع وأيام وساعات فان كل سنة اثنا عشر شهرا وثمان وأربعون جمعة وثلثمائة وستون يوما وأربعة آلاف وثلثمائة وعشرون ساعة واذا عادت السنة الى الشهر عادت جمعتها الى جمعة شهر تلك السنة وهي أربع وأيامها الى أيام شهر تلك السنة وهي ثلاثون يوما وساعاتها الى ساعات شهر تلك السنة وهي ثلثمائة

متفق عليه وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول اشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب رواه البخاري

(الفصل الثاني) *عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة وتكون الجمعة كاليوم ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة كالضرمة بالنار

وستون ساعة ونسبة كل منها الى السنة كجزء من اثنى عشر جزأ بلا زيادة ونقص لم يزيد وينقص من أمد الضرمة بالنار فانها اغبر مقدرة شرعا ولا عرفا ولا يتبين للناظر في رأى العين فلذا قال يتقارب الزمان ولم يقل يتساوى الزمان اه وسيأتي لهذا الحديث زيادة تحقيق وبيان وما يتعلق به من اداء الصلاة في كل زمان في حديث النواس من الباب الآتي (رواه الترمذي وعن عبد الله بن حوالة) بفتح الحاء المهملة وتخفيف الواو قال المؤلف في فصل الصحابة أزدي نزل الشام روى عنه جبير بن نفير وغيره (قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي أرسلنا (لنغنم) أي لنأخذ الغنيمة (على أقدامنا) أي ماشين عليها وهو حال من الضمير في بعثنا أي بعثنا رجالا غير ركاب (فرجعنا) أي سالمين مأمونين (فلم نغنم شيئا) أي قصرنا مغمومين محزونين (وعرف الجهد) بالفتح وفي نسخة صحيحة بالضم ففي القاموس الجهد الطاقة ويضم والمشقة وقال ابن الملك الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة قلت الظاهر انهما لغتان لكل منهما والمراد به هنا المشقة وقد صرح شارح بالفتح واقتصر عليه السيد في أصله أي وعرف مشقة ألم فقد الغنيمة (في وجوهنا) أي فيما ظهر عليها من آثار الكآبة والحزن والحجل والحياء (فقام) أي خطيبا (فينا) أي لاجلنا أو فيما بيننا (فقال اللهم لا تكلهم) من الوكول أي لا تترك أمورهم (الي) أي الى أمري (فأضعف عنهم) بالنصب جوابا للنهي والسبب في ذلك أن الانسان خلق ضعيفا وأن المخلوق من حيث هو عاجز عن نفسه فكيف عن غيره ولذا ورد في الدعاء النبوي اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك فانك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضعف وعورة وذنب وخطيئة واني لا أثق الا برحمتك وقال تعالى قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله وهذا هو التوحيد المبين بقوله لا حول ولا قوة الا بالله وقد ورد في حديث رواه ابن عدي في الكامل ان الياس والخضر عليهما الصلاة والسلام يلتقيان في كل عام بالموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله ثم لما كان له القرب الالهي قدم دفع وكولهم اليه أولا ثم قال (ولا تكلهم الى أنفسهم فيعجزوا عنها) بكسر الجيم وتفتح ففي القاموس عجز من باب ضرب وسمع ثم في تأخير أنفسهم عن نفسه الا نفس ايماء الى قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم (ولا تكلهم الى الناس) أي الى الخلق وانما خص الناس لقرب الاستئناس (فيستأثروا عليهم) عدل عن قوله فيعجزوا لظهوره الى قوله فيستأثروا اشعارا بانهم ما يكتفون باظهار العجز بل يتبادرون الى ان يختاروا الجيد لانفسهم والردىء لغيرهم ففيه تعليم للامة في شهود صنع الله والغيبة عما سواه حتى يكلوا أمورهم اليه ويعتمدوا في جميع حوائجهم عليه لان من توكل على الله كفاه أمور دينه ودنياه كما قال ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال الطيبي رحمه الله المعنى لا تفوض أمورهم الي فأضعف عن كفاية مؤنتهم وسد خلتهم ولا تفوضهم الى أنفسهم فيعجزوا عن أنفسهم لكثرة شهواتها وشرورها ولا تفوضهم الى الناس فيختاروا أنفسهم على هؤلاء فيضيعوا بل هم عبادك فافعل بهم ما يفعل السادة بالعبيد (ثم وضع يده على رأسي) أي لحكمة ستأتي مع ما فيه من البركة وهو يحتمل الاستمرار على ذلك المرام حتى فرغ من الكلام ويحتمل انه وضعها ثم رفعها (ثم قال يا ابن حوالة اذا رأيت الخلافة) أي خلافة النبوة (قد نزلت الارض المقدسة) أي من المدينة الى أرض الشام كما وقعت في امارة بني أمية (فقد دنت) أي قربت (الزلازل) أي وقوعها وهي مقدمات زلزلة الساعة التي هي شيء عظيم وقد أخبر سبحانه أيضا بقوله اذا زلزلت الارض زلزالها والزلزلة هي الحركة والزلزال مصدر (والبلابل) جمع بلبلة ففي النهاية هي الهموم والاحزان وبلبلة الصدر وسواسه (والامور العظام) أي من اشراط الساعة (والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه) أي الموضوعة على رأسك (الى رأسك رواه) كذا هنا بياض بالاصل وألحق في الحاشية أبو داود واسناده حسن ورواه الحاكم في صحيحه جزري وألحق في نسخة رواه أبو داود والحاكم (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتخذ) بصيغة

رواه الترمذي وعن عبد الله
ابن حوالة قال بعثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لنغنم على أقدامنا فرجعنا
فلم نغنم شيئا وعرف الجهد في
وجوهنا فقام فينا فقال
اللهم لا تكلهم الي فأضعف
عنهم ولا تكلهم الى أنفسهم
فيعجزوا عنها ولا تكلهم الى
الناس فيستأثروا عليهم ثم
وضع يده على رأسي ثم قال
يا ابن حوالة اذا رأيت
الخلافة قد نزلت الارض
المقدسة فقد دنت الزلازل
والبلابل والامور العظام
والساعة يومئذ أقرب من
الناس من يدي هذه الى
رأسك رواه وعن أبي
هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا
اتخذ

الفيء دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم ارذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور ولعن آخر هذه الامة أولها

المجهول أي اذا أخذ (الفيء) أي الغنيمة (دولا) بكسر الدال وفتح الواو وبضم أوله جمع دولة بالضم والفتح أي غلبة في المداولة والمناولة ففي القاموس الدولة انقلاب الزمان والعقبة في المال ويضم أو الضم فيه والفتح في الحرب أو هما سواء أو الضم في الآخرة والفتح في الدنيا الجمع دول مثلثة وفي شرح ابن الملك قال الازهري الدولة بالضم اسم لما يتناول من المال يعني الفيء وبالفتح الانتقال من حال البؤس والضر الى حال السرور قال التوربشتي رحمه الله أي اذا كان الاغنياء وأصحاب المناصب يستأثرون بحقوق الفقراء أو يكون المراد منه ان أموال الفيء تؤخذ غلبة وأثرة صنيع أهل الجاهلية وذوي العدوان (والامانة مغنما) أي بان يذهب الناس بودائع بعضهم وأماناتهم فيتخذونها كالغنائم يغنمونها (والزكاة مغرما) أي بان يشق عليهم أداؤها حتى تعد غرامة (وتعلم) بصيغة المجهول من باب التفعل (لغير الدين) قال الطيبي رحمه الله هو بالالف واللام كذا في جامع الترمذي وجامع الاصول وفي نسخة المصابيح بغير اللام والاولى أولى أي رواية ودراية أي يتعلمون العلم لطلب الجاه والمال لا للدين ونشر الاحكام بين المسلمين لاظهار دين الله (وأطاع الرجل امرأته) أي فيما تأمره وتهواه مخالف لامر الله وهداه (وعق أمه) أي خالفها فيما تأمره وتنهاه وفي القرينتين اشعار بانقلاب الدهر لانعكاس الامر كما في قوله (وأدنى صديقه وأقصى أباه) حيث قرب صديقه الاجنبي اليه وبعد أقرب الاقربين منه مع انه أشفق الاشفقين عليه هذا وقال ابن الملك خص عقوق الام بالذكر وان كان عقوق كل من الابوين معدودا من الكبائر لتأكد حقها أو ليكون قوله وأقصى اباه بمنزلة وعق أباه فيكون عقوقهما مذكورا أقول فيه تفنن وتسجيع مع زيادة المبالغة في قوله أقصى على قوله عق على انه يفهم عقوق الاب من عقوق الام بالاولى وقال الطيبي رحمه الله قوله وأدنى صديقه وأقصى أباه كلاهما قرينة لقوله وأطاع الرجل امرأته وعق أمه لكن المذموم في الاولى الجمع بينهما لان ادناء الصديق محمود بخلاف الثانية فان الافراد والجمع بينهما مذمومان أقول فيه نظر لان اطاعة المرأة والام في المباح مندوبتان وفي المعصية منهيتان فالغرابة بينهما انما هي في انعكاس القضية وانقلاب البلية وكذا في القرينتين الاوليين اذ يتصور ادناء الصديق الصالح وابعاد الاب الصالح ويؤيد ما حررناه قوله فرجح جانب الزوجة لانها محل الشهوة على جانب الام فانها مرضاة الرب وخص الام بالذكر لزيادة حقها وتأكد شفقتها في تربيته فعقوقها أقبح من عقوق الاب وأدنى صديقه أي قربه الى نفسه للمؤانسة والمجالسة وأقصى أباه أبعده ولم يستصحبه ولم يستأنس به (وظهرت الاصوات) أي رفعها (في المساجد) وهذا مما كثر في هذا الزمان وقد نص بعض علمائنا بان رفع الصوت في المسجد ولو بالذكر حرام (وساد القبيلة) وفي معناه البلد والمحلة (فاسقهم) وظالمهم بالاولى وقد كثر هذا أيضا والظاهر ان الكثرة هي العلامة والافلم يكن يخلو زمان عن مثل هذه الاشياء وقد قال تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها (وكان زعيم القوم) أي المتكفل بأمرهم (أرذلهم) أي أبخلهم أو أكثرهم رذالة في النسب والحسب قال السيوطي زعيم القوم رئيسهم وفي القاموس الزعيم الكفيل وسيد القوم ورئيسهم والمتكلم عنهم ثم اعلم ان النسخ جميعها على رفع زعيم ونصب أرذلهم وكان الظاهر ان يعكس اللهم الا أن يراد بالزعيم الكريم وبالارذل الاحمق والابخل وفي المال والجاه أقل (وأكرم الرجل) أي عظم (مخافة شره) أي لا لسبب غيره من نحو رجاء خيره (وظهرت القينات) بفتح القاف وسكون التحتية أي الاماء المغنيات (والمعازف) بفتح الميم وكسر الزاي أي وظهرت آلات اللهو (وشربت) بصيغة المجهول (الخمور) أي أنواع الخمر والمراد انهم اشربوا شربا ظاهرا (ولعن آخر هذه الامة أولها) فيه اشارة الى ان هذه العلامة من خصوصيات هذه الامة وانها لم تقع في الامم السابقة وهي المناسبة لان تكون من اشراط الساعة ويؤيده انه لو قيل لليهود والنصارى من أفضل أهل ملتكم قالوا أصحاب موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام قال الطيبي رحمه الله أي طعن الخلف في السلف وذكروهم بالسوء ولم يقتدوا بهم في الاعمال الصالحة فكأنه لعنهم أقول اذا كانت الحقيقة متحققة فما الحوج الى العدول عنها الى المعنى المجازي وقد كثرت كثرة لا تخفى

في العالم مع ان الله تعالى قال في حق الاولين والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة والكتاب والسنة مشحونان بمناقبهم وفضائلهم وهم الذين نصروا نبيهم في اجتهاده وجاهدوا في الله حق جهاده فتحوا بلاد الاسلام وحفظوا الاحكام وسائر العلوم من سيد الانام وانتفعوا بهم علماء الاعلام ومشايخ الكرام وقد علمنا الله في كتابه ان نقول في حقهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقد ظهرت طائفة لاعنة ملعونة اما كافرة أو مجنونة حيث لم يكتفوا باللعن والطعن في حقهم بل نسبوهم الى الكفر بمجرد أوهامهم الفاسدة وأوهامهم الكاسدة من أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم أخذوا الخلافة وهي حق علي بغير حق والحال ان هذا باطل بالاجماع سلفا وخلفا ولا اعتبار بانكار المنكرين وأي دليل لهم من الكتاب والسنة يكون نصا على خلافة علي ثم من خالفه من بعض الصحابة في أيام خلافته أيضا بناء على اختلاف اجتهاد فليس يستحق اللعن غايته انه كان مخطئا ولو فرضنا أنه كان مسيئا فاعله مات تائبا أو باقيا تحت المشيئة مع غالب رجاء المغفرة والشفاعة ببركة الخدمة المتقدمة وقد روى ابن عساكر عن علي كرم الله تعالى وجهه مرفوعا يكون لاصحابي زلة يغفرها الله لهم لسابقتهم معي فنحن مع كثرة ذنوبنا من الصغائر والكبائر اذا كنا راجين رحمة ربنا وشفاعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف باكابر هذه الامة وبانصار هذه الملة ومن العجيب ان طائفة الرافضة المرفوضة الباغضة المبغوضة أفسق الخلق وأظلمهم وأحمق العالمين وأجهلهم فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس هذا وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لا تذكروا موتاكم الا بخير وقال اذا ذكر أصحابي فامسكوا وقد أخرج ابن عساكر عن جابر مرفوعا حب أبي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فانا أحفظه يوم القيامة (فارتقبوا) جواب اذا والمعنى فانتظروا (عند ذلك) أي عند وجود ما ذكر (ريحا حمراء) أي شديدة في الهواء (وزلزلة) أي حركة عظيمة للارض (وخسفا) أي ذهابا في الارض وغيوبة فيها (ومسخا) بتغيير الصور على طبق اختلاف تغير السير (وقذفا) أي رمي حجارة من السماء (وآيات) أي علامات أخر لدنو القيامة وقرب الساعة (تتابع) بحذف احدى التاءين أي يتبع بعضها بعضا (كنظام) بكسر النون أي عقد من نحو جوهر وخرز (قطع سلكه) بكسر السين أي انقطع خيطه (فتتابع) أي ما فيه من الخرز وهو فعل ماض بخلاف الماضي فانه حال أو استقبال (رواه الترمذي) أي وقال غريب وروى أحمد والحاكم عن ابن عمر مرفوعا الآيات خرزات منظومات في سلك فانقطع السلك فيتبع بعضها بعضا (وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت أمتي خمس عشرة) بسكون الشين المعجمة ويكسر (خصلة) أي فعلة ذميمة (حل بها البلاء) أي نزل (وعد) أي وأحصى النبي صلى الله عليه وسلم (هذه الخصال) أي الخمس عشرة (ولم يذكر) أي علي رضي الله عنه (تعلم لغير الدين) قال الطيبي رحمه الله هذا كلام صاحب المصابيح وذلك ان الترمذي ذكر الحديثين على الولاء وعد في كل واحد منهما الاعداد الخمسة عشر (قال) أي علي (وبر صديقه) أي بدل أدنى (وجفا أباه) بدل أقصى فهو اختلاف عبارة وكذا قوله (وقال) أي علي (وشرب الخمر) أي بدل شربت الخمور بتغيير الفعل والفاعل (ولبس) بصيغة المجهول (الحرير) قال صاحب المختصر هذا بدل من اللعن وهو غير صحيح لان اللعن مذكور في حديث علي رضي الله عنه فالصواب انه بدل من تعلم لغير الدين فتطابق العددان في الروايتين فصح قول الطيبي انه عد في كل واحد منهما الاعداد الخمسة عشر وبطل قول صاحب المختصران المجموع خمسة عشر وأما المذكور في الحديث السابق فستة عشر اهـ وها أنا ذاكر لك مفصلا ما ذكره المؤلف مجملا بل مختصرا مخلا بهملا بقوله (رواه الترمذي) ففي الجامع اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه

فارتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع رواه الترمذي وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء وعد هذه الخصال ولم يذكر تعلم لغير الدين قال وبر صديقه وجفا أباه وقال وشرب الخمر ولبس الحرير رواه الترمذي

وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الاصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا رواه الترمذى عن على رضى الله عنه فأو هنا للتنويع والواو هنالك للجمع وبه يحصل الجمع (وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الدنيا) أى لا تفنى ولا تنقضى (حتى يملك العرب) أى ومن تبعهم من أهل الاسلام فان من أسلم فهو عربى (رجل من أهل بيتى يواطئ) أى يوافق (اسمه اسمى) أى ويطابق رسمه رسمى فانه محمد المهدى ويهديه صلى الله عليه وسلم للناس يهدى وقال الطيبى رحمه الله لم يذكر العجم وهم مرادون أيضا لانه اذا ملك العرب واتفقت كلمتهم وكانوا يدا واحدة قهروا سائر الامم ويؤيده حديث أم سلمة بعيد هذا اه ويمكن أن يقال ذكر العرب لغلبتهم فى زمنه أو لكونهم أشرف أو هو من باب الاكتفاء ومراده العرب والعجم كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر أى والبرد والاظهر أنه اقتصر على ذكر العرب لانهم كلهم يطيعونه بخلاف العجم بمعنى ضد العرب فانه قد يقع منهم خلاف فى اطاعته والله تعالى أعلم (رواه الترمذى وأبو داود وفى رواية له) أى لابى داود (قال لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله) أى يظهر (فيه) أى فى ذلك اليوم (رجلا) أى كاملا (منى) أى من نسبى (أو من أهل بيتى) شك من الراوى ولفظ الجامع حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتى واختلف فى أنه من بنى الحسن أو من بنى الحسين ويمكن أن يكون جامعا بين النسبتين الحسنين والاظهر أنه من جهة الاب حسنى ومن جانب الام حسينى قياسا على ما وقع فى ولدى ابراهيم وهما اسمعيل واسحق عليهم الصلاة والسلام حيث كان أنبياء بنى اسرائيل كلهم من بنى اسحق وانما نبئ من ذرية اسمعيل نبينا صلى الله عليه وسلم وقام مقام الكل ونعم العوض وصار خاتم الانبياء فكذلك لما ظهرت أكثر الائمة وأكابر الامة من أولاد الحسين فناسب أن ينجبر الحسن بأن أعطى له ولد يكون خاتم الاولياء ويقوم مقام سائر الاصفياء على أنه قد قيل لما نزل الحسن رضى الله تعالى عنه عن الخلافة الصورية كما ورد فى منقبته فى الاحاديث النبوية أعطى له لواء ولاية المرتبة القطبية فالمناسب أن يكون من جملتها النسبة المهدوية المقارنة للنبوة العيسوية واتفاقهما على اعلاء كلمة الملة النبوية على صاحبها ألوف السلام وآلاف التحية وسيأتى فى حديث أبى اسحق عن على كرم الله تعالى وجهه ما هو صريح فى هذا المعنى والله تعالى أعلم (يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى) فيكون محمد بن عبد الله فيه رد على الشيعة حيث يقولون المهدى الموعود هو القائم المنتظر وهو محمد بن الحسن العسكرى (يملأ الارض) استئناف مبين لحسبه كما أن ما قبله مبين لنسبه أى يملأ وجه الارض جميعا أو أرض العرب وما يتبعها والمراد أهلها (قسطا) بكسر أوله وتفسيره قوله (وعدلا) أتى بهما تأكيدا وكذا الجمع فى قوله (كما ملئت) أى الارض قبل ظهوره (ظلما وجورا) على أنه يمكن أن يغاير بينهما بأن يجعل الظلم هنا قاصرا لازما والجور تعديا متعديا وكذلك يحتمل أن يراد بالقسط اعطاء كل ذى حق حقه وبالعدل النصفة والحكم بميزان الشريعة وانتصار المظلوم وانتقامه من الظالم فيكون جامعا لما قال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقائما بما قاله العلماء من أن الدين هو التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وموصوفا بوصف الكمال وهو اجراء كل من تجلى الجمال وتجلى الجلال فى محله اللائق بكل حال من الاحوال هذا ورواه أحمد وأبو داود عن على رضى الله تعالى عنه مرفوعا لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله تعالى رجلا من أهل بيتى يملأها عدلا كما ملئت جورا ورواه ابن ماجه عن أبى هريرة مرفوعا لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتى يملك جبال الديلم والقسطنطينية وفى القاموس الديلم جيل معروف ورواه الرويانى عن حذيفة مرفوعا المهدى رجل من ولدى وجهه كالكوكب الدرى (وعن أم سلمة) رضى الله عنها وهى من أمهات المؤمنين (قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدى من

وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى رواه الترمذى وأبو داود وفى رواية له قال لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا منى أو من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وعن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدى من

عترتي) قال بعض الشراح العترة ولد الرجل من صلبه وقد تكون العترة الاقرباء ايضا وهي العمومة قلت المعنيان لا يلائمان بيانه بقوله (من أولاد فاطمة) رضي الله تعالى عنها وفي النهاية عترة الرجل أخص أقاربه وعترة النبي صلى الله عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل قريش كلهم والمشهور المعروف انهم الذين حرمت عليهم الزكاة أقول المعنى الاول هو المناسب للمرام وهو لا ينافي ان يطلق على غيره بحسب ما يقتضيه المقام وقيل عترته أهل بيته [illegible] وقيل أزواجه وذريته وقيل أهله وعشيرته الاقربون وقيل نسله ورهطه الادنون وعليه اقتصر الجوهري قلت وهو الذي ينبغي هنا أن عليه يقتصر ويختصر (رواه أبو داود) وكذا ابن ماجه ورواه الحاكم وصححه وأما ما رواه الدارقطني في الافراد عن عثمان رضي الله تعالى عنه المهدي من ولد العباس عمي فمع ضعف اسناده محمول على المهدي الذي وجد من الخلفاء العباسية أو يكون للمهدي الموعود أيضا نسبة نسبية الى العباسية فقد رواه أحمد وابن ماجه عن علي مرفوعا المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة أي يصلح أمره ويرفع قدره في ليلة واحدة أو في ساعة واحدة من الليل حيث يتفق على خلافته أهل الحل والعقد فيها (وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني) أي من نسلي وذريتي أو من عشيرتي وأهل بيتي (أجلى الجبهة) قال شارح أي واسعها وفي النهاية خفيف الشعر ما بين النزعتين من الصدغين والذي انحسر الشعر عن جبهته كذا ذكره الطيبي رحمه الله تعالى مختصرا وفي النهاية النزعتان من جانبي الرأس مما لا شعر عليه والجلا مقصورا انحسار مقدم الرأس من الشعر أو نصف الرأس أو هو دون الصلع والنعت أجلى وجلواء وجبهة جلواء واسعة فهذا يؤيد قول الشارح السابق وهو الموافق للمقام والمطابق (أقنى الانف) أي مرتفعه كذا قال شارح وفي النهاية القنا في الانف طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه يقال لرجل أقنى وامرأة قنواء انتهى وفي الكلام تجريد والارنبة طرف الانف على ما في القاموس والحدب الارتفاع وهو ضد الانخفاض والمراد انه لم يكن أفطس فانه مكروه الهيئة (يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين) وأما ما سيأتي من قول راو أو ثمان سنين أو تسع سنين فهو شك منه فيحتمل ان هذه الرواية مجزومة بالسبع ويؤيده ما سيأتي من رواية أبي داود أيضا عن أم سلمة ويحتمل ان تكون مشكوكة وطرح الشك ولم يذكروا اكتفى باليقين والله تعالى أعلم (رواه أبو داود) وصححه ابن العربي ورواه الحاكم في مستدركه (وعنه) أي عن أبي سعيد (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قصة المهدي قال فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني أعطني) التكرير للتأكيد ويمكن أن يقول اعطني مرة بعد أخرى لما تعوده من كرمه واحسانه (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله) لما رأى من حرصه على المال وطالبته منه في كل الاحوال فاغناه عن السؤال وخلص نفسه عن الملال (رواه الترمذي وعن أم سلمة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يكون) أي يقع (اختلاف) أي فيما بين أهل الحل والعقد (عند موت خليفة) أي حكمية وهي الحكومة السلطانية بالغلبة التسلطية (فيخرج رجل من أهل المدينة) أي كراهية لاخذ منصب الامارة أو خوفا من الفتنة الواقعة فيها وهي المدينة المطهرة أو المدينة التي فيها الخليفة (هاربا الى مكة) لانها مأمن كل من التجأ اليها ومعبد كل من سكن فيها قال الطيبي رحمه الله وهو المهدي بدليل ايراده هذا الحديث أبو داود في باب المهدي (فيأتيه ناس من أهل مكة) أي بعد ظهور أمره ومعرفة نور قدره (فيخرجونه) أي من بيته (وهو كاره) اما بلية الامارة واما خشية الفتنة والجملة حالية معترضة (فيبايعونه بين الركن) أي الركن الاسعد وهو الحجر الاسود (والمقام) أي مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويقع ما بين زمزم أيضا شرفها الله وهذا المثلث هو المسمى بالحطيم من الزمن القديم وسمي به لان من حلف فيه وحنث أو خالف العهد ونقض حطم أي كسر رقبته وقطع حقبته وحطت دولته (ويبعث اليه) بصيغة المجهول أي يرسل الى حربه وقتاله مع انه من أولاد سيد الانام وأئمة

عترتي من أولاد فاطمة رواه أبو داود وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الانف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين رواه أبو داود وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة المهدي قال فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني اعطني قال فيحثي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله رواه الترمذي وعن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا الى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليه

البعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك أتاه ابدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشا رجل من قريش

في بلد الله الحرام (بعث من الشام) أي جيش من أهل الشام والملام (فيخسف بهم) أي كرامة للامام (بالبيداء) بفتح الموحدة وسكون التحتية (بين مكة والمدينة) ولعل تقديم مكة لفضيلتها وتقدمها قال التور بشتي رحمه الله هي أرض ملساء بين الحرمين وفي الحديث يخسف بالبيداء بين المسجدين وليست بالبيداء التي امام ذي الحليفة وهي شرف من الارض قلت ولا بدع ان تكون هي اياها مع انه المتبادر منها ولعل الشيخ ظفر بنقل صريح أو بنى على ان طريق أهل الشام من قديم الايام ليس على المدينة ولهذا جعل ميقاتهم الجحفة لكنهم عدلوا عن طريقهم المشهور ووصلوا الى دخول المدينة المطهرة لمصالح دينية ومنافع دنيوية واما اذا كان غرضهم محاربة المهدي فمن المعلوم انهم ما يطولون على أنفسهم المسافة بل يريدون المسابقة والمسارعة الى المحاربة والمسابقة (فاذا رأى الناس ذلك) أي ما ذكر من خرق العادة وما جعل للمهدي من العلامة (أتاه ابدال الشام) و نعم البدل من الكرام عن اللئام وفي النهاية ابدال الشام هم الاولياء والعباد الواحد بدل كحمل أو بدل كجمل سموا بذلك لانه كلما مات منهم واحد بدل بآخر قال الجوهري الابدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد أبدل الله مكانه بآخر قال ابن دريد واحده بديل قلت ويؤيده انه يقال لهم بدلاء أيضا فيكون نظير شريف واشراف وشرفاء ثم قيل انهم سموا ابدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم الاول شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه وفي القاموس الابدال وهم قوم يقيم الله عز وجل الارض وهم سبعون أربعون بالشام وثلاثون في غيرها انتهى والظاهر ان المراد بالشام جهته وما يليه من ورائه لا بخصوص دمشق الشام والله تعالى أعلم بالمرام ثم يحتمل انهم سموا ابدالا لانهم أبدلوا الاخلاق الدنية بالشمائل الرضية أو لانهم ممن بدل الله سيآتهم حسنات وقال القطب الحقاني الشيخ عبد القادر الجيلاني في أنفاسه والابدال لانهم فنوا عن اراداتهم فبدلت بارادة الحق عز وجل فيريدون بارادة الحق أبدا الى الوفاة وذنوب هؤلاء السادة ان يشركوا ارادة الحق بارادتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة فيدركهم الله تعالى برحمته باليقظة والتذكرة فيرجعون عن ذلك ويستغفرون ربهم عز وجل أقول ولعل العارف ابن الفارض أشار الى هذا المعنى في قوله

ولو خطرت لي في سواك ارادة * على خاطري سهوا حكمت بردتي

فان حسنات الابرار سيآت المقربين وقد علم كل أناس مشربهم من ماء معين والله المعين (وعصائب أهل العراق) أي خيارهم من قولهم عصبة القوم خيارهم واصله من قوله تعالى ونحن عصبة أو طوائفهم فان العصابة تأتي بمعنى الجماعة يتعصب بعضهم لبعض وشد بعضهم ظهر بعض وتعضده وفي النهاية العصائب جمع عصابة وهي الجماعة من الناس من العشرة الى الاربعين ولا واحد لها من لفظها ومنه حديث علي رضي الله تعالى عنه الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق أراد ان التجمع للحروب يكون بالعراق وقيل أراد جماعة من الزهاد سماهم بالعصائب لانه قرنهم بالابدال والنجباء ذكر أبو نعيم الاصبهاني في حلية الاولياء باسناده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خيار امتي في كل قرن خمسمائة والابدال أربعون فلا الخمسمائة ينقصون ولا الاربعون كلما مات رجل أبدل الله عز وجل من الخمسمائة مكانه وأدخل في الاربعين وكأنهم قالوا يا رسول الله دلنا على أعمالهم قال يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الى من أساء اليهم ويتواسون فيما آتاهم الله عز وجل وباسناده أيضا عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لله عز وجل في الخلق سبعة وساق الحديث الى قوله فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء قيل لعبد الله بن مسعود كيف بهم يحيي ويميت قال لانهم يسألون الله عز وجل اكثار الامم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فتنبت لهم الارض ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء انتهى والمعنى ان الابدال والعصائب يأتون المهدي (فيبايعونه ثم ينشا) أي يظهر (رجل من قريش) هذا هو

القوي الذي يخالف المهدي (أخواله كلب) وهم قبيلة فتكون أمه كلبية وفيه اشارة خفية وبشارة جلية وتفاؤل بغلبة ذرية خير البرية قال التوربشتي رحمه الله يريد أن أم القرشي تكون كلبية فينازع المهدي في أمره ويستعين عليه بأخواله من بني كلب (فيبعث) أي الكلبي (اليهم) أي الى المبايعين للمهدي (بعثا) أي جيشا (فيظهرون عليهم) أي فيغلب المبايعون على البعث الذي بعثه الكلبي (وذلك) أي البعث (بعث كلب) أي جيش كلب باعثه هوى نفس الكلبي (ويعمل) أي المهدي في الناس (بسنة نبيهم) أي شريعته (ويلقي) بضم أوله أي يرمي ويرخي (الاسلام) أي المشبه بالبعير المنقاد للانام (بجرانه) بكسر الجيم فراء ونون وهو مقدم عنقه أي بكله ففيه مجاز التعبير عن الكل بالجزء كاطلاق الرقبة على المملوك وفي النهاية الجران باطن العنق ومنه الحديث أن ناقته صلى الله تعالى عليه وسلم وضعت جرانها وحديث عائشة رضي الله تعالى عنها حتى ضرب الحق بجرانه أي قر الاسلام واستقر قراره واستقام كما أن البعير اذا برك واستراح مد عنقه على الارض قيل ضرب الجران مثل للاسلام اذا استقر قراره فلم يكن فتنة وجرت أحكامه على السنة والاستقامة والعدل (فيلبث) بفتح الباء والموحدة أي المهدي بعد ظهوره (سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون رواه أبو داود) قال الحافظ السيوطي رحمه الله في تعليقه على أبي داود لم يرد في الكتب الستة ذكر الابدال الا في هذا الحديث عند أبي داود وقد أخرجه الحاكم وصححه وقال الشيخ زكريا رحمه الله في رسالته المشتملة على تعريف غالب ألفاظ الصوفية القطب ويقال له الغوث هو الواحد الذي هو محل نظر الله تعالى من العالم في كل زمان أي نظرا خاصا يترتب عليه افاضة الفيض واستفاضته فهو الواسطة في ذلك بين الله تعالى وبين عباده فيقسم الفيض المعنوي على أهل بلاده بحسب تقديره ومراده ثم قال الاوتاد أربعة منازلهم على منازل الاركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب مقام كل منهم مقام تلك الجهة قلت فهم الاقطاب في الاقطار يأخذون الفيض من قطب الاقطاب المسمى بالغوث الاعظم فهم بمنزلة الوزراء تحت حكم الوزير الاعظم فاذا مات القطب الاعظم ُبدل من هذه الاربعة أحد بدله غالبا ثم قال الابدال قوم صالحون لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر وهم سبعة قلت الابدال اللغوي صادق على رجال الغيب جميعا وقد سبق للبدل معنى آخر فالاولى حمله عليه ولعلهم خصوا بذلك لكثرتهم ولحصول كثرة البدل فيهم لعلمهم فانهم أربعون على ما في الحديث السابق أو سبعون على ما ذكره صاحب القاموس فقوله وهم سبعة وهم ثم قال النقباء هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وهم ثلثمائة أقول لعله أخذ هذا المعنى من النقب بمعنى الثقب والاظهر أن النقباء جمع نقيب وهو شاهد القوم وضمينهم وعريفهم على ما في القاموس ومنه قوله تعالى وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا أي شاهدا من كل سبط ينقب عن أحوال قومه ويفتش عنها أو كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما أمروا به وعاهدوا عليه على ما في البيضاوي والظاهر انهم خمسمائة على ما سبق في الحديث ثم قال النجباء هم المشتغلون بحمل اثقال الخلق وهم أربعون أقول كأنه أخذ هذا المعنى من اللغة ففي القاموس ناقة نجيب ونجيبة وجمعه نجائب والانسب ما ذكر فيه أيضا من ان النجيب الكريم والجمع نجباء والمنتجب المختار ونجائب القرآن أفضله هذا وقد أخرج ابن عساكر عن ابن مسعود مرفوعا ان لله تعالى ثلاثمائة نفس قلوبهم على قلب آدم عليه الصلاة والسلام وله أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه الصلاة والسلام وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم عليه الصلاة والسلام وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه الصلاة والسلام وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه الصلاة والسلام وله واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه الصلاة والسلام كلما مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وكلما مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وكلما مات من الخمسة واحد أبدل الله مكانه من السبعة وكلما مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعين وكلما مات واحد من الاربعين أبدل الله مكانه من الثلثمائة وكلما مات واحد

أخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الاسلام بجرانه في الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون رواه أبو داود

من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة بهم يدفع الله الهم عن هذه الامة انتهى وأرجو من الله تعالى وحسن
فضله وكرمه وعموم جوده انه اذا وقع خلو لامن هذه المناصب العلية أن يجعلني منصوبا على طريق البدلية
ولو من مرتبة العامة الى أدنى مرتبة الخاصة ويتم على هذه النعمة مع الزيادة الى حسن الخاتمة ثم في الحديث
دلالة على ماذكرنا من الاحتمال ان الابدال لا تكون من خواص الابدال بل تعم الرجال من أرباب الاحوال
وفيه تنبيه نبيه على انه لم يذكر ان أحدا يكون على قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذلم يخلق الله في عالمي
الخلق والامر أشرف والطف من قلبه الاكرم صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه أيضا ما يشعر بظاهره
بتفضيل خواص الملك على خواص البشر وكذا تفضيل اسرافيل وميكائيل على جبرائيل والجمهور على خلاف
ذلك والله تعالى أعلم هذا وقال العارف الصمداني الشيخ علاء الدولة السمناني في العروة الوثقى ان الابدال
من بدلاء السبعة كما أخبر عنه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هو من السبعة وسيدهم أقول لابد من
ثبوت هذا من ثقات وسندهم قال وكان القطب في زمان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عم اويس القرني
عصام لحري ان يقول اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن وهو مظهر خاص للتجلي الرحماني كما كان النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم مظهرا خاصا للتجلي الالهي المخصوص باسم الذات والله قلت هذا يفيد مؤيدا
لما سبق من ان أحدا لم يشاركه صلى الله تعالى عليه وسلم في مقامه الاعظم لكن في كون القطبية لعصام
وهو غير معروف في انه من الصحابة أو التابعين بخلاف اويس فانه مشهور وقد ورد في حقه انه سيد التابعين
اشكالا عظيما فانه كيف يكون له القطبية الكبرى مع وجود الخلفاء الاربعة وسائر فضلاء الصحابة الذين
هم أفضل الناس بعد الانبياء بالاجماع وأيضا فقد قال اليافعي رحمه الله وقد سترت أحوال القطب وهو
الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه لكني أقول الظاهر ان هذا غالبي لثبوت القطبية للسيد
عبد القادر رحمه الله بلا نزاع ثم اعلم ان كثيرا من الناس ادعوا انه المهدي فمنهم من أراد المعنى اللغوي ولا
اشكال ومنهم من ادعى باطلا وزورا واجتمع عليه جمع من الاوباش وأراد الفساد في البلاد فقتل واستراح
منه العباد ومنهم من رأى واقعة الحال فحملها شيخه على الآفاق وكان حقه ان يحملها على الانفس لئلا
يحصل الاختلال وهو رئيس النور بخشية أحد مشايخ الكبروية وقد ظهر في البلاد الهندية جماعة
تسمى المهدوية رأسهم رياضات عملية وكشوفات سفلية وجهالات ظاهرية من جملتها انهم يعتقدون ان
المهدي الموعود هو شيخهم الذي ظهر ومات ودفن في بعض بلاد خراسان وليس يظهر غيره مهدي في
الوجود ومن ضلالاتهم انهم يعتقدون ان من لم يكن على هذه العقيدة فهو كافر وقد جمع شيخنا العارف
بالله الولي الشيخ علي المتقي رحمه الله رسالة جامعة في علامات المهدي منتخبة من رسائل السيوطي رحمه الله
واستفتى من علماء عصره الموجودين في مكة من المذاهب الاربعة وقد افتوا بوجوب قتلهم على من يقدر
من ولاة الامر عليهم ر‍كذا معتقد الطائفة الشيعة من الامامية ان المهدي الموعود هو محمد بن حسن
العسكري وانه لم يمت بل هو مختف عن أعين الناس من العوام والاعيان وانه امام الزمان وانه سيظهر في
وقته ويحكم في دولته وهو مردود عند أهل السنة والجماعة والادلة مستوفاة في الكتب الكلامية
وقد صرح في العروة الوثقى بان محمد بن الحسن العسكري اذا اختفى دخل في دائرة الابدال أولا وبقي فيهم
حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الابدال ثم دخل في دائرة الابطال يعني دائرة الاربعين وبقي فيهم حتى لم يبق
منهم أحد فصار سيد الابطال ثم دخل في دائرة السياح وهم السبعة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار
سيد السياح ثم دخل في دائرة الاوتاد وهم الخمسة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الاوتاد ثم
دخل في دائرة الافراد وهم الثلاثة وبقي فيهم حتى لم يبق منهم أحد فصار سيد الافراد ثم جلس على الاريكة
القطبية بعد ان توفي الله علي بن الحسن البغدادي القطب اليه وانه دفن في بغداد في الشونيزية روح وريحان
وبقي في المرتبة القطبية تسع عشرة سنة ثم توفاه الله اليه بروح وريحان انتهى وقد نقل مولانا عبد الرحمن

الجامي قدس الله سره السامي هذا عنه في بعض كتبه واعتمد عليه في اعتقاده لكن لا يخفى ان الشيخ
علاء الدولة ظهر بعد محمد بن الحسن العسكري بزمان كثير ولم يسند هذا القول الى من كان في ذلك الوقت
والظاهر انه يدعي هذا من طريق الكشف وكذا لا يمكن من غيره أيضا الا كذلك ولا يخفى ان مبنى الاعتقاد
لا يكون الا على الادلة اليقينية ومثل هذا المعنى الذي أساسه على ذلك المبنى لا يصلح أن يكون من الادلة الظنية
ولذا لم يعتبر أحد من الفقهاء جواز العمل في الفروع الفقهية بما يظهر للصوفية من الامور الكشفية أو من
الحالات المنامية ولو كانت منسوبة الى الحضرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية لكن
الاحاديث الواردة في أحوال المهدي مما جمعه السيوطي رحمه الله وغيره ترد على الشيعة في اعتقاداتهم الفاسدة
وآرائهم الكاسدة بل جعلوا تمام إيمانهم وبناء اسلامهم وأركان أحكامهم بان محمد بن الحسن العسكري
هو الحي القائم المنتظر وهو المهدي الموعود على لسان صاحب المقام المحمود والحوض المورود (وعن أبي
سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بلاء) أي عظيما (يصيب هذه الامة حتى لا يجد
الرجل ملجأ) أي ملاذا (يلجأ اليه) أي يعوذ ويلوذ به (من الظلم) أي بلاء ناشئا من الظلم العام (فيبعث
الله رجلا) أي كاملا عادلا عالما عاملا وهو المهدي (من عترتي) أي أقاربي (وأهل بيتي) أي من
أخصهم (فيملأ) أي الله (به) أي بسبب وجود ذلك الرجل (الارض) أي جميعها وفي نسخة
مضبوطة بالتأنيث مجهولا فالارض مرفوع (قسطا وعدلا) تمييز من النسبة (كما ملئت) أي بغيره
(ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السماء) أي جنسه من الملائكة وأرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام
(وساكن الارض) أي من المؤمنين أو حتى الدواب في البر والحيتان في البحر كما سبق في فضل العلماء والجملة
استئناف بيان كقوله (لا تدع السماء) أي لا تترك في زمانه (من قطرها شيئا) أي من أقطار أمطارها
(الا صبته) أي كبته (مدرارا) في الفائق المدرار الكثير الدر ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث
كقولهم امرأة معطار ومطفال وهو منصوب على الحال من السماء أي من فاعل صبته (ولا تدع الارض من
نباتها) أي من أنواع نباتاتها وأصنافها (شيئا الا أخرجته) أي أنبتته وأظهرته (حتى يتمنى الاحياء)
بفتح الهمزة جمع الحي مرفوع وأخطأ من كسر الهمزة ونصبه (الاموات) بالنصب ومن عكس الترتيب لم
يصب قال التوربشتي رحمه الله الاحياء رفع بالفاعلية وفي الكلام حذف أي يتمنون حياة الاموات أو كونهم
أحياء وانما يتمنون ليروا ما هم فيه من الخير والامن ويشاركوهم فيه ومن زعم فيه الاحياء بالنصب من باب
الافعال وفاعل التمني الاموات فقد أحال (يعيش) أي المهدي (في ذلك) أي فيما ذكر من العدل وأنواع
الخير (سبع سنين) وهو مجزوم به في أكثر الروايات (أو ثمان سنين) شك من الراوي وكذا قوله (أو تسع
سنين رواه) ترك هنا بياض في الاصل والحق به رواه الحاكم في مستدركه وقال صحيح لكن نقل الجزري ان
الذهبي قال اسناده مظلم (وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج
رجل) أي صالح (من وراء النهر) أي مما وراءه من البلدان كبخارى وسمرقند ونحوهما (يقال له الحارث)
اسم له وقوله (حراث) بتشديد الراء صفة له أي زراع (على مقدمته) أي مقدمة جيشه (رجل يقال له منصور)
اسم له أو صفة وقيل المراد به أبو منصور الماتريدي وهو امام جليل مشهور وعليه مدار أصول الحنفية في
العقائد الحنيفية لكن ايراد الحديث في هذا الباب غير ملائم له ومع هذا لا يمنع من الاحتمال والله تعالى أعلم
بالحال مع ان عنوان الباب أشراط الساعة وهو أعم من المهدي وغيره ونقل عن خواجه عبيد الله السمرقندي
النقشبندي رحمه الله أنه قال المنصور هو الخضر ومثل هذا لم يصدر عنه الا بنقل قال أو كشف حال (يوطن)
أي يقرر ويثبت الامر وأصل التوطين جعل الوطن لاحد (أو يمكن) شك من الراوي ومنه قوله تعالى الذين
ان مكناهم في الارض أو هي بمعنى الواو أي يهيئ الاسباب باموالـه وخزائنه وسلاحه ويمكن أمر الخلافة
ويقويها ويساعدها بعسكره (لآل محمد) أي لذريته وأهل بيته عموما وللمهدي خصوصا أو الا لآل محمد

وعن أبي سعيد قال ذكر
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلاء يصيب هذه الامة
حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ
اليه من الظلم فيبعث الله
رجلا من عترتي وأهل بيتي
فيملأ به الارض قسطا
وعدلا كما ملئت ظلما
وجورا يرضى عنه ساكن
السماء وساكن الارض
لا تدع السماء من قطرها
شيئا الا صبته مدرارا ولا تدع
الارض من نباتها شيئا الا
أخرجته حتى يتمنى الاحياء
الاموات يعيش في ذلك
سبع سنين أو ثمان سنين أو
تسع سنين رواه الحاكم وعن
علي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخرج رجل
من وراء النهر يقال له
الحارث حراث على مقدمته
رجل يقال له منصور يوطن
أو يمكن لآل محمد

والمعنى لمحمد المهدي (كما مكنت قريش) أي كتمكينهم (لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) والمراد من آمن منهم ودخل في التمكين أبو طالب أيضا وان لم يؤمن عند أهل السنة وقال الطيبي رحمه الله قوله تمكن لآل محمد أي في الارض كقوله تعالى مكناهم في الارض مالم نمكن لكم أي جعل له في الارض مكانا واما كنته في الارض فاثبته فيها ومعناه جعلهم في الارض ذوي بسطة في الاموال ونصرة على الاعداء وأراد بقوله كما مكنت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قريش آخر أمرها فان قريشا وان أخرجوا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أولا من مكة امكن بقاياهم وأولادهم أسلموا ومكنوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه في حياته وبعد مماته انتهى ولا يخفى ان المراد بالتمكين في الآية غير التمكين في الحديث مع أن المراد من تمكين المشبه تمكينه في أول أمره فلا يحسن حمل المشبه به على آخر أمره ثم قوله أخرجوا ليس على ظاهره الموهم لاهانته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قيل بكفر من أطلق هذا القول وتأويله انهم تسببوا الخروجه بالهجرة الى مكان أنصاره من المدينة المعطرة بقوله تعالى وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك على حذف المضاف واجراء أحكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار السبب على ماصرح به البيضاوي رحمه الله وغيره (وجب على كل مؤمن نصره) أي نصر الحارث وهو الظاهر أو نصر المنصور وهو الابلغ أو نصر من ذكر منهما أو نصر المهدي بقرينة المقام اذ وجود نصرهما على أهل بلادهما ومن يراد به لكونهما من أنصار المهدي (أو قال اجابته) شك من الراوي والمعنى قبول دعوته والقيام بنصرته (رواه أبو داود) أي في باب المهدي بناء على المعنى المتبادر او لما قام عنده من الدليل الظاهر قال السيد وفيه انقطاع (وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع) أي سباع الوحش كالاسد أو سباع الطير كالبازي ولا منع من الجمع (الانس) أي جنس الانسان من المؤمن والكافر (وحتى تكلم الرجل) في تقديم المفعول هنا تفنن في العبارة وبيان جواز في الاستعمال مع أنه يجب تأخير الفاعل في مثل هذا الحال (عذبة سوطه) بفتح العين المهملة والذال المعجمة أي طرفه على ما في القاموس وغيره وقال شارح أي رأس سوطه وهي قد تكون في طرفه يساق به الفرس من عذب الماء اذا طاب وساغ في الحلق اذ بها يطيب سير الفرس ويستمر براكبه وقيل من العذاب اذ بها يعاقب الفرس ويعذب فيرتاض ويهذب به أهله بعده (وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث بعده رواه الترمذي) وكذا الحاكم وصححه

(الفصل الثالث) (عن أبي قتادة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الآيات) أي آيات الساعة وعلامات القيامة تظهر باعتبار ابتدائها ظهورا كاملا (بعد المائتين) أي من الهجرة أو من دولة الاسلام أو من وفاته عليه الصلاة والسلام ويحتمل أن يكون اللام في المائتين للعهد أي بعد المائتين بعد الالف وهو وقت ظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وتتابع الآيات من طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الارض وظهور يأجوج ومأجوج وأمثالها قال الطيبي الآيات بعد المائتين مبتدأ وخبر أي تتابع الآيات وظهور أشراط الساعة على التتابع والتوالي بعد المائتين ويؤيده قوله في الحديث السابق وآيات تتابع كنظام قطع سلكه فتتابع والظاهر اعتبار المائتين بعد الالف انتهى ولا يخفى عدم ظهوره على ذوي النهى (رواه ابن ماجه) وكذا الحاكم في مستدركه (وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا رأيتم) المقصود منه الخطاب العام أي اذا أبصرتم (الرايات) أي الاعلام (السود) ويحتمل أن يكون السواد كناية عن كثرة عساكر المسلمين من قبل خراسان الظاهر انهم عسكر الحرث والمنصور (فأتوها) أي فأتوا الرايات واستقبلوا أهلها واقبلوا أمر أميرها (فان فيها خليفة الله المهدي) أي نصرته واجابته فلا ينافي أن ابتداء ظهور المهدي انما يكون في الحرمين الشريفين ثم دل ظاهره على جواز أن يقال فلان خليفة

كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره أو قال اجابته رواه أبو داود وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى تكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده رواه الترمذي

(الفصل الثالث) عن أبي قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات بعد المائتين رواه ابن ماجه وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فان فيها خليفة الله المهدي

الله اذا كان على طريق الحق وسبيل العدل وقد سبق منعه لكن قد يؤول بان المراد منه انه منصوب
من الله خليفة لانبيائه فيصح أن يكون المنصوب هو المنسوب ونظيره قوله تعالى من يطع الرسول
فقد أطاع الله (رواه أحمد) أى فى مسنده (والبيهقى فى دلائل النبوة) وكذا الحاكم فى مستدركه
(وعن أبى اسحق) الظاهر ان المراد به أبو اسحق السبيعى الهمدانى الكوفى قال المؤلف رأى عليا وابن
عباس وغيرهما من الصحابة وسمع البراء بن عازب وزيد بن أرقم وروى عنه الاعمش وشعبة والثورى
وهو تابعى مشهور كثير الرواية ولد لسنتين من خلافة عثمان ومات سنة تسع وعشرين ومائة (قال قال على
رضى الله تعالى عنه) أى موقوفا (ونظر الى ابنه الحسن قال) الجملة حال معترضة بين القول ومقوله وأتى
بقوله قال اما تأكيد للمبالغة أو لتوهم الاطالة (ان ابنى هذا) اشارة الى تخصيص الحسن لئلا
يتوهم ان المراد هو الحسين أو الجنس (سيد كما سماه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بقوله
على ما سيأتى فى المناقب ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (وسيخرج
من صلبه) أى من ذريته (رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخلق) بضم الخاء واللام وتسكن (ولا يشبهه
فى الخلق) أى فى جميعه اذ سبق بعض نعته الموافق لخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ذكر قصة يملأ
الارض عدلا) بالاضافة ودونها فهذا الحديث دليل صريح على ما قدمناه من ان المهدى من أولاد الحسن
ويكون له انتساب من جهة الام الى الحسين جمعا بين الادلة وبه يبطل قول الشيعة ان المهدى هو محمد بن
الحسن العسكرى القائم المنتظر فانه حسينى بالاتفاق لا يقال لعل عليا رضى الله تعالى عنه أراد به غير المهدى
فانا نقول يبطله قصة يملأ الارض عدلا اذ لا يعرف فى السادات الحسينية ولا الحسنية من ملأ الارض عدلا
الا ما ثبت فى حق المهدى الموعود (رواه أبو داود ولم يذكر القصة) هذا أعنى ولم يذكر القصة كلام
جامع الاصول نقله عنه صاحب المشكاة وهذا معنى كلام الطيبى رحمه الله قوله لم يذكر القصة التعريف
فيه للعهد وهذا كلام جامع الاصول وليس فى سنن أبى داود ثم اعلم ان حديث لا مهدى الا عيسى بن
مريم ضعيف باتفاق المحدثين كما صرح به الجزرى على انه من باب لا فتى الا على قال الطيبى رحمه الله الاحاديث
عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التنصيص على خروج المهدى من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا
الحديث فالحكم لها دونه قال ويحتمل معناه لا مهدى كاملا معصوما الا عيسى عليه السلام انتهى وأخرج
الدارقطنى فى سننه عن محمد بن على قال ان لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق الله السموات والارض ينكسف
القمر لاول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس فى النصف منه كذا فى العرف الوردى فى أخبار المهدى للجلال
السيوطى رحمه الله (وعن جابر بن عبد الله قال فقد الجراد) أى عدم (فى سنة) أى عام (من سنى
عمر) أى من أيام خلافته (التى توفى فيها) صفة السنة (فاهتم) أى اغتم عمر (بذلك) أى بفقده
(هما شديدا) أى خوفا من هلاك سائر الامم لما سيأتى (فبعث الى اليمن راكبا وراكبا الى العراق) وهو
المشرق فتفنن فى العبارة (وراكبا الى الشام) ولعل عدم بعثه الى الغرب لبعده أو لفصله بالبحر أو لقلة
وجوده غالبا فى ذلك القطر (يسأل) أى عمر أو كل من الركبان يتفحص (عن الجراد) وقوله (هل
أرى) روى مجهولا ومعلوما أى بعث قائلا هل أرى (منه) أى من الجراد (شيأ) أى من أثره أو خبره
وهو تمن (فأتاه الراكب الذى من قبل اليمن بقبضة) بفتح القاف والضاد المعجمة أى بمقبوضة من الجرم
(فنثرها بين يديه فلما رآها عمر كبر) أى فرحا لما سيأتى (وقال) أى عمر رضى الله عنه (سمعت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله عز وجل خلق ألف أمة) المراد كل جنس من أجناس الدواب
كما فى قوله تعالى وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم (ستمائة) بالرفع (منها)
أى من الالف (فى البحر وأربعمائة فى البر) وفى نسخة بالنصب فى ستمائة وأربعمائة على البدلية من
ألف أمة (فان أول هلاك هذه الامة) اشارة الى قوله ألف أمة فالمراد بها الجنس (الجراد) وفى رواية

رواه أحمد والبيهقى فى دلائل النبوة وعن أبى اسحق قال قال على ونظر الى ابنه الحسن قال ان ابنى هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخلق ولا يشبهه فى الخلق ثم ذكر قصة يملأ الارض عدلا رواه أبو داود ولم يذكر القصة وعن جابر بن عبد الله قال فقد الجراد فى سنة من سنى عمر التى توفى فيها فاهتم بذلك هما شديدا فبعث الى اليمن راكبا وراكبا الى العراق وراكبا الى الشام يسأل عن الجراد هل أرى منه شيأ فأتاه الراكب الذى من قبل اليمن بقبضة فنثرها بين يديه فلما رآها عمر كبر وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل خلق ألف أمة ستمائة منها فى البحر وأربعمائة فى البر وأول هلاك هذه الامة الجراد

ان أول هذه الامة بدون الفا هلاك فيقدر هلاكا والمراد ان أول هذه الامة خلقا الجراد ويمكن ان يكون المراد بهذه الامة أمته صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا هلك الجراد تتابعت الامم) أى فى الهلاك (كنظام السلك) أى كتتابع خرز منظوم الخيط فى النثر اذا انقطاع السلك أو كتتابع وجود الخرز فى حال نظام السلك لان المقصود من التشبيه هو التوالى وهو حاصل فى الصورتين لكن الاول أبلغ وأكمل فى ملاحظة وجه الشبه فى الهلاك (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

(باب العلامات بين يدى الساعة وذكر الدجال)

وفى نسخة باب علامات وقوله بين يدى الساعة أى قدامها وأصله ان يستعمل فى مكان يقابل صدر الشخص مما بين يديه ثم نقل الى الزمان ثم قوله وذكر الدجال من باب التخصيص بعد التعميم وهو من دجل اذا ساح فى الارض ويقال دجل فلان الحق اذا أعطاه وفى النهاية أصل الدجل الخلط يقال دجل اذا لبس وموه والدجال فعال من ابنية المبالغة أى يكثر منه الكذب والتلبيس وهو الذى يظهر فى آخر الزمان يدعى الالهية

(الفصل الاول عن حذيفة بن أسيد) بفتح الهمزة وكسر السين المهملة ذكره ابن الملك ولم يذكره المؤلف فى أسمائه (الغفارى) بكسر الغين المعجمة نسبة الى قبيلة منهم أبوذر (قال اطلع) بتشديد الطاء أى أشرف (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم علينا) أى وشرفنا بطلعة وجهه المشتمل على الخدين الغالب نورهما على طلوع القمرين حيث يستفاد منه ضياء الدارين (ونحن نتذاكر) أى فيما بيننا (فقال ما تذاكرون) أى بعضكم مع بعض (قالوا) وفى نسخة قلنا (نذكر الساعة) أى أمر القيامة واحتمال قيامها فى كل ساعة (قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) أى علامات (فذكر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بيانا للعشر (الدخان) قال الطيبى رحمه الله هو الذى ذكر فى قوله تعالى يوم تأتى السماء بدخان مبين وذلك كان فى عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ويؤيده ما قال ابن مسعود هو عبارة عما أصاب قريشا من القحط حتى يرى الهواء لهم كالدخان لكن قال حذيفة هو على حقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عنه فقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة والمؤمن يصير كالزكام والكافر كالسكران فقوله يصير كالزكام أى كصاحب أو مصدر بمعنى المفعول أى كالمزكوم أو هو من باب المبالغة كرجل عدل (والدجال والدابة) وهى المذكورة فى قوله تعالى أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم (وطلوع الشمس من مغربها) قيل للدابة ثلاث خرجات أيام المهدى ثم أيام عيسى ثم بعد طلوع الشمس من مغربها ذكره ابن الملك (ونزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام) أى المنضم الى ظهور المهدى الاعظم فهو من باب الاكتفاء وقد روى الطبرانى عن أوس بن أوس مرفوعا ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقى دمشق وروى الترمذى عن مجمع بن جارية مرفوعا يقتل ابن مريم الدجال بباب لد فى النهاية هو موضع بالشام وقيل بفلسطين كذا فى شرح الترمذى للسيوطى وفى القاموس لد بالضم قرية بفلسطين يقتل عيسى عليه الصلاة والسلام الدجال عند بابها هذا وقد قيل ان أول الآيات الدخان ثم خروج الدجال ثم نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس من مغربها فان الكفار يسلمون فى زمن عيسى عليه السلام حتى تكون الدعوة واحدة ولو كانت الشمس طلعت من مغربها قبل خروج الدجال ونزوله لم يكن الايمان مقبولا من الكفار فالواو لمطلق الجمع فلا يرد ان نزوله قبل طلوعها ولا ما سيأتى ان طلوع الشمس أول الآيات (ويأجوج ومأجوج) بالف فيهما وبهمز أى خروجهما (وثلاثة خسوف) قال ابن الملك قد وجد الخسف فى مواضع لكن يحتمل ان يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرا زائدا على ما وجد كان يكون أعظم مكانا وقدرا (خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب) بالرفع فى الثلاثة على تقدير احدها أو منها ولو روى بالجر لكان له وجه من البدلية (وآخر ذلك) أى ما ذكر من

فاذا هلك الجراد تتابعت الامم كنظام السلك رواه البيهقى فى شعب الايمان

(باب العلامات بين يدى الساعة وذكر الدجال)

(الفصل الاول) عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذاكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك

الآيات (نار تخرج من اليمن) وفي رواية تخرج من أرض الحجاز قال القاضي عياض لعلها ناران تجتمعان تحشران الناس أو يكون ابتداء خروجها من اليمن وظهورها من الحجاز ذكره القرطبي رحمه الله ثم الجمع بينه وبين ما في البخاري ان أول أشراط الساعة نار تخرج من المشرق الى المغرب بان آخريتها باعتبار ما ذكر من الآيات وأوليتها باعتبار انها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلا بل يقع بانتهائها النفخ في الصور بخلاف ما ذكر معها فانه يبقى مع كل آية منها أشياء من أمور الدنيا كذا ذكره بعض المحققين من العلماء الموفقين (تطرد) أي تسوق تلك النار (الناس الى محشرهم) بفتح الشين ويكسر أي الى مجمعهم وموقفهم قيل المراد من الحشر أرض الشام اذ صح في الخبران الحشر يكون في أرض الشام لكن الظاهر ان المراد أن يكون مبتدؤه منها أو تجعل واسعة تسع خلق العالم فيها (وفي رواية) أي لمسلم أو غيره (نار تخرج من قعر عدن) أي أقصى أرضها وهو غير منصرف وقيل منصرف باعتبار البقعة والموضع ففي المشارق عدن مدينة مشهورة باليمن وفي القاموس عدن محركة جزيرة باليمن (تسوق) أي تطرد النار (الناس الى المحشر وفي رواية في العاشرة) أي في بيانها وبدلا عما ذكر فيهما من النار (وريح تلقي الناس في البحر) ولعل الجمع بينهما ان المراد بالناس الكفار وان نارهم تكون منضمة الى ريح شديدة الجري سريعة التأثير في القائها اياهم في البحر وهو موضع حشر الكفار أو مستقر الفجار كما ورد ان البحر يصير نارا ومنه قوله تعالى واذا البحار سجرت بخلاف نار المؤمنين فانها لمجرد التخويف بمنزلة السوط بمثابة تحصيل السوق الى المحشر والموقف الاعظم والله تعالى أعلم (رواه مسلم) وكذا أبو داود والترمذي والنسائي (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بادروا) أي اسرعوا وسابقوا (بالاعمال) أي الصالحة النافعة في الآخرة (ستا) أي ست آيات أي علامات لوجود الساعة اذ يعسر العمل ويصعب فيما بعدها أولم يقبل ولم يعتبر بعد تحققها (الدخان والدجال ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة) أي الفتنة التي تعم الناس أو الامر الذي يستبد به العوام ويكون من قبلهم دون الخواص من تأمير الامة (وخويصة أحدكم) بضم وفتح وسكون وتشديد وهو تصغير خاصة أي الوقعة التي تخص أحدكم قيل يريد الموت وقيل هي ما يختص به الانسان من الشواغل المتعلقة في نفسه وماله وما يهتم به وصغرت لاستصغارها في جنب سائر الحوادث من البعث والحساب وغير ذلك ويؤيده ما قررناه بحسب ما حررناه ما قاله الشارح يعني ما ذكرناه أي قبل ظهور الآيات الست المذكورة في الحديث لان ظهورها يوجب عدم قبول ايمان اليأس لكونهم الجئة الى الايمان فلا ثواب للمكلف عند الالجاء على عمله فاذا انقطع الثواب انقطع التكليف وقال القاضي أمرهم أن يبادروا بالاعمال قبل نزول هذه الآيات فانها اذا نزلت دهشتهم وشغلتهم عن الاعمال أوسد عليهم باب التوبة وقبول الاعمال وفي الفائق معنى مبادرة الست بالاعمال الانكماش في الاعمال الصالحة والاهتمام بها قبل وقوعها وتأنيث الست لانها دواه ومصائب (رواه مسلم) وكذا أحمد في مسنده (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها) قال الطيبي رحمه الله فان قيل طلوع الشمس من مغربها ليس أول الآيات لان الدخان والدجال قبله قلنا الآيات اما امارات لقرب قيام الساعة واما أمارات دالة على وجود قيام الساعة وحصولها ومن الاول الدخان وخروج الدجال ونحوهما ومن الثاني ما نحن فيه من طلوع الشمس من مغربها والرجفة وخروج النار وطردها الناس الى المحشر وانما سمي أولا لانه مبتدأ القسم الثاني ويؤيده حديث أبي هريرة بعده لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها (وخروج الدابة) هو بالرفع عطف على طلوع الشمس وهو خبر أول فيلزم أن يكون الاول متعددا ولهذا قال ابن الملك ولعل الواو بمعنى أو ويؤيده ما في رواية أو خروج الدابة (على الناس ضحى) بالتنوين أي وقت ارتفاع النهار ثم الظاهر ان نسبة الاولية الحقيقية اليهما مبهمة وانما بالنسبة الى أحدهما مجازية ولذا قال (وأيهما) ولفظ الجامع

نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم وفي رواية نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر وفي رواية في العاشرة وريح تلقي الناس في البحر رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا الدخان والدجال ودابة الارض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما

فأيتهما بالفاء والتأنيث (ما كانت) ما زائدة أي وأي الآيتين المذكورتين وقعت (قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها) بفتحتين وبكسر فسكون أي تحصل عقبها (قريبا) أي حصولا أو وقوعها قريبا وقد تقدم ما يتعلق بتحقيق الترتيب بينهما وقال ابن الملك ان قيل كل منهما ليس باول الآيات لان بعض الآيات وقع قبلهما قلنا الآيات اما أمارات دالة على قرب القيامة أولها بعثة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أو أمارات متوالية دالة على وقوعها قريبا وهي المرادة هنا وأما حديث ان أولها خروج الدجال ولا صحة له كذا في جامع الاصول (رواه مسلم) وكذا أحمد وأبو داود وابن ماجه (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث) أي آيات (اذا خرجن) فيه تغليب أو معناه ظهرن والمراد هذه الثلاثة باسرها (لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض) وقدم الطلوع وان كان متأخرا في الوقوع لان مدار عدم قبول التوبة عليه وان صح خروج غيره اليه (رواه مسلم) وكذا الترمذي (وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين غربت الشمس أتدري أين تذهب هذه) أي الشمس والاشارة للتعظيم (قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش) قال بعض المحققين لا يخالف هذا قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة فان المراد بها نهاية مدرك البصر وسجودها تحت العرش انما هو بعد الغروب وفي الحديث رد على من زعم ان المراد بمستقرها غاية ما تنتهي اليه في الارتفاع وذلك يوم في السنة أو منتهى أمرها عند انتهاء الدنيا قال الخطابي يحتمل ان يراد بذلك انها تستقر تحته استقرارا علمه الا محيط به (فتستأذن) بالرفع في أصل السيد وبعض النسخ المصححة وكذا قوله (فيؤذن لها ويوشك ان تسجد ولا يقبل) بالتذكير اي السجود والظرف هو نائب الفاعل ويؤنث اي السجدة (منها) أي من الشمس وهو مرفوع وقيل منصوب وكذا قوله (وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش) وقوله لمستقر لها قال الخطابي عن بعض أهل التفسير معناه ان الشمس تجري لاجل قدر لها يعني الى انقطاع مدة بقاء العالم وقال بعضهم مستقرها غاية ما تنتهي اليه في صعودها وارتفاعها لاطول يوم من الصيف ثم تأخذ في النزول في أقصى مشارق الشتاء لاقصر يوم في السنة وأما قوله مستقرها تحت العرش فلا ينكر أن يكون لها استقرار تحت العرش من حيث لا ندركه ولا نشاهده وانما أخبر عن غيب فلا نكذبه ولا نكيفه لان علمنا لا يحيط به ذكره الطيبي (متفق عليه) رواه الترمذي والنسائي (وعن عمران بن حصين قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة أمر) ما نافية والمعنى ليس فيما بينهما فتنة (أكبر) أي أعظم (من الدجال) لعظم فتنته وبليته واشدة تلبيسه ومحنته (رواه مسلم) وفي الجامع رواه أحمد ومسلم عن هشام بن عامر فلينظر في الاصول ليتحقق القول (وعن عبد الله) أي ابن مسعود (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يخفى عليكم) أي بالنظر الى نعوته الثبوتية وصفاته السلبية وتنزهه عن العيوب والنقائص وسائر الحدوثات الزمانية والمكانية فالجملة توطئة لقوله (ان الله ليس باعور) ومفهومه لا يعتبر فان المراد به نفي النقص والعيب لا اثبات الجارحة بصفة الكمال قال الطيبي رحمه الله هو التزبيه كما وسط سبحانه في قوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون (وان المسيح) بحاء مهملة هو الصواب المعروف وهو فعيل بمعنى فاعل لانه يمسح الارض جميعها بسرعة أو بمعنى مفعول فانه ممسوح احدى العينين قال السيوطي رحمه الله نقلا عن أبي بكر بن العربي ان من شدد سينه أو أعجم حاءه فقد حرف انتهى وهو لقب مشترك بينه وبين عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لكنه يطلق عليه بمعنى الماسح لحصول البرء ببركة مسحه وبمعنى الممسوح لنزوله نظيفا من بطن أمه وفي القاموس المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام لبركته وذكرت في اشتقاقه خمسين قولا في شرحي لمشارق الانوار وغيره والدجال لشؤمه أو هو كسكين والممسوح بالشؤم والكثير السياحة

ما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها قريبا رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض رواه مسلم وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غربت الشمس أتدري أين تذهب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد ولا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش متفق عليه وعن عمران بن حصين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم الى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال رواه مسلم وعن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يخفى عليكم ان الله تعالى ليس باعور وان المسيح

كالمسيح كسكين والممسوح الوجه والكذاب (الدجال) تقدم معناه (أعور عين اليمنى) من باب اضافة الموصوف الى الصفة ومن لم يجوزه كالمالكي قال أي عين الجثة أو الجهة اليمنى (كأن) بتشديد النون (عينه) أي العوراء أو الاخرى (عنبة) أي شبيهة بها وهو تشبيه بليغ (طافية) بالياء وبهمز أي مرتفعة قال ميرك روي بهمز وتركه وكلاهما صحيح قال الطيبي رحمه الله وهي النابئة عن حد اخواتها من النتوء وهو أن يعلو الشيء على الماء انتهى ومنه الطافي من السمك ولا تنافي بين هذه الرواية وبين ما روي أنها ليست بناتئة ولا جحراء أي لا طالعة مرتفعة ولا غائرة منجحرة لامكان اجتماع الوصفين باختلاف المعنيين وقال ابن الملك في شرح المشارق طافئة بالهمزة ذهب ضوءها وروي بغير الهمز أي ناتئة بارزة وقال التوربشتي رحمه الله في الاحاديث التي وردت في وصف الدجال وما يكون منه كلمات متنافرة يشكل التوفيق بينها وعسى الله التوفيق في التوفيق بينها وسنبين كلا منها على حدته في الحديث الذي ذكر فيه وتلاقي به في هذا الحديث أنها طافية وفي آخر أنه جاحظ العين كأنها كوكب وفي آخر أنها ليست بناتئة ولا جحراء وسبيل التوفيق بينها ان نقول انما تختلف الوصفان بحسب اختلاف المعنيين ويؤيد ذلك ما في حديث ابن عمر هذا انه أعور عين اليمنى وفي حديث حذيفة انه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة وفي حديثه أيضا انه أعور عين اليسرى ووجه الجمع بين هذه الاوصاف المتنافرة ان يقدر فيها ان احدى عينيه ذاهبة والاخرى معيبة فيصح ان يقال لكل واحدة عوراء اذ الاصل في العور العيب وذكر نحوه الشيخ محيي الدين كذا في شرح الطيبي رحمه الله (متفق عليه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من نبي الا قد أنذر امته الاعور الكذاب) أي خوفهم به ولا يشكل هذا بما ثبت انه يقتله عيسى بن مريم بعد ان ينزل ويحكم بالشريعة المحمدية لان تعيين وقت خروجه غير معلوم لهم حين أنذروا قومهم وأيضا يحمل على هذا ما في بعض طرقه ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه على ما سيأتي فان ذلك كان قبل ان يتبين له وقت خروجه وعلاماته ثم تبين له وقت خروجه فاخبر به على انه يحتمل ان الابهام انما وقع بسبب ان العلامات قد يكون وجودها معلقا بشرط فاذا فقد يتصور خروجه بعدم ظهورها ونظيره خوف الانبياء والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين مع تحقق عصمتهم وثبوت أمنهم من العذاب المهين وكذلك خشية العشرة المبشرة بالجنة على لسان سيد المرسلين أولانه لا يجب على الله تعالى شيء وأفعاله لا تعلل والاسباب لا يتعين وجودها ولا تأثيرها أيضا بعد وجودها ولعل هذا هو الوجه في السر المبهم حتى ظهر على لسان صاحب الدين الاقوم والله سبحانه وتعالى أعلم أو يقال ان المراد بالدجال كل من يدعي الالوهية من الرجال كفرعون وشداد ونمروذ وسائر الابطال ولا يخلو كل منهم من نقصان العور سواء مما بطن فيه أو ظهر عند أهل النظر لكن أدناه القدر عمى البصر وبطال المنذر يكون للدجال الموعود أشر وفتنة وبلية على العامة أظهر وكبرياء ربنا وعظمته أكبر من أن يعرف كنهه أو يقدر ومظاهر تجلياته الجمالية والجلالية أكثر من أن تحصى وتحصر وقد قال الشيخ أبو مدين المغربي لا تنكر الباطل في طوره * فانه بعض ظهوراته فينبغي للسالك ان يقول دائما بعد امتثال الاوامر واجتناب النواهي الهي أرنا الاشياء كما هي وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارتكابه (ألا) للتنبيه (انه) أي الدجال (أعور) أي وهو الغالب ان يكون طالب الشر (وان ربكم ليس بأعور) أي تنزه ان يكون ناقصا ومعيبا في ذاته وصفاته وهذا الكلام منه عليه الصلاة والسلام من باب التنزل الى عقل العوام وفهومهم كما ورد كلم الناس على قدر عقولهم ونظيره ما في التنزيل ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها والمعنى ان الاصنام من كل جهة ناقصة نقصان الاشخاص بالنسبة الى العابدين كيف يصلحن ان يكن في مرتبة المعبودين وليس المراد أنه لو فرض ان تكون هذه الاعضاء ثابتة لهن لكان يجوز ان يعبدن وقد روي ان ابراهيم عليه

الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية متفق عليه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا قد أنذر أمته الاعور الكذاب ألا انه أعور وان ربكم ليس بأعور

الصلاة والسلام قال لامه من ربي فقالت أنا فقال من ربك قالت أبوك قال من ربه قالت نمرود قال من ربه قالت هو الرب الاكبر لان جنده أكثر فقال لامه ان كان الامر كذلك فلاي شيء صورته قبيحة وصورة غلامه مليحة وخلاصة الكلام انه عليه الصلاة والسلام جعل ذلك العيب الاكبر والنقصان الاظهر علامة كذبه وكفره لئلا يبقى للناس عذر في قبول تلبيسه ومكره مع ان الدلائل العقلية والبراهين النقلية تشهد على ان الجسم لا يكون الهاوان الحادث المعيوب لا يصح ان يكون معبودا (مكتوب بين عينيه ك ف ر) فيه اشارة الى انه داع الى الكفر لا الى الرشد فيجب اجتنابه وهذه نعمة عظيمة من الله في حق هذه الامة حيث ظهور رقم الكفر بين عينيه قال الطيبي رحمه الله ولعل المراد بالتنصيص ان لا يتوهم فيه المسامحة من حيث المعنى قال النووي رحمه الله هو بيان علامة تدل على كذب الدجال دلالة قطعية بديهية يدركها كل أحد ولم يقتصر على كونه جسما أو غير ذلك من الدلائل القطعية لكون بعض العقول لا يهتدي اليها (متفق عليه

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا) للتنبيه (أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث) أي حديثا لم يحدث (به نبي قومه) ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام ولا للنفي وبلى مقدرة محذوفة أو بادر بجوابهم بقوله (انه أعور) أي معيوب بصورة كريهة ظاهرة ومعور بسيرة مموهة باهرة على طريقة الطائفة الساحرة وهذا معنى قوله (وانه) أي الشان (يجيء معه بمثل الجنة) وفي رواية بمثال الجنة (والنار) فالباء للتعدية والمعنى انه يأتي بصورتهما معه في نظر الناس مما يقلب الله تعالى حقيقتهما في حق المؤمنين والباء زائدة أي يسير معه مثالهما ويصحبه شكلهما او يؤيده ما في رواية يجيء معه تمثال بكسر المثناة الفوقية بدل الجار أي صورتهما (فالتي) أي فالصورة التي (يقول انها الجنة) أي ويظهر بادي الرأي انها النعمة (هي النار) أي ذات النقمة والظاهر ان هذا من باب الاكتفاء ويدل عليه الحديث الذي يليه فالتقدير والتي يقول انها النار هي الجنة ونظيره الدنيا في نظر العارفين من ان نعمتها نعمة ونقمتها نقمة ومحنها منحة ومنحها محنة وحسنها وقبحها ... كالنيل ماء للمحبوبين ودما للمحجوبين وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين قال شارح يعني من دخل جنته استحق النار لانه صدقه فأطلق اسم السبب على المسبب أقول وكذا من لم يطعه ورماه في النار استحق دخول الجنة لانه كذبه لكن الاظهر انهما ينقلبان وينعكسان بالفعل عليهما كما ورد في أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ومنه يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وكذا الدنيا المكدرة المسماة بالسجن تصير جنة العارفين الواقفين في مقام الرضا كما قيل في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في الدنيا وجنة في العقبى وكذا زهرة الدنيا بالنسبة الى أربابها العدم حضورهم مع ربها كالسم في الدرهم والنار في الدينار وربما لا يحسون بها كالمجنون والمجروح في حال ابتداء الجراحة وكالمصروع ولذا قيل

سوف ترى اذا انجلى الغبار ✱ أفرس تحتك أم حمار

وقضية ولد السلطان حال كونه سكران ومعانقته الميتة العجوز المعطرة مشهورة بين أهل العرفان قال النووي رحمه الله هذه الاحاديث حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده وانه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من احياء الميت الذي يقتله ومن زهرة الدنيا والخصب معه واتباع كنوز الارض له وأمر السماء ان تمطر فتمطر والارض ان تنبت فتنبت كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ثم يبطل أمره ويقتله عيسى ويثبت الله الذين آمنوا هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة ... فلذلك ... فيه ... فتنة عظيمة جدا تدهش العقول وتحير الالباب مع سرعة مروره في الارض ولا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء دلائل الحدوث والنقص فيصدقه من يصدقه في هذه الحالة ولهذا حذرت الانبياء عليهم الصلاة والسلام من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل ابطاله وأما أهل التوفيق فلا يغترون ولا ينخدعون بما فيه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله (واني أنذركم كما أنذر به نوح قومه) فان قيل

مكتوب بين عينيه ك ف ر متفق عليه

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم حديثا عن الدجال ما حدث به نبي قومه انه أعور وانه يجيء معه بمثل الجنة والنار فالتي يقول انها الجنة هي النار واني أنذركم كما أنذر به نوح قومه

لم يخص نوحا عليه الصلاة والسلام بالذكر قلت فان نوحا عليه الصلاة والسلام تقدم المشاهير من الانبياء كما خصه بالتقديم في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ذكره الطيبي رحمه الله وفيه انه انما يتم هذا ان صح ان من سبقه من الانبياء انذر قومه والا فهو نزل على حقيقة أوليته ويدل عليه حديث انه لم يكن نبي بعد نوح الا قد انذر الدجال قومه وأما تقديمه في الآية فلكونه مقدما على سائر أولي العزم من الرسل بحسب الوجود ولذا قدم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في آية أخرى على أولي العزم لكون تقدمه وجودا ورتبة وهي قوله سبحانه جل جلاله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وحاصله ان الخمسة هم أولو العزم من الرسل واجتمع ذكرهم في الآيتين المذكورتين والله تعالى أعلم (متفق عليه وعن حذيفة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الدجال يخرج وان معه ماء) أي وما يتولد منه من أسباب النعم بحسب ظاهر المعبر عنه بالجنة فيما تقدم يرغب اليه من أطاعه (ونارا) أي ما يكون ظاهره سبب العذاب والمشقة والالم يخوف به من عصاه (فاما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق وأما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب) أي حلو يكسر العطش والمعنى ان الله تعالى يجعل ناره ماء باردا عذبا على من كذبه وألقاه فيها غيظا كما جعل نار نمرود بردا وسلاما على ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويجعل ماءه الذي أعطاه من صدقه نارا محرقة داخلة وتحقيقه ان ما ظهر من فتنته ليس له حقيقة بل تخييل منه وشعبذة كما يفعله السحرة والمشعبذون مع احتمال ان الله تعالى يقلب نار وماءه الحقيقيان فانه على كل شيء قدير (فمن أدرك ذلك) أي الدجال وما ذكر من تلبيسه (منكم فليقع في الذي يراه نارا) أي فليختر تكذيبه ولا يبالي بايقاعه فيما يراه نارا (فانه ماء عذب طيب) أي في الحقيقة أو بالقلب أو بحسب المآل والله تعالى أعلم بالحال والكلام من باب الاكتفاء فالتقدير ولا يصدقه فيختار ما يراه معه ماء فانه نار وعذاب وحجاب (متفق عليه وزاد مسلم وان الدجال ممسوح العين) أي موضع احدى عينيه ممسوح مثل جبهته ليس له أثر العين قال القاضي رحمه الله أي ممسوح احدى عينيه لحديث السابق ونظائره (عليها) أي على العين الاخرى بحيث لا تواري الحدقة باسرها لتعميها (ظفرة) بفتحتين أي لحمة غليظة أو جلدة أو على العين الممسوحة ظفرة (مكتوب بين عينيه كافر) كما سبق (يقرؤه كل مؤمن كاتب) بالجر بدلا من مؤمن وفي نسخة بالرفع بدل بعض من كل (وغير كاتب) وفي رواية لمسلم عن أنس مرفوعا الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مسلم (وعنه) أي عن حذيفة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدجال أعور العين اليسرى) قد سبق انه أعور العين اليمنى وانه ممسوح احدى عينيه فالجمع ان يقال احدى عينيه ذاهبة والاخرى معيبة فيصح ان يقال لكل واحدة عوراء اذ العور في الاصل هو العيب وقيل ان الاعور انما يكون بالنسبة الى أشخاص متفرقة فقوم يرونه أعور اليسرى وقوم يرونه أعور اليمنى ليدل على بطلان أمره لانه اذا كان لا يرى خلقته كما هي دل على انه ساحر كذاب قال شارح ويحتمل ان يكون أحدهما من سهو الراوي وفي الجامع روى البخاري في تاريخه عن أبي هريرة مرفوعا الدجال عينه خضراء انتهى فهو كالحرباء والغول متلون بالوان شتى (جفال الشعر) بضم الجيم أي كثير الشعر المجتمعة كذا في الفائق مكسر (معه جنته وناره فناره جنة وجنته نار رواه مسلم) وكذا أحمد وابن ماجه (وعن النواس) بتشديد الواو (ابن سمعان) بكسر السين وتفتح (قال ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الدجال) أي شره وحجته وسائر أموره وابتلاء الناس به (فقال ان يخرج وأنا فيكم) أي موجود فيما بينكم فرضا وتقديرا (فانا حجيجه) فعيل بمعنى الفاعل من الحجة وهي البرهان أي غالب عليه بالحجة (دونكم) أي قدامكم ودافعه عنكم وانا امامكم وأمامكم وفيه ارشاد الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان في المحاجة معه غير محتاج الى معاونة معاون من أمته في غلبته عليه بالحجة كذا ذكره الطيبي رحمه الله والاظهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم يدفعه بنور النبوة ويدفع خارق عادته الباطل بمعجزاته المقرونة بالحق من غير دليل

متفق عليه وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدجال يخرج وان معه ماء ونارا فاما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق واما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارا فانه ماء عذب طيب متفق عليه وزاد مسلم وان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنته وناره فناره جنة وجنته نار رواه مسلم وعن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال ان يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم

وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف وفي رواية فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته

و برهان لان بطلانه أظهر من الشمس عند أرباب العرفان وأيضا هو من المصممين على الباطل من دعونه ولم يلتفت الى المجادلة واثبات الادلة والا فحمد الله سبحانه من يوجد في الامة من يحقق الملة بالحجة لاسيما خاتمة الاولياء وهو المهدى وزبدة الانبياء وهو عيسى عليه الصلاة والسلام وحاصله انه لا ينفع معه الكلام فدفعه اما باعدامه مع وجود سيد الانام أو بذوبانه وقتله على يد عيسى عليه الصلاة والسلام هذا ما ظهر لى في هذا المقام والله سبحانه وتعالى اعلم بالمرام قال التوربشتي رحمه الله فان قيل أو ليس قد ثبت في أحاديث الدجال انه يخرج بعد خروج المهدى وان عيسى عليه الصلاة والسلام يقتله الى غير ذلك من الوقائع الدالة على انه لا يخرج ونبي الله بين أظهرهم بل لا تراه القرون الاولى من هذه الامة فما وجه قوله ان يخرج وأنا فيكم قلت انما سلك هذا المسلك من التورية لابقاء الخوف على المكلفين من فتنته والتجأ الى الله تعالى من شره لينالوا بذلك من الله ويتحققوا بالشح على دينهم وقال المظهر يحتمل ان يريد تحقق خروجه والمعنى لا تشكوا في خروجه فانه سيخرج لا محالة وان يريد به عدم علمه بوقت خروجه كما انه كان لا يدرى متى الساعة قال الطيبي رحمه الله والوجه الثاني من الوجهين هو الصواب لانه يمكن ان يكون قوله هذا قبل علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك أقول كان حقه ان يقول هو الظاهر ليطابق تعليله بقوله لانه يمكن اذ مع الامكان لا يقال في حق أحدهما هو الصواب لاحتمال انطباق كل واحد منهما والله تعالى اعلم بالصواب وخلاصة المعنى اني ان كنت فيكم فاكفيكم شره وقت خروجه (وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه) بالرفع أى فكل امرئ يحاجه ويحاوره ويغالبه لنفسه كذا قاله الطيبي رحمه الله أى ليدفع شره عن نفسه بما عنده من الحجة كما قاله ابن الملك لكن هذا على تقدير انه يسمع الحجة والا فالمعنى ان كل أحد يدفع عن نفسه شره بتكذيبه واختيار صورة تعذيبه (والله خليفتي على كل مسلم) يعني والله سبحانه وتعالى ولى كل مسلم وحافظه فيعينه عليه ويدفع شره وهذا دليل على ان المؤمن الموقن لا يزال منصورا وان لم يكن معه نبي والامام ففيه رد على الامامية من الشيعة (انه) أى الدجال وهو استئناف بيان لبعض أحواله وتبيان لبعض ما يفيد في دفع شر أفعاله (شاب) فيه اشعار بانه غير ابن الصياد وايماء الى انه محروم من بياض الوقار وثابت على اشتداد السواد في الظاهر الذي هو عنوان الباطن من سواد الفؤاد (قطط) بفتح القاف والطاء أى شديد جعودة الشعر وفيه ايماء الى استحباب تسريح الشعر دفعا للمشابهة بالهيئة البشيعة (عينه طافية) بالياء وبهمز أى مرتفعة (كأني أشبهه) بتشديد الموحدة أى أمثله (بعبد العزى) بضم العين وتشديد الزاى (ابن قطن) بفتحتين وهو يهودى قاله شارح وقال الطيبي رحمه الله قيل انه كان يهوديا ولعل الظاهر انه مشرك لان العزى اسم صنم ويؤيده ما جاء في بعض الحواشي هو رجل من خزاعة هلك في الجاهلية ثم قال الطيبي رحمه الله لم يقل كأنه عبد العزى لانه لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم جازما في تشبيهه به قلت لا شك في تشبيهه به الا انه لما كان معرفة المشبه في عالم الكشف أو المنام عبر عنه بكأني كما هو المعتبر في تعبير حكاية الرؤيا والله تعالى اعلم ويمكن ان يقال لما لم يوجد في الكون أقبح صورة منه ولا يتم التشبيه من جميع الوجوه بل ولا من وجه واحد عدل عن صيغة الجزم وعبر عنه بما عبر عنه ثم في صيغة الحال اشعار باستحضار صورة المآل (فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف) أى أوائلها الى كذب لدلالة تلك الآيات على معرفة ذات الله وصفاته لكن لفظه من أدرك الدجال فليقرأ عليه خواتيمها فانها جواره من فتنته وثبوت كتابه وآيات بيناته وصدق رسوله واتيانه بمعجزاته ما يصير خوارق عادات الدجال هباء منثورا وان تابعه يدعو هلاكا وثبورا قال الطيبي رحمه الله المعنى ان قراءته أمان له من فتنته كما أمن تلك الفتية من فتنة دقيانوس الجبار (وفي رواية) أى لمسلم أيضا (فليقرأ عليه بفواتح سور الكهف فانها جواركم من فتنة) أى بلية (الدجال) والجوار بكسر الجيم وفي آخره راء على ما في نسخة السيد والشيخ الجزرى وكثير من النسخ المصححة وفي بعضها بفتح الجيم وزاى في آخره وهو الصك الذي يأخذه المسافر من السلطان أو نوابه لئلا يتعرض لهم المترصدة في

الطريق واقتصر عليه شارح المصابيح وذكره ابن الملك ثم قال وفي بعض النسخ بكسر الجيم و بالراء فمعناه حافظكم انتهى وفي بعض شروح البردة الجوار بالكسر والضم والكسر أفصح هو الامان هذا والمتبادر من كلام المؤلف انه رواية لمسلم لكن صرح الجزري في حصنه بانه رواية أبي داود عن النواس لكن لفظه من أدرك الدجال فليقرأ عليه فواتحها فانها جواره من فتنته ثم اعلم انه جاء في الحصن روايات متعددة في هذا المعنى حيث قال من قرأها أي الكهف كما أنزلت كانت له نورا من مقامه الى مكة ومن قرأ بعشر آيات من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه رواه النسائي والحاكم في مستدركه من حديث أبي سعيد الخدري واللفظ للنسائي وقال رفعه خطأ والصواب انه موقوف وأخرج الطبراني في الاوسط من حديث أبي سعيد أيضا واختلف في رفعه ووقفه أيضا ولفظه من قرأ سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة من مقامه الى مكة ومن قرأ بعشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره وروى مسلم وأبو داود عن أبي الدرداء مرفوعا من حفظ عشر آيات من أولها عصم من الدجال وفي رواية أبي داود والنسائي عنه من فتنة الدجال وفي رواية لمسلم وأبي داود عنه من حفظ عشر آيات و النسائي عنه من قرأ العشر الاواخر من الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية للترمذي عنه من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية لمسلم والاربعة عن النواس بن سمعان من أدرك الدجال فليقرأ عليه فواتحها الحديث قيل وجه الجمع بين الثلاث و بين قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من حفظ عشر آيات ان حديث العشر متأخر ومن عمل بالعشر فقد عمل بالثلاث وقيل حديث الثلاث متأخر ومن عصم بثلاث فلا حاجة الى العشر وهذا أقرب الى احكام النسخ أقول بمجرد الاحتمال لا يحكم بالنسخ مع ان النسخ انما يكون في الانشاء لا في الاخبار فالاظهر ان أقل ما يحفظ به من شره قراءة الثلاث وحفظها أولى وهو لا ينافي الزيادة كما لا يخفى وقيل حديث العشر في الحفظ وحديث الثلاث في القراءة فمن حفظ العشر وقرأ الثلاث كفى وعصم من فتنة الدجال وقيل من حفظ العشر عصم من ان لقيه ومن قرأ الثلاث عصم من فتنته ان لم يلقه وقيل المراد من الحفظ القراءة عن ظهر القلب ومن العصمة الحفظ من آفات الدجال والله تعالى اعلم بالاحوال (انه) أي الدجال (خارج خلة) بفتح معجمة وتشديد لام أي طريقا واقعا (بين الشام والعراق) وأصله الطريق في الرمل وقال شارح أي من سبيل بينهما فقيه اشارة الى انها منصوبة بنزع الخافض و يؤيده ما في النهاية أي في طريق بينهما قال النووي رحمه الله هكذا هو في نسخ بلادنا خلة بفتح الخاء المعجمة وتنوين التاء وقال القاضي رحمه الله المشهور فيه حلة بالحاء المهملة ونصب التاء يعني غير منونة ومعناه سمت ذلك وقبالته قلت المناسب ان يكون هي الحلة قرية بناحية دجلة من بغداد أهلها شر من في البلاد من العباد قال ورواه بعضهم حله بضم اللام وبهاء الضمير أي نزوله وحلوله قال وكذا ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين أيضا ببلادنا وقوله (فعاث) هو بعين مهملة وثاء مثلثة ماض من العيث وهو أشد الفساد والاسراع فيه وحكى القاضي رحمه الله انه رواه بعضهم فعاث على صيغة اسم الفاعل قال الاشرف قيل الصواب فيه فعاث بصيغة اسم الفاعل لكونه عطفا على اسم فاعل قبله وهو خارج قلت أكثر النسخ ومنها أصل السيد على انه فعل ماض من العيث وفي بعضها عاث كقاض من العثي بمعنى العيث وهو الاصح الموافق لما في التنزيل من قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين ولكن القول بانه الصواب خطأ اذهما لغتان بمعنى الافساد على ما هو مقرر في كتب اللغة فالحاصل ان الدجال فسد ومفسد (يمينا وعاث شمالا) وهما ظرفا عاث والمعنى يبعث سراياه يمينا وشمالا ولا يكتفي بالافساد فيما يطؤه من البلاد و يتوجه له من الاغوار والانجاد فلا يأمن من شره مؤمن ولا يخلو من فتنته موطن ولا مامن (يا عباد الله) أي أيها المؤمنون الموجودون في ذلك الزمان أو أنتم أيها المخاطبون على فرض انكم تدركون ذلك الاوان (فاثبتوا) أي على دينكم وان عاقبكم قال الطيبي رحمه الله هذا من الخطاب العام أراد به من يدرك الدجال من أمته ثم قيل هذا القول منه استمالة لقلوب أمته وتثبيتهم على ما يعاينونه من شر الدجال وتوطينهم على ما هم فيه من الايمان بالله

انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا

تعالى واعتقاده وتصديق ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم (قلنا يا رسول الله وما لبثه) بفتح لام وسكون موحدة أي ما قدر مكثه وتوقفه (في الارض قال أربعون يوما) سيأتي حديث يمكث الدجال في الارض أربعين سنة السنة كالشهر الى آخره لكنه نقل البغوي في شرح السنة ولا يصلح ان يكون معارضا لرواية مسلم هذه وعلى تقدير صحته لعل المراد بأحد المكثين مكث خاص على وصف معين مبين عند العالم به (يوم) أي من تلك الاربعين (كسنة) أي مقدار عام في طول الزمان أو في كثرة الغموم والاحزان (ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم) قال ابن الملك رحمه الله قيل المراد منه ان اليوم الاول لكثرة غموم المؤمنين وشدة بلاء اللعين يرى لهم كسنة وفي اليوم الثاني يهون كيده ويضعف أمره فيرى كشهر والثالث يرى كجمعة لان الحق في كل وقت يزيد قدرا والباطل ينقص حتى ينمحق أثرا أولان الناس كلما اعتادوا بالفتنة والمحنة يهون عليهم الى ان تضمحل شدتها ولكن هذا القول مردود لانه غير مناسب لما ذكر الراوي (قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة) أي مثلا (أيكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره) بل هذا جار على حقيقته ولا امتناع فيه لان الله تعالى قادر على ان يزيد كل جزء من أجزاء اليوم الاول حتى يصير مقدار سنة خارقة للعادة كما يزيد في أجزاء ساعة من ساعات اليوم انتهى وفيه ان هذا القول الذي قرره على المنوال الذي حرره لا يفيد الا بسط الزمان كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم في قصة الاسراء مع زيادة على المكان لكن لا يخفى ان سبب وجوب كل صلاة انما هو وقته المقدر من طلوع صبح وزوال شمس وغروب ها وغيبوبة شفقها وهذا لا يتصور الا بتحقق تعدد الايام والليالي على وجه الحقيقة وهو مفقود فالتحقيق ما قاله الشيخ التوربشتي رحمه الله تعالى وهو انه يشكل من هذا الاصل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة مع قوله وسائر أيامه كأيامكم ولا سبيل الى تأويل امتداد تلك الايام على انها وصفت بالطول والامتداد لما فيها من شدة البلاء وتفاقم البأساء والضراء لانهم قالوا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم قال لا الحديث فنقول وبالله التوفيق ومنه المعونة في التحقيق قد تبين لنا باخبار الصادق المصدوق صلوات الله تعالى وسلامه عليه ان الدجال يبعث معه من الشبهات ويفيض على يديه من التمويهات ما يسلب عن ذوي العقول عقولهم ويخطف من ذوي الابصار أبصارهم فمن ذلك تسخير الشياطين له ومجيئه بجنة ونار واحياء الميت على حسب ما يدعيه وتقويته على من يريد اضلاله تارة بالمطر والعشب وتارة بالازمة والجدب ثم لا خفاء بانه اسحر الناس فلم يستقم لنا تأويل هذا القول الا ان نقول انه يأخذ بأسماع الناس وأبصارهم حتى يخيل اليهم ان الزمان قد استمر على حالة واحدة اسفار بلا ظلام وصباح بلا مساء يحسبون ان الليل لا يمد عليهم رواقه وان الشمس لا تطوي عنهم ضياءها فيبقون في حيرة والتباس من امتداد الزمان ويدخل عليهم دواخل باختفاء الآيات الظاهرة في اختلاف الليل والنهار فأمرهم ان يجتهدوا عند مصادمة تلك الاحوال ويقدروا لكل صلاة قدرها الى ان يكشف الله عنهم تلك الغمة هذا الذي اهتدينا اليه من التأويل والله الموفق لاصابة الحق وهو حسبنا ونعم الوكيل وفي شرح مسلم للنووي رحمه الله قالوا هذا على ظاهره وهذه الايام الثلاثة طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث يدل عليه قوله وسائر أيامه كأيامكم وأما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اقدروا له قدره فقال القاضي رحمه الله وغيره هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع قالوا ولولا هذا الحديث ووكلنا الى اجتهادنا اقتصرنا على الصلاة عند الاوقات المعروفة في غيره من الايام ومعناه اذا بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر في كل يوم فصلوا الظهر ثم اذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر فاذا مضى بعدها قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وكذا حتى ينقضي ذلك اليوم وقد وقع فيه صلاة السنة فرائض مؤداة في وقتها وأما الثاني الذي كشهر والثالث الذي كجمعة فيقاس على اليوم الاول في انه يقدر له

قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره

كاليوم الاول على ما ذكرناه انتهى وحاصله ان الاوقات للصلاة أسباب وتقديم المسببات على الاسباب غير جائز الا بشرع مخصوص كما يقدم العصر على وقته بعرفات فمعنى اقدروا أى قدروا وخمنوا له أى لاداء الصلاة الخمس قدره أى قدر يوم كذا قيل والاظهر ما قاله شارح أى قدر والوقت صلاة يوم في يوم كسنة مثلا قدره أى قدره الذى كان له فى سائر الايام كمحبوس اشتبه عليه الوقت (قلنا يارسول الله وما اسراعه) أى ماقدر اسراعه أو كيفية اعجاله (فى الارض) أى فى سيرها وطى ساحتها قال الطيبي رحمه الله لعلهم علموا ان له اسراعا فى الارض فسألوا عن كيفيته كما كانوا عالمين بلبثه فسألوا عن كميته بقولهم ما لبثه اى ما مدة لبثه (قال كالغيث) المراد به هنا الغيم اطلاقا للسبب على المسبب أى يسرع فى الارض اسراع الغيم (استدبرته الريح) قال ابن الملك الجملة حال أو صفة للغيث وأل فيه للعهد الذهنى والمعنى ان هذا مثال لا يدرك كيفيته ولا يمكن تقدير كميته (فيأتى) أى فيمر الدجال (على القوم) أى على جنس من الناس (فيدعوهم) أى الى باطله (فيؤمنون به فيأمر السماء) أى السحاب (فتمطر) من الامطار حتى تجرى الانهار (والارض) أى ويأمرها (فتنبت) من الانبات حتى تظهر الازهار استدراجا من الواحد القهار (فتروح عليهم سارحتهم) أى فترجع بعد زوال الشمس اليهم ماشيتهم التى تذهب بالغدوة الى مراعيها (أطول ما كانت) أى السارحة من الابل ونصب أطول على الحالية وقوله (ذرى) بضم الذال المعجمة وحكى كسرها وفتح الراء منونا جمع ذروة مثلثة وهى أعلى السنام وذروة كل شئ أعلاه وهو كناية عن كثرة السمن (وأسبغه) أى وأتم ما كانت (ضروعا) بضم أوله جمع ضرع وهو الثدى كناية عن كثرة اللبن (وأمده) أى وأمد ما كانت وهو اسم تفضيل من المد (خواصر) جمع خاصرة وهى ما تحت الجنب ومدها كناية عن الامتلاء وكثرة الاكل (ثم يأتى القوم) أى قوما آخرين وفى العدول عن قوله على بناء على ما سبق اشعار بأن اتيانه على الاولين ضرر فى الحقيقة دون الآخرين (فيدعوهم) أى بدعوى ألوهيته (فيردون عليه قوله) أى لا يقبلونه أو يبطلونه بالحجة (فينصرف عنهم) فيه اشارة الى انه ليس له قدرة الاجبار قال تعالى جل جلاله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين والمعنى فيصرفه الله عنهم (فيصبحون ممحلين) بضم الميم وبالحاء أى داخلين فى المحل قال التوربشتى رحمه الله أمحل القوم أصابهم المحل وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ (ليس بأيديهم شئ من أموالهم) والحاصل ان المؤمنين صابرون مبتلين بأنواع من البلاء والمحن والضراء ولكنهم صابرون وراضون وشاكرون لما أعطاهم الله من صفات الاولياء ببركة سيد الانبياء وسيد الاصفياء (ويمر بالخربة) بكسر الراء أى يمر الدجال بالارض الخربة وبالبقاع الخربة (فيقول لها اخرجى كنوزك) أى مدفونك أو معادنك (فتتبعه) الفاء فصيحة أى فتخرج فتعقب الدجال (كنوزها كيعاسيب النحل) أى كما يتبع النحل اليعسوب قال النووى رحمه الله اليعاسيب ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون قال القاضى رحمه الله المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها لانه متى طار تبعته جماعته ومنه قيل للسيد يعسوب وروى الديلمى عن على رضى الله تعالى عنه مرفوعا على يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين فى الكلام نوع قلب اذ حق الكلام كنحل اليعاسيب ولعل النكتة فى جمع اليعاسيب هو الايماء الى كثرة الكنوز التابعة وانه قدركأنه جمع باعتبار جوانبه وأطرافه والمراد جمع من أمرائه ووكلائه وقال الاشرف قوله كاليعاسيب كناية عن سرعة اتباعه أى تتبعه الكنوز بالسرعة وقال الطيبي رحمه الله اذا كان قوله كاليعاسيب حالا من الدجال فالخربة صفة البقاع واذا كان حالا من الكنوز فيجوز أن يكون الموصوف جمعا أو مفردا (ثم يدعو رجلا) أى يطلبه حال كونه (ممتلئا) أى تاما كاملا قويا (شبابا) تمييز عن النسبة قال الطيبي رحمه الله والممتلئ شبابا هو الذى يكون فى غاية الشباب (فيضربه بالسيف) أى غضبا عليه لا بائه قبول دعوته الالوهية أو اظهارا للقدرة وتوطئة لخرق العادة (فيقطعه جزلتين) بفتح الجيم

قلنا يا رسول الله وما اسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شئ من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين

وتكسر أى قطعتين متباعدتان (رمية الغرض) أى قدر حذف الهدف فهى منصوبة بمقدر وفائدة التقييد به ان يظهر عند الناس انه هلك بلا شبهة كما يفعله السحرة والمشعبذة قال النووى رحمه الله هو بفتح الجيم على المشهور وحكى ابن دريد كسرها ومعنى رمية الغرض انه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية الغرض هذا هو الظاهر المشهور وحكى القاضى هذا ثم قال وعندى ان فيه تقديما وتأخيرا وتقديره فيصيبه اصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين والصحيح الاول قال التوربشتى رحمه الله أراد برمية الغرض اما سرعة نفوذ السهم واما اصابة الحز قال الطيبى رحمه الله ويؤيد تأويل النووى قوله فى الحديث الذى يليه ثم يمشى الدجال بين القطعتين (ثم يدعوه فيقبل) أى الرجل الشاب على الدجال (ويتهلل) أى يتلألأ ويضىء (وجهه يضحك) حال من فاعل يقبل أى يقبل ضاحكا بشاشا فيقول هذا كيف يصلح الها (فبينما) بالميم على الصحيح (هو) أى الرجل (كذلك) أى على تلك الحال وذلك المنوال (اذ بعث الله المسيح بن مريم) عليه الصلاة والسلام فسبحان من يدفع المسيح بالمسيح قال تعالى جل شانه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (فينزل) أى عيسى عليه الصلاة والسلام (عند المنارة البيضاء شرقى) بالنصب على الظرفية مضافا الى قوله (دمشق) بكسر الدال وفتح الميم وتكسر وهو المشهور والآن بالشام فانه تحت ملكه وفى الجامع روى الطبرانى عن أوس بن أوس ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقى دمشق ذكر السيوطى فى تعليقه على ابن ماجه انه قال الحافظ بن كثير فى رواية ان عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل ببيت المقدس وفى رواية بالاردن وفى رواية بمعسكر المسلمين قلت حديث نزوله ببيت المقدس عند ابن ماجه وهو عندى أرجح ولا ينافى سائر الروايات لان بيت المقدس شرقى دمشق وهو معسكر المسلمين اذ ذاك والاردن اسم الكورة كما فى الصحاح وبيت المقدس داخل فيه وان لم يكن فى بيت المقدس الآن منارة فلابد أن تحدث قبل نزوله والله تعالى أعلم وقوله (بين مهرودتين) بالدال المهملة ويعجم أى حال كون عيسى بينهما بمعنى لابس حلتين مصبوغتين بورس أو زعفران قال النووى رحمه الله روى بالدال المهملة والذال المعجمة والمهملة أكثر والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين وأكثر ما يقع فى النسخ بالمهملة ومعناه لابس ثوبين مصبوغين بالورس ثم الزعفران انتهى وقال ابن الانبارى روى بدال مهملة ومعجمة أى بين ممصرتين على ما جاء فى الحديث ولا نسمعه الا فيه وكذلك أشياء كثيرة لم تسمع الا فى الحديث والممصرة من الثياب التى فيها صفرة خفيفة كذا فى النهاية (واضعا كفيه على أجنحة ملكين) حال لبيان كيفية نزاله كما ان ما قبله حال لبيان كيفية لبسه وجماله ثم بين له حلة أخرى بقوله (اذا طأطأ) بهمزتين أى خفض (رأسه قطر) أى عرق (واذا رفعه) أى رأسه (تحدر) بتشديد الدال أى نزل (منه) أى من شعره قطرات نورانية (مثل الجمان) بضم الجيم وتخفيف الميم ونشدد حب يتخذ من الفضة (كاللؤلؤ) أى فى الصفاء والبياض ففى النهاية الجمان بضم الجيم وتخفيف الميم يتخذ من الفضة على هيئة اللآلئ الكبار قال الطيبى رحمه الله شبهه بالجمان فى الكبر ثم شبه الجمان باللؤلؤ فى الصفاء والحسن فالوجه أن يكون الوجه الكبر مع الصفاء والحسن وفى القاموس الجمان كغراب اللؤلؤ أو هنوات اشكال اللؤلؤ وقال شارح الجمان بتشديد الميم وقال ابن الملك بالتشديد اللؤلؤ الصغار وبتخفيفها حب يتخذ من الفضة وقيل المراد بالجمان فى صفة عيسى عليه الصلاة والسلام هو الحب المتخذ من الفضة قلت بل هو المتعين بقوله كاللؤلؤ (فلا يحل) بكسر الحاء أى لا يمكن ولا يقع (لكافر ان يجد من ريح نفسه) بفتح الفاء (الامات) كذا ذكره النووى وقال القاضى معناه عندى حق وواجب قال ورواه بعضهم بضم الحاء وهو وهم وغلط قال الطيبى رحمه الله معناه لا يحصل ولا يحق ان يجد من ريح نفسه ولا حال من الاحوال الا حال الموت فقوله يجد مع ما فى سياقه فاعل يحل على تقدير ان (ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه) بسكون الراء أى لحظه ولمحه ويجوز كون الدجال مستثنى من هذا الحكم لحكمة اراءة دمه فى الحربة ليزداد كونه ساحرا فى قلوب المؤمنين ويجوز كون هذه الكرامة لعيسى أولا حين نزوله ثم تكون زائلة حين يرى

رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد من ريح نفسه الامات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه

للدجال اذ دوام الكرامة ليس بلازم وقيل نفس الذي يموت الكافر هو النفس المقصود به اهلاك كافر لا النفس المعتاد فعدم موت الدجال لعدم النفس المراد وقيل المفهوم منه أن من وجد من نفس عيسى من الكفار يموت ولا يفهم منه أن يكون ذلك أول وصول نفسه فيجوز أن يحصل ذلك بهم بعد ان يرحم عيسى عليه الصلاة والسلام دم الدجال في حربته للحكمة المذكورة كذا بخط شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندي رحمه الله تعالى ثم من الغريب ان نفس عيسى عليه الصلاة والسلام تعلق به الاحياء لبعض والاماتة لبعض (فيطلبه) أي يطلب عيسى عليه الصلاة والسلام الدجال (حتى يدركه بباب لد) بضم لام وتشديد دال معروف اسم جبل بالشام وقيل قرية من قرى بيت المقدس وعليه اقتصر النووي وزاد غيره سمي به لكثرة شجره وقال السيوطي رحمه الله في شرح الترمذي هو على ما في النهاية موضع بالشام وقيل بفلسطين (فيقتله) في الجامع رواه الترمذي وكذا أحمد وعن مجمع بن جارية يقتل ابن مريم الدجال بباب لد (ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه) أي حفظهم من شر الدجال (فيمسح عن وجوههم) أي يزيل عنها ما أصابها من غبار سفر الغزو ومبالغة في اكرامهم أو المعنى يكشف ما نزل بهم من آثار الكآبة والحزن على وجوههم بما يسرهم من خبره بقتل الدجال (ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة) قال النووي رحمه الله وهذا المسح يحتمل أن يكون على ظاهره فيمسح وجوههم تبركا أو انه اشارة في كشف ما يكون فيه من الشدة والخوف (فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى اني) بفتح الهمزة ويكسر (قد أخرجت عبادا لي) أي أظهرت جماعة منقادة لقضائي وقدري (لايدان) أي لا قدرة ولا طاقة (لاحد بقتالهم) وانما عبر عن الطاقة باليد لان المباشرة والمدافعة انما تكون باليد وثني مبالغة كأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه ويمكن أن يكون في التثنية ايماء الى العجز عنهما جميعا (فحرز عبادي) أي من التحرز مأخوذ من الحرز أي احفظهم وضمهم (الى الطور) واجعله لهم حرزا (ويبعث الله يأجوج ومأجوج) بالالف ويبدل فيهما (وهم) أي جميع القبيلتين لقوله تعالى هذان خصمان اختصموا (من كل حدب) بفتحتين أي مكان مرتفع من الارض (ينسلون) بفتح الياء وكسر السين أي يسرعون (فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية) بالاضافة وبحيرة تصغير بحرة وهي ماء مجتمع بالشام طوله عشرة أميال وطبريه بفتحتين اسم موضع وقال شارح هي قصبة الاردن بالشام (فيشربون ما فيها) أي من الماء (ويمر آخرهم فيقول) أي آخرهم أو قائل منهم (لقد كان بهذه) أي البحيرة أو البقعة (مرة) أي وقتا (ماء) أي ماء كثير (ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر) بفتح الخاء المعجمة والميم وبالراء الشجر الملتف وفسر في الحديث بقوله (وهو جبل بيت المقدس) لكثرة شجره وهو كل ما سترك من شجر أو بناء وغيره كذا في النهاية (فيقولون لقد قتلنا من في الارض) أي من ظهر على وجهها لما سيأتي من استثناء عيسى عليه الصلاة والسلام وأصحابه حيث كانوا محصورين محصونين (هلم) أي تعال والخطاب لاميرهم وكبيرهم أو عام غير مخصوص باحدهم وفي النهاية فيه لغتان فاهل الحجاز يطلقونه على الواحد والاثنين والجمع والمؤنث بلفظ واحد مبني على الفتح وبنو تميم تثنى وتجمع وتؤنث تقول هلم وهلمي وهلما وهلموا (فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم) بضم وتشديد مفرده نشابة والباء زائدة أي سهامهم (الى السماء) أي الى جهتها (فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة) أي مصبوغة (دما) تمييز وهذا مكر واستدراج منه سبحانه مع احتمال اصابة سهامهم لبعض الطيور في السماء فيكون فيه اشارة الى احاطة فسادهم بالسفليات والعلويات (ويحصر) بصيغة المجهول أي يحبس في جبل الطور (نبي الله) أي عيسى عليه الصلاة والسلام (وأصحابه) أي من مؤمني هذه الامة (حتى يكون) أي يصير من شدة المحاصرة والمضايقة (رأس الثور) أي البقر مع كمال رخصه في تلك الديار (لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم) قال التوربشتي رحمه الله اي تبلغ بهم الفاقة الى هذا الحد وانما ذكر رأس الثور ليقاس البقية عليه في القيمة (فيرغب) أي الى الله او يدعو (نبي الله) فيه تنبيه على انه مع متابعته شريعة محمد صلى

فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ أوحى الله الى عيسى اني قد أخرجت عبادا لي لايدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ثم يسيرون حتى ينتهوا الى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم الى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما ويحصر نبي الله وأصحابه حتى تكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله

الله

الله تعالى عليه وسلم باق على نبوته (عيسى وأصحابه) قال القاضي أي يرغبون الى الله تعالى في اهلاكهم وانجائهم من مكابدة بلائهم ويتضرعون اليه فيستجيب الله فيهلكهم بالنغف كما قال (فيرسل الله عليهم) أي على يأجوج ومأجوج (النغف) بفتح النون والغين المعجمة دود يكون في أنوف الابل والغنم (في رقابهم فيصبحون فرسى) كهلكى وزنا ومعنى وهو جمع فريس كقتيل وقتلى من فرس الذئب الشاة اذا كسرها وقتلها ومنه فريسة الاسد (كموت نفس واحدة) لكمال القدرة وتعلق المشيئة قال تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال التوربشتي رحمه الله يريد ان القهر الالهي الغالب على كل شئ يفرسهم دفعة واحدة فيصبحون قتلى وقد نبه بالكلمتين أعني النغف وفرسى على انه سبحانه يهلكهم في أدنى ساعة بأهون شئ وهو النغف فيفرسهم فرس السبع فريسته بعد ان طارت نعرة البغي في رؤسهم فزعموا انهم قاتلوا من في السماء (ثم يهبط) أي ينزل من الطور (نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض) أي في وجهها وجميعها وهذا وجه العدول عن الضمير الى الظاهر فاللام في الاولى للعهد وفي الثانية للاستغراق بدليل الاستثناء وبه يتبين ان القاعدة المعروفة ان المعرفة اذا أعيدت تكون عينا للاولى مبنية على غالب العادة أو حيث لا قرينة صارفة (موضع شبر الا ملأه زهمهم) بفتح الزاي والهاء وقد تضم الزاي وقال شارح هو بالضم وروي بالتحريك وتفسيره قوله (ونتنهم) بسكون التاء قال التوربشتي رحمه الله الزهم بالتحريك مصدر قولك زهمت يدي بالكسر من الزهومة فهي زهمة أي دسمة وعلى أكثر الروايات فيما أعلم وفيه من طريق المعنى وهن وضم الزاي مع فتح الهاء أصح معنى وهو جمع زهمة يعني بضم الزاي وسكون الهاء وهي الريح المنتنة وقال شارح هو أصح رواية ودراية ويوافقهما ما في القاموس حيث قال الزهومة والزهمة بضمهما ريح لحم سمين منتن والزهم بالضم الريح المنتنة وبالتحريك مصدر زهمت يدي كفرح فهي زهمة أي دسمة انتهى وقد يقال اطلاق المصدر وأريد به الوصف مبالغة كرجل عدل (فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله) في ضم أصحابه اليه اشارة الى أن الهيئة الاجتماعية في الهمة الاطماعية لها تأثير بليغ في الاجابة الدعائية أو في ذكرهم ايماء الى انهم هم الباعث على الدعاء والتضرع الى رب السماء (فيرسل الله طيرا كأعناق البخت) بضم موحدة وسكون معجمة نوع من الابل أي طيرا أعناقها في الطول والكبر كأعناق البخت والطير جمع طائر وقد يقع على الواحد ولذا قال (فتحملهم) أي تلك الطير (فتطرحهم) أي ترميهم (حيث شاء الله) أي من البحار أو فيما وراء معمورة الديار أو خلف جبال قاف ونحوها أو الى عالم الاعدام والافناء (وفي رواية تطرحهم بالنهبل) بفتح النون وسكون الهاء وفتح الموحدة موضع وقيل مكان ببيت المقدس وفيه انه كيف يسعهم ولعل المراد به موضع بعضهم أو على طريق خرق العادة يسعهم وقيل هو حيث تطلع الشمس وفي القاموس نهبل أسن وروى الترمذي في حديث الدجال فتطرحهم بالنهبل وهو تصحيف والصواب بالميم انتهى ولم يذكر المهبل لا لفظا ولا معنى (ويستوقد المسلمون من قسيهم) بكسرتين فتشديد تحتية جمع قوس والضمير ليأجوج ومأجوج (ونشابهم) أي سهامهم (وجعابهم) بكسر الجيم جمع جعبة بالفتح وهي ظرف النشاب (سبع سنين ثم يرسل الله مطرا) أي عظيما (لا يكن) بفتح الياء وضم الكاف وتشديد النون من كننت الشئ أي سترته وصنته عن الشمس وهي من أكننت الشئ بهذا المعنى والمفعول محذوف والجملة صفة مطرا أي لا يستر ولا يصون شيأ (منه) أي من ذلك المطر (بيت مدر) بفتحتين أي تراب وحجر (ولا وبر) أي صوف أو شعر والمراد تعميم بيوت أهل البدو والحضر قال النووي رحمه الله أي لا يمنع من نزول الماء بيت المدر وهو الطين الصلب وقال القاضي رحمه الله أي لا يحول بينه وبين مكان ماء حائل بل يعم الاماكن كلها (فيغسل) أي المطر (الارض) أي وجهها كلها (حتى يتركها كالزلفة) بفتح الزاي واللام وبسكن وبالفاء وقيل بالقاف وهي المرآة بكسر الميم وقيل ما يتخذ لجمع الماء من المصنع والمراد ان الماء يعم جميع الارض بحيث

عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله وفي رواية تطرحهم بالنهبل ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة

ري الرائي وجهه فيه قال النووي رحمه الله روي بفتح الزاي واللام وبالفاء وبالقاف وروي بضم الزاي واسكان اللام وبالفاء وقال القاضي رحمه الله روي بالفاء والقاف وبفتح اللام وباسكانها وكلها صحيحة قالت الاصح وهو الذي عليه الاكثر بفتحتين والفاء واقتصر عليه القاموس في المعاني الآتية كلها والله تعالى أعلم قال واختلفوا في معناه فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون معناه كالمرآة وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضا شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها وقيل معناه كمصانع الماء اي الماء يستنقع فيها حتى تصير الارض كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء وقال أبو عبيدة معناه الاجانة الخضراء وقيل كالصحفة وقيل كالروضة (ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي) أي الى أهلك (بركتك) أي من سائر نعمك (فيومئذ تا كل العصابة) بكسر العين أي الجماعة (من الرمانة) أي و يشبعون منها (و يستظلون بقحفها) بكسر القاف أي بقشرها قال النووي رحمه الله هو مقعر قشرها شبهها بقحف الآدمي وهو الذي فوق الدماغ وقيل هو ما انفلق من جمجمته وانفصل وقال شارح أراد نصف قشرها الاعلى وهو في الاصل العظم المستدير فوق الدماغ وهو أيضا اناء من خشب على مثاله كأنه نصف صاع واستعير هنا لما يلي رأسها من القشر (و يبارك) بصيغة المجهول أي يوضع البركة والكثرة (في الرسل) بكسر الراء وسكون السين أي اللبن (حتى ان اللقحة) بكسر اللام ويفتح أي الناقة الحلوبة قال النووي رحمه الله اللقحة بكسر اللام وفتحها لغتان مشهورتان والكسر أشهر وهي القريبة العهد بالولادة وقال في المختصر من النوق وغيرها فقوله (من الابل) بيانية (لتكفي) أي اللقحة والمراد لبنها (الفئام) بهمز على زنة رجال والعامة تبدل الهمز ياء أي الجماعة (من الناس) ولا واحد له من لفظه والمراد به ههنا أكثر من القبيلة كأن القبيلة أكثر من الفخذ على ما سيأتي وقال النووي رحمه الله الفئام بكسر الفاء و بعدها همزة ممدودة هي الجماعة الكثيرة هذا هو المشهور والمعروف في اللغة و رواية الحديث بكسر الفاء وبالهمز قال القاضي ومنهم من لا يجيز الهمز بل يقوله بالياء وقال في المشارق وحكاه الخليل بفتح الفاء قال وذكره صاحب العين غير مهموز وأدخله في حرف الياء وحكى الخطابي ان بعضهم ذكره بفتح الفاء وتشديد الياء وهو غلط فاحش (واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس) قال القاضي عياض رحمه الله الفخذ هنا بسكون الخاء المعجمة لا غير جماعة من الاقارب وهم دون البطن والبطن دون القبيلة وأما الفخذ بمعنى العضو فبكسر الخاء وسكونها (فبينا) بلا ميم (هم) مبتدأ خبره (كذلك) وتاء عوض عن المضاف اليه والعامل فيه قوله (اذ بعث الله) واذ للمفاجأة أي بين أوقات يتنعمون في طيب عيش وسعة أرسل عليهم فجأة (ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم) بهمزة ممدودة جمع ابط (فتقبض) أي تلك الريح (روح كل مؤمن) أسند الفعل الى الريح مجازا (أو كل مسلم) قال النووي رحمه الله هكذا هو في جميع النسخ بالواو يعني كان الظاهر ان يكون بأو بالشك فانه لا فرق بين المؤمن والمسلم عند أرباب الحق من أهل السنة والجماعة فالمقصود المبالغة في التعميم والتغاير باعتبار اختلاف الوصفين كما في التنزيل تلك آيات الكتاب وقرآن مبين وقوله سبحانه ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات أو بناء على الفرق اللغوي بينهما من ان المراد بالمؤمن المصدق و بالمسلم المنقاد لكن لما كان أحدهما لا ينفع بدون الآخر جعل الموصوف بهما واحدا وأطلق عليه كل واحد من الوصفين بطريق التساوي أو لكون أحدهما غالبا عليه في نفس الامر والله تعالى أعلم قال الطيبي رحمه الله المراد بالتكرار هنا الاستيعاب أي تقبض روح خيار الناس كلهم (و يبقى شرار الناس) بكسر أوله جمع شر (يتهارجون) أي يختلطون (فيها) أي في تلك الازمنة أو في الارض (تهارج الحمر) أي كاختلاطها و يتسافدون وقيل يتخاصمون فان الاصل في الهرج القتل وسرعة عدو الفرس وهرج في حديثه أي خلط قال النووي رحمه الله أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك والهرج باسكان الراء الجماع و يقال هرج زوجته أي جامعها

ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبيناهم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فيقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر

يسرجونها بفتح الراء وضمها وكسرها (فعليهم تقوم الساعة) أي لا على غيرهم وسبق في حديث لا تقوم الساعة الا على شرار الناس وفي رواية لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله (رواه) أي الحديث بكماله (مسلم الا الرواية الثانية وهي) أي الرواية وفي نسخة وهو وتذكيره لتذكير خبره وهو (قوله تطارحهم بالنهبل الى قوله سبع سنين رواها) أي تلك الرواية (الترمذي وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبله) بكسر قاف وفتح موحدة أي الى جانبه (رجل) أي عظيم (من المؤمنين) قال أبو اسحق ابراهيم بن سفيان الفقيه راوي صحيح مسلم يقال ان هذا الرجل الخضر عليه الصلاة والسلام وكذا قال معمر وهذا يقتضي ان يكون الخضر حيا وقد اختلف العلماء في ذلك فالجمهور من الفقهاء والمحدثين وغيرهم وبعض الصوفية على انه مات وذهب جمهور الصوفية وبعض الفقهاء وغيرهم الى انه حي قال النووي رحمه الله وهو الصحيح ذكره الشيخ الجزري (فيلقاه المسالح) بفتح الميم وكسر اللام جمع المسلحة وهم القوم ذوو السلاح يحفظون الثغور (مسالح الدجال) مرفوع على الابدال وفيه اشارة الى ان اللام عوض عن المضاف اليه أو اللام للعهد قال القاضي رحمه الله ولعل المراد به ههنا مقدمة جيشه وأصلها موضع السلاح ثم استعمل للثغر فانه يعد فيه الاسلحة ثم للجند المترصدين ثم لمقدمة الجيش فانهم من الجيش كاصحاب الثغور ممن وراءهم من المسلمين (فيقولون له أين تعمد) بكسر الميم أي تقصد (فيقول أعمد الى هذا الذي خرج) أي خرج عن الحق أو على الخلق أو ظهر بالباطل والاشارة للتحقير (فيقولون له أوما تؤمن بربنا) يعنون به الدجال حيث وجدوا عنده الجاه والمال (فيقول) أي الرجل (ما بربنا) أي بربي وربكم ففيه تغليب أو ما بربنا معشر المؤمنين (خفاء) وما نافية أي ليس يخفى علينا صفات ربنا عن غيره لنعدل عنه اليه أو لنترك الاعتماد عليه

ففي كل شيء له شاهد * يدل على انه واحد

واما ما عداه فآثار الحدوث عليه لائحة وأنواع النقصان فيه واضحة ومن أظهر الادلة القطعية ان المخلوقية تنافي الربوبية والعبودية تناقض الالوهية مع الاتراب ورب الارباب كيف والعيوب الظاهرة فيه تشهد لمن له أدنى عقل كما لا يخفى وفيه ايماء الى ما سبق من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس باعور قال الطيبي رحمه الله هذا تكذيب لهم وبيان لتمويههم وتلبيسهم اذ ما يؤمن بربنا كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يخفى عليكم ان الله ليس باعور (فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم ان تقتلوا) أي من قبل نفسكم (أحدا دونه) أي دون علمه وأمره واذنه (فينطلقون به الى الدجال فاذا رآه المؤمن) أي أبصر الدجال الرجل الموقن وقد عرف علاماته (قال) تذكيرا للامة وتوهينا للغمة (هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في أحاديثه انه سيخرج في آخر الزمان (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (فيأمر الدجال به) أي بضربه (فيشبح) بتشديد الموحدة المفتوحة أي يمد للضرب (فيقول) أي الدجال تأكيدا وتغليظا وتشديدا (خذوه) أي امسكوه أخذا شديدا (وشجوه) بضم الشين المعجمة وتشديد الجيم أي اكسروا رأسه وفي نسخة فشبحوه بفتح الشين وكسر الموحدة خفيفة له أي مدوه على بطنه أو على قفاه يقال تشبح الحرباء على العود أي امتد وتشبيح الشيء جعله عريضا (فيوسع) بسكون الواو وفتح السين (ظهره وبطنه ضربا) أي يكثر الضرب على ظهره وبطنه (قال فيقول) أي الدجال (أما تؤمن بي) وفي نسخة أو ما تؤمن بي أي أتنكرني والوهيتي وما تؤمن بي وبربوبيتي (قال فيقول) أي المؤمن (أنت المسيح الكذاب) أي الذي يقتله المسيح الصديق (قال فيؤمر به فيؤشر) بضم فسكون همز ويبدل واوا ففتح شين أي فيقطع (بالمئشار) بكسر الميم وسكون الهمز ويبدل ياء وبالنون في بعض النسخ وهو آلة النشر والقطع (من مفرقه) بفتح الميم وكسر الراء ويفتح أي مبتدا من فرق رأسه (حتى يفرق) بصيغة المجهول مخففا

فعليهم تقوم الساعة
رواه مسلم الا الرواية
الثانية وهي قوله تطارحهم
بالنهبل الى قوله سبع
سنين رواه الترمذي
وعن أبي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم يخرج
الدجال فيتوجه قبله رجل
من المؤمنين فيلقاه المسالح
مسالح الدجال فيقولون له
أين تعمد فيقول أعمد الى
هذا الذي خرج قال فيقولون
له أوما تؤمن بربنا فيقول
ما بربنا خفاء فيقولون اقتلوه
فيقول بعضهم لبعض أليس
قد نهاكم ربكم ان تقتلوا
أحدا دونه فينطلقون به
الى الدجال فاذا رآه المؤمن
قال يا أيها الناس هذا
الدجال الذي ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
فيأمر الدجال به فيشبح فيقول
خذوه وشجوه فيوسع
ظهره وبطنه ضربا قال
فيقول أوما تؤمن بي قال
فيقول أنت المسيح الكذاب
قال فيؤمر به فيوشر بالميشار
من مفرقه حتى يفرق

و يشدد أى حتى يفصل بدنه قطعتين واقعتين (بين رجليه) أى فى طرفى قدميه قال النووى رحمه الله قوله يشبح بشين معجمة ثم باء موحدة وحاء مهملة وكذا اشبحوه أى مدوه على بطنه وجاء أيضا اشجوه بجيم مشددة من الشج وهو الجرح فى الرأس ثم قال وهذه الرواية أصح عندنا وقوله فيؤشر الرواية فيه بالهمزة والمئشار بهمز بعد الميم وهو الافصح ويجوز تخفيف الهمز فيهما فيجعل فى الاول واوا وفى الثانى ياء ويجوز المنشار بالنون وعلى هذا يقال نشرت الخشبة ومفرقه بكسر الراء وسطه يعنى وسط فرقه أو وسط رأسه انتهى قال الجزرى رحمه الله روى هذا الحديث على ثلاثة أوجه يشبح بمعجمة فموحدة فمهملة وشجوه بالجيم من الشج وهو الجرح فى الرأس والوجه وثانيهما يشبح كالاول وشبحوه بالباء والحاء وثالثها فيشج وشجوه كلاهما بالجيم وهو الذى ذكره المؤلف والوجه الثانى هو الذى ذكره الحميدى وصححه القاضى عياض والاصح عند جماعة من أصحابنا الاول والله تعالى اعلم وقال شارح يقال وشرت الخشبة بالميشار اذا نشرته بالمنشار وفى الحديث بالياء لا غير بدل عليه فيوشر قلت فيه بحث اذ قوله فيوشر يحتمل ان يكون بالهمز وان يكون بواو مبدلة أو أصلية وكذا فى الميشار يصح همزه وابداله من همز أو من واو وهذا لا ينافى ان يكون بالهمز وان يكون المنشار بالنون بناء على التفنن فى العبارة مع انه هو المشهور باعتبار اللغة على لسان العامة وفى القاموس أشر الخشب بالميشار شقه ونشر الخشب نحته ووشر الخشب بالميشار غير مهموز لغة فى أشرها بالمنشار اذا نشرها انتهى وبه يعلم ان الاصل هو الهمز والواو لغة فى الشق والنون خاص بمعنى النحت (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم يمشى الدجال بين القطعتين) أى الشقتين من الرجل تخييلا لتحقيق القتل (ثم يقول له قم فيستوى قائما ثم يقول له أتؤمن بى فيقول ما ازددت) بفتح الدال وقال شارح بكسر الدال الاولى على بناء المجهول أقول صحته موقوفة على اتيانه متعديا الى مفعولين وظاهر ما فى القاموس انه لازم حيث قال زاده الله خيرا فزاد وازداد حيث أشار الى ان زاد لازم ومتعد وان ازداد قاصر فقط حيث جعله مطاوعا نعم قوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم صريح فى انه متعد الى مفعول واحد وأما زاد فيجىء لازما ومتعديا الى مفعول والى مفعولين كقوله تعالى فزادهم ايمانا وقيل نصب ايمانا على التمييز وحاصل المعنى ما زدت (فيك) أى فى معرفتك بفعلك هذا من القتل والاحياء (الابصيرة) أى زيادة علم ويقين بانك كاذب مموه (قال ثم يقول) المؤمن (أيها الناس انه) أى الشأن أو الدجال (لا يفعل) مفعوله محذوف أى لا يفعل ما فعل بى من القتل والاحياء فى الظاهر (بعدى) أى بعد فعله بى (باحد من الناس) وفى هذا اخبار عن سلب القدرة الاستدراجية عنه وتسلية للناس فى الخوف منه (قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل) بضم أوله وفى نسخة بفتحه أى فيجعل الله (ما بين رقبته الى ترقوته) بفتح التاء وسكون الراء وضم القاف وفتح الواو العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق (نحاسا) أى كالنحاس لا يعمل فيه السيف وفى شرح السنة قال معمر بلغنى انه يجعل على حلقه صفيحة نحاس (فلا يستطيع) أى الدجال (اليه) أى الى وصول قتله ولا يقدر على حصول مضرته (سبيلا) تمييز أى طريقا من التعرض (قال فيأخذ) أى الدجال (بيديه ورجليه فيقذف به) أى يرمى بالمؤمن ويطرحه (فى الهواء فيحسب الناس) بكسر السين وفتحها أى فيظنون (انما قذفه الى النار) فى تأويل المصدر أى قذفه اليها والاظهر ما اختاره الزمخشرى من ان انما بالفتح يفيد الحصر أيضا كما اجتمعا فى قوله تعالى قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد ويؤيده قوله (وانما ألقى) بصيغة المجهول أى أوقع (فى الجنة) واللام للعهد أى فى بستان من بساتين الدنيا ويمكن انه يرميه فى النار التى معه ويجعلها الله عليه جنة كما سبق بردا وسلاما على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتصير تلك النار روضة وجنة وعلى كل تقدير فلم يحصل له موت على يده سوى ما تقدم وأما قول الراوى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين) فالمراد به اقتله الاول فتأمل فانه موضع الزلل والخطل والوحل كما وقع فيه الطيبى رحمه الله بقوله فيحسب الناس ان الدجال قذفه فيما يزعم انه ناره وانما ألقى فى الجنة وهى

بين رجليه قال ثم يمشى الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوى قائما ثم يقول له أتؤمن بى فيقول ما ازددت فيك الا بصيرة قال ثم يقول يا أيها الناس انه لا يفعل بعدى باحد من الناس قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته الى ترقوته نحاسا فلا يستطيع اليه سبيلا قال فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس انما قذفه الى النار وانما ألقى فى الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين

دار البقاء يدل عليه قوله هذا أعظم الناس شهادة ونحوه قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين أي يسرحون في ثمار الجنة أقول فهذا مناقض لقوله انه لا يفعل بعدي بأحد من الناس اللهم الا أن يقال المراد بقوله لا يفعل بعدي أي بعد قتلي ثانيا بأحد من الناس أي غيري ولا يخفى بعده والله تعالى أعلم وسيأتي في حديث أبي سعيد ما يفيد تأييد ما اخترناه (رواه مسلم وعن أم شريك) بفتح فكسر أي الانصارية أو القرشية (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليفرن) أي ليهربن (الناس) أي المؤمنون (من الدجال حتى يلحقوا بالجبال قالت أم شريك قلت يا رسول الله فأين العرب يومئذ) قال الطيبي رحمه الله الفاء فيه جزاء شرط محذوف أي اذا كان هذا حال الناس فأين المجاهدون في سبيل الله الذابون عن حريم الاسلام المانعون عن أهله صولة أعداء الله فكنى عنهم بها (يومئذ قال هم) أي العرب (قليل) أي حينئذ فلا يقدرون عليه (رواه مسلم) وكذا الترمذي ذكره السيد ولفظ الجامع ليفرن الناس من الدجال في الجبال رواه أحمد ومسلم والترمذي (وعن أنس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يتبع) بفتح فسكون ففتح وقال شارح من الاتباع بتشديد التاء أي يطيع (الدجال من يهود اصفهان) بفتح الهمزة ويكسر وفتح الفاء بلد معروف من بلاد الارفاض قال النووي رحمه الله يجوز فيه كسر الهمزة وفتحها وبالباء والفاء انتهى ونسخ المشكاة كلها بالفاء وفي المشارق بفتح الهمزة وقيدها أبو عبيد العكبري بكسر أوله وأهل خراسان يقولونها بالفاء مكان الباء وفي القاموس الصواب انها أعجمية وقد يكسر همزها وقد يبدل باؤها فاء وفي المغني بكسر همزة وفتحها وبفاء مفتوحة في أهل الشرق وباء موحدة في الغرب انتهى وبه يعلم ان اصفهان اثنتان فيطابق ما نقله ابن الملك من أنه قيل المراد منها اصفهان خراسان لا اصفهان الغرب لكن في قوله اصفهان خراسان مسامحة لان اصفهان انما هو في العراق ولكن لما كان خراسان في جهة الشرق أيضا وكان أشهر من العراق أضيف اليها بادنى ملابسة (سبعون ألفا) وفي رواية تسعون والصحيح المشهور هو الاول ذكره ابن الملك (عليهم الطيالسة) بفتح طاء وكسر لام جمع طيلسان وهو ثوب معروف وفي القاموس الطيلس والطيلسان مثلثة اللام عن عياض وغيره معرب أصله تالسان جمعه الطيالسة والهاء في الجمع للعجمة واستدل بهذا الحديث على ذم لبسه ورواه السيوطي في رسالة سماها طي اللسان عن الطيلسان (رواه مسلم وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأتي الدجال) أي يظهر في الدنيا أو يتوجه الى صوب المدينة المطهرة المصونة (وهو محرم) جملة حالية أي ممنوع (عليه أن يدخل نقاب المدينة) بكسر النون كما نص عليه النووي رحمه الله وهو جمع نقب بفتح النون وهو الطريق بين الجبلين والانقاب جمع قلة كذا في النهاية (فينزل) أي الدجال (بعض السباخ) بكسر السين أي في بعض الاراضي السبخة وهي ذات ملح لا تنبت (التي تلي المدينة) أي تقرب منها وسيأتي أنه ينزل دبر أحد (فيخرج اليه رجل) أي عظيم (وهو خير الناس) أي حينئذ (أو من خيار الناس) على الاطلاق ويحتمل أن يكون الترديد منه صلى الله تعالى عليه وسلم وأو للتخيير ويمكن أن يكون من الراوي فأو للشك وتقدم أنه الخضر عليه الصلاة والسلام بناء على القول الاصح (فيقول) أي بعد رؤيته (اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حديثه) أي وصفه وحاله ولما كان الظاهر ان يقال حديثك قال الطيبي رحمه الله هو جار على قوله الدجال لان المظهر غائب لا على ضمير المخاطب وعكسه قوله * أنا الذي سمتني أمي حيدره * (فيقول الدجال) أي لمن حوله (أرأيتم) أي اخبروني (ان قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الامر) أي أمري وقيل أي في اني له (فيقولون لا) أي لا نشك وهو يحتمل ان يتوجه النفي الى اثبات الامر أو نفيه قال النووي رحمه الله أما قول الدجال ان قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الامر فيقولون لا فقد يشكل لان ما أظهره الدجال لا دلالة فيه على ربوبيته لظهور النقص عليه ودلائل الحدوث وتشويه الذات وشهادة كذبه وكفره المكتوبة بين عينيه وغير ذلك ويجاب بانهم لعلهم

رواه مسلم وعن أم شريك قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليفرن الناس من الدجال حتى يلحقوا بالجبال قالت أم شريك قلت يا رسول الله فأين العرب يومئذ قال هم قليل رواه مسلم وعن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتبع الدجال من يهود اصفهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي الدجال وهو محرم عليه ان يدخل نقاب المدينة فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه رجل وهو خير الناس أو من خيار الناس فيقول اشهد انك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم ان قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الامر فيقولون لا

قالوه خوفا منه لا تصديقا أو يحتمل أنهم قصدوا لا نشك في كذبك وكفرك فان من شك في كفره وكذبه كفر وخادعوه بهذه التورية خوفا منه ويحتمل ان الذين قالوا لا نشك هم مصدقوه من اليهود وغيرهم ممن قدر الله سبحانه وتعالى شقاوته (فيقتله) أى الرجل على ما سبق (ثم يحييه) أى ويسأله كما تقدم (فيقول) أى المقتول (والله ما كنت) أى في سابق الايام (فيك) أى في بطلانك (أشد بصيرة) أى يقينا (منى) متعلق بأشد (اليوم) بالنصب ظرف لأشد (فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط) بفتح اللام المشددة أى فلا يقدر (عليه) أى على قتله بوجه من الوجوه كما قررناه فيما تقدم والله تعالى أعلم ثم في عجز الدجال آخرا دليل صريح في أن قدرته أولا كانت حادثة عارضة مستعارة للاستدراج به والابتلاء لغيره فسلبت عنه كما ستنزع عنه روحه ويبقى جيفة ملقاة بالارض يأكل منها الكلاب وما أحسن من قال من أرباب الالباب ما للتراب ورب الارباب قال الكلاباذي في الحديث دليل على ان الدجال لا يقدر على ما يريد وانما يفعل الله ما يشاء عند حركته في نفسه ومحل قدرته ان يفعله احتبار الخلق ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ويضل الله من يشاء ويهدى من يشاء (متفق عليه وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يأتي المسيح) أى الدجال (من قبل المشرق) بكسر القاف وفتح الموحدة أى من جهته (همته) أى قصده ونيته (المدينة) أى السكينة (حتى ينزل دبر أحد) بضم الدال والموحدة أى خلف أحد وهو جبل معروف قريب المدينة (ثم) أى بعد ما تقع قصة الرجل السابق (تصرف الملائكة) أى ترد (وجهه) أى توجهه وقصده (قبل الشام) أى الى حيث جاء منه وفيه دليل بطلانه وامارة عجزه ونقصانه حيث رجع القهقرى ولم يقدر أن يدخل دارا فيه مدفن سيد الورى وظاهره أنه لا يدخل حرم مكة بالاولى والاحرى (وهنالك) أى في الشام (يهلك) أى يقتله عيسى عليه الصلاة والسلام (متفق عليه وعن أبي بكرة) بالتاء (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يدخل المدينة) أى ومن بها (رعب المسيح الدجال) بضم راء فسكون عين وبضمتين أى خوفه (لها) أى للمدينة (يومئذ سبعة أبواب) أى طرق أو المراد بها أبواب القلعة حينئذ (على كل باب ملكان) أى يدفعانه عن الدخول في ذلك المكان (رواه البخاري) قال السيوطي رحمه الله ما اشتهر على الالسنة ان جبرائيل عليه الصلاة والسلام لا ينزل الى الارض بعد موت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو شئ لا أصل له ومن الدليل على بطلانه ما أخرجه الطبراني أن جبرائيل يحضر موت كل مؤمن يكون على طهارة وأخرج أبو نعيم في الفتن قال صلى الله تعالى عليه وسلم عن الدجال بالمدينة فاذا هو بخلق عظيم فقال من أنت قال أنا جبرئيل بعثني لامنع حرم رسوله انتهى ولا منع ومولا كما لا يخفى فانه يحتمل أن يكون من باب الاكتفاء أو فوض الى جبرائيل منع حرم رسوله وأما حرمه فهو وله ولى وكفيل كما يشير اليه سورة الفيل وسيأتى فيما روى لتميم الدارى عن الدجال أنه قال فلا أدع قرية الا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما وقد قرره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد روى أحمد عن أبي سعيد مرفوعا الدجال لا يولد ولا يدخل المدينة ولا مكة (وعن فاطمة بنت قيس) أى القرشية أخت الضحاك كانت من المهاجرات الاول روى عنها نفر كانت ذات جمال وعقل وكمال وزوجها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من أسامة بن زيد مولاه رضى الله تعالى عنه (قالت سمعت منادى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى) تحقيق اعرابه كما في القرآن سمعنا مناديا ينادى للايمان (الصلاة) بنصبها ويرفع وكذا قوله (جامعة) قال النووى رحمه الله هو بنصب الصلاة وجامعة الاول على الاغراء والثانى على الحال وقال التوربشتى رحمه الله وجه الرواية بالرفع أن يقدر هذه أى هذه الصلاة جامعة ويجوز أن ينصب جامعة على الحال ولما كان هذا القول للدعاء اليها والحث عليها كان النصب أجود وأشبه بالمعنى المراد منه انتهى فالتركيب ثلاثى كما لا يخفى وقال شارح هذه الجملة مفعول ينادى لانه في معنى القول وهي في اعرابه على أربعة أوجه كما مر أى في صلاة العيد وتوضيحه ما ذكره ابن الملك هنا حيث

فيقتله ثم يحييه فيقول والله ما كنت فيك أشد بصيرة منى اليوم فيريد الدجال ان يقتله فلا يسلط عليه متفق عليه وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك متفق عليه وعن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان رواه البخاري وعن فاطمة بنت قيس قالت سمعت منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى الصلاة جامعة

قال

قال برفعهما مبتدأ وخبر وبنصبهما على تقدير احضروا الصلاة حال كونها جامعة وبرفع الاول على تقدير هذه الصلاة ونصب الثاني على الحالية وبالعكس على تقدير احضروا الصلاة وهي جامعة وهو ضعيف لاضمار حرف العطف وعلى جميع التقادير محل الجملة نصب لانه مفعول ينادي حكاية لكونه في معنى القول (فخرجت الى المسجد) ولعل خروجها قبل النهي أو كان في الليل أولهن رخصة في حضور الصلاة الجامعة قياسا على صلاة العيد (فصليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي صلاة نافلة أو احدى الصلوات الخمس (فلما قضى صلاته) أي أداها وفرغ عنها (جلس على المنبر وهو يضحك) أي يتبسم ضاحكا على عادته الشريفة (فقال ليلزم) بفتح الزاي أو ليلتزم (كل انسان مصلاه) أي موضع صلاته فلا يتغير ولا يتقدم ولا يتأخر (ثم قال هل تدرون لم جمعتكم) أي بنداء الصلاة جامعة (قالوا الله ورسوله أعلم قال اني والله ما جمعتكم لرغبة) أي لامر مرغوب فيه من عطاء كغنيمة (ولا رهبة) أي ولا لخوف من عدو (ولكن جمعتكم لان تميما الداري) وهو منسوب الى جد له اسمه الدار وفي نسخة صحيحة تميم الداري والاول هو الصحيح قال الطيبي رحمه الله كذا هو في جامع الاصول وأكثر نسخ المصابيح وتميم الداري من غير تنوين في كتاب الحميدي وفي بعض نسخ المصابيح وفي مسلم لان تميم الداري (كان رجلا نصرانيا فجاء وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي) أي طابق الحديث الذي (كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال) فهذا كما في حديث رب حامل فقه الى من هو أفقه منه وفيه اشعار ان كثرة الرواة لها دخل في قوة الاسناد ولهذا قال على سبيل الاستشهاد وطريق الاعتضاد (حدثني) فهو من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر وفيه ايماء الى الرد على الجاهل المتكبر حتى يتكبر عن أخذ العلم من أهل الخمول والاصاغر وقد قال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال صلى الله تعالى عليه وسلم كلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها ومن كلام علي كرم الله وجهه انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال والمعنى ان تميما حكى لي (انه ركب في سفينة بحرية) أي لا برية احترازا عن الابل فانها تسمى سفينة البر وقيل أي مركبا كبيرا بحريا لا زورقا صغيرا نهريا (مع ثلاثين رجلا من لخم) بفتح لام وسكون خاء معجمة مصروف وقد لا يصرف قبيلة معروفة وكذا قوله (وجذام) بضم الجيم (فلعب) أي دار (بهم الموج شهرا) أي مقدار شهر (في البحر) واللعب في الاصل ما لا فائدة فيه من فعل أو قول فاستعير لصد الامواج السفن عن صوب المقصد وتحويلها يمينا وشمالا (فارفؤا) بهمزتين أي قربوا السفينة (الى جزيرة حين تغرب الشمس) في شرح التوربشتي قال الاصمعي أرفأت السفينة أرفئها ارفاء وبعضهم يقول ارفيتها بالياء على الابدال وهذا مرفأ السفن أي الموضع الذي تشد اليه وتوقف عنده (فجلسوا) أي بعد ما تحولوا من المركب الكبير (في أقرب السفينة) بفتح الهمزة وضم الراء جمع قارب بكسر الراء وفتحه أشهر وأكثر وحكي ضمها وهو جمع على غير قياس والقياس قوارب قال النووي رحمه الله أقرب السفينة هو بضم الراء جمع قارب بكسر الراء وفتحها وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم وفي النهاية اما أقرب فلعله جمع قارب وليس بمعروف في جمع فاعل أفعل وقد أشار الحميدي في غريبه الى انكار ذلك وقال الخطابي انه جمع على غير قياس (فدخلوا في الجزيرة) اللام للعهد أي في الجزيرة التي هنالك (فلقيتهم) أي فرأتهم (دابة أهلب) الهلب الشعر وقيل ما غلظ من الشعر وقيل ما كثر من شعر الذنب وتذكير لان الدابة يطلق على الذكر والانثى لقوله تعالى وما من دابة في الارض كذا قالوا والاظهر انه بتأويل الحيوان ولذا قال (كثير الشعر) وهو تفسير لما قبله وعطف بيان ثم بينه زيادة تبيان حيث قال استئنافا (لا يدرون) أي لا يعرف الناس الحاضرون (ما قبله من دبره) بضمتين فيهما قال الطيبي رحمه الله ما استفهامية ويدرون بمعنى يعلمون لمجيء الاستفهام تعليقا ولا بد من تقدير مضاف بعد حرف الاستفهام أي ما نسبة قبله من دبره (من كثرة الشعر) أي من أجلها وبسببها (قالوا ويلك ما أنت) خاطبوها مخاطبة المتعجب المتفجع (قالت انا الجساسة) قال النووي رحمه الله هي بفتح الجيم فتشديد

خرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل انسان مصلاه ثم قال هل تدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال اني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ولكن جمعتكم لان تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم به عن المسيح الدجال حدثني انه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر فارفؤا الى جزيرة حين تغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر قالوا ويلك ما أنت قالت انا الجساسة

المهملة الاولى قيل سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص انها دابة الارض المذكورة فى القرآن (انطلقوا الى هذا الرجل فى الدير) بفتح الدال وسكون التحتية أى دير النصارى ففى المغرب الدير صومعة الراهب والمراد هنا القصر كما سيأتى والجار والمجرور حال والعامل فيه اسم الاشارة أو حرف التنبيه (فانه) أى الرجل الذى فى الدير (الى خبركم) متعلق بقوله (بالاشواق) بفتح الهمزة جمع شوق أى كثير الشوق وعظيم الاشتياق والباء للالصاق قال التوربشتى رحمه الله أى شديد نزاع النفس الى ما عندكم من الخبر حتى كان الاشواق ملصقة به أو كانه مهتم بها (قال) أى تميم (لما سمت) أى ذكرت ووصفت (لنا رجلا فرقنا) بكسر الراء أى خفنا (منها) أى من الدابة (ان تكون شيطانة) أى كراهة ان تكون شيطانة وان يكون الرجل شيطانا متعلقا بها وقال الطيبى رحمه الله ان تكون شيطانة بدل من الضمير المجرور (قال) أى تميم (فانطلقنا سراعا) أى حال كوننا مسرعين (حتى دخلنا الدير) قال شارح دير النصارى وأصله الواو انتهى والمعنى ان أصله دار بالالف المبدلة من الواو مأخوذا من الدور لكونه مدورا أو يدار فيها أو مدار المعيشة والمبيت اليه ثم أبدلت الالف ياء للفرق ومراده بقوله دير النصارى انه مثله أو فى الاصل يطلق عليه وقد يطلق على بيت الخمر (فاذا فيه أعظم انسان) أى أكبره جثة أو أهيبه هيئة (رأيناه) صفة انسان احترازا عمن لم يروه ولما كان هذا الكلام فى معنى ما رأينا مثله صح قوله (قط) الذى يختص بنفى الماضى وهو بفتح القاف وتشديد الطاء المضمومة فى أفصح اللغات وقد تكسر وقد يتبع قافه طاءه فى الضم وقد تخفف طوه مع ضمها واسكانها على ما فى المغنى ووقع فى نسخة ما رأيناه قط وقوله (خلقا) تمييز أعظم (وأشده) أى أقوى انسان (وثاقا) بفتح الواو ويكسر أى قيدا من السلاسل والاغلال على ما سيأتى هذا وذكر الاشرف ان ضمير المفعول راجع الى الاعظم أى ما رأيناه قط أعظم انسان خلقا وثاقا نصب على التمييز من أعظم انسان وقال الطيبى رحمه الله ويحتمل ان يقدر مضاف أى ما رأينا مثل ذلك الاعظم وأشد مرفوع عطف على الاعظم هذا وان لفظة ما ليست فى صحيح مسلم ولا فى كتاب الحميدى ولا فى جامع الاصول ولا فى أكثر نسخ المصابيح ولعل من زادها نظر الى لفظة قط حيث يكون فى الماضى المنفى فالوجه ان يكون مراده كما جاء فى قول القائل * لله يبقى على الايام ذو حيد * (مجموعة) بالنصب وفى نسخة بالرفع أى مضمومة (يده الى عنقه) وقوله (ما بين ركبتيه الى كعبيه) لما كان ظاهره ان يؤتى بالواو فى أوله ليكون المعنى ومجموعة ساقاه عليه ويكون قوله بالحديد قيدا لهما قال الطيبى رحمه الله ما موصوله مرفوعة المحل المعنى (بالحديد) وحذف مجموعة فى الثانى لدلالة الاولى عليه (قلنا ويلك ما أنت) استغربوه فاوردوا ما مكان من ويمكن ان يكون السؤال عن وصفه وحاله اذ قد علموا انه رجل وقد يجيء ما بمعنى من كما حقق فى قوله تعالى والسماء وما بناها أو روعى مشاكلة ما قبلها وقال الطيبى رحمه الله كأنهم لما رأوا خلقا عجيبا شاء جاءهم ما بهدوه خفى عليهم حاله فقالوا ما أنت مكان من أنت (قال قدرتم) أى تمكنتم (على خبرى) أى فانى لا أخفيه عنكم فاحدث لكم عن حالى (فاخبرونى) أى عن حالكم وما أسأله عنكم أولا وهذا معنى قوله (ما أنتم) حيث لم يقل من أنتم ويمكن ان يكون طباقا لقولهم وجزاء لفعلهم قال الطيبى رحمه الله ومثل ما قالوا له ما أنت قال لهم ما أنتم لانه ما عهد انسانا يطرق ذلك المكان وقال ابن الملك أى من أنتم أو ما حالكم (قالوا) فيما التفات من التكلم الى الغيبة ذكره ابن الملك رحمه الله ويمكن ان يكون التقدير قال بعضنا ففيه تغليب للغائبين على الحاضرين (نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب فقالت أنا الجساسة اعمدوا) بكسر الميم أى اقصدوا (الى هذا) أى الرجل (فى الدير) أى القصر الكبير (فاقبلنا اليك سراعا فقال اخبرونى عن نخل بيسان) بفتح موحدة وسكون تحتية وهى قرية بالشام ذكره الطيبى رحمه الله قريبة من الاردن ذكره ابن الملك رحمه الله وفى القاموس قرية بالشام وقرية بمرو وموضع باليمامة وفى نسخة بنون بدل الموحدة لكن ما وجدت

انطلقوا الى هذا الرجل فى الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها ان تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم انسان ما رأيناه قط خلقا وأشده وثاقا مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبرى فاخبرونى ما أنتم قالوا نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب فقالت أنا الجساسة اعمدوا الى هذا فى الدير فاقبلنا اليك سراعا فقال اخبرونى عن نخل بيسان

لها اصلا في اللغة يناسب المقام وانما ذكر في القاموس وقال نيسان سابع الاشهر الرومية (هل تثمر) أى تلك النخل (قلنا نعم قال أما) بالتخفيف للتنبيه (انه يوشك) أى تقرب (ان لا تثمر قال) أى الرجل (اخبرونى عن بحيرة الطبرية) بفتحتين والبحيرة تصغير البحر وفى القاموس الطبرية محركة قصبة بالاردن والنسبة اليها طبرانى (هل فيها ماء قلنا هى كثيرة الماء قال ان ماءها يوشك ان يذهب) أى يفنى (قال اخبرونى عن عين زغر) بزاى فغين معجمتين فراء كزفر بلدة بالشام قليلة النبات قيل عدم صرفه للتعريف والتانيث لانه فى الاصل اسم امرأة ثم نقل يعنى ليس تأنيثه باعتبار البلدة والبقعة فانه قد يذكر مثله ويصرف باعتبار البلد والمكان وقد قال شارح هو موضع بالشام وقال النووى رحمه الله هى بلدة معروفة فى الجانب القبلى من الشام (هل فى العين) أى فى عينه أو تلك العين فاللام للعوض عن المضاف اليه أو للعهد (ماء) أى كثير لقوله (وهل يزرع أهلها) أى أهل تلك العين أو البلدة وهى الاظهر لقوله (بماء العين قلنا نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها) الظاهر ان جوابه على طبق ما سبق وهو أما انها يوشك ان لا يبقى فيها ماء يزرع به أهلها وفى الاسئلة المذكورة واجوبتها المسطورة اشارة الى انها علامات لخروجه وامارات لذهاب بركتها بشآمة ظهوره ووصوله ولما كانت هذه الاسئلة توطئة لما بعدها (قال) أى الدجال معرضا عن الجواب الثانى وبادر الى السؤال المقصود وهو ظهور محمد المحمود (أخبرونى عن نبى الاميين) أى العرب (ما فعل) بفتحتين أى ما صنع بعد ما بعث قال ابن الملك فى شرح المشارق أراد الدجال بالاميين العرب لانهم لا يكتبون ولا يقرؤن غالبا وانما أضاف نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم اليهم طعنا عليه بانه مبعوث اليهم خاصة كما زعم بعض اليهود أو بانه غير مبعوث الى ذوى الفطنة والكياسة والعقل والرياسة (قلنا قد خرج من مكة ونزل بيثرب) أى هاجر منها الى المدينة (قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه انه قد ظهر) أى غلب وظفر (على من يليه) أى يقربه (من العرب وأطاعوه قال أما ان ذلك خير لهم) قال الطيبى رحمه الله المشار اليه ما يفهم من قوله وأطاعوه وقوله (ان يطيعوه) جاء لزيد البيان ويجوز ان يكون المشار اليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخيرا ما خبره مسند الى أن يطيعوه وعلى هذا لا يكون بمعنى التفضيل أو يكون ان يطيعوه مبتدأ وخير خبره مقدما عليه والجملة خبر ان قال التوربشتى رحمه الله فان قيل يشبه هذا القول قول من عرف الحق والمخذول من البعد من الله بمكان لم يرله فيه مساهم فما وجه قوله هذا قلنا يحتمل انه أراد به الخير فى الدنيا أى طاعتهم له خير لهم فانهم ان خالفوه اجتاحهم واستأصلهم ويحتمل انه من باب الصرفة صرفه الله تعالى عن الطعن فيه والتكبر عليه وتقوه بما ذكر عنه كالمغلوب عليه والمأخوذ عليه فلا يستطيع ان يتكلم بغيره تأييدا للنبى صلى الله عليه وسلم

* والفضل ما شهدت به الاعداء * (وانى مخبركم عنى انى) بكسر الهمزة وفتحه (أنا المسيح) أى الدجال (وانى) بالوجهين (يوشك ان يؤذن لى فى الخروج فاخرج فاسير فى الارض فلا أدع) بالنصب فى الثلاثة ويجوز رفعها أى فلا أترك (قرية الا هبطتها فى أربعين ليلة) ظرف لاسير وعدم الترك اشعارا بقوة سياحته التى هى أحد وجوه تسميته بالمسيح على أن فعيل بمعنى الفاعل لكون سياحته مرورا كالمسح (غير مكة) استثناء من القرية التى وقعت نكرة فى سياق النفى المنصب عليه الاستثناء المفيد للاستغراق (وطيبة) عطف على مكة وهى بفتح طاء وسكون تحتية فموحدة من أسماء المدينة كطابة (هما) أى مكة وطيبة (محرمتان على) أى ممنوعتان على دخولهما (كلتاهما) تأكيد لهما ثم بين سبب المنع بقوله (كلما أردت ان أدخل واحدا) أى حرما واحدا (منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا) بفتح الصاد ويضم أى مجردا عن الغمد قال شارح هو بالفتح والضم مصدر بمعنى الفاعل أو المفعول حال من الملك أو السيف أى مصلتا أو مصلتا من قولهم أصلت سيفه أى جرده من غلافه وقوله (يصدنى عنها) أى يمنعنى عن كل واحدة منهما استئناف بيان

هل تثمر قلنا نعم قال اما انه يوشك ان لا تثمر قال اخبرونى عن بحيرة الطبرية هل فيها ماء قلنا هى كثيرة الماء قال ان ماءها يوشك ان يذهب قال اخبرونى عن عين زغر هل فى العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا نعم هى كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال اخبرونى عن نبى الاميين ما فعل قلنا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال اما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه وانى مخبركم عنى انى أنا المسيح الدجال وانى يوشك ان يؤذن لى فى الخروج فاخرج فاسير فى الارض فلا أدع قرية الا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدا منهما استقبلنى ملك بيده السيف صلتا يصدنى عنها

وان على كل نقب منها ملائكة يحرسونها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة ألا هل كنت حدثتكم فقال الناس نعم الا انه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ماهو وأومأ بيده الى المشرق رواه مسلم وعن عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيتني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من أدم الرجال له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجلها فهي تقطر ماء متكئا على عواتق رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا فقالوا هذا المسيح بن مريم قال ثم اذا أنا برجل جعد قطط أعور العين اليمنى كان عينه عنبة طافية كأشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعا يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا

أو حال والضمير للملك أو السيف مجازا أو لله تعالى حقيقة وهو المذكور في الساب والمحاور في الجنان فصح ان يكون مرجع الضمير على وجه البيان كما حقق في قوله تعالى قل هو الله أحد (وان على كل نقب) بفتح نون وسكون قاف أي طريق أو باب (منها) أي من كل واحدة (ملائكة يحرسونها) أي يحفظونها عن الآفات والبليات من غير ذلك الملك والظاهر انه جبريل عليه الصلاة والسلام لما تقدم والله تعالى أعلم (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطعن) أي وقد طعن أي ضرب (بمخصرته) بكسر الميم وفتح الصاد أي بعصاه (في المنبر) أي عليه بمعنى على كقوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل أو في الطعن تضمن الايقاع كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وفي الفائق هي قضيب يشير به الخطيب أو الملك اذا خاطب وقال التوربشتي رحمه الله المخصرة كالسوط وكل ما اختصر الانسان بيده فامسكه من عصا ونحوها فهو مخصرة وقال شارح المخصرة ما يمسكه الانسان بيده من قضيب أو عصا ونحوهما فيضع تحت خاصرته ويتكئ عليها وقيل هي كالسوط (هذه طيبة) الجملة مقول القال وما بينهما حال معترضة بين الفاعل والمفعول (هذه طيبة هذه طيبة) كررها ثلاثا للتأكيد (يعني المدينة) أي يريد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله هذه الموضوعة للاشارة المحسوسة المدينة المحروسة قال التوربشتي رحمه الله لما وافق هذا القول ما كان حدثهم به تعجب من ذلك وسر به (فقال الا) أي تنبهوا (هل كنت حدثتكم) أي بمثل هذا الحديث ومطابق لهذا الخبر (فقال الناس نعم الا) للتنبيه (انه) أي الدجال (في بحر الشام أو بحر اليمن) قيل لما حدثهم بقول تميم الداري لم يران يبين لهم موطنه ومجلسه كل التبيين لما رأى في الالتباس من المصلحة فرد الامر فيه الى التردد بين كونه في بحر الشام أو بحر اليمن ولم تكن العرب يومئذ تسافر الا في هذين البحرين ويحتمل انه أراد ببحر الشام ما يلي الجانب الشامي وببحر اليمن ما يلي الجانب اليماني والبحر واحد وهو الممتد على احد جوانب جزيرة العرب ثم أضرب عن القولين مع حصول اليقين في أحدهما فقال (لا بل من قبل المشرق ماهو) أي هو وما زائدة أو موصولة بمعنى الذي أي الجانب الذي هو فيه قال القاضي رحمه الله لفظة ما هنا زائدة للكلام وليست بنافية والمراد اثبات انه في جهة المشرق قال التوربشتي رحمه الله ويحتمل ان يكون خبرا أي الذي هو فيه أو الذي هو يخرج منه (وأومأ) بهمزتين أي أشار (بيده الى المشرق) قال الاشرف يمكن انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان شاكا في موضعه وكان في ظنه انه لا يخلو عن هذه المواضع الثلاثة فلما ذكر بحر الشام وبحر اليمن تيقن له من جهة الوحي أو غلب على ظنه انه من قبل المشرق فنفى الاولين وأضرب عنهما وحقق الثالث (رواه مسلم وعن عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيتني) من الرؤيا كذا ذكره شارح ويحتمل ان يكون بطريق المكاشفة مع ان رؤيا الانبياء حق كمكاشفاتهم (الليلة) أي البارحة ان وقع القول في النهار (عند الكعبة) ظرف للرؤية أو حال من المفعول والمعنى رأيت نفسي عند الكعبة (فرأيت رجلا آدم) بالمد أي أسمر (كأحسن ما أنت راه) أي في الاوصاف (من أدم الرجال) بضم همز وسكون دال مهملة جمع أدم كحمر جمع أحمر على ما في النهاية فما وقع في بعض النسخ من الضم فهو من سهو القلم (له لمة) بكسر اللام وتشديد الميم ما جاوز شحمة الاذن من الشعر (كأحسن ما أنت راء من اللمم) بكسر ففتح جمع لمة (قد رجلها) بتشديد الجيم أي سرحها ومشطها (فهي) أي اللمة (تقطر ماء) يحتمل ان يراد بالماء الذي سرح به اذ لا يسرح الشعر وهو يابس وان يكون كناية عن مزيد النظافة والنضارة (متكئا) صفة أخرى لرجلا أو حال منه لوصفه بآدم أي معتمدا (على عواتق رجلين) جمع عاتق وهو موضع الرداء من الكتف وقال السيوطي رحمه الله ما بين المنكب والعنق ثم التركيب من قبيل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وحديث انصاف ساقيه (يطوف بالبيت) استئناف بيان أو حال (فسألت) أي الطائفين أو الملائكة الحاضرين (من هذا) وفيه ايماء الى ان المكاشفة قد تكون في بعض الاشياء مع وجود بعض الاخفاء

(فقالوا هذا المسيح بن مريم قال) أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم اذا أنا برجل جعد) بفتح جيم فسكون عين وهو من الشعر خلاف السبط أو القصير منه كذا فى القاموس (قططا) بفتح الطاء الاولى ويكسر فى القاموس القطط القصير الجعد من الرأس كالقطط محركة (أعور العين اليمنى) بالجر فى أعور ومضافا (كان عينه عنبة طافية) بكسر الفاء بعدها ياء وفى نسخة بالهمز قال السيوطى رحمه الله روى بالهمز بمعنى ذاهب ضوءها وبدونه وصححه الاكثر بمعنى ناتئة بارزة كنتوء حبة العنب قال القاضى عياض رحمه الله كلا عينيه معيبة عوراء فاليمنى مطموسة وهى الطافئة بالهمز واليسرى ناتئة جاحظة كأنها كوكب وهى الطافية بلا همز (كأشبه من رأيت) قال الجزرى ضبطناه بالتكلم والخطاب وهو أوضح قلت أكثر النسخ على التكلم وهو الاظهر فى مقام التشبيه من الخطاب العام ثم الكاف مزيدة للمبالغة فى التشبيه والمعنى هو أشبه من أبصرته من الناس (بابن قطن) بفتحتين واحد من اليهود والجار متعلق باشبه وفى الرواية الآتية أقرب الناس به شبها ابن قطن ولعل وجه الشبه باعتبار بعض الوجوه الآتية (واضعا) أو باعتبار ان عينه عنبة طافية (يديه) حال من الدجال (على منكبى رجلين) الظاهر ان المراد بهما من يعاونه على باطله من أمرائه كما ان المراد بالرجلين الاولين من يساعد ان المسيح على حقه ولعلهما الخضر والمهدى من أصحابه (يطوف بالبيت) فيه اشعار بان أحدا لا يستغنى عن هذا الجناب ولا يفتح لهم غرض الا من هذا الباب وفى قوله تعالى مثابة للناس ايماء الى ذلك ولذا وجد الكفار فى الجاهلية وزمن البعثة ما كانوا يتركون الطواف والآن أيضا ينبغى اليهود والنصارى ان يتشرفوا ويتبركوا بهذا البيت والطواف حوله وقال التوربشتى رحمه الله طواف الدجال عند الكعبة مع انه كافر مؤول بان رؤيا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من مكاشفاته كوشف بان عيسى عليه الصلاة والسلام فى صورته الحسنة التى يتزل عليها يطوف حول الدين لاقامة أوده واصلاح فساده وان الدجال فى صورته الكريهة التى ستظهر يدول حول الدين يبغى العوج والفساد (فسألت من هذا فقالوا هذا المسيح الدجال) قال التوربشتى رحمه الله وجه تسميته بالمسيح فى أصح الوجوه لبيان ان الخير مسح عنه فهو مسيح الضلالة كما ان الشر مسح عن مسيح الهداية وقيل سمى عيسى به لانه كان لا يمسح بيده ذا عاهة الا برأ وقيل لانه كان أمسح الرجل لا أخمص له وقيل لانه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وقيل لانه كان يمسح الارض أى يقطعها وقيل المسيح الصديق وسمى الدجال به لان احدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها والاعور يسمى مسيحا انتهى ولانه يمسح فى أيام معدودة جميع مساحة الارض الا مكة والمدينة فهو فعيل بمعنى فاعل ووصف بالمسيح الدجال لان المسيح وصف غالب على عيسى عليه الصلاة والسلام فوصف بالدجال ليتميز الحق من الباطل (متفق عليه) قيل رواه مسلم فى باب الاسراء (وفى رواية قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الدجال) أى فى حقه وشأنه (رجل) أى هو رجل (أحمر) أى لونا (جسيم) أى بدنا (جعد الرأس) أى شعرا (أعور عين اليمنى أقرب الناس به شبها ابن قطن وذكر حديث أبى هريرة لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فى باب الملاحم وسنذكر حديث ابن عمر قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فاثنى على الله بما هو أهله (ثم ذكر الدجال الخ فى باب قصة ابن صياد ان شاء الله تعالى) متعلق بقوله سنذكر وكان المؤلف رأى ان ذكره فى ذلك الباب أقرب الى الصواب والله تعالى أعلم

(الفصل الثانى) (عن فاطمة بنت قيس فى حديث تميم الدارى) أى على ما سبق بطوله (قال) أى تميم وفى نسخة قالت أى ناقلة عنه (فاذا أنا بامرأة) قال فى الحديث السابق فلقيتهم دابة أهلب وههنا فاذا أنا بامرأة قيل يحتمل ان للدجال جساستين احداهما دابة والثانية امرأة ويحتمل ان الجساسة كانت شيطانة تمثلت تارة فى صورة دابة وأخرى فى صورة امرأة وللشيطان التشكل فى أى تشكل أراد ويحتمل ان تسمى المرأة دابة مجازا قال تعالى ان شر الدواب عند الله الصم البكم قلت الاظهر

فقالوا هذا المسيح الدجال
متفق عليه وفى رواية قال
فى الدجال رجل أحمر جسيم
جعد الرأس أعور عين
اليمنى أقرب الناس به شبها
ابن قطن وذكر حديث
أبى هريرة لا تقوم الساعة
حتى تطلع الشمس من
مغربها فى باب الملاحم
وسنذكر حديث ابن عمر
قام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى الناس فى باب قصة
ابن الصياد ان شاء الله تعالى
(الفصل الثانى) عن
فاطمة بنت قيس فى حديث
تميم الدارى قالت قال فاذا
أنا بامرأة

فى الاستشهاد قوله سبحانه وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها اذ الدابة فى هذه الآية تعم المخلوقين المرزوقين بخلاف الآية السابقة فان الظاهر ان المراد من الدواب بها الحيوانات فيكون فى المعنى كقوله تعالى ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا (تجر شعرها) صفة لامرأة وهو كناية عن طول شعرها والشعر يتحرك و يسكن (قال) أى تميم (ما أنت قالت انا الجساسة اذهب الى ذلك القصر) أى المعبر عنه فيما سبق بالدير (فأتيته فاذا رجل يجر شعره مسلسل) صفة ثانية أى مقيد بالسلاسل (فى الاغلال) أى معها (ينزو) بسكون النون وضم الزاى أى يثب و ثوبا (فيما بين السماء والارض) وأبعد من قال انه متعلق بمسلسل (فقلت من أنت قال أنا الدجال رواه أبو داود وعن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انى حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا) أى لا تفهموا ما حدثتكم فى شان الدجال أو تنسوه لكثرة ما قلت فى حقه قال الطيبي رحمه الله حتى غاية حدثتكم أى حدثتكم أحاديث شتى حتى خشيت ان يلتبس عليكم الامر فلا تعقلوه فاعقلوه وقوله (ان المسيح الدجال) أى بكسر ان استئناف وقع تأكيدا لما عنى ان يلتبس عليهم انتهى وقيل خشيت بمعنى رجوت وكلمة لا زائدة ثم قوله (قصير) وهو غير ملائم لما سبق من كونه أعظم انسان و وجه الجمع أنه لا يبعد أن يكون قصيرا بطينا عظيم الخلقة وهو المناسب لكونه كثير الفتنة أو العظمة مصروفة الى الهيبة قيل يحتمل ان الله تعالى يغيره عند الخروج (أفحج) بتقديم الحاء على الجيم أى الذى يتدانى صدور قدميه و يتباعد عقباه و يتفحج ساقاه أى ينفرج وهو خلاف الاروح كذا قاله شارح وفى النهاية الفحج تباعد ما بين الفخذين (جعد) أى شعره (أعور) أى احدى عينيه (مطموس العين) أى ممسوحها بالنظر الى الاخرى (ليست) أى عينه (بناتئة) أى مرتفعة فاعلة من النتوء (ولا جحراء) بفتح جيم وسكون حاء أى ولا غائرة والجملة المنفية مؤكدة لاثبات العين الممسوحة وهى لا تنافى ان الاخرى ناتئة بارزة كنتوء حبة العنب على ما تقدم والله تعالى أعلم (فان ألبس عليكم) بصيغة المجهول أى ان اشتبه عليكم أمر الدجال بنسيان ما بينت لكم من الحال أو ان لبس عليكم أمره بما يدعيه من الالوهية بالامور الخارقة عن العادة (فاعلموا ان ربكم ليس بأعور) أى أقل ما يجب عليكم من معرفة صفات الربوبية هو التنزيه عن الحدوث والعيوب لا سيما النقائص الظاهرة المرئية (رواه أبو داود) وكذا النسائى (وعن أبى عبيدة بن الجراح قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انه) أى الشان (لم يكن نبى بعد نوح الا قد أنذر الدجال قومه) أى خوفهم به وقدم المفعول الثانى للاهتمام بذكره وقد تقدم أن نوحا عليه الصلاة والسلام أنذر قومه فبعد نوح ليس للاحتراز (وانى أنذركموه) أى الدجال ببيانه وصفه خوفا عليكم من تلبيسه ومكره (فوصفه لنا) أى بعض أوصافه (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لعله سيدركه بعض من رآنى) أى على تقدير خروجه سريعا وقيل دل على بقاء الخضر (أو سمع كلامى) ليس أو للشك من الراوى بل للتنويع لانه لا يلزم من الرؤية السماع وهو لمنع الخلو لامكان الجمع وقيل المعنى أو سمع حديثى بان وصل اليه ولو بعد حين (قالوا يا رسول الله فكيف قلوبنا يومئذ) فيه اشارة الى أن سحره لا يؤثر فى قلوب المؤمنين وان كان يخيل فى أعينهم ما ليس من اليقين (قال مثلها) أى مثل قلوبكم الآن وهو معنى قول الراوى (يعنى) أى يريد بالاطلاق تقييد الكلام بقوله (اليوم أو خير) شك من الراوى و يحتمل التنويع بحسب الاشخاص (رواه الترمذى) قيل وحسنه (وأبو داود وعن عمرو بن حريث) تصغير حرث بمعنى زرع قال المؤلف قرشى مخزومى رأى النبى صلى الله عليه وسلم ومسح رأسه ودعا له بالبركة (وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما) بصيغة التثنية لان الحديث من باب رواية الصحابى الصغير عن الكبير (قال) أى الصديق (حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) استئناف مؤكد لحدثنا أو بدل على مذهب الشاطبى ومن تبعه من أن الابدال يجرى فى الافعال وهو أصح الاقوال أو التقدير حدثنا أشياء من جملتها (قال الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان) بضم أوله فى القاموس انه

تجر شعرها قال ما أنت قالت أنا الجساسة اذهب الى ذلك القصر فأتيته فاذا رجل يجر شعره مسلسل فى الاغلال ينزو فيما بين السماء والارض فقلت من أنت قال أنا الدجال رواه أبو داود وعن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ان لا تعقلوا ان المسيح الدجال قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا جحراء فان ألبس عليكم فاعلموا ان ربكم ليس بأعور رواه أبو داود وعن أبى عبيدة بن الجراح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه لم يكن نبى بعد نوح الا قد أنذر الدجال قومه وانى أنذركموه فوصفه لنا قال لعله سيدركه بعض من رآنى أو سمع كلامى قالوا يا رسول الله فكيف قلوبنا يومئذ قال مثلها يعنى اليوم أو خير رواه الترمذى وأبو داود وعن عمرو بن حريث عن أبى بكر الصديق قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان

بلاد يعني معروفة بين بلاد ما وراء النهر و بلاد العراق معظمها الآن بلد هراة المسماة بخراسان كتسمية دمشق بالشام (يتبعه) بسكون التاء وفتح الباء وفي نسخة بتشديد التاء وكسر الباء أي يلحقه ويطيعه (أقوام) أي جماعات أي عظيمة وغريبة من جنس الانسان ولكنهم يشبهون الجان (كأن وجوههم المجان) بفتح الميم وتشديد النون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس وقوله (المطرقة) بضم الميم وسكون الطاء على ما في أصل السيد وأكثر النسخ وقال السيوطي روي بتشديد الراء وتخفيفها فهي مفعولة من أطرقه أو طرقه أي جعل الطراق على وجه الترس والطراق بكسر الطاء الجلد الذي يقطع على مقدار الترس فيلصق على ظهره والمعنى ان وجوههم عريضة ووجناتهم مرتفعة كالمجنة وهذا الوصف انما يوجد في طائفة الترك والازبك ما وراء النهر ولعلهم يأتون الى الدجال في خراسان كما يشير اليه قوله يتبعه أو يكونون حينئذ موجودين في خراسان حماه الله من آفات الزمان (رواه الترمذي) وكذا ابن ماجه والحاكم (وعن عمران ابن حصين) أسلم قديما وكان من فضلاء الصحابة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من سمع بالدجال) أي بخروجه وظهوره (فلينأ) بفتح الياء وسكون النون وفتح الهمزة أمر غائب من نأى ينأى حذف الالف للجزم أي فليبعد (منه) أي من الدجال لان البعد عن قربه سعد قال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار والركون أدنى الميل (فوالله ان الرجل ليأتيه وهو) أي الرجل (يحسب) بكسر السين وفتحها أي يظن (انه) أي الرجل بنفسه (مؤمن فيتبعه) بالتخفيف ويشدد أي فيطيع الدجال (مما يبعث به) بضم أوله ويفتح أي من أجل ما يثيره ويباشره (من الشبهات) أي المشكلات كالسحر واحياء الموتى وغير ذلك فيصير تابعه كافرا وهو لا يدري (رواه أبو داود وعن أسماء بنت يزيد بن السكن) بفتحتين أنصارية من ذوات العقل والدين (قالت قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يمكث الدجال في الارض أربعين سنة) وتقدم ان لبثه في الارض أربعون يوما ولعل وجه الجمع بينهما اختلاف الكمية والكيفية كما يشير اليه قوله (السنة كالشهر) فانه محمول على سرعة الانقضاء كما ان ما سبق من قوله يوم كسنة محمول على ان الشدة في غاية من الاستقصاء على انه يمكن اختلافه باختلاف الاحوال والرجال (والشهر) أي من السنة (كالجمعة) أي كالاسبوع (والجمعة) يعني الاسبوع من الشهر (كاليوم) أي كالنهار (واليوم كاضطرام السعفة في النار) بفتحتين واحدة السعف وهو غصن النخل أي كسرعة التهاب النار بورق النخل والاضطرام الالتهاب والاشتعال فالمعنى ان اليوم كالساعة (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي باسناده (وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتبع الدجال من أمتي) أي أمة الاجابة أو الدعوة وهو الاظهر لما سبق انهم من يهود أصفهان (سبعون ألفا عليهم السيجان) بكسر السين جمع ساج كتيجان وتاج وهو الطيلسان الاخضر وقيل المنقوش ينسج كذلك قال ابن الملك أي اذا كان أصحاب الثروة سبعين ألفا فما ظنك بالفقراء فقلت الفقراء لكونهم مفلسين هم في أمان الله الا اذا كانوا طامعين في المال والجاه فهم في المعنى من أصحاب الثروة التابعين لتحصيل الكثرة سواء يكون متبوعهم على الحق أو الباطل كما شوهد في الازمنة السابقة من أيام يزيد والحجاج وابن زياد وهكذا يزيد الفساد كل سنة بل كل يوم في البلاد فيتبع العلماء العباد والمشايخ الزهاد على ما يشاهد بشر العباد للاغراض الفاسدة والمناصب الكاسدة ونسأل الله العفو والعافية وحسن الخاتمة (رواه في شرح السنة) قيل في سنده أبو هرون وهو متروك (وعن أسماء بنت يزيد) أي ابن السكن (قالت كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بيتي فقال ان بين يديه) أي قدام الدجال وقبيل زمان خروجه (ثلاث سنين) أي مختلفة في ذهاب البركة (سنة) بالرفع وفي نسخة بالنصب (تمسك السماء) أي تمتنع بامساك الله (فيها) أي في تلك السنة (ثلث قطرها) بفتح القاف أي مطرها المعتاد في البلاد (والارض) أي وتمسك الارض (ثلث نباتها) أي ولو كانت تسقى من غير المطر (والثانية) أي السنة الثانية وهي بالرفع ويجوز نصبها اما على البدلية واما على الظرفية (تمسك السماء ثلثي قطرها

يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة رواه الترمذي وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بالدجال فلينأ منه فوالله ان الرجل ليأتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات رواه أبو داود وعن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار رواه في شرح السنة وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفا عليهم السيجان رواه في شرح السنة وعن أسماء بنت يزيد قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء فيها ثلث قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها

والارض ثلثي نباتها
والثالثة تمسك السماء
قطرها كله والارض نباتها
كله فلا يبقى ذات ظلف
ولا ذات ضرس من البهائم
الا هلك وان من أشد فتنته
انه يأتي الاعرابي فيقول
أرأيت ان أحييت لك ابلك
ألست تعلم اني ربك فيقول
بلى فيتمثل له الشياطين
نحو ابله كأحسن ما يكون
ضروعا وأعظمه أسنمة قال
و يأتي الرجل قد مات
أخوه ومات أبوه فيقول
أرأيت ان أحييت لك أباك
وأخاك ألست تعلم اني ربك
فيقول بلى فيتمثل له الشياطين
نحو أبيه ونحو أخيه قالت
ثم خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم لحاجته ثم رجع
والقوم في اهتمام وغم مما
حدثهم قالت فأخذ بلحمتي
الباب فقال مهيم أسماء
قلت يا رسول الله لقد خلعت
أفئدتنا بذكر الدجال قال
ان يخرج وأنا حي فأنا حجيجه
والا فان ربي خليفتي على
كل مؤمن فقلت يا رسول
الله والله انا لنعجن عجيننا فما
نخبزه حتى نجوع فكيف
بالمؤمنين يومئذ قال يجزئهم
ما يجزئ أهل السماء من
التسبيح والتقديس

والارض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله) يعني فيقع القحط فيما بين أهل الارض كله ويكون الخزائن والكنوز تتبعه وأنواع النعم من الخبز والثمار والانهار معه (فلا يبقى) بالتذكير و يؤنث (ذات ظلف) بكسر الظاء المعجمة هي البقرة والشاة والظبي (ولا ذات ضرس) وهي السباع من البهائم (الا هلك) أي لا يبقى في حال من الاحوال الا في حال الهلاك (وان من أشد فتنته) أي أعظم بليته (انه يأتي) أي الدجال (الاعرابي) أي البدوي ومن في معناه من جنس الغبي (فيقول) أي الدجال (أرأيت) أي أخبرني (ان أحييت لك ابلك) أي التي ماتت من القحط (ألست تعلم اني ربك فيقول بلى فيتمثل) بكسر المثلثة المشددة ويفتح أي يتصور له (نحو ابله) أي مثال ابله من الشياطين كما يدل عليه نسخة فيتمثل له الشياطين نحو ابله (كأحسن ما يكون) أي كأحسن أكوانه (ضروعا) أي من اللبن ونصبه على التمييز (وأعظمه) أي وأعظم ما يكون من جهة السمن (اسنمة) بكسر النون جمع السنام (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانما ذكره تأكيدا أو اعادة لطول الفصل تأييدا (ويأتي الرجل) عطف على قوله و يأتي الاعرابي فيكون من جملة أشد الفتنة (قد مات أخوه) أي مثلا (ومات أبوه) الظاهر أن الواو بمعنى أو ولذا أعاد الفعل (فيقول أرأيت) أي أخبرني والخطاب لمن مات أبوه أو لكل ممن مات أبوه وأمه (ان أحييت لك أباك وأخاك) جميعا أو أحدهما (ألست تعلم اني ربك فيقول بلى فيتمثل له الشياطين) مفعول أول (نحو أبيه ونحو أخيه) مفعول ثان وفي نسخة يتمثل بصيغة المجهول و رفع الشياطين وقيل نصب الشياطين بنزع الخافض أي من الشياطين فعلى هذا ينصب نحو و يرفع باختلاف العاملين (قالت) أي أسماء رضي الله تعالى عنها (ثم خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم) أي شديد وزيد للتأكيد (مما حدثهم) أي من أجل تحديثه اياهم به (قالت فأخذ بلحمتي الباب) بفتح اللام وسكون الحاء كذا في جميع نسخ المشكاة أي ناحيته ذكره ابن الملك في شرح المصابيح وقال شارح له هو بلجفتي الباب بالجيم والفاء قال التوربشتي رحمه الله الصواب فأخذ بلجفتي الباب أو بلجمتي الباب وهما العضادتان وقد فسر بجانبيه ومنه الجاف البئر أي جوانبها وفي كتاب المصابيح بلحمتي الباب وليس بشيء ولم يعرف ذلك من كتب أصحاب الحديث الا على ماذكرنا قلت و يؤيده ما في القاموس من ان اللجف حفر في جانب البئر ولجفتا الباب جانباه لكن بعد اتفاق النسخ لابد من التوجيه ففي القاموس اللحمة القطعة من اللحم فيحرر و يقال المراد بهما قطعتا الباب فانهما تلتحمان وتنفصلان وتلتئمان وهو أولى من تخطئة رواة الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب (فقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (مهيم) بفتح فسكون ثم فتح في القاموس مهيم كلمة استفهام أي ما حالك وما شأنك أو ما وراءك أو أحدث لك شيء وقال القاضي رحمه الله مهيم كلمة يمانية ومعناها ما الحال والخبر وقوله (أسماء) منادى حذف منه حرف النداء (قلت يا رسول الله لقد خلعت أفئدتنا) أي أقلقت أو قلعت قلوبنا (بذكر الدجال) أي وما معه من الفتنة وشدة الحال (قال ان يخرج وأنا حي) أي فرضا وتقديرا (فأنا حجيجه) أي دافعه عنكم بالحجة أو الهمة (والا فان ربي خليفتي على كل مؤمن) وهو لا ينافي ما سبق من قوله فامرؤ حجيج نفسه فان المقصود انه يجب على كل شخص انه يدفعه عن نفسه بالحجة اليقينية فاذا كان صاحب النبوة موجودا فلا يحتاج الى غيره لانه مؤيد من عند الله تعالى والا فالله ولي دينه وناصر نبيه وحافظ أوليائه ممن آمن به (فقلت يا رسول الله انا لنعجن) بكسر الجيم (عجيننا فما نخبزه) بكسر الموحدة ويضم أي فما نتم خبزه (حتى نجوع) أي من قلة صبرنا عن الاكل (فكيف بالمؤمنين) الباء زائدة أي كيف حالهم (يومئذ) أي وقت القحط والحصار ووجود الخبز عند الدجال واتباعه (قال يجزئهم ما يجزئ) بضم أوله مهموزا أي يكفيهم ما يكفي (أهل السماء) أي الملائكة (من التسبيح والتقديس) قال المظهر يعني من ابتلى بزمانه في ذلك اليوم لا يحتاج الى الاكل والشرب كما لا يحتاج الملأ الاعلى وأبعد الطيبي رحمه الله حيث قال معناه

انا نجد من الجوع الخبز فلا نقدر على خبز لما بنا من خوف الدجال حين خلت أفئدتنا بذكره فكيف حال من ابتلى بزمانه فمعنى قوله يجزئهم انه تعالى يسليهم ببركة التسبيح والتقديس هذا وفي الحديث كلمة سبحان الله وبحمده عبادة الخلق وبها يقطع أرزاقهم رواه البزار عن ابن عمر ومعنى الاقطاع تسويغ الامام من مال الله شيأ لمن يراه أهلا لذلك ثم استعمل في كل ما يعين للشخص (رواه) هنا بياض في الاصل والحق به أحمد وأبو داود والطيالسي وقيل رواه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عنها وانفرد به هنا

(الفصل الثالث) (عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن الدجال بأكثر مما سألته) أي عنه (وانه) بكسر الهمزة والواو للحال أو لعطف الجملة الثانية على المنفية والتقدير وقال انه والواو لمطلق الجمع والضمير للشان أو له صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لي ما يضرك) قال الطيبي رحمه الله الجملة حال والمعنى كنت مولعا بالسؤال عن الدجال مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما يضرك فان الله تعالى كافيك شره أقول والظاهر ان الجملة اخبارية تقريرية ويمكن ان تكون خبرية لفظا وفي المعنى دعائية وانما اتى بصيغة المضارع لتوقع وجوده في الاستقبال والله تعالى أعلم بالحال (قلت انهم) أي الناس أو أهل الكتاب أو اليهود (يقولون ان معه جبل خبز) بضم الخاء المعجمة وسكون الموحدة فزاي أي معه من الخبز قدر الجبل وفي نسخة حبل خبز وهي كذا في المصابيح وكأنه تصحيف (ونهر ماء) بفتح الهاء وهو أفصح وتسكن وهو أشهر وفيه اشارة الى ان في زمانه قحط الماء أيضا ابتلاء للعباد والا للبركة في البلاد لعموم الفساد وهذا سؤال مستقل لا تعلق له بما قبله وأبعد الطيبي رحمه الله في قوله قلت الى آخره استئناف جواب عن سؤال مقدر أي سألته يوما فقال لي ما يضرك أي ما يضلك قلت كيف ما يضلني وانهم يقولون ان معه جبل خبز (قال هو أهون على الله من ذلك) أي الدجال هو أحقر من الله تعالى أن يحقق له ذلك وانما هو تخييل وتمويه للابتلاء فيثبت المؤمن ويزل الكافر أو المراد انه أهون من ان يجعل شيأ من ذلك آية على صدقه ولا سيما قد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره يقرأها من لا يقرأ وفي شرح مسلم قال القاضي رحمه الله معناه هو أهون على الله من ان يجعل ما خلق الله تعالى على يده مضلا للمؤمنين ومشككا للقلوب بهم بل انما جعله الله ليزداد الذين آمنوا ايمانا وليلزم الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوهم وليس معناه انه ليس معه شيء من ذلك (متفق عليه وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج الدجال على حمار أقمر) أي شديد البياض على ما في النهاية وفيه ايماء الى ان حماره أحسن من وجهه (ما بين أذنيه) صفة ثانية لحمار (سبعون باعا) وهو طول ذراعي الانسان وما بينهما (رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور)

(باب قصة ابن صياد)

كذا في نسخة السيد وأكثر النسخ المعتمدة وفي بعض النسخ ابن الصياد معرفا في القاموس ابن صائد أو صياد الذي كان يظن انه الدجال وقال الاكمل ابن صائد اسمه عبد الله وقيل صياف ويقال ابن صائد وهو يهودي من يهود المدينة وقيل هو دخيل فيهم وكان حاله في صغره حال الكهان يصدق مرة ويكذب مرارا ثم أسلم لما كبر وظهرت منه علامات من الحج والجهاد مع المسلمين ثم ظهرت منه أحوال وسمعت منه أقوال تشعر بانه الدجال وقيل انه تاب ومات بالمدينة وقيل بل فقد يوم الحرة وقال ابن الملك رحمه الله اختلفوا في حال ابن الصياد فقيل هو الدجال وما يقال انه مات بالمدينة لم يثبت اذ قد روي انه فقد يوم الحرة واما انه لم يولد للدجال وانه لا يدخل البلدين وانه يكون كافرا فذلك في زمان خروجه وقيل ليس هو الدجال ونقل ان جابرا حلف بالله ان ابن صياد هو الدجال وانه سمع عمر بن الخطاب يحلف ذلك عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكره والظاهر من قصة تميم الداري رضي الله تعالى عنه انه ليس هو الدجال نعم كان أمر

رواه

(الفصل الثالث) عن المغيرة بن شعبة قال ما سأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر مما سألته وانه قال لي ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك متفق عليه وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج الدجال على حمار أقمر ما بين أذنيه سبعون باعا رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور

(باب قصة ابن صياد)

ابن الصياد ابتلاء من الله تعالى لعباده فوقى الله تعالى المسلمين من شره أقول ولا ينافيه قصة تميم الدارى اذ يمكن ان يكون له أبدان مختلفة فظاهره فى عالم الحس والخيال دائر مع اختلاف الاحوال و باطنه فى عالم المثال مقيد بالسلاسل والاغلال ولعل المانع من ظهور كماله فى الفتنة وجود سلاسل النبوة وأغلال الرسالة والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الاول) (عن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) أفرد الضمير لكونه هو الاصل المروى عنه وذكر ابنه تبعا له وفى نسخة عنهما وهو موهم ان يدخل فيه الخطاب وهو عدول عن الصواب (انطلق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ذهب عمر معه (فى رهط) وهو مادون العشرة من الرجال والمعنى فى جملة جمع (من أصحابه قبل ابن صياد) بكسر قاف وفتح موحدة أى جانبه (حتى وجدوه) قيل حتى هنا حرف ابتداء يستأنف بعده الكلام و يفيد انتهاء الغاية وقوله (يلعب مع الصبيان) حال من مفعول وجدوه (فى أطم بنى مغالة) بفتح الميم وبضم والغين المعجمة ونقل بالضم والمهملة وهو قبيلة والاطم بضمتين القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح الجمع آطام وأطوم كذا فى القاموس وقال النووى رحمه الله تعالى المشهور مغالة بفتح الميم وتخفيف الغين المعجمة (وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم) بضمتين و يسكن اللام أى البلوغ بالاحتلام وغيره (فلم يشعر) بضم العين وفيه اشعار بأنهم جاؤه على غفلة منه أى لم يتفطن بمأتانا (حتى ضرب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ظهره) أى ظهر ابن صياد (بيده) أى الكريمة (ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (اتشهد انى رسول الله فنظر اليه) أى الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نظر غضب أو غفلة واذا لم يترتب عليه نصرة له كما قال تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون (فقال اشهد انك رسول الاميين) قال القاضى رحمه الله يريد بهم العرب لان أكثرهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن وما ذكره وان كان حقا من قبل المنطوق لكنه يشعر بباطل من حيث المفهوم وهو انه مخصوص بالعرب غير مبعوث الى العجم كما زعمه بعض اليهود وهو ان قصد به ذلك فهو من جملة ما يلقى اليه الكاذب الذى يأتيه وهو شيطانه انتهى و يمكن ان يكون سمعه من اليهود لانه منهم أو هذا منه على طريقة الحكماء فى زعمهم انهم يستغنون عن الانبياء (ثم قال ابن صياد أتشهد انى رسول الله) يحتمل انه أراد به الرسالة النبوية كما يدل عليه المقابلة الكلامية و يحتمل انه أراد الرسالة اللغوية فانه أرسل من عنده تعالى للفتنة والبلية (فرصه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بتشديد الصاد المهملة أى ضغطه حتى ضم بعضه الى بعض ومنه قوله تعالى كأنهم بنيان مرصوص ذكره الخطابى وقال النووى رحمه الله فى أكثر نسخ بلادنا فرفضه بالفاء والصاد المعجمة والمعنى تركه وقطع سؤاله وجوابه وجداله من هذا الباب وقال شارح قوله فرضه أى كسره وقيل صوابه بالمهملة والمراد منه العصر والتضييق (ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (آمنت بالله و برسله) قال الطيبى رحمه الله هو عطف على فرصه وثم للتراخى فى الرتبة والكلام خارج على ارخاء العنان أى آمنت بالله و رسله فتفكر هل أنت منهم انتهى وفيه ايهام تجويز التردد فى كونه من الرسل أم لا ولا يخفى فساده فالصواب انه عمل بالمفهوم كما عمله الدجال فالمعنى انى آمنت برسله وأنت لست منهم فلو كنت منهم لامنت بك وهذا أيضا على الفرض والتقدير أو قبل ان يعلم انه خاتم النبيين والا فبعد العلم بالخاتمة فلا يجوز أيضا الفرض والتقدير به وقد صرح بعض علمائنا بانه لو ادعى أحد النبوة وطلب منه شخص المعجزة كفر وانما لم يقتله صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه ادعى بحضرته النبوة لانه صبى وقد نهى عن قتل الصبيان أو ان اليهود كانوا يومئذ مستمسكين بالذمة مصالحين ان يتركوا على أمرهم وهو منهم أو من حلفائهم فلم يكن ذمة ابن الصياد لتنقض بقوله الذى قال كذا قاله بعض علمائنا من الشراح وقال ابن الملك وهذا يدل على ان عهد الوالد يجزئ عن ولده الصغير وقيل انه ما ادعى النبوة صريحا لان قوله أتشهد استفهام لا تصريح فيه وفيه تأييد لما قدمته من احتمال المعنى اللغوى

(الفصل الاول)* عن عبد الله بن عمر ان عمر بن الخطاب انطلق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى رهط من أصحابه قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان فى أطم بنى مغالة وقد قارب ابن صياد يومئذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده ثم قال أتشهد انى رسول الله فنظر اليه فقال أشهد انك رسول الاميين ثم قال ابن صياد اتشهد انى رسول الله فرصه النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال آمنت بالله و برسله

فى

في الرسالة (ثم قال لابن صياد ماذا ترى) ذا زائدة وما استفهامية أي ما تبصر وتكاشف من الامر الغيبي (قال يأتيني صادق) أي خبر صادق تارة (وكاذب) أي أخرى أو ملك صادق وشيطان كاذب وقيل حاصل السؤال ان الذي يأتيك ما يقول لك وحاصل الجواب انه يحدثني بشيء قد يكون صادقا وقد يكون كاذبا (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلط) بصيغة المجهول مشددا للمبالغة والتكثير ويجوز تخفيفه أي شبه عليك الامر أي الكذب بالصدق قال النووي رحمه الله أي ما يأتيك به شيطانك مخلط قال الخطابي معناه انه كان له تارات يصيب في بعضها ويخطئ في بعضها فلذلك التبس عليه الامر (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني خبأت) أي أضمرت (لك) أي في نفسي (خبيأ) أي اسما مضمرا لتخبرني به قال ابن الملك وانما امتحنه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك ليظهر ابطال حاله للصحابة وانه كاهن يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه (وخبأ له يوم تأتي السماء بدخان مبين) الجملة حال بتقدير قد أو بدونه (فقال هو الدخ) بضم فتشديد وقيل بالفتح وحكى الكسر أيضا ففي النهاية الدخ بضم الدال وفتحها الدخان لانه أراد بذلك يوم تأتي السماء بدخان مبين وقيل ان عيسى يقتل الدجال بجبل الدخان فيحتمل ان يكون أراده تعريضا بقتله وفي القاموس الدخ وبضم الدخان أقول ولو روي بضم الدال وتخفيف الخاء لكان له وجه في انه رمز واشارة الى الدخان وتصريح بنقصان ادراكه كما هو دأب الكهان وقال النووي رحمه الله وهو بضم الدال وتشديد الخاء المعجمة وهي لغة في الدخان ومعنى خبأت أضمرت لك اسم الدخان والصحيح المشهور انه صلى الله تعالى عليه وسلم أضمر له آية الدخان وهي قوله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين قال القاضي عياض رحمه الله وأصح الاقوال انه لم يأت من الآية التي أضمرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا بهذا اللفظ الناقص على عادة الكهان اذا ألقى الشيطان اليهم بقدر ما يخطف قبل ان يدركه الشهاب ويدل عليه ما ذكره الدارمي عنه (فقال اخسأ) بفتح السين وسكون الهمزة كلمة زجر واستهانة أي امكث صاغرا أو ابعد حقيرا واسكت مزجورا من الخسوء وهو زجر الكلب (فلن تعدو) بضم الدال أي فلن تجاوز (قدرك) أي القدر الذي يدركه الكهان من الاهتداء الى بعض الشيء ذكره النووي وقال الطيبي رحمه الله أي لا تتجاوز عن اظهار الخبيآت على هذا الوجه كما هو دأب الكهنة الى دعوى النبوة فتقول أتشهد أني رسول الله أقول وحاصل الجملة وزبدة المسئلة انك وان أخبرت عن الخبيء فلن تستطيع ان تجاوز عن الحد الذي حد لك يريد ان الكهانة لا ترفع بصاحبها عن القدر الذي عليه هو وان أصاب في كهانته (قال عمر) فيه التفات أو تجريد ويمكن ان يكون ابن عمر مصاحبا لهم ويدل عليه ما بعده فقال قال عمر (يا رسول الله أتاذن لي فيه) أي في حقه (أضرب) وفي نسخة فلاضرب وفي أخرى ان أضرب (عنقه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكن هو) أي الدجال (لا تسلط) بصيغة المجهول مجزوما وفي نسخة بالرفع أي لا تقدر (عليه) أي على هلاكه لان المقدر ان قاتله عيسى عليه الصلاة والسلام فيما سيأتي من الايام (وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله) أي لما قدمناه من كونه صغيرا أو ذميا أو كون كلامه محتملا أقوال وأوسطها أعدلها قال ابن الملك رحمه الله تعالى ولما كان فيه قرائن دالة على كونه الدجال ذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الحديث بصورة الشك والله تعالى أعلم قال القاضي قوله ان يكن هو الضمير للدجال ويدل عليه ما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان يكن هو فلست صاحبه انما صاحبه عيسى بن مريم والا يكن هو فليس لك ان تقتل رجلا من أهل العهد وهو خبر كان واسمه مستكن فيه وكان حقه ان يكن هو فوضع المرفوع المنفصل موضع المنصوب المتصل عكس قولهم لولاه ويحتمل ان يكون تأكيدا للمستكن والخبر محذوفا على تقدير ان يكن هو هذا قال الطيبي رحمه الله ويجوز ان يقدر ان يكن هو الدجال وهو ضمير فصل أو هو مبتدأ والدجال خبره والجملة خبر كان انتهى وعلى الاخير يكون في يكن ضمير الشان كما لا يخفى (قال ابن عمر انطلق بعد ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبي بن كعب الانصاري) بالرفع للعطف ويجوز النصب للمعية (يؤمان النخل)

ثم قال لابن صياد ماذا ترى قال يأتيني صادق وكاذب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط عليك الامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خبأت لك خبيئا وخبأ له يوم تأتي السماء بدخان مبين فقال هو الدخ فقال اخسأ فلن تعدو قدرك قال عمر يا رسول الله أتاذن لي فيه ان أضرب عنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو لا تسلط عليه وان لم يكن هو فلا خير لك في قتله قال ابن عمر انطلق بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بن كعب الانصاري يؤمان النخل

من أمه يوهمها اذا قصده أي يقصد ان النخيل (التي فيها) أي فيما بينها أو في بستانها (ابن صياد فطفق) بكسر الفاء أي شرع (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتقي) أي يستر نفسه (بجذوع النخل) أي ويختبئ من ابن صياد ليأخذه على غرة وغفلة فان تلك الحالة أدل على بطلان الرهبان (وهو) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يختل) بسكون الخاء المعجمة وكسر الفوقية من الختل وهو طلب الشيء بحيلة والمفعول محذوف أي يخدع ابن صياد (ان يسمع) أي ليسمع (من ابن صياد شيئا قبل ان يراه) أي يعلم هو وأصحابه حاله في انه كاهن أم ساحر ونحوهما قال النووي رحمه الله وفيه جواز كشف أحوال ما يخاف مفسدته وكشف الامور المهمة بنفسه (وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة) أي دثار مخمل وقيل لحاف صغير (له فيها زمزمة) قال النووي رحمه الله هو في معظم نسخ مسلم بزاءين معجمتين وفي بعضها براءين مهملتين ووقع في البخاري بالوجهين وهو صوت خفي لا يكاد يفهم أولا يفهم قال شارح هي صوت لا يفهم منه شيء وهو في الاصل صوت الرعد (فرأت أم ابن صياد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يتقي بجذوع النخل فقالت أي) لابنه ندا (صاف) بالضم وفي نسخة بالكسر على ان أصله صافي فحذف الياء واكتفى بالكسرة ويؤيد الاول ظاهر قوله (وهو اسمه) ويمكن ان يكون الاسم بمعنى الوصف فانه قد يستعمل بالمعنى الاعم من نحو اللقب والعلم (هذا) أي وراءك (محمد) أو جاءك فتنبه له (فتناهى ابن صياد) أي انتهى عما كان فيه من الزمزمة وسكت (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تركته) أي أمه (بين) أي أظهر ما في نفسه كذا في شرح السنة وقال النووي رحمه الله أي بين لكم باختلاف كلامه ما يهون عليكم شأنه (قال عبد الله بن عمر) الظاهر ان ما سيأتي حديث آخر ذكره استطرادا ولذا الرواية بعاطفه وقال (قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال اني أنذركموه وما من نبي الا وقد أنذر قومه) أي بعد نوح (لقد أنذر نوح قومه) أي قبل الانبياء (ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون) خبر بمعنى الامر أي اعلموا (انه أعور وان الله) بالفتح العطف وبالكسر على ان الجملة حالية (ليس بأعور) أي بالامر البديهي في التنزيه الالهي قال التوربشتي رحمه الله يحتمل ان أحدا من الانبياء لم يكاشف أو لم يخبر بانه أعور ويحتمل انه أخبر ولم يقدر له ان يخبر عنه كرامة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حتى يكون هو الذي يبين بهذا الوصف دحوض حجته الداحضة ويبصر بامره جهال العوام فضلا عن ذوي الالباب والافهام وفي شرح مسلم للنووي قالوا قصته مشكلة وأمره مشتبه في انه هل هو المسيح الدجال أم غيره ولا شك انه دجال من الدجاجلة قالوا وظاهر الاحاديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يوح اليه بانه المسيح الدجال ولا غيره وانما أوحي اليه بصفات الدجال وكان لابن صياد قرائن محتملة فلذلك كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقطع بانه الدجال ولا غيره ولهذا قال لعمر رضي الله تعالى عنه لا يولد الدجال وقد ولد له وان لا يدخل مكة والمدينة وابن صياد قد دخل المدينة وهو متوجه الى مكة فلا دلالة فيه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم انما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الارض قال الخطابي واختلف السلف في أمره بعد كبره فروي عنه انه تاب من ذلك القول ومات بالمدينة وانهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى يراه الناس وقيل لهم اشهدوا قال وكان ابن عمر وجابر يحلفان ان ابن صياد هو الدجال لا اشكال فيه فقيل لجابر انه أسلم فقال وان أسلم فقيل انه دخل مكة وكان بالمدينة فقال وان دخل وروى أبو داود باسناد صحيح عن جابر قال فقدنا ابن صياد يوم الحرة وهذا يبطل رواية من روى انه مات بالمدينة وصلي عليه وقد روى مسلم في هذه الاحاديث ان جابرا حلف بالله تعالى ان ابن صياد هو الدجال وانه سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يحلف ذلك عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينكره قال البيهقي في كتابه البعث والنشور اختلفوا في أمر ابن صياد اختلافا كثيرا هل هو الدجال أم لا فمن ذهب الى انه غيره احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة ويجوز ان يتوافق صفة ابن صياد وصفة الدجال

التي فيها ابن صياد فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يتقي بجذوع النخل وهو يختل ان يسمع من ابن صياد شيئا قبل ان يراه وابن صياد مضطجع على فراشه في قطيفة له فيها زمزمة فرأت أم ابن صياد النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتقي بجذوع النخل فقالت أي صاف وهو اسمه هذا محمد فتناهى ابن صياد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تركته بين قال عبد الله بن عمر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال اني أنذركموه وما من نبي الا وقد أنذر قومه لقد أنذر نوح قومه ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون انه أعور وان الله ليس بأعور

كما ثبت في الصحيح ان أشبه الناس بالدجال عبد العزى بن قطن وليس هو هو قال وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلى الله بها عباده فعصم الله تعالى منها المسلمين ووقاهم شرها قال وليس في حديث تميم هذا كلام البيهقي فقد اختار انه غيره وقدمنا انه صح عن ابن عمر وجابر انه الدجال فان قيل لم لم يقتله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه ادعى بحضرته النبوة فالجواب من وجهين ذكرهما البيهقي وغيره أحدهما انه كان غير بالغ واختار القاضي عياض رحمه الله هذا الجواب والثاني انه كان في أيام مهادنة اليهود وحلفائهم وجزم الخطابي بالجواب الثاني قال لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد قدومه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتاب الصلح على ان يتركوا على حالهم وكان ابن صياد منهم أو دخيلا فيهم قال الخطابي وأما امتحان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بما خبأه له من آية الدخان فلانه كان يبلغه ما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الكلام في الغيب فامتحنه ليعلم حقيقة حاله ويظهر ابطال حاله للصحابة فانه كاهن ساحر يأتيه الشيطان فيلقي على لسانه ما يلقيه الشياطين الى الكهنة فامتحنه ثم قال فلن تعدو قدرك أي لا تجاوز قدرك وقدر امثالك من الكهان الذين يحفظون من القاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة بخلاف الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه يوحي الله تعالى اليهم من علم الغيب ما يوحي فيكون واضحا جليا كاملا وبخلاف ما يلهم الله الاولياء من الكرامات والله تعالى أعلم (متفق عليه) ورواه أبو داود والترمذي (وعن أبي سعيد الخدري قال لقيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر وعمر يعني) أي يريد أبو سعيد بالضمير البارز (ابن صياد) والمعنى لقوه (في بعض طرق المدينة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتشهد أني رسول الله فقال هو) أي ابن صياد وهو تأكيد للضمير المستكن في فقال (أتشهد اني رسول الله فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آمنت بالله وملائكته ورسله) تقدم ما يتعلق به (ماذا ترى قال أرى عرشا على الماء فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترى عرش ابليس على البحر) أقول قد جرى لبعض المكاشفين من هذه الامة وقد قدمنا بيانه (وما ترى) أي غير هذا (قال أرى صادقين وكاذبا أو كاذبين وصادقا) أي يأتيني شخصان يخبراني بما هو صدق وشخص يخبرني بما هو كذب والشك من ابن الصياد في عدد الصادق والكاذب يدل على افترائه اذ المؤيد من عند الله لا يكون كذلك (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لاصحابه (لبس) بضم لام وكسر موحدة مخففة ولو شدد لافاد التأكيد والتكثير أي خلط (عليه الامر) في كهانته (فدعوه) أي فاتركوه فانه لا يحدث بشيء يصلح ان يعول عليه (رواه مسلم وعنه) أي عن أبي سعيد (ان ابن صياد سأل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن تربة الجنة) أي ما ترابها (فقال درمكة) في القاموس الدرمك كجعفر دقيق الحواري والتراب الناعم (بيضاء) صفة مؤكدة (مسك خالص) خبر ثان وفي النهاية الدرمكة الدقيق الحواري شبه تربة الجنة بها لبياضها ونعومتها وبالمسك لطيبها انتهى ويقال دقيق حواري بضم الحاء وتشديد الواو وفتح الراء هو ما حور أي بيض من الطعام (رواه مسلم وعن نافع قال لقي ابن عمر ابن صياد) أي رآه (في بعض طرق المدينة فقال) أي ابن عمر له (قولا أغضبه) أي القول مجازا أو ابن عمر (فانتفخ) أي صار ذا انتفاخ من الغضب (حتى ملأ) أي جسده المنتفخ (السكة) بكسر فتشديد أي الطريق (فدخل ابن عمر على حفصة) وهي أخته أم المؤمنين (وقد بلغها) أي وقد وصل اليها ما جرى بينهما (فقالت له) أي لاخيها (رحمك الله) جملة دعائية دالة على جواز مثله للاحياء وان كان العرف الآن على خلاف ذلك (ما أردت) ما استفهام مفعول أردت أي أي شيء قصدت (من ابن صياد) أي حيث أغضبته في الكلام (أما علمت ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال انما يخرج) أي الدجال حين يخرج (من غضبة) بسكون الضاد المعجمة أي من مرة واحدة من الغضب (يغضبها) الجملة في موضع الجر والضمير في موضع النصب أي أنه يغضب غضبة فيخرج بسبب غضبه فيدعي النبوة فلا تغضبه يا عبد الله ولا تتكلم معه كيلا يخرج فتظهر الفتن ذكره الطيبي رحمه الله

متفق عليه وعن أبي سعيد الخدري قال لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يعني ابن صياد في بعض طرق المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد اني رسول الله فقال هو أتشهد اني رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله ماذا ترى قال أرى عرشا على الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ترى عرش ابليس على البحر قال وما ترى قال أرى صادقين وكاذبا أو كاذبين وصادقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس عليه فدعوه رواه مسلم وعنه ان ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص رواه مسلم وعن نافع قال لقي ابن عمر ابن صياد في بعض طرق المدينة فقال له قولا أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت له رحمك الله ما أردت من ابن صياد أما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يخرج من غضبة يغضبها

وقال المظهر يعني انما يخرج الدجال حين يغضب (رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري قال صحبت ابن صياد الى مكة) أي متوجهين اليها (فقال لي مالقيت) ما استفهام تعجب أي شيأ عظيما لقيت (من الناس) أي من كلامهم ثم بينه بقوله (يزعمون اني الدجال) أي ولست اياه وقال بعضهم قوله يزعمون استئناف كانه لما قال مالقيت أي أي شئ لقيت من الناس قيل له ماذا تشكو منهم فقال يزعمون أو حال من فاعل لقيت أي أي شئ لقيت من الناس وانهم يزعمون كذا أي يترددون في أمري ويشكون فيه أنت تعلم أن الامر على خلاف ذلك (ألست سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لا يولد له وقد ولد لي أليس قد قال هو كافر وأنا مسلم أوليس قد قال لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة) وقد سبق تأويلات الجمل المذكورة (ثم قال لي في آخر قوله أما والله اني لأعلم) أي لأعرف (مولده) أي زمان ولادة الدجال (ومكانه) أي حينئذ (وأين هو) أي الآن (وأعرف أباه وأمه) فيه انه يحتمل أن يكون كاذبا وصادقا فيه (قال) أي أبو سعيد (فلبسني) بتخفيف الموحدة المفتوحة قال النووي رحمه الله هو بالتخفيف أي جعلني التبس على أمره وأشك فيه يعني حيث قال أولا علم أنا مسلم ثم ادعى الغيب بقوله اني لاعلم ومن ادعى علم الغيب فقد كفر فالتبس على اسلامه وكفره وقال ابن الملك فلبسني من التلبيس أي التخليط حيث لم يبين مولده وموضعه بل تركه ملتبسا فلبس على أو معناه أوقعني في الشك بقوله ولد لي وبدخوله المدينة ومكة وكان يظن انه الدجال (قال) أي أبو سعيد (قلت له) أي لابن صياد (تبا) بتشديد الموحدة أي هلاكا وخسرانا (لك سائر اليوم) أي جميع اليوم أو باقيه أي ما تقدم من اليوم قد خسرت فيه فكذا في باقيه (قال) أي أبو سعيد (وقيل له) أي لابن صياد (أيسرك) أي أيوقعك في السرور ويفرحك ويعجبك (انك ذلك الرجل) أي أن تكون الدجال (قال) أي أبو سعيد (فقال) أي ابن صياد (لو عرض على) بصيغة المجهول أي لو عرض على ما جبل في الدجال من الاغواء والخديعة والتلبيس على (ما كرهت) أي بل قبلت والحاصل رضاه بكونه الدجال وهذا دليل واضح على كفره كذا ذكره المظهر وغيره من الشراح (رواه مسلم وعن ابن عمر قال لقيته) أي ابن صياد (وقد نفرت) بفتح الفاء أي ورمت (عينه) كان الجلد ينفر من اللحم للداء الحادث بينهما قال شارح وروى بالقاف على بناء المجهول أي استخرجت قال النووي هو بفتح النون والقاف أي ورمت ونتأت وذكر القاضي عياض رحمه الله وجوها أخر والظاهر أنها تصحيف (قلت متى فعلت عينك) أسند الفعل الى العين مجازا والمراد غيره والمعنى متى فعل الله بعينك (ما أرى) أي الذي أراه فيها من الورم وكأنه لبس على ابن صياد يختبره أو يوافقه أو يخالفه (قال لا أدري قلت لا تدري) بتقدير الاستفهام الانكاري (وهي في رأسك) جملة حالية وهذا استبعاد بحسب العادة والا فمن الامكان بل من أبدع ما كان أنه يحدث في عينه شئ ولا يدري فانه اذا جاء القدر عمي البصر لاسيما وكل أحد أعمى في عيب نفسه بصير بعيوب غيره يرى القذى في عين الناس ولا يرى الجذع في باصرته (قال ان شاء الله خلقها) أي هذه العلة أو هذه العين المعيبة (في عصاك) أي بحيث لا تدري بها وهي أقرب شئ اليك قال القاضي رحمه الله قول ابن صياد ان شاء الله خلقها في عصاك في جواب قوله لا تدري وهي في رأسك اشارة الى انه يمكن أن تكون العين بحال لا يكون له شعور بحالها فلم يجوز أن يكون الانسان مستغرقا في أفكاره بحيث يشغله عن الاحساس بها والتذكر لاحوالها قلت ونظيره قطع عضو ما كولة من بعض العارفين حالة كونه من المصلين مستغرقا في بلوغ مدارج مشاهدة المقربين وطلوع معراج مناجاة رب العالمين وكما يشاهد من آحاد الناس أنه لا يحس بألم الجوع فرحا وحزنا وغير ذلك (قال) أي ابن عمر (فنخر) أي ابن صياد وهو بفتح النون والخاء المعجمة أي صوت وتامنكرا (كاشد نخير حمار) قال شارح هو صوت الانف يعني مد النفس في الخيشوم (سمعت) بالضم أي سمعت منه صوتا منكرا فان أنكر الاصوات لصوت الحمير قال الطيبي رحمه الله كاشد نخير صفة مصدر محذوف أي نخر نخرة الى آخره (رواه مسلم وعن محمد بن المنكدر) تابعي كبير روى عنه الثوري ومالك وغيرهما وهو

رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري قال صحبت ابن صياد الى مكة فقال لي مالقيت من الناس يزعمون اني الدجال ألست سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه لا يولد له وقد ولد لي أليس قد قال هو كافر وأنا مسلم أوليس قد قال لا يدخل المدينة ولا مكة وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة ثم قال لي في آخر قوله أما والله اني لاعلم مولده ومكانه وأين هو وأعرف أباه وأمه قال فلبسني قال قلت له تبا لك سائر اليوم قال وقيل له أيسرك انك ذلك الرجل قال فقال لو عرض على ما كرهت رواه مسلم وعن ابن عمر قال لقيته وقد نفرت عينه فقلت متى فعلت عينك ما أرى قال لا أدري قلت لا تدري وهي في رأسك قال ان شاء الله خلقها في عصاك قال فنخر كاشد نخير حمار سمعت رواه مسلم وعن محمد بن المنكدر

من جمع بين العلم والزهد والعبادة (قال رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله ان ابن الصياد) بكسر الهمز وتعريف صياد في الاصول (الدجال) أي هو الدجال (قلت تحلف بالله) أي أتحلف مع انه أمر مظنون غير مجزوم به (قال اني سمعت عمر يحلف على ذلك) أي على أن ابن الصياد الدجال (عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم ينكره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ولو لم يكن مقطوعا لانكره أي ولم يجز اليمين على ما يغلب به الظن لما سكت عنه قيل لعل عمر أراد بذلك ان ابن الصياد من الدجالين الذين يخرجون فيدعون النبوة أو يضلون الناس و يلبسون الامر عليهم لا انه المسيح الدجال لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ردد حيث قال ان يكن هو وان لم يكن هو ولكن فيه ان الظاهر المتبادر من اطلاق الدجال هو الفرد الاكمل فالوجه حمل يمينه على الجواز عند غلبة الظن والله تعالى أعلم ثم رأيت شارحا قال قوله فلم ينكره لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرف انه من جملة من حذر الناس عنه من الدجالين بقوله يخرج في أمتي دجالون كذابون قريبا من ثلاثين وابن صياد لم يكن خارجا من جملتهم لانه ادعى النبوة بحضر من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن حلف عمر رضي الله تعالى عنه مخالفا للحقيقة أو يريد ان فيه صفة الدجال والله تعالى أعلم بالحال (متفق عليه)

(الفصل الثاني) (عن نافع قال كان ابن عمر يقول والله ما أشك) أي لا أتردد (ان المسيح الدجال ابن صياد) أي هو هو وفي نسخة باللام (رواه أبو داود) أي في سننه بسند صحيح (والبيهقي في كتاب البعث والنشور وعن جابر قال فقدنا ابن صياد) وفي نسخة قد فقد بصيغة المجهول وضم ابن صياد (يوم الحرة) هو يوم غلبة يزيد بن معاوية على أهل المدينة ومحاربته اياهم قيل هذا يخالف رواية من روى انه مات بالمدينة وليس بمخالف ذكره الطيبي رحمه الله وهو مخالف اذ لزم من فقده احتمل موته بها او بغيرها وكذا بقاؤه في الدنيا الى حين خروجه عدم جزم موته بالمدينة (رواه أبو داود) أي بسند صحيح (وعن أبي بكرة) بالتاء (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمكث أبوا الدجال) أي والداه (ثلاثين عاما) ولعل المراد به أحد الدجالين فلا ينافيه ما سبق ولا ما يأتي من الكلام (لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام أعور أضرس) أي عظيم الضرس وهو السن والمراد به الناب لما سيأتي (واقله) أي واقل غلام (منفعة) والمعنى لا غلام أقل منه نفعا قال الجزري قوله أضرس كذا في نسخ المصابيح أي عظيم الضرس أو الذي يولد وضرسه معه ولا شك عندي انه تصحيف أضرشي وكذا هو في كتاب الترمذي الذي أخذه المؤلف منه و بهذا يصح عطف وأقله منفعة عليه من غير تعسف ولا تكلف تقدير ويكون الضمير عائدا الى شيء أي أقل شيء منفعة قلت ويؤيده انه أورد الحافظ ابن حجر في شرح البخاري حديث أبي بكرة ناقلا عن أبي داود وفيه غلام أعور أضرشيء وأقله نفعا (تنام عيناه ولا ينام قلبه) قال القاضي رحمه الله أي لا تنقطع أفكاره الفاسدة عنه عند النوم لكثرة وساوسه وتخيلاته وتواتر ما يلقي الشيطان اليه كما لم يكن ينام قلب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من أفكاره الصالحة بسبب ما تواتر عليه من الوحي والالهام (ثم نعت لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبويه فقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أبوه طوال) بضم الطاء وتخفيف الواو مبالغة طويل والمشدد أكثر مبالغة لكن الاول هو الرواية (ضرب اللحم) أي خفيفه وفي النهاية هو الخفيف اللحم المستدق وفي صفة موسى عليه الصلاة والسلام انه ضرب من الرجال (كأن) بتشديد النون (أنفه منقار) بكسر الميم أي في أنفه طول بحيث يشبه منقار طائر (وأمه امرأة فرضاخية) بكسر الفاء وتشديد التحتية أي ضخمة عظيمة ذكره القاضي وفي الفائق هي صفة بالضخم وقيل بالطول والياء مزيدة فيه للمبالغة كأحمري وفي القاموس رجل فرضاخ ضخم عريض أو طويل وهي بهاء وامرأة فرضاخة أو فرضاخية عظيمة الثديين وفي النهاية فرضاخية ضخمة عظيمة الثديين (طويلة اليدين) أي بالاضافة الى عادة نسائها أو بالنسبة الى سائر أعضائها (فقال أبو بكرة

قال رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله ان ابن الصياد الدجال قلت تحلف بالله قال اني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم متفق عليه *(الفصل الثاني)* عن نافع قال كان ابن عمر يقول والله ما أشك ان المسيح الدجال ابن صياد رواه أبو داود والبيهقي في كتاب البعث والنشور وعن جابر قال قد فقدنا ابن صياد يوم الحرة رواه أبو داود وعن أبي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث أبوا الدجال ثلاثين عاما لا يولد لهما ولد ثم يولد لهما غلام أعور أضرس وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه ثم نعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال أبوه طوال ضرب اللحم كأن أنفه منقار وامه امرأة فرضاخية طويلة اليدين فقال أبو بكرة

فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فاذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد فقالا مكثنا ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضرس وأقله منفعة تنام عيناه ولا ينام قلبه قال فخرجنا من عندهما فاذا هو منجدل في الشمس في قطيفة وله همهمة فكشف عن رأسه فقال ما قلتما قلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي رواه الترمذي وعن جابر ان امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه طالعة نابه فأشفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون الدجال فوجده تحت قطيفة يهمهم فآذنته أمه فقالت يا عبد الله هذا أبو القاسم فخرج من القطيفة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالها قاتلها الله لو تركته لبين فذكر مثل معنى حديث ابن عمر فقال عمر بن الخطاب ائذن لي يا رسول الله فأقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن هو فلست صاحبه انما صاحبه عيسى بن مريم والا يكن هو فليس لك ان تقتل رجلا من أهل العهد فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشفقا انه هو الدجال رواه في شرح السنة

* (باب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام) *

* (الفصل الاول) * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده

فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام) بالرفع أو النصب (حتى دخلنا على أبويه فاذا نعت رسول الله) أي وصفه (صلى الله تعالى عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد) بالرفع أي ولد ولد (فقالا مكثنا) بفتح الكاف وضمها أي لبثنا (ثلاثين عاما لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضرس) فيه ما تقدم (وأقله منفعة تنام عينه ولا ينام قلبه) ولعله كان يظهر بعض آثار قلبه على صفحة قالبه أو هو أخبرهما عن بعض مدركات قلبه حال نومه (قال) أي أبو بكرة (فخرجنا من عندهما فاذا هو) أي الغلام (منجدل) بكسر الدال أي ملقى على وجه الارض قال الطيبي رحمه الله أي ملقى على الجدالة وهي الارض ومنه الحديث أنا خاتم الانبياء في أم الكتاب وآدم لمنجدل في طينته قلت فطينه تجريدا وتأكيد والمعنى انه ساقط أو واقع (في الشمس في قطيفة) أي دثار مخمل على ما في القاموس (وله همهمة) أي زمزمة وقال شارح أي كلام غير مفهوم منه شئ وهي في الاصل ترديد الصوت في الصدر أي كما هو مشاهد في الفرس عند جريانه وفي النهاية وأصل الهمهمة صوت البقر (فكشف) أي ابن صياد (عن رأسه) أي غطاءه (فقال ما قلتما) فكأنه وقع كلام بينهما فيه أو في غيره (قلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تنام عيناي ولا ينام قلبي رواه الترمذي) وكذا أبو داود (وعن جابر ان امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاما ممسوحة عينه) أي اليمنى وقيل اليسرى (طالعة نابه) هكذا هو في شرح السنة والظاهر طالعا نابه الا ان يراد به الجنس والتعدد فيه على التمعل ذكره الطيبي رحمه الله فالمعنى طالعة انيابه وفي القاموس الناب السن خلف الرباعية مؤنث فالتعدد باعتبار الطرفين والجمع باعتبار ان الاقل يكون لاثنين وهذا الحديث يقوي رواية أضرس فيما تقدم والله تعالى أعلم (فأشفق) أي خاف (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي على أمته (ان يكون) أي هو (الدجال فوجده تحت قطيفة يهمهم) أي يتكلم بكلام غير مفهوم (فآذنته) بالمد أي أعلمته (أمه) أي بمأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اياه (فقالت يا عبد الله) يحتمل العلمية والوصفية (هذا أبو القاسم) أي حاضرا وحضر فتنبه له وتهيأ لكلامه (فخرج من القطيفة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مالها) ما للاستفهام مبتدأ ولها خبره أي أي شئ لها (قاتلها الله) دعاء عليها زجرا لها (لو تركته لبين) أي لاظهر ما في ضميره (فذكر) أي جابر (مثل معنى حديث ابن عمر) أي الحديث الاول من باب قصة ابن صياد (فقال عمر بن الخطاب ائذن لي) أمر من الاذن أي اعطني الاجازة يا رسول الله (فأقتله) بالنصب على جواب الامر (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يكن هو) أي ابن الصياد الدجال (فلست صاحبه) أي صاحب قتله ومباشرة هلاكه (انما صاحبه عيسى بن مريم وان لا يكن) استعمال لا أولى هنا من قولهم في مثل هذا المقام وان لم يكن (فليس لك ان تقتل رجلا من أهل العهد) أي من الذمة والجزية (فلم يزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشفقا) أي خائفا على أمته (انه) أي ابن الصياد (هو الدجال رواه) أي البغوي (في شرح السنة) باسناده قال بعض المحققين الوجه في الاحاديث الواردة في ابن صياد مع ما فيها من الاختلاف والتضاد ان يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم حسبه الدجال قبل التحقق بخبر المسيح الدجال فلما أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بما أخبر به من شان قصته في حديث تميم الداري ووافق ذلك ما عنده تبين له صلى الله تعالى عليه وسلم ان ابن الصياد ليس بالذي ظنه ويؤيده ما ذكره أبو سعيد حين صحبه الى مكة وأما توافق النعوت في أبوي الدجال وأبوي ابن صياد فليس مما يقطع به قولا فان اتفاق الوصفين لا يلزم منه اتحاد الموصوفين وكذا حلف عمر وابنه مع عدم انكاره صلى الله تعالى عليه وسلم من انه الدجال فان كل ذلك قبل تبين الحال وقد كان للدجال في بعض علاماته ما أورث ذلك فيه صلى الله تعالى عليه وسلم اشفاقا منه

* (باب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام) *

* (الفصل الاول) * (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده

ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما) بفتحتين أي حاكما (عدلا) أي عادلا (فيكسر) بالرفع وقيل بالنصب والفاء فيه تفصيلية لقوله حكما عدلا أو تفريعية أي يهدم ويقطع (الصليب) قال في شرح السنة وغيره أي فيبطل النصرانية ويحكم بالملة الحنيفية وقال ابن الملك الصليب في اصطلاح النصارى خشبة مثلثة يدعون ان عيسى عليه الصلاة والسلام صلب على خشبة مثلثة على تلك الصورة وقد يكون فيه صورة المسيح (ويقتل الخنزير) أي يحرم اقتناءه وأكله ويبيح قتله في شرح السنة وفيه بيان ان أعيانها نجسة لان عيسى عليه الصلاة والسلام انما يقتلها على حكم شرع الاسلام والشيء الطاهر المنتفع به لا يباح اتلافه انتهى وفيه انه قد يباح لمصلحة دينية أو دنيوية مع ان في كون الخنزير نجس العين بجميع أجزائه خلافا للعلماء (ويضع الجزية) أي من أهل الكتاب ويحملهم على الاسلام ولا يقبل منهم غير دين الحق وقيل يضع الجزية عنهم لانه لا يوجد محتاج يقبل الجزية منهم لكثرة المال وقلة أهل الحرص والآمال ويؤيده قوله (ويفيض) بفتح أوله من فاض الماء يفيض اذا كثر حتى سال كالوادي على ما في القاموس اي يكثر المال حتى لا يقبله أحد) أي من الرجال (حتى تكون السجدة) أي الواحدة لما فيها من لذة العبادة والمراد بالسجدة نفسها أو الصلاة بكمالها التضمنها لها (خيرا من الدنيا وما فيها) قال الطيبي رحمه الله تعالى حتى الاولى متعلقة بقوله ويفيض المال والثانية غاية المفهوم قوله فيكسر الصليب الخ أقول والاظهر ان الثانية بدل من الاولى أو غاية لما قبلها قائمة مقام العلة لها قال التوربشتي رحمه الله لم تزل السجدة الواحدة في الحقيقة كذلك وانما أراد بذلك ان الناس يرغبون في أمر الله ويزهدون عن الدنيا حتى تكون السجدة الواحدة أحب اليهم من الدنيا وما فيها (ثم يقول أبو هريرة فاقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية) بالنصب ويجوز رفعها وخفضها وقدمنا وجهها قال الطيبي رحمه الله استدل بالآية على نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان مصداقا للحديث وتحريره ان الضميرين في به وقبل موته لعيسى والمعنى وان من أهل الكتاب أحد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله فتكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام انتهى وقيل المعنى ليس أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم عند المعاينة قبل خروج الروح وهو لا ينفع فضمير به راجع الى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير موته للكتابي وقيل كل منهم يؤمن عند الموت بعيسى وانه عبد الله وابن أمته ولا ينفع وقيل ضمير به لله سبحانه أي كل منهم يؤمن به تعالى عند الموت ولا ينفع والاول مذهب أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في الآية (متفق عليه وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا) وفي نسخة عدلا وهو أبلغ (فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية) أي ليحكم بما ذكر (وليتركن القلاص) بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول وهو الملائم لقوله (فلا يسعى عليها) أي لا يعمل على القلاص وهو بكسر القاف جمع القلوص بفتحها وهي الناقة الشابة على ما في النهاية والمعنى انه يترك العمل عليها استغناء عنها لكثرة غيرها أو معناه لا يأمر أحدا بان يسعى على أخذها وتحصيلها الزكاة لعدم من يقبلها ففي النهاية أي يترك زكاتها فلا يكون لها ساع وقيل لا يكون معها راع يسعى ففي الصحاح كل من ولي أمر قوم فهو ساع عليهم وقال المظهر يعني ليترك عيسى عليه الصلاة والسلام ابل الصدقة ولا يأمر أحدا ان يسعى عليها ويأخذها لانه لا يجد من يقبلها لاستغناء الناس عنها والمراد بالسعي العمل قال الطيبي رحمه الله ويجوز ان يكون ذلك كناية عن ترك التجارات والضرب في الارض لطلب المال وتحصيل ما يحتاج اليه لاستغنائهم (ولتذهبن) أي ولتزولن (الشحناء) بفتح أوله أي العداوة التي تشحن القلب وتملؤه من الغضب (والتباغض) أي الذي هو سبب العداوة (والتحاسد) أي الذي هو باعث التباغض وكلها نتيجة حب الدنيا فتزول كل هذه العيوب بزوال محبة الدنيا عن القلوب وقال الاشرف انما تذهب الشحناء والتباغض والتحاسد يومئذ لان جميع

ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة فاقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الآية متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد

الخلق يكونون يومئذ على ملة واحدة وهي الاسلام وأعلى أسباب التباغض وأكثرها هو اختلاف الاديان قلت اليوم كثير من البلدان متفقون على ملة الاسلام وفيهم علماء الاسلام ومشايخ الكرام مع كثرة التباغض والتحاسد والعداوة بل المقاتلة والمحاربة بين الحكام وليس السبب والباعث عليها الاحب الجاه بين الانام والميل الى المال الحرام (وليدعون) ضبط في نسخة بضم الواو ونسب الى النووي رحمه الله تعالى ولا وجه له فالصواب ما في الاصول المعتمدة من انه بفتح الواو وتشديد النون وفاعله ضمير عيسى عليه الصلاة والسلام والمعنى ليدعون الناس (الى المال) أي أخذه وقبوله (فلا يقبله أحد) أي استغناء بعطاء الأحد (رواه مسلم وفي رواية لهما) أي لمسلم والبخاري بقرينة ذكر مسلم فان الغالب ان يكون قرينا له ففيه نوع تغليب للحاضر على الغائب (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كيف أنتم) أي حالكم وما لكم (اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم) أي من أهل دينكم وقيل من قريش وهو المهدي والحاصل ان امامكم واحد منكم دون عيسى فانه بمنزلة الخليفة وقيل فيه دليل على ان عيسى عليه الصلاة والسلام لا يكون من أمة محمد عليه الصلاة والسلام بل مقرر الملته ومعينا لامته عليهما السلام وفي شرح السنة قال معمر وانكم وامامكم منكم وقال ابن أبي ذئب عن ابن شهاب فامامكم منكم قال ابن أبي ذئب في معناه فامكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم قال الطيبي رحمه الله فالضمير في أمكم لعيسى ومنكم حال أي يؤمكم عيسى حال كونه من دينكم ويحتمل ان يكون معنى امامكم منكم كيف حالكم وانتم مكرمون عند الله تعالى والحال ان عيسى ينزل فيكم وامامكم منكم وعيسى يقتدي بامامكم تكرمة لدينكم ويشهد له الحديث الآتي اه وسيأتي بقية الكلام عليه فيه وهو قوله (وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق) اما مقاتلة حسية أو معنوية على ظهور الحق أو حال كونهم على الحق (ظاهرين) أي غالبين أي على أعدائهم قال تعالى الا ان حزب الله هم الغالبون (الى يوم القيامة) أي الى قرب قيام الساعة (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم) أي المهدي (تعال) بفتح اللام أي احضر وتقدم (صل) بدل أو استئناف بيان والمعنى أم (لنا) أي في صلاة تنافات الاولى بالامامة هو الافضل وأنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الرسول الكمل وفي رواية تعال فصل لنا (فيقول لا) أي لا أصير اماما لكم لئلا يتوهم بامامتي لكم نسخ دينكم وقيل تعلل بان هذه الصلاة أقيمت لامامكم فهو أولى بها لكن يؤيد الاول اطلاق قوله (ان بعضكم على بعض أمراء) أي دينية أو دنيوية وان على الاعانة المعية (تكرمة الله هذه الامة) أي اكرامه سبحانه لهذه الجماعة المكرمة قال القاضي رحمه الله تكرمة الله نصب على المفعول لاجله والعامل محذوف والمعنى شرع الله ان يكون امام المسلمين منهم وأميرهم من عدادهم تكرمة لهم وتعظيما لشأنهم أو على انه مصدر موكد لمضمون الجملة التي قبله قال التفتازاني في شرح العقائد الاصح ان عيسى عليه الصلاة والسلام يصلي بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهدي لانه أفضل وامامته أولى قال ابن أبي شريف هذا يوافق ما في مسلم من قوله وامامكم منكم لكنه فيه ما يخالفه وهو حديث جابر ويمكن الجمع بينهما بان يكون صلى بهم أول نزوله تنبيها على انه نزل مقتدى به في الحكم على شريعتهم ثم دعي الى الصلاة فاشار بان يؤمهم المهدي اظهارا لاكرام الله به هذه الامة قلت ويمكن الجمع بالعكس أيضا وربما يدعى انه الاولى على ان قوله امامكم منكم ظاهر في ان المهدي هو الامام والله تعالى أعلم بالمرام قال واما كونه أفضل فلا يلزم منه بطلان الاقتداء بغيره واما الاولوية بالافضلية فيعارضها اظهار تكرمة الله تعالى هذه الامة بدوام شريعته كما نطق به الحديث (رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثاني) يعني عن الاحاديث الموصوفة بالحسان على اصطلاح البغوي المعبر عنها بالفصل الثاني على مصطلح صاحب المشكاة

(الفصل الثالث) أي الموضوع في الاحاديث الزائدة لصاحب المشكاة على المصابيح المناسبة للباب

وليدعون الى المال فلا يقبله أحد رواه مسلم وفي رواية لهما قال كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض امراء تكرمة الله هذه الامة رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثاني

(الفصل الثالث)

(عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينزل عيسى ابن مريم الى الارض فيتزوج و يولد له و يمكث خمسا وأربعين سنة) وهذا بظاهره يخالف قول من قال ان عيسى رفع به الى السماء وعمره ثلاث وثلاثون و يمكث فى الارض بعد نزوله سبع سنين فيكون مجموع العدد أربعين لكن حديث مكثه سبعا رواه مسلم فيتعين الجمع بما ذكر أو ترجيح ما فى الصحيح واعل عدد الخمس ساقطا من الاعتبار لالغاء الكسر (ثم يموت فيدفن معى) أى مصاحبا لى (فى قبرى) أى فى مقبرتى وعبر عنها بالقبر لقرب قبره بقبره فكانهما فى قبر واحد (فاقوم أنا وعيسى فى قبر واحد) أى من مقبرة واحدة ففى القاموس ان فى تاتى بمعنى من وكذا فى المغنى (بين أبى بكر وعمر) رضى الله عنهما أى حال كوننا قاعدين واقعين بين أبى بكر و عمر فاحدهما عن يمينهما الاعلى يمينه بالاعيان وان الاعيان عيان والظاهر انه أبو بكر والآخر عن يسارهما اليسر الاسلام وعزه به وهو عمر وسيأتى فى فضائل سيد المرسلين عن عبد الله بن سلام برواية الترمذى عنه قال مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه قال أبو داود وقد بقى فى البيت موضع قبر أقوال والظاهر اللائق بمقام عيسى عليه الصلاة والسلام ان يكون بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم و بين أبى بكر رضى الله تعالى عنه لكن سيأتى فى كلام الجزرى انه يدفن بعد عمر ولعله نظر الى تأخر الدفن باعتبار تأخر زمن الموت أو تكرمة لهذه الامة وتعظيما للصحابيين الكريمين ان يكونا بين النبيين العظيمين والله سبحانه وتعالى أعلم (رواه ابن الجوزى فى كتاب الوفاء)

(باب قرب الساعة)

وفى نسخة القيامة واطلق الساعة عليها لانها تكون بغتة وفجأة فوقوعها فى أدنى ما يطلق عليه اسم الزمان وان كانت بالنسبة الى انتهائها مديدة وقيل أطلقت عليها لطولها كما يسمى الزنجى بالكافور وتسمية بالضد (وان من مات فقد قامت قيامته) عطف على قرب الساعة لا على الساعة لفساد المعنى قال التوربشتى رحمه الله الساعة جزء من أجزاء الزمان و يعبر بها عن القيامة وقد ورد فى كتاب الله وسنة رسوله على أقسام ثلاثة الكبرى وهى بعث الناس للجزاء والقيامة الوسطى وهى انقراض القرن الواحد بالموت والقيامة الصغرى وهى موت الانسان والمراد هنا هذه أى الاخيرة والظاهر ان المراد بالساعة هى الكبرى سواء أريد بها النفخة الاولى لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تقوم الساعة الا على شرار الناس أو الثانية وهى الطامة الكبرى المعروفة فى الكتاب والسنة ومن أحاديث الباب قوله عليه الصلاة والسلام بعثت أنا والساعة كهاتين نعم حديث عائشة الآتى يدل على القيامة الوسطى وأما فى كتاب الله فما أظن ان الساعة وردت بهذا المعنى ولا ما يدل على القيامة الصغرى الا ما رواه الديلمى عن أنس مرفوعا بلفظ اذا مات أحدكم فقد قامت قيامته وهو المعنون فى الباب مع عدم ايراد حديث يلائمه وهذا كما ترى لم يرد بلفظ الساعة وأريد بها القيامة الصغرى بل ولا ورد بمعنى القيامة الوسطى الا بالاضافة فالاولى ان يقال ان الساعة منقسمة الى ثلاثة كبرى وهى الطامة الجامعة ووسطى وهى النفخة للاماتة العامة وصغرى وهى اماتة الجماعة والقيامة تطلق على الثلاثة وعلى من مات وحده أيضا والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الاول) (عن شعبة) أحد رواة الحديث (عن قتادة) تابعى جليل (عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت أنا والساعة) بالرفع فى بعض وفى بعض النسخ بالنصب قال النووى رحمه الله روى بنصب الساعة و رفعها قال شارح من علمائنا الساعة مرفوعة رواية و يجوز النصب على ان الواو بمعنى مع (كهاتين) قال القاضى رحمه الله معناه ان نسبة تقدم بعثته على قيام الساعة كنسبة فضل احدى الاصبعين على الاخرى انتهى وهو المعنى بما قيل كفضل الوسطى على السبابة فى السبق و يدل عليه ما سيأتى من حديث ابن شداد والاظهر أن يقال كفصل احداهما عن الاخرى بالصاد المهملة لما بينهما من قليل الانفصال و يؤيده ما فى النهاية و يحتمل وجها آخر ان يكون المراد منه ارتباط دعوته بالساعة لا تفترق

عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم الى الارض فيتزوج و يولد له و يمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معى فى قبرى فاقوم أنا وعيسى بن مريم فى قبر واحد بين أبى بكر وعمر رواه ابن الجوزى فى كتاب الوفاء

(باب قرب الساعة)
وان من مات فقد قامت قيامته

(الفصل الاول) عن شعبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين

قال شعبة وسمعت قتادة يقول في قصصه كفضل احداهما على الاخرى فلا أدري أذكره عن أنس أو قاله قتادة متفق عليه وعن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت بشهر تسألوني عن الساعة وانما علمها عند الله وأقسم بالله ما على الارض من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ رواه مسلم وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يأتي مائة سنة وعلى الارض نفس منفوسة اليوم رواه مسلم وعن عائشة قالت كان رجال من الاعراب يأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الساعة

احداهما من الاخرى كما ان السبابة لا تفترق عن الوسطى ولم يوجد بينهما ما ليس منهما وقال شارح آخر يريد ان دينه متصل بقيام الساعة لا يفصله عنه دين آخر ولا يفرق بينهما دعوة أخرى كما لا يفصل شيء بين السبابة والوسطى قال الطيبي رحمه الله ويؤيد الوجه الاول الحديث الآتي للمستورد بن شداد قلت فيه نظر لان في كل حديث روعي معنى لم يراع في الآخر اذ التأسيس أولى من التأكيد على انه لا مانع من أن يلاحظ في هذا الحديث كلا المعنيين اذ لا تدافع فيما بينهما في رأي العينين نعم يفهم من المعنى الاول اغراق في التشبيه القربي ما لا يفهم من الثاني ولذا اختاره بعضهم ويؤيده موافقته لتفسير الراوي (قال شعبة وسمعت قتادة يقول في قصصه) بفتح القاف مصدر قص يقص بمعنى يعظ أو يحكي القصة أو يحدث ويروي ومنه قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص وفي نسخة بكسر القاف وهي جمع قصة والمعنى في قصص قتادة أي تحديثه أو تفسير حديثه (كفضل احداهما) أي احدى الاصبعين (على الاخرى) قال الطيبي رحمه الله قوله كفضل احداهما بدل من قوله كهاتين موضح له وهو يؤيد الوجه الاول والرفع على العطف والمعنى بعثت أنا والساعة بعثا متفاضلا مثل فضل احداهما ومعنى النصب لا يستقيم على هذا يعني لا بد على قصد المعية لكن يمكن ادعاؤها على طريق المبالغة كما عبر عنه في الحديث الآتي بقوله بعثت في نفس الساعة بتحتين أي في قربها (فلا أدري اذكره) أي قتادة (عن أنس) أي مرفوعا أو موقوفا (أو قاله قتادة) أي من عند نفسه وتلقاء رأيه وهو الاظهر حتى يثبت الآخر (متفق عليه) ورواه أحمد والترمذي عن أنس وكذا روى أحمد والشيخان عن سهل بن سعد (وعن جابر قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول قبل ان يموت بشهر تسألوني) بتشديد النون وتخفيفه على صيغة الخطاب للاصحاب وهمزة الانكار مقدرة أي أتسألوني (عن الساعة) أي القيامة وهي النفخة الاولى أو الثانية (وانما علمها عند الله) أي لا يعلمها الا هو قال الطيبي رحمه الله حال مقررة لجهة الاشكال أنكر عليهم سؤالهم وأكده بقوله وانما علمها عند الله وقوله (وأقسم بالله) مقرر له يعني تسألوني عن القيامة الكبرى وعلمها عند الله وما أعلمه هو القيامة الصغرى انتهى وهو يؤيد تقسيمنا المتقدم في الساعة (ما على الارض) ما نافية ومن في قوله (من نفس) زائدة للاستغراق وقوله (منفوسه) صفة نفس وكذا ما يأتي والمعنى ما من نفس مولودة اليوم (يأتي عليها مائة سنة وهي حية يومئذ) يقال نفست المرأة غلاما بالكسر ونفست على البناء للمفعول اذا ولدت نفسا فهي نافس ونفساء والولد منفوس قال الشاعر * كما سقط المنفوس بين القوابل * قال الاشرف معناه ما تبقى نفس مولودة اليوم مائة سنة أراد به موت الصحابة رضي الله عنهم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا على الغالب والا فقد عاش بعض الصحابة أكثر من مائة سنة انتهى ومنهم أنس بن مالك وسلمان وغيرهما والاظهر ان المعنى لا تعيش نفس مائة سنة بعد هذا القول كما يدل عليه الحديث الآتي فلا حاجة الى اعتبار الغالب فلعل المولودين في ذلك الزمان انقرضوا قبل تمام المائة من زمان ورود الحديث ومما يؤيد هذا المعنى استدلال المحققين من المحدثين وغيرهم من المتكلمين على بطلان دعوى بابارتن الهندي وغيره ممن ادعى الصحبة وزعم انه من المعمرين الى المائتين والزيادة بقي ان الحديث بظاهره يدل على عدم حياة الخضر والياس وقد قال البغوي رحمه الله في معالم التنزيل أربعة من الانبياء في الحياة اثنان في الارض الخضر والياس واثنان في السماء عيسى وادريس عليهم الصلاة والسلام فالحديث مخصوص بغيرهم أو المراد ما من نفس منفوسة من أمتي والنبي عليه الصلاة والسلام لا يكون من أمته نبي آخر وقيل قيد الارض يخرج الخضر والياس فانهما كانا على البحر حينئذ والله تعالى أعلم (رواه مسلم وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يأتي مائة سنة وعلى الارض نفس منفوسة) والجملة حالية (اليوم) هو ظرف منفوسة ذكره الطيبي رحمه الله قال ابن الملك اشارة الى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم (رواه مسلم وعن عائشة قالت كان رجال من الاعراب) أي أهل البدو (يأتون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيسألونه عن الساعة) الظاهر ان سؤالهم عن

الساعة الكبرى فالجواب الآتي على أسلوب الحكيم (فكان ينظر الى أصغرهم فيقول ان يعش هذا لا يدركه) بالرفع وقيل بالجزم أي لا يلحقه (الهرم) بفتحتين وهو الكبر (حتى تقوم عليكم ساعتكم) أي قيامتكم وهي الساعة الصغرى عندي والوسطى عند بعض الشراح والمراد موت جميعهم وهو الظاهر أو أكثرهم وهو الغالب قال القاضي رحمه الله أراد بالساعة انقراض القرن الذين هم من عدادهم ولذلك أضاف اليهم وقال بعضهم أراد موت كل واحد منهم (متفق عليه)

(الفصل الثاني) (عن المستورد بن شداد) يقال انه كان غلاما يوم قبض النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه سمع منه وروى عنه جماعة (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال بعثت في نفس الساعة) بفتح النون والفاء لا غير أراد به قربها أي حين تنفست وتنفسها ظهور اشراطها ومنه قوله تعالى والصبح اذا تنفس أي ظهر آثار طلوعه وبعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من أول اشراطها هذا معنى كلام التوربشتي رحمه الله والاظهر ان معناه بعثت أنا والساعة في نفس واحد من كمال الاتصال وعدم الاعتبار بقليل من الانفصال ويؤيده قوله (فسبقتها) أي الساعة في الوجود (كما سبقت هذه) أي السبابة (هذه) أي الوسطى أي وجودا أو حسابا باعتبار الابتداء من جانب الابهام وعدل عن الابهام لطول الفصل بينه وبين المسبحة ثم بين الاشارتين الراوي بقوله (وأشار) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (باصبعه السبابة) أي المسبحة (والوسطى) على طريق اللف والنشر المرتب (رواه الترمذي) وروى البيهقي عن سهل بن سعد مرفوعا مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان مثلي ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشي ان يسبق ألاح بثوبه أتيتم أتيتم أنا ذاك أنا ذاك (وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اني لارجو أن لا تعجز أمتي) بكسر الجيم ويجوز ضمها وهو مفعول أرجو أي أرجو عدم عجز أمتي (عند ربها) من كمال قربها (أن يؤخرهم نصف يوم) يوم بدل من أن لا تعجز واختاره ابن الملك أو متعلق به بحذف عن كما اقتصر عليه الطيبي ثم قال وعدم العجز هنا كناية عن التمكن من القربة والمكانة عند الله تعالى مثال ذلك قول المقرب عند السلطان اني لا أعجز ان يوليني الملك كذا وكذا يعني به ان لي عنده مكانة وقربة يحصل بها كل ما أرجوه عنده فالمعنى اني أرجو أن يكون لامتي عند الله مكانة ومنزلة يمهلهم من زماني هذا الى انتهاء خمسمائة سنة بحيث لا يكون أقل من ذلك الى قيام الساعة (قيل لسعد وكم نصف يوم قال خمسمائة سنة) انما فسر الراوي نصف اليوم بخمسمائة نظرا الى قوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة وانما عبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن خمسمائة سنة بنصف يوم تقليلا لبغيتهم ورفعا لمنزلتهم أي لا يناقشهم في هذا المقدار القليل بل يزيدهم من فضله وقد وهم بعضهم ونزل الحديث على أمر القيامة وحمل اليوم على يوم الحشر فذهب انه غفل عما حققناه ونبهنا عليه فهلا انتبه لمكان الحديث وانه في أي باب من ابواب الكتاب فانه مكتوب في باب قرب الساعة فأين هو منه ذكره الطيبي رحمه الله ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم أراد بالخمسمائة ان يكون بعد الالف السابع فان اليوم نحن في سابع سنة من الالف الثامن وفيه اشارة الى انه لا يتعدى عن الخمسمائة فيوافق حديث عمر الدنيا سبعة آلاف سنة فالكسر الزائد يلغى ونهايته الى النصف وأما ما بعده فبعد ألفاثامنا بالغاء الكسر الناقص وقيل أراد بقاء دينه ونظام ملته في الدنيا مدة خمسمائة سنة فقوله ان يؤخرهم أي عن ان يؤخرهم الله سالمين عن العيوب من ارتكاب الذنوب والشدائد الناشئة من الكروب والله تعالى اعلم (رواه أبو داود)

(الفصل الثالث) (عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا) أي وقلة بقائها (مثل ثوب شق) بضم أوله أي قطع (من أوله الى آخره) أي الى قريب منه أو هو من قبيل ان الغاية فيه لا تكون داخلة تحت المغيا كقوله تعالى وأتموا الصيام الى الليل (فبقي منه لقابخيط في آخره) الضميران

فكان ينظر الى أصغرهم فيقول ان يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم متفق عليه

(الفصل الثاني) عن المستورد بن شداد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت في نفس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه هذه وأشار باصبعيه السبابة والوسطى رواه الترمذي وعن سعد بن أبي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لارجو ان لا تعجز أمتي عند ربها ان يؤخرهم نصف يوم قيل لسعد وكم نصف يوم قال خمسمائة سنة رواه أبو داود

(الفصل الثالث) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره

الثوب (فيوشك ذلك الخيط) وهو عبارة عن زمان قليل يكون فيه الدين المحمدى (ان ينقطع) أى فتنقطع الدنيا وتنفصل عن وجودها وتذهب وتأتى الاخرى فتبقى على أبد الآباد فيسعد أهلها أو يشقى (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

(باب لاتقوم الساعة الاعلى شرار الناس)

روى بتنوين باب وبالاضافة الى الجملة واقتصر على الاول أصل السيد والطيبى على الثانى حيث قال هذه الجملة محكية مضاف اليها ترجمة الباب وهو من باب تسمية الشئ بالجمل على سبيل الحكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمى بزيد منطلق أو بيت شعر

(الفصل الاول) (عن أنس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الارض الله الله) بالرفع فيهما وكرر للتاكيد وقيل تكريره عبارة عن تكثير ذكره وقيل معناه الله حى أو هو المعبود فالاول مبتدأ والثانى خبر وفى نسخة بنصبهما قال شارح قوله الله الله بالرفع مبتدأ وخبر أى الله هو المستحق للعبادة لاغير وان رويا بالنصب فعلى التحذير أى اتقوا الله واعبدوه فعلى هذا معناه لاتقوم الساعة حتى لايبقى فى الارض مسلم يحذر الناس من الله وقيل أى لايذكر الله فلا يبقى حكمة فى بقاء الناس ومن هذا يعرف ان بقاء العالم ببركة العلماء العاملين والعباد الصالحين وعموم المؤمنين وهو المراد بما قاله الطيبى رحمه الله معنى حتى لايقال حتى لايذكر اسم الله ولا يعبد واليه ينظر قوله تعالى ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا يعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لاذكر وأعبد فاذا لم يذكر ولم يعبد فبالحرى ان يخرب وتقوم الساعة وقال المظهر هذا دليل على ان بركة العلماء والصلحاء تصل الى من فى العالم من الجن والانس وغيرهما من الحيوانات والجمادات والنباتات (وفى رواية لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله) بالوجهين فيهما (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذى (وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتقوم الساعة الا على شرار الخلق) بكسر الشين جمع الشر قال الطيبى رحمه الله فان قيل ما وجه التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق لاتزال طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قلنا السابق مستغرق للازمنة عام فيها والثانى مخصص (رواه مسلم) وروى أبو يعلى فى مسنده والحاكم فى مستدركه عن أبى سعيد مرفوعا لاتقوم الساعة حتى لايحج البيت وروى السجزى عن ابن عمر رفعه لاتقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن (وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تضطرب) أى تتحرك (اليات نساء دوس) بفتح فسكون قبيلة من اليمن والاليات بفتحتين جمع الية بالفتح فسكون وهى فى الاصل اللحمة التى تكون فى أصل العضو وقيل هى اللحمة المشرفة على الظهر والفخذ وهى لحم المقعد والمعنى حتى يرتدوا فتطوف نساؤهم (حول ذى الخلصة) بفتح الخاء المعجمة واللام (وذو الخلصة طاغية دوس) أى صنمهم وقال شارح أى أصنامهم (التى كانوا) أى دوس (يعبدون) أى يعبدونها (فى الجاهلية) أى قبل الملة الحنيفية والظاهر ان هذا تفسير من أبى هريرة أو غيره من الرواة وفى النهاية هو بيت كان فيه صنم لدوس وخثعم وبجيلة وغيرهم وقيل ذو الخلصة الكعبة اليمانية التى كانت باليمن فانفذ اليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جرير بن عبد الله فخربها وقيل ذو الخلصة اسم الصنم نفسه وفيه نظر لان ذو لايضاف الا الى اسم الجنس والمعنى انهم يرتدون الى جاهليتهم فى عبادة الاوثان فتسعى نساء بنى دوس طائفات حول ذى الخلصة فترتج أعجازهن مضطربة الياتهن كما كانت عادتهن فى الجاهلية (متفق عليه وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لايذهب الليل والنهار) أى لاتقوم الساعة (حتى يعبد) بالتذكير وجوز تانيثه (اللات) صنم لثقيف (والعزى) بضم عين فتشديد زاى صنم لغطفان (فقلت يارسول الله ان كنت لاظن) ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة قال المظهر تقديره انه

فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع رواه البيهقى فى شعب الايمان

(باب لاتقوم الساعة الاعلى شرار الناس)

(الفصل الاول) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتقوم الساعة حتى لايقال فى الارض الله الله وفى رواية قال لاتقوم الساعة على أحد يقول الله الله رواه مسلم وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة الاعلى شرار الخلق رواه مسلم وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تضطرب اليات نساء دوس حول ذى الخلصة وذو الخلصة طاغية دوس التى كانوا يعبدون فى الجاهلية متفق عليه وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايذهب الليل والنهار حتى يعبد اللات والعزى فقلت يارسول الله ان كنت لاظن

كنت لاظن يعني ان الشأن كنت لاحسب (حين أنزل الله هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي بالتوحيد (ودين الحق) أي وبالشريعة الثابتة ولما كان مؤداهما واحدا أفرد الضمير في قوله (ليظهره) أي ليعليه ويغلبه (على الدين كله) أي على الاديان جميعها باطلها بردها وحقها بنسخها (ولو كره المشركون) أي ما عليه الموحدون الخالصون (ان ذلك) بفتح الهمزة مفعول لاظن وحين أنزل الله طرف له أي كنت أظن حين انزال تلك الآية ان ذلك الحكم المذكور المستفاد منها يكون (تاما) أي عاما لا كاملا شاملا للازمنة كلها فنصبه بالكون المقدر وفي نسخة صحيحة تام بالرفع والمعنى ان ما ذكر من عبادة الاصنام قد تم وانختم وغدا ولا يكون بعد ذلك أبدا (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (انه) أي الشأن (سيكون من ذلك) أي بعض ما ذكر من تمام الدين ونقصان الكفر وأغرب شارح حيث قال من ذلك أي من عبادة الاصنام (ما شاء الله) أي مدة مشيئته وبين ذلك بقوله (ثم يبعث الله ريحا طيبة) أي يشم منها رائحة الوصال (فتوفى) بصيغة المجهول أي فتقبض (كل من كان في قلبه) وفي نسخة بصيغة الفاعل على انه حذف منه احدى التاءين أي تتوفى على اسناد التوفي الى الريح مجازا فيكون كل منصوبا على المفعولية والمعنى تميت كل من كان في قلبه (مثقال حبة) أي مقدار وزن قوله (من خردل) بيان لحبة وقوله (من ايمان) بيان لمثقال والمراد منه ان يكون في قلبه من العقائد الدينية أقل ما يجب عليه من التصديق القلبي واليقين بالامور الاجمالية وليس فيه دلالة على تصور الزيادة والنقصان في نفس الايمان وحقيقة الايقان كما لا يخفى على أهل العرفان (فيبقى من لا خير فيه) أي لا اسلام ولا ايمان ولا قرآن ولا حج ولا سائر الاركان ولا علماء الاعيان (فيرجعون الى دين آبائهم) أي الاولين من المشركين الجاهلين الضالين المضلين فروعي لفظ من في ضمير فيه ومعناه في قوله فيرجعون كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين هذا وقال الطيبي رحمه الله قوله تاما هو بالرفع في الحميدي على انه خبران وفي صحيح مسلم وشرح النسائي بالنصب فعلى هذا هو اما حال والعامل اسم الاشارة والخبر محذوف أو خبر لكان المقدر أي ظننت من مفهوم الآية ان ملة الاسلام ظاهرة على الاديان كلها غالبة عليها غير مغلوبة فكيف يعبد اللات والعزى وجوابه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله فتوفى كل من كان في قلبه نظير قوله ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا الحديث (رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيمكث أربعين) وأبهمه صلى الله تعالى عليه وسلم لحكمة في ترك التمييز أو نسيه الراوي ولذا قال (لا أدري أربعين يوما أو شهرا أو عاما) قال التوربشتي رحمه الله لا أدري الى قوله فيبعث الله من قول الصحابي أي لم يزدني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على أربعين شيأ يبين المراد منها فلا أدري أيا أراد بهذه الثلاثة (فيبعث الله عيسى بن مريم) أي فينزل من السماء (كأنه) أي في الصورة (عروة بن مسعود) أي الثقفي شهد صلح الحديبية كافرا وقدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة تسع بعد عوده من الطائف وأسلم ثم عاد الى قومه ودعاهم الى الاسلام فقتلوه وقيل هو أخو عبد الله بن مسعود وليس بشيء (فيطلبه) أي عيسى الدجال (فيهلكه) أي بحربة (ثم يمكث في الناس سبع سنين) تقدم ما يرد خلافه (ليس بين اثنين عداوة) يحتمل ان يكون قيدا للعدد فلا ينافيه ما سبق من الزيادة ويؤيده التراخي المفهوم من قوله (ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام) بكسر ففتح أي جانبه (فلا يبقى على وجه الارض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو ايمان) الظاهر ان أو للشك ويحتمل ان يكون للتخيير في التعبير (الا قبضته) الا أخذت روحه تلك الريح (حتى لو ان أحدكم دخل) أي فرضا وتقديرا على طريق المبالغة (في كبد جبل) أي وسطه وجوفه ومنه كبد السماء وسطها (لدخلته) أي كبد الجبل (عليه) أي على أحدكم (حتى تقبضه قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير) بكسر الخاء المعجمة وتشديد الفاء قال القاضي رحمه الله المراد بخفة الطير اضطرابها وتنفرها بادنى توهم شبه حال الاشرار في تهتكهم وعدم وقارهم

حين أنزل الله هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ان ذلك تاما قال انه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو شهرا أو عاما فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث في الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو ايمان الا قبضته حتى لو ان أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال فيبقى شرار الناس في خفة الطير

وثباتهم واختلال رأيهم وميلهم الى الفجور والفساد بحال الطير (وأحلام السباع) أي وفي عقولها الناقصة جمع حلم بالضم أو جمع حلم بالكسر ففيه ايماء الى انهم خالين عن العلم والحلم بل الغالب عليهم الطيش والغضب والوحشة والاتلاف والاهلاك وقلة الرحمة (لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا) بل يعكسون فيما يفعلون (فيتمثل لهم الشيطان) أي يتصور لهم بصورة انسان فيكان التشكل أقوى على التسلط في الضلالة من طريق الوسوسة ولذا قدم الله سبحانه شياطين الانس في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن (فيقول ألا تستحيون) أي من الله في ترك عبادته والتوسل الى مقام قربته (فيقولون فما تأمرنا) أي به نمتثله فما موصولة أو استفهامية فالمعنى فأي شئ تأمرنا لنطيعك فيه (فيأمرهم بعبادة الاوثان) أي توسلا الى رضا الرحمن كما قال تعالى مخبرا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله زين لهم سوء أعمالهم (وهم في ذلك) أي والحال انهم فيما ذكر من الاوصاف الردية والعبادات الوثنية (دار) بتشديد الراء أي كثير (رزقهم حسن عيشهم) فالاول اشارة الى الكمية والثاني الى الكيفية أو الاول ايماء الى كثرة الامطار وما يترتب عليه من الانهار وأثمار الاشجار والثاني من جهة الامن وعدم الظلم وكثرة الصحة والغنى بالمال والجاه (ثم ينفخ في الصور) بصيغة المجهول والنافخ هو اسرافيل عليه الصلاة والسلام (فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا) بكسر اللام قال التوربشتي رحمه الله أي أمال صفحة عنقه خوفا ودهشة (ورفع ليتا) والمراد منه ههنا ان السامع يصعق فيصغي ليتا ويرفع ليتا أي يصير رأسه هكذا وكذلك شأن من يصيبه صيحة فيشق قلبه فأول ما يظهر منه سقوط رأسه الى أحد الشقين فاسند الاصغاء اليه اسناد الفعل الاختياري (قال وأول من يسمعه رجل يلوط) أي يطين ويصلح (حوض ابله فيصعق) أي يموت هو أولا (ويصعق الناس) أي معه (ثم يرسل الله مطرا كأنه الطل) بفتح الطاء وتشديد اللام أي المطر الضعيف الصغير القطر (فينبت منه) أي من أجله وسببه (أجساد الناس) أي النخرة في قبورهم (ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون) وبين النفختين أربعون عاما على ما سيأتي (ثم يقال يا أيها الناس هلم) في القاموس هلم يقال مركبة من هاء التنبيه ومن لم أي ضم نفسك الينا يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين فالمعنى تعالوا أو ارجعوا وأسرعوا الى ربكم (وقفوهم) وفي نسخة صحيحة وقفوهم بالعاطفة قال الطيبي عطف على قوله يقال على سبيل التقدير أي يقال للناس هلم ويقال للملائكة قفوهم وفي بعض النسخ بدون العاطف فهو على الاستئناف انتهى وهو أمر مخاطب والخطاب للملائكة والضمير للناس يقال وقفت الدابة ووقفتها يتعدى ولا يتعدى والمعنى احبسوهم (انهم مسؤلون) استئناف تعليل (فيقال اخرجوا) أمر للملائكة أي ميزوا مما بين الخلائق (بعث النار) أي مبعوثها يعني من يبعث اليها (فيقال من كم كم) أي سأل المخاطبون من كمية العدد المبعوث الى النار فيقولون كم عددا نخرج من كم عدد ذكره الطيبي رحمه الله فكم الاولى خبر مقدم وكم الثانية مبتدأ أو هما مفعولا نخرج الذي للمتكلم (فيقال من كل ألف تسعمائة) بالنصب أي اخرجوا للنار من كل ألف تسعمائة (وتسعة وتسعين) قيل هم الذين يستوجبون النار بذنوبهم فيتركون فيها بقدر ذنوبهم ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة ذكره ابن الملك رحمه الله ويجوز أن يخلصوا منها بعد دخولها بالشفاعة لكن الظاهر ان المراد بهم الكفار الذين يستحقون عذاب النار بلا حساب ولا كتاب فهم مخلدون في العقاب والله تعالى أعلم بالصواب (فذلك) أي الوقت (يوم) أو فذلك الحكم وقت (يجعل) أي يصير (فيه الولدان) أي الصبيان جمع وليد (شيبا) بكسر أوله جمع أشيب كأبيض وبيض والمعنى انه يصير الاطفال شيبا في الحال فالمعنى لو ان وليدا شاب من واقعة عظيمة لكان ذلك اليوم هذا ويوم مرفوع منون في أكثر النسخ وفي نسخة بالفتح مضافا قال الطيبي رحمه الله يحتمل ان يكون اليوم مرفوعا ويجعل الولدان صفة له فيكون الاسناد مجازيا أو ان يكون مضافا مفتوحا فيكون الاسناد حينئذ

وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستحيون فيقولون فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله مطرا كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم الى ربكم وقفوهم انهم مسؤلون فيقال اخرجوا بعث النار فيقال من كم كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا

حقيقيا والاول أبلغ وأوفق لما ورد في التنزيل يعني قوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا (وذلك) أى أيضا
(يوم يكشف) في كثير من النسخ برفع يوم منونا وفي بعضها بالفتح مضافا وهو أوفق لما في القرآن يوم يكشف
(عن ساق) أي شدة عظيمة يقال كشفت الحرب عن الساق اذا اشتد فيها وكان أصله ان الولد يموت في
بطن الناقة فيدخل المدمر يده في رحمها فيأخذ ساقه فجعل لكل أمر عظيم وخطب جسيم قال الخطابي هذا مما
هاب القول فيه شيوخنا فأجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن
تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب أما من تأوله فقال ذلك يوم يكشف عن شدة عظيمة وبلية
فظيعة وهو اقبال الآخرة وظهورها وذهاب الدنيا وادبارها ويقال للامر اذا اشتد وتفاقم وظهر وزال
خفاؤه كشف عن ساقه وهذا جائز في اللغة وان لم يكن للامر ساق (رواه مسلم وذكر حديث معاوية
لا تنقطع الهجرة) أي حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها وقد ثبت لا هجرة
بعد الفتح فالمراد بالهجرة التي هي غير منقطعة هي الهجرة من المعصية الى الطاعة أو من ديار البدعة الى ديار
السنة أو من بلاد الشر الى بلاد الخير (في باب التوبة) وفيه اعتراض فعلي منضم الى بيان قولي وهو ان
الحديث أنسب بذلك الباب والله تعالى أعلم بالصواب

(باب نفخ الصور)

بضم أوله وهو قرن ينفخ فيه والمراد به النفخة الثانية وفي النهاية هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه الصلاة
والسلام عند بعث الموتى الى المحشر

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين النفختين) أي
نفخة الصعق وهي الاماتة ونفخة النشور وهي الاحياء (أربعون) أبهم في الحديث وبين في غيره انه
أربعون عاما ولعل اختيار الابهام لما فيه من الابهام (قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما) باستفهام مقدر
(قال أبيت) أي امتنعت عن الجواب لاني لا أدري ما هو الصواب أو عن السؤال من صاحب المقال فلا
أدري ما الحال (قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت) قال القاضي رحمه الله
أي لا أدري ان الاربعين الفاصل بين النفختين أي شئ أياما أو شهورا أو أعواما وامتنع عن الكذب على
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والاخبار عما لا أعلم (قال) كذا في نسخة والظاهر ان ضميره اليه صلى الله
تعالى عليه وسلم ويحتمل ان يكون الى أبي هريرة فيكون موقوفا أو التقدير راويا عنه وناقلا منه وليس
في الجامع لفظ قال فيه ولا فيما بعده (ثم ينزل الله من السماء ماء) أي مطرا كالطل على ما سبق (فينبتون)
أي فينبت أجساد الخلق منه (كما ينبت البقل) أي من المطر والظاهر ان هذا قبل النفخة الثانية كأنهم
من الرواية الماضية فتعبيره بثم هنا للتراخي الرتبي أي بعد ما علمت ما سبق فاعلم هذا فانه أمر محقق (قال
وليس من الانسان شئ) أي جزء من أجزائه (لا يبلى) أي لا يخلق ولا يرم ممن يبلى جسده فان الله تعالى
حرم على الارض ان تأكل من اجساد الانبياء وكذا من في معناهم من الشهداء والاولياء بل قيل ومنهم
المؤذنون المحتسبون فانهم في قبورهم أحياء أو كالاحياء (الاعظما واحدا) ولفظ الجامع الاعظم
واحد بالرفع على البدلية من شئ وهو واضح وقيل منصوب لانه استثناء من موجب لان قوله ليس شئ من
الانسان لا يبلى الاعظما انفي النفي ونفي النفي اثبات فيكون تقديره كل شئ منه يبلى الاعظما فانه لا يبلى ويحتمل
ان يكون منصوبا على انه خبر ليس لان اسمه موصوف كقولك ليس زيد الاقائما أي الانسان خال من شئ
(وهو عجب الذنب) بفتح العين المهملة وسكون الجيم وحكى اللحياني تثليث العين مع الباء والميم ففيه ست
لغات وهو العظم بين الاليتين الذي في أسفل الصلب قال بعض علمائنا من الشراح المراد طول بقائه تحت
التراب لا انه لا يفنى أصلا فانه خلاف المحسوس وجاء في حديث آخر انه أول ما يخلق وآخر ما يبلى ومعنى
الحديثين واحد وقال بعضهم الحكمة فيه انه قاعدة بدن الانسان واسه الذي يبنى عليه فبالحري ان يكون

وذلك يوم يكشف عن ساق رواه مسلم وذكر حديث معاوية لا تنقطع الهجرة في باب التوبة

(باب النفخ في الصور)

(الفصل الاول)

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شئ لا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب

أصاب من الجميع كقاعدة الجدار واسه وإذا كان أصاب كان أطول بقاء أقول التحقيق والله ولي التدقيق ان عجب الذنب يبلى آخرا كما شهد به حديث لكن لا بالكلية كما يدل عليه هذا الحديث وهو الحديث المتفق عليه ولا عبرة بالمحسوس كما حقق في باب عذاب القبر على ان الجزء القليل منه المخلوط بالتراب غير قابل لان يتميز بالحس كما لا يخفى على أرباب الحس (ومنه يركب) بتشديد الكاف المفتوحة (الخلق) أي سائر الاعضاء المخلوقات من الحيوانات (يوم القيامة) أي كما خلق أولا في الايجاد كذلك خلق أولا في الاعادة أو أبقي حتى يركب عليه الخلق ثانيا قال تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وقال سبحانه كما بدأكم تعودون (متفق عليه) ورواه النسائي (وفي رواية لمسلم) وكذا البخاري ذكره السيد وفي الجامع رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (كل ابن آدم) بالرفع وفي نسخة بالنصب أي كل أعضاء بدن الانسان وكذا سائر الحيوان (يأكله التراب الا عجب الذنب) أي فانه لا يأكله كله أو بعضه (منه) أي من عجب الذنب (خلق) بصيغة المجهول أي ابتدئ منه خلق الانسان أولا (وفيه) وفي نسخة منه وهو رواية الجامع وسبق انه في ثاني مراده فلان (يركب) أي ثانيا قال النووي رحمه الله هذا مخصوص فيخص منه الانبياء فان الله حرم على الارض أجسادهم وهو كما صرح به في الحديث (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السماء) ولعل المراد بهما ما يبدلهما كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات (بيمينه) أي بقوته أو قدرته أو بيمينه الصادر عنه أنه يفعله أو بقبض الملائكة وطيهم الكائنين بيمين عرشه قال القاضي عبر به عن افناء الله تعالى هذه المظلة والمقلة ورفعهما من البين واخراجهما من ان يكونا مأوى ومنزلا لبني آدم بقدرته الباهرة التي تهون عليها الافعال العظام التي يتضاءل دونها القوى والقدر ويتحير فيها الافهام والفكر على طريقة التمثيل والتخييل وأضاف في الحديث الذي يليه طي السموات وقبضها الى اليمين وطي الارض الى الشمال تنبيها وتخييلا لما بين المقبوضين من التفاوت والتفاضل وقال بعضهم اعلم ان الله تعالى منزه عن الحدوث وصفة الاجسام وكل ما ورد في القرآن والاحاديث في صفاته مما ينبئ عن الجهة والفوقية والاستقرار والاتيان والنزول فلا نخوض في تأويله بل نؤمن بما هو مدلول تلك الالفاظ على المعنى الذي أراد سبحانه مع التنزيه عما يوهم الجهة والجسمية (ثم يقول أنا الملك) أي لا ملك الا أنا أو أنا ملك الملوك والاملاك وفيه تنبيه على ان الملك أبلغ من المالك مع ان المفسرين اختلفوا في قوله تعالى ملك يوم الدين ومالك يوم الدين ان أي القراءتين أبلغ كما أشار اليه الشاطبي بقوله * ومالك يوم الدين راويه ناصر * ومجمل الكلام في البيضاوي مذكور والتفاصيل في غيره مسطور (أين ملوك الارض) أي الذين كانوا يزعمون ان الملك لهم استقلالا أو دواما لا يرون به زوالا أو الذين كانوا يدعون الالوهية في الجهة السفلية وقيدهم بالارض لان الملأ الاعلى هم معصومون عن أفعال أهل السفلى (متفق عليه) ورواه النسائي وابن ماجه (وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون) أي الظلمة القهارون (أين المتكبرون) أي بمالهم وجاههم وخيلهم وحشمهم لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة حفاة عراة غرلا (ثم يطوي الارضين) بفتح الراء وتسكن (بشماله وفي رواية يأخذهن) أي بدل يطوي فالتقدير ثم يأخذهن (بيده الاخرى) وهذه الرواية أوفق بحديث وكما تأيد به عين وضميرهن الى الارضين بقرينة ذكر السموات ويحتمل ان المصنف نقل بالمعنى وان لفظ الرواية ثم يأخذ الارضين بيده الاخرى (ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون) فينظر في الاصول لطلب الاخرى قال أصحاب التأويل المراد باليد اليمنى والشمال القدرة والمراد من الطي التسخير التام والقهر الكامل وهو كذلك الآن أيضا ولكن في القيامة يكون أظهر ونسب طي السموات الى اليمين وطي الارضين الى الشمال تنبيها لما بينهما من المقبوضين من التفاوت بعد ان نزه ذاته سبحانه من نسبة الشمال

ومنه يركب الخلق يوم القيامة متفق عليه وفي رواية لمسلم قال كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك أين ملوك الارض متفق عليه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الارضين بشماله وفي رواية يأخذهن بيده الاخرى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون

اليسه بقوله وكلتا يديه يمين لان الشمال ناقص في القوة عادة والله منزه عن النقصان وعن سائر صفات الحدثان (رواه مسلم وعن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر) بفتح الحاء و يكسر مفرد الاحبار أى عالم (من اليهود) أى من جملتهم أو من أحبارهم (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع) بكسر الهمزة وفتح الموحدة وفي القاموس بتثليث الهمزة والباء ففيه تسع لغات (والارضين على اصبع والجبال والشجر) أى جنسه (على اصبع والماء والثرى) أى التراب الندى يعنى الماء وما تحته من الثرى (على اصبع وسائر الخلق) أى باقيه (على اصبع) وهذا الحديث بظاهره يخالف ما سبق من ان طي العلوى بيمينه والسفلى بالاخرى وأيضا ظاهر تقسيم الاشياء على الاصابع موهم لارادة تحقق الجارحة المشتملة على الاصابع الجسمة كما هو مذهب المجسمة من اليهود وسائر أهل البدع ولكنه لما قرره صلى الله تعالى عليه وسلم حيث لم ينكره لزم اما التاويل وهو مذهب الخلف وهو أعلم أو التسليم والتفويض مع الاتفاق على التنزيه وهو مذهب السلف وهو أسلم والله تعالى أعلم فقال شارح والمعنى يهون على الله امساكها وحفظها كما يقال في العرف فلان يعمل باصبعه لقوته وقال التوربشتي السبيل في هذا الحديث ان يحمل على نوع من المجاز أو ضرب من التمثيل والمراد منه تصوير عظمته والتوقيف على جلالة شانه وانه سبحانه يتصرف في المخلوقات تصرف أقوى قادر على أدنى مقدور تقول العرب في سهولة المطلب وقرب التناول ووفور القدرة وسعة الاستطاعة هو مني على حبل الذراع واني أعالج ذلك ببعض كفي واستقله بفرد اصبع ونحو ذلك من الالفاظ استهانة بالشيء واستظهارا في القدرة عليه والمتورع عن الخوض في تاويل امثال هذا الحديث في فسحة من دينه اذ لم ينزلها في ساحة الصدر منزلة مسميات الجنس (ثم يهزهن) الضمير للاصابع والمعنى يحركهن (فيقول أنا الملك) أى القادر القوى القاهر (أنا الله) أى المعبود بالحق المستحق للمعبودية والعبادة في الباطن والظاهر (فضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له) علة العلة قال صاحب الكشاف انما ضحك أفصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الاما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة ولا ترى بابا في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا أنفع وأهون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان أكثره تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما (ثم قرأ) أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اعتضادا ويحتمل ان يكون القارى هو ابن مسعود استشهادا (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته أو ما عظموه حق تعظيمه (والارض) الواو للحال أى والحال ان جنس الارض وهو الارضين السبع (جميعا قبضته) أى مقبوضته وفي ملكه وتصرفه (يوم القيامة) يتصرف فيه كيف يشاء بلا مزاحم مع سهولة والمعنى انهن بعظمتهن بالنسبة الى قدرته ليست الا قبضة واحدة (والسموات مطويات بيمينه) أى مجموعات بقدرته أو مغيبات بقسمه لانه تعالى أقسم بعزته وجلاله انه يفنيهما (سبحانه وتعالى عما يشركون) بنسبة الولد والشريك اليه (متفق عليه) ورواه الترمذي والنسائي (وعن عائشة) رضي الله تعالى عنها (قالت سالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله) أى سبحانه وتعالى (يوم تبدل الارض غير الارض) أى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة (والسموات) أى كذلك قال صاحب الكواشي انها تبدل بخبزة بيضاء فيأكل المؤمنون من تحت أقدامهم حتى يفرغ الحساب وسياتي في أول باب الحشر ما يؤيد هذا المعنى وروى عن الضحاك انه يبدلها أرضا من فضة بيضاء كالصحائف وكذا عن على كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه وفي شرح السنة التبديل تغيير الشيء عن حاله والابدال جعل الشيء مكان آخر وقال الطيبي رحمه الله قد يكون التبديل في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير و في الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها خاتما واختلف في تبديل الارض والسموات

رواه مسلم وعن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين على اصبع والجبال والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون متفق عليه وعن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات

فقيل تبدل أوصافهما فتسير على الارض جبالها وتفجر بحارها وتجعل مستوية لاترى فيها عوجا ولا أمتا وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وقيل يخلق بدلها أرض وسموات أخر وعن ابن مسعود وأنس يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة والظاهر من التبديل تغيير الذات كما يدل عليه السؤال والجواب حيث قالت (فأين يكون الناس يومئذ قال على الصراط) المعهود عند الناس أو جنس الصراط والله تعالى أعلم (رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الشمس والقمر مكوران) بتشديد الواو المفتوحة وتذكيره لتغليب القمر لانه المذكر أو باعتبار الكوكبين النيرين وقوله (يوم القيامة) ظرف له والتكوير معناه اللف ومنه تكوير العمامة وقال تعالى يكور الليل على النهار وهو معنى الجمع في قوله تعالى وجمع الشمس والقمر قال التوربشتي يحتمل انه من التكوير الذي هو بمعنى اللف والجمع أي يلف ضوءهما لفا فيذهب انبساطهما في الآفاق ويحتمل ان يراد به رفعهما لان الثوب اذا طوى رفع ويحتمل ان يكون من قولهم طعنه فكوره من كوره اذا ألقاه أي ملقيان من فلكيهما وهذا التفسير أشبه بنسق الحديث لما في بعض طرقه مكوران في النار فيكون تكويرهما فيها ليعذب بهما أهل النار لاسيما عباد الانوار ولا يعذبان في النار فانهما بمعزل عن التكليف بل سبيلهما في النار سبيل النار نفسها وسبيل الملائكة الموكلين بها (رواه البخاري) وروى ابن مردويه عن أنس الشمس والقمر ثوران عقيران في النار ان شاء اخرجهما وان شاء تركهما والعقير الزمن

(الفصل الثاني) (عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف أنعم) أي أفرح وأتنعم من نعم عيشه كفرح اتسع ولان كذا في المصباح وفي النهاية هو من النعمة بالفتح وهي المسرة والفرح والترفه (وصاحب الصور قد التقمه) أي وضع طرف الصور في فمه (وأصغى سمعه) أي أمال أذنه (وحنى جبهته) أي أمالها وهو كناية عن المبالغة في التوجه لاصغاء السمع والقاء الاذن (ينتظر متى يؤمر بالنفخ) والظاهر ان كلا من الالتقام والاصغاء وما بعده على الحقيقة وانه عبادة لصاحبه بل هو مكلف به وقال القاضي رحمه الله معناه كيف يطيب عيشي وقد قرب ان ينفخ في الصور فكنى عن ذلك بان صاحب الصور وضع رأس الصور في فمه وهو مترصد مترقب لان يؤمر فينفخ فيه (فقالوا يا رسول الله وما تأمرنا) أي ان نقول الآن أو حينئذ أو مطلقا عند الشدائد (قال قولوا حسبنا الله) مبتدأ وخبر أي كافينا الله (ونعم الوكيل) فعيل بمعنى المفعول والمخصوص بالمدح محذوف أي نعم الموكول اليه الله (رواه الترمذي) وكذا الحاكم وصححه عنه وعن ابن عباس قال ميرك عن ابن عباس قال حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى في النار وقالها محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حين قالوا له ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الآية رواه البخاري والنسائي (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال الصور قرن) قيل دائرة رأسه كعرض السموات والارض (ينفخ فيه) بصيغة المجهول أي ينفخ فيه اسرافيل النفختين (رواه الترمذي وأبو داود والدارمي) وكذا أحمد والنسائي والحاكم

(الفصل الثالث) (عن ابن عباس قال في قوله تعالى فاذا نقر) أي نفخ (في الناقور الصور) بالجر على التفسير وفي نسخة بالرفع على تقدير هو الصور (قال) أي ابن عباس أيضا (والراجفة) أي في قوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة (النفخة الاولى) لانها ترجف الارض والجبال عندها أي تضطرب وتتحرك وتتزلزل لها (والرادفة الثانية) أي لانها تقع عقيبها وقال الطيبي الراجفة الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها والرادفة الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية (رواه البخاري في ترجمة باب) بفتح التاء والجيم أي في عنوانه تعليقا لكن وصله في موضع آخر منه (وعن أبي سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب الصور) أي اسرافيل (وقال عن يمينه جبريل) بكسر الجيم وتفتح فكسر راء فسكون ياء وبفتحهما وبهمزة

فأين يكون الناس يومئذ قال على الصراط رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر مكوران يوم القيامة رواه البخاري

(الفصل الثاني) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فقالوا يا رسول الله وما تأمرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه الترمذي وعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصور قرن ينفخ فيه رواه الترمذي وأبو داود والدارمي

(الفصل الثالث) عن ابن عباس قال في قوله تعالى فاذا نقر في الناقور الصور قال والراجفة النفخة الاولى والرادفة الثانية رواه البخاري في ترجمة باب وعن أبي سعيد قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور وقال عن يمينه جبريل

وبعدها تحتية وبحذف أربع لغات كلهن متواترات (وعن يساره ميكائيل) بهمزة وتحتية وبحذف وبوزن مفعال ثلاث قراآت لكن في شرح الشاطبية للجعبري قال أبو عبيدة هما ممدودان في الحديث انتهى وهو يحتمل ان مراده المدة الطبيعية أو حرف المد ويحتمل انه أراد جبرائيل بالالف الممدودة على الشذوذ واختير اثنا كما ميكائيل والله تعالى أعلم (وعن أبي رزين) بفتح الراء وكسر الزاي (العقيلي) مصغرا ولم يذكره المؤلف في أسمائه (قال قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك) أي علامته (في خلقه) أي مخلوقاته الموجودين (قال أما مررت بوادي قومك جدبا) بفتح الجيم وسكون الدال كذا في النهاية والقاموس وفي المقدمة بفتح أوله وكسر ثانيه وقد تسكن ضد الخصب (ثم مررت به يهتز) بتشديد الزاي يتحرك (خضرا) بفتح فكسر قال الطيبي رحمه الله يهتز جملة حالية وخضرا نصب على التمييز استعار الاهتزاز لاشجار الوادي تصويرا لحسنها ويقال اهتز فلان فرحا أي خف له وكل من خف لامر وارتاح له فقد اهتز له (قلت نعم قال فتلك آية الله) أي علامة قدرته (في خلقه) أي وفي اعادته والعود أحمد قال تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (كذلك يحيي الله الموتى) الظاهر ان هذا استشهاد بالآية أو اقتباس منها قال الطيبي رحمه الله أي ليس فرق بين انشاء الخلق واعادته والتشبيه في قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى بيان للتسوية نحو قوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم أي بكل من الانشاء والاعادة عليم ونظير هذا الحديث في الدلالة قوله تعالى فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير يعني ان ذلك القادر الذي يحيي الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شيء من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الانشاء (رواهما) أي الحديثين (رزين) قال المؤلف رحمه الله هو أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري الحافظ صاحب كتاب التجريد في الجمع بين الصحاح مات بعد عشرين وخمسمائة

(باب الحشر)

في المغرب الحشر الجمع قلت وهو ضد النشر

(الفصل الاول) (عن سهل بن سعد) سبق ذكره (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء) أي غير شديدة البياض والعفرة لون الارض وقيل المعنى لا يخلص بياضها بل يضرب الى الحمرة (كقرصة النقي) بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء وهو الدقيق المنخول المنظف الذي يتخذ منه الحواري والقرصة بالضم الرغيف والتاء للوحدة والتشبيه بها في اللون والشكل دون القدر (ليس فيها علم) بفتحتين أي علامة (لاحد) يريد به الابنية ومعناه انها تكون قاعا لا بناء فيها ذكره القاضي رحمه الله وقال الطيبي رحمه الله لعل الظاهر أن ذلك تعريض بارض الدنيا وتخصيص كل من ملاكها بقطع منها أعلم عليها الى نحو قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار (متفق عليه وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة) أي كخبزة واحدة فهو تشبيه بليغ أو التقدير تصير خبزة واحدة وهو الظاهر على ما سيأتي (يتكفأها) بالهمزة بعد تشديد الفاء قال التوربشتي رحمه الله هذه رواية كتاب البخاري ورواية كتاب مسلم يكفؤها بسكون الكاف والهمز من كفأت الاناء أي قلبته وهو الصواب والمعنى يقلبها (الجبار) أي الواحد القهار (بيده) أي من يد الى يد وكلتا يديه يمين ولعل المراد بهما القدرة والارادة فانه سبحانه منزه عن الجارحة (كما يتكفأ أحدكم خبزته) أي عجينته فهي تسمية بالمآل كقوله تعالى اني أراني أعصر خمرا (في السفر) بفتحتين وقيل بضم أوله جمع سفرة فالاول ظرف الزمان والثاني مكان البيان والمعنى كما يفعل بالعجينة اذا أريد به ترقيقها واستواؤها حتى تلقى على الملة في السفر استعجالا (نزلا) بضمتين وبسكون الثاني ذكره ابن الملك أي ضيافة (لاهل الجنة) وهو ما يستعجل للضيف من الطعام قال النووي رحمه الله يتكفأها بالهمز أي يقلبها ويميلها من يد الى يد حتى تجتمع وتستوي لانها ليست مبسوطة كالرقاقة ونحوها وفي نسخة مسلم ويكفأها بالهمز والخبزة هي الطلمة التي

وعن يساره ميكائيل
وعن أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك في خلقه قال أما مررت بوادي قومك جدبا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم قال فتلك آية الله في خلقه كذلك يحيي الله الموتى رواهما رزين

(باب الحشر)

(الفصل الاول) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد متفق عليه
وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا

توضع في الملة والمعنى ان الله تعالى يجعل الارض كالملة والرغيف العظيم يكون ذلك طعامانزلا لاهل الجنة والله على كل شيء قدير قال التوربشتي رحمه الله أرى الحديث مشكلا جدا غير مستنكر شيأ من صنع الله تعالى وعجائب فطرته بل لعدم التوفيق الذي يكون موجبا للعلم في قلب جرم الارض من الطبع الذي عليه الى طبع المطعوم والمأكول مع ماورد في الآثار المنقولة ان هذه الارض برها وبحرها تمتلئ نارا في النشأة الثانية وتنضم الى جهنم فنرى الوجه فيه أن نقول معنى قوله خبزة واحدة أي كخبزة واحدة من نعتها كذا وكذا وهو مثل ما في حديث سهل بن سعد كقرصة النقي وانما ضرب المثل بقرصة النقي لاستدارتها او بياضها على ماذكرنا وفي هذا الحديث ضرب المثل بخبزة تشبه الارض هيئة وشكلا ومساحة فاشتمل الحديث على معنيين أحدهما بيان الهيئة التي تكون الارض عليها يومئذ والآخر بيان الخبزة التي يهيئها الله تعالى نزلا لاهل الجنة وبيان عظم مقدارها ابداعا واختراعا من القادر الحكيم الذي لا يعجزه أمر ولا يعوزه شيء اه وأطنب الطيبي رحمه الله هنا بما لا طائل تحته فأعرضنا عن ذكره وقيل الحديث مشكل لا من جهة انكار قدرته بل من جهة عدم التوفيق بينه وبين حديث ان هذه الارض تصير يوم القيامة نارا وأجيب بانه شبه أرض الحشر بالخبزة في الاستواء والبياض كما في حديث سهل وشبه أرض الجنة كما في حديث أبي سعيد في كونها نزلا لاهلها تكرمة لهم بعجالة الراكب زادا يقنع به في سفره لكن آخر هذا الحديث يشعر بان كون الارض خبزة على التجوز والاولى الحمل على الحقيقة مهما أمكن وقدرته تعالى صالحة لذلك بل اعتقاد كونه حقيقة أبلغ بان يقلب الله تعالى بقدرته الكاملة طبع الارض حتى يأكلوا منها تحت أقدامهم ماشاء الله بغير كلفة ولا علاج وبهذا يتبين ضعف ماقاله القاضي من أنه لم يرد بذلك ان جرم الارض ينقلب خبزة في الشكل والطبع وانما أراد به انها تكون حينئذ بالنسبة الى ما أعد الله (لاهل الجنة) كقرصة نقي يستعجل المضيف بها نزلا للضيف ثم تعريف الارض في الحديث كتعريفها في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال ابن عباس هي أرض الجنة هذا ومما يؤيد الحمل على الحقيقة قول الراوي (فأتى رجل من اليهود) أي من أحبارهم (فقال بارك الرحمن عليك) دعاله بنزول كثرة الرحمة عليه أواخبار عنه (يا أبا القاسم) كناه تعظيما (ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة فقال بلى قال تكون الارض خبزة واحدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الينا) أي نظر التفات وتعجب وتنبيه (ثم ضحك) أي فرحا للمطابقة والموافقة (حتى بدت نواجذه) أي ظهرت آخر أضراسه وهو كناية عن المبالغة (ثم قال) أي اليهودي كما في نسخة (ألا أخبرك بادامهم) أي بما يأتدم أهل الجنة الخبزة به (بالام) أي هو بالام وهو على وزن فاعال أي ثور (والنون) أي السمك (قالوا) أي الصحابة (وما هذا) أي مامعنى الذي ذكرته (قال ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا) قال النووي رحمه الله أما النون فهو الحوت باتفاق العلماء وأما بالام فبباء موحدة مفتوحة وتخفيف لام وميم منونة مرفوعة وفي معناه أقوال والصحيح منها ما اختاره المحققون من انها لفظة عبرانية معناها بالعربية الثور وفسر اليهودي به ولو كانت عربية لعرفها الصحابة ولم يحتاجوا الى سؤاله عنها وأما قوله يأكل منها سبعون ألفا فقال القاضي عياض رحمه الله انهم السبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب فخصوا باطيب النزل ويحتمل أنه عبر به عن العدد الكثير ولم يرد الحصر في ذلك القدر وهذا معروف في كلام العرب والله تعالى أعلم (متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس) أي بعد البعث (على ثلاث طرائق) أي فرق وأصناف الركبان على طريقة واحدة من ثلاث الثلاث والبقية تتناول الطريقتين الاخيرتين وهما المشاة والذين على وجوههم كما سيأتي في الفصل الثاني (راغبين) أي في الجنة السالمين من لقاء ربهم وهو بدل عن ثلاث وهو واحد الفرق وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (راهبين) أي من النار وهم الذين يخافون ولكن ينجون منها وهم الفرقة الثانية فقدم تنبيها على ان طاعة الله تعالى على الرجاء أولى من عبادته على الخوف ولذا سمي الاولون الطيارين

لاهل الجنة فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة قال بلى قال تكون الارض خبزة واحدة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ألا أخبرك بادامهم بالام والنون قالوا وما هذا قال ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين راهبين

والآخرون السيارين وتحقيقه في كتب التصوف ويعرفه أهل التعرف وجملة الكلام أن المراد بالراغبين من غلب عليهم الرجاء وبالراهبين من غلب عليهم الخوف قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا وانما قدم الحرف في الآية لانه أنسب بعموم العامة لاسيما في البداية (واثنان على بعير) أي اعتقابا أو اجتماعا وهو الاظهر (وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير) على مقدار مراتبهم يستريحون على مراكبهم والباقون يمشون على أقدامهم على قدر اندائهم قال ابن الملك قوله واثنان على بعير الواو فيه للحال وصفة المبتدأ محذوف أي اثنان منهم وكذا الحكم فيما بعده وهذه الاعداد تفصيل لمراتبهم على سبيل الكناية والتمثيل فمن كان أعلى مرتبة كان أقل شركة وأشد سرعة وأكثر سباقا فان قلت كون الاثنين وأخواته على البعير بطريق الاجتماع أم الاعتقاب قلنا قال شارح السنة بطريق الاعتقاب لكن الاولى أن يحمل على الاجتماع اذ في الاعتقاب لا يكون الاثنان والثلاثة على بعير حقيقة وانما اقتصر على ذكر العشر اشارة الى أنه غاية عدد الراكبين على ذلك البعير المتحمل للعشرة من بدائع فطرة الله تعالى كناقة صالح حيث قوي ما لا يقوى من البعران وانما لم يذكر الخمسة والستة وغيرهما الى العشرة للايجاز (ويحشر بقيتهم) أي يجمعهم (النار تقيل) بفتح أوله من القيلولة وفاعله النار والمراد انها تكون (معهم) في النهار (حيث قالوا) أي كانوا أو استراحوا (وتبيت) أي النار (معهم حيث باتوا) أي كانوا في الليل (وتصبح معهم حيث أصبحوا) أي دخلوا في الصباح (وتمسي معهم حيث أمسوا) والمقصود أن النار تلزمهم بحيث لا تفارقهم أبدا هذا مجمل الكلام في تحصيل المرام وأما تفصيله فقال الخطابي الحشر المذكور في هذا الحديث انما يكون قبل قيام الساعة يحشر الناس أحياء الى الشام وأما الحشر بعد البعث من القبور فانه على خلاف هذه الصورة من ركوب الابل والمعاقبة عليها وانما هو على ما ورد في الحديث انهم يبعثون حفاة عراة وفسر ثلاثة على بعير وأربعة على بعير على انهم يعتقبون البعير الواحد يركب بعضهم ويمشي بعضهم قال التوربشتي رحمه الله قول من يحمل الحشر على الحشر الذي هو بعد البعث من القبور أسد وأقوى وأشبه بسياق الحديث من وجوه أحدها أن الحشر على الاطلاق في متعارف الشرع لا يراد منه الا الحشر الذي بعد قيام الساعة الا أن يخص بنوع من الدليل ولم نجده والآخر ان التقسيم الذي ذكر في هذا الحديث لا يستقيم في الحشر الى أرض الشام لان المهاجر اليها لابد وأن يكون راغبا راهبا أو راغبا أو راهبا فاما أن لا يكون راغبا او راهبا وتكون هذه طريقة واحدة لا ثاني لها من جنسها فلا والثالث ان حشر النار بقية الطائفتين على ما ذكره في هذا الحديث الى أرض الشام والتزامها لهم حتى لا تفارقهم في مقيل ولا مبيت ولا اصباح ولا امساء قول لم يرد به التوقيف ولم يكن لنا أن نقول بتسليط النار على أولي الشقاوة في هذه الدار من غير توقيف والرابع وهو أقوى الدلائل وأوثقها ما روي عن أبي هريرة وهو في الحسان من هذا الباب يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف الحديث وأما ما ذكر من بعث الناس حفاة عراة فلا تضاد بين القضيتين لان احداهما حالة البعث من النشر وأخرى حالة السوق الى المحشر ونرى التقسيم الذي جاء به الحديث التقسيم الذي جاء به التنزيل قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة الآيات فقوله راغبين راهبين يريد به عوام المؤمنين وهم ذوو الهنات الذين يترددون بين الخوف والرجاء بعد زوال التكليف فتارة يرجون رحمة الله لايمانهم وتارة يخافون عذابه لما اجترحوا من السيآت وهم أصحاب الميمنة في كتاب الله على ما في الحديث الذي رواه أيضا أبو هريرة وهو في الحسان من هذا الباب وقوله واثنان على بعير فالمراد منه أولوا السابقة من أفاضل المؤمنين وهم السابقون وقوله ويحشر بقيتهم النار يريد أصحاب المشأمة فهذه ثلاث طرائق فان قيل فلم يذكر من السابقين من يتفرد بفرد مركب لا يشاركه فيه أحد قلنا لانه عرف أن ذلك معول لمن فوقهم في المرتبة من أنبياء الله ليقع الامتياز بين النبيين والصديقين في المراكب كما وقع في المراتب اهـ وعارضه الطيبي رحمه الله بما لا طائل تحته فحذفنا عنه (متفق عليه وعن

واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا متفق عليه وعن

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون) أي ستبعثون (حفاة) بضم الحاء جمع حاف وهو الذي لا نعل له (عراة) بضم العين جمع عار وهو من لا ستر له (غرلا) بضم الغين المعجمة وسكون الراء جمع الاغرل وهو الاقلف أي غير مختونين قال العلماء في قوله غرلا اشارة الى أن البعث يكون بعد رد تمام الاجزاء والاعضاء الزائلة في الدنيا الى البدن وفيه تأكيد لذلك فان القلفة كانت واجبة الازالة في الدنيا فغيرها من الاشعار والاظفار والاسنان ونحوها أولى وذلك لغاية تعلق علم الله تعالى بالكليات والجزئيات ونهاية قدرته بالاشياء الممكنات (ثم قرأ) أي استشهادا واعتضادا وقوله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) الكاف متعلق بمحذوف دل عليه نعيده أي نعيد الخلق اعادة مثل الاول والمعنى بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذا نعيدهم يوم القيامة (وعدا علينا) أي لازما لا يجوز الخلف فيه (انا كنا فاعلين) أي ما وعدناه وأخبرنا به لا محالة قال الطيبي رحمه الله فان قلت سياق الآية في اثبات الحشر والنشر لان المعنى نوجدكم عن العدم كما أوجدناكم أولا عن العدم فكيف يستشهد به للمعنى المذكور قلت دل سياق الآية وعبارتها على اثبات الحشر واشارتها على المعنى المراد من الحديث فهو من باب الادماج قلت الظاهر أن الآية بعبارتها تدل على المعنيين وان كان سياق الآية مختصا لاحدهما فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم في قوله نوجدكم من العدم مسامحة والله تعالى أعلم (وأول من يكسى يوم القيامة ابراهيم) عليه الصلاة والسلام قيل لانه أول من كسا الفقراء وقيل لانه أول من عرى في ذات الله حين ألقي في النار لا لانه أفضل من نبينا أو لكونه أباه فقدمه لعزة الابوة على انه قيل ان نبينا يخرج في الناس من قبره في ثيابه التي دفن فيها وعندي والله تعالى أعلم ان الانبياء بل الاولياء يقومون من قبورهم حفاة عراة لكن يلبسون أكفانهم بحيث لا تنكشف عوراتهم على أحد ولا على أنفسهم وهو المناسب لقوله صلى الله عليه وسلم أخرج من قبري وأبو بكر عن يميني وعمر عن يساري وآتي البقيع الحديث ثم يركبون النوق ونحوها ويحضرون المحشر فيكون هذا الالباس محمولا على الخلع الالهية والحلل الجنتية على الطائفة الاصطفائية وأولية ابراهيم عليه الصلاة والسلام يحتمل أن تكون حقيقية أو اضافية والله سبحانه وتعالى أعلم ثم رأيت في الجامع الصغير حديث أنا أول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري رواه الترمذي عن أبي هريرة ورواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة وقال التوربشتي رحمه الله نرى ان التقديم بهذه الفضيلة انما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام لانه أول من عري في ذات الله حين أرادوا القاءه في النار فان قيل أوليس نبينا صلى الله عليه وسلم هو المحكوم له بالفضل على سائر الانبياء وتأخره في ذلك موهم أن الفضل للسابق قلنا اذا استأثر الله سبحانه عبدا بفضيلة على آخر واستأثر المستأثر عليه على المستأثر بتلك الواحدة بعشر أمثالها أو أفضل كانت السابقة ولا يقدح استئثار صاحبه عليه بفضيلة واحدة في فضله ولا خفاء بأن الشفاعة حيث لا يؤذن لاحد في الكلام لم تبق سابقة لاولي السابقة ولا فضيلة لذوي الفضائل الا أتت عليها وكم له من فضائل مختصة به لم يسبق اليها ولم يشارك فيها (وان ناسا من أصحابي) أي جماعة منهم والتنكير للتقليل (يؤخذ بهم ذات الشمال) أي الى النار مع أصحاب المشأمة (فأقول أصيحابي) بالتصغير للتقليل أي هؤلاء أصحابي (أصيحابي) كرره تأكيدا ويمكن أن يكون اشارة الى جماعتين (فيقول) أي قائل أو مجيب (انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم) قال القاضي رحمه الله يريد بهم من ارتد من الاعراب الذين أسلموا في أيامه كأصحاب مسيلمة والاسود وأضرابهم فان أصحابه وان شاع عرفا فيمن يلازمه من المهاجرين والانصار شاع استعماله لغة في كل من تبعه أو أدرك حضرته ووفد عليه ولو مرة قلت الاول اصطلاح أصول الفقه والثاني مصطلح أهل الحديث وقيل أراد بالارتداد اساءة السيرة والرجوع عما كانوا عليه من الاخلاص وصدق النية والاعراض عن الدنيا قلت هذا بالاشارات الصوفية أنسب وأقرب

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم محشورون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين وأول من يكسى يوم القيامة ابراهيم وان ناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقول انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم

والافعبارة الارتداد غير مستقيمة على هذا المعنى أصلا ولا موافقة لقوله عليه الصلاة والسلام (فأقول كما قال العبد الصالح) وهو عيسى عليه الصلاة والسلام (وكنت عليهم) أى على أمتى (شهيدا) أى مطلعا رقيبا حافظا (مادمت فيهم) أى موجودا فيما بينهم (الى قوله العزيز الحكيم) وهو قوله فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم (متفق عليه) ورواه الترمذى (وعن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يارسول الله الرجال) بتقدير الاستفهام ويمكن أن يقرأ بالمد والتسهيل أيضا على ما تقرر فى قوله تعالى قل آلله أذن لكم (والنساء) عطف على الرجال وهما مبتدأ وقوله (جميعا) أى مجتمعين حال منهما على ما جوزه البعض فالخبر قوله (ينظر بعضهم الى بعض) وهو محط الاستفهام التعجبى قال الطيبى رحمه الله الرجال والنساء مبتدأ وجميعا حال سد مسد الخبر أى مختلطون جميعا ويجوز أن يكون الخبر ينظر بعضهم الى بعض وهو العامل فى الحال قدم اهتماما كما فى قوله تعالى والارض جميعا قبضته وفيه معنى الاستفهام ولذلك أجاب (فقال ياعائشة الامر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض) أى أمر القيامة أصعب من أن يقدر أحد على النظر الى غيره عمدا أو سهوا لقوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه (متفق عليه) وأخرج عبد بن حميد والترمذى والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى البعث عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحشرون حفاة عراة غرلا فقالت زوجته أينظر بعضنا الى عورة بعض فقال يافلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وأخرج الطبرانى عن سهل بن سعد نحوه وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن أنس أن عائشة رضى الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كيف يحشر الناس قال حفاة عراة قالت واسوأتاه قال انه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب أولا قالت وأى آية هى قال لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وأخرج الحاكم وصححه وابن مردويه عن عائشة نحوه وأخرج الطبرانى فى الاوسط عن أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة قلت يارسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس قلت ماشغلهم قال نشر الصحائف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل (وعن أنس أن رجلا قال يانبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة) ولكون الاستفهام مقدرا (قال أليس) أى الشأن (الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا) مبتدأ خبره قوله (قادرا على أن يمشيه) بالتخفيف ويجوز تشديده (على وجهه يوم القيامة متفق عليه) وسيأتى حديث الترمذى فى الفصل الثانى وحديث أبى ذر فى الثالث وفى الدر المنثور أخرج أحمد والشيخان والنسائى وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم وأبو نعيم فى المعرفة والبيهقى فى الاسماء والصفات عن أنس قال قيل يارسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم قال الذى أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم وأخرج ابن جرير عن الحسن قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم فقالوا يانبى الله كيف يحشرون على وجوههم قال أرأيت الذى أمشاهم على أقدامهم أليس قادرا على أن يمشيهم على وجوههم (وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يلقى) أى يرى (ابراهيم أباه آزر) بدل أو بيان (يوم القيامة وعلى وجه آزر) وضع الظاهر موضع الضمير لئلا يتوهم رجعه الى ابراهيم فى ابتداء الحال (قترة) بفتحتين أى سواد من الكآبة والحزن (وغبرة) بفتحتين غبار معه سواد ذكرهما مبالغة والجملة حالية (فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصنى فيقول له أبوه فاليوم) ظرف مقدم (لا أعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتنى أن لا تخزينى) أى لا تفضحنى (يوم يبعثون) أى الخلائق (فأى خزى) فى النهاية هو الهلاك والوقوع فى بلية (أخزى من أبى) أى من خزى أبى (الابعد) يريد البعد فى المرتبة والالتحاق بأهل النار أو الهالك من البعد بمعنى الهلاك أو الابعد من رحمة الله تعالى فان الفاسق بعيد والكافر أبعد ورحمة الله قريب من المحسنين والى الانبياء والاولياء أقرب قال الطيبى رحمه الله هو أفعل الذى

فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم الى قوله العزيز الحكيم متفق عليه

وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يارسول الله الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال ياعائشة الامر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض متفق عليه

وعن أنس أن رجلا قال يانبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة متفق عليه

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم ألم أقل لك لا تعصنى فيقول له أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتنى أن لا تخزينى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى الابعد

قطع عن متعلقه للمبالغة (فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال لابراهيم ما تحت رجليك) وفى نسخة انظر ما تحت رجليك وما استفهامية أو موصولة قال ابن الملك ما استفهام خبره تحت ويجوز كونه بمعنى الذى أى انظر الى الذى تحت رجليك (فينظر فاذا هو) أى آزر (بذيخ) بكسر الذال المعجمة وتحتية ساكنة فخاء معجمة وهو ذكر الضبع الكثير الشعر وفى نسخة بموحدة ساكنة وحاء مهملة وهو ما يذبح (متلطخ) اما برجيعه أو بدمه أو بالطين (فيؤخذ بقوائمه) جمع قائمة وهو ما يقوم به الدواب بمثابة الارجل للانسان كذا ذكره شارح ففيه تغليب اذ المراد انه يؤخذ بيديه ورجليه (فيلقى) أى فيطرح (فى النار) أى فى مقام الكفار فغير صورته ليكون تسلية لابراهيم حتى لا يخزيه لو رآه قد ألقى فى النار على صورته فيكون خزيا وفضيحة على رؤس الخلائق بغيره مسترة لحاله فى تقبيح ما آله قيل هذا الحديث مخالف لظاهر قوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وأجيب بانه اختلف فى الوقت الذى تبرأ ابراهيم فيه من أبيه فقيل كان ذلك فى الدنيا لما مات آزر مشركا وقيل انما تبرأ منه يوم القيامة لما أيس منه حين مسخ ويمكن الجمع بين القولين بانه تبرأ منه لما مات مشركا فترك الاستغفار له لكن لما رآه يوم القيامة أدركته الرأفة فسأل منه فلما رآه مسخ أيس منه وتبرأ تبرأ أبديا وقيل ان ابراهيم لم يتيقن بموته على الكفر لجواز أن يكون آمن فى نفسه ولم يطلع ابراهيم ويكون وقت تبرئه منه بعد الحال التى وقعت فى هذا الحديث (رواه البخارى وعنه) أى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق) بفتح الراء (الناس) أى جميعا والجن أولى فتركه من باب الاكتفاء والظاهر استثناء الانبياء والاولياء (يوم القيامة) أى فى ابتداء أمره (حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا) قيل سبب هذا العرق تراكم الاهوال وحصول الحياء والخجالة والندامة والملامة وتزاحم حر الشمس والنار كما جاء فى رواية ان جهنم تدير أهل المحشر فلا يكون الى الجنة طريق الا الصراط (ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم) أى يصل العرق اليها وهى بالمد جمع أذن قال شارح أى الى أفواههم وسيأتى ان الناس مختلفون فى أحوالهم على مراتب أعمالهم (متفق عليه) وروى الطبرانى عن ابن مسعود مرفوعا ان الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول رب أرحنى ولو الى النار (وعن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس) أى تقرب (يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم) أى الشمس والمراد جرمها (كمقدار ميل) تقديره حتى يكون مقدار قرب الشمس منهم مثل مقدار ميل نظيره قوله تعالى فكان قاب قوسين أى كان قرب رسول الله من جبريل أو من مكان القرب مثل مقدار قوسين وفى شرح السنة قال سليم لا أدرى أى الميلين يعنى مسافة الارض أو الميل الذى يكحل به العين (فيكون الناس على قدر أعمالهم) أى السيئة (فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه) أى تقريبا فيقبل النقصان والزيادة (ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه) الحقو الخصر ومشد الازار (ومنهم من يلجمهم العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه) أى فمه قال ابن الملك ان قلت اذا كان العرق كالبحر يلجم البعض فكيف يصل الى كعب الآخر قلنا يجوز ان يخلق الله تعالى ارتفاعا فى الارض تحت أقدام البعض أو يقال يمسك الله تعالى عرق كل انسان بحسب عمله فلا يصل الى غيره منه شئ كما أمسك جرية البحر لموسى عليه الصلاة والسلام قلت المعتمد هو القول الاخير فان أمر الآخرة كله على وفق خرق العادة أما ترى أن شخصين فى قبر واحد يعذب أحدهما وينعم الآخر ولا يدرى أحدهما عن غيره ونظيره فى الدنيا انا نائمان مختلفان فى رؤياهما فيحزن أحدهما ويفرح الآخر بل شخصان قاعدان فى مكان واحد أحدهما فى عليين والآخر فى أسفل سافلين أو أحدهما فى صحة والآخر فى وجع أو بلية (رواه مسلم وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى) أى يوم القيامة كما فى رواية البغوى (يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير كله فى يديك قال أخرج) بفتح الهمزة وكسر الراء أى أظهر وميز من بين أولادك (بعث النار) أى جمعا يستحقون البعث اليها (قال وما بعث

فيقول الله تعالى انى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال لابراهيم انظر ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار رواه البخارى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الارض سبعين ذراعا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم متفق عليه وعن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمهم العرق الجاما وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه رواه مسلم وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير كله فى يديك قال أخرج بعث النار قال وما بعث

النار) قيل عطف على مقدر أي سمعت وأطعت وما بعث النار أي وما مقدار مبعوث النار وقيل ما بمعنى كم العددية والاظهر أن الواو استئنافية تفيد الربط بين سابقها ولاحقها (قال) أي الله تعالى (من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) قيل يخالفه ما في حديث أبي هريرة من كل مائة تسعة وتسعين وأجاب الكرماني بان مفهوم العدد مما لا اعتبار له والمقصود منه تقليل عدد المؤمنين وتكثير عدد الكافرين ويمكن حمل حديث أبي سعيد على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف عشرة ويقرب من ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة ويحتمل أن يكون الاول يتعلق بالخلق أجمعين والثاني بخصوص هذه الامة وأن يكون المراد ببعث النار الكفار ومن يدخل النار من العصاة فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافرا ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصيا وهذا هو الاظهر والله تعالى أعلم (فعنده) أي عند هذا الحكم (يشيب الصغير) أي من الحزن الكثير والهم الكبير وفي رواية البغوي فحينئذ يشيب المولود وظهور الشيب اما على الحقيقة أو على الفرض والتقدير وهذا هو الاظهر الملائم لقوله (وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى) أي من الخوف (وما هم بسكارى) أي من الخمر (ولكن عذاب الله شديد) ثم اعلم أن هذا الحديث مقتبس من قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم أي احذروا بطاعته عقابه حتى ترجوا ثوابه ان زلزلة الساعة شيء عظيم والزلزلة شدة الحركة على الحالة الهائلة واختلفوا فيها فقال علقمة والشعبي هي من اشراط الساعة قبل قيامها وقال الحسن والسدي هي تكون يوم القيامة وقال ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها فتكون معها يوم ترونها أي الساعة أو الزلزلة تذهل كل مرضعة أي تشتغل عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها أي تسقط ولدها من هول ذلك اليوم قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها من غير تمام وهذا بظاهره يؤيد قول من قال ان هذه الزلزلة تكون في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حبل ومن قال تكون في القيامة قال هذا على وجه التعظيم للامر لا على حقيقته كقولهم أصابنا أمر يشيب فيه الوليد يريد به شدته (قالوا يا رسول الله وأينا ذلك الواحد) ولما استعظموا ذلك الامر واستشعروا الخوف منه (قال) أي في جوابهم تسلية لفؤادهم (ابشروا) قال الطيبي رحمه الله لا يخلو هذا الاستفهام من أن يكون يجري على حقيقته أو يكون استعظاما لذلك الحكم واستشعار خوف منه فالاول يستدعي أن يجاب بان ذلك الواحد فلان أو متصف بالصفة الفلانية والثاني يستدعي أن يجاب بما يزيل ذلك الخوف رفقا بالناس والثاني هو المراد لقوله ابشروا وكانه قال وأينا من أمة محمد ذلك الناجي المفلح من بين سائر بني آدم فقال ابشروا (فان منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج) بالالف وبهمز فيهما (ألف) بالرفع في الاصول المصححة فالجملة حالية وقدم الجار لكون المبتدأ نكرة وفي نسخة السيد عفيف الدين الفا بالنصب وهو الظاهر فانه من باب العطف على معمولي عاملين مختلفين والمجرور مقدم والمعنى سيوجد بعدد كل رجل منكم ألف من يأجوج ومأجوج فحينئذ يكثر أهل الجنة وفيه اشعار بان أهل النار أكثر من أهل الجنة ولعل أهلها يكثرون بوجود الملائكة المقربين والحور العين فصح معنى الحديث القدسي غلبت رحمتي غضبي زاد البغوي قال فقال الناس الله أكبر (ثم قال والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا) أي أنتم أيها الصحابة أو أيها الامة وهو الاظهر (ربع أهل الجنة فكبرنا) التكبير للتعجب والفرح التام والاستبشار والاستعظام (فقال أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا) ولعله صلى الله عليه وسلم درج الامر لئلا تنقطع قلوبهم بطرح الكثير دفعة أو بالنظر الى دخولهم فوجا بعد فوج أو أوحي اليه رجاء بعد وحي فاخبر بما بشر (فقال أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا) قال الطيبي رحمه الله في الحديث تنبيه على أن يأجوج ومأجوج داخلون في هذا الوعيد ودل بقوله أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة أن غير يأجوج ومأجوج من الامم السالفة الفائتة للحصر أيضا داخلون في الوعيد فاذا وزع نصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع مثله من الامم السالفة على هؤلاء يكون كالواحد من الالف يدل عليه رواية الراوي

النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قالوا يا رسول الله وأينا ذلك الواحد قال ابشروا فان منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألف ثم قال والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا

(قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة صحيحة فقال (ما أنتم في الناس الا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود) الظاهر أن أو للتخيير في التعبير ويحتمل الشك قال الطيبي رحمه الله وقولهم الله أكبر مرارا ثلاثا تعجب واستبشار منهم واستعظام لهذه النعمة العظمى والمنحة الكبرى ويكون في هذا الاستعظام بعد ذلك الاستعظام اشارة الى فوزهم بالبغية بعد اليأس منها اه ولعل ورود هذا الحديث قبل علمه صلى الله عليه وسلم بان أمته ثلثا أهل الجنة اذ ورد أن أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون صفا أمته صلى الله عليه وسلم وأربعون سائر الامم ويمكن أن يكونوا نصفا بالنسبة الى الداخلين أولا والاظهر أن هذا الحديث وقع مختصرا على ما سيأتي الحديث بطوله (متفق عليه) ورواه النسائي وفي المعالم روي عن عمران بن الحصين وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم فلم ير أكثر باكيا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا قدرا والناس بين باك أو جالس حزين متفكرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقول الله عز وجل يا آدم قم فابعث بعث النار من ولدك قال فيقول آدم من كل كم كم فيقول الله عز وجل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة قال فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو اذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا وسددوا وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرتاه يأجوج ومأجوج ثم قال اني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وحمدوا الله ثم قال اني لارجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وان أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها أمتي وما المسلمون في الكفار الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة بل كالشعرة السوداء في الثور الابيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الاسود ثم قال ويدخل من أمتي سبعون ألفا الجنة بغير حساب فقال عمر رضي الله تعالى عنه سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم فقام رجل من الانصار فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة (وعنه) أي عن أبي سعيد رضي الله عنه (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه) قال التوربشتي رحمه الله مذهب أهل السلامة من السلف التورع من التعرض للقول في مثل هذا الحديث وهو الامثل والاحوط وقد تأوله جمع من العلماء بان الكشف عن الساق مثل في شدة الامر وصعوبة الخطب واستعماله فيها شائع ومنه قول الشاعر عجبت من نفسي ومن اشفاقها * ومن طرادي الطير عن أرزاقها * في سنة قد كشفت عن ساقها * ومنه قوله تعالى يوم يكشف عن ساق أي عن شدة وتنكير الساق في الآية من دلائل هذا التأويل ووجه تعريف الساق في الحديث دون الآية أن يقال أضافها الى الله تعالى تنبيها على أنها الشدة التي لا يجليها لوقتها الا هو أو على أنها هي التي ذكرها في كتابه اه وعند الحاكم عن ابن عباس في الآية هو يوم كرب وشدة وقال الخطابي المعنى يكشف عن قدرته التي تكشف عن الشدة والكرب وقيل الاصل فيه أن يموت الولد في بطن الناقة فيدخل الرجل يده في رحمها ويأخذ بساقه ليخرجه فهذا هو الكشف عن الساق ثم استعمل في كل أمر فظيع أقول ويمكن أن يكون استعارة وحاصله أن الله تعالى يأخذهم بالشدائد لكن يكشف عن ساقه بالتشمير عند دخوله في أمر خطير (فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة) أي من كمال الشدة يقعون في السجدة طالبين رفعها بتلك القربة وأخرج أبو يعلى بسند فيه ضعف عن أبي موسى مرفوعا في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال عن نور عظيم فيخرون له سجدا فهذا يشعر بانه تعالى يتجلى للناس تجليا صوريا وبهذا ينحل الاشكال في كثير من أحاديث الصفات على ما قرره بعض مشايخنا والله

قال ما أنتم في الناس الا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود متفق عليه وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه ويسجد له كل مؤمن ومؤمنة

تعالى

تعالى أعلم ثم المراد بالمؤمن والمؤمنة الخلص منهما ولذا قال (ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة) أي نفاقا وشهرة (فيذهب) أي يقصد ويشرع (ليسجد فيعود) أي يصير (ظهره طبقا واحدا) أي عظما بلا مفصل بحيث لا ينثني عند الرفع والخفض فلا يقدر والطبق فقار الظهر واحده طبقة يعني صار فقاره واحدا فلا يقدر على الانحناء والمعنى أنه تعالى يكشف يوم القيامة عن شدة يرتفع دونها سواتر الامتحان فيتميز أهل الاخلاص والايقان بالسجود عن أهل الريب والنفاق في اليوم الموعود كما قال تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون (متفق عليه) وأخرج الاسماعيلي الحديث بلفظ يكشف عن ساق قال وهذا أصح لموافقة لفظ القرآن والله سبحانه وتعالى أعلم (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتي الرجل العظيم) أي جاها ومالا أو لحما وشحما فيكون قوله (السمين) عطف بيان له (يوم القيامة لا يزن) أي لا يعدل ولا يسوى (عند الله جناح بعوضة) أي لا يكون له عند الله قدر ومنزلة تقول العرب ما لفلان عندنا وزن أي قدر لخسته ومنه حديث لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء (وقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم أو أبو هريرة (اقرؤا) أي استشهادا واعتضادا (فلا نقيم لهم) أي للكفار (يوم القيامة وزنا) قيل مقدارا وحسابا واعتبارا وقيل ميزانا فالتقدير آلة الوزن اذ الكفار الخلص يدخلون النار بغير حساب وانما الميزان للمؤمنين الكاملين والمرائين والمنافقين والله سبحانه وتعالى أعلم قال الطيبي رحمه الله فان قلت كيف وجه صحة الاستشهاد بالآية فان المراد بالوزن في الحديث وزن الجثة ومقداره لقوله العظيم السمين وفي الآية اما وزن الاعمال لقوله تعالى فحبطت أعمالهم واما مقدارهم والمعنى نزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار قلت الحديث من الوجه الثاني على سبيل الكناية وذكر الجثة والعظم لا ينافي ارادة مقداره وتفخيمه قال تعالى واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة (متفق عليه)

(الفصل الثاني) (عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث) أي الارض (أخبارها قال أتدرون ما أخبارها) بفتح الهمزة جمع خبر وفي نسخة بكسرها على انه مصدر أي تحديثها (قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها) بالوجهين (ان تشهد على كل عبد أو أمة) أي ذكر وأنثى (بما عمل) بفتح أوله أي فعل كل واحد (على ظهرها) وفي نسخة بالضم على ان نائب الفاعل قوله على ظهرها (أن تقول) بدل بعض من أن تشهد أو بيان ويؤيده ما في رواية الجامع تقول بدون ان أو خبر مبتدأ محذوف أي هي يعني شهادتها أن تقول (عمل) أي فلان (علي) أي على ظهري (كذا وكذا) أي من الطاعة أو المعصية (يوم كذا وكذا) أي من شهر كذا وعام كذا (قال فهذه) أي الشهادات أو المذكورات (أخبارها رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب) وكذا رواه عبد بن حميد والنسائي وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت الا ندم) أي فاغتنموا الحياة قبل الموت واستبقوا الخيرات قبل الفوت (قالوا وما ندامته) أي ما وجه تأسف كل أحد وملامته يا رسول الله (قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد) أي خيرا أو برا (وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع) أي كف نفسه عن الاساءة (رواه الترمذي وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف) وفي نسخة على ثلاثة أصناف ويؤيد الاول قوله (صنفا مشاة) بضم الميم جمع ماش وهم المؤمنون الذين خلطوا صالح أعمالهم بسيئها (وصنفا ركبانا) أي على النوق وهو بضم الراء جمع راكب وهم السابقون الكاملون الايمان وانما بدأ بالمشاة جبرا لخاطرهم كما قيل في قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه وفي قوله سبحانه يهب لمن يشاء اناثا أولا لانهم المحتاجون الى المغفرة أولا أو لارادة الترقي وهو ظاهر وقال التوربشتي رحمه الله فان قيل لم بدأ بالمشاة بالذكر قبل أولي السابقة قلنا لانهم هم الاكثرون من أهل الايمان (وصنفا على

ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا متفق عليه

(الفصل الثاني) عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل علي كذا وكذا يوم كذا وكذا قال فهذه أخبارها رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع رواه الترمذي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على

وجوههم) أي يمشون عليها وهم الكفار (قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم) أي والعادة أن يمشي على الارجل (قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم) يعني وقد أخبر في كتابه بقوله الذين يحشرون على وجوههم واخباره حق ووعده صدق وهو على كل شيء قدير فلا ينبغي أن يستبعد مثل ذلك (أما) بالتخفيف للتنبيه (انهم) أي الكفار (يتقون) أي يحترزون ويدفعون (بوجوههم كل حدب) أي مكان مرتفع (وشوك) أي ونحوه من أنواع ما يتأذى به والمعنى أن وجوههم واقية لابدانهم من جميع الاذى لاجل ان غلت أيديهم وأرجلهم والامر في الدنيا على عكس ذلك وانما كان كذلك لان الوجه الذي هو أعز الاعضاء لم يضعه ساجدا على التراب وعدل عنه تكبرا فجعل أمره على العكس قال القاضي رحمه الله قوله يتقون بوجوههم يريد به بيان هوانهم واضطرارهم الى حد جعلوا وجوههم مكان الايدي والارجل في التوقي عن مؤذيات الطرق والمشي الى المقصد لما لم يجعلوها ساجدة لمن خلقها وصورها ومما يناسب المقام ما يحكى انه روي بعض الاغنياء انه يسعى بين الصفا والمروة على بغلة بطريق الخيلاء ثم روي في بعض البادية والصحراء انه يمشي فقيل له في ذلك فقال لما ركبنا في محل المشي عاقبنا الله بان نمشي في محل الركوب هذا وقد قال تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وفسروا بانه يلقى الكافر مغلولا في النار فلا يقدر ان يدفع عن نفسه النار الا بوجهه (رواه الترمذي) وكذا أبو داود وابن جرير وابن مردويه والبيهقي في البعث وحسنه الترمذي رحمهم الله (وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره) أي أعجبه (ان ينظر الى يوم القيامة) أي أحواله وان يطلع في أهواله (كأنه رأى عين) أي فيترقى من علم اليقين الى عين اليقين (فليقرأ اذا الشمس كورت) أي لفت والقيت في النار وقال القاضي رحمه الله أي لفت بمعنى رفعت أو لف ضوءها أو القيت عن فلكها وفي الدر عن ابن عباس أي أظلمت وعن أبي صالح نكست (واذا السماء انفطرت) أي انشقت (واذا السماء انشقت) أي انصدعت والمراد هذه السور فانها مشتملة على ذكر أحوال يوم القيامة وأهواله (رواه أحمد والترمذي) وكذا ابن المنذر والطبراني وحسنه الترمذي والحاكم وصححه وابن مردويه

(الفصل الثالث) (عن أبي ذر قال ان الصادق المصدوق حدثني ان الناس يحشرون ثلاثة أفواج) قال الطيبي رحمه الله المراد بالحشر هنا ما في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أول اشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وقوله ستخرج نار من نحو حضرموت تحشر الناس قلنا يا رسول الله فما تأمرنا قال عليكم بالشام (فوجا) وهم السابقون من المؤمنين الكاملين (راكبين طاعمين كاسين) قال الطيبي رحمه الله هو عبارة عن كونهم مرفهين لاستعدادهم ما يبلغهم الى المقصد من الزاد والراحلة (وفوجا) وهم الكفار (يسحبهم) بفتح الحاء أي يجرهم (الملائكة على وجوههم) وهو اما على حقيقته واما كناية عن كمال هوانهم وذلهم والاول أظهر لدلالة السباق واللحاق (وتحشر النار) بنصب النار في أصل السيد وأكثر النسخ وفي نسخة برفعها وفي نسخة صحيحة وتحشرهم النار بالضمير مع نصب النار على نزع الخافض أي اليها ومع رفعها على الفاعلية قال الطيبي رحمه الله أي تحشر الملائكة لهم النار وتلزمهم اياها حتى لا تفارقهم أين باتوا وأين قالوا وأصبحوا ويصح أن ترفع النار أي وتحشرهم النار (وفوجا) وهم المؤمنون المذنبون (يمشون ويسعون) أي ويسرعون لانهم يمشون بسكينة وراحة (ويلقي الله الآفة على الظهر) أي على المركوب تسمية بما هو المقصود منه وتعبيرا عن الكل بالجزء (فلا يبقى) أي ظهر وفي نسخة بالتأنيث أي دابة وفي نسخة بضم أوله أي فلا تبقي الآفة دابة (حتى ان الرجل لتكون له الحديقة) أي البستان (يعطيها بذات القتب) أي يعوضها ويبدلها وهو بفتح القاف والتاء للعمل كالاكاف لغيره (لا يقدر) أي أحد (عليها) أي على ذات القتب لعزة وجودها وهذا صريح في ان المراد بالحشر في هذا الحديث ليس حشر القيامة قال الطيبي رحمه الله ينبغي ان يقال لم ذكر المؤلف هذا الحديث في باب الحشر وهذا محل ذكره باب اشراط الساعة قلنا

وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك رواه الترمذي وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت رواه أحمد والترمذي

(الفصل الثالث) عن أبي ذر قال ان الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حدثني ان الناس يحشرون ثلاثة أفواج فوجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا يسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم النار وفوجا يمشون ويسعون ويلقي الله الآفة على الظهر فلا يبقى حتى ان الرجل لتكون له الحديقة يعطيها بذات القتب لا يقدر عليها

رواه النسائى

(باب الحساب والقصاص والميزان)

(الفصل الاوّل) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس أحد يحاسب يوم القيامة الاهلك قلت أليس يقول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش فى الحساب يهلك متفق عليه وعن عدى بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد الاسيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولاحجاب يحجبه فينظر أيمن منه

تأسيا بمحيى السنة والعجب ان محيى السنة حمل الحديث على ماذهب اليه الخطابى حيث قال وهذا الحشر قبل قيام الساعة وانما يكون ذلك الى الشام احياء فاما الحشر بعد البعث من القبور فعلى خلاف هذه الصفة من ركوب الابل والمعاقبة عليها وانما هو كما أخبر انهم يبعثون حفاة عراة وأورده فى هذا الباب اه وتقدم الجواب على وجه الصواب فى كلام التوربشتى رحمه الله فى حديث أبى هريرة أوّل الباب والحاصل ان ركوب بعض الخواص من الانبياء والاولياء ثابت فى الحشر بعد البعث أيضا وان حديث يحشرون حفاة عراة بناء على أكثر الخلق أونظرا الى ابتداء الامر والله تعالى أعلم (رواه النسائى) وفى الدر المنثور أخرج أحمد والنسائى والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى البعث عن أبى ذر انه تلا هذه الآية ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم قال حدثنى الصادق المصدوق ان الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج فوج طاعمين كاسين راكبين وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم اه فهذا الحديث صريح بان الحشر حشر يوم القيامة لتصريحه فى الآية والحديث بيوم القيامة ويؤيده سحب الملائكة اياهم على وجوههم فالوجه الوجيه مااختاره شيخنا التوربشتى رحمه الله لاما أخطأ الخطابى حيث لم يدركه هذا المدرك وانما جاء الآفة من قول أبى ذر فى هذا الحديث على رواية أصل الكتاب زيادة على مافى رواية الجامع ويأتى الله الآفة ويمكن دفعه بأن يقال هذا حديث آخر أدرجه وأدمجه فيه بأدنى مناسبة فينبغى ان يحمل على المسامحة والله تعالى أعلم

(باب الحساب والقصاص والميزان)

الحساب بمعنى المحاسبة والقصاص على مافى النهاية اسم من قصه الحاكم يقصه اذا مكنه من أخذ القصاص وهو أن يفعل به مثل مافعله من قتل أوقطع أوضرب أوجرح

(الفصل الاوّل) (عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس أحد يحاسب يوم القيامة الاهلك) أى على تقدير المناقشة والمراد بالهلاك العذاب (قلت أوليس يقول الله) أى فى حق أهل النجاة (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) وتمامه وينقلب الى أهله مسرورا (فقال انما ذلك العرض) بكسر الكاف ويجوز الفتح على خطاب العام أوتعظيما لها والمعنى انما ذلك الحساب اليسير فى قوله تعالى عرض عمله لا الحساب على وجه المناقشة (ولكن من نوقش فى الحساب يهلك) بالرفع وفى نسخة بالجزم أى يعذب قال صاحب الفائق يقال ناقشه الحساب اذا عاسره فيه واستقصى فلم يترك قليلا ولا كثيرا وحاصله ان المراد بالمناقشة الاستقصاء فى المحاسبة والاستيفاء بالمطالبة وترك المسامحة فى الجليل والحقير والقليل والكثير ووجه المعارضة ان لفظ الحديث عام فى تعذيب كل من حوسب ولفظ الآية دال على ان بعضهم لا يعذب وطريق الجمع ان المراد بالحساب فى الآية انما هو العرض وهو ابراز الاعمال واظهارها فيقرر صاحبها ذنوبه ثم يتجاوز عنها لاظهار الفضل كما ان المناقشة لاظهار العدل (متفق عليه) ورواه أحمد وعبد بن حميد والترمذى وابن المنذر وابن مردويه وأخرج البزار والطبرانى فى الاوسط وابن عدى والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وأدخله الجنة برحمته تعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وفى الجامع اه خير من نوقش فى الحساب عذب رواه الشيخان عن عائشة مرفوعا ورواه الطبرانى عن ابن الزبير ولفظه من نوقش المحاسبة هلك (وعن عدى بن حاتم) بكسر التاء (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنكم من أحد) من مزيدة لاستغراق النفى والخطاب للمؤمنين (الاسيكلمه ربه) أى بلا واسطة والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال (ليس بينه وبينه) أى بين الرب والعبد (ترجمان) بفتح الفوقية ويكون الراء وضم الجيم ويجوز ضمه اتباعا على مافى نسخة وكزعفران على مافى القاموس أى مفسر الكلام بلغة عن لغة يقال ترجمت عنه والفعل يدل على اصالة التاء وفى التهذيب التاء أصلية وليست بزائدة والكلمة رباعية (ولاحجاب) أى حاجز وساتر ومانع بينه وبينه (يحجبه) أى يحجب ذلك العبد من ربه (فينظر) أى ذلك العبد (أيمن منه) أى من ذلك الموقف وقال شارح ضمير منه راجع

الى العبد قلت والمآل واحد والمعنى ينظر فى الجانب الذى على يمينه (فلا يرى الا ما قدم من عمله) أى عمله الصالح مصوّرا أو جزاءه مقدرا (وينظر أشأم منه) أى فى الجانب الذى فى شماله (فلا يرى الا ما قدم) أى من عمله السيئ والحاصل ان النصب فى أيمن وأشأم على الظرفية والمراد بهما اليمين والشمال فقيل نظر اليمين والشمال هنا كالمثل لان الانسان من شأنه اذا دهمه امر أن يلتفت يمينا وشمالا لطلب الغوث وقال الحافظ العسقلانى ويحتمل ان يكون سبب الالتفات انه يترجى أن يجد طريقا يذهب فيها لتحصل له النجاة من النار فلا يرى الا ما يفضى به الى النار (وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه) أى فى محاذاته وعليها الصراط (فاتقوا النار) أى اذا عرفتم ذلك فاحذروا منها ولا تظلموا أحدا (ولو بشق تمرة) أو تصدقوا ولو بشق تمرة أى ولو بمقدار نصفها أو ببعضها والمعنى ولو بشئ يسير منها أو من غيرها فانه حجاب وحاجز بينكم وبين النار فان الصدقة جنة ووسيلة الى جنة (متفق عليه) وفى الجامع اتقوا النار ولو بشق تمرة رواه الشيخان والنسائى عن عدى بن حاتم وأحمد عن عائشة والبزار والطبرانى فى الاوسط والضياء عن أنس والبزار أيضا عن النعمان بن بشير وعن أبى هريرة والطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وعن أبى أمامة ورواه أحمد والشيخان عن عدى مرفوعا اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة (وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدنى المؤمن) بضم الياء أى يقربه قرب كرامة لا قرب مسافة فانه سبحانه يتعالى عن ذلك والمؤمن فى المعنى كالنكرة اذ لا عهد فى الخارج ولا بعد ان يراد به الجنس (فيضع عليه كنفه) بفتحتين أى يحفظه مستعار من كنف الطائر وهو جناحه لانه يحوط به نفسه ويصون به بيضه (ويستره) أى عن أهل الموقف كيلا يفتضح وقيل أى يظهر عنايته عليه ويصونه عن الخزى بين أهل الموقف (كما يضع أحدكم كنف ثوبه) أى طرفه (على رجل) اذا أراد صيانته وقصد حمايته وهذا تمثيل قيل هذا فى عبد لم يغتب ولم يعب ولم يفضح أحدا ولم يشمت بفضيحة مسلم بل ستر على عباد الله الصالحين ولم يدع أحدا يهتك عرض أحد على ملأ من الناس فستره الله وجعله تحت كنف حمايته جزاء وفاقا من جنس عمله (فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا) فى التكرير اشارة الى التكثير وايماء الى انه عالم بما فى الضمير (فيقول نعم أى رب حتى قرره بذنوبه) أى جعله مقرا بها بان أظهرها له وألجأه الى الاقرار بها (ورأى فى نفسه) أى ظن المؤمن فى باطنه (انه قد هلك) أى مع الهالكين وليس له طريق مع الناجين وقال شارح أى علم الله فى ذاته انه هالك أى المؤمن ويجوز كون ضمير رأى للمؤمن والواو للحال (قال) أى الله تعالى (سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته) أى بيمينه (وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم) بصيغة المجهول (على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) أى باثبات الشريك ونحوه (الا لعنة الله على الظالمين) أى المشركين والمنافقين (متفق عليه وعن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيامة) بالرفع أى وقع وحصل وفى نسخة بالنصب أى اذا كان الزمان يوم القيامة (دفع الله الى كل مسلم) أى موصوف بالاسلام مذكرا كان أو مؤنثا (يهوديا أو نصرانيا) أى واحدا من أهل الكتاب فأو للتنويع (فيقول) أى الله تعالى (هذا) أى الكتابى (فكاكك) بفتح الفاء ويكسر أى خلاصك (من النار) قال التوربشتى رحمه الله فكاك الرهن ما يفك به ويخلص والكسر لغة فيه قال القاضى رحمه الله لما كان لكل مكلف مقعد من الجنة ومقعد من النار فمن آمن حق الايمان بدل مقعده من النار بمقعد من الجنة ومن لم يؤمن فبالعكس كانت الكفرة كالخلف للمؤمنين فى مقاعدهم من النار والنائب منابهم فيها وأيضا لما سبق القسم الالهى بملء جهنم كان ملؤها من الكفار خلاصا للمؤمنين ونجاة لهم من النار فهم فى ذلك للمؤمنين كالفداء والفكاك ولعل تخصيص اليهود والنصارى بالذكر لاشتهارهما بمضادة المسلمين ومقابلتهما اياهم فى تصديق الرسول المقتضى لنجاتهم اه وقيل عبر عن ذلك بالفكاك تارة وبالفداء أخرى على وجه المجاز والاتساع اذ لم يرد به تعذيب الكتابى بذنب المسلم لقوله

تعالى

فلا يرى الا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة متفق عليه وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم اى رب حتى قرره بذنوبه ورأى فى نفسه انه قد هلك قال سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين متفق عليه وعن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فكاكك من النار

تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى (رواه مسلم) وفي الجامع رواه مسلم عن أبي موسى بلفظ اذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجل من هذه الامة رجلا من الكفار فيقال له هذا فداؤك من النار ورواه الطبراني في الكبير والحاكم في الكنى عن أبي موسى ولفظه اذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الى كل مؤمن ملكا معه كافر فيقول الملك للمؤمن يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار (وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء) أي يؤتى (بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب) وهذا لا ينافي قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب لأن الاجابة غير التبليغ وهي تحتاج الى تفصيل لا يحيط بكنهه الا علمه سبحانه بخلاف نفس التبليغ لانه من العلوم الضرورية البديهية (فتسأل أمته) أي أمة الدعوة (هل بلغكم) أي نوح رسالته (فيقولون ما جاءنا من نذير) أي منذر لا هو ولا غيره مبالغة في الانكار توهما أنه ينفعهم الكذب في ذلك اليوم عن الخلاص من النار ونظيره قول جماعة من الكفار والله ربنا ما كنا مشركين (فيقال) أي لنوح (من شهودك) وانما طلب الله من نوح شهداء على تبليغه الرسالة أمته وهو أعلم به اقامة للحجة وانافة لمنزلة أكابر هذه الامة (فيقول محمد وأمته) والمعنى ان أمته شهداء وهو مزك لهم وقدم في الذكر للتعظيم ولا يبعد انه صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد لنوح عليه الصلاة والسلام أيضا لانه محل النصرة وقد قال تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم) وفيه تنبيه نبيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاضر ناظر في ذلك العرض الاكبر فيؤتى بالرسل وأولهم نوح ويؤتى بشهوده وهم هذه الامة (فتشهدون) أي أنتم (انه) أي ان نوحا (قد بلغ) أي قومه رسالة ربه ونبيكم مزك لكم أو أنتم ونبيكم معكم تشهدون ففيه تغليب (ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) استشهادا بالآية الدالة على العموم في مادة الخصوص (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قيل أي عدولا وخيارا لانهم لم يغلوا غلو النصارى ولا قصروا تقصير اليهود في حق أنبيائهم بالتكذيب والقتل والصلب وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام تفسير الوسط بالعدل وفي النهاية يقال هو من وسط قومه أي خيارهم (لتكونوا شهداء على الناس) أي على من قبلكم من الكفار (ويكون الرسول) أي رسولكم واللام للعوض أو اللام للعهد والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم (عليكم شهيدا) أي مطلعا ورقيبا عليكم وناظرا لأفعالكم ومزكيا لأقوالكم قال الطيبي رحمه الله فان قلت كيف قال محمد وأمته وقد قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فقد فصل الشهادة ليفيد اختصاصهم بشهادته عليهم للزوم المضرة قلت الكلام وارد في مدح الامة فالغرض هنا انه يزكيهم ضمن شهد معنى رقب لان العدول تحتاج الى رقيب يحفظ أحوالهم ليطلع على باطنها ظاهرا وباطنا فيزكيهم ولما كانوا هم العدول من بين سائر الامم خصهم الله بكون الرسول عليهم شهيدا أي رقيبا مزكيا وهذا لا يدل على انه لا يشهد على سائر الامم مع ان مزكي الشاهد أيضا شاهد أقول الاظهر ان معنى الآية هو ان الامة يشهدون على الامم السابقة وانه صلى الله عليه وسلم يشهد على هذه الامة وان الانبياء بأجمعهم يشهدون على الكل والله سبحانه وتعالى أعلم ويؤيده ما أخرجه ابن جرير عن أبي سعيد في قوله لتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغوا ويكون الرسول عليكم شهيدا بما عملتم (رواه البخاري) وكذا الترمذي والنسائي وأحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الاسماء والصفات وأخرج سعيد بن منصور وأحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقي في البعث والنشور عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال من يشهد لك فيقول محمد وأمته فيدعى محمد وأمته فيقال لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال وما علمكم فيقولون جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا الآية وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر عن

رواه مسلم وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب فتسأل أمته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال من شهودك فيقول محمد وأمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم فتشهدون انه قد بلغ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا رواه البخاري

النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد الا ود أنه منا وما من نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه (وعن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما أضحك) فيه ايماء الى انه لا ينبغي الضحك الا لامر غريب وحكم عجيب (قال) أي جابر (قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرني) من الاجارة أي ألم تجعلني في اجارة منك بقولك وما ربك بظلام للعبيد (من الظلم) والمعنى ألم تؤمني من أن تظلم على (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (يقول) أي الله تعالى في جواب العبد (بلى قال فيقول فاني) أي فاذا أجرتني من الظلم فاني (لا أجيز) بالزاي المعجمة أي لا أجوز ولا أقبل (على نفسي الا شاهدا مني) أي من جنسي لان الملائكة شهدوا علي بالفساد قبل الايجاد (قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا) نصبه على الحال وعليك معموله تقدم عليه للاهتمام والاختصاص والباء زائدة في فاعل كفى واليوم ظرف له أو لشهيد (وبالكرام) أي وكفى بالعدول المكرمين (الكاتبين) أي لصحف الاعمال (شهودا) قال الطيبي رحمه الله فان قلت دل أداة الحصر على أن لا يشهد عليه غيره فكيف أجاب بقوله كفى بنفسك وبالكرام الكاتبين قلت بذل مسئوله وزاد عليه تأكيدا وتقريرا (قال فيختم) بصيغة المجهول (على فيه) أي فمه ومنه قوله تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وفي آية أخرى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وفي رواية أخرى شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وهذا معنى قوله (فيقال لاركانه) أي لاعضائه وأجزائه (انطقي قال فتنطق) أي الاركان (بأعماله) أي بافعاله التي باشرها بها وارتكبها بسببها (ثم يخلى) أي يترك (بينه وبين الكلام) أي يرفع الختم من فيه حتى يتكلم بالكلام المعتاد فشهادة ألسنتهم في الآية يرادبها نوع آخر من الكلام على خرق العادة والله تعالى أعلم به (قال فيقول) أي العبد (بعدا لكن وسحقا) بضم فسكون وبضم أي هلاكا وهما مصدران ناصبهما مقدر والخطاب للاركان أي أبعدن وأسحقن (فعنكن) أي من قبلكن ومن جهتكن ولاجل خلاصكن (كنت أناضل) أي أجادل وأخاصم وأدافع على ما في النهاية وقال شارح أي أخاصم لخلاصكن وانتن تلقين أنفسكن فيها والمناضلة المراماة بالسهام وأريد بها المحاجة بالكلام يقال تناضل فلان عن فلان اذا تكلم عنه بعذر ودفع قلت وجوابه محذوف دل عليه قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (رواه مسلم) وأخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقال هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقال أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقال احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ثم يدخلهم النار (وعن أبي هريرة قال قالوا) أي بعض الصحابة (يارسول الله هل نرى ربنا) الاستفهام للاستخبار والاستعلام (يوم القيامة) قيد به للاجماع على انه تعالى لا يرى في الدنيا لان الذات الباقية لا ترى بالعين الفانية (قال هل تضارون) بضم التاء وتفتح وتشديد الراء على انه من باب المفاعلة أو التفاعل من الضرر والاستفهام للتقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار والمعنى هل يحصل لكم تزاحم وتنازع يتضرر به بعضكم من بعض (في رؤية الشمس) أي لاجل رؤيتها أو عندها (في الظهيرة) وهي نصف النهار وهو وقت ارتفاعها وظهورها وانتشار ضوئها في العالم كله (ليست) أي الشمس (في سحابة) أي غيم (تحجبها عنكم قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤية أحدهما) قال النووي رحمه الله روي تضارون بتشديد الراء وتخفيفها والتاء مضمومة فيهما وفي الرواية الاخرى هل تضامون بتشديد الميم

وعن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل رواه مسلم

وعن أبي هريرة قال قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم الا كما تضارون في رؤية أحدهما

وتخفيفها فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضمها وفي رواية البخاري لا تضارون أو لا تضامون على الشك قال القاضي البيضاوي رحمه الله وفي تضارون المشدد من الضرر والمخفف من الضير أي تكون رؤيته تعالى رؤية جلية بينة لا تقبل مراء ولا مرية فيخالف فيها بعضكم بعضا ويكذبه كما يشك في رؤية احداهما يعني الشمس والقمر ولا ينازع فيها فالتشبيه انما وقع في الرؤية باعتبار جلائها وظهورها بحيث لا يرتاب فيها لا في سائر كيفياتها ولا في المرئي فانه سبحانه منزه عن الجسمية وعما يؤدي اليها وفي تضامون بالتشديد من الضم أي لا ينضم بعضكم الى بعض في طلب رؤيته لاشكاله وخفائه كما يفعلون في الهلال أو لا يضمكم شيء دون رؤيته فيحول بينكم وبينها وبالتخفيف من الضيم أي لا ينالكم ضيم في رؤيته فيراه بعض دون بعض بل يستوون فيها وأصله تضيمون فنقلت فتحة الياء الى الضاد فصارت ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها وكذلك تضارون بالتخفيف وأما المشدد فيحتمل أن يكون مبنيا للفاعل على معنى لا تضارون أي تتنازعون في رؤيته هذا وقال الطيبي قوله الا كما تضارون كان الظاهر أن يقال لا تضارون في رؤية ربكم كما لا تضارون في رؤية أحدهما ولكنه أخرج مخرج قوله

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

أي لا تشكون فيه الا كما تشكون في رؤية القمرين وليس في رؤيتهما شك فلا تشكون فيها البتة (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (فيلقى) أي الرب (العبد) أي عبدا من عباده (فيقول أي فل) بضم الفاء وسكون اللام وتفتح وتضم أي فلان ففي النهاية معناه يا فلان وليس ترخيما له لانه لا يقال الا بسكون اللام ولو كان ترخيما لفتحوها أو ضموها قالت وقيل فلا كما يقال سعي في سعيد قال سيبويه ليست ترخيما وانما هي صيغة ارتجلت في باب النداء وقد جاء في غير النداء قال * في لجة أمسك فلانا عن فل * بكسر اللام للقافية وانما قيل ليس مرخما لان شرط مثله أن يبقى بعد حذف النون والالف ثلاثة أحرف كمروان وقال قوم انه ترخيم فلان فحذفت النون للترخيم والالف لسكونها وتفتح اللام وتضم على مذهبي الترخيم (ألم أكرمك) أي ألم أفضلك على سائر الحيوانات (وأسودك) أي ألم أجعلك سيدا في قومك (وأزوجك) أي ألم أعطك زوجا من جنسك ومكنتك منها وجعلت بينك وبينها مودة ورحمة ومؤانسة وألفة (وأسخر لك الخيل والابل) أي ألم أذللها لك وخصتا بالذكر لانهما أصعب الحيوانات (وأذرك) أي ألم أذرك والمعنى ألم أدعك ولم أمكنك على قومك (ترأس) أي تكون رئيسا على قومك والجملة حال (وتربع) أي تأخذ رباعهم وهو ربع الغنيمة وكان ملوك الجاهلية يأخذونه لانفسهم (فيقول بلى) أي في كل أو في الكل (قال فيقول) أي الرب (أفظننت) أي أفعلمت (انك ملاقي) بضم الميم وتشديد الياء المحذوفة العائدة بحذف النون والثانية ياء المتكلم المضاف اليه (فيقول لا فيقول فاني قد أنساك) أي اليوم أتركك من رحمتي (كما نسيتني) أي في الدنيا من طاعتي قال الطيبي رحمه الله هو مسبب عن قوله أفظننت انك ملاقي يعني سودتك وزوجتك وفعلت بك من الاكرام حتى تشكرني وتلقاني لازيدك في الانعام وأجازيك عليه فلما نسيتني في الشكر نسيناك وتركناك جزاءك وعليه قوله تعالى كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ونسبة النسيان الى الله تعالى اما مشاكلة أو مجاز عن الترك (ثم يلقى) أي الرب (الثاني) أي من العبيد (فذكر مثله) أي قال الراوي ذكر صلى الله عليه وسلم في الثاني مثل ما ذكر في الاول من سؤال الله تعالى له وجوابه (ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني) أي يمدح الثالث على نفسه (بخير ما استطاع فيقول) أي الرب (ههنا اذا) بالتنوين قال الطيبي رحمه الله اذا جواب وجزاء والتقدير اذا أثنيت على نفسك بما أثنيت اذا فاثبت هنا كي نريك أعمالك باقامة الشاهد عليها وقال شارح أي يقول اذا تجزى بأعمالك ههنا وقال ابن الملك أي أقر الثالث بظنه لقاء الله تعالى وعد أعماله الصالحة فيقول ههنا اذا أي قف في هذا الموضع اذا ذكرت أعمالك حتى تحقق خلاف ما زعمت (ثم يقال الآن

قال فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى قال فيقول أفظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني قد أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فذكر مثله ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا ثم يقال له الآن نبعث شاهدا عليك ويتفكر في نفسه

نبعث شاهدا عليك ويتفكر) اي العبد الثالث (في نفسه من ذا الذي يشهد علي) حال تقديره يتفكر في نفسه قائلا من ذا الذي يشهد علي (فيختم على فيه) أي فمه (فيقال) وفي نسخة ويقال (لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه) اي المتعلقة بفخذه (بعمله وذلك) اي انطاق أعضائه وبعث الشاهد عليه وقال الطيبي رحمه الله أشار الى المذكور من السؤال والجواب وختم الفم ونطق الفخذ وغيره (ليعذر من نفسه) قال التوربشتي رحمه الله ليعذر على بناء الفاعل من الاعذار والمعنى ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة اعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسك به وقيل ليصير ذا عذر في تعذيبه من قبل نفس العبد (وذلك) أي العبد الثالث (المنافق وذلك الذي يسخط) بكسر الخاء اي غضب (الله عليه رواه مسلم وذكر حديث ابي هريرة يدخل من أمتي الجنة) صوابه على ما سبق يدخل الجنة من امتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون (في باب التوكل برواية ابن عباس) فكأن البغوي رحمه الله ذكر الحديث مكررا باسنادين أحدهما هنا عن أبي هريرة والآخر هنالك عن ابن عباس فحذف صاحب المشكاة ما هنا وأشار الى انه ذكر سابقا برواية ابن عباس تنبيها على ذلك فاندفع ما يتوهم من التدافع بين قوله حديث أبي هريرة وقوله برواية ابن عباس

(الفصل الثاني) (عن أبي أمامة) أي الباهلي (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي أن يدخل الجنة) من الادخال قوله (سبعين ألفا) والمراد به اما هذا العدد أو الكثرة قال الازهري سبعين في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة جمع السبع الذي يستعمل للكثرة ألا ترى انه لو زاد على السبعين لم يغفر لهم (لا حساب عليهم) أي لا مناقشة لهم في المحاسبة (ولا عذاب) أي بالاولى أو لا عذاب مما يترتب على الحساب (مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات) بفتح الحاء والمثلثة جمع حثية (من حثيات ربي) قال شارح الحثية والحثوة يستعمل فيما يعطيه الانسان بكفيه دفعة واحدة من غير وزن وتقدير ثم تستعار لما يعطى من غير تقدير واضافة الحثيات الى ربه تعالى للمبالغة في الكثرة قال صاحب النهاية الحثيات كناية عن المبالغة والكثرة والا فلا كف ثمة ولا حثي جل الله عن ذلك ثم قوله وثلاث مرفوع عطف على سبعون وهو أقرب وقيل منصوب عطفا على سبعين أي وان يدخل ثلاث قبضات من قبضاته أي عددا غير معلوم والمعنى يكون مع هذا العدد المعلوم عدد كثير غير معلوم أو المراد منه ما جمعه المبالغة في الكثرة قال الاشرف يحتمل النصب عطفا على قوله سبعين ألفا والرفع عطفا على قوله سبعون ألفا والرفع أظهر في المبالغة اذ التقدير مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات بخلاف النصب قال التوربشتي رحمه الله الحثية ما يحثيه الانسان بيديه من ماء أو تراب أو غير ذلك ويستعمل فيما يعطيه المعطي بكفيه دفعة واحدة وقد جيء به ههنا على وجه التمثيل وأريد بهم الدفعات أي يعطي بعد هذا العدد المنصوص عليه ما يخفى على العاد حصره وتعداده فان عطاءه الذي لا يضبطه الحساب أوفى وأربى من النوع الذي يتداخله الحساب قلت ويمكن حمله على التجلي الصوري والله أعلم بالصواب (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وعن الحسن) أي البصري (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس) أي على الله (يوم القيامة ثلاث عرضات) بفتحتين قيل أي ثلاث مرات فاما المرة الاولى فيدفعون عن أنفسهم ويقولون لم يبلغنا الانبياء ويحاجون الله تعالى وفي الثانية يعترفون ويعتذرون بأن يقول كل عملته سهوا أو خطأ أو جهلا أو رجاء ونحو ذلك وهذا معنى قوله (فاما عرضتان فجدال ومعاذير) جمع معذرة ولا يتم قضيتهم في المرتين بالكلية (وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف) كذا هو في سنن الترمذي وجامع الاصول وفي نسخ المصابيح تطاير أي تتطاير الصحف وهو بضمتين جمع الصحيفة وهو المكتوب وقال شارح للمصابيح تطاير الصحف اي تفرقها الى كل جانب فروايته بالمصدر وأما على رواية غيره فبالمضارع أي يسرع وقوعها (في الايدي) أي أيدي المكلفين جميعا (فآخذ بيمينه وآخذ بشماله) الفاء تفصيلية أي فمنهم آخذ بيمينه وهو من أهل السعادة ومنهم آخذ بشماله وهو من أهل الشقاوة فحينئذ تتم قضيتهم على وفق البداية ويتميز أهل الضلالة من أهل الهداية (رواه

من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه رواه مسلم وذكر حديث أبي هريرة يدخل من أمتي الجنة في باب التوكل برواية ابن عباس

(الفصل الثاني) عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وعن الحسن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطاير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله رواه

أحمد والترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر قال لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل

أحمد والترمذي وقال) أي الترمذي (لا يصح هذا الحديث من قبل) بكسر ففتح أي من جهة (أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة) أي فاسناده منقطع غير متصل لكن قال الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح ان البخاري أخرج في صحيحه الحسن عن أبي هريرة ثلاثة أحاديث وبينها قال وأما مسلم فلم يخرج للحسن عن أبي هريرة شيأ نقله ميرك أقول ولا يلزم من عدم اخراج مسلم حديثه عنه انه لا يصح اسناده اذ شرط البخاري وهو تحقق اللقي ولو مرة أقوى من شرط مسلم وهو مجرد وجود المعاصرة (وقد رواه) أي هذا الحديث (بعضهم) أي بعض المخرجين (عن الحسن عن أبي موسى) يعني فالحديث متصل من طريقه واعتضد باسناده فان المؤلف ذكر في أسماء رجاله أن الحسن روى عن الصحابة كأبي موسى وأنس بن مالك وابن عباس وغيرهم (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيخلص) بتشديد اللام أي يختار (رجلا من أمتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر) بضم الشين المعجمة أي فيفتح (عليه تسعة وتسعين سجلا) بكسرتين فتشديد أي كتابا كبيرا (كل سجل مثل مد البصر) أي كل كتاب منها طوله وعرضه مقدار ما يمتد اليه بصر الانسان (ثم يقول) أي الرب (أتنكر من هذا) أي المكتوب (شيأ) أي مما لا تفعله (أظلمك كتبتي) بفتحات جمع كاتب والمراد الكرام الكاتبون (الحافظون) أي لأعمال بني آدم (فيقول لا يارب) جواب لهما جميعا أو لكل منهما (فيقول أفلك عذر) أي فيما فعلته من كونه سهوا أو خطأ أو جهلا ونحو ذلك (قال لا يارب فيقول بلى) أي لك عندنا ما يقوم مقام عذرك (ان لك عندنا حسنة) أي واحدة عظيمة مقبولة تمحو جميع ما عندك قال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما واذا قال الله جل جلاله ولا اله غيره لشيء عظيم فهو عظيم وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه لئن كانت لي حسنة عند الله كفتني (وانه) أي الشان (لا ظلم عليك اليوم) لعله مقتبس من قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم أي بنقصان أجرك ولا بزيادة عقاب عليك بل لا حكم الا الله وهو اما بالعدل واما بالفضل (فتخرج) بصيغة المجهول أي فتظهر (بطاقة) بكسر الباء أي رقعة صغيرة تثبت فيها مقدار ما به ويجعل في الثواب ان كان عينا فوزنه أو عدده وان كان متاعا فثمنه أو قيمته وقيل سميت بذلك لانها تشد بطاقة من هدب الثوب فتكون الباء حينئذ زائدة وهي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر وروي بالنون وهو غريب (فيها) أي مكتوب في البطاقة (أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله) يحتمل أن الكلمة هي أول ما نطق بها واختلاف العلماء في أن الاقرار شرط الايمان أو شطره ويحتمل أن تكون غير تلك المرة مما وقعت مقبولة عند الحضرة وهو الاظهر في مادة الخصوص من عموم الامة (فيقول احضر وزنك) أي الوزن الذي لك أو وزن عملك أو وقت وزنك أو آلة وزنك وهو الميزان ليظهر لك انتفاء الظلم وظهور العدل وتحقق الفضل (فيقول يارب ما هذه البطاقة) أي الواحدة (مع هذه السجلات) أي الكثيرة وما قدرها بجنبها ومقابلتها (فيقول انك لا تظلم) أي لا يقع عليك الظلم لكن لا بد من اعتبار الوزن كي يظهر ان لا ظلم عليك فاحضر الوزن قيل وجه مطابقة هذا جوابا لقوله ما هذه البطاقة ان اسم الاشارة للتحقير كأنه أنكر أن يكون مع هذه البطاقة الحقيرة موازنة لتلك السجلات فرد بقوله انك لا تظلم بحقيرة أي لا تحقر هذه فانها عظيمة عنده سبحانه اذ لا يثقل مع اسم الله شيء ولو ثقل عليه شيء لظلمت (قال فتوضع السجلات في كفة) بكسر فتشديد أي فردة من زوجي الميزان ففي القاموس الكفة بالكسر من الميزان معروف ويفتح (والبطاقة) أي وتوضع (في كفة) أي في أخرى (فطاشت السجلات) أي خفت (وثقلت البطاقة) أي رجحت والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه وفي الدر أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة انه تلا هذه الآية يعني ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فقال لان تفضل حسناتي على سيآتي مثقال ذرة أحب الي من الدنيا وما فيها ثم هذا الحديث يحتمل أن تكون البطاقة وحدها غلبت السجلات وهو الظاهر المتبادر ويحتمل أن تكون مع سائر أعماله الصالحة ولكن الغلبة ما حصلت الا ببركة هذه البطاقة (فلا يثقل) بالرفع وفي بعض النسخ بالجزم لا يظهر وجهه بحسب

مع اسم الله شئ رواه الترمذى وابن ماجه وعن عائشة انها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل وعند الكتاب حين يقال هاؤم اقرؤا كتابيه حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله من وراء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهرى جهنم رواه أبو داود

(الفصل الثالث) عن عائشة قالت جاء رجل فقعد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصوننى وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم دون ذنبهم كان فضلا لك وان كان عقابك اياهم

المعنى أى فلا يرجح ولا يغلب (مع اسم الله شئ) والمعنى لا يقاومه شئ من المعاصى بل يترجح ذكر الله تعالى على جميع المعاصى قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيآت ولذكر الله أكبر فان قيل الاعمال أعراض لا يمكن وزنها وانما توزن الاجسام أجيب بأنه يوزن السجل الذى كتب فيه الاعمال ويختلف باختلاف الاحوال أو ان الله يجسم الافعال والاقوال فتوزن فتثقل الطاعات وتطيش السيآت لثقل العبادة على النفس وخفة المعصية عليها ولذا ورد حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (رواه الترمذى وابن ماجه وعن عائشة) رضى الله تعالى عنها (انها ذكرت) أى فى نفسها (النار) أى نار جهنم (فبكت) أى خوفا منها (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك) أى ما سبب بكائك (قالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا) أى بالخصوص وأما الشفاعة العظمى فهى عامة للخلائق كلها (عند الميزان) قال أهل الحق الميزان حق قال تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة يوضع ميزان يوم القيامة يوزن به الصحائف التى يكون مكتوبا فيها أعمال العباد وله كفتان احداهما للحسنات والاخرى للسيآت وعن الحسن له كفتان ولسان ذكره الطيبى رحمه الله (حتى يعلم) أى كل أحد (أيخف ميزانه أم يثقل) ظاهره انه يعم كل أحد ولا يستثنى منه نبى ولا مرسل (وعند الكتاب) أى تطايره أو عند عطائه (حين يقال) أى يقول من يعطى بيمينه (هاؤم) أى خذوا (اقرؤا كتابيه) تنازع فيه الفعلان والهاء للسكت لبيان ياء الاضافة (حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله من وراء ظهره) كذا فى سنن أبى داود وبعض نسخ المصابيح وفى أكثرها أو من وراء ظهره وفى جامع الاصول أم بدل أو والاول أولى وأوفق للجمع بين معنى الآيتين فأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا الكشاف قيل يغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره ويؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره كذا ذكره الطيبى رحمه الله (وعند الصراط اذا وضع بين ظهرى جهنم) أى وسطها وفوقها والمعنى حتى يعلم انه نجا بالمرور منها والورود عنها أو وقع وسقط وزل فيها قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا قال النووى رحمه الله مذهب أهل الحق انه جسر ممدود على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب أعمالهم ومنازلهم والآخرون يسقطون فيها أعاذنا الله الكريم والمتكلمون من أصحابنا والسلف يقولون انه أدق من الشعر وأحد من السيف وهكذا جاء فى رواية أبى سعيد (رواه أبو داود) قال السيد جمال الدين رحمه الله أى عن الحسن البصرى رحمه الله عن عائشة رضى الله عنها وهو منقطع

(الفصل الثالث) (عن عائشة قالت جاء رجل فقعد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى قدامه (فقال يا رسول الله ان لى مملوكين) بكسر الكاف أى مماليك وهو يحتمل الذكور والاناث ففيه تغليب (يكذبوننى) أى يكذبون فى أخبارهم لى (ويخونوننى) أى فى مالى (ويعصوننى) أى فى أمرى ونهيى (وأشتمهم) بكسر التاء ويضم ففى المصباح شتم من باب ضرب وفى القاموس من باب نصر أيضا أى أسبهم (وأضربهم) أى ضرب تأديب (فكيف أنا منهم) أى كيف يكون حالى من أجلهم وبسببهم عند الله تعالى (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك) أى مقدارها (وعقابك) عطف على ما خانوك أى ويحسب أيضا قدر شتمك وضربك اياهم (فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم) أى عرفا وعادة (كان) أى أمرك (كفافا) بفتح الكاف ففى القاموس كفاف الشئ كسحاب مثله ومن الرزق ما كف عن الناس وأغنى وفى النهاية الكفاف الذى لا يفضل عن الشئ ويكون بقدر الحاجة اليه وهذا هو الانسب بالمقام ولذا قال بيانا له (لا لك ولا عليك) أى ليس لك فيه ثواب ولا عليك فيه عقاب بل فعله مباح ليس عليك جناح (فان) وفى نسخة وان (كان عقابك اياهم دون ذنبهم) أى أقل منه (كان فضلا لك) أى عليهم وان قصدت الثواب تجزى به والا فلا (وان كان عقابك اياهم

فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تقرأ قول الله تعالى
ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فقال الرجل يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء شيأ خيرا من مفارقتهم أشهدك انهم كلهم أحرار رواه الترمذي وعنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته اللهم حاسبني حسابا يسيرا قلت يا نبي الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز عنه انه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك رواه أحمد وعن أبي سعيد الخدري انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني من يقوى على القيام يوم القيامة الذي قال الله عز وجل يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال يخفف على المؤمن حتى يكون عليه كالصلاة المكتوبة وعنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما طول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا رواهما البيهقي في كتاب البعث والنشور وعن أسماء بنت يزيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يحشر الناس في صعيد واحد يوم القيامة فينادي مناد فيقول أين الذين كانت تتجافى جنوبهم

فوق ذنوبهم) بالجمع هنا وبالافراد فيما سبق المراد منه الجنس تفنن في الكلام أي أكثر منها (اقتص) بصيغة المجهول أي أخذ بمثله (لهم) أي لاجلهم (منك الفضل) أي الزيادة (فتنحى الرجل) أي بعد عن المجلس (وجعل يهتف) بكسر التاء أي شرع يصيح ويبكي (فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أما تقرأ قول الله تعالى ونضع الموازين القسط) أي ذوات القسط وهو العدل (ليوم القيامة) أي في ذلك اليوم فاللام للتوقيت (فلا تظلم نفس شيأ) أي قليلا من الظلم (وان كان) أي العمل والظلم (مثقال حبة) أي مقدارها وهو بالنصب عند الجمهور على ان كان ناقصة ورفع مثقال على كان التامة (من خردل أتينا بها) أي أحضرناها والضمير للمثقال وتانيثه لاضافته الى الحبة (وكفى بنا حاسبين) اذ لا مزيد على علمنا وعدنا (فقال الرجل يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء) أي المملوكين قال الطيبي رحمه الله الجار والمجرور هو المفعول الثاني (شيأ) أي مخلصا (خيرا من مفارقتهم) أي من مفارقتي اياهم لان المحافظة على مراعاة المحاسبة والمطالبة عسر جدا (أشهدك انهم كلهم) بالنصب على التأكيد ويجوز رفعه على الابتداء والخبر قوله (احرار) ونظيره قوله تعالى قل ان الامر كله لله حيث قرئ بالوجهين في السبعة (رواه الترمذي وعنها) أي عن عائشة (قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في بعض صلواته) أي من الفرائض أو النوافل أو في بعض أجزائها من أول القيام أو الركوع أو القومة أو السجود أو القعدة (اللهم حاسبني حسابا يسيرا) وهذا اما تعليم للامة وتنبيه لهم عن نوم الغفلة واما تلذذ بما يقع له من هذه النعمة واما خشية له كما يقتضيه مقامه من معرفة رب العزة وذهوله عن مرتبة النبوة ومنزلة العصمة (قلت يا نبي الله ما الحساب اليسير قال أن ينظر) أي العبد (في كتابه فيتجاوز) بالرفع وينصب أي (الله عنه) وفي نسخة بصيغة المجهول فيهما (فانه) أي الشان (من نوقش الحساب) بالنصب على نزع الخافض أي في المحاسبة والمضايقة في المطالبة (يومئذ يا عائشة هلك) أي عذب ففي الصحاح المناقشة الاستقصاء وفي الحديث من نوقش في الحساب عذب وقد تقدم بعض طرقه (رواه أحمد) قال السيد وابن ماجه وأصله في صحيح البخاري قلت وفي الدر أخرجه أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه والحاكم وصححه (وعن أبي سعيد الخدري انه أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرني من يقدر أي يقوى على القيام) أي على الوقوف للحساب بين يدي الله (يوم القيامة الذي قال الله عز وجل) أي في حقه فالموصول صفة ليوم القيامة (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال الطيبي رحمه الله بدل من قوله ليوم عظيم أي يوم يتجلى سبحانه بجلاله وهيبته ويظهر سطوات قهره على الجبارين وروي ان ابن عمر قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا ولم يقدر على قراءة ما بعده (فقال يخفف) أي يوم القيامة (على المؤمن) أي الكامل أو المصلي (حتى يكون) أي طوله (عليه كالصلاة المكتوبة) أي كمقدار أدائها أو قدر وقتها والظاهر انه يختلف باختلاف أحوال المؤمنين كما أشار اليه سبحانه بقوله تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وبقوله فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير فهو مع انه على المؤمنين يصير يسيرا اما في الكمية واما في الكيفية واما فيهما جميعا حتى بالنسبة الى بعضهم يكون هو كساعة وهم من جعلوا الدنيا ساعة وكسبوا فيها طاعة (وعنه) أي عن أبي سعيد (قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما طول هذا اليوم) أي ما حال الناس في طول هذا اليوم فهل يستطيعون القيام فيه مع طوله (فقال والذي نفسي بيده انه) أي الشأن (ليخفف على المؤمن) أي الكامل (حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة) أي من أدائها أو قيامها (يصليها في الدنيا رواهما) أي الحديثين (البيهقي في كتاب البعث والنشور وعن أسماء بنت يزيد) أي ابن السكن بفتحتين (عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يحشر الناس في صعيد) أي مكان (واحد يوم القيامة فينادي) وفي نسخة فينادي (مناد فيقول أين الذين كانت تتجافى جنوبهم) أي تتنحى وتتباعد

عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يؤمر بسائر الناس الى الحساب رواه البيهقي في شعب الايمان

(باب الحوض والشفاعة)

(الفصل الاول) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فاذا طينه مسك أذفر رواه البخاري وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبدا متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي أبعد من أيلة

(عن المضاجع) وفي الاسناد مجاز ومبالغة لا تخفى اشارة الى قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم أي داعين ربهم عابدين له خوفا وطمعا أي من سخطه وفي رحمته أو من ناره وفي جنته ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون واختلف في المراد بهم فقيل هم المتهجدون وقيل هم الاوابون ويحتمل أن يراد بهم من يصلي العشاء والصبح في جماعة (فيقومون) أي فيظهرون القيام ويتميزون عن سائر الانام (وهم قليل) أي من أهل الاسلام قال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وقال عز وجل الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور (فيدخلون الجنة) يحتمل صيغتي الفاعل والمفعول (بغير حساب) لانهم صبروا على مرارة الطاعة وترك لذة الراحة وقد قال سبحانه انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (ثم يؤمر بسائر الناس الى الحساب) أي المحاسبة والمناقشة والعذاب (رواه البيهقي في شعب الايمان)

(باب الحوض والشفاعة)

قال القرطبي له صلى الله تعالى عليه وسلم حوضان أحدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا والكوثر في كلامهم الخير الكثير ثم الصحيح ان الحوض قبل الميزان فان الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيقدم الحوض قبل الميزان وكذا حياض الانبياء في الموقف قلت وفي الجامع ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة واني أرجو أن أكون أكثرهم واردة رواه الترمذي عن سمرة وقال الراغب الشفع ضم الشيء الى مثله ومنه الشفاعة وهو الانضمام الى آخر ناصرا له وسائلا عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة الى من هو أدنى منه والشفاعة في القيامة

(الفصل الاول) (عن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة اذا) بالالف (أنا بنهر) بفتح الهاء وبسكن أي جدول (حافتاه) بفتح الفاء أي جانباه وطرفاه (قباب الدر) بكسر القاف جمع قبة بالضم أي خيم اللؤلؤ (المجوف) الذي له جوف وفي وسطه خلاء يسكن فيه (قلت ما هذا يا جبريل) أي النهر المذكور على الوصف المسطور (قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك) اشارة الى قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر وهو فوعل من الكثرة والمراد منه الخير الكثير الذي أعطاه ربه من القرآن أو النبوة أو كثرة الامة أو سائر المراتب العلية ومنها المقام المحمود واللواء الممدود والحوض المورود ولا منافاة بل الكل داخل في الكوثر وان كان اشتهاره في معنى الحوض أكثر (فاذا طينه مسك أذفر) أي شديد الرائحة قال الطيبي رحمه الله أي طيب الريح والذفر بالتحريك يقع على الطيب والكريه ويفرق بينهما بما يضاف اليه ويوصف به (رواه البخاري وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضي) أي مقداره (مسيرة شهر وزواياه) جمع زاوية وهي الجانب والناحية أي أطراف حوضي (سواء) أي مربع مستو لا يزيد طوله على عرضه وقيل عمقه أيضا (ماؤه) استئناف بيان (أبيض من اللبن) قال النووي رحمه الله النحويون يقولون لا يبنى فعل التعجب وافعل التفضيل من الالوان والعيوب بل يتوصل اليه بنحو أشد وأبلغ فلا يقال ما أبيض زيدا ولا زيد أبيض من عمرو وهذا الحديث يدل على صحة ذلك وحجة على من منعوه وهي لغة وان كانت قليلة الاستعمال (وريحه أطيب من المسك وكيزانه) جمع كوز (كنجوم السماء) أي في الكثرة والنورانية (من يشرب) بالرفع وفي نسخة بالجزم قال الطيبي رحمه الله يجوز أن يكون مرفوعا على ان من موصولة ومجزوما على انها شرطية وقوله (منها) أي من كيزانه وفي رواية منه أي من الحوض أو من مائه (فلا يظمأ) برفع الهمز وقيل بالجزم أي فلا يعطش (أبدا) فيكون شربه في الجنة تلذذا كأكله تنعما لقوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى (متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان حوضي) أي بعد ما بين طرفي حوضي (أبعد من أيلة) بفتح فسكون

تحتية أي أزيد من بعد أيلة وهي بلدة على الساحل من آخر بلاد الشام مما يلي بحر اليمن (من عدن)
بفتحتين ينصرف ولا ينصرف وهو آخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند قال الطيبي رحمه الله من الأولى متعلقة
بأبعد والثانية متعلقة ببعد مقدر ثم التوفيق بين هذا الحديث وبين الخبر الآتي ما بين عدن وعمان وهو
بفتح المهملة وتشديد الميم اسم بلد بالشام وما بين صنعاء والمدينة ونحو ذلك بأن ذلك الإخبار على طريق
التقريب لا على سبيل التحديد وللتفاوت بين اختلاف أحوال السامعين في الإحاطة به علما قال القاضي
رحمه الله اختلاف الأحاديث في مقدار الحوض لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم قدره على سبيل التمثيل
والتخمين لكل أحد على حسب ما رواه وعرفه (لهو) بضم الهاء وسكن واللام للابتداء أي لحوضي
(أشد بياضا من الثلج) ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الثلج في أرض الشام (وأحلى) أي ألذ
(من العسل باللبن) أي المخلوط به (ولآنيته) جمع إناء أي ولظروفه من كيزانه وغيرها (أكثر
من عدد النجوم وإني لأصد) أي أدفع وأمنع (الناس) أي المنافقين والمرتدين (عنه) أي الحوض
(كما يصد الرجل) أي الراعي (إبل الناس) أي الأجانب (عن حوضه) أي صيانة عن المشاركة
والمخالطة (قالوا) أي بعض الصحابة (أتعرفنا) أي تميزنا من غيرنا (يومئذ قال نعم لكم سيما) بالقصر
وقد يمد وهو العلامة قال تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود (ليست) أي تلك السيما (لأحد
من الأمم) إذ المقصود التمييز بمنزلة العلم (تردون) بكسر الراء من الورود أي تمرون (علي غرا) جمع
الأغر وهو من في جبهته بياض (محجلين) بتشديد الجيم المفتوحة جمع محجل وهو الذي في يديه ورجليه
بياض (من أثر الوضوء) بضم الواو أي استعماله وفي نسخة بالفتح أي ماء الوضوء ونصبهما على الحال
والظاهر أن المراد بالسيما ما ذكر من الوصفين فهما من مختصات هذه الأمة وإن كان الخلاف موجودا
في كون الوضوء هل كان لسائر الأنبياء وأممهم أولا وإنما كان لهذه الأمة وقال بعضهم وكان أيضا للأنبياء
عليهم الصلاة والسلام دون أممهم وفي هذا فضيلة عظمى ومرتبة كبرى للأمة المرحومة (رواه مسلم)
أي عن أبي هريرة (وفي رواية) له أي لمسلم (عن أنس قال ترى) بصيغة المجهول (فيه) أي في حوضي
(أباريق الذهب والفضة) لعل اختلاف الوصفين باختلاف مراتب الشاربين من الأولياء والصالحين
(كعدد نجوم السماء) أي من كثرتها (وفي أخرى له) أي وفي رواية أخرى لمسلم (عن ثوبان قال
سئل) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما هو الظاهر من السياق (عن شرابه) أي صفة مشروبه
(فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت) بضم الغين المعجمة وتكسر وبتشديد الفوقية أي
يصب ويسيل (فيه) أي في الحوض (ميزابان) قال القاضي رحمه الله أي يدفق دفقا متتابعا دائما بقوة
فكأنه من ضغط الماء لكثرته عند خروجه وأصل الغت الضغط والميزاب بكسر الميم وقال الحافظ أبو موسى
بفتحها أيضا من وزب الماء أي سال فأصل ميزاب موزاب قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ولا يظهر
وجه فتح الميم ففي القاموس أزب الماء كضرب جرى ومنه الميزاب أو هو فارسي معرب أي بل الماء فعلى هذا
يجوز أن يهمز الميزاب وأن يبدل همزه ياء وقال أيضا وزب الماء سال ومنه الميزاب أو هو فارسي معرب
ومعناه بل الماء فعرب بالهمز ولهذا جمعوه مآزيب (يمدانه) بضم الميم وفي نسخة بضم الياء وكسر الميم
أي يزيدان الحوض في مائه (من الجنة) أي من أنهارها أو من الحوض الذي له في الجنة المعبر عنه بالنهر الكوثر
(أحدهما من ذهب والآخر من ورق) بكسر الراء وسكن أي من فضة والقصد بهما الزينة باختلاف لون
الأصفر والأبيض لا لكون الذهب عزيز الوجود هنالك قياسا على ما في الدنيا ويمكن أن يكون ميزاب الذهب
من نهر العسل وميزاب الفضة من نهر اللبن أو أحدهما من الماء والآخر من العسل أو اللبن يخلط به
في الحوض والله تعالى أعلم (وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إني فرطكم)
بفتحتين أي سابقكم ومقدمكم (على الحوض) قال النووي رحمه الله الفرط بفتح الفاء والراء وهو الفارط

من عدن لهو أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لأحد من الأمم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء رواه مسلم وفي رواية له عن أنس قال ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء وفي أخرى له عن ثوبان قال سئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني فرطكم على الحوض

الذي يتقدم الوراد يصلح لهم الحياض والدلاء والارشية وغيرها من أمور الاستقاء فمعناه انا سابقكم الى الحوض كالمهيئ لكم (من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا) قال القاضي عياض رحمه الله ظاهر هذا الحديث يدل على ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار (ليردن) من الورود أي ليمرن (على أقوام) أي جماعات (أعرفهم ويعرفونني) قيل لعل هؤلاء هم الذين ذكرهم حيث قال أصحابي (ثم يحال بيني وبينهم فأقول انهم مني) أي من أمتي أو من أصحابي (فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك) أي من الارتداد فان سائر المعاصي لا تمنع المؤمن من ورود الحوض والشرب من مائه ويدل عليه أيضا قوله (فأقول سحقا) بضم فسكون وبضمتين (سحقا) كرر للتأكيد أي بعدا وهلاكا ونصبهما على المصدر والجملة دعاء بالعذاب (لمن غير) أي دينه (بعدي) أي بعد موتي أو بعد قبول ديني والدخول في أمتي (متفق عليه وعن أنس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يحبس) أي يوقف (المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا) بصيغة المفعول أي يحزنوا (بذلك) أي بسبب ذلك الحبس وفي نسخة بفتح الياء وضم الهاء على بناء الفاعل وليس بشيء قال التوربشتي رحمه الله هو على بناء المجهول أي يحزنوا لما امتحنوا به من الحبس من قولهم أهمني الامر اذا أقلقك وأحزنك (فيقولون لو استشفعنا) أي ليت طلبنا أحدا ليشفع لنا (الى ربنا فيريحنا) أي يعطينا الراحة ويخلصنا (من مكاننا) قال الطيبي رحمه الله لو هي المتضمنة للتمني والطلب وقوله فيريحنا من مكاننا من الاراحة ونصبه بأن المقدرة بعد الفاء الواقعة جوابا للو والمعنى لو استشفعنا أحدا الى ربنا ليشفع لنا فخلصنا مما نحن فيه من الكرب والحبس قال في أساس البلاغة تشفعت له الى فلان وأنا شافعه وشفيعه واستشفعني اليه فشفعت له واستشفع بي قال الاعشى

مضى زمن والناس يستشفعونني * فهل لي الى ليلى الغداة شفيع

(فيأتون آدم) الظاهر ان المراد بهم رؤساء أهل الحشر لا جميع أهل الموقف (فيقولون) أي بعضهم (أنت آدم) هو من باب قوله * أنا أبو النجم وشعري شعري * وهو مبهم فيه معنى الكمال لا يعلم ما يراد منه ففسر بما بعده من قوله (أبو الناس خلقك الله بيده) أي بلا واسطة أو بقدرته الكاملة أو ارادته الشاملة (وأسكنك جنته) فيه ايماء الى حصول المآل ووصول المال وما تميل اليه النفس من حسن الحال (وأسجد لك ملائكته) أي سجود تحية وفيه اشارة الى كمال الجاه والعظمة (وعلمك أسماء كل شئ) فيه اشعار باعطاء الفضيلة العظمى والمرتبة الكبرى قال الطيبي رحمه الله وضع كل شئ موضع أشياء أي المسميات لقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها أي أسماء المسميات ارادة للتقصي أي واحدا فواحدا حتى يستغرق المسميات كلها (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا) أي هذا المكان العظيم والموقف الاليم (فيقول لست هناكم) قيل هنا اذا لحق به كاف الخطاب يكون للبعد من المكان المشار اليه فالمعنى انا بعيد من مقام الشفاعة قال القاضي البيضاوي أي يقول آدم عليه الصلاة والسلام لهم لست في المكان والمنزل الذي تحسبونني يريد به مقام الشفاعة وقال القاضي عياض رحمه الله هو كناية عن ان منزلته دون المنزلة المطلوبة قاله تواضعا واكبارا لما يسألونه قال وقد يكون فيه اشارة الى ان هذا المقام ليس لي بل لغيري قال العسقلاني رحمه الله وقد وقع في رواية فيقول لست لها وكذا في بقية المواضع وفي رواية ليست أصحاب ذلك وهو يؤيد الاشارة المذكورة (ويذكر خطيئته التي أصاب) أي اعتذارا من التقاعد والتأني عن الشفاعة والراجع الى الموصول محذوف أي التي أصابها وقوله (أكله من الشجرة) بالنصب بدلا من خطيئته أي يذكر أكله من الشجرة ذكره البيضاوي قال الطيبي رحمه الله ويجوز ان يكون بيانا للضمير المبهم المحذوف نحو قوله تعالى فسواهن سبع سموات (وقد نهي) أي آدم عليه الصلاة والسلام (عنها) أي عن الشجرة أو عن الخطيئة والجملة حال من المفعول (ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله الى الارض) استشكلت هذه الاولية بان آدم عليه السلام نبي مرسل وكذا شيث وادريس وغيرهم وأجيب

من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول انهم مني فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غير بعدي متفق عليه وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شئ اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهي عنها ولكن ائتوا نوحا أول نبي بعثه الله الى الارض

فيأتون نوحا فيقول لست هنا كم ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم

بأن لا أولية مقيدة بقوله أهل الارض ويشكل ذلك بحديث جابر في البخاري في التيمم وكان النبي يبعث خاصة الى قوم خاصة ويجاب بأن العموم لم يكن في أصل بعثة نوح وانما اتفق باعتبار حصر الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس انتهى وفيه نظر ظاهر لا يخفى وقيل ان الثلاثة كانوا أنبياء ولم يكونوا رسلا ويرد عليه حديث أبي ذر عند ابن حبان فانه كالصريح بانزال الصحف على شيث وهو علامة الارسال انتهى وفيه بحث اذ لا يلزم من انزال الصحف ان يكون المنزل عليه رسولا لاحتمال ان يكون في الصحف ما يعمل به بخاصة نفسه ويحتمل ان لا يكون فيه أمر ونهي بل مواعظ ونصائح تختص به فالاظهر ان يقال الثلاثة كانوا مرسلين الى المؤمنين والكافرين وأما نوح عليه السلام فانما أرسل الى أهل الارض وكلهم كانوا كفارا هذا وقد قيل هو نبي مبعوث أي مرسل ومن قبله كانوا أنبياء غير مرسلين كآدم وادريس عليهم الصلاة والسلام فانه جد نوح على ما ذكره المؤرخون قال القاضي عياض قيل ان ادريس هو الياس وهو نبي من بني اسرائيل فيكون متأخرا عن نوح فيصح ان نوحا أول نبي مبعوث مع كون ادريس نبيا مرسلا وأما آدم وشيث فهما وان كانا رسولين الا ان آدم أرسل الى بنيه ولم يكونوا كفارا بل أمر بتعليمهم الايمان وطاعة الله وشيثا كان خلفا له فيهم بعده بخلاف نوح فانه مرسل الى كفار أهل الارض وهذا أقرب من القول بان آدم وادريس لم يكونا رسولين وقد يقال انه أول نبي بعثه الله بعد آدم على ان شيثا كان خليفته فأوليته اضافية أو أول نبي بعثه من أولي العزم فالاولية حقيقية وهذا أوفق الاقوال وبه يزول الاشكال والله تعالى أعلم بالحال وفي شرح مسلم قال المازري قد ذكر المؤرخون ان ادريس جد نوح فان قام دليل على انه ارسل أيضا لم يصح انه قبل نوح لاخبار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن آدم عليه الصلاة والسلام ان نوحا أول رسول بعث بعده وان لم يقم دليل جاز ما قالوه وصح أن يحمل ان ادريس كان نبيا مرسلا قال القاضي عياض وقد قيل ان ادريس هو الياس وانه كان نبيا في بني اسرائيل كما جاء في بعض الاخبار فان كان هكذا سقط الاعتراض وبمثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما الى من معهما وان كانا رسولين فان آدم انما أرسل الى بنيه ولم يكونوا كفارا وكذلك شيث خلفه بعده بخلاف رسالة نوح الى كفار أهل الارض قال القاضي رحمه الله وقد رأيت أبا الحسن ذهب الى ان آدم ليس برسول الله ليسلم من هذا الاعتراض وحديث أبي ذر نص دال على ان آدم وادريس رسولان والله سبحانه وتعالى أعلم (فيأتون نوحا فيقول) انى على ما في نسخة (لست هنا كم) قال شارح أي لست في مكان الشفاعة وأشار بقوله هنا كم الى البعد من ذلك المكان وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض انما يقولونه تواضعا واكبارا لما يسألونه وقد يكون اشارة من كل واحد منهم الى ان هذه الشفاعة وهذا المقام ليس له بل لغيره وكل واحد منهم يدل على الآخر حتى ينتهي الامر الى صاحبه ويحتمل انهم علموا ان صاحبها محمد صلى الله تعالى عليه وسلم معينا ويكون احالة كل واحد منهم على الآخر لان تتدرج الشفاعة في ذلك الى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومبادرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك واجابته لرغبتهم لتحققه ان هذه الكرامة والمقام له خاصة قال الشيخ محيي الدين رحمه الله والحكمة في أن الله تعالى ألهمهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله تعالى وسلامه عليهم في الابتداء ولم يلهموا سؤال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اظهار الفضيلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانهم لو سألوه ابتداء لكان يحتمل ان غيره يقدر على هذا وأما اذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه فامتنعوا ثم سألوه فاجاب وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع المنزلة وكمال القرب وفيه تفضيله على جميع المخلوقين من الرسل الآدميين والملائكة المقربين فان هذا الامر العظيم وهي الشفاعة العظمى لا يقدر على الاقدام عليه غيره صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين (ويذكر) أي نوح عليه السلام (خطيئته التي أصاب يعني سؤاله ربه بغير علم) أي قوله ان ابني من أهلي الى آخره وكان سؤاله انجاء ابنه وكان غير عالم بانه لا يجوز هذا السؤال ولذا قال تعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس

لك به علم الى آخره قال الطيبي رحمه الله قوله سؤاله ربه بغير علم موقع سؤاله هنا موقع أكله في القرينة السابقة وقوله بغير علم حال من الضمير المضاف اليه في سؤاله أي صادرا عنه بغير علم و ربه مفعول سؤاله والمراد بالسؤال قوله ان ابني من أهلي وان وعدك الحق طلب ان ينجيه من الغرق والمراد من قوله بغير علم انه سأل ما لا يجوز سؤاله وكان يجب عليه ان لا يسأل كما قال تعالى فلا تسألن ما ليس لك به علم وذلك انه قال ان ابني من أهلي وان وعدك الحق أي وعدتني ان تنجي أهلي من الغرق وان ابني من أهلي فنجه فقيل له ما شعرت من المراد بالاهل وهو من آمن وعمل صالحا وان ابنك عمل غير صالح (ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فيأتون ابراهيم فيقول اني لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن) بالتخفيف أي قالهن كذبا قال البيضاوي رحمه الله احدى الكذبات المنسوبات الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام قوله اني سقيم وثانيتها قوله بل فعله كبيرهم هذا وثالثتها قوله لسارة هي أختي والحق انها معاريض ولكن لما كانت صورتها صورة الكذب سماها أكاذيب واستنقص من نفسه لها فان من كان أعرف بالله وأقرب منه منزلة كان أعظم خطرا وأشد خشية وعلى هذا القياس سائر ما أضيف الى الانبياء من الخطايا قال ابن الملك الكامل قد يؤاخذ بما هو عبادة في حق غيره كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين (ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله) استئناف تعليل وبيان والمعنى أعطاه (التوراة) وهي أول الكتب الاربعة المنزلة (وكلمه) أي بلا واسطة (وقربه نجيا) أي مناجيا له أو مناجى بناء على انه حال من الفاعل أو المفعول (قال فيأتون موسى فيقول اني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس) أي نفس القبطي وفي نسخة قتل النفس بغير ضمير (ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله) أضافه اليه تشريفا ولانه كان يحيي الموتى (وكلمته) أي خلق بأمر كن أو كلمته في دعوته كانت مستجابة (قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم) انما قال كذا مع ان خطيئته غير مذكورة لعله لاستحيائه من افتراء النصارى في حقه بانه ابن الله ونحو ذلك كذا ذكره ابن الملك في شرح المشارق (ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) أي فلم يكن له مانع من مقام الشفاعة العظمى قال النووي هذا مما اختلفوا في معناه قال القاضي قيل المتقدم ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمته بعدها وقيل المراد به ما وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم عن سهو وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري رحمه الله وقيل ما تقدم لابيه آدم عليه السلام وما تأخر من ذنوب أمته وقيل المراد انه مغفور له غير مؤاخذ بذنب لو كان وقيل هو تنزيه له من الذنوب (قال فيأتوني) بتشديد النون وتخفف كما في قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام أتحاجوني في الله وقد هدان (فأستأذن على ربي) أي فاطلب الاذن منه لاذهب مع الرب (في داره) أي دار ثوابه وهو الجنة وقيل ذلك تحت عرشه قال الطيبي رحمه الله أي فأستأذن في الدخول على دار ربي (فيؤذن لي عليه) أي في الدخول على الرب سبحانه قال التوربشتي رحمه الله تعالى اضافة دار الثواب الى الله تعالى هنا كاضافته في قوله تعالى لهم دار السلام عند ربهم على ان السلام من أسماء الله تعالى على أحد الوجهين واضافتها الى الله تعالى للشرف والكرامة والمراد بالاستئذان عليه ان يدخل مكانا لا يقف فيه داع الا استجيب ولا يقوم به سائل الا أجيب ولم يكن بين الواقف فيه وبين ربه حجاب والحكمة في نقله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن موقفه ذلك الى دار السلام لعرض الحاجة هي ان موقف العرض والحساب موقف السياسة ولما كان من حق الشفيع ان يقوم مقام كرامته فتقع الشفاعة موقعها أرشده صلى الله تعالى عليه وسلم الى النقلة عن موقف الخوف في القيامة الى موقف الشفاعة والكرامة وذلك أيضا مثل الذي يتحرى الدعاء في موقف الخدمة ليكون أحق بالاجابة قال القاضي عياض رحمه الله تعالى معناه فيؤذن لي في الشفاعة الموعود بها والمقام المحمود الذي أخره الله تعالى له فاعلمه انه يبعثه فيه (فاذا رأيته) أي بارتفاع الحجاب عني وفي المشارق فاذا أنا رأيته بزيادة أنا قال ابن الملك أي اني رأيتني وهذا التفات من التكلم الى الغيبة (وقعت ساجدا) أي خوفا منه واجلالا أو تواضعا له واذلالا

ولكن ائتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فيأتون ابراهيم فيقول اني لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول اني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتوني فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا

أو انبساطا له وادلالا (فيدعني) أي يتركني (ماشاء الله أن يدعني) أي في السجود ففي مسند أحمد انه يسجد قدر جمعة من جمع الدنيا كذا ذكره السيوطي رحمه الله في حاشية مسلم (فيقول ارفع) أي رأسك من السجود (محمد) أي يا محمد فانك صاحب المقام المحمود (وقل) أي ماشئت (تسمع) بصيغة المجهول أي يقبل قولك أو قل ما الهمك من الثناء لتسمع أي تجاب (واشفع) أي فيمن شئت (تشفع) بفتح الفاء المشددة أي تقبل شفاعتك (وسل) أي ما تريد من المزيد (تعطه) بهاء السكت وفي نسخة بالضمير أي تعط ما تسأل فالضمير راجع الى المصدر المفهوم من الفعل وهو بمعنى المفعول (قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه) بتشديد اللام أي يلهمنيه حينئذ ولا أدريه الآن (ثم أشفع) قال القاضي وجاء في حديث أنس وحديث أبي هريرة ابتدأ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد سجوده وحمده والاذن له في الشفاعة بقوله أمتي أمتي (فيحد) بضم الياء وفتح الحاء وفي نسخة بالعكس أي فيعين (لي حدا) وهو اما مصدر أو اسم أي مقدارا معينا في باب الشفاعة قال التوربشتي رحمه الله يريد انه يبين لي في كل طور من أطوار الشفاعة حدا أقف عنده فلا أتعداه مثل أن يقول شفعتك فيمن أخل بالجماعات ثم يقول شفعتك فيمن أخل بالجمعات ثم يقول شفعتك فيمن أخل بالصلوات ومثله فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنى وعلى هذا ليريه علو الشفاعة في عظم الذنب على مافيه من الشناعة (فأخرج) أي من دار ربي (فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة) قال الطيبي رحمه الله فان قلت دل أول الكلام على ان المستشفعين هم الذين حبسوا في الموقف وهموا وحزنوا لذلك فطلبوا ان يخلصهم من ذلك الكرب ودل قوله فاخرجهم من النار على انهم من الداخلين فيها فما وجهه قلت فيه وجهان أحدهما لعل المؤمنين صاروا فرقتين فرقة سار بهم الى النار من غير توقف وفرقة حبسوا في المحشر واستشفعوا به صلى الله تعالى عليه وسلم فخلصهم مما هم فيه وأدخلهم الجنة ثم شرع في شفاعة الداخلين في النار زمرا بعد زمر كما دل عليه قوله فيحد لي حدا الى آخره فاختصر الكلام وهو من جلية التنزيل وقد ذكرنا قانونا في فتوح الغيب في سورة هود يرجع اليه مثل هذا الاختصار قلت مراده انه ذكر الفرقة الثانية واقتصر على خلاصها لانه يفهم منها خلاص الفرقة الاولى بالاولى وقد يقال انه من باب الاكتفاء وثانيهما أن يراد بالنار الحبس والكربة وما كانوا به من الشدة ودنو الشمس الى رؤسهم وحرها والجامهم العرق وبالخروج الخلاص منها قلت وهذا القول وان كان مجازا لكنه الى حقيقة الامر أقرب والى أصل القضية أنسب فان المراد بهذه الشفاعة الكبرى وهي المعبر عنها بالمقام المحمود واللواء الممدود على ماقاله صلى الله تعالى عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ومجملها هذه الشفاعة هي الخلاص من الحبس والقيام والامر بالمحاسبة للانام وأما له صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا لغيره من الانبياء والاولياء والعلماء والشهداء والصالحين والفقراء بعد ذلك شفاعات متعددة في ادخال بعض المؤمنين الجنة بلا حساب وادخال بعضهم الجنة ولو استحقوا دخول النار واخراج بعضهم من النار وفي تخفيف عذاب بعضهم وفي ترقي درجات بعضهم في الجنة وأمثالها ولكن فيه انه لو أريد هذا المعنى لما كررت هذه القضية مرات على مالا يخفى اللهم الا أن يقال ينقسم أهل الموقف من المؤمنين العصاة على أقسام ثلاثة وقال ابن الملك تكون الشفاعة أقساما أولها للاراحة من الموقف وثانيها لادخالهم الجنة بغير حساب وثالثها عند المرور على الصراط ورابعها للاخراج من النار فذكر في الحديث القسمين وطوى الآخرين من البين والله تعالى أعلم (ثم أعود) أي أرجع الى دار ربي (الثانية) أي المرة الثانية (فاستأذن على ربي في داره) أي في دخولها (فيؤذن لي عليه) أي بالدخول عليه (فاذا رأيته) أي ذلك المكان أو رأيت ربي مع تنزيهه عن المكان وعن سائر صفات الحدثان (وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله ان يدعني) أي في مقام الفناء (ثم يقول) ردا الى حال البقاء (ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فاستاذن على ربي في

فيدعني ماشاء الله ان يدعني فيقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثانية فاستاذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله ان يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فاستاذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة

داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فاثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرج فاخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار) أي من هذه الامة (الا من قد حبسه القرآن) أي منعه من خروج النار بان أخبر انه مخلد في دار الفجار وهذا معنى قول الراوي للحديث عن أنس وهو قتادة من أجلاء التابعين (أي وجب عليه الخلود) أي دل القرآن على خلوده وهم الكفار ومعنى وجب أي ثبت وتحقق أو وجب بمقتضى اخباره تعالى فانه لا يجوز فيه التخلف أبدا (ثم تلا هذه الآية) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو أنس أو قتادة تذكرا أو استشهادا أو اعتضادا (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال) أي أنس وهو أنسب أو قتادة وهو أقرب ويحتمل ان فاعله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على بعد (وهذا المقام) مبتدأ وخبر موصوف بقوله (المحمود الذي وعده) أي الله سبحانه (نبيكم) وفي نسخة وعد نبيكم بصيغة المجهول وهذا على ان فاعل قال غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ظاهر لا اشكال وأما على القول بان القائل هو صلى الله تعالى عليه وسلم فتوجيهه انه وضع المظهر موضع المضمر وكان الاصل أن يقول وعد نبيه وقال الطيبي رحمه الله يحتمل أن يكون فاعل قال الراوي وان يكون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل التجريد تعظيما لشأنه والله سبحانه وتعالى اعلم (متفق عليه وعنه) أي عن أنس (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ماج) أي اختلط واضطرب (الناس بعضهم في بعض) أي داخلين فيهم أي مقبلين ومدبرين متحيرين فيما بينهم (فيأتون آدم) عليه السلام (فيقولون اشفع) أي لنا (الى ربك) ليأمر بالحساب ثم يجازي بالثواب أو العقاب (فيقول لست لها) أي لست كائنا للشفاعة ولاختصاصها قال الطيبي رحمه الله اللام فيه مثلها في قوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى الكشاف اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قوله أنت لهذا الامر أي كائن له ومختص به قال * أنت لها أحمد من بين البشر * وفي قوله انا لها وقوله ليس ذلك لك (ولكن عليكم بابراهيم) أي الزموه فالباء زائدة أو المعنى تشفعوا وتوسلوا به (فانه خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقول) أي بعد قولهم اشفع الى ربك فاختصر للعلم به أو قبل أن يذكروا هذا الامر بناء على كشف القضية عنه (لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله) أي وبناسبه الكلام في مرام هذه المقام (فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته) أي ذو روح ومستطابة وكلمته مستجابة (فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد) عليه السلام أي فانه خاتم النبيين وسيد المرسلين (فيأتوني) بتشديد النون ويخفف (فأقول أنا لها فاستأذن على ربي) أي على كلامه أو على دخول داره (فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها) أي حينئذ (لا تحضرني الآن فاحمده بتلك المحامد) وهي جمع حمد على غير قياس كمحاسن جمع حسن أو جمع محمدة (وأخر) بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء أي اسقط (له) أي لله تعالى أو لشكره (ساجدا) حال (فيقول يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول) أي بعد رفع الرأس أو في حال السجود (يارب أمتي أمتي) أي ارحمهم واغفر لهم يوم القيامة وتفضل عليهم بالكرامة وكرره للتأكيد أو أريد بهم السابقون واللاحقون (فيقال انطلق) أي اذهب (فاخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة) أي وزنها قال النووي رحمه الله والله تعالى أعلم بقدرها (من ايمان) ثم المثقال ما يوزن به من الثقل بفتحتين وهو اسم لكل سنج واختلاف العلماء في تأويله حسب اختلافهم في أصل الايمان والتأويل المستقيم هو ان يراد بالامر المقدر بالشعير والذرة والحبة والخردلة غير الشيء الذي هو حقيقة الايمان من الخيرات وهو ما يوجد في القلوب من ثمرات الايمان ولمعات الايقان ولمعان العرفان لان حقيقة الايمان الذي هو التصديق الخاص القلبي وكذا الاقرار المقرر اللساني لا يدخلها التجزي والتبعيض ولا الزيادة ولا النقصان على ما عليه المحققون وحملوا ما قاله غيرهم على الاختلاف اللفظي والنزاع الصوري (فانطلق) أي فاذهب (فافعل) أي

حتى ما يبقى في النار الا من قد حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود ثم تلا هذه الآية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون اشفع الى ربك فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم فانه خليل الرحمن فيأتون ابراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله فيأتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد فيأتوني فأقول أنا لها فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فاحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فاخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من ايمان فانطلق فافعل ثم أعود فاحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فاخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من ايمان فانطلق فافعل

ما أذن لي بالإخراج ممن عين و بين لي (ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة) وهي أقل الأشياء الموزونة وقيل هي الهباء الذي يظهر في شعاع الشمس كرؤس الإبر وقيل النملة الصغيرة (أو خردلة من إيمان) يحتمل أن يكون أو للتخيير أو للتنويع أو الشك (فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردلة من إيمان) وكرر أدنى ثلاثا للمبالغة في القلة (فأخرجه من النار فانطلق فأفعل ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله) أي ولو في عمره مرة بعد إقراره السابق فإنه من جملة عمله اللاحق وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ولإطلاق حديث من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فإنه يشمل دخوله أولا وآخرا قال الطيبي رحمه الله هذا يؤذن بأن ما قدر قبل ذلك بمثقال شعيرة ثم بمثقال حبة أو خردل غير الإيمان الذي يعبر به عن التصديق وهو ما يوجد في القلوب من ثمرة الإيمان وهو على وجهين أن يراد بالثمرة ازدياد اليقين وطمأنينة النفس لأن ظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقوته وإن يراد بها العمل وإن الإيمان يزيد وينقص بالعمل وينصر هذا الوجه حديث أبي سعيد بعده ذا يعني قوله ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من نار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط (قال) أي الله تعالى (ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله) قال القاضي رحمه الله أي ليس هذا لك وإنما أفعل ذلك تعظيما لاسمي وإجلالا لتوحيدي وهو مخصوص بعموم قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث أبي هريرة أسعد الناس بشفاعتي الحديث على ما سيأتي ويحتمل أن يجري على عمومه ويحمل على حال ومقام آخر قال الطيبي رحمه الله إذا فسرنا ما يختص بالله تعالى بالتصديق المجرد عن الثمرة وذكرنا أن ما يختص به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الإيمان مع الثمرة من ازدياد اليقين أو العمل فلا اختلاف وقال شارح من علمائنا المحققين المعنى ليس إخراج من قال لا إله إلا الله من النار لك أي إليك يعني مفوضا إليك وإن كان لك فيهم مكان شفاعة أو لسنا نفعل ذلك لأجلك بل لأنا حقاء بأن نفعله كرما وتفضلا ثم إنه يبين بهذا الحديث أن الأمر في إخراج من لم يعمل خيرا قط من النار خارج عن حد الشفاعة بل هو منسوب إلى محض الكرم موكول إليه والتوفيق بين هذا الحديث وحديث أبي هريرة أسعد الناس الخ أما على الأول فظاهر لأنه أخرجهم الله بشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وأما على المعنى الثاني فهو أن المراد بمن قال لا إله إلا الله في الحديث الأول هم الأمم الذين آمنوا بأنبيائهم لكنهم استوجبوا النار وفي الثاني هم من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم ممن خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا (متفق عليه وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه) أي لا يشوبه شك وشرك ولا يخالطه نفاق وسمعة ورياء (أو نفسه) شك من الراوي وقيل أسعد هنا بمعنى أصل الفعل وقيل بل على بابه وإن كل أحد يحصل له سعادة شفاعته لكن المؤمن المخلص أكثر سعادة فإنه صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع في إراحة الخلق من هول الموقف ويشفع في بعض الكفار كأبي طالب في تخفيف عذاب النار وقال الكرماني المراد وأسعد ممن لم يكن في هذه المرتبة من الإخلاص البالغ غايته والدليل على التأكيد ذكر القلب إذ الإخلاص محله القلب ففائدته التأكيد كما في قوله تعالى فإنه آثم قلبه وقال القاضي رحمه الله أسعد هنا بمعنى السعيد إذ لا يسعد بشفاعته من لم يكن من أهل التوحيد أو المراد بمن قال من لم يكن له عمل يستحق به الرحمة ويستوجب به الخلاص من النار فإن احتياجه إلى الشفاعة أكثر وانتفاعهم أوفر قال الطيبي رحمه الله قد سبق أن حلول شفاعته إنما هو في حق من أثر إيمانه إما مزيد طمأنينة أو عمل وتختلف مراتب اليقين والعمل فيكون التفضيل بحسب المراتب ولذلك أكد خالصا

ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله متفق عليه وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه

بقوله من قلبه أي خالصا كائنا من قلبه وقد علم ان الاخلاص معدنه ومكانه القلب فذكر القلب هنا تأكيد وتقرير كما في قوله تعالى فانه آثم قلبه الكشاف فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب أسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها أبلغ ألا تراك تقول اذا أردت التوكيد هذا مما أبصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي (رواه البخاري) وفي رواية الجامع خالصا مخلصا من قلبه ولم يذكر أو من نفسه (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال أتي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جيء (بلحم فرفع اليه الذراع وكانت) أي الذراع (تعجبه فنهس) بالمهملة وقيل بالمعجمة أي فأخذ بمقدم اسنانه (منها) أي من الذراع يعني مما عليها (نهسة) قال القاضي عياض رحمه الله أكثر الرواة رووه بالسين المهملة ورواه ابن هامان بالمعجمة والنهس بالمهملة الاخذ باطراف الاسنان وبالمعجمة الاخذ بالاضراس (ثم قال أنا سيد الناس) أي جميعهم من الانبياء وغيرهم (يوم القيامة) أي حيث يحتاجون الى شفاعتي ذلك اليوم لكرامتي عند الله تعالى فاذا اضطر واأتوا الى طالبين لشفاعتي لهم ويؤيده حديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر على ما رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد (يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال الطيبي رحمه الله بدل من قوله يوم القيامة وقال ابن الملك يحتمل ان يكون جواب سائل قال ما يوم القيامة قلت ويمكن ان يكون منصوبا باعني مقدرا أو مرفوعا بتقدير مبتدا محذوف هو هو وفتح يوم على الحكاية (وتدنو الشمس) أي تقرب من رؤس الناس (فيبلغ الناس) بالنصب أي فيلحقهم وفي نسخة بالرفع أي فيصلون (من الغم) أي من أجله وسببه (والكرب) وهو الهم الشديد الحاصل من القيام ودنو الشمس المترتب عليها الحر التام الموجب للعرق على وجه الاجسام (مالا يطيقون) أي مالا يقدرون على الصبر عليه فيجزعون ويفزعون (فيقول الناس) أي بعضهم لبعض (ألا تنظرون) أي ألا تتأملون ولا تتفكرون أولا تبصرون (من يشفع لكم الى ربكم) أي ليريحكم من هذا الهم والغم (فيأتون آدم عليه السلام وذكر) أي أبو هريرة أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حديث الشفاعة) أي بطوله كما سبق (وقال فانطلق) أي فاذهب (فآتي) بالمد أي فاجيء (تحت العرش) قيل وجه الجمع بينه وبين حديث أنس رضي الله تعالى عنه على ربي في داره ان يقال داره الجنة والجنة تحت العرش وقيل حديث أنس في الجنة وحديث أبي هريرة في الموقف (فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلي ثم قال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه) جملة مستأنفة (واشفع تشفع فارفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب) ثلاث مرات للتأكيد والمبالغة أو اشارة الى طبقات العصاة (فيقال يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم) أي من لا حساب عليهم (شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) أي ليسوا ممنوعين من سائر الابواب بل هم مخصوصون للعناية بذلك الباب (ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين) بكسر الميم أي البابين المضمومين على مدخل واحد (من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر) بفتحتين مصروفا وقد لا يصرف ففي الصحاح هجر اسم بلد مذكر مصروف وقال شارح هي قرية من قرى البحرين وقيل من قرى المدينة والاول هو المعول قال المظهر المصراعان البابان المغلقان على منفذ واحد والمصراع مفعال من الصرع وهو الالقاء وانما سمي الباب المغلق مصراعا لانه كثير الالقاء والدفع (متفق عليه وعن حذيفة في حديث الشفاعة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط) بفتحات أي بجانبيه (يمينا وشمالا) قال التوربشتي رحمه الله يريد بجنبتي الصراط ناحيتيه اليمنى واليسرى والمعنى ان الامانة والرحم لعظمة شأنهما وفخامة أمرهما مما يلزم العباد من

رواه البخاري وعنه قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال أنا سيد الناس يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون فيقول الناس ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيأتون آدم وذكر حديث الشفاعة وقال فانطلق فآتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلي ثم قال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فأقول أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال والذي نفسي بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر متفق عليه وعن حذيفة في حديث الشفاعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا

قلبه منه

ايمان فانطلق .

رعاية حقهما اعلان هذا المثلاثين والحائث والواصل والقاطع فيحاجان عن الحق الذي راعاه ما ويشهدان على المبطل الذي اضاعهما ليتميز كل منهما وقيل يرسل من الا تكلمين يحاج لهما وعنهما وفي الحديث حث على رعاية حقهما والاهتمام بامرهما وقال الطيبي رحمه الله ويمكن ان تحمل الامانة على الامانة العظمى وهي ما في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وصلة الرحم صلتهما الكبرى وهي ما في قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام فيدخل في الحديث معنى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وكأنهما اكتنفا جنبي الاسلام الذي هو الصراط المستقيم وقطاري الايمان والدين القويم (رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تلا قول الله تعالى في ابراهيم) عليه السلام أي في سورته أو ما كان في حقه (رب انهن) أي الاصنام (أضللن كثيرا من الناس) أي صرن سبب ضلال كثير منهم (فمن تبعني) أي في التوحيد والاخلاص والتوكل (فانه مني) أي من اتباعي واشياعي وتمامه (ومن عصاني فانك غفور رحيم) أي تغفر مادون الشرك لمن تشاء وترحمه بالتفضل على من تشاء أو تغفر للعاصي المشرك بان توفقه للايمان والطاعة في الدنيا وترحم عليه بزيادة المثوبة في العقبى (وقال عيسى عليه السلام) قال النووي رحمه الله هو مصدر يقال قال قولا وقالا وقيلا وقد أضاف الى عيسى عطفا على مفعول تلا أي تلا قول الله وقول عيسى (ان تعذبهم فانهم عبادك) وآخره (وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) أي لا يغلبك شيء فانك القوي القادر وتحكم بما تشاء فانت الحاكم الذي لا معقب لحكمه أو الحكيم الذي يضع الاشياء في موضعها ويتقن الافعال ويحسنها (فرفع) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يديه) أي كريمتيه (فقال اللهم أمتي أمتي) أي اللهم اغفر لامتي اللهم ارحم أمتي ولعل هذا وجه التكرار أو أريد به التأكيد أو قصد به الاولون والآخرون (وبكى) لانه تذكر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة الصادرة عن الخليل وروح الله فرق لامته (فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم) جملة معترضة حالية دفعا لما يوهمه قوله (فاسأله) بالهمز والنقل (ما يبكيك فاتاه جبريل فسأله فأخبره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما قال) أي بشيء قاله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من سبب البكاء وهو الخوف لاجل أمته (فقال الله لجبريل اذهب الى محمد فقل انا) أي بعظمتنا (سنرضيك) أي سنجعلك راضيا (في أمتك) أي في حقهم (ولا نسوءك) أي ولا نحزنك في حق الجميع بل ننجيهم ولاجل رضاك نرضيهم وهو في المعنى تأكيد اذ ربما يتوهم من سنرضيك نرضيك في حق البعض ولذا قال بعضهم ما رضي محمد وأحد من أمته في النار قال الطيبي رحمه الله لعله عليه الصلاة والسلام أتى بذكر الشفاعة التي صدرت عن النبيين عن الخليل بتقدير الشرط والصيغة الشرطية لان المعنى ان الاصنام أضللن كثيرا من الناس فمن تاب من عبادتهم وتبعني في التوحيد فانه متصل بي فاقبل شفاعتي فيهم فلا بد من تقدير تاب لانه مصحح الشفاعة في حق المشركين قلت انما يحتاج تقدير تاب في الشرطية الثانية وهي قوله ومن عصاني قال وعن روح الله كذلك لان الضمير في تغفر لهم راجع الى من اتخذه وأمه الهين من دون الله فيكون التقدير ان تغفر لهم بعد ما تابوا عن ذلك فانك غفور رحيم قلت لا يلائمه ما قبله وهو قوله ان تعذبهم فانهم عبادك مع ان هذا الكلام يصدر عنه يوم القيامة ولا يمكن تقديرا التوبة هنالك ثم الجزاء في الآية انما هو قوله فانك أنت العزيز الحكيم في كلام عيسى عليه الصلاة والسلام وأما قوله فانك غفور رحيم جزاء للشرطية الواقعة في كلام ابراهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم ثم قال وعقبه بقوله اللهم أمتي أمتي ليبين لهم الفرق بين الشفاعتين وبين ما بين المنزلتين وفيه ان هذا البيان يحتاج الى البرهان والتبيان فان العرض بطريق الكناية أبلغ من التصريح بالدعاء كما هو مقرر عند أرباب الفناء والبقاء وكذلك طريق التفويض وا تسليم والرضا بالقضاء ولا يظهر بيان للمدعى ولا تبيان للمعنى في قوله وتحريره ان قوله أمتي أمتي متعلق بمحذوف اما أن يقدر شفعني في أمتي

رواه مسلم وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني وقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك فرفع يديه فقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فاتاه جبريل فساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال فقال الله تعالى لجبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك

وارض نبيها أو أمتي ارحمهم وارضني بالشفاعة فيهم والحذف لضيق المقام وشدة الاهتمام قال ويحتاج أيضا هذا الكلام الى توضيح المرام قال وهذا يدل على الجزم والقطع فان الدعاء لا يكون بطريق القطع اذ لا حكم على الله سبحانه فما قال الطيبي يقين في الدعاء واحد وليس لهذا المقصد جاحد قال والتكرير لمزيد التقرير قلت قد تقدم وجوه أخر والاظهر انه من مستحبات الدعاء فان الالحاح من العبد في المسئلة لا ينافي الرضا بالقضاء قال ومن ثم أجيب في الحديث بقوله انا سنرضيك حيث اتى بان وضمير التعظيم وسين التأكيد ثم اتبعه بقوله لا نسوءك تقريرا بعد تقرير على الطرد والعكس وفي التنزيل ولسوف يعطيك ربك فترضى زيد لام الابتداء على حرف الاستقبال ولفظة ربك وجمع بين حرفي التأكيد والتأخير فيكون المعنى ولانت سوف يعطيك ربك وان تأخر العطاء وقوله وربك أعلم من باب التتميم صيانة عما لا ينبغي ان يتوهم فهو كقوله والله يعلم انك لرسوله في قوله تعالى قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قال النووي رحمه الله هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها بيان كمال شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته واعتنائه بمصالحهم واهتمامه في أمرهم ومنها البشارة العظيمة لهذه الامة المرحومة بما وعده الله تعالى بقوله سنرضيك في أمتك ولا نسوءك وهذا من أرجى الاحاديث لهذه الامة ومنها بيان عظم منزلة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عند الله تعالى والحكمة في ارسال جبريل عليه الصلاة والسلام لسؤاله صلى الله تعالى عليه وسلم اظهار الشرفه وانه بالمحل الاعلى فيرضى ويكرم (رواه مسلم) وكذا البخاري والنسائي ذكره السيد (وعن أبي سعيد الخدري ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم) أي ترون ربكم ذكر السيوطي رحمه الله في بعض تعاليقه ان رؤية الله تعالى يوم القيامة في الموقف حاصلة لكل أحد من الرجال والنساء حتى قيل للمنافقين والكافرين أيضا ثم يحجبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة وأقول وفيه بحث لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما يأتي حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله أتاهم رب العالمين ولان لذة النظر ولو مرة تنسي كل محنة وشدة بل يرتفع به كل حسرة اذ من المعلوم ان النظر لا يوجد دائما لاهل الجنة أيضا قال وأما الرؤية في الجنة فاجمع أهل السنة على انها حاصلة للانبياء والرسل والصديقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الامة وفي نساء هذه الامة ثلاث مذاهب لا يرين ويرين ويرين في مثل أيام الاعياد دون غيرها وفي الملائكة قولان لا يرون ربهم ويرونه وفي الجن أيضا خلاف (هل تضارون) بضم التاء وفتحها مع تشديد الراء وتخفيفها قال شيخنا المرحوم مولانا عبد الله السندي ففيه أربعة أوجه لكن فيه نظر لان ضم التاء مع التشديد ظاهر لانه من باب المفاعلة مع احتمال بنائه للفاعل أو المفعول وكذلك فتح التاء مع التشديد فانه من باب التفاعل على حذف احدى التائين وهو يتعين ان يكون بصيغة الفاعل وأما ضم التاء مع تخفيف الراء فيبنى على انه للمجهول من ضاره يضيره أو يضوره على ما في القاموس بمعنى ضره وأما فتح التاء مع الراء المخففة فلا وجه له بحسب القواعد العربية والمعنى هل تتدافعون وتتزاحمون أيحصل لكم ضرر (في رؤية الشمس بالظهيرة) أي وقت انتصاف النهار (صحوا) أي حين لا سحاب ولا غبار من أصحت السماء اذا خلت من الغيم كذا ذكره شارح وفي القاموس الصحو ذهاب الغيم فقوله (ليس معها سحاب) تأكيد والمراد بالسحاب الحجاب أعم من ان يكون من جانب الرائي أو من جانب المرئي ثم أكد ثالثا وأظهر مثالا آخر بقوله (وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها) أي في السماء بقرينة المقام وان لم يجر لها ذكر أو في جهة رؤية القمر من السماء (سحاب) أي مانع وحجاب (قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة) أريد به الموقف وما بعده من دخول الجنة (الا كما تضارون في رؤية أحدهما) وفيه مبالغة وتعليق بالمحال أي لو كان في رؤية أحدهما مضارة لكان في رؤيته مضارة والتشبيه انما هو لمجرد الظهور وتحقق الرؤية مع التنزه عن صفات الحدوث من نحو المقابلة

رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما

والجهة ولعل ذكر الشمس والقمر للاشعار بأن رؤية الله حاصلة للمؤمنين في الليل والنهار على غاية من الظهور ونهاية من الانوار وايماء الى تفاوت التجلي الرباني بالنسبة الى الابرار (اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن) أى نادى مناد (ليتبع) بتشديد التاء المفتوحة وكسر الموحدة وفى نسخة بالسكون والفتح أى ليعقب (كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام) بيان غير الله (والانصاب) جمع نصب بفتح النون وضمها وسكون الصاد وبضمهما وهى حجارة كانت تنصب وتعبد من دون الله تعالى ويذبحون عليها تقربا الى آلهتهم وكل ما نصبوا واعتقدوا تعظيمه من الحجر والشجر فهو النصب (الا يتساقطون فى النار) لان الانصاب والاصنام ملقاة فيها (حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله) أى وحده (من بر) أى مطيع صالح (وعاص) أى فاجر فاسق (أتاهم رب العالمين) أى أتاهم أمره كما أشار اليه بقوله (قال) أى الرب (فماذا تنتظرون) أى تنتظرون ويجوز أن يعبر بالاتيان عن التجليات الالهية والتعريفات الربانية بل قيل هو القول الحق وهو بالاعتبار أولى وأحق وقيل الاتيان هنا عبارة عن رؤيتهم اياه لان من غاب عن غيره لا يمكن رؤيته الا بعد الاتيان فعبر بالاتيان عن الرؤية مجازا وقيل الاتيان فعل من أفعال الله سبحانه سماه اتيانا وقيل المراد اتيان بعض الملائكة قال القاضى عياض رحمه الله وهذا الوجه أشبه عندى بالحديث أو يكون معناه يأتيهم الله فى صورة الملائكة مخلوقاته التى لا تشبه صفات الاله ليختبرهم فاذا قال لهم الملك أو هذه الصورة أنا ربكم ورأوا عليه من علامة المخلوق ينكرونه ويعلمون انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه وقيل الرؤية حقيقة غير أنا لا نكيف ذلك وقيل كنه معرفتها الى علم الله تعالى وقال التوربشتى رحمه الله اتيان الله فى الكتاب مفسر باتيان أمره واتيان بأسه ولفظ التنزيل يحتمل كلا القولين فاما هذا الحديث فانه يؤول على اتيان أمره وهو قوله فماذا تنتظرون ومن السلف من تنزه عن تأويله خشية الطامع تمسكه بعروة الوثقى وهى تنزيه الله تعالى عن الاتصاف بما تحدث به النفوس من أوصاف الخلق قال الشيخ الامام أبو الفتوح العجلى فى كتاب الاقاويل المشهورة قال البيهقى قد تكلم الشيخ أبو سليمان الخطابى رحمه الله فى تفسيره هذا الحديث وتأويله بما فيه الكفاية قال ان هذا موضع يحتاج الكلام فيه الى تأويل وتخريج وليس ذلك من أجل انا ننكر رؤية الله سبحانه وتعالى بل نثبتها ولا من أجل أنا ندفع ما جاء فى الكتاب والسنة من ذكر المجىء والاتيان غير انا لا نكيف ذلك ولا نجعله حركة وانتقالا كمجىء الاشخاص واتيانها فان ذلك من نعوت الحادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ويجب ان يعلم ان الرؤية التى هى ثواب الاولياء وكرامة لهم فى الجنة غير هذه الرؤية المذكورة فى مقامهم واحتج بحديث صهيب فى الرؤية يعنى كما سيجىء فى باب رؤية الله تعالى وانما تعرضهم لهذه الرؤية امتحان من الله تعالى لهم فيقع بها التمييز بين من عبد الله تعالى وبين من عبد الطواغيت ليتبع كل من الفريقين معبوده وليس ينكر أن يكون الامتحان اذ ذاك بعد قائما وحكمه على الخلق جاريا حتى يفرغ من الحساب ويقع الجزاء بما يستحقونه من الثواب أو العقاب ثم ينقطع اذا حقت الحقائق واستقرت أمور العباد قرارها الا ترى الى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون وجاء فى الحديث ان المؤمنين يسجدون ويصير ظهور المنافقين طبقا واحدا قال ويخرج معنى اتيان الله فى هذا اياهم انه يشهدهم رؤيته ليتيقنوه فيكون معرفتهم له فى الآخرة عيانا كما كان اعترافهم بربوبيته فى الدنيا علما واستدلالا ويكون طريق الرؤية بعد ان لم يكن بمنزلة اتيان الآتى من حيث لم يكونوا شاهدوه ثم قوله فماذا تنتظرون أى فما لكم لم تتبع كل أمة ما كانت تعبد فيعضكم اتبع ما عبده ولم أنتم أيضا لا تتبعونه وهذا معنى قوله (تتبع كل أمة ما كانت تعبد) فان لفظه خبر ومعناه أمر (قالوا يا ربنا فارقنا الناس) أى الذين عبدوا غير الله ضلالا عن أن نعبد ما سواه فى الدنيا والمعنى ما اتبعناهم ما دمنا فى الدنيا (أفقر ما كنا اليهم) بالنصب على الظرفية أى فى أفقر أكواننا الى الناس (ولم نصاحبهم) أى فى أفعالهم بل قاتلناهم وحاربناهم وعاديناهم وقاطعناهم لمرضاتك

اذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين قال فماذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم

ورجاء لتجليا لك وحاصله انما اتبعناهم حينئذ والامر غيب عنا ونحن محتاجون اليهم فكيف نتبعهم الآن وقت العيان انهم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم قال الطيبي رحمه الله أفقر حال من ضمير فارقنا وما مصدرية والوقت مقدر قال النووي رحمه الله معناه انهم تضرعوا الى الله تعالى ولجؤا اليه وتوسلوا بهذا القول المشعر بالاخلاص الى الخلاص يعني ربنا فارقنا الناس في الدنيا الذين زاغوا عن طاعتك من الاقرباء ومن يحتاج اليهم في المعاش والمصالح الدنيوية وهكذا كان دأب الصحابة ومن بعدهم من المؤمنين في جميع الازمان فانهم كانوا يقاطعون من حاد الله ورسوله مع حاجتهم اليه وآثروا رضا الله تعالى على ذلك (وفي رواية أبي هريرة فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا) أي يتجلى علينا بوجه نعرفه (فاذا جاء ربنا) أي على ما عرفناه من انه منزه عن الصورة والكمية والكيفية والجهة وامثالها (عرفناه) أي حق المعرفة قيل يشبه والله تعالى أعلم أن يكون انما منعهم من تحقق الرؤية في الكرة الاولى حتى قالوا هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا من أجل من معهم من المنافقين لا يستحقون الرؤية وهم عن ربهم محجوبون فلما ميزوا عنهم ارتفع الحجاب فقالوا عندما رأوه أنت ربنا وهذا معنى قوله (وفي رواية أبي سعيد فيقول هل بينكم وبينه) أي بين ربكم (آية) أي علامة (تعرفونه) أي بتلك الآية وهي المعرفة والمحبة التي هي نتيجة التوحيد وثمرة الايمان والتصديق (فيقولون نعم فيكشف عن ساق) بصيغة المجهول وقيل على بناء الفاعل قيل معنى كشف الساق زوال الخوف والهول (فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه) أي من نحوها وجهتها خالصا لا لجهة اتقاء الخلق وتعلق الرجاء بهم (الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء) أي احترازا من السيف أو خوفا من الناس (ورياء) أي مراياة ومسامعة للخلق (الا جعل الله ظهره طبقة واحدة) وفي شرح مسلم للنووي رحمه الله قوله طبقة واحدة أي صفحة أي صار فقار ظهره واحدة كالصفحة (كلما أراد أن يسجد خر) أي سقط (على قفاه) قال الشيخ رحمه الله والذي يوضح ما ذكره الامام أبو سليمان أن الدنيا وان كانت دار ابتلاء فقد يتحقق الجزاء في بعض الاحوال كما قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فكذا الآخرة وان كانت دار جزاء فقد يقع بها الابتلاء أي بالتجلي والسجود ونحوهما بدليل أن القبر وهو أول منزل من منازل الآخرة يجري فيه الابتلاء ثم قال فان كان معنى الخبر هذا فذاك والا فعلمه ما أراده صلى الله تعالى عليه وسلم مع تنزيه الله تعالى عن كل مماثلة ومشابهة وقال النووي رحمه الله هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده وقد استدل بهذا وبقوله تعالى يدعون الى السجود فلا يستطيعون على جواز تكليف ما لا يطاق أقول الاظهر ما قال العسقلاني من أن التحقيق هو أن التكليف خاص بالدنيا وأما ما يقع في القبر وفي الموقف فانما هو من آثار ذلك قال النووي رحمه الله وقد يتوهم من هذا الحديث ان المنافقين يرون الله تعالى وانما فيه ان الجمع الذي فيهم المؤمنون والمنافقون يرون الله تعالى ثم يمتحن بالسجود فمن سجد كان مخلصا ومن لم يقدر عليه كان منافقا وهذا لا يدل على ان المنافقين يرون الله تعالى (ثم يضرب) أي يجعل ويمد (الجسر) بكسر الجيم ويفتح ففي القاموس الجسر الذي يعبر عليه ويكسر والمعنى موضع الصراط كما في رواية (على جهنم) أي متنها أو وسطها (وتحل الشفاعة) بكسر الحاء ويضم أي تقع ويؤذن فيها (فيقولون) أي الانبياء والرسل بدليل حديث أبي هريرة بعد هذا (اللهم سلم سلم) تكراره مرتين المراد به الكثرة أو باعتبار كل واحد من أهل الشفاعة أو للالحاح في الدعاء كما هو من آدابه وهو أمر مخاطب أي يقول كل نبي اللهم سلم أمتي من ضرر الصراط اللهم اجعلهم سالمين من آفاته آمنين من مخافاته (فيمر المؤمنون كطرف العين) وفي المصابيح كطرفة العين قال شارحه التاء للوحدة يقال طرف طرفا اذا أطبق أحد جفنيه على الآخر (وكالبرق وكالريح وكالطير) أي بحسب مقاماتهم وعلى قدر حالاتهم من أنواع الجذبة وقوة الطيران وسرعة الجريان المعبر عنه بقوله (وكأجاويد الخيل) هي جمع أجواد وهو جمع جواد وهو الفارس السابق الجيد كذا في النهاية بجواد نعت من

وفي رواية أبي هريرة فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه وفي رواية أبي سعيد فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل

جادا إذا أسرع في السير وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف وقوله (والركاب) بكسر الراء عطف على الخيل والمراد بها الإبل ولا واحد له من لفظه (فناج) الفاء للتفريع أو التفصيل وقد قسم المارة على الصراط بطريق الإجمال على ثلاث فرق بحسب مراتبهم في العقيدة والعمل والمعرفة والمعنى فمنهم ناج (مسلم) بتشديد اللام المفتوحة أي يجوزون العذاب ولا يناله مكروه من ذلك الباب (ومخدوش) أي ومنهم مجروح (مرسل) أي مخلص قال شارح أي الذي يخدش بالكلوب فيرسل إلى النار من عصاة أهل الإيمان وقوله مرسل أي مطلق من القيد والغل بعد أن عذب أمدة (ومكدوس) بالسين المهملة أي ومنهم مدفوع (في نار جهنم) يقال كدس إذا دفع من ورائه فسقط وهم الذين لا منجا ولا ملجأ لهم المقضيون بالخلود عليهم كذا قاله شارح وهو غير صحيح لقوله عليه الصلاة والسلام ويمر المؤمنون اللهم إلا أن يقال قوله فناج عطف على قوله فيمر لأنه تفريع له والضمير في منهم المقدر راجع إلى جميع المارة على الجسر وروي بالشين المعجمة من كدشه إذا ساقه سوقا شديدا وخدشه وجرحه وطرده وروي مكدوش أي ملقى في نار جهنم قال النووي رحمه الله مكدوس بالسين المهملة هكذا هو في الأصول وكذا نقله القاضي عياض عن أكثر الرواة قال ورواه العذري بالشين المعجمة ومعناه بالمعجمة السوق الشديد وبالمهملة كون الأشياء بعضها راكبة على بعض ومنه تكدست الدواب في سيرها إذا ركب بعضها بعضا وفي النهاية مكدوس في النار أي جمعت يداه ورجلاه وألقي فيها قال الطيبي رحمه الله قسم المارة على الصراط من المؤمنين على ثلاث فرق قسم مسلم فلا يناله شيء أصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم وخدش الجلد قشره بعود (حتى إذا خلص) بفتح اللام أي نجا (المؤمنون من النار) أي من وقوعهم فيها فحتى غاية لمرور البعض على الصراط وسقوط البعض في النار وقال الطيبي رحمه الله حتى غاية قوله مكدوس في نار جهنم أي يبقى المكدوس في النار حتى يخلص بعد العذاب بمقدار ذنبه وبشفاعة أحد أو بفضله سبحانه وضع المؤمنون موضع الراجع إلى المكدوس إشعارا بالعلية وأن صفة الإيمان منافية للخلود في النار (فوالذي نفسي بيده) جواب إذا (ما من أحد منكم) خطاب للمؤمنين وقوله (بأشد) خبر ما وقوله (مناشدة) منصوب على التمييز أي أشد مطالبة ومناظرة وقوله (في الحق) ظرف للمناشدة (وقد تبين لكم) صفة للحق لأنه في المعنى نكرة أي في حق قد تبين وظهر لكم على خصمكم أو حال إما من الضمير في أشد وإما من الحق وقال شارح حال من الحق والتقدير ما من أحد منكم بأشد مناشدة في حال أن تبين لكم الأمر الحق وقوله (من المؤمنين) متعلق بأشد أي بأشد مناشدة منكم فوضع المظهر موضع المضمر وقوله (لله) متعلق بمناشدة وقوله (يوم القيامة) ظرف أشد أي يناشدون الله (لإخوانهم) أي لأجل إخوانهم (الذين في النار) بالشفاعة من الجبار الغفار قال النووي رحمه الله معناه ما منكم من أحد يناشد الله في الدنيا في استيفاء حقه واستقصائه وتحصيله من جهة خصمه والمعتدي عليه بأشد منكم مناشدة لله تعالى في الشفاعة لإخوانكم يوم القيامة وقال شارح من علمائنا معناه ما من أحد منكم أكثر اجتهادا ومبالغة في طلب الحق حين ظهر لكم الأمر الحق من المؤمنين في طلب خلاص إخوانهم العصاة في النار من النار يوم القيامة ثم بين مناشدتهم بقوله (يقولون ربنا كانوا يصومون معنا) أي موافقين لنا (ويصلون) أي صلاتنا (ويحجون) أي على طريقتنا (فيقال لهم أخرجوا من عرفتم) أي بهذه الأوصاف (فتحرم) بفتح الراء المشددة أي فتمنع (صورهم) أي تغيرها (على النار) أي بأن تأكلها أو تسودها بحيث لا تعرف وجوههم فيعرفهم المؤمنون الشافعون بسيماهم (فيخرجون خلقا كثيرا) أي منها ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به) أي بإخراجه من أرباب الصيام والصلاة والحج (فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار) أي مقداره (من خير فأخرجوه) في شرح السنة قال القاضي عياض رحمه الله قيل معنى الخير هنا اليقين قال والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزى وإنما يكون هذا التجزي

والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه

بشئ زائد عليه من عمل صالح أو ذكر خفي أو عمل من أعمال القلب من الشفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى ونية صادقة (فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه نصف مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر) أي لم نترك (فيها) أي في جهنم (خيرا) أي أهل خير قال الطيبي رحمه الله أي من كان فيه شئ من ثمرات الايمان من ازدياد اليقين أو العمل الصالح فوضع الخير موضع الذات كما وضع العدل موضعه مبالغة أي فيقال رجل عدل وأريد به المعنى المصدري مبالغة على أن المعنى كأنه هو بل هو هو مع انه قد يقال ان العدل مصدر بمعنى العادل أو على تقدير مضاف أي صاحب عدل نحو قوله واسئل القرية والله تعالى أعلم (فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق) أي أحد ممن يرحم على أحد (الا أرحم الراحمين) أي الذي رحمته وسعت كل شئ وان رحمة كل أحد في جنب أثر رحمته كلا شئ (فيقبض قبضة) أي ما يسع الكف (من النار) أي من أهلها (فيخرج) أي الله (منها) أي من النار أو من جهة تلك القبضة (قوما لم يعملوا خيرا قط) أي ليس لهم خير زائد على مجرد الايمان قال النووي هم الذين معهم مجرد الايمان ولم يؤذن فيهم بالشفاعة وتفرد الله تعالى بعلم ما تكنه القلوب بالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان وفيه دليل على انه لا ينفع من العمل الا ما حضر له القلب بالرحمة وصحبته نية وعلى زيادة الايمان ونقصانه وهو مذهب أهل السنة قلت المحققون منهم على ان التصديق الذي هو الايمان على التحقيق لا يقبل الزيادة والنقصان وانما التفاوت في أنواره وثمراته ونتائجه من حقائق الايقان ودقائق العرفان ومراتب الاحسان ومنازل العرفان والله تعالى أعلم (قد عادوا) الجملة صفة أو حال والمعنى صاروا (حمما) بضم ففتح جمع حممة وهي الفحم (فيلقيهم) أي يأمر الله بالقائهم أو يلقيهم بلا واسطة (في نهر) بفتح الهاء ويسكن أي جدول ماء كائن (في أفواه الجنة) أي في أوائلها وهو جمع فوهة بضم الفاء وتشديد الواو المفتوحة وهو جمع سمع من العرب على غير قياس وأفواه الازقة والانهار أوائلها كذا ذكره الطيبي رحمه الله ويمكن ان يكون الافواه كناية عن أبواب الجنة وهو الملائم لدخولهم اياها على أحسن الهيئة (يقال له) أي لذلك النهر (نهر الحياة فيخرجون) أي من النهر (كما تخرج الحبة) بكسر الحاء وتشديد الموحدة (في حميل السيل) بفتح الحاء وكسر الميم أي محموله ففي شرح السنة الحبة بالكسر اسم جامع لحبوب البقول التي تنتشر اذا هاجت ثم اذا مطرت من قابل نبتت وقال الكسائي هي حب الرياحين فاما الحنطة ونحوها فهي الحب لا غير والحبة من الحب فبالفتح وحميل السيل هو ما يحمله السيل من غثاء أو طين فاذا اتفق فيها الحبة واستقرت على شط مجرى السيل تنبت في يوم وليلة وهي أسرع نابتة نباتا قال النووي رحمه الله وانما شبههم بها لسرعة نباتها وحسنها وطراوتها انتهى فالتشبيه في سرعة الظهور وقال شارح الحبة بالكسر بذور الصحراء مما ليس بقوت وقال العسقلاني الحبة بالكسر بذر الصحراء والجميع حبب وأما الحبة بالفتح فهو ما يزرعه الناس والجمع حبوب (فيخرجون كاللؤلؤ) أي في البياض والصفاء (في رقابهم الخواتيم) جمع الخاتم والجمع لمقابلة الجمع بالجمع والمراد هنا علامة تظهر في رقابهم ليكونوا متميزين من المغفورين بواسطة العمل الصالح كذا قاله شارح وقال صاحب التحرير المراد بالخواتيم هنا أشياء من ذهب أو غيره تعلق في أعناقهم يعرفون بها (فيقول أهل الجنة) أي حين رأوهم وظهر لهم تلك العلامة (هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم) أي الله كما في نسخة (الجنة بغير عمل) أي عملوه على ما في نسخة صحيحة (ولا خير) أي من عمل باطن (قدموه فيقال لهم لكم) الخطاب للعتقاء أي لكم (ما رأيتم) أي مقدار مد بصركم من الجنة (ومثله معه) أو لكم ما رأيتم مما جاء في نظركم ومثله معه من الحور العين والقصور وقال الطيبي رحمه الله تعالى فيه حذف أي فينظرون في الجنة الى أشياء ينتهي مد بصرهم اليها فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه أقول وفيه ايماء الى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان أي جنة ظاهرة وجنة باطنة أو جنة من جهة العدل وجنة من طريق الفضل (متفق عليه وعنه) أي

فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه متفق عليه وعنه

عن أبي سعيد (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
يقول الله تعالى) أي للأنبياء أو لغيرهم من الشفعاء أو للملائكة وهو الاظهر لما سيأتي مصرحا في رواية
أبي هريرة (من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجوه) أي من النار قيل بهذا الحديث
يظهر ان من أخرجهم الرحمن بقبضة كانوا مؤمنين بلا خير وعمل زائد على الايمان دون الكفار كما توهمه
ظاهر العبارة هنالك فانه يخالف الاجماع (فيخرجون) بصيغة المجهول (قد امتحشوا) على بناء
الفاعل أي احترقوا والجملة حالية وقيل بالمفعول وكأنه جعل متعديا بمعنى المحش على حذف الزوائد وهو
احراق النار الجلد وفي النهاية المحش احراق الجلد وظهور العظم وفي القاموس امتحش احترق وقال العسقلاني
امتحشوا احترقوا وزنا ومعنى وعند بعضهم بضم المثناة وكسر الحاء ولا يعرف في اللغة امتحشه متعديا وانما
سمع لازما مطاوع محشه وقال النووي رحمه الله هو بفتح التاء والحاء المهملة والشين المعجمة هكذا هو
في الروايات وبه ضبط الخطابي والهروي ونقله القاضي عياض رحمه الله عن شيوخه ومعناه احترقوا قال
القاضي ورواه بعض شيوخنا بضم التاء وكسر الحاء (وعادوا حمما فيلقون في نهر الحياة فينبتون) أي
تعود أبدانهم اليهم (كما تنبت الحبة في حميل السيل ألم تروا) أي ألم تبصروا أو ألم تعلموا (انها) أي
الحبة (تخرج) أي أولا (صفراء) أي خضراء (ملتوية) أي ملفوفة مجتمعة وقيل منحنية (متفق
عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فذكر) أي
أبو هريرة (معنى حديث أبي سعيد) أي الذي مر قبيل ذلك (غير كشف الساق وقال) أي النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم أو أبو هريرة مرفوعا (يضرب الصراط) أي يمد (بين ظهراني جهنم) أي بين
طرفيها وفي رواية على متنها وظهرها وفوقها (فأكون أول من يجوز من الرسل بامته) الباء للتعدية
أي من يجاوزهم عنها (ولا يتكلم يومئذ) أي في ذلك المقام (الا الرسل) قال ابن الملك أراد بقوله
يومئذ وقت جواز الصراط وانما فسرناه بهذا لان ثمة مواطن لا يتكلم فيها الناس قلت لقوله هذا يوم
لا ينطقون ولكن هنالك مواقف يتكلم فيها عموم الناس أيضا فالحصر يفيد التقييد بحينئذ (وكلام الرسل
يومئذ اللهم سلم سلم) كرر للتأكيد (وفي جهنم) أي في أطرافها (كلاليب) بلا صرف لكونه على
صيغة منتهى الجموع جمع كلاب بالضم أو كلوب بالفتح وبتشديد اللام فيهما وهي حديدة معوجة الرأس
يختطف بها أو يعلق عليها اللحم ويرسل في التنور أو عود في رأسه عوج يجر به الجمر (مثل شوك السعدان)
بفتح فسكون وهو نبت له شوك عظيم ويقال لشوكه حسك السعدان ويشبه حلمة الثدي (لا يعلم قدر
عظمها) بكسر ففتح أي عظمة تلك الكلاليب (الا الله تخطف) أي تأخذ تلك الكلاليب بسرعة والطاء
مفتوحة وروي بكسرها والاولى هي الاولى لموافقة القرآن الذي هو اللغة الفصحى وقال النووي رحمه
الله يروى بفتح الطاء وكسرها أي تخطف (الناس باعمالهم) أي بسبب أعمالهم القبيحة أو بحسب
أعمالهم السيئة (فمنهم) أي من الناس أو من العصاة أو من المخطوفين (من يوبق) أي يهلك ويحبس
(بعمله) أي القبيح من وبق أي هلك وأوبقه غيره ففي النهاية وبق يبق ويوبق فهو وبق اذا هلك وأوبقه غيره
فهو موبق أي مهلك (ومنهم من يخردل) بالدال المهملة على صيغة المجهول أي يصرع أو يقطع قطعا
كالخردلة ففي النهاية المخردل المقطع تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوي في النار يقال خردلت اللحم
بالدال والذال أي فصلت أعضاءه وقطعتها قال ابن الملك رحمه الله وقيل يقطع الكلاليب لحمه على الصراط
ويخرج أعضاؤه (ثم ينجو) أي من الوقوع في النار فالكافر يوبق والفاسق يخردل ثم يخلص (حتى
اذا فرغ الله من القضاء) أي من الحكم بين عباده بما يستحقه كل من جزاء عمله (وأراد أن يخرج من
أراد أن يخرجه ممن كان يشهد أن لا اله الا الله أمر الملائكة ان يخرجوا من كان يعبد الله) أي يوحده
أو يعرفه بالوحدانية أو يعبده على نعت التوحيد (فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود) قال تعالى

قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة
الجنة وأهل النار النار
يقول الله تعالى من كان
في قلبه مثقال حبة من
خردل من ايمان فاخرجوه
فيخرجون قد امتحشوا
وعادوا حمما فيلقون في
نهر الحياة فينبتون كما تنبت
الحبة في حميل السيل ألم
تروا انها تخرج صفراء
ملتوية متفق عليه وعن
أبي هريرة ان الناس قالوا
يا رسول الله هل نرى ربنا
يوم القيامة فذكر معنى
حديث أبي سعيد غير كشف
الساق وقال يضرب الصراط
بين ظهراني جهنم فأكون
أول من يجوز من الرسل
بامته ولا يتكلم يومئذ
الا الرسل وكلام الرسل
يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم
كلاليب مثل شوك السعدان
لا يعلم قدر عظمها الا
الله تخطف الناس باعمالهم
فمنهم من يوبق بعمله ومنهم
من يخردل ثم ينجو حتى اذا
فرغ الله من القضاء بين
عباده وأراد أن يخرج من
النار من أراد أن يخرج
ممن كان يشهد أن لا اله
الا الله أمر الملائكة أن
يخرجوا من كان يعبد الله
فيخرجونهم ويعرفونهم
بآثار السجود

سيماهم في وجوههم من أثر السجود (وحرم الله على النار) أي منعها (ان تاكل أثر السجود) أي من وجوههم أو جباههم قال النووي رحمه الله ظاهر هذا ان النار لا تاكل جميع أعضاء السجود السبعة وهي الجبهة واليدان والركبتان والقدمان وقال القاضي عياض رحمه الله المراد بأثر السجود الجبهة خاصة والمختار الاول قلت ويؤيد الثاني ما سبق من القرآن وما في رواية مسلم الادارة الوجه وهو المتبادر مما تقدم فتحرم صورهم على النار فهو المعول (فكل ابن آدم) أي آثار أفعاله من أعضائه (ياكله النار الا أثر السجود) وهذا تاكيد لما قبله (فيخرجون من النار قد امتحشوا) أي احترقوا وقد سبق (فيصب عليهم ماء الحياة) وقد مر انهم يلقون في نهر الحياة ولعل الاختلاف باختلاف الاشخاص (فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل) أي محموله (ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا) تمييز (الجنة) بالنصب على انه مفعول الدخول (مقبل) خبر آخر أو خبر مبتدا آخر هو مقدر أي متوجه (بوجهه قبل النار) بكسر القاف وفتح الباء أي الى جهتها (فيقول يارب اصرف وجهي عن النار) أي رده عنها (وقد قشبني) بفتح القاف والشين المعجمة والموحدة أي آذاني وأهلكني (ريحها) وقيل سمني وأهلكني من القشيب وهو السم المهلك وفي المقدمة أي ملا خياشيمي والقشب السم ويطلق على الاصابة بكل مكروه وقال الداودي معناه غير جلدي وصورتي (وأحرقني ذكاؤها) بفتح المعجمة والمد وفي نسخة صحيحة ذكاها بالقصر قال النووي رحمه الله هو بالمد وفتح الذال المعجمة كذا وقع في جميع روايات الحديث أي لهبها واشتعالها وشدة وهجها والاشهر في اللغة مقصورة وقيل ان القصر والمد لغتان (فيقول) أي الرب (هل عسيت) أي يتوقع منك (ان أفعل ذلك) أي بك والاشارة الى صرف الوجه والجملة الشرطية معترضة بين اسم عسى وخبرها وهو قوله (ان تسال غير ذلك) والمعنى هل يتوقع منك بعد حصول ذلك سؤال غيره قال الطيبي رحمه الله فان قلت كيف يصح هذا من الله تعالى وهو عالم بما كان وما يكون قلت معناه انكم يا بني آدم لما عهد منكم من رخاوة الوعد ونقض العهد احقاء بان يقال لكم يا هؤلاء ماترون هل يتوقع منكم ذلك أم لا وحاصله ان معنى عسى راجع الى المخاطب لا الى الله تعالى وهو من باب ارخاء العنان وبعث المخاطب على التفكر في أمره وشانه لينصف من نفسه ويذعن للحق (فيقول لا) أي لا أسألك غير ذلك (وعزتك) لا أسأل غير ذلك (فيعطى) أي الرجل (الله ماشاء) مفعول ثان ليعطى أي ماقدره وقضاه أو ما أراده من عهد وميثاق أي قسم يوثق العهد به ويؤكد (فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل) بصيغة الفاعل وفي نسخة على بناء المفعول به أي بوجهه (على الجنة رأى بهجتها) أي حسنها (وكثرة خيرها سكت) كذا في الاصول بلا عاطف في الفعلين هنا والظاهر ان يكون أحدهما جواب اذا والآخر عطف على الشرط والجزاء ولعل توجيهه ان قوله رأى بهجتها جملة حالية على مذهب من يجوزه ولفظ المشارق فاذا أقبل على الجنة ورآها سكت (ماشاء الله أن يسكت) أي سكوته (ثم قال يارب قدمني عند باب الجنة) أي الى بابها كما سيأتي ويمكن ان يكون الظرف حالا مقدرة (فيقول الله تبارك وتعالى أليس) أي الشأن (قد أعطيت العهود والميثاق ان لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك) أي لا تجعلني أشقاهم والمراد بالشقاوة هنا الحرمان أي لا أكون محروما (فيقول) أي الرب (فما عسيت) ما استفهامية أي فهل عسيت (ان أعطيت ذلك) بصيغة المجهول (ان تسأل غيره) أي غير ذلك (فيقول لا وعزتك لا أسألك غير ذلك) تأكيد وبيان لقوله لا قبل ذلك وفي نسخة صحيحة لا أسال غير ذلك (فيعطى) أي الرجل (ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه) أي الله (الى باب الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها) بفتح الزاي أي طيب عيش من فيها والزهرة البياض وزهرة الدنيا نضارتها (وما فيها من النضرة) أي الحسن والرونق (والسرور) أي الفرح بما فيها من الدور والقصور وكثرة الحور والتنعم بالحبور (فسكت ماشاء الله ان يسكت) بالفاء هنا على ما في

وحرم الله تعالى على النار ان تاكل أثر السجود فكل ابن آدم تاكله النار الا أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهي عن النار وقد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان أفعل ذلك ان تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطى الله ماشاء الله من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكت ماشاء الله ان يسكت ثم قال يارب قدمني عند باب الجنة فيقول الله تبارك وتعالى أليس قد أعطيت العهود والميثاق ان لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت ان أعطيت ذلك ان تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غير ذلك فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت ماشاء الله ان يسكت

جميع نسخ المشكاة قال الطيبي رحمه الله قوله فسكت كذا في صحيح البخاري وأكثر نسخ المصابيح وعلى هذا جواب اذا محذوف والمعنى اذا رأى ما رأى تحير فسكت ونظيره قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها انتهى وقيل الواو زائدة وتسمى واو الثمانية نحو قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقال أبو البقاء رحمه الله الواو زائدة عند قوم لان الكلام جواب حتى اذا وليست زائدة عند المحققين والجواب محذوف تقديره اطمأنوا أو نحو ذلك (فيقول يارب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويلك يا ابن آدم) قال شارح ويلك منصوب على المصدر لا فعل له وان أضيف وان لم يضف يرفع على الابتداء وينصب باضمار الفعل مثل ويل لزيد وويلا لزيد أي أهلك الله اهلاكا أو هلكت هلاكا (ما أغدرك) بالغين المعجمة والدال المهملة وما فيه للتعجب أي يستحق ان يتعجب منك بكثرة غدرك في عهودك بان لا تسال غيره ويجوز ان يكون ما للاستفهام والهمزة للصيرورة أي أي شيء صيرك غادرا في عهودك وفي نسخة بالعين المهملة والذال المعجمة أي أي شيء جعلك في هذا السؤال معذورا (أليس قد أعطيت العهود والميثاق ان لا تسال غير الذي أعطيت) بصيغة المجهول (فيقول يارب لا تجعلني أشقى خلقك) قال الطيبي رحمه الله فان قلت كيف طابق هذا الجواب قوله أليس قد أعطيت العهود والميثاق قلت كأنه قال يارب بلى أعطيت العهود والميثاق ولكن تأملت في كرمك وعفوك ورحمتك وقولك لا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فوقفت على اني لست من الكفار الذين أيسوا من رحمتك وطمعت في كرمك وسعة رحمتك فسالت ذلك فكأنه تعالى رضي عنه بهذا القول فضحك انتهى وهذا معنى قوله (فلا يزال يدعو حتى يضحك الله) أي يرضى (منه) أي من أجله وسبب كلامه ودعائه (فاذا ضحك أذن له في دخول الجنة فيقول تمن) أمر مخاطب (فيتمنى حتى اذا انقطع أمنيته) بضم همزة وتشديد تحتية أي مطلوبه ومتمناه (قال الله تعالى تمن من كذا وكذا) قال المظهر من فيه للبيان يعني تمن من كل جنس ما تشتهي منه قال الطيبي رحمه الله ونحوه يغفر لكم من ذنوبكم ويحتمل ان تكون من زائدة في الاثبات على مذهب الاخفش وقوله (أقبل يذكره ربه) بدل من الجملة السابقة على سبيل البيان وربه تنازع فيه العاملان انتهى وأقبل بمعنى شرع ويذكره بتشديد الكاف أي يلهمه ويلقنه ربه بما ينبغي ان يساله فيتمنى (حتى اذا انتهت به الاماني) أي انقطعت ولم تبق له أمنية (قال الله لك ذلك) أي مسؤلك ومامولك (ومثله معه) أي تفضلا عليك (وفي رواية أبي سعيد قال الله لك ذلك) أي ما تمنيت (وعشرة امثاله) أي في الكيفية وان كان مثله في الكمية وبهذا يرتفع التدافع ويندفع التمانع والله سبحانه وتعالى أعلم (متفق عليه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة) قال الطيبي رحمه الله الفاء يجوز ان تكون تفصيلية أبهم أولا دخوله الجنة ثم فصل كيفية دخولها ثانيا وان تكون لتعقيب الاخبار وان تقدم ما بعدها على ما قبلها في الوجود فوقعت موقع ثم في هذا المعنى كأنه قيل أخبركم عقيب هذا القول حاله فهو يمشي قبل دخوله في الجنة مرة (ويكبو) بضم الموحدة أي يقف وقيل يسقط لوجهه (مرة) أي أخرى (وتسفعه النار) بفتح الفاء أي تحرقه (مرة) أو يجعل علامة عليه من سواد الوجه وزرقة العين يقال سفع من النار أي علامة منها وسفعت الشيء اذا جعلت عليه علامة قال ابن الملك أي تلفحه لفحا يسيرا فيتغير لون بشرته وقيل أي تعلمه علامة أي آثارها وفي القاموس لفحت النار بحرها أحرقت وسفع الشيء تنعه أعلمه ووسمه والسموم وجهه لفحه لفحا يسيرا (فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك) أي تعظم وتعالى أو تكاثر خيره (الذي نجاني منك) هذا فرح بما أعطيه من النجاة وقوله (لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الاولين والآخرين) جواب قسم محذوف أقسم من الفرح أن نجاته نعمة ما ظفر بها أحد من العالمين ولعل وجهه انه ما رأى أحدا مشاركا له في خروجه من النار ولم يدر ان الابرار في نعيم دار القرار (فترفع له شجرة) أي عندها عين

فيقول يارب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويلك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهود والميثاق ان لا تسال غير الذي أعطيت فيقول يارب لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فاذا ضحك أذن له في دخول الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى اذا انقطع أمنيته قال الله تعالى تمن من كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى اذا انتهت به الاماني قال الله لك ذلك ومثله معه وفي رواية أبي سعيد قال الله لك ذلك وعشرة امثاله متفق عليه وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة فاذا جاوزها التفت اليها فقال تبارك الذي نجاني منك لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الاولين والآخرين فترفع له شجرة

فيقول أي رب أدنني من هذه الشجرة فلاستظل بظلها واشرب من مائها فيقول الله يا ابن آدم لعلي ان أعطيتكها سألتني غيرها فيقول لا يا رب ويعاهده ان لا يسأله غيرها وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الاولى فيقول أي رب أدنني من هذه الشجرة لاشرب من مائها واستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني ان لا تسألني غيرها فيقول لعلي ان أدنيتك منها تسألني غيرها فيعاهده ان لا يسأله غيرها وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الاولين فيقول أي رب أدنني من هذه فلاستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني ان لا تسألني غيرها قال بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فاذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول أي رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك

ماء لما سيأتي (فيقول أي رب) وأي في الاصل لنداء القريب وبالبعيد فتارة ينظر الى قرب الرب من العبد كقوله سبحانه وتعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وتارة يراعي بعد العبد من الرب كما قيل يا للتراب ورب الارباب (أدنني) أمر من الادناء أي قربني (من هذه الشجرة فلاستظل) بكسر اللام الاولى ونصب الفعل قال الطيبي رحمه الله الفاء سببية واللام مزيدة أو بالعكس يعني والفاء مزيدة واللام للعلة ففيه مسامحة لا تخفى ثم في الكلام تجريد والمعنى لانتفع (بظلها واشرب من مائها فيقول الله يا ابن آدم لعلي ان أعطيتكها) أي مسألتك أو أمنيتك (سألتني غيرها) هو جواب الشرط وهو دال على خبر لعل (فيقول لا يا رب ويعاهده ان لا يسأله غيرها وربه يعذره) بفتح الياء وبضم أي يجعله معذورا وفي النهاية وقد يكون اعذر بمعنى جعله موضع العذر وفي المشارق عذرته واعذرته أي قبلت عذره وفي المصباح عذرته فيما صنع عذرا من باب ضرب رفعت عنه اللوم فهو معذور واعذرته بالالف لغة واعتذر أي طلب قبول معذرته واعتذر عن فعله أظهر عذره (لانه) أي العبد (يرى ما لا صبر له عليه) كذا في الاصول في المرتين الاوليين وكذا في الثالثة في بعض الاصول وفي أكثرها عليها بتاويل ما بنعمة وعلى بمعنى عن كذا في شرح مسلم للنووي وقرره السيوطي في حاشيته على مسلم (فيدنيه منها) أي فيقربه من الشجرة (فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة) أي أخرى هي (أحسن من الاولى) لانه أراد له الترقي من الادنى الى الاعلى (فيقول أي رب أدنني من هذه الشجرة لاشرب من مائها واستظل بظلها) الواو لمطلق الجمع لان الظاهر ان الاستراحة بظلها قبل الشرب من مائها (لا أسألك غيرها) قال الطيبي رحمه الله هو حال تنازع فيه استظل واشرب (فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني ان لا تسألني غيرها فيقول) أي الرب (لعلي ان أدنيتك منها تسألني) بالرفع أي تطلب مني (غيرها فيعاهده ان لا يسأله غيرها وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة) أي ثالثة (عند باب الجنة هي أحسن من الاوليين فيقول أي رب أدنني من هذه فلاستظل بظلها واشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني ان لا تسألني غيرها قال بلى يا رب هذه) منصوب المحل بفعل يفسره ما بعده أي هذه أسألك (لا أسألك غيرها) حال أو استئناف (وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه) وفي بعض النسخ عليها وقد سبق الكلام عليهما (فيدنيه منها فاذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة) أي في مصاحبتهم مع أزواجهم وجوارهم مع أصحابهم أو في غنائهم فاراد الاستئناس بهم فاراد التقرب ليتلذذ بانغامهم (فيقول يا رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك) بفتح الياء وسكون الصاد المهملة قال صاحب النهاية وفي رواية ما يصريك مني أي ما يقطع مسألتك ويمنعك من سؤالي يقال صريت الشيء اذا قطعته وصريت الماء جمعته وحبسته انتهى والمعنى قد كررت سؤالك مع معاهدتك ان لا تسأل فماذا يقطع سؤالك عني ويرضيك قال التوربشتي صرى عنه شره أي دفع وصريته منعته وصريت ما بينهم صريا أي وصلت يقال اختصمنا الى الحاكم فصرى ما بيننا أي قطع ما بيننا وفصل وحسن ان يقال ما يفصل بيني وبينك ما الذي يرضيك حتى تترك مناشدتك والمعنى انى أجيبك الى مسألتك كرة بعد أخرى وأخذت منك فيك ان لا تعود ولا تسأل غيره وأنت لا تفي بذلك فما الذي يفصل بيني وبينك في هذه القضية ويكون على وجه المجاز والاتساع والمبتغى منه التوفيق على فضل الله ورحمته وكرمه وبره بعباده حتى انه يخاطبهم مخاطبة المستعطف الباعث سائله على الاستزادة قال وفي كتاب المصابيح ما يصريني منك وهو غلط والصواب ما يصريني كذا رواه المتقنون من أهل الرواية قال المظهر يمكن ان يحمل على القلب فيكون ما يصريك مني وقلب الكلام لمعرفته والقلب شائع في كلامهم دائع في استعمالهم قال الطيبي رحمه الله رواية صحيحة ولعل التيح على سبيل الحكاية قال النووي ما يصريني منك بفتح الياء واسكان الصاد المهملة معناه يقطع ورواه في غيره ما يصريك مني قال ابراهيم الحربي رحمه الله هو الصواب وأنكر

الرواية التي في صحيح مسلم رحمه الله وغيره وليس كما قال بل كلاهما صحيح وان السائل متى انقطع عن المسؤل انقطع المسؤل عنه والمعنى أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك (أيرضيك ان أعطيك الدنيا) أي قدرها (ومثلها معها قال أي رب اتستهزئ مني) أي أتعاملني معاملة المستهزأ به (وأنت رب العالمين) والجملة حالية والاستهزاء بالشيء اذا اسند الى الله تعالى يراد انزال الهوان عليه واحلاله اياه محل المستهزأ به كذا ذكره شارح وقال في شرح مسلم للنووي هذا وارد من السؤال على سبيل الفرح والاستبشار قال القاضي عياض هذا الكلام صادر عنه وهو غير ضابط لما نال من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله فلم يضبط لسانه دهشة وفرحا وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق ونحوه حديث التوبة قول الرجل عند وجدان زاده مع راحلته من شدة الفرح أنت عبدي وأنا ربك انتهى وتوضيحه ما ذكره ابن الملك ان قيل كيف صدر منه هذا القول بعد كشف الغطاء واستواء العالم والجاهل في معرفة الله تعالى فيما يجوز على الله وما لا يجوز قلت مثابة هذا العالم مثابة العالم العارف الذي يستولي عليه الفرح بما آتاه الله فيزل لسانه من شدة الفرح كما أخطأ في القول من ضلت راحلته بارض فلاة عليها طعامه وشرابه فأيس منها ثم بعد ما وجدها وأخذ بخطامها قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك (فضحك ابن مسعود فقال الا) بالتخفيف (تسألوني) بتشديد النون وتخفف (مم اضحك) أي من أي شيء أضحك (فقالوا مم تضحك فقال هكذا ضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا مم تضحك يارسول الله قال من ضحك رب العالمين حين قال له اتستهزئ مني وأنت رب العالمين) قال التوربشتي رحمه الله الضحك من الله ومن رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وان كانا متفقين في اللفظ فانهما متباينان في المعنى وذلك ان الضحك من الله سبحانه يحمل على كمال الرضا عن العبد وارادة الخير بمن يشاء من عباده ان يرحمه وقال القاضي رحمه الله وانما ضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استعجابا وسرورا وابتهاجا أي من كمال رحمة الله ولطفه على عبده المذنب وكمال الرضا عنه وأما ضحك ابن مسعود فكان اقتداء بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله هكذا ضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قلت الظاهر انه لاحظ المعنى الموجب للضحك لانه بمجرد تقليد وحكاية لفعله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه ليس أمرا اختياريا ولا يصدر من غير باعث من قول عجيب أو فعل غريب (فيقول اني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قادر) وفي نسخة قدير قال الطيبي رحمه الله فان قلت مم استدركه قلت عن مقدر فانه تعالى لما قال له أيرضيك ان أعطيك الدنيا ومثلها معها فاستبعده العبد لما رأى انه ليس أهلا لذلك وقال اتستهزئ بي قال سبحانه وتعالى نعم كنت لست اهلا له لكني أجعلك أهلا لها وأعطيك ما استبعدته لاني على ما أشاء قدير (رواه مسلم) أي عن ابن مسعود (وفي رواية له) أي لمسلم (عن أبي سعيد نحوه) أي نحو المروي عن ابن مسعود (الا انه) أي أبا سعيد (لم يذكر فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك الى آخر الحديث وزاد) أي نقص من الحديث ما سبق وزاد (فيه ويذكره الله) بالتشديد أي يعلمه (سل كذا وكذا حتى اذا انقطعت به الاماني قال الله هو لك وعشرة أمثاله قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم يدخل) أي العبد (بيته) أي قصره (فيدخل عليه زوجتاه من الحور العين) قال النووي زوجتاه بالتاء تثنية زوجة هكذا ثبت في الرواية والاصول وهي لغة صحيحة معروفة (فتقولان الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك) أي خلقك لنا وخلقنا لك وضع أحيا موضع خلق اشعارا بالخلود وانه تعالى جمع بينهما في هذه الدار التي لا موت فيها وانها دار الحياة السرمدية قال تعالى وان الدار الآخرة لهي الحيوان (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فيقول) أي العبد (ما أعطي أحد مثل ما أعطيت) أي لعدم اطلاعه على اعطاء غيره والله تعالى أعلم (وعن أنس ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليصيبن) أي والله ليدركن وليمسن (أقواما سفع من النار) بفتح فسكون أي سواد من لفح النار أو علامة منها كذا في المقدمة وقيل احراق قليل (بذنوب) أي بسببها وقوله

أيرضيك ان أعطيك الدنيا ومثلها معها قال أي رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألوني مم أضحك فقالوا مم تضحك فقال هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مم تضحك يارسول الله قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزئ مني وأنت رب العالمين فيقول اني لا أستهزئ منك ولكني على ما أشاء قدير رواه مسلم وفي رواية له عن ابي سعيد نحوه الا انه لم يذكر فيقول يا ابن آدم ما يصريني منك الى آخر الحديث وزاد فيه ويذكره الله سل كذا وكذا حتى اذا انقطعت به الاماني قال الله تعالى هو لك وعشرة أمثاله قال ثم يدخل بيته فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين فتقولان الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك قال فيقول ما أعطي أحد مثل ما أعطيت وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب

أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون رواه البخاري وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين رواه البخاري وفي رواية يخرج قوم من أمتي من النار بشفاعتي يسمون الجهنميين وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه أنها ملأى فيقول يا رب وجدتها ملأى فيقول الله اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها فيقول أتسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة متفق عليه وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه رواه مسلم وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار أربعة

(أصابوها) صفة ذنوب وقوله (عقوبة) مفعول له (ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته) كذا في أصل السيد وبعض النسخ وفي بعضها بفضل رحمته (فيقال لهم الجهنميون) قال الطيبي رحمه الله ليست التسمية بها تنقيصا لهم بل استذكارا ليزدادوا فرحا الى فرح وابتهاجا الى ابتهاج وليكون ذلك علما لكونهم عتقاء الله تعالى (رواه البخاري) وكذا أبو داود والترمذي (وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج قوم) وفي نسخة أقوام (من النار بشفاعة محمد) وفي نسخة (صلى الله تعالى عليه وسلم فيدخلون الجنة) بصيغة المفعول وقيل بالفاعل (ويسمون الجهنميين) وفي المصابيح الجهنميون قال شارح له الرواية بالواو وحقها الياء لانه مفعول يسمون ويحتمل أن يكون الجهنميون بالواو علما لهم ولم يغير (رواه البخاري) وكذا أبو داود والترمذي وابن ماجه (وفي رواية يخرج قوم من أمتي من النار بشفاعتي يسمون الجهنميين وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا) أي فيها والظاهر أنهما متلازمان فالجمع بينهما للتوضيح ولا يبعد أن يكون احترازا عما عسى أن يتوهم من حبس أحد في الموقف من أهل الجنة حينئذ والله تعالى أعلم (رجل يخرج من النار حبوا) حال أو مصدر من حبا الصبي اذا مشى على أربع أو دب على استه أي زحفا كما في رواية (فيقول الله) أي له (اذهب فادخل الجنة فيأتيها) أي فيجيء قريبا منها أو فيدخلها (فيخيل اليه) أي من تصويره تعالى (انها) أي الجنة (ملأى) تأنيث ملآن (فيقول أي رب وجدتها ملأى) يعني وليس لي مكان فيها (فيقول اذهب فادخل الجنة) المراد بها جنسها أو جنة بخصوصها (فان لك مثل الدنيا) أي في سعتها وقيمتها (وعشرة أمثالها) أي زيادة عليها في الكمية والكيفية وفيه ايماء الى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فالمؤمن حيث ترك الدنيا وهي صارت كالحبس في حقه جوزي بمثلها عدلا وبأضعافها فضلا (فيقول أتسخر) بفتح الخاء أي أتستهزئ (مني أو تضحك مني) شك من الراوي (وأنت الملك) أي والحال أنت الملك القدوس الجليل (فلقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضحك حتى بدت) أي ظهرت (نواجذه) أي أواخر أضراسه (وكان يقول) الظاهر أن هذا كلام عمران أو من بعده من الرواة فالمعنى وكان يقول الصحابة أو السلف (ذلك أدنى أهل الجنة منزلة متفق عليه وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة) أي فيها (وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا) بكسر الهمزة والراء أي اظهروا (عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها) أي بعفوها أو بأخطائها (فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا) أي في الوقت الفلاني (كذا وكذا) أي من عمل السيئات (وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا) أي من ترك الطاعات (فيقول نعم) أي في كل منهما أو بعدهما جميعا (لا يستطيع أن ينكر) أي شيئا منهما استئناف أو حال (وهو) أي الرجل (مشفق) أي خائف (من كبار ذنوبه أن تعرض) أي تلك الكبار (عليه) لان العذاب المترتب عليها أكبر وأكثر (فيقال له فان لك مكان كل سيئة حسنة) وهو اما لكونه تائبا الى الله تعالى وقد قال تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات لكن يشكل بأنه كيف يكون آخر أهل النار خروجا ويمكن أن يقال فعل بعد التوبة ذنوبا استحق بها العقاب واما وقع التبديل له من باب الفضل من رب الارباب والثاني أظهر ويؤيده أنه حينئذ يطمع في كرم الله سبحانه (فيقول رب قد عملت أشياء) أي من الكبائر (لا أراها ههنا) أي في الصحائف أو في مقام التبديل (ولقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه رواه مسلم وعن أنس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يخرج من النار أربعة) قال ابن الملك

رحمه الله هم الآخرون خروجا منها (فيعرضون على الله ثم يؤمر بهم الى النار فيلتفت أحدهم فيقول أى رب لقد كنت أرجو اذ أخرجتنى منها ان لا تعيدنى فيها قال فينجيه) بالتخفيف ويشدد أى فيخلصه (الله منها رواه مسلم) قال الطيبي رحمه الله ولعل هذا الخروج والله تعالى أعلم بعد الورود المعنى بقوله تعالى وان منكم الا واردها وقيل معنى الورود الدخول فيها وهى خامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم واليه الاشارة بقوله فى الحديث الذى يليه وهو قوله (وعن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا) ذكر من الاربعة واحدا وحكم عليه بالنجاة وترك الثلاثة اعتمادا على المذكور لان العلة متحدة فى الاخراج من النار والنجاة منها ولان الكافر لا خروج له البتة فيدخل مرة أخرى ولهذا قال (حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة) قال ونحوه فى الاسلوب وهو ان يراد أشياء ويذكر بعضها ويترك بعضها قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا جمع الآيات وفصلها بآيتين احداهما قوله مقام ابراهيم وثانيتهما ومن دخله كان آمنا الكشاف ذكرها تان الآيتان وطوى عن ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات ونحوه فى طى الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها هذا وضبط قوله يخلص المؤمنون بصيغة المجهول مخففا من الاخلاص وفى نسخة بالتشديد من التخليص وفى أخرى بفتح الياء وضم اللام من الخلاص ففى النهاية خلص سلم ونجا ثم المراد بالقنطرة الصراط الممدود والمظالم جمع مظلمة بكسر اللام وهى ما تطلبه عند الظالم مما أخذه منك وقوله ونقوا من التنقية عطف تفسير لهذبوا بصيغة المجهول من التهذيب (فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم) أى من أهل الجنة (أهدى بمنزله) أى اليه فان الباء تأتى بمعنى الى على ما فى القاموس كقوله تعالى وقد أحسن بى أى الى فالمعنى أعرف وأكثر هداية الى منزله (فى الجنة منه بمنزله كان له فى الدنيا) وقال الطيبي رحمه الله هدى لا يعدى بالباء بل باللام والى فالوجه أن يضمن معنى اللصوق أى ألصق بمنزله هاديا اليه وفى معناه قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار أى يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة فجعل تجرى من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها (رواه البخارى وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة الا أرى) بصيغة المجهول من الاراءة وقوله (مقعده) بالنصب مفعول ثان له وقوله (من النار) بيان للمقعد (لو أساء) أى لو أساء العمل وعصى ربه فرضا وتقديرا لكان ذلك مقعده (ليزداد شكرا) علة لارى ويحتمل أن يكون الاراءة فى القبر على ما يشهد له بعض الاحاديث ويحتمل أن يكون يوم القيامة على ما هو الظاهر المتبادر من هذا الحديث والله تعالى أعلم (ولا يدخل النار أحد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن) أى العمل والجواب مقدر على ما سبق أو لو فى الموضعين للتمنى (ليكون) أى الاراءة ولكونه مصدرا ذكر فعله (عليه حسرة) بالنصب على الخبرية وفى نسخة بالرفع على ان كان تامة أى ليقع عليه حسرة وندامة ولا منه يوم القيامة (رواه البخارى وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جىء بالموت) أى أحضره وورد فى رواية انه يؤتى به على صورة كبش أملح ليتقنوا غاية اليقين والعرفان (حتى يجعل) أى واقفا (بين الجنة والنار ثم يذبح) قال العسقلانى رحمه الله والحكمة فيه الاشارة الى انه حصل لهم الفداء كما فدى ولد ابراهيم بالكبش وفى الاملح اشارة الى صنفى أهل الجنة والنار لان الاملح ما فيه بياض وسواد (ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت) أى أبدا بل خلود بلا موت كما فى رواية (ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم) بضم الحاء وسكون الزاى ويجوز فتحهما وبهما قرئ فى السبعة قال التوربشتى رحمه الله المراد منه انه يمثل لهم على المثال الذى ذكره فى غير هذه الرواية يؤتى بكبش له عين الحديث

فيعرضون على الله ثم يؤمر بهم الى النار فيلتفت أحدهم فيقول أى رب لقد كنت أرجو اذ أخرجتنى منها أن لا تعيدنى فيها قال فينجيه الله منها رواه مسلم وعن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان له فى الدنيا رواه البخارى وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة رواه البخارى وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم

وذلك ليشاهدوه بأعينهم فضلا ان يدركوه بما ثرهم والله في اذا ارتفعت عن مدارك الافهام واستعلت عن معارج النفوس لكبر شأنها صيغت لها قوالب من عالم الحس حتى تتصور في القلوب وتستقر في النفوس ثم ان المعاني في الدار الآخرة تنكشف للناظرين انكشاف الصور في هذه الدار الفانية وأما اذا أحببنا ان نؤثر الاقدام في سبيل لا نعلمه الاحد من الانام فاكتفينا بالمرور عن الالمام (متفق عليه)

(الفصل الثاني) (عن ثوبان عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال حوضي من عدن) بفتحتين وهو بصرف ولا يصرف آخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند (الى عمان البلقاء) بضم العين المهملة وتشديد الميم مضافا الى البلقاء بفتح موحدة وسكون لام وقاف ممدودة قال الطيبي رحمه الله عمان مدينة بالشام وفي شرح السنة موضع بالشام و بضم العين وتخفيف الميم موضع بالبحرين قلت لكن الاصول المعتمدة والنسخ المصححة اجتمعت على الضبط الاول فهو المعول ثم الاظهر ان البلقاء مدينة بالشام وعمان موضع بها وانما أضيف لقربه اليها على ما أشار اليه العسقلاني رحمه الله والمعنى مقدار سعة حوضي في العقبى كما بين الموضعين في الدنيا ثم اعلم ان اختلاف الاحاديث في تقدير الحوض كحديث أنس ما بين ايلة وصنعاء وحديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كما بين جرباء وأذرح وحديث ابن عمرو مسيرة شهر بن وحديث حارثة بن وهب كما بين صنعاء والمدينة ونحو ذلك مبني على ان المقصود تصوير كثرة طوله وعرضه لا تعيين قدره بعينه وحصره فورد الحديث في كل مقام بما يوافق ادراك السامع في المرام ولا يبعد ان يختلف باختلاف مذهب الناظرين ومشرب الواردين وسعة صدورهم وحذاقة بصرهم كاختلاف سعة القبر ومنازل الجنة بالنسبة الى السالكين والله تعالى أعلم (ماؤه أشد بياضا من اللبن) فيه ايماء الى ان البياض هو اللون المحبوب خلافا لما اختاره بعض من اللون الاصفر لمقتضى طبيعة المقلوب وأغرب منهم انهم يميلون الى تغيير شعر نسائهم المحمرة الى لون السواد مع انه مما يغم الفؤاد ويورث السوداء والكباد (وأحلى من العسل) أي ألذ منه مع ما فيه من الشفاء للعباد وفيه اشعار الى مذمة شربة الخمر لما فيها من الحرارة مع قطع النظر عما يترتب على شربها من الفساد (وأكوابه) جمع كوب وهو الكوز الذي لا عروة له على ما في الشروح أو لا خرطوم له على ما في القاموس (عدد نجوم السماء) بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي عدد أكوابه عدد نجوم السماء وفي بعض النسخ بالنصب على نزع الخافض وهو الاظهر أي بعدد نجوم السماء (من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا) فيه ايماء الى تفاوت مراتب الشاربين واختلاف رفع ظماء الواردين (أول الناس ورودا) أي عليه (فقراء المهاجرين) أي لتعطشهم الظاهري والمعنوي وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم أجوعكم في الدنيا أشبعكم في الآخرة وعلى قياسه أظمؤكم وقال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية والمراد من المهاجرين الذين هاجروا من مكة الى المدينة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم وفي معناهم كل من هاجر من وطنه الاصلي لله سبحانه واختار الفقر على الغنى والخمول على الشهرة وزهد في تحصيل المال والجاه واشتغل بالعلم والعمل في رضا مولاه (الشعث) بضم الشين المعجمة وسكون العين المهملة جمع أشعث بالمثلثة أي المتفرق الشعر (رؤسا) تمييز والرأس قد يتناول الوجه فتدخل اللحية في شعر الرأس من هذا الوجه (الدنس) بضم المهملة والنون وقد يسكن جمع الدنس وهو الوسخ (ثيابا الذين لا ينكحون) بصيغة المجهول أي لا يزوجون ولو خطبوا (المتنعمات) أي بكسر العين وفي نسخة بفتح الياء وكسر الكاف أي الذين لا يتزوجون المتنعمات لتركهم الشهوات وزهدهم في اللذات (ولا يفتح لهم السدد) بضم السين وفتح الدال الاولى المهملتين جمع سدة وهي باب الدار سمي بذلك لان المدخل يسد به والمعنى لو وقفوا على باب أرباب الدنيا فرضا وتقديرا لا يفتح لهم ولا يؤبه بهم أو هو كناية عن عدم الالتفات اليهم في الضيافة وأنواع الدعوة حيث لم يدعوهم الى مقامهم ولم يتباركوا باقدامهم (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه) وكذا الحاكم (وقال الترمذي

متفق عليه

(الفصل الثاني) عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حوضي من عدن الى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا فقراء المهاجرين الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا يفتح لهم السدد رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي

هذا حديث غريب وعن زيد بن أرقم قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي في سفر (فنزلنا منزلا فقال ما أنتم) أي أيها الصحابة الحاضرون (جزء) بالرفع في أصل السيد وكثير من النسخ وفي نسخة بالنصب (من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض) قال ابن الملك رحمه الله يجوز نصب جزء على لغة أهل الحجاز باعمال ما واجرائه مجرى ليس ويجوز رفعه على لغة بني تميم يريد به كثرة من آمن به وصدقه من الانس والجن (قيل كم كنتم يومئذ) كم الاستفهامية محلها نصب على انه خبر كان أي كم رجلا أو عددا كنتم حين اذ كنتم معه في السفر (قال) أي زيد بن أرقم (سبعمائة) بالنصب أي كنا وفي نسخة بالرفع أي كان عددنا سبعمائة (أو ثمانمائة) يحتمل الشك من الراوي عن زيد ويحتمل ان يكون بمعنى بل ويحتمل التردد من زيد كما هو مقرر في باب التخمين والمراد ان العدد ما بينهما لا ينقص عن الاول ولا يزيد على الثاني والله تعالى أعلم (رواه أبو داود وعن سمرة) أي ابن جندب (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لكل نبي حوضا) أي يشرب أمته من حوضه (وانهم) أي الانبياء (ليتباهون) بفتح الهاء أي يتفاخرون (أيهم أكثر واردة) أي ناظرين أيهم أكثر أمة واردة ذكره الطيبي رحمه الله وقيل ايهم موصولة صدر صلتها محذوف أو مبتدأ أو خبر كما تقول يتباهى العلماء أيهم أكثر علما أي قائلين (واني لارجو ان أكون أكثرهم واردة) ولعل هذا الرجاء قبل ان يعلم ان أمته ثمانون صفا وباقي الامم أربعون في الجنة على ما سبق ثم الحوض على حقيقته المتبادر منه على ما في المعتمد في المعتقد وأغرب الطيبي رحمه الله حيث قال يجوز ان يحمل على ظاهره فيدل على ان لكل نبي حوضا وان يحمل على المجاز ويراد به العلم والهدى ونحوه قوله ومنبري على حوضي في وجه واليه يلمح قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي فارجو ان أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة قلت هذا المعنى لا ينافي الحوض الحسي الذي هو مبني على مراتب الواردة بقدر أخذ الفيض من العلم والهدى الذي حصل لهم من جهة أنبيائهم بل أقول لا بد في التفاوت بين ماء كل حوض في الصفاء والرواء واللذة والكثرة بحسب اختيارهم مذهبهم فهو على منوال فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أنس قال سألت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة) أي الشفاعة الخاصة من بين هذه الامة دون الشفاعة العامة (فقال أنا فاعل قلت يا رسول الله فاين أطلبك) قال الطيبي رحمه الله أي في أي موطن من المواطن التي احتاج الى شفاعتك أطلبك لتخلصني من تلك الورطة فاجاب على الصراط وعند الميزان والحوض أي أفقر الاوقات الى شفاعتي هذه المواطن فان قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث وحديث عائشة في الفصل الثاني من باب الحساب فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا قلت جوابه لها لئلا تتكل على كونها حرم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجوابه لانس كيلا ييأس أقول فيه انه خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو محل الاتكال أيضا مع ان اليأس غير ملائم لها أيضا فالاوجه ان يقال ان الحديث الاول محمول على الغائبين فلا أحد يذكر أحدا من أهل الغيب والحديث الثاني محمول على من حضره من أمته فيوفق بانه لا منافاة بين عدم التذكر وبين وجود الشفاعة عند التحضر كما يدل عليه قوله فاين أطلبك (قال اطلبني أول ما تطلبني) أي في أول طلبك اياي (على الصراط) فما مصدرية وأول نصب على الظرفية قال الطيبي رحمه الله نصبه على المصدرية (قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان) فيه ايذان بان الميزان بعد الصراط (قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا أخطئ) بضم همز وكسر الطاء بعدها همز أي لا أتجاوز (هذه الثلاث) أي البقاع وفي نسخة هذه الثلاثة بالتاء أي المواطن والمعنى لا أتجاوزهن ولا أحد يفقدني فيهن جميعهن فلا بد ان تلقاني في موضع منهن وقد استشكل

هذا حديث غريب وعن زيد بن أرقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة رواه أبو داود وعن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم ليتباهون أيهم أكثر واردة واني لارجو أن أكون أكثرهم واردة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أنس قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم ان يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل قلت يا رسول الله فاين أطلبك قال اطلبني أول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن

كون الحوض بعد الصراط لما سيأتي في حديث الباب ان جماعة يدفعون عن الحوض بعد ان كادوا يردون ويذهب بهم الى النار ووجه الاشكال ان الذي يمر على الصراط الى الحوض يكون قد نجا من النار فكيف يرد اليها ويمكن ان يحمل على انهم يقربون من الحوض بحيث يرونه فيدفعون في النار قبل ان يخلصوا من الصراط كذا حققه الشيخ ابن حجر العسقلاني رحمه الله (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال قيل له ما المقام المحمود) أي الذي وعدته في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (قال ذلك يوم) بالرفع والتنوين على الرواية الصحيحة على ما صرح به جمع من علمائنا ويجوز فتحه وهو خبر ذلك على التقديرين اما على الثاني فظاهر واما على الاول فتقدير هذا ذلك اليوم الذي أبلغ فيه المقام المحمود (يوم ينزل الله تعالى على كرسيه) يمكن ان يكون كناية عن حكمه بالعدل في يوم الفصل قبل اظهار الفضل المتوقف على شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم اشعارا بمزيد فضله على خلقه فكأنه لولاه أولا لما خلق الافلاك ولا وجد الاملاك وكذا لولاه آخرا لوقع الانام في الهلاك فهو الاول والآخر والباطن والظاهر وهو مظهر الكل المعبر عنه بانه مظهر الجامع المسمى بالله وقيل هذا على طريقة الاستعارة التمثيلية كما أشار اليه القاضي بقوله مثل التجلي لعباده بنعت العظمة والكبرياء والاقبال عليهم للعدل والقضاء وادناء المقربين منهم على حسب مراتبهم وكشف الحجاب فيما بينه وبينهم بنزول السلطان من غرف القصر الى صدر الدار وجلوسه على كرسي الملك للحكومة والفصل واقامة خواصه وأهل كرامته حواليه قداما ووراء ويمينا وشمالا على تفاوت مراتبهم لديه وقيل معنى نزول الله تعالى على كرسيه ظهور مملكته وحكمه محسوسا وقيل معناه التجلي له بنعت العظمة والاقبال بوصف الكبرياء في اليوم الموعود حتى يتضايق من احتمال ما قد غشيه من ذلك وهذا لم يبعد عن الحق لما في كشف الحجاب من معنى النزول عن معارج الجلال الى مدارج الجمال (فيئط) بكسر الهمزة وتشديد الطاء أي يصوت الكرسي (كما يئط الرحل) أي الاكاف (الجديد براكبه) أي بسبب ركوب راكبه اذا كان عظيما قال الطيبي رحمه الله وهو مبالغة وتصوير لعظمة التجلي على طريق الترشيح (من تضايقه به) متعلق بقوله فيئط أي من عدم اتساع الكرسي بالله تعالى كذا قاله شارح وقيل أي من تضايق الكرسي بملائكة الله وهذا تمثيل عن كثرة الملائكة الحافين حول عرشه (وهو كسعة ما بين السماء والارض) بفتح سين كسعة ويكسر وفي نسخة يسعه ما بين السماء والارض ففي القاموس وسعه الشيء بالكسر يسعه كيضعه سعة كدعة ودية وفي المغرب يقال وسع الشيء المكان ومعناه وسعه المكان وذلك اذا لم يضق عنه والجملة حال والضمير راجع الى الكرسي أي والحال ان الكرسي يسع ما بين السماء والارض اشارة الى قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض لكن جاء في الحديث ان الارض بجنب السماء كحلقة في فلاة وكذا كل سماء بالنسبة الى ما فوقها والسموات السبع والارضين عند الكرسي كحلقة في فلاة وكذا هو في جنب العرش قال الطيبي رحمه الله قوله وهو يسعه حال أو معترضة جيء بها دفعا التوهم من يتوهم ان أطيط الكرسي للضيق بسبب تشبيهه بالرحل في الاطيط (ويجاء بكم حفاة عراة غرلا) أي تحضرون في هذه الحالات (فيكون أول من يكسى ابراهيم) برفعه ونصب أول وفي نسخة بعكسه قال الطيبي رحمه الله فعلى الاول فيه تقديم وتأخير كقوله تعالى ان خير من استأجرت القوي الامين (يقول الله تعالى) استئناف بيان (اكسوا) بضم الهمزة والسين أمر للملائكة أي ألبسوا (خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة) بكسر الراء جمع ريطة بفتحها وهي الملاءة لو رقيقة لينة من الكتان لا تكون لفقتين بل تكون قطعة واحدة يؤتى بها من الشام (ثم أكسى) بصيغة المفعول أي ألبس أنا (على أثره) بفتحتين وبكسر فسكون أي عقب ابراهيم وبعده (ثم أقوم عن يمين الله) أي قيام كرامة (مقاما يغبطني) بكسر الموحدة أي يتمناه (الاولون والآخرون) فان قيل كيف وجه المطابقة بين السؤال والجواب أجيب بان الدال على الجواب هو قوله

رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل له ما المقام المحمود قال ذلك يوم ينزل الله تعالى على كرسيه فيئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه وهو كسعة ما بين السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى ابراهيم يقول الله تعالى اكسوا خليلي فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم أكسى على أثره ثم أقوم عن يمين الله مقاما يغبطني الاولون والآخرون

رواه الدارمى وعن المغيرة ابن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شعار المؤمنين يوم القيامة على الصراط رب سلم سلم رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وعن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى

ثم أقوم عن يمين الله لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر اولا الوقت الذى يكون فيه المقام المحمود ووصفه بما يكون فيه من الاهوال ليكون أعظم فى النفوس وقعا ثم أشار الى الجواب بقوله ثم أقوم عن يمين الله وحاصل الجواب ان المقام المحمود هو المقام الذى أقوم فيه عن يمين الله يوم القيامة قال الطيبى رحمه الله وفى الحديث دلالة ظاهرة على فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ما سوى الله تعالى من الموجودات وحيازته قصب السبق من بين السابق واللاحق من الملائكة والثقلين وكفى بالشاهد شهيدا على ان الملك الاعظم اذا ضرب سرادق الجلال لقضاء شؤن العباد وجمع أساطين دولته وأشراف مملكته وجلس على سرير ملكه لا يخفى ان من يكون عن يمينه هو أولى أولى القرب وأما كسوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام قبله صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يدل على تفضيله عليه بل على فضله وانه انما قدم كسوته على كسوة سائر من بعثه الاولون والآخرون اظهارا لفضله وكرامته ومكانته ونحوه قوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا الى قوله ثم أوحينا اليك الآية الكشاف فى ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجلال محله والايذان بان أشرف ما أوتى خليل الله من الكرامة وأجل ما أولى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت فى المرتبة من بين سائر النعوت التى أثنى الله تعالى عليه بها اه وقيل لا يلزم منه الفضيلة المطلقة ويمكن ان يقال لا يدخل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك على القول بان المتكلم لا يدخل تحت خطابه قلت هذا غفلة من القائل عن تصريح قوله ثم أكسى على اثره قيل ويمكن ان يقال بان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم انما جىء به كاسيا وانما كسى ثيابا للكرامة بخلاف غيره فانه كسى للعرى أقول وهذا مستبعد جدا بل الظاهر انهم يبعثون عراة ثم يخلق لهم أكفانهم فيلبسونها ثم يخلع الله تعالى على من يشاء من عباده ولما كان الخليل أفضل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابتدئ به ولما كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين ختم به وأقيم عن يمين الرحمن مع انه قد يكون الامر ترقيا على ان ابراهيم كان جده عليه السلام ومنه وعد فى بعض المقام مع مراعاة كونه أول من عرى فى ذات الله حين أرادوا القاءه فى النار فبما ذكرنا امتاز الخليل من سائر الانبياء والله سبحانه وتعالى أعلم (رواه الدارمى وعن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شعار المؤمنين) بكسر الشين المعجمة أى علامتهم التى يتعارفون بها مقتديا كل أمة برسولهم قولهم (يوم القيامة على الصراط رب سلم سلم) والتكرار للالحاح أو المراد به التكثير ويمكن ان يكون شعار المؤمنين قول الانبياء فى حقهم هذا الدعاء ويؤيده ما رواه الطبرانى عن ابن عمر رضى الله عنهما وشعار أمتى اذا حملوا على الصراط يا لا اله الا أنت ويمكن الجمع بان هذا من خصوصيات هذه الامة والاول لسائر الامم والاظهر ان قوله رب سلم سلم انما هو من شعار المؤمنين الكاملين من العلماء العاملين والشهداء الصالحين ممن لهم مقام الشفاعة تبعا للانبياء والمرسلين (رواه الترمذى) وكذا الحاكم (وقال) أى الترمذى (هذا حديث غريب) وروى ابن مردويه عن عائشة مرفوعا شعار المؤمنين يوم يبعثون من قبورهم لا اله الا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وروى الشيرازى عنها أيضا شعار المؤمنين يوم القيامة فى ظلم القيامة لا اله الا أنت (وعن أنس ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى) أى شفاعتى فى العفو عن الكبائر من أمتى خاصة دون غيرهم من الامم وقال الطيبى رحمه الله أى شفاعتى التى تنجى الهالكين مختصة باهل الكبائر وفى شرح مسلم للنووى قال القاضى عياض رحمه الله مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا بصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضى له قولا وقد جاءت الآثار التى بلغت بمجموعها التواتر لصحة الشفاعة فى الآخرة وأجمع السلف الصالحون ومن بعدهم من أهل السنة عليها ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم فى تخليد المذنبين فى النار بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وبقوله سبحانه ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وأجيب بان الآيتين فى الكفار والمراد

بالله لم يشرك وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة بكونها في زيادة الدرجات فباطل وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم وإخراج من استوجب النار لكن ورد في هذا الحديث حيث لا معنى لزيادة الدرجات في الجنة لأصحاب الكبائر الذين هم على زعمهم من أهل الخلود في النار قال والشفاعة خمسة أقسام (أولها) مختصة بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهي الإراحة من هول الموقف وتعجيل الحساب (الثانية) في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضاً وردت في نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (الثالثة) الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ومن شاء الله تعالى (الرابعة) فيمن دخل النار من المذنبين فقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله (الخامسة) الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وهذه لا تنكرها أيضاً (رواه الترمذي وأبو داود) أي عن أنس (ورواه ابن ماجه عن جابر) وفي الجامع رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم عن أنس ورواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر ورواه الطبراني عن ابن عباس والخطيب عن ابن عمر وعن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنهم وفي رواية للخطيب عن أبي الدرداء شفاعتي لأهل الذنوب من أمتي وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء وفي رواية له عن علي شفاعتي لأمتي من أحب أهل بيتي وروى أبو نعيم في الحلية عن عبد الرحمن بن عوف شفاعتي مباحة إلا لمن سب أصحابي وروى ابن منيع عن زيد بن أرقم وبضعة عشر من الصحابة ولفظه شفاعتي يوم القيامة حق فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها (وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتاني آت) أي ملك عظيم (من عند ربي فخيرني) أي ربي أو الملك (بين أن يدخل) بفتح الياء وضم الخاء على ما في الأصول المعتمدة وفي نسخة صحيحة بصيغة المجهول وفي أخرى بضم أوله وكسر الخاء على أن الفاعل هو الله أو الملك مجازاً وقوله (نصف أمتي) مرفوع على الأولين ومنصوب على الثالث وقوله (الجنة) بالنصب على أنه مفعول ثان بكل من الروايات (وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة) أي لأنها أعم وأكثر نفعاً لاحتياج أكثرهم إليها (وهي) أي الشفاعة (لمن مات لا يشرك بالله شيئاً) واعلم أنه نقل عن نسخة السيد جمال الدين المحدث أن تدخل بالتاء المثناة من فوق على بناء الفاعل من الثلاثي المجرد ونصف بالرفع فيحتاج إلى تكلف بل إلى تعسف وهو أن يقال اكتسب التأنيث من المضاف إليه وضبطها بالجزرية أيضاً تدخل من باب الإفعال على البناء للفاعل مخاطباً ويرده قوله نصف أمتي والقول بالالتفات في مثل هذا مما لا يلتفت إليه (رواه الترمذي وابن ماجه) وكذا ابن حبان عن عوف ورواه أحمد عن أبي موسى (وعن عبد الله بن أبي الجدعاء) بفتح الجيم وسكون الدال المهملة كذا في جامع الأصول وهكذا ضبط في النسخ المعتمدة وأصل النسخة الذي الكبير في نسخة السيد بالذال المعجمة ويؤيده ما في التقريب من أنه بجيم مفتوحة فذال معجمة ساكنة كناني صحابي له حديثان تفرد بالرواية عنه عبد الله بن شقيق وقال المؤلف تميمي يذكر في الوحدان روى عنه عبد الله بن شقيق وعداده في البصريين (قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعة رجل) أي جليل (من أمتي أكثر من بني تميم) وهي قبيلة كبيرة فقيل الرجل هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وقيل أويس القرني وقيل غيره قال زين العرب رحمه الله وهذا أقرب (رواه الترمذي والدارمي وابن ماجه وعن أبي سعيد) أي الخدري رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال إن من أمتي) أي بعض أفرادهم من العلماء والشهداء والصلحاء (من يشفع للفئام) بكسر الفاء بعده همز وقد يبدل قال الجوهري هو الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه والعامة تقول فيام بلا همز أقول الأظهر أن يقال ههنا معناه القبائل كما قيل وهو في المعنى جمع فئة لقوله (ومنهم من يشفع للقبيلة) وهي قوم كثير جدهم واحد (ومنهم من يشفع للعصبة) بضم فسكون وهو ما بين العشرة إلى الأربعين من الرجال لا واحد لها من

رواه الترمذي وأبو داود ورواه ابن ماجه عن جابر وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً رواه الترمذي وابن ماجه وعن عبد الله بن أبي الجدعاء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم رواه الترمذي والدارمي وابن ماجه وعن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من أمتي من يشفع للفئام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة

لفظها والاظهر أن المراد بها جمع ولو اثنان لقوله (ومنهم من يشفع للرجل) ويمكن ان يقال طوى ما بين العصبة والرجل لما يدل عليه الرجل بالبرهان الجلي كما يدل على المراة بالقياس الخفي (حتى يدخلوا) أي الامة كلهم (الجنة) قال الطيبي رحمه الله يحتمل أن يكون غاية يشفع والضمير لجميع الامة أي ينتهي شفاعتهم الى أن يدخلوا جميعهم الجنة ويجوز أن يكون بمعنى كي فالمعنى ان الشفاعة لدخول الجنة (رواه الترمذي) أي وحسنه على ما نقله عنه السيد (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف بلا حساب) أي ولا كتاب ولا سابقة عذاب (فقال أبو بكر زدنا يا رسول الله) أي زدنا في الاخبار عما وعدك ربك ادخال أمتك الجنة بشفاعتك يدل على هذا التأويل حديث أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي كذا ذكره الطيبي رحمه الله تعالى وهو حسن جدا لا أن قيد قوله بشفاعتك لا دلالة للكلام عليه والظاهر أن هؤلاء يدخلون الجنة من غير شفاعة مخصوصة وان كانوا داخلين في الشفاعة العامة هذا وفي قوله زدنا دليل على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم له مدخل ومجال في الامور الاخروية وفي التصرفات الربوبية بحسب ما أولاه مولاه من الرتبة الجلية والمزية العلية (قال) أي أنس (وهكذا) أي وفعل هكذا وتفسيره (فحثى بكفيه وجمعهما قال أبو بكر زدنا يا رسول الله قال وهكذا) أي فحثى بكفيه وجمعهما والظاهر ان هذا حكاية لفعله سبحانه ولذا قال الشراح انما ضرب المثل بالحثيات لان من شأن المعطي الكريم اذا استزيد أن يحثي بكفيه من غير حساب وربما ناوله ملء كف فالحثي كناية عن المبالغة في الكثرة والا فلا كف ولا حثي (فقال عمر دعنا يا أبا بكر) أي اتركنا على ما بيننا الحال بطريق الاجمال لنكون بين الخوف والرجاء على وجه الاعتدال (فقال أبو بكر وما عليك) أي بأس وضرر (أن يدخلنا الله كلنا) أي جميعنا وهو تأكيد للضمير في يدخلنا (الجنة فقال عمر ان الله) أي بل أقول زيادة على ما تقول على ما هو المعتقد بالمنقول والمعقول وهو أن الله (عز وجل ان شاء أن يدخل خلقه الجنة) أي جميع مخلوقاته من الانس والجن مؤمنهم وكافرهم ومطيعهم وفاجرهم (بكف واحد) أي بمرتبة واحدة (فعل) كما قال سبحانه ولو شاء لهداكم أجمعين ولكن الله يفعل ما يريد قيل أراد بكف واحد عطاء وفضله أي لو أراد أن يدخل الخلق كله بفضل رحمته فعل فانها أوسع من ذلك هذا والكف على ما في القاموس اليد او الى الكوع وجعلها صاحب المغرب من المؤنثات السماعية وعدها ابن الحاجب أيضا في رسالته مما يجب تأنيثه فقوله بكف واحد مؤول بعطاء واحد او بمقبوض واحد (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم صدق عمر) قال التوربشتي رحمه الله وانما لم يعبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبا بكر على كلام عمر رضي الله تعالى عنهما لانه وجد للبشارات مدخلا عظيما في توجه النفوس القدسية فان الله ينجي خلقه من عذابه بشفاعة الشافعين الفوج بعد الفوج والقبيل بعد القبيل ثم يخلص من قصرت عنه شفاعة الشافعين بفضل رحمته وهم الذين سلم لهم الايمان ولم يعملوا خيرا قط على ما سبق في الحديث وقال بعض العارفين ما ذهب اليه أبو بكر هو من باب التضرع والمسكنة وما ذهب اليه عمر من باب التفويض والتسليم أقول التسليم أسلم والله تعالى أعلم (رواه) أي صاحب المصابيح (في شرح السنة) أي باسناده ورواه أحمد في مسنده على ما ذكره السيد (وعنه) أي عن أنس (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصف) بضم وفتح وتشديد أي يجعل صفا وفي نسخة بفتح فضم أي يصير صفا (أهل النار) أي من عصاة المؤمنين والفجار في طريق أهل الجنة من العلماء الاخيار والصلحاء الابرار على هيئة المساكين السائلين في طريق الاغنياء في هذه الدار (فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم) أي من أهل النار (يا فلان) كناية عن اسمه (أما تعرفني أنا الذي سقيتك شربة) أي من ماء أو لبن أو نحوهما (وقال بعضهم أنا الذي وهبت لك وضوءا) بفتح الواو أي ماء وضوء

ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة رواه الترمذي.
وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل وعدني ان يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف بلا حساب فقال أبو بكر زدنا يا رسول الله قال وهكذا فحثا بكفيه وجمعهما فقال أبو بكر زدنا يا رسول الله قال وهكذا فقال عمر دعنا يا أبا بكر فقال أبو بكر وما عليك ان يدخلنا الله كلنا الجنة فقال عمر ان الله عز وجل ان شاء ان يدخل خلقه الجنة بكف واحد فعل فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق عمر رواه في شرح السنة.
وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أهل النار فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان اما تعرفني أنا الذي سقيتك شربة وقال بعضهم أنا الذي وهبت لك وضوأ

وعلى هذا القياس من لقمة ونحوها أو نوع اعانة أو جنس عطية كلية أو جزئية ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة فان الغريق يتعلق بكل حشيش (فيشفع له) أى ذلك الصالح (فيدخله الجنة) أى يصير سببا لدخوله اياها أو المعنى فيدخله معه الجنة والله تعالى أعلم قال المظهر فيه تحريض على الاحسان الى المسلمين لاسيما مع الصلحاء والمجالسة معهم ومحبتهم فان محبتهم زين فى الدنيا ونور فى العقبى (رواه ابن ماجه وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما) أى بكاؤهما وتضرعهما واستغاثتهما (فقال الرب تعالى) أى للزبانية (أخرجوهما فقال لهما لاى شئ اشتد صياحكما) أى بعد ما كنتما ساكتين خامدين (قالا فعلنا ذلك) أى اشتداد الصياح (لترحمنا) أى فانك تحب من يتضرع اليك (قال فان رحمتى لكم ان تنطلقا) أى تذهبا (فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار) فيه ايماء الى ان مجرد التضرع الظاهرى لا يفيد الرحمة بدون الانقياد الباطنى ولذا قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الطيبى رحمه الله قوله ان تنطلقا وتلقيا خبران فان قلت كيف يجوز حمل الانطلاق الى النار والقاء النفس فيها على الرحمة قلت هذا من حمل السبب على المسبب وتحقيقه انهما لما فرطا فى جنب الله وقصرا فى العاجلة فى امتثال أمره أمرهما الآن بالامتثال فى القاء أنفسهما فى النار ايذانا بان الرحمة انما هى مترتبة على امتثال أمر الله عز وجل (فيلقى أحدهما نفسه) أى فى النار (فيجعلها الله عليه بردا وسلاما) أى كما جعلها بردا وسلاما على ابراهيم (ويقوم الآخر) أى يقف (فلا يلقى نفسه فيقول له الرب تعالى ما منعك ان تلقى نفسك) أى من القائها فى النار (كما ألقى صاحبك) أى كالقائه فيها (فيقول رب انى لارجو أن لا تعيدنى فيها بعد ما أخرجتنى منها) فالاول امتثل بالخوف والعمل والثانى عمل بالعلم والامل (فيقول له الرب تعالى لك رجاؤك) أى مقتضاه ونتيجته كما ان لصاحبك خوفه وعمله بموجبه (فيدخلان) بصيغة المفعول أى يدخلهما الله (جميعا الجنة برحمة الله) أى المترتبة على العمل والمعرفة (رواه الترمذى وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرد الناس النار) يرد على وزن يعد مضارع من الورود بمعنى الحضور يقال وردت ماء كذا أى حضرته وانما سماه ورودا لان المارة على الصراط يشاهدون النار ويحضرونها وعلى هذا يؤول قوله تعالى وان منكم الا واردها وفيه ايماء الى انهم حينئذ فى العطش الشديد وانما مروا على الصراط للوصول الى الحوض المورود قال التوربشتى رحمه الله الورود فى اللغة قصد الماء ثم يستعمل فى غيره والمراد منه هاهنا الجواز على جسر جهنم (ثم يصدرون منها) بضم الدال أى ينصرفون عنها فان الصدر اذا عدى بعن اقتضى الانصراف وهذا على الاتساع ومعناه النجاة اذ ليس هنالك انصراف وانما هو المرور عليها فوضع الصدر موضع النجاة للمناسبة التى بين الصدور والورود قال الطيبى رحمه الله ثم فى ثم يصدرون منها فى قوله تعالى ثم ننجى الذين اتقوا فى أنه للتراخى فى الرتبة لا الزمان بين الله تعالى التفاوت بين ورود الناس النار وبين نجاة المتقين منها فكذلك بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم التفاوت بين ورود الناس النار وبين صدورهم منها على أن المراد بالصدور الانصراف انتهى والحاصل أن الخلق بعد شروعهم فى الورود يتخلصون من خوف النار ومشاهدة رؤيتها وملاصقة لهبها ودخانها وتعلق شوكها وأمثالها على مراتب شتى فى سرعة المجاوزة وابطائها (باعمالهم) أى بحسب مراتب أعمالهم الصالحة (فاولهم) أى أسبقهم (كلمح البرق) أى الخاطف (ثم كالريح) أى العاصف (ثم كحضر الفرس) أى جريه وهو بضم الحاء وسكون الضاد العدو الشديد (ثم كالراكب فى رحله) أى على راحلته وعداه بفى لتمكنه من السير كذا قاله الطيبى رحمه الله وقيل أراد الراكب فى منزله ومأواه فانه يكون حينئذ السير والسرعة أشد (ثم كشد الرجل) أى عدوه وجريه (ثم كمشيه) أى كمشى الرجل على هينته (رواه الترمذى والدارمى)

(الفصل الثالث) (عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان امامكم)

فيشفع له فيدخله الجنة رواه ابن ماجه وعن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلين ممن دخل النار اشتد صياحهما فقال الرب تعالى اخرجوهما فقال لهما لاى شئ اشتد صياحكما قالا فعلنا ذلك لترحمنا قال فان رحمتى لكما ان تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها الله عليه بردا وسلاما ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه فيقول له الرب تعالى ما منعك ان تلقى نفسك كما ألقى صاحبك فيقول رب انى لارجو أن لا تعيدنى فيها بعد ما أخرجتنى منها فيقول له الرب تعالى لك رجاؤك فيدخلان جميعا الجنة برحمة الله رواه الترمذى وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس النار ثم يصدرون منها باعمالهم فاولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب فى رحله ثم كشد الرجل ثم كمشيه رواه الترمذى والدارمى

(الفصل الثالث) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أمامكم

بفتح الهمزة أي قدامكم يوم القيامة (حوضي) أي بعد الصراط (ما بين جنبيه) أي طرفيه (كما بين جرباء) بفتح جيم وسكون راء موحدة ممدودة (وأذرح) بفتح همز وسكون ذال معجمة وضم راء وبحاء مهملة غير منصرفين (قال بعض الرواة) أي رواة هذا الحديث (هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال) قال صاحب القاموس الجرباء قرية بجنب أذرح وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام وانما الوهم من رواة الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطني وهي ما بين ناحيتي حوضي كما بين المدينة وجرباء وأذرح (وفي رواية فيه) أي موضوع في أطرافه أو على جوانبه (أباريق كنجوم السماء) أي في الكثرة وصفاء الضياء (من ورده وشرب منه) أي شربة (لم يظمأ بعدها) أي بعد تلك الشربة أو بعد الشرب وهو مصدر يذكر ويؤنث (أبدا) أي دائما سرمدا فيكون شربه الأشربة في الجنة بعدها بناء على التلذذ والتفكه والتكيف بها (متفق عليه) ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه عنه بلفظ الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب ريحا من المسك وماؤه أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن (وعن حذيفة وأبي هريرة قالا) أي كلاهما (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس) المراد بهم الخلق وخصوا بالذكر للتشريف فانهم عمدة أرباب التكاليف (فيقوم المؤمنون) أي الخواص من عموم الناس (حتى تزلف) بضم التاء وسكون الزاي وفتح اللام وبالفاء أي تقرب (لهم الجنة) ومنه قوله تعالى واذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت (فيأتون) أي المؤمنون (آدم) والمراد منهم بعضهم الخواص من كل أمة (فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة) أي اطلب فتح بابها (حتى ندخلها فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم) أي وصاحب الخطيئة لا يصلح للشفاعة بل هو محتاج بنفسه الى الضراعة وهذا معنى قوله (لست بصاحب ذلك) أي ذلك المقام الذي أردتموه من الشفاعة الكبرى والمرتبة العظمى المسماة بالمقام المحمود المخصوص لصاحب اللواء الممدود (اذهبوا الى ابني ابراهيم خليل الله) أي فانه من أفضل الرسل وجد خاتم الانبياء فتقربوا اليه واعرضوا أمركم عليه (قال فيقول ابراهيم لست بصاحب ذلك) أي المقام الموعود والمرام المشهود (انما كنت خليلا من وراء وراء) بالفتح فيهما على ما في الاصول المعتمدة والنسخ المقروءة المصححة قال النووي رحمه الله المشهور الفتح فيهما بلا تنوين ويجوز في العربية بناؤهما على الضم قال أبو البقاء الصواب الضم فيهما لان تقديره من وراء ذلك قال وان صح الفتح قبل وقال الشيخ أبو عبد الله الفتح صحيح وتكون الكلمة مركبة كشذر مذر وشغر بغر فبناؤهما على الفتح وان ورد منصوبا منونا جاز ذلك (اعمدوا) بكسر الميم أي اقصدوا (الى موسى الذي كلمه الله تكليما) أي بلا واسطة كما بوحي من غير وراء حجاب قال صاحب التحرير وهذا وارد على سبيل التواضع أي لست بتلك الدرجة الرفيعة ومعناه ان المكارم التي أعطيتها كانت بواسطة سفارة جبريل عليه الصلاة والسلام ولكن ائتوا موسى عليه الصلاة والسلام فانه حصل له الكلام بغير واسطة قال وانما كرر لان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حصل له السماع بغير واسطة وحصل له الرؤية أيضا فكانه قال أنا وراء موسى الذي هو وراء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (فيأتون موسى فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا الى عيسى كلمة الله وروحه) بالجر على البدلية ويجوز رفعهما ونصبهما على المدح (فيقول عيسى لست بصاحب ذلك) وحينئذ ينحصر الامر في نبينا خاتم الرسل ومقدم الكل (فيأتون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) فيه وضع الظاهر موضع ضمير المتكلم على سبيل الالتفات أو على طريق التجريد (فيقوم) أي عن يمين عرش الرحمن ويستأذن بالشفاعة في نوع الانسان لازالة كرب الموقف وعموم الاحزان (فيؤذن له) أي فيسجد على ما سبق (وترسل الامانة والرحم) أي مصورتين كما تقدم (فتقومان) بالتانيث على تغليب الامانة المتقدمة وبالتذكير على تغليب الرحم المذكر أي فيقفان أو فيحضران (جنبتي الصراط) بالفتحات أي طرفيه (يمينا وشمالا) كالبيان لما قبله

حوضي ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال وفي رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدا متفق عليه

وعن حذيفة وأبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم لست بصاحب ذلك اذهبوا الى ابني ابراهيم خليل الله قال فيقول ابراهيم لست بصاحب ذلك انما كنت خليلا من وراء وراء اعمدوا الى موسى الذي كلمه الله تكليما فيأتون موسى عليه السلام فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا الى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا فيقوم فيؤذن له وترسل الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا

ونصبهما على البدلية أو الظرفية (فيمر أولكم) التفات من الغيبة العامة الى الخطاب الخاصة (كالبرق) أى في سرعة السير (قال) أى أبو هريرة (قلت بأبي أنت وأمي) الباء للتعدية أى أفديك بهما (أى شئ) استفهام (كمر البرق) أى أى شئ شبيه به والمعنى في أى شئ تشبهه بالبرق (قال ألم تروا الى البرق كيف يمر) أى سريعا (ويرجع في طرفة عين) ذكره على سبيل الاستطراد أو على طريق التتميم لمعنى المراد فيكون الجواب بانه يشبهه في سرعة السير كذا حرره الشراح وعندى ان التشبيه مركب من سرعة المرور ومن ضياء الظهور ليكون نورا على نور وليكون اشارة الى البدن والروح والى الظاهر والباطن والى الكمية والكيفية وأيضا المرور مذكور في كلام السائل ولابد في الجواب من أمر زائد والله تعالى أعلم ثم الظاهر ان المراد بهم الانبياء ويحتمل ان يراد بهم الاصفياء من هذه الامة وهم ارباب الجذبات الالهية (ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال) أى جريهم والرجال اما جمع رجل أو جمع راجل قال الطيبي رحمه الله قوله أى شئ كمر البرق أى ما الذي يشبه مر المارين بمر البرق وقوله ألم تروا الى البرق بيان لما شبهوا به بالبرق وهو سرعة اللمعان يعني سرعة مرورهم على الصراط كسرعة لمعان البرق كأنه أى السائل استبعد ان يكون في الانسان ما يشبه البرق في السرعة فسأل عن أمر آخر هو المشبه فاجاب بان ذلك غير مستبعد وليس بمستنكر ان يجعلهم الله تعالى ذلك بسبب أعمالهم الحسنة ألا ترى كيف أسند الجريان الى الاعمال في قوله (تجري بهم أعمالهم) أى تجري وهي ملتبسة بهم لقوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال ويجوز ان يكون الباء للتعدية أى تجعلهم جارين (ونبيكم قائم على الصراط يقول يارب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد) متعلق بتجري والجملة قبله معترضة بيانية أو حالية والمعنى تجري بهم أعمالهم حتى تعجز أعمالهم عن الجريان بهم (حتى يجيء الرجل) بدل من قوله حتى تعجز وتوضيح له (ولا يستطيع) أى الرجل لضعف عمله وتقاعده عن السبق في الدنيا (السير) أى المرور (على الصراط الازحفا) أى حبوا كما تقدم والله تعالى أعلم (قال) أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو أبو هريرة مرفوعا (وفي حافتي الصراط) بتخفيف الفاء أى جانبيه (كلاليب) جمع كلاب (معلقة مأمورة تأخذ) أى هي (من أمرت به) ولو روى بالباء وفتح الهمز وسكون الخاء على المصدر لكان له وجه وجيه (فمخدوش) أى فمنهم مجروح (ناج) أى من الوقوع في النار (ومكردس في النار) بفتح الدال المهملة وبالسين المهملة وقيل المعجمة وهو الذي جمعت يداه ورجلاه والقي في موضع كذا في النهاية في السين المهملة ثم قال والمكردش بمعناه وفي نسخة مكدوس بالمهملة أى مدفوع في النار ذكره في النهاية ثم قال ويروى بالمعجمة من الكدش وهو السوق الشديد والكدش الطرد والجرح أيضا وفي القاموس كدسه أى صرعه وبالمعجمة دفعه دفعا عنيفا (والذي نفس أبي هريرة بيده) هذا يؤيد ان مرجع ضمير قال اليه ثم هذا القسم اما موقوف عليه أو مرفوع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (ان قعر جهنم لسبعين خريفا) قال الدماميني أى ان مسافة السير اليه لسبعين خريفا وقال صاحب المغني وجهه ان القعر مصدر قعرت البئر اذا بلغت قعرها وسبعين ظرفه أى ان بلوغ قعرها يكون في سبعين عاما وفي نسخة بالواو وقال النووي رحمه الله في بعض الاصول سبعون بالواو وهو ظاهر وفيه حذف أى مسافة قعر جهنم مسيرة سبعين خريفا وفي معظم الاصول والروايات سبعين بالياء وهو صحيح أيضا على تقدير مسيرة سبعين فحذف المضاف وترك المضاف اليه على اعرابه أو يكون التقدير ان بلوغ قعر جهنم لكائن في سبعين خريفا وسبعين خريفا ظرف لمحذوف (رواه مسلم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعارير) بالمثلثة والعين المهملة والرائين جمع ثعرور كعصافير وعصفور (قلنا ما الثعارير قال انه) على ما في نسخة صحيحة وفي نسخة قال (الضغابيس) بضاد وغين معجمتين وموحدة وتحتية وسين مهملة جمع ضغبوس في النهاية الثعارير هي القثاء الصغار شبهوا بها لان القثاء ينمو سريعا وقيل هي رؤس الطراثيث تكون بيضا شبهوا ببياضها واحدها طرثوث وهو نبت

فيمر أولكم كالبرق قال قلت بأبي أنت وأمي أى شئ كمر البرق قال ألم تروا الى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم قائم على الصراط يقول يارب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير الازحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكردس في النار والذي نفس أبي هريرة بيده ان قعر جهنم لسبعون خريفا رواه مسلم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعارير قلنا ما الثعارير قال انه الضغابيس

بتوكل والفساقيس صغار القثاء (متفق عليه وعن عثمان بن عفان) بلا صرف وبه يصرف رضي الله تعالى عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة) أي ثلاثة أصناف من الاصفياء (الانبياء ثم العلماء) أي العاملون (ثم الشهداء) أي المخلصون وفي العطف بثم دلالة صريحة على تفضيل العلماء على الشهداء كما يدل عليه ما رواه الشيرازي عن أنس وابن عبد البر عن أبي الدرداء وابن الجوزي في العلل عن النعمان بن بشير مرفوعا يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء فيرجح مداد العلماء على دم الشهداء وفيه مبالغة لا تخفى على الفضلاء فان مدادهم أقل أمدادهم ودم الشهداء أفضل امدادهم (رواه ابن ماجه) وروى أبو داود عن أبي الدرداء مرفوعا يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته

(باب صفة الجنة وأهلها)

الجنة البستان من الشجر المتكاثف المظال بالتفاف أغصانه والتركيب دائر على معنى الستر في الجنة والجنة والجنة والجنون ونحوه فكان الجنة لتكاثفها وتظللها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان أو لكونها مستورة عن أعين الناس ليكون الايمان بالغيب لا بالعيان أو لان الله تعالى أخفى من قرة الاعين لاهلها الاعيان والله سبحانه وتعالى أعلم

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى أعددت) أي هيأت (لعبادي الصالحين) بفتح ياء المتكلم وبسكن (ما لا عين رأت) قال الطيبي رحمه الله ما هنا اما موصولة أو موصوفة وعين وقعت في سياق النفي فافاد الاستغراق والمعنى ما رأت العيون كلهن ولا عين واحدة منهن والاسلوب من باب قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فيحتمل نفي الرؤية والعين معا أو نفي الرؤية فحسب أي لا رؤية ولا عين أو لا رؤية وعلى الاول الغرض منه العين وانما ضمت اليه الرؤية ليؤذن بان انتفاء الموصوف أمر محقق لا نزاع فيه وبلغ في تحققه الى ان صار كالشاهد على نفي الصفة وعكسه (ولا أذن) بضمتين وبسكن الذال (سمعت ولا خطر) أي وقع (على قلب بشر) قال الطيبي رحمه الله هو من باب قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم أي لا قلب ولا خطور أو لا خطور فعلى الاول لهم قلب يخطر فجعل انتفاء الصفة دليلا على انتفاء الذات أي اذا لم يحصل ثمرة القلب وهو الاخطار فلا قلب كقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فان قلت لم خص البشر هنا دون القرينتين السابقتين قلت لانهم هم الذين ينتفعون بما أعد لهم ويهتمون بشأنه ويخطرون ببالهم بخلاف الملائكة والحديث كالتفصيل للآية فانها نفت العلم والحديث نفى طريق حصوله (واقرؤا) ظاهره انه مرفوع ويؤيده العاطف والاظهر انه موقوف لقوله (ان شئتم) أي أردتم الاستشهاد والاعتضاد (فلا تعلم) في محل النصب على انه مفعول اقرؤا والتقدير آية فلا تعلم (نفس) أي نفس من الملائكة وغيرهم (ما أخفي لهم) قرأ الجمهور أخفي بتحريك الياء على البناء للمفعول وقرأ حمزة بسكونها على انه مضارع مسند للمتكلم ويؤيده قراءة ابن مسعود نخفي بنون العظمة وقرئ أخفى بفتح أوله والفاعل هو الله تعالى (من قرة أعين) الكشاف لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك وأخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه النعمة ولا مطمع وراءها وفي شرح السنة يقال أقر الله عينك ومعناه برد الله دمعتها لان دمعة الفرح باردة حكاه الاصمعي وقال غيره معناه بلغك الله أمنيتك حتى ترضى به نفسك وتقر عينك ولا تستشرف الى غيره قال الطيبي رحمه الله فعلى هذا الاول من القرة بمعنى البرد والثاني من القرار وفي قوله أعددت دليل على ان الجنة مخلوقة ويعضده سكنى آدم وحواء الجنة ومجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنجم والثريا والكتاب ونحوها وذلك ان الجنة كانت تطلق على كل بستان متكاثف أغصان أشجاره ثم غلبت على

متفق عليه وعن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء رواه ابن ماجه

(باب صفة الجنة وأهلها)

(الفصل الاول)

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين

دار الثواب وانما قلنا الا حقيقة الاسلام لكونها غير لازمة للام وتحقيق القول انها منقولة شرعية على سبيل التغليب وانما تغلب اذا كانت مع جودة معهودة وكذلك اسم النار منقولة لدار العقاب على سبيل الغلبة وان اشتملت على الزمهرير والمهل والضريع وغير ذلك ولولا ذلك لما كان يغني عن طلب القصور والحور والولدان بالجنة ولا عن طلب الوقاية من الزمهرير والمهل والضريع عن مطلق النار (متفق عليه) وكذا رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة من غير قوله اقرؤا ان شئتم الى آخره على ما في الجامع فهو يؤيد كونه موقوفا وروى الطبراني عن سهل بن سعد مرفوعا ولفظه ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب أحد ورواه الطبراني في الاوسط والبزار عن أبي سعيد ولفظه في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وروى الطبراني عن ابن عباس مرفوعا قال لما خلق الله تعالى جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون هذا وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله سبب هذا الحديث ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه من أعظم أهل الجنة منزلة فقال غرزت كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رأت الى آخره أخرجه مسلم والترمذي انتهى ولا يخفى ان الضمير في ما أخفي لهم لقوم خاص تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون والمراد المتهجدون والاوابون ولما أخفوا أعمالهم عن أعين العباد جوزوا باخفاء الله تعالى لهم ما أراد لهم من الاعداد جزاء وفاقا على حسب ما وفقوا من الامداد والاسعاد (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موضع سوط في الجنة) أريد به قدر قليل منها أو مقدار موضعه فيها (خير) أي كمية وكيفية (من الدنيا وما فيها) لان الجنة مع نعيمها باقية والدنيا مع ما فيها فانية قال ابن الملك سوى كلام الله تعالى وصفاته و جميع أنبيائه انتهى وغرابة استثنائه مما لا يخفى ثم قال وما هو باق لا يوازنه ما هو في معرض الفناء فالمقط خير لمجرد الزيادة وقال التوربشتي رحمه الله انما خص السوط بالذكر لان من شان الراكب اذا أراد النزول في منزل ان يلقي سوطه قبل أن ينزل معلما بذلك المكان الذي يريده لئلا يسبقه أحد اليه (متفق عليه) وفي الجامع رواه البخاري والترمذي وابن ماجه عن سهل بن سعد والترمذي عن أبي هريرة فقول المؤلف متفق عليه محل توقف من وجهين وفي الجامع لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والارض رواه أحمد عن أبي هريرة (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غدوة) أي مرة من ذهاب أول النهار (في سبيل الله أو روحة) أي مرة من رواح آخر النهار أو أول الليل وأو ليس للشك بل للتنويع أي كل واحدة منهما في سبيل مرضاته من غزو او حج أو هجرة أو طلب علم (خير من الدنيا وما فيها) أي جزاء وثوابا ومآلا ومآبا (ولو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت) بتشديد الطاء أي أشرفت وطالعت (الى الارض لاضاءت ما بينهما) أي ما بين المشرق والمغرب أو ما بين السماء والارض أو ما بين الجنة والارض وهو الاظهر لتحقق ذكرهما في العبارة صريحا (ولملأت ما بينهما ريحا) أي طيبا (ولنصيفها) كلام مستأنف أي ولخمارها (على رأسها) قيد به تحقيرا له بالنسبة لى خمار البدن جميعه (خير من الدنيا وما فيها) أي ومكيف الجنة نفسها وما بها من نعيمها (رواه البخاري) وفي الجامع غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها رواه أحمد والشيخان وابن ماجه عن أنس والبخاري والترمذي والنسائي عن سهل بن سعد ومسلم وابن ماجه عن أبي هريرة والترمذي عن ابن عباس ورواه أحمد ومسلم والنسائي عن أبي أيوب مرفوعا ولفظه غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس وغربت وروى الطبراني والضياء عن سعيد بن عامر لو ان امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت الى الارض لملأت الارض من ريح المسك ولاذهبت ضوء الشمس والقمر وروى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أنس بلفظ لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها

متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها متفق عليه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها رواه البخاري

ولقاب

وقاب قوس أحدكم أو موضع قدم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها والقد بكسر القاف وتشديد الدال وتر القوس وقيل السوط (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة شجرة) قال ابن الجوزي رحمه الله يقال انها طوبى قال العسقلاني وشاهد ذلك عند أحمد والطبراني وابن حبان (يسير الراكب في ظلها) أي في نواحيها والا فالظل في عرف أهل الدنيا ما يقي من حر الشمس واذاها وقد قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقد يقال المراد بالظل هنا ما يقابل شعاع الشمس ومنه ما بين ظهور الصبح الى طلوع الشمس ولذا قال تعالى وظل ممدود ويمكن ان يكون للشجر من النور الباهر ما يكون لما تحته كالحجاب الساتر (مائة عام لا يقطعها) أي لا ينتهي الراكب الى انقطاع ظلها (ولقاب قوس أحدكم) في الفائق القاب والقيب كالقاد والقيد بمعنى القدر وانه علامة يعرف بها المسافة بين الشيئين من قولهم قوب في هذه الارض اذا أثروا فيها بموطئهم ومحالهم وقال التوربشتي الراجل يبادر الى تعيين المكان بوضع قوسه كما ان الراكب يبادر اليه برمي سوطه انتهى والاظهر في المعنى لقدر موضع قوس أحدكم في الجنة أو لمقداره وقيمته لو فرض انه قوم فيها (خير مما طلعت عليه الشمس) أي شمس الدنيا (أو تغرب) وفي نسخة أو غربت واو اما للشك واما للتخيير واما بمعنى الواو فان المراد بهما بين الخافقين وهو المعبر به عن الدنيا وما فيها (متفق عليه) وفي الجامع ان في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها رواه أحمد والبخاري والترمذي عن أنس والشيخان عن سهل بن سعد وأحمد والشيخان والترمذي عن أبي سعيد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة (وعن أبي موسى) أي الاشعري رضي الله تعالى عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان للمؤمن في الجنة لخيمة) أي عظيمة (من لؤلؤة) بهمزتين وتبدلان وقد تبدل الاولى دون الثانية أي درة (واحدة مجوفة عرضها) فالطول أولى (وفي رواية طولها) أي وعلى قياسه عرضها وتحصل بالروايتين ان طولها وعرضها كل واحد منهما (ستون ميلا في كل زاوية) أي من الزوايا الاربعة (منها) أي من تلك الخيمة (أهل) أي للمؤمن من زوج وغيره (ما يرون) أي ذلك الاهل وجمع باعتبار معناه (الآخرين) أي الجمع الآخرين من الاهل الكائنين في زاوية أخرى (يطوف عليهم) أي يدور على جميعهم (المؤمنون) بصيغة الجمع في أصل السيد وكثير من نسخ المشكاة وفي بعضها بصيغة الافراد قال الطيبي رحمه الله كذا في البخاري وشرح السنة ونسخ المصابيح وفي مسلم والحميدي وجامع الاصول المؤمن وعلى هذا الجمع لارادة الجنس انتهى وقال شارح وتبعه ابن الملك ان المعنى يجامع المؤمن الاهل وان الطواف هنا كناية عن المجامعة (وجنتان) مبتدأ خبره محذوف أي وللمؤمن جنتان وأغرب من قال انه عطف على أهل لكونه بعيدا عن المعنى وان كان قريبا في اللفظ ثم قال شارح أي درجتان أو قصران (من فضة آنيتهما وما فيهما) أي من القصور والاثاث كالسرر وكقضبان الاشجار وأمثال ذلك قيل قوله من فضة خبر آنيتهما والجملة صفة جنتان أو من فضة صفة قوله جنتان وخبر آنيتهما محذوف أي آنيتهما وما فيهما كذلك أو آنيتهما فاعل الظرف أي تفضض آنيتهما وكذا من جهة المبنى والمعنى قوله (وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما) ثم ظاهره ان الجنتين من فضة لا غير وبالعكس فالجمع بينه وبين حديث وصفة بناء الجنة من ان لبنة من ذهب ولبنة من فضة ان الاول صفة ما في الجنة من آنية وغيرها والثاني صفة حوائط الجنة أو المراد به التبعيض لا التنويع أو يقال الجنتان من ذهب لأكمل من أهل مقام الخوف الموجب للقيام بالطاعة على الوجه الاكمل كما قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والجنتان من فضة لمن يكون في مرتبة النقصان من مقام أرباب الكمال كما أشار اليه تعالى بقوله ومن دونهما جنتان والحاصل ان المراد بالاولين هم السابقون وبالآخرين هم اللاحقون وأما الجنة الملمة فاصحابها المخلطون

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب متفق عليه وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة عرضها وفي رواية طولها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما

وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن متفق عليه وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار

والله سبحانه وتعالى أعلم بهذا وقال البيهقى رحمه الله دل الكتاب والسنة على ان الجنان أربع وذلك لان الله تعالى قال فى سورة الرحمن ولمن خاف مقام ربه جنتان و وصفهما ثم قال ومن دونهما جنتان ووصفهما ورد بيانا عن أبى موسى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال جنتان آنيتهما وما فيهما من ذهب وجنتان آنيتهما وما فيهما من فضة قلت ويؤيد ما قدمناه ما فى رواية جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة لاصحاب اليمين ولا يبعد ان يكون المراد بالجنتين نوعين من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من فضة وقد يكون لارباب الكمال جنتان من ذهب وجنتان من فضة على عين قصورهم وشمالها طلبا للزينة لا لفقدان الذهب أو كثرة القيمة على انه قد يراد بالتثنية التكثير ويقويه ان أبواب الجنة وطبقاتها ثمانية فقد قال فى المناجاة هى ثمان جنة عدن وجنة الفردوس وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة المأوى ودار السلام ودار القرار ودار المقامة (وما بين القوم) أى وليس مانع من الموانع بين أهل الجنة (وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء) أى صفة العظمة (على وجهه) أى ثابتا على ذاته فهو حال من الرداء (فى جنة عدن) أى كائن فى جنة اقامة وخلود وهو بدل من قوله فى الجنة كذا قيل وهو يوهم الاختصاص مع ان وصف الاقامة والخلود لا ينفك عن جنس الجنة ولا عبرة بالمفهوم الموهوم قال الطيبى رحمه الله قوله على وجهه حال من رداء الكبرياء والعامل معنى ليس وقوله فى الجنة متعلق بمعنى الاستقرار فى الظرف فيفيد بالمفهوم انتفاء هذا الحصر فى غير الجنة قلت هذا مسلم لكن لفظ الحديث فى جنة عدن وقال الشيخ التوربشتى رحمه الله تعالى أى ما بين العبد المؤمن اذا تبوأ مقعده من الجنة مع ارتفاع حجب الكدورة الجسمية واضمحلال الموانع الحسية هنالك وبين نظره الى ربه الا ما يصده من هيبة الجلال وسبحات الجمال ولا يرتفع ذلك منهم الا برأفة ورحمة منه تفضلا على عباده وأنشد فى المعنى

اشتاقه فاذا بدا * أطرقت من اجلاله * لا خيفة بل هيبة
وصيانة لجماله * وأصد عنه تجلدا * وأروم طيف خياله

(متفق عليه) وفى الجامع ان للمؤمن فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا رواه مسلم رحمه الله عن أبى موسى ورواه أحمد ومسلم والترمذى عن أبى موسى رحمهم الله بلفظ فى الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا فى كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن وروى أحمد والطبرانى عن أبى موسى مرفوعا جنات الفردوس أربع جنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وهذه الانهار تشخب من جنة عدن ثم تصدع بعد ذلك أنهارا (وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجنة مائة درجة) يمكن ان يراد به التكثير فلا ينافى ما ورد فى رواية البيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا عدد درج الجنة عدد آى القرآن فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة ويمكن ان يقال فى الجنة مائة درجة لكل واحد من أهلها فيكون بيان أقل ما يكون فيها من أنواع السعة وأصناف النعمة (ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض) ويمكن تقييد وصف المائة بما ذكر وغيرها يكون على خلافها من كونه أقل أو أكثر وروى الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى هريرة مرفوعا ان فى الجنة درجة لا ينالها الا أصحاب الهموم (والفردوس) أى الجنة المسماة بالفردوس المذكور فى القرآن فى قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الى قوله أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس (أعلاها) اى على سائر الجنان (درجة) أو على هذه المائة باعتبار كل فرد أو باعتبار المجموع وفى النهاية الفردوس فى اللغة البستان الذى فيه الكروم والاشجار ومنه جنة الفردوس قلت لا بد له من وصف زائد يختص به ويمتاز به عن غيره كما يشير اليه بقوله (منها) وفى رواية الجامع ومنها أى من جنة الفردوس (تفجر أنهار

الجنة) بصيغة المجهول أي تشقق وتجري أنهار الجنة (الاربعة) بالرفع صفة للانهار وهي أنهار الماء واللبن والخمر والعسل المذكورة في القرآن فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى (ومن فوقها يكون عرش الرحمن) فهذا يدل على ان الفردوس فوق جميع الجنان ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم تعليما للامة وتعظيما للهمة (فاذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس) أي فانه سر الجنة على ما رواه الطبراني عن العرباض بضم العين وتشديد الراء أي وسطها وخيرها وروى الطبراني عن سمرة مرفوعا الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تفجر الانهار الاربعة وروى ابن مردويه عن أبي امامة مرفوعا ان أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش (رواه الترمذي) وفي الجامع رواه ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي والحاكم في مستدركه قال المؤلف (ولم أجده) أي هذا الحديث (في الصحيحين) أي في متنيهما (ولا في كتاب الحميدي) أي الجامع بينهما ولعله سكت عن جامع الاصول لمانع عن تتبعه وحاصل كلامه الاعتراض على صاحب المصابيح حيث أورد الحديث في الصحاح والحال انه لم يوجد الا في الحسان قال ميرك كذا قاله المصنف ووافقه الشيخ الجزري رحمه الله في تصحيح المصابيح وأقول قد أخرجه البخاري في كتاب الجهاد عن أبي هريرة مثل عبادة والتفاوت بينهما أي بين حديث أبي هريرة وحديث عبادة يسير فكان على صاحب المشكاة والشيخ أيضا أن يقولا ورواه البخاري من حديث أبي هريرة مع تفاوت يسير انتهى وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في تخريج أحاديث المشكاة وعجيب من ادخال البغوي له في أحاديث الصحيحين ثم كلامه قيل ونسبه صاحب المشارق أيضا الى البخاري وقد قيل انه موجود في البخاري في موضعين الاول في كتاب الجهاد والثاني في باب وكان عرشه على الماء وكذا في مسلم في باب فضل الجهاد في سبيل الله فمن حفظ حجة على من لم يحفظ (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة لسوقا) أي مجمعا فيه الصور المشتهاة (يأتونها) أي يحضر أهل الجنة تلك السوق (كل جمعة) بضمتين ويسكن الثاني قال النووي رحمه الله السوق مجمع لاهل الجنة يجتمعون فيها في كل مقدار جمعة أي أسبوع وليس هناك أسبوع حقيقة لفقد الشمس والليل والنهار قلت وانما يعرف وقت الليل والنهار بارخاء أستار الانوار ورفعها على ما ورد في بعض الاخبار فبهذا يعرف يوم الجمعة وأيام الاعياد وما يترتب عليهما من الزيارة والرؤية وسائر الامداد والاسعاد ففي الجامع ان أهل الجنة ليحتاجون الى العلماء في الجنة وذلك انهم يزورون الله تعالى في كل جمعة فيقول لهم تمنوا على ما شئتم فيلتفتون الى العلماء فيقولون ماذا نتمنى فيقولون تمنوا عليه كذا وكذا فهم يحتاجون اليهم في الجنة كما يحتاجون اليهم في الدنيا رواه ابن عساكر عن جابر هذا وتسمية يوم الجمعة بيوم المزيد في الجنة يدل على تمييزه عن سائر الايام والله تعالى أعلم بالمرام (فتهب) بضم الهاء وتشديد الموحدة أي فتأتي (ريح الشمال) بفتح أوله من غير همز وخصت بالذكر لانها من ريح المطر عند العرب (فتحثو) أي تنثر تلك الريح والمفعول محذوف أي المسك وأنواع الطيب (في وجوههم) أي أبدانهم وخصت الوجوه لشرفها أو المراد بها ذواتها (وثيابهم فيزدادون) أي في ثيابهم (حسنا وجمالا) جمع بينهما للتأكيد أو المراد بأحدهما الزينة وبالآخر حسن الصورة (فيرجعون) أي من السوق (الى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا) قيل يكون زيادة حسنهم بقدر حسناتهم (فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم) أي أنتم أيضا وفيه تغليب لكون الاهل أعم من النساء والولدان أو أريد به التعظيم والتكريم أو روعي المشاكلة والمقابلة (بعدنا) أي بعد مفارقتكم عنا (حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا) وهو اما لاصابتهم من تلك الريح أو بسبب انعكاس جمالهم أو لاجل تأثير حالهم وترقي مآلهم (رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أول زمرة) بضم الزاي أي أول جماعة وهم الانبياء والاولياء كذا قاله شارح والظاهر ان المراد بهم الانبياء خاصة (يدخلون الجنة

الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله فاسئلوه الفردوس رواه الترمذي ولم أجده في الصحيحين ولا في كتاب الحميدي وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة

على صورة القمر ليلة البدر) ولعل دخولها على صورة الشمس مختص بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم الذين يلونهم) أي يقربون تلك الزمرة في قرب المرتبة من الأولياء والعلماء والشهداء والصلحاء (كأشد) أي كل واحد منهم كأشد (كوكب دري في السماء) وهو بضم الدال وتشديد الراء والياء أي شديد الانارة منسوب الى الدر وتقدمت لغات أخر مع بيان مبانيها ومعانيها ثم قوله (اضاءة) تمييز يبين وجه الشبه قال الطيبي رحمه الله أفرد المضاف اليه ليفيد الاستغراق في هذا النوع من الكوكب يعني اذا تقصيت كوكبا كوكبا رأيتهم كأشد اضاءة (قلوبهم) أي قلوب أهل الجنة حينئذ أو قلوب الزمرة الأخيرة فالأولى بالأولى (على قلب رجل واحد) أي في الاتفاق والمحبة فقوله (لا اختلاف بينهم ولا تباغض) تفسير لقوله قلوبهم الخ وهذا المعنى مقتبس من قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين (لكل امرئ منهم زوجتان) أي عظيمتان (من الحور) بضم الحاء أي النساء البيض الأبدان من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواري والحواريون (العين) بكسر العين أي حسان الأعيان (يرى) بصيغة المجهول أي يبصر (مخ سوقهن) جمع الساق أي مخ عظامهن (من وراء العظم واللحم) الواو لمطلق الجمع أو الترتيب للترقي (من الحسن) أي من أجل لطافة خلقتهن قال الطيبي رحمه الله هو تتميم صونا من توهم ما يتصور في تلك الرؤية مما ينفر عنه الطبع والحسن هو الصفاء ورقة البشرة ونعومة الأعضاء هذا وأهل الزوجتين المذكورتين لعموم افراد المؤمنين من أهل الجنة وأما أهل الخصوص فيزاد لهم على حسب مقاماتهم وقال الطيبي رحمه الله الظاهر ان التثنية للتكرير لا للتحديد كقوله تعالى فارجع البصر كرتين لانه قد جاء ان للواحد من أهل الجنة العدد الكثير من الحور العين (يسبحون الله) أي أهل الجنة ينزهونه تعالى عن صفات النقصان ويثبتون له نعوت الكمال فان النفي والاثبات متلازمان كما حقق في كلمة التوحيد من ان الجمع بينهما للتوكيد والى ذلك أشار في قوله سبحانه دعواهم فيها سبحانك اللهم (بكرة وعشيا) أي دائما على انه أراد بهما الليل والنهار اطلاقا للجزء وارادة الكل مجازا وقال الطيبي رحمه الله يراد بهما الديمومة كما تقول العرب انا عند فلان صباحا ومساء لا تقصد الوقتين المعلومين بل الديمومة (لا يسقمون) بفتح القاف ويضم في القاموس سقم كفرح وكرم والمعنى لا يمرضون ولا يضعفون ولا يشيبون (ولا يبولون) أي من قبل (ولا يتغوطون) أي من دبر (ولا يتفلون) بضم الفاء وتكسر أي لا يبزقون (ولا يتمخطون) أي ليس في فمهم وأنفهم من المياه الزائدة والمواد الفاسدة ليحتاجوا الى اخراجها ولان الجنة مساكن طيبة للطيبين ولا يلائمها الادناس والانجاس (آنيتهم) جمع اناء أي ظروفهم (الذهب والفضة) أي ملمعة على ارادة الزينة أو ظروف بعضهم الذهب وظروف بعضهم الفضة فالواو بمعنى أو للتنويع (وأمشاطهم) جمع مشط (الذهب ووقود مجامرهم) بفتح الواو أي ما يوقد به مباخرهم (الألوة) بفتح الهمزة وبضم وبضم اللام وتشديد الواو وقال النووي رحمه الله هو العود الهندي وقال شارح المجمر بالفتح يوضع فيه الجمر ويحترق فيه العود وبالكسر الآلة وقال بعضهم فيه انه لا نار في الجنة وأجيب بانه يفوح بغير نار أو قد يكون بالنور وهو في غاية من الظهور وفي النهاية المجامر جمع مجمر بالكسر وهي التي توضع فيه النار للبخور وبالضم هو الذي يتبخر به وأعد له الجمر قال الطيبي رحمه الله والمراد في الحديث هو الأول وفائدة الاضافة ان الألوة هو الوقود نفسه بخلاف المتعارف فان وقودهم غير الألوة انتهى وهذا كله من اللذات المتوالية والشهوات المتعالية والا فلا تتبدل شعورهم ولا وسخ ولا عفونة لابدانهم وثيابهم بل ريحهم أطيب من المسك فلا حاجة لهم الى المشط والتبخر الا لزيادة الزينة والتلذذ بانواع النعمة الحسية كما قال (ورشحهم) أي عرقهم رائحة (المسك) والمعنى رائحة عرقهم رائحة المسك فهو تشبيه بليغ (على خلق رجل واحد) بضم الخاء واللام وتسكن والمعنى انهم على قلب واحد كما سبق وبفتح الأول والمعنى انهم متراب في سن واحد وهو ثلاثون أو ثلاث وثلاثون سنة على ما سيأتي في الحديث وهو الملائم

على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم كأشد كوكب دري في السماء اضاءة قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم من الحسن يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الألوة ورشحهم المسك على خلق رجل واحد

المناسب لقوله (على صورة أبيهم آدم) أي في القامة وبينه بقوله (ستون ذراعا في السماء) أي طولا فكني عنه به قاله الطيبي رحمه الله وقيل العرض سبعة والله تعالى أعلم قال النووي رحمه الله روي بضم الخاء واللام وبفتح الخاء واسكان اللام وكلاهما صحيح ورجح الضم بقوله في الحديث الآخر لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد وقد يرجح الفتح بقوله لا يتمخطون ولا يتفلون قال الطيبي رحمه الله فعلى هذا لا يكون قوله على صورة أبيهم آدم بدلا من قوله على خلق رجل واحد بل يكون خبر مبتدا محذوف فاذا قيل الموصوفون بالصفات المذكورة كلها على خلق رجل واحد حسن الابدال انتهى وانما الاختلاف في المراد بلفظ الحديث والا لا خلاف ان أهل الجنة كلهم كاملون في الخلق والخلق جميعا بل الخلق بالضم هو الخليق بالاعتبار فانه موجب لحسن الخلق بالفتح ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن وقد ورد انه سبحانه ما خلق نبيا الا حسن الصورة وحسن الصوت ولكن قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم بيان أن يكون له صلى الله تعالى عليه وسلم شان عظيم في خلق تصوره الجسيم فان المؤمن مرآة المؤمن فبقدر صفاء المرآة وصقالتها وتخليتها وتجليتها تنعكس وتتجلى فيها صورة المحبوب المطلوب (متفق عليه) وفي الجامع أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يبدو مخ ساقها من ورائها رواه أحمد والترمذي عن أبي سعيد (وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون) أي فيها (ولا يتفلون) أي لا يبصقون (ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون) من باب الافتعال وفيما سبق من باب التفعل (قالوا) أي بعض الصحابة (فما بال الطعام) أي ما شأن فضلته (قال جشاء) بضم الجيم وهو تنفس المعدة من الامتلاء وقال شارح أي صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع أقول التقدير هو جشاء (ورشح) أي عرق (كرشح المسك) أي يصير فضل الطعام جشاء أي نظيره والا فجشاء الجنة لا يكون مكروها بخلاف جشاء الدنيا ولهذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم أقصر عنا جشاءك ويصير رشحا وهو اما باعتبار اختلاف الاشخاص أو الاوقات أو بعض الطعام يكون جشاء وبعضه يكون رشحا والاظهر ان الاكل ينقلب جشاء والشرب يعود رشحا والطعام قد يطلق عليهما نظرا الى معنى الطعم ففي القاموس طعم الشيء حلاوته ومرارته وما بينهما يكون في الطعام والشراب أقول وبه يتم التنزيه في قوله وهو يطعم ولا يطعم هذا وفي رواية الجامع ولكن طعامهم ذلك جشاء ورشح كرشح المسك وأما قول الطيبي رحمه الله أي يندفع الطعام بالجشاء والرشح فهو حاصل المعنى لا حل المبنى كما لا يخفى ثم بين بعض أحوال أهل الجنة على سبيل الاستئناف والبيان حيث قال (يلهمون) أي أهل الجنة (التسبيح والتحميد) أي ونحوهما من الاذكار (كما تلهمون) أي أنتم في هذه الدار (النفس) بفتحتين أي التنفس والمعنى لا يتعبون من التسبيح والتهليل كما لا تتعبون أنتم وفي الجامع بصيغة الغيبة أي كما يلهمون من النفس ولا يشغلهم شيء من ذلك كما لا يمنعهم من النفس كالملائكة أو يريد انه يصير صفة لازمة لا ينفكون عنها كالنفس اللازم للحيوان والحاصل انه لا يخرج منهم نفس الا مقرونا بذكره وشكره سبحانه ولذا قال العارفون وان خاف مقام ربه جنتان جنة عاجلة في الدنيا وجنة آجلة في العقبى فالاولى وسيلة للاخرى والاخرى نتيجة للاولى وقد أشير الى هذا المعنى في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم فانه لا نعيم أعلى من دوام ذكر الكريم وان الفجار لفي جحيم فان الحجاب أشد أنواع العذاب قال الطيبي رحمه الله الالهام القاء الشيء في الروع ويختص ذلك بما كان من جهة الله وجهة الملا الأعلى فقوله تلهمون وارد على سبيل المشاكلة لان المراد به التنفس (رواه مسلم) وكذا أحمد والترمذي (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من يدخل الجنة ينعم) بفتح العين أن يتنعم (ولا يبأس) بسكون الموحدة فالهمزة المفتوحة أي لا يفتقر ولا يهتم قال الطيبي رحمه الله هو تأكيد لقوله ينعم والاصل ان لا يجاء بالواو ولكن أراد به التقرير على الطرد والعكس كقوله تعالى

على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء متفق عليه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس

لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون قلت وفي رواية الجامع لا ييأس بلا عطف (ولا يبلى) بفتح اللام مع التذكير والتانيث أي لا يخلق ثيابه (ولا يفنى) أي لا يذهب (شبابه) قال القاضي رحمه الله معناه ان الجنة دار الثبات والقرار وأن التغير لا يتطرق اليها فلا يشوب نعيمها بؤس ولا يعتريه فساد ولا تغير فانها ليست دار الاضداد ومحل الكون والفساد (رواه مسلم وعن أبي سعيد وأبي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ينادي مناد) أي في الجنة وقيل اذا رأوها من بعيد (ان لكم) بكسر الهمزة أي قائلا ان لكم (ان تصحوا) بكسر الصاد وتشديد الحاء أي تكونوا صحيحي البدن دائما (فلا تسقموا) أي فلا تمرضوا (أبدا وان لكم ان تحيوا) بفتح الياء أي تكونوا أحياء (فلا تموتوا أبدا وان لكم ان تشبوا) بكسر الشين المعجمة وتشديد الموحدة أي تدوموا شبابا (فلا تهرموا) بفتح الراء أي لا تشيبوا (أبدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا أبدا) قال الطيبي رحمه الله هذا النداء والبشارة الذ وأشهى مما فيه من السرور وفي عكسه أنشد المتنبي

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه ارتحالا

(رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون) أي ينظرون أو يرى بعضهم بعضا (أهل الغرف) بضم ففتح جمع غرفة وهي بيت يبنى فوق الدار والمراد هنا القصور العالية في الجنة (من فوقهم) وفي هذا تصريح بان قوله تعالى في جنة عالية يراد بها العلو الحسي أيضا (كما تتراءون) أي أنتم في الدنيا (الكوكب الدري) أي المضيء لونه ونوره وعلوظهوره (الغابر) بالغين المعجمة ثم بالموحدة من الغبور أي الباقي (في الافق) بضمتين جمع آفاق أي في أطراف السماء وفي نسخة بالهمز بدلها من الغور أي الذاهب في الافق البعيد الغور فيه (من المشرق) أي من جانبه (أو المغرب) أي من طرفه والظاهر ان أو للتخيير في التشبيه كقوله تعالى أو كصيب من السماء ونحو أو كظلمات في بحر لجي وليست للشك قال التوربشتي رحمه الله قد اختلف في الغابر فمنهم من رواه بالهمزة بعد الالف من الغور يريدون انحطاطه في الجانب الغربي ومنهم من رواه بالباء من الغبور والمراد منه الباقي في الافق بعد انتشار ضوء الفجر فانما يستبين في ذلك الوقت الكوكب المضيء ولا شك ان الرواية الاولى نشأت من التصحيف انتهى ولم يذكر وجه التصحيف فيه وقال شارح وروى الغائر من الغور وهو الانحطاط وهو تصحيف لانه لا يناسب قوله من المشرق اذ غور الكوكب في الجانب الشرقي مما لا يتصور ثم قال قوله من المشرق والمغرب كذا في المصابيح أي بالواو والصواب من المشرق الى المغرب كما في كتاب مسلم قال المؤلف وكذا بالواو في شرح السنة وجامع الاصول ورياض الصالحين قيل وانما ذكر المشرق والمغرب دون السماء لان المقصود البعد والاثار معا وقال النووي معنى الغابر الذاهب الماضي أي الذي تدلى للغروب وبعد عن العيون وروى في غير صحيح مسلم الغارب بتقديم الراء وروى العازب بالعين المهملة والزاي ومعناه البعيد في الافق فكلها راجعة الى معنى واحد قال الطيبي رحمه الله فان قلت ما فائدة تقييد الكوكب بالدري ثم بالغابر في الافق قلت للايذان بانه من باب التمثيل الذي وجهه منتزع من عدة أمور متوهمة في المشبه شبه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المستضيء الباقي من جانب الشرق أو الغرب في الاستضاءة مع البعد فلو قيل الغائر لم يصح لان الاشراق يفوت عند الغروب اللهم الا ان يقدر المستشرف على الغروب لقوله تعالى حتى اذا بلغن أجلهن أي شارفن بلوغ أجلهن لكن لا يصح هذا المعنى في الجانب الشرقي نعم يجوز على التقدير كقولهم متقلدا سيفا ورمحا وعلفته تبنا وماء باردا أي طالعا في الافق من المشرق وغائرا في المغرب (لتفاضل ما بينهم) علة للتراءي والمعنى انما ذلك لتزايد مراتب ما بين سائر أهل الجنة العالية وما بين أرباب أهل الغرف العالية قيل الجنة طبقات أعلاها للسابقين وأوسطها للمقتصدين وأسافلها للمخلطين (قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى) أي يبلغها غيرهم من الاولياء ويشاركها معهم بعض الاصفياء (والذي نفسي بيده

ولا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه رواه مسلم وعن أبي سعيد وأبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينادي مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم ان تنعموا فلا تبأسوا أبدا رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده

رجال) أي وهم رجال أو بيانها رجال أي كاملون في الرجولية لقوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الآية (آمنوا بالله) أي حق الايمان وغاية الايقان ونهاية الاحسان (وصدقوا المرسلين) في اجابة ما أمروا به ونهوا عنه وقاموا بوصف الصابرين والشاكرين وترقوا الى مقام الراضين قال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى أن قال أولئك يجزون الغرفة بما صبروا الآية وفي جمع المرسلين اشعار بان هذه المرتبة العلية عامة للسابقين على حسب تفاوتهم في الرتب السنية وليست خاصة لهذه الامة مع ان تصديق المرسلين على وجه التحقيق انما هو لهذه الجماعة نعم قد يراد به مقابلة الجمع للجمع فالمراد رسوله خاصة بالاصالة وسائر الرسل بالتبعية فانه يلزم من التصديق لواحد التصديق بالكل وكذا في جانب التكذيب ومنه قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين (متفق عليه) وكذا رواه أحمد وابن حبان والدارمي عن أبي سعيد وكذا الترمذي عن أبي هريرة ورواه أحمد والشيخان وابن حبان عن سهل ابن سعد ولفظه ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن أبي سعيد والطبراني عن جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنهم بلفظ ان أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما وفي بعض طرق الحديث قيل وما معنى أنعما قال أهل لذلك هما وروى ابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعا ان أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لاهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لاهل الدنيا وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما وروى ابن أبي الدنيا في كتاب الاخوان والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعا ان في الجنة لعمدا من ياقوت عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدري يسكنها المتحابون في الله والمتجالسون في الله والمتلاقون في الله وروى أحمد وابن حبان والبيهقي عن مالك الاشعري والترمذي عن علي رضي الله عنه مرفوعا ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدخل الجنة أقوام أفئدتهم) أي قلوبهم (مثل أفئدة الطير) أي في الرقة واللينة والرحمة والصفاء والخلو عن الحسد والحقد والغل والبغضاء ومجمله لكونهم خالية من كل ذنب سليمة من كل عيب قال النووي رحمه الله قيل مثلها في رقتها كما ورد أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوبا وقيل في الخوف والهيبة والطير أكثر الحيوان خوفا وفزعا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقيل في التوكل كما ورد لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقد قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم (رواه مسلم) وكذا أحمد في مسنده (وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة يقولون لبيك ربنا) أي يا ربنا (وسعديك والخير) أي جنسه أو جميع افراده (في يديك) أي منحصر في قبضة قدرتك وارادتك (فيقول هل رضيتم) أي عن ربكم (فيقولون وما لنا لا نرضى) الاستفهام للتقرير والمعنى أي شيء مانع لنا من أن لا نرضى عنك (يارب) أي يا ربي والقياس يا ربنا فكأنه أفرد باعتبار كل قائل (وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك) الجملة حالية (فيقول الا أعطيكم أفضل من ذلك) أي من عطائكم هذا (فيقولون يارب وأي شيء أفضل من ذلك) أي من عطائك هذا (فيقول أحل) بضم الهمزة وكسر الحاء أي أنزل (عليكم رضواني) بكسر الراء وبضم أي دوام رضواني فانه لا يلزم من كثرة العطاء دوام الرضا ولذا قال (فلا أسخط) بفتح الخاء المعجمة أي لا أغضب (عليكم بعده أبدا) ثم اللقاء يترتب على الرضا من الرب المتفرع على الرضا من العبد لقضائه ترتيب البقاء بعد تحقق الفناء قال ابن الملك في الحديث دلالة على ان رضوان الله تعالى على العبد فوق ادخاله اياه الجنة وقال الطيبي رحمه الله الحديث

رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير رواه مسلم وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يارب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول الا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يارب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا

متفق عليه وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى مقعد أحدكم من الجنة ان يقول له تمن فيتمنى ويتمنى فيقول له هل تمنيت فيقول نعم فيقول له فان لك ماتمنيت ومثله معه رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة

مأخوذ من قوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر الكشاف انما كبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة لانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب لان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما يتهنأ له برضاه كما ينتقص عليه بسخط ولم يجد لها لذة وان عظمت قال الطيبي رحمه الله وأكبر أصناف الكرامة رؤية الله تعالى قلت ولعل الرضوان أكبر لاشتماله على تحصيل اللقاء وسائر أنواع النعماء (متفق عليه) وكذا رواه أحمد والترمذي (وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أدنى مقعد أحدكم) أي أقل مرتبة ملكه ومسيرة جنانه ومسافة قصوره (من الجنة) أي فيها (ان يقول) أي الله أو الملك (له تمن فيتمنى ويتمنى) والظاهر ان المراد بالتكرير هو التكثير قال الطيبي رحمه الله قوله ان يقول له خبر ان والمعنى ان أدنى منزلة أحدكم في الجنة ان ينال أمانيه كلها بحيث لاتبقى له أمنية ونحوه قول الشاعر

لم يبق جودك لي شيأ أؤمله * تركتني أصحب الدنيا بلا أمل

(فيقول) أي الرب (له هل تمنيت) أي جميع أمانيك (فيقول نعم فيقول له فان لك ماتمنيت) أي وعدا وعدلا (ومثله معه) أي زيادة وفضلا وفيه ايماء الى أن من يكون منتهى ماتمناه رضا مولاه وما يترتب عليه من لقاه فلا يتصور له مزيد ان يعطاه (رواه مسلم وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيحان وجيحان) بفتح أولهما نهران بالشام أولهما من السيح بالسين والحاء المهملتين وهو جري الماء على وجه الارض والنون فيه زائدة وثانيهما من جحن الصبي بالجيم فالحاء اذا ساء غذاؤه والنون فيه أصلية (والفرات) نهر بالكوفة (والنيل) نهر مصر وأما سيحون فنهر بالهند وجيحون نهر بلخ وينتهي الى خوارزم كذا قاله شارح وقيل سيحان نهر بالشام وقيل بالهند وجيحان نهر بلخ وقال النووي رحمه الله سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون والمذكوران في الحديث في بلاد الارمن فسيحان نهر المصيصة وجيحان نهر اردنة وهما نهران عظيمان جدا هذا هو الصواب وأما قول الجوهري جيحان نهر بالشام فغلط وقال صاحب نهاية الغريب سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس واتفقوا على ان جيحون بالواو نهر خراسان وقيل سيحون نهر بالهند (كل) أي كل واحد منها (من انهار الجنة) انما جعل الانهار الاربعة من أنهار الجنة لما فيها من العذوبة والهضم ولتضمنها البركة الالهية وتشرفها بورود الانبياء اليها وشربهم منها وذلك مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم في عجوة المدينة انها من ثمار الجنة ويحتمل انه سمى الانهار التي هي أصول أنهار الجنة بتلك الاسامي ليعلم انها في الجنة بمثابة الانهار الاربعة في الدنيا أولانها مسميات بتلك الاسماء فوقع الاشتراك فيها كذا ذكره شارح من علمائنا وقال القاضي رحمه الله جعل الانهار الاربعة لعذوبة مائها وكثرة منافعها كأنها من أنهار الجنة ويحتمل ان يكون المراد بها الانهار الاربعة التي هي أصول أنهار الجنة وسماها بأسامي الانهار الاربعة التي هي أعظم أنهار الدنيا وأشهرها وأعذبها وأفيدها عند العرب على سبيل التشبيه والتمثيل ليعلم انها في الجنة بمثابتها وان مافي الدنيا من أنواع المنافع والنعائم أنموذجات لما يكون في الآخرة وكذا مافيها من المضار المردية والمستكرهات المؤذية وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض رحمه الله كون هذه الانهار من الجنة ان الايمان لهم ببلادها وان الاجسام المتغذية بمائها صائرة الى الجنة والاصح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة مخلوقة لانها موجودة اليوم عند أهل السنة وقد ذكر مسلم في كتاب الايمان في حديث الاسراء ان الفرات والنيل يجريان من الجنة وفي البخاري من أصل سدرة المنتهى وفي معالم التنزيل روى ابن عباس ان الله تعالى نزل هذه الانهار من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس وذلك قوله تعالى وأنزلنا

من السماء ماء بقدر فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل يرفع من الارض القرآن والعلم والحجر الاسود ومقام ابراهيم وتابوت موسى وهذه الانهار فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون (رواه مسلم وعن عتبة) بضم عين مهملة فتاة فوقية ساكنة فوحدة على ما في أسماء الرجال للمؤلف (ابن غزوان) بفتح معجمة وسكون زاى قيل هو سابع سبعة فى الاسلام (قال ذكر لنا) هو فى حكم المرفوع لان الغالب فى الصحابى الكبير انه لا يأخذ من غير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو من الصحابة ومراسيل الصحابى حجة بالاتفاق المعنى بلغنا (ان الحجر يلقى) أى يرمى (من شفة جهنم) بفتح أوله ويكسر واحدة الشفاه أى من طرفها (فيهوى) أى فيسقط الحجر وينزل (فيها) أى فى جهنم (سبعين خريفا) أى سنة (لايدرك) أى الحجر (لها) أى جهنم (قعرا) وهو أبلغ من أن يقال لا يصل الى قعرها والمعنى انها مع طولها وعرضها وعمقها (والله لتملأن) بصيغة المجهول أى جهنم من الكفار ثم قال عتبة بعد وصف جهنم انتقالا الى نعت الجنة (ولقد ذكر لنا ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة) أى ما بين طرفى باب من أبوابها (مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو) لعل كلا من ضميرى عليها وهو يرجع الى ما فالاول باعتبار المعنى لان ما عبارة عن أماكن والثانى باعتبار لفظه فالمعنى والحال ان ما بينهما (كظيظ) بالمعجمتين أى مملوء فعيل بمعنى مفعول وقيل أى ممتلئ (من الزحام) بكسر الزاى أى الكثرة (رواه مسلم)

(الفصل الثانى) (عن أبى هريرة قال قلت يارسول الله مم خلق الخلق قال من الماء) قيل أى من النطفة والظاهر ان يكون اقتباسا من قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حى أى وخلقنا من الماء كل حيوان لقوله سبحانه والله خلق كل دابة من ماء وذلك لان الماء أعظم مواده أو لفرط احتياجه اليه وانتفاعه بعينه وقرئ حيا على انه صفة كل أو مفعول ثان والظرف لغو والشئ مخصوص بالحيوان (قلنا) وفى نسخة ضعيفة قلت (الجنة ما بناؤها) أى هل من حجر أو مدر أو خشب أو شعر (قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة) أى بناؤها ملمع ومرصع منهما أو ذكر النوعين باعتبار الجنتين كما تقدم والله تعالى أعلم (وملاطها) بكسر الميم أى ما بين اللبنتين موضع النورة (المسك الاذفر) أى الشديد الريح فى النهاية الملاط الطين الذى يجعل بين ساقتى البناء يملط به الحائط أى يخلط (وحصباؤها) أى حصباؤها الصغار التى فى الانهار (اللؤلؤ والياقوت) أى مثلهما فى اللون والصفاء (وتربتها) أى مكان ترابها (الزعفران) أى الناعم الاصفر الطيب الريح لجمع بين ألوان الزينة وهى البياض والحمرة والصفرة ويتكمل بالاشجار الملونة بالخضرة ولما كان السواد مما يغم الفؤاد خص باهل العناد من العباد (من يدخلها ينعم ولا يبأس) بفتح وسطهما قال التوربشتى رحمه الله قد وجدناه فى المصابيح وفى بعض كتب الحديث يبؤس بالهمزة المضمومة لدلالة الواو على الضم وبأس الامر يبؤس اذا اشتد وبئس يبأس اذا افتقر والغلط انما وقع فى رسم الخط والصواب لا يبأس انتهى وفى القاموس البأس العذاب والشدة فى الحرب ومنه البأس وبؤس ككرم وبئس كسمع اشتدت حاجته ومنه البأساء (ويخلد) أى يدوم فيها ولا يتحول عنها (ولا يموت) أى لا يفنى بل دائما يبقى (ولا تبلى) بفتح أوله أى لا تخلق ولا تنقطع (ثيابهم) وكذا اثاثهم (ولا يفنى شبابهم) أى لا يهرمون ولا يخرفون ولا يغيرهم مضى الزمان فانهم خلقوا للنعيم الابدى فى ذلك المكان (رواه أحمد والترمذى والدارمى وعنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما فى الجنة شجرة الا وساقها من ذهب) وأما أغصانها فمختلفة فتارة من ذهب وأخرى من فضة أو ياقوتة أو زمردة أو لؤلؤة أو مرصعة ملمعة مزينة بانواع الازهار وأصناف الانوار ومن فوقها أجناس الاثمار ومن تحتها تجرى الانهار (رواه الترمذى) رحمه الله (وعنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الجنة مائة درجة) قال ابن الملك المراد بالمائة ههنا الكثرة وبالدرجة المرقاة

رواه مسلم وعن عتبة بن غزوان قال ذكر لنا ان الحجر يلقى من شفة جهنم فيهوى فيها سبعين خريفا لايدرك لها قعرا والله لتملأن ولقد ذكر لنا ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام رواه مسلم

(الفصل الثانى)

عن أبى هريرة قال قلت يارسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلنا الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم رواه أحمد والترمذى والدارمى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فى الجنة شجرة الا وساقها من ذهب رواه الترمذى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة مائة درجة

أو الأظهر أن المراد بالدرجات المراتب العالية قال تعالى هم درجات عند الله أي ذوو درجات بحسب أعمالهم من الطاعات كما أن أهل النار أصحاب دركات متسافلة بقدر مراتبهم في شدة الكفر كما يشير اليه قوله سبحانه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ويؤيده الحديث الذي يليه وظاهر قوله (ما بين كل درجتين مائة عام) أي مقدار مسافة مائة سنة (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة لو أن العالمين) أي خلق الاولين والآخرين (اجتمعوا في احداهن لوسعتهم) أي لكفتهم (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) وكذا رواه ابن حبان من وجه آخر وصححه (وعنه) أي عن أبي سعيد (عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها) أي اعتلاء فرش الجنة أو ارتفاع الدرجة التي فرشت الفرش المرفوعة فيها (لكما بين السماء والارض) خبر لارتفاعها كقوله (مسيرة خمسمائة سنة) أو الثاني بدل أو بيان ثم دخول اللام في خبر المبتدا كما في قول الشاعر

أم الحليس لعجوز شهربه * ترضى من اللحم بعظم الرقبه

والشهربة العجوز الكبيرة ومثله الشهبرة على ما في الصحاح والكاف في لكما اسم قال الزجاج في قوله تعالى ان هذان لساحران قالت النحاة القدماء ان الضمير فيه مضمر أي انه هذان لساحران قالوا وأصل هذه اللام ان تقع في المبتدا ووقوعها في الخبر جائز هذا وفي الكشاف في قوله فرش مرفوعة أي نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش ويدل عليه قوله انا أنشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول أضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع دل عليهن انتهى فهن مرفوعة على الفرش أو السرر أو بالجمال على نساء أهل الدنيا على ما قيل فان كل فاضل رفيع لكن ثبت في الحديث ان المؤمنات أحسن من الحور واصلاتهن وصيامهن قال التوربشتي رحمه الله قول من قال المراد منه ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات وما بين كل درجتين من الدرجات كما بين السماء والارض هذا القول أوثق وأعرف الوجوه المذكورة وذلك لما في الحديث ان الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض انتهى وعارضه الطيبي رحمه الله بما لا طائل تحته فاعرضت عن ذكره وتركت بحثه (رواه الترمذي) أي موقوفا (وقال هذا حديث غريب وعنه) أي عن أبي سعيد (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة) وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ضوء وجوههم) أي نورها (على مثل ضوء القمر ليلة البدر) وهو وقت كمال انارته (والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دري في السماء) وهم الاولياء والصلحاء على اختلاف مراتبهم في الضياء (لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة) بضم حاء وتشديد لام ولا تطلق غالبا الا على ثوبين (يرى) أي يبصر (مخ ساقها) أي مخ عظام ساق كل زوجة (من ورائها) أي من فوق حللها السبعين لكمال لطافة أعضائها او ثيابها والتوفيق بينه وبين خبر أدنى أهل الجنة من له ثنتان وسبعون زوجة وثمانون ألف خادم بان يقال يكون لكل منهم زوجتان موصوفتان بان يرى مخ ساقهما من ورائها وهذا لا ينافي أن يحصل لكل منهم كثير من الحور والعين الغير البالغة الى هذه الغاية كذا قيل والاظهر ان لكل زوجتان من نساء الدنيا وان أدنى أهل الجنة من له ثنتان وسبعون زوجة في الجملة يعني ثنتين من نساء الدنيا وسبعين من الحور والعين والله سبحانه وتعالى أعلم (رواه الترمذي) وكذا أحمد في مسنده (وعن أنس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع) وهو كناية عن جماع عدة من النساء كالعشرة مثلا (قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك) بفتح الواو أي أيعطى تلك القوة ويستطيع ذلك المقدار والاشارة الى مضمون قوله كذا وكذا من الجماع (قال يعطى قوة مائة) أي مائة رجل كذا قيل أو مائة مرة من الجماع والمعنى فاذا كان كذلك فهو يطيق ذلك (رواه الترمذي) وفي الجامع يعطى

ما بين كل درجتين مائة عام رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها لكما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة يدخلون الجنة يوم القيامة ضوء وجوههم على مثل ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على مثل أحسن كوكب دري في السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها رواه الترمذي وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة رواه الترمذي

المؤمن في الجنة قوة مائة في النساء رواه الترمذي وابن حبان عن أنس وفي الجامع ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الاكل والشرب والشهوة والجماع حاجة أحدهم عرق يفيض من جلده فاذا بطنه قد ضمر رواه الطبراني عن زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه (وعن سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لوان ما يقل) بضم الياء وكسر القاف وتشديد اللام أي يحمله (ظفر) بضمتين ويسكن الثاني قال الطيبي رحمه الله ما موصولة والعائد محذوف أي ما يقله وقال القاضي رحمه الله اي قدر ما يستقل بحمله ظفر ويحمل عليها (مما في الجنة) أي من نعيمها (بدا) أي ظهر في الدنيا للناظرين (لتزخرفت) أي تزينت (له) أي لذلك المقدار وسببه من الاعتبار وظهور الانوار (ما بين خوافق السموات والارض) أي اطرافها وقيل منتهاها وقيل الخافقان المشرق والمغرب كذا ذكره شارح وقال القاضي رحمه الله الخوافق جمع خافقة وهي الجانب وهي في الاصل الجانب التي تخرج منها الرياح من الخفقان ويقال الخافقان للمشرق والمغرب قال الطيبي رحمه الله وتأنيث الفعل لان ما بين بمعنى الاماكن كما في قوله تعالى أضاءت ما حوله في وجه (ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع) بتشديد الطاء أي أشرف (على أهل الدنيا فبدا) أي ظهر (أساوره) جمع اسورة جمع سوار والمراد بعض أساوره في تيسير الوصول فبدا اسواره (لطمس ضوءه) أي محا نوره (ضوء الشمس كما تطمس الشمس) وفي نسخة كما يطمس ضوء الشمس (ضوء النجوم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) وقد سبق هذا المعنى في أحاديث بعضها في صحيح البخاري وبعضها في الصحيحين في الجامع ان الرجل من أهل عليين ليشرف على أهل الجنة فتضيء الجنة لوجهه كانها كوكب دري رواه أبو داود عن أبي سعيد رحمهم الله (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أهل الجنة جرد) بضم جيم وسكون راء جمع أجرد وهو الذي لا شعر على جسده وضده الاشعر (مرد) جمع أمرد وهو غلام لا شعر على ذقنه وقد يراد به الحسن بناء على الغالب (كحلى) بفتح الكاف فعلى بمعنى فعيل أي مكحول وهو عين في أجفانها سواد خلقة كذا قاله شارح وفي النهاية الكحل بفتحتين سواد في أجفان العين خلقة والرجل أكحل وكحيل وكحلى جمع كحيل (لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم رواه الترمذي والدارمي وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين) أي خلقة أو مكتحلين (أبناء ثلاثين) أي أترابا (أو ثلاث) أي أو أبناء ثلاث (وثلاثين سنة) وأو لشك الراوي (رواه الترمذي) قيل وحسنه (وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر له) أي والحال انه ذكر لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (سدرة المنتهى) قيل هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كانها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يسير الراكب) أي المجد (في ظل الفنن) محركة أي الغصن وجمعه الافنان ومنه قوله تعالى ذواتا أفنان ويقال ذلك للنوع وجمعه فنون كذا حققه الراغب (منها) أي من السدرة (مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب) والاول أبلغ ويمكن ان يراد بهما المبالغة في طولها وعرضها فاو للتخيير أو للتنويع باختلاف بعض الاماكن أو بالنسبة الى نظر بعض الاشخاص لكن قوله (شك الراوي) يابى عن ذلك الا انه لم يعرف من كلام من والشك وقع ممن والله تعالى أعلم (فيها) أي في سدرة المنتهى والمعنى فيما بين أغصانها أو عليها بمعنى فوقها مما يغشاها (فراش الذهب) بفتح الفاء جمع فراشة وهي التي تطير وتتهافت في السراج قيل هذا تفسير قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ومنه أخذ ابن مسعود حيث فسر ما يغشى بقوله يغشاها فراش من ذهب قال الامام أبو الفتح العجلي في تفسيره ولعله أراد الملائكة تتلألأ أو أجنحتها تتلألأ لو أجنحة الفراش كانها ذهبية (كان ثمرها القلال) بكسر القاف جمع

وعن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والارض ولو أن رجلا من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوءه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة جرد مرد كحلى لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم رواه الترمذي والدارمي وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة رواه الترمذي وعن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له سدرة المنتهى قال يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب شك الراوي فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال

القلة أي قلال هجر في الكبر (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أنس قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر) بفتح الهاء وتسكن أي جدول ماء وفي طرفيه حوضان أحدهما في الجنة والآخر في الموقف (أعطانيه الله) وإنما قال القائل (يعني في الجنة) لكون أكثره في الجنة أو مآل تمامه إليها (أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل) وفيه إيماء إلى أن ماءه جامع بين سوغ اللبن ولذة العسل وإشارة إلى قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين (فيه) أي في ذلك النهر أو في أطرافه (طير) أي جنس من الطيور طويل العنق وكبيره (أعناقها كأعناق الجزر) بضم الجيم والزاي جمع جزور والمعنى أنه أعد الطير ليأكل منه أصحاب شرب ذلك النهر فإنه بهما يتم عيش الدهر (قال عمر رضي الله عنه إن هذه) أي الطير فإنه يذكر ويؤنث (لناعمة) أي لمتنعمة أو لنعمة طيبة (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكلتها) بفتحات جمع آكل اسم فاعل كطلبة جمع طالب وهذا هو الذي في أصل الجزري وسائر النسخ المصححة والمعنى من يأكلها (أنعم منها) وفي نسخة مصححة وهي أصل السيد آكلها بالمد وبكسر الكاف على أن صيغة الواحد قد تستعمل للجماعة وفي نسخة آكلها بصيغة الفاعل المذكر وفي أخرى آكلوها بصيغة جمع المذكر (رواه الترمذي) ورواه الحاكم عنه مرفوعا الكوثر نهر أعطانيه الله في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر آكلها أنعم منها (وعن بريدة) بالتصغير (أن رجلا قال يا رسول الله هل في الجنة من خيل قال إن الله) بكسر الهمزة وسكون النون على أن شرطية ثم كسر لالتقاء قال الطيبي رحمه الله مرفوع بفعل يفسره ما بعده وهو (أدخلك الله الجنة) ولا يجوز رفعه على الابتداء لوقوعه بعد حرف الشرط وقوله (فلا تشاء أن تحمل فيها) جواب الشرط أي فلا تشاء الحمل في الجنة (على فرس من ياقوتة حمراء يطير) بالتذكير ويؤنث ففي القاموس الفرس للذكر والأنثى أي يسرع (بك في الجنة حيث شئت الا فعلت) بصيغة الخطاب المذكر المعلوم والمعنى إن تشاء تفعله وفي نسخة على بناء المجهول أي حملت عليها وركبت وفي أخرى بتاء التأنيث الساكنة فالضمير للفرس أي حملتك قال القاضي رحمه الله تقدير الكلام إن أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل على فرس كذلك إلا حملت عليه والمعنى أنه ما من شيء تشتهيه الأنفس إلا وتجده في الجنة كيف شاءت حتى لو اشتهيت أن تركب فرسا على هذه الصفة لوجدته وتمكنت منه ويحتمل أن يكون المراد إن أدخلك الله الجنة فلا تشاء أن يكون لك مركب من ياقوتة حمراء يطير بك حيث شئت ولا ترضى به فتطلب فرسا من جنس ما تجده في الدنيا حقيقة وصفة والمعنى فيكون لك من المراكب ما يغنيك عن الفرس المعهود ويدل على هذا المعنى ما جاء في الرواية الأخرى وهو إن أدخلك الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أراد أن يبين الفرق بين مراكب الجنة ومراكب الدنيا وما بينهما من التفاوت على التصوير والتمثيل مثل فرس الجنة في جوهره بما هو عندنا أثبت الجواهر وأدومها وجودا وأنصعها لونا وأصفاها جوهرا وفي شدة حركته وسرعة انتقاله بالطير وأكد ذلك في الرواية الأخرى بقوله جناحان وعلى هذا قياس ما ورد في صفة أبنية الجنة ورياضها وأنهارها إلى غير ذلك والعلم بحقائقها عند الله تعالى قال الطيبي رحمه الله الوجه الأول ذهب إليه الشيخ التوربشتي وتقدير قوله إلا حملت يقتضي أن يروى قوله إلا فعلت على بناء المفعول فإنه استثناء مفرغ أي لا تكون بمطلوبك إلا مسعفا وإذا نزل على بناء الفاعل كان التقدير فلا تكون بمطلوبك إلا فائزا والوجه الثاني من الوجهين السابقين قريب من أسلوب الحكيم فإن الرجل سأل عن الفرس المتعارف في الدنيا فأجابه صلى الله تعالى عليه وسلم بما في الجنة أي اترك ما طلبته فإنك مستغن عنه بهذا المركب الموصوف (وسأله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من إبل قال) أي بريدة (فلم يقل له ما قال لصاحبه) أي مثل مقوله لصاحبه كما سبق بل أجابه مختصرا (فقال إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها

رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر قال عمر إن هذه لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها أنعم منها رواه الترمذي وعن بريدة أن رجلا قال يا رسول الله هل في الجنة من خيل قال إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت إلا فعلت وسأله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة من إبل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها

ما اشتهت نفسك ولذت عينك) أي وجدت عينك لذيذا من لذذت بالكسر لذاذا ولذاذة أي وجدته لذيذا قاله شارح وفيه اشارة الى قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين (رواه الترمذي وعن أبي أيوب قال أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي جاءه (اعرابي) أي بدوي (فقال يارسول الله اني أحب الخيل) أي في الدنيا (أفي الجنة خيل) يعني أوليس فيها أولا نشتهي للاستغناء عنها (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ادخلت الجنة أتيت) أي جئت (بفرس من ياقوتة) قيل أراد الجنس المعهود مخلوقا من أنفس الجواهر وقيل ان هنالك مركبا من جنس آخر يغنيك من المعهود كما مر والاخير هو الاظهر لما سيأتي واقوله (له جناحان حملت عليه) بصيغة المجهول أي ركبت (ثم طار بك حيث شئت رواه الترمذي وقال هذا حديث ليس اسناده بالقوي وأبو سورة) بفتح السين المهملة (الراوي) أي راوي هذا الحديث (يضعف) أي ينسب الى الضعف باحد أسبابه (في الحديث) أي في علمه أوفي اسناده (وسمعت محمد بن اسمعيل) اي البخاري (يقول أبو سورة هذا منكر الحديث يروي مناكير) وروى الطبراني عن أبي أيوب مرفوعا ان أهل الجنة يتزاورون على النجائب بيض كأنهن الياقوت وليس في الجنة شيء من البهائم الا الابل والطير (وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف) أي قدرها أوصور واصفوفا (ثمانون) أي صفا (منها) أي من جملة العدد كائنون (من هذه الامة وأربعون) أي صفا (من سائر الامم) والمقصود بيان تكثير هذه الامة وانهم ثلثان في القسمة قال الطيبي رحمه الله فان قلت كيف التوفيق بين هذا وما ورد من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده أرجو ان تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا فقال صلى الله عليه وسلم أرجو ان تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال صلى الله عليه وسلم أرجو ان تكونوا نصف أهل الجنة قلت يحتمل ان يكون الثمانون صفا مساويا في العدد للاربعين صفا وان يكونوا كما زاد على الربع والثلث يزيد على النصف كرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم قلت وهذا هو الاظهر على ان النصف قد يطلق ولم يرد به التساوي في العدد والصف ولذا يوصف بالاقل والاكثر (رواه الترمذي والدارمي والبيهقي في كتاب البعث والنشور) وكذا رواه أحمد وابن ماجه وابن حبان والحاكم عنه والطبراني عن ابن عباس وعن ابن مسعود عن أبي موسى (وعن سالم) تابعي جليل (عن أبيه) أي عبد الله بن عمر (رضي الله تعالى عنهم قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باب أمتي الذين) كذا في الاصول المعتمدة والنسخ المصححة بصيغة الجمع فيكون صفة للامة وفي نسخة بصيغة الافراد على انه صفة الباب وهو الظاهر اذ المعنى باب أمتي الذي (يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود) اسم فاعل من التجويد وهو التحسين قال شارح أي الراكب الذي يجود ركض الفرس من جودته أي جعلته جيدا وفي أساس البلاغة يجود في صنعته يفوق فيها واجاد الشيء وجوده أحسن فيما فعل وجود في عدوه عدا وأجواد او فرس جواد من خيل جياد قال الطيبي رحمه الله والمجود يحتمل ان يكون صفة الراكب والمعنى الراكب الذي يجود ركض الفرس وان يكون مضافا اليه والاضافة لفظية أي الفرس الذي يجود في عدوه (ثلاثا) ظرف مسيرة والمعنى ثلاث ليال أو سنين وهو الاظهر لانه يفيد المبالغة أكثر ثم المراد به الكثرة لئلا يخالف ما سبق من ان ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة على انه يمكن أوحي اليه أولا بالقليل ثم أعلم بالكثير أو يحمل على اختلاف الابواب باختلاف أصحابها والله تعالى أعلم (ثم انهم) أي أهل الجنة من أمتي عند دخولهم من أبوابها فالمراد بالباب جنسه (ليضغطون) بصيغة المجهول أي ليعصرون ويضيقون (عليه) أي على الباب (حتى تكاد) أي تقرب (مناكبهم تزول) أي تنقطع من شدة الزحام (رواه الترمذي وقال هذا حديث ضعيف) وفي المصابيح ضعيف منكر قال شارح له أي هذا الحديث منكر لمخالفته للاحاديث الصحيحة التي وردت في هذا المعنى بما مر (وسألت محمد ابن اسمعيل) أي البخاري رحمه الله (عن هذا الحديث فلم يعرفه) أي أصل الحديث والعالم بالحديث

ما اشتهت نفسك ولذت عينك رواه الترمذي وعن أبي أيوب قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم اعرابي فقال يارسول الله اني أحب الخيل أفي الجنة خيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان حملت عليه ثم طار بك حيث شئت رواه الترمذي وقال هذا حديث ليس اسناده بالقوي وأبو سورة الراوي يضعف في الحديث وسمعت محمد بن اسمعيل يقول أبو سورة هذا منكر الحديث يروي مناكير وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم رواه الترمذي والدارمي والبيهقي في كتاب البعث والنشور وعن سالم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باب أمتي الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجود ثلاثا ثم انهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول رواه الترمذي وقال هذا حديث ضعيف وسألت محمد بن اسمعيل عن هذا الحديث فلم يعرفه

المحيط بطرق الاحاديث اذا قال لم أعرفه دل على ضعفه (وقال) أى البخارى (يخلد) بضم اللام (بن
أبى بكر) وهو أحد رواة هذا الحديث (يروى المناكير) يعنى فيكون حديثا ضعيفا وليس فيه
ان حديثه هذا منكر قال السيد جمال الدين قوله يخلد سهو من صاحب المشكاة وصوابه خالد اذ فى الترمذى
خالد بن أبى بكر رحمه الله وكذا فى كتب أسماء الرجال (وعن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الجنة لسوقا) أى مجتمعا والسوق مؤنث سماعى ولذا قال (مافيها)
أى ليس فى تلك السوق (شرى) بالكسر والقصر أى اشتراء (ولا بيع) والمعنى ليس فيها تجارة (الا
الصور) بالنصب وفى نسخة بالرفع أى التماثيل المختلفة (من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة
دخل فيها) وكذا اذا اشتهت النساء صورة دخلن فيها قال الطيبى رحمه الله قد سبق فى الفصل الاول فى حديث
أنس ان المراد بالسوق المجمع وهذا يؤيده يعنى حيث قال مافيها شرى ولا بيع قال فالاستثناء منقطع ويجوز
ان يكون متصلا بان يجعل تبديل الهيئات من جنس البيع والشرى كقوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من أتى الله بقلب سليم يعنى على وجه والا فالمعتمد ان استثناءه منقطع ثم قيل يحتمل الحديث معنيين أحدهما
ان يكون معناه عرض الصور المستحسنة عليه فاذا اشتهى وتمنى تلك الصورة المعروضة عليه صوره الله
سبحانه بشكل تلك الصورة بقدرته وثانيهما ان المراد من الصورة الزينة التى يتزين الشخص بها فى تلك السوق
ويتلبس بها ويختار لنفسه من الحلى والحلل والتاج يقال لفلان صورة حسنة أى هيئة مليحة يعنى فاذا
رغب فى شئ منها أعطيه ويكون المراد من الدخول فيها التزين بها وعلى كلا المعنيين التغير فى الصفة
لا فى الذات قال الطيبى رحمه الله ويمكن ان يجمع بينهما ليوافق حديث أنس فتهب ريح الشمال فتحثو
فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا الحديث قلت وهو مقتبس من قوله تعالى وفيها ما تشتهيه
الانفس وتلذ الاعين ولعل التقييد بالمكان وهو السوق والزمان وهو يوم الجمعة وبخصوص الصور لكونه
يوم المزيد ويوم اللقاء ويوم الجمع ومشاهدة أهل البقاء وزيادة أهل الصفاء والله سبحانه وتعالى أعلم وسيأتى
فى الحديث الذى يليه مزيد بيان لذلك (رواه الترمذى) وقال هذا حديث غريب (وعن سعيد بن
المسيب) تابعى جليل (انه لقى أباهريرة) أى فى السوق على مايدل عليه السياق (فقال أبو هريرة
أسأل الله ان يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة) أى كما جمع بيننا فى سوق المدينة (فقال سعيد أفيها) أى
أفى الجنة (سوق) يعنى وهى موضوعة للحاجة الى التجارة (قال نعم أخبرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم ان) بالفتح فى أصل السيد وغيره وفى نسخة بالكسر على الحكاية أى اخبر وهو قوله ان أو التقدير
قائلا ان (أهل الجنة اذا دخلوها) أى الجنة (نزلوا فيها) أى فى منازلها ودرجاتها (بفضل أعمالهم)
أى بقدر زيادة طاعاتهم كمية وكيفية (ثم يؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة) أى قدر اتيانه والمراد فى مقدار
الاسبوع (من أيام الدنيا فيزورون ربهم) أى فيه (ويبرز) من الابراز أى ويظهر ربهم (لهم
عرشه) أى نهاية لطفه وغاية رحمته كما أشير اليه بقوله الرحمن على العرش استوى والا فقد سبق ان العرش
سقف الجنة وليلائم أيضا على وجه التنزيه من الجهة قوله (ويتبدى) بتشديد الدال أى يظهر ويتجلى
ربهم (لهم فى روضة) أى عظيمة (من رياض الجنة فتوضع لهم منابر) أى كراسى مرتفعة (من
نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد) بالفتح زى وموحدة فراء ساكنة فجيم مفتوحة
جوهر معروف (ومنابر من ذهب ومنابر من فضة) أى بحسب مقادير أعمالهم ومراتب أحوالهم
(ويجلس أدناهم) أى أدونهم منزلة (ومافيهم دنىء) أى والحال انه ليس فى أهل الجنة دون وخسيس
قال الطيبى رحمه الله هو تتميم صونا لما يتوهم من قوله أدناهم الدناءة والمراد به الادنى فى المرتبة والحاصل
انه يجلس أقل أهل الجنة اعتبارا (على كثبان المسك) بضم الكاف وسكون المثلثة جمع كثيب
أى تل من الرمل المستطيل من كثبت الشئ اذا جمعته (والكافور) بالجر عطف على المسك ففى

وقال يخلد بن أبى بكر
يروى المناكير وعن على
قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان فى الجنة لسوقا
مافيها شرى ولا بيع الا
الصور من الرجال والنساء
فاذا اشتهى الرجل صورة
دخل فيها رواه الترمذى
وقال هذا حديث غريب
وعن سعيد بن المسيب انه
لقى أباهريرة فقال أبوهريرة
أسأل الله ان يجمع بينى
وبينك فى سوق الجنة فقال
سعيد أفيها سوق قال نعم
أخبرنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان أهل الجنة اذا
دخلوها نزلوا فيها بفضل
أعمالهم ثم يؤذن لهم فى
مقدار يوم الجمعة من أيام
الدنيا فيزورون ربهم
ويبرز لهم عرشه ويتبدى
لهم فى روضة من رياض
الجنة فيوضع لهم منابر من
نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر
من ياقوت ومنابر من زبرجد
ومنابر من ذهب ومنابر من
فضة ويجلس أدناهم ومافيهم
دنىء على كثبان المسك
والكافور

القاموس هو نبت طيب فوره كنوره الاقحوان أو الطلع أو وعاؤه وطيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يظل خلقا كثيرا وتألفه النمورة وخشبه أبيض هش ويوجد في أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر وانما يبيض بالتصعيد مع الكرم وعين في الجنة (ما يرون) بصيغة المجهول من الاراءة والضمير الى الجالسين على الكثبان أي لا يظنون ولا يتوهمون (ان أصحاب الكراسي) أي أرباب المنابر (بافضل منهم مجلسا) حتى يحزنوا بذلك لقولهم على وفق التنزيل الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن بل انهم واقفون في مقام الرضا ومتلذذون بحال التسليم بما جرى القضاء (قال أبو هريرة قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا) أي بتجلي الذات (قال نعم هل تتمارون) بفتح الراء وفي نسخة بحذف احدى التاءين أي هل تشكون (في رؤية الشمس) أي في رؤيتكم الشمس (والقمر) أي وفي رؤية القمر (ليلة البدر) واحترز عن الهلال وعن القمر في غير ليالي البدور فانه لم يكن حينئذ في نهاية النور (قلنا لا) أي لا نشك في رؤية الشمس والقمر (قال كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم) والتشبيه انما هو في كمال الظهور لا في غيره من خطرات تختلج في الصدور (ولا يبقى في ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة) بالضاد المعجمة من الحضور وقد صحف بالمهملة قال التوربشتي رحمه الله الكلمتان بالحاء المهملة والضاد المعجمة والمراد من ذلك كشف الحجاب والمقاولة مع العبد من غير حجاب ولا ترجمان وبينه الحديث ما منكم من أحد الا ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان الحديث والمعنى خاطبه الله مخاطبة وحاوره محاورة (حتى يقول للرجل منهم يا فلان) بالفتح وفي نسخة بالضم (ابن فلان) بنصب ابن وصرف فلان وهما كنايتان عن اسمه واسم أبيه وروى أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء مرفوعا انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فاحسنوا أسماءكم (تذكر يوم قلت كذا وكذا) أي مما لا يجوز في الشرع فكأنه يتوقف الرجل فيه ويتأمل فيما ارتكبه من معاصيه (فيذكره) بتشديد الكاف أي فيعلمه الله (ببعض غدراته) بفتح الغين المعجمة والدال المهملة جمع غدرة بالسكون بمعنى الغدر وهو ترك الوفاء والمراد معاصيه لانه لم يف بتركها الذي عهد الله اليه في الدنيا (فيقول يا رب أفلم تغفر لي) أي أدخلتني الجنة فلم تغفر لي ما صدر لي من المعصية (فيقول بلى) أي غفرت لك (فبسعة مغفرتي) بفتح السين ويكسر (بلغت) أي وصلت (منزلتك هذه) قال الطيبي رحمه الله عطف على مقدر أي غفرت لك فبلغت بسعة رحمتي هذه المنزلة الرفيعة والتقديم دل على التخصيص أي بلوغك تلك المنزلة كائن بسعة رحمتي لا بعملك (فبينا) وفي نسخة فبينما (هم) أي أهل الجنة (على ذلك) أي على ما ذكر من المحاضرة والمحاورة (غشيتهم) أي غطتهم (سحابة من فوقهم فامطرت عليهم طيبا) أي عطرا (لم يجدوا مثل ريحه شيأ قط ويقول ربنا قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقا قد حفت) بتشديد الفاء أي أحاطت (به الملائكة فيها كذا) في بعض الاصول المعتمدة موجود والمعنى عليه أي في تلك السوق (ما لم تنظر العيون) بضم العين ويكسر جمع العين الى مثله وهو في نسخ أكثر الشراح مفقود فقال المظهر ما موصولة والموصول مع صلته يحتمل ان يكون منصوبا بدلا من الضمير المنصوب المقدر العائد الى ما في قوله ما أعددت ويحتمل ان يكون في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف أي المعد لكم وقال شارح أو هو مبتدأ خبره محذوف أي فيها أقول وهو أحق وأوفق وقال الطيبي رحمه الله الوجه ان يكون ما موصوفة بدلا من سوقا (ولم تسمع الآذان) بمد الهمزة جمع الاذن أي وما لم تسمعه بمثله (ولم يخطر) بضم الطاء أي وما لم يمر مثله (على القلوب) وهذا هو معنى الحديث القدسي المشهور أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر على ما رواه أبو هريرة أيضا كما سبق (فيحمل لنا) أي الى قصورنا (ما اشتهينا) أي في تلك السوق من أنواع المرزوق (ليس يباع فيها ولا يشترى) الجملة حال من ما في ما اشتهينا وهو المحمول والضمير في يباع عائد اليه (وفي ذلك السوق) هو يذكر ويؤنث فانثه تارة وذكره أخرى والتأنيث أكثر وأشهر

ما يرون ان أصحاب الكراسي بافضل منهم مجلسا قال أبو هريرة قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان ابن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب أفلم تغفر لي فيقول بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه فبيناهم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فامطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيأ قط ويقول ربنا قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة فيها ما لم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى وفي ذلك السوق

وأكثر أي وفي تلك السوق (يلقى) أي يرى (أهل الجنة بعضهم بعضا قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو أبو هريرة مرفوعا حقيقة أو موقوفا في حكم المرفوع (فيقبل) من الاقبال أي فيجيء ويتوجه (الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه) أي في الرتبة والمنزلة (وما فيهم من دني) زيد من للمبالغة في نفي الاستغراق وهو في نسخة صحيحة بدون من كما في صدر الحديث (فيروعه) بضم الراء أي يعجب الرجل (ما يرى) أي يبصره (عليه) أي على من دونه (من اللباس) بيان ما كذا ذكره شارح والظاهر عكس مرجع الضمير بل قال الطيبي رحمه الله الضمير المجرور يحتمل ان يرجع الى من فيكون الروع مجازا عن الكراهة مما هو عليه من اللباس وان يرجع الى الرجل ذي المنزلة فالروع بمعنى الاعجاب أي يعجبه حسنه فيدخل في روعه ما يتمنى مثل ذلك لنفسه ويدل عليه قوله (فما ينقضي آخر حديثه) أي ما ألقي في روعه من الحديث وضمير المفعول فيه عائد الى من قال شارح أي حديث من هو دونه مع الرجل الرفيع المنزلة قلت ويحور قلب الكلام أيضا (حتى يتخيل عليه) بصيغة الفاعل وفي نسخة بالبناء للمفعول أي حتى يتصور له (أن عليه ما هو أحسن منه) والمعنى يظهر عليه ان لباسه أحسن من لباس صاحبه (وذلك) أي سبب ما ذكر من التخيل (لانه) أي الشأن (لا ينبغي لاحد ان يحزن) بفتح الزاي أي يغتم (فيها) أي في الجنة فحزن هنا لازم من حزن بالكسر لا من باب نصر فانه متعد غير ملائم للمقام (ثم ننصرف) أي نرجع ونعود (الى منازلنا فيتلقانا) من التلقي أي يستقبلنا وفي نسخة فيلقانا من اللقي أي فيرانا (أزواجنا) أي من نساء الدنيا ومن الحور العين (فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وان بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فيقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا) بكسر الحاء وتشديد القاف وفي نسخة بضم الحاء في المصباح حق الشيء كضرب ونصر اذا ثبت وفي القاموس حق الشيء وجب ووقع بلا شك وحقه أوجبه لازم ومتعد فالمعنى يوجبا ويلزمنا ويمكن ان يكون من باب الحذف والايصال أي يحق لنا ويليق بنا (ان ننقلب بمثل ما انقلبنا) أي من الانقلاب وهو الانصراف على وجه الكمال لاثر مجالسة ذي الجلال والجمال ومشاهدته المنزهة عن الحلول والاتحاد والاتصال والانفصال (رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث غريب وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أدنى أهل الجنة) أي أقلهم خدما ونساء (الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان) أي من نساء الدنيا (وسبعون زوجة) أي من الحور العين وفي نسخة اثنان بالتذكير ولعل وجهه انه ذكر باعتبار معنى الزوجة من لفظ الحور أو الزوج (وتنصب) بصيغة المجهول أي ويضرب ويرفع له (قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت) قال القاضي رحمه الله يريد ان القبة معمولة منها أو مكللة بها (كما بين الجابية) وهي مدينة بالشام (الى صنعاء) وهي بلدة باليمن قال شارح هي قصبة باليمن وقيل هي أول بلدة بنيت بعد الطوفان والمعنى ان مسحة القبة وسعتها طولا وعرضا وبعد ما بين طرفيه كما بين الموضعين قال السيوطي رحمه الله في الجامع الصغير رواه أحمد والترمذي وابن حبان والضياء عنه (وبهذا الاسناد) أي بالاسناد الواصل الى أبي سعيد أيضا قال أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو أبو سعيد مرفوعا وفي المصابيح وبه قال أي بالاسناد المذكور (قال مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون) أي يعودون وفيه تغليب لانه لا رد في الصغير أو المعنى يصيرون (بني ثلاثين في الجنة) متعلق بقوله يردون (لا يزيدون عليها أبدا) أي زيادة مؤثرة في تغيير أبدانهم وأعضائهم وشعورهم وأشعارهم والا فزمانهم في الجنة يتزايد أبد الآبدين (وكذلك أهل النار) أي في العمر وعدم الزيادة ولعل اختيار هذا المقدار من أزمنة الاعمال للابرار والكفار ليكون التنعم والعذاب على وجه الكمال في كل من دار البوار ودار القرار قال الطيبي رحمه الله فان قلت ما التوفيق بين هذا الحديث وبين ما رواه مسلم عن أبي هريرة في باب البكاء صغارهم دعاميص الجنة أي داخلون على منازلهم لا يمنعون من موضع كما في الدنيا قلت في الجنة ظرف لا يردون وهو لا يشعر انهم لم يكونوا دعاميص قبل الرد (وبهذا

يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه وذلك انه لا ينبغي لاحد ان يحزن فيها ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وان بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فنقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي هذا حديث غريب وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء وبهذا الاسناد قال من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار وبهذا

الاسناد قال ان عليهم) أى على رؤس أهل الجنة (التيجان) بكسر المثناة الفوقية جمع تاج (أدنى لؤلؤة منها لتضيء) بالتأنيث فى النسخ وأول وجهها أن المضاف اكتسب التأنيث من المضاف اليه والمعنى لتنور (ما بين المشرق والمغرب) فضاءه متعد ويمكن أن يكون لازما والتقدير ليضيء به ما بينهما من الاماكن لو ظهرت على أهل الدنيا (وبهذا الاسناد قال المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة) أى فرضا وتقديرا (كان حمله) أى حمل الولد (ووضعه وسنه) أى كمال سنه وهو الثلاثون سنة (فى ساعة) لان الانتظار أشد من الموت ولا موت فى الجنة ولا حزن (كما يشتهى) من أن يكون ذكرا أو أنثى ونحو ذلك (وقال اسحق ابن ابراهيم) رحمه الله أى ابن حبيب البصرى روى عن معمر بن سليمان وروى عنه أبو عبد الرحمن النسائى وغيره مات سنة سبع وخمسين ومائتين (فى هذا الحديث) أى ذكر فى بيان هذا الحديث (اذا اشتهى) أو فى هذا الحديث دلالة على انه اذا اشتهى (المؤمن فى الجنة الولد كان فى ساعة) أى حصل الولد فى ساعة (لكن لا يشتهى) فقوله ولكن هو المقول حقيقة (رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وروى ابن ماجه الرابعة) أى الفقرة الرابعة من فقرات الحديث (والدارمى الاخيرة) وهى ما أورده اسحق بن ابراهيم وفى تيسير الوصول الى جامع الاصول عن أبى رزين قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يكون لاهل الجنة ولد أخرجه الترمذى وزاد فى رواية عن الخدرى ان اشتهى الولد كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة واحدة قال بعضهم لكن لا يشتهى (وعن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الجنة لمجتمعا) بفتح الميم الثانية أى موضعا للاجتماع أو اجتماعا (للحور العين) قال الراغب الحور جمع أحور وحوراء والحور قيل ظهور قليل من البياض فى العين من بين السواد وذلك نهاية الحسن من العين ويقال للبقر الوحشى أعين وعيناء لحسن عينه وجمعها عين وبها شبه النساء قال تعالى وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون وروى ابن ماجه وابن مردويه عن عائشة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم الحور العين خلقهن من تسبيح الملائكة وروى ابن مردويه والخطيب عن أنس مرفوعا الحور العين خلقن من الزعفران انتهت ولا تنافى بين الحديثين لان من تعليلية فى الحديث الاول فتأمل (يرفعن بأصوات) الباء الزائدة تأكيد للتعدية أو أراد بالاصوات النغمات والمفعول محذوف أى يرفعن أصواتهن بأنغام (لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات) أى الدائمات فى الغنى والمغنى (فلا نبيد) من باد هلك وفنى أى فلا نفنى (ونحن الناعمات) أى المتنعمات (فلا نبأس) أى فلا نصير فقيرات ومحتاجات الى غير المولى (ونحن الراضيات) أى عن ربنا أو عن أصحابنا (فلا نسخط) فى حال من الحالات (طوبى) أى الحالة الطيبة (لمن كان لنا وكنا له) أى فى الجنات العاليات (رواه الترمذى وعن حكيم بن معاوية) أى النميرى قال البخارى فى صحبته نظر وروى عنه ابن أخيه معاوية بن حكيم وقتادة رضى الله عنهم كذا ذكره المؤلف (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد) قال الطيبى رحمه الله يريد بالبحر مثل دجلة والفرات ونحوهما وبالنهر مثل نهر معقل حيث تشقق من أحدهما ثم منه تشقق جداول انتهى والظاهر أن المراد بالبحار المذكورة هى أصول الانهار المسطورة فى القرآن كما قال تعالى فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى وقوله ثم تشقق بحذف احدى التاءين أى تفترق الانهار الى الجداول بعد تحقق الانهار الى بساتين الابرار وتحت قصور الاخيار على انه قد يقال المراد بالبحار هى الانهار وانما سميت أنهارا الجريان بخلاف بحار الدنيا فان الغالب منها انها فى محل القرار (رواه الترمذى) أى عن حكيم بن معاوية (ورواه الدارمى عن معاوية) الظاهر انه معاوية بن أبى سفيان لان معاوية أبا حكيم لم يعرف كونه من الصحابة ثم رأيت السيوطى رحمه الله قال فى الجامع الصغير رواه أحمد والترمذى عن معاوية بن حيدة لكنه لم يذكره المؤلف فى أسمائه

الاسناد قال ان عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب وبهذا الاسناد قال المؤمن اذا اشتهى الولد فى الجنة كان حمله ووضعه وسنه فى ساعة كما يشتهى وقال اسحق بن ابراهيم فى هذا الحديث اذا اشتهى المؤمن فى الجنة الولد كان فى ساعة ولكن لا يشتهى رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وروى ابن ماجه الرابعة والدارمى الاخيرة وعن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له رواه الترمذى وعن حكيم ابن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد رواه الترمذى ورواه الدارمى عن معاوية

(الفصل الثالث) عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل في الجنة ليتكئ في الجنة سبعين مسندا قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وان أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنت فتقول أنا من المزيد وانه ليكون عليها سبعون ثوبا فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وان عليها من التيجان ان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب رواه أحمد وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحدث وعنده رجل من أهل البادية ان رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له ألست فيما شئت قال بلى ولكني أحب أن أزرع فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فانه لا يشبعك شيء فقال الاعرابي والله لا تجده الا قرشيا أو انصاريا فانهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وعن جابر قال

(الفصل الثالث) (عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الرجل في الجنة) أي في دار الجزاء (ليتكئ) أي ليعتمد ويستند (في الجنة) أي في جنته الخاصة به (سبعين مسندا) بفتح الميم وبضم والنون مفتوحة لا غير وهو تمييز لسبعين وهو منصوب بنزع الخافض أي على سبعين مسندا أو متكئا واحدا بعد واحد كل لون وصنف من أنواع الزينة (قبل أن يتحول) أي من شق الى آخر وهو ظرف ليتكئ كما هو الظاهر وأغرب الطيبي رحمه الله حيث قال قوله سبعين مسندا هذا يؤيد قول من فسر قوله تعالى وفرش مرفوعة بأنها منضودة بعضها فوق بعض وقوله قبل ان يتحول ظرف لقوله يأتيه ولا يخفى غرابة الاول في المعنى وغرابة الثاني في المبنى (ثم تأتيه امرأة فتضرب على منكبه) وفي نسخة منكبيه أي ضرب الغنج والدلال وتنبيه على مطالعة الجمال (فينظر) أي فيطالع الرجل (فيرى وجهه) أي عكسه (في خدها) أي من كمال صفائها وضيائها حال كون خدها (أصفى من المرآة) أي أنور من جنس المرآة المعهودة في الدنيا (وان أدنى لؤلؤة عليها) أي على تلك المرأة (تضيء ما بين المشرق والمغرب) أي لو كان في الدنيا (فتسلم) أي المرأة (عليه فيرد السلام) أي عليها (ويسألها من أنت فتقول أنا من المزيد) يراد به ما في قوله تعالى لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد ومن المزيد أيضا ما قاله سبحانه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أي الجنة ورؤية الله تعالى وانما سميت زيادة لان الحسنى هي الجنة وهي ما وعد الله تعالى بفضله جزاء لاعمال المكلفين والزيادة فضل على فضل (وانه) أي الشأن (ليكون عليها) أي على المرأة (سبعون ثوبا) أي بألوان مختلفة وأصناف مؤتلفة (فينفذها) بضم الفاء أي يدرك لطافة بدن المرأة (بصره) أي نظر الرجل (حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك) أي ما ذكر من أنواع الثياب ولم يمنع بصره شيء من الحجاب (وان عليها من التيجان) أي المرصعة ما يقال في حقها (ان أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب) وقيل ان بالكسر مزيدة واللام داخل في خبر ان الاولى نحو قوله تعالى ألم يعلموا انه من يحاد الله ورسوله فان له نار جهنم انتهى والظاهر أنها اذا كانت مزيدة تكون اللام داخلة في خبر المبتدا والجملة خبر ان الاولى ثم لا شك ان الثانية في الآية غير مزيدة بل لزيادة تأكيد ومبالغة في النسبة (رواه أحمد وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يحدث وعنده رجل من أهل البادية ان رجلا) بكسر الهمزة على الحكاية وهي من جملة ما يحدث به وفي بعض النسخ بفتحها على انه مفعول يحدث والجملة بينهما حالية معترضة وقال الطيبي رحمه الله هو بكسر الهمزة مفعول يحدث على حكاية ما يلفظ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحاصله ان رجلا (من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع) أي بناء على ما تعوده به في الدنيا أو انتزهه به في العقبى (فقال) أي ربه وفي نسخة فقال له (ألست فيما شئت) أي من الاكل والشرب وسائر أنواع التنعم (قال بلى ولكني أحب ان أزرع فبذر) الفاء فصيحة أي فأذن له فيه فبذر أي رمى البذر في أرض الجنة (فبادر الطرف) بسكون الراء تحريك الجفون في النظر أي فسابقه (نباته) والمعنى فحصل نباته في الحال وكذا قوله (واستواؤه واستحصاده) أي من غير مؤنة الحصاد من جانب العباد فكان أمثال الجبال (فيقول الله تعالى) أي حينئذ (دونك يا ابن آدم) أي خذ ما تمنيته قاله على سبيل التوبيخ تهجينا لما التمسه ومن ثم رتب عليه قوله (فانه لا يشبعك شيء) أي كثير حتى في الجنة وقد يوجد في تعارف الناس مثل هذا التوبيخ من القواعد المقررة ان كل اناء يترشح بما فيه وان الناس يموتون كما يعيشون ويحشرون كما يموتون أظهر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذا المعنى في لباس هذا المبنى (فقال الاعرابي والله لا تجده) أي هذا الرجل (الا قرشيا) أي من أهل مكة (أو انصاريا) أي من أهل المدينة أو للتنويع (فانهم) أي مجموع القبيلتين (أصحاب زرع) أي في الجملة وان كان الانصار أكثر زرعا (فأما) بالفاء وفي نسخة بحذفها وأما (نحن) أي معاشر أهل البادية (فلسنا بأصحاب الزرع) أي فلا نشتهي مثل ذلك (فضحك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من فطانة البدوي أو من مسئلة الجنتي وجوابه البديعي (رواه البخاري وعن جابر قال

سأل رجل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أينام أهل الجنة قال النوم أخو الموت ولا يموت أهل الجنة) أى فلا ينامون وهذا جواب بالدليل البرهانى وهو أوقع فى النفس وأظهر فى اطمئنان الايمان من الجواب الاجمالى بان قال لا (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

(باب رؤية الله تعالى)

من باب اضافة المصدر الى مفعوله

(الفصل الاول) (عن جرير بن عبد الله) أى البجلى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انكم) أى أيها المؤمنين (سترون ربكم) أى ستبصرونه بقوله (عيانا) بالكسر مصدر مؤكد أو حال مؤكدة امامن الفاعل أو المفعول أى معاينين بكسر الياء أو معاينا بفتح الياء والمعاينة رفع الحجاب بين الرائى والمرئى ففى القاموس لقيه عيانا أى معاينة لم يشك فى رؤيته اياه وقال الطيبى رحمه الله عيانا أى جهارا ويجوز أن يكون من العين المحسوسة بالعين الظاهرة وقال النووى رحمه الله اعلم أن مذهب أهل السنة قاطبة ان رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا أيضا على وقوعها فى الآخرة أى نقلا وان المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين وزعمت طوائف من أهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذى قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى فى الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابيا رضى الله تعالى عنهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها أجوبة مسطورة فى كتب المتكلمين من أهل السنة وأما رؤية الله تعالى فى الدنيا فممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم على انها لا تقع فى الدنيا وحكى الامام أبو القاسم القشيرى رحمه الله تعالى فى رسالته المعروفة عن الامام أبى بكر بن فورك انه حكى فيها قولين للامام أبى الحسن الاشعرى رحمه الله أحدهما وقوعها والثانى لا تقع ثم مذهب أهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله تعالى فى خلقه ولا يشترط فيها لاشعة ولا مقابلة المرئى ولا غير ذلك ولكن جرت العادة فى رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على وجه الاتفاق لا على سبيل الاشتراط وقد قرر أئمتنا المتكلمون ذلك بالدلائل الجلية ولا يلزم من رؤية الله تعالى اثبات جهة له تعالى عن ذلك بل يراه المؤمنون لا فى جهة كما يعلمونه لا فى جهة قلت وكما يراناهو لا فى جهة ولا مقابلة ولا غير ذلك والحاصل انه لا يقاس الغائب بالشاهد لاسيما الخالق بالمخلوق ولذا قيل لا يقاس الملوك بالحدادين (وفى رواية) أى عن جرير (قال كنا جلوسا) أى جالسين (عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر) قال الاكمل أى البدر الكامل وسمى ليلة أربعة عشر بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع (فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر) أى المحسوس المشاهد المرئى ثم استأنف وقال أو ذكر على سبيل بيان الحال (لا تضامون) بضم التاء وتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم قال الحافظ بن حجر وهو الاكثر أى لا يظلم بعضكم بعضا بالتكذيب والانكار وفى نسخة بفتح التاء وتشديد الميم من التضام بمعنى التزاحم وفى أخرى بالضم والتشديد من المضامة وهى المزاحمة وهو حينئذ يحتمل كونه للفاعل والمفعول وحاصل معنى الكل لا تشكون (فى رؤيته) أى فى رؤية القمر ليلة البدر قال فى جامع الاصول قد يخيل الى بعض السامعين ان الكاف فى قوله كما ترون كاف التشبيه للمرئى وانما هو كاف التشبيه للرؤية وهو فعل الرائى ومعناه ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تمترون قال ولا تضامون روى بتخفيف الميم من الضيم الظلم المعنى انكم ترونه جميعكم لا يظلم بعضكم بعضا فى رؤيته فيراه البعض دون البعض وبتشديد الميم من الانضمام بمعنى الازدحام أى لا يزدحم بعضكم بعضا فى رؤيته ولا ينضم بعضكم الى بعض من ضيق كما يجرى عند رؤية الهلال مثلا دون رؤية القمر فانه يراه كل منكم موسعا عليه منفردا به (فان استطعتم ان لا تغلبوا)

سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أينام أهل الجنة قال النوم أخو الموت ولا يموت أهل الجنة رواه البيهقى فى شعب الايمان

(باب رؤية الله تعالى)

(الفصل الاول) عن جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم عيانا وفى رواية قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا

على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها متفق عليه وعن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيأ أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة رواه مسلم

(الفصل الثاني) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية

بصيغة المجهول أي لا تصيروا مغلوبين (على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) أي ما ذكر من الاستطاعة أو عدم المغلوبية قال القاضي رحمه الله ترتيب قوله ان استطعتم على قوله سترون بالفاء يدل على أن المواظب على اقامة الصلوات والمحافظ عليها خليق بأن يرى ربه وقوله لا تغلبوا معناه لا تصيروا مغلوبين بالاشتغال عن صلاتي الصبح والعصر وانما خصهما بالحث لما في الصبح من ميل النفس الى الاستراحة والنوم وفي العصر من قيام الاسواق واشتغال الناس بالمعاملات فمن لم يلحقه فترة في الصلاتين مع ما لهما من قوة المانع فبالحري أن لا تلحقه في غيرهما والله تعالى أعلم (ثم قرأ) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم استشهادا أو جرير اعتقادا (وسبح) بالعطف على ما قبله وهو قوله سبحانه فاصبر على ما يقولون وسبح (بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) أي وصل في هذين الوقتين وعبر عن الكل بالجزء وهو التسبيح المراد به الثناء في الافتتاح المقرون بحمد الرب المشتمل عليه سورة الفاتحة ويدل على هذا المعنى ما بعده وهو قوله ومن آناء الليل أي ساعاته وهو العشاء آن فسبح وأطراف النهار أي طرفيه وهو وسطه يعني الظهر لعلك ترضى بالفتح والضم أي على رجاء أن تكون راضيا أو مرضيا أو جامعا بينهما والمراد بالتسبيح تنزيه الرب عن الشريك ونحوه من صفات النقصان والزوال والحدوث والانتقال والمراد بحمده ثناء الكمال بنعت الجمال ووصف الجلال (متفق عليه) وفي الجامع رواه أحمد والشيخان والاربعة عنه لكن بغير قراءة الآية (وعن صهيب) مصغرا (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون) أي أتريدون (شيأ أزيدكم) أي على عطاياكم (فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا) بتشديد الجيم وتخفيف أي وألم تخلصنا (من النار) أي من دخولها وخلودها قال الطيبي رحمه الله تقرير وتعجب من انه كيف يمكن الزيادة على ما أعطاهم الله تعالى من سعة فضله وكرمه وقوله (فيرفع الحجاب) بصيغة المجهول ورفع الحجاب رفع للتعجب كأنه قيل لهم هذا هو المزيد والله سبحانه وتعالى منزه عن الحجاب فانه محجوب بغير محجوب اذ المحجوب مغلوب فالمعنى فيرفع الحجاب عن أعين الناظرين كما يدل عليه قوله (فينظرون الى وجه الله) أي ذاته المنزهة عن الصورة والجهة ونحو ذلك (فما أعطوا شيأ أحب اليهم من النظر الى ربهم ثم تلا للذين أحسنوا) أي العمل في الدنيا بأن أجادوه وقرنوا بالاخلاص (الحسنى) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة (وزيادة) أي النظر لوجهه الكريم وتنكيرها للتعظيم أي زيادة عظيمة لا يعرف قدرها ولا يكتنه كنهها قال الطيبي رحمه الله واذا كان مفسر التنزيل من نزل عليه فمن بعده فقد تعدى طوره أقول أراد به الزمخشري في عدوله عنه الى التأويل وكذا من تبعه كالبيضاوي حيث عبر بالقيل عن هذا القول الجليل الثابت عمن نزل عليه التنزيل (رواه مسلم)

(الفصل الثاني) (عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة) أي أقلهم مرتبة (لمن ينظر الى جنانه) بكسر الجيم أي بساتينه (وأزواجه) أي نسائه وحوره (ونعيمه) أي ما يتنعم به (وخدمه) أي من الولدان (وسرره مسيرة ألف سنة) أي حال كون جنانه وما عطف عليه كائنة في مسافة ألف سنة والمعنى ان ملكه مقدار تلك المسافة قيل هو كناية عن كون الناظر ملك في الجنة ما يكون مقداره مسيرة ألف سنة لان المالكية في الجنة خلاف ما في الدنيا وفي التركيب تقديم وتأخير اذ جعل الاسم وهو قوله لمن ينظر خبرا أو الخبر وهو أدنى منزلة اسما اعتناء بشأن المقدم لان المطلوب بيان ثواب أهل الجنة وسعتها وان أدناهم منزلة من يكون ملكه كذا ونحوه قوله تعالى ان خير من استأجرت القوي الامين خبرا (وأكرمهم) بالنصب عطفا على أدنى وفي نسخة بالرفع عطفا على مجموع اسم ان وخبرها أي وأكثرهم كرامة على الله وأعلاهم منزلة وأقربهم رتبة عنده سبحانه (من ينظر الى وجهه) أي ذاته (غدوة) بضم الغين (وعشية) أي صباحا ومساء ولهذا وصى بالمحافظة على صلاتي طرفي النهار كما مر أو المراد بهما أن يكون النظر دواما على ان الغدوة عبارة عن

النهار والعشية عبارة عن الليل مجازا بذكر الجزء وارادة الكل أو بذكر أول الشيء وارادة تمامه لكن الاول أظهر لانه لو كان المدار على وجه الدوام لما انقطع وابسائر النعيم وقد خلقت لهم ومما يؤيده أيضا مارواه الحاكم عن بريدة مرفوعا ان أهل الجنة يدخلون على الجبار كل يوم مرتين فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرئ منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزمرد والذهب والفضة بالاعمال فلا تقرأ عينهم قط كما تقر بذلك ولم يسمعوا شيأ أعظم منه ولا أحسن منه ثم ينصرفون الى رحالهم وقرة أعينهم ناعمين الى مثلها من الغد (ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة) أى ناعمة غضة حسنة والمراد بالوجوه الذوات أو خصت لشرفها أو لظهور أثر النعمة عليها (الى ربها ناظرة) قال الطيبي رحمه الله قدم صلة ناظرة اما للرعاية الفاصلة وهي ناضرة باسرة فاقرة واما لان الناظر يستغرق عند رفع الحجاب بحيث لا يلتفت الى ماسواه وكيف يستبعد هذا والعارفون في الدنيا بما استغرقوا في بحار الحب بحيث لم يلتفتوا الى الكون ويعضده حديث جابر في آخر الفصل الثالث فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ماداموا ينظرون اليه (رواه أحمد والترمذي) وكذا الطبراني وروى هناد في الزهد عن عبيد بن عمير مرسلا ان أدنى أهل الجنة منزلا لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها (وعن أبي رزين العقيلي) مصغرا (قال قلت يارسول الله أ كلنا) أى أجمعنا معاشر المؤمنين (يرى ربه) أى يبصرونه والافراد في يرى باعتبار لفظ كل (مخليا به) بميم مضمومة فخاء معجمة ساكنة فلام مكسورة فتحتية مخففة أى خاليا بربه بحيث لا يزاحمه شيء في الرؤية (يوم القيامة) وقيل بفتح ميم وتشديد تحتية وأصله مخلوي كذا ذكره الجزري رحمه الله واقتصر ابن الملك على الثاني والمعنى منفردا به ففي النهاية يقال خلوت به ومعه واليه واختليت به اذا انفردت به أى كلكم يراه منفردا بنفسه كقوله لا تضارون في رؤيته (قال بلى) أى نعم كلنا يرى ربه (قال) أى أبو رزين (قلت) وهو موجود في أكثر النسخ المصححة والمعنى عليه (وما آية ذلك) أى ماعلامة رؤيته كلا ربه بحيث لا يزاحمه شيء والمعنى مثل لنا ذلك (في خلقه) أى مخلوقاته لنظير ذلك فان الله تعالى جعل في الدنيا أنموذجا لجميع ما في العقبى (قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قال بلى) أى قلت بلى (قال فانما هو) أى القمر (خلق من خلق الله) أى ويراه كلنا (والله أجل) أى أكمل مرتبة (وأعظم) أى أفضل منقبة وأعلى قدرة لانه واجب الوجود فهو أولى في نظر العقل بالشهود قال الطيبي رحمه الله قاس القمر تل رؤية الله تعالى على ما في المتعارف فان الجم الغفير اذا رأوا شيأ يتفاوتون في الرؤية لاسيما شيأ له نوع خفاء فيضيم بعضهم بعضا بالازدحام فمن راء يرى رؤية كاملة وراء دونها فالمراد بقوله مخليا اثبات كمالها ولذا طابق الجواب بالتشبيه بالقمر ليلة البدر لا بالهلال (رواه أبو داود)

(الفصل الثالث) (عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك) أى في ليلة المعراج (قال نور) أى هو نور عظيم والمراد انه نور الانوار ومنه قوله تعالى الله نور السموات والارض أى منورهما ومظهر أنوارها بهما من الشمس والقمر والكواكب وامثال ذلك ومن أسمائه النور وهو الذي ظاهر بنفسه ومظهر لغيره على ماذكره المحققون (انى) بفتح الهمزة وتشديد النون على ما في أكثر النسخ أى كيف (أراه) أى أبصره فان كمال النور يمنع الادراك وفي بعض النسخ نوراني بتشديد الياء للنسبة لزيادة الالف والنون للمبالغة كالرباني وحينئذ فقوله أراه بمعنى أظنه من الرؤية بمعنى الرأي فلو قرئ بضم الهمزة لكان أظهر في هذا المعنى ويمكن ان يكون بمعنى أبصره ايماء الى انه مارآه في الدنيا وسيراه في الاخرى أو مراده أبصرته والعدول الى الاستقبال لحكاية الحال الماضية فكأنه يستحضره ويتلذذ به قال ابن الملك اختلف في رؤيته في تلك الليلة وفي الحديث دليل للفريقين على اختلاف الروايتين لانه روى بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة فيكون استفهاما على سبيل الانكار وروى

ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة رواه أحمد والترمذي وعن أبي رزين العقيلي قال قلت يارسول الله أ كلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال بلى قلت وما آية ذلك في خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قال بلى قال فانما هو خلق من خلق الله والله أجل وأعظم رواه أبو داود

(الفصل الثالث)

عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور انى أراه

بكسر النون فيكون دليلا لاثبتين ويكون حكاية عن الماضي بالحال انتهى وقال الامام أحمد في قوله نور انى أراه بتشديد النون بمعنى على طريق الاعجاب قال الطيبي رحمه الله أراد ليس الاستفهام على معنى الانكار المستفيد للنفي بل للتقرير المستلزم للاعجاب أي نور حيث أراه قال النووي رحمه الله وفي الرواية الاخرى رأيت نورا انى بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة هكذا رواه جميع الرواة في جميع الاصول ومعناه حجابه نور فكيف أراه قال الامام المازري رحمه الله معناه ان النور منعني من الرؤية كما جرت العادة فان كمال النور يمنع الادراك وروي نوراني منسوب الى النور وما جاء من تسمية الله تعالى بالنور في مثل قوله سبحانه الله نور السموات والارض وفي الاحاديث معناه ذو نورهما ومنورهما وقيل هادي أهلهما وقيل منور قلوب عباده المؤمنين قلت ويؤيده قوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح (رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما) أي في قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال) أي ابن عباس (رآه بفؤاده مرتين) قال صاحب المدارك أي ما كذب فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه الصلاة والسلام أي ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقيل المرئي هو الله سبحانه رآه بعين رأسه وقيل بقلبه وفي شرح مسلم للنووي قال ابن مسعود رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل وهذا الذي قاله هو مذهبه في هذه الآية وذهب الجمهور من المفسرين الى أن المراد انه رأى ربه سبحانه ثم اختلفوا فذهب جماعة الى انه عليه الصلاة والسلام رأى ربه بفؤاده دون عينه وذهب جماعة الى انه رآه بعينه قال الامام أبو الحسن الواحدي قال المفسرون رحمهم الله هذا اخبار عن رؤية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه عز وجل ليلة المعراج قال ابن عباس وأبو ذر وابراهيم التيمي رآه بقلبه وعلى هذا رأى بقلبه ربه رؤية صحيحة وهو ان الله تعالى جعل بصره في فؤاده أو خلق لفؤاده بصرا حتى رأى ربه رؤية صحيحة كما يرى بالعين قلت وهذا قول حسن ووجه مستحسن يمكن به الجمع بين متفرقات الاقوال والله تعالى أعلم بالحال ثم قال الواحدي ومذهب جماعة من المفسرين انه رأى بعينه وهو قول أنس وعكرمة والربيع قال المبرد ان الفؤاد رأى شيأ فصدق فيه وما رأى في موضع النصب أي ما كذب الفؤاد مرئيه وقال القاضي عياض رحمه الله اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فانكرته عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن عباس انه رأى بعينه ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن كان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الاشعري وجماعة من أصحابه رضي الله تعالى عنهم انه رآه ووقف بعض مشايخنا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله تعالى في الدنيا جائزة واختلفوا ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم هل كلم ربه سبحانه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزاه بعضهم الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله تعالى ثم دنا فتدلى فالاكثرون على ان هذا الدنو والتدلي منقسم ما بين جبريل والنبي عليهما الصلاة والسلام وعن ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم رضي الله تعالى عنهم انه دنو من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى ربه تعالى أو من الله تعالى له عليه الصلاة والسلام والدنو والتدلي على هذا متأول ليس على وجهه قال جعفر بن محمد وغيره الدنو من الله لاحد له ومن العباد بالحدود فدنوه عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل قربه منه وظهور عظيم منزلته لديه واشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه على أسرار ملكوته وغيبه بما لم يطلع عليه سواه والدنو من الله اظهار ذلك له وايصال عظيم بره وفضله اليه وقاب قوسين أو أدنى على هذا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ومن الله اجابة الرغبة وابانة الرتبة ونحوه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حكاية عن ربه من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا هذا آخر

رواه مسلم وعن ابن عباس
ما كذب الفؤاد ما رأى
ولقد رآه نزلة أخرى قال
رآه بفؤاده مرتين

كلام القاضي عياض رحمه الله وقد أوردت بعض الفوائد من هذه الرياض في رسالتي المدراج للمعراج (رواه مسلم وفي رواية الترمذي قال) أي ابن عباس (رأى محمد ربه) أي بفؤاده لئلا يخالف رواية مسلم وقيل أي بعينه وهو الظاهر من الاطلاق الملائم لما بعده من السؤال والافرؤية الفؤاد غير منكرة باجماع أهل الكمال ولا يعترى عليها اعتراض نقلا ولا عقلا في كل حال (قال عكرمة قلت أليس الله يقول لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال) أي ابن عباس (ويحك) كلمة تقال عند الشفقة وحال خوف المزلقة (ذاك) أي الادراك الكلي (اذا تجلى بنوره) أي الخالص (الذي هو نوره) أي الذاتي وهذا الجواب بظاهره انه أراد الرؤية بالفؤاد وفهم عكرمة خلاف ذلك فرد عليه بان رؤيته بالعين انما هي في الآخرة بالتجلي الخاص الكامل العام لكل مؤمن لكن على قدر مراتبهم في المعرفة وعدلا كلاهما عن المعنى المشهور في الادراك وهو الاحاطة المنفية بالاجماع لقوله تعالى ولا يحيطون به علما وقال الطيبي قوله ذاك اذا تجلى بنوره يعني دلت الآية على انه تعالى لا يحاط به وبحقيقة ذاته حاسة الابصار وهذا اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وظهر بصفة الجلال وأما اذا تجلى بما يسعه تطاق البشرية من صفات الجمال فلا استبعاد اذن انتهى وقال صاحب الخلاصة فهم عكرمة من قول ابن عباس رآه بفؤاده انه رآه بعينه لكن بمساعدة فؤاده فلذلك تمسك بالآية ولو كان المراد انه كانت الرؤية بالفؤاد جلية كالرؤية البصرية لم يتجه السؤال بالآية الا ان تحمل الآية على ان المراد نفي الادراك الذي يكون كالادراك البصري في الجلاء وانما خص ذكر البصر لانه محل الادراك بحسب العادة والظاهر ان سؤال عكرمة كان على قول ابن عباس رأى محمد ربه كما هو رواية الترمذي لا على قوله رآه بفؤاده كما هو رواية مسلم وحينئذ لا اشكال في الاستدلال بالآية الكريمة ومعنى جواب ابن عباس انه اذا تجلى بنوره على ما هو عليه اضمحل الادراك وأما اذا كان تجلى على قدر ما يبقى بادراكه القوة البشرية فانه يدرك على ذلك الوجه ثم قوله (وقد رأى ربه مرتين) يحتمل انه رآه بفؤاده مرتين وهو الظاهر الموافق لما في صحيح مسلم أو مرة بفؤاده ومرة بعينه اذلم يقل أحد انه رآه بعينه مرتين والحاصل انه ليس في كلام ابن عباس صريح دلالة على ان مراده رؤيته بعين البصر وأما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية فقال الحجج في هذه المسئلة وان كانت كثيرة لكنا لا نتمسك الا بالاقوى منها حديث ابن عباس أتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم عليه الصلاة والسلام والكلام لموسى عليه الصلاة والسلام والرؤية لمحمد عليه الصلاة والسلام قلت ليس في كلامه نص على ان المراد به الرؤية البصرية لاحتمال ان يكون رؤية البصيرة من نعمائه أيضا مع ان ظاهر هذا الكلام ان لا يكون لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وصف الخلة ونعت الكلام مع انهما ثابتان له عليه الصلاة والسلام على ما ذكره العلماء الاعلام ثم قال والاصل في الباب حديث ابن عباس حبر الامة والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة هل رأى محمد صلوات الله عليه وسلامه ربه فاخبره انه رآه قلت يحتمل ان يكون سؤال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وكذا سؤال عكرمة ناشئا عن تفسير قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى هل الضمير راجع الى جبريل أو الى الله سبحانه فاخبره انه رآه أي بفؤاده كما يدل عليه ما رواه مسلم في صحيحه قال ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها لانها لم تخبر انها سمعت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لم أر ربي وانما وكذا ابن عباس لم يخبر انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما رأيت ربي مطلقا فضلا عن ان يكون مقيدا بعين البصر قال وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقوله تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الآية ولقوله لا تدركه الابصار قلت هاتان الآيتان مستندان لمنعها على ان ابن عباس أيضا متأول كما لا يخفى على متأمل قال واذا صحت الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما في اثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها فانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسماع ولا يستجيز أحد ان يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد قلت الرؤية ببصر الا بغير مصرحة عنه وعلى تقدير الآية

رواه مسلم وفي رواية الترمذي قال رأى محمد ربه قال عكرمة قلت أليس الله يقول لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين

التسليم فلا شك انه نشأ من باب اجتهاده وأخذه من اطلاق الآية قال وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس عائشة ما عندنا بأعلم من ابن عباس قلت هذا مع ما فيه من المناقشة لا يفيد فائدة تامة مع انها ليست منفردة في هذا الباب بل وافقها ابن مسعود وغيره من الاصحاب ثم على تقدير التعارض وتساقط التناقض يثبت كلامها و يتحقق مرامها قال ثم ان ابن عباس اثبت شيأ نفاه غيره والمثبت مقدم على النافي قلت هذا اذا كان الاثبات مستندا الى حس والا فمن آداب البحث ان كلام المانع معتبر لا سيما مع سند المنع حتى يأتي الخصم ببرهان جلي اذ الاصل هو العدم فالوجود يحتاج الى تحقق بدليل قطعي من النقل أو العقل هذا آخر كلام صاحب التحرير وما يترتب عليه من التقرير فقال الامام النووي الحاصل ان الراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه ليلة الاسراء واثبات هذا ليس الا بالسماع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا مما لا ينبغي ان يشك فيه قلت ولا ينبغي ان يجزم به أيضا لعدم ثبوت السماع أصلا فضلا عن ان لا يكون طريقه قطعا وفصلا والا لما وقع فيه خلاف للاذل أولا كثر فتامل وتدبر قال ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث ولو كان معها حديث لذكرته قلت وكذا ابن عباس لم يثبت الرؤية بحديث ولو كان معه حديث لذكره وانما أخذه من اطلاق الآية المتقدمة لو ثبت النقل صريحا عنه من اثبات الرؤية بعين البصر وقد علم أيضا مما سبق ان عائشة مانعة للرؤية المذكورة وما ذكرته من الادلة فانما هي سند منعها المتقوية وليست مستدلة حتى يقال في حقها ما قال وانما اعتمدت على الاستنباط من الآيات اما احتجاجها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به فاذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة قلت سبق سؤال عكرمة مطابقا لما فهمت عائشة من الآية وكذا تقرير ابن عباس هذا المعنى وجوابه على غير هذا المبنى وان كان هذا جوابا حسنا في نفس الامر كما لا يخفى قال واقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الآية فجوابه انه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام قلت الظاهر ان هذا المعنى أخذ من سياق قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى حيث استدل الخصم به على الجمع بين كمال القرب والوحي الخاص المراد به الكلام من غير واسطة فدفعته بقوله تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أي بالالقاء بالقلب أو من وراء حجاب أي أو تكليما ظاهرا يدركه سمع القلب لكن من وراء الحجاب والله تعالى أعلم بالصواب وفي التفسير الكبير اعلم ان النصوص وردت ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه بفؤاده وجعل بصره في فؤاده أو رآه ببصره وجعل فؤاده في بصره وكيف لا ومذهب أهل السنة الرؤية بالارادة لا بقدرة العبد فاذا حصل الله تعالى العلم بالشئ من طريق البصر كان رؤية بالارادة وان حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر ان يحصل العلم بخلق مدرك للمعلوم في البصر كما قدر ان يحصله بخلق مدرك للمعلوم في القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة واختلاف الوقوع مما ينبئ عن الاتفاق على الجواز انتهى وهو غاية التحقيق ونهاية التدقيق والله ولي التوفيق وقال صاحب التعرف وأجمعوا أنه لا يرى في الدنيا بالابصار ولا بالقلب الا من جهة الايقان لانه غاية الاكرام وأفضل النعم ولا يجوز أن يكون ذلك الا في أفضل المكان وأحرى ان الدنيا دار فناء ولا يجوز أن يرى الباقي في الدار الفانية ولو رأوه في الدنيا لكان الايمان به ضرورة وبالجملة ان الله تعالى أخبر أنها تكون في الآخرة ولم يخبر انها تكون في الدنيا فوجب الانتهاء الى ما أخبر الله تعالى به واختلفوا في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأى ربه ليلة الاسراء فقال الجمهور منهم انه لم يره محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره واحتجوا بخبر عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت من زعم ان محمدا عليه الصلاة والسلام رأى ربه فقد كذب منهم الجنيد والثوري وأبو سعيد الخراز وقال بعضهم رآه وانه خص بين الخلائق بالرؤية واحتجوا بخبر ابن عباس وأسماء وأنس منهم أبو عبد الله القرشي و بعض المتأخرين وقال بعضهم رآه بقلبه ولم

يره ببصره واستدل بقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى هذا وزعم بعض الناس ان قوما من الصوفية ادعوا الرؤية لانفسهم وقد اطبق المشايخ على تضليل من قال ذلك وصنفوا في ذلك كتبا منهم أبو سعيد الخراز له في انكار ذلك كتاب ورسائل وكذا الجنيد في تكذيب من ادعاه رسائل وكلام كثير وأجمعوا على ان من ادعى ذلك لم يعرف الله سبحانه (وعن الشعبي) بفتح فسكون تابعي جليل (قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله) أي كعبا (عن شيء فكبر) أي كعب (حتى جاوبته الجبال) قال الطيبي رحمه الله أي كبر تكبيرة من تعاظم اصوته حتى جاوبته الجبال صدا كانه استعظم ما سأل عنه فكبر لذلك ولعل ذلك السؤال رؤية الله تعالى كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها قف لذلك شعري هاقلت الظاهر كلام كعب الآتي من اثباته الرؤية في الجملة يأبى عن هذا المعنى وأن يكون نحو ما صدر من عائشة رضي الله تعالى عنها في المبنى فالوجه ان يحمل التكبير على تعظيم ذلك المقام والتشوق الى ذلك المرام لكنه لم يرد عليه جواب الكلام (فقال ابن عباس انا بنو هاشم) أي فيجب تعظيمنا وتكليمنا وتفهيمنا (فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى) عليهما الصلاة والسلام وقال الطيبي رحمه الله وأما قوله انا بنو هاشم فبعث له على التسكين من ذلك الغيظ والتفكر في الجواب يعني نحن أهل علم ومعرفة فلا نستبعد هذا الاستبعاد ولذلك فكر فاجاب بقوله ان الله الى آخره أقول هذا لا يخلو عن بعد اذ لا دلالة في الحديث على ثبوت غيظ له ولا على تحقق فكر فيه مع ان تيقن هذه المسئلة لا تحصل بفكر ساعة مع اعتقاد مديدة على خلافها (فكلم) أي الله تعالى (موسى مرتين) أي في الميقاتين (ورآه محمد) عليه السلام أي في المعراج (مرتين) كما يدل عليه قوله سبحانه ولقد رآه نزلة أخرى وهذا يدل على ان مذهب كعب على ان الضمير في رآه الى الله لا الى جبريل بخلاف قول عائشة لكن لا دلالة فيه على انه برؤية البصيرة أو البصر على ان قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى يؤيد المعنى الاول ولذا صح عن ابن عباس انه رآه بفؤاده مرتين على ما تقدم والله تعالى أعلم (قال مسروق فدخلت على عائشة) رضي الله تعالى عنها الظاهر انه كان حاضرا في مجلس كعب وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وسمع ما جرى بينهما (فقلت هل رأى محمد ربه) أي بالعين أو بالفؤاد (فقالت) استعظاما لهذا السؤال (لقد تكلمت بشيء) وفي نسخة كلمت لكنه ليس بشيء لانه يحتاج الى القول بزيادة الباء في بشيء (قف) بفتح القاف وتشديد الفاء أي قام من الفزع (له) اي لذلك الشيء من الكلام (شعري) أي شعر بدني جميعا وهذا لما حصل عندها من عظمة الله وهيبته واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك (قلت رويدا) أي ارفقي وامهلي والمقصود تسكينها والملاءمة في تليينها حتى يقدر على السؤال والجواب معها (ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ظاهر هذه الآية لا يناسب مدعى مسروق بل قال بعض المفسرين انها المعينة لما رأى فيما سبق من قوله ما كذب الفؤاد ما رأى فهو نقيض مطلوبه ولذا قال الطيبي رحمه الله أي قرأت الآيات التي خاتمتها هذه الآية كما تشهد له الرواية الاخرى أعني قوله قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا أقول مع بعده ليس في الرواية الاخرى لفظ رأى فالاظهر انه أراد بالكبرى الآية الدالة على عظمة شأنه تعالى أو على تعظيم جنابه صلى الله تعالى عليه وسلم وقصد بها الرؤية البصرية أو الفؤادية (فقالت أين تذهب بك) أي الآية يعني فهمها قال الطيبي رحمه الله أي أخطأت فيما فهمت من معنى الآية وذهبت اليه فاسناد الاذهاب الى الآية مجاز انتهى أو اين تذهب بك الآية الكبرى (انما هو) أي الآية الكبرى (جبريل) فذكر الضمير باعتبار الخبر ومما يدل على انه الآية الكبرى ما سيأتي عنها ان له ستمائة جناح قد سد الافق ويؤيده أيضا قولها (من أخبرك ان محمدا رأى ربه) وظاهره انها تنفي رؤيته تعالى مطلقا غير مقيد بالفؤاد أو بالبصر (أو كتم شيئا مما أمر به) أي باظهاره كما يدل عليه قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته وهو يعم الكتمان عن الجميع أو عن البعض فيرد الاعتقاد الفاسد للشيعة في اختصاص أهل البيت ببعض الاحكام الشنيعة وفيه ايماء الى انه لو تحقق له رؤية الله تعالى

وعن الشعبي قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم فقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشيء قف له شعري قلت رويدا ثم قرأت لقد رأى من آيات ربه الكبرى فقالت أين تذهب بك انما هو جبريل من أخبرك ان محمدا رأى ربه أو كتم شيئا مما أمر به

بنوع من الانواع لبينه وأظهر المناسبة في تفسير الآية لبيه وقد قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم (أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) أي الى آخر مفاتح الغيب ولعلها أرادت بايراده الآية المبالغة في نفي الرؤية وانها بمنزلتها في الفرية ولهذا قالت في جزاء الكل من الشرطيات (فقد أعظم الفرية) بكسر الفاء أي الكذب الذي هو بلا مرية (ولكنه رأى جبريل) أي في صورته الاصلية (لم يره في صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في اجياد) بفتح همزة وسكون جيم موضع معروف باسفل مكة من شعابها (له ستمائة جناح قد سد الافق) رواه الترمذي ورواه الشيخان مع زيادة واختلاف) أقول وكان الاولى ايراد روايتهما فهو تعريض من صاحب المشكاة للاعتراض على صاحب المصابيح (وفي روايتهما قال) أي مسروق (قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى) يعني فان الظاهر المتبادر أن ضمير دنا الى الله وضمير تدلى الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو بالعكس كما سبق وكذا ضمير فكان الى أحدهما وقد قال بعده فاوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى وبما قررنا تم استشكال مسروق (قالت ذلك) أي مرجع الضمير في الكل (جبريل عليه الصلاة والسلام) أي لا الرب سبحانه في هذا المقام ثم استأنفت لبيان دفع ما عسى أن يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرى جبريل عليه الصلاة والسلام دائما فما وجه تخصيص ذكر رؤيته في هذا المقام فقالت (كان) أي جبريل (يأتيه في صورة الرجل) أي متشكلا بشكله وغالبا صورة دحية (وانه أتاه هذه المرة) أي في أجياد (في صورته التي هي صورته) أي الاصلية (فسد الافق) أي على نحو ما رآه ليلة المعراج في صورته الاصلية على وجه التحقيق هذا وكأن ابن عباس أخذ بقول كعب واختار انه رآه مرتين على احتمال ان الرؤية بعين البصر أو البصيرة أو احداهما بهذه والاخرى بأخرى مع الاتفاق على أنه لم يره بعينه مرتين والله تعالى أعلم وأما نفي عائشة فيحتمل أن يحمل على الاطلاق أو يقيد بنفي البصر وجواز رؤيته بالفؤاد والظاهر هو الاول فتدبر وتأمل قال الحافظ بن حجر رحمه الله الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عائشة بان يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب لا بمجرد العلم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عالما به تعالى على الدوام وان الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين (وعن ابن مسعود في قوله فكان) أي القرب المعنوي من العبد والرب أو الصوري أو بين جبريل والنبي عليهما الصلاة والسلام (قاب قوسين) أي قدرهما وهو كناية عن كمال قربهما (أو أدنى) أي بل أقرب وهو ما بين العينين وقد قال تعالى في مقام المزيد لكمال المريد ونحن أقرب اليه من حبل الوريد (وفي قوله ما كذب الفؤاد ما رأى) أي ولم يذكر ما بينهما من قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى لعدم تعلقه بالمبنى وان اختلف في مرجع ضمير أوحى في المعنى (وفي قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) أي ابن مسعود (فيها) أي في هذه الآيات (كلها رأى) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح) يعني الضمائر كلها راجعة الى جبريل وهذا التأويل مطابق وموافق لما فهمت عائشة من الآيات كما سبق التنبيه عليه وقد قال بعض علمائنا ان ابن مسعود أعلم الصحابة بعد الخلفاء الاربعة (متفق عليه وفي رواية الترمذي قال) أي ابن مسعود في قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى قال) اعادة تأكيدا (رأى النبي) وفي نسخة صحيحة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل في حلة من رفرف) في النهاية أي بساط وقيل فراش ومنهم من يجعل الرفرف جمعا واحده رفرفة وجمع الرفرف رفارف قلت الاقرب أن يكون المراد منه ثياب خضر ويؤيده ما سيأتي ويقويه قوله تعالى متكئين على رفرف خضر وقيل يحتمل أن يكون المراد منه بسط أجنحته فصارت شبه الرفرف قال السيوطي في مختصر النهاية رفرف الطائر بجناحيه بسطهما عند السقوط على شيء يحوم عليه ليقع فوقه وفي القاموس رف لطائر بسط جناحيه كرفرف والثلاثي مستعمل والرف شبه الطاق

أو يعلم الخمس التي قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث فقد أعظم الفرية ولكنه رأى جبريل لم يره في صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في أجياد له ستمائة جناح قد سد الافق رواه الترمذي وروى الشيخان مع زيادة واختلاف وفي روايتهما قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قالت ذاك جبريل عليه السلام كان يأتيه في صورة الرجل وانه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق وعن ابن مسعود في قوله فكان قاب قوسين أو أدنى وفي قوله ما كذب الفؤاد ما رأى وفي قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح متفق عليه وفي رواية الترمذي قال ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حلة من رفرف

كالرفرف جمع رفوف والثوب الناعم والرفوف ثياب يتخذ منها المجالس وتبسط ولرقيق من ثياب الديباج (قد ملأ ما بين السماء والارض وله) أي للترمذي (وللبخاري) أي أيضا وقدم الترمذي لتقدم مرجعه (في قوله) متعلق بقال الآتي (لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال) أي ابن مسعود (رأى رفرفا) أي ذا رفرف (أخضر سد أفق السماء) وهو جبريل كما سبق عنه أيضا وهو المطابق لما قررناه وفي تحرير الكلام قدرناه والله سبحانه وتعالى أعلم (وسئل مالك بن أنس) وهو صاحب المذهب (عن قوله تعالى الى ربها ناظرة فقيل قوم) أي المعتزلة وأشباههم من أهل البدع (يقولون) أي في معنى الآية (الى ثوابه) أي ناظرة الى ثواب ربها كما قال بعضهم الى بمعنى النعماء وأريد هنا الجنس أي منتظرة نعمة ربها (فقال مالك كذبوا) أي على الله في معنى كلامه (فأين هم عن قوله تعالى كلا) أي حقا (انهم) أي الكفار (عن ربهم) قدم عن متعلقه للاهتمام أو للتعظيم أو للاختصاص أو لمراعاة الفاصلة (يومئذ) أي يوم القيامة أو وقت الجزاء (لمحجوبون) أي لا يرون الله سبحانه والحجاب أشد العذاب كما ان الرؤية زيادة على كل مثوبة حيث قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والمعنى فأين ذلك القوم حيث وقعوا في بعد وغفلة عن مفهوم هذا القول وهو أن المؤمنين غير محجوبين بل يكونون الى مقام النظر مطلوبين ومن كمالهم في مرتبة الحب محبوبين (قال مالك الناس) أي المؤمنون فانهم في الحقيقة هم الناس وسائر الناس كالنسناس (ينظرون الى الله يوم القيامة بأعينهم) وقد سبق ما يدل على ذلك وقيل الناس كلهم يرون الله ثم الكفار يصيرون محجوبين لزيادة الحسرة عليهم وقدمر الكلام عليه وعلى كل فالرؤية للمؤمنين حاصلة بلا شبهة (وقال مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي باسناده (وعن جابر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بينا) وفي نسخة بينما (أهل الجنة في نعيمهم) أي واقعين في لذاتهم مشتغلين بشهواتهم (اذ سطع) أي سطع ولمع (لهم نور) أي عظيم (فرفعوا رؤسهم فاذا الرب قد أشرف) أي تجلى تجلي العظمة والكبرياء والبهاء والعلا (عليهم من فوقهم) أي مبتدئا منه آخذا من جميع جهاتهم (فقال السلام عليكم يا أهل الجنة) ولعل المراد بهم جماعة قيل في حقهم ان أكثر أهل الجنة البله حيث قنعوا باللذات عن رؤية الذات ودليون لأولي الالباب لاعتلاء همتهم وارتفاع نهمتهم عن النظر الى غير رب الارباب ويؤيده ما رواه الدارقطني في الافراد والديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة مرفوعا أهل شغل الله في الدنيا هم أهل شغل الله في الآخرة وأهل شغل أنفسهم في الدنيا هم أهل شغل أنفسهم في الآخرة وفي التنزيل اشارة الى ذلك في قوله ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم (قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (وذلك) أي سلام الرب يعني شاهده (قوله تعالى) أو معنى قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) أي لهم سلام عظيم يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم (قال فنظر) أي الرب اليهم (وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم) أي بايقاع الحجاب عليهم بعد رجعه عنهم (ويبقى نوره) أي أثر نوره وثمرة ظهوره على ظاهرهم وباطنهم كما يشاهده أهل المشاهدة في حال البقاء بعد تحقق الفناء والله تعالى أعلم (رواه ابن ماجه)

(باب صفة النار وأهلها)

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال ناركم) وفي رواية الترمذي ناركم هذه (جزء من سبعين جزأ من نار جهنم) زاد الترمذي لكل جزء منها حرها (قيل يا رسول الله ان كانت لكافية) ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة أي ان هذه النار التي نراها في الدنيا كانت كافية في العقبى لاحتراق الكفار وعقوبة الفجار فهلا اكتفى بها ولاي شيء زيدت في حرها (قال فضلت)

قد ملأ ما بين السماء والارض وله وللبخاري في قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء وسئل مالك بن أنس عن قوله تعالى الى ربها ناظرة فقيل قوم يقولون الى ثوابه فقال مالك كذبوا فأين هم عن قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال مالك الناس ينظرون الى الله يوم القيامة بأعينهم وقال لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون رواه في شرح السنة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة قال وذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم قال فنظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره رواه ابن ماجه

(باب صفة النار وأهلها)

(الفصل الاول)

عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قيل يا رسول الله ان كانت لكافية قال فضلت

أى نار جهنم (عليهن) أى على انيار الدنيا (بتسعة وستين جزأ كلهن) أى حرارة كل جزء من تسعة وستين جزأ من نار جهنم (مثل حرها) أى مثل حرارة ناركم فى الدنيا وحاصل الجواب منع الكفاية أى لابد من التفضيل لحكمة كون عذاب الله أشد من عذاب الناس ولذلك أوثر ذكر النار على سائر أصناف العذاب فى كثير من الكتاب والسنة منها قوله تعالى فما أصبرهم على النار وقوله فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة وانما أظهر الله هذا الجزء من النار فى الدنيا انموذجا لما فى تلك الدار قال الامام الغزالى عليه رحمة البارى فى الاحياء اعلم انك أخطأت فى القياس فان نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب فى الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد أهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها هربا مما هم فيه (متفق عليه واللفظ للبخارى) أى ووافقه مسلم فى المعنى (وفى رواية مسلم ناركم التى يوقد ابن آدم) من الايقاد ويجوز التشديد من التوقيد (وفيها) أى فى رواية مسلم (عليها وكلها بدل عليهن وكلهن) بالنصب أى عوضهما لفا ونشرا مرتبا (وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بجهنم) الباء للتعدية أى يؤتى بها من المكان الذى خلقها الله تعالى فيه ويدل عليه قوله تعالى فيه وجىء يومئذ بجهنم (يومئذ) أى يوم القيامة وقت الندامة والحسرة والملامة (لها سبعون ألف زمام) بكسر الزاى وهو ما يشد به (مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) بتشديد الراء أى يسحبونها الى ان تدار بارض لا تبقى للجنة طريق الا الصراط على ظهرها وفائدة هذه الازمة التى يجرونها بها بعد الاشارة الى عظمتها منعها من الخروج على المحشر الا من شاء الله منهم (رواه مسلم وعن النعمان) بضم النون (ابن بشير) صحابى ابن صحابى رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان أهون أهل النار) أى ايسرهم (عذابا من له نعلان) أى من تحت قدمه (وشراكان) أى من فوقها (من نار) أى كائنة منها (يغلى) أى يفور (منهما) أى من النوعين وهما النعلان والشراكان (دماغه كما يغلى المرجل) بكسر الميم وفتح الجيم أى قدر النحاس كذا قاله شارح وقال العسقلانى ويقال أيضا لكل اناء يغلى فيه الماء من أى صنف كان والحاصل انه كما قال تعالى يغلى فى البطون كغلى الحميم وهذا بالنسبة الى من لم يغمس فى الجحيم ولذا قال (ما يرى) بصيغة المجهول أى ما يظن من له نعلان وشراكان من نار (ان أحدا) أى من أهل النار (أشد منه عذابا) أى لانفراده وعدم اطلاعه على حال غيره (وانه) بالكسر أى والحال انه (لاهونهم عذابا) ففيه تصريح بتفاوت عذاب أهل النار (متفق عليه) وفى الجامع أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل يوضع فى قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه رواه مسلم عن النعمان بن بشير أقول ولعل هذا الحديث بالنسبة الى أدنى العصاة من المؤمنين وما فى المتن بالنسبة الى أدناهم من الكفار كما يدل عليه الحديث الذى يليه (وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أهون أهل النار عذابا) أى من الكفار (أبو طالب) لقوله تعالى فى حقه باتفاق المفسرين انك لا تهدى من أحببت (وهو متنعل) من باب التفعل وفى نسخة صحيحة من باب الانفعال أى متلبس (بنعلين) أى من نار (يغلى منهما) وفى نسخة منها أى من نعليهما أو من جهة نعله وأريد بهما الجنس (دماغه) وانما خفف عذابه لكونه حاميا له صلى الله تعالى عليه وسلم عن تشديد عداوة الكفار فلما خفف خفف جزاء وفاقا (رواه البخارى) وأسنده السيوطى فى الجامع الصغير الى أحمد ومسلم عنه والله تعالى أعلم (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بانعم أهل الدنيا) الباء للتعدية أى يحضر أشدهم تنعما وأكثرهم ظلما لقوله (من أهل النار) من بيانية فى محل حال (يوم القيامة) ظرف يؤتى (فيصبغ) بصيغة المجهول أى يغمس (فى النار صبغة) بفتح الصاد أى غمسة اطلاقا للملزوم على اللازم فان الصبغ انما يكون بالغمس غالبا وفى النهاية أى يغمس فى النار غمسة كما يغمس الثوب فى الصبغ (ثم يقال) أى له (يا ابن آدم هل رأيت خيرا) أى نعمة (قط هل مر بك نعيم قط) أى فى زمان من الازمنة وفى الكلام مبالغة لا تخفى حيث أوقع الاستفهام على مجرد

عليهن بتسعة وستين جزأ كلهن مثل حرها متفق عليه واللفظ للبخارى وفى رواية مسلم ناركم التى يوقد ابن آدم وفيها عليها وكلها بدل عليهن وكلهن وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها رواه مسلم وعن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى ان أحدا أشد منه عذابا وانه لاهونهم عذابا متفق عليه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو متنعل بنعلين يغلى منهما دماغه رواه البخارى وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بانعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ فى النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط

الرؤية والمرور دون الذوق والتمتع والسرور (فيقول لا) أي ما رأيت قط (والله يا رب) نفي مؤكد بالقسم والنداء في الجواب لما أنسته شدة العذاب ما مضى عليه من نعيم الدنيا أو ما بعده من النعيم نظرا الى مآله وسوء حاله فأي نعيم آخره الجحيم وأي شدة مآلها الجنة كما قال (ويؤتى بأشد الناس بؤسا) بضم الموحدة أي شدة ومشقة ومحنة لما كان فيه من فاقة وحاجة وبلية (في الدنيا) أي أولا (من أهل الجنة) مآلا (فيصبغ صبغة في الجنة) أي في أنهارها أو الكوثر منها (فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط وهل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط) وكأنه أطنب في الجواب تلذذا بالخطاب وقلب الكلام للفرح التام (رواه مسلم وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك) أي لو فرض الآن أن ثبت لك (ما في الأرض من شيء) من زائدة للاستغراق أي جميع ما فيها أو طلب منك أن تفتدي به وتخلص نفسك من النار (أكنت تفتدي به) وهو من الافتداء بمعنى اعطاء الفداء للانجاء (فيقول نعم فيقول) أي الله سبحانه (أردت منك أهون من هذا) أي طلبته فوضع السبب موضع المسبب ولأن مراد الله تعالى لا يتخلف كما اتفق عليه السلف والخلف بقولهم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وحاصله اني أمرتك بأسهل من هذا (وأنت في صلب آدم) أي تعلق لك الأمر والحال أنك في صلب آدم وفيه ايماء الى قضية الميثاق المشتمل على قوله ألست بربكم قالوا بلى والمراد منه التوحيد والعبادة على وجه التفريد واليه أشار بقوله (أن لا تشرك بي شيأ) وهو بدل أو بيان لقوله أهون (فأبيت) أي كل شيء (الا أن تشرك بي) أي فلا جرم لا أقبل منك ولو افتديت بجميع ما في الأرض كما قال ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم وقال في موضع آخر ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة قال الطيبي رحمه الله قوله لو أن لك ما في الأرض جميعا أي لو ثبت لأن لو يقتضي الفعل الماضي واذا وقعت أن المفتوحة بعد لو كان حذف الفعل واجبا لأن ما في أن من معنى التحقيق والثبات منزل منزلة ذلك الفعل المحذوف وقوله أردت منك ظاهر هذا الحديث موافق لمذهب المعتزلة فان المعنى أردت منك التوحيد فخالفت مرادي وأتيت بالشرك وقال المظهر الارادة هنا بمعنى الأمر والفرق بين الأمر والارادة أن ما يجري في العالم لا محالة كائن بارادته ومشيئته وأما الأمر فقد يكون مخالفا لارادته ومشيئته قلت وتوضيحه أن الأمر بالايمان توجه على عامة المكلفين وتعلقت مشيئة الايمان ببعضهم وارادة الكفر ببعضهم ولذا قال تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقال سبحانه ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد وقال ولو شاء الله لهدى الناس جميعا وقال فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال الطيبي رحمه الله الأظهر أن تحمل الارادة هنا على أخذ الميثاق في قوله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية بقرينة قوله وأنت في صلب آدم فقوله أبيت الا أن تشرك بي اشارة الى قوله تعالى أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل ويحمل الاباء هنا على نقض العهد وقوله الا أن تشرك استثناء مفرغ وانما حذف المستثنى منه مع أنه كلام موجب لأن في الاباء معنى الامتناع فيكون نفيا أي ما اخترت الا الشرك انتهى وهو كلام حسن الا أن اطلاق الارادة وارادة أخذ الميثاق يحتاج الى بيان يدفع به ما تقدم من الارادة والله سبحانه وتعالى أعلم (متفق عليه وعن سمرة بن جندب) مر ذكره مرارا (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال منهم) أي من أهل النار (من تأخذه النار الى كعبيه ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى حجزته) بضم حاء وسكون جيم فزاي أي معقد ازاره ووسطه (ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته) بفتح أوله وضم قافه أي الى حلقه وفي الصحاح لا تضم أوله وفي النهاية هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان من الجانبين ووزنها فعلوة بالفتح وفي الحديث بيان تفاوت العقوبات في الضعف والشدة لا أن بعضا من الشخص يعذب دون بعض ويؤيده قوله في الحديث السابق

فيقول لا والله يا رب ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط وهل مر بك شدة قط فيقول لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط رواه مسلم وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيأ فأبيت الا أن تشرك بي متفق عليه وعن سمرة بن جندب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال منهم من تأخذه النار الى كعبيه ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى حجزته ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته

وهو متنعل بنعلين يغلي منهما دماغه (رواه مسلم) قال الطيبي رحمه الله وأول الحديث في شرح السنة برواية أبي سعيد اذا خلص المؤمنون من النار الى قوله فيأتونهم فيعرفونهم بصورهم لانا كل النار صورهم (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع) قال القاضي رحمه الله يزاد في مقدار أعضاء الكافر زيادة في تعذيبه بسبب زيادة المماسة للنار قال القرطبي رحمه الله هذا يكون للكفار فانه قد جاءت أحاديث تدل على ان المتكبرين يحشرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال فيساقون الى سجن جهنم قال ابن الملك رحمه الله في شرح المشارق ونظر فيه الشيخ الشارح يعني الاكمل بان هذا الحديث يدل على عظم أجسامهم في النار والذي ذكره في المحشر أقول الظاهر ان يراد بالمتكبرين عصاة المؤمنين وكلام القرطبي محمول عليه لملائم الحديث الآتي ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد على أن الاظهر في الجمع ان يكونوا أمثال الذر في الموقف يداسون فيه ثم تعظم أجسادهم ويدخلون النار ويكونون فيها كذلك وقال ابن الملك رحمه الله قوله في النار غير مذكور في مسلم كذا قاله النووي رحمه الله والاوجه في منع قول القرطبي ان يقال ما ذكره لا يدل على انعدام عظمتهم في المحشر لان تشبيه المتكبرين بالذر انما هو في الحقارة لا في الصورة والا فلا يستقيم قوله في صورة الرجال انتهى وفيه مباحث لا تخفى (وفي رواية ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده) بكسر الغين وفتح اللام أي عظمه (مسيرة ثلاث) أي ليال قال الطيبي رحمه الله هكذا هو في جامع الاصول وشرح السنة أنثه باعتبار الليالي قال النووي رحمه الله هذا كله لكونه أبلغ في ايلامه وهو مقدور لله تعالى يجب الايمان لاخبار الصادق به (رواه مسلم) وفي الجامع الصغير أسند الرواية الاولى الى الشيخين والثانية الى مسلم والترمذي والله تعالى أعلم وروى البزار عن ثوبان مرفوعا ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده أربعون ذراعا بذراع الجبار وروى ابن ماجه عن أبي سعيد مرفوعا ان الكافر ليعظم حتى ان ضرسه لأعظم من أحد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه (وذكر حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه اشتكت النار الى ربها في باب تعجيل الصلاة) يعني فهو اما مكرر واسقطه من ههنا ونبه عليه واما اعتراض فعلى تنبيها على ان محله اللائق هو ذلك الباب والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الثاني) (عن أبي هريرة) رضي تعالى عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال أوقد) بصيغة المفعول وقوله (على النار) نائب الفاعل قال الطيبي رحمه الله هذا قريب من قوله تعالى يوم يحمى عليها في نار جهنم أي يوقد الوقود فوق النار أي النار ذات طبقات توقد طبقة فوق أخرى ومستعلية عليها (ألف سنة حتى احمرت) بتشديد الراء للمبالغة في الاحمرار (ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة) زاد في الجامع كالليل المظلم والحديث دليل على ان النار مخلوقة كما ذهب اليه أهل السنة خلافا للمعتزلة وجماعة من أهل البدع ويؤيدنا قوله تعالى أعدت للكافرين بصيغة الماضي (رواه الترمذي) وكذا ابن ماجه (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه) بفتح فكسر في القاموس الفخذ ككتف ما بين الساق والورك مؤنث كالفخذ ويكسر أي فخذ الكافر (مثل البيضاء) في النهاية هو اسم جبل وقال شارح هو موضع في بلاد العرب وقيل هو جبل (ومقعده) أي موضع قعوده (من النار) أي منها كما في رواية (مسيرة ثلاث مثل الربذة) بفتح الراء والموحدة والذال المعجمة قرية معروفة قرب المدينة كذا في النهاية وقيل بقرب مكة وقيل قرية من قرى المدينة على ثلاث ليال وقال الشارح قريب من ذات عرق يريد ما بين الربذة والمدينة انتهى فقوله مثل الربذة أي مثل بعد الربذة من المدينة أو مثل مسافتها اليها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا الحديث وهو في المدينة ويؤيده ما روي من ان مقعده في النار ما بيني وبين الربذة وقال ابن الملك رحمه الله قرية من قرى المدينة بها قبر أبي ذر الغفاري وقيل جبل بالشام

رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع وفي رواية ضرس الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث رواه مسلم وذكر حديث أبي هريرة اشتكت النار الى ربها في باب تعجيل الصلاة

(الفصل الثاني) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة رواه الترمذي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وفخذه مثل البيضاء ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة

(رواه الترمذي) ورواه أحمد والحاكم عنه بلفظ ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد وعرض جلده سبعون ذراعا وعضده مثل البيضاء وفخذه مثل ورقان ومقعده في النار ما بيني وبين الربذة (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا) ولفظ الجامع اثنتان وأربعون ذراعا بذراع الجبار وفي القاموس الذراع بالكسر من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى والساعد وقد يذكر فيهما وذرع الثوب قاسه بها (وان ضرسه مثل أحد وان مجلسه) أي موضع جلوسه (من جهنم ما بين مكة والمدينة رواه الترمذي) وكذا الحاكم (وعن ابن عمر (رضي الله تعالى عنهما) قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الكافر ليسحب) بفتح الحاء أي يجر (لسانه) ويجوز أن يكون على بناء المفعول بل هو الاظهر في المعنى المراد وكذا ضبط في الجامع ولفظه ليسحب لسانه وراءه (الفرسخ والفرسخين يتوطؤه الناس) أي يطؤنه بأقدامهم ويمشون عليه (رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الصعود) بفتح الصاد واللام للعهد اشارة الى قوله تعالى سأرهقه صعودا أي سأغشيه عقبة صعبة المسلك (جبل) ففي القاموس الصعود بالفتح ضد الهبوط وجبل في جهنم والعقبة الشاقة والمعنى انه جبل عظيم (من نار يتصعد فيه) بصيغة المجهول أي يكلف الكافر ارتقاءه وفي نسخة بفتح أوله أي يطلع في ذلك الجبل (سبعين خريفا) أي مدة سبعين عاما (ويهوى به) بصيغة المفعول أي يكلف ذلك الكافر بسقوطه فيه وفي نسخة بفتح الياء وكسر الواو أي ينزل بذلك الكافر من هوى كرمى سقط فالباء للتعدية (كذلك) أي سبعين خريفا (فيه) أي في ذلك الجبل (أبدا) قيد للفعلين أي يكون دائما في الصعود والهبوط ومنه يتبين معنى لطيف فيما اشتهر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ان السفر قطعة من سقر مع ما فيه من الايماء الى اللطافة اللفظية والمناسبة الا بجدية وبهذا يندفع ما نقل عن علي رضي الله تعالى عنه انه لو لم يقل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا لمكست وقلت ان سقر قطعة من السفر لكن لا يخفى أحسنية ما في كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم من عدم المغالبة الزائدة ولما فيه من المطابقة الواقعة الجادة مع الاشارة الى تفسير الآية وما تضمنه مما ذكرناه من افادة اللطافة والظرافة هذا وقد ذكر صاحب خلاصة الطيبي رحمه الله ظنا ان ضمير به راجع الى الجبل وان الباء بمعنى في ان تكريره على طريقة قولك فيك زيد راغب فيك يعني ان الاعادة للتأكيد والمبالغة ولا شك ان ما قررناه أحسن في مقام الافادة (رواه الترمذي) ولفظ الجامع ثم يهوى فيه كذلك أبدا رواه أحمد والترمذي وابن حبان والحاكم عنه (وعنه) أي عن أبي سعيد (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في قوله كالمهل) أي في تفسير قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه (أي كعكر الزيت) بفتح العين والكاف أي درديه وقال الطيبي رحمه الله أي الدرن منه والدنس وأغرب شارح وفسر المهل بالصديد مع ظهور النص السديد (فاذا قرب) بضم فتشديد راء أي المهل (الى وجهه) أي وجه العاصي (سقطت فروة وجهه) أي جلدته وبشرته (فيه) أي في المهل وفي النهاية فروة وجهه أي جلدته والاصل فيه فروة الرأس وهي جلدته بما عليها من الشعر فاستعارها من الرأس للوجه (رواه الترمذي وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الحميم) أي في قوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم المفسر بالماء البالغ نهاية الحر (ليصب على رؤسهم) أي يكب فوقها (فينفذ الحميم) بضم الفاء من النفوذ وهو التأثير والدخول في الشيء أي يدخل أثر حرارته من رأسه الى باطنه (حتى يخلص) بضم اللام أي يصل (الى جوفه) أي الى جوف رأسه أو الى بطنه وهو الظاهر المتبادر بل هو الصواب لقوله (فيسلت) بضم اللام من سلت القصعة اذا مسحها من الطعام فيذهب وأصل السلت القطع فالمعنى فيمسح ويقطع الحميم (ما في جوفه) أي من الامعاء وقال القاضي رحمه الله أي يذهب ويمر (حتى يمرق) بضم الراء أي يخرج (من قدميه

رواه الترمذي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وان مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة رواه الترمذي وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطأه الناس رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ويهوى به كذلك فيه أبدا رواه الترمذي وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله كالمهل أي كعكر الزيت فاذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه رواه الترمذي وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه

وهو الصهر) بفتح الصاد بمعنى الاذابة والمعنى ما ذكر من النفوذ وغيره وهو معنى الصهر المذكور في قوله تعالى يصهر به ما في بطونهم والجلود ومع هذا لهم الوعيد الشديد بقوله تعالى ولهم مقامع من حديد (ثم يعاد) اى ما في جوفه (كما كان) لقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أى شدة العقاب (رواه الترمذى وعن أبي امامة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله) أى تعالى كما في نسخة (يسقى من ماء صديد) قيل صديد الجرح ماؤه الرقيق المختلط بالدم السائل منه (يتجرعه) أى يشرب به لا بمرة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته ولذا قال تعالى ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ (قال) أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرب) بفتح الراء المشددة أى يؤتى بالصديد قريبا (الى فيه) أى الى فم العاصي (فيكرهه) أى لعفونته وسخونته (فاذا أدنى) بصيغة المجهول أى زيد في قربه (منه) أى من العاصي أو من فمه (شوى) أى أحرق (وجهه ووقعت) أى سقطت (فروة رأسه) أى جلدته (فاذا شربه) أى ماء الصديد الحار الشديد (قطع امعاءه) بتشديد الطاء للمبالغة والتكثير (حتى تخرج) أى الامعاء وفي نسخة بالياء أى الصديد (من دبره) بضمتين وهو ضد القبل (يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول) أى الله تعالى في موضع آخر (وان يستغيثوا) أى يطلبوا الغياث بالماء على عادتهم الاستغاثة في طلب الغيث وهو المطر (يغاثوا) أى يجابوا و يؤتوا (بماء كالمهل) أى كالصديد أو كعكر الزيت على ما صح عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (يشوى الوجوه) أى ابتداء ثم يسرى الى البطون وسائر الاعضاء انتهاء (بئس الشراب) أى المهل أو الماء فانه مكر وه ومكره (رواه الترمذى وعن أبي سعيد الخدرى) رضي الله تعالى عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لسرادق النار) بكسر اللام وضم السين وجر القاف وفي نسخة بالفتح والرفع قال الطيبي رحمه الله روى بفتح اللام على انه مبتدأ وكسرها على انه خبر وهذا أظهر وفي النهاية السرادق كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء أقول وهو اشارة الى قوله تعالى انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وفي القاموس السرادق الذي يمد فوق البيت وجمعه سرادقات وقال شارح هو الذي يمد فوق صحن الدار أقول ان المراد به في الآية هو المعنى الاعم الشامل للمحيط بجميع جهاتهم ولعل سرادقها من نار غليظة مركبة من دخان وغيره ولذا قال لسرادقها (أربعة جدر) بضمتين جمع جدار وهو لا ينافي ان يمد من فوقهم فانه صح في الاخبار انه يطبق عليهم بل على كل واحد منهم حتى يظن كل انه لا يعذب في النار غيره وهو أصعب فان البلية اذا عمت طابت لا سيما اذا رأى ان عذابه أخف من بعض (كثف كل جدار) بضم الكاف والمثلثة مرفوعا في أصل السيد وكثير من النسخ وفي بعضها بالكسر والفتح وعليه أكثر الشراح وهو الاظهر فقال صاحب المفاتيح والخطابي بكسر الكاف وفتح المثلثة أى الغلظ فالمعنى كثافة كل جدار وغلظه (مسيرة أربعين سنة) وقال شارح بالفتح والكسر الغلظ وفي النهاية الكثف جمع كثيف وهو الثخين الغليظ لكن لا يخفى ان معنى الجمع غير ملائم لاضافته الى كل جدار ثم في نسخة ضبط بضمتين بجر وراء على انه صفة جدر وكل جدار بالرفع على الابتداء وهو ظاهر لفظا ومعنى والله تعالى أعلم (رواه الترمذى وعنه) أى عن أبي سعيد (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو ان دلوا من غساق) بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار وغسالتهم وقيل ما يسيل من دموعهم وقيل هو الزمهرير كذا في النهاية وقيل هو الصديد البارد المنتن لا يقدر على شربه من برودته كما لا يقدر على شرب الحميم لحرارته قلت وهو الملائم للجمع بينهما في قوله تعالى فليذوقوه حميم وغساق وكذا في قوله سبحانه لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا على النشر المشوش اعتمادا على فهم السامع والحاصل أنه لو ان شيأ قليلا منه (يهراق) بفتح الهاء ويسكن أى يصب (في الدنيا) أى في أرضها (لانتن أهل الدنيا) أى لصار واذوى نتن منه فاهل مرفوع على الفاعلية وعليه الاصول المعتمدة وكانه

وهو الصهر ثم يعاد كما كان رواه الترمذى وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب رواه الترمذى وعن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة رواه الترمذى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق يهراق في الدنيا لانتن أهل الدنيا

وجد في بعض النسخ بالنصب على توهم ان أنتن متعد بزيادة الهمزة فقال الشارح أنتن الشيء أي تغير وصار ذا نتن فنصب أهل ليس بصواب انما الصواب رفعه كذا قاله الامام التوربشتي رحمه الله وفي القاموس النتن ضد الفوح نتن ككرم وضرب نتانة وأنتن فهو منتن بكسرتين و بضمتين وكقنديل أقول ولعل وجه الكسرتين انه كسر الميم تبعا كما في قوله الحمد لله قرئ في الشواذ بكسر الدال وضمها تباعا لما بعدها وعد الكلمتين كلمة لا متزاجهما وعدم انفكاكهما غالبا (رواه الترمذي) وكذا ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه (وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله) أولها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله (حق تقاته) أي حق تقواه من القيام بالواجبات واجتناب السيآت وقد فسره ابن مسعود بقوله هو ان يطاع فلا يعصى و يشكر فلا يكفر و يذكر فلا ينسى ورواه الحاكم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه وصححه المحدثون فهو اما تفسير لكمال التقوى فلا اشكال أولا صلها فيكون منسوخا بقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم كما ذكره بعضهم وقال بعض العارفين هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازات عليها (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أي موحدون منقادون تائبون جامعون بين الخوف والرجاء غالبون حسن الظن بالمولى جل وعلا في الآخرة الاولى وهو في الحقيقة أمر بدوام الاسلام فان النهي في هذا المقام توجه الى القيد في الكلام (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم) أي من ماء شجر يخرج في أصل الجحيم قال شارح الزقوم شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم والرائحة يكره أهل النار على تناوله فلو أن قطرة منه (قطرت) بالفتحات أي نقطت ونزلت (في دار الدنيا لافسدت) أي لمرارتها وعفونتها وحرارتها (على أهل الارض معايشهم) بالياء وقد يهمز جمع معيشة (فكيف بمن يكون) أي الزقوم (طعامه) في الصحاح ان الزقوم اسم طعام لهم فيه تمر وزبد والزقم أكله فالمعنى ان هذا الزقوم في العقبى بدل رقومهم في الدنيا كما قال تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لما نزل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قال أبو جهل التمر بالزبد نتزقمه فانزل الله تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم الآيات قال الطيبي رحمه الله قوله حق تقاته أي واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم أي بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيأ وهذا معنى قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقوله ولا تموتن الا وأنتم مسلمون تأكيد لهذا المعنى أي لا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت فمن واظب على هذه الحالة وداوم عليها مات مسلما وسلم في الدنيا من الآفات وفي الاخرى من العقوبات ومن تقاعد عنها وتقاعس وقع في العذاب في الآخرة ومن ثم اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله لو ان قطرة من الزقوم الحديث وهو فعول من الزقم اللقم الشديد والشرب المفرط (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح) وكذا رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حبان (وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي في قوله تعالى (وهم فيها) أي الكفار في النار (كالحون) أي عابسون حين تحترق وجوههم من النار كذا ذكره الطيبي رحمه الله وقال شارح أي بادية اسنانهم وهو المناسب لتفسيره صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه الراوي بقوله (قال) وأعاده للتأكيد (تشويه) بفتح أوله أي تحرق الكافر (النار) أي نار أهل البوار (فتقلص) على صيغة المضارع بحذف احدى التائين أي تنقبض (شفته العليا) بفتح الشين وتكسر (حتى تبلغ) أي تصل شفته (وسط رأسه) بسكون السين وتفتح (وتسترخي) بالتذكير والتأنيث أي تسترسل (شفته السفلى) تأنيث الاسفل كالعليا تأنيث الاعلى (حتى تضرب) أي تقرب شفته (سرته رواه الترمذي وعن أنس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يا أيها الناس ابكوا) بكسر همزة الوصل وضم الكاف أمر من بكى يبكي أي ابكوا خوفا على ذنوبهم أو شوقا الى ربكم كما أخبر الله سبحانه عن حالة أنبيائه وأصفيائه اذا تتلى عليهم آيات الرحمن

رواه الترمذي وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته رواه الترمذي وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس ابكوا

ثم واسجدوا وبكيا وقد سجد بعض السلف في هذه الآية فقال هذه السجدة فأين البكاء (فإن لم تستطيعوا) أي لم تقدروا على البكاء الحقيقي فإنه ليس بالأمر الاختياري (فتباكوا) بفتح الكاف أمر من باب التفاعل والمعنى تحملوا أنفسكم بالتكلف على البكاء وفيه ايماء الى قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا (فإن أهل النار) أي من الكفار ويحتمل ان يعم الفجار (يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم) أي عليها والتعبير بفي أبلغ ويؤيده قوله (كأنها) أي دموعهم (جداول) جمع جدول وهو النهر الصغير (حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء) بنصب الفعل ويرفع وكذا الوجهان في قوله فتقرح بتشديد الراء المفتوحة على انه مضارع من باب التفعل حذف احدى التاءين منه أي فتخرج (منه) أي من سيلان الدماء (العيون) بضم العين وتكسر جمع العين وفي نسخة فتقرح بسكون القاف وفتح الراء فالعيون منصوب لأن قرح كمنع جرح على ما في القاموس فالمعنى فتخرج دموعهم أو دماؤهم عيونهم فتزيد في سيلانها (فلو أن سفنا) بضم السين والفاء جمع سفينة (أزجيت) بصيغة المجهول من الازجاء بالزاي والجيم أي أرسلت (فيها) أي في الدموع أو الدماء (لجرت) أي السفن (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي بإسناده (وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلقى) أي يسلط (على أهل النار الجوع) أي الشديد (فيعدل) بفتح الياء وكسر الدال أي يساوي الجوع (ما هم فيه من العذاب) المعنى ان ألم جوعهم مثل ألم سائر عذابهم (فيستغيثون) أي بالطعام (فيغاثون بطعام من ضريع) وهو نبت بالحجاز له شوك لا تقرب به دابة لخبثه ولو أكلته ماتت والمراد هنا شوك من نار أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأحر من النار (لا يسمن) أي لا يشبع الجائع ولا ينفعه ولو أكل منه كثيرا (ولا يغني من جوع) أي ولا يدفع ولو بالتسكين شيئا من ألم الجوع وفيه ايماء الى قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع الى آخره (فيستغيثون بالطعام) أي ثانيا لعدم نفع ما أغيثوا أولا (فيغاثون بطعام ذي غصة) أي مما ينشب في الحلق ولا يسوغ فيه من عظم وغيره لا يرتقي ولا ينزل وفيه اشارة الى قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما والمعنى انهم يؤتون بطعام ذي غصة فيتناولونه فيغصون به (فيذكرون انهم كانوا يجيزون) من الاجازة بالزاي أي يسيغون (الغصص) جمع الغصة بالضم وهي ما اعترض في الحلق فأشرق على ما في القاموس والمعنى انهم كانوا يعالجونها (في الدنيا بالشراب فيستغيثون) أي على مقتضى طباعهم (بالشراب) أي لدفع ما حصل لهم من العذاب (فيرفع اليهم الحميم) بالرفع أي يرفع أطراف اناء فيه الحميم وهو الماء الحار الشديد (بكلاليب الحديد) أي على أيدي الملائكة أو بيد القدرة من غير الواسطة (فإذا دنت) أي قربت أواني الحميم (من وجوههم شوت وجوههم) أي أحرقتها (فإذا دخلت) أي أنواع ما فيها من الصديد والغساق وغيرهما (بطونهم قطعت ما في بطونهم) أي من الأمعاء قطعة قطعة (فيقولون ادعوا خزنة جهنم) نصب على انه مفعول ادعوا وفي الكلام حذف أي يقول الكفار بعضهم لبعض ادعوا خزنة جهنم فيدعونهم ويقولون لهم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب (فيقولون) أي الخزنة (ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا) أي الخزنة تهكما بهم (فادعوا) أي أنتم ما شئتم فإنا لا نشفع لكافر (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي في ضياع لأنه لا ينفعهم حينئذ دعاء لا منهم ولا من غيرهم وهذا لا يدل على أنه لا يستجاب لهم دعوة في الدنيا كما وهمه بعض العلماء وقد استجيب دعاء الشيطان في الامهال والله تعالى أعلم بالحال وقال الطيبي رحمه الله الظاهر ان خزنة جهنم ليس بمفعول ادعوا بل هو منادى لما في قوله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب وقوله ألم تك تأتيكم الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب لها الدعوات قالوا فادعوا أنتم فإنا لا نجترئ على الله ذلك وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن

فإن لم تستطيعوا فتباكوا فإن أهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أزجيت فيها لجرت رواه في شرح السنة وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم فيقولون ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال

للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافرين (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فيقولون) أي الكفار (ادعوا مالكا) والمعنى انهم لما أيسوا من دعاء خزنة جهنم لاجابتهم وشفاعتهم لهم أيقنوا ان لا خلاص لهم ولا مناص من عذاب الله (فيقولون يا مالك ليقض) أي سل ربك داعيا ليحكم بالموت (علينا ربك) لنستريح أومن قضى عليه اذا أماته فالمعنى ليمتنا ربك فنستريح (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فيجيبهم) أي مالك جوابا من عند نفسه أومن عند ربه تعالى بقوله (انكم ما كثون) أي مكثا مخلدا (قال الاعمش) وهو أحد الرواة من اجلاء التابعين (نبئت) بتشديد الموحدة المكسورة أي أخبرت من بعض الصحابة موقوفا أومرفوعا (ان بين دعائهم واجابة مالك اياهم) أي بهذا الجواب (ألف عام قال فيقولون) أي بعضهم لبعض (ادعوا ربكم فلا أحد) أي فليس أحد (خير من ربكم) أي في الرحمة والقدرة على المغفرة (فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا) بكسر فسكون وفي قراءة بفتحتين وألف بعدهما وهما لغتان بمعنى ضد السعادة والمعنى سبقت علينا لكتنا المقدرة بسوء خاتمتنا (وكنا قوما ضالين) أي عن طريق التوحيد (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) وهذا كذب منهم فانه تعالى قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون (قال فيجيبهم) أي الله بواسطة أو بغيرها اجابة اعراض (اخسؤا فيها) أي ذلوا وانزجروا كما ينزجر الكلاب اذا زجرت والمعنى ابعدوا اذلاء في النار (ولا تكلمون) أي لا تكلموني في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف عنكم (قال فعند ذلك يئسوا) أي قنطوا (من كل خير) أي مما ينجيهم من العذاب أو يخففه عنهم (وعند ذلك) أي أيضا (يأخذون في الزفير) أي في احتراق النفس للشدة وقيل الزفير أول صوت الحمار كما ان الشهيق آخر صوته قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق (والحسرة) أي وفي الندامة (والويل) أي وفي شدة الهلاك والعقوبة وقيل هو واد في جهنم (قال عبد الله بن عبد الرحمن) أحد المحدثين من أصحاب التخريج (والناس لا يرفعون هذا الحديث) أي بل يجعلونه موقوفا على أبي الدرداء لكنه في حكم المرفوع فان أمثال ذلك ليس مما يمكن ان يقال من قبل الرأي (رواه الترمذي) أي مرفوعا كما يفهم من صدر الحديث (وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أنذرتكم النار) أي أخبرتكم بوجودها وأخبرتكم بشدتها وخوفتكم بانواع عقوبتها (أنذرتكم النار) أي أعلمتكم بما يتقى به منها حتى قلت لكم اتقوا النار ولو بشق تمرة ثم يمكن ان يراد بهما الانذار في زمان الحال وعبر بالماضي لتحققه في السابق واللاحق للاستقبال أو الاول اخبار والثاني انشاء أو جمع بينهما للتأكيد في أحد المعاني وفي نسخة كرر ثلاثا (فما زال يقولها) أي يكرر الكلمة المذكورة ويرفع بها صوته (حتى لو كان) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في مقامي هذا) أي المقام الذي كان الراوي فيه عند روايته هذا الحديث (سمعه) أي سمع صوته (أهل السوق) لانه بالغ في رفع الصوت عملا بقول نوح عليه الصلاة والسلام ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا (وحتى سقطت خميصته) وهي نوع ثوب (كانت عليه) أي فوق كتفه بمنزلة ردائه (عند رجليه) أي من جذبته الالهية وعدم شعوره من الهيبة الحسية (رواه الدارمي وعن عبد الله بن عمرو بن العاص) بحذف الياء في أكثر النسخ المصححة وفي نسخة بالياء قال النووي رحمه الله في مقدمة شرح مسلم أما ابن العاص فا كثر ما يجيء في كتب الحديث والفقه ونحوهما بحذف الياء وهي لغة والفصيح الصحيح العاصي باثبات الياء وكذلك شداد بن الهادي وابن أبي الموالي فالصحيح الفصيح في كل ذلك وما أشبهه اثبات الياء ولا اعتداد بوجوده في كتب الحديث اذا كثرها بحذفها أقول تعبيره بالصحيح الفصيح غير صحيح اذ جاء اثبات الياء وحذفها في الكلام الافصح كتابة وقراءة ثم حذفها رسما أكثر من اثباتها قراءة واثباتها قراءة أشهر من حذفها في نحو قوله تعالى المهتد والمتعال والواق وواق ثم عدم الاعتداد بكتب الحديث المطابق لرسم المصحف الشريف المنسوب الى كتابة الصحابة رضوان الله تعالى عليهم

قال فيقولون ادعوا مالكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ما كثون قال الاعمش نبئت ان بين دعائهم واجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل قال عبد الله بن عبد الرحمن والناس لا يرفعون هذا الحديث رواه الترمذي وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنذرتكم النار أنذرتكم النار فما زال يقولها حتى لو كان في مقامي هذا سمعه أهل السوق وحتى سقطت خميصة كانت عليه عند رجليه رواه الدارمي وعن عبد الله بن عمرو بن العاص

أجمعين مستبعد جدا خصوصا من الامام النووي رحمه الله الذي هو من أتباع المحدثين ومن الفقهاء المتورعين هذا والصحيح في العاص انه معتل العين لا معتل اللام على ما حققه صاحب القاموس بقوله الاعياص من قريش أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص فالعاص على هذا يخرج على ما ذكره بالكلية ولا يجوز اثبات الياء فيه بالمرة والله تعالى أعلم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو ان رصاصة) بفتح الراء والصاد المهملتين أي قطعة من الرصاص ففي القاموس الرصاص كسحاب معروف وفي نسخة السيد رضاضة براء واحدة وبمعجمتين وهي الحصى الصغار على ما في النهاية وفي نسخ المصابيح رضراضة براءين وبمعجمتين وهي الحجارة المدقوقة على ما قاله شارح وهو سهو من الكاتب أو من صاحب الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب قال التوربشتي رحمه الله في سائر نسخ المصابيح رضراضة مكان رصاصة وهو غلط لم يوجد في جامع الترمذي ولعل الغلط وقع من غيره (مثل هذه) اشارة الى محسوسة معينة هنالك كما أشار اليه الراوي بقوله (وأشار الى مثل الجمجمة) بضم الجيمين في النسخ المصححة للمشكاة وهي قدح صغير وقال الطيبي بالحاء من المهملتين وهي حبة صغيرة صفراء وقيل هي بالجيمين وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ وقيل الاول أصح انتهى والجملة حالية لبيان الحجم والتدوير المعين على سرعة الحركة قال التوربشتي رحمه الله بين بهذا قعر جهنم بابلغ ما يمكن من البيان فان الرصاص من الجواهر الرزينة والجوهر كلما كان أتم رزانة كان أسرع هبوطا الى مستقره لا سيما اذا انضم الى رزانته كبر جرمه ثم قدره على الشكل الدوري فانه أقوى انحدارا وأبلغ مرورا في الجو اه فالمختار عنده ان المراد بالجمجمة جمجمة الرأس على أن اللام للعهد أو بدل عن المضاف اليه وهو المعنى الظاهر المتبادر من الجمجمة ثم قوله (أرسلت) صفة لاسم ان وما بينهما معترضة أي أدليت (من السماء الى الارض وهي) أي مسافة ما بينهما (مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسلة) أي المذكورة في قوله تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه فالمراد من السبعين الكثرة أو المراد بذرعها ذراع الجبار وقال شارح أي رأس سلسلة الصراط وهو في غاية من البعد (لسارت) أي انزلت وصارت مدة ما سارت (أربعين خريفا) أي سنة (الليل والنهار) أي منهما جميعا لا يختص سيرها باحدهما (قبل ان تبلغ أصلها) أي أصل السلسلة (أو قعرها) شك من الراوي والمراد بقعرها نهايتها وهي معنى أصلها حقيقة أو مجازا فالترديد انما هو في اللفظ المسموع وأبعد الطيبي رحمه الله حيث قال يراد به قعر جهنم لان السلسلة لا قعر لها فاثبات وجهنم في هذا المقام لا ذكر لها مع لزوم تفكيك الضمير فيها وان كان قعرها صحيحا على ما رواه هناد عن أنس مرفوعا لو ان حجرا مثل سبع خلفات ألقي من شفير جهنم هوى فيها سبعين خريفا لا يبلغ قعرها والمراد بالخلفات النوق الحوامل فاختيار كبر جرم المرسل هنا مناسب لما قدمه التوربشتي رحمه الله (رواه الترمذي وعن أبي بردة) بضم موحدة (عن أبيه) قال المؤلف هو أبو بردة بن عامر بن عبد الله بن قيس أحد التابعين المشهورين المكثرين سمع أباه وعليا وغيرهما وكان على قضاء الكوفة بعد شريح فعزله الحجاج (أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان في جهنم لواديا) في القاموس هو مفرج بين جبال او تلال أو آكام (يقال له هبهب) بضم الباء الثانية من غير تنوين وفي نسخة الجزري وكثير من النسخ ولعل عدم انصرافه باعتبار البقعة مع العلمية وفي نسخة السيد بسكون الباءين ولا يظهر له وجه اللهم الا أن يقال انه تكرار هب أمر من الهبة فكأن الوادي أو من حضره يقول بلسان الحال أو المقال هب هب مخاطبا بخطاب العام والله تعالى أعلم بالمرام وفي النهاية الهبهب السريع وهبهب السراب اذا برق قال التوربشتي رحمه الله سمي بذلك اما لسرعة وقوعه في المجرمين أو لشدة تأجج النار به أو لمعانه عند الاضطرام والالتهاب والله تعالى أعلم بالصواب (يسكنه) فيه حذف وايصال أي يسكن فيه (كل جبار) أي متكبر عنيد عن الحق بعيد وعلى الخلق شديد (رواه الدارمي) وروى ابن مردويه عن ابن عمر و الفلق سجن في جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة أرسلت من السماء الى الارض وهي مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها رواه الترمذي وعن أبي بردة عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في جهنم لواديا يقال له هبهب يسكنه كل جبار رواه الترمذي

وان بجهنم لتعوذ بالله منه ورواه ابن جرير عن أبي هريرة الفلق جب في جهنم مغطى

(الفصل الثالث) (عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال يعظم أهل النار في النار) أي تكبر جثتهم (حتى ان) بكسر الهمز ويفتح (بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) أي ليزيد عذابهم كمية وكيفية (وان غلظ جلده سبعون ذراعا) عطف على مدخول حتى أو على الجملة السابقة وكذا قوله (وان ضرسه مثل أحد وعن عبد الله بن الحرث بن جزء) بفتح الجيم وسكون الزاي فهمز قال المؤلف رحمه الله هو عبد الله بن جزء أبو الحرث السهمي سكن مصر وشهد بدرا مات سنة خمس وثمانين بمصر انتهى وفيه اشكال لا يخفى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان في النار حيات كأمثال البخت) بضم موحدة فسكون معجمة ومفرده بختي في القاموس بالضم الابل الخراسانية (تلسع احداهن اللسعة) أي اللدغة (فيجد) أي ملسوعها (حموتها) بفتح فسكون أي أثر سمها وسورة ألمها (أربعين خريفا وان في النار عقارب كأمثال البغال المؤكفة) بالهمز أو الواو والكاف مفتوحة من أكفت الحمار وأوكفته شددت عليه الاكاف (تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا رواهما) أي الحديثين (أحمد وعن الحسن) أي البصري (قال حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الشمس والقمر ثوران) بفتح المثلثة أي كثوربن فهو تشبيه بليغ كقولهم زيد أسد (مكوران) بتشديد الواو المفتوحة أي ملفوفان من طعنه فكوره أي ألقاه على ما ذكره الطيبي رحمه الله والمعنى انه يلقي ويطرح كل منهما في النار (في النار يوم القيامة) لزيادة عذاب أهلها بحرهما ولما ورد عن ابن عمر على ما رواه الديلمي في مسند الفردوس مرفوعا الشمس والقمر وجوههما الى العرش وأقفاؤهما الى الدنيا ففيه تنبيه على أن وجوههما لو كانت الى الدنيا لما أطاق حرهما أحد من أهل الدنيا وقال ابن الملك أي يلفان ويجمعان ويلقيان فيها وكأنه أخذه من تكوير العمامة ومنه قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قال في النهاية ومنه حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه يجاء بالشمس والقمر ثورين مكورين في النار والرواية ثوران بالثاء المثلثة كأنهما يمسخان وقد روي بالنون وهو تصحيف انتهى ومن الغريب انه وقع في نسختي الشيخ الجزري والسيد بالنون أصلا وبالمثلثة في الهامش نسخة ومما يؤيد الرواية بالثاء ما ذكره السيوطي رحمه الله في البدور عن أنس وعن كعب الاحبار أيضا ثوران عقيران (فقال الحسن وما ذنبهما فقال) أي أبو هريرة (أحدثك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الطيبي رحمه الله أي تقابل النص الجلي بالقياس وتجعل موجب دخول النار العمل فان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد أقول الظاهر من سؤاله بيان الحكمة في ادخالهما النار مع انقيادهما وطاعتهما الدالة الجارية والنار انما هي دار البوار للكفار والفجار فمعنى قول أبي هريرة أحدثكم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما سمعته وليس لي مزيد علم على ذلك (فسكت الحسن) فثبت ان سؤاله حسن وكذا جوابه مستحسن مع انه لا يلزم من ادخالهما في النار تعذيبهما فكم من خزنة جهنم قال بعض العلماء انما يجعلان في النار لانهما قد عبدا من دون الله تبكيتا للكافرين قال القرطبي رحمه الله وقد ورد عن ابن عباس تكذيب كعب الاحبار في قوله هذا حيث قال له هذه يهودية يريد ادخالها في الاسلام والله تعالى أكرم من أن يعذبهما وهما دائبان في طاعته ثم حدث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انهما يعودان الى ما خلقا منه وهو نور العرش فيختلطان وحاصله انهما يصيران نورين والنور لا يعذب بالنار ولذا تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فان نورك أطفأ لهبي فيرجع الكلام الى أن فائدة ادخالهما التعيير لعبدتهما فلا منافاة بين قول كعب وبين قول ابن عباس عند التأمل الشافي والله تعالى الكافي مع ان الحديث المروي غير ثابت قال السيوطي رحمه الله في البدور وهذا الحديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة من طريق أبي عصمة نوح بن أبي مريم عن مقاتل وابن حبان عن عكرمة عن ابن عباس وأبو عصمة

(الفصل الثالث) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعظم أهل النار في النار حتى ان بين شحمة أذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وعن عبد الله بن الحرث بن جزء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في النار حيات كأمثال البخت تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان في النار عقارب كأمثال البغال المؤكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا رواهما أحمد وعن الحسن قال حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة فقال الحسن وما ذنبهما فقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت الحسن

كذاب وضاع (رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور) وفي الجامع الصغير الشمس والقمر مكوران يوم القيامة رواه البخاري عن أبي هريرة وروى ابن مردويه عن أنس مرفوعا الشمس والقمر ثوران عقيران في النار ان شاء أخرجهما وان شاء تركهما قيل قوله عقيران أي زمنان يعني لا يجريان (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخل النار الا شقي قيل يا رسول الله ومن الشقي قال من لم يعمل لله) أي لاجل رضاه أو لامره (بطاعة) أي بواجبة (ولم يترك له) أي لله (بمعصية) وهو شامل للكافر والفاجر فقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى محمول على الصلي على وجه الخلود وقال الطيبي رحمه الله الباء زائدة فيهما أو بناء المرة فيهما مع التنكير للتقليل وزيادة الباء للتأكيد يدل على ترجيح جانب الرحمة وان الله لا يضيع أجر من عمل له طاعة ما أو ترك لاجله ولخوفه معصية ما نحو قوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى (رواه ابن ماجه)

(باب خلق الجنة والنار)

أي في كونهما مخلوقتين على ما هو مذهب أهل السنة والجماعة وفي بيان انهما لمن خلقتا وذكر بعض أوصافهما ممن خلقتهما

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحاجت) بتشديد الجيم أي تخاصمت وتجادلت وتعارضت (الجنة والنار) أي بلسان القال أو بيان الحال قال الطيبي رحمه الله هذه المحاجة جارية على التحقيق فانه تعالى قادر على ان يجعل كل واحدة مميزة مخاطبة أو على التمثيل قلت الاول هو المعول لان مذهب أهل السنة على ما في المعالم ان لله علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليها غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله سبحانه انتهى وأدلته كثيرة ليس هذا محل ذكرها والله تعالى أعلم (فقالت النار أوثرت) بصيغة المجهول من الايثار أي اختصت (بالمتكبرين) أي عن الحق (والمتجبرين) أي على الخلق بالتسلط والقهر فقيل هما بمعنى جمع بينهما للتأكيد وقيل المتكبر المتعظم بما ليس فيه والمتجبر الذي لا يوصل اليه وقيل الذي لا يكترث ولا يبالي بامر الضعفاء والمساكين (وقالت الجنة فمالي) أي فاي شيء وقع لي (لا يدخلني الا ضعفاء الناس) أي في البدن والمال (وسقطهم) بفتحتين أي أردؤهم وأكثرهم خمولا وأقلهم اعتبارا المحقرون فيما بينهم الساقطون عن أعينهم وهذا بالنسبة الى ما عند أكثر الناس لانهم كما قال تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون وفي موضع ولكن أكثرهم يجهلون وأما بالنسبة الى ما عند الله عظماء وكذا عند من عرفهم من العلماء والصلحاء فوصفهم بالسقط والضعف لهذا المعنى أو المراد بالحصر الاغلب (وغرتهم) بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء وهي عدم التجربة أو وجود الغفلة بمعنى الذين لا تجربة لهم في الدنيا ولا اهتمام لهم بها أو الذين هم غافلون عن أمور الدنيا شاغلون بهم العقبى على ما ورد في الخبر أكثر أهل الجنة البله أي في أمور الدنيا بخلاف الكفار فانهم كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون هذا وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رواه الاكثر بغين معجمة مفتوحة فراء فثاء مثلثة أي أهل الحاجة من الغوث وهو الجوع وروى بكسر الغين المعجمة وتشديد الراء وبتاء مثناة فوقية أي البله الغافلون وهي ثابتة في أكثر نسخ مسلم ورواه آخرون بعين مهملة فجيم وزاي مفتوحات وتاء مثناة جمع عاجز وروى بضم العين والجيم جمع عاجز أيضا (قال الله للجنة) ابتدأ بها لان الحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي وجبرا لها حيث انكسر بالها بما لها من الضعفاء وغلبت في السؤال وضعفت في الجواب (انما أنت رحمتي) أي مظهرها في شرح السنة سمى الجنة رحمته لان بها يظهر رحمة الله تعالى كما قال (أرحم بك من أشاء من عبادي) والافرحمة الله من صفاته التي لم يزل بها موصوفا ليست لله صفة حادثة ولا اسم حادث فهو قديم بجميع أسمائه وصفاته جل جلاله وتقدست أسماؤه وفي المعالم الرحمة ارادة الله الخير لاهله وقيل

رواه البيهقي في كتاب البعث والنشور وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار الاشقي قيل يا رسول الله ومن الشقي قال من لم يعمل لله بطاعة ولم يترك له معصية رواه ابن ماجه

(باب خلق الجنة والنار)

(الفصل الاول)

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم قال الله للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي

ترك عقوبة من يستحقها واسداء الخير الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل (وقال) أي الله (للنار انما أنت عذابي) أي سبب عقوبتي ومنشأ سخطي وغضبي (أعذب بك من أشاء من عبادي) والحاصل ان الجنة والنار والمؤمنون والكفار مظاهر للجمال والجلال على وصف الكمال ولا دفاع لاحد ويختص كل بكل في مقام الفصل مع العلم بان أحدهما من باب العدل والآخر من طريق الفضل ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (ولكل واحدة منكما ملؤها) لان كلا لهما في ملء ما لهما (فاما النار فلا تمتلئ) قال تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد أي فتطلب الزيادة ولا تمتلئ من أهلها المعدلها (حتى يضع الله) أي فيها أو عليها (رجله) وفي الرواية الآتية قدمه فمذهب السلف التسليم والتفويض مع التنزيه وأرباب التاويل من الخلف يقولون المراد بالقدم قدم بعض مخلوقاته أو قوم قدمهم الله للنار من أهلها وتقدم في سابق حكمه انهم لاحقوها فتمتلئ منهم جهنم والعرب تقول كل شيء قدمته من خير أو شر هو قدم ومنه قوله تعالى أن لهم قدم صدق عند ربهم أي ما قدموه من الاعمال الصالحة الدالة على صدقهم في تصديقهم والمراد بالرجل الجماعة من الجراد وهو وان كان موضوعا لجماعة كثيرة من الجراد لكن استعارته لجماعة الناس غير بعيد او اخطأ الراوي في نقله الحديث بالمعنى وظن ان الرجل يسد مسد القدم هذا وقد قيل وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع فكأنه قال يأتيها أمر الله فيكفها من طلب المزيد ويدل على هذا المعنى قوله فيضع الرب قدمه عليها ولم يقل فيها كذا قاله شارح المصابيح لكن الرواية الآتية بلفظ فيها في المشكاة نعم في قد تأتي بمعنى على على ما في التنزيل لاصلبنكم في جذوع النخل وقيل أريد به تسكين فورتها كما يقال للامر يراد ابطاله وضعته تحت قدمي ذكره في النهاية وفي شرح السنة القدم والرجل المذكوران في هذا الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف والتشبيه وكذلك كل ما جاء من هذا القبيل في الكتاب أو السنة كاليد والاصبع والعين والمجيء والاتيان والنزول فالايمان بها فرض والامتناع عن الخوض فيها واجب فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم والخائض فيها زائغ والمنكر معطل والمكيف مشبه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير انتهى وهو الموافق لمذهب الامام مالك رحمه الله ولطريق امامنا الاعظم على ما أشار اليه في الفقه الاكبر فالتسليم أسلم والله تعالى أعلم (تقول) أي النار والجملة استئناف بيان أو حال والافكان الظاهر ان يقال فتقول (قط) بفتح القاف وسكون الطاء وفي نسخة بكسرها منونة وفي أخرى من غير تنوين (قط قط) ذكر ثلاث مرات على ما في النسخ المصححة والمفهوم من قول شارح انه مرتين حيث قال بسكون الطاء أي كفى كفى ويحتمل كسر الطاء أي حسبي حسبي قال النووي فيه ثلاث لغات باسكان الطاء فيهما وبكسرها منونة وغير منونة وفي القاموس اذا كان قط بمعنى حسب فقط كعن وقط منونا مجرورا واقتصاره عليهما مشعر بان المكسور مع غير التنوين ضعيف (فهنالك) أي في ذلك الزمان (تمتلئ) أي النار بقدرة الله تعالى (ويزوى) بصيغة المجهول أي يضم ويجمع (بعضها الى بعض) أي من غاية الامتلاء (فلا يظلم الله) أي أبدا (من خلقه أحدا) أي لا ينشئ الله خلقا للنار فانه ظلم بحسب الصورة وان لم يكن ظلما حقيقة فانه تصرف في ملكه والله تعالى لا يفعل ما في صورة الظلم (وأما الجنة فان الله تعالى ينشئ لها) أي من عنده (خلقا) أي جماعة لم يعملوا عملا وهذا فضل من الله تعالى كما انه سبحانه لو انشأ للنار خلقا على ما قيل لكان عدلا والله تعالى أعلم (متفق عليه وعن أنس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى) أي يطرح (فيها) أي من الكفار والفجار (وتقول هل من مزيد) أي من زيادة (حتى يضع رب العزة) أي صاحب الغلبة والقوة والقدرة (فيها قدمه) وقد قدمنا ما يتعلق به (فيزوى) أي ينضم ويجتمع (بعضها الى بعض فتقول قط قط) أي مرتين والمراد بهما الكثرة أو انحصار العدد (بعزتك وكرمك) أي زيادة عطائك (ولا يزال في الجنة فضل) أي زيادة

وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله رجله تقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا متفق عليه وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها الى بعض فتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل

مسا كن خالية عن السكان (حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم) من الاسكان (فضل الجنة) أي في تلك الزيادة منها قال النووي في قوله وأما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا هذا دليل لاهل السنة على ان الثواب ليس متوقفا على الاعمال فان هؤلاء يخلقون حينئذ و يعطون الجنة بغير عمل قال الطيبي رحمه الله والمعتزلة ان يقولوا ان نفي الظلم عمن لم يذنب دليل على انه ان عذبهم كان ظالما وهو عين مذهبنا والجواب انا وان قلنا وان عذبهم لم يكن ظالما فانه لم يتصرف في ملك غيره لكنه تعالى لا يفعل ذلك لكرمه ولطفه مبالغة فنفي الظلم اثبات للكرم (متفق عليه وذكر حديث أنس حفت الجنة بالمكاره) تمامه وحفت النار بالشهوات (في كتاب الرقاق) أي لان الحديث أنسب به من هذا الباب والله تعالى أعلم بالصواب

(الفصل الثاني) (عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر اليها) أي نظر اعتبار (فذهب فنظر اليها والى ما أعد الله لاهلها فيها) أي ما عدا ما أعد الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ثم جاء) أي رجع الى موضعه أو الى حيث ما أمر به أو الى تحت العرش (فقال أي رب) أي يا رب (وعزتك لا يسمع بها أحد) أي ويحب دخولها * فالاذن تعشق قبل العين أحيانا * (الادخلها) أي طمع في دخولها وجاهد في حصولها ولا يهتم الا بشأنها لحسنها وبهجتها (ثم حفها) أي أحاطها الله (بالمكاره) جمع كره وهي المشقة والشدة على غير قياس والمراد بها التكاليف الشرعية التي هي مكروهة على النفوس الانسانية وهذا يدل على ان المعاني لها صور حسية في تلك المباني (ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها) أي ثانيا لما تجدد من الزيادة عليها باعتبار حواليها (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي أكثر الاصول بدون قال (فذهب فنظر اليها) أي ورأى ما عليها (ثم جاء فقال أي رب وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها أحد) أي لما رأى حولها من الموانع التي هي العلائق والعوائق للخلائق قال الطيبي رحمه الله أي لوجود المكاره من التكاليف الشاقة ومخالفة النفس وكسر الشهوات (قال فلما خلق الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها) أي لا يسمع بها أحد الا فزع منها واحترز فلا يدخلها (فحفها بالشهوات ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب) وهو موجود هنا في أكثر النسخ المصححة (فنظر اليها فقال أي رب وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى أحد الادخلها) أي لميلان النفس الى الشهوات وحب اللذات وكسلها عن الطاعات والعبادات فهذا الحديث تفسير للحديث الصحيح السابق حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي معناه ما في الجامع الكبير للسيوطي ان الله بني مكة على المكروهات والدرجات ونعم ما قال بعض أرباب الحال

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

(رواه الترمذي وأبو داود والنسائي)

(الفصل الثالث) (عن أنس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صلى) أي اماما أو جماعة (لنا يوما الصلاة) اللام للعهد الذهني الذي هو في المعنى كالنكرة (ثم رقي) بكسر القاف أي صعد (المنبر فأشار بيده قبل قبلة المسجد) بكسر القاف وفتح الموحدة أي الى جانبها وجهتها (فقال قد أريت) بصيغة المجهول من الاراءة أي أبصرت (الآن) أي في هذا الزمن القريب من الماضي والاستقبال المعبر عنه بالحال مع مراعاة التوسعة باعتبار المآل ولذا قال (منذ صليت لكم الصلاة) أي حين صليت أو من ابتداء زمان ما صليت لكم الصلاة الى ان رقيت المنبر (الجنة والنار ممثلتين) بتشديد المثلثة أي مصورتين صورة اجمالية أو تفصيلية (في قبل هذا الجدار) بكسر القاف وفتح الباء وفي نسخة بضمهما أي في مقابلته ففي القاموس القبل بالضم وبضمتين نقيض الدبر ورأيته قبلا محركة وبضمتين وكصرد وكعنب أي عيانا ومقابلة قال الكرماني فان قلت الآن للحال ورأيت للماضي فكيف يجتمعان قلت قد تقربه

حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة متفق عليه وذكر حديث أنس حفت الجنة بالمكاره في كتاب الرقاق

(الفصل الثاني) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله الجنة قال لجبريل اذهب فانظر اليها فذهب فنظر اليها والى ما أعد الله لاهلها فيها ثم جاء فقال أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد الادخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال أي رب وعزتك لقد خشيت ان لا يدخلها أحد قال فلما خلق الله النار قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب فنظر اليها ثم جاء فقال أي رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال يا جبريل اذهب فانظر اليها قال فذهب فنظر اليها فقال أي رب وعزتك لقد خشيت ان لا يبقى أحد الادخلها رواه الترمذي وأبو داود والنسائي

(الفصل الثالث) عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى لنا يوما الصلاة ثم رقي المنبر فأشار بيده قبل قبلة المسجد فقال لقد أريت الآن منذ صليت لكم الصلاة الجنة والنار ممثلتين في قبل هذا الجدار

الحال فان قلت فما تقول في حديث فانه المضي البتة قلت كل مخبر او منشئ يقصد الزمان الحاضر لا اللحظة الحاضرة الغير المنقسمة المسماة بالحال انتهى والمعنى ان الحال في كل مقام بحسب ما يناسبه المقام في تحصيل المرام (فلم أر كاليوم في الخير والشر) أي لم أر مرئيا كمرئي اليوم في الخير ولا مرئيا كمرئي اليوم في الشر فان الجنة جامعة للخيرات من الحور والقصور والنار حائزة لانواع الشرور من الويل والثبور فلا نظير لهما في جمع الخير والشر قال الطيبي رحمه الله الكاف في موضع الحال وذو الحال هو المفعول وهو الجنة والنار لشهادة السابق والمعنى لم أر الجنة والنار في الخير والشر يوما من الايام مثل ما رأيت اليوم أي رأيتهما رؤية جلية ظاهرة مثلتا في قبل هذا الجدار ظاهرا خيرها وشرها (رواه البخاري) ورواه مسلم عن أنس أيضا عرض على الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط فلم أر كاليوم في الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا

(باب بدء الخلق وذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

البدء بفتح الموحدة فتسكين الدال فالهمزة بمعنى الابتداء وينبغي ان لا يكتب بالواو حتى لا يشتبه ضبطه بضمتين فواو ساكنة فهمز أو بواو مشددة بلا همز فان معناهما الظهور على ما حققته في رسالتي التي علقتها على أول كتاب البخاري مما يتعلق بباب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتهيا الى وقول الله تبارك وتعظم من اتيان الاعراب على وجه الخلو عن الاغراب نعم لو رسم بالياء له وجه وجيه

(الفصل الاول) (عن عمران بن حصين قال اني كنت عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ جاءه قوم) أي وقت مجيئهم (من بني تميم) قبيلة عظيمة مشهورة (فقال اقبلوا) بفتح الموحدة أي تقبلوا مني (البشرى) بضم الموحدة أي البشارة المطلقة أو المعهودة (يابني تميم) وهم لما لم يفهموا الاشارة بالبشارة ولم يعرفوا طريق استقبالها بالقبول المرتب عليه حصول كل وصول (قالوا بشرتنا فاعطنا) حملوا البشارة على الاحسان العرفي فطلبوا ما يترتب عليه من العطاء الحسي وهذا يقتضي ما غلب عليهم من حب الدنيا العاجلة وغفلتهم عن المراتب الآجلة فكل اناء يترشح بما فيه وينبئ عن ذلك البناء معانيه وقد علم كل اناس مشربهم وكل حزب بما لديهم منبعهم ومذهبهم وقال الطيبي رحمه الله أي اقبلوا مني ما يقتضي ان تبشروا بالجنة من التفقه في الدين والعمل به ولما لم يكن جل اهتمامهم الا بشأن الدنيا والاستعطاء دون دينهم قالوا بشرتنا للتفقه وانما جئنا للاستعطاء فاعطنا ومن ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يقبلها بنو تميم وقال العسقلاني بشرتنا هو دال على اسلامهم وانما راموا العاجل وغفلوا عن الآجل وسبب غضبه صلى الله تعالى عليه وسلم ونفيه قبولهم البشرى اشعاره بقلة علمهم وضعف قابليتهم لكونهم علقوا آمالهم بعاجل الدنيا الفانية وقدموا ذلك على التفقه في الدين الموصل الى ثواب الآخرة الباقية وكان الواجب عليهم اهتمامهم بالسؤال عن حقائق كلمة التوحيد والمبدإ والمعاد والاعتناء بضبطها والسؤال عن واجباتها والموصلات اليها (فدخل ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين) أي عملا بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ولما كان نيتهم الصالحة خالصة للتفقه في الدين لا للطمع في الدنيا حصل لهم البشارة والقبول والعلم والعمل والوصول وحرم الاولون عن البشارة بل وعن العطاء في الحقارة ووقعوا في حضيض النذارة فالهمة العالية هي الموصلة الى المرتبة الغالية كما قدمناه في الحكاية المروية عن الشيخ أبي العباس المرسي انه خرج من المدينة المطهرة على قصد زيارة تربة الامين حمزة المنورة وتبعه رجل ففتح لهما باب المقبرة على خرق العادة ودخل الشيخ في محل الزيارة فرأى جماعة من رجال الغيب بريئة من النقصان والعيب فعرف انه ساعة الاجابة فطلب من الله العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة ثم قال الرجل الذي تبعه ملتفتا اليه رحمة وشفقة عليه يا أخي أطلب من الله تعالى ما تريد فان الآن وقت الاجابة والمزيد فسأل

فلم أر كاليوم في الخير والشر رواه البخاري

(باب بدء الخلق وذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

(الفصل الاول) عن عمران بن حصين قال اني كنت عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ جاءه قوم من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يابني تميم قالوا بشرتنا فاعطنا فدخل ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين

ولنسألك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن شئ قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب فى الذكر كل شئ ثم أتانى رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها

الله تعالى دينارا ولم يذكر بعضه ولا نارا فرجعا ولما وصلا باب المدينة أعطى الرجل دينارا أحد من أهل السكينة فدخلا كلاهما على القطب الولى السيد أبى الحسن الشاذلى وقد كشف له القضية فقال للرجل أيا دنى الهمة تدرك وقت الاجابة وتطالب قطعة دينار دنية فهلا طلبت كأبى العباس العفو والعافية ليكونا لامر دينك ودنياك كافية ووافية ثم ما أحسن طريق سؤالهم من الابتداء فى أول حالهم الدال على كمال مآلهم حيث قالوا (ولنسألك) أى وجئناك لنسألك (عن أول هذا الامر) أى أمر الخلق ومبدأ العالم (ما كان) أى أى شئ كان أول هذا قال الطيبى رحمه الله ما فى ما كان استفهامية أى أى شئ كان أول الامر وكرر السؤال لمزيد الاهتمام بالامر (قال كان الله) أى فى أزل الآزال كما هو كائن الى أبد الآباد بلا وصف التغير والحدوث على ما هو نعت العباد فان ما ثبت قدمه استحال عدمه (ولم يكن شئ قبله) أى لانه خالق كل شئ وموجده فلا يتصور وجوده ووجود ممكن قبل الموجد الواجب الوجود وحاصله انه تعالى الاول الذى هو قبل كل شئ ولا شئ قبله فكرر الجواب على طريق السؤال مطابقة فى الاهتمام بالحال وخلاصته انه أول قديم بلا ابتداء كما انه آخر كريم بلا انتهاء قال الطيبى رحمه الله قوله ولم يكن شئ قبله حال وعلى مذهب الكوفى خبر والمعنى يساعده اذ التقدير كان الله فى الازل منفردا موحدا وهو مذهب الاخفش فانه جوز دخول الواو فى خبر كان وأخواتها نحو كان زيد وأبوه قائم على جعل الجملة خبرا مع الواو تشبيها للخبر بالحال أقول ولما كان السؤال عن الاول فبين انه الاولية الازلية ونفى الغيرية القبلية ولم يتعرض لمعنى المعية ولهذا وقع فى عبارة السادة الصوفية كان الله ولم يكن معه شئ ثم قالوا والآن على ما عليه كان لان وجود الشئ الممكن فى جنب وجود الواجب كلا شئ ولذا قال بعضهم ليس فى الدار غيره ديار وقال آخر سوى الله والله ما فى الوجود ولان الاشياء انما هى مظاهر صفاته ومرائى ذاته فقد روى كنت كنزا مخفيا فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف وفى قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اشارة الى ذلك على تفسير حبر الامة أى ليعرفون قال التوربشتى رحمه الله هذا فصل مستقل بنفسه لا تعلق له بالفصل الثانى وهو قوله (وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض) لما بين الفصلين من المنافاة فانك اذا جعلت وكان عرشه على الماء من تمام القول الاول فقد ناقضت الاول بالثانى لان القديم من لم يسبقه شئ ولم يعارضه فى الاولية وقد أشار بقوله وكان عرشه على الماء الى أنهما كانا مبدأ التكوين وانهما كانا مخلوقين قبل السموات والارض ولم يكن تحت العرش قبل السموات والارض الا الماء وكيفما كان فالله سبحانه خالق ذلك كله وممسكه بقوته وقدرته انتهى كلامه قال الطيبى رحمه الله أراد الشيخ بما قاله ان المعطوف عليه مقيد بقوله ولم يكن قبله شئ ولو جعل المعطوف عليه غير مستقل لزم المحذور واذا جعل مستقلا وعطف الثانية على الاولى فلا فاذن لفظة كان فى الموضعين بحسب حال مدخوليهما فالمراد بالاول الازلية والقدم وبالثانى الحدوث بعد العدم والحاصل ان قوله وكان عرشه على الماء عطف على مجموع قوله كان الله ولم يكن قبله شئ وانه من باب الاخبار عن حصول الجملتين فى الوجود وتفويض الترتيب الى الذهن فالواو بمنزلة ثم قال العسقلانى وليس المراد بالماء ماء البحر بل هو ما تحت العرش كما شاء الله وقال ابن الملك وكان عرشه على الماء والماء على متن الريح والريح قائمة بقدرة الله تعالى وقبل خلق العرش والماء قبل السموات والارض ثم خلقهما من الماء بان تجلى على الماء فتموج واضطرب وحصل له زبد فاجتمع فى محل الكعبة الشريفة ولذا سميت مكة أم القرى ثم دحيت الارض من تحتها ثم ألقى الجبال عليها لئلا تميد وأول الجبال أبو قبيس على بعض الاقوال وطلع دخان من تموج الماء الى جانب السماء فخلقت السموات منها وتحمله فى سورة حم فصلت وتفصيله فى كتب المفسرين وسير المؤرخين والله سبحانه وتعالى أعلم بالاولين والآخرين (وكتب) أى أثبت جميع ما هو كائن (فى الذكر كل شئ) أى فى اللوح المحفوظ قال الراوى (ثم أتانى رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك) أى الحقها (فقد ذهبت) أى منفلتة (فانطلقت أطلبها) حال أو

وأيم الله لوددت انها قد ذهبت ولم أدم رواه البخاري وعن عمر قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه رواه البخاري وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش

استئناف تعليل (وأيم الله) بفتح همز وصل أو قطع وتحتيه ساكنة وميم مضمومة مضافة الى الجلالة وهي كلمة بنفسها وليست جمعا قال شارح أيم الله اسم موضوع للقسم عند سيبويه وهمزته للوصل ولم يجئ في الاسماء ألف الوصل مفتوحة غيرها وتقديره أيم الله قسمي وعند الكوفيين هو محذوف أيمن جمع يمين وهمزته للقطع (لوددت) أي لتمنيت (انها) أي الناقة (قد ذهبت) أي فقدت (ولم أقم) أي في طلبها المانع من سماع بقية كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع أهل اليمن (رواه البخاري وعن عمر) رضي الله عنه (قال قام فينا) أي خطيبا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما) أي قياما عظيما (فاخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم) أي فبين المبدأ والمعاد وتوضيحه انه صلى الله تعالى عليه وسلم بين أحوال الامم كلهم الى وقت دخول الجنة وبين أحوال أمته مما يجري عليهم من الخير والشر الى ان يدخل أهل الجنة منهم الجنة وأهل النار النار (حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه) قال الطيبي رحمه الله حتى غاية اخبرنا أي اخبرنا مبتدئا من بدء الخلق حتى انتهى الى دخول أهل الجنة الجنة ووضع الماضي موضع المضارع مبالغة للتحقيق المستفاد من قول الصادق الامين وقال العسقلاني أي اخبرنا عن المبدأ شيأ بعد شئ الى ان انتهى الاخبار عن حال الاستقرار في الجنة والنار ودل ذلك على انه أخبر في المجلس الواحد بجميع أحوال المخلوقات من المبدأ والمعاد والمعاش وتيسير ايراد ذلك كله في مجلس واحد من خوارق العادة أمر عظيم (رواه البخاري وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الله كتب) أي أثبت أو أمر ان يكتب الملائكة (كتابا) أي مكتوبا وهو اللوح أو كتب كتابة مستقلة (قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي) بكسر الهمزة وفتحها (سبقت غضبي) أي غلبت كما في رواية والمعنى غلبت الرحمة بالكثرة في متعلقها على الغضب والحاصل ان ارادة الخير والنعمة والمثوبة منه سبحانه لعباده أكثر من ارادة الشر والنقمة والعقوبة لان الرحمة عامة والغضب خاص كما حقق في قوله الرحمن الرحيم حيث قيل رحمة الرحمن عامة للمؤمن والكافر بل لجميع الموجودات ولذا لا يطلق الرحمن على غيره سبحانه فاذا عرفت هذا فالكسر على الحكاية ويكون لفظها من جملة المكتوب والفتح على انها بدل من كتابا وعلى كل فالمكتوب انما هو هذه الجملة ويؤيده قوله (فهو مكتوب عنده فوق العرش) والمعنى انه مكتوم عن سائر الخلائق مرفوع عن حيز الادراك وقيل معناه انه مثبت في علمه سبحانه وأما اللوح المحفوظ فقد يطلع على بعض معلوماته من اراد الله من ملائكته وأنبيائه وخلص أوليائه من أرباب الكشوف لاسيما اسرافيل عليه السلام فانه موكل عليه ويأخذ الامور منه فيأمر جبريل وميكائيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام كلا بما هو من جنس عمله على ما ورد في بعض الاخبار والآثار وأما على قول من فسر الكتاب هنا باللوح المحفوظ أو القضاء الاجمالي والتفصيلي فيتعين الكسر على الاستئناف اللهم الا ان تجعل هذه الجملة المستفادة من الحكمة الاجمالية زبدة ما في اللوح المحفوظ وعمدة ما فيه من أنواع الحظوظ قال التوربشتي رحمه الله يحتمل أن يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ ويكون معنى قوله فهو مكتوب عنده فعلم ذلك عنده ويحتمل ان يراد منه القضاء الذي قضاه وعلى الوجهين فان قوله فهو عنده فوق العرش تنبيه على كينونته مكتوما عن سائر الخلائق مرفوعا عن حيز الادراك ولا تعلق لهذا القول بما يقع في النفوس من التصورات تعالى عن صفات المحدثات فانه هو المباين عن جميع خلقه المتسلط على كل شئ بقهره وقدرته وفي سبق الرحمة بيان ان قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من الغضب وانها تنالهم من غير استحقاق وان الغضب لا ينالهم الا باستحقاق الا ترى انها تشمل الانسان جنينا ورضيعا وفطيما وناشئا من غير ان يصدر منه طاعة استوجب بها ذلك ولا يلحقه الغضب الا بما يصدر عنه من المخالفات ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فلله الحمد على ما ساق الينا من النعم قبل استحقاقها وقال النووي غضب الله تعالى ورضاه يرجعان الى اثابة المطيع وعقاب العاصي والمراد بالسبق هنا والغلبة في أخرى كثرة الرحمة وشمولها كما يقال غلب على

فلان المكره والشهادة اذا كثر امنه أقول ولو أبقيا على حقيقتهما من غير ارادة مجاز جاز أيضا لان رحمته
تعالى سابقة على غضبه باعتبار التعلق بالنسبة الى كل أحد من مخلوقاته فان أول الرحمة نعمة الايجاد ثم
نعمة الامداد ولا يخلو من النعمتين أحد من العباد وكذا نعمه سبحانه بالنسبة الى محنه غالبة كثيرة شاملة لعموم
الخلائق سواء من أطاعه أو عصاه في البلاد قال الطيبي رحمه الله يحتمل أن تكون ان مفتوحة بدلا من كتابا
ومكسورة حكاية لمضمون الكتاب وهو على وزان قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أى أوجب
وعدا ان يرحمهم قطعا بخلاف ما يترتب عليه مقتضى الغضب فان الله تعالى غفور كريم يتجاوز عنه بفضله
وأنشد   واني اذا أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
فالمراد بالسبق هنا القطع لوقوعها فان قلت لابد وان يختص بالمؤمنين ممن تعلق المشيئة بمغفرتهم وسبق الارادة
برحمتهم والا فعذاب الكافر مقطوع الوقوع بل واجب الحصول لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
والخلاف في غيره غير جائز قطعا وقد حررت هذه المسئلة في خصوص رسالة سميتها بالقول السديد في خلف
الوعيد (متفق عليه وعن عائشة) رضي الله تعالى عنها (عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال خلقت
الملائكة من نور وخلق الجان) أى جنسهم قال النووي رحمه الله الجان الجن وقال شارح يعني أبا الجن وهو
المناسب لمقابلته بآدم ثم قيل المراد به ابليس (من مارج) أى لهب مختلط بسواد دخان النار قال تعالى وخلق
الجان من مارج من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم (وخلق آدم) بصيغة المجهول كما قبله (مما
وصف لكم) على بناء المفعول أى مما بينه الله لكم في قوله خلقه من تراب وقوله خلق الانسان من صلصال
كالفخار وقوله ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون وقوله انى خالق بشرا من طين ولعل كثرة ما ورد
في هذا مع اشتهارها أوجبت الابهام في قوله مما وصف لكم (رواه مسلم) وكذا أحمد وروى الحكيم
الترمذي وابن عدي في الكامل بسند حسن عن أبي هريرة مرفوعا خلق الله آدم من تراب الجابية وعجنه بماء
الجنة والجابية على ما في القاموس قرية بدمشق وباب الجابية من أبوابها وروى ابن عساكر عن أبي
سعيد مرفوعا خلقت النخلة والرمان والعنب من فضل طينة آدم وروى الطبراني عن أبي أمامة مرفوعا خلق
الحور العين من الزعفران وروى الحكيم الترمذي وابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان وأبو الشيخ في العظمة
وابن مردويه عن أبي الدرداء رفعه خلق الله عز وجل الجن ثلاثة أصناف صنف حيات وعقارب وخشاش
الارض وصنف كالريح في الهواء وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله الانس ثلاثة أصناف صنف
كالبهائم وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله
وفي قوله وصنف عليهم الحساب والعقاب ايماء الى قول أبي حنيفة وتوقفه في حق الجن بالثواب والله تعالى أعلم
بالصواب (وعن أنس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله
أن يتركه) أى في الجنة قال التوربشتي رحمه الله أرى هذا الحديث مشكلا جدا فقد ثبت بالكتاب والسنة
ان آدم خلق من أجزاء الارض وقد دل على انه أدخل الجنة وهو بشر حي ويؤيده المفهوم من نص الكتاب
وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وقال شارح قيل يحتمل أن تكون الكلمتان أعني في الجنة سهوا من
بعض الرواة أخطأ سمعه فيهما قال القاضي رحمه الله الاخبار متظاهرة على انه تعالى خلق آدم من تراب قبض
من وجه الارض وخمره حتى صار طينا ثم تركه حتى صار صلصالا وكان ملقى بين مكة والطائف ببطن نعمان وهو
من أودية عرفات ولكن ذلك لا ينافي تصويره في الجنة لجواز أن تكون طينته لما خمرت في الارض وتركت
فيها حتى مضت عليها الاطوار واستعدت لقبول الصورة الانسانية حملت الى الجنة وصورت ونفخ فيها الروح
وقوله تعالى يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لا دلالة له أصلا على انه أدخل الجنة بعد ما نفخ فيه الروح اذ المراد
بالسكون الاستقرار والتمكن والامر به لا يجب أن يكون قبل الحصول في الجنة كيف وقد تظاهرت الروايات
على ان حواء خلقت من آدم في الجنة وهي أحد المأمورين ولعل آدم عليه الصلاة والسلام لما كانت مادته

متفق عليه وعن عائشة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم رواه مسلم وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه

فجعل ابليس يطيف به ينظر ماهو فلما رآه أجوف عرف انه خلق خلقا لا يتمالك رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم النبي عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات

التي هي البدن من العالم السفلي وصورته التي بها يتميز عن سائر الحيوانات ويضاهي بها الملائكة من العالم العلوي أضاف الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم تكوّن مادته الى الارض لانها نشأت منها وأضاف حصول صورته الى الجنة لانها وقعت فيها (فجعل ابليس) أي فشرع من كمال تلبيسه (يطيف به) بضم حرف المضارعة قال النووي رحمه الله تعالى طاف بالشيء يطوف طوفا وطوافا وأطاف به يطيف اذا استدار حوله (ينظر ماهو) استئناف بيان أو حال أي يتفكر في عاقبة أمره ويتأمل ماذا يظهر منه (فلما رآه أجوف) وهو من له جوف (عرف انه خلق خلقا لا يتمالك) أي لا يتقوى بعضه ببعض ولا قوة له ولا ثبات بل يكون متزلزل الامر متغير الحال متعرضا للآفات والتمالك التماسك وقيل المعنى لا يقدر على ضبط نفسه من المنع من الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عند الغضب وقال النووي رحمه الله الاجوف في صفة الانسان مقابل للصمد في صفة الباري قيل السيد سمي بالصمد لانه يصمد اليه في الحوائج ويقصد اليه في الرغائب من صمدت الامر اذا قصدته وقيل انه المنزه عن أن يكون بصدد الحاجة أو في معرض الآفة مأخوذ من الصمد بمعنى المصمد وهو الذي لا جوف له فالانسان مفتقر الى الغير بقضاء حوائجه والى الطعام والشراب لملء جوفه فاذن لا تماسك له في شيء ظاهرا او باطنا أقول واهل جنس الجن ليسوا على صفة الاجوفية ليتم الاستدلال بالهيئة المخصوصة الانسانية (رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اختتن ابراهيم النبي) أي نفسه عليه الصلاة والسلام بامر الملك العلام حيث قال تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن (وهو) أي والحال انه (ابن ثمانين سنة) وفي الموطا ابن مائة وعشرين سنة قيل والاول هو الصحيح كذا ذكره الاكمل في شرح المشارق (بالقدوم) بفتح القاف وضم الدال المخففة وفي نسخة بتشديدها قال صاحب القاموس القدوم آلة للنجر وموضع اختتن به ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد تشدد داله وقال الطيبي رحمه الله القدوم بالتخفيف آلة النجار معروف وهو بالتشديد اسم موضع وقيل هو بالتخفيف أيضا هكذا في جامع الاصول وفي كتاب الحميدي قال البخاري رحمه الله قال أبو الزناد وهو راوي الحديث اختتن ابراهيم بالقدوم مخففة قال التوربشتي رحمه الله ومن المحدثين من يشدده وهو خطأ قال النووي رحمه الله القدوم وقع في رواية البخاري الخلاف في التشديد والتخفيف ويقال لآلة النجار قدوم بالتخفيف لا غير وأما القدوم مكان بالشام ففيه التشديد والتخفيف فمن رواه بالتشديد أراد القرية ورواية التخفيف يحتمل القرية والآلة والاكثرون على التخفيف (متفق عليه) ورواه أحمد (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات) بفتح الذال وفي نسخة بكسرها قال ميرك نقلا عن الشيخ هو اسم لا صفة لانك تقول كذب كذبة كما تقول ركع ركعة ولو كان صفة لسكن في الجمع وقال أبو البقاء الجيد ان يقال بفتح الذال في الجمع أقول واهل وجهه ان المصدر جاء بالفتح والكسر على ما يفهم من القاموس لكن لما كان الفتح مخصوصا بالمعنى الاسمي بخلاف الكسر فانه مشترك بين الاسم والمصدر كان الفتح أجود هذا وقد أورد على الحصر ما رواه مسلم من ذكر قول ابراهيم في الكوكب هذا ربي وأجيب بانه في حالة الطفولية وهي ليست زمان التكليف أو المقصود منه الاستفهام للتوبيخ والاحتجاج قال المازري أما الكذب على الانبياء فيما هو طريق البلاغ عن الله عز وجل فالانبياء معصومون منه سواء قل أو كثر فان تجويزه منهم يرفع الوثوق باقوالهم لان منصب النبوة يرتفع عنه وأما ما لا يتعلق بالبلاغ ويعد من الصغائر كالكذبة الواحدة في حقير من أمور الدنيا ففي امكان وقوعه منهم وعصمتهم منه القولان المشهوران للسلف والخلف قال عياض الصحيح ان الكذب لا يقع منهم مطلقا وأما الكذبات المذكورات فانما هي بالنسبة الى فهم السامع لكونها في صورة الكذب وأما في نفس الامر فليست كذبات قلت ووافقه شارح من علمائنا حيث قال انما سماها كذبات وان كانت من جملة المعاريض لعلو شأنهم عن الكناية بالحق فيقع ذلك موقع الكذب عن غيرهم أو لانها لما كانت صورتها

صورة الكذب سميت كذبات وقال الاكمل في شرح المشارق يحتمل ان يراد بها حقيقة الكذب لان الاستثناء من النفي اثبات فيحتاج الى العذر بان الكذب للاصلاح جائز فما ظنك في دفع ظلم الظالمين قال ابن الملك كيف يحتمل ذلك ومع كلام ابراهيم عليه الصلاة والسلام قرينة حالية ومقالية دالة على انه تجوز فيه ولم يرد ظاهره الا يرى ان من جملة كذباته قوله لسارة انك أختي في الاسلام فقوله في الاسلام قرينة على انه لم يرد به الاخت في النسب وقوله بل فعله كبيرهم فان اسناد الصدور الفعل من الجماد قرينة على انه مؤول أو تجوز فيه فلا يكون كذباة ولاسيما وقد قيل بالوقف على بل فعله والابتداء بقوله كبيرهم هذا (اثنتين منهن) بدل من ثلاث كذبات (في ذات الله) أي لاجل الله تعالى أو في أمر الله أو فيما يتعلق بتنزيه ذاته عن الشرك أو يراد به القرآن أي في كلامه وعبر به عنما لم ينفك عن المتكلم كما هو رأى الاشعري كذا ذكره ابن الملك وتوضيحه ما قال شارح أي في أمر الله وما يختص به اذ لم يكن لابراهيم نفسه فيه أرب لانه قصد بالاولى ان يتخلف عن القوم بهذا العذر فيفعل بالاصنام ما فعل وبالثانية الزام الحجة عليهم بانهم ضلال سفهاء في عبادة ما لا يضر ولا ينفع وقيل يحتمل حذف المضاف أي في كلام ذات الله يعني ان ثنتين مذكورتان في كلام الله تعالى دون الثالثة وهي قوله لسارة هي أختي قال النووي وهذه أيضا في ذات الله تعالى لانها سبب دفع كافر ظالم عن مواقعة فاحشة عظيمة لا يرضى بها الله تعالى وانما خص الثنتين بانهما في ذات الله تعالى لكون الثالثة تضمنت نفعا له ودفعا لحرمه هذا وفي المغرب ذو بمعنى الصاحب يقتضي شيئين موصوفا ومضافا اليه وتقول للمؤنث امرأة ذات مال ثم اقتطعوها عن مقتضاها واجروها مجرى الاسماء التامة المستقلة بانفسها غير المقتضية لما سواها فقالوا ذات قديمة أو محدثة ونسبوا اليها من غير تغيير علامة التأنيث فقالوا الصفات الذاتية واستعملوها استعمال النفس والشيء عن ابي سعيد كل شيء ذات وكل ذات شيء قال الطيبي رحمه الله قوله في ذات الله أي في الدفع عن ذات الله ما لا يليق بجلاله ويدل عليه ما جاء في حديث آخر ما منها كذبة الا ماحل عن دين الله أي خاصم وجادل وذب عن دين الله وهو بمعنى التعريض لانه نوع من الكناية ونوع من التعريض يسمى الاستدراج وهو ارخاء العنان مع الخصم في المجارات ليعثر حيث يريد تبكيته فسلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع القوم هذا المنهج فحينئذ (قوله) بالرفع وفي نسخة بالجر (اني سقيم) وذلك عندما طلبوا منه عليه الصلاة والسلام ان يخرج معهم الى عيدهم فاراد ان يتخلف عنهم للامر الذي هم به فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وفيه ايهام منه انه استدل بامارة علم النجوم على انه سيسقم ليتركوه فيفعل بالاصنام ما أراد ان يفعل أو سقيم القلب لما به من الغيظ باتخاذكم النجوم آلهة أو بعبادتكم الاصنام (وقوله) بالوجهين وهو حين كسر عليه الصلاة والسلام أصنامهم الا كبيرها وعلق الفاس في عنقه (بل فعله كبيرهم هذا) أي فاسئلوهم ان كانوا ينطقون يعني ان كان لهم نطق ففيه تنبيه على ان الاله الذي لم يقدر على دفع المضرة عن نفسه كيف يرجى منه دفع الضرر عن غيره وايماء الى أن العاجز عن النطق لا يصلح للالوهية فان الاله من هو منعوت بصفات الكمال من أسماء الجلال والجمال (وقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في بيان الثالثة (بيناهو) أي ابراهيم عليه الصلاة والسلام متوجه الى الشام (ذات يوم) أي بعد هلاك نمروذ (وسارة) عطف على هو وهي بنت عمه (اذ أتى) أي مر ابراهيم (على جبار من الجبابرة) أي ظالم مسلط قال الطيبي رحمه الله أتى جواب بينا أي بيناهما يسيران ذات يوم اذ أتيا على بلد جبار من الجبابرة فوشي بهما (فقيل له) أي للجبار (ان ههنا) أي في بلدنا هذا (رجلا معه امرأة من أحسن الناس) أي صورة (فارسل) أي رسولا (اليه) أي الى ابراهيم يطلبه فذهب اليه (فسأله عنها) أي عن جهتها (من هذه) أي من تكون لك هذه المرأة التي معك قال الطيبي رحمه الله من هذه بيان للسؤال أي سأل الجبار بهذا اللفظ (قال أختي) أي في الاسلام وقيل كان كاذبا وكان جائزا بل واجبا في دفع الظالم على ما في شرح مسلم لكن حمله على التعريض أولى فانه صلى الله

اثنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقال بيناهو ذات يوم وسارة اذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فارسل اليه فسأله عنها من هذه قال أختي

فأتى سارة فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتي يغلبني عليك فان سألك فأخبريه انك أختي فانك أختي في الاسلام ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك فأرسل اليها فأتي بها قام ابراهيم يصلي فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ ويروى فغط حتى ركض برجله فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق فدعا بعض حجبته فقال انك لم تأتني بانسان انما أتيتني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيم

تعالى عليه وسلم قال دلي مار واه ابن عدي والبيهقي عن عمران بن حصين ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب مع أن ناساً قوله أختي لايخلو عن تعريض ما حيث لم يقل هذه أختي أو هي أختي (فأتى) أي ابراهيم (سارة فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم) ان شرطية أي ان علم (انك امرأتي يغلبني عليك) أي في أخذك بالظلم عني (فان سألك) أي عن نسبك ونسبتك على تقدير ارساله اليك ووصولك عنده (فأخبريه انك أختي) أي على طريق التعريض كما تعلمه (فانك أختي في الاسلام) أي حقيقة بلا مشاركة لاحد غيرنا في هذا المقام كما بينه بقوله (ليس) أي موجود (على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك) قال الطيبي رحمه الله يريد به قوله تعالى انما المؤمنون اخوة يعني ان الايمان قد عقد بين أهله من السبب القريب والنسب اللاحق ما يفضل الاخوة في النسب السابق وليس أحد أحق بهذا العقد مني ومنك الآن لانه ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك انتهى واستشكل بكون لوط عليه الصلاة والسلام يشاركهما في الايمان كما قال تعالى فآمن له لوط ويمكن ان يجاب بان مراده بالارض هي التي وقع فيها ما وقع له ولم يكن معه لوط اذ ذاك ذكره العسقلاني رحمه الله ثم قيل كان من أمر ذلك الجبار الذي يتدين به في الاحكام السياسية ان لا يتعرض الا لذوات الازواج ويرى انها اذا اختارت الزوج فليس لها ان تمتنع من السلطان بل يكون هو أحق بها من زوجها فأما اللاتي لا أزواج لهن فلا سبيل عليهن الا اذا رضين ويحتمل ان يكون المراد انه ان علم ذلك ألزمني بالطلاق أو قصد قتلي حرصاً عليك وقيل لان دين الملك ان لا يحل له التزوج والتمتع بقرابات الانبياء (فأرسل) أي الجبار (اليها) أي الى سارة يطلبها (فأتي بها) أي جيء بها الى الجبار (قام ابراهيم) استئناف بيان كأن قائلا قال فما ذا فعل بعد فأجيب قام ابراهيم (يصلي) حال أو استئناف تعليل أي ليصلي عملا بقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حزبه أمر صلى على ما رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة (فلما دخلت) بصيغة الفاعل وفي نسخة أدخلت (عليه) أي على الجبار (ذهب) أي طفق (يتناولها) أي يأخذها أو يمسها (بيده) أي من غير سؤال وجواب أو بعد سؤالها وسماع جوابها لكن غلب عليه الميل اليها لكمال حسنها وجمالها (فأخذ) بصيغة المجهول مخففاً أي حبس نفسه وضغط والمراد به الخنق ههنا أي أخذ بمجاري نفسه حتى سمع له غطيط وقال ابن الملك فأخذ بناء المجهول أي حبس عن امساكها أو عوقب بذنبه أو أغمي عليه وفي نسخة بتشديد الخاء قال شارح ويروى أخذ على بناء المجهول من التأخيذ وهو الاحتباس بأن تأخذ ص برقية أو غيرها كالسحر بحيث يحصل له خوف أو هيمان أو جنون على ما قاله العسقلاني ويؤيد رواية التخفيف قول المؤلف (ويروى) أي بدل فأخذ أو زيادة عليه (فغط) بضم غين معجمة وتشديد طاء مهملة أي خنق (حتى ركض برجله) أي ضرب برجله الارض من شدة الغط وقال ابن الملك أي حصر حصرا شديدا وقيل الغط هنا بمعنى الخنق أي أخذ بمجامع مجاري نفسه حتى يسمع له غطيط وهو صوت بالانف وقال العسقلاني أي اختنق حتى صار كالمصروع (فقال ادعي) أي سلي (الله لي) أي لاجلي الخلاص (ولا أضرك) أي بالتعرض لك (فدعت الله فأطلق) أي من الاخذ (ثم تناولها) أي أراد تناولها (الثانية) أي المرة الثانية (فأخذ مثلها) أي مثل الاخذة الاولى (أو أشد) أي بل أشد منها (فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق فدعا بعض حجبته) بفتحتين جمع حاجب كطلبة جمع طالب (فقال انك لم تأتني بانسان) أي حتى أقدر عليها (انما أتيتني بشيطان) أي حيث لم أقدر عليها بل تصرعني وتريد أن تهلكني قال الطيبي رحمه الله أراد به المتمرد من الجن وكانوا يهابون الجن ويعظمون أمرهم (فأخدمها هاجر) أي جعل الجبار هاجر خادمة لسارة لما رأى كرامتها وقربها عند الله أو جبر الما وقع من كسر خاطرها حيث تعرض لها (فأتته) أي ابراهيم (وهو قائم يصلي) وهو اما لعدم اطلاعه على خلاصها استمر على حاله أو انكشف له الامر وزاد في العبادة ليكون عبداً شكوراً بعد ما كان عبداً صبوراً ويؤيد الاول قوله (فأومأ) بهمزتين أي أشار ابراهيم (بيده) أي الى سارة وهو في الصلاة (مهيم)

بفتح وسكون مرتين أى ما شأنك وما حالك وهي كلمة يمانية يستفهم بها وههنا مفسرة للايماء أى أوما بيده بما يفهم منه معناه وليست بترجمة لقوله والا لكان من حقه أن يقول فأوما بيده وقال مهيم (قالت رد الله كيد الكافر فى نحره) أى على صدره وهو من قوله تعالى ولا يحيق المكر السيء الا بأهله ومن قبيل الدعاء المأثور اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم (وأخدم هاجر) أى أم اسمعيل عليه الصلاة والسلام قيل سميت هاجر لانها هاجرت من الشام الى مكة وقيل كان لا يولد له من سارة فوهبت هاجر له وقالت عسى الله أن يرزقك منها ولدا وكان ابراهيم عليه السلام يومئذ ابن مائة سنة نقله ابن الملك (قال أبو هريرة تلك) أى هاجر (أمكم) أى جدتكم (يا بنى ماء السماء) قال القاضى رحمه الله قيل أراد بهم العرب سموا بذلك لانهم يتبعون المطر ويتعيشون به والعرب وان لم يكونوا بأجمعهم من بطن هاجر لكن غلب أولاد اسمعيل على غيرهم وقيل أراد بهم الانصار لانهم أولاد عامر بن حارثة الازدى جد نعمان بن المنذر وهو كان ملقبا بماء السماء لانه كان يستمطر به ويحتمل انه أراد بهم بنى اسمعيل وسماهم بذلك لطهارة نسبهم وشرف أصولهم قال ابن الملك وقيل أشار بهم لكونهم من ولد هاجر لان اسمعيل أنبع الله تبارك وتعالى له زمزم وهى من ماء السماء والله سبحانه وتعالى أعلم قال الطيبى رحمه الله فان قلت فاذا شهد له الصادق المصدوق بالبراءة عن ساحة فما باله يشهد على نفسه بها فى حديث الشفاعة فى قوله وانى كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرهن ثم قال نفسى نفسى على ان تسميتها وانها معاريض بالكذبات اخبار الشيء على خلاف ما هو به قلت نحن وان أخرجناها عن مفهوم الكذبات باعتبار التورية وسميناها معاريض فلا شك ان صورتها صورة التعويج عن المستقيم فالحبيب قصد الى براءة ساحة الخليل عما لا يليق به فسماها معاريض والخليل لمح الى مرتبة الشفاعة هنالك وانها مختصة بالحبيب فتجوز بالكذبات (متفق عليه وعنه) أى عن أبى هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال رب أرنى كيف تحيى الموتى) تمامه قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال ابن الملك أراد صلى الله تعالى عليه وسلم أن ما صدر من ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن شكا بل كان طلب المزيد العلم وأنا أحق به لانى مأمور بذلك لقوله تعالى وقل رب زدنى علما وأطلق الشك بطريق المشاكلة وقال الامام المزى معناه لو كان الشك متطرقا اليه لكنت أحق به وقد علمتم أنى لم أشك فاعلموا انه كذلك وانما رجح ابراهيم على نفسه تواضعا أو لصدوره قبل أن يعلم انه خير ولد آدم وأما سؤال ابراهيم عليه السلام فللترقى من علم اليقين الى عين اليقين أولانه لما احتج على المشركين بان ربه يحيى ويميت طلب ذلك ليظهر دليله عيانا وتوضيحه ما قال الخطابى مذهب هذا الحديث التواضع والهضم من النفس وليس فى قوله هذا اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفى الشك عن كل واحد منهما يقول اذا لم أشك انا ولم أرتب فى قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم أولى بان لا يشك فيه ولا يرتاب به وفيه الاعلام بان المسألة من قبل ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل طلب زيادة العلم واستفادة معرفة كيفية الاحياء والنفس تجد من الطمانينة بعلم الكيفية ما لم تجده بعلم الامنية والعلم فى الوجهين حاصل والشك مرفوع وقد قيل انه انما طلب الايمان حسا وعيانا لانه فوق ما كان عليه من الاستدلال والمستدل لا تزول عنه الوساوس والخواطر فقد قال عليه الصلاة والسلام ليس الخبر كالمعاينة انتهى وفيه ان عدم علم الانبياء من باب الاستدلال غير ظاهر بل علمهم من باب الكشف والمعرفة التامة والعلم اليقينى الذى اهم فى السرائر بحيث لا يتصور فيه تردد الخواطر وتوسوس الضمائر نعم مرتبة عين اليقين فوق مرتبة علم اليقين وان هذا لهو حق اليقين والله الموفق والمعين وفى بعض نسخ المصابيح نحن أحق من ابراهيم بدون قوله بالشك فقال شارح له أى نحن أحق منه بالسؤال الذى سأله ربه به تعظيم أمره وان سؤاله هذا لم يكن لنقصان فى عقيدته بل لكمال فكرته وعلو همته الطالبة لحصول الاطمئنان بالوصول الى درجة العيان قال وفى بعض الروايات نحن أحق بالشك من ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومعناه ما ذكرناه

قالت رد الله كيد الكافر فى نحره وأخدم هاجر قال أبو هريرة تلك أمكم يا بنى ماء السماء متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم اذ قال رب أرنى كيف تحيى الموتى

أي لم يكن صدور هذا السؤال منه شكا من ابراهيم واختلج في صدره اذ لو كان الشك يعتريه لنحن أحق بالشك منه ولكنا لا نشك فكيف يجوز ان يشك هو فيه أقول المراد بقوله نحن ليس صيغة التعظيم ليحتاج الى الاعتذار بانه قال ذلك تواضعا لابراهيم بل المعنى اني مع أمتي لا نشك في قدرة الله تعالى على احياء الموتى بل نحن معاشر الخلق من سائر الامم غالبا نعتقد قدرته على الاحياء وابراهيم عليه الصلاة والسلام من أكمل الانبياء في مرتبة التوحيد ومقام التفريد حتى أمرنا باتباعه على طريقه القويم وسبيله المستقيم فكيف يتصور منه الشك اذ لو جاز عليه الشك وهو من المعصومين المتبوعين لجاز لنا بالاولى ونحن من اللاحقين التابعين والحاصل انه أراد بالدليل البرهاني نفي الشك عن الخليل الرحماني وايصاله اياه الى المقام الاطمئناني والحال العياني (ويرحم الله لوطا) قيل تصدير الكلام بهذا الدعاء لئلا يتوهم اعتراء نقص عليه فيما سيأتي من الانباء على طريقة قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم حيث كان تمهيدا ومقدمة للخطاب المزعج (لقد كان يأوي الى ركن شديد) أي عشيرة تقوية قال ابن الملك فيه اشارة الى وقوع تقصير منه وقال شارح تبعا للقاضي وكأنه استغرب منه وعده بادرة اذ لا ركن أشد من الركن الذي كان يأوي اليه وهو عصمة الله وحفظه وعندي ان أخذ هذا المعنى من هذا المبنى ليس من طريق الادب في الانباء عن الانبياء لانه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان ينهى عن غيبة أفراد العامة حيا وميتا فكيف يتصور ان يذكر في حق نبي مرسل ما يكون موهما النقص مرتبته أو تنزل عن علو همته فالمعنى والله تعالى أعلم انه كان بمقتضى الجبلة البشرية في بعض الامور والضرورية يميل الى الاستعانة بالعشيرة القوية فيجوز لنا مثل ذلك الحال فانا مأمورون بمتابعة أرباب الكمال في التعلق بالاسباب مع الاعتماد على رب الارباب والله تعالى أعلم بالصواب ثم رأيت في الجامع الصغير ما يقوي المذكور من التقرير والتحرير وهو ما رواه الحاكم عن أبي هريرة مرفوعا رحم الله لوطا كان يأوي الى ركن شديد وما بعث الله بعده نبيا الا في ثروة من قومه قلت ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم شعيب عليه الصلاة والسلام ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز وكذلك نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كان معظما ومحبا ومكرما ومكرما لقربه من أبي طالب وغيره واليه الايماء في قوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى (ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف) أي مقدار طول زمن لبثه وجاءني داع بالطلب أوساع الى الخروج (لاجبت الداعي) أي ولبادرت الخروج عملا بالجواز لكن يوسف عليه الصلاة والسلام صبر لحكم تقتضيه ذلك كما أخبر الله سبحانه عنه فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله الى آخره وربما أوجبته عليه في مرام ذلك المقام من قصده البراءة مما اشتهر في حقه من الكلام على السنة العوام ليقابل صاحب الامر على جهة التعظيم والاكرام الا ترى ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يكلم بعض أمهات المؤمنين في طريق فمر عليه صحابي فقال له عليه الصلاة والسلام ان هذه فلانة من الازواج الطاهرات فقال يا رسول الله أيظن فيك ظن السوء فقال ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم قال التوربشتي رحمه الله هو مبني على استحماد صبر يوسف عليه السلام وتركه الاستعجال بالخروج عن السجن مع امتداد مدة الحبس عليه قال ثم ان في ضمن هذا الحديث تنبيها على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا من الله بمكان لا ينازلهم فيه أحد فانهم بشر يطرأ عليهم من الاحوال ما يطرأ على البشر فلا تعدوا ذلك منقصة ولا تحسبوه سيئة قلت هذا يؤيد ما قررناه من قضية سيدنا لوط عليه الصلاة والسلام وقال ابن الملك اعلم ان هذا ليس اخبارا عن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بتضجره وقلة صبره بل فيه دلالة على مدح يوسف عليه السلام وتركه الاستعجال بالخروج ليزول عن قلب الملك ما اتهم به من الفاحشة ولا ينظر اليه بعين مشكوك انتهى وهو بعينه كما ذكرناه على ما لا يخفى وقيل بل فيه اشارة الى تقصير يوسف عليه السلام وذلك من جهة انه لم يترك الوسائط ولم يفوض كل ما أتاه اليه تعالى قلت سبق ان مباشرة الاسباب لا تنافي تفويض الامر الى رب الارباب بل قال بعض العارفين ان مرتبة جمع الجمع هي مباشرة

ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي

السبب مع ملاحظة على الرب وقيل بل فيه ايماء الى تقصيره من جهة انه كان رسولا ولذا دعا أهل السجن بقوله أأرباب متفرقون الخ ولم يكن له طريق الى دعوة الملك فلما وجد اليه سبيلا قدم براءة نفسه مما نسب اليه على حق الله وهو دعوة الملك ثلث وهذا ظاهر البطلان اذ على تقدير تسليم كونه رسولا عاما أو خاصا فتقديم ما يتوقف صحة الارسال من البراءة عليه مما يجب المبادرة اليه لئلا يدور طعن طاعن حواليه ومما يدل على صحة ما قررناه وعلى حقيقة ما حررناه ما أخرجه ابن جرير وابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا رحم الله يوسف عليه السلام ان كان لذا أناة حليم لو كنت أنا المحبوس ثم أرسل الى لخرجت سريعا وفي رواية أحمد في الزهد وابن المنذر عن الحسن مرسلا رحم الله أخي يوسف لو أنا أتاني الرسول بعد طول الحبس لاسرعت الاجابة حين قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة كذا في الجامع الصغير (متفق عليه وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا) بكسر التحتية الاولى وبتشديد الثانية على انه فعيل أي مستحييا (ستيرا) بفتح السين وتخفيف الفوقية المكسورة قال شارح أي مستورا والظاهر انه مبالغة ساتر ويدل عليه ما في نسخة من كسر السين والفوقية المشددة وكان الشارح جعل قوله (لا يرى من جلده شئ) صفة كاشفة وليس بظاهر بل هو استئناف بيان لما يلزم من كونه كثير التستر وحاصله انه كان من شأنه ان يستر جميع بدنه عند اغتساله (استحياء) أي من الناس (فآذاه من آذاه) بالمد فيهما أي من أراد ايذاءه (من بني اسرائيل فقالوا) جمع باعتبار معنى من كما افرد اولا بناء على لفظه ونحوه كثير في التنزيل أي فقال بعض المؤذين (ما تستر) أي موسى (هذا التستر) أي البليغ (الا من عيب بجلده اما برص أو أدرة) بضم همزة وسكون دال مهملة نفخة بالخصية على ما في النهاية (وان الله أراد ان يبرئه) بتشديد الراء أي ينزهه عن نسبة ذلك العيب ويثبت له الحياء من عالم الغيب وقد أشار اليه سبحانه بقوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها ثم اعلم ان قوله وان الله هو كذا في النسخ المصححة بالواو وقال الطيبي رحمه الله الفاء في قوله فان الله للتعقيب وأصل الكلام فقالوا كيت وكيت فاراد الله ان يبرئه وأتى بان المؤكدة تأكيدا اعتناء بشأنه (فخلا يوما وحده) أي انفرد عن الناس وقتا ما حال كونه منفردا (ليغتسل فوضع ثوبه على حجر) أي بجنب الماء (ففر الحجر بثوبه) الباء للتعدية أي فاخذه فارا عن موسى (فجمح موسى) بجيم وميم وحاء مفتوحات أي ذهب وأسرع اسراعا لا يرده شئ ومنه قوله تعالى وهم يجمحون (في أثره) بفتحتين وقد يكسر الهمز وتسكن المثلثة أي في عقب الحجر (يقول) أي بلسان القال أو بيان الحال (ثوبي) أي أعطني ثوبي (يا حجر ثوبي) أي مطلوبي ثوبي (يا حجر) والتكرير للتكثير (حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل) والظاهر انهم المؤذين (فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله) قال الطيبي رحمه الله عريانا حال وكذا قوله أحسن لان الرؤية بمعنى النظر (وقالوا والله ما بموسى من بأس) أي ليس به عيب ما (وأخذ ثوبه وطفق) أي شرع (بالحجر ضربا) أي يضربه ضربا فالجار متعلق بالفعل المقدر كما في قوله سبحانه فطفق مسحا بالسوق والاعناق (فوالله ان في الحجر لندبا من أثر ضربه) الندب بفتح النون والدال أي أثرا وعلامة باقية من أثر ضربه وأصل الندب أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به أثر الضرب بالحجر وقوله (ثلاثا أو أربعا أو خمسا) متعلق بالضرب أو الندب والشك من الراوي قال الطيبي رحمه الله قوله ثلاثا أي ندبات ثلاثا بيانا وتفسيرا للاسم ان وضربه هذا من أثر غضبه على الحجر لاجل فراره وقلة أدبه ولعله ذهل عن كونه مأمورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا وفيه مأخذ لعلماء الانام على ان ضرر الخاص يتحمل لنفع العام والله تعالى أعلم بالمرام ثم قيل ان موسى أمر بحمل الحجر معه الى ان كان في التيه فضربه بعصاه مرة أو مرات فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قال النووي رحمه الله فيه معجزتان ظاهرتان لموسى عليه الصلاة والسلام احداهما مشي الحجر بثوبه والثانية حصول الندب في الحجر بضربه

متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شئ استحياء فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما تستر هذا التستر الا من عيب بجلده اما برص أو أدرة وان الله أراد ان يبرئه فخلا يوما وحده ليغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح موسى في أثره يقول ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وقالوا والله ما بموسى من بأس وأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فوالله ان بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا

وفيه حصول التمييز في الجماد وفيه جواز الغسل عريانا في الخلوة وان كان ستر العورة أفضل وبهذا قال الشافعي ومالك وأحمد رحمهم الله وخالفهم ابن أبي ليلى وقال ان للماء سكانا قلت امامنا الاعظم رحمه الله مع الجمهور وظاهره مخالفة ابن أبي ليلى في دخول الماء قال وفيه ابتلاء الانبياء والصالحين من أذى السفهاء والجهال وصبرهم عليه وفيه ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزهون عن النقائص في الخلق والخلق سالمون من العاهات والمعايب اللهم الا على سبيل الابتلاء (متفق عليه وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا أيوب يغتسل عريانا) يحتمل ان يكون لابسا الازار كما يدل عليه قوله الآتي يحثي في ثوبه ويحتمل ان يكون متجردا من الثياب كلها على طبق ما سبق لموسى عليهما الصلاة والسلام وكان جائزا عندهما لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم أشار الى ان التستر أولى حياء من المولى بناء على انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق (نفر) بالخاء المعجمة والراء المشددة أي سقط ونزل (عليه) أي فوقه على اطرافه (جراد) أي جنس جراد (من ذهب فجعل أيوب يحثي) أي يضمه (في ثوبه) كذا في النهاية والاظهر انه يأخذ بكفه أو كفيه ويضع في ثوبه المتصل به وهو الازار اللابس له قبل الغسل أو بعده أو المنفصل الذي ما لبسه بعد وفي المصابيح يحثي في ثوبه قال شارح له أي يجمعه في ذيله ويضم طرف الذيل الى نفسه (فناداه ربه) أي نداء تلطف (يا أيوب الم أكن أغنيتك) أي جعلتك ذا غنى (عما ترى قال بلى وعزتك) قال الطيبي رحمه الله هذا ليس بعتاب منه تعالى في ان الانسان وان كان ثريا لا يشبع بل يريد المزيد عليه بل من قبيل التلطف والامتحان بانه هل يشكر على ما أنعم عليه فيزيد في الشكر واليه الاشارة بقوله (ولكن لا غنى) بكسر ففتح مقصورا أي لا استغناء (بي عن بركتك) أي عن كثرة نعمتك وزيادة رحمتك وفي رواية من يشبع من رحمتك أو من فضلك وفيه جواز الحرص على الاستكثار من الحلال في حق من وثق من نفسه الشكر عليه وبصرفه فيما يحب ربه ويرضاه ويتوجه الامر اليه وفيه تسمية المال من جهة الحلال بركة في المال وحسن الحلال قال الطيبي رحمه الله ونحوه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر رضي الله تعالى عنه جوابا عن قوله اعطه أفقر اليه مني ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه وما لا فلا تتبعه نفسك (رواه البخاري وعنه) أي عن أبي هريرة (قال استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود) بتشديد الموحدة افتعال من السب وهو الشتم والمعنى سب كل واحد منهما الآخر (فقال المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين) أي جميعهم من خلق الاولين والآخرين والمحلوف عليه مقدر (فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين) أي عالمي زمانه لكن لما كان ظاهر كلامه المعارضة وحاصل مرامه المشاركة في الاصطفاء على الخلق من بين الانبياء وهو خلاف ما عليه العلماء ولذا أنكر عليه (فرفع المسلم يده عند ذلك) أي القول الموهم خلاف الادب (فلطم وجه اليهودي) أي ضربه بكفه كفا له وتأديبا (فذهب اليهودي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بما كان من أمره وأمر المسلم فدعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي المدعى عليه (فسأله عن ذلك) أي الامر (فأخبره) أي بمطابقة الخبر (فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا تخيروني) بضم التاء وتشديد الياء من التخيير بمعنى الاصطفاء والمعنى لا تجعلوني خيرا بمعنى لا تفضلوني (على موسى) أي ونحوه من أصحاب النبوة تفضيلا يؤدي الى ايهام المنقصة أو الى تسبب الخصومة فان أمر التفضيل ليس بقطعي على وجه التفصيل (فان الناس) أي جميعهم (يصعقون) بفتح العين (يوم القيامة) أي عند النفخة الاولى (فاصعق معهم) من صعق الرجل اذا أصابه فزع فاغمي عليه وربما مات منه ثم استعمل في الموت كثيرا لكن هذه الصعقة صعقة فزع قبل البعث لذكر الافاقة بعده بقوله (فاكون أول من يفيق) فان الافاقة انما تستعمل في الغشي والبعث في الموت (فاذا موسى باطش) قال شارح أي قوي والظاهر ان معناه آخذ (بجانب العرش فلا أدري كان) أي أكان (فيمن صعق

متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أيوب يغتسل عريانا نفر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى وعزتك ولكن لا غنى بي عن بركتك رواه البخاري وعنه قال استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم والذي اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي فذهب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان من أمره وأمر المسلم فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم فسأله عن ذلك فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون يوم القيامة فاصعق معهم فاكون أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري كان فيمن صعق

فأفاق قبلي) أي الفضيلة اختص بها (أو كان فيمن استثنى الله) أي في قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله والمعنى أو كان فيمن لم يصعق فله منقبة أيضا من هذه الجهة قال العسقلاني يعني فان أفاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة وان كان ممن استثناه الله تعالى فلم يصعق فهي أيضا فضيلة وانما نهى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن التفضيل بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام من يقول ذلك من رأيه لا من يقوله بدليل أو من يقوله بحيث يؤدي الى تنقيص المفضول أو يجر الى الخصومة أو المراد لا تفضلوني بجميع أنواع الفضائل بحيث لا يبقى للمفضول فضيلة أو أراد النهي عن التفضيل في نفس النبوة فانهم متساوون فيها وانما التفاضل بخصائص وفضائل أخرى قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض (وفي رواية فلا أدري أحوسب) أي أجوزي (بصعقة يوم الطور) باضافة المصدر الى الظرف وفي نسخة بالضمير أي بصعقة نفسه في ذلك اليوم حيث قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ففي القاموس صعق كسمع صعقا ويحرك وصعقة وتصعاقا فهو صعق ككتف غشي عليه (أو بعث قبلي) اي أفاق قبل افاقتي بعد ما شاركني في صعقتي فالبعث مجاز عن الافاقة توفيقا بين الروايتين (ولا أقول ان أحدا) أي لا أنا ولا غيري من الانبياء (أفضل من يونس بن متى) بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية المقصورة قيل هي اسم أم يونس على ما في جامع الاصول ثم قيل ان أحدا استعمل في الاثبات لان المعنى لا أفضل أحدا على يونس (وفي رواية أبي سعيد قال لا تخيروا) أي لا تفضلوا (بين الانبياء) قال التوربشتي رحمه الله قوله لا تخير وني على موسى أي لا تفضلوني عليه قول قاله على سبيل التواضع أولا ثم ليردع الامة عن التخيير بين أنبياء الله من تلقاء أنفسهم ثانيا فان ذلك يفضي بهم الى العصبية فينتهز الشيطان منهم عند ذلك فرصة يدعوهم الى الافراط والتفريط فيطرون الفاضل فوق حقه ويبخسون المفضول حقه فيقعون في مهواة الغي ولهذا قال لا تخيروا بين الانبياء أي لا تقدموا على ذلك باهوائكم وآرائكم بل بما آتاكم الله من البيان وعلى هذا النحو قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا أقول ان أحدا خير من يونس بن متى أي لا أقول من تلقاء نفسي ولا أفضل أحدا عليه من حيث النبوة والرسالة فان شأنهما لا يختلف باختلاف الاشخاص بل نقول كل من أكرم بالنبوة فانهم سواء فيما جاؤا به عن الله وان اختلفت مراتبهم وكذلك من أكرم بالرسالة واليه الاشارة بقوله سبحانه لا نفرق بين أحد من رسله وانما خص يونس عليه السلام بالذكر من بين الرسل لما قص الله عليه في كتابه من أمر يونس وتوليه عن قومه وضجرته عن تثبطهم في الاجابة وقلة الاحتمال عنهم والاحتفال بهم حين راموا التنصل فقال عز من قائل ولا تكن كصاحب الحوت وقال وهو مليم فلم يأمن صلى الله تعالى عليه وسلم ان يخامر بواطن الضعفاء من أمته ما يعود الى نقيصة في حقه فنبأهم ان ذلك ليس بقادح فيما آتاه الله من فضله وانه مع ما كان من شأنه كسائر اخوانه من الانبياء والمرسلين وهذا قول جامع في بيان ما ورد في هذا الباب فافهم ترشد الى الاقوم وأما ما ذكر في هذا الحديث من الصعقة فهي قبل البعث عند نفخة الفزع فاما في البعث فلا تقدم لاحد فيه على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واختصاص موسى عليه الصلاة والسلام بهذه الفضيلة لا توجب له تقدما على من تقدمه بسوابق جمة وفضائل كثيرة والله المأمول ان يعرفنا حقوقهم ويحيينا على محبتهم ويميتنا على سنتهم ويحشرنا في زمرتهم (متفق عليه وفي رواية لا تفضلوا) بالضاد المعجمة المكسورة على ما في أكثر النسخ أي لا توقعوا التفضيل (بين أنبياء الله) أي وكذا بين رسله على وجه الازراء ببعض فان ذلك يكون سببا لفساد الاعتقاد في بعض وذلك كفر وفي نسخة بالصاد وهو ظاهر أي لا تفرقوا بينهم لقوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغي لعبد أن يقول اني) أي ويعني نفسه أو نفسي (خير من يونس بن متى) أي فضلا عن غيري (متفق عليه وفي رواية البخاري قال من قال أنا خير) أي في النبوة (من يونس بن متى فقد كذب) لان الانبياء كلهم متساوون في مرتبة النبوة وانما التفاضل باعتبار الدرجات وخص

فأفاق قبلي أو كان فيمن استثنى الله وفي رواية فلا أدري أحوسب بصعقة يوم الطور أو بعث قبلي ولا أقول ان أحدا أفضل من يونس بن متى وفي رواية أبي سعيد قال لا تخيروا بين الانبياء متفق عليه وفي رواية أبي هريرة لا تفضلوا بين أنبياء الله تعالى وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد ان يقول اني خير من يونس بن متى متفق عليه وفي رواية البخاري قال من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب

يونس بالذكر لان الله تعالى وصفه باوصاف توهم انحطاط رتبته حيث قال فظن ان لن نقدر عليه اذ ابق الى الفلك المشحون فلفظ انا واقع موقعه و يكون راجعا الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم و يحتمل ان يكون المراد به نفس القائل فحينئذ كذب بمعنى كفر كنى به عن الكفر لان هذا الكذب مساو للكفر قال النووي رحمه الله قيل ضمير المتكلم يعود الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل يعود الى كل قائل أي لا يقوله بعض الجاهلين من المجتهدين في العبادة أو العلم أو غيرذلك من الفضائل فانه لو بلغ ما بلغ الا انه لم يبلغ درجة النبوة و يؤيده الرواية الاولى ما ينبغي لعبد ان يقول اني خير من يونس بن متى أقول في تاييدها نظر لتحقق الاحتمالين فيه أيضا بل المعنى الثاني أظهر منها حيث قال ما ينبغي لعبد بطريق العموم المشير الى انه حديث قدسي على ماذكره السيوطي في الجامع من رواية مسلم عن أبي هريرة قال الله تعالى لا ينبغي لعبد ان يقول أنا خير من يونس بن متى قال الخطابي وانما خص يونس بالذكر لان الله تعالى لم يذكره في جملة أولى العزم من الرسل وقال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم فقصر به عن مراتب أولى العزم والصبر من الرسل يقول صلى الله تعالى عليه وسلم اذا لم آذن لكم ان تفضلوني على يونس ابن متى فلا يجوز لكم ان تفضلوني على غيره من ذوي العزم من أجلة الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهذا منه عليه الصلاة والسلام على سبيل التواضع والهضم من النفس وليس ذلك بمخالف لقوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر لانه لم يقل ذلك مفتخرا ولا متطاولا به على الخلق وانما قال ذلك ذكرا للنعمة ومعرفا بالمنة وأراد بالسيادة ما يكرم به في القيامة من الشفاعة والله تعالى أعلم (وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر) بفتح فكسر وفي نسخة بكسر فسكون قال النووي رحمه الله جمهور العلماء على انه حي موجود بين أظهرنا سيما عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والاخذ عنه وسؤاله وجوابه وحضوره في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصى وصرح الشيخ أبو عمرو بن الصلاح بذلك وشذ من أنكره من المحققين قال الحبري المفسر وأبو عمرو هو نبي واختلفوا في كونه مرسلا وقال القشيري وكثيرون هو ولي واحتج من قال بنبوته بقوله ما فعلته عن أمري فدل على انه أوحى اليه و بانه أعلم من موسى عليه الصلاة والسلام و يبعد أن يكون الولي أعلم من النبي وأجاب الآخرون بانه يجوز أن يكون قد ألقى اليه بطريق الالهام كما ألقى الى أم موسى في قوله تعالى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى ان اقذفيه قلت فيه ان الوحي الى أم موسى فيما يتعلق بتدبير خلاص الطفل حالة الاضطرار في أمره وأما حمل أمر الغلام على الالهام الى الولي غير صحيح اذ لا يصح لاحد من الاولياء أن يقتل نفسا زاكية بغير نفس اعتمادا على الوحي الالهامي بانه طبع كافرا وقد قال الثعلبي المفسر الخضر نبي معمر محجوب عن أكثر الابصار قال وقيل انه لا يموت الا في آخر الزمان حين يرفع القرآن قلت وقد تقدم أنه يقتله الدجال ثم ذكر أقوالا انه من زمن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أم بعده بقليل أو كثير قلت و يروى انه من أولاد آدم والله تعالى أعلم وفي الجامع الصغير روى الحرث عن أنس الخضر في البحر والياس في البر يجتمعان كل ليلة عند الردم الذي بناه ذو القرنين بين الناس و بين يأجوج ومأجوج و يحجان و يعتمران كل عام و يشربان من زمزم شربة تكفيهما الى قابل وفي الفتاوى الحديثية روى ابن عدي في الكامل ان الياس والخضر عليهما الصلاة والسلام يلتقيان في كل عام بالموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه و يفترقان عن هؤلاء الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله ثم قوله (طبع كافرا) أي خلق الغلام على انه يختار الكفر فلا ينافي خبر كل مولود يولد على الفطرة اذ المراد بالفطرة استعداد قبول الاسلام وهو لا ينافي كونه شقيا في جبلته وقد روى ابن عدي في الكامل والطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعا خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنا وخلق فرعون في بطن أمه كافرا وفي الحديث

وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا

المشهور أن بعد نفخ الروح في كل مولود يكتب شقي أو سعيد وعلى طبقه يوم أي لا تكام تلس الا بإذنه فمنهم شقي وسعيد وقد قال تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم قال القاضي عياض رحمه الله في هذا حجة بينة لاهل السنة وصحة مذهبهم في أن العبد لا قدرة له على الفعل الا بارادة الله وتيسيره له خلافا للمعتزلة القائلين بأن للعبد فعلا من قبل نفسه وقدرة على الهدى والضلال وفيه ان الذين قضى لهم بالنار طبع على قلوبهم وختم عليها وجعل من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا أو حجابا مستورا وجعل في آذانهم وقرا وفي قلوبهم مرضا لتتم سابقته وتمضي كلمته لا راد لحكمه ولا معقب لامره وقضائه وقد يحتج بهذا الحديث من يقول ان أطفال الكفار في النار قلت الاولى التفصيل بأن من طبع منهم كافرا يكون في النار ومن ولد على الفطرة فهو في الجنة وبه يحصل الجمع بين أقوال الائمة ويقارب القول بالتوقف الذي اختاره امامنا الاعظم والله تعالى أعلم ويدل عليه قوله (ولو عاش) أي ذلك الغلام بأن أدرك الكبر (لارهق أبويه) أي لكلفهما (طغيانا وكفرا) أي جعل سببا لاضلالهما فالحاصل ان علة قتله مركبة من كونه طبع كافرا وانه لو فرض انه عاش لكان مضلا فاجرا قال النووي لما كان أبواه مؤمنين يكون هو مؤمنا قلت فكيف يجوز قتل المؤمن قال فيجب تأويله بأن معناه والله سبحانه أعلم ان ذلك الغلام لو بلغ لكان كافرا ولو عاش لارهق أبويه أي غشيهما طغيانا وكفرا أي طغيانا عليهما وكفر النعمة عليهما بعقوقه أو معناه حملهما أن يتبعاه فيطغيا قال ابن الملك فان قلت خوف كفر احد في المآل لا يبيح قتله في الحال فكيف قتله الخضر من خوف كفره قلت يجوز أن يكون ذلك في شرعهم قلت تقرير الله تعالى وتقرير موسى صريح في ذلك بل يدل على جواز مثل ذلك في شرعنا لو علم قطعا انه طبع كافرا كما قرره صاحب الشرع في هذا الحديث فبطل كون الغلام مؤمنا حينئذ اذ لا يجوز قتل المؤمن من غير جرم اجماعا في جميع الاديان قال أو نقول هذا علم لدني وله مشرب آخر غير المعهود في الظاهر ولا تشتغل بكيفيته قلت لا مخالفة بين الشريعة والحقيقة في أحكام الطريقة ومن فرق بينهما ممن لم يصل الى مرتبة الجمع نسب الى الزندقة ثم ان الامر لا يخلو من أحد شيئين فان الخضر ان كان من أهل النبوة فلابد أن يكون عمله على وفق الشريعة وان كان من أهل الولاية فليس له أن يعتمد على علمه اللدني والهامه الغيبي في مثل هذه القضية العظمى والبلية الكبرى ثم في الحديث بيان الحكمة في قتل الخضر وكأنه خرج موضع الاعتذار عنه نصريحا بخلاف ما في الآية من الاشارة الى ذلك تلويحا (متفق عليه وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال انما سمي الخضر) أي خضرا وفي نسخة بنصبه أي انما سمي الرجل المشهور بالخضر (لانه جلس على فروة بيضاء) في النهاية الفروة الارض اليابسة وقيل الهشيم اليابس من النبات قلت ومعناهما واحد ومؤداهما متحد واختار شارح القول الثاني فقال المراد بالفروة الهشيم اليابس شبهه بالفرو وقيل الارض اليابسة وقيل جلدة وجه الارض وقيل قطعة نبات مجتمعة يابسة قلت هذا هو الاظهر وقال الطيبي رحمه الله ولعل الثاني من قولي صاحب النهاية أنسب لان قوله (فاذا هي تهتز من خلفه خضرا) اما تمييز او حال وكأنه نظر الخضر عليه الصلاة والسلام الى مجلسه ذلك فاذا هي تحرك من جهة الخضرة والنضارة انتهى ولعله قال من خلفه مع أن النمو والاهتزاز انما كان في موضع الجلوس من تحته للاشعار بأن الخضرة زادت عن المجلس الى انتهاء الفروة البيضاء ثم قال شارح قوله خضرا بفتح فكسر مع التنوين أي نباتا أخضر ناعما وروي على زنة صفراء قلت وهو كذلك في أكثر النسخ المضبوطة المعتمدة لكن لا يخفى ان النسخة الاولى لمناسبة وجه التسمية أولى للجمع بين المبنى والمعنى (رواه البخاري) وأسنده السيوطي بهذا اللفظ بعينه في الجامع الصغير الى أحمد والشيخين والترمذي عن أبي هريرة والطبراني عن ابن عباس والله تعالى أعلم (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاء ملك الموت) أي في صورة بشر (الى موسى بن عمران فقال له) أي لموسى عليه الصلاة والسلام (أجب ربك) أي بقبول الموت والمعنى اني جئتك لاقبض روحك (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

ولو عاش لارهق أبويه طغيانا وكفرا متفق عليه وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز من خلفه خضراء رواه البخاري وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى بن عمران فقال له أجب ربك قال

(فلطم

(فلطم موسى عين ملك الموت) أي ضربها بباطن كفه (ففقأها) بفاء فقاف فهمزة مفتوحات أي فشقها وقلعها وأعماها قيل الملائكة يتصورون بصورة الانسان وتلك الصورة بالنسبة اليهم كالملابس بالنسبة الى الانسان واللطمة انما أثرت في العين الصورية لا في العين الملكية فانها غير متأثرة باللطمة وغيرها قال شارح وانما لطمها موسى لاقدامه على قبض روحه قبل التخيير والانبياء كانوا يخيرون عند الله آخر الامر بين الحياة والوفاة وسيأتي زيادة تحقيق لذلك (قال فرجع الملك الى الله فقال انك أرسلتني الى عبد لك لا يريد الموت فقد فقأ عيني قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدي) قال الطيبي رحمه الله فان قلت أي فرق بين قول الملك عبد لك على التنكير وبين قول الله عبدي قلت دل قول الملك على نوع طعن فيه حيث نكره وبينه بقوله لا يريد الموت وقوله سبحانه دل على تفخيم شأنه وتعظيم مكانه حيث أضافه الى نفسه رداً عليه (فقل الحياة) بالنصب على انه مفعول قوله (تريد) على تقدير الاستفهام قبل الفعل أو المفعول ويمكن ان يقرأ آلحياة بهمزة ممدودة كما في قوله تعالى قل آلذكرين حرم أم الانثيين فالتقدير آلحياة تريد أم الموت ثم فصله بقوله (فان كنت تريد الحياة) أي الطويلة اذ المؤبدة غير متصورة في الدنيا لقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت (فضع يدك) أي واحدة أو اثنتين (على متن ثور) أي على ظهر بقرة (فما توارت) وفي نسخة فما وارت (يدك) بالرفع وفي نسخة بالنصب وقوله (من شعره) بيان لما وفي نسخة من شعره بالضمير أي من شعر متن الثور (فانك تعيش بها) أي بكل شعرة متوارية (سنة) واعلم انه يقال واراه الشيء أي ستره وتوارى أي استتر ومنه قوله تعالى يتوارى من القوم فقال شارح قوله فما توارت غلط وقع من بعض الرواة في كتاب مسلم وفي كتاب البخاري فله بما غطت يده بكل شعرة سنة وقال القاضي قوله فما توارت يدك هكذا مذكور في صحيح مسلم ولعل الظاهر فما وارت يدك بالرفع واخطأ بعض الرواة ويدل عليه ما رواه البخاري في صحيحه فله بما غطت يده بكل شعرة سنة ويحتمل ان يكون يدك منصوباً بنزع الخافض وفي توارت ضمير رفع وانثه لكونه مفسراً بالشعرة قال الطيبي قوله من شعرة بيان ما والضمير فيه راجع الى متن ثور وما وارت يده قطعة منه وانثه باعتبار القطعة أي القطعة التي توارت بيدك أو تحت يدك انتهى وقيل التاء الاولى زائدة لان معناه وارت أي غطت ذكره الاكمل (قال) أي موسى (ثم مه) بفتح الميم وسكون الهاء وأصله ما حذفت ألفه ووقف عليه بالهاء لتعذر بين الحركة والسكون قال النووي هي هاء السكت وما استفهامية أي ثم ماذا يكون أحياة أم موت (قال ثم تموت قال فالآن من قريب) أي فأختار الموت في هذه الحالة (رب أدنني) أمر من الادناء أي قربني (من الارض المقدسة) ولعله أراد أفضل مواضعها وهو المسمى ببيت المقدس الذي كان فيه قبلة الانبياء والا فالارض المقدسة تطلق على جميع أراضي الشام (رمية بحجر) أي كرمية حجر والمراد السرعة ذكره شارح والظاهر ان المراد ان يكون التقريب بمقدار رمية واحدة بحجر ولذا قال ابن الملك أي بمقدار ذلك أقول ولعله كان في التيه فأراد التقرب الى بيت الرب ولو بمقدار قليل من موضع دعائه أو من محل مطلوبه قال النووي رحمه الله وأما سؤاله الادناء من الارض المقدسة فلشرفها وفضيلة ما فيها من المدفونين من الانبياء وغيرهم من الصالحين قالوا وانما سأل الادناء ولم يسأل نفس بيت المقدس لانه خاف ان يكون قبره مشهوراً عندهم فيفتتن به الناس قلت وهذا بعيد جداً اذ لم يقع التفتن بقبر غيره من الانبياء مع امكان الفتنة في كل مكان بل فيه اشارة الى ان المقبرة ينبغي ان تكون قرب القرية لا داخلها ولعل عمارة بيوت بيت المقدس كانت حينئذ قريبة الى محل تربته عليه الصلاة والسلام وعلى كل ففيه استحباب الموت والدفن في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن أرباب الديانة (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله لو أني عنده) أي عند بيت المقدس وأبعد شارح حيث قال لو أني عند موسى (لأريتكم قبره الى جنب الطريق) أي طريق الجادة من بيت المقدس الى حواليه (عند الكثيب الاحمر) أي التل المستطيل المجتمع

فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع الملك الى الله تعالى فقال انك أرسلتني الى عبد لك لا يريد الموت فقد فقأ عيني قال فرد الله اليه عينه وقال ارجع الى عبدي فقل الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما توارت يدك من شعره فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالآن من قريب رب ادنني من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو اني عنده لأريتكم قبره الى جنب الطريق عند الكثيب الاحمر

من الرمل (متفق عليه) قال المازري وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث قالوا كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت وأجابوا عن هذا بأجوبة أحدها أنه لا يمتنع أن يكون موسى عليه الصلاة والسلام قد أذن الله له في هذه اللطمة وأن يكون ذلك امتحانا للملطوم والله سبحانه يفعل في خلقه ما يشاء ويمتحنهم بما يريد قلت ولا يخفى أنه بعيد والثاني أن هذا على المجاز والمراد أن موسى ناظره وحاجه فغلبه بالحجة يقال فقأ فلان عين فلان إذا غلبه بالحجة قال وفي هذا ضعف لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فرد الله عليه عينه فإن قيل أراد رد حجته كان بعيدا والثالث أن موسى لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده يريد نفسه فدفعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه وما قصدها بالفقء وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره القاضي عياض قالوا وأتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم له بخلاف المرة الأولى قال ابن الملك في شرح المشارق فإن قيل كيف صدر من موسى هذا الفعل أجيب بأنه متشابه يفوض علمه إلى الله تعالى وبأن موسى لم يعرف أنه ملك الموت وظن أنه رجل قصد نفسه فدفعه عنها فأدت مدافعته إلى فقء عينه وهذا اختيار المازري والقاضي عياض وأنكر الشيخ الشارح يعني الأكمل بأن هذا غير صحيح لأن الرجل الداخل لم يقصده بالمحاربة حتى يدفعه عنه بل دعاه إلى الموت وبمجرد هذا القول لا يصدر عن مؤمن صالح مثل هذا الفعل فما ظنك بموسى عليه الصلاة والسلام وأقول إن موسى عليه السلام كان في طبعه حدة حتى روي أنه عليه الصلاة والسلام إذا غضب اشتعلت قلنسوته فإذا هجم عليه رجل فدعاه إلى الهلاك عرف أنه لا يكون إلا بالحرب فدفعه قبل قصده وهذا يحتمل أن يكون جائزا في شرعه أو لأن موسى عليه الصلاة والسلام زعم أنه كاذب حين ادعى قبض روحه لزعمه أن بشرا لا يقبض الروح فغضب عليه ولطمه وكان هذا الغضب لله وفي الله فلم يكن مذموما ولهذا لم يعاتب الله موسى عليه السلام حين أخذ رأس هرون ولحيته وكان يجره مع أن هارون أكبر منه سنا وأجل قدرا عند علماء الأمة وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم حق كبير الإخوة عليهم كحق الوالد على ولده قلت هذا وجه حسن إلا أن قوله لزعمه غير مستحسن قال وما اختاره الشيخ الشارح في الجواب أن موسى عليه الصلاة والسلام يحتمل أن يكون مأذونا في حق اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم فلا يخفى بعده وفي شرح السنة يجب على المسلم الإيمان به على ما جاء به من غير أن يعتبره بما جرى عليه عرف البشر فيقع في الارتياب لأنه أمر مصدره قدرة الله تعالى وحكمه وهو مجادلة جرت بين ملك كريم ونبي كليم كل واحد منهما مخصوص بصفة يخرج بها عن حكم عوام البشر ومجاري عاداتهم في المعنى الذي خص به فلا يعتبر حالهما بحال غيرهما وقد اصطفى الله تعالى موسى بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فلما دنت وفاته وهو بشر يكره الموت طبعا لطف الله تعالى به بأن لم يفاجئه بغتة ولم يأمر الملك الموكل به بأن يأخذه قهرا بل أرسله على سبيل الامتحان في صورة بشر فلما رآه موسى عليه الصلاة والسلام استنكر شأنه واستوعر مكانه احتجز منه دفعا عن نفسه بما كان من صكه إياه فأتى ذلك على عينه التي ركبت في الصورة البشرية وقد كان في طبع موسى عليه السلام حدة على ما قص الله علينا من أمره في كتابه من وكزه القبطي وإلقائه الألواح وأخذه برأس أخيه يجره إليه هذا وقد جرت سنة الدين بدفع كل قاصد سوء وقد ذكر الخطابي هذا المعنى في كتابه ردا على من طعن في هذا الحديث وأمثاله من أهل البدع الملحدين أبادهم الله تعالى (وعن جابر أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال عرض علي) بصيغة المجهول أي أظهر لدي (الأنبياء) وهم أعم من الرسل وهو إما في المسجد الأقصى في ليلة الإسراء أو في السموات العلى كما يدل عليه الحديث الذي يليه والمعنى عرض أرواحهم متشكلين بصور كانوا عليها في الدنيا كذا ذكره ابن الملك تبعا لشارح من علمائنا وهو الظاهر وقال القاضي لعل أرواحهم مثلت له بهذه الصور ولعل صورهم كانت كذلك أو صور أبدانهم كوشفت له في نوم أو يقظة (فإذا موسى ضرب) أي نوع (من الرجال) وقيل أي خفيف اللحم (كأنه من رجال شنوءة) بفتح الشين المعجمة وضم النون فواو ساكنة فهمزة

متفق عليه وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي الأنبياء فإذا موسى ضرب من الرجال كأنه من رجال شنوءة

وهاء ويجوز ابدال الهمزة واوا وادغامها وقد قال ابن السكيت أزدشنوءة بالتشديد غير مهموز وهي قبيلة معروفة والمعنى انه يشبه واحدا من هذه القبيلة قال شارح والشنوءة التباعد من الادناس على ماذكره الجوهري ومنهم أزدشنوءة وهم حي من اليمن ولعلهم لقبوا بذلك لطهارة نسبهم ونظافة حسبهم وحسن سيرتهم وأدبهم (ورأيت عيسى بن مريم فاذا هو أقرب من رأيت به شبها) بفتحتين أي نظيرا (عروة بن مسعود) قيل هو أخو عبد الله بن مسعود وليس بصحيح (ورأيت ابراهيم فاذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم يعني نفسه) أي يريد صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله صاحبكم نفس ذاته لما ظهر له في مرآته ولما كان جبريل ملازما للانبياء لكونه من لوازم الانبياء ذكره في معرض الانبياء (فقال ورأيت جبريل فاذا أقرب من رأيت به شبها دحية بن خليفة) بكسر الدال وقد يفتح وهو من الصحابة وكان من أجمل الناس صورة (رواه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي) بالاضافة وفي نسخة بالتنوين أي أبصرت في ليلة أسري بي فيها (موسى رجلا) أي حال كونه على صورة رجل (آدم) أي أسمر شديد السمرة على ما في النهاية (طوالا) بضم الطاء وتخفيف الواو أي طويلا كعجاب مبالغة عجيب وأما بكسر الطاء فهو جمع طويل (جعدا) هو ضد السبط فمعناه غير مسترسل الشعر ولعل انقباض شعره مما يشعر على حدة باطنه من غير شعوره (كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق) أي متوسطا لا طويلا ولا قصيرا ولا سمينا ولا هزيلا وفيه ايماء الى اعتدال مزاجه أيضا وقوله (الى الحمرة والبياض) حال أي مائلا لونه اليهما فلم يكن شديد الحمرة والبياض بل كان بينهما من البياض المشوب بالحمرة كما كان نعت نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ما في الشمائل في الوصفين السابقين (سبط الرأس) بكسر الباء وفتحها أيضا وقد تسكن ففي القاموس السبط ويحرك وككتف نقيض الجعد والمعنى مسترسل شعر الرأس فهذا يدل على انه غلب عليه صفة الجمال كما انه غلب على موسى نعت الجلال ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لما كان في مرتبة الكمال كان شعره أيضا في السبوطة والجعودة في غاية من الاعتدال (ورأيت مالكا خازن النار والدجال) أي ورأيت الدجال (في آيات) اي مع علامات (أراهن الله اياه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يعني رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الدجال مع آيات أخر أراهن الله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما حكاها وقوله في آيات أراهن الله اياه من كلام الراوي أدرجه في الحديث دفعا لاستبعاد السامعين واماطة لما عسى ان يختلج في صدورهم ولو كان من قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لقال أراهن الله اياي كذا ذكره شارح والظاهر ان يكون الضمير راجعا الى الدجال والمراد بالآيات خوارق العادات التي قدرها الله سبحانه استدراجا للدجال وابتلاء للعباد على ما تقدم والله تعالى أعلم قال الطيبي رحمه الله قوله في آيات أي رأيت المذكور في جملة آيات ولعله أراد بها الآيات المذكورة في قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى فعلى هذا في الكلام التفات حيث وضع اياه موضع اياي أو الراوي نقل معنى ما تلفظ به والظاهر ان قوله (فلا تكن في مرية من لقائه) متعلق باول الكلام وهو حديث موسى عليه السلام تلميحا الى ما في التنزيل من قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه الكشاف قيل من لقائك موسى عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء فيكون ذكر عيسى وما يتبعه من الآيات على سبيل التبعية والادماج أي لا تكن يا محمد في رؤية ما رأيت من الآيات في شك فعلى هذا الخطاب في قوله فلا تكن لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والكلام كله متصل ليس فيه تغيير من الراوي الا لفظ اياه ويشهد له قول الشيخ محيي الدين رحمه الله في شرح هذا الحديث كان قتادة يفسرها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد لاقى موسى عليه الصلاة والسلام ووافقه عليه جماعة منهم مجاهد والكلبي والسدي ومعناه فلا تكن في شك من لقائك موسى والشارحون ذهبوا الى ان قوله في آيات أراهن الله من كلام الراوي الحقه بالحديث دفعا لاستبعاد السامعين واماطة لما عسى يختلج في صدورهم وقال المظهر الخطاب في فلا تكن

ورأيت عيسى بن مريم فاذا أقرب من رأيت به شبها عروة بن مسعود ورأيت ابراهيم فاذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم يعني نفسه ورأيت جبريل فاذا أقرب من رأيت به شبها دحية بن خليفة رواه مسلم وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي موسى رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات أراهن الله اياه فلا تكن في مرية من لقائه

خطاب عام لمن سمع هذا الحديث الى يوم القيامة والضمير في لقائه عائد الى الدجال أي اذا كان خروجه موجودا فلا تكن في شك من لقائه وقال غيره الضمير راجع الى ماذكر أي فلا تكن في شك من رؤية ما ذكر من الآيات الى يوم القيامة (متفق عليه) وذكر السيوطي الحديث في الجامع الصغير الى قوله الدجال وقال رواه أحمد والشيخان (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة أسري بي) ظرف مقدم لقوله (لقيت موسى فنعته) أي فوصف موسى فقال في حقه (فاذا) أي هو (رجل مضطرب) قال القاضي وغيره من الشراح يريد به انه كان مستقيم القد حادا فان الحاد يكون قلقا متحركا كان فيه اضطرابا ولذلك يقال رمح مضطرب اذا كان طويلا مستقيما وقيل معناه انه كان مضطربا من خشية الله تعالى وهذه صفة النبيين والصديقين كما روي انه عليه الصلاة والسلام كان يصلي ولقلبه أزيز كأزيز المرجل (رجل الشعر) بكسر الجيم ويسكن ويفتح ففي القاموس شعر رجل وككتف وجبل بين السبوطة والجعودة وفي النهاية أي لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما قلت الظاهر ان تكون جعودته غالبة على سبوطته لئلا ينافي ماسبق من كون موسى عليه الصلاة والسلام جعدا (كأنه من رجال شنوءة) سبق بيانه (ولقيت عيسى ربعة) بتسكين الموحدة ويجوز فتحه على ماذكره العسقلاني أي مربوع الخلق وفي النهاية أي لا طويل ولا قصير والتأنيث على تأويل النفس (أحمر) أي شديد الحمرة (كأنه خرج من ديماس) بكسر الدال وتفتح على ما في القاموس الكن والسرب والحمام قال الجوهري فان فتحت الدال جمعت على ديامس مثل شيطان وشياطين وان كسرتها جمعت على دماميس كقيراط وقراريط ثم لما كان الديماس له معان قال الراوي (يعني) أي يريد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به (الحمام) قال العسقلاني هذا في تفسير عبد الرزاق والمراد وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه كأنه خرج من حمام وهو عرق (ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده) أي أولاده من نسل ولده اسمعيل أو مطلقا (به) أي بابراهيم صورة ومعنى فالمشابهة الصورية عنوان للمناسبة المعنوية مع ان الولد سر أبيه في مبانيه ومعانيه (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فأتيت باناءين) أي أحضرتهما (أحدهما لبن) قال التوربشتي رحمه الله العالم القدسي يصاغ فيه الصور من العالم الحسي لتدرك بها المعاني فلما كان اللبن في عالم الحس من أول ما يحصل به التربية ويرتضع به المولود صيغ عنه مثال الفطرة التي تتم بها القوة الروحانية وتنشأ عنها الخاصية الانسانية وقال بعضهم ولم يقل فيه لبن كأنه جعله لبنا كله تغليبا للبن على الاناء لكثرته وتكثيرا لما اختاره ولما كان الخمر منهيا عنه قلله فقال (والآخر فيه خمر) أي خمر قليل (فقيل لي خذ أيهما شئت) أي أي الاناءين أو أي المشروبين أردته واشتهيته (فأخذت اللبن فشربته) أي لما يدل الامر بالاخذ على جواز الشرب لانه المقصود منه وانما عرض عليه كلاهما اظهارا على الملائكة فضله باختياره الصواب (فقيل لي هديت الفطرة) بصيغة الخطاب مجهولا أي فقالت الملائكة هداك الله الى الفطرة وهو يحتمل الاخبار والدعاء والاول أظهر لما سيأتي في آخر الحديث والمعنى انك هديت الفطرة الكاملة الشاملة لاتباعك المائلة العادلة قال القاضي رحمه الله المراد بها الفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها فان منها الاعراض عما فيه غائلة وفساد كالخمر المخل بالعقل الداعي الى الخير الوازع عن الشر المؤدي الى صلاح الدارين وخير المنزلين والميل الى ما فيه نفع خال عن مضرة دنيوية ومعرة دينية كشرب اللبن فانه من أصلح الاغذية وأول ما حصل به التربية وقال ابن الملك وفي هذا القول له عند أخذ اللبن لطف ومناسبة فان اللبن لما كان في العالم الحسي ذا خلوص وبياض وأول ما يحصل به تربية المولود صيغ منه في العالم القدسي مثال الهداية والفطرة التي يتم بها القوة الروحانية بخلاف الخمر فانها لكونها ذات مفسدة صيغ منها أمثال الغواية وما يفسد القوة الروحانية والهداية قيل له أيضا (أما) بالتخفيف للتنبيه (انك لو أخذت الخمر) أي شربت أو ما شربت والمعنى لو ملت اليها أدنى الميل (غوت) أي ضلت (أمتك) أي نوعا من الغواية المترتبة على شربها بناء على انه لو شربها الآخذ لاقتدى

شربها

متفق عليه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري بي لقيت موسى فنعته فاذا رجل مضطرب رجل الشعر كأنه من رجال شنوءة ولقيت عيسى ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس يعني الحمام ورأيت ابراهيم وأنا أشبه ولده به قال فأتيت باناءين أحدهما لبن والآخر فيه خمر فقيل لي خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقيل لي هديت الفطرة أما انك لو أخذت الخمر غوت أمتك

شربهم فوقعوا في ضررها وشرها ولما كان هو معصوما لم يقل له غويت على ما تقتضيه المقابلة وفيه ايماء الى أن استقامة المقتدى من النبي والعالم والسلطان ونحوهم سبب لاستقامة أتباعهم لانهم بمنزلة القلب للاعضاء (متفق عليه وعن ابن عباس قال سرنا) من السير أي سافرنا (مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين مكة والمدينة) يحتمل من مكة الى المدينة وبالعكس (فمررنا بواد فقال أي واد هذا فقالوا وادي الازرق) وهو موضع بين الحرمين سمي به لزرقته وقيل منسوب الى رجل بعينه (فقال كأني انظر الى موسى فذكر من لونه وشعره شيأ) أي بعضا من أوصافهما وهو ان لونه أسمر وشعره جعد على ما سبق (واضعا) أي حال كون موسى واضعا (اصبعيه في أذنيه) بضم الذال ويسكن والتثنية فيهما على طريق اللف والنشر (له) أي لموسى (جؤار) بضم جيم فهمز وقد يبدل أي تضرع (الى الله بالتلبية) ذكره شارح وقال الطيبي رحمه الله رفع صوت بها ولا منع من الجمع (مارا بهذا الوادي) قال الطيبي رحمه الله واضعا ومارا حالان مترادفان أو متداخلان من موسى عليه الصلاة والسلام وقد تخلل بينهما كلام الراوي يعني الراوي عن حاله وهو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) أي ابن عباس (ثم سرنا) أي ذهبنا (حتى أتينا على ثنية) بفتح مثلثة وكسر نون وتشديد تحتية أي عقبة وهي طريق عال في الجبل أو بين الجبلين (فقال أي ثنية هذه قالوا هرشى) بهاء وراء فشين معجمة فألف مقصورة تكتب بالياء كسكرى على طريق الشام والمدينة قرب الجحفة (أو لفت) بكسر اللام وسكون الفاء على ما في أكثر النسخ وقال الطيبي رحمه الله يروى فيه كسر اللام واسكان الفاء وفتحهما معه وفتحهما وقال شارح هرشى ثنية بقرب الجحفة يقال لها أيضا لفت والشك للراوي أقول ويمكن أن يكون أو للتنويع على أن بعضهم قال هرشى وبعضهم لفت ولا خلاف في الحقيقة (فقال كأني أنظر الى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف) أي للتواضع واختيار الزهد وهذا ما أخذ الصوفية ومن تبعهم من العلماء كالكسائي ولعله لبسها على غير هيئة المعتاد أو كان جائزا في شرعه للمحرم لبس الجبة ونحوها مطلقا والله تعالى أعلم (خطام ناقته) أي زمامها وزنا ومعنى وهو الحبل الذي يقاد به البعير يجعل على خطمه أي مقدم أنفه وفمه (خلبة) بضم الخاء المعجمة وسكون اللام وبضمها موحدة فهاء لبف نخل (مارا بهذا الوادي ملبيا) حالان من يونس كما تقدم وفيه اشعار بان الحج من شعائر الله ومن شعائر أنبيائه أحياء وأمواتا فيفيد الترغيب في قصد الحج وما يتعلق به من التلبية الدالة على التوحيد والهيئة الاحرامية المشعرة الى التجريد والتفريد والله سبحانه وتعالى أعلم قال النووي رحمه الله فان قيل كيف يحجون ويلبون وهم أموات والدار الآخرة ليست بدار عمل الجواب من وجوه أحدها انهم كالشهداء بل أفضل والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا ويتقربوا الى الله تعالى بما استطاعوا لانهم وان كانوا قد توفوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى اذا فنيت مدتها وتعقبتها الآخرة التي هي دار الجزاء انقطع العمل وثانيها أن التلبية دعاء من عمل الآخرة قال تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وثالثها أن تكون هذه رؤية منام في غير ليلة الاسراء كما قال في رواية ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة وذكر الحديث في قصة عيسى قلت ورؤيا الانبياء حق وصدق قال ورابعها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرى حالهم التي كانت في حياتهم ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا كيف حجهم وتلبيتهم كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم كأني أنظر الى موسى قلت الظاهر ان المراد بقوله هذا استحضار تلك الحالة الماضية عند الحالة الراهنة للاشارة الى غاية تحققها ونهاية صدقها قال وخامسها أن يكون أخبر عما أوحي اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من أمرهم وما كان منهم وان لم يرهم رؤية عين قلت يرده قوله كأني أنظر اليهما قال وهذا آخر كلام القاضي عياض وفي الحديث دليل على استحباب وضع الاصبع في الاذن عند رفع الصوت بالاذان ونحوه وهذا الاستنباط والاستحباب يجيء على مذهب من يقول من أصحابنا وغيرهم ان شرع من قبلنا شرع لنا قلت هذا

متفق عليه وعن ابن عباس قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فمررنا بواد فقال أي واد هذا فقالوا وادي الازرق قال كأني أنظر الى موسى فذكر من لونه وشعره شيأ واضعا اصبعيه في أذنيه له جؤار الى الله بالتلبية مارا بهذا الوادي قال ثم سرنا حتى أتينا على ثنية فقال أي ثنية هذه قالوا هرشى أو لفت فقال كأني أنظر الى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف خطام ناقته خلبة مارا بهذا الوادي ملبيا

الاستنباط الحاية لوقيل باستحباب وضع الاصبعين فى الاذنين وقت التلبية لولا اظن ان احدا قال بهذا واما وضع الاصبع فى الاذن حال الاذان فله دليل مستقل ذكر فى بابه (رواه مسلم وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال خفف) أى سهل ويسر (على داود القرآن) أى قراءة الزبور وحفظه (فكان يأمر بدوابه) أى لركوبه وركوب أصحابه (فتسرج) أى الدواب أو فيشرع فى سرجها (فيقرأ القرآن) أى المقروء وهو الزبور (قبل أن تسرج دوابه) وفى النهاية الاصل فى هذه اللفظة يعنى القرآن الجمع وكل شئ جمعته فقد قرأته وسمى القرآن قرآنا لانه جمع القصص والامر والنهى والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها مع بعض وهو مصدر كالغفران والكفران وقد يطلق على القراءة نفسها يقال قرأ قراءة وقرآنا فاتت ومنه قوله تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال التوربشتى رحمه الله يريد بالقرآن الزبور وانما قال له القرآن لان قصد اعجازه من طريق القراءة وقد دل الحديث على ان الله تعالى يطوى الزمان لمن يشاء من عباده كما يطوى المكان لهم وهذا باب لا سبيل الى ادراكه الا بالفيض الربانى قلت حاصله انه من خرق العادة على اختلاف فى أنه بسط الزمان أو طى للسان والاول أظهر وقد حصل لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى ليلة الاسراء هذا المعنى على الوجه الاكمل فى المبنى من الجمع بين طى المكان وبسط الزمان بحسب السمع والسان فى قليل من الآن ولاتباعه أيضا وقع حظ من هذا الشان على ما حكى ان عليا كرم الله تعالى وجهه كان يبتدئ القرآن من ابتداء تصدر كوبه مع تحقق المبانى وتفهم المعانى ويختمه حين وضع قدمه فى ركابه الثانى وقد نقل مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامى قدس الله سره السامى فى كتابه نفحات الانس فى حضرات القدس عن بعض المشايخ انه قرأ القرآن من حين استلم الحجر الاسود والركن الاسعد الى حين وصول محاذاة باب الكعبة الشريفة والقبلة المنيفة وقد سمعه ابن الشيخ شهاب الدين السهروردى منه كلمة كلمة وحرفا حرفا من أوله الى آخره قدس الله أسرارهم ونفعنا ببركة أنوارهم (ولا يأكل) أى كان لا يتعيش داود عليه الصلاة والسلام (الا من عمل يديه) كما قال تعالى وألنا له الحديد ان اعمل سابغات أى دروعا واسعات وفى ايراد يديه بصيغة التثنية ايماء الى ان عمله كان محتاجا الى مباشرة العضوين فيكون أجره مرتين فرواية الجامع بيده على صيغة الافراد يراد بها الجنس وقد روى أبو عبيد مرفوعا على ما رواه ابن لال أفضل الاعمال الكسب من الحلال (رواه البخارى) وكذا أحمد (وعنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال كانت امرأتان معهما ابنان) أى لكل واحدة منهما ابن (جاء الذئب) استئناف بيان (فذهب بابن احداهما فقالت صاحبتها) أى رفيقة احداهما التى ذهب بابنها (انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك) ولعل الولدين كانا شبيهين أو كانت احداهما كاذبة لكنها تريد ان تستأنس بالموجود بدلا عن المفقود أو لاغراض أخر فاسدة وأفكار كاسدة (فتحاكمتا) أى فرفعتا الحكومة (الى داود فقضى به) أى حكم بالولد (للكبرى) اما لكونه فى يدها على مقتضى القاعدة الشرعية ان صاحبة اليد أولى أو لانه أشبهها على اعتبار علم القيافة كما قال به الشافعى (فخرجتا على سليمان بن داود) أى مارتين عليه (فأخبرتاه) أى بما سبق من حالهما وتحقق من مآلهما (فقال) أى لخدمه (ائتونى بالسكين أشقه) بفتح القاف المشددة على جواب الامر وفى نسخة بالرفع أى أنا أقطع الولد نصفين (بينكما) أى مقسومين والمعنى انه على فرض انكما لم تظهرا الى الصدق فى أمره ولعل الاخرى أيضا كانت فى أول الامر متعلقة بالولد متمسكة باليد ومع هذا لم يرد حقيقة التنصيف وانما صور لهما هذا التصوير توسلا الى ما أراده من ظهور امارة التأليف (فقالت الصغرى لا تفعل) أى الشق (يرحمك الله) أى كما أوقعنى فى الرحمة على ولدى (هو ابنها) أى رضيت بانه يكون ابنها وهو حى ولا أرضى بالشق المفضى الى موته (فقضى به للصغرى) أى لوجود قرينة الشفقة والرحمة فيها وتحقق القساوة واليبوسة والغفلة بل دلالة العداوة فى الاخرى قال شارح واعلم ان قضاءهما حق لكونهما مجتهدين ومستند قضائهما فى هذه القضية هى القرينة

رواه مسلم وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج دوابه ولا يأكل الا من عمل يديه رواه البخارى وعنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت صاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال ائتونى بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى

لكن القرينة التي قضى بها سليمان أقوى من حيث الظاهر وقيل يحتمل ان قرائن الاحوال كانت في شرعهم
بمثابة البينة يعني ولو كانت احدا هما ذات اليد والله تعالى أعلم وفي شرح مسلم للنووي رحمه الله قالوا
يحتمل ان داود عليه الصلاة والسلام قضى به للكبرى لشبه رآه فيها أو لكونه كان في يدها وأما سليمان
فتوصل بطريق من الحيلة والملاطفة الى معرفة باطن القضية وانما أراد اختبار شفقتهما ليتميز له الامر
لا القطع حقيقة فلما تميز حكم للصغرى باقرار الكبرى لا بمجرد الشفقة قلت الاقرار لا دلالة للعبارة عليه ولا
طريق للاشارة اليه قال وقال العلماء ومثله ما يفعله الحكام ليتوصلوا به الى حقيقة الصواب قلت وقد حقق
ابن القيم الجوزي هذا البحث في كتاب الفراسة في السياسة قال النووي رحمه الله فان قيل كيف نقض
سليمان حكم أبيه داود عليه الصلاة والسلام فالجواب من وجوه أحدها ان داود لم يكن جزم بالحكم
وثانيها ان يكون ذلك فتوى من داود لا حكما وثالثها لعله كان في شرعهم فسخ الحكم اذا رفعه الخصم الى
حاكم آخر يرى خلافه قلت وفي كل منها نظر ظاهر فالوجه ان القرينة الاقوى كانت عندهما بالاعتبار هو
الاولى واما لو صح اقرار الكبرى بانه للصغرى فلا اشكال بكل حال لان الاقرار بعد الحكم معتبر في شرعنا أيضا كما
اذا اعترف المحكوم عليه بعد الحكم بان الحق لخصمه والله تعالى أعلم (متفق عليه وعنه) أي عن أبي هريرة
(قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن) الطواف هنا كناية عن الجماع والمعنى والله
لادورن (الليلة) أي الآتية (على تسعين امرأة وفي رواية بمائة امرأة) قال الحافظ العسقلاني فيه روايات
ستون وسبعون وتسع وتسعون وتسعون ومائة والجمع ان الستين كن حرائر وما زاد كن سراري أو بالعكس
وأما السبعون فللمبالغة وأما التسعون والمائة فوق التسعين فمن قال تسعون ألغى الكسر ومن قال مائة اتى
بالجبر (كلهن) أي كل واحدة (تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله) وهذه نية حسنة الا انها غير مبنية
على المشيئة (فقال له الملك) أي الموكل على يمينه أو جبريل أو غيرهما أو المراد به ابهامه أو الهامه (قل
ان شاء الله فلم يقل) أي اكتفاء بما في الجنان عن البيان باللسان (ونسي) كعلم وروي بضم النون
وتشديد السين وهو أحسن أي حصل له النسيان بان الجمع بين القلب واللسان أكمل عند أرباب الجمع
وأصحاب العرفان أو أراد انه يقول ونسي (فطاف عليهن فلم تحمل منهن) أي لم تحبل (الا امرأة واحدة
جاءت بشق رجل) أي بنصفه أو بعضه حيث عدل عن شق الصواب وصوب الكمال (وأيم الذي نفس
محمد بيده) تقدم الكلام على أيم لفظا ومعنى وقال التوربشتي رحمه الله هنا الاصل في أيم الله أيمن الله
حذف منه النون وهو اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وألفه ألف وصل عند أكثر النحويين
ولم تجئ في الاسماء ألف الوصل مفتوحة غيرها وتقديره أيمن الله قسمي واذا حذف عنه النون قيل أيم الله
وايم الله بكسر الهمزة أيضا (لو قال ان شاء الله لجاهدوا) أي لوجدوا وولدوا وكبروا وقاتلوا الكفار
(في سبيل الله) أي طريق رضاه (فرسانا) حال من ضمير جاهدوا (أجمعون) تأكيد للضمير ومنهم
من يرويه أجمعين على الحال والرواية المعتد بها أجمعون بالرفع قيل والحديث يدل على ان من أراد ان
يعمل عملا يستحب ان يقول عقيب قوله اني أعمل كذا ان شاء الله تبركا وتيمنا وتسهيلا لذلك العمل وقد
قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله (متفق عليه) ولفظ الجامع قال سليمان بن
داود لاطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله
فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق انسان والذي نفس محمد
بيده لو قال ان شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته رواه أحمد والشيخان والنسائي عن أبي هريرة (وعنه)
أي عن أبي هريرة (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان زكريا) بالقصر ويروى مده (نجارا)
أي ينجر الخشبة وينحتها ويأكل من كسب يده وفيه وفيما قبله من حديث داود عليه الصلاة والسلام
دلالة على ان الكسب من سنة الانبياء وهو لا ينافي التوكل بترك مراعاة الاسباب في الاشياء كما عليه بعض

متفق عليه وعنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سليمان لاطوفن الليلة
على تسعين امرأة وفي رواية
بمائة امرأة كلهن تأتي
بفارس يجاهد في سبيل الله
فقال له الملك قل ان شاء الله
فلم يقل ونسي فطاف عليهن
فلم تحمل منهن الا امرأة
واحدة جاءت بشق رجل
وايم الذي نفس محمد بيده
لو قال ان شاء الله لجاهدوا
في سبيل الله فرسانا أجمعون
متفق عليه وعنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
كان زكريا نجارا

الانبياء وجماعة من أصفياء الاولياء على خلاف في كون أيهما أفضل عند العلماء وتحقيقه في كتاب الاحياء (رواه مسلم) وكذا أحمد وابن ماجه (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا أولى الناس) أي أقربهم (بعيسى بن مريم في الاولى والآخرة) أي في الدنيا والعقبى قال الحافظ بن حجر أي أقربهم اليه لانه بشر بان يأتي من بعده ولا منافاة بينه وبين قوله تعالى ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي لانه هو أولى الناس بابراهيم من جهة الاقتداء وأولاهم بعيسى ابن مريم من جهة قرب العهد انتهى لكن لا يخفى أن مجرد قرب العهد لا يلائمه قوله (الانبياء اخوة) فالاولى ما قال القاضي رحمه الله من ان الموجب لكونه أولى الناس بعيسى عليه الصلاة والسلام انه كان أقرب المرسلين اليه وان دينه متصل بدينه وان عيسى كان مبشرا به ممهد القواعد دينه داعيا الخلق الى تصديقه ثم قال وهذه الجملة استئناف فيه دليل على الحكم السابق كان سائلا سأل عن المقتضي للاولوية فاجاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وبين ان الاخوة التي بين الانبياء ليست بينهم وبين سائر الناس وجعل ذلك كالنسب الذي هو أقرب الاسباب ثم بقرب زمانه من زمانه واتصال دعوته بدعوته كما تجيء الاشارة اليه والدلالة عليه بقوله وليس بيننا نبي فقوله (من علات) بفتح فتشديد أي هم اخوة من أب واحد فان العلة الضرة وبنو العلات أولاد الرجل من نسوة شتى فقوله (وأمهاتهم شتى) أي متفرقة مختلفة اما تأكيد أو تجريد والمعنى كما ان أولاد العلات أمهاتهم مختلفة فكذلك الانبياء دينهم واحد وشرائعهم مختلفة قال القاضي رحمه الله وغيره من الشراح العلة الضرة مأخوذة من العلل وهو الشربة الثانية بعد الاولى وكان الزوج عل منها بعدما كان ناهلا من الاخرى من النهل وهو الشرب الاول وأولاد العلات أولاد الضرات من رجل واحد والمعنى ان حاصل أمر النبوة والغاية القصوى من البعثة التي بعثوا جميعا لاجلها دعوة الخلق الى معرفة الحق وارشادهم الى مابه ينتظم معاشهم ويحسن معادهم فهم متفقون في هذا الاصل وان اختلفوا في تفاريع الشرع التي هي كالوصلة المؤدية والاوعية الحافظة له فعبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عما هو الاصل المشترك بين جميع الانبياء بالاب ونسبهم اليه وعبر عما يختلفون فيه من الاحكام والشرائع المتفاوتة بالصورة المتقاربة في الغرض بحسب الازمنة والمصالح المتعلقة بالاشخاص المختلفة طبعا بالامهات وهو معنى قوله وأمهاتهم شتى فانهم وان تباينت أعصارهم وتباعدت أيامهم فالاصل الذي هو السبب في اخراجهم وابرازهم كلا في عصره أمر واحد ولذا قال (ودينهم واحد) وهو الدين الحق الذي فطر الناس عليه مستعدين لقبوله متمكنين من الوقوف عليه والتمسك به فعلى هذا المراد بالامهات الازمنة التي اشتملت عليهم وانكشفت عنهم ولذا قال (وليس بيننا) أي بيني وبين عيسى (نبي) اما مطلقا أو محمول على نبي ذي شرع أو على أولي العزم من الرسل قال ابن الملك رحمه الله أي ليس بيني وبينه نبي بل جئت بعده كما قال ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد قال وبهذا بطل قول من قال الحواريون كانوا أنبياء بعد عيسى عليه الصلاة والسلام انتهى وكانه حمل النفي على الاطلاق قال الطيبي رحمه الله قوله الانبياء اخوة من علات كلام استئناف على بيان الموجب لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الاولى والآخرة فينبغي ان ينزل البيان على المبين يعني الانبياء كلهم متساوون فيما بعثوا لاجله من أصول التوحيد وليس لاحد اختصاص منه لكن انا أخص الناس بعيسى لانه كان مبشرا بي قبل بعثي وممهدا القواعد ديني في آخر الزمان متابع شرعي وناصر لديني فكانا واحد والاولى والآخرة يحتمل ان يراد بهما الدنيا والآخرة وان يراد بهما الحالة الاولى وهي كونه مبشرا والحالة الآخرة وهي كونه ناصرا مقويا لدينه فان قلت كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله تعالى ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي أي انى أخصهم به وأقربهم فيه قلت الحديث وارد في كونه صلى الله تعالى عليه وسلم متبوعا والتنزيل في كونه تابعا وله الفضل تابعا ومتبوعا قال تعالى ثم أوحينا اليك

رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أولى الناس بعيسى بن مريم في الاولى والآخرة الانبياء اخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبي

ان أتبع ملة ابراهيم حنيفا وقد مر تفسيره والله تعالى أعلم (متفق عليه) ولفظ الجامع أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة وليس بيني وبينه نبي والانبياء أولاد علات وامهاتهم شتى ودينهم واحد رواه أحمد والشيخان وأبو داود ولا يخفى حسن نظام هذه الرواية المطابقة لمراعاة ترتيب الدراية (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل بني آدم) فيه تغليب الذكور على الاناث أي كل أولاد آدم (يطعن الشيطان) بفتح العين وبضم من طعنه بالرمح كمنعه ونصره طعنا ضربه ووخزه على ما في القاموس والمراد هنا المس لما في رواية فالمعنى انه يمسه ويصيبه (في جنبيه باصبعيه) أي السبابة والوسطى وفي التثنية اشعار بكمال العداوة وايماء الى قصد اضلاله في أمر الدنيا والآخرة (حين يولد) أي أول زمن ولادتهم والافراد باعتبار لفظ كل (غير عيسى بن مريم) أي لدعوة حنة جدته في حق أمه بقولها واني سميتها مريم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (ذهب) أي أراد الشيطان وشرع وطفق (يطعن) أي في جنبي عيسى (فطعن في الحجاب) أي فاوقع الطعن في المشيمة وهي ما فيه الولد فلم يتأثر من مسه عيسى قال الطيبي رحمه الله وهذا يدل على ان المس في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس من مولود الا يمسه الشيطان على الحقيقة كما مر في الوسوسة قلت وتمام الحديث حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها عليهما السلام فكان الراوي اقتصر في هذا الحديث على ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام لانه المقصود الاصلي في المرام أو خص بعيسى نظرا الى بعض القيود في الكلام (متفق عليه) وأسنده السيوطي في الجامع الى البخاري وقال لفظ مسلم كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه الا مريم وابنها (وعن أبي موسى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال كمل) بضم الميم وفي نسخة بفتحها ويجوز كسرها في القاموس كمل كنصر وكرم وعلم وقال ابن الملك في شرح المشارق في كمل ثلاث لغات لكن كسر الميم ضعيف أقول الصحيح الضم لموافقته المعنى اللازمي أي صار كاملا أو بلغ مبلغ الكمال (من الرجال كثير) أي كثير ونعم من أفراد هذا الجنس حتى صار وارسلا وأنبياء وخلفاء وعلماء واولياء (ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون) والتقدير الا قليل منهن ولما كان ذلك القليل محصورا فيهما باعتبار الامم السابقة نص عليهما بخلاف الكمل من الرجال فانه يبعد تعدادهم واستقصاؤهم بطريق الانحصار سواء أريد بالكمل الانبياء أو الاولياء قال الحافظ بن حجر استدل بهذا الحصر على انهما نبيتان لان أكمل الانسان الانبياء ثم الاولياء والصديقون والشهداء فلو كانتا غير نبيتين للزم ان لا يكون في النساء ولية ولا صديقة ولا شهيدة غيرهما وقال الكرماني لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوتهما لانه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه فالمراد بلوغهما اليه في جميع الفضائل التي للنساء قلت لا يخفى ان هذا المقال لا يندفع به الاشكال الا ان يقال لا يلزم من كمال المرأة تكميلها حتى تلزم النبوة بل يكفي حصول الكمال ووصولها الولاية ففائدة ذكرهما بطريق الحصر اختصاصهما بكمال لم يشركهما فيه أحد من نساء زمانهما أو من نساء الامم المتقدمة أو مطلقا غير مقيد وذلك لما نقل العلماء من الاجماع على عدم نبوة النساء ولما يدل عليه قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك الا رجالا لكن نقل عن الاشعري نبوة حواء وسارة وأم موسى وهاجر وآسية ومريم وهذا انما يصح بناء على الفرق بين النبي والرسول والله تعالى أعلم وقال ابن الملك في شرح المشارق في الجواب عن الايراد السابق قلنا الكمال في شيء يكون حصوله للكامل أولى من غيره والنبوة ليست أولى بالنساء لان مبناها على الظهور والدعوة وحالهن الاستتار فلا تكون النبوة في حقهن كمالا بل الكمال في حقهن الصديقية وهي قريبة من النبوة انتهى ولا يخفى انه انما يتم على القول بترادف النبوة والرسالة والا على الفرق بينهما كما عليه الجمهور من ان الرسول مأمور بالتبليغ بخلاف النبي فلا يلزم من النبوة عدم التستر مع ان الرسالة أيضا لا تنافي الستارة كما لا يخفى والله تعالى أعلم (وفضل عائشة على النساء) أي على جنسهن من نساء الدنيا جميعهن أو على النساء المذكورات أو على نساء الجنة أو على نساء زمانها أو على نساء هذه الامة أو على الازواج الطاهرات

متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعيه حين يولد غير ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب متفق عليه وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء

(كفضل الثريد على سائر الطعام) قال الطيبي رحمه الله لم يعطف عائشة على آسية لكن أبرزه في صورة جملة مستقلة تنبيها على اختصاصها بما امتازت به عن سائرهن نحوه في الاسلوب قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حبب الى من الدنيا ثلاث الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة قلت وسيأتي ما يدل على خلاف ذلك مع ان لفظ ثلاث غير ثابت في الحديث قال التوربشتي رحمه الله قيل انما مثل بالثريد لانه أفضل طعام العرب ولا يرون في الشبع أغنى غناء منه وقيل انهم كانوا يحمدون الثريد فيما طبخ بلحم وروى سيد الطعام اللحم فكأنها فضلت على النساء كفضل اللحم على سائر الاطعمة والسر فيه ان الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ وسرعة المر ورفي المرىء فضرب به مثلا ليؤذن بانها أعطيت مع حسن الخلق والخلق وحلاوة المنطق فصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والاصغاء اليها وحسبك انها عقلت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم تعقل غيرها من النساء وروت ما لم يرو مثلها من الرجال ومما يدل على ان الثريد أشهى الاطعمة عندهم والذها قول الشاعر

اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

وقد اختلفوا في التفضيل بين عائشة وخديجة وفاطمة قال الاكمل روى عن أبي حنيفة ان عائشة بعد خديجة أفضل نساء العالمين أقول فهذا يحتمل تساوي خديجة وعائشة لكون الاولى من العرفاء السوابق والثانية من الفضلاء اللواحق وقال الحافظ بن حجر فاطمة أفضل من خديجة وعائشة بالاجماع ثم خديجة ثم عائشة وقال السيوطي رحمه الله في النقاية وشرحها ونعتقد ان أفضل النساء مريم وفاطمة روى الترمذي وصححه حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد عليه السلام وآسية امرأة فرعون وفي الصحيحين من حديث على خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد وفي الصحيح فاطمة سيدة نساء هذه الامة وروى النسائي عن حذيفة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال هذا ملك من الملائكة استأذن ربه ليسلم على ويبشرني ان حسنا وحسينا سيدا شباب أهل الجنة وأمهما سيدة نساء أهل الجنة وروى الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند صحيح لكنه مرسل مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها ورواه الترمذي موصولا من حديث على بلفظ خير نسائها مريم وخير نسائها فاطمة قلت وفي الدر المنثور وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية امرأة فرعون وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة سيدة نساء العالمين بعد مريم ابنة عمران ثم قال السيوطي وأفضل أمهات المؤمنين خديجة وعائشة قال صلى الله تعالى عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية وخديجة وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وفي لفظ الا ثلاث مريم وآسية وخديجة وفي التفضيل بينهما أقوال ثالثها الوقف قلت وصحح العماد بن كثير ان خديجة أفضل لما ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعائشة حين قالت قد رزقك الله خيرا منها فقال لا والله ما رزقني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس وأعطتني مالها حين حرمني الناس وسئل ابن داود فقال عائشة اقرأها السلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من جبريل وخديجة اقرأها السلام جبريل من ربها فهي أفضل على لسان محمد وقيل له فمن أفضل فاطمة أم أمها قال فاطمة بضعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلا نعدل بها أحدا وسئل السبكي فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة بنت محمد عليه السلام أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة ثم استدل لذلك وعن ابن العماد ان خديجة أفضل من فاطمة باعتبار الامومة لا السيادة والله تعالى أعلم (متفق عليه) وفي رواية الجامع تقديم آسية على مريم وزيادة وان فضل عائشة الخ رواه أحمد

كفضل الثريد على سائر الطعام متفق عليه

والشيخان

والشيخان والترمذي وابن ماجه (وذكر حديث أنس ياخير البرية) أي قال اعرابي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ياخير البرية فقال ذاك ابراهيم (وحديث أبي هريرة أي الناس أكرم) تمامه فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أكرمهم عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فاكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله الحديث قال الشارح أي اذا لم تسألوني عن هذا فاكرم الناس في زمانه يوسف ذاتا أو في النسب والحسب كما يدل عليه تعداد آبائه وأجداده (وحديث ابن عمر الكريم ابن الكريم) تمامه ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (في باب المفاخرة والعصبية)

(الفصل الثاني) (عن أبي رزين) قال المؤلف هو لقيط بن عامر بن صبره بفتح اللام وسكون القاف وصبرة بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة عقيلي صحابي مشهور عداده في الطائف روى عنه ابنه عاصم وابن عمر وغيرهما (قال قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه) لاشك ان المكان مع الزمان من جملة خلقه معدودان ولولا التاويل بحسب الامكان لاول السؤال وآخره يتعارضان وسيجيء بيان كشف المعنى من الشراح الاعيان (قال كان في عماء) بفتح العين ممدودا أي في غيب هوية الذات بلا ظهور مظاهر الصفات كما عبر عنه بقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف وفي قوله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون اشارة اليه ودلالة عليه على تفسير حبر الامة أي ليعرفون قال الشيخ علاء الدولة في كتابه العروة فاثبت تجلي الذات أولا بقوله كنت كنزا مخفيا ثم تجليه بالصفة الاحدية بقوله احببت ان أعرف ثانيا ثم تجليه بالصفة الواحدية بقوله فخلقت الخلق لاعرف ثالثا وفي اصطلاحات الصوفية للكاشي العماء هي الحضرة الاحدية عندنا لانه لايعرفها أحد غيره فهو في حجاب الجلال أقول ولعله أراد بالاحدية أحدية الجمع فانها بين غيب الغيوب وبين أحدية الصرفة فانها بين أحدية الجمع وبين الواحدية وهذه البينونة بالنسبة الى العلو والسفل وهذا القول هو الصحيح لان العماء في اللغة غيم رقيق يحول بين السماء والارض وكذلك الاحدية الصرفة حائلة بين سماء الذات وأرض الكثرة الاسمائية ثم قال وقيل هي الحضرة الواحدية التي هي منشأ الاسماء والصفات لان العماء هو الغيم الرقيق والغيم هو الحائل بين السماء والارض وهذه الحضرة الواحدية هي الحائلة بين سماء الاحدية الصرفة وبين أرض الكثرة الخلقية وقد جعل العارف الجامي شرحا على هذا الحديث الشريف فان كنت تريد التحقيق فعليك بذلك التصنيف فقد علم كل أناس مشربهم وتبع كل فريق مذهبهم هذا وفي الفائق العماء هو السحاب الرقيق وقيل السحاب الكثيف المطبق وقيل شبه الدخان يركب رأس الجبال وعن الجرمي الضباب وفي النهاية العماء بالفتح والمد السحاب وفي القاموس هو السحاب المرتفع أو الكثيف أو الممطر أو الرقيق أو الاسود أو الابيض أو هو الذي هراق ماءه ولاشك ان واحدا من هذه المعاني لايناسب المقام التبياني الا أن يقال ان السحاب كناية عن حجاب الجلال وهو عبارة عن حجاب الذات الباعث على سر الصفات المتعلقة بالعلويات والسفليات ولذا قال أبو عبيد لايدري أحد من العلماء كيف كان ذلك العماء وفي رواية عمى بالقصر وهو ذهاب البصر فقيل هو كل أمر لاتدركه عقول بني آدم ولا يبلغ كنهه الوصف ولايدركه الفطن قال الازهري نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفة أي نجري اللفظ على ماجاء عليه من غير تاويل مع التنزيه عما لايجوز عليه من الحدوث والتبديل (ماتحته هواء ومافوقه هواء) ما نافية فيهما وفيه اشارة الى ماسبق في الحديث كان الله ولم يكن معه شيء قال القاضي المراد بالعماء مالاتقبله الاوهام ولاتدركه العقول والافهام عبر عن عدم المكان بما لايدرك ولايتوهم وعن عدم مايحويه ويحيط به بالهواء فانه يطلق ويراد به الخلاء الذي هو عبارة عن عدم الجسم ليكون أقرب الى فهم السامع ويدل عليه أن السؤال كان عما خلق قبل ان يخلق خلقه ولو كان العماء أمرا موجودا لكان مخلوقا اذ مامن شيء سواه الا وهو مخلوق خلقه وأبدعه فلم يكن الجواب

وذكر حديث أنس ياخير البرية وحديث أبي هريرة أي الناس أكرم وحديث ابن عمر الكريم ابن الكريم في باب المفاخرة والعصبية *(الفصل الثاني)* عن أبي رزين قال قلت يارسول الله أين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان في عماء ماتحته هواء ومافوقه هواء

طبق السؤال والله تعالى أعلم بالحال وقيل في الكلام حذف مضاف كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه فيكون التقدير أين كان عرش ربنا ويدل عليه قوله وخلق عرشه على الماء المطابق لقوله سبحانه وكان عرشه على الماء لانه لولم يكن السؤال عن العرش لما كان حاجة للتعرض اليه وقال الطيبي رحمه الله لم يفتقر الى التقدير ولا بد في قوله في عماء بالمد من التاويل حتى يوافق الرواية الاخرى عن مقصور او ما ورد في الصحاح عن عمران بن حصين كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وذلك ان قوله ما تحته هواء وما فوقه هواء عبارة عن نفي المكان وما يفهم من قوله في عماء من المكان فان الغمام المتعارف محال ان يوجد بغير هواء فهو نظير قوله كانه يريد به الجواب على ما سبق فالجواب من الاسلوب الحكيم سئل عن المكان فاجاب عن اللامكان يعني ان كان هذا كما هو في مكان وهو ارشاد له في غاية من اللطف (رواه الترمذي وقال قال يزيد ابن هارون) وهو أحد مشايخ شيوخ الترمذي من رواة هذا الحديث (العماء) أي يعني معناه (ليس معه شيء) وفيه ايماء الى كلام بعض العارفين في هذا الشان كان الله ولم يكن معه شيء والآن على ما هو عليه كان واشارة الى قوله تعالى كل من عليها فان (وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه) أي نقل (انه) أي العباس (كان جالسا بالبطحاء) أي في المحصب وهو موضع معروف بمكة فوق مقبرة المعلا وقد تطلق على مكة وأصل البطحاء على ما في القاموس مسيل واسع فيه دقاق الحصى (في عصابة) بكسر أوله أي مع جماعة من كفار مكة قال الطيبي رحمه الله استعمال رضي الله عنه ونسبته الى عباس رمز الى انه لم يكن حينئذ مسلما ولا تلك العصابة كانوا مسلمين يدل عليه قوله في البطحاء قلت وكان وجه دلالته عليه انه كان غالبا مجمع الكفار ومجمع رايهم في تلك الدار ومن جملة ما اتفق مشايخ العرب عليه في ذلك المكان انهم يهجرون بني هاشم ولا يبايعونهم ولا يشاورونهم ولا يناكحونهم ولا يجالسونهم حتى يتركوا نصرة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وحمايته كما هو في السير معروف ولذا لما حج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع نزل به عند نزوله بمنى اشارة الى ما من الله عليه بالغلبة على أعداء الدين وايماء الى اعلاء كلمة اليقين هذا وحديث أبي هريرة في الفصل الثالث مما يدل صريحا ان تلك العصابة كانوا مسلمين واما زعم فكثيرا يستعمل بمعنى القول المحقق والله تعالى أعلم (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جالس فيهم) أي حينئذ وهذا يحتمل أن يكون قبل القضية المذكورة أو بعد القصة المسطورة بعد ما وقع فيما بينهم من الهدنة (فمرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما تسمون هذه) ما استفهامية بمعنى التقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار والمقصود التثبت ضد الانكار أي أي شيء تسمون هذه اشارة الى السحابة وهو مفعول ثان لتسمون والاول لفظ ما (قالوا السحاب) بالنصب أي نسميه السحاب ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا محذوف أي هي السحاب والمعنى ان هذه واحدة من جملة جنس السحاب (قال والمزن) أي وتسمونها أيضا المزن (قالوا والمزن) أي نسميها أيضا في النهاية هو الغيم والسحاب واحده مزنة وقيل هي السحابة البيضاء زاد البيضاوي وماؤه أبيض ومنه قوله تعالى أأنتم أنزلتموه من المزن (قال والعنان قالوا والعنان) كسحاب زنة ومعنى من عن أي ظهر وفي النهاية الواحدة عنانة وقيل ما عن لك منها أي اعترض وبدا لك اذا رفعت رأسك وحاصله انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما لاطفهم في الكلام وبين لهم معرفته بلغاتهم المختلفة في مقام المرام تدريجا بالانتقال من معلومهم الى مجهولهم وترقيا من الخلق الى الحق (قال هل تدرون ما بعد ما بين السماء والارض) أي ما مقدار بعد مسافة ما بينهما (قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما اما واحدة واما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة) الشك من الراوي كذا قيل والتنويع لاختلاف أماكن الصاعد والهاوي وبهذا يظهر صحة ما قال الطيبي رحمه الله والمراد بالسبعين في الحديث التكثير لا التحديد لما ورد من أن ما بين السماء والارض وبين سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام أي سنة والتكثير هنا أبلغ والمقام له ادعى (والسماء) بالرفع ويجوز النصب (التي فوقها) أي فوق سماء الدنيا

وخلق عرشه على الماء رواه الترمذي وقال يزيد بن هرون العماء أي ليس معه شيء وعن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه انه كان جالسا في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيهم فمرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تسمون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال والعنان قالوا والعنان قال هل تدرون ما بعد ما بين السماء والارض قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما اما واحدة واما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة والسماء التي فوقها

كذلك) أى فى البعد (حتى عد سبع سموات) أى على هذه الهيئات (ثم فوق السماء السابعة بحر) أى عظيم (بين أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك) أى البحر (ثمانية أوعال) جمع وعل وهو العنز الوحشى ويقال له تيس شاة الجبل (بين اظلافهن) جمع ظلف بكسر الظاء المعجمة للبقر والشاة والظبى بمنزلة الحافر للدابة والخف للبعير (وركبهن) بفتح فكسر أى ما فوق أظلافهن (مثل ما بين سماء الى سماء) قيل المراد بهن ملائكة على اشكال أوعال ويلائمه قوله (ثم على ظهورهن العرش) أى محمول كما قال تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم (بين أسفله) أى العرش (وأعلاه ما بين سماء الى سماء) أى من كثرة البعد مع قطع النظر عن الحد والا فجميع المخلوقات بجنب العرش كحلقة فى فلاة على ما ورد به فى حديث (ثم الله) أى وسعة علمه أو اتساع قدرته فى ملكه (فوق ذلك) قال الطيبى رحمه الله أراد صلى الله تعالى عليه وسلم ان يشغلهم عن السفليات الى العلويات والتفكر فى ملكوت السموات والعرش ثم يترقوا الى معرفة خالقهم ورازقهم ويستنكفوا عن عبادة الاصنام ولا يشركوا بالله الملك العلام فاخذ فى الترقى من السحاب ثم من السموات ثم من البحر ثم من الاوعال ثم من العرش الى ذى العرش والفوقية بحسب العظمة لا المكان فالمعنى انه على الشان عظيم البرهان وقال شارح أى فوق العرش بكمال عظمته واستيلائه (رواه الترمذى وأبو داود وعن جبير بن مطعم قال أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جاءه (اعرابى) أى بدوى (فقال جهدت الانفس) بصيغة المجهول من الجهد بفتح الجيم المشقة وبضمها الطاقة والمعنى حملت فوق طاقتها (وجاع العيال) عيال الرجل بالكسر من يعوله ويمونه وينفق عليه من زوجة والاولاد والعبيد وغير ذلك (ونهكت) بضم النون وكسر الهاء أى نقصت (الاموال) أى التى تنمو من الامطار (وهلكت الانعام) وهو جمع نعم بحركة الابل والبقر والغنم كما أخبر الله عنها بقوله ثمانية أزواج (فاستسق الله لنا) أى فاطلب الله السقى بالمطر من أجل معاشنا الذى هو زاد معادنا (فانا نستشفع) أى نطلب الشفاعة (بك) أى بوجودك وحرمتك وبعظمتك (على الله ونستشفع بالله) أى نستجير ونستغيث به (عليك) فى ان تشفع لنا عنده بان يوفقك على مساعدتنا لكن لما كان ظاهر هذه العبارة موهما التساوى فى القدر أو التشارك فى الامر والحال ان الله سبحانه منزه عن الشرك مطلقا وقال تعالى ليس لك من الامر شئ وقال من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى أنكر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واستعظم الامر لديه وتعجب من هذه النسبة اليه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سبحان الله) أى تنزيها له عن المشاركة (سبحان الله) كررها تأكيدا أو ذكر الثانى تعجبا وتحييرا (فما زال يسبح حتى عرف ذلك) بصيغة المجهول أى حتى تبين أثر ذلك التغير (فى وجوه أصحابه) لانهم فهموا من تكرير تسبيحه صلى الله تعالى عليه وسلم غضب من ذلك فخافوا من غضبه فتغيرت وجوههم خوفا من الله تعالى فلما ترحم الخوف رق لهم وقطع التسبيح والتفت اليهم (ثم قال ويحك) بمعنى ويلك الا ان الاول فيه معنى الشفقة عن الزلة والمزاغة والثانى دعاء عليه بالهلكة والعقوبة لمعنى اعلم أيها المتكلم الجاهل فى كلامه الغافل عن مرامه (انه) أى الشان (لا يستشفع) بصيغة المجهول (بالله على أحد شأن الله) استئناف تعليل أى لان شأنه العلى وبرهانه الجلى (أعظم من ذلك) أى من ان يستشفع به على أحد قال الطيبى يقال استشفعت بفلان على فلان ليشفع لى اليه فشفعه أجاب شفاعته ولما قيل ان الشفاعة هى الانضمام الى آخر ناصرا له وسائلا عنه الى ذى سلطان عظيم منع صلى الله عليه وسلم ان يستشفع بالله على أحد وقوله ذلك اشارة الى ترهيبة أو خوف استشعر من قوله سبحان الله تنزيها عما نسب الى الله تعالى من الاستشفاع به على أحد وتكراره مرارا (ويحك) كررها تأكيدا للزجر وتبيينا لامره (أتدرى ما الله) أى عظمته التى تدل على عظمة ملكه وملكوته وسطوة كبريائه وجبروته (ان عرشه على سمواته) أى محيط بها من جميع جهاته (لهكذا) بفتح اللام الابتدائية دخلت على خبر ان تأكيدا

كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه ما بين سماء الى سماء ثم الله فوق ذلك رواه الترمذى وأبو داود وعن جبير بن مطعم قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابى فقال جهدت الانفس وجاع العيال ونهكت الاموال وهلكت الانعام فاستسق الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه ثم قال ويحك انه لا يستشفع بالله على أحد شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدرى ما الله ان عرشه على سمواته لهكذا

وقال باصابعه مثل القبة عليه وانه ليئط به أطيط الرحل بالراكب رواه أبو داود وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام رواه أبو داود وعن زرارة بن أوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل رأيت ربك فانتفض جبريل وقال يا محمد ان بينى وبينه سبعين حجابا من نور لو دنوت من بعضها لاحترقت هكذا فى المصابيح ورواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس الا انه لم يذكر فانتفض جبريل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق اسرافيل منذ يوم خلقه صافا قدميه

الحكم (وقال باصابعه) أى أشار بها وفعله لابيان للمشار اليه قولا (مثل القبة عليه) حال من العرش أى مماثلا لها على ما فى جوفها قال الطيبي رحمه الله هو حال من المشار به وفى قال معنى الاشارة أى أشار باصابعه الى مشابه هذه الهيئة وهى الهيئة الحاصلة للاصابع الموضوعة على الكف مثل حالة الاشارة (وانه) أى العرش مع ما وصف به من المجد والكرم والسعة والعظمة (ليئط) بكسر الهمز وتشديد المهملة أى ليتضايق و يعجز عن القيام (به) أى بعز معرفته وعن سعة علمه واحاطة عظمته حيث يئط لما يركبه و يرتعد مما يركبه من أعباء جلاله وهيبته (أطيط الرحل بالراكب) أى كعجز الرحل عن احتمال الراكب فى النهاية أى ان العرش ليعجز عن حمله وعظمته اذ كان معلوما ان أطيط الرحل بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله قال الخطابى هذا الكلام اذا أجرى على ظاهره كان فيه نوع من الكيفية والكيفية عن الله سبحانه وصفاته منفية فعلم انه ليس المراد منه تحقيق هذه الصفة ولا تحديده على هذه الهيئة وانما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى فى النفوس وافهام السائل من حيث يدركه فهمه اذ كان اعرابيا جافيا لا علم له بمعانى ما دق من الكلام وقرر بهذا التمثيل والتشبيه معنى عظمة الله وجلاله فى نفس السائل وان من يكون كذلك لا يجعل شفيعا الى من هو دونه أقول ويمكن أن معنى يئط يصوت بالتسبيح والتنزيه من عظمة الله وآياته حيث تحير حملة العرش من معرفة ذاته وصفاته كصوت الرحل الجديد بالراكب الثقيل الشديد والله تعالى أعلم بالقول السديد (رواه أبو داود وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أذن لى أن أحدث عن ملك) أى عن وصف ملك عظيم (من ملائكة الله) أى العظامين لقوله (من حملة العرش) فانهم أقوى من غيرهم لان المطايا على قدر العطايا (ان) بفتح الهمزة ويكسر (ما بين شحمة أذنيه الى عاتقيه) ورواية الجامع بصيغة الافراد فيهما (مسيرة سبعمائة عام) يعنى فقس الباقى على هذا النظام (رواه أبو داود) وكذا الضياء (وعن زرارة بن أوفى) بضم الزاى قال المؤلف له صحبة مات فى زمن عثمان بن عفان (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل رأيت ربك فانتفض جبريل) أى ارتعد ارتعادا شديدا من عظمة ذلك السؤال ومن هيبة ما سمع من المقال قيل فيه دليل على حقية رؤية الله تعالى فى دار البقاء فانه لو كانت مستحيلة ما سأل النبى صلى الله عليه وسلم لكن اختلف فى أن الملائكة يرون الله تعالى أم لا ثم لما كان الرؤية غالبا تنبئ عن القرب فارتعد جبريل من الهيبة (وقال يا محمد ان بينى وبينه سبعين حجابا من نور) قال شارح وهو عبارة عن كمال الله تعالى ونقصان جبريل والحجاب من طرف جبريل اه والمعنى أن المحجوب مغلوب فهو صفة المخلوق الموصوف بنعت النقصان وأما الخالق ذو الجلال المنعوت بوصف الكمال فلا يحجبه شئ ولو من أنوار الجمال (لو دنوت) أى قربت قدر أنملة كما فى رواية (من بعضها) أى من بعض جميع تلك الحجب النورانية على فرض المحال والا فما منا الا له مقام معلوم (لاحترقت) أى من أثر ذلك النور الذى يغلب النار فى الظهور وفى النار تقول جز يا مؤمن فان نورك أطفأ لهبى فكيف بنور ربى وهو حسبى (هكذا) أى لفظ الحديث (فى المصابيح) أى عن زرارة (ورواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس الا انه) أى انسا (لم يذكر فانتفض جبريل) وفى الجامع برواية الطبرانى فى الاوسط عن أنس سألت جبريل هل ترى ربك قال ان بينى وبينه سبعين حجابا من نور لو رأيت أدناه لاحترقت (وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق اسرافيل منذ يوم خلقه) بفتح الميم على الاضافة وفى نسخة بالجر منونا (صافا) بتشديد الفاء أى حال كون اسرافيل واقفا (قدميه) مفعول صافا واعلم ان منذ بضم الميم ويكسر وهو مبنى على الضم ويليه اسم مجرور وحينئذ حرف جر بمعنى من فى الماضى وبمعنى فى فى الحاضر وقال المظهر منذ ههنا حرف جر وهو بمعنى فى وقال الطيبي رحمه الله صافا حال من اسرافيل لا من ضميره المنصوب ومنذ يوم ظرف لصافا وليس بمعنى فى وقال الدارحديثى اتفقوا ان مذ ومنذ انما يدخلان اسما الزمان ثم قالوا ان أريد ابتداء لزمان الماضى الذى انتهاؤه أنت فيه يكونان للابتداء نحو ما رأيته مذ يومين أو مذ سنة كذا أى انتفى الرؤية من ابتداء

يوم بين أنا في آخرهما وليسا بعنى فى وان قال به بعض لان المفهوم منهما نفي الرؤية في أزمنة معينة أنت فى آخرها مقصودا به ابتداؤها وانتهاؤها اه والمعنى ان الله خلق اسرافيل صافا قدميه من أول مدة خلقه (لا يرفع بصره) اى الى السماء فوقه أدبا أولا يرفع نظره عن اللوح المحفوظ خوفا (بينه وبين الرب تبارك وتعالى سبعون نورا) أى من أنوار الحجاب وأسرار الغياب وأستار النقاب حتى لا يعرفه غيره قال تعالى ولا يحيطون به علما (ما منها) أى ليس من السبعين من نور (يدنو) أى يقرب (منه) اسرافيل فرضا (الا احترق) أى من ذلك النور الذى فوق طاقة نظر اسرافيل (رواه الترمذى وصححه وعن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم وذريته) أى يوم الميثاق أو بعده (قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون) بكسر الكاف أى يطؤن أو يتزوجون (ويركبون) أى على الدواب فى البر وعلى السفن فى البحر (فاجعل لهم الدنيا) أى بطريق الدوام والبقاء أو اجعل لهم الدنيا فقط (ولنا الآخرة) أى نعيمها لحرماننا عن الحظوظ المذكورة فى الدنيا تعادلا بيننا (قال الله تعالى لا أجعل من خلقته بيدى) بصيغة التثنية وروى بالافراد وقال الطيبى رحمه الله قوله لا اجعل يحتمل ان يكون نفيا لاجعل وان تكون كلمة لا ردا لقولهم ثم يبتدئ بالجملة الاستفهامية انكارا عليهم وهو أبلغ يعنى أكثر مبالغة أو بلاغة فانه يدل على النفى مكررا وان كان الاول هو الاظهر فتقدير والمعنى لا اجعل عاقبة من خلقته بغير واسطة على سبيل التدريج مركبا من معجون الكمال المشتمل على قابلية الهداية والضلال واستعداد مظهرية الجمال والجلال (ونفخت فيه من روحى) أى بعد تربية كمال جسده وتصوير مشكاله كريما تشريفا له وتعظيما (كمن قلت له كن) أى بالخلق الآتى (فكان) أى من غير التوانى قال الطيبى رحمه الله أى لا يستوى فى الكرامة من خلقته بنفسى ولا وكلت خلقه الى أحد ونفخت فيه من روحى وهو آدم وأولاده مع من يكون بمجرد الامر بقول كن وهو الملك واضافة الروح الى نفسه اضافة تشريف كقوله بيت الله وقال ابن الملك أى لا يستوى البشر والملك فى الكرامة والقربة بل كرامة البشر أكثر ومنزلته أعلى وهذا من جملة ما يستدل به أهل السنة فى تفضيل البشر على الملك أقول ووجهه والله تعالى أعلم ان الملك خلق معصوما فصار عن الجحيم ممنوعا وعن النعيم محروما والبشر خلق مجبولا بالطاعة والمعصية ومبتلا بالعافية والبلية فمن قام بحقهما استحق الثواب فى الدارين ومن أعرض عنهما استوجب العذاب فى الكونين (رواه البيهقى فى شعب الايمان)

(الفصل الثالث) (عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن) أى الكامل من الانبياء أو الاولياء (أكرم على الله من بعض ملائكته) وهم خواصهم أو عوامهم من أهل الاصطفاء وقال الطيبى رحمه الله يراد بالمؤمن عوامهم وببعض الملائكة أيضا عوامهم قال محيى السنة رحمه الله فى تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم الاولى ان يقال عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة قال تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ويستدل به أهل السنة فى تفضيل الانبياء على الملائكة اه ولا يخفى ان المراد بخواص المؤمنين الرسل والانبياء وبخواص الملائكة نحو جبريل وميكائيل واسرافيل وبعوام المؤمنين الكمل من الاولياء كالخلفاء وسائر العلماء وبعوام الملائكة سائرهم وهذا التفصيل أولى من اجمال بعضهم وفى قوله ان البشر أفضل من الملك يعنى ان هذا الجنس لما وجد فيهم الكمل من الرسل أو الا كمل أفضل من هذا الجنس لعدم وجودهم فيهم فتأمل (رواه ابن ماجه) قلت وحديث المؤمن أعظم حرمة من الكعبة فى ابن ماجه بسند عن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ونظر الى الكعبة لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك وهو بعض حديث طويل (وعنه) أى عن أبى هريرة (قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى) اشارة الى كمال قربه ودلالة على تمام حفظه ولعل فى أخذ يده ايماء الى تعداد أعداد الخمسة مع قطع النظر عن خلق آدم عليه الصلاة والسلام بعد الجمعة فانه بمنزلة العلة الغائية والغذلكة الاجمالية (فقال خلق الله التربة) أى التراب وهو الارض (يوم السبت)

لا يرفع بصره بينه وبين الرب تبارك وتعالى سبعون نورا ما منها من نور يدنو منه الا احترق رواه الترمذى وصححه وعن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة قال الله تعالى لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له كن فكان رواه البيهقى فى شعب الايمان *(الفصل الثالث)* عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن أكرم على الله من بعض ملائكته رواه ابن ماجه وعنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت

وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق وآخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل رواه مسلم وعنه قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه اذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة عام ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال سماآن بعد ما بينهما خمسمائة سنة ثم قال كذلك حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين ما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال

وكان المراد به آخر يومه المسمى بعشية الاحد فانها حكمه فلا ينافي قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (وخلق فيها الجبال يوم الاحد) وهذا معنى قوله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها (وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه) أي جنسه (يوم الثلاثاء) بالمد قال عز وجل وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام أي في بقية الاربعة (وخلق النور) بالراء وفي نسخة بالنون في آخره قال الاكمل هو بالراء كالمسلم ولغيره بالنون وهو الحوت ويجوز خلقهما في الاربعاء والنور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره اه والظاهر ان المراد بالنور هو نفسه وما فيه ظهوره فيناسب قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم (يوم الاربعاء) بفتح الهمزة وكسر الموحدة ممدودا وفي القاموس مثلثة الباء ممدودة واعلم أن لفظ النور كذا في النسخ المصححة والاصول المعتمدة (وبث فيها الدواب) أي فرقها في الارض بعد خلق أصولها (يوم الخميس) وهو لا ينافي ما سبق من أن قضاء سبع سموات وخلقهن في يومين (وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق) أي لكونه الفذلكة الاجمالية وبمنزلة العلة الغائية (وآخر ساعة من النهار) أي وفي آخر ساعة من نهار الجمعة ورواية الجامع في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة (فيما بين العصر الى الليل) وهي الساعة المرجوة للاجابة في يوم الجمعة عند جماعة من الائمة (رواه مسلم) وكذا أحمد في مسنده مرفوعا لكن قال ابن كثير في تفسيره ما ملخصه وأن هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم فيه البخاري وغيره وجعلوه من كلام كعب الاحبار وأن أبا هريرة انما سمعه من كعب وانما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا والله أعلم (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم جالس وأصحابه) أي معه جلوس (اذ أتى) أي مر (عليهم سحاب) وفي نسخة سحابة (فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا) أي السحاب (قالوا الله ورسوله أعلم قال هذه) أي السحابة فالتعبير بالتأنيث للوحدة وبالتذكير للجنس من باب التفنن (العنان) بفتح العين من عن أي ظهر كما سبق (هذه روايا الارض) قيل التقدير بل هذه وهو غير ظاهر ففي النهاية سمى السحاب روايا البلاد والروايا من الابل الحوامل للماء واحدها راوية فشبهها بها وبه سميت المزادة راوية وقيل بالعكس (يسوقها الله) أي يجرها أو يأمر بسوقها (الى قوم لا يشكرونه) أي بل يكفرونه حيث ينسبون المطر الى اقتران النجوم وافتراقها أو غروبها أو طلوعها ويقولون مطرنا بنوء كذا (ولا يدعونه) أي لا يذكرون الله ولا يطلبون منه ولا يعبدونه بل يعبدون الاصنام وهو بعميم كرمه يرزقهم ويعافيهم كسائر الانام وباقي الانعام (ثم قال هل تدرون ما فوقكم) أي من السماء (قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقيع) وهو اسم لسماء الدنيا وقيل لكل سماء والجمع أرقعة (سقف محفوظ وموج مكفوف) أي ممنوع من الاسترسال والمعنى ان الله حفظها عن السقوط على الارض وهي معلقة بلا عمد كالموج المكفوف (ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها) أي مقدار ما بين الارض والسماء (قالوا الله ورسوله أعلم قال بينكم وبينها خمسمائة عام) أي مسيرتها ومسافتها (ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك) أي المحسوس أو المذكور من سماء الدنيا (قالوا الله ورسوله أعلم قال سماآن) أي سماء بعد سماء (بعد ما بينهما خمسمائة سنة ثم قال كذلك) أي سماآن مرتين أخريين (حتى عد سبع سموات) أي كمل عدد السبع من (ما بين كل سماءين ما بين السماء والارض) أي كما بينهما من خمسمائة عام ففيه نوع تفنن في العبارة (ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك) أي المذكور (قالوا الله ورسوله أعلم قال ان فوق ذلك) بالنصب على انه ظرف وقع خبرا مقدما لان وقوله (العرش) بالنصب على انه اسمه (وبينه وبين السماء) أي السابعة (بعد ما بين السماءين) أي من السموات السبع (ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال انها

الارض ثم قال هل تدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل الى الارض السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم رواه أحمد والترمذى وقال الترمذى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية تدل على أنه أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان طول آدم ستين ذراعا فى سبع أذرع عرضا وعن أبى ذر قال قلت يا رسول الله أى الانبياء كان أول قال آدم قلت يا رسول الله ونبى كان قال نعم نبى مكلم

الارض) أى العليا (ثم قال هل تدرون ما تحت ذلك) أى المشار اليه (قالوا الله ورسوله أعلم قال ان تحتها أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة) أى وهكذا ذكر أرضا بعد أخرى (حتى عد سبع أرضين) بفتح الراء وبسكن (بين كل أرضين) بالتثنية أى بين كل أرضين منها (مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم) بتشديد اللام المفتوحة من ادليت الدلو ودليتها اذا أرسلتها البئر ومنه قوله تعالى فادلى دلوه على التجريد أو التأكيد والمعنى لو أرسلتم (بحبل الى الارض السفلى لهبط) بفتح الموحدة أى لنزل (على الله) أى على علمه وملكه كما صرح به الترمذى فى كلامه الآتى والمعنى انه تعالى محيط بعلمه وقدرته على سفليات ملكه كما فى علويات ملكوته دفعا لما عسى يختلج فى وهم من لا فهم له ان له اختصاصا بالعلو دون السفل ولهذا قيل كان معراج يونس عليه الصلاة والسلام فى بطن الحوت كما أن معراج نبينا صلى الله عليه وسلم كان فى ظهر السماء فالقرب بالنسبة اليه فى حد الاستواء كما أخبر عن قربه لكل من العبيد بقوله ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وانما يتفاوت القرب المعنوى بالتشريف المدنى ومنه قرب الفرائض وقرب النوافل كما هو مقرر فى محله (ثم قرأ) أى النبى صلى الله عليه وسلم استشهادا وتبصرة واعتضادا (هو الاول) أى القديم الذى ليس له ابتداء (والآخر) أى الباقى الذى ليس له انتهاء (والظاهر) أى بالصفات (والباطن) أى بالذات (وهو بكل شئ) أى من العلويات والسفليات والجزئيات والكليات (عليم) أى بالغ فى كمال العلم به محيط علمه بجوانبه (رواه أحمد والترمذى وقال الترمذى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية) أى المذكورة (تدل على أنه أراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه) قال الطيبى رحمه الله أما علمه تعالى فهو من قوله وهو بكل شئ عليم وأما قدرته فمن قوله هو الاول والآخر أى هو الاول الذى يبدئ كل شئ ويخرجهم من العدم الى الوجود والآخر الذى يفنى كل شئ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وأما سلطانه فمن قوله والظاهر والباطن قال الازهرى يقال ظهرت على فلان اذا غلبته والمعنى هو الغالب الذى يغلب ولا يغلب ويتصرف فى المكونات على سبيل الغلبة والاستيلاء أو ليس فوقه أحد يمنعه والباطن هو الذى لا ملجأ ولا منجا دونه ثم قال الترمذى (وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان) أى يستوى فيه العلويات والسفليات وما بينهما كما أن هذه الصفات موجودة فى كل زمان بل قبل أن يخلق الزمان والمكان (وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه) قال الطيبى رحمه الله الكاف فى كما منصوب على المصدر أى هو مستو على العرش استواء مثل ما وصف نفسه به فى كتابه وهو مستأثر بعلمه باستوائه عليه وفى قول الترمذى اشعار الى أنه لا بد لقوله لهبط على الله من هذا التأويل المذكور ولقوله على العرش استوى من تفويض علمه اليه تعالى والامساك عن تأويله كما سبق أن بعضا من خلاف الظاهر يحتاج الى التأويل ومنها ما لا يجوز الخوض فيه (وعنه) أى عن أبى هريرة رضى الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان طول آدم عليه الصلاة والسلام ستين ذراعا فى سبع أذرع عرضا) قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يريد بقدر ذراع نفسه وأن يريد بقدر الذراع المتعارف يومئذ عند المخاطبين والاول أظهر لان ذراع كل أحد بقدر مرفقه فلو كان بالذراع المتعارف لكانت يده قصيرة فى جنب طول جسده والله أعلم أقول فى القاموس الذراع بالكسر من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى والساعد وقد تذكر فيهما جمعه أذرع أى بفتح الهمز وضم الراء وقد تقدم فى الحديث المتفق عليه أن الله تعالى خلق آدم وطوله ستون ذراعا فالاولى أن يقال المراد بالذراع طولا هو المتعارف المتبادر الى الفهم الذى يحصل به العلم والمراد به عرضا ذراعه باعتبار يده وبه يحصل الجمع ويرتفع الدور الذى هو فى مرتبة المنع (وعن أبى ذر قال قلت يا رسول الله أى الانبياء) أى أى فرد منهم (كان أول) بالنصب أى أسبق (قال آدم) بالرفع على تقدير هو (قلت يا رسول الله ونبى كان) قال الطيبى رحمه الله لا بد فيه من تقدير همزة الاستفهام للتقرير لما ذكر أولا أى الانبياء وأجيب بقوله آدم أى أوهو نبى كان (قال نعم نبى) ذكر نبى بعد قوله نعم ليناط به قوله (مكلم) أى لم يكن نبيا فقط بل كان نبيا مكلما

أنزل عليه الصحف (قلت يا رسول الله كم المرسلون) الكشاف في قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي هذا دليل بين على تغاير الرسول والنبي والفرق بينهما أن الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما أمر أن يدعو الى شريعة من قبله اه والمشهور في الفرق بينهما أن الرسول من أمر بالتبليغ والنبي أعم والله تعالى أعلم (قال ثلاثمائة وبضعة عشر) أبهم العدد اشعارا بعدم الجزم كيلا يزيد أو ينقص في الحد (جما غفيرا) أي جمعا كثيرا وفي النهاية أي مجتمعين كثيرين وأصل الكلمة من الجموم والجمة وهو الاجتماع والكثرة والغفير من الغفر وهو التغطية والستر فجعلت الكلمتان في موضع الشمول والاحاطة ولم تقل العرب الجماء الا موصوفة وهو منصوب على المصدر كطرا وقاطبة فانها أسماء وضعت موضع المصدر (وفي رواية عن أبي امامة) الظاهر أن المراد به ليس أبا امامة الباهلي فانه صحابي جليل بل هو أبو امامة سهل بن حنيف الانصاري الاوسي ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعامين ولم يسمع منه شيئا لصغره ولذلك قد ذكره بعضهم في الذين بعد الصحابة وأثبته ابن عبد البر في جملة الصحابة ثم قال وهو أحد الاجلة من العلماء من كبار التابعين بالمدينة سمع أباه وأبا سعيد وغيرهما روى عنه نفر مات سنة مائة وله اثنان وتسعون سنة كذا ذكره المؤلف (قال أبو ذر قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الانبياء) أي كم كمال عددهم (قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا) العدد في هذا الحديث وان كان مجزوما به لكنه ليس بمقطوع فيجب الايمان بالانبياء والرسل مجملا من غير حصر في عدد لئلا يخرج أحد منهم ولا يدخل أحد من غيرهم فيهم (وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ان الله تعالى) استئناف فيه معنى التعليل والمعنى لانه سبحانه (أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الالواح) أي لعدم تأثير الخبر فيه تأثيرا زائدا باعثا على الغضب الموجب للالقاء (فلما عاين ما صنعوا ألقى الالواح) أي غضبا لله على قومه لمخالفة دينه (فانكسرت) أي الالواح من شدة القائه الدالة على كثرة غضبه ثم في القائه ايماء بانها انما تنفع لاهل الايمان فاذا اختاروا الكفر والطغيان لم يبق فائدة في ابقائها لكن الظاهر انه مافات شيء منهم من كسرها قال الطيبي قوله ان الله الخ استشهاد وتقرير لمعنى قوله ليس الخبر كالمعاينة فانه تعالى لما قال انا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري عند نزول الواح التوراة عليه لم يلق الالواح فلما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه (روى الاحاديث الثلاثة أحمد) ووافقه الطبراني في الاوسط والحاكم في مستدركه عن ابن عباس وروى الطبراني صدر الحديث فقط وهو قوله ليس الخبر كالمعاينة عن أنس وكذا الخطيب عن أبي هريرة

(باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه)

اعلم أن تفصيل فضائله وتحصيل شمائله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم مما لا يحد ولا يحصى بل ولا يمكن ان يعد ويستقصى وانما ذكر مؤلف الكتاب في هذا الباب شمة من شمائله ولمعة من فضائله تدل على بقية خصائله

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت) أي ولدت (من خير قرون بني آدم) اعلم أن معنى الخيرية في هذا الحديث والاصطفائية في الذي يليه المذكورتين في حق القبائل ليس باعتبار الديانة بل باعتبار الخصائل الحميدة والشمائل السعيدة (قرنا فقرنا) قيل انه حال للتفضيل والفاء فيه للترتيب في الفضل على سبيل الترقي من القرن السابق الى القرن اللاحق ويدل عليه قوله (حتى كنت) أي صرت (من القرن الذي كنت منه) أي وجدت والقرن من الناس أهل زمان واحد وقد قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني وفي شرح السنة القرن كل طبقة مقترنين في وقت قيل سمي قرنا لانه يقرن أمة بأمة وعالما بعالم وهو مصدر قرنت أي وصلت وجعل اسما للوقت

قلت يا رسول الله كم المرسلون قال ثلاثمائة وبضعة عشر جما غفيرا وفي رواية عن أبي امامة قال أبو ذر قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ان الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يلق الالواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الالواح فانكسرت روى الاحاديث الثلاثة أحمد

(باب فضائل سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه)

(الفصل الاول) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه

أولاهله وقيل القرن ثمانون سنة وقيل أربعون وقيل مائة اه والقول الاول هو المراد هنا فالمعنى بعثت من خير طبقات بنى آدم كائنين طبقة بعد طبقة حتى كنت من القرن الذى كنت فيه ففيه تفضيله على غيره من بنى آدم وعلى تفضيل أمته على سائر الامم قال الطيبى قوله حتى كنت غاية قوله بعثت والمراد بالبعث تقلبه فى أصلاب الآباء أبا فأبا قرنا فقرنا حتى ظهر فى القرن الذى وجد فيه يعنى انتقلت أولا من صلب ولد اسمعيل ثم من كنانة ثم من قريش ثم من بنى هاشم فالفاء فى قوله قرنا فقرنا للترتيب على سبيل الترقى من الآباء الابعد الى الاقرب فالاقرب كما فى قولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن والاجمل وفى معناه أنشد ابن الرومى

كم من أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

وفى قولنا حتى ظهر فى القرن الذى وجد فى نسخة تلميح لما روى الامام ابن الجوزى فى كتاب الوفاء عن كعب الاحبار قال لما أراد الله عز وجل أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل عليه السلام فاتاه بالقبضة البيضاء التى هى موضع قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجنت بماء التسنيم فغمست فى أنهار الجنة وطيف بها فى السموات فعرفت الملائكة محمدا صلى الله عليه وسلم قبل أن يعرف آدم ثم كان نور محمد يرى فى غرة جبهة آدم وقيل له يا آدم هذا سيد ولدك من المرسلين فلما حملت حواء بشيث انتقل النور من آدم الى حواء وكانت تلد فى كل بطن ولدين ولدين الا شيثا فانه ولدته وحده كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل ينتقل من طاهر الى طاهر الى أن ولدته آمنة من عبد الله بن عبد المطلب اه وقد ذكرت مجملا من أحوال ولادته صلى الله عليه وسلم فى رسالة سميتها بالمورد فى المولد (رواه البخارى وعن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة) بكسر الكاف ابن خزيمة أبو قبيلة كذا فى القاموس (من ولد اسمعيل) بفتح الواو واللام وبالضم والسكون أى من أولاده (واصطفى قريشا من كنانة) وهم أولاد نضر ابن كنانة كانوا تفرقوا فى البلاد فجمعهم قصى بن كلاب فى مكة فسموا قريشا لانه قرشهم أى جمعهم ولكنانة ولد سوى النضر وهم لا يسمون قريشا الا من لم يقرشوا (واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم) فى شرح السنة هو أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن النضر بن نزار بن معد بن عدنان ولا يصح حفظ النسب فوق عدنان اه وقد ضبطت الاسماء المذكورة فى رسالتى المسماة المسطورة (رواه مسلم) وكذا الترمذى على ما فى الجامع (وفى رواية للترمذى) أى عن واثلة أيضا (ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة) وتمام الحديث على ما فى الجامع واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) فى شرح مسلم للنووى قال الهروى السيد هو الذى يفوق قومه فى الخير وقال غيره هو الذى يفزع اليه فى النوائب والشدائد فيقوم بأمورهم ويتحمل عنهم مكارههم ويدفعها عنهم والتقييد بيوم القيامة مع انه صلى الله عليه وسلم سيدهم فى الدنيا والآخرة معناه انه يظهر يوم القيامة سودده بلا منازع ولا معاند بخلاف الدنيا فقد نازعه فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين وهو قريب من معنى قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار مع أن الملك له قبل ذلك لكن كان فى الدنيا من يدعى الملك أو من يضاف اليه مجازا فانقطع كل ذلك فى الآخرة وفى الحديث دليل على فضله صلى الله عليه وسلم على كل الخلق لان مذهب أهل السنة ان الآدمى أفضل من الملائكة وهو صلى الله عليه وسلم أفضل الآدميين بهذا الحديث وغيره وأما الحديث الآخر لا تفضلونى بين الانبياء فجوابه من خمسة أوجه أحدها انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم انه سيد ولد آدم والثانى قاله أدبا وتواضعا والثالث ان النهى انما هو عن تفضيل يؤدى الى تنقيص المفضول والرابع انما نهى عن تفضيل يؤدى الى الخصومة والفتنة والخامس أن النهى مختص بالتفضيل فى نفس النبوة ولا تفاضل فيها وانما التفاضل فى الخصائص

رواه البخارى وعن واثلة ابن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم رواه مسلم وفى رواية للترمذى ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة

وأوّل من ينشق عنه القبر وأوّل شافع وأوّل مشفع رواه مسلم وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وأنا أوّل من يقرع باب الجنة رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أفتح لاحد قبلك رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أوّل شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الانبياء ما صدقت وان من الانبياء نبيا ما صدقه من أمته الا رجل واحد رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبياء كمثل قصر أحسن بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة فكنت أنا سددت موضع اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل وفي رواية

وفضائل أخرى ولا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وقد قال أيضا ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض (وأوّل من ينشق عنه القبر) أي فهو أوّل من يبعث من قبره ويحضر في المحشر كما رواه الترمذي عن أنس أنا أوّل الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا أيسوا لواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية للترمذي والحاكم عن ابن عمر أنا أوّل من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة وفي رواية للترمذي عن أبي هريرة أنا أوّل من تنشق عنه الارض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري (وأوّل شافع) أي في ذلك المحضر (وأوّل مشفع) بتشديد الفاء المفتوحة أي أوّل من تقبل شفاعته على الاطلاق في أنواع الشفاعات وفيه دليل أيضا على انه صلى الله عليه وسلم أفضل المخلوقات وأكمل الموجودات (رواه مسلم) وكذا أبو داود وفي رواية أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أوّل من تنشق عنه الارض ولا فخر وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع ولا فخر (وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أكثر الانبياء تبعا) بفتحتين جمع تابع أي اتباعا يوم القيامة لان أمته ثلثا أهل الجنة على ما سبق في الحديث وفيه اشعار بان أكثرية الاتباع توجب أفضلية المتبوع وكذلك الامام عاصم من بين القراء فابو حنيفة رحمه الله له حظ عظيم ونصيب جسيم من ذلك فان غالب أهل الاسلام من اتباعه في فروع الاحكام (وأنا أوّل من يقرع) بفتح الراء أي يدق ويستفتح (باب الجنة) أي فيفتح له فيدخلها (رواه مسلم) وروى ابن النجار عن أنس أيضا أنا أوّل من يدق باب الجنة فلم تسمع الآذان أحسن من طنين الحلق على تلك المصاريع (وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي) أي أجيء (باب الجنة يوم القيامة فاستفتح) أي أطلب فتحه (فيقول الخازن من أنت) سمي الموكل بحفظ الجنة خازنا لان الجنة خزانة الله تعالى أعدها الله للمؤمنين وهو حافظها (فأقول محمد) أي أنا محمد (فيقول بك) أي بفتح الباب لك قبل غيرك من الانبياء (أمرت أن لا أفتح لاحد قبلك) قال الطيبي بك متعلق بامرت والباء للسببية قدمت للتخصيص والمعنى بسببك أمرت أن لا أفتح لغيرك لا بشيء آخر ويجوز أن يكون صلة للفعل وأن لا أفتح بدلا من الضمير المجرور أي أمرت بان لا أفتح لاحد غيرك (رواه مسلم وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أوّل شفيع في الجنة) قال المظهر أي أنا أوّل شافع للعصاة من أمتي في دخول الجنة وقيل أي أنا أوّل شافع في الجنة لرفع درجات الناس فيها (لم يصدق نبي من الانبياء ما صدقت) ما مصدرية أي لم يصدق نبي تصديقا مثل تصديق أمتي اياي يعني به كثرة مصدقيه قال المظهر وهذا كناية عن أنه صلى الله عليه وسلم أكثر الانبياء أمة ويؤيده قوله (وان من الانبياء نبيا ما صدقه من أمته الا رجل واحد رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي) أي صفتي العجيبة الشأن الغريبة البرهان (ومثل الانبياء) أي من الاخوان المشتركين في أساس البنيان من التوحيد وتحقيق الايمان وتدقيق الايقان مما يوجب مرتبة القرب والاحسان (كمثل قصر) أي بناء مرتفع (أحسن بنيانه) أي زين بناء أركانه (ترك منه) أي من القصر (موضع لبنة) والجملة استئناف بيان أو حال بتقدير قد أو بدونه (فطاف به النظار) بضم النون وتشديد الظاء المعجمة أي دار به الحاضرون وتفرج في جوانبه الناظرون (يتعجبون من حسن بنيانه) أي يستحسنون أنواع أركانه (الا موضع تلك اللبنة) فانه خارج عن موضع الاستحسان داخل في موضع الاستغراب في ذلك الشأن (فكنت) أي فصرت (أنا) ضمير فصل للتأكيد وارد على الضمير على وجه التأبيد (سددت موضع اللبنة) أي لكوني خاتم النبيين (ختم بي البنيان) حال أو استئناف بيان والمراد به بنيان بيت الشرع بذلك البنيان (وختم بي الرسل) الظاهر انهم هنا بمعنى الانبياء اما على القول بالترادف أو باعتبار التجريد لان الرسول نبي أمر بالتبليغ ويدل عليه قوله (وفي رواية فانا اللبنة

وأنا خاتم النبيين) بكسر التاء ويفتح في ما جاء الى ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الاخلاق قال الطيبي هذا من التشبيه التمثيلي شبه الانبياء وما بعثوا به من الهدى والعلم وارشادهم الناس الى مكارم الاخلاق بقصر شيد بنيانه وأحسن بناؤه ولكن ترك منه ما يصلحه وما يسد خللها من اللبنة فبعث نبينا لسد ذلك الخلل مع مشاركته اياهم في تأسيس القواعد ورفع البنيان هذا على أن يكون الاستثناء منقطعا ويجوز أن يكون متصلا من حيث المعنى اذ حاصل المعنى تعجبهم المواضع الا موضع تلك اللبنة وليس ذلك المصلح الا ما اختص به من معنى المحبة وحق الحقيقة الذي يعتنيه أهل العرفان وقوله أنا سددت موضع اللبنة يحتمل أن يكون هو السادّ لبنة ذلك الموضع وأن يسده بنفسه ويكون بمنزلة اللبنة ويؤيده هذه الرواية الاخرى من قوله فأنا اللبنة (متفق عليه وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء من نبي) زيد من الثانية للمبالغة والاولى للتبعيض والمعنى ليس نبي من الانبياء (الا قد) وفي الجامع الا وقد (أعطي من الآيات) أي المعجزات وخوارق العادات ومن بيان لما في قوله (ما مثله آمن عليه البشر) وهي موصولة ومثله مبتدأ وآمن خبره وعليه يتعلق بآمن لتضمنه معنى الاطلاع كأنه قال آمن للاطلاع عليه البشر أو بحال محذوف أي آمن البشر واقفا أو مطلعا عليه والمفعول محذوف والمعنى ان كل نبي قد أعطي من المعجزات ما اذا شوهد واطلع عليه دعا الشاهد الى تصديقه فاذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة هذا الخلاصة كلام بعض الشراح من علمائنا وقال الطيبي من فيه بيانية ومن الثانية زائدة لتزاد بعد النفي وما في ما مثله موصولة وقعت مفعولا ثانيا لاعطي ومثله مبتدأ وآمن خبره والجملة صلة الموصول والراجع الى الموصول ضمير المجرور في عليه وهو حال أي مغلوبا عليه في التحدي والمباراة والمراد بالآيات المعجزات وموقع المثل هنا موقعه في قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله أي بما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم يعني ليس نبي من الانبياء الا قد أعطاه الله تعالى من المعجزات الدالة على نبوته الشيء الذي من صفته انه اذا شوهد اضطر الشاهد الى الايمان به وتحريره ان كل نبي اختص بما يثبت دعواه من خارق العادات بحسب زمانه فاذا انقطع زمانه انقطعت تلك المعجزة كقلب العصا ثعبانا في زمان موسى عليه السلام واخراج اليد البيضاء لان الغلبة في زمنه للسحر فأتاهم بما هو فوق السحر واضطرهم الى الايمان وفي زمن عيسى عليه السلام الطب فأتاهم بما هو أعلى من الطب وهو احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وفي زمن رسولنا صلى الله عليه وسلم البلاغة والفصاحة فجاء القرآن وأبطال الكل اه وفيه تأمل من جهة قوله ابطال الكل فالصواب أن يقال فجاء القرآن معجزة مشتهرة دائمة الى انقراض الزمان بل أبد الآباد لما يتلى في درجات الجنان بل يسمع من كلام الرحمن وهذا معنى قوله (وانما كان الذي أوتيت) وفي الجامع أوتيته والموصول صفة لمحذوف أي كان خرق العادة الذي أعطيته بالخصوص (وحيا) أي كلاما منزلا علي نزل به الروح الامين (أوحى الله الي) أي لا غيره فالمراد بالوحي هنا القرآن الذي هو في نفسه دعوة وفي نظامه معجزة وهو لا ينقرض بموته كما تنقرض معجزات غيره قال القاضي وغيره أي معظم الذي أوتيت وأفيده اذ كان له غير ذلك معجزات من جنس ما أوتي غيره والمراد بالوحي القرآن البالغ في غاية الاعجاز في النظم والمعنى وهو أكثر فائدة وأعم منفعة من سائر المعجزات فانه يشتمل على الدعوات والحجة ويستمر على مر الدهور والاعصار وينتفع به الحاضرون عند الوحي المشاهدون له والغائبون عنه والموجودون بعده الى يوم القيامة على السواء ولذلك رتب عليه قوله (فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) وقد حقق الله رجاءه كما تقدم والله أعلم (متفق عليه) ورواه أحمد (وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا) أي من الخصائل والفضائل (لم يعطهن أحد قبلي) أي من الانبياء فمن المحال أن يعطى أحد بعده من الاولياء (نصرت) أي نصرني ربي على أعدائي (بالرعب) بضم فسكون وبضمتين أي بخوف العدو مني (مسيرة شهر) أي في قدر مسيرة شهر بيني وبينه من قدام أو وراء وفي شرح الطيبي الرعب الفزع والخوف وقد أوقع الله تعالى

وأنا خاتم النبيين متفق عليه
وعنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من الانبياء من
نبي الا قد أعطي من الآيات
ما مثله آمن عليه البشر
وانما كان الذي أوتيت
وحيا أوحى الله الي فأرجو
أن أكون أكثرهم تابعا
يوم القيامة متفق عليه
وعن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أعطيت
خمسا لم يعطهن أحد قبلي
نصرت بالرعب مسيرة شهر

في قلوب أعداء النبي صلى الله عليه وسلم الخوف منه فاذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوا وفزعوا منه وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا) في شرح السنة أراد أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة الا في بيعهم وكنائسهم وأباح الله عز وجل لهذه الامة الصلاة حيث كانوا تخفيفا عليهم وتيسيرا ثم خص من جميع المواضع الحمام والمقبرة والمكان النجس وقوله طهورا أراد به التيمم اه وفي الحمام والمقبرة تفصيل قد مناه وقيل معناه انهم كانوا لا يصلون الا فيما تيقنوا طهارته من الارض وخصصنا بجواز الصلاة في جميع الارض الا فيما تيقنا نجاسته ثم صرح بعموم هذا الحكم وفرع على ما قبله بقوله (فأيما رجل) أي شخص (من أمتي أدركته الصلاة) أي وجبت عليه ودخل وقتها في أي موضع (فليصل) أي في ذلك الموضع بشروطه المعتبر في صحة الصلاة (وأحلت لي المغانم) أي الغنائم وهي الاموال المأخوذة من الكفار (ولم تحل) وفي نسخة بصيغة المجهول أي لم تبح الغنائم (لاحد قبلي) أي من الانبياء بل غنائمهم توضع فتأتي نار تحرقها هكذا أطلقه بعض الشراح من علمائنا وقال ابن الملك أي من قبلنا من الامم اذا غنموا الحيوانات يكون ملكا للغانمين دون الانبياء فخص نبينا صلى الله عليه وسلم بأخذ الخمس والصفي واذا غنموا غيرها جمعوه فتأتي نار فتحرقه أقول ولعل الحكمة في احراق الغنيمة تحصيل تحسين النية وتزيين الطوية في مرتبة الاخلاص في الجهاد والله أعلم بالعباد وروف بالعباد (وأعطيت الشفاعة) أل فيه للعهد أي الشفاعة العامة للاراحة من المحشر المعبر عنها بالمقام المحمود الذي يغبطه عليه الاولون والآخرون (وكان النبي) اللام فيه للاستغراق أي وكان كل نبي من قبلي (يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس) أي الى أقوام مختلفة منهم غير مختص بقوم من العرب (عامة) أي شاملة للعرب والعجم قال الطيبي التعريف في النبي لاستغراق الجنس وهو أشمل من لو جمع لما تقرر في علم المعاني أن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع لان الجنسية في المفرد قائمة في وحدانه فلا يخرج منه شئ وفي الجمع فيما فيه الجنسية من الجموع فيخرج منه واحد أو اثنان على الخلاف في أن أقل الجمع اثنان أو ثلاثة اه وقيل اللام فيه للجنس عند النحويين وللعهد عند الاصوليين وهو لبيان الماهية المتعلقة بالذهن لا لتعيين الذات وتلك الماهية هي النبوة (متفق عليه) ورواه النسائي وفي رواية أحمد عن علي كرم الله وجهه أعطيت ما لم يعطه أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الارض وسميت أحمد وجعل لي التراب طهورا وجعلت أمتي خير الامم وروى الحرث وابن مردويه عن أنس ولفظه أعطيت ثلاث خصال أعطيت صلاة في الصفوف وأعطيت السلام وهو تحية أهل الجنة وأعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم الا أن يكون الله أعطاها هرون فان موسى كان يدعو ويؤمن هرون (وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست) قال التوربشتي وفي حديث جابر بخمس وليس هذا باختلاف تضاد وانما هو اختلاف زمان يكون فيه حديث الخمس متقدما وذلك انه أعطيها فحدث به ثم زيد له السادسة فأخبر عن ست قال ابن الملك فان قلت هذا انما يتم لو ثبت تأخر الدال على الزيادة قلت ان ثبت فلا كلام والا فيحمل على أنه اخبار عن زيادتها في المستقبل عبر عنه بالماضي تحقيقا لوقوعه اه وقال صاحب الخلاصة ويجوز أن يكون ذكر الخمس أو الست لمناسبة المقام وحينئذ جاز أن يكون سبعا كما اذا ضمت الشفاعة الى هذه الست قلت ويجوز أن تكون زائدة على السبع لما سيأتي ولما تقدم والله أعلم (أعطيت جوامع الكلم) أي قوة ايجاز في اللفظ مع بسط في المعنى فأبين بالكلمات اليسيرة المعاني الكثيرة وقد جمعت أربعين حديثا من الجوامع الواردة على الكلمتين اللتين هما أقل مما يتصور منه تركب الكلام ويتأتى منه اسناد المرام نحو قوله عليه السلام العدة دين والمستشار مؤتمن ولا تغضب وأمثال ذلك وقد روى أبو يعلى في مسنده عن عمر رضي الله عنه أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا وفي شرح السنة قيل جوامع الكلم هي القرآن جمع الله سبحانه بلطفه معاني كثيرة في ألفاظ يسيرة وقيل ايجاز الكلام في اشباع من المعنى فالكلمة القليلة الحروف منها تتضمن كثيرا من المعاني وأنواعا من الكلام

وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغانم ولم تحل لاحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة متفق عليه وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم

(ونصرت

(ونصرت بالرعب) أطلقه هنا وقيد غايته فيما سبق بمسيرة شهر (وأحلت لي) أي لاجلي على أمتي (الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة) أي الى الموجودات بأسرها عامة من الجن والانس والملك والحيوانات والجمادات كما بينته في الصلوات العلية على الصلوات المحمدية قال الطيبي يجوز أن يكون كافة مصدرا أي أرسلت رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد وأن يكون حالا اما من الفاعل والتاء على هذا للمبالغة كتاء الراوية والعلامة واما من المجرور أي مجموعين (وختم بي النبيون) أي وجودهم فلا يحدث بعدي نبي ولا يشكل بنزول عيسى عليه السلام وترويج دين نبينا صلى الله عليه وسلم على أتم النظام وكفى به شهيدا شرفا وناهيك به فضلا على سائر الانام قال الطيبي أغلق باب الوحي وقطع طريق الرسالة وسد وأخبر باستغناء الناس عن الرسل واظهار الدعوة بعد تصحيح الحجة وتكميل الدين كما قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأما باب الالهام فلا ينسد وهو مدد يعين النفوس الكاملة فلا ينقطع لدوام ضرورة حاجتها الى تأكيد وتجديد وتذكير وكما أن الناس استغنوا عن الرسالة والدعوة احتاجوا الى التذكير والتنبيه لاستغراقهم في الوساوس وانهماكهم في الشهوات فالله تعالى أغلق باب الوحي بحكمته وفتح باب الالهام برحمته لطفا منه بعباده (رواه مسلم) وكذا الترمذي وفي رواية الطبراني عن السائب بن يزيد فضلت على الانبياء بخمس بعثت الى الناس كافة وادخرت شفاعتي لامتي ونصرت بالرعب شهرا امامي وشهرا خلفي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وفي رواية البيهقي عن أبي امامة فضلت بأربع جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الناس كافة ونصرت بالرعب من مسيرة شهرين يسير بين يدي وأحلت لي الغنائم وفي رواية الطبراني عن أبي الدرداء فضلت بأربع جعلت أنا وأمتي في الصلاة كما تصف الملائكة وجعل الصعيد لي وضوأ وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأحلت لي الغنائم فبعض الاحاديث وان دل بمنطوقه على انه صلى الله عليه وسلم مخصوص من عند الله تعالى بفضائل معدودة لكن لا يدل مفهومه على حصر فضائله فيها فان فضائله غير منحصرة (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي) في النهاية أراد ما سهل الله تعالى له ولامته من افتتاح البلاد المتعددات واستخراج الكنوز المتنوعات اه أو المراد منه معادن الارض التي فيها الذهب والفضة وسائر الفلزات (متفق عليه) ورواه النسائي (وعن ثوبان) وهو مولى النبي صلى الله عليه وسلم (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الارض) أي جمعها لاجلي قال التوربشتي زويت الشيء جمعته وقبضته يريد به تقريب البعيد منها حتى اطلع عليها اطلاعه على القريب منها وحاصله انه طوى له الارض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة نظره ولذا قال (فرأيت مشارقها ومغاربها) أي جميعها (وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها) قال الخطابي توهم بعض الناس ان من في منها للتبعيض وليس ذلك كما توهمه بل هي للتفصيل للجملة المتقدمة والتفصيل لا يناقض الجملة ومعناه أن الارض زويت لي جملتها مرة واحدة فرأيت مشارقها ومغاربها ثم هي تفتح لامتي جزأ فجزأ حتى يصل ملك أمتي الى كل أجزائها أقول ولعل وجه من قال بالتبعيض هو أن ملك هذه الامة ما بلغ جميع الارض فالمراد بالارض أرض الاسلام وان ضمير منها راجع اليها على سبيل الاستخدام والله أعلم بالمرام (وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض) بدلان مما قبلهما أي كنز الذهب والفضة قال التوربشتي يريد بالاحمر والابيض خزائن كسرى وقيصر وذلك أن الغالب على نقود ممالك كسرى الدنانير والغالب على نقود ممالك قيصر الدراهم (واني سألت ربي لامتي أن لا يهلكها بسنة عامة) أي بقحط شائع لجميع بلاد المسلمين قال الطيبي السنة القحط والجدب وهي من الاسماء الغالبة (وأن لا يسلط عليهم عدوا) وهم الكفار وقوله (من سوى أنفسهم) صفة عدوا أي كائنا من سوى أنفسهم وانما قيده بهذا القيد لما سأل أولا ذلك فمنع على ما يأتي في الحديث الآتي (فيستبيح) أي العدو وهو مما يستوي فيه الجمع

ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون رواه مسلم وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب وبينا أنا نائم رأيتني أتيت بمفاتيح خزائن الارض فوضعت في يدي متفق عليه وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وأعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي لامتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح

بيضتهم وان ربى قال يا محمد انى اذا قضيت قضاء فانه لا يرد وانى أعطيتك لامتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا و يسبى بعضهم بعضا رواه مسلم وعن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف فقال سألت ربى ثلاثا فأعطانى ثنتين ومنعنى واحدة سألت ربى أن لا يهلك أمتى بالسنة فأعطانيها وسألت أن لا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها رواه مسلم وعن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاص قلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال أجل

والمفرد (بيضتهم) قال ابن الملك أى يجعلها مباحة وقال شارح أى يستأصل مجتمعهم وقال الطيبى أراد بالبيضة أى مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم و بيضة الدار وسطها ومعظمها أراد عدوا يستأصلهم و يهلكهم جميعهم وقيل أراد اذا هلك أصل البيضة كان هلاك كل ما فيه من طعم أو فرخ واذا لم يهلك أصل البيضة ربما سلم بعض فراخها والنفى منصب على السبب والمسبب معا فيلهم منه انه قد يسلط عليهم عدو ولكن لا يستأصل شأفتهم (وان ربى قال يا محمد انى اذا قضيت قضاء) أى حكمت حكما مبرما (فانه لا يرد) أى بشئ بخلاف الحكم المعلق بشرط وجود شئ أو عدمه كما حقق فى باب الدعاء ورد البلاء (وانى أعطيتك) أى عهدى وميثاقى (لامتك) أى لاجل أمة اجابتك (أن لا أهلكهم بسنة عامة) أى بحيث يعمهم القحط و يهلكهم بالكلية قال الطيبى اللام فى لامتك هى التى فى قوله سابقا سألت ربى لامتى أى أعطيت سؤالك الدعائك لامتك والكاف هو المفعول الاوّل وقوله أن لا أهلكهم المفعول الثانى كما هو فى قوله سألت ربى أن لا يهلكها هو المفعول الثانى (وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من) أى الذين هم (بأقطارها) أى بأطرافها جمع قطر وهو الجانب والناحية والمعنى فلا يستبيح عدو من الكفار بيضتهم ولو اجتمع على محاربتهم من أطراف بيضتهم وجواب لو ما يدل عليه قوله وأن لا أسلط (حتى يكون بعضهم يهلك بعضا و يسبى) كيرمى بالرفع عطف على يهلك أى و يأسر (بعضهم) بوضع الظاهر موضع المضمر (بعضا) أى بعضا آخر وفى نسخة بالنصب على أن يكون عطفا على يكون قال الطيبى حتى بمعنى كى أى لكى يكون بعض أمتك يهلك بعضا فقوله انى اذا قضيت قضاء فلا يرد توطئة لهذا المعنى و يدل عليه حديث خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى سألت الله ثلاثا فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة سألته أن لا يهلك أمتى بسنة فأعطانى وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها قال المظهر اعلم ان الله تعالى فى خلقه قضاءين مبرما ومعلقا بفعل كما قال ان فعل الشئ الفلانى كان كذا وكذا وان لم يفعله فلا يكون كذا وكذا من قبيل ما يتطرق اليه المحو والاثبات كما قال تعالى فى محكم كتابه يمحو الله ما يشاء و يثبت وأما القضاء المبرم فهو عبارة عما قدره سبحانه فى الازل من غير ان يعلقه بفعل فهو فى الوقوع نافذ غاية النفاذ بحيث لا يتغير بحال ولا يتوقف على المقضى عليه ولا المقضى له لانه من علمه بما كان وما يكون وخلاف معلومه مستحيل قطعا وهذا من قبيل ما لا يتطرق اليه المحو والاثبات قال تعالى لا معقب لحكمه وقال النبى عليه السلام لا مرد لقضائه ولا مرد لحكمه فقوله صلى الله عليه وسلم اذا قضيت قضاء فلا يرد من القبيل الثانى ولذلك لم يجب اليه وفيه أن الانبياء مستجابو الدعوة الا فى مثل هذا (رواه مسلم وعن سعد) أى ابن أبى وقاص أحد العشرة المبشرة بالجنة (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمسجد من بنى معاوية) هم بطن من الانصار وقيل كان المسجد فى المدينة (دخل) حال أو استئناف بيان وفى رواية البغوى فدخل أى دخل المسجد (فركع) أى فصلى فيه (ركعتين) أى تحية أو فريضة (وصلينا معه) أى موافقة أو متابعة (ودعا) أى فناجى كما فى رواية (ربه طويلا) أى زمانا كثيرا أو دعاء عريضا بعد الصلاة والظاهر ان أصحابه دعوا معه أو أمنوا والاظهر ان طويلا قيد للصلاة والدعاء لما سيأتى فى حديث خباب فى أوّل الفصل الثانى (ثم انصرف) أى من الدعاء (فقال سألت ربى ثلاثا) أى من السؤالات أو ثلاث مرات (فأعطانى ثنتين ومنعنى واحدة) فيه زيادة توضيح (سألت ربى أن لا يهلك أمتى بالسنة) أى بالقحط العام (فأعطانيها) أى المسألة (وسألت أن لا يهلك) أمتى (بالغرق) بفتحتين وفى نسخة بسكون الراء أى بالغرق العام كقوم فرعون فى اليم وقوم نوح بالطوفان (فأعطانيها وسألته ان لا يجعل بأسهم) أى حربهم الشديد (بينهم فمنعنيها رواه مسلم وعن عطاء بن يسار) هو من اجلاء التابعين (قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت) استئناف بيان (أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى عن نعته (فى التوراة قال أجل) بفتحتين وسكون اللام المخففة قال الطيبى هو حرف يصدق بها الخبر خاصة يقال لمن قال قام زيد اجل وزعم بعض جواز وقوعه بعد

الاستفهام وفي الحديث جاءجوابا للامر على تأويل قرأت التوراة هل وجدت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فأخبرني قال أجل أي نعم أخبرك (والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن) أي بالمعنى كقوله (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا) حال مقدرة من الكاف أو من الفاعل أو مقدرا أو مقدرين شهادتك على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم ذكره الطيبي أو شاهد الافعال أمتك يوم القيامة أو لجميع الانبياء في تبليغهم كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا أو مزكيا لامتك في شهادتهم على الامم بتبليغ رسالة الانبياء اليهم كما قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقد تقدم والله أعلم أو معناه شاهد القدرتنا وارادتنا في الخلق كما يشير اليه قوله (ومبشرا) أي للمؤمنين بالمثوبة (ونذيرا) أي منذرا ومخوفا للكافرين بالعقوبة (وحرزا) بكسر الحاء وسكون الراء (للاميين) قال القاضي أي حصنا وموئلا للعرب يتحصنون به من غوائل الشيطان أو عن سطوة العجم وتغلبهم وانما سموا أميين لان أغلبهم لا يقرؤن ولا يكتبون اه أو لانهم ينسبون الى أم القرى وهي مكة أو لكون نبيهم أميا ولعل هذا الوجه في هذا المقام أوجه ليشمل جميع الامة ولا يبقى متمسك لليهود على مازعموا من انه مبعوث الى العرب خاصة فانه بذكره لا ينفي ما عداه لاسيما وقد قال تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي قال ابن الملك ويجوز ان يكون المراد بالحرز حفظ قومه من عذاب الاستئصال أو الحفظ لهم من العذاب مادام فيهم قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (أنت عبدي) أي الخاص كما وصفه بالقرآن في مواضع سبعة باضافته الى الله أو ضميره اضافة تشريف (ورسولي) أي الاخص كما قال في مواضع من القرآن هو الذي أرسل رسوله بالهدى فالاضافة للعهد كما يقال أكرم زيد عبده اذا كان له عبيد متعددة مع انه اذا أطلق اسم الجنس فالمراد به الفرد الاكمل فتأمل (سميتك المتوكل) أي خصصتك بهذا الوصف لكمال توكلك على وتفويضك الى وتسليمك لدي عملا بما في القرآن وتوكل على الله وتوكل على الحي الذي لا يموت وكذا في قوله سبحانه لا نسألك رزقا نحن نرزقك ورزق ربك خير وأبقى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب دلالة عليه واشارة اليه (ليس بفظ) التفات فيه تضمين للمتن قال الطيبي يحتمل ان يكون آية أخرى في التوراة لبيان صفته وان يكون حالا من المتوكل أو من الكاف في سميتك فعلى هذا فيه التفات اه والمعنى ليس بسيء الخلق أو القول (ولا غليظ) أي ضخم كريه الخلق أو سيء الفعل أو غليظ القلب وهو الاظهر لقوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب أي شديده وقاسيه فيناسب حينئذ ان يكون الفظ معناه بذاءة اللسان ففيه ايماء الى طهارة عضويه الكريمين من دنس الطبع ووسخ هوى النفس الذميمين وقد قال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل (ولا سخاب) بتشديد الخاء المعجمة أي صياح (في الاسواق) قال الطيبي أي هو لين الجانب شريف النفس لا يرفع الصوت على الناس لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم في السوق لدناءته بل يلين جانبه لهم ويرفق بهم قلت فهو مقتبس من قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم أو مأخوذ من قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (ولا يدفع بالسيئة السيئة) لقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ولقوله سبحانه ادفع بالتي هي أحسن الآية واطلاق السيئة على جزائها اما للمشاكلة والمقابلة أو لكونه في صورة السيئة أو بالاضافة الى دفعها بالحسنة كأنها سيئة ومنه قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين (ولكن يعفو) أي عن المسيء (ويغفر) أي يستر أو يدعو له بالمغفرة لقوله تعالى فاعف عنهم واصفح وقوله فاعف عنهم واستغفر لهم وهذا أقرب مراتب معاملته مع المسيئين وكان قد يقابلهم بالاحسان اليهم لقوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (ولن يقبضه) بالياء التحتية في الاصول المعتمدة وفي نسخة بالنون ويؤيد الاول ما في نسخة صحيحة ولن يقبضه الله بزيادة

والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله

لفظا الجلالة وكذا الحكم في الافعال الآتية قال الطيبي وكذا التفات في قوله ولن يقبضه بالياء المثناة من تحت على رواية المشكاة ويعضده ما في شرح السنة ولن يقبضه الله (حتى يقيم به) أي بواسطته (الملة العوجاء) كما في التنزيل ذما للكفار ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وقال في مدح دين الاسلام ذلك الدين القيم وانك لتهدي الى صراط مستقيم قال القاضي يريد بها ملة ابراهيم فانها قد اعوجت في أيام الفترة فزيدت ونقصت وغيرت وبدلت ومازالت كذلك حتى قام الرسول صلى الله عليه وسلم فأقامها أي أقامها الله وادامها (بأن يقولوا لا اله الا الله) متعلق بقوله يقيم وفيه ايماء الى ان اقامة التوحيد في ادامة معنى هذه الكلمة من النفر بدو قال شارح للمصابيح قال الله تعالى ولن نقبضه أي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نقيم به الملة العوجاء أي حتى نجعلها مستقيمة ويريد بها ما كانت العرب تتدين بها وتزعم انها ملة ابراهيم وانما وصفها بالعوجاء وسماها ملة على الاتساع كما يقال الكفر ملة (ويفتح) بالياء والنون على ما سبق وهو منصوب عطفا على قوله يقيم وفي نسخة السيد بالرفع على القطع أي وهو يفتح أو نحن (بها) أي بواسطة هذه الكلمة وفي نسخة به أي بهذا النبي أو بهذا القول (أعينا) بالنصب على ما في جميع نسخ المشكاة (عميا) بضم أوله جمع أعمى قال الطيبي هذا رواية البخاري والدارمي وكتاب الحميدي وجامع الاصول وفي المصابيح يفتح بها أعين عمياء على بناء المفعول والاول أصح رواية ودراية أقول ولعل وجه أصحية الدراية هو أن المعطوف عليه بصيغة الفاعل بلا خلاف على اختلاف أنه بالياء أو النون ثم قوله (وآذانا) الخ على هذا المنوال وهو بمد الهمز جمع الاذن (صما) جمع أصم (وقلوبا غلفا) بضم أوله جمع أغلف وهو الذي لا يفهم كأن قلبه في غلاف وانما ذكر هذه الاعضاء لانها آلات للعلوم والمعارف قال تعالى في حق الكفار ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة وقال صم بكم عمي فهم لا يعقلون ولعله لم يذكر اللسان في معرض هذا البيان لانه ترجمان الجنان والاناء يترشح بما فيه من الاعيان قال الطيبي فان قلت قوله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يقتضي أن تكون المذكورات كلها مثبتة في القرآن قلت أجل أما قوله يا أيها النبي انا أرسلناك ففي الاحزاب وقوله حرزا للاميين ففي الجمعة هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب وقوله سميتك المتوكل الى قوله ولكن يعفو ويغفر في قوله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب الى قوله ان الله يحب المتوكلين وقوله ولا سخاب في الاسواق في قوله تعالى فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين أي دم على التسبيح والتحميد واجعل نفسك من الذين لهم مساهمة ونصيب وافر في السجود فلا تخل بها ولا تشتغل بغيرها ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ما أوحي الي ان أكون من التاجرين ولكن أوحي الي أن أكون من الساجدين فقوله ولا سخاب في الاسواق من قبيل قوله تعالى ولا شفيع يطاع اذ هو يحتمل أن يراد به نفي سخاب وحده ونفيهما معا وهو المراد هنا قلت ويحتمل أن يكون قوله في الاسواق قيدا معتبرا في النفي احترازا من رفع صوته في القراءة والخطبة في المساجد قال وقوله ولا يدفع بالسيئة السيئة في قوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن وقوله حتى يقيم به الملة العوجاء في قوله تعالى قل انما يوحى الي أنما الهكم اله واحد أي ما يوحى الي الا أن أقيم التوحيد وأنفي الشرك فان قلت كيف الجمع بين قوله ويفتح بها أعينا عميا وبين قوله تعالى وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم قلت دل ايلاء الفاعل المعنوي حرف النفي على أن الكلام في الفاعل وذلك انه تعالى نزله بحرصه على ايمان القوم منزلة من يدعي استقلاله بالهداية فقيل له أنت لست بمستقل فيه بل انك لتهدي الى صراط مستقيم باذن الله وتيسيره اهـ وحاصله انه قد ينسب الهداية اليه صلى الله عليه وسلم نظرا الى كونه من أسباب الهداية ومنه قوله سبحانه وانك لتهدي وتنفى عنه أخرى نظرا الى أن حقيقة الهداية راجعة الى الله تعالى ومنه قوله سبحانه انك لا تهدي من أحببت فيكون من قبيل قوله تعالى وما رميت اذ رميت أي ما رميت خلقا وحقيقة اذ رميت كسبا وصورة ولكن الله رمى حيث جعلك قادرا على الرمي وفاعلا له والاظهر أن نفي الهداية عنه انما هو بالنسبة الى من لم يرد الله هدايته واثباتها

حتى يقيم به الملة العوجاء
بان يقولوا لا اله الا الله
و يفتح بها أعينا عميا وآذانا
صما وقلوبا غلفا

له فمن أراد اهداه لا منافاة فهو صلى الله عليه وسلم مظهر هدايته كما أن ابليس مظهر ضلالته والا فهو سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء من يضلل الله فلا هادي له ومن يهده الله فلا مضل له (رواه البخاري) أي عن عطاء بن يسار (وكذا الدارمي عن عطاء عن ابن سلام) وهو صحابي مشهور (نحوه) أي نحو مارواه البخاري في المعنى مع نوع مخالفة في اللفظ وقال شارح للمصابيح وفي سائر نسخ المصابيح رواه عطاء بن سلام وهو غلط والصواب رواه عطاء عن ابن سلام يعني عبد الله بن سلام وعطاء هو عطاء بن يسار الراوي عن عبد الله بن عمرو اهـ وحاصله أن عطاء بن يسار روى هذا الحديث من طريق ابن عمرو كما رواه البخاري ويرويه أيضا من طريق ابن سلام كما رواه الدارمي والمناسب للصحاح المعبر عنه بالفصل الاول هو رواية البخاري وتاييده برواية الدارمي للالتزام السابق وبه يحصل نوع اعتراض لصاحب المشكاة على البغوي مع قطع النظر عن تخطئة سائر نسخ المصابيح (وذكر حديث أبي هريرة نحن الآخرون) أي السابقون يوم القيامة الحديث بطوله (في باب الجمعة) لكونه أنسب بذلك الباب باعتبار أواخر الحديث وغالبه فهو من المؤلف اعتذار قولي واعتراض فعلي

(الفصل الثاني) (عن خباب) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى (ابن الارت) بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية صحابي مشهور (قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها) أي فجعلها طويلة باعتبار أركانها أو بالدعاء فيها (قالوا يارسول الله صليت صلاة) أي عظيمة (لم تكن تصليها) أي عادة (قال أجل) أي نعم (انها صلاة رغبة) أي رجاء (ورهبة) أي خوف قال شارح أي صلاة فيها رجاء للثواب ورغبة الى الله وخوف منه تعالى قال الاظهر ان يقال المراد به ان هذه صلاة جامعة بين قصد رجاء الثواب وخوف العقاب بخلاف سائر الصلوات اذ قد يغلب فيها أحد الباعثين على أدائها قالوا وفي قوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يعني أولمانعة الخلو ثم لما كان سبب صلاته الدعاء لامته وهو كان بين رجاء الاجابة وخوف الرد طوّلها ولذا قال (واني سألت الله فيها ثلاثا) أي ثلاث مسائل (فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة) تصريح بما علم ضمنا (سألته أن لايهلك أمتي بسنة) أي بقحط عام وفي معناه الوباء والمقصود أن لايهلكوا بالاستئصال (فاعطانيها وسألته أن لايسلط عليهم عدوّا من غيرهم) وهم الكفار لان العدو من أنفسهم أهون ولايحصل به الهلاك الكلي ولا اعلاء كلمته السفلى (فاعطانيها وسألته أن لايذيق بعضهم بأس بعض) أي حربهم وقتلهم وعذابهم (فمنعنيها) أي لما سبق من الحكمة قال الطيبي رحمه الله هو من قوله تعالى أو يلبسكم شيعا أي يجعل كل فرقة منكم متابعة لامام وينشب القتال بينكم وتختلطوا وتشتبكوا في ملاحم القتال يضرب بعضكم رقاب بعض ويذيق بعضكم بأس بعض المعنى يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى اهـ وفي المعالم ذكر باسناده المتصل الى البخاري مسندا الى جابر قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أهون أو هذا أيسر (رواه الترمذي والنسائي وعن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل أجاركم) أي حفظكم وأنقذكم (من ثلاث خلال) أي خصال (أن لايدعو عليكم نبيكم) أي يكفر بعضكم قاله ابن الملك والاظهر أنه لايدعو عليكم دعاء الاستئصال بالاهلاك (فتهلكوا جميعا) أي كما دعا نوح وموسى ذكره ابن الملك لكن دعاء موسى كان خاصا ببعض قومه وهو القبط دون السبط كما لايخفى (وأن لايظهر) أي لايغلب (أهل الباطل) أي وان كثر أنصاره (على أهل الحق) أي وان قل أعوانه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة على مارواه الحاكم عن عمر وفي رواية ابن ماجه عن أبي هريرة لاتزال طائفة من أمتي قوّامة على أمر الله لايضرها من خالفها ولعله مقتبس من قوله تعالى يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وفي المصابيح على الحق قال شارح له أي بحيث يمحقه

رواه البخاري وكذا الدارمي عن عطاء عن ابن سلام نحوه وذكر حديث أبي هريرة نحن الآخرون في باب الجمعة

(الفصل الثاني) عن خباب بن الارت قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها قالوا يارسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال أجل انها صلاة رغبة ورهبة واني سالت الله فيها ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالته أن لايهلك أمتي بسنة فاعطانيها وسالته أن لايسلط عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته أن لايذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها رواه الترمذي والنسائي وعن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل أجاركم من ثلاث خلال أن لايدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا وأن لايظهر أهل الباطل على أهل الحق

ويطفئ نوره وان كانت الرواية على أهل الحق فانه أراد به الظهور كل الظهور حتى لا يبقى لهم فئة ولا جماعة قال التوربشتي يريد ان الباطل وان كثرت انصاره فلا يغلب الحق بحيث يمحقه ويطفئ نوره ولم يكن ذلك بحمد الله مع ما ابتلينا به من الامر الفادح والمحنة العظمى بتسلط الاعداء علينا ومع استمرار الباطل فالحق أبلج والشريعة قائمة لم تخمد نارها ولم يندرس منارها (وان لا تجتمعوا على ضلالة) أي وان لا تتفقوا على شئ باطل وهذا يدل على ان اجماع الامة حجة وان ما هو حسن عند الناس فهو حسن عند الله ويقويه قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا فهذا أحسن من قولهم الاجماع حجة استنبطه الشافعي رحمه الله من الكتاب قال الطيبي وحرف النفي في القرائن زائد مثل قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وفائدته تأكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه وذلك ان لا الاجارة انما تستقيم اذا كانت الخلال مثبتة أو منفية (رواه أبو داود وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجمع الله على هذه الامة سيفين سيفا منها وسيفا من غيرها) أي بل اختار الله الايسر منهما وهو السيف منها دون السيف من غيرها على وجه الاستئصال والا فقد يجتمعان في بعض الاحوال ففيه اشارة الى بقاء الملة وبشارة في حفظ هذه الامة الى يوم القيامة لما صح في مسلم عن جابر بن سمرة مرفوعا لن يبرح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة وقال القاضي معناه ان سيوفهم وسيوف اعدائهم لا يجتمعان عليهم فيؤديان الى استئصالهم بل اذا جعلوا بأسهم بينهم سلط عليهم العدو فيشغلهم به عن أنفسهم ويكف عنهم بأسهم وهو من قول الشيخ التوربشتي وقال الطيبي الظاهر ان يقال انه تعالى وعدني ان لا يجمع على أمتي محاربتين محاربة بعضهم بعضا ومحاربة الكفار معهم بل تكون احداهما فاذا كانت احداهما لا يكون الاخرى لانه موافق للاحاديث السابقة لانه صلى الله عليه وسلم سأل ربه تعالى ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم يستأصلهم وسأله ان لا يذيق بعضهم بأس بعض فاجاب الاول ومنع الثاني ولم يجمع بين المنعين (رواه أبو داود وعن العباس أنه جاء) أي غضبان (الى النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه سمع شيأ) أي من الطعن في نسبه أو حسبه (فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر) أي ليكون بيان أمره أظهر على رؤس المحضر (فقال من أنا) استفهام تقرير على جهة التبكيت (فقالوا أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) فلما كان قصده صلى الله عليه وسلم بيان نسبه وهم عدلوا عن ذلك المعنى ولم يكن الكلام في ذلك المبنى (قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب) يعني وهما معروفان عند العارف المنتسب قال الطيبي قوله فكأنه سمع مسبب عن محذوف أي جاء العباس غضبان بسبب ما سمع طعنا من الكفار في رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو قوله تعالى لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم كأنهم حقروا شأنه وان هذا الامر العظيم الشان لا يليق الا بمن هو عظيم من احدى القريتين كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي مثلا فأقرهم صلى الله عليه وسلم على سبيل التبكيت على ما يلزم تعظيمه وتفخيمه فانه أولى بهذا الامر من غيره لان نسبه أعرف وأرومته أعلى وأشرف ومن ثم لما قالوا انت رسول الله ردهم بقوله انا محمد بن عبد الله ويعضد هذا التأويل ما روى البخاري عن أبي سفيان انه حين سأله هرقل عظيم الروم عن نسبه صلى الله عليه وسلم فقال هو فينا ذو نسب فقال هرقل سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها الا ترى كيف جعل النسب ظرفا لتبعث وأتى بفي أي في النسب اه ثم استأنف في بيان ما رزقه الله من طهارة نسبه ونقاوة حسبه عموما وخصوصا تحدثا بنعمته وترغيبا للامة في أمر متابعته (فقال ان الله خلق الخلق) أي الجن والانس وأبعد الطيبي وأدخل الملائكة معهم لقوله (فجعلني في خيرهم) وهو الانس (ثم جعلهم) أي صيرهذا الخير بمعنى الخيرة والاخيار (فرقتين) أي عربا وعجما (فجعلني في خيرهم فرقة) وهم العرب (ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة) يعني قريشا (ثم جعلهم بيوتا) أي بطونا (فجعلني في خيرهم بيتا) يعني بطن بني هاشم

وان لا تجتمعوا على ضلالة رواه أبو داود وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجمع الله على هذه الامة سيفين سيفا منها وسيفا من عدوها رواه أبو داود وعن العباس انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه سمع شيأ فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال من أنا فقالوا أنت رسول الله قال أنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا

فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا رواه الترمذي وعن أبي هريرة قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذي وعن العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انى عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسأخبركم بأول أمرى دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمى التى رأت حين وضعتنى وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام

(فانا خيرهم نفسا) أى ذاتا وحسبا (وخيرهم بيتا) أى بطنا ونسبا واليه أشار تعالى بقوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقوله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم بفتح الفاء فيهما على قراءة شاذة صحيحة قال الطيبي قوله ثم جعلهم قبائل بعد قوله ثم جعلهم فرقتين اشارة الى بيان الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة والشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل نخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت الشعوب لان القبائل تتشعب منها فقوله خلق الخلق أى الملائكة والثقلين فجعلنى فى خيرهم أى فى العرب وهلم جرا فانا بفضل الله ولطفه على ما فى سابقة الازل خير الخلق نفسا حيث خلقنى انسانا رسولا خاتما للرسل ثم دائرة الرسل بى وجعلنى قطة تلك الدائرة يطوف جميعهم حولى ويحتاجون الى وخيرهم بطنا حيث نقلنى من طيب الى طيب الى ان نقلنى من صلب عبد الله بالنكاح من أشرف القبائل والبطون فانا أفضل خلق الله تعالى عليه وأكرمهم لديه (رواه الترمذى) ولفظ الجامع ان الله خلق الخلق فجعلنى فى خير فرقهم وخير الفرقتين ثم خير القبائل فجعلنى فى خير القبيلة ثم خير البيوت فجعلنى فى خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة) أى ثبتت (قال وآدم) أى وجبت لى النبوة والحال ان آدم (بين الروح والجسد) يعنى وانه مطروح على الارض صورة بلا روح والمعنى انه قبل تعلق روحه بجسده قال الطيبي هو جواب لقولهم متى وجبت أى وجبت فى هذه الحالة فعامل الحال وصاحبها محذوفان (رواه الترمذى) ورواه ابن سعد وأبو نعيم فى الحلية عن ميسرة الفجر وابن سعد عن ابن أبى الجدعاء والطبرانى فى الكبير عن ابن عباس بلفظ كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد كذا فى الجامع وقال ابن ربيع أخرجه أحمد والبخارى فى تاريخه وصححه الحاكم وروى أبو نعيم فى الدلائل وغيره من حديث أبى هريرة مرفوعا كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث وأما ما يدور على الالسنة بلفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فقال السخاوى لم أقف عليه بهذا اللفظ فضلا عن زيادة وكنت نبيا ولا ماء ولا طين وقال الحافظ ابن حجر فى بعض أجوبته ان الزيادة ضعيفة وما قبلها اقوى وقال الزركشى لا أصل له بهذا اللفظ ولكن فى الترمذى متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد قال السيوطى وزاد العوام ولا آدم ولا ماء ولا طين ولا أصل له أيضا (وعن العرباض بن سارية) بكسر العين صحابى جليل (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انى عند الله مكتوب خاتم النبيين) بفتح التاء وكسرها وهو مرفوع على انه نائب الفاعل وقيل منصوب على التمييز أى مكتوب من هذه الحيثية (وان آدم لمنجدل) من الجدل وهو الالقاء على الارض الصلبة أى والحال انه لساقط وملقى (فى طينته) اى خلقته وهو خبر ثان لان الجملة حال من ضمير مكتوب أى كتبت خاتم الانبياء فى الحال التى آدم مطروح على الارض حاصل فى أثناء خلقته لما يفرغ من تصويره واجراء الروح به كذا ذكره الشراح (وسأخبركم بأول أمرى) قيل أى بأول ما ظهر من نبوتى ورفعتى فى الدنيا على لسان أبى الملة ابراهيم عليه السلام وقوله (دعوة ابراهيم) بالرفع أى هو دعوة ابراهيم حين بنى الكعبة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعاءه وفى نسخة بالجر على البدلية مما قبله وكذا قوله (وبشارة عيسى) يعنى قوله ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (ورؤيا أمى التى رأت حين وضعتنى) قال الطيبي وغيره يحتمل ان يراد منها الرؤية فى المنام وفى اليقظة فعلى الاول معنى وضعت أى شارفت وقربت من الوضع وذلك لما روى ابن الجوزى فى كتاب الوفاء ان أمه صلى الله عليه وسلم رأت حين دنت ولادتها أتاها آت فقال قولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد بعد ان رأت حين حملت به ان آتيا أتاها وقال هل شعرت أنك حملت بسيد هذه الامة ونبيها وعلى الثانى يكون المرئى محذوفا وهو ما دل عليه قوله (وقد خرج) أى ظهر (لها) أى لامى (نور أضاء) أى تبين (لها منه) أى من ذلك النور (قصور الشام) وذلك النور عبارة عن ظهور نبوته ما بين المشرق

والمغرب واضمحل بها ظلمة الكفر والضلالة وفي نسخة بنصب قصور وهو لا يخلو عن قصور لو جوده والا فأضاءة جاء لازما وقاصرا (رواه) أي البغوي الحديث بكماله (في شرح السنة) أي باسناده عن العرباض (ورواه أحمد عن أبي امامة من قوله سأخبركم) الخ قلت وفي صحيح ابن حبان والحاكم عن العرباض اني عند الله لمكتوب بخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وروى ابن عساكر عن عبادة بن الصامت ولفظه أنا دعوة ابراهيم وكان آخر من بشر بي عيسى بن مريم (وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر) أي ولا أقوله تفاخرا بل اعتدادا بفضله وتحدثا بنعمته وتبليغا لما أمرت به وقيل لا أفتخر بذلك بل فخري بمن أعطاني هذه المرتبة أقول ويمكن ان يكون المعنى ولا فخر لي بهذه السيادة بل أفتخر بالعبودية له والعبادة فانه يوجب الحسنى والزيادة قال الطيبي قوله ولا فخر حال مؤكدة أي أقول هذا ولا فخر قال التوربشتي الفخر ادعاء العظمة والمباهاة بالاشياء الخارجة عن الانسان كالمال والجاه قال النووي فيه وجهان أحدهما قاله امتثالا لامر الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وثانيهما أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه الى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه في توقيره صلى الله عليه وسلم كما أمرهم الله تعالى به قال الراغب فان قلت كيف استحسن مدح الانسان نفسه وقد علم في الشاهد استقباحه حتى قيل للحكيم ما الذي لا يحسن وان كان حقا قال مدح الرجل نفسه قلنا قد يحسن ذلك عند تنبيه المخاطب على ما خفي عليه من حاله كقول المعلم للمتعلم اسمع مني فانك لا تجد مثلي وعلى ذلك قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وسئل بعض المحققين عن شيء لم يقبح اطلاقه في الله تعالى مع ورود الشرع فأنشد

ويقبح من سواك الشيء عندي * وتفعله فيحسن منك ذاكا

قال الشيخ أبو حامد في الاحياء قال عمر رضي الله عنه المدح هو الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل فكذلك الممدوح لان المدح يوجب الفتور ويورث الكبر والعجب وهو لذلك مهلك كالذبح فان سلم المدح عن هذه الآفات لم يكن به بأس بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك أثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة وكانوا أجل رتبة من أن يورثهم ذلك كبرا أو عجبا بل يزيدهم جدا يبعثهم أن يزيدوا فيما يستوجبون الحمد من مكارم الاخلاق قلت وتنابيه العالم أو الشيخ اذ أثنى عليه تلميذه أو مريده القابل العاقل بحضر جماعة فانه لا شك أن يكون سببا لزيادة رغبتهم في الجاهدة وتحصيل أعلى مراتب العلم والعبادة نعم يقع نادرا ممن يكون فيه البلادة حيث يحصل له الفتور المؤدي الى مقام القصور فيتوقف عن طلب الزيادة فنعوذ بالله من الحور بعد الكور والنقصان بعد الزيادة وقد قيل من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ومن استوى يوماه فهو مغبون زمان وفي الحديث منهومان لا يشبعان وقال تعالى وقل رب زدني علما وفي النهاية قاله صلى الله عليه وسلم اخبارا عما أكرمه الله تعالى من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله تعالى عنده واعلاما منه ليكون ايمانهم به على حسبه وموجبه ولهذا أتبعه بقوله (ولا فخر) أي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله تعالى لم أنلها من قبل نفسي ولا نلتها بقوتي فليس لي أن أفتخر بها (وبيدي) أي بتصرفي وعندي يوم القيامة في المقام المحمود (لواء الحمد) اللواء بالكسر والمد العلم وفي العرصات مقامات لاهل الخير والشر ينصب في كل مقام لكل متبوع لواء يعرف به قدوة حق كان أو أسوة باطل وأعلى تلك المقامات مقام الحمد ففي النهاية اللواء الراية ولا يمسكها الا صاحب الجيش يريد به انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته على رؤس الخلائق فوضع اللواء موضع الشهرة قال الطيبي فعلى هذا لواء الحمد عبارة عن الشهرة وانفراده بالحمد على رؤس الخلائق ويحتمل أن يكون لحمده لواء يوم القيامة حقيقة يسمى لواء الحمد وعليه كلام الشيخ التوربشتي حيث قال لا مقام من مقامات عباد الله الصالحين أرفع وأعلى من مقام الحمد ودونه ينتهي سائر المقامات ولما كان نبينا سيد المرسلين أحمد الخلائق في الدنيا والآخرة أعطي لواء الحمد ليأوي الى لوائه الاولون والآخرون واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي ولهذا المعنى افتتح كتابه بالحمد واشتق اسمه من الحمد فقيل

رواه في شرح السنة ورواه أحمد عن أبي أمامة من قوله سأخبركم الخ وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد

محمد وأحمد وأقيم يوم القيامة المقام المحمود ويفتح علي في ذلك المقام من المحامد ما لم يفتح على أحد قبله ولا يفتح على أحد بعده وأمدّ أمته ببركته من الفضل الذي آتاه فنعت أمته في الكتب المنزلة قبله بهذا النعت فقال أمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء فلله الحمد أولاً وآخراً ولا فخر في مرتبة القرب المترتب عليه اللقاء الناشئ عن مقام الرضا إذا فنى بالبقاء أعلى من ذلك لخلوص التوجه إلى المولى ونسيان ما سواه من الورى (وما من نبي يومئذ آدم) بالرفع وقيل بالخفض على أنه بيان أو بدل من محل من نبي أو من لفظ نبي وعطف عليه قوله (فمن سواه الا تحت لوائي) قال الطيبي نبي نكرة وقعت في سياق النفي وأدخل عليه من الاستغراقية فيفيد استغراق الجنس وقوله آدم فمن اما بيان أو بدل من محله ومن فيه موصولة وسواه صلته وصح لانه ظرف وأوثر الفاء التفصيلية في فمن سواه على الواو للترتيب على منوال قولهم الامثل فالامثل (وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر رواه الترمذي) وزاد في الجامع وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر رواه أحمد والترمذي وابن ماجه (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم) حال من الضمير في دنا وقد مقدرة وقوله (يتذاكرون) حال من الضمير المنصوب في سمعهم كذا ذكره الطيبي والظاهر ان قوله سمعهم جواب اذا وقوله قال بعضهم اما استئناف بيان للتذاكر أو حال بتقدير قد أو بدونه (ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى) أي اذا كان الكلام في التفاضل فعيسى (كلمة الله وروحه) أي شرف باضافتهما اليه قال الطيبي الفاء في قوله فعيسى جواب شرط محذوف أي اذ ذكرتم الخليل فاذكروا عيسى كقوله تعالى فلم تقتلوهم أي اذا افتخرتم بقتلهم فانكم لم تقتلوهم (وقال آخر آدم اصطفاه الله) أي بتعليم الاسماء وباسجاد الملائكة السماء (فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) كرره ليبنى عليه غير ما أناط به أولا أو يكون خرج أولا من مكان وثانيا منه الى آخر (وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم) بفتحتين أي وفهمت تعجبكم فهو من باب قلدت سيفا ورمحا (ان ابراهيم خليل الله) بفتح الهمزة على انه بدل مما قبله أو مفعول له وفي نسخة بالكسر استئنافا (وهو كذلك) أي كون ابراهيم خليل الله حق وصدق (وموسى نجي الله) فعيل من النجوى بمعنى الفاعل أو المفعول أي كليم الله (وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا) للتنبيه جيء به للتأكيد بين المعطوف والمعطوف عليه حيث قال (وأنا حبيب الله) أي محبه ومحبوبه (ولا فخر) قال الطيبي قرر أولا ما ذكر من فضائلهم بقوله وهو كذلك ثم نبه على انه أفضلهم وأكملهم وجامع لما كان متفرقا فيهم فالحبيب خليل ومكلم ومشرف اه واعلم ان الفرق بين الخليل والحبيب ان الخليل من الخلة أي الحاجة فابراهيم عليه السلام كان افتقاره الى الله تعالى فمن هذا الوجه اتخذه خليلا والحبيب فعيل بمعنى الفاعل والمفعول فهو صلى الله عليه وسلم محب ومحبوب والخليل محب لحاجته الى من يحبه والحبيب محب لا لغرض وحاصله ان الخليل في منزلة المريد السالك الطالب والحبيب في منزلة المراد المجذوب المطلوب الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب ولذا قيل الخليل يكون فعله برضا الله تعالى والحبيب يكون فعل الله برضاه قال تعالى فلنولينك قبلة ترضاها ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل الخليل مغفرته في حد الطمع كما قال ابراهيم والذي أطمع ان يغفر لي والحبيب مغفرته في مرتبة اليقين كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قال تعالى في حقه يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه والخليل قال واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقال للحبيب ورفعنا لك ذكرك والخليل قال واجعلني من ورثة جنة النعيم والحبيب قال له انا أعطيناك الكوثر والاظهر في الاستدلال على ان مرتبة محبوبيته في درجة الكمال قول ذي الجلال والجمال قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (وأنا حامل لواء الحمد) بالاضافة (يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع) أي مقبول الشفاعة (يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة) بفتح الحاء ويكسر جمع حلقة وهي هنا حلقة باب الجنة وفي القاموس حلقة الباب

ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر رواه الترمذي وعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون قال بعضهم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة

والقوم وقد يفتح لامها ويكسر اذ ليس في الكلام حلقة محركة اللام الا جمع حالق أو لغة ضعيفة والجمع حلق محركة وكبدر (فيفتح الله لي) أي بابها (فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين) أي من المهاجرين والانصار وغيرهم على مراتبهم في السبق كما سبق انه يدخل فقراء أمتي قبل أغنيائهم بخمسمائة عام وهذا دليل واضح على ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر قال الطيبي هذا دليل على فضلهم وكرامتهم على الله تعالى لانهم استحقوا محبة الله تعالى بمتابعة حبيبه واتصافهم بصفته وليس الفقر عند الصوفية لفاقة والحاجة بل الفقر عندهم الحاجة اليه تعالى لا الى غيره والاستغناء به لا عنه بغيره قال الثوري نعت الفقير السكون عند العدم والبذل عند الوجود وقيل لسهل بن عبد الله أليس النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الفقر فقال انما استعاذ من فقر النفس الذي مدح النبي صلى الله عليه وسلم الغنى في ضده فقال الغنى غنى النفس وكذلك الفقر المذموم فقر النفس وهو الذي استعاذ منه صلى الله عليه وسلم أقول المذموم من الفقر والغنى هو الذي يشغل السالك عن المولى غايته ان حالة الفقر أسلم من العوائق ولذا اختاره سبحانه لاكثر أنبيائه وأوليائه من بين الخلائق حتى قال حجة الاسلام ان الكافر الفقير عذابه أخف من الكافر الغني فاذا كان الفقر ينفع الكافر في النار فكيف لا ينفع المؤمن في دار القرار ولذا قال صلى الله عليه وسلم أجوعكم في الدنيا أشبعكم في الآخرة ولا فخر (وأنا أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر) وهذا فذلكة الكل (رواه الترمذي والدارمي وعن عمرو بن قيس) قال المؤلف وقيل هو عبد الله بن عمرو القرشي العامري الاعمى وهو ابن أم مكتوم واسم أم مكتوم عاتكة وهي خالة خديجة بنت خويلد أسلم قديما بمكة وكان من المهاجرين الاولين مع مصعب بن عمير استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة مرات آخرها حجة الوداع مات بالمدينة وقيل استشهد بالقادسية (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون) يعني في المجيء الى الدنيا (ونحن السابقون) أي في دخول الجنة وغير ذلك من الفضائل (يوم القيامة) أي في دار العقبى (واني قائل قولا غير فخر) أي غير متفخر فيه بل المقصود منه بيان الواقع (ابراهيم خليل الله وموسى صفي الله) أي مختاره لكلامه (وأنا حبيب الله) أي جامع بين نسبتي المحبة والمحبوبية في الدنيا (ومعي لواء الحمد) أي الدال على كوني أحمد ومحمدا (يوم القيامة) أي في المقام المحمود (وان الله وعدني) أي خيرا كثيرا (في أمتي) أي في حقهم وشأنهم (وأجارهم) أي أنقذهم وأعاذهم (من ثلاث) أي خصال (لا يعمهم) أي الله (بسنة) أي بقحط ووباء مستأصل لهم (ولا يستأصلهم) أي ولا يأخذ أصلهم ولا يهلكهم بالكلية (عدو) أي الله أو اياهم من الكفار (ولا يجمعهم على ضلالة) ولعله سبحانه لم يجمعهم على هداية لقوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك وكان هذا مأخذ من قال اختلاف الامة رحمة (رواه الدارمي وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا قائد المرسلين) أي مقدمهم في الآخرة (ولا فخر وأنا خاتم النبيين) أي في الدنيا (ولا فخر) وعدل عن المرسلين الى النبيين لانهم أعم فتكون نسبة الخاتمية أتم (وأنا أول شافع ومشفع) أي وأول مشفع كما في رواية (ولا فخر رواه الدارمي وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا) أي من قبورهم (وأنا قائدهم) أي متبوعهم (اذا وفدوا) أي اذا قدموا (على الله) والوفد جماعة يأتون الملك لحاجة (وأنا خطيبهم) أي المتكلم عنهم (اذا انصتوا) أي اذا سكتوا عن الاعتذار متحيرين فاعتذر عنهم عند ربهم فيكون لي قدرة على الكلام في ذلك المقام دون سائر الانام فاطلق اللسان بالثناء على الله تعالى بما هو أهله ولم يؤذن لاحد حينئذ في التكلم غيري فهو مخصوص من قوله سبحانه هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون أو محمول على أول الامر أو مختص بالكفار (وأنا مستشفعهم) بفتح الفاء على بناء المفعول من قولهم استشفعت زيدا الى فلان أي سألته أن يشفع اليه فزيد مستشفع بالفتح وفلان مستشفع اليه وفي بعض النسخ بكسر الفاء على بناء الفاعل أي أسأل الله أن أكون شفيعا لهم (اذا حبسوا) أي في الموقف ولم يحاسبوا (وأنا مبشرهم) أي المؤمنين بالرحمة

فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر رواه الترمذي والدارمي وعن عمرو بن قيس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة واني قائل قولا غير فخر ابراهيم خليل الله وموسى صفي الله وأنا حبيب الله ومعي لواء الحمد يوم القيامة وان الله وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث لا يعمهم بسنة ولا يستأصلهم عدو ولا يجمعهم على ضلالة رواه الدارمي وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنا قائد المرسلين ولا فخر وأنا خاتم النبيين ولا فخر وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر رواه الدارمي وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا قائدهم اذا وفدوا وأنا خطيبهم اذا أنصتوا وأنا مستشفعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم

والمغفرة (اذا ايسوا) أي اذا غلب عليهم اليأس من روح الله لغلبة الخوف ففي الكلام نوع من الاستخدام (الكرامة) بالرفع على ما في النسخ المصححة فهو مبتدا (والمفاتيح) عطف عليه وقوله (يومئذ) ظرف والخبر (بيدى) وهو بصيغة الافراد أي أمر الكرامة بانواع الشفاعة ومفاتيح كل خير يوم القيامة بتصرفي وفي نسخة بتشديد الياء على التثنية للمبالغة أو للتوزيع ولتنويع وذلك لانه يصل أنواع اللطف من الله تبارك وتعالى لاهل العرصات من الانبياء وغيرهم بواسطة شفاعته العامة في المقام المحمود تحت اللواء الممدود عند الحوض المورود وفي نسخة بنصب الكرامة على أنه مفعول أيسوا وبيدى خبر المفاتيح فقط أي اذا قنطوا من حصول الكرامة ووقعوا في حصول الندامة (ولواء الحمد يومئذ بيدى) بسكون الياء (وأنا أكرم ولد آدم على ربي) وسبق أنه أكرم الاولين والآخرين على الله (يطوف على) أي يدور حولي (ألف خادم كأنهم بيض مكنون) أي مصون عن الغبار قيل شبههم ببيض النعام في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه أحسن ألوان الابدان قلت هذا عند بعض أولاد العرب بخلاف طباع أهل الشام وحلب وطائفة الاعجام وجماعة الاروام فان الاحسن عندهم هو البياض المشوب بحمرة على ما ورد في شمائله صلى الله عليه وسلم وفي مدح الحور العين كأنهن الياقوت والمرجان حيث فسر المرجان باللؤلؤ ويدل عليه قوله (أو لؤلؤ منثور) على ان أو للتخيير في التشبيه ووصفه بالمنثور لانه أظهر في النظر من المنظوم مع ان النثر يناسب تفرق الخدم ويحتمل أن تكون أو للتنويع وقال شارح قوله بيض مكنون أي لؤلؤ مستور في صدفه لم تمسه الايدي أو لؤلؤ منثور أو للشك من الراوي (رواه الترمذي والدارمي وقال الترمذي هذا حديث غريب) ولفظ الترمذي على ما في الجامع أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا وفدوا وأنا مبشرهم اذا ايسوا لواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فأكسى) صدر الحديث على ما في الجامع وغيره وأنا أول من تنشق عنه الارض فأكسى والمعنى فأبعث فأكسى (حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري رواه الترمذي وفي رواية جامع الاصول) أي عن أبي هريرة (أنا أول من تنشق عنه الارض فأكسى) أي الى آخر الحديث فاختصاره من صاحب المصابيح مخل بالرواية والدراية (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله لى الوسيلة) هي المذكورة في دعاء الاذان آت محمدا الوسيلة فيحتمل الاطلاق والتقييد بوقت المسئلة وفي النهاية هي في الاصل ما يتوصل به الى الشيء ويتقرب به وجمعها وسائل ومنه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قال الطيبي وانما طلب عليه السلام من أمته الدعاء له بطلب الوسيلة افتقارا الى الله تعالى وهضما لنفسه أو لينتفع أمته ويثاب به أو يكون ارشادا لهم في أن يطلب كل منهم من صاحبه الدعاء له (قالوا يا رسول الله وما الوسيلة) أي المطلوبة المسؤلة قال الطيبي عطف على مقدر أي نفعل ذلك وما الوسيلة اه والاظهر أن يقال أمرتنا بسؤال الوسيلة وما الوسيلة مع انه قد يقال لهذه الواو انها للربط بين الكلام (قال أعلى درجة في الجنة لا ينالها) أي لا يدرك تلك الدرجة العلية (الا رجل واحد) أبهمه تواضعا (أرجو) وفي نسخة وأرجو (أن أكون أنا هو) وضع الضمير المرفوع أعني هو موضع المنصوب أعني اياه (رواه الترمذي) ولفظ الجامع سلوا الله لى الوسيلة أعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل وأرجو أن أكون أنا هو ورواه ابن أبي شيبة والطبراني في الاوسط عن ابن عباس سلوا الله لى الوسيلة فانه لا يسألها لى عبد في الدنيا الا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة (وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين) بكسر الهمزة في نسخ المشكاة وقال التوربشتي انه بكسرها والذي يفتحها وينصبها على الظرف لم يصب ذكره الطيبي وقال شارح فتحها ليس بصواب وقال ابن الملك الفتح غلط أقول ان كان بحسب الرواية فلا مجال وان كان من حيث الدراية فله وجه لا محالة وهو أنه يريد به مقدمهم كما تقدم من قوله وأنا قائدهم اذا وفدوا بل لا يظهر لامامتهم حينئذ لا لهذا المعنى

اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى ولواء الحمد يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف على ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور رواه الترمذي والدارمي وقال الترمذي هذا حديث غريب وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري رواه الترمذي وفي رواية جامع الاصول عنه أنا أول من تنشق عنه الارض فأكسى وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله لى الوسيلة قالوا يا رسول الله وما الوسيلة قال أعلى درجة في الجنة لا ينالها الا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو رواه الترمذي وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين

(وخطيبهم) أي اذا أنصتوا كما سبق (وصاحب شفاعتهم) أي في المقام المحمود (غير فخر) أي غير مفتخر أو من غير فخر (رواه الترمذي) وكذا أحمد وابن ماجه والحاكم في مستدركه (وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة) بضم الواو جمع ولي (من النبيين) قال التوربشتي أي أحباء وقرناء هم أولى به من غيرهم (وان وليي أبي) يعني به ابراهيم عليه السلام وقد بينه بقوله (وخليل ربي) خبر بعد خبر لان (ثم قرأ) أي استشهادا (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) أي في زمانه ومن بعده اذ كل من جاء من بعده من الانبياء ومن أولاده وأتباعه في أصل التوحيد وتجريد التوكل وتفويض التفريد (وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) أي خصوصا وعموما قال التوربشتي وفي كتاب المصابيح وان وليي ربي وهو غلط والعل الذي حرفه هذا دخل عليه الداخل من قوله سبحانه ان وليي الله الذي نزل الكتاب والرواية على ما ذكرناه والصواب قال المظهر لو كان كما ذكره التوربشتي لكان قياس التركيب أن يكون وليي أبي خليل ربي من غير واو العطف الموجب للمغايرة وباضافة الخليل الى ربي ليكون عطف بيان لابي أقول لو كان على خلاف قول الشيخ لكان حق العبارة اضافة الخليل الى ضمير ربي قال الطيبي والرواية المعتبرة كما ذكره الشيخ في جامع الترمذي وجامع الاصول وكذا في مسند الامام أحمد بن حنبل وأيضا الوذهب الى ان خليل ربي عطف بيان بلا واو لزم خمول كون ابراهيم عليه الصلاة والسلام أبا النبي ووليه فاتي به بيانا واذا جعل معطوفا عليه لزم شهرته به والعطف يكون لاثبات وصف آخر له عليه السلام على سبيل المدح فعلى ما عليه الرواية يلزم مدحه مرتين بخلاف ذلك أقول والاظهر ان يقال ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب وقرآن مبين فان قلت لزم من قوله لكل نبي ولاة ان يكون لكل واحد منهم أولياء متعددة قلت لا لان النكرة اذا وقعت في مكان الجمع أفادت الاستغراق أي ان لكل نبي واحد واحدا واحدا كقوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة أقلام قلت وفي تنظيره نظر ظاهر اذ لا محذور في كون كل شجرة لها أقلام بل هو الظاهر المطلوب في مقام المبالغة بان يكون اغصان كل شجرة أقلاما (رواه الترمذي) وكذا أحمد وهو كذا في الجامع الصغير بدون قوله ثم قرأ الخ (وعن جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق) جمع مكرمة خصلة يستحق الشخص بها ان يكون كريما والمراد من الاخلاق الاحوال ولذا قوبل بقوله (وكمال محاسن الافعال) للامور الظاهرة من العبادات والاقوال والمحاسن جمع حسن على خلاف القياس وحاصله ان شريعته أفضل الافعال وطريقته أكمل الاحوال قال ابن الملك أي أرسلني الى العالم ليتم بوجودي مكارم اخلاق عباده وليكمل محاسن أفعالهم قال الطيبي الاضافة فيهما من باب اضافة الصفة الى الموصوف قال الراغب كل شيء يشرف في بابه فانه يوصف بالكرم قال تعالى وأنبتنا فيها من كل زوج كريم ومقام كريم وانه قرآن كريم واذا وصف الله تعالى به فهو اسم لاحسانه وانعامه المتظاهرة واذا وصف به الانسان فهو اسم للاخلاق والافعال المحمودة التي تظهر منه ولا يقال هو كريم حتى يظهر ذلك منه اه وكلامه ينظر الى ان العطف للتأكيد وما قدمناه أولى لكونه من التأسيس والتقييد للتأبيد قال الطيبي ومعنى هذا الحديث وحديث أبي هريرة مثلي ومثل الانبياء الى قوله أنا سددت موضع اللبنة يلتقيان في معنى تمام الناقص اه والذي تقدم في المعنى أتم والله أعلم (رواه) أي البغوي (في شرح السنة باسناده) ورواه ابن سعد والبخاري في الادب المفرد والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة انما بعثت لاتمم صالح الاخلاق وروى الحكيم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل ولا تكون في ابيه وتكون في الابن ولا تكون في الاب وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله لمن أراد به السعادة صدق الحديث وصدق البأس واعطاء السائل والمكافأة بالصنائع وحفظ الامانة وصلة الرحم والتذمم للجار والتذمم للصاحب واقراء الضيف ورأسهن الحياء والتذمم ان يرعى ذمامه أي حرمته وقد روى البزار عن ابن عمر مرفوعا اللهم اهدني لصالح الاعمال والاخلاق لا يهدي لصالحها ولا يصرف

وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر رواه الترمذي وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي أبي وخليل ربي ثم قرأ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين رواه الترمذي وعن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال رواه في شرح السنة

سيئها

سيئه الا أنت (وعن كعب يحكي عن التوراة قال نجد مكتوبا محمد رسول الله) الرفع على حكاية المكتوب (عبدي) أي الخاص (المختار) أي المصطفى على الخلق (لا فظ) بالرفع على أن لا عاطفة والمعنى أنه ليس قبيح الخلق (ولا غليظ) أي سيئ الخلق (ولا سخاب) أي صياح (في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة) أي بل يدفع السيئة بالحسنة وهو معنى قوله (ولكن يعفو) أي في الباطن (ويغفر) أي يستر في الظاهر (مولده بمكة وهجرته) أي دارها يعني مهاجره (بطيبة) أي المدينة السكينة (وملكه) أي بعد انتهاء مدته وأيام خلافته (بالشام) كما كان لمعاوية ومن بعده لبني أمية على ذلك النظام وقال المظهر أراد بالملك هنا النبوة والدين فإن ذلك يكون بالشام أغلب والا فلكه جميع الآفاق لقوله وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقيل معناه الغزو والجهاد ثمة لأنه تصير بلاد الكفار والجهاد ما كان لأهل الإسلام ولهذا لا ينقطع الجهاد في الشام أصلا وأمر بالمسافرة إليها لادراك فضيلة الجهاد والمرابطة في سبيل الله قلت هذا إنما كان في زمنه صلى الله عليه وسلم وأما اليوم فالغزو والجهاد في بلاد الروم نعم هو في جهة الشام من الحرمين الشريفين (وأمته الحمادون) أي البالغون في الحمد المكثرون له كما بينه بقوله (يحمدون الله في السراء والضراء) أي في حالتي السرور والضرر والمراد الدوام لأن الإنسان لا يخلو منهما في الليالي والأيام فكأنه قال يحمدونه على كل حال وهذا مرتبة بعض أرباب الكمال وهو المعنى بقوله (يحمدون الله في كل منزلة) أي مرتبة من مراتب الأحوال وقيل معناه في كل منزل ولعل تأنيثه باعتبار البقعة والناحية أي إذا نزلوا منزلا شكروا الله تعالى عليه لأنه أواهم إلى المنزل والسكون فيه ويلائمه قوله (ويكبرونه على كل شرف) بفتحتين أي مكان مرتفع تعجبا لعظمة الله تعالى وقدرته لما يشرفون منها على عجائب خلقه كما أنهم يسبحون في كل هبوط (رعاة) بضم الراء جمع راع أي أمته مراعون (للشمس) أي لطلوعها واستوائها وغروبها محافظة لأوقات الصلاة وأداء أوراد العبادات وقد روى الحاكم عن عبد الله بن أبي أوفى مرفوعا ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة لذكر الله وقوله (يصلون الصلاة إذا جاء وقتها) استئناف تعليل لما سبق أي يراقبون ذلك وينظرون سيرها ليعرفوا مواقيت الصلاة كيلا يفوت عنهم الصلاة في وقتها ثم استأنف لبيان بقية أحوالهم بقوله (يتأزرون) بتشديد الزاي أي يشدون ازارهم (على أنصافهم) أي من السرة إلى الركبة ويؤيده ما في بعض نسخ المصابيح على أوساطهم أو يشدون معقد السراويل والمراد مبالغتهم في ستر عورتهم ويجوز أن يكون على بمعنى إلى أي أن أزرهم إلى أنصاف سوقهم قال الطيبي فيه إدماج بمعنى التجلد والتشمر للقيام إلى الصلاة لأن من شد ازاره إلى ساقه تشمر لمزاولة ما اهتم بشأنه أو يكون كناية عن التواضع كما أن جر الازار كناية عن الكبر والخيلاء (ويتوضؤون) أي ويصبون ماء الوضوء (على أطرافهم) أي على أماكن الوضوء ويسبغونها (مناديهم) أي مؤذنهم ينادي (في جو السماء) أي في مكان مرتفع من منارة ونحوها (صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء) أي في كونهم كأنهم بنيان مرصوص قال الطيبي شبه صفوفهم في الجماعات بسبب مجاهدتهم النفس الأمارة والشيطان بصف القتال والمجاهدة مع أعداء الدين وأخرجه مخرج التشابه في التشبيه ايذانا بأن كل واحد منهما يصح أن يكون مشبها ومشبها به بل أخوذ كرصف الصلاة ليكون مشبها به لكونه أبلغ (لهم بالليل دوي) بفتح الدال وتشديد الياء أي صوت خفي بالتسبيح والتهليل وقراءة القرآن (كدوي النحل) هذا لفظ المصابيح وروى الدارمي مع تغيير يسير قلت كان الأولى ايراد لفظ الدارمي فإنه من أجل المخرجين ونقله أكمل عند المحدثين (وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب في التوراة) خبر قوله (صفة محمد) أي نعته وجملة قوله (وعيسى بن مريم يدفن معه) عطف على المبتدأ أي ومكتوب فيها أيضا أن عيسى يدفن معه قال الطيبي هذا هو المكتوب في التوراة أي مكتوب في التوراة صفة محمد كيت وكيت وعيسى بن مريم يدفن معه أو المكتوب صفة محمد كذا وعيسى بن مريم يدفن معه (قال أبو مودود) وهو أحد رواة الحديث مدني ذكره الطيبي وقال المؤلف هو عبد العزيز بن سليمان المدني رأى

وعن كعب يحكي عن التوراة قال نجد مكتوبا محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحمادون يحمدون الله في السراء والضراء يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل شرف رعاة للشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها يتأزرون على أنصافهم ويتوضؤون على أطرافهم مناديهم ينادي في جو السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء لهم بالليل دوي كدوي النحل هذا لفظ المصابيح روى الدارمي مع تغيير يسير وعن عبد الله ابن سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه قال أبو مودود

أباسعيد الخدري وسمع السائب بن يزيد وعثمان بن ضحاك وعنه ابن مهدي والعقبي وكامل وثقوه توفي في امارة المهدي له ذكر في باب فضائل سيد المرسلين (وقد بقي في البيت) أي في حجرة عائشة (موضع قبر) قيل بينه صلى الله عليه وسلم وبين الصديق وهو الاقرب الى الادب وقيل بعد عمر وهو الاظهر وقد قال الشيخ الجزري وكذا أخبرنا غير واحد ممن دخل الحجرة ورأى القبور لثلاثة على هذه الصفة النبي صلى الله عليه وسلم مقدم وأبو بكر متأخر عنه رأسه تجاه ظهر النبي صلى الله عليه وسلم ورأس عمر كذلك من أبي بكر تجاه رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وبقي موضع قبر واحد الى جنب عمر وقد جاء أن عيسى عليه السلام يعيد لبثه في الارض يحج ويعود فيموت بين مكة والمدينة فيحمل الى المدينة فيدفن في الحجرة الشريفة الى جنب عمر فيبقى هذان الصحابيان الكريمان محصورين بين هذين النبيين العظيمين عليهما الصلاة والسلام ورضي الله عنهما الى يوم القيامة (رواه الترمذي)

(الفصل الثالث) (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على الانبياء وعلى أهل السماء فقالوا يا أبا عباس) هو كنية ابن عباس (بم فضله) أي الله (على أهل السماء) كأنهم قدموا الاهم فالاهم أو هو على منوال يوم تبيض وجوه الآية (قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قال الطيبي يفهم التفضيل من صورة الخطاب وذلك أنه وجه الخطاب الى أهل السماء وعرض ما لا يأتي منهم وجعله كالواقع ورتب الوعيد الشديد عليه اظهارا لكبريائه وجلاله وايماء بعدلهم أن ينسبوا اليه ما يشاركونه كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم ومن ملاطفته في الخطاب معه صلى الله عليه وسلم وارادة ما صدر وبصر منه مغفورا وجعل الفتح مكة علة للمغفرة والنصرة واتمام النعمة والهداية الى الصراط المستقيم وانزال السكينة في قلوب المؤمنين اه وخلاصة كلامه انه تعالى غلظ في وعيد خطابهم ولاطف في خطاب وعده لكن فيه تنازع فانه سبحانه قد بالغ في مدحهم في مواضع كثيرة على ما لا يخفى ومنه ما قبل هذه الآية وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون وغلظ في الوعيد لنبيه صلى الله عليه وسلم على طريق الفرض والتقدير بالخطاب كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين مع ان المراد بقوله ومن يقل منهم يحتمل أن يكون من الملائكة ومن الخلائق قال القاضي يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية اه فالاولى أن يقال في وجه التفضيل ان هذه الآية تدل على انه مبعوث الى الملائكة أيضا كما قال به بعض العلماء (قالوا وما فضله) أي زيادة فضله (على الانبياء قال قال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء الآية) أي ويهدي من يشاء (وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك الا كافة للناس) قال الطيبي وأما بيان فضله على الانبياء فان الآية دلت على ان كل نبي مرسل الى قوم مخصوص وهو صلى الله عليه وسلم مرسل الى كافة الناس ولا ارتياب ان الرسل انما بعثوا لارشاد الخلق الى الطريق المستقيم واخراج الناس من الظلمات الى النور ومن عبادة الاصنام الى عبادة الملك العلام فكل من كان منهم في هذا الامر أكثر تأثيرا كان أفضل وأفضل وكان له صلى الله عليه وسلم فيه القدح المعلى وحاز قصب السبق اذ لم يكن مختصا بقوم دون قوم وزمان دون زمان بل دينه انتشر في مشارق الارض ومغاربها وتغلغل في كل مكان واستمر امتداده على وجه كل زمان زاده الله شرفا على شرف وعزا على عز ما ذر شارق ولمع بارق وله الفضل بحذافيره سابقا ولاحقا (فأرسله الى الجن والانس) أي كما يستفاد من بقية الآيات القرآنية نحو قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ونحو قوله عز وجل يا معشر الجن والانس على ما في سورة الرحمن فذكر الناس من باب الاكتفاء تغليبا وتعليبا أو لانه يعمهم في اللغة مرس

وقد بقي في البيت موضع قبر رواه الترمذي

(الفصل الثالث) عن ابن عباس قال ان الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على الانبياء وعلى أهل السماء فقالوا يا أبا عباس بم فضله الله على أهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قالوا وما فضله على الانبياء قال قال الله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء الآية وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك الا كافة للناس فأرسله الى الجن والانس

الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس أصله أناس جمع عزيز دخل عليه أل وقيل الفاء للتعقيب وظاهر العبارة يقتضي أن تكون للنتيجة وتوجيهه أن تعريف الناس لاستغراق الجنس وكافة اما حال أو صفة مصدر محذوف أي تكف أن يخرج فرد من أفراد هذا الجنس من الارسال والجن تبع للناس فعلم التزاما أن رسالته عمت الثقلين جميعا (وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه) منسوب الى غفار بكسر أوله قبيلة مشهورة (قال قلت يارسول الله كيف علمت أنك نبي حتى استيقنت) قال الطيبي حتى غاية للعلم أي كيف تدرجت في العلم حتى بلغ علمك غايته التي هي اليقين (فقال يا أباذر أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع) أي نزل (أحدهما الى الارض وكان الآخر بين السماء والارض) أي واقفا (فقال أحدهما لصاحبه) الظاهر أنه النازل (أهو هو) وضع أحدهما موضع هذا (قال نعم قال فزنه برجل فوزنت به) بصيغة المجهول (فوزنته) على بناء الفاعل أي غلبته في الوزن ورجحته (ثم قال زنه بعشرة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنه بألف فوزنت بهم فرجحتهم كأني أنظر اليهم) أي الى الالف الموزون (ينتثرون) أي يتساقطون (علي من خفة الميزان) أي من خفة تلك الكفة (قال فقال أحدهما لصاحبه لو وزنته بأمته) أي بجميع الخلق من قومه (لرجحها) قال الطيبي وفيه ان الامة كما يتفرقون في معرفة كونه نبيا صادقا الى الظهار خوارق العادات بعد التحدي كذلك النبي يفتقر في معرفته كونه نبيا الى أمثال هذه الخوارق قلت وهذا أيضا يصلح أن يكون جوابا عن الاشكال المذكور المشهور في سؤال ابراهيم عليه الصلاة والسلام رب أرني كيف تحيي الموتى (رواهما) أي الحديثين (الدارمي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب) أي أوجب (علي النحر) أي الاضحية وقال الطيبي أي وجب وعني به قوله تعالى فصل لربك وانحر (ولم يكتب عليكم) قيل النحر كان واجبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يكن غنيا لخبر ثلاث كتبت علي ولم تكتب عليكم الضحى والاضحى والوتر ذكره ابن الملك في شرح المشارق في حديث نزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر (وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها) قال الطيبي لم يوجد في الاحاديث وجوب الضحى عليه صلى الله عليه وسلم سوى هذا الحديث (رواه الدارقطني) قال ابن حجر في شرح الشمائل رواية الدارقطني أمرت الخ ضعيفة وأما ما قيل انها من خصائصه ففيه ان الذي من خصائصه كما مر وجوبه وجوب أقل صلاتها لا تكرارها كل يوم قلت وقد رواه أحمد والطبراني في الكبير عن ابن عباس أيضا بلفظ كتب علي الاضحى ولم يكتب عليكم وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها فأقل مرتبة هذا الحديث أن يكون حسنا ولولا ثبوته لما عدت من خصائصه ثم المتبادر من وجوبها عليه أن يكون في كل يوم كما في بقية الواجبات الشرعية ثم الاولى أن يقال انه لا يلزم من الامر الوجوب لاحتمال أن يكون للاستحباب ويدل عليه ما رواه الدارقطني عن أنس مرفوعا أمرت بالوتر والاضحى ولم يعزم علي ورواه أحمد عن ابن عباس أمرت بالوتر وركعتي الضحى ولم يكتب والجمع بين الادلة أن أصلها واجب واستمرارها مستحب والله تعالى أعلم

(باب أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته)

الظاهر انه عطف تفسير فانه صلى الله عليه وسلم ليس له اسم جامد نعم له أسماء نقلت من الوصفية الى العلمية كأحمد ومحمد وغيرهما وله صفات باقية على أصلها مختصة به أو اشترك فيها غيره والاظهر ان المراد بالاسماء هو المعنى الاعم منهما وبالصفات الشمائل التي يأتي بيانها ثم من القواعد المقررة ان كثرة الاسماء تدل على عظمة المسمى ففي شرح مسلم للنووي ذكر أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه الاحوذي في شرح الترمذي عن بعضهم ان لله تعالى ألف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم ألف اسم أيضا ثم ذكر منها على التفصيل بضعا وستين وقال ابن الجوزي في الوفاء ذكر أبو الحسين بن الفارس اللغوي ان لنبينا صلى الله عليه وسلم اثنين وعشرين اسما وذكرها الطيبي مفصلا وقد أفرد السيوطي رسالة سماها البهجة السوية في الاسماء

وعن أبي ذر الغفاري قال قلت يارسول الله كيف علمت انك نبي حتى استيقنت فقال يا أباذر أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة فوقع أحدهما الى الارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم قال فزنه برجل فوزنت به فوزنته ثم قال زنه بعشرة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنه بألف فوزنت بهم فرجحتهم كأني أنظر اليهم ينتثرون علي من خفة الميزان قال فقال أحدهما لصاحبه لو وزنته بأمته لرجحها رواهما الدارمي

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب علي النحر ولم يكتب عليكم وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها رواه الدارقطني

*(باب أسماء النبي صلى

النبوية وقد اشتملت على بضعة وخمسمائة من الصفات المصطفوية ولخصتها باخراج تسعة وتسعين اسما من صفاته العليا على طبق عدد أسماء الله الحسنى والآن نقتصر على ما ورد في الاحاديث الآتية مما المقصود هي الشافية والوافية والكافية

* (الفصل الاول) * (عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان لي أسماء) أي كثيرة عظيمة شهيرة (أنا محمد) فقيل هو اسم مفعول من التحميد وهو المبالغة في الحمد يقال حمدت ولانا أحمده اذا أثنيت عليه بجلائل خصاله وأحمدته اذا وجدته محمودا أو يقال هذا الرجل محمود فاذا بلغ النهاية في ذلك وتكاملت فيه المحاسن والمناقب فهو محمد قال الاعشى يمدح بعض الملوك الى الماجد القرم الجواد المحمد * أراد الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة وهذا البناء أبدا يدل على بلوغ النهاية كما تقول في المدح محمد وفي الذم مذمم وقيل هذا البناء للتكثير نحو فتحت الباب فهو مفتح اذا فعلت به ذلك مرة بعد أخرى ومحمد اسم منقول على سبيل التفاؤل انه سيكثر حمده أقول وقد كان في الظاهر ما هو في الباطن وسيحمده الاولون والآخرون في المقام المحمود تحت اللواء الممدود (وأنا أحمد) أفعل تفضيل من الحمد قطع متعلقه للمبالغة أي أحمد من كل حامد أو محمود بناء على انه للفاعل أو المفعول والاول أظهر لئلا يتكرر ولانه تعالى يلهمه لمحامد يوم القيامة لم يلهمها أحدا من الاولين والآخرين فهو جامع بين الحامدية والمحمودية كما جمع له بين المحبة والمحبوبية والمريدية والمرادية وقد أشرت الى بعض النكات الصوفية فيهما ومن المشارب الصفية في رسالتي المسماة بالصلوات العلوية على الصلوات المحمدية هذا وقال ابن الجوزي في الوفاء قال ابن قتيبة من أعلام نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم انه لم يسم قبله أحد باسمه صيانة من الله تعالى لهذا الاسم كما فعل بيحيى اذ لم يجعل له من قبل سميا وذلك انه تعالى سماه في الكتب المتقدمة وبشر به الانبياء فلو جعل الاسم مشتركا فيه شاعت الدعوى ووقعت الشبهة الا انه لما قرب زمنه وبشر أهل الكتاب بقربه سموا أولادهم بذلك (وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر) لانه صلى الله عليه وسلم بعث والدنيا مظلمة بغياهب الكفر فأتى صلى الله عليه وسلم بالنور الساطع حتى محا الكفر قال النووي ويحتمل أن يراد به الظهور بالحجة والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وجاء في حديث آخر فسر الماحي الذي محيت به سيئات من تبعه كما قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (وأنا الحاشر) أي ذو الحشر (الذي يحشر) أي يجمع (الناس على قدمي) بفتح الميم وتشديد الياء وفي نسخة بالكسر والتخفيف أي على أثري قال النووي ضبطوه بتخفيف الياء على الافراد وتشديدها على التثنية قال الطيبي والظاهر على قدميه باعتبار الموصول الا انه اعتبر المعنى المدلول للفظة أنا وفي شرح السنة أي يحشر أول الناس لقوله أنا أول من تنشق عنه الارض وقال النووي أي على أثري وزمان نبوتي وليس بعدي نبي قال الطيبي هو من الاسناد المجازي لانه سبب في حشر الناس لان الناس لم يحشروا ما لم يحشر (وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي) الظاهر ان هذا تفسير للصحابي أو من بعده وفي شرح مسلم قال ابن الاعرابي العاقب الذي يخلف في الخير من كان قبله ومنه يقال عقب الرجل لولده (متفق عليه) ورواه مالك والترمذي والنسائي (وعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد والمقفي) بكسر الفاء المشددة في جميع الاصول المصححة أي المتبع من قفا أثره اذا تبعه يعني انه آخر الانبياء الآتي على اثرهم لا نبي بعده وقيل المتبع لآثارهم امتثالا لقوله تعالى فبهداهم اقتده وفي معناه العاقب وفي بعض نسخ الشمائل بفتح الفاء المشددة لانه قفي به قال الطيبي قيل هو على صيغة الفاعل وهو المولى الذاهب يقال قفى عليه أي ذهب به فكان المعنى هو آخر الانبياء فاذا قفى فلا نبي بعده فمعنى المقفي والعاقب واحد لانه تبع الانبياء وهو المقفي لانه المتبع للنبيين وكل شيء تبع شيئا فقد قفاه يقال هو يقفو أثره أي يتبعه قال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا هذا أحد الوجهين والوجه الآخر أن يكون المقفي بفتح القاف ويكون مأخوذا من القفو ولقفي الكريم والضيف وأقفاؤنا بر وللضعف فكأنه

...ه وسلم وصفاته) *
(الفصل الاول) * عن
بن مطعم قال سمعت
صلى الله عليه وسلم
ان لي أسماء أنا محمد
أحمد وأنا الماحي الذي
الله بي الكفر وأنا
الذي يحشر الناس
على قدمي وأنا العاقب
العاقب الذي ليس بعده
متفق عليه وعن أبي
موسى الاشعري رضي الله
قال كان رسول الله صلى
عليه وسلم يسمي لنا
أسماء فقال أنا محمد
أحمد والمقفي

معنى المقفى الكريم وجوده وفضله والوجه الأول أحسن وأوضح أقول ولعل من هذا الوجه الثاني لا وجه له بل هو تصحيف لما في نسخ أصول المشكاة والشمائل والشفاء (والحاشر ونبي التوبة) لأنه تواب كثير الرجوع الى الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم اني أستغفر الله في اليوم سبعين مرة أو مائة مرة أو لأنه قبل من أمته التوبة بمجرد الاستغفار بخلاف الامم السالفة قال تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ولما كان هذا المعنى مختصا به سمي نبي التوبة (ونبي الرحمة) قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقال صلى الله عليه وسلم انما أنا رحمة مهداة والرحمة العطف والرأفة والاشفاق لانه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤف رحيم ولذا كانت أمته أمة مرحومة فلا تنسى صلى الله عليه وسلم ما يرحم الامين رحمة الله (رواه مسلم) وكذا أحمد على ما ذكره السيوطي عنه لكن بلفظ المرحمة ثم قال وزاد الطبراني في الكبير ونبي الملحمة (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم) أي دفعهم لا ستقذ هم الله عز وجل أنهم يرجحا صرف مستأنف لقوله (يشتمون) بكسر التاء أي يسبون (مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد) أي لا مذمم والمعنى انما ذكروه أوصاف المذمم وأنا محمد الله محمد وقيل كانوا يسمونه مذمما مكان محمد فقال انهم يشتمون ويريدون بذلك تعريضهم اياه بمذمم مكان محمد وكانت العوراء بنت حرب زوجة أبي لهب تقول

مذمما قلينا * ودينه أبينا * وأمره عصينا

(رواه البخاري وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شمط) بكسر الميم أي شاب (مقدم رأسه ولحيته) ففي المغرب شمطا بالكسر اذا ابيض شعر رأسه يخالطه سواده والوصف أشمط وأصل الشمط الخلط وهو دون الشيب فالمعنى ظهر الشيب في شعر رأسه ولحيته (وكان) أي هو أو شعره (اذا ادهن) بتشديد الدال أي استعمل الدهن (لم يتبين) أي لم يظهر الشيب (واذا شعث) بكسر العين أي تفرق (رأسه) أي شعر رأسه (تبين) أي ظهر بعض الشيب قال الطيبي دل هذا على أنه عند الادهان يجمع شعر رأسه ويضم بعضه الى بعض وكانت الشعرات البيض من قلتها لا تتبين فاذا شعث رأسه تبين أقول والاظهر أن شعث الرأس كناية عن عدم الادهان ويدل عليه ما رواه الترمذي عن جابر بن سمرة أيضا وسئل عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان اذا ادهن رأسه لم ير منه شيب فاذا لم يدهن رؤي منه وقد روى الترمذي عن ابن عمر قال انما كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من عشرين شعرة بيضاء وعن أنس قال ما عددت في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته الا أربع عشرة شعرة بيضاء (وكان كثير شعر اللحية) أي كثيفها لا خفيفها والمراد انه لم يكن كوسجا (فقال رجل وجهه مثل السيف) يعني في البريق واللمعان لكن لما كان يوهم الطول أيضا (قال) أي جابر (لا بل كان) أي وجهه (مثل الشمس والقمر) أي في قوة الضياء وكثرة النور ويمكن أن يكون الاستفهام مقدرا فالتقدير أوجهه مثل السيف فقال لا الخ ثم قال تتميما للمعنى وتعميما للمعنى (وكان) أي وجهه (مستديرا) مائلا الى التدوير اذ ورد في شمائله أنه لم يكن مكلثم الوجه قال الطيبي رد الراوي رد البليغ حيث شبهه بالسيف الصقيل ولما لم يكن الوجه مشابها للعارفين قاصرا عن تمام المراد من الاستنارة والاشراق التكامل والملاحة قال لا بل كان مثل الشمس في نهاية الاشراق والقمر في الحسن والملاحة ولما لم يفهم منه الاستدارة عرفا قال وكان مستديرا فالمراد فيه (ورأيت الخاتم) بفتح التاء وكسرها أي خاتم النبوة (عند كتفه مثل بيضة الحمامة) أي مدورا (يشبه) أي لونه (جسده) أي لون سائر أعضائه والمعنى لم يخالف لونه لون بشرته وفيه نفي البرص (رواه مسلم) وفي الجامع وكان خاتم النبوة في ظهره بضعة ناشزة أي قطعة لحم مرتفعة عن الجسم رواه الترمذي في الشمائل عن أبي سعيد وفي رواية الترمذي عن جابر بن سمرة كان خاتمه غدة حمراء مثل بيضة الحمامة وقد جمعت غالب طرق ألفاظ الحديث وبينت مبانيه وأوضحت معانيه في شرح الشمائل (وعن عبد الله بن سرجس) بالسينين المهملتين وبينهما جيم بوزن نرجس كذا في أسماء الرجال

والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد رواه البخاري وعن جابر ابن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شمط مقدم رأسه ولحيته وكان اذا ادهن لم يتبين واذا شعث رأسه تبين وكان كثير شعر اللحية فقال رجل وجهه مثل السيف قال لا بل كان مثل الشمس والقمر وكان مستديرا ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده رواه مسلم وعن عبد الله بن سرجس

للمؤلف ونرجس على ما في القاموس بكسر النون وفتحها معروف وذكره في رجس فالنون زائدة فيفيد كونه غير منصرف على ما في بعض النسخ والمعتمد ما في بعضها من فتح النون وسكون الراء وكسر الجيم مصروفا وهو المطابق لما في المغني وفي نسخة بفتح الجيم وما رأيت له وجها (قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزا ولحما أو قال ثريدا) شك في اللفظ واتحاد في المعنى أو اختلاف في المراد وقد جاء في رواية أبي داود والحاكم عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم كان أحب الطعام اليه الثريد من الخبز والثريد من الحيس (ثم درت خلفه فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى) بكسر المعجمة الاولى أعلى الكتف وقيل عظم رقيق على طرفها كذا في النهاية وتبعه ابن الملك وقال شارح الناغض الغضروف وهو ما لان من العظم وقيل أصل العنق وقيل ما ارتفع من الكتف وهو أعلاه ولا اختلاف بين هذا وبين ما هو المشهور من أنه بين كتفيه لانه يحتمل انه وجده كذلك والقول المشهور لا يدل على كونه بينهما على السواء بل يحتمل أن يكون بينهما على التفاوت من احدى الجانبين أو كان على السواء وخيل اليه انه الى اليسرى أقرب وكذلك القول فيمن روى عنه أنه عند كتفه اليمنى (جمعا) بضم الجيم وسكون الميم ففي النهاية الجمع هو أن تجمع الاصابع وتضمها يقال ضربه بجمع كفه بضم الجيم اهـ وأما ضم الميم فغلط من الراوي كذا ذكره بعضهم وفي المصابيح جمع أي مجموعا قال الامام التوربشتي اني لا أحققه في رواية والاشبه انه غلط من الكاتب وفي كتاب مسلم مثل الجمع بضم الجيم وهو الكف حين تقبضها ويؤيده ما ورد في صفة خاتم النبوة كالكف وفي كتاب مسلم من طريق أخرى جمعا أي كجمع فنصبه بنزع الخافض قال ابن الملك وروي بفتح الجيم فنصبه على انه حال اي نظرت اليه مجموعا أي مجتمعا قال النووي وظاهر قوله جمعا يحتمل أن يكون المراد تشبيهه به في الهيئة وأن يكون في المقدار والمراد به هنا الهيئة ليوافق قوله مثل بيضة الحمام (عليه خيلان) بكسر أوله جمع خال وهي نقطة تضرب الى السواد وفي النهاية وهو الشامة في الجسد (كأمثال الثآليل) بفتح المثلثة وبعد الهمزة وكسر اللام الاولى جمع ثؤلول بضم الثاء وسكون الهمزة خراج صلب يخرج على الجسد له نتو واستدارة وفي النهاية وهو هذه الحبة التي تظهر في الجسد مثل الحمصة فما دونها وبالفارسية زخ بفتح الزاي وسكون الخاء المعجمة (رواه مسلم وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد) قيل أسلم بعد أبي بكر فهو ثالث أو رابع في الاسلام قال المؤلف هو ابن العاص الاموية وهي مشهورة بكنيتها ولدت بأرض الحبشة وقدم بها الى المدينة وهي صغيرة ثم تزوجها الزبير بن العوام وروى عنها نفر (قالت أتي النبي صلى الله عليه وسلم) أي جيء (بثياب فيها خميصة) أي في جملتها كساء أسود مربع له علمان ذكره المظهر فقوله (سوداء) تأكيد أو تجريد (صغيرة فقال ائتوني بأم خالد فأتي بها) أي بأم خالد (تحمل) حال من الضمير في بها أي محمولة لانها طفل (وأخذ الخميصة بيده فألبسها) لا يخفى ما فيه وفيما قبله من النقل بالمعنى أو الالتفات في المبنى (قال) استئناف بيان (أبلي) أمر مخاطبة لها من الابلاء وهو جعل الثوب خلقا (وأخلقي) من الاخلاق بمعناه وجمع بينهما للتأكيد والمراد منهما الدعاء فقوله (ثم أبلي وأخلقي) زيادة مبالغة في الدعاء لها بطول عمرها ثم اعلم ان أخلقي بالقاف في النسخ المصححة وروي بالفاء وهو تأسيس لا تأكيد لفظا وان كان يؤول اليه معنى أي واخلفي ثوبا بعد ثوب فان الاخلاف غالبا لا يكون الا بعد الاخلاق ويؤيده ما رواه أبو داود انه صلى الله عليه وسلم اذا رأى على صاحبه ثوبا جديدا قال له تبلي ويخلف الله وفي الحصن أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي فذكره بصيغة الافراد ثلاث مرات ولعله نقل بالمعنى أو وقع خطابه صلى الله عليه وسلم لاحد من أصحابه غيرها بهذا الدعاء ثلاث مرات والله أعلم (وكان فيها) أي في الخميصة (علم أخضر أو أصفر فقال يا أم خالد هذا) أي العلم أو هذا الثوب (سناه) أي حسن وهو بفتح السين المهملة فنون فألف فهاء السكت وفي نسخة بكسر السين وروي سنه بلا ألف ونون خفيفة وروي بنون مشددة وهي بفتح أوله عند الجميع الا الغزني فانه يكسرها (وهي) أي كلمة سناه

قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأكلت معه خبزا ولحما أو قال ثريدا ثم درت خلفه فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جمعا عليه خيلان كأمثال الثآليل رواه مسلم وعن أم خالد بنت سعيد قالت أتي النبي صلى الله عليه وسلم بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة فقال ائتوني بأم خالد فأتي بها تحمل فأخذ الخميصة بيده فألبسها قال أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي وكان فيها علم أخضر أو أصفر فقال يا أم خالد هذا سناه وهي

(بالحبشية) أي بلغة الحبشة (حسنة) انثها باعتبار تأنيث مبتدئه وهو هي وهو من كلام أم خالد أو تفسير من غيرها (قالت فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي) أي صاح علي وزجرني وهددني ونهاني عن ذلك (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها) أي لتتبرك بالخاتم أيضا كما تبركت بلباس الخلعة الشريفة وهذا يدل على كمال حلمه وكرمه وحسن عشرته مع صحابته وقد أشار الشيخ الصمداني شهاب الدين السهروردي قدس سره في عوارفه الى ان استناد المشايخ الصوفية في لبس الخرقة بهذا الحديث أقول ولعله أراد الباس خرقة التبرك دون الباس خرقة الاجازة (رواه البخاري) وكذا أبو داود (وعن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن) أي الباعد عن حد الاعتدال والمفرط طولا الذي بعد من قدر الرجال الطوال أو الظاهر البين طوله من بان اذا ابعد أو ظهر (ولا بالقصير) أي المتردد كما في رواية والحاصل انه كان معتدل القامة لكن الى الطول أميل فان النفي نصب الى قيد وصف البائن فيثبت أصل الطول ونوع منه فهو بالنسبة الى الطول البائن قصير ولذا قيد نفي القصير بالمتردد ويؤيده انه جاء في رواية انه ربعة الى الطول وهذا انما هو في حد ذاته والا فاماشاه طويل الا غلبه صلى الله عليه وسلم في الطول (وليس بالابيض الامهق) أي الذي بياضه خالص لا يشوبه حمرة ولا غيرها كلون الثلج والبرص واللبن فالمراد انه كان نير البياض وقد جاء في رواية انه كان بياضه مشوبا بالحمرة وهو أحسن أنواع الالوان المستحسنة عند الطباع الموزونة وهذا معنى قوله (ولا بالآدم) أي الشديد السمرة (وليس بالجعد القطط) بفتحتين وتكسر الثانية أي الشديد الجعودة كشعور الحبش (ولا بالسبط) بكسر الموحدة وفتحها وسكونها وهو من السبوطة ضد الجعودة وهو الشعر المنبسط المسترسل كما في غالب شعور الاعاجم ففي القاموس السبط ويحرك وككتف نقيض الجعودة فالمعنى ان شعره صلى الله عليه وسلم كان وسطا بينهما (بعثه الله على رأس أربعين سنة) المشهور انه صلى الله عليه وسلم بعث بعد استكمال أربعين سنة فالمراد بالرأس آخر السنة كما في قول القراء والمفسرين من ان رؤس الآي أواخرها سواء أريد بلفظ الاربعين السنة التي تنضم الى تسعة وثلاثين أو مجموع السنين من أول الولادة الى استكمال أربعين سنة هذا وقال صاحب جامع الاصول ان الصحيح عند أهل العلم بالاثر انه بعث على رأس ثلاث وأربعين سنة (فاقام بمكة عشر سنين) أي على خلاف في ثلاث والا فالصحيح ان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون فمن قال ستين ألغى الكسر ومن قال خمسا وستين أدخل سنة الولادة والوفاة ثم العشر بسكون الشين وأما ما ضبط في بعض النسخ المصححة بفتحها أيضا فغير معروف (وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس) أي والحال انه لا يوجد عند وفاته (في رأسه ولحيته عشرون شعرة) بسكون العين ويفتح (بيضاء) يعني بل ما عددت فيها الا أربع عشرة شعرة بيضاء كما تقدم والله أعلم (وفي رواية يصف) أي ينعت (أنس النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ربعة) بسكون الموحدة وقد تفتح (من القوم) يقال الرجل ربعة ومربوع اذا كان بين الطويل والقصير فقوله (ليس بالطويل ولا بالقصير) تفسير وبيان له (أزهر اللون) خبر بعد خبر لكان أي نير اللون وحسنه وهو المتوسط بين الحمرة والبياض ذكره شارح وقال الطيبي نقلا عن القاضي الازهر الابيض المستنير والزهر والزهرة البياض النير وهو أحسن الالوان (وقال) أي أنس (كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم) بفتح العين وبسكن (الى انصاف أذنيه) بضم الذال ويسكن (وفي رواية بين أذنيه وعاتقه متفق عليه وفي رواية للبخاري قال كان ضخم الرأس) أي عظيمه وهو ممدوح عند العرب لدلالته على عظمة صاحبه وسعادته واشارته الى كمال رياسته وسيادته (والقدمين) للايماء الى الشجاعة والثبات والقوة في العبادات (لم أر بعده) أي بعد شهوده (ولا قبله) أي قبل وجوده (مثله) أي مماثلا ومساويا له في جميع مراتب الكمال خلقا وخلقا في كل الاحوال وهذا فذلكة شاهدة لعجزه عن مراتب وصفه ومناقب نعته (وكان سبط الكفين) أي غليظهما قال أبو عبيدة يعني انهما الى الغلظ والقصر أميل وقال غيره هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر ويحتمل ان يكون كناية عن الجود لات

بالحبشة حسنة قالت فذهبت ألعب بخاتم النبوة فزبرني أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها رواه البخاري وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وليس بالابيض الامهق ولا بالآدم وليس بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله على رأس أربعين سنة فاقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وفي رواية يصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير أزهر اللون وقال كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى انصاف أذنيه وفي رواية بين أذنيه وعاتقه متفق عليه وفي رواية للبخاري قال كان ضخم الرأس والقدمين لم أر بعده ولا قبله مثله وكان سبط الكفين

العرب تقول للبخيل جعد الكف وفي ضده سبط الكف (وفي أخرى له) أي للبخاري (قال كان شثن القدمين والكفين) بسكون المثلثة أي غليظ الاطراف من شثن بالضم والكسر اذا غلظ ويحمد ذلك في الرجال لانه أشد لقبضهم وأدل على قوتهم ويذم في النساء لفوات المطلوب منهن وهو الرعانة ثم المراد غلظ العضو في الخلقة لا خشونة الجلد لما صح عن أنس ما مسست ديباجة ولا حريرة ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعن البراء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا) أي قريبا منه والا فهو أطول منه (بعيد ما بين المنكبين) روي مكبرا ومصغرا وروي منصوبا على انه خبر ثان لكان ومرفوعا على حذف المبتدأ (له شعر بلغ شحمة أذنيه) أي وصلها وفي رواية ابن ماجه والترمذي في الشمائل عن عائشة رضي الله عنها كان شعره دون الجمة وفوق الوفرة والجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين والوفرة شعر الرأس اذا وصل الى شحمة الاذن ولعل اختلاف الروايات باعتبار اختلاف الحالات (رأيته في حلة حمراء) أي فيها خطوط حمر كرواية المالك وقال ابن الهمام هي عبارة عن ثوبين من اليمن فيها خطوط حمر وخضر لا انه أحمر بحت وقال العسقلاني هي ثياب ذات خطوط قال ميرك ولا دليل فيه لمن قال بجواز لبس الاحمر أقول ولو حمل على ظاهره فلا دلالة أيضا اذ يحتمل انه من باب الاختصاص أو قبل النهي أو لبيان الجواز ويفيد ان النهي عن الحمرة للكراهة لا للحرمة (لم أر شيئا قط أحسن منه) وهو أيضا يفيد نفي الحل واقعرها (متفق عليه) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي (وفي رواية لمسلم) وكذا الثلاثة (قال ما رأيت من ذي لمة) بكسر اللام وتشديد الميم في النهاية اللمة من شعر الرأس دون الجمة سميت بذلك لانها المت بالمنكبين فاذا زادت فهي الجمة (أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره يضرب) أي يصل (منكبيه بعيد ما بين المنكبين) بالرفع (ليس بالطويل ولا بالقصير) أي المفرطين (وعن سماك بن حرب) بكسر السين تابعي مشهور كوفي قال أدركت ثمانين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم) أي وسيعه وهو كناية عن غاية الفصاحة ونهاية البلاغة وقال النووي أي عظيمه هكذا قاله الاكثرون وهو الاظهر قالوا والعرب تمدح بذلك وتذم صغر الفم (أشكل العينين) الاشكل على ما في القاموس ما فيه حمرة وبياض مختلطة أو ما فيه بياض يضرب الى حمرة (منهوش العقبين) بالشين المعجمة أي منزفهما على ما في القاموس في المهملة والمعجمة (قيل لسماك ما ضليع الفم قال عظيم الفم) في القاموس رجل ضليع الفم أي عظيمه أو واسعه أو عظيم الاسنان متراصفها والعرب تحمد سعة الفم وتذم صغره (قيل ما أشكل العينين قال طويل شق العين) بفتح الشين قال القاضي عياض تفسير سماك أشكل العينين وهم منه وغلط ظاهر وصوابه ما اتفق عليه العلماء ونقله أبو عبيدة وجميع أصحاب الغريب وهو ان الشكلة حمرة في بياض العين وهو محمود (قيل ما منهوش العقبين قال قليل لحم العقب رواه مسلم) وكذا الترمذي (وعن أبي الطفيل) قال المؤلف هو عامر بن واثلة الليثي الكناني غلبت عليه كنيته أدرك من حياة النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين ومات سنة مائة واثنتين بمكة وهو آخر من مات من الصحابة في جميع الارض روى عنه جماعة (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبيض مليحا) احترازا من كونه أمهق (مقصدا) بفتح الصاد المشددة أي متوسطا معتدلا وفي النهاية هو الذي ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم كان خلقه يجيء به القصد من الامور والمعتدل الذي لا يميل الى أحد طرفي الافراط والتفريط (رواه مسلم) وكذا الترمذي في الشمائل [illegible] وفي رواية له عنها عن أبي هريرة كان أبيض كأنما صيغ من فضة وروى البيهقي عن علي [illegible] صلى الله عليه وسلم كان أبيض مشربا بحمرة وعن أبي هريرة [illegible] عن منكبيه [illegible] (وعن ثابت) قال المؤلف هو ثابت بن أسلم البناني أبو محمد تابعي من أعلام أهل البصرة وثقاتهم مشهور بالرواية عن أنس بن مالك وصحبه أربعين سنة (قال سئل أنس عن خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) بكسر الخاء ما يختضب به من حناء ونحوه على ما في القاموس (فقال انه لم يبلغ ما يخضب) بكسر

وفي أخرى له قال كان شثن القدمين والكفين وعن البراء قال كان رسول صلى الله عليه وسلم مربوعا بعيد ما بين المنكبين له شعر بلغ شحمة أذنيه رأيته في حلة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه متفق عليه وفي رواية لمسلم قال ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم شعره يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين ليس بالطويل ولا بالقصير وعن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضليع الفم أشكل العينين منهوش العقبين قيل لسماك ما ضليع الفم قال عظيم الفم قيل ما أشكل العينين قال طويل شق العين قيل ما منهوش العقبين قال قليل لحم العقب رواه مسلم وعن أبي الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبيض مليحا مقصدا رواه مسلم وعن ثابت قال سئل أنس عن خضاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لم يبلغ ما يخضب

الضاد قال شارح فاعل يبلغ ضمير عائد الى شعر النبي صلى الله عليه وسلم وما مصدرية وفاعل يخضب النبي
صلى الله عليه وسلم أي لم يبلغ الخضاب وقيل ما موصولة وعائدها محذوف أي يخضبه وهو مفعول يبلغ أي لم يبلغ
شعره حدا يخضب به يعني كان بياضه قليلا قال الطيبي أي كان قليل الشيب لا يظهر في بادئ النظر فلم يفتقر كتمه
بالخضاب (لو شئت أن أعد) أي أحصي (شمطاته) بالحركات أي شعراته البيض (في لحيته) جواب لو محذوف
أي لعددتها أو لعددتها أو لفعلت (وفي رواية لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه فعلت) وهو كناية عن قلة
البياض فيها لأن المعدود من أوصاف القليل ومنه قوله تعالى أياما معدودات ودراهم معدودة (متفق عليه وفي
رواية لمسلم قال إنما كان البياض) أي صاحبه وهو الشعر الأبيض أو البياض كناية عن الشيب (في عنفقته)
بفتح العين وسكون النون وفتح الفاء ثم قاف أي شعره النابت تحت شفته السفلى وفوق الذقن (وفي الصدغين)
بضم فسكون أي الشعر المتدلي على ما بين العين والأذن (وفي الرأس نبذ) بفتح النون وسكون الموحدة وذال
معجمة أي يسير من شيب وفي نسخة بنون مضمومة فموحدة مفتوحة أي شعرات متفرقة قال الطيبي نبذ
مبتدأ وقوله في عنفقته خبره والجملة خبر كان قيل ولا يبعد أن يكون الجملة معطوفة على جملة إنما كان والأظهر
أن الجار معطوف على ما قبله من أمثاله ونبذ خبر مبتدأ محذوف هو وهو راجع الى البياض (وعن أنس
رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون) أي أبيض نيرا (كأن) بتشديد النون
(عرقه اللؤلؤ) أي في البياض والصفاء (إذا مشى تكفأ) بتشديد الفاء مهموز وفي نسخة صحيحة بالألف
قال النووي هو بالهمز وقد يترك همزه وزعم كثيرون أنه بلا همز وليس كما قالوا ونقل شارح عن التوربشتي
أن الرواية المعتد بها تكفأ بغير همز وذكر الهروي أن الأصل فيه الهمز ثم ترك قال التوربشتي قيل
أي تمايل الى قدام كما تتكفأ السفينة في جريها من قولهم أكفأته وكفأته إذا قلبته ويقال كفأت الإناء
فانكفأ وتكفأ أو أراد به أنه يرتفع عن الأرض مرة واحدة كما يكون مشي الأقوياء وذوي الجلادة بخلاف
المتماوت الذي يجر رجله في الأرض ويدل عليه قول الواصف إذا مشى تقلع وفي شرح مسلم قال شمر معناه مال
يمينا وشمالا كما تكفأ السفينة قال الأزهري هذا خطأ لأن هذه صفة المختال قال القاضي عياض لا بعد فيما قاله
شمر إذا كان خلقة وجبلة والمذموم منهما ما كان مستعملا مقصودا (ما مسست) بكسر السين الأولى ويفتح
(ديباجة) بكسر الدال ويفتح وهو نوع من الحرير (ولا حريرا) أي مطلقا (ألين من كف رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا شممت) بكسر الميم ويفتح (مسكا ولا عنبرا أطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم) قال
العسقلاني مسست بكسر المهملة الأولى على الأفصح وكذا شممت بكسر الميم الأولى وفتحها لغة ويقال في
المضارع أمسه وأشمه بالفتح فيهما على الأفصح وبالضم على اللغة المذكورة وفي القاموس الشم حس الأنف
شممته بالكسر أشمه وشممته أشمه بالضم شما (متفق عليه) وفي شمائل الترمذي كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا ولا حريرا قط ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة من عرف
بالفاء (وعنه) أي عن أنس (عن أم سليم) بالتصغير كذا في الأصول المعتمدة وفي بعض النسخ وعن أم سليم
بدون قوله وعنه قال المؤلف هي بنت ملحان بكسر الميم وفي اسمها خلاف تزوجها مالك بن النضر أبو أنس
ابن مالك فولدت له أنسا ثم قتل عنها مشركا وأسلمت فخطبها أبو طلحة وهو مشرك فأبت ودعته الى الإسلام
فأسلم وقالت إني أتزوجك ولا آخذ منك صداقا لإسلامك فتزوجها أبو طلحة روى عنها خلق كثير (أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يأتيها) أي يجيء بيتها (فيقيل) بفتح الياء من القيلولة وهي الاستراحة عند الظهيرة
وقد تكون مع النوم (عندها) أي لأنها كانت أم خادمه وهو أنس ولا دلالة فيه على الكشف أو الخلوة
قال النووي أم حرام وأم سليم كانتا خالتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم محرمين إما من الرضاع وإما من
النسب فتحل له الخلوة بهما فكان يدخل عليهما خاصة ولا يدخل على غيرهما من النساء وقيل إنما كان يقيل

لو شئت أن أعد شمطاته في لحيته وفي رواية لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه فعلت متفق عليه وفي رواية لمسلم قال إنما كان البياض في عنفقته وفي الصدغين وفي الرأس نبذ وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ إذا مشى تكفأ ما مسست ديباجة ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم متفق عليه وعن أم سليم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتيها فيقيل عندها

عنها الا انها كانت من محارمه من جهة الرضاع والا لم يدخل النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول الحجاب عليها وعلى أختها أم حرام وقد دخل بعده عليهما دون غيرهما من نساء الانصار والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن رضيعا في المدينة فتعين ان يكون ذلك من قبل أبيه عبد الله فانه ولد بالمدينة وقال التوربشتي قد وجدت في بعض كتب الحديث انها كانت من ذوات محارم النبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن ليقيل في بيت أجنبية واذا لم يكن بينه وبينها سبب محرم من رحم وصلة فلا بد أن يكون ذلك من جهة الرضاع واذا قد علمنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يحمل الى المدينة مسترضعا تعين ذلك أن يكون من قبل أبيه عبد الله فانه ولد بالمدينة وكان عبد المطلب قد فارق أباه هاشما وتزوج بالمدينة في بني النجار وأم حرام وأم سليم بنتا ملحان كانتا من بني النجار فعرفنا من جميع ذلك ان الحرمة بينهم كانت حرمة رضاع ولقد وجدنا الجم الغفير من علماء النقل أوردوا أحاديث أم حرام وأم سليم ولم يبين أحد منهم العلة اما من الغفلة عنها واما لعدم العلم بها فأحببت ان أبين وجه ذلك كيلا يظن جاهل انه كان في سعة من ذلك لمكان العصمة ولا يتدرع به مستبيح الى الترخص بما لا رخصة فيه وأراني والله أعلم أول من وفقت لذلك فواها لها من درة كنت مستخرجها والله أحمد على هذه الموهبة السنية (فتبسط) أي تفرش أم سليم (نطعا) بكسر النون وفتحها وسكون الطاء وفي القاموس هو بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكعنب بساط من الاديم (فيقيل عليه وكان كثير العرق) أي لانه كان كثير الحياء (فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب) أي في الطيب الذي معها (فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أم سليم ماهذا) أي الذي تفعلينه (قالت عرقك نجعله في طيبنا) أي ليطيب طيبنا ببركته أو بزيادته (وهو) أي عرقك أو الطيب المخلوط به (من أطيب الطيب وفي رواية قالت يا رسول الله نرجو بركته) أي كثرة خيره (لصبياننا قال أصبت) أي فعلت الصواب وفيه استحباب التبرك والتقرب بآثار الصالحين قيل لما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى ان يجعل في حنوطه من ذلك الطيب (متفق عليه وعن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الاولى) من باب اضافة الموصوف الى الصفة والمتبادر انها الصبح قال النووي وتبعه ابن الملك هي صلاة الظهر (ثم خرج) أي من المسجد (الى أهله) أي متوجها الى احدى الحجرات الشريفة (وخرجت معه فاستقبله ولدان) جمع وليد وهو الصبي (فجعل) أي شرع (يمسح) أي بيديه الكريمتين (خدي أحدهم واحدا واحدا) حال (وأما أنا فمسح خدي) بصيغة التثنية وفي نسخة بالافراد على ارادة الجنس (فوجدت ليده بردا) أي راحة (أو ريحا) أي رائحة طيبة والظاهر ان أو بمعنى الواو أو بمعنى بل (كأنما أخرجها) أي اذا أخرج يده من الكم وكأنه أخرجها (من جؤنة عطار) بضم الجيم وسكون الهمز ويبدل أي سلته أو حقته وفي النهاية هو بضم الجيم التي يعد فيها الطيب ويحرز قال النووي وفي الحديث بيان طيب ريحه صلوات الله عليه وسلامه وهو مما أكرمه الله سبحانه وتعالى به قالوا وكانت هذه الريح الطيبة صفته وان لم يمس طيبا ومع هذا كان يستعمل الطيب في كثير من الاوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين (رواه مسلم وذكر حديث جابر سموا باسمي) تمامه ولا تكنوا بكنيتي (في باب الاسامي وحديث السائب بن يزيد نظرت الى خاتم النبوة) تمامه مثل زر الحجلة (في باب أحكام المياه)

(الفصل الثاني) (عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير) أي بل كان معتدل القامة (ضخم الرأس) أي عظيمه لدلالته على عظمة رياسته (واللحية) أي كثيفها دون الكوسج وقد روى الطبراني عن العداء بن خالد انه صلى الله عليه وسلم كان حسن السبلة أي اللحية (شثن الكفين والقدمين) أي انهما يميلان الى الغلظ والقصر كذا في النهاية (مشربا حمرة) أي مخلوطا لونه بالحمرة وهو على صيغة المفعول مخففة ويجوز تشديده ففي النهاية الاشراب خلط لون بلون كان أحد اللونين سقي اللون الآخر فقال بياض مشرب بحمرة بالتخفيف فاذا شدد كان للتكثير والمبالغة (ضخم الكراديس) أي عظيم الاعضاء وهو جمع الكردوس وهو كل عظمين التقيا في مفصل نحو المنكبين

فتبسط نطعا فيقيل عليه وكان كثير العرق فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أم سليم ماهذا قالت عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وفي رواية قالت يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا قال أصبت متفق عليه وعن جابر ابن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الاولى ثم خرج الى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان فجعل يمسح خدي أحدهم واحدا واحدا وأما أنا فمسح خدي فوجدت ليده بردا أو ريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار رواه مسلم وذكر حديث جابر سموا باسمي في باب الاسامي وحديث السائب بن يزيد نظرت الى الخاتم النبوة في باب أحكام المياه

(الفصل الثاني) عن علي بن أبي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا بالقصير ضخم الرأس واللحية شثن الكفين والقدمين مشربا حمرة ضخم الكراديس

والركبتين والوركين وقيل رؤس العظام (طويل المسربة) بفتح الميم وسكون السين وضم الراء الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر الى السرة (اذا مشى تكفا) بتشديد الفاء بعده همزا وألف وهو أنسب بقوله (تكفيا) بكسر الفاء المشددة بعدها تحتية على ان أصله تكفؤا بضم الفاء والهمز فلما خفف ماضيه بالابدال الحق مصدره بالمعتل وفي نسخة تكفؤا على الاصل وقال شارح تكفا تكفؤا بالهمز وهو الميل تارة الى اليمين وأخرى الى الشمال في المشي وقيل تكفا أي اعتمد الى القدام من قولهم كفأت الاناء اذا قلبته ويؤيده قوله (كانما ينحط) بتشديد الطاء أي يسقط (من صبب) أي منحدر من الارض فمن تعليلية أو بمعنى في الظرفية ولذا قيل أي يسقط من موضع عال والمعنى يمشي مشيا قويا يسرع فيه وفي شرح السنة الصبب الحدور وهو ما ينحدر من الارض يريد به انه كان يمشي مشيا قويا يرفع رجليه من الارض رفعا بائنا لا كمن يمشي اختيالا ويقارب خطاه تنعما (لم أر قبله) أي قبل موته لان عليا لم يدرك زمانا قبل وجوده (ولا بعده) أي بعد فوته (مثله) صلى الله عليه وسلم وربما يكون هذا الكلام كناية عن عدم رؤية المماثل له مطلقا مع قطع النظر عن القبلية والبعدية فهذه فذلكة مشتملة على اظهار العجز عن غاية وصفه ونهاية نعته (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعنه) أي عن علي (كان اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم) أي من جهة خلقه (قال لم يكن بالطويل الممغط) بضم الميم الاولى وتشديد الثانية المفتوحة وكسر الغين المعجمة أي الممدود من المعط وهو المد وهو من باب الانفعال على ما اختاره ابن الاثير في جامع الاصول وخطأ المحدثين في جعله اسم فاعل من التمعيط ووافقهم الجوهري وتبعه الشيخ الجزري في تصحيح المصابيح كذا ذكره ميرك وفي النهاية هو بتشديد الميم الثانية المتناهي في الطول من أمعط النهار اذا امتد ومغطت الحبل وغيره اذا مددته وأصله منمغط والنون للمطاوعة فقلبت ميما وأدغمت في الميم ويقال بالعين المهملة بمعناه (ولا بالقصير المتردد) اي المتناهي في القصر كانه تردد بعض خلقه على بعض وانضم بعضه الى بعض وتداخلت أجزاؤه (وكان ربعة من القوم) أي متوسطا ما بين افرادهم فهو في المعنى تأكيد لما قبله (ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط) تقدم بيان مبناه وتبين معناه وقوله (كان جعدا رجلا) بكسر الجيم ويفتح ويسكن أي لم يكن شديد الجعودة ولا السبوطة (ولم يكن بالمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة أي الفاحش السمين وقيل النحيف الجسم وهو من الاضداد وقيل هو المنتفخ الوجه (ولا بالمكلثم) بفتح المثلثة أي المدور وجهه غاية التدوير بل كان وجهه مائلا الى التدوير ولذا قال (وكان في الوجه) أي في وجهه (تدوير) أي نوع تدوير أو تدويرما والمعنى أنه كان بين الاسالة والاستدارة (أبيض) أي هو أبيض اللون (مشرب) أي مخلوط بحمرة (أدعج العينين) أي أسود العينين مع سعتهما ذكره شارح وفي النهاية الدعج والدعجة شدة السواد في العين وغيرها يريد ان سواد عينيه كان شديد وكان الدعج شدة سواد العين في بياضها (أهدب الاشفار) بفتح الهمز جمع شفر بالضم أي كثير أطراف الجفون كثير الهدب عليها والاهدب الرجل الكثير أشفار العين وأشفارها هي أطراف الجفون التي ينبت عليها الشعر وهو الهدب كذا حققه شارح وفي النهاية أي طويل شعر الاجفان (جليل المشاش) بضم الميم أي عظيم رؤس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وقال الجوهري هي رؤس العظام التي يمكن مضغها وقال شارح أي عظيم رؤس العظام والمناكب (والكتد) أي وجليله وهو بفتح الفوقية ويكسر ما بين الكاهل والظهر ذكره شارح وفي النهاية هو مجتمع الكتفين وهو الكاهل (أجرد) أي الذي ليس على بدنه شعر ولم يكن صلى الله عليه وسلم كذلك وانما أراد به أن الشعر كان في أماكن من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين فان ضد الاجرد هو الاشعر الذي على جميع بدنه شعر وقد بين بقوله (ذو مسربة) أنه لم يكن أجرد على الاطلاق ومن أصحاب التجارب من الهنود وغيرهم من لا يحمد الرجل اذا كان في سائر أعضائه أجرد ولا سيما الصدر (شثن الكفين والقدمين) أي غليظهما الدال على قوة البطش والثبات المشيرين الى صفة الشجاعة ونعت العبادة (اذا مشى

طويل المسربة اذا مشى تكفا تكفؤا كانما ينحط من صبب لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعنه كان اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة من القوم ولم يكن بالجعد القطط ولا بالسبط كان جعدا رجلا ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم وكان في الوجه تدوير أبيض مشرب أدعج العينين أهدب الاشفار جليل المشاش والكتد أجرد ذو مسربة شثن الكفين والقدمين اذا مشى

يتقلع) بتشديد اللام أي يرفع رجليه من الارض رفعا بائنا بقوة متداركا احداهما بالاخرى كمشية أهل الجلادة لا كالذي يقارب الخطا على التبختر والاختيال فان ذلك من مشي النساء ويوصفن به (كأنما يمشي) أي ينحط (في صبب) أي منحدر من الارض وفيه ايماء الى قوة المشي والميل الى القدام (واذا التفت) أي أراد الالتفات الى أحد جانبيه (التفت معا) أي بكليته يعني أنه لا يسارق النظر وقيل أراد لا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذا نظر الى الشيء وانما يفعل ذلك الطائش الخفيف ولكن كان يقبل جميعا ويدبر جميعا قال التوربشتي يريد أنه كان اذا توجه الى الشيء توجه بكليته ولا يخالف ببعض جسده بعضا كيلا يخالف بدنه قلبه وقصده وقصده لما في ذلك من التلون وآثار الخفة (بين كتفيه خاتم النبوة) جملة من خبر ومبتدأ (وهو خاتم النبيين أجود الناس صدرا) اما من الجودة بضم الجيم بمعنى السعة والانفساح أي أوسعهم قلبا فلا يمل ولا يتبرم من أذى لامة ومن جفاء الاعراب واما من الجود بالضم بمعنى الاعطاء ضد البخل أي لا يبخل على أحد شيأ من زخارف الدنيا ولا من العلوم والحكم والمعارف التي في صدره فالمعنى أنه أسخى الناس قلبا (وأصدق الناس لهجة) بسكون الهاء ويفتح أي لسانا ففي القاموس اللهجة اللسان ويحرك وكذا في الصحاح وقيل في الديوان للهجة فتحتين اللسان وهي الفصحى وبسكون الهاء فضعيف وفي الفائق روي في اللهجة فتح الهاء وسكونها والفتح أفصح وقال أبو حاتم عن الاصمعي اللهجة بهاء ساكنة ولم يعرف اللهجة (وألينهم عريكة) أي جانبا وطبيعة في النهاية يقال فلان لين العريكة اذا كان سلسا مطاوعا منقادا قليل الخلاف (وأكرمهم عشيرة) بفتح فكسر فتحتية أي قبيلة وفي نسخة صحيحة بكسر فسكون أي معاشرة ومصاحبة وقال الطيبي قوله عشرة كذا هو في الترمذي والجامع أي صحبة وفي المصابيح العشيرة أي الصاحب اه وفيه نظر اذ النسختان موجودتان في الشمائل وغيره على ما ذكره والله تعالى أعلم (من رآه بديهة) أي أول مرة وفجأة وبغتة (هابه) أي خافه وقارا وهيبة من هاب الشيء اذا خافه ووقره وعظمه (ومن خالطه معرفة) تمييز (أحبه) أي بحسن خلقه وشمائله والمعنى ان من لقيه قبل الاختلاط به والمعرفة اليه هابه لوقاره وسكونه فاذا جالسه وخالطه بان له حسن خلقه فأحبه حبا بليغا (يقول ناعته) أي واصفه عند العجز عن وصفه (لم أر قبله) أي قبل وجوده أو قبل موته (ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي) أي في جامعه وفي الشمائل (وعن جابر رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسلك طريقا) أي زقاقا (فيتبعه) أي فيعقبه (أحد الا عرف) أي ذلك التابع (أنه) أي النبي صلى الله عليه وسلم (قد سلكه) أي ذلك الطريق (من طيب عرفه) بفتح وسكون ففاء أي رائحته يعني يتكيف هواء ذلك الطريق بكيفية الطيب منه فيعرف منه أنه قد سلك هذا الطريق (أو قال) أي جابر (من ريح عرقه) بفتحتين فقاف شك من الراوي والمآل واحد اذ المقصود بيان طيب ريحه الذاتي لا طيب عرفه العرضي كما سبق من أنه خصه الله بطيب العرق وقال ابن الملك هذا من خصائصه دون سائر الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام (رواه الترمذي وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر) قال المؤلف عنسي بفتح العين والنون تابعي روى عن جماعة وروى عنه عبد الرحمن بن اسحق (قال قلت للربيع) بضم ففتح فتشديد (بنت معوذ بن عفراء) بتشديد الواو المكسورة صحابية جليلة (صفي) أمر مخاطبة من الوصف أي انعتي (لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا بني) بتشديد الياء المكسورة والمفتوحة تصغير شفقة ومرحمة (لو رأيته) أي نور وجهه ولمعان فيه مطالعة واشراقه الطالع المبين والمضيء الهمايون (رأيت الشمس طالعة) أي في وجهه كما سيأتي مع وجهه أو التقدير لكانك رأيت شمسا طالعة ونورا ظاهرا (رواه الدارمي وعن جابر بن سمرة قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة) أي مضيئة (اضحيان) بكسر الهمزة والحاء وتخفيف التحتية كذا في الروايات وهو منصرف وان كان آخره ونونه زائدتين لوجود تأنيثه بالتاء كما في المشكاة لبروزه اظهوره شرح أي ليلة مضيئة لا غيم فيها يقال ليلة اضحيان واضحيانة وضحياء وضحيانة من الصحو في ذا لفظ أي مضيئة من أولها الى آخرها ومن قال انما قال في كلامهم (لمعات

يتقلع كأنما يمشي في صبب واذا التفت التفت معا بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين أجود الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسلك طريقا فيتبعه أحد الا عرف أنه قد سلكه من طيب عرفه أو قال من ريح عرقه رواه الدارمي وعن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ بن عفراء صفي لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا بني لو رأيته رأيت الشمس طالعة رواه الدارمي وعن جابر بن سمرة قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة اضحيان فجعلت

أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى تارة (والى القمر) أى أخرى لا لنظر لترجيح بينهما فى الحسن الصورى (وعليه حلة حمراء) جملة حالية معترضة (فاذا هو أحسن عندى) أى فى نظرى أو معتقدى ولفظ الترمذى فى الشمائل فلهو عندى أحسن من القمر أى لزيادة الحسن المعنوى فيه صلى الله عليه وسلم كما قال بعض أرباب العشق من أهل المجاز مخاطبا لمحبوبه يشابهك القمر لكن من أين له الكلام وسائر مراتب النظام (رواه الترمذى والدارمى وعن أبى هريرة قال ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فى الصورة مع قطع النظر عن السيرة (كأن) بتشديد النون أى رأيته كأن (الشمس تجرى فى وجهه) قال الطيبى شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه وفيه معنى قول الشاعر

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

وفيه أيضا عكس التشبيه للمبالغة (وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى مع تحقق وقاره وسكونه ورعاية اقتصاده ممتثلا قوله تعالى واقصد فى مشيك (كأنما الارض تطوى له) بصيغة المجهول أى تزوى وتجمع على طريق خرق العادة ومراعاة لموسى ينسيه الا لامره (وانا) استئناف بيان أى نحن (لنجهد أنفسنا) بضم النون وكسر الهاء وفى نسخة بفتحهما من الاجهاد أو الجهد وهما الحمل على الشئ فوق طاقته قال التوربشتى يجوز فيه فتح النون وضمها يقال جهد دابته وأجهدها اذا حمل عليها فوق طاقتها فالمعنى انا نحمل على أنفسنا من الاسراع نتعبها فوق طاقتها (وانه لغير مكترث) بكسر الراء أى غير مبال بمشينا أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة فكأنه يمشى على هينة يقال ما بال به أى ما تعب نفسه فيه ويقال اكترث بالامر اذا بالى به كذا ذكره شارح وفى النهاية أى غير مبال ولا يستعمل الا فى النفى واستعماله فى الاثبات شاذ (رواه الترمذى وعن جابر بن سمرة قال كان فى ساقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حموشة) بضم الحاء المهملة والميم أى دقة ولطافة مناسبة لسائر أعضائه (وكان لا يضحك) أى فى غالب أحواله (الا تبسما) وهو مقدمة الضحك فيحتمل أن يحمل الاستثناء متصلا أو منقطعا قال الطيبى جعل التبسم من الضحك واستثناه منه فان التبسم من الضحك بمنزلة السنة من النوم ومنه قوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها أى شارعا فى الضحك (وكنت) بصيغة المتكلم ولو روى بالخطاب لكان له وجه (اذا نظرت اليه) أى رأيته (قلت) أى فى ضميرى (أكحل العينين) أى هو مكحل العين (وليس بأكحل) بل كانت عينه كحلاء من غير اكتحال (رواه الترمذى) وقوله كان لا يضحك الا تبسما رواه أحمد والحاكم أيضا

(الفصل الثالث) (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين) وفى نسخة من الشمائل أفلج الثنايا فى النهاية الفلج بالتحريك فرجة ما بين الثنايا والرباعيات والفرق فرجة بين الثنيتين اه كلامه وفى الحديث استعمل فلج موضع فرق كذا ذكره الطيبى والمفهوم من القاموس عدم الفرق حيث قال الفلج بالتحريك تباعد ما بين القدمين وتباعد ما بين الاسنان وهو أفلج الاسنان ولا بد من ذكر الاسنان يعنى ليحصل الفرق (اذا تكلم) روى بمجهول (رؤى) أى أبصر (كالنور) أى شئ مثل النور (يخرج) أى حال كونه يظهر (من بين ثناياه) وهو اما أن يراد به كلامه النورانى أو أمر زائد يدركه الذوق الوجدانى ولا منع من الجمع لما رواه أحمد عن أبى الدرداء من أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يحدث حديثا الا تبسم ولعل العارف ابن الفارض أشار اليه فى قوله

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

قال الطيبى الضمير فى يخرج يجوز أن يرجع الى ما دل عليه تكلم وأن يرجع الى النور والكاف زائدة نحو قولك مثلك يجود فعلى الاول تشبيه ووجه الشبه التبين والظهور كما سميت الحجة الظاهرة بالنور وعلى الثانى لا تشبيه فيه فيكون من معجزاته صلى الله عليه وسلم (رواه الدارمى) وكذا الترمذى فى الشمائل (وعن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر) بضم السين وتشديد الراء أى فرح وصار مسرورا

أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى القمر وعليه حلة حمراء فاذا هو أحسن عندى من القمر رواه الترمذى والدارمى وعن أبى هريرة قال ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث رواه الترمذى وعن جابر بن سمرة قال كان فى ساقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حموشة وكان لا يضحك الا تبسما وكنت اذا نظرت اليه قلت أكحل العينين وليس بأكحل رواه الترمذى

(الفصل الثالث) عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه رواه الدارمى وعن كعب بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر

(استنار وجهه حتى كأن) بتشديد النون (وجهه قطعة قمر) لعل الاضافة بيانية أو بمعنى من نظرا الى أصل القمر من الكبر لا بحسب بادي الرأي في النظر (وكنا نعرف ذلك) أي من عادته أو ذلك لا يختص بي بل لا يخفى على أحد منا قال الطيبي حال مؤكدة أي كان ظاهرا جليا لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة (متفق عليه وعن أنس أن غلاما) أي ولدا (يهوديا) أي واحدا من اليهود (كان يخدم) بضم الدال ويكسر (النبي صلى الله عليه وسلم فمرض) أي الغلام (فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده) تواضعا وجزاء ورجاء (فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة) أي بعضها كما يقرأ سورة يس عند حالة النزع (فقال له) أي لابيه (رسول الله صلى الله عليه وسلم يا يهودي أنشدك) بضم الشين أي أقسم عليك (بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة) أي في بعض آياتها (نعتي) أي باعتبار ذاتي وخلقتي (وصفتي) أي باعتبار أفعالي وأحوالي (ومخرجي) أي مكان خروجي أو زمانه من ولادة أو بعثة أو هجرة (قال لا قال الفتى) أي الغلام (بلى والله يا رسول الله انا نجدك في التوراة نعتك وصفتك) وفي نسخة صحيحة وصفتك (ومخرجك واني أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه قيموا هذا) أي أباه (من عند رأسه ولوا أخاكم) الواو للعطف على أقيموا ولوا أمر مخاطب من ولي الامر يليه اذا تولاه أي كونوا والي أمر أخيكم في الاسلام وتولوا أمر تجهيزه وتكفينه وسائر الاحكام قال السيد جمال الدين المحدث وبعض محدثي زماننا قرأ هذه الكلمة على انها حرف شرط وهو تصحيف وتحريف رواية ودراية (رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انما أنا رحمة مهداة) بضم الميم أي ما أنا الا رحمة للعالمين أهداها الله اليهم فمن قبل هديته أفلح وظفر ومن لم يقبل خاب وخسر كقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (رواه الدارمي والبيهقي في شعب الايمان) وكذا ابن سعد والحكيم عن أبي صالح مرسلا والحاكم في مستدركه عنه عن أبي هريرة مرفوعا

(باب في أخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم)

في النهاية الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية وحقيقته انه صورة الانسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورتها الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة والشمائل جمع شمال وهو الخلق انتهى والشمال بالكسر بمعنى الطبع لا بمعنى اليسار ومنه قوله تعالى يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل ولا بالفتح والهمز لانه بمعنى الريح وكل منهما غير مناسب للباب

(الفصل الاول) (عن أنس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين) وفي رواية مسلم تسع سنين (فما قال لي أف) بضم الهمز وكسر الفاء المشددة وفي نسخة بفتحها وفي نسخة بتنوين المكسورة وهي ثلاث قراآت متواترات وقال النووي في شرح مسلم فيه عشر لغات أف بضم الفاء وفتحها وكسرها بلا تنوين وبالتنوين ثلاثة أخرى وأف بضم الهمزة واسكان الفاء وافي بكسر الهمزة وفتح الفاء وافي وأفه بضم همزتهما قال شارح وهي كلمة تبرم أي ما قال لي ما فيه تبرم وملال (ولا لم صنعت) أي لاي شئ صنعت هذا الفعل (ولا ألا) بتشديد اللام أي هلا (صنعت) أي لم لا فعلت هذا الامر والمعنى لم يقل لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ لم أصنعه وكنت مأمورا به لم لا صنعته وقال الطيبي أف اسم فعل بمعنى أتضجر وأكره وحرف التحضيض في الماضي أفادا التنديم كما في المضارع يفيد التحريض واعلم ان ترك اعتراض النبي صلى الله عليه وسلم على أنس رضي الله عنه فيما خالف أمره انما يفرض فيما يتعلق بالخدمة والآداب لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية فانه لا يجوز ترك الاعتراض فيه وفيه أيضا مدح أنس فانه لم يرتكب أمرا يتوجه اليه من النبي صلى الله عليه وسلم اعتراض ما (متفق عليه) ورواه الترمذي في الشمائل وزاد قط بعد قوله أف ثم قال وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته (وعنه) أي عن أنس

استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك متفق عليه وعن أنس أن غلاما يهوديا كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا يهودي أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة نعتي وصفتي ومخرجي قال لا قال الفتى بلى والله يا رسول الله انا نجدك في التوراة نعتك وصفتك ومخرجك واني أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه أقيموا هذا من عند رأسه ولوا أخاكم رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال انما أنا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي في شعب الايمان

(باب في أخلاقه وشمائله صلى الله عليه وسلم)

(الفصل الاول) عن أنس قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف ولا لم صنعت ولا ألا صنعت متفق عليه وعنه

رضي الله عنه (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا) بضمتين ويسكن اللام أي عشرة (فأرسلني يوما لحاجة فقلت والله لا أذهب) أي باللساني وكأنه أراد به الوقت الآتي ويؤيده قوله (وفي نفسي) أي وفي قلبي وجنّني (ان أذهب لما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي لاجل أمره اياي به (فخرجت) أي على قصد الذهاب اليه (حتى أمر) بالنصب وفي نسخة بالرفع كقوله تعالى حتى يقول الرسول قال الطيبي هو حكاية الحال الماضية ويجوز ان تكون حتى ناصبة بمعنى كي قلت لكن لا يلائمه المعنى اذ المراد اني خرجت اذهب الى ان مررت في طريقي (على صبيان وهم يلعبون في السوق) والظاهر انه وقف عندهم اما للعب أو للتفرج ولذا قال (فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض) أي أخذ (بقفاي) والقفا بالقصر مؤخر العنق وقوله (من ورائي) للتأكيد أو متعلق بقبض (قال) أي أنس (فنظرت اليه وهو يضحك وقال يا أنيس) تصغير أنس للشفقة والرحمة (ذهبت) أي أذهبت حيث أمرتك (قلت نعم) بناء على انه شرع في الذهاب فقوله (أنا ذاهب) أي الآن أكمل الذهاب (يا رسول الله) قال شارح انما قال نعم لان المأمور كالموجود بناء على انه جزم العزم على الذهاب أو لان ذهبت في السؤال في معنى تذهب لعلمه صلى الله عليه وسلم بانه ما ذهب أنس الى تلك الحاجة واقتصر الطيبي على الاول ثم قال ويحمل قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا أذهب وأمثاله على انه كان صبيا غير مكلف قال الجزري ولذا ما أدبه بل داعبه وأخذ بقفاه وهو يضحك رفقا به (رواه مسلم وعنه) أي عن أنس (قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد) أي ثوب مخطط على ما في النهاية (نجراني) بفتح نون وسكون جيم منسوب الى نجران بلد باليمن ذكره شارح وفي النهاية هو موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن (غليظ الحاشية) أي الطرف (فأدركه أعرابي) أي لحقه (فجبذه) أي جذب الاعرابي النبي صلى الله عليه وسلم (بردائه جبذة شديدة) والجبذ لغة في الجذب وقيل هو مقلوب منه (ورجع نبي الله صلى الله عليه وسلم في نحر الاعرابي) أي في صدره ومقابله من شدة جذبه قال الطيبي أي استقبل صلى الله عليه وسلم نحره استقبالا تاما ومعنى قوله واذا التفت التفت معا وهذا يدل على انه لم يتغير ولم يتأثر من سوء أدبه (حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو موضع الرداء من المنكب (قد أثرت بها) أي في صفحته (حاشية البرد من شدة جبذته) قلت وصدق الله في قوله الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ان لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله (ثم قال يا محمد) والظاهر انه كان من المؤلفة فلذلك فعل ما فعله ثم خاطبه باسمه قائلا على وجه العنف مقابلا لبحر اللطف (مر لي) أي مر وكلاءك بأن يعطوا لي أو مر بالعطاء لاجلي (من مال الله الذي عندك) أي من غير صنيع لك في اعطائك كما صرح في رواية حيث قال (لا من مالك ولا من مال أبيك) قيل المراد به مال الزكاة فانه كان يصرف بعضه الى المؤلفة (فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي فنظر اليه تعجبا (ثم ضحك) أي تلطفا (ثم أمر له بعطاء) وفيه استحباب احتمال الوالي من أذى قومه وفيه دفع المال خطاء على عرض الرجال (متفق عليه وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس) أي خلقا وخلقا وصورة وسيرة ونسبا وحسبا ومعاشرة ومصاحبة (وأجود الناس) أي أكثرهم كرما وسخاوة (وأشجع الناس) أي قوة وقلبا ويدل عليه قوله تعالى فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين على القتال ولذا كان يركب البغل لانه لا يتصور معه الكر (ولقد فزع) بكسر الزاي أي خاف (أهل المدينة) وفي المصابيح فزع الناس في شرح السنة أي استغاثوا يقال فزع منه بالكسر أي خاف وفزع اليه أي استغاث كذا ذكره شارح له (ذات ليلة) أي حيث سمعوا صوتا أنكروها (فانطلق الناس قبل الصوت) بكسر القاف وفتح الموحدة أي الى جانبه (فاستقبلهم) أي النبي صلى الله عليه وسلم الناس راجعا اليهم حال كونه (قد سبق الناس الى الصوت) أي الى نحوه

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا فأرسلني يوما لحاجة فقلت والله لا أذهب وفي نفسي ان أذهب لما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي قال فنظرت اليه وهو يضحك فقال يا أنيس ذهبت حيث أمرتك قلت نعم أنا أذهب يا رسول الله رواه مسلم وعنه قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة ورجع نبي الله صلى الله عليه وسلم في نحر الاعرابي حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم أمر له بعطاء متفق عليه وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس الى الصوت

وتحقق عدم الفزع عنده وأبعد الطيبي في قوله الضمير في فاستقبلهم راجع الى مادل عليه الصوت الذي فزع منه أهل المدينة يعني القوم قال ميرك والظاهر ان الضمير للناس والمراد انه صلى الله عليه وسلم سبق الناس الى الصوت فلما رجع استقبل الناس الذين خرجوا نحو الصوت قلت بل هذا هو المتعين لقوله (وهو يقول لم تراعوا) بضم التاء والعين مجهول من الروع بمعنى الفزع والخوف أي لم تخافوا ولم تفزعوا وأتى بصيغة الجحد مبالغة في النفي وكأنه ما وقع الروع والفزع قط (لم تراعوا) كرره تأكيدا أو لكل من طالب قوم من عن يمينه و يساره وفي شرح السنة و يروى لن تراعوا والعرب تضع لم ولن موضع لا النهي فعلى هذا يكون خبرا في معنى النهي ذكره الطيبي والظاهر انه على الاول من غير تأويل يكون خبرا في معنى النهي وأما على هذا فيكون نهيا على الحقيقة قال التوربشتي هو في أوثق الروايات لن تراعوا أي لا خوف ولا فزع فاسكنوا يقال ريع فلان اذا فزع (وهو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (على فرس لابي طلحة عري) بضم فسكون أي ليس عليه سرج نقول ما عليه سرج بيان لتأكيدا واحترازا من نحو جل أو لجام (وفي عنقه) أي النبي صلى الله عليه وسلم (سيف) أي مقلد وفي نسخة بكسر السيف أي في جيد الفرس حبل من ليف السعف واقتصر عليه شارح وهو بعيد جدا في المعنى وان كان قريبا في المبنى (فقال لقد وجدته) أي الفرس (بحرا) أي جوادا واسع الجري وكان يسمى ذلك الفرس المندوب بمعنى المطلوب وكان بطيئا ضيق الجري فانقلب حاله ببركة ركوبه صلى الله عليه وسلم و يشبه الفرس اذا كان جوادا بالبحر لاستراحة راكبه به كراكب الماء اذا كانت الريح طيبة (متفق عليه) قال النووي فيه بيان ما أكرمه الله تعالى به من جليل الصفات وفيه معجزة انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيئا وفيه جواز سبق الانسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك وجواز العارية وجواز الغزو على فرس المستعار واستحباب تقلد السيف في العنق وتبشير الناس بعد الخوف اذا ذهب (وعن جابر رضي الله عنه قال ما سئل) أي ما طلب (رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا) أي لا أعطيه بل اما أعطى أو اعتذر ودعا أو وعد له فيما تمنى عملا بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا وقد روى البخاري في الادب المفرد عن أنس انه صلى الله عليه وسلم كان رحيما وكان لا يأتيه أحد الا وعده وأنجزه ان كان عنده وكان يقول صلى الله عليه وسلم انفق يا بلال وفي نسخة بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا كذا رواه البزار عن بلال وعن أبي هريرة والطبراني عن ابن مسعود وما أبلغ قول الفرزدق في زين العابدين

حمال أثقال أقوام اذا فدحوا * حلو الشمائل تحلو عنده نعم

ما قال لا قط الا في تشهده * لولا التشهد لم ينطق بذلك فم

(متفق عليه) وفي الجامع كان لا يسئل شيأ الا أعطاه أو سكت رواه الحاكم عن أنس (وعن أنس رضي الله عنه (ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين) أي قطعة غنم تملأ ما بينهما (فأعطاه اياه) أي مطلوبه على وجه تمامه (فأتى قومه) أي متعجبا من كرمه الدال على كمال توكله و زهده (فقال أي قوم) أي يا قوم (أسلموا) أي فان الاسلام يهدي الى مكارم الاخلاق (فوالله ان محمدا ليعطي عطاء) أي عظيما (ما يخاف الفقر) قال الطيبي يجوز ان يكون حالا من ضمير يعطي وان يكون صفة لعطاء أي عطاء ما يخاف الفقر معه فان قلت كيف دل هذا الوصف على وجوب الاسلام قلت مقام ادعاء النبوة مع اعطاء الجزيل يدل على وثوقه على من أرسله الى دعوة الخلق فان من جبلة الانسان خوف الفقر قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر (رواه مسلم وعن جبير بن مطعم بينما هو) أي جبير (يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مقفله) مصدر ميمي أو اسم زمان من قفل كنصر و رجع قفولا رجع أي عند رجوعه أو وقت رجوعه (من حنين) بالتصغير موضع بين مكة والطائف (علقت) بكسر

وهو يقول لم تراعوا لم تراعوا وهو على فرس لابي طلحة عري ما عليه سرج وفي عنقه سيف فقال لقد وجدته بحرا متفق عليه وعن جابر قال ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط فقال لا متفق عليه وعن أنس ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فأعطاه اياه فأتى قومه فقال أي قوم أسلموا فوالله ان محمدا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر رواه مسلم وعن جبير ابن مطعم بينما هو يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مقفله من حنين فعلقت

اللام أي نشبت (الاعراب) أو طفقت (يسألونه) أي يطلبون منه من العطايا والمطايا (وهو يعطيهم) أو يعدهم ويمنيهم (حتى اضطروه) أي ألجؤه (الى سمرة) بفتح فضم أي شجرة طلح (فخطفت) بكسر الطاء أي أخذت السمرة بسرعة (رداءه) حيث تعلقت به وقال شارح أي سلبت انتهى ولا يبعد أن يكون الضمير راجعا الى الاعراب كما يدل عليه قوله (فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي) وأغرب الطيبي حيث قال أي علق رداءه بها فاستعيرها الخطف (لو كان لي عدد هذه العضاه) بكسر العين المهملة وبالضاد المعجمة وبالهاء في الآخر أم غيلان وقيل كل شجر يعظم وله شوك واحده عضاهة وعضة بحذف الهاء الاصلية كما حذف من الشفة وعدد نصب على المصدر أي بعدد عددها أو على نزع الخافض أي بعددها أو كعددها والمراد به الكثرة (نعم) بفتحتين وفي القاموس النعم وقد تكسر عينه الابل والشاء أو خاص بالابل وجمعه انعام ذكره وبرد عليه قوله سبحانه ومن الانعام ثمانية أزواج حيث يراد بها أصناف الابل والبقر والضأن والمعز من الذكور والاناث (لقسمته بينكم) أي لزهدي في النعم وتركي للنعم وطلبي قرب المنعم (ثم لا تجدوني بخيلا) ثم هنا بمعنى الفاء أو التراخي في الزمان أي بعد ما جربتموني في العطاء وعرفتم طبعي في لو عدّ بالوفاء واعتمادي على رب الارض والسماء فلا تجدوني بخيلا (ولا كذوبا ولا جبانا) وقال المظهر أي اذا جربتموني في الوقائع لا تجدوني متصفا بالاوصاف الرذيلة وفيه دليل على جواز تعريف نفسه بالاوصاف الجيدة لمن لا يعرفه ليعتمد عليه وقال الطيبي ثم هنا للتراخي في الرتبة يعني اني في ذلك العطاء لست بمضطر اليه بل أعطيه مع أريحية نفس ووفور نشاط ولا بكذوب أدفعكم عن نفسي ثم أمنعكم عنه ولا بجبان أخاف أحدا فهو كالتتميم للكلام السابق (رواه البخاري وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغدوة) أي الفجر (جاء) وفي الجامع جاءه (خدم المدينة) جمع خادم من غلام أو جارية (بآنيتهم) جمع اناء (فيها الماء) أي فيطلبون البركة والشفاء والعافية والشفاء (فما يأتون) وفي الجامع فما يؤتى (باناء الا غمس يده فيها) أي تطييبا لخواطرهم وتحصيلا لمقاصدهم (فربما جاؤه بالغدوة) أي في الغدوة (الباردة فيغمس يده فيها) قال الطيبي فيه تكلف المشاق لتطييب قلوب الناس لاسيما مع الخدم والضعفاء وليتبركوا بادخال يده الكريمة في أوانيهم وبيان تواضعه صلى الله عليه وسلم مع الضعفاء (رواه مسلم) وكذا أحمد الا انه في الجامع عنهما بدون قوله فربما الى آخره وروى ابن عساكر عن أنس انه صلى الله عليه وسلم كان أرحم الناس بالصبيان والعيال وفي الجامع كان مما يقول للخادم ألك حاجة رواه أحمد عن رجل (وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (قال كانت أمة) أي جارية (من اماء أهل المدينة) أي فرضا وتقديرا (تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم) قيل المراد من الاخذ باليد لازمه وهو الرفق (فتنطلق به حيث شاءت) أي ولو خارج المدينة وهذا يدل على غاية تواضعه مع الخلق ونهاية تسليمه مع الحق (رواه البخاري وعنه) أي عن أنس (ان امرأة كانت في عقلها شئ) أي من الخفة أو الجذبة (فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة) أي خفية عن الناس (فقال يا أم فلان انظري) أي تفكري وابصري (أي السكك) بكسر ففتح جمع السكة وهي الزقاق (شئت) أي أردت احضاري فيه (حتى أقضي لك حاجتك) أي كي أحصل لك مقصودك ومرادك (فخلا) أي مضى (معها في بعض الطرق) أي وقف معها وسمع كلامها ورد جوابها (حتى فرغت من حاجتها) وفيه تنبيه على ان الخلوة مع المرأة في زقاق ليس من باب الخلوة معها في بيت على احتمال ان بعض الاصحاب كانوا وقفوا بعيدا عنهما مراعاة لحسن الادب (رواه مسلم وعنه) أي عن أنس (قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا) أي آتيا بالفحش من الفعل (ولا لعانا ولا سبابا) المقصود منهما نفي اللعن والسب وكل ما يكون من قبيل الفحش القولي لا نفي المبالغة فيهما وكأنه نظر الى ان المعتاد هو المبالغة فيهما فنفاهما على صيغة المبالغة والمقصود نفيهما مطلقا كما يدل عليه آخر كلامه قال الطيبي فان قلت بناء فعال للتكثير أو للمبالغة ونفيه

الاعراب يسألونه حتى اضطروه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعم لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا رواه البخاري وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يأتون باناء الا غمس يده فيها فربما جاؤه بالغداة الباردة فيغمس يده فيها رواه مسلم وعنه قال كانت أمة من اماء أهل المدينة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت رواه البخاري وعنه ان امرأة كانت في عقلها شئ فقالت يا رسول الله ان لي اليك حاجة فقال يا أم فلان انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها رواه مسلم وعنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا لعانا ولا سبابا

لا يستلزم نفي اللعن والسب مطلقا فان المفهوم ههنا غير معتبر لانه وارد في مدحه صلى الله عليه وسلم فان أريد التكثير فيعتبر الكثرة فيمن يستحقه من الكفار والمنافقين أي ليس بلاعن واحد واحد منهم وان أريد المبالغة كان المعنى ان اللعن بالغ في العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان اللاعن بمثله لعانا أبلغ اللعن نحو قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد فان الاظهر في معنى الآية والحديث ان يقال فعال للنسبة كتمار ولبان أي ليس الله بذي ظلم مطلقا ولا رسوله بصاحب لعن ولا سب لمن لم يكن مستحقا من الكفار أو الفجار لكونه نبي الرحمة ولذا استأنف الراوي بقوله (كان يقول عند المعتبة) بفتح التاء وقيل بكسرها أيضا بمعنى الملامة والعتاب على ما في القاموس واختاره ابن الملك وبمعنى الغضب كما في النهاية واختاره شارح والمعنى غاية ما يقوله عند المعاتبة أو المخاصمة هذه الكلمة معرضا عنه غير مخاطب له (ماله ترب جبينه) وهي أيضا ذات وجهين اذ يحتمل ان يكون دعاء على المقول له بمعنى رغم أنفه وان يكون دعاء له بمعنى سجد لله وجهه (رواه البخاري وعن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال اني لم أبعث لعانا) أي ولو على جماعة مخصوصة من الكافرين لقوله تعالى ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم (وانما بعثت رحمة) أي للناس عامة وللمؤمنين خاصة متخلقا بوصفي الرحمن الرحيم ولقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين قال ابن الملك أما للمؤمنين فظاهر وأما الكافرين فلان العذاب رفع عنهم في الدنيا بسببه كما قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أقول بل عذاب الاستئصال مرتفع عنهم ببركة وجوده الى يوم القيامة وقال الطيبي أي انما بعثت لاقرب الناس الى الله والى رحمته وما بعثت لابعدهم عنها فاللعن مناف لحالي فكيف ألعن (رواه مسلم) وكذا البخاري في الادب المفرد وروى الطبراني عن كريز بن سامة قوله اني لم أبعث لعانا وروى البخاري في تاريخه عن أبي هريرة بلفظ انما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا (وعن أبي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء) أي البكر (في خدرها) بكسر أوله أي في سترها قال الطيبي هو تتميم فان العذراء اذا كانت في خدرها أشد حياء مما اذا كانت خارجة منه (فاذا رأى شيأ يكرهه) أي من جهة الطبع أو من طريق الشرع (عرفناه في وجهه) أي من أثر التغير فازلناه فانه ما كان يعاين أحدا بخصوصه في أمر الكراهة دون الحرمة قال النووي معناه انه صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بالشيء الذي يكرهه حياء بل يتغير وجهه فنفهم كراهيته وفيه فضيلة الحياء وانه محثوث عليه ما لم ينته الى الضعف والخور (متفق عليه وعن عائشة قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا) بكسر الميم الثانية (قط ضاحكا) قال التوربشتي يريد ضاحكا كل الضحك يقال استجمع الفرس جريا قال الطيبي فعلى هذا ضاحكا وضع موضع ضحكا على انه منصوب على التمييز قال في المغرب استجمع السيل اجتمع من كل موضع واستجمعت للمرء أموره وهو لازم وقولهم استجمع الفرس جريا نصب على التمييز وأما قول الفقهاء مستجمعا شرائط الجمعة فليس بثبت انتهى والمعنى ما رأيته ضاحكا كل الضحك بجميع الفم (حتى أرى منه لهواته) بفتحتين جمع لهاة وهي لحمة مشرفة على قصى الفم من سقفه (وانما كان) أي غالبا (يتبسم) وربما يضحك لكن لا على سبيل المبالغة (رواه البخاري) وكذا مسلم وأبو داود (وعنها) أي عن عائشة (قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد) بضم الراء أي لم يكن يتابع (الحديث) أي الكلام (كسردكم) أي المتعارف بينكم من كمال اتصال ألفاظكم بل كان كلامه فصلا بينا واضحا لكونه مأمورا بالبلاغ المبين كما بينته بقولها (كان يحدث حديثا لو عده العاد) أي لو أراد عده مريد العد (لاحصاه) أي لعده واستقصاه وفي وضع أحصاه موضع عده مبالغة لا تخفى فان أصل الاحصاء هو العد بالحصى ولا شك في حصول المهلة عند عده من رفعه ووضعه قال الطيبي يقال فلان سرد الحديث اذا تابع الحديث بالحديث استعجالا وسرد الصوم توالية يعني لم يكن حديث النبي صلى الله عليه وسلم متتابعا بحيث يأتي بعضه اثر بعض فيلتبس على المستمع بل كان يفصل كلامه لو اراد المستمع عده أمكنه فيتكلم بكلام واضح مفهوم

كان يقول عند المعتبة ماله ترب جبينه رواه البخاري وعن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال اني لم أبعث لعانا وانما بعثت رحمة رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها فاذا رأى شيأ يكرهه عرفناه في وجهه متفق عليه وعن عائشة قالت ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لهواته وانما كان يتبسم رواه البخاري وعنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه

في غاية الوضوح والبيان (متفق عليه) ورواه الترمذي في الشمائل ولفظ الجامع كان يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه رواه الشيخان وأبو داود وفي الجامع أيضا كان يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه رواه الترمذي والحاكم عن أنس (وعن الاسود) قال المؤلف هو ابن هلال المحاربي روى عن عمر ومعاذ وابن مسعود وعنه جماعة (قال سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته) ما استفهامية (قالت كان) أي من عادته (يكون) أي يستمر مشتغلا (في مهنة أهله) بفتح الميم وتكسر وبسكون الهاء أي مصالح عياله والمهنة الخدمة والابتذال ففيه مبالغة القيامه بقيام الرجال ولهذا قال الراوي (تعني خدمة أهله) أي أهل بيته ممن يكون أهلا لخدمته قال صاحب النهاية المهنة الخدمة والرواية بفتح الميم وقد تكسر قال الزمخشري وهو عند الاثبات خطأ قال الاصمعي المهنة بفتح الميم ولا يقال مهنة بالكسر وكان القياس لو قيل مثل جلسة وخدمة الا انه جاء على فعلة واحدة وفي القاموس المهنة بالكسر والفتح والتحريك وككلمة الحذق بالخدمة والعمل مهنه كمنعه ونصره مهنا ومهنة ويكسر خدمه وقال العسقلاني المهنة بفتح الميم وكسرها وأنكر الاصمعي الكسر وفسرها بخدمة أهله وثبت ان التفسير من قول الراوي عن شعبة ورواه جماعة وبدونه لكن أخرج ابن سعد في رواية بدونه وفي رواية في آخره تعني بالمهنة خدمة أهله (فاذا حضرت الصلاة خرج الى الصلاة) أي وترك جميع عمله وكأنه لم يعرف أحدا من أهله (رواه البخاري) وكذا الترمذي (وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير) أي ما جعل مخيرا (رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ) أي اختار كما في رواية الترمذي (أيسرهما ما لم يكن) أي الامر الايسر (اثما) أي ذا اثم وفي رواية الترمذي ما لم يكن مأثما أي اثما وموضع اثم بناء على انه مصدر ميمي أو اسم مكان والى هذا انتهى رواية الترمذي (فان كان اثما كان أبعد الناس منه) أي وكان حينئذ يأخذ أرشدهما ولو أعسرهما وأشدهما قال العسقلاني أبهم فاعل خير ليكون أعم من ان يكون من قبل المخلوقين أو من قبل الله تعالى لكن التخيير بين ما فيه اثم وبين ما لا اثم فيه من قبل الله مشكل لان التخيير انما يكون بين جائزين الا اذا حملناه على ما يفضي الى الاثم فذلك ممكن بان يخير بين ان يفتح عليه من كنوز الارض ما يخشى من الاشتغال به ان لا يتفرغ للعبادة وبين ان لا يؤتيه من الدنيا الا الكفاف وان كان السعة أسهل فلا اثم على هذا أمر نسبي لا ما يراد به الخطيئة لثبوت العصمة (وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي ما عاقب أحدا (لنفسه) أي لاجل حظها (في شيء) أي يتعلق بنفسه (قط) أي ابدا (الا أن ينتهك حرمة الله) بصيغة المجهول أي ترتكب (فينتقم) بالرفع وفي نسخة بالنصب أي فيعاقب (حينئذ لله) أي لغرض آخر (بها) أي بسبب تلك الحرمة ثم انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل يقال فلان انتهك محارم الله أي فعل ما حرم الله فعله عليه قال الطيبي استثناء منقطع أي ما عاقب أحد الخاصة نفسه بجناية جنى عليه بل بحق الله تعالى اذا فعل أحد شيئا من المحرمات امتثالا لقوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله قال العسقلاني المعنى ما انتقم لحاجة نفسه فلا يرد أمره صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة بن أبي معيط وعبد الله بن خطل وغيرهما ممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا مع ذلك ينتهكون حرمات الله وقيل ذلك في غير السب الذي يفضي الى الكفر وقيل يختص ذلك بالمال وأما العرض فقد اقتص ممن نال منه (متفق عليه) ورواه أبو داود (وعنها) أي عن عائشة رضي الله عنها (قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا) أي آدميا الا انه صلى الله عليه وسلم ربما ضرب مركوبه (قط بيده ولا امرأة ولا خادما) خصا بالذكر اهتماما بشأنهما ولكثرة وقوع ضرب هذين والاحتياج اليه وضربهما وان جاز بشرطه فالاولى تركه قالوا بخلاف الولد فان الاولى تأديبه ووجه بان ضربه لمصلحة تعود اليه فلم يندب العفو بخلاف ضرب هذين فانه لحظ النفس غالبا فندب العفو عنهما لمخالفة الهوى وكظم الغيظ (الا ان يجاهد في سبيل الله) فانه صلى الله عليه وسلم قتل أبي بن خلف بأحد ثم ليس المراد به الغزو مع الكفار فقط بل يدخل فيه

متفق عليه وعن الاسود قال سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته قالت كان يكون في مهنة أهله تعني خدمة أهله فاذا حضرت الصلاة خرج الى الصلاة رواه البخاري وعن عائشة قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط الا ان ينتهك حرمة الله فينتقم لله بها متفق عليه وعنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله

وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله رواه مسلم

(الفصل الثاني)

عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثمان سنين خدمته عشر سنين فما لامني على شيء قط أتى فيه على يدي فان لامني لائم من أهله قال دعوه فانه لو قضي شيء كان هذا لفظ المصابيح وروى البيهقي في شعب الايمان مع تغيير يسير وعن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح رواه الترمذي وعن أنس يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعود المريض ويتبع الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه ليف رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته وقالت كان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه

الحدود والتعازير وغير ذلك (وما نيل) بكسر النون مجهول نال يقال نال منه نيلا اذا أصاب وفي الحديث ان رجلا كان ينال من الصحابة أي يقع فيهم ويصيب منهم فالمعنى ما أصيب منه (شيء قط فينتقم من صاحبه) أي من صاحب ذلك الشيء (الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله رواه مسلم) وروى الترمذي الفصل الاول بلفظ ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده شيئا قط الا ان يجاهد في سبيل الله ولا ضرب خادما ولا امرأة والفصل الثاني بلفظ ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك من محارم الله تعالى شيء فاذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان من أشدهم في ذلك غضبا

(الفصل الثاني) (عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثمان سنين) بحذف الياء من ثماني مضافا والجملة حال دالة على أول الخدمة ولذا أطلقه ثم أعاده مقيدا بقوله (خدمته عشر سنين فما لامني على شيء قط أتى فيه) بصيغة المجهول أي أهلك وأتلف من قولهم أتى عليهم الدهر أي أهلكهم وأفناهم وضمير فيه عائد الى شيء والجار والمجرور أقيم مقام الفاعل أي ما لامني على شيء أتلف (على يدي) بصيغة التثنية وفي نسخة بالافراد قال الطيبي أتى صفة شيء وضمن فيه معنى عيب أو طعن وعلى يدي حال (فان لامني لائم من أهله قال دعوه) أي اتركوه (فانه) أي الشان (لو قضي شيء لكان) أي لو قدر أمر لوقع (هذا لفظ المصابيح) وكذا رواه ابن حبان في صحيحه (وروى البيهقي في شعب الايمان مع تغيير) أي (يسير) بسائغ في مثله (وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا) أي ذا فحش في أقواله وأفعاله (ولا متفحشا) أي متكلفا فيه ومتعمدا كذا في النهاية قال القاضي نفت عنه تولي الفحش والتفوه به طبعا وتكلفا (ولا سخابا) أي صياحا (في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة) أي بل بالحسنة بقوله (ولكن يعفو) أي في الباطن (ويصفح) أي يعرض في الظاهر عن صاحب السيئة لقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين (رواه الترمذي وعن أنس) رضي الله عنه (يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعود المريض ويتبع) بفتح الموحدة وفي نسخة بتشديد التاء وكسر الباء أي يعقب ويشيع (الجنازة) بفتح الجيم وكسرها (ويجيب دعوة المملوك) أي المأذون أو المعتوق أو الى بيت مالكه (ويركب الحمار) وهذا كله يدل على كمال التواضع للحق وحسن الخلق في معاشرة الخلق (ولقد رأيته يوم خيبر على حمار خطامه) بكسر أوله أي زمامه (ليف) قال ابن الملك فيه دليل على ان ركوب الحمار سنة فمن استنكف من ركوبه كبعض المتكبرين وجماعة من جهلة الهند فهو أخس من الحمار (رواه ابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان) وفي الجامع كان يجلس على الارض ويأكل على الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس وروى الحاكم في مستدركه عن أنس كان يردف خلفه ويضع طعامه على الارض ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار وفي رواية عريانا ليس عليه شيء وروى ابن عساكر عن أبي أيوب كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني (وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف) بكسر الصاد أي يخرز ويرقع وفي شرح السنة أي يطبق طاقة على طاقة وأصل الخصف الضم والجمع ومنه قوله تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة أي يطبقان ورقة ورقة على بدنهما (ويخيط) بكسر الخاء (ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته) تعميم بعد تخصيص وفي الجامع برواية أحمد عن عائشة كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم (وقالت كان بشرا من البشر يفلي ثوبه) بكسر اللام أي ينظر في الثوب هل فيه شيء من القمل وهو لا ينافي ما روي من ان القمل لم يكن يؤذيه وقال شارح أي يلتقط القمل (ويحلب شاته) بضم اللام (ويخدم نفسه) بضم الدال وكسرها وهو تعميم وتتميم قال الطيبي قولها كان بشرا تمهيد لما بعده لانها لما رأت من اعتقاد الكفار أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يليق بمنصبه

انه

أن يفعل ما يفعل غيره من عامة الناس وجعلوه كالملوك فإنهم يترفعون عن الأفعال العادية الدنية تكبرا كما حكى الله تعالى عنهم في قوله مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فقالت انه صلى الله عليه وسلم كان نملة من خلق الله تعالى وواحدا من أولاد آدم شرفه الله بالنبوة وكرمه بالرسالة وكان يعيش مع الخلق بالخلق ومع الحق بالصدق فيفعل مثل ما فعلوا ويعينهم في أفعالهم تواضعا وارشادا لهم الى التواضع ورفع الترفع وتبليغ الرسالة من الحق الى الخلق كما أمر قال تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي (رواه الترمذي) وكذا ابن حبان وصححه وفي الجامع كان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم رواه أبو يعلى في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن سهل بن حنيف (وعن خارجة بن زيد بن ثابت) أي الانصاري المدني قال المؤلف تابعي جليل القدر أدرك زمن عثمان وسمع أباه وغيره من الصحابة وهو أحد فقهاء المدينة السبعة (قال دخل نفر) أي جماعة من التابعين وقيل النفر عدة رجال من ثلاثة الى عشرة (على زيد بن ثابت) وهو أبو خارجة صحابي جليل أفرض الصحابة وأجل كتبة الوحي ومن أعظم القراء قرأ عليه ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين (فقالوا له حدثنا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي نسخة عن رسول الله وكأنهم أرادوا ما يدل على حسن الخلق وجميل المعاشرة مع الخلق (قال كنت جاره) فيه ايماء الى قربه اليه حسا ومعنى واشارة الى أن له خبرة به أتم من غيره (فكان اذا نزل عليه الوحي بعث الي) أي أرسل الي أحدا يطلبني (فجئته فكتبته) أي الوحي (له) أي لاجل أمره (فكان) أي من عادته في مجالسته ومراعاة صاحبته (اذا ذكرنا الدنيا) أي ذما أو مدحا لكونها مزرعة الآخرة (ذكرها معنا) أي على وجه الاعتبار وفيما يكون منها معينا على زاد طريق دار القرار (واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا) زيادة على الخير ومعاونة على التقوى (واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا) ويشير الى فوائده وحكمه ولطائفه وآداب أكله والحاصل انه كان يلاطفهم في الكلام لئلا يحصل لهم التبرم والسآمة ويسوقهم فيما يشرعون فيه الى ما شرع الله من تبليغ المواعظ والاحكام ولا ينافي هذا ما ورد من انه صلى الله عليه وسلم كان يخزن لسانه الا فيما يعنيه وان مجلسه مجلس علم لان ذكر الدنيا والطعام قد يقترن به فوائد علمية أو حكمية أو أدبية وبتقدير خلوه عنها ففيه جواز تحدث الكبير مع أصحابه في المباحات ومثل هذا البيان واجب عليه صلى الله عليه وسلم والله أعلم (فكل هذا) بالرفع وينصب أي جميع ما ذكر (أحدثكم) فقيل الرواية بالرفع وفي خبره الرابطة محذوف ويجوز النصب بتقدير أحدثكم اياه (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) والمقصود من هذه الجملة تأكيد صحة الحديث واظهار الاهتمام به والله أعلم (رواه الترمذي وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع) بكسر الزاي أي لم يخلص ولم يفك (يده من يده حتى يكون) أي الرجل (هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير) بصيغة المجهول أي لم يبصر (النبي صلى الله عليه وسلم مقدما) بكسر الدال المشددة (ركبتيه بين يدي جليس) أي مجالس (له) قيل أي ما كان يجلس في مجلس تكون ركبتاه متقدمتين على ركبتي صاحبه كما يفعل الجبابرة في مجالسهم وقيل ما كان يرفع ركبتيه عند من يجالسه بل كان يخفضهما تعظيما لجليسه وقالوا اراد بالركبتين الرجلين وتقديمهما مدهما أو بسطهما كما يقال قدم رجلا وأخر أخرى ومعناه كان صلى الله عليه وسلم لا يمد رجله عند جليسه تعظيما له قال الطيبي فيه وفي قوله كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه تعليم لامته في اكرام صاحبه وتعظيمه فلا يبدأ بالمفارقة عنه ولا يهينه بمد الرجل اليه (رواه الترمذي وعنه) أي عن أنس (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر) أي لا يبقي (شيأ لغد) توكلا على الله واعتمادا على خزائنه وهذا بالنسبة الى نفسه لانه خاصة ولا يشكل أهل وعياله فربما كان يدخر لهم قوت سنتهم لضعف حالهم وعدم قوة حتمالهم رفقا بهم (رواه الترمذي وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى

رواه الترمذي وعن خارجة ابن زيد بن ثابت قال دخل نفر على زيد بن ثابت فقالوا له حدثنا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت جاره فكان اذا نزل عليه الوحي بعث الي فكتبته له فكان اذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا فكل هذا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له رواه الترمذي وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيأ لغد رواه الترمذي وعن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم طويل الصمت) أي كثير السكوت والمعنى انه لا يتكلم الا لحاجة وقد قال صلى الله عليه وسلم على ما رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت وقد قال الصديق الاكبر ليتني كنت أخرس الا عن ذكر الله (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي باسناده ورواه أحمد في مسنده عن جابر بن سمرة أيضا ولفظه كان طويل الصمت قليل الضحك فكان حق صاحب المشكاة أن يسند اليه فان حديث مسند أحمد مما يعتمد عليه (وعن جابر) أي ابن عبد الله ولذا لم يقل وعنه لانه غيره وهو المراد عند الاطلاق به (قال كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل) أي تبيين في قراءته لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا (وترسيل) أي تمهل في حديثه كي يقبلوا عليه أو مراعاة لقوله تعالى وما علينا الا البلاغ المبين وقال ابن الملك هما بمعنى وهو التبيين والايضاح في الحروف انتهى ولا يخفى أن التأسيس بالتقييد أولى من الحمل على التأكيد وان كان مآلهما واحدا وأصل معنيهما متحد فان المراد منهما انه كان لا يعجل في ارسال الحروف بل يلبث فيها ويبينها تبيينا لذاته من مخارجها وصفاتها وتبيينا لحركاتها وسكناتها وقت الاستماع لكلام نفي العجلة واثبات التؤدة وفي النهاية الترتيل في القراءة التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل وهو المشبه بنور الاقحوان يقال رتل القراءة وترتل فيها والترسيل الترتيل يقال ترسل الرجل في كلامه ومشيه اذا لم يعجل وهو والترتيل سواء (رواه أبو داود وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد) أي في كلامه (سردكم هذا) أي كسردكم من العجلة والمتابعة (ولكنه كان يتكلم بكلام بينه) أي بين أجزائه (فصل) أي فرق أو فاصل يحفظه من جلس اليه (رواه الترمذي وعن عبد الله بن الحارث بن جزء) بفتح جيم وسكون زاي فهمز كذا ذكره المؤلف في أسمائه وقيل هو بكسر زاي وياء وقيل جز بشدة زاي كذا في المغني وهو أبو الحارث السهمي شهد بدرا وسكن مصر ومات بها (قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وعن عبد الله بن سلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس يتحدث يكثر) من الاكثار أي يتحقق منه كثيرا (أن يرفع طرفه) بسكون الراء أي نظره (الى السماء) أي كان ينظر الى السماء حال التكلم ترقبا لجبريل وانتظارا لوحي المولى وشوقا الى الرفيق الاعلى (رواه أبو داود)

(الفصل الثالث) (عن عمرو بن سعيد عن أنس) كذا في النسخ المعتبرة والاصول المشتهرة ويؤيده ما في الكاشف وفي نسخة عن أنس عن عمرو بن سعيد والظاهر انه سهو قلم وزلة قدم وقلب كلام لما في أسماء الرجال للمؤلف عمرو بن سعيد مولى ثقيف بصري روى عن أنس وأبي العالية وغيرهما وعنه ابن عون وجرير بن حازم موحدة (قال ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال النووي هذا هو المشهور ويروى بالعباد قلت ويلائم الاول استئنافه البياني بقوله (كان ابراهيم ابنه مسترضعا) بفتح الضاد وقيل بكسرها (في عوالي المدينة) أي القرى التي عند المدينة (فكان) أي النبي صلى الله عليه وسلم (ينطلق ونحن معه فيدخل البيت) أي الذي فيه ابراهيم (وانه ليدخن) بضم الياء وتشديد الدال وفتح الخاء وفي نسخة بسكون الدال وفي نسخة بفتح الياء وتشديد الدال وكسر الخاء ثم بين سببه بقوله (وكان ظئره قينا) وهو أبو سيف القين واسمه البراء بن أوس الانصاري وهو معروف بكنيته قال النووي الظئر بكسر الظاء مهموزة المرضعة ولد غيرها وزوجها ظئر لذلك الرضيع والظئر يقع على الذكر والانثى والقين بالفتح الحداد ثم الجملتان حاليتان معترضتان بين المعطوف عليه وهو قوله (فيدخل البيت) والمعطوف وهو قوله (فيأخذه) أي ابنه (فيقبله ثم يرجع قال عمرو) أي ناقلا عن أنس خلافا لمن توهم انه الراوي فانه من التابعين على أنه يمكن أن يكون مقوله الآتي موقوفا عليه ومقطوعا عما قبله (فلما توفي ابراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم ابني) خط فذلته التقرير لان أمه جارية وهي مارية القبطية أهداها المقوقس القبطي صاحب مصر والاسكندرية وولدت ابراهيم

الله عليه وسلم طويل الصمت رواه في شرح السنة وعن جابر قال كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل وترسيل رواه أبو داود وعن عائشة قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بينه فصل يحفظه من جلس اليه رواه الترمذي وعن عبد الله بن الحرث بن جزء قال ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وعن عبد الله بن سلام قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع طرفه الى السماء رواه أبو داود

(الفصل الثالث) عن عمرو بن سعيد عن أنس قال ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ابراهيم ابنه مسترضعا في عوالي المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وانه ليدخن وكان ظئره قينا فيأخذه فيقبله ثم يرجع قال عمرو فلما توفي ابراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم ابني

وانه مات في الثدي وان له ظئرين تكملان رضاعه في الجنة رواه مسلم وعن علي ان يهوديا كان يقال له فلان حبر كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم دنانير فتقاضى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا يهودي ما عندي ما أعطيك قال فاني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أجلس معك فجلس معه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهددونه ويتوعدونه ففطن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي يصنعون به فقالوا يارسول الله يهودي يحبسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعني ربي ان أظلم معاهدا وغيره

في دي الجنة ثمن (وانه مات في الثدي) وهو كناية عن الرضاع أو المراد به اللبن وزوجته التي أرضعت ابراهيم أم بردة كذا ذكره المؤلف بذكر المحل وارادة الحال وقال الطيبي أي في سن رضاع الثدي أو في حال تغذيه بلبن الثدي (وان له ظئرين) أي لمرضعتين بدل واحدة في الدنيا (تكملان) من باب الافعال وفي نسخة من باب التفعيل أي تتمان وتتممان (رضاعه) بفتح الراء وتكسر أي مدة رضاعه وهي الحولان فانه توفي وله ستة عشر شهرا أو سبعة عشر وقيل له سبعون يوما فترضعانه بقية السنتين (في الجنة) قال صاحب التحرير وهذا الاتمام لارضاع ابراهيم يكون عقيب موته فيدخل الجنة متصلا بموته فيتم فيها رضاعه كرامة له ولابيه صلى الله عليه وسلم (رواه مسلم) وأما حديث لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيا فأخرجه الماوردي عن أنس وابن عساكر عن جابر وابن عباس وعن ابن أبي أوفى ورواه ابن سعد عن مكحول مرسلا لو عاش ابراهيم ما رق له خال وروى ابن سعد عن الزهري مرسلا لو عاش ابراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي كذا ذكره الشيخ جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير وقال ابن الربيع في كتابه تمييز الطيب من الخبيث أخرج ابن ماجه وغيره من حديث ابن عباس قال لما مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان له مرضعا في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا ولو عاش لعتقت أخواله من القبط وما استرق قبطي وفي سنده أبو شيبة ابراهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف والله أعلم انتهى وقال النووي في تهذيبه وأما ما روي عن بعض المتقدمين حديث لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام بالمغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم وقال ابن عبد البر في تمهيده لا أدري ما هذا فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد الانبياء الا نبيا لكان كل أحد نبيا لانه من ولد نوح انتهى وهو تعليل عليل اذ ليس في الكلام ما يدل على ان ولد النبي نبي بطريق الكلية ولا حصر في تخصيص التقدير والفرضية مع انه لا يستلزم وقوع المقدم في القضية الشرطية ولا ينافي كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فيقرب من قوله صلى الله عليه وسلم على ما رواه أحمد والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر مرفوعا لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب والله سبحانه أعلم بما كان وما يكون وبما لا يكون وبانه لو كان كيف يكون هذا وقد قال شيخ مشايخنا العلامة الرباني الحافظ ابن حجر العسقلاني في الاصابة وهذا عجيب من النووي مع وروده عن ثلاثة من الصحابة ولا يظن بالصحابي أنه يهجم على مثل هذا بظنه قلت مع انهم لم يقولوه موقوفا بل أسندوه مرفوعا كما بينه خاتمة الحفاظ السيوطي بأسانيده في رسالة على حدة مع ان من القواعد المقررة في الاصول ان موقوف الصحابي اذا لم يتصور أن يكون من رأي فهو في حكم المرفوع فانكار النووي كابن عبد البر لذلك اما لعدم اطلاعهما أو لعدم ظهور التأويل عندهما والله أعلم (وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا كان يقال له فلان) كناية عن اسمه (حبر) أي عالم من علماء اليهود (كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم دنانير) أي معدودة معلومة (فتقاضى النبي صلى الله عليه وسلم) أي فطالبه اياها (فقال له يا يهودي ما عندي ما أعطيك) ما الاولى نافية والثانية موصوفة أي شيأ أعطيك اياه عوضا عن الدنانير (قال فاني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني) أي كي تعطيني أو الا ان تعطيني (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا) بالتنوين (أجلس معك) بالرفع وفي نسخة بالنصب (فجلس معه فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الاخيرة والغدوة) أي الفجر وهو يحتمل كونهما في المسجد أو في أحد بيوت أهله والاول أظهر لقوله (وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهددونه) أي بالضرب مثلا (ويتوعدونه) أي بالاخراج أو القتل (ففطن) بكسر الطاء أي فعلم (رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الذي يصنعون به) أي من التهديد والوعيد الشديد وما موصوفة بالموصولة وكأنه أنكر عليهم أو بالغضب نظر اليهم أو لما فطن صنيعهم أرادوا الاعتذار (فقالوا يارسول الله يهودي يحبسك) قال الطيبي همزة الانكار مقدرة والتنكير فيه للتحقير (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعني ربي ان أظلم معاهدا) بكسر الهاء وهو الذمي والمستأمن (وغيره) تعميم بعد تخصيص

و وجه تقديم المعاهد لما يقتضيه المقام أولان مخاصمته أقوى يوم القيامة لانه لا يمكن ارضاؤه باخذ حسنة مسلم له أو وضع سيئة له على مسلم كما في مظالم الدواب واهل الاصحاب رضى الله عنهم لم يكونوا قادرين على قضاء دينه أو ما كان يرضى بادائهم مراعاة لامر دينه وهو أظهر ولذا لم يكن يقرض الا من غيرهم لحكمة ولعلها تبرئة من نوع طمع أو صنف نفع يؤدى الى نقصان أجر وقد قال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا وتطابقت سنة الرسل على قولهم وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين وليكون حجة على اليهود لكونه صلى الله عليه وسلم منعوتا في كتبهم بانه يختار الفقر على الغنى وتبكيتا عليهم في قوله عند نزول قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا على ما حكى الله عنهم في قوله سبحانه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ومن جملة الحكم ما ظهر في خصوص هذه القضية (فلما ترحل النهار) أى ارتفع انطفاء وتعين الظهور وتبدل الظلمة بالنور وتغير الشدة بالسرور (قال اليهودى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله وشطر مالى) أى نصفه (فى سبيل الله) أى فى مرضاته شكرا النعمة الاسلام وطلبا لمزيد الانعام (اما) بالتخفيف للتنبيه (والله ما فعلت بك الذى فعلت بك) أى من غلظ القول وخشونة الفعل (الا لانظر الى نعتك) أى الى موافقة وصفك (فى التوراة محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجرته) بفتح الجيم أى موضع هجرته (بطابة) أى المدينة (وملكه) أى معظمه (بالشام) أى ونواحيه (ليس بفظ) أى سيئ اللسان (ولا غليظ) أى سافى الجنان (ولا صخاب) أى صياح (فى الاسواق) أى على عادة أهل الزمان (ولا متزى) أى متصف (بالفحش) أى فى الفعل لقوله (ولا قول الخنا) بفتح أوله مقصورا أى الفحش والخشونة (أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله وهذا مالى) أى كله فكأنه سماه أو أشار الى مكانه (فاحكم فيه) أى فى جميعه أو شطره (بما أراك الله) أى أعلمك بأنه محله اللائق به (وكان اليهودى كثير المال) أى ومع هذا حسن له الحال والمنال فى المآل (رواه البيهقى فى دلائل النبوة وعن عبد الله بن أبى أوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر) أى ذكر الله وما يتعلق به لما فى مسند الفردوس عن عائشة من أحب شيأ أكثر من ذكره (ويقل اللغو) أى غير الذكر المذكور من ذكر الدنيا وما يتعلق بها فانه ولو كان ما يخلو عن مصلحة وحكمة لكنه بالاضافة الى الذكر الحقيقى لغو ولذا قال الغزالى ضيعت قطعة من العمر العزيز فى تاليف البسيط والوسيط والوجيز فاطلق عليه اللغو نظرا الى الصورة والمبنى مع قطع النظر عن المعنى ومنه قولهم حسنات الابرار سيآت المقربين والا فقد قال تعالى فى حق كمل المؤمنين والذين هم عن اللغو معرضون وقال عز وجل واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وأما ما قيل من أن المعنى لا يلغو أصلا فان القلة قد تستعمل فى النفى مطلقا نحو قليلا ما تؤمنون فيأباه حسن المقابلة بقوله ويكثر وأما قول بعضهم ويجوز أن يراد باللغو الدعابة وان ذلك كان منه قليلا فمردود اذ عد مزاحه صلى الله عليه وسلم من اللغو هو اللغو فانه روى الترمذى عن أبى هريرة قال قالوا يا رسول الله انك تداعبنا قال انى لا أقول الا حقا فلله در مزاح هو الحق فكيف يعده الذى هو اصدق المطلق وقد صرح العلماء بان المزاح بشرطه من جملة المستحبات فكيف يعد من اللغو بآن اللهم الا ان يقال ما قدمناه من الامر النسبى واللغوى الاضافى (ويطيل الصلاة) أى خصوصا فى الجمعة لقوله (ويقصر الخطبة) من التقصير وفى نسخة من القصر ولعل وجهه ان الصلاة معراج المؤمن ومحل مناجاة المهيمن فيناسبها الاطالة بلا ملالة والخطبة محل التوجه الى الخلق ودعائهم الى الحق وفيها بادية مظنة الرياء والسمعة لطلاقة اللسان فى الفصاحة والبلاغة ولذا ورد من فقه الرجل طول صلاته وقصر خطبته (ولا يأنف) بفتح النون من الانفة وزاد فى الجامع (ولا يستنكف) أى لا يستكبر (أن يمشى مع الارملة) فى النهاية الارامل المساكين من رجال ونساء وهو بالنساء أخص وأكثر والواحد أرمل وأرملة وفى القاموس امرأة أرملة محتاجة أو مسكينة والارمل العزب وهى بهاء اذ لا يقال للعزبة الموسرة أرملة انتهى ولا يخفى أن المعنى الاخير هو المراد هنا بقوله والمسكين اللهم الا أن يقال عطف تفسيرى كما يدل عليه قوله (فيقضى له الحاجة) حيث أتى بصيغة الافراد أو المراد لكل منهما أو لواحد

فلما ترحل النهار قال اليهودى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله وشطر مالى فى سبيل الله أما والله ما فعلت بك الذى فعلت بك الا لانظر الى نعتك فى التوراة محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطابة وملكه بالشام ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا متزى بالفحش ولا قول الخنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وهذا مالى فاحكم فيه بما أراك الله وكان اليهودى كثير المال رواه البيهقى فى دلائل النبوة وعن عبد الله بن أبى أوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يأنف أن يمشى مع الارملة والمسكين فيقضى له الحاجة

ذكر (رواه النسائي والدارمي) وفي الجامع بزيادة والعبد بعد قوله والمسكين وقال رواه النسائي والحاكم عن ابن أبي أوفى والحاكم عن أبي سعيد (وعن علي رضي الله عنه أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا) أي معشر قريش (لا نكذبك) بتشديد الذال ويجوز تخفيفها أي لا ننسبك الى الكذب فانك عندنا مشهور بالصدق (ولكن نكذب بما جئت به) أي نكذبك بسبب ما جئت به من القرآن أو التوحيد والمعنى ننكره ومنه قوله تعالى وكذب به قومك وهو الحق ففي القاموس كذب بالامر تكذيبا أنكره وفلانا جعله كاذبا قلت فاستعمل المعنيان في الحديث (فأنزل الله تعالى فيهم) أي في أبي جهل وأضرابه (فانهم لا يكذبونك) أوله قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك والجمهور على التشديد وقرأ ابن عامر بالتخفيف (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) يقال جحده حقه وبحقه كمنعه أنكره مع علمه كذا في القاموس قال الطيبي روي أن الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس عندنا غيرنا فقال له والله ان محمد الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فقوله ولكن نكذب بما جئت به وضع موضع ولكن نحسدك وضعا للمسبب موضع السبب (رواه الترمذي وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة لو شئت) أي لو أردت مال الدنيا ومنالها (لسارت معي جبال الذهب جاءني) استئناف بيان متضمن للتعليل أي نزل (الي ملك) أي عظيم طويل كما بين بقوله (وان حجزته) بضم الحاء وسكون الجيم فزاي أي معقد ازاره (لتساوي الكعبة) أي تعادل طولها ولعل وجه ظهوره بهذه العظمة تعظيما لهذا الامر وتهييبا (فقال ان ربك يقرأ عليك السلام) في النهاية يقال أقرئ فلانا السلام واقرأ عليه السلام كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده وفي القاموس قرأ عليه السلام أبلغه كأقرأه أو لا يقال اقرأه الا اذا كان السلام مكتوبا (ويقول ان شئت نبيا عبدا) أي ان أردت ان تكون نبيا كعبد أي جامعا بين وصف النبوة والعبودية فكن أو اختر أو ملك هذا (وان شئت نبيا ملكا) أي فكذلك وحاصله ان الله خيرك فاختر ما شئت وفيه ايماء الى أن الملوكية وكمال العبودية لا يجتمعان قال الطيبي قوله نبيا عبدا خبر لكون محذوف بدليل الرواية الاخرى ان الله يخيرك بين ان تكون عبدا نبيا وجزاء الشرط محذوف أي ان شئت أن تكون نبيا عبدا فكن اياه (فنظرت الى جبريل عليه السلام) أي نظر مشاورة واختيار في موضع اختيار لقوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولان بعض الانبياء جمع لهم بينهما وربما يظن انه هو مرتبة الكمال كما ورد نعم المال الصالح للرجل الصالح ولكونه وسيلة الى فتح البلاد وتوسيع العباد وأمثال ذلك (فاشار الى ان ضع نفسك) أن مصدرية وضع أمر من وضع أو تفسيرية لما في أشار من معنى القول والحاصل انه أومأ الى بان حط نفسك عن طمع مرتبة الملوكية واختر ان تكون في مقام العبودية فانه في المآل أعلى وفي المنازل أغلى وفي ذوق الطالبين أحلى فان الملك لله الواحد القهار وقد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أي لتظهر عبوديتهم لي وألوهيتي وربوبيتي لهم كما روي في الحديث القدسي كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لاعرف وفي تقديم الشرطية الاولى اشعار بالمرتبة الاولى وفيه دليل صريح على ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر خلافا لمن خالفه كابن عطاء ودعا عليه الجنيد بالبلاء المؤدي الى الغطاء (وفي رواية ابن عباس فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل كالمستشير له فأشار جبريل بيده) أي الى الارض (ان تواضع) أي اختر الفقر والعبودية المورثة للتواضع لله المنتجة لرفعة القدر عند الله لا الملك والغنى الباعث على الطغيان والنسيان الموجب للتكبر والكفران المقتضي لوضعه عن نظر الله وهذا باعتبار غالب الاحوال ولذا اختاره الله الفقر لاكثر الانبياء والاولياء والعلماء والصلحاء جعلنا الله منهم وحشرنا معهم (فقلت نبيا عبدا) أي أكون نبيا عبدا (قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا) فسر الاكثرون الاتكاء بالميل الى أحد الجانبين لانه

رواه النسائي والدارمي وعن علي أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون رواه الترمذي وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك وان حجزته لتساوي الكعبة فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل عليه السلام فاشار الى أن ضع نفسك وفي رواية ابن عباس فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام كالمستشير له فاشار جبريل بيده ان تواضع فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا

يقول آكل كما يأكل العبد
واجلس كما يجلس العبد
رواه في شرح السنة

(باب المبعث وبدء الوحي)

(الفصل الاول) عن
ابن عباس قال بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لاربعين سنة فمكث بمكة
ثلاث عشرة سنة يوحى اليه
ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر
سنين ومات وهو ابن ثلاث
وستين سنة متفق عليه
وعنه قال أقام رسول الله
صلى الله عليه

يفسر مالآكل فانه يمنع مجرى الطعام ونقل القاضي عياض في الشفاء عن المحققين انهم فسروه بالتمكن للاكل
في الجلوس كالتربع المعتمد على وطاء تحته لان هذه الهيئة تستدعي كثرة الاكل (يقول) استئناف بيان
لما قبله (آكل كما يأكل العبد) أي مما يتيسر له من أدنى المأكول (وأجلس كما يجلس العبد) اما على
الركبتين كهيئة الصلاة وهو أفضل الهيآت أو برفع احدى الركبتين حال الاكل أو غيره أو برفع الركبتين
على صفة الاحتباء وهو أكثر أنواع جلوسه صلى الله عليه وسلم في غير الصلاة (رواه) أي البغوي (في شرح
السنة) أي باسناده وفي الشمائل للترمذي عن أبي جحيفة مرفوعا أما أنا فلا آكل متكئا وفي الجامع الصغير
انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد رواه ابن عدي في الكامل عن أنس وروى أحمد
ومسلم وأبو داود عن كعب بن مالك انه صلى الله عليه وسلم كان يأكل بثلاث أصابع ويلعق يده قبل أن يمسحها
وروى ابن السني والطبراني عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم كان اذا شرب تنفس في الاناء ثلاثا يسمي
عند كل نفس ويشكر في آخرهن وفي الحلية لابي نعيم عن أبي جعفر مرسلا انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
شرب الماء قال الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا وروى الطبراني عن ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض ويأكل على الارض ويعتقل الشاة ويجيب دعوة
المملوك الى خبز الشعير

(باب المبعث وبدء الوحي)

هذا من باب ما قاله أرباب الهداية من ان النهاية هي الرجوع الى البداية قول الباب أصله البوب قلبت
الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ويجمع على أبواب وقد قالوا أبوبة ذكره العيني والمراد هنا نوع من
الكلام المشتمل على جنس الكتاب المجموع لا مراد الانواع كما بينته في تعليق لاوباب كتاب الجزري فان
الاعراب بدون الاعراب ثم المبعث مصدر ميمي بمعنى البعث من بعثه اذا أرسله ذكره ابن الملك والمراد به
مصدر ميمي والاظهر أن المقصود منه هو زمان البعث ومكانه كما يدل عليه أول الحديث من الفصل الاول ثم
البدء بوحدة مفتوحة فدال ساكنة فهمز بمعنى الابتداء قيل ويروى بدو كظهور وزنا ومعنى وهل الاحسن
الاول لانه يجمع المعنيين أو الثاني لانه أعم رأيان قلت انما محله قول البخاري كيف كان بدء الوحي فانه
يحتمل الاحتمالين كما أوضحناه في محله وأما ما نحن فيه فلا يساعد الرسم الثاني فانه يكتب بالالف في
الصحيح فانه يكتب فيه بالواو فتأمل ولا تغفل ويؤيد ما قلنا أيضا انه قال العسقلاني في فتح الباري قال عياض روي
البدء بالهمز وسكون الدال من الابتداء وبغير همز مع ضم الدال وتشديد الواو من الظهور ولم أره
مضبوطا في شيء من الروايات التي اتصلت بنا الا انه وقع في بعضها كيف كان ابتداء الوحي فهذا يرجح الاول وهو
الذي سمعناه من أفواه المشايخ وقد استعمل المصنف يعني البخاري هذه العبارة كثيرا كبدء الحيض وبدء
الاذان وبدء الخلق والوحي لغة الاعلام في خفاء وقيل أصله التفهيم ومنه قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل
وشرعا هو الاعلام بالشرع وقد يطلق ويراد به اسم المفعول أي الموحى وهو كلام الله المنزل على نبي من
أنبيائه وقال شارح البعث مصدر بمعنى الارسال والبدء الابتداء والوحي هنا الرسالة واستعمل اختياره كبره
معنى المصدر في المبعث لاشتماله على الزمان والمكان أيضا مع الدلالة على كيفية أصل الفعل والله أعلم

(الفصل الاول) (عن ابن عباس قال بعث) بصيغة المجهول أي جعل مبعوثا الى الخلق بالرسالة (رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاربعين سنة) أي وقت اتمام هذه المدة قال الطيبي اللام فيه بمعنى الوقت كما في قوله تعالى
قدمت لحياتي (فمكث) بضم الكاف ويفتح أي فلبث (بمكة ثلاث عشرة سنة) بسكون الشين المعجمة
ويكسر (يوحى اليه) جملة حالية أو استئنافية أي يوحى اليه في أثناء تلك السنين (ثم أمر بالهجرة) أي الى
المدينة (فهاجر) أي اليها (وأقام بها عشر سنين) بالسكون لا غير (ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة) وهذا
هو الصحيح وقيل ستين وقيل خمس وستين [illegible]
سيأتي عن أنس [illegible] (متفق عليه وعنه) أي عن ابن عباس (قال أقام رسول الله صلى الله عليه

وسلم بمكة خمس عشرة سنة) أي بإدخال سنتي الولادة والهجرة (يسمع الصوت) أي صوت جبريل (ويرى الضوء) أي النور في الليالي المظلمة ضياء عظيما (سبع سنين) قال الطيبي يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى من أمارات النبوة سبع سنين ضياء مجردا وما رأى معه ملكا وهو معنى قوله (ولا يرى شيأ) أي سوى الضوء قالوا والحكمة في رؤية الضوء المجرد دون رؤية الملك حصول استئناسه أولا بالضوء المجرد وذهاب روعه اذ في رؤية الملك مظنة ذهول وذهاب عقل لغلبة دهشته فانه أمر خطير اه ولقد أحسن ابن الملك في قوله والسر فيه أن الملك لا يفارقه ضوء الملكية ونور الربوبية فلو رآه ابتداء فلربما لم تطقه القوة البشرية وعسى أن يحدث من ذلك غشي فاستؤنس أولا بالضوء ثم غشيه الملك ويجوز أن يراد بالضوء انشراح صدره قبل نزول الوحي فسمى الانشراح ضوأ ولا يكمل انشراح صدره الا بعد وصوله الى أربعين ليستعد أن يكون واسطة بين الله وبين خلقه (وثمان سنين يوحى اليه) أي في مكة (وأقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين) سبق الكلام عليه (متفق عليه) قال ميرك قوله متفق عليه لم يقع في موقعه لان البخاري لم يخرجه بل هو في صحيح مسلم فقط كما صرح به الحميدي في الجمع بين الصحيحين وأشار اليه شيخنا ابن حجر في شرح صحيح البخاري ومنشأ توهم صاحب المشكاة صنيع ابن الاثير في جامع الاصول والحاصل انه اغتر بظاهر كلامه من غير رجوع الى المأخذ ولذا وقع فيما وقع والله أعلم (وعن أنس قال توفاه الله تعالى على رأس ستين سنة) قال الطيبي مجاز قوله على رأس ستين سنة أي آخره كمجاز قولهم رأس آية أي آخرها وسموا آخر الشئ رأسا لانه مبدأ مثله من آية أخرى أو عقد آخر (متفق عليه) ورواه الترمذي في الشمائل (وعنه) أي عن أنس رضي الله عنه (قال قبض النبي صلى الله عليه وسلم) أي توفي (وهو ابن ثلاث) أي والحال انه صاحب ثلاث سنين (وستين) أي سنة كما في نسخة (وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين) أي بلا خلاف وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر (وعمر وهو ابن ثلاث وستين) وقيل ابن تسع وخمسين وقيل ثمان وخمسين وقيل ست وخمسين وقيل احدى وخمسين قال المؤلف طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة ابن شعبة بالمدينة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ودفن يوم الاحد غرة محرم سنة أربع وعشرين وله من العمر ثلاث وستون وهو أصح ما قيل في عمره وكانت خلافته عشر سنين ونصفا وأما عثمان فدفن ليلة السبت بالبقيع وله يومئذ من العمر ثمان وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون وقيل غير ذلك وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة وأما علي فاستخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ومات بعد ثلاث ليال من ضربته ودفن سحرا وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل ثمان وخمسون وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياما واعل أنسا لم يذكر عليا مع أن الصحيح في عمره انه ثلاث وستون لانه اذ ذاك في قيد الخلافة أولانه ما تحرر عنده والله أعلم (رواه مسلم) وروى الترمذي عن جرير عن معاوية انه سمعه يخطب قال مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وعمر كذلك وأنا ابن ثلاث وستين أي وأنا متوقع أن أموت في هذا السن موافقة لهم وفي جامع الاصول كان معاوية في زمان نقله هذا الحديث في هذا السن ولم يمت فيه بل مات وله ثمان وسبعون سنة وقيل ست وثمانون سنة قال ميرك يعني لكن لم ينل مطلوبه بل مات وهو قريب من ثمانين فات لكن حصل مرغوبه من ثواب التوافق الذي هو وجود معرباه عمره وأمله فنية المؤمن خير من عمله (قال محمد بن اسمعيل البخاري ثلاث) بالجر على الحكاية والتقدير رواية ثلاث (وستين أكثر) أي رواية من غيرها ورجح الامام أحمد أيضا هذه الرواية قال النووي في شرح مسلم ذكر ثلاث روايات احداها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية ابن خمس وستين والثالثة ثلاث وستين وهي أصحها وأشهرها رواه مسلم هنا من رواية أنس وعائشة وابن عباس ومعاوية رضي الله عنهم فرواية ستين مقتصر فيها على العقود

وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيأ وثمان سنين يوحى اليه وأقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة متفق عليه وعن أنس قال توفاه الله على رأس ستين سنة متفق عليه وعنه قال قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين رواه مسلم قال محمد بن اسمعيل البخاري ثلاث وستين أكثر

دور رواية الخمس منافية له وأنكر عروة على ابن عباس قوله وقال انه لم يدرك أول النبوة ولا كثرت صحبته بخلاف
الباقين ولد عام الفيل على الصحيح المشهور وادعى القاضي عياض الاجماع عليه واتفقوا على أنه ولد يوم
الاثنين في شهر ربيع الاول واختلفوا هل هو ثاني الشهر أم ثامنه أم عاشره وتوفي يوم الاثنين في ثاني عشر
ربيع الاول ضحى صلوات الله وسلامه عليه اه ولا يخفى ان هنا قولا آخر أيضا وهو أن عمره صلى الله عليه
وسلم اثنان ونصف وستون سنة وانه على ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من ان عمر كل نبي نصف عمر نبي كان قبله
عمر عيسى عليه السلام خمس وعشرون ومائة وقيل هذا الحديث لا يخلو عن ضعف ويمكن أن يقال الغاء
النصف من الكسر غير بعيد عند أهل الحساب والله أعلم بالصواب (وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت
أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال النووي هذا الحديث من مراسيل الصحابة فان عائشة لم
تدرك هذه القصة فتكون سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم أو من صحابي ومرسل الصحابي حجة عند جميع
العلماء الا ما انفرد به الاستاذ أبو اسحق الاسفرايني قال الطيبي والظاهر انها سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم
لقولها قال فأخذني فغطني فيكون قولها أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية ما تلفظ به صلى الله
عليه وسلم كقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون بالتاء والياء على تأويل انه صلى الله عليه وسلم يؤدي لفظ
ما أوحى اليه أو معناه فلا يكون الحديث حينئذ من المراسيل قلت هذا غريب من الطيبي لانه العالم بسند
في صدر الحديث انها سمعت منه صلى الله عليه وسلم كان من المراسيل اما عنه أو عن صحابي ولا ينافيه قولها
قال فانه اما نقل كلامه صلى الله عليه وسلم أو نقل كلام الصحابي والتقدير قال لي او قال عنه عليه الصلاة والسلام
والله أعلم بالمرام ثم الظاهر ان من في قولها (من الوحي) تبعيضية لا بيانية كما قيل أي أول ما ابتدئ به من
أقسام الوحي (الرؤيا الصادقة) وقوله (في النوم) اما تأكيد واما في الرؤيا تجريد الرؤيا بما رأيت في منامك
على ما في القاموس ثم اعلم أن حقيقة الرؤيا الصادقة ان الله يخلق في قلب النائم أو في حواسه الاشياء كما يخلقها
في اليقظة وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا غيره فربما يقع ذلك في اليقظة كما رآه في المنام
وربما يكون ما رآه علما على أمور أخرى يخلقها في ثاني الحال أو كان قد خلقها فيقع ذلك كما جعل الله تعالى
الغيم علامة للمطر كذا حققه العلامة الكرماني (فكان لا يرى رؤيا) وفي نسخة الرؤيا (الا جاءت) أي تلك الرؤيا
يعني أثرها الدال على تحققها (مثل فلق الصبح) بفتح الفاء واللام أي ضوءه اذا انفلق كما في شرح السنة
والمعنى مشبهة بضيائه أو مجيئا مثله قال شارح الفلق بالتحريك الصبح بعينه وحسن اضافته الى الصبح وان
كانت لاختلاف اللفظين لكونه من الالفاظ المشتركة فانه يطلق الفلق على الصبح وعلى المطمئن من الارض
فشبهت ما جاءه في اليقظة موافقا لما رآه في المنام بالفلق لانارته واضاءته وصحته وقال التوربشتي شبه ما جاءه في
اليقظة ووجده في الخارج طبقا لما رآه في المنام بالصبح في انارته ووضوحه والفلق الصبح لكن لما كان مستعملا
في هذا المعنى وفي غيره كالفلق في قوله قل أعوذ برب الفلق وغير ذلك أضيف اليه للتخصيص والبيان اضافة
العام الى الخاص كقولهم عين الشيء ونفس الشيء وقال الطيبي للفلق شأن عظيم ولذلك جاء وصفا لله تعالى
في قوله سبحانه فالق الاصباح وأمر بالاستعاذة برب الفلق لانه ينبئ عن انشقاق ظلمة عالم الشهادة وطلوع
تباشير الصبح بظهور سلطان الشمس واشراقها الآفاق لان الرؤيا الصالحة مبشرات تنبئ عن وفور أنوار عالم
الغيب وآثار مطالع الهدايات شبه به الرؤيا التي هي جزء يسير من أجزاء النبوة تنبيها من تنبيه ثم المشترك
العقول على ثبوت النبوة لان النبي انما سمي نبيا لانه ينبئ عن عالم الغيب الذي لا تستقل العقول بادراكه وفي
شرح مسلم للنووي قالوا انما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة ولا
يحتملها القوى البشرية فبدئ بتباشير الكرامة وصدق الرؤيا استئناسا قلت وهو مقتضى الامور التدريجية في
الامور الدينية والدنيوية وكان الرؤيا شبهت بالفلق الذي هو الصبح وهو مقدمة طلوع الشمس المشبه به
اتيان جبريل بالوحي المنزل الذي هو نور وكتاب مبين يهدي الله لنوره من يشاء ثم يبين بين النور والهدى

وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها قالت أول ما بدئ به
رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الوحي الرؤيا الصادقة
في النوم فكان لا يرى رؤيا
الا جاءت مثل فلق الصبح

ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد

الآفاق والنور العلي الخلاق (ثم حبب اليه الخلاء) بالمد أي الخلوة المناسبة لمرتبة التخلية عن الغير المقدمة على التحلية المترتبة عليها بثبوت نور وجوده وظهور كرمه وجوده قال النووي الخلوة شأن الصالحين وعباد الله العارفين قال الخطابي حبب اليه الخلوة لان معها فراغ القلب وهي معينة على التفكر وبها ينقطع عن مألوفات البشر ويخشع قلبه ويجمع همه فالخاص في الخلوة يفتح الله عليه ما يؤنسه في خلوته من تعويض الله تعالى اياه عما ترك لاجله واستنار قلبه بنور الغيب حين تذهب ظلمة النفس واختيار الخلوة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس واخلاص العمل اه واختلف في أفضلية الخلوة والجلوة والخلطة والعزلة والصحيح أن كل واحدة بشروطها المعتبرة في محلها هي الافضل والاكمل للمصلحة المترتبة عليها الحكمة الالهية واقتضاء صفة الربوبية (وكان يخلو بغار حراء) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد وهو مذكر مصروف على الصحيح وقيل مؤنث غير مصروف ذكره النووي وقال القاضي الزاهد صاحب الثعلبي والخطابي وغيرهما العوام يخطؤن في حراء في ثلاثة مواضع يفتحون الحاء وهي مكسورة ويكسرون الراء وهي مفتوحة ويقصرون الالف وهي ممدودة وهو جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال عن يسار الذاهب من مكة الى منى وقال شارح هو بالكسر والمد والقصر فيهما يذكر ويؤنث فيصرف على الاول ولا يصرف على الثاني أقول ولعل وجه التذكير باعتبار الموضع والتأنيث باعتبار البقعة وقال العسقلاني حراء هو بالمد وكسر أوله وهو الصحيح رواية وحكي فيه غير ذلك جوازا لا رواية وعند الاصيلي بالفتح والقصر (فيتحنث فيه) أي فيتعبد في ذلك الغار فرارا من الاغيار وفي سيرة ابن هشام فيتحنف بالفاء أي يتبع الحنيفية وهي دين ابراهيم والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم ذكره السيوطي (وهو) أي التحنث (التعبد) وكان المتعبد يتحرز عن الحنث بمعنى الاثم ويجتنب عنه بعبادته وهذا التفسير اما من قول عائشة رضي الله عنها أو من قول الزهري أدرجه في الحديث والتحنث في اللغة القاء الحنث عن نفسه وقيل لم يرد من باب التفعل في معنى القاء الشيء عن النفس الا التحنث والتأثم والتحوب كذا ذكره شارح وقال السيوطي قوله وهو التعبد مدرج في الخبر قطعا قال العسقلاني وهو محتمل أن يكون من كلام عروة أو من دونه قال وجزم الطيبي بانه من تفسير الزهري ولم يذكر دليله اه وقال التوربشتي فسرت التحنث بقولها وهو التعبد ويحتمل أن يكون التفسير من قول الزهري أدرجه في الحديث وذلك من دأبه قال النووي وقوله (الليالي ذوات العدد) متعلق بيتحنث لا بالتعبد ومعناه يتحنث الليالي ولو جعل متعلقا بالتعبد فسد المعنى فان التحنث لا يشترط فيه الليالي بل يطلق على القليل والكثير وهذا التفسير اعترض بين كلام عائشة رضي الله عنها وانما كلامها فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد وانما أطلق الليالي وأريد بها الليالي مع أيامهن على سبيل التغليب لانها أنسب للخلوة وقيد بذوات العدد لارادة التقليل كما في قوله تعالى دراهم معدودة اه فالمراد بذات العدد القلة وقيل يحتمل الكثرة اذ الكثير يحتاج الى العد لا القليل وقيل ابهام العدد لاختلافه بالنسبة الى المدة التي يتخللها مجيئه الى أهله والا فاصل الخلوة قد عرفت مدتها وهي شهر في كل سنة وذلك الشهر كان رمضان أقول ويمكن أن تكون المدة أربعين قياسا على ميقات موسى عليه السلام ولما فيها من الخواص والاسرار التي تظهر آثارها وأنوارها على الصوفية الابرار مع ما فيها من مطابقة الاربعينيات في الاطوار وقد قال صلى الله عليه وسلم من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه هذا وقال الحافظ العسقلاني ولم يأت التصريح بصفة تعبده لكن في رواية عبيد ابن عمير عند ابن اسحق فيطعم من يرد عليه من المساكين وجاء عن بعض المشايخ أنه يتعبد بالتفكر ذكره السيوطي في حاشية مسلم وفي التحرير للامام ابن الهمام أن المختار أنه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه متعبد فقيل بشرع نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى ونفاه المالكية والآمدي وتوقف الغزالي أي في تعبده قبل البعثة بشرع من قبله وفي شرح التحرير قال امام الحرمين والمازري وغيرهما لا يظهر لهذه المسألة ثمرة في الاصول ولا في الفروع بل يجري مجرى التواريخ المنقولة ولا يترتب عليها حكم في الشريعة

اه والظاهر أن المراد بالتعبد هنا التجرد للعبودية وهو الانقطاع عن الخلق بالكلية والتبتل الى الحق بحسب ما يقتضيه صفة الربوبية والخلوّ عن المطالب النفسية والمآرب الشهوية وخلاصته الغيبة عما سواه والحضور مع الله المترجم عنه بقول لا اله الا الله الوارد فيه أفضل الذكر لا اله الا الله المعنى بقوله فاعلم انه لا اله الا الله المعبر عنه عند الصوفية بالفناء والبقاء والانفصال والاتصال والبينونة والكينونة وهو نهاية مراتب العباد وغاية مطالب العباد (قبل أن ينزع الى أهله) يقال نزع الى أهله ينزع أى اشتاق ومال ولذا قيل ينزع كيرجع زنة ومعنى قال شارح والمعنى أنه كان لا يميل عن أهله بالكلية الى خلوته ويدل عليه قوله (ويتزوّد) بالرفع أى يجيء أهله ويأخذ زاده (لذلك) أى التعبد الليالى ذوات العدد أو لما ذكر من الليالى مشتغلا برب العباد ومتوجها للامر المعاد الى فراغ الزاد (ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها) أى لمثل تلك الليالى أو لنحو تلك العودة التى فيها الخلوة وفيه ايماء الى أن أخذ الزاد لا ينافى التوكل والاعتماد والحاصل أنه صلى الله عليه وسلم استمر على تلك الحال من الذهاب للاكمال والرجوع لنيل المنال وحسن المآل (حتى جاءه الحق) أى أمر الحق وهو الوحى أو رسول الحق وهو جبريل عليه السلام ذكره التوربشتى أو المعنى تبين له الحق وظهر له الجمال المطلق لامرا آة لامرائه (وهو فى غار حراء فجاءه الملك) اللام للعهد وهو جبريل وقيل اسرافيل (فقال اقرأ) أى مطلقا وهو مقتضى الامر الظاهر وكأنه قرأ وهو الظاهر (فقال ما أنا بقارئ) أى لا أحسن القراءة ولم أتعلم القراءة كما هو المعتاد فيمن يقرأ (قال فأخذنى فغطنى) بتشديد الطاء أى عصرنى قيل الغط فى الاصل المقل فى الماء والتغويص فيه على ما فى النهاية وغيره ولما كان الغط مما يأخذ بنفس المغطوط استعمل مكان الخنق وفى بعض الروايات فخنقنى أقول الاظهر أن الغط هو العصر امام من جهة البطن أو الظهر لكن شدته ربما تضيق النفس فيشابه حالة الخنق فعبر عنه بالخنق وهذا المعنى أولى وأخلق وفى شرح مسلم قالوا الحكمة فى الغط شغله عن الالتفات والمبالغة فى أمره باحضار قلبه لما يقوله وانما كرره ثلاثا مبالغة فى التنبيه ففيه أنه ينبغى للمعلم أن يحتاط فى تنبيه المتعلم ويأمره باحضار قلبه وقيل انما غطه ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيأ وحاصل المعنى عصرنى عصرا شديدا (حتى بلغ منى الجهد) بضم الجيم ويفتح وبالرفع وينصب قال النووى الجهد يجوز فيه فتح الجيم وضمها وهو الغاية والمشقة ويجوز نصب الدال ورفعها فعلى النصب بلغ جبريل فى الجهد وعلى الرفع بلغ الجهد منى مبلغه وغايته وقد ذكر الوجهين أدنى نصب الدال وفتحها صاحب التحرير اه وقال شارح هو بضم الجيم ورفع الدال وهو بالضم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة وقيل المبالغة والغاية وقيل هما لغتان فى الوسع وأما المشقة والغاية فبالفتح لا غير وقال التوربشتى لا أرى الذى يرويه بنصب الدال الا قد وهم فيه أو جوزه من طريق الاحتمال فانه اذا نصب الدال عاد المعنى الى انه غطه حتى استفرغ قوته فى ضغطه وجهد جهده بحيث لم يبق فيه مزيد وهذا قول غير سديد فان البنية البشرية لا تستدعى استيفاء القوة الملكية لا سيما فى مبدأ الامر وقد دلت القضية على انه اشمأز من ذلك وتداخله الرعب قال الطيبى لا شك أن جبريل فى حالة الغط لم يكن على صورته الحقيقية التى تجلى بها عند سدرة المنتهى وعند ما رآه مستويا على الكرسى فيكون استفراغ جهده بحسب الصورة التى تجلى له وغطه واذا صحت الرواية اضمحل الاستبعاد أقول لا يلزم من تشكل الملك بصورة الآدمى وتبدله عن أصل هيئة الملكى سلب القوة عنه ونفى الغلبة منه فان الامر المعنوى لا يتغير بتغير الهيكل الصورى فكلام الشيخ فى محله وصحة الرواية موقوفة على نقلها لا بمجرد جوازها وذكرها واحتمالها (ثم) أى بعد ما بلغ قربه منى الجهد (أرسلنى) أى تركنى فى مقام البعد وكأنه نقل من مقام الجمع الى حال التفرقة ومن مرتبة الولاية الى مرتبة النبوة ترقيا الى درجة جمع الجمع (فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ) الظاهر من صنيع الشراح أن قوله ما أنا بقارئ فى كل مرتبة على معنى واحد ويمكن أن يقال ان ما فى الاولى نافية وفى الثانية استفهامية والباء زائدة أو على لغة أهل مصر أى أى شئ أنا أقرؤه (فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال

قبل أن ينزع الى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ فقال ما أنا بقارئ قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال

اقرأ فقلت ما أنا بقارئ) أي الذي أنا بقارئ ما هو على أن ما موصولة مبتدأ وخبره محذوف والفرق بينه وبين ما قبله في المعنى المرام ان ما قبله استفهام الانكار وهذا استفهام الاعلام (فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك) قال النووي هذا دليل صريح في ان أول ما نزل من القرآن اقرأ وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف وقيل أوله يا أيها المدثر وليس بشئ قلت الظاهر أن اقرأ أوله الحقيقي و يا أيها المدثر أوله الاضافي وهو بعد فترة الوحي الالهي قال واستدل بهذا الحديث من يقول بسم الله الرحمن الرحيم ليست بقرآن في أوائل السور لكونها لم تذكر هنا وجواب المثبتين لها انها لم تنزل أولا بل نزلت البسملة في وقت آخر كما نزلت باقي السور في وقت آخر قلت فلا تكون البسملة جزأ لجميع أوائل السور لعدم القائل بالفصل فثبت مدعى أهل الفضل ولعل النووي لما أشعر ضعف الجواب أسنده اليهم تبريا من قولهم والله أعلم بالصواب قال الطيبي اقرأ أمر بايجاد القراءة مطلقا وهو لا يختص بمقروء دون مقروء فقوله باسم ربك حال أي اقرأ مفتتحا باسم ربك أي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ وهذا يدل على ان البسملة مأمور قراءتها في ابتداء كل قراءة فيكون مأمورا قراءتها في هذه السورة أيضا قلت لا يخفى بعد ما ذكره على أولي النهى أما قوله أمر بايجاد القراءة ففيه بحث فان الايجاد والامداد من أفعال رب العباد على ما هو مقرر في الاعتقاد فالامر انما توجه بمباشرة القراءة لا بايجادها ثم قوله وهو لا يختص بمقروء دون مقروء ففيه ان لفظ اقرأ هنا أيضا مقروء فالظاهر أن الباء للاستعانة أو للالصاق أو الملابسة كما حقق في البسملة أول الفاتحة أي اقرأ مستعينا باسم ربك أو ملصقا به قراءتك أو حال كونك متلبسا به وعلى التنزل فلا يلزم من الافتتاح باسم الرب أن يؤتى ببسم الله الرحمن الرحيم ثم يقرأ كما هو ظاهر بل ظاهره خلاف المأمور على انه يلزم منه أن المقروء بعد قوله اقرأ باسم ربك والحال أن الامر ليس كذلك فان مدعى الشافعية أن يثبتوا البسملة قبل قوله اقرأ باسم ربك ثم قوله وهذا يدل على أن البسملة مأمور قراءتها في ابتداء كل قراءة ممنوع ومدفوع لاتفاق العلماء على استحباب التعوذ أو وجوبه قبل القراءة وعلى جواز البسملة كذلك الا في أول براءة على الصواب وفي أثناء سورتها الخلاف والمعتمد منعها (الذي خلق) أي الاشياء ومن جملتها خلق القدرة على القراءة والقوة على الطاعة (خلق الانسان من علق) تخصيص بعد تعميم اشعارا بان الانسان خلاصة المخلوقات وزبدة الموجودات وهو أولى مما اختاره الطيبي من انه ابهام وتبيين ولعل العدول عن قوله خلق الانسان من نطفة لمراعاة الفواصل وللاشارة الى تنقله في أطوار الخلقة الى مرتبة النبوة بالوصول الى الحق المطلق والى مقام الرسالة من دعاء الخلق الى دعوة الحق (اقرأ) تأكيد للتقرير وتكرير للتكثير (وربك الاكرم) أي من كل كريم فان كرم كل كريم من أثر كرمه وذرة من شعاع ظهور شمس نعمه وفيه اشارة الى أن وصفه الاكرم اقتضى بلوغ وصول الامي الى حصول مقام الاعلم وصيره واسطة لايصال فيض العلم الى افراد العالم (الذي علم بالقلم) أي بواسطته كثيرا من العلوم المتعارف لافراد بني آدم (علم الانسان) أي بطريق بيان اللسان وتبيان الجنان (ما لم يعلم) أي من الاشياء الحادثة في المكان والزمان ويمكن أن يراد بالانسان هو الكامل في هذا الشان واللام للمعهود في الاذهان فيكون فيه اشارة الى قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما فصلوا عليه وسلموا تسليما (فرجع بها) أي رجع النبي صلى الله عليه وسلم بالآيات أي معها متوجها الى مكة (يرجف) بضم الجيم أي يضطرب (فؤاده) ويتحرك شديدا من الرعب الذي دخل في قلبه (فدخل على خديجة) قال الطيبي أي صار بسبب تلك الضغطة يضطرب فؤاده ورجع يجيء بمعنى قصد أيضا اه وما قدمناه هو الظاهر كما لا يخفى (فقال زملوني) بتشديد الميم المكسورة أي غطوني بالثياب والفوني بها (زملوني) كرره للتأكيد أو لزيادة التأييد (فزملوه حتى ذهب عنه الروع) بفتح الراء أي الخوف والرعب الشديد (فقال لخديجة وأخبرها الخبر) أي خبر ما تقدم والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله وهو (لقد خشيت) أي خفت (على نفسي) أي من الجنون أو الهلاك وقال شارح أدهشته هيبته

اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي

البدية تخشى على نفسه من تخبط الشيطان وفي شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض ليس هو بمعنى الشك فيما آتاه الله تعالى لكنه ربما خشي أنه لا يقوى على مقاومة هذا الامر ولا يقدر على حمل أعباء الوحي فتزهق نفسه أو يكون هذا أول التباشير في النوم أو اليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحقيق رسالة ربه فيكون قد خاف أن يكون من الشيطان فأما منذ جاءه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالى فلا يجوز الشك فيه وتسليط الشيطان عليه قال الشيخ محيي الدين وهذا الاحتمال ضعيف لانه تصريح بأن هذا بعد غط الملك واتيانه باقرأ باسم ربك وقال السيوطي قيل خشي الجنون وأن يكون ما رآه من جنس الكهانة قاله الاسماعيلي وذلك قبل حصول العلم الضروري له ان الذي جاءه ملك وانه من عند الله وقيل الموت من شدة الرعب وقيل المرض وقيل العجز عن حمل أعباء النبوة وقيل عدم الصبر على أذى قومه وقيل أن يقتلوه وقيل أن يكذبوه وقيل أن يعيروه (فقالت خديجة كلا) هي كلمة ردع أي لا تقل ذلك أو لا تخف أو معناه حقا وقولها (والله) للتأكيد وتأييد للتأبيد (لا يخزيك الله أبدا) قال النووي هو بضم الياء وبالخاء المعجمة في رواية يونس وعقيل وفي رواية معمر بالحاء المهملة والنون ويجوز فتح الياء في أوله وضمها وكلاهما صحيح أقول الذي في ان فتح الياء انما يكون مع فتح الزاي بخلاف ضم الياء فانه مع كسر الزاي كما قرئ بهما في قوله تعالى ولا يحزنك قولهم ونحوه وأما الرواية الاولى فمن الاخزاء بمعنى الافضاح والاهانة ومنه قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه (انك) بالكسر استئناف فيه شائبة تعليل (لتصل الرحم) أي ولو قطعوك (وتصدق الحديث) بضم الدال أي تتكلم الصدق في الكلام ولو كذبوك أو كذبوك (وتحمل) بكسر الميم (الكل) بفتح الكاف وتشديد اللام وهو من لا يستقل بامره وقد يعبر به عن الثقيل ومنه قوله تعالى وهو كل على مولاه والمعنى انك تحمل مؤنة الكل وقيل محنة الكل وان تركوك ولم يساعدوك ويدخل في حمل الكل الانفاق على الضعيف واليتيم والارامل والعيال من النساء والرجال (وتكسب المعدوم) بفتح التاء هو الصحيح المشهور وروي بضمها ذكره النووي والمعنى تحصل المال للخير أو تعطي المحتاج فكان الفقير معدوم في نفسه أو في نظر الغني أو لان الفقر يقتضي الفناء والاسكان كما ان الغنى يوجب الظهور والحركات والطغيان (وتقري) بفتح التاء وكسر الراء أي تطعم (الضيف) أي النازل بك (وتعين على نوائب الحق) أي الحوادث الجارية على الخلق بتقدير الحق أي ينتاب فيها وقيل النوائب جمع النائبة وهي الحادثة وانما أضيفت الى الحق لان النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر قال لبيد

نوائب من خير وشر كلاهما * فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

هذا مجمل الكلام في هذا المقام وأما تفصيل الكلام على ما بينه علماء الاعلام فقد قال ثعلب والخطابي وغيرهما يقال كسبت الرجل مالا وأكسبته مالا لغتان أصحهما كسبته بحذف الالف فمعنى الضم تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه اياه تبرعا فحذف الموصوف وأقيم الوصوف مقامه وقيل المعنى تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الاخلاق أو تصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله وكانت العرب تتمادح بكسب المال لا سيما قريش وكان صلى الله عليه وسلم مغبوطا في تجارته قال النووي وهذا القول ضعيف أو غلط وتمكن تصحيحه بأن يضم معه زيادة فمعناه تكسب المال العظيم الذي يعجز غيرك عنه ثم تجود به في وجوه الخير وأبواب المكارم كما ذكرت من حمل الكل وصلة الرحم وغيرهما وصاحب التحرير جعل المعدوم عبارة عن الرجل المحتاج المعدوم العاجز عن الكسب وسماه معدوما لكونه كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف في معيشة الحياة اه وقيل الصواب وتكسب المعدوم أي تعطي العائل وتغنيه لان المعدوم لا يدخل تحت الافعال قال التوربشتي المعدوم هي اللفظة الصحيحة بين أهل الرواية واجراها بعضهم على التوسع ورأى انه نزل العائل منزلة المعدوم لعدم الانتفاع به كقولك جيل واجب ان ليس بشئ قال ويكسب من كسبت زيد مالا أو كسبت مالا ويجوز بضم التاء من أكسبت زيدا مالا قال الخطابي والاصح كسبته فمعنى تكسب ا

فقالت خديجة كلا والله
لايخزيك الله أبدا انك لتصل
الرحم وتصدق الحديث
وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف
وتعين على نوائب الحق

بجعل متعديا الى واحد انك تكسب مالا يكون موجودا ولا حاصلا لنفسك وتقري به الضيف ويكون الجوع سببا لان لا يخزيه الله أو تكسب المعدوم وهو الفقير سمى معدوما للمبالغة كأنه صار من غاية فقره معدوما والمتصدق عليه يكسبه ويجعله موجودا وان جعل متعديا الى اثنين فالمحذوف اما المفعول الاول أي تكسب غيرك المعدوم أي تعطيه مالا يكون موجودا عنده وقوله ليس أو المفعول الثاني أي تكسب المعدوم أي الفقير مالا أي تعطيه اياه وانما ذكرت لفظ الكسب ارادة انك لا تزال تسعى في طلب عاجز تنعشه كما يسعى غيرك في طلب مال ينعشه اه وزبدته انها أرادت انك ممن لا يصيبه مكروه لما جمع الله فيك من مكارم الاخلاق ومحاسن الشمائل وفيه دلالة على ان مكارم الاخلاق وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء وفيه مدح الانسان في وجهه في بعض الاحوال لمصلحة تطرأ وفيه تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة وفيه أعظم دليل وأبلغ حجة على كمال خديجة رضي الله عنها وجزالة رأيها وقوة نفسها وثبات قلبها وعظم فقهها وفيه تنبيه على انه صلى الله عليه وسلم كان مرضيا اختيارا بالمكروها اضطراريا ومنشؤه كمال الكرم والسخاوة وعلى ان هذه الصفات المذكورة والنعوت المسطورة كانت له جبلية خلقية قبل بعثته الباعثة لتتميم مكارم الاخلاق (ثم انطلقت به خديجة الى ورقة) بفتحتين (ابن نوفل) أي ابن أسد القرشي (ابن عم خديجة) أي لانهما ولدا بن أسد فهو ابن عمها حقيقة واختلف في اسلامه ذكره صاحب القاموس (فقالت له يا ابن عم اسمع من ابن أخيك) وهذا بطريق المجاز كقولهم يا أخا العرب وقال شارح انما قالت ذلك على سبيل التعظيم لا على سبيل الحقيقة (فقال له ورقة) وقد كان تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي ذكره الموفق في فصل الصحابة (يا ابن أخي ماذا ترى) قيل ذا زائدة وما استفهامية وقيل ذا موصولة أي ما الذي تراه (فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى) أي يخبره وأطلعه على ما ظهر عليه من الملك وأثره (فقال ورقة هذا) أي الملك الذي رأيته (هو الناموس الذي أنزل) أي أنزله الله (على موسى) قيل ناموس الرجل صاحب سره الذي يطلعه على باطن أمره وأهل الكتاب يسمون جبريل بالناموس فقد قال أهل اللغة الناموس صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر فقيل سمي بذلك لان الله تعالى خصه بالوحي (ياليتني) أي كنت كما في نسخة (فيها) أي في أيام النبوة أو مدة الدعوة أو الازمنة التي تظاهر فيها (جذعا) بفتح الجيم والذال المعجمة أي جلدا شابا قويا حتى أبالغ في نصرتك بمنزلة الجذع من الخيل وهو ما دخلت في السنة الثالثة فالجذع في الاصل للدواب وهنا استعارة ونصبها اما باضمار كنت أو بليت على تأويل تمنيت والاصح انه حال أي ليتني حاصل فيها جذعا كما هو مذهب البصريين في * ياليت أيام الصبا رواجعا * قال الخطابي والمازري وغيرهما نصب على انه خبر كان المحذوفة تقديره ليتني أكون فيها جذعا على مذهب الكوفيين وقال القاضي الظاهر عندي انه منصوب على الحال وخبر ليت قوله فيها والعامل متعلق الظرف هذا وفي قوله ياليتني المنادى محذوف أي يا محمد وقال ابن مالك ظن أكثر الناس ان يا التي يليها ليت حرف نداء والمنادى محذوف وهو عندي ضعيف لان قائل ليتني قد يكون وحده فلا يكون معه منادى كقول مريم ياليتني مت قبل هذا قلت يمكن أن يكون التقدير يارب أو يا نفسي أو يا ولدي أو أرادت به الخطاب العام المقصود في أوهام الافهام ثم قال ولان الشئ انما يجوز حذفه اذا كان الموضع الذي ادعي فيه حذفه مستعملا فيه ثبوته كحذف المنادى قبل أمر أو دعاء فانه يجوز حذفه لكثرة ثبوته ثمة فمن ثبوته قبل الامر يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقبل الدعاء ياموسى ادع لنا ربك ومن حذفه قبل الامر ألا يا اسجدوا في قراءة الكسائي أي ألا يا هؤلاء اسجدوا وقبل الدعاء قوله * ألا يا اسلمي يا دارمي على البلا * أي يا دارمي اسلمي فحسن حذف المنادى فيهما اعتمادا على ثبوته بخلاف ليت فان العرب لم تستعمله ثابتا فادعاء حذفه باطل فتعين كون يا هذه لمجرد التنبيه مثل ألا في نحو * ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * قلت لعل وجه حذف المنادى مع ليت كثرة استعماله فتارة يكون مفردا مذكرا أو مؤنثا وتارة تثنية وجمعا كذلك وتارة

ثم انطلقت به خديجة الى ورقة بن نوفل ابن عم خديجة فقالت له يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال ورقة هذا هو الناموس الذي أنزل الله على موسى ياليتني فيها جذعا

يكون محنة وأخرى يكون منحة وهو ولا شك أن كثرة الاستعمال الموجبة للحذف والتخفيف حتى ربما يجعل الحذف واجبا فادعاء حذفه بهذا الاعتبار حق بل واجب لا باطل وذاهب ثم رأيت في القاموس ذكر جواز الوجهين وقدم ما قدمناه حيث قال واذا ولى يا ما ليس بمنادى كالفعل في ألا يا اسجدوا والحرف في نحو يا ليتني كنت معهم ويارب كاسية في الدنيا عارية في العقبى والجملة الاسمية نحو يا لعنة الله والاقوام كلهم * والصالحين على سمعان من جار * فهي للنداء والمنادى محذوف أو لمجرد التنبيه لئلا يلزم الاجحاف بحذف الجملة كلها اه وتبعه صاحب المغني وفيه بحث لا يخفى والله تعالى يعلم السر وأخفى (ليتني أكون حيا) أي وان لم أكن قويا (اذ يخرجك) اذ هنا للاستقبال كاذا والمعنى حين يتسبب لخروجك من بلدك (قومك) أي أقاربك من كفار قريش (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم) بفتح الواو وتشديد الياء المفتوحة ويجوز كسرها كقوله مصرخي وهو خبر لقوله هم وأصله مخرجون أضيف الى ياء الاضافة بكسر الجيم للمناسبة فاعرابه تقديري كمسلمي والجملة عطف على مقدر والاستفهام للاستعلام على وجه التعجب من هذا الاقدام لتأكيد المرام أي أيكون ما قلت وهم مخرجي (قال نعم) أي يخرجونك وسببه (انه لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به) أي من الرسالة (الا عودي) ماض مجهول من المعاداة والاستثناء مفرغ من أعم عام الاحوال (وان يدركني يومك) شرط جزاؤه (أنصرك نصرا مؤزرا) بتشديد الزاي المفتوحة قال القاضي يريد باليوم الزمان الذي أظهر فيه الدعوة وعاداه قومه فيه وقصدوا ايذاءه واخراجه والمؤزر البالغ في القوة من الازر وهو القوة قلت ومنه قوله تعالى أشدد به أزري (ثم لم ينشب ورقة) بسكون النون وفتح الشين أي لم يلبث ولم يبرح وحقيقته أنه لم يتعلق بشيء ولم يشتغل بغير ما هو عليه وكنى به عن ذلك وقوله (أن توفي) نصب على التمييز أي من جهة الوفاة أي لم تلبث وفاته بأن جاءت سريعا وقال الطيبي بدل اشتمال من ورقة أي لم يلبث وفاته (وفتر الوحي) أي انقطع أياما كما سيأتي في الحديث الآتي (متفق عليه وزاد البخاري) أي على رواية مسلم قوله (حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم) بكسر الزاي من الحزن والحزن خلاف السرور يقال حزن الرجل فهو حزن وحزين وأحزنه غيره وحزنه أيضا لكن بفتح الزاي في المتعدي (فيما بلغنا) أي من الاحاديث الدالة على حزنه وهو معترض بين الفعل ومصدره المنصوب على انه مفعول مطلق أعني (حزنا) بضم فسكون ويجوز فتحهما أي حزنا عظيما من صفته انه (غدا) أي ذهب في الغدوة (منه) أي من أجل الحزن أو من جهة فتور الوحي وقيل معنى غدا جاوز فعلى هذا يكون بعين مهملة ذكره زين العرب وقال العسقلاني عدا بعين مهملة وهو الذهاب بسرعة ومنهم من أعجمها من الذهاب غدوة اه واقتصر الشارح على العين المهملة فقال أي مشى من العدو (مرارا) أي مرة بعد أخرى (كي يتردى) أي يسقط (من رؤس شواهق الجبل) أي عواليه وقيل هو جمع شاهق وهو الجبل المرتفع (فكلما أوفى) أي وصل ولحق (بذروة جبل) بكسر الذال ويجوز تثليثه أي بأعلاه (لكي يلقي نفسه منه تبدى) أي تبين وظهر (له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا) مصدر مؤكد للجملة السابقة وهي قوله انك لرسول الله نصب بمضمر أي أحق هذا الكلام حقا (فيسكن) أي يطمئن (لذلك جأشه) أي فيزول لذلك اضطراب قلبه وقلقه وروعه وفزعه (وتقر) بكسر القاف وتشديد الراء تسكن (نفسه) أي من اضطرابها (وعن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي) أي انقطاعه أياما ثم حصوله متتابعا (قال فبينا) وفي نسخة فبينما (أنا أمشي) أي في أرض مكة بناء على اطلاقه أو فوق جبل حراء كما يدل عليه قوله الآتي (حتى هويت سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئثت) بضم جيم وكسر همز وسكون مثلثة أي فزعت وخفت (منه) أي من الملك (رعبا) بضم فسكون وبضمتين أما حال أي ممتلئا رعبا أو مرعوبا كل الرعب والرعب يتعدى ولا يتعدى أو مفعول مطلق أو مفعول لاجله فانما فزع انقباض ونفار يعتري الانسان من الشيء المخيف وهو قريب من الجزع والرعب الانقطاع من امتلاء الخوف كذا حققه التوربشتي وغيره

يا ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي متفق عليه وزاد البخاري حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبل فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه وعن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا

من اتباعه والاظهر عندي انه تمييز مؤكد ونظيره ذرعها سبعون ذراعا (حتى هويت) بفتح الواو أي سقطت ونزلت (الى الارض فجئت أهلي) أي أهل بيتي (فقلت زملوني زملوني) أي دثروني وغطوني من الزملة وهو تلفف المتاع والتكرير للتأكيد والتكثير (فزملوني فانزل الله تعالى يا أيها المدثر) بتشديد الدال والثاء أي المتدثر بمعنى المتزمل المتلفف ولهذا قيل معناه يا أيها المتلبس بأعباء النبوة والمتحمل بأثقال الرسالة (قم) أي بأمرنا أو دم على القيام بالطاعة مطلقا أو على قيام الليل المستفاد من قوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل ولذا قيل انه أمر بالقيام للنبوة وهذا أمر بالقيام للرسالة كما يشير اليه قوله (فانذر) أي فاعلم الناس بالتخويف عن العذاب وبشر المؤمنين بأنواع الثواب فهو من باب الاكتفاء أو الاقتصار على الانذار بناء على غلبة الكفار وعموم الفجار (وربك فكبر) أي فخصص ربك بوصف الكبرياء والعظمة (وثيابك فطهر) أي من النجاسات ويؤخذ منه طهارة الباطن عن القاذورات بالاولى وقيل معناه فقصر ثيابك على ذكر السبب وارادة السبب مع ما فيه من الدلالة على التواضع الملائم للعبودية المناسب لما قبله من ظهور كبرياء الربوبية (والرجز) بكسر الراء وضمها أي الشرك والعصيان (فاهجر) أي فاتركه الظاهر ان هذا اقتصار من الراوي اذ تمامه ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر (ثم حمي الوحي) بكسر الميم أي اشتد حره (وتتابع) أي نزوله (متفق عليه وعن عائشة أن الحرث بن هشام) هو مخزومي أخو أبي جهل شقيقه أسلم يوم الفتح وكان من فضلاء الصحابة واستشهد في فتوح الشام قال العيني وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة من الابل (سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي) ظاهره أن الحديث من مسند عائشة وعليه اعتمد أصحاب الاطراف فكأنها حضرت القصة ويحتمل ان يكون الحرث أخبرها بذلك بعد فيكون مرسل صحابي وحكمه الوصل اتفاقا ويؤيده أن في مسند أحمد وغيره من طريق عامر بن صالح الزهري عن هشام عن أبيه عن عائشة عن الحرث بن هشام قال سألت وعامر فيه ضعف لكن له متابع عند ابن منده (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا) أي في بعض الاحيان والازمان قيل وهو وقت اتيان الوعيد (يأتيني) أي الوحي (مثل صلصلة الجرس) أي اتيانا مثل صوته قال الطيبي يجوز أن يكون نعتا مصدرا والاحسن أن يكون حالا أي يأتيني الوحي مشابها صوته لصوت الجرس والصلصلة صوت الحديد اذا حرك (وهو) أي هذا النوع من الوحي (أشده) أصعبه (علي) واتعبه الي قال العسقلاني لان الفهم من كلام مثل الصلصلة أشكل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود على ما سيأتي وادل في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا اشارة الى ذلك قال الخطابي يريد والله أعلم انه صوت متدارك يسمعه ولا يثبته عند أول ما يقرع سمعه حتى يتفهم ويتثبت فيتلقفه حينئذ ويعيه ولذا قال وهو أشده علي (فيفصم عني) بفتح الياء وكسر الصاد أي ينقطع عني وفي نسخة بضم الياء وكسر الصاد من افصم الحمى والمطر أي اقلع على ما في القاموس وفي نسخة أخرى بصيغة المجهول أي يقلع عني كرب الوحي قال العسقلاني قوله فيفصم أي الوحي أو الملك فكأنه جوز تقدير المضاف في الوحي السابق أي كيف يأتيك صاحب الوحي وهو الملك ثم قال وهو بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء وكسر الصاد المهملة كذا الابي لوقت من فصم يفصم من باب ضرب يضرب والمراد قطع الشدة أي يقلع ويتجلى ما يغشاني من الكرب والشدة ويروى فيفصم بضم الياء وكسر الصاد من افصم المطر اذا اقلع رباعي قال في المفاتيح وهي لغة قليلة وفي رواية أخرى فيفصم بضم أوله وفتح ثالثه مبني للمفعول والفاء عاطفة والفصم القطع من غير بينونة فكأنه قال ان الملك يفارقني ليعود حالي (وقد وعيت عنه ما قال) جملة حالية وهو بفتح العين أي حفظت الذي ذكره فما موصولة والعائد محذوف ثم الوعي هنا قبل الانفصام وفيما بعد حال الكلام فلذلك ورد أولا ماضيا وثانيا حالا حيث قال (وأحيانا يتمثل) أي يتصور ويتشكل (لي الملك رجلا) أي مثل رجل (فيكلمني فاعي ما يقول) قال التوربشتي هذا حديث يغالط فيه ابناء الضلالة ويتخذونه ذريعة الى تضليل العامة وتشكيكهم وهو حق أبلج ونور يتوقد من شجرة مباركة يكاد زيتها

حتى هويت الى الارض فجئت الى أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فانزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ثم حمي الوحي وتتابع متفق عليه وعن عائشة ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول

بشيء ولو لم تمسسه نار لايغلط فيه الامن أعمى الله عيني قلبه وجملة القول في هذا الباب ان نقول كان النبي صلى الله عليه وسلم معنيا بالبلاغ مهيمنا على الكتاب مكاشفا بالعلوم الغيبية مخصوصا بالمسائل القلبية وكان يتوفر على الامة حصتهم بقدر الاستعداد فان أراد أن ينبئهم بما لاعهد لهم به من تلك العلوم صاغ لها أمثلة من عالم الشهادات ليعرفوا مما شاهدوه مالم يشاهدوه فلما سأل الصحابي عن كيفية الوحي وكان ذلك من المسائل الغويصة والعلوم الغريبة التي لايكشف نقاب التعزي عن وجهها لكل طالب ومتطلب وعالم ومتعلم ضرب لها في الشاهد مثلا بالصوت المتدارك الذي يسمع ولا يفهم منه شيء تنبيها على ان اتيانها يرد على القلب في لبسة الجلال وابهة الكبرياء فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب ويلاقي في ثقل القول مالا علم له بالقول مع وجود ذلك فاذا سرى عنه وجد القول المنزل بينا ملقى في الروع واقعا موقع المسموع وهذا معنى قوله فيفصم عني وقد وعيت ومعنى يفصم يقلع عني كرب الوحي شبهه بالحمى اذا افصمت عن المحموم ويقال أفصم المطر أي أقلع وهذا الضرب من الوحي شبيه بما يوحى الى الملائكة على مارواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله في السماء أمرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير هذا وقد سبق لنا من حديث عائشة ان الوحي كان يأتيه على صفتين أولهما أشدهما من الاخرى وذلك لانه كان يرد فيهما من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحي اليه كما يوحي الى الملائكة على ماذكر في حديث أبي هريرة وهو حديث حسن صحيح والاخرى يرد فيها الملك الى شكل البشر وشاكلته فكانت هذه أيسر وقال الطيبي لايبعد ان يكون ذلك صوت على الحقيقة متضمن للمعاني مدهش للنفس لعدم مناسبتها اياه ولكن القلب للمناسبة يشرب معناه فاذا سكن الصوت أفاق النفس فحينئذ يتلقى النفس من القلب ماالقى اليه فبقي على ان العلم بكيفية ذلك من الاسرار التي لايدركها العقل في شرح مسلم قال القاضي عياض ان ماجاء مثل ذلك يجري على ظاهره وكيفية ذلك وصورته مما لايعلمه الا الله سبحانه ومن أطلعه الله على شيء من ذلك من ملائكته ورسله ومايتأول هذا ويحيله عن ظاهره الاضعيف النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة ودلائل العقول لاتحيله (قالت عائشة) قال الكرماني يحتمل ان يكون داخلا تحت الاسناد المذكور سيما اذا جوزنا العطف بحذف حرف العطف وان يكون غير داخل تحته بل كان ثابتا باسناد آخر ذكره على سبيل التعليق تأييدا للامر الشدة وتأكيدا له قال العسقلاني هو بالاسناد الذي قبله وان كان بغير عاطف (ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان) بكسر الهمزة والواو للحال أي فينفصل الوحي عنه والحال ان (جبينه) أي مقدم وجهه (ليتفصد) أي ليتصبب (عرقا) تمييز محول عن الفاعل والمعنى ليسيل عرقه مثل سيلان الدم من العرق المفصود (متفق عليه) ورواه الترمذي وعن عبادة ابن الصامت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل) مجهول من الانزال (عليه الوحي) أي حين أول انزاله عليه (كرب) بصيغة المجهول أي أصابه الكرب وحزن (لذلك) أي لشدة نزوله وصعوبة حصوله قال شارح الكرب والكربة الغم الذي يأخذ بالنفس يقال كربه الغم اذا اشتد عليه والمتمكن في كرب اما النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أنه كان لشدة اهتمامه بالوحي كمن أخذه غم أي لسبب مبناه ومعناه ولذا قيل له لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه الآية قال أو الخوف مما عسى يتضمنه الوحي من التشديد والوعيد لذلك أو المتمكن الوحي بمعنى اشتد فان الاصل في الكرب الشدة قلت حينئذ لايلائمه قوله لذلك قال التوربشتي يحتمل أنه كان يهتم بامر الوحي أشد الاهتمام ويهاب مما يطالب به من حقوق العبودية والقيام بشكر النعم ويخشى على عصاة الامة ان ينالهم من الله خزي ونكال فيأخذه الغم الذي يأخذ بالنفس حتى يعلم مايوحى اليه ويحتمل أن المراد منه كرب الوحي وشدته فان الاصل في الكرب الشدة وانما قال الصحابي كرب لما وجد من شبه حاله بحال المكروب وقوله (وتربد وجهه) أي تغير كثيرا مايقال

قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا متفق عليه وعن عبادة بن الصامت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أنزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه

ذلك فى التغير من الغضب وتربد الرجل أى تعبس (وفى رواية نكس رأسه) أى اطرقه كالمتفكر (ونكس أصحابه رؤسهم) أى اتباعاله وتأدبا معه (فلما أتلى عنه) بضم همزة فسكون فوقية وكسر لام ففتح تحتية أى سرى عنه وكشف كانه ضمن الاتلاء وهو الاحالة معنى الكشف بقرينة عن وهذا هو المشهور فى الاصول ولم يوجد فى نسخ المشكاة غيره والمعنى فلما ارتفع الوحى على الرواية الاولى أو الكرب على الرواية الاخرى (رفع رأسه) أى وتبعه أصحابه وقال النووى أتلى بهمزة وتاء مثناة فوق ساكنة ولام فياء هكذا هو فى معظم نسخ بلادنا ومعناه ارتفع عنه الوحى هكذا فسره صاحب التحرير وغيره وفى بعض النسخ أجلى بالجيم وفى رواية ابن ماهان انجلى بالجيم ومعناها أزيل عنه وزال عنه وقال الطيبى ضمن أتلى معنى أقلع فعدى بعن وينصره رواية شرح السنة فلما أقلع عنه وقال التوربشتى قوله فلما أتلى عليه كذا هو فى المصابيح وأرى صوابه فلما تلى عليه من التلاوة وان كان أتلى عليه محققا فمعناه أحيل يقال أتليته أحلته أى أحيل عليه البلاغ وذلك ان الملك اذا قضى اليه ما نزل به فقد أحال عليه البلاغ (رواه مسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت وأنذر عشيرتك) أى قومك (الاقربين خرج النبى) وفى نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم حتى صعد) بكسر العين أى طلع (الصفا فجعل ينادى) أى يقول بأعلى صوت (يابنى فهر) بكسر فسكون (يابنى عدى) أى وأمثال ذلك (لبطون قريش) وتقدم تحقيقه وتفصيله (حتى اجتمعوا) أى حضر جمع من كل قبيلة (فجعل الرجل) أى من مشايخهم وأكابرهم (اذا لم يستطع ان يخرج) أى لعذر به (أرسل رسولا لينظر ما هو) أى من الخبر (فجاء أبو لهب وقريش) أى عامتهم (فقال) أى النبى صلى الله عليه وسلم (أرأيتم) أى أخبرونى وصدقونى (ان أخبرتكم ان خيلا) يعنى فرسانا (تخرج) أى تظهر (من صفح هذا الجبل) أى ناحيته أو سفحه ففى القاموس ان الصفح الجانب ومن الجبل مضطجعه والسفح عرض الجبل المضطجع أو أصله أو أسفله (وفى رواية ان خيلا تخرج بالوادى) اللام فيه للعهد الذهنى ولعل المراد به الوادى المشهور بوادى فاطمة فى طريق مكة الى المدينة (تريد) أى الخيل والمراد أصحابها وركابها (أن تغير عليكم) أى تأتيكم بغتة للاغارة عليكم ليلا أو صباحا (أكنتم مصدقى قالوا نعم) أى نصدقك لانك محمد الامين (ما جربنا عليك الا صدقا) قال الطيبى ضمن جرب معنى ألقى أى ما ألقينا عليك شيأ من الاخبار مجربين اياك الا وجدناك فيه صادقا (قال فانى نذير لكم) أى منذر ومخوف (بين يدى عذاب شديد) أى قدامه وهو اما فى الدنيا أو فى الآخرة (قال أبو لهب تبا) بتشديد الموحدة أى خسرانا وهلاكا (لك ألهذا) أى لهذا الامر الذى ذكرته (جمعتنا فنزلت تبت يدا أبى لهب) بفتح الهاء ويسكن أى خسرت وهلك هو واليد مقحمة أو عبارة عن نفسه لان أكثر مزاولتها ومعالجتها بهما ونحوه قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وقوله (وتب) تأكيدا والاول فى الدنيا والثانى فى الاخرى فالمعنى خسر الدنيا والآخرة أو الاول دعاء والثانى اخبار (متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة) أى قريبا منها (وجمع قريش فى مجالسهم) أى حال كون جمع من قريش فى مجالسهم (حول الكعبة اذ قال قائل) أى أبو جهل أو غيره (أيكم يقوم) أى يتوجه (الى جزور آل فلان) أى بعيرهم (فيعمد) بكسر الميم أى فيقصد القائم (الى فرثها) وهو السرجين ما دام فى الكرش على ما فى الصحاح والضمير الى الجزور فانه وان كان يطلق على الذكر والانثى الا ان اللفظة مؤنثة يقال هذه الجزور وان أردت ذكرا كذا فى النهاية (ودمها وسلاها) بفتح السين وتخفيف اللام وهو الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفا فيه وقيل هو فى الماشية السلا وفى الناس المشيمة والاول أشبه لان المشيمة تخرج بعد الولد ولا يكون الولد فيها حين يخرج كذا فى النهاية (فانبعث) أى فقام وذهب الى ما ذكر (أشقاهم) أى أشقى كفار قريش وهو أبو جهل وقيل عقبة بن أبى معيط كذا ذكره شارح وقال النووى هو عقبة بن أبى معيط كما صرح به فى الرواية الاخرى (فلما سجد) أى النبى عليه السلام (وضعه) أى ما ذكر والمعنى طرحه أحدهما ولعله بهذا يحصل الجمع بين القولين السابقتين

وفى رواية نكس رأسه ونكس أصحابه رؤسهم فلما أتلى عنه رفع رأسه رواه مسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزلت وأنذر عشيرتك الاقربين خرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتم ان أخبرتكم ان خيلا تخرج من صفح هذا الجبل وفى رواية ان خيلا تخرج بالوادى تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقى قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد قال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبى لهب وتب متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند الكعبة وجمع قريش فى مجالسهم اذ قال قائل أيكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث أشقاهم فلما سجد وضعه

(بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا) أي حال كونه مستمرا على سجوده ومستغرا على شهوده راضيا بقضائه مسلما الامر وحسن بلائه فهو في غاية من السرور ونهاية من الحضور الحاصل من قرب الرب وهم لبعدهم عن الحق المطلق وتعلقهم بالخلق غفلوا عن ذلك وأهلكوا هنالك (فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض) أي واقعين وساقطين فوق بعضهم (من الضحك) أي من كثرته الناشئة عن اعجابهم بفعلهم وتعجبهم من فعله صلى الله عليه وسلم (فانطلق منطلق الى فاطمة) أي وأخبرها بما جرى (فاقبلت تسعى) أي حال كونها تسرع وهي صغيرة فانها ولدت وعمره صلى الله عليه وسلم احدى وأربعون سنة على ما في المواهب (وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا) هو تأكيد لما قبله وتمهيد لما بعده وهو قوله (حتى لقته) أي طرحته عنه فاطمة وأبعدته منه (وأقبلت) أي توجهت عليهم (تسبهم) أي تشتمهم وتلعنهم وهم ساكتون عنها لصغرها ولعل هذا هو السبب في ان غيرها ما أقدم على هذا الفعل لما كان عسى أن تثور الفتنة المؤدية الى القتال بين القبائل (فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة) أي أداها وفرغ منها (قال اللهم عليك بقريش) الباء زائدة وعليك اسم فعل فالمعنى خذهم أخذا شديدا أخذ عزيز مقتدر (ثلاثا) أي كرره ثلاثا (وكان) أي من عادته انه (اذا دعا) أي الله (دعا ثلاثا واذا سأل) أي طلب من الله (سأل ثلاثا) فقيل هذا تأكيد للدعاء والاظهر انه تخصيص له هذا وفي شرح مسلم للنووي فان قيل كيف استمر في الصلاة مع وجود النجاسة على ظهره أجاب القاضي عياض بأن ليس هذا بنجس لان الفرث ورطوبة البدن طاهران وانما النجس الدم وهو مذهب مالك ومن وافقه من ان روث مايؤكل لحمه طاهر ومذهبنا ومذهب أبي حنيفة انه نجس وهذا الذي قاله القاضي ضعيف لان هذا السلا يتضمن النجاسة من حيث انه لا ينفك عن الدم في الغالب ولانه ذبيحة عباد الاوثان قلت يعني على تقدير ان تكون مذبوحة والافميتة نجسة اتفاقا وكان النووي غفل عن التصريح في الحديث بذكر الدم حتى تعلق بان السلا لا ينفك عن الدم غالبا ثم قال والجواب المرضي انه صلى الله عليه وسلم لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحابا بالطهارة قلت ورد بانه لو كان كذلك لاخبره جبريل فان الصلاة مع النجاسة لا تصح ولابد من البيان في مثل ذلك فالجواب الصواب ما في شرح السنة قيل كان هذا الصنيع منهم قبل تحريم الاشياء من الفرث والدم وذبيحة أهل الشرك فلم تكن تبطل الصلاة بها كالخمر كانت تصيب ثيابهم قبل تحريمها قال الطيبي ولعل ثباته على ذلك كان مزيدا للشكوى واظهارا لما صنع اعداء الله برسوله صلى الله عليه وسلم ليأخذهم أخذا وبيلا ولذا كرر الدعاء ثلاثا (اللهم عليك بعمرو ابن هشام) أي نحو وصار وهو ابن المغيرة المخزومي الجاهلي المعروف كان يكنى أبا الحكم وكناه النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل فغلبت عليه هذه الكنية قتله ابنا عفراء وقطع رأسه ابن مسعود في بدر (وعتبة بن ربيعة) جاهلي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم بدر مشركا (وشيبة بن ربيعة) أي ابن عبد شمس بن عبد مناف جاهلي قتله علي بن أبي طالب يوم بدر مشركا (والوليد بن عتبة) أي ابن ربيعة جاهلي قتل ببدر مشركا (وأمية) بضم الهمز وفتح ميم وتشديد تحتية (بن خلف) بفتحتين قتل يوم بدر مشركا وأما أخوه أبي بن خلف فانه قتل يوم أحد مشركا قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده ذكره المؤلف في أسمائه (وعقبة) بضم فسكون (ابن أبي معيط) بالتصغير (وعمارة) بضم فتخفيف (ابن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم) أي أبصرت المذكورين (صرعى) أي هلكى وهو حال من المفعول أي مصروعين (مطروحين يوم بدر ثم سحبوا) بصيغة المجهول أي جروا (الى القليب) وهو البئر قبل أن تطوى (قليب بدر) بالجر على البدلية ويجوز رفعه ونصبه ثم بدر اسم موضع معروف وقيل هو اسم رجل كان صاحب ذلك الموضع قال العسقلاني قد استشكل عد عمارة في المذكورين فانه لم يقتل ببدر بل ذكر أصحاب المغازي انه مات بارض الحبشة والجواب ان كلام ابن مسعود محمول على الاكثر ويدل عليه عقبة بن أبي معيط انما قتل صبرا بعد ان رجعوا عن بدر وأمية بن خلف لم يطرح في القليب كما هو بل مقطعا (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبع) بصيغة المجهول مخففا (أصحاب

بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة فاقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى القته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثلاثا وكان اذا دعا دعا ثلاثا واذا سال سال ثلاثا اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع أصحاب

القليب لعنة) أى اتبع عذابهم فى الدنيا بعذاب الآخرة مثل قوله تعالى وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة وفى نسخة بفتح الهمزة وكسر الموحدة ونصب أصحاب على الدعاء عليهم بايصال اللعنة المتواصلة اليهم قال العسقلانى جملة واتبع الخ يحتمل أن تكون من تمام الدعاء الماضى فيكون فيه علم عظيم من أعلام النبوة ويحتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم بعد أن ألقوا فى القليب (متفق عليه وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت يارسول الله هل أتى عليك يوم) أى هل مر عليك وقت وزمان (كان) أى صعوبته (أشد من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك) أى ما هو أشد من يوم أحد أو لقيت من قومك ما لقيت فحذف المفعول المبهم ليذهب الوهم كل المذهب فى الفهم (وكان أشد ما لقيت منهم) بنصب أشد وفى نسخة برفعه وأما قوله (يوم العقبة) فبالنصب لا غير والمراد بها ما يضاف اليها جمرة العقبة قال شارح أشد بالنصب خبر كان وما لقيت منهم فى محل الرفع اسمه ويوم العقبة ظرف لقيت والتقدير وكان ما لقيته منهم يوم العقبة أشد مما لقيته منهم فى سائر الايام ويجوز أن يكون يوم العقبة اسم كان وخبره أشد مضافا الى ما الموصولة أو الموصوفة المعبر بها عن الايام تقديره وكان يوم العقبة أشد الايام التى لقيت منهم أو أشد أيام لقيت منهم ويجوز أن يكون على العكس وقيل ما لقيت منهم يوم العقبة اسم كان ويكون أشد خبره بتقدير المضاف اليه أو بتقدير من وقال الطيبى أشد ما لقيت خبر كان واسمه عائد الى مقدر وهو مفعول قوله لقد لقيت ويوم العقبة ظرف فالمعنى كان ما لقيت من قومك يوم العقبة أشد ما لقيت منهم وأراد بالعقبة التى بمنى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقف عند العقبة فى الموسم ويعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم الى الله تعالى والى الاسلام اه والمعنى انهم ما أجابوا لذلك فاشتد عليه حينئذ وهو معنى قوله (اذ عرضت نفسى) وفى نسخة اذ وهو الظاهر قال الطيبى وضع اذا التى هى للاستقبال موضع اذ يعنى الموضوعة للماضى استحضارا لتلك الحالة الفظيعة والمعنى حين عرضت نفسى بالامان والاجارة من التعرض على جرى العادة (على ابن عبد ياليل) بكسر الدال واللام الاولى (ابن كلال) بضم الكاف قال العسقلانى اسمه كنيته والذى فى المغازى ان الذى كلمه هو عبد ياليل نفسه وعند أهل النسب ان كلالا أخوه لا أبوه وانه عبد ياليل بن عمرو بن عمرو ويقال اسم ابن عبد ياليل مسعود وكان ابن عبد ياليل من أكابر أهل الطائف من ثقيف وقيل انه قدم مع وفد الطائف سنة عشر فاسلموا وذكره ابن عبد البر فى الصحابة لكن ذكر الواقدى ما يدل على انه لم يسلم والله أعلم (فلم يجبنى الى ما أردت) أى ما قصدت وطلبت منه حينئذ من العهد والامان (فانطلقت وأنا مهموم) جملة حالية معترضة بين الفعل ومتعلقه وقوله (على وجهى) أى وذهبت مهموما على جهتى قال الطيبى أى فانطلقت حيرانا هائما لا أدرى أين أتوجه من شدة ذلك الغم وصعوبة ذلك الهم (فلم أستفق الا بقرن الثعالب) يقال أفاق واستفاق من مرضه وسكره بمعنى أى فلم أفق مما كنت فيه من الغم وشدة الهم حتى بلغت قرن الثعالب والقرن جبل وقرن الثعالب جبل بعينه بين مكة والطائف (فرفعت رأسى) أى الى السماء لانها قبلة الدعاء ومهبط الرجاء (فاذا أنا بسحابة قد أظلتنى) أى بالزيادة على العادة (فنظرت فاذا فيها) أى فى السحابة (جبريل فنادانى فقال ان الله قد سمع قول قومك) أى قولك اياهم (وما ردوا عليك) أى من اباءتهم ويحتمل أن يكون الثانى تأكيدا للاول وبيانا على أن الاضافة فيه من المصدر الى فاعله (وقد بعث) أى أرسل الله (اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم قال) أى النبى عليه السلام (فنادانى ملك الجبال) أى بنحو يا أيها النبى أو يا محمد (فسلم على) أى تسليم تعظيم وتكريم (ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك اليك لتأمرنى بامرك) أى بشأنك أو بما تريده (ان شئت أن أطبق) بضم الهمزة وكسر الموحدة المخففة من أطبق اذا جعل الشئ فوق الشئ محيطا بجميع جوانبه كما ينطبق الطبق على موضع من الارض والمعنى اذا أردت أن أقلب (عليهم الاخشبين) وهما جبلان يضافان الى مكة مرة والى منى أخرى وهما واحد ذكره شارح وفى الفائق الاخشبان الجبلان المطبقان بمكة وهو أبو قبيس والاحمر

القليب لعنة متفق عليه
وعن عائشة انها قالت
يارسول الله هل أتى عليك
يوم كان أشد من يوم أحد
فقال لقد لقيت من قومك
وكان أشد ما لقيت منهم يوم
العقبة اذ عرضت نفسى
على ابن عبد ياليل بن
كلال فلم يجبنى الى ما أردت
فانطلقت وأنا مهموم على
وجهى فلم أستفق الا
بقرن الثعالب فرفعت
رأسى فاذا أنا بسحابة قد
أظلتنى فنظرت فاذا فيها
جبريل فنادانى فقال ان
الله قد سمع قول قومك وما
ردوا عليك وقد بعث اليك
ملك الجبال لتأمره بما
شئت فيهم قال فنادانى
ملك الجبال فسلم على ثم قال
يا محمد ان الله قد سمع قول
قومك وأنا ملك الجبال وقد
بعثنى ربك اليك لتأمرنى
بامرك ان شئت أن أطبق
عليهم الاخشبين

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ متفق عليه وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه يشير الى رباعيته اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله متفق عليه وهذا الباب خال عن الفصل الثاني

(الفصل الثالث) عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال أبو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت لي فقال لي جابر لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت

وهو جبل مشرف وجهه على قعيقعان والاخشب كل جبل غليظ وفي القاموس قعيقعان كزعيفران جبل بمكة وجهه الى أبي قبيس (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل) أي لا أريد ذلك وان استحقوا لكفرهم بل (أرجو أن يخرج الله من أصلابهم) أي من انساب بعضهم (من يعبد الله وحده) أي من يوحده منفردا أو ليطيع مخلصا (لا يشرك به شيأ) أي من شرك جلي أو خفي (متفق عليه وعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته) بفتح الراء وتخفيف التحتية على وزن الثمانية السن الذي بين الثنية والناب وكانت الرباعية المكسورة هي السفلى من الجانب الايمن (يوم أحد وشج) بضم شين وتشديد جيم أي جرح رأسه فقوله (في رأسه) اما من باب التجريد أو نوع من التأكيد قال الطيبي وهو من قبيل قوله يجرح في عراقيبها نصلي بولغ في الشج حيث أوقع الرأس ظرفا للشج يعني فكأنه قال وأوقع الشج في رأسه تضميما (فجعل يسلت) بضم اللام أي يزيل (الدم عنه ويقول) أي استعظاما واستبعادا (كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيته) عن الزهري انه ضرب وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالسيف سبعين ضربة وقاه الله شرها كلها ذكره السيوطي في حاشية البخاري ولعل وجهه حصول المشاركة له مع السبعين من الشهداء الا ان الله عصمه لقوله والله يعصمك من الناس وانما حصل له بعض الاثر من الشج والكسر لتحقيق الثواب والاجر ولاظهار مقتضى الاوصاف البشرية من العجز والضعف والتأثير المناسبة للعبودية ووجب نعت الكبريا والعظمة والاستغناء والقوة والقدرة اللائقة للربوبية (رواه مسلم) وكذا الترمذي والنسائي وابن ماجه (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه يشير الى رباعيته) حال من رسول الله وعامله قال وقع مفسرا للمفعول فعلوا هذا (اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله) لعل حذف العاطف بين الفصلين للاشارة الى انهما حديثان مستقلان جمع بينهما الراوي ويؤيده تكرار اشتد غضب الله أو للاشعار بان كل واحد منهما يستحق ما ذكر دفعا لتوهم الاشتراك ولم يأت بأو كيلا يظن الشك قال الطيبي يحتمل أن يراد به الجنس وان يراد به نفسه ووضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من يقتله من هو رحمة للعالمين لم يكن الا أشقى الناس والذي قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أبي بن خلف قال النووي وقوله في سبيل الله احتراز عمن يقتله في حد أو قصاص لان من يقتله في سبيل الله كان قاصدا له صلى الله عليه وسلم (متفق عليه وهذا الباب خال عن الفصل الثاني) تقدم توجيهه مرارا

(الفصل الثالث) (عن يحيى بن أبي كثير) قال المؤلف يكنى أبا النصر اليماني مولى لطي أصله بصري صار الى اليمامة رأى أنس بن مالك وسمع عبد الله بن قتادة وغيره روى عنه عكرمة والاوزاعي وغيرهما (قال سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن) قال المؤلف روى عن عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي احد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين وأعلامهم ويقال ان اسمه كنيته وهو كثير الحديث سمع ابن عباس وأبا هريرة وابن عمر وغيرهم وروى عنه الزهري ويحيى بن أبي كثير والشعبي وغيرهم (عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر) فيه اشتباه الحال على الراوي فان نزول يا أيها المدثر كان بعد فترة الوحي كما علم مفصلا في حديث عائشة فأوليته اضافية كما قدمناه أو أوليته مخصوصة بالانذار فيفيد انه أول الوحي بالرسالة وان ما قبله كان نسبته النبوة والله أعلم (قلت يقولون) أي الجمهور أو بعض العلماء (اقرأ باسم ربك) أي هو أول ما نزل (قال أبو سلمة سألت جابرا عن ذلك) أي مثل سؤالك (وقلت له مثل الذي قلت لي) أي في جوابه لسؤالي مما يعود فيه من الاشكال (فقال لي جابر لا أحدثك الا ما) أي الا بما (حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي به من غير تغييره مما يدل على انه أول ما نزل بتقديره (قال جاورت بحراء شهرا) فيه اشعار بان أيام الفترة كانت شهرا (فلما قضيت جواري) بكسر الجيم أي مجاورتي واعتكافي (هبطت) أي نزلت وفيه ايماء الى انه ثاني الحال لان نزول اقرأ كان في غار حراء كما سبق من انه قال

(فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت عن خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً) وقد سبق عن جابر أيضاً أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال فيه أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء الحديث فهو صريح بأن مراده الأولية الإضافي (فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا على ماء بارداً) لعل محل الصب الوجه لدفع الغشيان فلا ينافي ما قبله مما يدل على البرودة الناشئة من الخفقات (فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) قال الطيبي قوله لا أحدثك إلخ إخبار عما سمع وما تقدم من أن أول ما نزل من القرآن يا أيها المدثر لكن لا يدل على المطلوب لأنه قال في آخره فقلت دثروني فنزلت يا أيها المدثر وقد سبق في حديث عائشة أن أول ما نزل من القرآن اقرأ باسم ربك اهـ فالجمع بما قدمناه كما لا يخفى ولذا قال بعض المحققين قول من قال إن أول ما نزل يا أيها المدثر ضعيف والصواب أن أول ما نزل على الإطلاق اقرأ باسم ربك كما صرح به في حديث عائشة وأما يا أيها المدثر فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن جابر ويدل عليه قوله وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر وقال النووي وقول من قال من المفسرين إن أول ما نزل الفاتحة باطل وفيه بحث لأنه يمكن أن يقال مراده أول سورة نزلت بكمالها وأول سورة بالمدينة على القول بأنها مدنية أو أول سورة بعد اقرأ والمدثر فيكون أوليتها أيضاً إضافية ويؤيده قوله (وذلك) أي نزول المدثر (قبل أن تفرض الصلاة) أي مطلق الصلاة المتوقف صحتها أو كمالها على قراءة الفاتحة والله أعلم (متفق عليه)

(باب علامات النبوة)

(الفصل الأول) (عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان) بكسر الغين أي الصبيان (فأخذه فصرعه) أي فطرحه وألقاه على قفاه (فشق عن قلبه) أي عن جانب قلبه وشقه (فاستخرج) وفي جامع الأصول واستخرجه فاستخرج (منه علقة) بفتحتين أي دماً غليظاً وهو أم المفاسد والمعاصي في القلب (فقال هذا حظ الشيطان منك) أي نصيبه لو دام معك (ثم غسله) أي قلبه أو جوفه أو محل شقه (في طست) بفتح الطاء ويكسر وبسين مهملة وتاؤه بدل من السين الأخيرة قال ابن الملك في شرح المشارق الطست بفتح الطاء وفيها لغات طس وطاس وطست وطسة وطسة بالفتح والكسر في جميعها وقوله (من ذهب) لعله اختير له فيه من معنى الذهاب ولا ينافيه حرمة استعماله في الشريعة المطهرة إما لكون الملائكة غير مكلفين بأفعالنا أو لوقوعه قبل تقرير الأحكام (بماء زمزم) استدل به على أنه أفضل مياه العالم حتى ماء الكوثر لكن الماء الذي نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فلا شك أنه أفضل المياه على الإطلاق لكونه من أثر يده الشريفة وماء زمزم من أثر قدم إسمعيل المنيفة وبون بين بينهما ولأن الإعجاز الكائن في يده صلى الله عليه وسلم أبلغ نعم قد يقال ما فيه المبارك أكمل من الكل ولو مزج بماء غيره وأما العارف بن الفارض أشار إليه بقوله

عليك بها صرفاً وإن شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(ثم لأمه) بلام فهمزة أي أصلح موضع شقه (وأعاده) أي القلب لحرج على ما يدل عليه رواية الجامع السابقة (في مكانه) ولولا ما لتق الجمع فلا ينافيه أن الالتئام بعد الإعادة قال التوربشتي يقول لأمت الجرح والصدع إذا شددته ولتأم يريد أنه سواه وأصلحه (وجاء الغلمان) أي الذين كانوا يلعبون معه في الصحراء (يسعون) أي يسرعون (إلى أمه) أي الرضاعية (يعني) أي يريد أنس بأمه (ظئره) أي مرضعته حليمة (فقالوا إن محمداً قد قتل) لأن تصور حياته بعد شق البطن ومعالجاته من خوارق العادة وعلامة النبوة (فاستقبلوه) أي توجه جمع من قومها إليه ورأوه (وهو منتقع اللون) بفتح القاف أي متغيره ففي القاموس انتقع لونه مجهولاً إذا تغير وقال التوربشتي يقال انتقع لونه إذا تغير من حزن أو فزع وكذلك امتقع بالميم وهذا الحديث وأمثاله مما يجب فيه التسليم ولا يتعرض له بتأويل من طريق المجاز لا ضرورة في ذلك إذ هو خبر صادق مصدوق عن

فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ونظرت عن خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فرأيت شيئاً فأتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا على ماء بارداً فنزلت يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر قال وذلك قبل أن تفرض الصلاة متفق عليه

(باب علامات النبوة)

(الفصل الأول) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه وأعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره فقالوا إن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون

قدرة القادر اهـ وزبدة ما قيل فيه انه صار بهذا مقدس القلب منوّره ليستعد لقبول الوحي ولا يتطرق اليه هواجس النفس ويقطع طمع الشيطان عن اغفاله كما يشير اليه قوله هذا حظ الشيطان منك (قال أنس فكنت أرى أثر المخيط) بكسر الميم أي الابرة (في صدره) ولعل مرامهم ان أمر الشق كان حسياً لا معنوياً واختلف هل كان شق الصدر وغسله مختصاً به أو وقع لغيره من الانبياء أيضاً وقد وقع الشق له صلى الله عليه وسلم مراراً فعند حليمة وهو ابن عشر ثم عنده ما جاءه جبريل عليه السلام له بغار حراء ثم في المعراج ليلة الاسراء (رواه مسلم) وكذا النسائي (وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجراً بمكة كان يسلم علي) أي ويقول السلام عليك يا نبي الله كما ورد في رواية (قبل ان أبعث) قيل انه الحجر الاسود كذا في بعض حواشي الشفاء ويمكن ان يكون الحجر المتكلم المعروف بزقاق الحجر بين المسجد وبين بيت خديجة رضي الله عنها (اني لاعرفه الآن) تقرير لقوله اني لاعرف واستحضار له كانه يسمع كلامه الآن هذا خلاصة كلام الطيبي ويمكن ان يكون التقدير اني لاعرفه الآن بالوصف المذكور فانه ينبغي وجوده بالاولى من الحالة الاولى فقد ورد عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وفيه ايماء الى انه مبعوث الى كافة الخلق كما بينته في شرح كلام شيخنا جمال الدين محمد البكري عند قوله خليفتك على كافة خليقتك (رواه مسلم) وكذا الامام أحمد في مسنده والترمذي في جامعه (وعن أنس رضي الله عنه قال ان أهل مكة) أي كفارهم (سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم) أي يظهر (لهم آية) أي علامة دالة على نبوته ورسالته (فأراهم القمر شقتين) بكسر فتشديد أي قطعتين مفصولتين (حتى رأوا حراء بينهما) بان كانت شقة فوق الجبل وشقة دونه كما سيأتي (متفق عليه وعن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله) أي في زمانه صلى الله عليه وسلم (فرقتين) أي قطعتين متفارقتين (فرقة فوق الجبل) أي جبل حراء (وفرقة دونه) والمراد انهما تباينتا فاحداهما الى جهة العلو والاخرى الى السفل (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا) أي على نبوتي أو معجزتي من الشهادة وقيل معناه احضروا وانظروا من الشهود (متفق عليه) قال الزجاج زعم قوم عدلوا عن القصد وما عليه أهل العلم ان تأويله ان القمر ينشق يوم القيامة والامر بين في اللفظ بقوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فكيف يكون هذا يوم القيامة وقوله سحر مستمر أي مطرد يدل على انهم رأوا قبله آيات اخر مترادفة ومعجزات سابقة وقال الامام فخر الدين الرازي انما ذهب المنكر الى ما ذهب لان الانشقاق أمر هائل ولو وقع لعم وجه الارض وبلغ مبلغ التواتر والجواب ان الموافق قد نقله وبلغ مبلغ التواتر وأما المخالف فربما ذهل أو حسب نحو الخسوف والقرآن أولى دليل وأقوى شاهد وامكانه لا شك فيه أي عقلاً وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه وأما امتناع الخرق والالتئام فحديث اللئام وفي شرح مسلم للنووي قالوا انما هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم متغطون بثيابهم وقل من يتفكر في السماء أو ينظر اليها وفي شرح السنة هذا شيء طلبه قوم خاص على ما حكاه أنس فأراهم ذلك ليلاً وأكثر الناس نيام ومستكنون بالابنية في البراري والصحراء وقد يتفق ان يكونوا مشاغيل في ذلك الوقت وقد يكسف القمر فلا يشعر به كثير من الناس أي مع انه قد يمتد وانما كان ذلك قدر اللحظة التي هي مدرك البصر ولو دامت هذه الآية حتى يشترك فيها العامة والخاصة ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الهلاك فان من سنة الله تعالى في الامم قبلنا ان نبيهم كان اذا اتى بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا أهلكوا كما قال تعالى في المائدة اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين فلم يظهر الله هذه الآية للعامة لهذه الحكمة والله أعلم وأقول وفي نفس القضية اشارة الى ذلك حيث شقة منه فوق الجبل وأخرى دونه ولا شك انه يحجب عن بعض الناس ممن يسكن من وراء الجبل فكيف بسائر أهل الحجاز وبقية الناس مع اختلاف المطالع على ان

قال أنس فكنت أرى أثر المخيط في صدره رواه مسلم وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل ان أبعث اني لاعرفه الآن رواه مسلم وعن أنس قال ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما متفق عليه وعن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا متفق عليه

اراءه المعجزة قوم على ما اقترحوا كناقة صالح لا يستلزم ظهوره لغيرهم (وعن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه) بتشديد الفاء المكسورة من التعفير وهو التمريغ (في التراب) أي هل يصلي ويسجد على التراب (بين أظهركم) فيما بينكم على ان الاظهر مقحمة للاشارة الى وقوعه على وجه الظهور أو الاستناد الى ظهر أحد وحمايته وعنايته قال الطيبي يريد به سجوده على التراب وانما آثر التعفير على السجود تعنتا وعنادا واذلالا وتحقيرا (فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن) أي لادوسن (على رقبته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي فجاءه أبو جهل (وهو يصلي) حال من المفعول والحال من الفاعل قوله (زعم) بفتح العين أي قصد أبو جهل (ليطأ) أي ليضع (رجله على رقبته) قال ابن الملك وفي نسخة بفتح اللام على انه لام تأكيد قلت فالفعل مرفوع حينئذ وفي نسخة زعم بكسر العين ففي القاموس زعم كفرح طمع قال الطيبي زعم وقع حالا من الفاعل بعد الحال من المفعول وزعم بمعنى طمع وأراد قال في أساس البلاغة ومن المجاز زعم فلان في غير مزعم طمع في غير مطمع لان الطامع زاعم ما لم يستيقن (فما فجئهم) بكسر الجيم ويفتح ففي القاموس فجئه كسمع ومنع هجم عليه وأتاه بغتة أي فما أتى قومه فجاءة (منه) أي من النبي صلى الله عليه وسلم أو من اتيانه اليه (الا وهو) أي والحال انه أي أبو جهل (ينكص) بكسر الكاف وبضم أي يرجع (على عقبيه) أي قهقرى (ويتقي بيديه) أي يحذر بهما ويدفع شيأ بسببهما قال الطيبي المستثنى فاعل فجئ أي فما فجئ أصحاب أبي جهل من أمر أبي جهل الا نكوص عقبيه وقد سد الحال ههنا مسد الفاعل وفيه ارخاء عنان الكلام لا للفاقيل كما سدت مسد الخبر في ضربي زيدا قائما وفي الكلام ميل الى المعنى دون اللفظ ويجوز ان يكون الضمير في فجئ راجعا الى أبي جهل وفي منه الى الامر أي فما فجئ أبو جهل أصحابه كائنا من الامر على حال من الاحوال الا على هذه الحال هذا وفي القاموس نكص على عقبيه نكوصا رجع عما كان عليه من خير خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في الاطلاق أو في الشر قلت الحديث يدل على استعماله في الشر وكذا آية فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه ثم صنيع القاموس يشعر انه بضم الكاف في المضارع لكن اتفق القراء على كسره حتى لم يوجد في الشواذ أيضا نعم قال الزجاج يجوز ضم الكاف ذكره الكرماني في قوله تعالى على أعقابكم تنكصون (فقيل له) أي لابي جهل (مالك) أي ما حصل لك من المنع وما وقع لك من الدفع (فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا) بفتح فسكون أي خوفا وأمرا شديدا (وأجنحة) جمع جناح الطائر الملائكة الذين يحفظونه ويؤيده ما ذكره الراوي (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني) أي قرب عندي (لاختطفته الملائكة) أي استلبته بسرعة (عضوا عضوا) والمعنى لاخذ كل ملك عضوا من أعضائه (رواه مسلم وعن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم) أي حاضرا وقاعدا (اذ أتاه رجل فشكا) بالالف وفي نسخة بالياء على انه لغة في الواو كما في القاموس (اليه الفاقة) أي الفقر وشدة الحاجة (ثم أتاه الآخر) وفي نسخة آخر وهو الاظهر (فشكا اليه قطع السبيل) أي بسبب قطاع الطريق أو لقلة الزاد وعدم علف الدواب وطمع أهل البادية وتعرضهم للقافلة (فقال يا عدي هل رأيت الحيرة) بكسر الحاء وهو بلد قديم بظهر الكوفة ومحلة معروفة بنيسابور على ما في النهاية والظاهر ان المراد بها الاول لانه المعروف عند العرب ولذا اقتصر عليه شارح وان كان الثاني أغرب أو أعذب قيل وأجاب عدي ما رأيتها لكن أنبئت عنها أقول ويمكن أن يكون رأيت بمعنى علمت وأن لا يتوقف الكلام على جوابه حيث قال (فان طالت بك حياة فلترين) بفتحات متواليات أي فلتبصرن (الظعينة) أي المرأة المسافرة وقيل لها ذلك لانها تظعن مع الزوج حيثما ظعن أو لانها تحمل على الراحلة اذا ظعنت وقيل الظعينة المرأة في الهودج ثم قيل للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج كذا في النهاية وقال شارح الظعينة المرأة ما دامت في الهودج فاذا لم تكن فيه فليست بظعينة والمراد هنا المرأة سواء كانت في الهودج أو لا أقول كونها في الهودج أبلغ في المعنى المراد على ما يدل عليه قوله (ترتحل من الحيرة) أي وحدها (حتى تطوف بالكعبة

وعن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته فما فجئهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له مالك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا رواه مسلم وعن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه الآخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة

لاتخاف أحدا الا الله) روى أنه قال عدى قلت فى نفسى فأين دعار طيئ (ولئن طالت بك حياة لتفتحن) بصيغة المجهول من الفتح وفى نسخة من باب الافتعال يقال افتتحت واستفتحت طلبت الفتح والمعنى لتؤخذن (كنوز كسرى) أى على وجه الغنيمة قال عدى كسرى بن هرمز قال صلى الله عليه وسلم كسرى بن هرمز وفى القاموس كسرى ويفتح ملك الفرس معرب خسرو أى واسع الملك (ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه) أى مثلا (من ذهب أو فضة) أى من نوعى النقدين يعنى تارة من هذا ومرة من هذا ويحتمل أن تكون أو بمعنى الواو وللشك (يطلب من يقبله) أى واحدا منهما أو مذكر (فلا يجد أحدا يقبله منه) أى لعدم الفقراء فى ذلك الزمان أو لاستغناء قلوبهم والاكتفاء بما عندهم والقناعة فى أيديهم وقيل انما يكون ذلك بعد نزول عيسى عليه السلام ويحتمل أن يكون اشارة الى ما وقع فى زمن عمر بن عبد العزيز بما يصدق الحديث وبذلك جزم البيهقى قيل ولا شك فى رجحان هذا الاحتمال لقوله فى الحديث ولئن طالت بك حياة قلت لاشك فى رجحان الاول لقول عدى الآتى ولئن طالت بكم حياة لترون والحاصل أن قضية الشرطية لا تستلزم الوقوع (وليلقين) عطف على صدر الحديث وقوله (الله) مفعول مقدم قدم للاهتمام وتعظيم المقام وفاعله (أحدكم) وظرفه قوله (يوم يلقاه) وهو يحتمل اعرابين كما لا يخفى فى الضميرين وكذا الحال فى قوله (وليس بينه وبينه ترجمان) فتح أوله وضم الجيم ويضمان ويفتحان كما فى نسخة أى مترجم يترجم له يعنى بل يكون التلقى والكلام بلا واسطة قال صاحب المشارق هو بفتح التاء وضم الجيم وضبطه الاصيلى بضمهما اهـ وفى النهاية الترجمان بالضم والفتح الذى يترجم الكلام أى ينقله من لغة الى أخرى والتاء والنون زائدتان وفى القاموس الترجمان كعنفوان وزعفران وريهقان المفسر للسان وقد ترجمه وعنه والفعل يدل على اصالة التاء وفى المفاتيح هو على وزن زعفران ويجوز بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما والله أعلم (فليقولن) أى الله سبحانه (ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك) بالنصب مشددا ويخفف (فيقول بلى فيقول ألم أعطك مالا وأفضل) بالجزم من الافضال أى ألم أحسن اليك ولم أنعم عليك والاستفهام للتقرير يعنى أعطيتك المال وأنعمت عليك بالكمال ومكنتك من انفاقه والاستمتاع به والصرف على أهل استحقاقه (فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم) لتركه الطاعات (وينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم) لارتكابه السيئات والظاهر انهما كنايتان عن الاحاطة وأن الخلاص منها ليس الا بالمرور عليها كما قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا أى بالاعمال والاحتساب ولذا قال (اتقوا النار ولو بشق تمرة) أى بنصفها أو ببعضها (فمن لم يجد فبكلمة طيبة) أى من الباقيات الصالحات وهى أنواع الاذكار والدعوات أو بكلمة طيبة للسائل قرينة ما قبله وهو الوعد على قصد الوفاء أو الدعاء مع حسن الرجاء وهذا الذى سماه الله تعالى قولا معروفا وقولا ميسورا قال الطيبى فان قلت ما وجه نظم هذا الحديث قلت لما اشتكى الرجل الفاقة والآخر وهو العسر المعنى فى قوله تعالى ان مع العسر يسرا وهو ما كانت الصحابة عليه قبل فتح البلاد أجاب عن السائل فى ضمن بشارة لعدى وغيره من الصحابة باليسر والامن ثم بين أن هذا اليسر والغنى الدنيوى عسر فى الآخرة وندامة الا من وفقه الله تعالى بأن سلطه على انفاقه فيصرفه فى مصارف الخير ونظيره حديث على رضى الله عنه كيف بكم اذا غدا أحدكم فى حلة وراح فى حلة ووضعت بين يديه صحفة الى قوله أنتم اليوم خير منكم يومئذ وقد سبق فى باب تغير الناس (قال عدى فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله) أى كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز) بضم الهاء والميم زاد فى المصابيح الذى فى الابيض قال شارح له أراد القصر الابيض الذى كان بالمدائن يقال له بالفارسية سفيد كوشك (ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال) أى مؤدى ما قال (النبى) وهو الرجل الذى يخرج ملء كفه الخ وقوله (أبو القاسم صلى الله عليه وسلم) بدل أو عطف بيان للنبى وقوله (يخرج ملء كفه) بدل أو بيان لقوله ما قال والمعنى يخرج الرجل كما فى نسخة فهو نقل بالمعنى مختصرا أو لرجل

لاتخاف أحدا الا الله ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد من يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى الا جهنم اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبى أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج ملء كفه

يخرج على ماسبق في الاصل فهو نقل باللفظ مقتصرا (رواه البخاري وعن خباب) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى (ابن الارت) بفتح الهمزة والراء وتشديد الفوقية قال المؤلف يكنى أبا عبد الله التميمي وانما لحقه سبي في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو ممن عذب في الله على اسلامه فصبر نزل الكوفة ومات بها روى عنه جماعة (قال شكونا) أي الكفار (الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة) أي كساء مخططا والمعنى جاعل البردة وسادة له من توسد الشيء جعله تحت رأسه (وقد) وفي نسخة ولقد (لقينا) أي رأينا وحصل لنا (من المشركين) أي من كفار مكة (شدة) أي محنة شديدة (فقلنا ألا تدعو الله) أي لنا على المشركين فانهم يؤذوننا (فقعد وهو محمر وجهه) من احمر بتشديد الراء اذا اشتد حرارته (وقال كان الرجل) اللام للعهد الذهني الذي هو في المعنى نكرة (فيمن قبلكم يحفر له) بصيغة المجهول أي يجعل له حفرة (في الارض) قيد واقعي اتفاقا (فيجعل فيه فيجاء بمنشار) بالنون ويروى بالهمزة وابدالها ياء وهو آلة يشق بها الخشب (فيوضع فوق رأسه فيشق باثنين) أي فيقطع نصفين (فما يصده ذلك) أي فلا يمنعه ذلك العذاب الشديد (عن دينه ويمشط) بصيغة المجهول مخففا والمعنى يشوك (بامشاط الحديد) بفتح الهمزة جمع المشط وهو ما يمشط به الشعر (ما دون لحمه) أي ما تحت لحم ذلك الرجل أو غيره وهو الظاهر (من عظم وعصب) بفتحتين قال الطيبي من بيان لما وفيه مبالغة بان الامشاط لحدتها وقوتها كانت تنفذ من اللحم الى العظم وما يلتصق به من العصب (وما يصده ذلك عن دينه) جملة حالية (والله ليتمن) بفتح الياء وكسر التاء وتشديد الميم أي ليكملن (هذا الامر) أي أمر الدين وفي نسخة بصيغة المجهول وفي أخرى بضم حرف المضارعة وكسر التاء على أن الفاعل هو الله وقوله هذا الامر منصوب على المفعولية وفيه ايماء الى قوله تعالى ليظهره على الدين كله ويأبى الله الا ان يتم نوره (حتى يسير الراكب) أي رجل أو امرأة أو وحده (من صنعاء) بلد باليمن (الى حضرموت) موضع باقصى اليمن وهو بفتح الميم غير منصرف للتركيب والعلمية وقيل اسم قبيلة وقيل موضع حضر فيه صالح عليه السلام فمات فيه وحضر جرجيس فمات فيه ذكره شارح وتبعه ابن الملك وفي القاموس حضرموت وبضم الميم بلد وقبيلة ويقال هذا حضرموت ويضاف فيقال حضرموت بضم الراء وان شئت لا تنون الثاني (لا يخاف الا الله أو الذئب على غنمه) وفي نسخة بالواو وهو يحتمل ان يكون بمعنى أو يكون أو بمعنى الواو للجمع أو للشك وعلى كل تقدير لا يخفى ما فيه من المبالغة في حصول الامن وزوال الخوف فاندفع ما قيل من ان سياق الحديث انما هو للامن من عدوان بعض الناس على بعض كما هو في الجاهلية لا الامن من عدوان الذئب فان ذلك انما يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى عليه السلام (ولكنكم تستعجلون) أي سيزول عذاب المشركين فاصبروا على أمر الدين كما صبر من سبقكم من المؤمنين على أشد من عذابكم لقوة اليقين (رواه البخاري) وكذا أبو داود والنسائي (وعن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان) بكسر الميم وهو ابن خالد وهي خالة أنس نسبا وهي وأمه أم سليم من خالات النبي صلى الله عليه وسلم رضاعا ونسبا قال النووي اتفق العلماء على انها كانت محرما له صلى الله عليه وسلم واختلفوا في كيفية ذلك فقال ابن عبد البر وغيره كانت احدى خالاته من الرضاعة وقال آخرون بل كانت خالة لابيه أو لجده عبد المطلب وكانت أمه من بني النجار وقد سبق ذكر وجه الدخول عليها في حديث أختها أم سليم مع زيادة تحقيق فتذكر (وكانت تحت عبادة بن الصامت) أي زوجته قال المؤلف أسلمت وبايعت وماتت غازية مع زوجها بأرض الروم وقبرها بقبرص روى عنها ابن أختها أنس بن مالك وزوجها عبادة قال ابن عبد البر لا أقف لها على اسم صحيح غير كنيتها وكان موتها في خلافة عثمان (فدخل) أي النبي صلى الله عليه وسلم (عليها يوما فاطعمته ثم جلست تفلي) بكسر اللام مخففة أي تفتش (رأسه) أي شعر رأسه (فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ) أي انتبه بعد نوم كثير (وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك) بضم الياء وكسر الحاء أي أي شيء يحملك على الضحك (يا رسول

رواه البخاري وعن خباب ابن الارت قال شكونا الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلنا ألا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه وقال كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الارض فيجعل فيه فيجاء بمنشار فيوضع فوق رأسه فيشق باثنين فما يصده ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون رواه البخاري وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها يوما فاطعمته ثم جلست تفلي رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت ما يضحكك

يارسول الله قال ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الاسرة أو مثل الملوك على الاسرة فقلت يارسول ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك فقلت يارسول الله ما يضحكك قال ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله كما قال في الاولى فقلت يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من الاولين فركبت أم حرام البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت متفق عليه وعن ابن عباس قال ان ضمادا قدم مكة وكان من أزدشنوأة وكان يرقي من هذا الريح فسمع سفهاء أهل مكة يقولون ان محمدا مجنون فقال لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي قال فلقيه فقال يا محمد اني أرقي من هذا الريح فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد فقال أعد علي كلماتك هؤلاء فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات

الله) فان مثلك لا يضحك بلا سبب من أمر عجب (قال ناس) أي جمع (من أمتي عرضوا على غزاة) أي حال كونهم مجاهدين (في سبيل الله) أي مع الكفار (يركبون ثبج هذا البحر) بفتح مثلثة وموحدة فجيم أي وسطه ومعظمه (ملوكا على الاسرة أو مثل الملوك على الاسرة) الظاهر أنه شك من الراوي وهو اما حال أو صفة مصدر محذوف أي يركبون ملوكا على الاسرة أو ركوبا مثل ركوب الملوك على الاسرة قال الطيبي شبه ثبج البحر بظهر الارض والسفينة بالسرير وجعل الجلوس عليها مشابها لجلوس الملوك على اسرتهم ايذانا بأنهم يبذلون لانفسهم ويرتكبون هذا الامر العظيم مع وفور نشاطهم وتمكنهم من مناهم كالملوك على اسرتهم وفي شرح مسلم قيل هو صفة لهم في الآخرة اذا دخلوا الجنة والاصح انه صفة لهم في الدنيا أي يركبون مراكب الملوك لسعة حالهم واستقامة أمرهم وكثرة عددهم اه وفيه اشعار بان الحال مقدرة على المعنيين بخلاف ما قرره الطيبي فانها حينئذ محققة (فقلت يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها) فيه التفات أو تجريد أو نقل بالمعنى أو من كلام أنس (ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك فقلت يارسول الله ما يضحكك) أي الآن (قال ناس من أمتي عرضوا على غزاة في سبيل الله كما قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (في الاولى) أي في المقالة الاولى وهو من كلام الراوي اختصارا (فقلت) أي ثانيا (يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت من الاولين) فيه ايماء الى ان مرتبة الاولين فوق مرتبة الآخرين (فركبت أم حرام البحر في زمن معاوية) أي في أيام ولاية معاوية فلا ينافي ما تقدم من ان موتها في خلافة عثمان (فصرعت عن دابتها) بصيغة المجهول أي فسقطت عن ظهر مركبها (حين خرجت من البحر فهلكت) أي ماتت ونظيره قوله تعالى حتى اذا هلك أي مات يوسف (متفق عليه) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي (وعن ابن عباس قال ان ضمادا) بكسر الضاد وبضم وتخفيف الميم ودال في آخره وروي ضماما بميم في آخره (قدم مكة) بكسر الدال أي نزل بها من سفر (وكان من أزدشنوأة) بفتح أوله وضم نون فواو ساكنة فهمزة فهاء قبيلة كبيرة من اليمن والازد قبيلة منها قال ابن الملك هو بضم الضاد المعجمة وكسرها اسم رجل كان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وقال المؤلف هو ضماد بن ثعلبة الازدي كان يتطبب ويطلب العلم أسلم في أول الاسلام (وكان يرقي) بكسر القاف أي يعالج الداء بشيء يقرأ ثم ينفث (من هذا الريح) قال الطيبي الاشارة بهذا الى جنس العلة وذكره باعتبار الجنون قال التوربشتي الاشارة بهذا الى جنس العلة التي كانوا يرونها الريح وكانهم كانوا يرون ان الخبل الذي يصيب الانسان والادواء التي كانوا يرونها من مسة الجن نفحة من نفحات الجن فيسمونها الريح اه وقال أبو موسى الريح هنا بمعنى الجن سموا بها لانهم لا يرون كالريح (فسمع) أي ضماد (سفهاء أهل مكة) أي جهالهم من الكفار (يقولون ان محمدا مجنون فقال لو اني رأيت) أي أبصرت (هذا الرجل) أي بالوصف المذكور لداويته فجواب لو مقدر والاظهر ان لو هذه للتمني كما يشير اليه قوله (لعل الله أن يشفيه على يدي) أي بسببي (قال) أي ابن عباس (فلقيه) أي محمدا (فقال يا محمد اني أرقي من هذا الريح فهل لك) أي رغبة (في ان أرقيك وأخلصك من الجنون فقال صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله) أي ثابت له مختص به سواء حمد أو لم يحمد (نحمده) أي لوجوبه علينا أو لعود نفعه الينا (ونستعينه) أي في جميع أمورنا (من يهده الله) أي الى طريق توحيده وشهود تفريده بمقتضى فضله (فلا مضل له ومن يضلل) أي ومن يضلله عن سواء السبيل بموجب عدله (فلا هادي له وأشهد ان لا اله الا الله وحده) أي منفردا وهو تأكيد لما قبله كقوله (لا شريك له) أو المراد بالاول توحيد الذات وبالثاني تفريد الصفات (وأشهد ان محمدا عبده) أي المختص المكرم (ورسوله) أي المخصوص المعظم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم (أما بعد) أي وأراد ان يخطب له خطبة عظيمة وموعظة جسيمة تعجز عنه البلغاء ويتحير فيه الفصحاء ليعلم العقلاء انه مجنبه من المجانين والسفهاء (فقال أعد على كلماتك هؤلاء) أي المتقدمة الدالة على جزالة الخاتمة (فأعادهن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات) يحتمل ان يكون التثليث بالاولى كما كان له العادة أو بغيرها كما يفيد

فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ولقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايعك على الاسلام قال فبايعه رواه مسلم وفي بعض نسخ المصابيح بلغنا ناعوس البحر وهو تصحيف

حقيقة الاعادة عن زيادة المبالغة في مقام الافادة وتمام الاستفادة (فقال) أي ضماد (لقد سمعت قول الكهنة) بفتحتين جمع كاهن وهو المخبر عن الغيب بعبارات مسجعة واشارات مبدعة (وقول السحرة) جمع ساحر وهو المخيل في العين والذهن من جهة قوله ومن أجل فعله (وقول الشعراء) جمع شاعر وهو المحلي باللسان في كل شان حتى شان مازان وزان ماشان يريدانهم ينسبونك تارة الى الكهانة ومرة الى السحر وأخرى الى الشعر وقد سمعت مقالة أصحابها (فما سمعت) أي منهم (مثل كلماتك هؤلاء) يعني فلو كنت منهم لاشبه كلامك كلامهم فاذا كان كلامه أبلغ من كلام هؤلاء فلا يعد مجنونا الا السفهاء ثم انهم كانوا يرون الكهان والسحرة والشعراء أهل البلاغة والمتصرفين في القول على أي أسلوب شاؤا فاشار بقوله هذا الى الاعجاز أي جاوز كلامك حد البلاغة وحاصله انه صلى الله عليه وسلم قابل كلام ضماد بما تقدم ليظهر له كمل عقله وتبين جهل أعدائه وقال الطيبي طابق هذا القول منه صلى الله عليه وسلم قول ضماد من انه لما سمع من سفهاء أهل مكة ان محمدا مجنون اعتقد انه كذلك فقال هل لك رغبة في الخلاص كأنه صلى الله عليه وسلم ما التفت الى قوله ذلك وأرشده الى الحق البحت والصدق المحض أي اني لست بمجنون أتكلم كلام المجانين بل كلامي نحو هذا وأمثاله فتفكر فيه فهل ينطق المجنون بمثل هذه الكلمات ونحوه قوله تعالى ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين أي انهم جننوه لاجل القرآن وما هو الا ذكر وموعظة للعالمين وكيف يجنن من جاء بمثله قلت بل المجنون من غفل عن ذكر الحق واشتغل بكلام الخلق ولذا قال صلى الله عليه وسلم اذكروا الله حتى يقولوا مجنون ثم قال الطيبي والعرب ربما استعملوا هؤلاء في غير العقلاء وقد شهد به التنزيل قال تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وقال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام

(ولقد بلغن) أي هؤلاء الكلمات الجامعات المحيطات بحروف كاللآلي للمنظومات التي يعجز الغواص عن اخراجها وابرازها المأمون فيها الدلالات البينة الى اعجازها من كمال ايجازها (قاموس البحر) أي معظم بحر الكلام ووسط لجة المرام والمعنى بلغت غاية الفصاحة ونهاية البلاغة قال صاحب القاموس القمس الغوص والغمس والقومس معظم ماء البحر كالقاموس والقاموس البحر أو أبعد موضع فيه غورا (هات) بكسر التاء أي اعط (يدك أبايعك) بالجزم جواب الامر (على الاسلام قال) أي ابن عباس (فبايعه) أي النبي عليه السلام (رواه مسلم وفي بعض نسخ المصابيح بلغنا) أي بصيغة المتكلم مع الغير (ناعوس البحر) بالنون والعين وهو تصحيف وتحريف حيث لم يذكر الناعوس في القاموس قال التوربشتي وفي كتاب المصابيح بلغنا وهو خطأ لا سبيل الى تقويمه من طريق المعنى والرواية لم ترد به وناعوس البحر أيضا خطأ وكذلك رواه مسلم في كتابه وغيره من أهل الحديث وقد وهموا فيه والظاهر انه سمع بعض الرواة أخطأ فيه فروى ملحونا وهذا من الالفاظ التي لم تسمع في لغة العرب والصواب فيه قاموس البحر وهو وسطه ومعظمه من القمس وهو الغوص والقماس الغواص وقال الطيبي قوله بلغنا خطأ ان أراد به من حيث الرواية فلا ننكره لانا ما وجدناها في الاصول وان أراد بحسب المعنى فمعناها صحيحة أي قدوه لما الى لجة البحر ومحل اللآلي والدرر فيجب أن نقف عليه ونغوص فيه استخراجا للفوائد والتقاطا للفرائد قلت الشيخ نفى المعنى اللغوي الحقيقي اذ ليس الكلام في المعنى المجازي الذي هو باشارات الصوفية أشبه بتدبر وتنبه قال وأما قوله ناعوس البحر أيضا خطأ فليس بصواب أما رواية فقد قال الشيخ محيي الدين في شرح صحيح مسلم ناعوس البحر ضبطناه بوجهين أشهرهما بالنون والعين وهذا هو الموجود في نسخ بلادنا والثاني قاموس البحر بالقاف والميم وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم قلت هذا ما ينافي قول الشيخ فانه لم ينكر وجود النقل والرواية بل يطعن فيه من حيث اللغة والدراية قال وقال القاضي عياض روى بعضهم ناعوس بالنون والعين وقال شيخنا أبو الحسين ناعوس البحر بمعنى قاموسه قلت وهذا يفيد ان القاموس هو الاشهر والاكثر واعماله

الناعوس فى روايته ولكونه لا يستقيم فى المعنى حمل على انه بمعنى القاموس وان لم يسمع فى كلام العرب قال وفى النهاية قال أبو موسى ناعوس البحر كذا وقع فى صحيح مسلم وفى سائر الروايات قاموس البحر وهو وسطه ولجته ولعله لم يجود كتبته فصحفه بعضهم وليست هذه اللفظة أصلا فى مسند اسحق بن راهويه الذى روى عنه مسلم هذا الحديث غير انه قرنه بابى موسى وروايته فلعلها فيها قال وانما أورد نحو هذه الالفاظ لان الانسان اذا طلبه ولم يجده فى شىء من الكتب فتحير فاذا نظر فى كتابنا عرف أصله ومعناه قلت وهذا كله يؤيد الشيخ فيما قرره ويؤكد ما حرره من جهة عدم صحة ما يتعلق به من الرواية قال الطيبى وأما دراية فقال القاضى ناصر الدين ناعوس البحر معظمه ولجته الذى يغاص فيه بالاخراج اللآلى من نعس اذا نام لان الماء من كثرته لا تظهر حركته فكأنه نائم قلت ثبت العرش ثم انقش الفرش وان تحقيق الرواية مقدم على تدقيق الدراية مع أن هذا ليس معناه اللغوى بل تكلف وتعسف فى تصحيحه بالمعنى المجازى فانى يقاوم قول الشيخ وهذا من الالفاظ التى لم تسمع فى لغة العرب وأغرب الطيبى حيث قال ومن الجائز أن يكون الناعوس حقيقة فى القاموس وكانت لغة غريبة تخفى مكانها فلم تنقل نقلا فاشيا اهـ ولا يخفى انه ان فتحنا باب الامكان انسد طريق التحقيق فى كل مكان والله المستعان (وذكر حديثا أبى هريرة وجابر بن سمرة) باضافة الحديثين الى الراويين لفا ونشرا مرتبا والتقدير أحدهما (يهلك كسرى) أى الخ (والآخر لتفتحن عصابة) أى الحديث (فى باب الملاحم) متعلق بذكر ووجهه مرارا قرر وكذا حرر توجيه قوله (وهذا الباب خال عن الفصل الثانى)

(الفصل الثالث) (عن ابن عباس قال حدثنى أبو سفيان بن حرب) بضم السين وجوز تثليثه واسمه صخر بمهملة فمعجمة ولد قبل الفيل بعشر سنين وأسلم ليلة الفتح وشهد الطائف وحنينا وفقئت عينه فى الاولى والاخرى يوم اليرموك توفى بالمدينة وصلى عليه عثمان رضى الله عنهما (من فيه الى فى) من الابتداء أى الحديث الذى أرويه انتقل من فيه الى فى ولم يكن بيننا واسطة كذا ذكره الطيبى والاظهر أن معناه لم يكن أحد حاضرا غيرى معه كما يدل عليه حدثنى وكذا قوله فى فانه لو كان أحد غيره لجاز أن يرويه فلا يكون التحديث منحصرا من فمه الى فمى فقط (قال) أى أبو سفيان (انطلقت) أى سافرت (فى المدة) أى فى مدة الصلح (التى كانت بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعنى صلح الحديبية ذكره النووى وكان سنة ست ومدتها عشر سنين لكنهم نقضوا العهد بقتل بعض خزاعة من حلفائه صلى الله عليه وسلم فغزاهم سنة ثمان وفتح مكة (قال) أى أبو سفيان (فبينا أنا بالشام) أى من أهل الشام (اذ جىء بكتاب من النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل) بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف وهذا هو المشهور على ما فى شرح مسلم وفى نسخة بكسر الهاء والقاف وسكون الراء وهو غير منصرف للعجمة والعلمية وهو ملك الروم ولقبه قيصر وهو أول من ضرب الدنانير وأول من أحدث البيعة على ما فى القاموس (قال) أى أبو سفيان (وكان دحية الكلبى) بكسر الدال ويفتح (جاء به) أى بالكتاب (فدفعه الى عظيم بصرى) أى أميرها وهى بضم الموحدة مقصورة قرية بين المدينة ودمشق الشام (فدفعه عظيم بصرى الى هرقل فقال هرقل هل ههنا) أى فى أرض الشام (أحد من قوم هذا الرجل الذى يزعم انه نبى) يعنى لكى نسأل عن وصفه فيتبين لنا صدقه من كذبه (قالوا) أى بعض خدمه وحشمه (نعم فدعيت فى نفر) أى مع نفر من قريش وكانوا ثلاثين رجلا وقيل المغيرة بن شعبة منهم وفيه نظر لسبق اسلامه لانه أسلم عام الخندق فيبعد أن يكون حاضرا وسكت مع كونه مسلما قلت وقد يقال انه لم يذكر فيه ما ينافى سكوته (فدخلنا على هرقل فاجلسنا) بصيغة المفعول وفى نسخة على بناء الفاعل أى أمر هرقل بجلوسنا (بين يديه) أى قدامه ليسمع كلامنا ونسمع كلامه (فقال أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذى يزعم انه نبى) قال العلماء وانما سأل قريب النسب لانه أعلم بحاله وأبعد من أن يكذب فى حقه (قال أبو سفيان فقلت أنا) أى أقرب نسبا منه (فاجلسونى بين يديه) أى وحدى (واجلسوا أصحابى خلفى) وانما أجلسهم خلفه ليكون أعون عليهم فى تكذيبه ان كذب ولا يستحيوا منه أو لم يمكن لهم أن يشيروا اليه ويدلوا عليه بما هنالك

وذكر حديثا أبى هريرة وجابر بن سمرة يهلك كسرى والآخر لتفتحن عصابة فى باب الملاحم وهذا الباب خال عن الفصل الثانى

(الفصل الثالث) عن ابن عباس قال حدثنى أبو سفيان بن حرب من فيه الى فى قال انطلقت فى المدة التى كانت بينى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبينا أنا بالشام اذ جىء بكتاب من النبى صلى الله عليه وسلم الى هرقل قال وكان دحية الكلبى جاء به فدفعه الى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصرى الى هرقل فقال هرقل هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذى يزعم انه نبى قالوا نعم فدعيت فى نفر من قريش فدخلنا على هرقل فاجلسنا بين يديه فقال أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذى يزعم انه نبى قال أبو سفيان فقلت أنا فاجلسونى بين يديه وأجلسوا أصحابى خلفى

اما بابياه بدأو بتحريك رأس ونحو ذلك ولا يبعد انه قصد في تقريبه تعظيمه لكونه أقرب في النسب على ما يقتضيه الادب (ثم دعا بترجمانه) بفتح التاء وضم الجيم وبضمهما ولتح أفصح وسبق انه يجوز فتحهما وهو المعبر عن لغة بلغة أخرى ثم الباء زائدة والتقدير دعا أحدا باحضار ترجمانه (لحضر فقال قل لهم) أى لاصحاب أبي سفيان (انى سائل هذا) وفي نسخة بالاضافة والمعنى انى أريد ان أسأل أبا سفيان (عن هذا الرجل الذى يزعم انه نبي) أى عن وصفه (فان كذبني) بتخفيف الذال أى فان تكلم بالكذب لى (فكذبوه) بالتشديد أى فانسبوه الى الكذب ولا تسكتوا على الباطل وأعلموني بالحق (قال أبو سفيان وأيم الله) بهمزة وصل ويقطع وبضم ميم وتخفيفه تقدم وهو قسم (لولا مخافة أن يؤثر) بصيغة المجهول أى يروى (على الكذب) بفتح وكسر وفي نسخة بكسر فسكون والمعنى لولا خوف أن ينقلوا عنى الكذب الى قومى ويتحدثوا به (لكذبته) أى لكذبت عليه لبغضى اياه قال الطيبي وانما عداه بعلى لتضمن معنى المضرة أى كذب يكون على لا لى وفي هذا بيان ان الكذب قبيح في الجاهلية كما هو قبيح في الاسلام أقول الظاهر ان معناه لولا مخافة أن يكذبني هؤلاء الذين معي لكذبته في تكذيبه في بعض كلامى لحصول مرامى (ثم قال لترجمانه سله كيف حسبه فيكم) الحسب ما يعده الانسان من مفاخر آبائه ذكره الجوهرى فهو أعم من النسب ولذا عدل عنه اليه قيل وفي البخارى كيف نسبه فيكم وفي جامع الاصول كيف حسبه (قال قلت هو فينا ذو حسب) أى عظيم فان رسول الله هو محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وأبا أبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وليس في الدهر يومئذ أحد من بنى عبد مناف غيرى (قال فهل كان من آبائه) أى بعض اجداده واسلافه وفي نسخة في آبائه أى في جملتهم (من ملك) أى من سلطان وفي نسخة من موصولة وملك بصيغة الماضى أى من كان ملكا قال بعض المحققين هو هكذا بحرف الجر وملك صفة مشبهة وهو رواية كريمة والاصيلي وأبي الوقت وابن عساكر في نسخة وأبوذر عن الكشميهني من ملك على ان من موصولة وملك فعل ماض ولابي ذر كما في الفتح من آبائه ملك باسقاط من والاول أشهر (قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه) بتشديد التاء الثانية أى تنسبونه الى التهمة (بالكذب) أى بايقاعه (قبل أن يقول ما قال) أى من دعوى النبوة (قلت لا قال ومن) بالواو (يتبعه) بسكون التاء وفتح الباء وفي نسخة بتشديد الفوقية وكسر الموحدة (أشراف الناس) أى اشرافهم (أم ضعفاؤهم) قال الطيبي وفي الحميدى وجامع الاصول فهل يتبعه وأم ههنا متصلة وفي وقوعها قرينة لهل اشكال لان هل تستدعى السؤال عن حصول الجملة وأم المتصلة تستدعى حصولها لان السؤال بها عن تعيين أحد المتساويين مسندا او مسندا اليه والظاهر ما في صحيح مسلم وشرحه والمشكاة فمن تبعه فتكون همزة الاستفهام مقدرة في قوله أشراف الناس فسأل أولا مجملا ثم سأل ثانيا مفصلا (قال قلت بل ضعفاؤهم) المراد بالاشراف أهل النخوة والتكبر لا كل شريف والا لورد مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ممن أسلم قبل سؤال هرقل كذا ذكره بعضهم وتعقبه العينى بان العمرين وحمزة كانوا من أهل النخوة فقول أبي سفيان جرى على الغالب (قال أيزيدون) أى بزيادة أمثالهم (أم ينقصون) أى برجوع بعضهم الى أدبارهم او بموت بعضهم من غير بدلهم لكسرهم (قلت لا) أى لا ينقصون أبدا (بل يزيدون) أى دائما (قال هل يرتد) أى يرجع (أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه) أى بطيب نفسه (سخطة) بفتح السين وبضم وسكون الخاء المعجمة أى كراهة وتسببا (له) أى لدينه وهى مفعول له وخرج به من ارتد مكرها أو لحظ نفسانى (قال قلت لا قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه قال قلت تكون) بالتأنيث ويذكر (الحرب) أى المحاربة (بيننا وبينه سجالا) بكسر اوله أى مساجلة ومداولة (يصيب منا ونصيب منه) أى هو يناله مرة لغلبته ونحن ننال منه أخرى لغلبتنا وهو تفسير لقوله سجالا وقد قال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وقال الشاعر

فيوما علينا ويوما لنا ✱ ويوما نساء ويوما نسر

ثم دعا بترجمانه فقال قل لهم انى سائل هذا عن هذا الرجل الذى يزعم انه نبى فان كذبنى فكذبوه قال أبو سفيان وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر على الكذب لكذبته ثم قال لترجمانه سله كيف حسبه فيكم قال قلت هو فينا ذو حسب قال فهل كان من آبائه من ملك قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال قلت لا قال ومن يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم قال قلت بل ضعفاؤهم قال أيزيدون أم ينقصون قال قلت لا بل يزيدون قال هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له قال قلت لا قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه قال قلت تكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه

قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه فى هذه المدة لاندرى ماهو صانع فيها قال والله ماأمكننى من كلمة أدخل فيها شيأ غير هذه قال فهل قال هذا القول أحد قبله قلت لا ثم قال لترجمانه قل له انى سألتك عن حسبه فيكم فزعمت انه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث فى احساب قومها وسألتك هل كان فى آبائه ملك فزعمت ان لا فقلت لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه وسألتك عن اتباعه اضعفاؤهم أم أشرافهم فقلت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له فزعمت ان لا وكذلك الايمان اذا خالط بشاشته القلوب

قال الطيبى وأصله من السجل الذى هو الدلو لان لكل واحد من الواردين دلوا مثل ما للآخر وأكل واحد منهم نوبة فى الاستقاء ومعناه ان الحرب دول تارة له وتارة عليه وقال غيره السجال جمع سجل وهو الدلو الكبير والحرب اسم جنس فصح الاخبار عنه بالجمع وفيه تشبيه بليغ أى الحرب نوب نوبة لنا ونوبة له فقد وقعت المقاتلة بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم قبل هذه القصة فى ثلاث مواطن بدر واحد والخندق فأصاب المسلمون من المشركين فى بدر وعكس فى أحد وأصيب من الطائفتين ناس قليل فى الخندق فصدق أبو سفيان فى كلامه بدلالة على انه لا يلزم منها التساوى (قال فهل يغدر) بكسر الدال من الغدر وهو نقض العهد وخلاف الوعد (قلت لا) أى ماوقع منه غدر فيما مضى (ونحن منه) أى على خطر (فى هذه المدة) أى مدة الهدنة والصلح الذى جرى يوم الحديبية (لاندرى ماهو) أى النبى أو الله تعالى (صانع فيها) أى أيغدر فى مدة هذا الصلح أم لا (قال) أى أبو سفيان (والله ماأمكننى من كلمة) أى ماقدرت على كلمة والمراد بها جملة مفيدة (أدخل فيها) أى فى أثنائها كلماتى (شيأ) أى مما يطعن فيه فى الجملة (غير هذه) أى غير هذه الجملة التى فيها يجوز احتمال الغدرة فى مدة الهدنة (قال فهل قال هذا القول) أى من أمر النبوة ودعوى الرسالة (أحد قبله) أى ممن سبقه من غير الانبياء المعروفين كابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى عليهم السلام (قلت لا ثم قال) أى بعد مافرغ من الاسئلة الدالة على النبوة والرسالة وأراد ان يشرع فى تبيين توجيهاتها من جهة المنقول والمعقول والعرف والعادة قال (لترجمانه قل له انى سألتك عن حسبه فيكم فزعمت) أى فاجبت (انه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث فى احساب قومها) أى توقع بعثتهم فى احساب أقوامهم فتعديته بفى لتضمين معنى الايقاع ويمكن ان يكون فى بمعنى من على ماجوزه صاحب القاموس والمغنى وهو ظاهر جدا يغنى عما تكلف له الطيبى لقوله هو من باب التجريد أى يبعث وذو حسب وهو هو كقولك فى البيضة عشرون رطلا وهى فى نفسها هذا المقدار قيل والحكمة فى ذلك انه أبعد من انتحاله الباطل وأقرب الى انقياد الناس له ولا يخفى ان هذا القول انما يستفاد من النقل ويساعده العقل (وسألتك هل كان فى آبائه ملك) أى فى جملتهم أحد من الملوك ولو روى بضم الميم لكان له وجه (فزعمت ان لا فقلت) أى فى نفسى بمقتضى رأيى (لو كان من آبائه ملك) أى لو كان ظهر منهم سلطان (قلت رجل يطلب ملك آبائه) أى سلطنتهم وهذا دليل عقلى لا يخالفه نقل (وسألتك عن اتباعه أضعفاؤهم) أى أفقراء الناس وأهل خمولهم (أم أشرافهم) أى أغنياؤهم وأهل خيولهم (فقلت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل) أى ابتداء كما هو المشاهد فى اتباع العلماء والاولياء قال النووى وأما قوله ان الضعفاء هم اتباع الرسل فلكون الاشراف يأنفون من تقدم مثلهم عليهم والضعفاء لا يأنفون فيسرعون الى الانقياد واتباع الحق (وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا فعرفت انه لم يكن ليدع) اللام لام الجحود أى ليترك (الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله) أى فان من المعلوم عند كل أحد ان الكذب على الله أقبح وأشد ولذا قال تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا (وسألتك هل يرتد أحد عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له فزعمت ان لا وكذلك) بالواو والظاهر ان يقال فكذلك أى لا يخرج ولا يرجع (الايمان اذا خالط بشاشته) بفتح الموحدة أى أنسه وفرحه (القلوب) أى فان من دخل على بصيرة فى أمر محقق لا يرجع عنه بخلاف من دخل فى الاباطيل ذكره النووى وقد عبر صلى الله عليه وسلم عن البشاشة تارة بالطعم وأخرى بالحلاوة فان من ذاق لذة شئ أحبه لا محالة ومن لم يذق لم يعرف ومن مشرب العارفين لم يغرف ولذا قال بعض المشايخ انما رجع من رجع من الطريق يعنى فمن وصل مع الطريق الى الرفيق فهو كالرفيق فى الامن الداخل فى البيت العتيق وقد قال شيخ مشايخنا أبو الحسن البكرى قدس الله سره لسرى الايمان اذا دخل القلب أمن السلب قلت ولعل الاشارة الى هذا المعنى والدلالة على هذا المبنى فى قوله سبحانه وتعالى فمن يكفر بالطاغوت أى بما سوى الله ويؤمن

بالله

بالله أى حق الايمان فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها أى لا انقطاع ولا انفصال ولا اتحاد ولا اتصال (وسألتك هل يزيدون أم ينقصون) ولعله ترك الواسطة وهى المساواة للاشارة الى ان من لم يكن فى الزيادة فهو فى النقصان لان التوقف منفى فى طور الانسان (فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان) أى يزيد بنفسه وأهله (حتى يتم) أى يكمل بالامور المعتبرة فيه من صلاة وزكاة وصيام وغيرها ولذا نزل فى آخر عمره صلى الله عليه وسلم اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى انجازا لما وعده سبحانه بقوله يريدون ان يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ونحن بحمد الله الى الآن بعد مضى الالف من الزمان فى زيادة الايمان تحت أشعة أنواره وفى بركة لمعات أسراره المستفادة من أخباره والمستفاضة من آثاره (وسألتك هل قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه) أى يصيب منكم وتصيبون منه (وكذلك الرسل تبتلى) وفيه ايماء الى ان الدار دار ابتلاء ولذا قال بعض العارفين مادمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار وقد قال تعالى وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفسر البلاء بالمحنة والمنحة فهو من الاضداد الخاص للاولياء والغالب ان البلاء لاهل الولاء كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله أشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء (ثم تكون لها) أى للرسل واتباعها (العاقبة) أى المحمودة قال تعالى والعاقبة للتقوى والآخرة خير وأبقى قال النووى يعنى نبتليهم فى ذلك ليعظم أجرهم بكثرة صبرهم وبذل وسعهم فى طاعة الله (وسألتك هل يغدر فزعمت انه) أى النبى أو الشان (لا يغدر) يعنى والاصل بقاء الشئ على ما هو عليه كما هو مقرر فى مسألة الاستصحاب ولهذا أعرض عن الجملة المدخولة المعلولة (وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله فزعمت ان لا فقلت لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم) أى هو رجل اقتدى (بقول قيل قبله قال) أى أبو سفيان (ثم قال بما يأمركم) بصيغة الجمع تغليبا أو التفاتا ولذا عدل عن قوله قلت الى قوله (قلنا يأمرنا بالصلاة والزكاة) أى بالعبادة المالية والبدنية (والصلة) أى صلة الرحم وكل ما أمر الله به ان يوصل (والعفاف) بفتح العين أى الكف عن المحارم وكل ما يخالف المكارم (قال ان يك ما تقول حقا فانه نبي) فى شرح مسلم قال العلماء قوله ان يك ما تقول حقا فانه نبي أخذه من الكتب القديمة ففى التوراة هذا ونحوه من علامات رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفه بالعلامات وأما الدليل القاطع على النبوة فهو المعجزة الظاهرة الخارقة للعادة وهكذا قاله المازرى وقال الشيخ أكمل الدين ومع هذا لم يؤمن ولم ينتفع بتلك المعرفة فانه هو الذى جيش الجيوش على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلهم ولم يتصرف فى تجهيز الجيش عليهم من الروم وغيره كرة بعد كرة فيهزمهم الله ويهلكهم ولم يرجع اليه منهم الاقلهم واستمر على ذلك الى ان مات وقد فتح أكثر بلاد الشام ثم ولى بعده ولده وبهلاكه هلكت المملكة الرومية ذات بنى الرومية الجاهلية ثم انقلبت لهم المملكة الاسلامية بالغلبة والشوكة الايمانية حتى أقامهم الله لمقاتلة الطائفة النصرانية ولمقابلة الرافضة الكفرانية وقاموا بخدمة الحرمين الشريفين من عمارتهما وخيراتهما ومبراتهما فى البلدين المنيفين وارسال أمراء الحاج من كل فج عميق لامن الطريق الواصل الى البيت العتيق مع ما فيهم من تعظيم الشريعة وتكريم العلماء واحترام المشايخ والاولياء فجزاهم الله أحسن الجزاء ونصرهم على جميع الاعداء الى يوم الجزاء هذا ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ولا حول ولا قوة الا بالله فما عقله لو عقل أكمله لكن ما ساعده لعدم السعادة الازلية ووجود الشقاوة الابدية والسبب فى ذلك طمع الرياسة وظهور الكمال والميل الى وصول المال وحصول المنال والغفلة عن المآل وما يؤدى الى النكال ولذا قال (وقد كنت أعلم) أى علما يقينا (انه) أى النبى عليه السلام (خارج) أى ظاهر فى آخر الزمان (ولم أك أظنه منكم) أى من نسل اسماعيل وهو أبو العرب بل كنت أظنه انه منا معشر بنى اسحق فان أكثر الانبياء بعد ابراهيم

وسألتك هل يزيدون أم ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه فيكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة وسألتك هل يغدر فزعمت انه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله فزعمت ان لا فقلت لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم بقول قيل قبله قال ثم قال بما يأمركم قلنا يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف قال ان يك ما تقول حقا فانه نبي وقد كنت أعلم انه خارج ولكن لم أك أظنه منكم

عليه السلام منهم وهذه حجة واضحة وبلاغة بالغة من الفاضل لا يعمى من الحق شيئا وما يتبع أكثرهم الا ظنا والحق أحق أن يتبع (ولو أنى أعلم أنى أخلص) بضم اللام أى أصل (اليه) أى الى خدمته ودولته وحضرة رتبته (لاحببت لقاءه) أى دولة لاذته وسعادة متابعته (ولو كنت عنده) أى ولو صرت فى مقامه ووصلت الى موضع قيامه (لغسلت) أى وجهى (عن قدميه) أى غسلا صادرا عن ماء أقدامه لما أرى له من الثبات على الحق واقدامه أو التقدير غسلت الغبار والوسخ عن قدميه فضلا عن تقبيل يديه (وليبلغن ملكه ما تحت قدمى) بالتشديد للتثنية المنبئة عن المبالغة والتأكيد قال النووى ولا عذر له فى هذا لانه قد عرف صدق النبى صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك ورغب فى الرياسة فآثرها على الاسلام وقد جاء ذلك مصرحا به فى صحيح البخارى ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشى وما زالت عنه الرياسة وقال شيخ مشايخنا الحافظ جلال الدين السيوطى اختلف فى ايمانه والارجح بقاؤه على الكفر ففى مسند أحمد انه كتب من تبوك الى النبى صلى الله عليه وسلم انى مسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم كذب بل هو على نصرانيته قلت ليس فيه نص على موته بالكفر وانما رجح بناء على الاصل (ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه) أى فعظمه وبالغ فى محافظته فصار سببا لبقاء الملك فى ذريته بخلاف كسرى حيث شقه ومزقه فمزق الله ملكه وفرق ولده وأخرج الله عنهم ملكه قال سيف الدين أرسلنى ملك العرب الى ملك الفرنج فى شفاعة فقبلها وعرض على الاقامة عنده فأبيت فقال لاتحفنك بتحفة سنية فأخرج من صندوقه مقلمة من ذهب فأخرج منها كتابا قد زال أكثر حروفه فقال هذا كتاب نبيكم لجدى قيصر ما زلنا نتوارثه الى الآن وقد أوصانا آباؤنا انه ما دام عندنا لا يزول الملك منا فنحن نحفظه ليدوم الملك لنا ذكره أكمل الدين (متفق عليه وقد سبق تمام الحديث) وهو انه كتب اليه (فى باب الكتابة الى الكفار)

(باب فى المعراج)

العروج هو الذهاب فى صعود قال تعالى تعرج الملائكة والروح والمعراج بالكسر شبه السلم مفعال من العروج بمعنى الصعود فكأنه آلة له وقيل بل هو آلة وفرق بينه وبين الاسراء كما بينته فى رسالتى المسماة بالمدراج للمعراج وانما سميت ليلة المعراج لصعود النبى صلى الله عليه وسلم فيها الى السماء وفى شرح السنة قال القاضى عياض اختلف الناس فى الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان جميع ذلك فى المنام والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه أسرى بجسده فى طالعها وبحث عنها فلا يعدل عن ظاهرها الا بدليل ولا استحالة فى حملها عليه فيحتاج الى تأويل وقيل ذلك قبل أن يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الاسراء أقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحربى كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهرى كان ذلك بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة وأشبه هذه الاقوال قول الزهرى وابن اسحق وقد أجمعوا على ان فرض الصلاة كان ليلة الاسراء فكيف يكون هذا قبل ان يوحى اليه وأما قوله فى رواية شريك وهو نائم وفى الرواية الاخرى بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك اليه وليس فى الحديث ما يدل على كونه نائما فى القصة كلها وقال محيى السنة فى المعالم والاكثرون على ذلك قلت ومن القليل من قال بتعدد الاسراء نوما ويقظة وبه يجمع بين الادلة المختلفة قال الطيبى وقد روينا عن البخارى والترمذى عن ابن عباس فى قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس قال هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الى بيت المقدس وفى مسند الامام أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال شئ أريه النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة رآه بعينه ولانه قد أنكرته قريش وارتدت جماعة ممن كانوا أسلموا حين سمعوه

ولو أنى أعلم أنى أخلص اليه لاحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمى ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه متفق عليه وقد سبق تمام الحديث فى باب الكتاب الى الكفار

(باب فى المعراج)

وانما ينكر اذا كانت فى اليقظة فان الرؤيا لا ينكر منها ما هو أبعد من ذلك على ان الحق ان المعراج مرتان مرة بالنوم وأخرى باليقظة قال محيي السنة رؤيا أراه الله قبل الوحي بدليل قول من قال فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه كما انه رأى فتح مكة فى المنام سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان وعن بعض المحققين ان الارواح مأخوذة من أنوار الكمال والجلال وهي بالنسبة الى الابدان بمنزلة قرص الشمس بالنسبة الى هذا العالم وكما ان كل جسم يصل اليه نور الشمس تتبدل ظلماته بالاضواء وكذلك كل عضو وصل اليه نور الروح انقلب حاله من الموت الى الحياة وقالوا الارواح أربعة أقسام الاول الارواح المكدرة بالصفات البشرية وهي أرواح العوام غلبته القوى الحيوانية لا تقبل العروج والثانى الارواح التى لها كمال القوة النظرية باكتساب العلوم وهذه أرواح العلماء والثالث الارواح التى لها كمال القوة المدبرة للبدن باكتساب الاخلاق الحميدة وهذه أرواح المرتاضين اذا كبروا قوى أبدانهم بالارتياض والمجاهدة والرابع الارواح الحاصلة لها كمال القوتين وهذه غاية الارواح البشرية وهي للانبياء والصديقين فلما ازداد قوة أرواحهم ازداد ارتفاع أبدانهم عن الارض ولهذا لما كان الانبياء عليهم السلام قويت فيهم هذه الارواح عرج بهم الى السماء وأكملهم قوة نبينا صلى الله عليه وسلم فعرج به الى قاب قوسين أو أدنى

(الفصل الاول) (عن قتادة) تابعي جليل (عن أنس بن مالك) أى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن مالك بن صعصعة) انصاري مزني مدني سكن البصرة وهو قليل الحديث (ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم) أى الصحابة ومنهم أنس (عن ليلة أسري به) بالاضافة وفى نسخة بالتنوين أى ليلة أسري به فيها قال زين العرب فى شرح المصابيح انها مضافة الى الماضي وفى نسخة وايتي بجرور ومنونة وقال الطيبي يجوز بناء ليلة واعرابها وأسري بصيغة المجهول ايماء الى قوله تعالى سبحان الذى أسري بعبده ليلا والاسراء من السرى وهو السير فى الليل يقال سرى واسرى بمعنى وقيل اسرى سار من أول الليل وسرى من آخره وقيل وهو أقرب فالباء فى به للتعدية وذكر الليل للتجريد أو للتأكيد وفى الآية بالتنكير للتقليل والتعظيم (بينما أنا فى الحطيم) قال القاضي قيل هو الحجر سمي حجرا لانه حجر عنه بحيطانه وحطيما لانه حطم جداره عن مساواة الكعبة وعليه ظاهر قوله بينما أنا فى الحطيم (وربما قال فى الحجر) فلعله صلى الله عليه وسلم حكى لهم قصة المعراج مرات فعبر بالحطيم تارة وبالحجر أخرى وقيل الحطيم غير الحجر وهو ما بين المقام الى الباب وقيل ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر والراوي شك فى أنه سمع فى الحطيم أو فى الحجر انتهى وقال ابن حبيب الحطيم ما بين الركن الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء وقيل كان أهل الجاهلية يتحالفون هنالك ويتحطمون بالايمان كذا ذكره الشارح الاول والله أعلم (مضطجعا) قيد للراوي وهو يحتمل النوم واليقظة (اذ أتاني آت) أى جاءني ملك (فشق) أى قطع (ما بين هذه الى هذه يعني) تفسير من مالك على ما هو الظاهر أى يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله هذا (من ثغرة نحره) بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة أى نقرة نحره التى بين الترقوتين (الى شعرته) بكسر الشين أى عانته وقيل منبت شعرها كذا فى النهاية (فاستخرج قلبي) قال شارح وهذا الشق غير ما كان في زمن الصبا اذ هو لاخراج مادة الهوى من قلبه وهذا للادخال كمال العلم والمعرفة فى قلبه قلت وفيه ايماء الى التخلية والتحلية ومقام الفناء والبقاء ونفي السوى وثبات المولى كما تشير اليه الكلمة العليا ثم اعلم ان هذا معجزة فان من المحال العادي أن يعيش من ينشق بطنه ويستخرج قلبه وكأن بعضهم حملوها على المعاني المجازية ولذا قال التوربشتي ما ذكر فى الحديث من شق النحر واستخراج القلب وما يجري مجراه فان السبيل فى ذلك التسليم دون التعرض بصرفه من وجه الى وجه بمقول متكلف ادعاء للتوفيق بين المنقول والمعقول هربا مما يتوهم أنه محال ونحن بحمد الله لا نرى العدول عن الحقيقة الى المجاز فى خبر الصادق عن الامر لعدم المحال به على القدرة (ثم أتيت بطست) بفتح الطاء

(الفصل الاول) عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به بينما أنا فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا اذ أتاني آت فشق ما بين هذه الى هذه يعني من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست
لما
سى

وتكسر وسينه مهملة في العربية ومعجمة في العجمية (من ذهب) لعل الاستعمال كان قبل التحريم أو القضية من خصوصياته عليه الصلاة والسلام (مملوء) على وزن مفعول بالهمز ويشدد (ايمانا) تمييز قال القاضي لعله من باب التمثيل اذ تمثل له المعاني كما تمثل له ارواح الانبياء الدارجة بالصور التي كانوا عليها قبله الطيبي وفيه أن الارواح أجساد لطيفة على الصحيح من الاقوال الا أن يقال المراد تمثل له الارواح باجسادهم الفانية ولكن فيه ان الله حرم على الارض ان تأكل لحوم الانبياء نعم لو قيل ببقاء أجسادهم المتعلقة بها ارواحهم في عالم الملك وبتمثلها في عالم الملكوت لكان توجيها وجيها وتنبيها نبيها بل هو الظاهر ولا يبعد عن قدرة القاهر وفي شرح مسلم معنى جعل الايمان في الطست جعل شيء فيه يحصل به الايمان فيكون مجازا وقد قال الشارح الاول لا مانع من ارادة الحقيقة أقول والحاصل ان المعاني قد تتجسم كما حقق في وزن الاعمال وذبح كبش الموت ونحوهما (فغسل قلبي ثم حشي) ماض مجهول من الحشو أي ملئ من حب ربي (ثم أعيد) أي القلب الى موضعه الاول على الوجه الاكمل (وفي رواية ثم غسل البطن) أي الجوف مطلقا أو محل القلب فانه بيت الرب (بماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة) أي ايقانا واحسانا فهو تكميل وتذييل (ثم أتيت بدابة) هي تطلق على الذكر والانثى لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والتاء فيها للوحدة فالمعنى بمركوب متوسط (دون البغل) أصغر منه (وفوق الحمار) أي أكبر منه (أبيض) بالنصب على الحال أو الصفة (يقال له البراق) بضم أوله سمي به لبريق لونه أو لسرعة سيره كبرق السحاب ولا منع من الجمع وان كان يؤيد الثاني قوله (يضع خطوه عند أقصى طرفه) بفتح فسكون في كل منهما أي يضع قدمه عند منتهى بصره وغاية نظره قيل الاصح انه كان معد الركوب الانبياء وقيل لكل نبي براق على حدة وهو المناسب لمراتب الاصفياء ففي شرح مسلم قالوا هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء قال الزبيدي في مختصر العين وصاحب التحرير هي دابة كانت الانبياء عليهم السلام يركبونها وهذا الذي قالاه يحتاج الى نقل صحيح قال الطيبي ولعلهم حسبوا ذلك من قوله في حديث آخر فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء أي ربطت البراق ثمة وليس فيه دلالة على تقدير تسليم تقديره لان المراد بالبراق الجنس في الثاني قال وأظهر منه حديث أنس في الفصل الثاني قول جبريل للبراق فما ركبك أحد أكرم على الله منه قلت هو مع ظهوره لا يخفى ما فيه من الاحتمال المانع من صحة الاستدلال اذ يحتمل انه ركبه بعض الملائكة أو جبريل قبله عند نزوله اليه صلى الله عليه وسلم أو التقدير فما ركب مثلك أو جنسك أحد أكرم على الله منه فلا معنى لتنظرك عنه (فحملت عليه) بصيغة المجهول أي ركبت عليه بمعاونة الملك أو باعانة الملك وفيه ايماء الى صعوبته كما سيأتي وجهه (فانطلق بي جبريل حتى أتى باب السماء الدنيا) ظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء وتمسك به من زعم أن المعراج كان في ليلة غير ليلة الاسراء الى بيت المقدس فاما المعراج فعلى غير هذه الرواية من الاخبار أنه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما وقع به مصرحا ذكره العسقلاني أقول الاظهر ان هذا اقتصار من الراوي واجمال لما سبق انه ربط البراق بالحلقة التي يربط بها الانبياء نعم يمكن أن يكون سيره على البراق الى بيت المقدس ثم اسراؤه الى السماء بالمعراج الذي هو السلم والله أعلم فكان الراوي طوى الرواية فاختل به أمر الدراية ثم قيل الحكمة في الاسراء الى بيت المقدس قبل العروج الى السماء اظهار الحق للمعاندين لانه لو عرج به من مكة الى السماء أولا لم يكن سبيل الى ايضاح الحق للمعاندين كما وقع في الاخبار بصفة بيت المقدس وما صادفه في الطريق من العير مع ما في ذلك من حيازة فضيلة الرحيل اليه لانه محل هجرة غالب الانبياء ولما روي ان باب السماء الذي يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس فاسري اليه ليحصل العروج مستويا من غير تعويج ذكره السيوطي (فاستفتح) أي طلب جبريل فتح باب السماء الدنيا (قيل من هذا) أي المستفتح (قال جبريل) بتقديره هو أو أنا قال القاضي مما ضر وفيه أن للسماء ابوابا حقيقة وحفظة موكلين بها وفيه اثبات الاستئذان وانه ينبغي ان يقول

ذهب مملوء ايمانا
[illegible]
فغسل قلبي ثم حشي ثم
أعيد وفي رواية ثم غسل
البطن بماء زمزم ثم ملئ
ايمانا وحكمة ثم أتيت بدابة
دون البغل وفوق الحمار
أبيض يقال له البراق يضع
خطوه عند أقصى طرفه
فحملت عليه فانطلق بي
جبريل حتى أتى السماء
الدنيا فاستفتح قيل من هذا
قال جبريل

أناز يدمثلا يعني لا يكثني بقوله أنا كما هو المتعارف اذ قد ورد به النهي (قيل ومن معك) أي أنت نعرفك ومن معك حتى تستفتح (قال محمد قيل وقد أرسل اليه) الواو للعطف وحرف الاستفهام مقدر أي أطلب وأرسل اليه بالعروج أو بالوحي والاول أشهر وأظهر وعليه الاكثر قال النووي وفي رواية أخرى وقد بعث اليه أي بعث اليه للاسراء وصعود السماء وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى على الملائكة الى هذه المدة وهذا هو الصحيح وقال البيضاوي أي أرسل اليه العروج وقيل معناه أوحي اليه وبعث نبيا والاول أظهر لان أمر نبوته كان مشهورا في الملكوت لا يكاد يخفى على خزان السموات وحراسها وأوفق للاستفتاح والاستئذان ولذلك تكرر معه وتحت هذه الكلمات ونظائرها أسرار يتفطن لها من فتحت بصيرته واشتعلت قريحته قلت ولعل مأخذها وقوفه على جميع الابواب على دأب آداب أرباب الالباب ثم السؤال من وراء الحجاب وكذا الجواب بمرحبا مرحبا بذلك الجناب المشعر بالتنزل الرحماني والاستقبال الصمداني والاقبال الفرداني المشير الى ما قال في الحديث القدسي المعبر عن الكلام النفسي من أتاني يمشي أتيته هرولة ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا المومي الى قوله سبحانه وهو معكم أينما كنتم المصرح بالمعية الخاصة في مقام مزيد المزيد ونحن أقرب اليه من حبل الوريد ثم الوارد على لسانه بلسان الجمع ان الله معنا ثم عرض علو مقامه وحصول مرامه على آبائه الكرام واخوانه العظام في تلك المشاهد الفخام فيالها من ساعة سعادة لا يتصور فوقها زيادة وقيل كان سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه أو للاستبشار بعروجه اليه اذ كان من البين عندهم ان أحدا من البشر لا يترقى الى أسباب السموات من غير ان يأذن الله له ويأمر ملائكته باصعاده فان جبريل لم يصعد بمن لم يرسل اليه ولا يستفتح له أبواب السماء (قال) أي جبريل (نعم) أي ارسل اليه بالتقريب لديه والانعام عليه (قيل مرحبا به) أي أتى الله بالنبي مرحبا أي موضعا واسعا فالباء للتعدية ومرحبا مفعول به والمعنى جاء أهلا وسهلا لقوله (فنعم المجيء) أي مجيئه (جاء) فعل ماض وقع استئناف بيان زمانا أو حالا والمجيء فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف قال الطيبي فيه تقديم وتأخير وحذف المخصوص بالمدح أي جاء فنعم المجيء مجيئه وقيل تقديره نعم المجيء الذي جاءه فحذف الموصول واكتفى بالصلة أو نعم المجيء مجيء جاء فحذف الموصوف واكتفى بالصفة (ففتح) أي باب السماء (فلما خلصت) بفتح اللام أي وصلت اليها ودخلت فيها (فاذا فيها آدم فقال) أي جبريل (هذا أبوك) أي جدك آدم (فسلم عليه) قال التوربشتي أمر بالتسليم على الانبياء لانه كان عابرا عليه وكان في حكم القائم وكانوا في حكم القعود والقائم يسلم على القاعد وان كان أفضل منهم وكيف لا والحديث دل على انه أعلى مرتبة وأقوى حالا وأتم عروجا (فسلمت عليه فرد السلام) أي ردا جميلا وفيه دليل على ان الانبياء احياء حقيقة (ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح) قيل وانما اقتصر الانبياء على هذا الوصف لان الصلاح صفة تشمل جميع خصائل الخير وشمائل الكرم ولذا قيل الصالح من يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق عباده ولذا ورد في الدعاء على السنة الانبياء توفني مسلما وألحقني بالصالحين ويمكن أن يكون المراد به الصالح لهذا المقام العالي والصعود المتعالي (ثم صعد بي) بكسر العين أي طلع بي جبريل والباء للتعدية أو المصاحبة (حتى أتى السماء الثانية) وقد ورد ان بين كل سماء وسماء مسافة خمسمائة عام (فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء) في تكرار هذا السؤال والجواب في كل من الابواب اشعار بانه بسط له الزمان وطوى له المكان واتسع له اللسان وانشرح له الشان في ذلك الآن بعون الرحمن (ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة) جملة معترضة محتملة أن تكون من أصل الحديث وان تكون مدرجة من كلام الراوي هذا وقال ابن الملك في شرح المشارق المرئي كان أرواح الانبياء متشكلة بصورهم التي كانوا عليها الا عيسى فانه مرئي بشخصه وسبقه التوربشتي حيث قال ورؤية الانبياء في السموات وفي بيت المقدس حيث امهم يحمل على رؤية روحانيتهم الممثلة بصورهم التي كانوا عليها غير عيسى

قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة

قال هذا يحيى وهذا عيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من

هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا ادريس فقال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته أكثر ممن يدخلها من أمتي

فان رؤيته محتملة للامرين أو أحدهما قامت وقد قدمنا ان الانبياء لا يموتون كسائر الاحياء بل ينتقلون من دار الفناء الى دار البقاء وقد ورد به الاحاديث والانباء وانهم احياء في قبورهم فانهم أفضل من الشهداء وهم أحياء عند ربهم (قال) أي جبريل (هذا يحيى) قدمه لسبقه في الوجود (وهذا عيسى) ختم به لانه أتم في الشهود وخاتمة أرباب الفضل والجود (فسلم عليهما) أي جملة أو على حدة (فسلمت فردا) أي السلام على بأحسن رد (ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح) لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة ولما سبق في الحديث من أن الانبياء اخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد (والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح) فيه اشعار بان كلا من الانبياء لم يحصل لهم الاستعلاء الا بالاستئذان الملكي والفتح الالهي وان كلا منهم كالملائكة لهم مقام معلوم وحال مفهوم لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم والله أعلم (فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد) أي ردا حسنا (ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء) وهذا التكرير والبيان على وجه التكثير بعد من قبيل

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

(ففتح فلما خلصت فاذا ادريس فقال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح) قال عياض هذا يخالف قول أهل التاريخ ان ادريس كان من آبائه صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون قول ادريس ذلك تلطفا وتأدبا وهو أخ أيضا أو ان كان أبا فان الانبياء اخوة كذا في شرح مسلم (ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح) فيه اشعار بانه لم يفتح باب السماء الا لمن يكون مسبوقا بنعت العلاء ووصف الولاء وأما الاعداء فلا تفتح لهم أبواب السماء حتى يلج الجمل في سم الخياط (فلما خلصت فاذا هرون قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح) فيه تنبيه نبيه على ان من منع له بفتح باب ما منع من باب آخر ولم يقع له حجاب بل يفتح له أبواب الرحمة ثم أبواب الجنة وما أحسن من قال من أرباب الحال

على بابك الاعلى مددت يد الرجا * ومن جاء هذا الباب لا يخشى الردى

(فلما خلصت اذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزت) أي موسى أو مقامه (بكى) أي موسى تأسفا على أمته وشفقة على أهل ملته فانهم قصروا في الطاعة ولم يتبعوه حق المتابعة مع طول مدته وامتداد أيام دعوته فلم ينتفعوا به انتفاع هذه الامة بمحمد صلى الله عليه وسلم مع قلة عمره وقصر زمانه وبهذا يظهر وجه قوله (قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي) فانه لم يرد بذلك استقصار شأنه فان الغلام قد يطلق ويراد به القوي الطري الشاب وهذا بذة كلام التور بشتي وقد حمله بعضهم على الغبطة وفيه نظر ظاهر لاهل الفطنة اللهم الا ان يحمل على التمني فانه قد يتصور في أمر المحال والله أعلم بالحال وقال بعض العلماء لم يكن بكاء موسى عليه السلام حسدا معاذ الله فان الحسد في ذلك العالم منزوع من آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله وهو في عالم الملكوت بل كان آسفا على ما فاته من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لنقص أجره لان لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه وأما قوله غلام فليس على سبيل التنقيص بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه اذ أعطى لمن كان في ذلك السن ما لم يعطه أحدا قبله ممن هو أسن منه وقال العسقلاني ويظهر لي

قال موسى عليه السلام اشارة الى ما انعم الله به على نبينا صلى الله عليه وسلم من استمرار القوة في الكهولة الى ان دخل في أول الشيخوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعترى قوته نقص قال ويمكن ان يكون وجه تسميته غلاما انه حين مروره على الانبياء كان في مدة عمره قليل بالنسبة الى أعمارهم في الدنيا ثم مرور الازمنة عليهم في حال البرزخ وقد يعتبر كونه غلاما لما صدر له لمرتبة العالية في قليل من مدة البعثة النبوية فان المعراج على ما سبق انما كان بعد الوحي بزمان قليل اذ أقصى ما قيل فيه انه قبل الهجرة بسنة فيصدق عليه عمر الغلام بناء على ان قبله ليس من العمر التام والله أعلم بحقيقة المرام (ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء) في اطباق كلهم واتفاق جملتهم على هذا المدح المطلق اشعار بان ألسنة الخلق أقلام الحق وليس هنا في الاصول لفظ ففتح فكأنه سقط من لفظ الراوي أو اكتفاء بما سبق ودلالة عليه بقوله (فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك) أي جدك الاقرب (ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام) وكأن نبينا عليه السلام كان في الاستغراق التام ومشاهدة المرام غافلا عن الانام كما اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله ما زاغ البصر وما طغى حتى احتاج في كل من المقام الى تعليم جبريل بالسلام (ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح) قال الحافظ السيوطي استشكل رؤية الانبياء في السموات مع ان أجسادهم مستقرة في قبورهم وأجيب بان أرواحهم تشكلت بصور أجسادهم أو أحضرت أجسادهم الا انه صلى الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفا له واختلف في حكمة اختصاص من ذكر من الانبياء بالسموات التي لقيه والاشهر انه على حسب تفاوتهم في الدرجات وعن هذا قال ابن أبي جمرة اختصاص آدم بالاولى لانه أول الانبياء وأول الآباء فكان في الاولى أولى وعيسى بالثانية لانه أقرب الانبياء عهدا من نبينا صلى الله عليه وسلم ويليه يوسف لان أمة محمد يدخلون الجنة على صورته وادريس في الرابعة لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا والرابعة من السبع وسط معتدل وهارون في الخامسة لقربه من أخيه وموسى أرفع منه لفضل كلام الله تعالى وابراهيم فوقه لانه أفضل الانبياء بعد نبينا أقول بقي الكلام على سائر الانبياء عليهم السلام ولعلهم كانوا موجودين في السموات بما يناسبهم من المقام ولم يذكر في كل سماء الا واحد من المشاهير الاعلام واكتفى بذكرهم عن بقية الكرام (ثم رفعت الى سدرة المنتهى) وفي نسخة السيد وبعض النسخ رفعت لي سدرة المنتهى ويؤيده قوله الآتي ثم رفع لي البيت المعمور وفي نسخة الي بتشديد الياء قال الحافظ العسقلاني الاكثر بضم الراء وسكون العين وضم التاء بضمير المتكلم وبعده حرف الجر وللكشميهني رفعت لي بفتح العين وسكون التاء أي رفعت السدرة لي باللام أي من أجلي ويجمع بين الروايتين بان المراد رفعه اليها أي ارتقى به وأظهرت له والرفع الى الشيء يطلق على التقرب منه وقال التوربشتي الرفع تقريبك الشيء وقد قيل في قوله تعالى وفرش مرفوعة أي مقربة لهم فكأنه أراد ان سدرة المنتهى استبينت له بنعوتها كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشيء المقرب اليه وفي معناه رفع لي البيت المعمور ورفع لي بيت المقدس قال النووي سميت سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها أحد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي عن عبد الله بن مسعود انها سميت بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تبارك وتعالى وقال السيوطي واضافتها الى المنتهى لانها مكان ينتهي دونه اعمال العباد وعلوم الخلائق ولا تجاوزها الملائكة والرسل منها الا النبي صلى الله عليه وسلم وهي في السماء السابعة وأصل ساقها في السادسة (فاذا نبقها) بكسر الموحدة ويسكن أي ثمرها من كبره الدال على كبرها (مثل قلال هجر) بكسر القاف جمع قلة بالضم وهي اناء للعرب كالجرة الكبيرة وهجر اسم بلد ينصرف ولا ينصرف ولما كانت الثمرة في قشرها كالمظروف في ظروفها ضرب مثل ثمرتها بما كبرها كانوا يتعارفونه بينهم من الظروف كذا ذكره شارح وفي القاموس هجر محركة بلد باليمن مذكر مصروف وقد يؤنث ويمنع وقرية كانت قرب

ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر

المدينة ينسب اليها القلال و ينسب لى هجر اليمن (واذا ورقها) أى أوراقها فى الكبر (مثل آذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح التحتية واللام جمع الفيل مثل الديكة جمع الديك والآذان بالمد جمع الاذن (قال) أى جبريل (هذه) أى هذا المقام أو هذا الشجر (سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار) أى ظاهرة وقال شارح اذا للمفاجأة أى فاذا أنا بأربعة أنهار (نهران باطنان ونهران ظاهران قلت ماهذان) أى النوعان من الاربعة نحو قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم (ياجبريل قال اما الباطنان فنهران فى الجنة) قال ابن الملك يقال لاحدهما الكوثر وللآخر نهر الرحمة كما فى خبر وانما قال باطنان لخفاء أمرهما فلا يهتدى العقول الى وصفهما أولانهما مخفيان عن أعين الناظرين فلا يريان حتى يصبا فى الجنة (وأما الظاهران فالنيل والفرات) قال القاضى الحديث يدل على ان أصل سدرة المنتهى فى الارض لخروج النيل والفرات من أصلها وقال ابن الملك يحتمل ان يكون المراد منهما ماعرفا بين الناس و يكون ماؤهما مما يخرج من أصل السدرة وان لم يدرك كيفيته وان يكون من باب الاستعارة فى الاسم بان شبههما بنهرى الجنة فى الهضم والعذوبة أو من باب توارد الاسماء بان يكون اسما نهرى الجنة موافقين لاسمى نهرى الدنيا وفى شرح مسلم نقلا عن مقاتل الباطنان هو السلسبيل والكوثر والظاهران النيل والفرات يخرجان من أصلها ثم يسيران حيث أراد الله تعالى ثم يخرجان من الارض و يسيران فيها وهذا لايمنعه شرع ولا عقل وهو ظاهر الحديث فوجب المصير اليه (ثم رفع لى) أى قرب وأظهر لاجلى (البيت المعمور) وهو بيت فى السماء السابعة حيال الكعبة وحرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض (ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن وأناء من عسل فأخذت اللبن) قال ابن الملك اعلم ان اللبن لما كان ذا خلوص وبياض وأول ما يحصل به تربية المولود صور به فى العالم المقدس مثل الهداية والفطرة التى يتم به القوة الروحانية وهى الاستعداد للسعادات الابدية أولها انقياد الشرع وآخرها الوصول الى الله تعالى (فقال هى الفطرة) أنث مرجع اللبن مع انه مذكر مراعاة للخبر (أنت عليها وأمتك) أى عليها أو كذلك (ثم) يعنى بعد وصوله الى مقام دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى (فرضت على الصلاة) وفى الحديث الآتى على أمتى ولا منافاة (خمسين صلاة) بتقدير أعنى وقوله (كل يوم) أى وليلة ظرف (فرجعت فمررت على موسى) أى بعد ابراهيم فقد روى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال لقيت ابراهيم ليلة أسرى بى فقال يامحمد اقرأ أمتك منى السلام وأخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (فقال) أى موسى (بما أمرت) من العبادة (قال أمرت بخمسين صلاة) أى أقلها ركعتان قال ابن الملك وقيل كانت كل صلاة على ركعتين ألا ترى ان من قال على صلاة يلزمه ركعتان (كل يوم) يحتمل اختصاصه بالنهار والاظهران المراد كل يوم وليلة لما سيأتى من قوله خمس صلوات فى كل يوم وليلة فيكون من باب الاكتفاء للظهور والاستغناء (قال ان أمتك لاتستطيع) قيد بالامة لان قوة الانبياء وعصمتهم تمنعهم عن المخالفة وتعينهم على الموافقة فى الطاعة ولو على أقصى غاية المشقة والطاقة والمعنى لاتقدر أمتك عادة أو سهولة لضعفهم أو كسلهم (خمسين صلاة) أى أداءها (كل يوم) ثم بين عدم استطاعتهم بقوله (وانى والله قد جربت الناس) أى زاولت ومارست الاقوياء من الناس (قبلك) يعنى ولقيت الشدة فيما أردت منهم (وعالجت بنى اسرائيل) أى بالخصوص (أشد المعالجة) أى ولم يقدروا على مثل ذلك فكيف أمتك (فارجع الى ربك فاسأله) أمر من سال مهموزا أو مبدلا أو منقولا نحتار مقبولتان وقراءتان صحيحتان فى فاسأل (التخفيف لامتك فرجعت) اى الى ربى (فوضع عنى عشرا) وهو خمس الاصل وسيأتى انه وضع عنه خمسا وكانه كان أولا ثم صار عشرا أو عبر عن الخمس بالعشر اقتصارا واختصارا (فرجعت الى موسى فقال مثله) أى مثل مقالته الاولى (فرجعت) أى ثانيا (فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت) أى ثالثا (فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت) أى رابعا

واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران قلت ماهذان ياجبريل قال أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لى البيت المعمور ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فأخذت اللبن فقال هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بما أمرت قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم وانى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا

(فأمرت)

(فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت) أى خامسا (فامرت بخمس صلوات كل يوم) أى وليلة واهمل الا كتفاء فيه للتغليب حيث أكثر الصلوات فيه أولان الليل تابع لما قبله كما في ليلة عرفة وليالي أيام النحر (فرجعت الى موسى فقال بما أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك) أى أكثرهم (لا تستطيع خمس صلوات) أى مواظبتها ومداومتها ومحافظتها (كل يوم وانى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة) أى ولم يستطيعوا مادون ذلك (فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك) قال الخطابي مراجعة الله فى باب الصلاة انما جازت من رسولنا محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام لانهما عرفا ان الامر الاول غير واجب قطعا لما صدرت منهما المراجعة فصدور المراجعة دليل على ان ذلك غير واجب قطعا لان ما كان واجبا قطعا لا يقبل التخفيف ذكره الطيبي وتبعه ابن الملك وأقول ومالم يكن واجبا لا يحتاج الى سؤال التخفيف قطعا فالصحيح ماقيل انه تعالى فى الاول فرض خمسين ثم رحم عباده ونسخها بخمس كآية الرضاع عند بعض وعدة المتوفى عنها زوجها على قول وفيه دليل على انه يجوز نسخ الشئ قبل وقوعه كما قال به الاكثرون وهو الصحيح وقالت المعتزلة وبعض العلماء لا يجوز ذكره النووى (قال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (سألت ربي) أى التخفيف (حتى استحييت) أى من كثرته وفى نسخة بياء واحدة فهما لغتان أو الثانية تخفيف الاولى بالنقل والحذف والمعنى فلا أرجع لطلب التخفيف وان كان الظن فى الامة ان لا يستطيعوا دوام المحافظة (ولكنى أرضى) أى بما قضى ربى وقسم (وأسلم) أى أمرى وأمرهم الى الله وانقاد بما حكم قال الطيبي فان قلت حق لكن ان يقع بين كلامين متغايرين معنى فما وجهه ههنا قلت تقديرا لكلام هنا حتى استحييت فلا أرجع فانى اذا رجعت كنت غير راض ولا مسلم ولكنى أرضى وأسلم انتهى ولا يخفى ان المراجعة غير منافية للرضا والتسليم والالما رضى بها موسى ونبينا عليهما أفضل الصلاة وأكمل التسليم وتوضيحه ان سؤال العافية ودفع البلاء وطلب الرزق ودعاء النصرة على الاعداء وأمثال ذلك كما صدر من الانبياء والاولياء لا ينافى الرضا بالقضاء أبدا ولا التسليم لما فى الازل أبدا (قال) أى النبي صلى الله عليه وسلم (فلما جاوزت) أى موسى وتركت المراجعة (نادى مناد) أى حاكيا كلام ربى (أمضيت فريضتى) أى أحكمتها وأنفذتها أولا (وخففت عن عبادى) أى ثانيا وسيأتى لهذا تتمة معرفتها مهمة (متفق عليه) ورواه النسائى (وعن ثابت البنانى) بضم الموحدة قبل النون الاولى تابعى من اعلام أهل البصرة وثقاتهم اشتهر بالرواية عن أنس بن مالك وصحبه أربعين سنة وروى عنه نفر (عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل) أى وسطانى لقوله (فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه) أى نظره (فركبته حتى أتيت بيت المقدس) بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال وروى بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال المفتوحة (فربطته بالحلقة) بسكون اللام ويفتح قال النووى هى بسكون اللام على اللغة الفصيحة المشهورة وحكى فتحها (التى يربط) بالتذكير ويجوز تأنيثه وهو بكسر الموحدة وبضم ففى القاموس ربطه يربطه ويربطه شده وفى الصحاح ربطت الشئ أربطه وأربطه أيضا عن الاخفش انتهى فعلم ان الضم لغة ضعيفة ولهذا أجمع القراء على الكسر فى قوله تعالى وليربط على قلوبكم ثم قوله (بها) بضمير المؤنث فى جميع نسخ المشكاة وهو ظاهر وفى شرح مسلم الحلقة التى يربط به كذا هو فى الاصول بضمير المذكر اعاده على معنى الحلقة وهو الشئ أى الذى يربط به والمعنى بالشئ الذى يربط به (الانبياء) أى براقهم أو هذا البراق على خلاف تقدم نعم لو كان المروى يربط الانبياء بها لوقع الاتفاق على اتحاد البراق (قال ثم دخلت المسجد) أى المسجد الاقصى وهذا المقدار من الاسراء مما أجمع عليه العلماء وانما خلاف المعتزلة فى الاسراء الى السماء بناء على منع الخرق والالتئام تبعا لكلام الحكماء اللئام (فصليت فيه ركعتين) أى تحية المسجد والظاهر ان هذه هى الصلاة التى اقتدى به الانبياء وصار فيها امام الاصفياء (ثم خرجت) أى من

فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما أمرت قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وانى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك قلت سألت ربى حتى استحييت ولكنى أرضى وأسلم قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى متفق عليه وعن ثابت البنانى عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى تربط بها الانبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت

المسجد (فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن) ولعل ترك العسل من اقتصار الراوي (فاخترت اللبن) أي لما سبق (فقال جبريل اخترت الفطرة) أي التي فطر الناس عليها وهو الدين القيم كما قال تعالى وأشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله كل مولود يولد على الفطرة انتقالا مما يفطر به المولود ويغذى من اللبن المعهود (ثم عرج) بفتح العين والراء على ما ذكره النووي وتبعه السيوطي فالفاعل جبريل أو الرب الجليل لقوله (بنا) أي بي وبجبريل ويمكن ان يكون قوله بنا بناء على التعظيم وفي نسخة بصيغة المجهول أي صعد بنا (الى السماء وساق) أي وذكر ثابت الحديث عن أنس (مثل معناه) أي نحو معنى الحديث السابق برواية قتادة عن أنس (قال) أي النبي عليه السلام أو ثابت أو أنس مرفوعا (فاذا أنا بآدم فرحب بي) أي قال لي بعد رد سلامي مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح (ودعا لي بخير) يحتمل ان يكون بيانا لقوله فتم المجيء عاء وان يكون غيره غير مبين (وقال في السماء الثالثة فاذا أنا بيوسف اذا هو) بدل من الاول في معنى بدل الاشتمال (قد أعطي شطر الحسن) قال المظهر أي نصف الحسن أقول وهو يحتمل أن يكون المعنى نصف جنس الحسن مطلقا أو نصف حسن جميع أهل زمانه وقيل بعضه لان الشطر كما يراد به نصف الشيء قد يراد به بعضه مطلقا أقول لكنه لا يلائمه مقام المدح وان اقتصر عليه بعض الشراح اللهم الا أن يراد به بعض زائد على حسن غيره وهو اما مطلق فيحمل على زيادة الحسن الصوري دون الملاحة المعنوية لئلا يشكل نبينا صلى الله عليه وسلم واما مقيد بنسبة أهل زمانه وهو الاظهر وكأن الطيبي رحمه الله أراد هذا المعنى لكنه أغرب في المبنى حيث عبر عنه بقوله وقد يراد به الجهة أيضا نحو قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام أي الى جهة من الحسن ومسحة منه كما يقال على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال أي أثر ظاهر ولا يقال ذلك الا في المدح اه وغرابته مما لا تخفى على ذوي النهى هذا وقد قال بعض الحفاظ من المتأخرين وهو من مشايخنا المعتبرين انه صلى الله عليه وسلم كان أحسن من يوسف عليه السلام اذ لم ينقل ان صورته كان يقع من ضوئها على الجدران ما يصير كالمرآة يحكي ما يقابله وقد حكى ذلك عن صورة نبينا صلى الله عليه وسلم لكن الله تعالى ستر عن أصحابه كثيرا من ذلك الجمال الباهر فانه لو برز لهم لم يطيقوا النظر اليه كما قاله بعض المحققين وأما جمال يوسف عليه السلام فلم يستر منه شيء اه وهو يؤيد ما قدمناه من أن زيادة الحسن الصوري ليوسف عليه الصلاة والسلام كما أن زيادة الحسن المعنوي لنبينا صلى الله عليه وسلم مع الاشتراك في أصل الحسن على انه قد يقال المعنى أعطي شطر حسني (فرحب بي ودعا لي بخير ولم يذكر) أي ثابت عن أنس في هذا الحديث (بكاء موسى وقال في السماء السابعة) أي زيادة على ما سبق (فاذا أنا بابراهيم مسندا) بكسر النون منصوبا على الحال في جميع نسخ المشكاة مطابقا لما في صحيح مسلم وشرحه وشرح السنة وفي المصابيح مرفوع على حذف المبتدأ وقوله (ظهره) منصوب على المفعولية لكلتا النسختين وقوله (الى البيت المعمور) متعلق بالمسند (واذا هو) أي البيت المعمور (يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه) أي الى البيت المعمور قال الطيبي الضمير المجرور فيه عائد الى البيت المعمور أي يدخلون فيه ذاهبين غير عائدين اليه أبدا لكثرتهم (ثم ذهب بي) بصيغة الفاعل وفي نسخة للمفعول أي انطلق بي (الى السدرة المنتهى) هكذا وقع في الاصول السدرة بالالف واللام وفي الروايات بعد هذا سدرة المنتهى كذا في شرح مسلم (فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها) أي السدرة وهو بكسر الشين المعجمة وفتح التحتية أي جاءها ونزل عليها (من أمر الله) بيانية مقدمة أو تعليلية معترضة (ما غشي) أي غشيها اشارة الى قوله تعالى فغشاها ما غشى من قبيل أنوار أجنحة الملائكة وقيل فراش الذهب قال القاضي ولعله مثل ما يغشى الانوار التي تنبعث منها و يتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لصفائها واضاءتها في نفسها أو ألوان لا يدري ما هي وهو الاظهر (تغيرت) أي السدرة عن حالتها الاولى الى مرتبتها الاعلى وهو جواب لما (فما أحد من خلق الله) أي من مخلوقاته وسكان أرضه وسمواته (يستطيع أن ينعتها) بفتح

فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء وساق مثل معناه قال فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير وقال في السماء الثالثة فاذا أنا بيوسف اذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ولم يذكر بكاء موسى وقال في السماء السابعة فاذا أنا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها

العين أي يصفها (من حسنها) تعليلية أي من كمال جمالها وعظمة جلالها (وأوحى الى ما أوحى) في ابهام الموصولة أو الموصوفة ايماء الى تعظيم الموحى وانه من قبيل ما لا يحكى ولا يروى (ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى) أي منتهيا اليه (فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة) وزيد في نسخة صحيحة في كل يوم وليلة (قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فاني بلوت) أي جربت (بني اسرائيل وخبرتهم) أي اختبرتهم وامتحنتهم (قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف على أمتي) أي عنهم وعدل الى على لتضمين التهوين (فحط عني) أي فوضع عن جهتي ولاجلي عن أمتي (خمسا) أي خمس صلوات ولعل التقدير خمسا خمسا فيوافق رواية عشرا والاظهر ان رواية عشرا فتصار من رواية خمسا ويؤيده قوله (فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك) أي المقدار الباقي أيضا (فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى) قال النووي معناه بين الموضع الذي ناجيته أولا فناجيته ثانيا وبين موضع ملاقاة موسى أولا (حتى قال) أي سبحانه وتعالى (يا محمد انهن خمس صلوات) أي محتمة (كل يوم وليلة) قال الطيبي الضمير فيه مبهم يفسره الخبر كقوله * هي النفس ما حملتها تتحمل * (لكل صلاة) أي حقيقة واختيارا (عشرا) أي ثواب عشر صلوات أي حكما واعتبارا (فذلك) أي فمجموع ما ذكر (خمسون صلاة) ثم استأنف ببيان قضية أخرى وعطية أخرى متضمنة لهذه الجزئية المندرجة في القاعدة الكلية حيث قال (من هم بحسنة) أي عزم على فعلها (فلم يعملها) لمانع شرعي أو عذر عرفي (كتبت) بصيغة المجهول أي كتب له هم الحسنة والتأنيث من اضافته الى الحسنة ومن قبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (له) أي لعاملها (حسنة) بالنصب أي ثواب حسنة تامة قال الطيبي كتبت مبني على المفعول والضمير فيه راجع الى قوله بحسنة وحسنة وضعت موضع المصدر أي كتبت الحسنة كتابة واحدة وكذا عشرا وكذا شيأ منصوبان على المصدر على ما في جامع الاصول وشرح السنة وفي بعض نسخ المصابيح حسنة وعشر مرفوعان وهو غلط من الناسخ أقول لعله من جهة الرواية وأما من طريق الدراية فله وجه في الجملة وهو أن يكون قوله كتبت له جملة مستقلة بجملة وقوله حسنة بتقدير هي جملة مبينة مفصلة (فان عملها) أي بعد ما هم بها واهتم بشأنها (كتبت) أي تلك الحسنة المهمومة المعمولة (له عشرا) أي ثواب عشر حسنات لانضمام قصد القلب الى مباشرة عمل القالب كقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهذا أقل التضاعف في غير الحرم المحترم (ومن هم بسيئة) أي ولم يصمم على فعلها (فلم يعملها) أي فتركها من غير باعث أو لسبب مباح بخلاف ما اذا تركها لله (لم تكتب) أي تلك السيئة الموصوفة (له شيأ) أما لو تركها وقد عزم على عملها فان تركها لله فلا شك انها تكتب له حسنة وان تركها لغرض فاسد تكتب له سيئة على ما بينه حجة الاسلام في الاحياء وصرح به كثير من العلماء (فان عملها كتبت) أي له كما في نسخة صحيحة (سيئة واحدة) لان السيئة لا تتضاعف بحسب الكمية كما قال تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون اشارة الى أن هذا عدل كما أن التضاعف فضل (قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي) أي وراجعته في أمر أمتي (حتى استحييت منه رواه مسلم وعن ابن شهاب) أي الزهري وهو أحد الفقهاء والمحدثين والعلماء الاعلام من التابعين بالمدينة المشار اليه في فنون علوم الشريعة سمع نفرا من الصحابة وروى عنه خلق كثير منهم قتادة ومالك بن أنس (عن أنس قال كان أبو ذر) أي الغفاري من أعلام الصحابة وزهادهم والمهاجرين أسلم قديما بمكة ويقال كان خامسا في الاسلام وكان يتعبد قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ذكره المؤلف (يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج) بضم فاء وتخفيف راء وتشدد من الفرج والتفريج بمعنى الشق والكشف أي أزيل (عن سقف بيتي) قال الطيبي فان قيل قد روى أنس في حديث المعراج عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم بينما أنا في الحطيم أو في الحجر

من حسنها وأوحى الى ما أوحى ففرض على خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فاني بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف على أمتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيأ فان عملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه رواه مسلم وعن ابن شهاب عن أنس قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عن سقف بيتي

وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئت الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم فقال أرسل اليه قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا اذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي الى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الاول قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة

وفي هذا الحديث قال فرج عن سقف بيتي قلنا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم معراجان أحدهما حال اليقظة على ما رواه مالك والثاني في النوم ولعله صلى الله عليه وسلم أراد ببيتي بيت أم هانئ اذ روي أيضا الاسراء منه فاضافه الى نفسه تارة لانه ساكنه واليها أخرى لانها صاحبته وقال بعض المحققين الجمع بين الاقوال الواردة في هذه المواضع انه صلى الله عليه وسلم نام عند بيت أم هانئ وبيتها عند شعب أبي طالب ففرج سقف بيتها واضاف البيت الى نفسه لكونه يسكنه فنزل منه الملك فاخرجه من البيت الى المسجد وكان مضطجعا وبه أثر النعاس ثم أخرجه من الحطيم الى باب المسجد فاركبه البراق ثم قوله (وأنا بمكة) جملة حالية للاشعار بان القضية مكية لا مدنية (فنزل جبريل ففرج صدري) أي شقه (ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه) أي صب ما في الطست (في صدري ثم أطبقه) أي غطى صدري ولائم شقه (ثم أخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئت) أي وصلت (الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا قال جبريل قال هل معك أحد قال نعم محمد فقال أرسل اليه قال نعم فلما فتح) وفي نسخة بصيغة المجهول (علونا السماء الدنيا) أي طلعناها (اذا رجل قاعد على يمينه اسودة) جمع سواد كازمنة جمع زمان بمعنى الشخص لانه يرى انه اسود من بعيد أي أشخاص من أولاده (وعلى يساره اسودة اذا) وفي نسخة صحيحة فاذا (نظر قبل يمينه) بكسر القاف وفتح الموحدة جانب أيمنه (ضحك) أي لما يرى مما يدل على سروره ويمنه (واذا نظر قبل شماله بكى) أي لما يشاهد مما يشعر بشروره وشؤمه (فقال) أي بعد السلام ورده (مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قيل) ظاهره انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان قال له مرحبا ورواية مالك بن صعصعة بعكس ذلك وهي المعتمدة فتحمل هذه عليها اذ ليس في هذه اداة تعقيب أقول الاظهر ان المشار اليه بهذا في السؤال انما هو الاسودة وأعيد ذكر آدم في الجواب ليعطف عليه مقصود الخطاب فصح كلام الراوي (قال) أي جبريل (هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله) وفي نسخة صحيحة وعن شماله (نسم بنيه) بفتح النون والسين جمع نسمة وهي الروح أو النفس مأخوذ من النسم وهو النفس ومنه نسيم الصبا أي أرواح أولاده السابقين أو مع شمول اللاحقين وذكر البنين للتغليب كما في قوله تعالى يا بني آدم (فاهل اليمين) أي الاسودة التي عن يمينه (منهم) أي من جملة جميع الاسودة (أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله) وفي نسخة صحيحة واذا نظر عن شماله (بكى) قال القاضي قد جاء ان أرواح الكفار محبوسة في سجين وأرواح الابرار منعمة في عليين فكيف تكون مجتمعة في السماء وأجيب بانه يحتمل انها تعرض على آدم أوقاتا فصادف وقت عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم وبان الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما ويحتمل أن النسم المرئية هي التي لم تدخل الاجساد بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها عن يمين آدم وشماله وقد أعلم بما سيصيرون اليه فقوله نسم بنيه عام مخصوص والله أعلم (حتى عرج بي) ضبط للفاعل وقيل للمفعول والمعنى عرج بي جبريل (الى السماء الثانية) وفي جامع الاصول هكذا ثم عرج بي جبريل الى السماء الثانية (فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال الاول) أي مثل مقول الخازن السابق (قال أنس فذكر) أي النبي صلى الله عليه وسلم أو أبو ذر مرفوعا وهو الاظهر (أنه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم) الظاهر وجود هرون ويحيى ويوسف ويحتمل اسقاطهم من الرواية (ولم يثبت) بكسر الموحدة من الاثبات أي لم يبين أبو ذر أو النبي صلى الله عليه وسلم (كيف منازلهم غير انه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا) هذا لا خلاف فيه (وابراهيم في السماء السادسة) هذا موافق لرواية شريك عن أنس والثابت في جميع الروايات غيرها وهو انه في السابعة فان قلنا بتعدد المعراج فلا اشكال والا فالارجح رواية الجماعة لقوله فيها انه رآه مسندا ظهره الى البيت المعمور وهو في السابعة بلا خلاف ولانه قال هنا انه لم يثبت كيف منازلهم فرواية من أثبت أرجح

(قال ابن شهاب) أي الزهري (فأخبرني ابن حزم) بفتح الحاء وسكون الزاي قال المؤلف هو أبو بكر بن
محمد بن عمرو بن حزم روى عن أبي حبة وابن عباس وعنه الزهري ثم ابوه أيضا من الصحابة حيث قال
المؤلف أبوه انصاري ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر بنجران وكان أبوه عامل النبي صلى الله
عليه وسلم على نجران وكان محمد فقيها روى عن أبيه وعن عمرو بن العاص وعنه جماعة قتل يوم الحرة وهو ابن
ثلاث وخمسين سنة وذلك سنة ثلاث وستين (ان ابن عباس وابا حبة الانصاري) بفتح الحاء المهملة وتشديد
الباء الموحدة كذا في شرح السنة وفي المصابيح بالياء قال النووي هو بالحاء المهملة والباء الموحدة هكذا
ضبطناه هنا وفي ضبطه واسمه اختلاف قيل حية بالياء المثناة تحت وقيل بالنون والاصح ما ذكرناه وقد اختلف
في اسمه فقيل عامر وقيل مالك وقيل ثابت وقال المؤلف هو ثابت بن النعمان الانصاري البدري وفي كنيته
واسمه خلاف كثير ذكره ابن اسحق فيمن شهد بدرا فذكره بكنيته ولم يسمه وحبة بتشديد الموحدة هو الاكثر
قتل يوم أحد (كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم عرج بي حتى ظهرت) أي علوت (لمستوى) بفتح
الواو منونا وهو المستقر وموضع الاستعلاء من استوى الشيء استعلاء وثبوت الياء بعد الواو يدل على انه صيغة
اسم المفعول واللام فيه للعلة أي علوت لاستعلاء مستوى أو لرؤيته أو لمطالعته ويحتمل أن يكون متعلقا
بالمصدر أي ظهرت ظهور المستوى ويحتمل أن يكون بمعنى الى قال تعالى أوحى لها أي اليها وقيل بمعنى على
(أسمع فيه) أي في ذلك المكان أو في ذلك المقام (صريف الاقلام) أي صوتها عند الكتابة وقيل هو ههنا
عبارة عن الاطلاع على جريانها بالمقادير والاصل فيه صوت البكرة عند الاستقاء يقال صرفت البكرة تصرف
صريفا والمعنى اني أقمت مقاما بلغت فيه من رفعة المحل الى حيث اطلعت على الكوائن وظهر لي ما يراد من
أمر الله وتدبيره في خلقه وهذا والله هو المنتهى الذي لا تقدم فيه لاحد عليه كذا حققه بعض الشارحين من
علمائنا وقال النووي المستوى بفتح الواو وقال الخطابي المراد به المصعد وقيل المكان المستوى وصريف
الاقلام بالصاد المهملة صوت ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو
ما شاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراد الله من أمره وتدبيره قال القاضي عياض هذا حجة لمذهب
أهل السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ بالاقلام التي هو
تعالى يعلم كيفيتها على ما جاءت به الآيات لكن كيفية ذلك وصورته هنا لا يعلم الا الله تعالى وما يتأول هذا
ويحيله عن ظاهره الاضعيف النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة ودلائل العقول لا تحيله (وقال ابن حزم
وأنس) عطف على فأخبرني فهو من قول ابن شهاب الزهري (قال النبي صلى الله عليه وسلم ففرض الله على
أمتي) وهو لا ينافي ما سبق من قوله ففرض علي (خمسين صلاة فرجعت بذلك) أي آخذا به وقاصدا
لعمله (حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله) ما استفهامية وقوله (لك) أي لاجلك (على أمتك قلت
فرض خمسين صلاة قال فارجع الى ربك) أي فسله التخفيف (فان أمتك لا تطيق) أي هذا الحمل الثقيل
(فراجعني) بمعنى رجعني أي ردني موسى يعني صار سببا لرجوعي الى ربي (فوضع) أي الله (شطرها) أي
بعض الخمسين وهو الخمس الذي هو العشر أو العشر الذي هو الخمس على خلاف تقدم (فرجعت الى موسى
فقلت وضع شطرها فقال راجع ربك) أي ارجع اليه للمراجعة (فان أمتك لا تطيق) أي ذلك كما في نسخة
(فرجعت) أي الى مكاني الاول (فراجعت) أي فرادت الكلام وطالبت المرام مبالغا في ذلك المقام فان
المفاعلة اذا لم تكن للمغالبة فهي للمبالغة (فوضع شطرها فرجعت اليه) أي الى موسى (فقال ارجع الى
ربك فان أمتك لا تطيق ذلك) أي ما قدرها لك (فراجعته) وفي نسخة فراجعت أي ربي (فقال) أي في
الآخرة على ما في المصابيح والمعنى فقال النبي صلى الله عليه وسلم في آخر المراجعات (هي) وفي نسخة من
(خمس) أي خمس صلوات في الاداء (وهي خمسون) أي صلاة في الثواب والجزاء (لا يبدل القول لدي) يحتمل
ان يراد اني ساويت بين الخمس والخمسين في الثواب وهذا القول غير مبدل أو جعلت الخمسين خمسا ولا تبديل فيه

قال ابن شهاب فأخبرني ابن
حزم أن ابن عباس وأبا حبة
الانصاري كانا يقولان قال
النبي صلى الله عليه وسلم ثم
عرج بي حتى ظهرت لمستوى
أسمع فيه صريف الاقلام
وقال ابن حزم وأنس قال
النبي صلى الله عليه وسلم
ففرض الله على أمتي خمسين
صلاة فرجعت بذلك حتى
مررت على موسى فقال
ما فرض الله لك على أمتك
قلت فرض خمسين صلاة قال
فارجع الى ربك فان أمتك
لا تطيق فراجعني فوضع
شطرها فرجعت الى موسى
فقلت وضع شطرها فقال
راجع ربك فان أمتك لا تطيق
ذلك فرجعت فراجعت فوضع
شطرها فرجعت اليه فقال
ارجع الى ربك فان أمتك
لا تطيق ذلك فراجعته فقال
هي خمس وهي خمسون
لا يبدل القول لدي

قال الطيبي وقوله استحييت من ربي لا يناسب هذا المعنى قلت لا ينافيه بل يناسبه اذا حمل على ما قيل وجود العلم بعدم التبديل (فرجعت الى موسى فقال ارجع ربك فقلت استحييت من ربي) أي حين قال لي لا يبدل القول لدي مع انه لا مانع من تعدد المانع (ثم انطلق بي حتى انتهى بي) بصيغة المجهول فيهما والمعنى ثم ذهب بي حتى وصل بي (الى سدرة المنتهى وغشيها) بالتخفيف أي والحال انه غشيها (ألوان) أي من الانوار و أصناف من أجنحة الملائكة أو غيرها (لا أدري) أي الآن أو في ذلك الزمان لتوجه نظره الى المكون دون المكان (ماهي) أي حقيقة ماهي في ذلك المكان والزمان (ثم أدخلت الجنة فاذا) للمفاجأة (فيها جنابذ اللؤلؤ) بفتح الجيم وكسر الموحدة والذال المعجمة جمع جنبذة بضم الجيم والباء وهي ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة وقول العامة الجنبذة بفتح الباء معرب كنبذة ٧ (واذا ترابها المسك) وهو أطيب الطيب وفي الخبر انه يفوح ريح الجنة مسيرة خمسمائة عام (متفق عليه وعن عبد الله) أي ابن مسعود رضي الله عنه (قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة) قال شارح وهم بعض الرواة في السادسة والصواب في السابعة على ما هو المشهور بين الجمهور من الرواة اه والمعنى ان اضافة السهو الى واحد منهم أولى ولانه ورد ان علم الخلائق ينتهي اليها وليس كذلك في السادسة على ما لا يخفى وقال النووي هكذا هو في جميع الاصول قال القاضي كونها في السابعة هو الاصح وقول الاكثرين وهو الذي يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى قال النووي ويمكن ان يجمع بينهما فيكون أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة فقد علم انها في نهاية من العظم وقد قال الخليل السدرة في السماء السابعة قد أظلت السموات والجنة وقد ذكر القاضي عياض ان مقتضى خروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من أصل المنتهى ان يكون أصلها في الارض فان سلم له هذا أمكن حمله على ما ذكرناه (اليها) أي الى السدرة (ينتهي ما يعرج به من الارض) أي ما يصعد به من الاعمال والارواح الكائنة في الجهة السفلى (فيقبض منها) بصيغة المجهول فيه وفيما بعده ويحتمل تعدد القابض واتحاده فيهما (واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها) أي من الوحي والاحكام النازلة من الجهة العليا (فيقبض منها قال) أي قرأ ابن مسعود أو قال الله تعالى (اذ يغشى السدرة ما يغشى قال) أي ابن مسعود في تفسير قوله ما يغشى (فراش) أي هو فراش (من ذهب) يحتمل ان يكون مرفوعا أو في حكم المرفوع قال الطيبي فان قلت كيف التوفيق بين هذا وبين قوله في غير هذا الحديث فغشيها ألوان لا أدري ماهي قلت قوله غشيها ألوان لا أدري ماهي في موقع قوله اذ يغشى السدرة ما يغشى في ارادة الابهام والتهويل وان كان معلوما كما في قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم في حق فرعون ثم قوله هنا فراش من ذهب بيان له أقول الاظهر والله أعلم ان ما يغشى أشياء كثيرة لا تحصى ومما لا يمكن ان يحاط بها وتستقصى لان نفس السدرة اذا كانت هي المنتهى فكيف يكون احاطة العلم بما فوقها مما يغشى وهو لا ينافي ذكر بعض ما رآه ورؤي وبه يجمع بين سائر الروايات والاقوال فقيل يغشاها جم غفير من الملائكة وروي انه صلى الله عليه وسلم قال رأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح وقيل فرق من الطير الخضر وهي أرواح الانبياء وقيل غير ذلك على ان في قوله لا أدري اشارة الى انها لا تشبه الاعيان المشهودة المستقرة في النفوس الموجودة فيبعث لهم بذكر نظائرها ثم اعلم ان الفراش بالفتح طير معروف ومنه قوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وقد قال شارح الفراش ما تراه كصغار البق يتهافت ويتساقط في النار وقيل يحتمل ان يكون المراد بالفراش أرواح الانبياء وهذا لا ينافي قوله في غير هذا الحديث فغشيها ألوان لا أدري ماهي لجواز ان يكون هذا أيضا مما غشيها اه وتبين البون البين بين هذه الآية وبين قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم حيث انه وقع الابهام هنا لتعظيمه والعجز عن احاطته وفي قضية فرعون اشارة الى معلوميته وحقارته (قال) أي ابن مسعود (وأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي تلك الليلة أو في ذلك المقام والحالة (ثلاثا) أي لها على ما عداها مزية كاملة (أعطي الصلوات الخمس) أي فرضيتها (وأعطي خواتيم

فرجعت الى موسى فقال ارجع ربك فقلت استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى انتهى بي الى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ماهي ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك متفق عليه وعن عبد الله قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فأعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم

سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربا ما كربت مثله فرفعه الله لي أنظر اليه

سورة البقرة) أي اجابة دعوات اتها قال قلت هذا بظاهره ينافي ما ثبت في صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس بينا جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه أي صوتا فرفع رأسه فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا أعطيته دلت المساواة فان الاعطاء كان في السماء من جملة ما أوحى الى عبده ما أوحى بقرينة اعطاء الصلوات الخمس في المقام الاعلى ونزول الملك المعظم لتعظيم ما أعطى وبشارة ما خص به من بين سائر الانبياء نعم يشكل هذا بكون سورة البقرة مدنية وقضية المعراج بالاتفاق مكية فيدفع باستثناء الخواتيم من السورة فهي مدنية باعتبار أكثرها فقد نقل ابن الملك عن الحسن وابن سيرين ومجاهد ان الله تعالى تولى ايحاءها بلا واسطة جبريل ليلة المعراج فهي مكية عندهم وأما الجواب على قول الجمهور ان السورة بكمالها مدنية فقد قال التوربشتي ليس معنى قوله أعطى انها أنزلت عليه بل المعنى انه استجيب له فيما لقن في الآيتين من قوله سبحانه غفرانك ربنا الى قوله أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين وان يقوم بحقها من السائلين قال الطيبي في كلامه اشعار بان الاعطاء بعد الانزال لان المراد منه الاستجابة وهي مسبوقة بالطلب والسورة مدنية والمعراج في مكة ويمكن أن يقال هذا من قبيل فأوحى الى عبده ما أوحى والنزول بالمدينة من قبيل وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى اه وحاصله انه وقع تكرار الوحي فيه تعظيما له واهتماما بشأنه فأوحى اليه في تلك الليلة بلا واسطة ثم أوحى اليه في المدينة بواسطة جبريل وبه يتم أن جميع القرآن نزل بواسطة جبريل كما أشار اليه سبحانه بقوله نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين ويمكن أن يحمل كلام الشيخ على ان المراد هنا بالاعطاء استجابة الدعاء مما اشتمل الاتيان عليه وهو لا ينافي نزولها بعد الاسراء اليه قال الطيبي وانما أوثر الاعطاء لما عبر عنها بكنز تحت العرش فقد روينا عن أحمد بن حنبل أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي وكان لنبينا صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى مقامات يغبطهما الاولون والآخرون أحدهما في الدنيا ليلة المعراج وثانيهما في العقبى وهو المقام المحمود ولا اهتم فيهما الا بشأن هذه الامة المرحومة (وغفر) بصيغة المجهول (لمن لا يشرك بالله من أمته شيأ المقحمات) بالرفع على نيابة الفاعل وهو بكسر الحاء أي الكبائر المهلكات التي تقحم صاحبها النار ان لم يتجاوز عنه الملك الغفار والمعنى انه صلى الله عليه وسلم وعد تلك الليلة الكاملة بهذه المغفرة الشاملة وان نزل قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء بعد ذلك فانه من سورة النساء وهي مدنية ولعل عدم ذكر المشيئة في الحديث لظهور القضية في حكم القديم والحديث هذا وقال ابن حجر المراد بغفرانه انه لا يخلد في النار بخلاف المشركين وليس المراد انه لا تعذب أمته أصلا فقد علم من نصوص الشرع واجماع أهل السنة اثبات عذاب لعصاة من الموحدين اه وفيه انه حينئذ لا يبقى خصوصية لامته ولا مزية لتلك الهم الا أن يقال المراد غالب هذه الامة فانها أمة مرحومة والله أعلم (رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني) أي والله لقد أبصرت نفسي الانفس أو علمت ذاتي لاقدس (في الحجر) أي قائما (وقريش) أي والحال ان جماعة من قريش (تسألني عن مسراي) بفتح الميم مصدر ميمي أي عن سيري (الى بيت المقدس) بالضبطين (فسألتني) أي قريش (عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها) من الاثبات أي لم أحفظها ولم أضبطها للاشتغال بامور أهم منها (فكربت) بصيغة المفعول أي أحزنت (كربا) كذا في جميع نسخ المشكاة وهو مفعول مطلق والمعنى حزنا شديدا ويناسبه قوله (ما كربت مثله) أي مثل ذلك الكرب وفي القاموس الكرب الحزن يأخذ بالنفس كالكربة وكربه الغم فهو مكروب قال الطيبي كذا في المصابيح وفي شرح صحيح مسلم كربة قال النووي الضمير في قوله مثله يعود الى معنى الكربة وهو الغم أو الهم أو الشيء قال الجوهري الكربة بالضم الغم الذي يأخذ النفس لشدته (فرفعه الله) أي بيت المقدس (لي) أي لاجلي (أنظر اليه) حال والمعنى رفع

الحائل بيني وبينه لا نظر اليه وأخبرا ناس بما اطلعت عليه وهذا معنى كلامه مستأنفا مبينا (ما يسألوني) بتشديد النون وتخفف (عن شيء الا أنبأتهم) أي أخبرتهم به في تلك الحالة المستحضرة ولذا لم يقل ما سألوني بصيغة الماضية (وقد رأيتني في جماعة من الانبياء) أي مع جمع في ليلة الاسراء كما يدل عليه السياق والسباق واللحاق وهذه الرؤية غير رؤيته السماء بالاتفاق ثم قيل رؤيته اياهم في السماء محمولة على رؤية أرواحهم الا عيسى لانه ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ذلك وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الارواح ويحتمل الاجساد بأرواحها والاظهر ان صلاته لهم في بيت المقدس كان قبل العروج قلت قد سبق انهم أحياء عند ربهم وان الله حرم على الارض أن تأكل لحومهم ثم أجسادهم كأرواحهم لطيفة غير كثيفة فلا مانع لظهورهم في عالم الملك والملكوت على وجه الكمال بقدرة ذي الجلال ومما يؤيد تشكل الانبياء وتصورهم على وجه الجمع بين أجسادهم وأرواحهم قوله (فاذا موسى قائم يصلي) فان حقيقة الصلاة وهي الاتيان بالافعال المختلفة انما تكون للاشباح لا للارواح لا سيما وكالتصريح في المعنى المراد قوله (فاذا رجل ضرب) أي نوع وسط (من الرجال) أو خفيف اللحم على ما في النهاية (جعد) بفتح فسكون وفيه معنيان أحدهما جعودة الجسم وهو اجتماعه والثاني جعودة الشعر والاول أصح لما جاء في رواية أبي هريرة انه رجل الشعر كذا قاله صاحب التحرير قال النووي يجوز أن يراد به المعنى الثاني أيضا لانه يقال شعر رجل اذا لم يكن شديد الجعودة (كأنه من رجال شنوأة) وهي قبيلة مشهورة (واذا عيسى قائم يصلي) فيه ايماء الى ان الصلاة معراج المؤمن من حيث انها حالة حضور الرب وكمال القرب في الحالات وأنواع الانتقالات وهو من أعظم اللذات عند عشاق الذات والصفات (أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي) نسبة الى ثقيف قبيلة وليس هذا أخا عبد الله بن مسعود كما في بعض حواشي المصابيح فانه هذلي (واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به) أخبار متعاقبة لابراهيم قال الطيبي والمعنى أكثر الناس شبها بابراهيم (صاحبكم يعني نفسه) هذا من كلام أبي هريرة أو من بعده أي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله صاحبكم نفسه وذاته اشارة الى قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون ثم رؤيته اياهم يصلون يحتمل انها كانت في أثناء الاسراء الى بيت المقدس أو في نفس المسجد الاقصى وهو المعبد الاعلى ويؤيده الفاء التعقيبية في قوله (فحانت الصلاة) أي دخل وقتها ولعل المراد بها صلاة التحية أو يراد بها صورة المعراج على الخصوصية (فأممتهم) أي صرت لهم اماما وكنت لهم اماما في شرح مسلم للنووي قال القاضي عياض فان قيل كيف رأى موسى عليه السلام يصلي وأم صلى الله عليه وسلم الانبياء في بيت المقدس ووجدهم على مراتبهم في السموات فالجواب يحتمل انه صلى الله عليه وسلم رآهم وصلى بهم في بيت المقدس ثم صعدوا الى السماء فوجدهم فيها وأن يكون اجتماعهم وصلاته معهم بعد انصرافه ورجوعه من سدرة المنتهى اه والاظهر انه لا منع من الجمع حيث لا يخالفه العقل والسمع مع أن الامور الخارقة للعادة عن الكيفية العقلية خارجة فقد روي انه قيل للسيد عبد القادر رحمه الله ان قضيب البان ما يصلي فقال لا تقولوا فان رأسه دائما على باب الكعبة ساجد وتشكله بصوره المتعددة في الاماكن المختلفة معروف عند طبقة الصوفية فكان الانبياء عليهم السلام كانوا يصلون في قبورهم ويستزيدون في سرورهم بنورهم وظهورهم فلما تبين لهم اسراء سيد الانبياء الى جهة السماء استقبلوه واجتمعوا معه في بيت المقدس الذي هو مقر الاصفياء واقتدوا بالامام الحي الذي هو أفضل رجال العلي ثم تقدموا بطريق المشايعة وآداب المتابعة الى السموات وتوقف كل فيما أعطاه الله تعالى من المقامات فرعاهم وخص كلا بالسلام عليه وهم أظهروا الترحيب والتعظيم لديه مع سائر الملائكة المقربين وحملة العرش والكروبيين الى أن تجاوز عن سدرة المنتهى وانتهى الى مقام قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى وهذا غاية القرب ونهاية الحب ثم يقتضي البقاء بعد الفناء والفرقة بين الجمع التدلي بعد الترقي والرجوع الى البداية بعد العروج الى النهاية للحكم الصمدانية وللقسم الفردانية رجع

ما يسألوني عن شيء الا أنبأتهم وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوأة واذا عيسى قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي فاذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلاة فأممتهم

عن حاله من العظمة النبوية والدولة الخاتمية واجتمع به أثر الانبياء بما ورثوا منه متقدمين ومتأخرين وبما ينالون اجتمعوا الى المسجد الاقصى آخرا وصلى بهم صلاة مودع فاختتم قوله (فلما فرغت من الصلاة) يحتمل أن يكون قبل صعوده وأن يكون بعد شهوده (قال لي قائل) هو جبريل أو غيره من ملك جليل (يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه) أى تعظيما لجلال الملك الفهر وأو تواضعا كما هو دأب الابرار (فالتفت اليه) أى على قصد السلام عليه (فبدأني بالسلام) أى لما عرف من تعظيما مقام وآداب الكرام وقال الطيبي انما بدأ بالسلام ليزيل ما استشعره من الخوف منه بخلاف سلامه على الانبياء ابتداء كما سبق قلت قد سبق انه ابتدأ بالسلام عليهم تواضعا له وتكريما لهم أو لانه كان قائما وهم قعود على ما صرح به في آدم أو لانه كان ماروهم وقوف وهو مختار الشيخ التوربشتي أو لانه حي وانهم في صورة الاموات والله أعلم بحقيقة الحالات (رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثاني) أى قد استغرب من قوله

(الفصل الثالث) (عن جابر رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني) أى نسبني الى الكذب (قريش) أى فيما ذكرت من قضية الاسراء وطلبوا مني علامات بيت المقدس وما في طريقه من الانس (قمت في الحجر) أى في موضع بدى بي الصعود أولا ليتجلى لي الشهود ثانيا (فجلى الله) بتشديد اللام من التجلية أى أظهر (لي بيت المقدس) أى وطريقه الاقدس (فطفقت) بكسر الفاء وقيل القاف أى شرعت (أخبرهم عن آياته) أى علامات بيت المقدس ودلالاته مما يكون من شواهد حالات النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل معجزاته (وأنا أنظر اليه) أى كان نظري واقع عليه وجسدي حاضر لديه (متفق عليه)

(باب في المعجزات)

المعجزة مأخوذ من العجز الذي هو ضد القدرة وفي التحقيق المعجز فاعل العجز في غيره وهو الله سبحانه وسميت دلالات صدق الانبياء واعلام الرسل معجزة لعجز المرسل اليهم عن معارضتهم بمثلها والهاء فيها للمبالغة كعلامة ونسابة واما أن يكون صفة لمحذوف كآية وعلامة ذكره الطيبي

(الفصل الاول) (عن أنس بن مالك ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه) بصيغة الافراد في أصح النسخ بناء على نهاية خصوصيته وغاية مزيته لاسيما في هذا المقام فانه بالنسبة الى أنس كالسيد والغلام نظرا الى انه الاستاذ واليه الاسناد مع احتمال ان الترضية من كلام أنس وفي نسخة رضى الله عنهما جمعا بينهما الاداء حقوقهما وأصل استحقاقهما (قال نظرت الى أقدام المشركين على رؤسنا) أى كائنا فوق رؤسنا (ونحن) أى انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم (في الغار) اللام للعهد الذهني نحو قوله تعالى اذ هما في الغار أى غار ثور للاختفاء من الكفار على قصد الهجرة الى الدار قال الطيبي الغار نقب في أعلى ثور وهو جبل بمكة على مسيرة ساعة أى ساعة نجومية أو المراد مدة قليلة قيل طلع المشركون فوق الغار في طلب سيد الابرار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تصب اليوم ذهب دين الله وقال أيضا من كمال الاضطراب خوفا على ذلك الجناب ما رواه أنس عنه (فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدمه) أى موضعها (أبصرنا) أى لتقابلنا (فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما) فنزل قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ونسبة الاخراج اليهم لكونهم سببا لخروجه بأمر الله اياه لحكمة أرادها الله روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه اه ولا يخفى ان القصة بانضمام هذه الرواية وما في معناه من قضية الحمامة والعنكبوت حيث أظهرها الله في عيونهم على باب الغار تصير معجزة هذا وقال الطيبي معنى قوله الله ثالثهما جاعلهما ثلاثة بضم نفسه تعالى اليهما في المعية المعنوية التي أشار اليها بقوله سبحانه ان الله معنا ثم قال فان قلت أى فرق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى وهرون لا تخافا انني معكما قلت بينهما بون بعيد لان معنى قوله معكما ناصركما وحافظكما من مضرة فرعون

فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام رواه مسلم وهذا الباب خال عن الفصل الثاني

(الفصل الثالث) عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه متفق عليه

(باب في المعجزات)

(الفصل الاول) عن أنس بن مالك ان أبا بكر الصديق قال نظرت الى أقدام المشركين على رؤسنا ونحن في الغار فقلت يا رسول الله لو ان أحدهم نظر الى قدمه أبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما

ومعنى قول الله ثالثهما ان الله تعالى جاعلهما ثلاثة فيكون سبحانه أحد الثلاثة وان كل واحد منهم مشترك فيما له وعليه من النصرة والخذلان فان قلت ما الفرق بين قول الله ثالثهما وبين قوله ثالثهما الله قلت يفيد الاول انه مختص بان الله ثالثهما وليس بثالث غيرهما وفي عكسه يفيد ان الله تعالى ثالثهما لا غيره وكم بين العبارتين وقال أكمل الدين في شرح المشارق استشكل بان في قوله ثالثهما اطلاق الثالث على الله وهو كلام حق ليس فيه زيغ وفي قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اطلاق الثالث عليه كفر وكفر القائلين به فما سبب ذلك أجيب بان في الحديث اضافة الثالث الى عدد ناقص منه بواحد وذلك بمعنى التصيير وهو مصير كل شئ وفي الآية اضافته الى عدد مثله وذلك بمعنى واحد منهم تعالى وتقدس قلت وكذا زال الاشكال به من قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم حيث لم يقل ثالثهم وخامسهم ثم رفع وهم المعية الكائنة بالجثة السبحانية والبينة البرهانية حيث عمم الحكم بقوله ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا الآية (متفق عليه وعن البراء بن عازب) صحابيان جليلان (عن أبيه انه قال لابي بكر يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما حين سريت) من سرى لغة في أسرى بمعنى السير في الليل أي حين سافرت من مكة الى المدينة للهجرة بعد الخروج من الغار (قال أسرينا ليلتنا) أي جميعها (ومن الغد) أي وبعضه وهو نصفه كما يفيده قوله (حتى قام قائم الظهيرة) أي بلغت الشمس وسط السماء وفي النهاية أي قامت الشمس وقت الزوال من قولهم قامت به دابته أي وقفت والمعنى ان الشمس اذا بلغت وسط السماء أبطأت حركة الظل الى ان تزول فيحسب الناظر انها قد وقفت وهي سائرة لكن سيرا لا يظهر له أثر سريع كما يظهر قبل الزوال وبعده فيقال لذلك الوقوف المشاهد قام قائم الظهيرة (وخلا الطريق) أي صار خاليا عن مرور الطريق (لا يمر فيه أحد) تأكيد لما قبله أو بيان (فرفعت لنا صخرة طويلة) أي اظهرت قال الطيبي ومنه رفع الحديث وهو اذاعته واظهاره وفيه بحث لان الحديث المرفوع خاص بما أسند اليه صلى الله عليه وسلم وسمي الحديث به لانه يحصل له كمال الرفعة بسببه (لها) أي لتلك الصخرة (ظل) أي عظيم من صفته انه (لم تأت) بالتانيث ويذكر أي لم تحكم عليه (الشمس) أي بشعاعها حينئذ (فنزلنا عندها) أي عند الصخرة (وسويت للنبي صلى الله عليه وسلم مكانا بيدي) بصيغة التثنية اشارة الى زيادة الاهتمام في الخدمة (ينام عليه) استئناف تعليل أو صفة لمكانا (وبسطت عليه فروة) أي وفرشت على المكان جلدا بشعره (وقلت نم يا رسول الله وأنا أنفض ما حولك) بضم الفاء أي أتجسس الاخبار وأتفحص عن العدو وأرى هل هناك مؤذ من عدو وغيره من النفض الذي هو سبب النظافة من نحو الغبار وفي النهاية أي أحرسك وأطوف هل أرى طالبا يقال نفضت المكان اذا نظرت جميع ما فيه والنفضة بفتح الفاء وسكونها والنفيضة قوم يبعثون متجسسين هل يرون عدوا أو خوفا (فنام وخرجت أنفض ما حوله فاذا أنا براع مقبل) بالجر صفة راع ومعناه جاء من قبلنا ومن جهة قدامنا (قلت أفي غنمك لبن قال نعم قلت أفتحلب) بضم اللام ويجوز كسره على ما في القاموس والمعنى أفتحلبها لي (قال نعم فأخذ شاة فحلب في قعب) بفتح القاف وسكون العين أي في قدح من خشب مقعر (كثبة) بضم الكاف وسكون المثلثة فموحدة أي قدر حلبته (من لبن) وقيل ملء القدح من اللبن فقوله من لبن على قصد التجريد أو لزيد التأكيد (ومعي اداوة) بكسر الهمزة أي ظرف ماء مطهرة أو سقاية (حملتها للنبي صلى الله عليه وسلم) أي خاصة أو خالصة في النية وقصد الطوية (يرتوي فيها) قال التوربشتي رويت من الماء بالكسر وارتويت وترويت كلها بمعنى قال الطيبي فعلى هذا ينبغي ان يقال يرتوي منها الا انه قلت في القاموس ان في تأتي بمعنى من أو التقدير يرتوي من الماء فيها وقال النووي معنى يرتوي فيها حمل القدح آلة للري والسقي ومنه الراوية الابل التي يستقى عليها الماء اه فعلى هذا يكون في بمعنى الباء ثم قوله (يشرب ويتوضأ) مستأنفات للبيان والجملة أعني قوله ومعي الحالية معترضة بين قوله فحلب وقوله (فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم) أي باللبن (فكرهت ان أوقظه) أي أنبهه من النوم لاستغراقه فيه (فوافقته) بتقديم

متفق عليه وعن البراء بن عازب عن أبيه انه قال لابي بكر يا أبا بكر حدثني كيف صنعتما حين سريت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى قام قائم الظهيرة لا يمر فيه أحد فرفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم يأت عليها الشمس فنزلنا عندها وسويت للنبي صلى الله عليه وسلم مكانا بيدي ينام عليه وبسطت عليه فروة وقلت نم يا رسول الله وأنا أنفض ما حولك فنام وخرجت أنفض ما حوله فاذا أنا براع مقبل قلت أفي غنمك لبن قال نعم قلت افتحلب قال نعم فاخذ شاة فحلب في قعب كثبة من لبن ومعي اداوة حملتها للنبي صلى الله عليه وسلم يرتوي فيها يشرب ويتوضأ فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فكرهت ان أوقظه فوافقته

الفاء على القاف في النسخ المصححة أي تانيت به (حتى استيقظ) وأبعد من قال أي فوافقته في النوم الاان قال المعنى فوافقته في اختياره النوم لان الايقاظ نوع مخالفة له قال صاحب الخلاصة وفي بعض نسخ البخاري حين استيقظ أي وافق اتياني وقت استيقاظه ويؤيده ما في بعض الروايات فوافقته وقد استيقظ وقال شارح روي بتقديم القاف على الفاء من الوقوف والمعنى صبرت عليه وتوقفت في المجيء اليه حتى استيقظ (فصببت من الماء) أي بعضه (على اللبن) أي تبريدا (حتى برد أسفله) كناية عن كثرته (فقلت اشرب يارسول الله فشرب حتى رضيت) اى طاب خاطري (ثم قال ألم يان للرحيل) من أنى يأني اذا دخل وقت الشيء والمعنى ألم يدخل وقت الرحيل كذا قاله شارح والاظهر في المعنى ألم يات وقت التحويل للرحيل وهو السير الجميل الى موضع النخيل فيطابق قوله تعالى ألم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله (قلت بلى قال) أي أبو بكر (فارتحلنا بعد ما مالت الشمس) أي من وسط السماء وحصل برد الهواء (واتبعنا) بتشديد التاء الفوقية وفي نسخة بهمزة قطع وسكون فوقية أي وقد لحقنا (سراقة بن مالك) بضم السين قال المؤلف في فصل الصحابة هو سراقة بن مالك ابن جعشم المدلجي الكناني كان ينزل قديدا ويعد في أهل المدينة روى عنه جماعة وكان شاعرا مجيدا (فقلت أتينا) بصيغة المجهول أي أتانا العدو (يارسول الله فقال لا تحزن ان الله معنا فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فارتطمت به فرسه) أي ساخت قوائمها كما تسوخ في الرمل (الى بطنها في جلد) بفتحتين أي صلب من الارض (فقال اني أراكما) بفتح الهمزة من الرأي (دعوتما على) أي بالمضرة (فادعوا لي) أي بالمنفعة والنجاة من المشقة (فالله لكما) بالرفع وفي نسخة بالنصب قال شارح هو مرفوع بالابتداء أي فالله كفيل على لكما ان لا أهم بعد ذلك لغدركما أو فالله مستجيب والفاء للسببية وقوله (أن أرد عنكما الطلب) متعلق بادعوا أي لأن أرد أو منصوب باضمار فعل أي أسأل الله لكما ان أرد عنكما الطلب أي طلب الكفار الذين طلبوكما وقال الاشرف الجار محذوف وتقديره بان أرد وقوله فالله لكما حشو بينهما ويمكن أن يقال فالله مبتدأ ولكما خبره وقوله ان أرد خبر ثان للمبتدأ أو قال غيره معناه فادعوا لي كي لا يرتطم فرسي على ان أترك طلبكما ولا أتبعكما بعد ثم دعا لهما بقوله فالله لكما أي الله تعالى حافظكما وناصركما حتى تبلغا بالسلامة الى مقصدكما ويجوز ان يكون معناه أدعوا لي حتى انصرف عنكما فان الله تعالى قد تكفل بحفظكما عني وحبسني عن البلوغ اليكما قال الطيبي الفاء في فالله تقتضي يترتب ما بعدها عليه فالتقدير أدعوا لي بان أتخلص مما أنا فيه فانكما ان فعلتما فالله أشهد لاجلكما ان أرد عنكما الطلب ويؤيد هذا التقدير ما في شرح السنة والله على القسم أي أقسم بالله لكما على ان أرد الطلب عنكما (فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فنجا) أي تخلص من العناء كما رجا (فجعل) أي فشرع في الوفاء بما وعد (لا يلقى أحدا) أي من ورائهما (الا قال كفيتم) بصيغة المفعول وفي نسخة لقد كفيتم أي أستغنيتم عن الطلب في هذا الجانب لاني كفيتكم ذلك (ما ههنا) أي ليس ههنا (أحد) فما نافية على ما ذكره بعض الشراح وقال الطيبي ما ههنا بمعنى الذي أي كفيتم الذي ههنا اه والاول أظهر وهو أولى لما يستفاد منه التأكيد كما لا يخفى كقوله (ولا يلقى أحدا الا رده) أي بهذا المعنى (متفق عليه) قال النووي فيه فوائد منها هذه المعجزة الظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفضيلة الباهرة لابي بكر رضي الله عنه من وجوه وفيه خدمة التابع للمتبوع واستصحاب الركوة ونحوها في السفر للطهارة والشرب وفيه فضل التوكل على الله تعالى وحسن عاقبته (وعن أنس قال سمع عبد الله بن سلام) بتخفيف اللام وهو من أجلاء الصحابة الكرام ومن أولاد يوسف عليه السلام وكان أولا من أحبار اليهود وأعلمهم بالتوراة (فعلم بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم) بفتح الميم والدال أي بقدومه من مكة الى المدينة (وهو) أي والحال ان ابن سلام (في أرض) أي في بستان (يخترف) أي يجتني من الفواكه (فاتى النبي صلى الله عليه وسلم) أي فجاءه (فقال اني سائلك عن ثلاث) أي ثلاثة أشياء (لا يعلمهن الا نبي) أي أو من يأخذ منه أو من كتابه لئلا يشكل بانه كان ممن يعلمها اما مجملا أو مفصلا ولهذا صار جوابه معجزة له وعلم يقين بنبوته عنده وهو الظاهر من ايراد الحديث في هذا

حتى استيقظ فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله فقلت اشرب يارسول الله فشرب حتى رضيت ثم قال ألم يان للرحيل قلت بلى قال فارتحلنا بعد ما مالت الشمس واتبعنا سراقة بن مالك فقلت أتينا يارسول الله فقال لا تحزن ان الله معنا فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فارتطمت به فرسه الى بطنها في جلد من الارض فقال اني أراكما دعوتما على فادعوا لي فالله لكما ان أرد عنكما الطلب فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فنجا فجعل لا يلقى أحدا الا قال كفيتم ما ههنا فلا يلقى أحدا الا رده متفق عليه وعن أنس قال سمع عبد الله ابن سلام بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يخترف فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي

الباب و يمكن ان يكون قد تحقق عنده معجزات اخر مضمة الى هذا الجواب والله أعلم بالصواب (فما أول أشراط الساعة) أى علاماتها (وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع) بكسر الزاى يقال نزع الولد الى أبيه اذا أشبهه ذكره فى الغريبين فالمعنى وما يشبه (الولد) بالنصب (الى أبيه أو الى أمه) أو للتنويع ولعل المراد قومها أو أصل الشبه أو الحكم غالبى عادى وفى نسخة برفع الولد واليه يشير ما قال الطيبى أى ما سبب نزوع الولد و يله الى أحد الابوين فحذف المضاف وان المصدرية من المضارع كما فى قوله أحضر الوغى اه والاظهر ما قال شارح معناه أى شئ يجذب الولد الى أبيه فى الشبه (قال اخبرنى بهن جبريل) قاله دفعا التوهم انه سمع من بعض علماء أهل الكتاب (آنفا) بالمد و يقصر أى هذه الساعة (أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس) أى تجمعهم (من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة) أى المسمى بنزلا المعبر عنه بما حضر وهو مقدمة بقية النعمة (فزيادة كبد حوت) أى طرفها وهى أطيب ما يكون من الكبد وقد يقال انه الحوت الذى على ظهره الارض واذا جعل الارض طعمة لاهل الجنة فالحوت كالادام لهم كذا ذكره شارح وهو مشعر بان هذه الطعمة يوم القيامة لاهل الجنة (واذا سبق ماء الرجل) أى علا وغلب (ماء المرأة نزع الولد) بالنصب أى جذب الرجل أو ماؤه الولد الى شبهه و يرفع (واذا سبق ماء المرأة نزعت) أى جذبت المرأة (الولد) وفى نسخة برفع الولد واليه ينظر ما قال المظهر يعنى اذا غلب ماء الرجل أشبهه الولد واذا غلب ماء المرأة أشبهها الولد قال الطيبى فعلى هذا التأنيث فى نزعت بتأويل النسمة وقال شارح قوله نزعت أى جذبت المرأة بالولد الى مشابهتها بسبب غلبة مائها أو جذبت ماءها فاكتسب التأنيث من المضاف اليه اه وأما نسبة الذكورة والانوثة فباعتبار مسابقة ماء الرجل وعكسه على ما ورد فى حديث آخر (قال) أى ابن سلام (أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله) ثم استأنف (وقال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت) بضم موحدة وسكون هاء فى النهاية هو جمع بهوت من بناء المبالغة فى البهتان كصبور وصبر ثم سكن تخفيفا (وانهم ان يعلموا باسلامى من قبل أن تسألهم) أى عنى (يبهتونى) بتشديد النون و يخفف أى يبهتوننى كما فى بعض النسخ المصححة أى ينسبونى الى البهتان و يجعلونى مبهوتا حيران ولم يكن اسلامى عليهم حجة واضحة البرهان (فجاءت اليهود) أى باحضارهم أو اتفاقا فى مأتاهم وابن سلام فى اختفاء عنهم (فقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (أى رجل عبد الله فيكم) أى فيما بينكم أو فى زعمكم ومعتقدكم (قالوا خيرنا وابن خيرنا) أى فى الحسب من العلم والصلاح (وسيدنا وابن سيدنا) أى فى النسب أو فى سائر مكارم الاخلاق (قال أرأيتم) أى اخبرونى (ان أسلم عبد الله بن سلام) أى فهل تسلمون (قالوا أعاذه الله من ذلك) أى معاذ الله أن يتصور هذا منه (فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا اشرنا) أى هو شرنا (وابن شرنا فانتقصوه) من النقص وهو العيب (قال هذا) أى هذا الانتقاص (هو الذى كنت أخاف) أى احذره وجملتك على سؤالهم تصديقا لحالهم وشهادة على مقالهم (يا رسول الله رواه البخارى وعنه) أى عن أنس رضى الله عنه (قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور) أى أهل المدينة للامتحان (حين بلغنا اقبال أبى سفيان) أى بالعير من الشام الى مكة (وقام سعد بن عبادة) أى وقد قام من بين الصحابة وهو رئيس الانصار وقال ما قال مما سيأتى وانما خص بالقيام لان سبب الاستشارة اختبار الانصار لانه لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو وانما بايعهم على أن يمنعوه ممن قصده فلما عرض له الخروج لعير أبى سفيان أراد أن يعلم انهم يوافقونه على ذلك أم لا فأجابوا أحسن جواب بالموافقة التامة فى هذه المرة وفى غيرها وفيه حث على استشارة الاصحاب وأهل الرأى والخبرة قال الطيبى وذلك ان قريشا أقبلت من الشام فيها تجارات عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان فاعجب المسلمين تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع الى مكة بالناس فقال لا والله فمضى بهم الى بدر ونزل جبريل فاخبر ان الله وعدكم

فما أول اشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه قال فقال أخبرنى بهن جبريل آنفا أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت قال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامى من قبل أن تسألهم يبهتونى فجاءت اليهود فقال أى رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال أرأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا فانتقصوه قال هذا الذى كنت أخاف يا رسول الله رواه البخارى وعنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغنا اقبال أبى سفيان وقام سعد بن عبادة

احدى الطائفتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقام سعد بن عبادة (فقال يارسول الله والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها) بضم النون وكسر الخاء أى ندخل الدواب بقرينة المقام ودلالة المرام (البحر لأخضناها) قال القاضى الاخاضة الادخال فى الماء ولكناية للخيل والابل وان لم يجر ذكرها بقرينة الحال (ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها) قال القاضى ضرب الاكباد عبارة عن تكليف الدابة للسير بأبلغ ما يمكن فالمعنى لو أمرتنا بالسير البليغ والسفر السريع (الى برك الغماد) أى مثلا من المواضع البعيدة وهو بفتح الموحدة وضم الغين المعجمة ويكسران قال شارح ومنهم من يجعل كسر الغين وكسر الباء أصح الروايتين قال النووى هو بفتح الباء واسكان الراء هو المشهور فى كتب الحديث وروايات المحدثين وقال القاضى عياض عن بعض أهل اللغة صوابه كسر الباء وكذا قيد شيوخ حديث أبى ذر فى البخارى واتفقوا على أن الراء ساكنة الا ما حكاه القاضى عن الاصيلى باسكانها وفتحها وهذا غريب ضعيف والغماد بكسر الغين المعجمة وضمها لغتان مشهورتان وأهل الحديث على ضمها واللغة على كسرها قلت رواية المحدثين أرجح وللاعتماد أصح قال وهو موضع بأقصى هجر واختار غيره انه موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل وقيل بلد من اليمن ثم قوله (لفعلنا) جواب لو واعل وجه العدول عن ضربنا أكبادها اليه للايجاز أو للايماء الى أن كل أمر صعب كالسير فى بحر واسع فى بر لو أمرتنا بفعله لفعلنا (قال) أى أنس (فندب) أى فدعا (رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس) أى المهاجرين والانصار فانهم كانوا هم الناس (فانطلقوا حتى نزلوا بدرا) وهو مشهد معروف ويأتى بيانه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى لاصحابه (هذا مصرع فلان) أى مقتل فلان من الكفار وهذا مهلك فلان وهذا مطرح فلان حتى عد سبعين منهم (ويضع يده على الارض ههنا وههنا) اشارة الى خصوص تلك القطع من الارض لزيادة توضيح المعجزة (قال) أى أنس (فما ماط) أى ما زال وبعد وتجاوز (أحدهم) أى من الكفار (عن موضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو) أى والحال (انه فى قبة يوم بدر) الحديث من جملة مراسيل الصحابة لان ابن عباس ما حضر بدرا والجملة حالية معترضة بين القول ومقوله وهو قوله (اللهم انشدك) بضم الشين أى أطلبك وأسألك (عهدك) أى أمانك (ووعدك) أى انجازه (اللهم ان تشأ) أى عدم العبادة أو عدم الاسلام أو هلاك المؤمنين (لا تعبد) بالجزم على جواب الشرط (بعد اليوم) لانه لا يبقى على وجه الارض مسلم وفيه اشعار بان الله سبحانه لا يجب عليه شئ مع انه لا خلف فى وعده بل ولا فى وعيده من حيث انه لا يجوز الخلف فى خبره فالخوف انما هو لاحتمال استثناء مقدر أو قيد مقرر أو وقت محرر وهذا مجمل المرام فى هذا المقام وأما تفصيل الكلام فقد قال التوربشتى يقال نشدت فلانا أنشده نشدا اذا قلت له نشدتك الله أى سألتك بالله وقد يستعمل فى موضع السؤال والعهد ههنا بمعنى الامان يريد أسألك أمانك وانجاز وعدك الذى وعدتنيه بالنصر فان قيل كان النبى صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بالله وقد علم ان الله سبحانه لم يكن ليعده وعدا فيخلفه فما وجه هذا السؤال قلنا الاصل الذى لا يفارق هذا الحكم هو ان الدعاء مندوب اليه علم الداعى حصول المطلوب أو لم يعلم ثم ان العلم بالله يقتضى الخشية منه ولا ترفع الخشية من الانبياء عليهم السلام عما أوتوا ووعدوا من حسن العاقبة فيجوز أن يكون خوفه من مانع ينشأ ذلك من قبله أو من قبل أمته فيحبس عنهم النصر الموعود ويحتمل انه وعد بالنصر ولم يعين له الوقت وكان على وجل من تأخر الوقت فتضرع الى الله تعالى لينجز له الوعد فى يومه ذلك وأما ما أظهر من الضراعة فقيل الاحسن ان يقال ان مبالغة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السؤال مع عظم ثقته بربه وكمال علمه كان به تشجيع للصحابة وتقوية لقلوبهم لانهم كانوا يعرفون ان دعاءه لا محالة مستجاب لا سيما اذا بالغ فيه قلت وفيه اشعار بان من لم يقدر على المحاربة أو لم يؤمر بالمقاتلة فينبغى له حينئذ ان يدعو بالنصرة ليحصل له ثواب المشاركة فانه صلى الله عليه وسلم لما رأى أصحابه انهم توجهوا الى الخلق رجع بنفسه الى الذات

فقال يارسول الله والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها الى برك الغماد لفعلنا قال فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مصرع فلان ويضع على الارض ههنا وههنا قال فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو فى قبة يوم بدر اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان تشأ لا تعبد بعد اليوم

المطلق ورواجع ربه فى طلب الحق قال الطيبى المراد بالوعد ما فى قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم ولعله صلى الله عليه وسلم استحضر معنى قوله تعالى ان الله لغنى عن العالمين وقوله سبحانه والله
هو الغنى الحميد ان يشأ يذهبكم (فاخذ أبو بكر بيده فقال حسبك) أى يكفيك (ما دعوت يارسول الله ألححت
على ربك) أى بالغت فى السؤال والجملة استئناف بيان للعلة (فخرج) أى النبى صلى الله عليه وسلم (من قبته
وهو يثب) بكسر المثلثة المخففة قبل الموحدة من الوثوب أى يسرع فرحا ونشاطا (فى الدرع) أى حال
كونه فى درعه للمحافظة وعلى نية المقاتلة (وهو يقول) أى يقرأ ما نزل عليه (سيهزم الجمع) أى جمع
الكفار (ويولون) أى ويدبرون (الدبر) بضمتين أى الظهر وقال شارح بضم الباء وسكونها اثم الجملة
الثانية تأكيد للاولى ويمكن ان تكون الهزيمة كناية عن المغلوبية والمعنى سيغلب الجمع بل الحمل عليه أولى
مراعاة للتاسيس كما لا يخفى (رواه البخارى) وكذا النسائى (وعنه) أى عن ابن عباس (ان النبى صلى الله عليه
وسلم قال يوم بدر) قال النووى بدر ماء معروف على نحو أربع مراحل من المدينة بينها وبين مكة قال ابن قتيبة
هو بئر كانت لرجل يسمى بدرا وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان فى السنة الثانية من
الهجرة (هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه) أى على جبريل (أداة الحرب) أى آلته ولعله صلى الله عليه
وسلم أظهره لانس ثم حتى أبصره كما يشير اليه قوله هذا لانه فى الاصل موضوع للمحسوس وبهذا يتبين وجه ايراد
الحديث فى باب المعجزات (رواه البخارى وعنه) أى عن ابن عباس رضى الله عنه (قال بينما رجل) أى انصارى
(من المسلمين يومئذ يشتد) أى يسرع ويعدو (فى اثر رجل) بكسر الهمز وسكون المثلثة وفى نسخة
بفتحهما أى فى عقب رجل (من المشركين امامه) أى واقع قدامه (اذ سمع) أى المسلم فالحديث من مراسيل
الصحابة كما يدل عليه آخره (ضربة) أى صوت ضربة (بالسوط فوقه) أى فوق المشرك (وصوت الفارس يقول
أقدم) بفتح الهمزة وكسر الدال بمعنى أعزم (حيزوم) أى يا حيزوم وهو اسم فرسه وفى نسخة بضمهما بمعنى
تقدم قال النووى هو بهمزة قطع مفتوحة وبكسر الدال من الاقدام قالوا وهى كلمة زجر للفرس أقول فكانه
يؤمر بالاقدام فانه ليس له فهم الكلام وأما بالنسبة الى فرس الملك فيمكن حمله على الحقيقة أو على خرق العادة
ويؤيده النداء باسمه والله أعلم ثم قال وقيل بضم الدال وبهمزة وصل مضمومة من التقدم والاول أشهرهما
وحيزوم اسم فرس الملك وهو منادى بحذف حرف النداء وقال شارح سمى باقوى ما يكون من الاعضاء منه
وأشد ما يستظهر به الفارس فى ركوبه منه وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام قلت ويمكن ان يكون
فيعول للمبالغة من مادة الحزم وهو شدة الاحتياط فى الامر (اذ نظر) أى المسلم (الى المشرك أمامه خر مستلقيا)
أى سقط على قفاه (فاذا هو) أى المشرك (قد خطم) بضم الخاء المعجمة من الخطم وهو الاثر على الانف فقوله
(أنفه) للتأكيد أو ايماء الى التجريد وقال شارح للمصابيح أى كسر فظهر أثره اه وهو يشعر بان رواية
المصابيح بالحاء المهملة كما لا يخفى والحاصل انه جرح أنفه (وشق وجهه) أى قطع طولا (كضربة السوط
فاخضر ذلك أجمع) بتشديد الراء أى صار موضع الضرب كله أخضر أو اسود فان الخضرة قد تستعمل بمعنى
السواد كعكسه للمبالغة ومن قبيل الثانى قوله تعالى مدهامتان (فجاء الانصارى فحدث رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال صدقت) فيه ان هذا الكشف كرامة للصحابى وكرامة الاتباع بمنزلة معجزة المتبوع لاسيما
ووقوعه فى حضرته وحصوله لاجل بركته أو يقال أخبر الصحابى وهو ثقة بنقل صحيح عما يدل على نزول الملك
للمعاونة وقد صدقه الصادق المصدوق فى هذه المقالة فيصح عده من المعجزة ثم فى قوله (ذلك من مدد السماء
الثالثة) تنبيه على ان المدد كان من السموات كلها وهذا من الثالثة خاصة فالاشارة الى الملك فى ذلك وهو مبتدأ
خبره ما بعده وأغرب الطيبى حيث أعرب وقال ذلك مفعول صدقت وقال اشارة الى المذكور من قوله سمع
ضربة الخ (فقتلوا) أى المسلمون (يومئذ سبعين وأسروا سبعين) وفى نسخة على بناء المفعول فيهما فضميرهما
راجع الى المشركين (رواه مسلم وعن سعد بن أبى وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاخذه أبو بكر بيده فقال
حسبك يارسول الله ألححت
على ربك فخرج وهو يثب
فى الدرع وهو يقول سيهزم
الجمع ويولون الدبر رواه
البخارى وعنه ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال يوم بدر
هذا جبريل آخذ برأس
فرسه عليه اداة الحرب رواه
البخارى وعنه قال بينما
رجل من المسلمين يومئذ
يشتد فى أثر رجل من
المشركين أمامه اذ سمع
ضربة بالسوط فوقه وصوت
الفارس يقول اقدم
حيزوم اذ نظر الى المشرك
أمامه خر مستلقيا فنظر اليه
فاذا هو قد خطم أنفه وشق
وجهه كضربة السوط
فاخضر ذلك أجمع فجاء
الانصارى فحدث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال
صدقت ذلك من مدد
السماء الثالثة فقتلوا يومئذ
سبعين وأسروا سبعين رواه
مسلم وعن سعد بن أبى
وقاص قال رأيت عن يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعن سعد قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين) الظاهر أنهما على سبيل التوزيع بأن يكون كل منهما على جانب (عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال) الكاف زائدة للتأكيد ذكره الطيبي ولا يظهر وجه كونه للتأكيد والاظهر أن معناه قتالا مثل أشد قتال رجال الانس (ما رأيتهما قبل ولا بعد) أي فتعين أنهما من الملائكة وقوله (يعني جبريل وميكائيل) من قول الراوي أدرجه بيانا وامله عرف ذلك من دليل (رواه البخاري) (وعن البراء قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا) قال شارح الرهط ما دون العشرة من الرجال ليست فيهم امرأة وفي القاموس الرهط ويحرك من ثلاثة أو سبعة الى عشرة أو ما دون العشرة وما فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه (الى أبي رافع) قال القاضي كنيته أبي الحقيق اليهودي أعدى عدو رسول الله صلى الله عليه وسلم نبذ عهده وتعرض له بالهجاء وتحصن عنه بحصن كان له فبعثهم اليه ليقتلوه (فدخل عليه عبد الله بن عتيك) بفتح فكسر (بيته ليلا وهو نائم فقتله فقال عبد الله بن عتيك) أي في صفة قتله (فوضعت السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره) قال الطيبي عداه بفي ليدل على شدة التمكن وأخذه منه كل مأخذ واليه أشار بقوله حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته (فجعلت أفتح الابواب) ولعله بعد فتحها أولا ردها حفظا للدور او أو طلع عليهم من طريق آخر (حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي) أي على ظن أني وصلت الارض (فوقعت) أي سقطت من الدرجة (في ليلة مقمرة) بضم الميم الاولى وكسر الثانية أي مضيئة قال الطيبي يعني كان سبب وقوعه على الارض أن ضوء القمر وقع في الدرج ودخل فيه فحسب أن الدرج مساو للارض (فوقع) منه على الارض (فانكسرت ساقي فعصبتها) بتخفيف الصاد وبتشديد للمبالغة والتكثير أي شددتها (بعمامة) بكسر العين (فانطلقت الى أصحابي) أي من الرهط الواقفين أسفل القلعة فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم) أي مع أصحابي (فحدثته) أي بما جرى لي ولي (فقال ابسط رجلك) أي مدها (فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها قط) أي كأنه لم تتوجع أبدا (رواه البخاري وعن جابر رضي الله عنه قال انا) أي نحن معاشر الاصحاب (كنا يوم الخندق نحفر) أي الارض حول المدينة نقيدا بيننا وبين الاعداء (فعرضت) أي ظهرت في عرض الارض معارضة المقصودنا (كدية) بضم الكاف وسكون الدال أي قطعة (شديدة) أي صلبة لا يعمل فيها الفأس (فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال أنا نازل) أي في الخندق (وبطنه معصوب) أي مربوط (بحجر) أي من شدة الجوع (ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا) بفتح أوله أي مأكولا ومشروبا وهو فعال بمعنى مفعول من الذوق يقع على المصدر والاسم والجملة معترضة لبيان سبب ربط الحجر (فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول) بكسر الميم وفتح الواو بالفارسي كلند فانه شارح وفي القاموس المعول كمنبر الحديدة ينقر بها الجبال (فضرب فعاد) أي انقلب الحجر وصار (كثيبا) أي رملا (أهيل) أي سائلا ومنه قوله تعالى وكانت الجبال كثيبا مهيلا ذكره القاضي والمعنى أن الكدية التي عجزوا عن رضها صارت بضربة واحدة ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم كتل من الرمل مصبوب سيال (فانكفأت الى امرأتي) أي انقلبت وانصرفت الى بيتها (فقلت هل عندك شيء) أي من المأكول (فاني رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا) بفتحتين ويسكن الثاني واقتصر عليه القاضي وسكت عنه الطيبي أي جوعا وسمي به لان البطن يضمر به وفي المشارق للقاضي عياض رأيت به خمصا بفتح الميم أي ضمورا في بطنه من الجوع ويعبر بالخمص عن الجوع أيضا وقال السيوطي قوله خمصا بفتح المعجمة والميم وقد يسكن ومهملة اه والمراد به أثر الجوع وعلامته من ضمور البطن أو صفار لونه وتحول شيء من حول كشهم وشدة كدهم على غير ذوق من نهاية دوقهم ونهاية شوقهم (شديدا فأخرجت) أي المرأة (جرابا) بكسر الجيم (فيه صاع) أي قدر صاع (من شعير ولنا بهيمة) بضم موحدة وسكون هاء قال النووي هي الصغيرة من أولاد الضأن ويطلق على الذكر والانثى كالشاة وفي نسخة بهيمة وهي أصل المصابيح قال شارح له هي تصغير بهمة بفتح الباء وسكون الهاء ولد الضأن وقيل ولد الشاة أول ما تضعه أمه وقيل السخلة وهي ولد المعز (داجن) أي سمينة قاله صاحب المواهب وفي

وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل متفق عليه وعن البراء قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم رهطا الى أبي رافع فدخل عليه عبد الله ابن عتيك بيته ليلا وهو نائم فقتله فقال عبد الله بن عتيك فوضعت السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أني قتلته فجعلت أفتح الابواب حتى انتهيت الى درجة فوضعت رجلي فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة فانطلقت الى أصحابي فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكأنما لم أشتكها قط رواه البخاري وعن جابر قال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل فانكفأت الى امرأتي فقلت هل عندك شيء فاني رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن

الاخير متسرها فى البيت ويؤيده ما فى القاموس دجن بالمكان دجونا قام والحمام من ألف ولم يتعصب وا وهى داجن (فذبحتها وطحنت) أى المرأة (الشعير) وفى نسخة بصيغة المتكلم والاول أ... والمراد بحذفه ما يتعلق به مع تحقق المسارعة كما يدل عليه رواية البخارى ففرغت الى فراغى الحديث وقال معناه أمرتها أو غيرها بالطحن (حتى جعلنا) أى بالاتفاق (اللحم فى البرمة) أى القدر من الحجر وقيل هى القدر مطلقا وأصلها المتخذ من الحجر (ثم جئت النبى صلى الله عليه وسلم فساررته) قال النووى فيه جواز المسارة بالحاجة فى حضرة الجماعة وانما المنهى أن يناجى اثنان دون الثالث اه وفيه بحث لا يخفى والاظهر أن يقال انما محل النهى توهم ضرر للجماعة (فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا) بالتصغير هنا للتحقير فى جنب عظمة الضيف الكبير (وطحنت) بالوجهين (صاعا من شعير) والمقصود أن هذا قدر يسير وأصحابك كثير (فتعال أنت ونفر معك) وهو ما دون العشرة من الرجال ويطلق على الناس كلهم على ما فى القاموس وكأنه صلى الله عليه وسلم نظر الى المعنى الثانى لما فيه من الامر الربانى (فصاح النبى صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع سورا) بضم فسكون واو أى طعاما وفى القاموس السور الضيافة فارسية شرفها النبى صلى الله عليه وسلم (فحى) بتشديد الياء المفتوحة (هلا) بفتح الهاء واللام منونة وفى نسخة بغير تنوين والباء فى (بكم) للتعدية أى اسرعوا بأنفسكم اليه قال النووى السور بضم السين غير مهموز هو الطعام الذى يدعى اليه وقيل الطعام مطلقا وهى لفظة فارسية وقد تظاهرت أحاديث صحيحة بان رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم بالالفاظ الفارسية وهو يدل على جوازه وأما حى هلا فهو بتنوين هلا وقيل بلا تنوين على وزن علا ويقال حى هل ومعناه عليكم بكذا أو ادعوكم بكذا وفى القاموس بسط لهذا المبنى والمعنى ولكن اقتصرنا على ما ذكرنا بناء على أن الجوع منعنا والتعطش لما هنا (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلن) بضم التاء واللام (برمتكم ولا تخبزن) بفتح التاء وكسر الباء وضم الزاى (عجينتكم حتى أجىء) أى الى بيتكم (وجاء فاخرجت له) أى أنا وفى نسخة بصيغة الواحدة (عجينا) أى قطعة من العجين (فبصق فيه) قال النووى هو بالصاد فى أكثر الاصول وفى بعضها بالسين وهى لغة قليلة اه والمعنى رمى بالبزاق فيه (وبارك) أى ودعا بالبركة فيه (ثم عمد) بفتح الميم أى قصد (الى برمتنا فبصق) أى فيها كما فى نسخة (وبارك ثم قال ادعى) بهمز وصل مضموم وكسر عين أمر مخاطبة من دعا يدعو أى اطلبى (خابزة) قال النووى جاء فى بعض الاصول ادعى على خطاب المؤنث وهو الصحيح الظاهر ولهذا قال (فلتخبز معك) يعنى لرواية كسر الكاف وفى بعضها ادعوا بالواو أى اطلبوا وفى بعضها ادع (واقدحى) بفتح الدال أى اغرفى من برمتكم قال التوربشتى يقال قدحت المرق أى غرفته ومنه المقدح وهو المغرفة سلك بالخطاب مسلك التلوين فخاطب به ربة البيت قال الطيبى لعله فى نسخته فلتخبز معى بالاضافة الى ياء المتكلم كما هو فى بعض نسخ المصابيح فحمله على ما ذهب اليه وقد علم من كلام النووى أن معى لم ترد فى رواية واذا ذهب الى ادعى فلتخبز معك لم يكن من تلوين الخطاب فى شىء اه وهو غريب منه اذ مراد الشيخ أنه صلى الله عليه وسلم خاطبهم بصيغة الجمع أولا بقوله لا تنزلن ولا تخبزن ثم قال ادعى فلتخبز معك ثم قال واقدحى من برمتكم بالجمع بين الافراد والجمع ثم قال (ولا تنزلوها) بصيغة الجمع المذكر على طريق الاول على سبيل التغليب فاى تلوين أكثر من هذا مع أن فى الالتفات اليها بالامر الخاص اشارة الى أن ربة البيت غير خارجة عن سنن الاستقامة فى المقام وبهذا التقرير والتحرير تبين لك انه لا فرق بين قوله فلتخبز معك أو معى فى تلوين الكلام والله أعلم بحقيقة المرام (قال جابر وهم) أى عدد أصحابه صلى الله عليه وسلم (ألف) أى ألف رجل أكلوا فى جوع ثلاثة أيام وليال (فاقسم بالله لأكلوا) أى من ذلك الطعام (حتى تركوه) أى متفضلا (وانحرفوا) أى وانصرفوا (وان برمتنا لتغط) بكسر الغين المعجمة وتشديد الطاء المهملة أى لتفور وتغلى ويسمع غليانها (كما هى) أى ممتلئة على هيئتها الاولى فخبرهى محذوف والمعنى تغلى غليانا مثل غليانها هى عليه قبل ذلك قال الطيبى ما كافة وهى مصححة لدخول الكاف على الجملة

فذبحتها وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ثم جئت النبى صلى الله عليه وسلم فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير فتعال أنت ونفر معك فصاح النبى صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحى هلا بكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجىء وجاء فاخرجت له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادعى خابزة فلتخبز معك واقدحى من برمتكم ولا تنزلوها وهم ألف فاقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هى

تناسب في مقام المعجزة (فاذا أي كما هي قبل ذلك (وان عجينتا ليخبز كما هو) أي كما هو في الصفة كأنه ما نقص منه شيء [illegible] وقد تظاهرت الاحاديث بمثل هذا من تكثير طعام القليل ونبع الماء وتكثيره وتسبيح الطعام وحنين الجذع وغير ذلك مما هو معروف حتى صار مجموعها بمنزلة التواتر وحصل العلم القطعي به وقد جمع العلماء الاعلام من دلائل النبوة في كتبهم كالقفال الشاشي وصاحبه أبي عبد الله الحليمي وأبي بكر البيهقي وغيرهم مما هو مشهور وأحسنها كتاب البيهقي ولله الحمد على ما أنعم به على نبينا صلى الله عليه وسلم وعلينا باكرامه (متفق عليه وعن أبي قتادة) صحابي مشهور (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار) أي ابن ياسر (حين يحفر الخندق) حكاية حال ماضية (فجعل يمسح رأسه) أي رأس عمار عن الغبار ترحما عليه من الاغبار (ويقول بؤس) بضم موحدة وسكون همزة ويبدل وبفتح السين مضافا الى (ابن سمية) وهي بضم السين وفتح الميم وتشديد التحتية أم عمار وهي قد أسلمت بمكة وعذبت لترجع عن دينها فلم ترجع وطعنها أبو جهل فماتت ذكره ابن الملك وقال غيره كانت أمة لابنة أبي حذيفة المخزومي زوجها ياسرا وكان حليفه فولدت له عمارا فاعتقه أبو حذيفة أي يا شدة عمار احضري فهذا أوانك واتسع في حذف حرف النداء من أسماء الاجناس وانما يحذف من أسماء الاعلام وروي بؤس بالرفع على ما في بعض النسخ أي عليك بؤس أو يصيبك بؤس وعلى هذا ابن سمية منادى مضاف أي يا ابن سمية وقال شارح المصابيح المعنى يا شدة ما يلقاه ابن سمية من الفئة الباغية نادى بؤسه وأراد نداءه ولذا خاطبه بقوله (تقتلك الفئة الباغية) أي الجماعة الخارجة على امام الوقت وخليفة الزمان قال الطيبي ترحم عليه بسبب الشدة التي يقع فيها عمار من قبل الفئة الباغية يريد به معاوية وقومه فانه قتل يوم صفين وقال ابن الملك اعلم أن عمارا قتله معاوية وفئته فكانوا طاغين باغين بهذا الحديث لان عمارا كان في عسكر علي وهو المستحق للامامة فامتنعوا عن بيعته وحكى ان معاوية كان يؤول معنى الحديث ويقول نحن فئة باغية طالبة لدم عثمان وهذا كما ترى تحريف اذ معنى طلب الدم غير مناسب هنا لانه صلى الله عليه وسلم ذكر الحديث في اظهار فضيلة عمار وذم قاتله لانه جاء في طريق ويح قلت ويح كلمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها فيترحم عليه ويرثى له بخلاف ويل فانها كلمة عقوبة تقال للذي يستحقها ولا يترحم عليه هذا وفي الجامع الصغير برواية الامام أحمد والبخاري عن أبي سعيد مرفوعا ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار وهذا كالنص الصريح في المعنى الصحيح المتبادر من البغي المطلق في الكتاب كما في قوله تعالى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وقوله سبحانه فان بغت احداهما على الاخرى فاطلاق اللفظ الشرعي على ارادة المعنى اللغوي عدول عن العدل وميل الى الظلم الذي هو وضع الشيء في غير موضعه والحاصل ان البغي بحسب المعنى الشرعي والاطلاق العرفي خص عموم معنى الطلب اللغوي الى طلب الشر الخاص بالخروج المنهي فلا يصح أن يراد به طلب دم خليفة الزمان وهو عثمان رضي الله عنه وقد حكى عن معاوية تأويل أقبح من هذا حيث قال انما قتله علي وفئته حيث حمله على القتال وصار سببا لقتله في المآل فقيل له في الجواب فاذن قاتل حمزة هو النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان باعثا له على ذلك والله سبحانه وتعالى حيث أمر المؤمنين بقتال المشركين والحاصل ان هذا الحديث فيه معجزات ثلاث احداها انه سيقتل وثانيها انه مظلوم وثالثها ان قاتله باغ من البغاة والكل صدق وحق ثم رأيت الشيخ أكمل الدين قال الظاهر ان هذا أي التأويل السابق عن معاوية وما حكى عنه أيضا من أنه قتله من أخرجه للقتل وحرضه عليه كل منهما افتراء عليه أما الاول فتحريف للحديث وأما الثاني فلانه ما أخرجه أحد بل هو خرج بنفسه وماله مجاهدا في سبيل الله قاصدا لاقامة الفرض وانما كان كل منهما افتراء على معاوية لانه رضي الله عنه أعقل من أن يقع في شيء ظاهر الفساد على الخاص والعام قلت فاذا كان الواجب عليه أن يرجع عن بغيه باطاعته الخليفة ويترك المخالفة وطلب الخلافة المنيفة فتبين بهذا انه كان في الباطن باغيا وفي الظاهر متسترا بدم عثمان مراعيا مرائيا فجاء هذا الحديث عليه ناعيا وعن عمله ناهيا لكن كان ذلك في

وان عجينتا ليخبز كما هو متفق عليه وعن أبي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار حين يحفر الخندق فجعل يمسح رأسه ويقول بؤس ابن سمية تقتلك الفئة الباغية

رواه مسلم وعن سليمان ابن صرد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم حين اجلى الاحزاب عنه الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم رواه البخاري وعن عائشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل وهو ينفض رأسه من الغبار فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعته أخرج اليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاين فاشار الى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم متفق عليه وفي رواية للبخاري قال أنس كأني أنظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة وعن جابر قال عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم اقبل الناس نحوه قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ به ونشرب الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كامثال العيون قال فشربنا وتوضأنا قيل لجابر كم كنتم

الكتاب مسطورا فصار عنده كل من القرآن والحديث مهجورا فرحم الله امرأ أنصف ولم يتعسف وتولى الاقتصاد في الاعتقاد لئلا يقع في جانبي سبيل الرشاد من الرفض والنصب بأن يحب جميع الآل والصحب (رواه مسلم وعن سليمان بن صرد) بضم ففتح مصروفا (قال قال النبي صلى الله عليه وسلم حين أجلى) بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول أي تفرق وانكشف (الاحزاب عنه) وهم طوائف من الكفار تحزبوا واجتمعوا لحرب سيد الابرار يوم الخندق منهم قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من بني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله تعالى النصر بان أرسل عليهم ريح الصبا وجنودا لم يروها وهم الملائكة وقذف في قلوبهم الرعب فقال طلحة بن خويلد الاسدي النجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وهذا معنى الاجلاء (فقال النبي صلى الله عليه وسلم) أي حينئذ (الآن) أي فيما بعد هذا الزمان وعبر عنه بالآن للمبالغة في البيان (نغزوهم) أي ابتداء (ولا يغزونا) بتشديد النون ويخفف أي ولا يغزوننا كما في نسخة ولعله لا يجترئون فيه مشاكلة للمقابلة (نحن نسير اليهم) أي وهم لا يسيرون الينا وكان الامر كما أخبر فغزاهم بعد صلح الحديبية وفتح مكة وحصلت له الغلبة ولله الحمد والمنة قال الطيبي قوله الآن نغزوهم اخبار بانه ذل شوكة المشركين من اليوم فلا يقصدوننا ليبتدؤا بل نحن نغزوهم ونقاتلهم ويكون عليهم دائرة السوء وكان كما قال فكان معجزة (رواه البخاري وعن عائشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح) أي عن نفسه (واغتسل) أي أراد أن يغتسل (أتاه جبريل وهو) أي النبي صلى الله عليه وسلم أو جبريل وهو في اللفظ أقرب وفي معنى الحديث أنسب (ينفض رأسه من الغبار فقال) أي جبريل (قد وضعت السلاح والله ما وضعته أخرج اليهم) أي الى الكفار وأبهمهم (فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاين) أي أين أقصد والى من أخرج (فاشار الى بني قريظة) وهم طائفة من اليهود حول المدينة وقد نقضوا العهد وساعدوا الاحزاب (فخرج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم) أي ونصره الله عليهم وكيفية نصرته وبيان قصته في كتب السير وبعض التفاسير مبسوطة وما وقع له في كل قضية من المعجزات مضبوطة (متفق عليه وفي رواية للبخاري قال أنس كأني أنظر الى الغبار ساطعا) أي مرتفعا (في زقاق بني غنم) بفتح غين معجمة وسكون نون قبيلة من الانصار والزقاق بضم الزاي السكة (موكب جبريل عليه السلام) بالنصب على نزع الخافض على ما في صحيح البخاري وشرح السنة وأكثر نسخ المصابيح وفي بعضها بالجر والموكب بفتح الميم وكسر الكاف جماعة ركاب يسيرون برفق على ما في النهاية (حين سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة) الظاهر أن ذلك الزقاق كان مهجورا من سير الناس فيه فرؤية الغبار ساطعا منه تدل على انه من أثر جند الملائكة والغالب أن رئيسهم جبريل عليه السلام وهو معهم أو مع النبي صلى الله عليه وسلم واضافتهم اليه لانهم كالاتباع له (وعن جابر قال عطش الناس) بكسر الطاء (يوم الحديبية) بالتخفيف أفصح (ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة) أي ظرف ماء من مطهرة أو سقاية (فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه) أي الى جانب جنابه طالبين فتح الخير من بابه (قالوا) استئناف بيان (ليس عندنا ماء) بالمد (نتوضأ به ونشرب) أي منه (الا ما في ركوتك) أي من الماء فما مقصورة موصولة والاستثناء يحتمل الاتصال والانقطاع ثم في القضية جملة مطوية وهي ان من المعلوم بحسب العادة ان ماء الركوة لم يكف الجماعة (فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة) أي في جوفها أو في فمها (فجعل الماء يفور من بين أصابعه كامثال العيون) أي التي تخرج من بين صخور الجبال أو عروق الارض (قال فشربنا وتوضأنا) أي جميعنا فطوبى لهم من طهارة الظاهر والباطن من ذلك الماء الذي هو أفضل من جنس الماء المعين والله الموفق والمعين (قيل لجابر كم كنتم) أي يومئذ حتى كفاكم ولما كان هذا السؤال غير

مناسب في مقام المعجزة (قال) أي أوّلا في الجواب (لو كنا مائة ألف) أي مثلا (لكفانا ثم قال) تتميما لفصل الخطاب (كنا خمس عشرة مائة) قال الطيبي عدل عن الظاهر لاحتماله التجوّز في الكثرة والقلة وهذا يدل على أنه اجتهد فيه وغلب ظنه على هذا المقدار وقول البراء في الحديث الذي يتلو هذا الحديث كنا أربع عشرة مائة كان عن تحقيق لما سبق في الفصل الثاني من باب قسمة الغنائم ان أهل الحديبية كانوا ألفا وأربعمائة تحقيقا وقول من قال هم ألف وخمسمائة وهم وقال الحافظ السيوطي الجمع انهم كانوا أربعمائة وزيادة لا تبلغ المائة فالاوّل ألغى الكسر والثاني جبره ومن قال ألفا وثلثمائة فعلى حسب اطلاعه وقد روى ألفا وستمائة وألفا وسبعمائة وكأنه على ضم الاتباع والصبيان ولابن مردويه عن ابن عباس كانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وهذا تحرير بالغ والله أعلم (متفق عليه وعن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة يوم الحديبية والحديبية بئر) بالهمز ويبدل (فنزحناها) أي نزعنا ماءها (فلم نترك قطرة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم) أي خبر نفاد مائها (فأتاها فجلس على شفيرها) أي طرفها (ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه) أي مجه فيها (ثم قال دعوها) أي اتركوها (ساعة) لعله للاشارة الى ان ساعة الاجابة وقعت تدريجية وان المراد بها الساعة النجومية لا اللغوية أو المدة القليلة بحسب الاطلاقات العرفية (فارووا) أي استقوا واسقيا كاملا (أنفسهم وركابهم) أي ابلهم أو مركوبهم واستمروا على ذلك (حتى ارتحلوا) أي سافروا عنها والظاهر أن قضية جابر متقدمة على هذه القضية وان المعجزة في الحديبية متكررة والعجب من الناس عموما وخصوصا انهم ما ضبطوا هذه البئر ولا جعلوا عليه من البناء الكبير رجاء للخير الكثير مع انها قريبة من مكة على طرف جدة في طريق جدة (رواه البخاري وعن عوف) لم يذكره المصنف ولعله من اتباع التابعين (عن أبي رجاء) هو عمران بن تميم العطاردي أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن عمر وعلي وغيرهما وعنه خلق كثير كان عالما عاملا معمرا وكان من القراء مات سنة سبع ومائة ذكره المؤلف في التابعين (عن عمران بن حصين قال كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى اليه الناس العطش فنزل فدعا فلانا) أي شخصا معروفا (كان يسميه أبو رجاء ونسيه عوف) أي ذهب عنه بفلانا (ودعا عليا) أي أيضا (فقال اذهبا فابتغيا الماء) أي فاطلباه (فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين) بفتح الميم أي راكبة بين راويتين وهي في الاصل لما يوضع فيه الزاد (أو سطيحتين) قال القاضي وهي نوع من المزادة يكون من جلدين قوبل أحدهما بالآخر فسطح عليه وقال الجزري هي أصغر من المزادة ثم قوله (من ماء) بيان لما فيهما (فجاء) أي الصحابيان (بها) أي بالمرأة وما معها (الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن بعيرها) قال الطيبي الضمير الاوّل يجوز أن يرجع الى المرأة أي طلبوا منها أن تنزل عن البعير وقيل راجع الى المزادة بمعنى انزلوها واستنزل وانزل بمعنى (ودعا النبي صلى الله عليه وسلم باناء) أي طلبه (ففرغ) بتشديد الراء أي صب (فيه من أفواه المزادتين) فيه اشارة الى ترجيحها عند الراوي (ونودى في الناس اسقوا) بهمزة قطع مفتوحة وقيل بهمزة وصل مكسورة أي اسقوا أنفسكم وغيركم والمعنى خذوا الماء قدر حاجتكم (فاستقوا) أي فأخذوا الماء جميعهم (قال) أي عمران (فشربنا عطاشا) بكسر أوّله جمع عطشان حال من فاعل شربنا (أربعين رجلا) بيان له ذكره الطيبي وقال شارح حال من ضمير عطاشا أو شربنا (حتى روينا) بكسر الواو (فملأنا كل قربة) معنا (وأيم الله) أي وأيمن الله قسمي (لقد أقلع عنها) بصيغة المجهول أي انكفت الجماعة عن تلك المزادة ورجعوا عنها (وانه) أي الشان (ليخيل) على بناء المفعول أي ليشبه (الينا انها) أي تلك المزادة (أشد ملئة) بكسر الميم ويفتح وسكون اللام فعلة من الملء مصدر ملأت الاناء (منها) أي من المزادة (حين ابتدأ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (الاخذ منها) وفي نسخة ابتدئ بصيغة المجهول أي الاستقاء والشرب منها والمعنى انها حينئذ كانت أكثر ماء من تلك الساعة التي استقوا منها (متفق عليه وعن جابر قال سرنا مع رسول الله صلى الله

قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة متفق عليه وعن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة يوم الحديبية والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة فارووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا رواه البخاري وعن عوف عن أبي رجاء عن عمران بن حصين قال كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى اليه الناس من العطش فنزل فدعا فلانا كان يسميه أبو رجاء ونسيه عوف ودعا عليا فقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين أو سطيحتين من ماء فجاءا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبي صلى الله عليه وسلم باناء ففرغ فيه من أفواه المزادتين ونودى في الناس اسقوا فاستقوا قال فشربنا عطاشا أربعين رجلا حتى روينا فملأنا كل قربة معنا واداوة وأيم الله لقد أقلع عنها وانه ليخيل الينا انها أشد ملئة منها حين ابتدأ متفق عليه وعن جابر قال سرنا مع رسول الله صلى

عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به واذا شجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي على باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الاخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي على باذن الله فانقادت معه كذلك حتى اذا كان بالمنصف مما بينهما قال التئما على باذن الله فالتأمتا فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتة فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا واذا الشجرتين قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق رواه مسلم وعن يزيد بن أبي عبيد قال رأيت أثر ضربة في ساق سلمة ابن الاكوع فقلت يا أبا مسلم ماهذه الضربة قال ضربة أصابتني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة رواه البخاري وعن أنس قال نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل ان يأتيهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد

عليه وسلم حتى نزلنا واديا أفيح) أي واسعا على ما في النهاية (فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به واذا شجرتين) قال الطيبي بالنصب كذا في صحيح مسلم وأكثر نسخ المصابيح وفي بعضها شجرتان بالرفع وهو خبر فتقدير النصب فوجد شجرتين نابتتين (بشاطئ الوادي) أي بطرفه وقال شارح للمصابيح وروى شجرتين باضمار رأى وفي نسخة بشجرتين وهو ظاهر (فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحدهما فاخذ بغصنين من أغصانها فقال انقادي على) أي للتستر على (باذن الله) وقال الطيبي أي لا تعصي على ونظيره قوله تعالى مالك لا تأمنا على يوسف أي لم تخافنا عليه (فانقادت معه كالبعير المخشوش) وهو الذي في أنفه الخشاش بكسر الخاء المعجمة وهو عود يجعل في أنف البعير ليكون أسرع الى الانقياد كذا في النهاية (الذي يصانع قائده) قال التوربشتي أي ينقاد له ويوافقه والاصل في المصانعة الرشوة وهي ان تصنع لصاحبك شيأ ليصنع لك شيأ (حتى أتى الشجرة الاخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي على باذن الله فانقادت معه كذلك حتى اذا كان بالمنصف) هو بفتح الميم والصاد المهملة نصف الطريق والمراد هنا الموضع الوسط مما بينهما (قال التئما) أي تقاربا (على) قال الطيبي هو حال أي اجتمعا مظلتين على (باذن الله فالتأمتا) أي حتى قضى الحاجة بينهما (قال جابر فجلست أحدث نفسي) أي بامر من الامور (فحانت) أي فظهرت (مني لفتة) أي التفاتة (فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا) قال الطيبي يقال حان اذا أتى وقت الشيء واللفتة فعلة من الالتفات (واذا الشجرتين) أي وجدتهما أو رأيتهما (قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق) أي وقفت بانفرادها في مكانها ففيه معجزتان (رواه مسلم وعن يزيد بن أبي عبيد) هو شيخ البخاري روى المكي بن ابراهيم عنه وروى البخاري عن المكي وللبخاري ثلاثيات من هذه الطريق وقال المؤلف هو مولى سلمة روى عنه يحيى ابن سعيد وغيره (قال رأيت أثر ضربة في ساق سلمة بن الاكوع فقلت يا أبا مسلم ماهذه الضربة قال ضربة) أي هي ضربة (أصابتني يوم خيبر) وفي نسخة أصابتنيها أي الساق وفي نسخة أصابتها وفي نسخة أصيبتها بصيغة المجهول (فقال الناس أصيب سلمة) أي مات لشدة أثرها (فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه) أي في موضع الضربة وفي نسخة فيها أي في نفس الضربة أو في الساق (ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة) بالجر وفي نسخة بالنصب قال بعض المحققين الساعة في أكثر نسخ البخاري بالجر على خلاف ما جعله الكرماني فانه قال يلزم من ظاهر العبارة الاشتكاء من الحكاية وأجاب بان الساعة منصوب وحتى للعطف فالمعطوف داخل في المعطوف عليه أي ما اشتكيتها زمانا حتى الساعة نحو أكلت السمكة حتى رأسها قلت يمكن ان يكون معناه ما وجدت أثر وجع الى الآن وأما بعده فلا أدري أجده أم لا فيصدق عليه ان حكم ما بعدها خلاف ما قبلها أو المراد نفي الشكاية بالكلية وحاصله بان مراده ما وجدت وجعا الى الآن فلو أمكن ان يوجد وجع يكون بعد ذلك ومن المحال عادة أي يوجد وجع بعد مدة مضت من برئه (رواه البخاري) وكذا أبو داود (وعن أنس قال نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيدا) أي زيد بن حارثة (وجعفرا) أي ابن أبي طالب (وابن رواحة) أي أخبر بموتهم (للناس) فيه جواز النعي (قبل ان يأتيهم خبرهم) أي فكان معجزة (وقد كانوا بارض يقال لها مؤتة) بميم مضمومة فهمزة ساكنة فمثناة فوقية قرية بالشام وكانت في السنة الثامنة وكان المسلمون ثلاثة آلاف والروم مع هرقل مائة ألف (فقال) تفسير وتفصيل لما قبله أي فقال صلى الله عليه وسلم (أخذ الراية) أي العلم (زيد) اذ العادة ان يأخذه أمير العسكر (فاصيب) أي استشهد (ثم أخذ جعفر) أي الراية (فاصيب) أي على تفصيل مشهور (ثم أخذ ابن رواحة فاصيب وعيناه تذرفان) بكسر الراء أي تسيلان دمعا للثلاثة من خبر موتهم (حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله) أي شجيع من شجعانه فانه كان بعد ألقاه وانقطع في يده يومئذ ثمانية أسياف والاضافة للتشريف (يعني خالد بن الوليد) تفسير من كلام

انس أومن بعده والمعنى يريد النبي صلى الله عليه وسلم بالوصف السابق خالد بن الوليد (حتى فتح الله عليهم) أى فى يده وزمان امارته واختلفوا هل كان قتال فيه هزيمة المشركين حتى رجعوا غانمين أو المراد بالفتح حيازة المسلمين حتى رجعوا سالمين (رواه البخارى وعن ابن عباس قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين) بالتصغير قيل غزوة حنين كانت فى شوال سنة ثمان وحنين وادبين مكة والطائف وراء عرفات (فلما التقى المسلمون والكفار) أى ووقع القتال الشديد فيما بينهم (ولى المسلمون) أى بعضهم من المشركين (مدبرين) أى لكن مقبلين الى سيد المرسلين (فطفق) أى شرع (رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض) بضم الكاف أى يحرك برجله (بغلته قبل الكفار) بكسر القاف وفتح الباء أى الى جهتهم وقبالتهم قال الاكمل بغلته هى التى يقال لها دلدل أهداها له فروة بن نفاثة ففيه قبول هدية المشركين ووردانه رد بعض الهدايا من المشركين فقيل قبول الهدية ناسخ للرد وفيه نظر لجهالة التاريخ والاكثرون على انه لا نسخ وانما قبل ممن طمع فى اسلامه ويرجو منه مصلحة للمسلمين ورد ممن على خلاف ذلك (وانا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها) بضم الكاف وتشديد الفاء أى أمنعها وهو علة منعها (ارادة أن لا تسرع) أى البغلة الى جانب العدو (وأبو سفيان) قيل اسمه المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم (آخذ) بصيغة الفاعل أى ماسك (بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى تأدبا ومحافظة (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عباس) أى يا عباس (ناد أصحاب السمرة) بفتح فضم وهى الشجرة التى بايعوا تحتها يوم الحديبية (فقال عباس وكان) أى العباس (رجلا صيتا) جملة معترضة من كلام راوى العباس بعده والصيت بتشديد الياء أى قوى الصوت وأصله صيوت واعلاله اعلال سيد (فقلت) أى فناديت (بأعلى صوتى أين أصحاب السمرة) أى لا تنسوا بيعتكم الواقعة تحت الشجرة وما يترتب عليها من الثمرة (فقال والله لكان) بتشديد النون (عطفتهم) بالنصب أى رجعتهم وفى نسخة لكان بالتخفيف وعطفتهم بالرفع (حين سمعوا صوتى عطفة البقر) بالرفع على الاول وبالنصب على الثانى (على أولادها) فى نسخة أولاده بناء على ان اسم الجنس يؤنث ويذكر (فقالوا) أى بأجمعهم أو واحد بعد واحد (يا لبيك) المنادى محذوف أى يا قوم كقوله تعالى الا يا اسجدوا على قراءة الكسائى (يا لبيك) التكرير للتأكيد أو التكثير (قال عباس فاقتتلوا) أى المسلمون (والكفار) بالنصب أى معهم (والدعوة فى الانصار يقولون) أى والنداء فى حق الانصار بخصوصهم بدل ما تقدم فى حق المهاجرين بحسب تغليبهم (يا معشر الانصار يا معشر الانصار) فاطلق الفعل وأريد المصدر على طريق قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقول الشاعر أحضر الوغى وتسمع بالمعيدى ونحو ذلك (قال) أى العباس (ثم قصرت الدعوة) بصيغة المجهول أى اقتصرت وانحصرت (على بنى الحارث بن الخزرج) أى فنودى يا بنى الحارث وهم قبيلة كبيرة (فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته) الواو للحال أى نظر صلى الله عليه وسلم حال كونه على بغلته وقوله (كالمتطاول عليها) حال من الضمير المرفوع فى على بغلته أى كالغالب القادر على سوقها وقيل كالذى يمد عنقه لينظر الى ما هو بعيد عنه (الى قتالهم) وقال الطيبى هو متعلق بنظر ثم ذكر كلاما يشعر ان نسخته فيها بعض اختصار مخل على وفق ما فى المصابيح (فقال) أى النبى عليه السلام (هذا حين) بالفتح وفى نسخة بالضم (حمى) بفتح فكسر (الوطيس) قال ابن الملك يجوز ان يكون هذا اشارة الى القتال وحين بالفتح ظرف له وان يكون اشارة الى وقت القتال وحين بالرفع خبره وقال الاكمل يجوز فى حين الفتح لانه مضاف الى مبنى والضم على انه خبر مبتدا وقال الطيبى هذا مبتدأ والخبر محذوف وحين مبنى لانه مضاف الى غير متمكن متعلق باسم الاشارة أى هذا القتال حين اشتد الحرب وفيه معنى التعجب واستعظام الحرب قلت الاظهر ما قيل ان هذا مبتدأ وحين خبره وبنى على الفتح لاضافته الى الفعل أى هذا الزمان زمان اشتداد الحرب ثم الوطيس شدة التنور أو

حتى فتح الله عليهم رواه البخارى وعن ابن عباس قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها ارادة ان لا تسرع وأبو سفيان بن الحرث آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى عباس ناد أصحاب السمرة فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت بأعلى صوتى أين أصحاب السمرة فقال والله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة فى الانصار يقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال هذا حين حمى الوطيس

التنور نفسه يضرب مثلا لشدة الحرب التي يشبه حرها حره وفي النهاية الوطيس شبه التنور وقيل هو الضراب في الحرب وقيل هو الوطء الذي يطيس الناس أي يدقهم وقال الاصمعي هو حجارة مدورة اذا حميت لم يقدر أحد يطؤها ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو من فصيح الكلام عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق (ثم أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار) أي قائلا شاهت الوجوه شاهت الوجوه (ثم قال) أي تفاؤلا أو اخبارا (انهزموا ورب محمد فوالله ماهو) أي ليس انهزام الكفار (الا ان رماهم) أي سوى رميهم (بحصياته) أي ولم يكن بالقتال والضرب بالسيف والطعان ويحتمل ان يكون الضمير عبارة عن الامر والشان ويكون هو المستثنى منه (فمازلت أرى حدهم) أي بأسهم وحدتهم وسيوفهم وشدتهم (كليلا) أي ضعيفا (وأمرهم مدبرا) أي وحالهم ذليلا قال النووي فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله صلى الله عليه وسلم احداهما فعلية والاخرى خبرية فانه أخبر بهزيمتهم ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين (رواه مسلم) وكذا النسائي (وعن أبي اسحق) قال المؤلف هو أبو اسحق السبيعي الهمداني الكوفي رأى عليا وابن عباس وغيرهما وسمع البراء بن عازب وزيد بن الارقم روى عنه الاعمش وشعبة والثوري وهو تابعي مشهور كثير الرواية (قال قال رجل) جاء في رواية انه من قيس لكن لا يعرف اسمه (للبراء يا أبا عمارة) بضم فتخفيف (فررتم) أي أفررتم كما في الشمائل وفي رواية أوليتم كلكم (يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي لا حقيقة ولا صورة وفي العدول عن تعبير فر الى ولى حسن عبارة (ولكن خرج) أي الى العدو (شبان أصحابه) بضم الشين وفتح الموحدة أي جماعة من الشباب ممن ليس لهم وقار ورأي عليه مدار ولهذا عبر عنهم في رواية الشمائل بقوله ولكن ولى سرعان من الناس أي الذين يتسارعون الى الشيء من غير روية ومعرفة كاملة كما يدل عليه قوله (ليس عليهم كثير سلاح فلقوا قوما رماة) أي تلقتهم هوازن بالنبل على ما في الشمائل (لا يكاد يسقط لهم سهم على الارض فرشقوهم) أي فرموهم رشقا (ما كانوا يخطئون) قال النووي هذا الجواب الذي أجابه البراء من بديع الادب لان تقدير الكلام فررتم كلكم فيقتضي ان النبي صلى الله عليه وسلم وافقهم في ذلك فقال البراء لا والله ما فر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن جماعة من أصحابه جرى لهم كذا وكذا (فأقبلوا) أي الشبان (هناك) أي ذلك الزمان أو المكان (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي متحيزين اليه والمعنى انه مع هذا لا يصدق عليهم الفرار لقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة وقد قال صلى الله عليه وسلم انا فئتكم فان قلت ذكر في الحديث السابق ولى المسلمون مدبرين وفي هذا الحديث فأقبلوا فكيف الجمع قلت المراد به ان جمعا من المسلمين وقع لهم صورة الادبار ثم بعد توجهه صلى الله عليه وسلم اليهم ومناداتهم بصياح العباس حصل لهم سعادة الاقبال ودولة الاتصال والانتقال من صورة الفرار الى سيرة القرار (ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء) قال العسقلاني وقع عند البخاري على بغلته البيضاء وعند مسلم من حديث العباس ان البغلة التي كانت تحته يوم حنين أهداها له فروة بن نفاثة وهذا هو الصحيح وذكر أبو الحسن بن عبدوس ان البغلة التي ركبها يوم حنين هي دلدل وكانت شهباء أهداها له المقوقس يعني صاحب الاسكندرية وأما التي أهداها له فروة يقال لها فضة ذكر ذلك ابن سعد وذكر عكسه والصحيح ما في مسلم (وأبو سفيان ابن الحارث يقوده) أي يمشي قدامه أو يقود بغلته على حذف مضاف أو بناء على تأويل المركوب وهذا بظاهره يعارض ما تقدم من ان العباس كان آخذا باللجام وان أبا سفيان كان آخذا بالركاب لكن يمكن حمله على سبيل التناوب أو على ان تلك الحال لشدتها احتاج الى اثنين (فنزل) أي النبي صلى الله عليه وسلم (واستنصر) أي طلب النصر والفتح لامته كما يأتي تتمة قصته (وقال) وفي نسخة فقال (انا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب) بسكون الباء فيهما على جري عادة في السجع والنظم وانما صدر هذا من

ثم أخذ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد فوالله ماهو الا ان رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا رواه مسلم وعن أبي اسحق قال قال رجل للبراء يا أبا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن خرج شبان أصحابه ليس عليهم كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحرث يقوده فنزل واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

مشكاة صدر النبوة مستقيما على وزن الشعر بمقتضى طبعه الموزون من غير تعمد منه فلا يعد ذلك شعرا قال القاضي عياض قد غفل بعض الناس وقال الرواية انا النبي لا كذب بفتح الباء وعبد المطلب بالخفض حرصا على تغيير الرواية ليستغني عن الاعتذار وانما الرواية باسكان الباء وقال الخطابي اختلاف الناس في هذا وما أشبهه من الرجز الذي جرى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأوقاته وفي تأويل ذلك مع شهادة الله تعالى بانه لم يعلم الشعر وما ينبغي له فذهب بعضهم الى ان هذا وما أشبهه وان استوى على وزن الشعر فانه اذا لم يقصد به الشعر اذ لم يكن صدوره عن نية له وروية فيه وانما هو اتفاق كلام يقع احيانا فيخرج منه الشيء بعد الشيء على بعض أعاريض الشعر وقد وجد في كتاب الله العزيز من هذا القبيل وهذا مما لا يشك فيه انه ليس بشعر قال النووي فان قيل كيف نسب نفسه الى جده دون أبيه وافتخر بذلك مع ان الافتخار من عمل الجاهلية فالجواب انه صلى الله عليه وسلم كانت شهرته بجده أكثر لان أباه قد توفي شابا قبل اشتهاره وكان جده مشهورا شهرة ظاهرة شائعة وكان سيد أهل مكة وكان مشتهرا عندهم ان عبد المطلب بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه سيظهر ويكون شأنه عظيما وكان أخبره بذلك سيف بن ذي يزن يعني وجماعة من الكهان وقيل ان عبد المطلب رأى رؤيا تدل على ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مشهورا عندهم فاراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يذكرهم بذلك وينبههم بانه صلى الله عليه وسلم لا بد له من ظهوره على الاعداء وان العاقبة له لتقوى نفوسهم وأعلمهم أيضا انه ثابت يلازم الحرب لم يول مع من ولى وعرفهم موضعه ليرجع اليه الراجعون وأما قوله انا النبي لا كذب فمعناه انا النبي حقا فلا أفر ولا أزول وفيه دليل على جواز قول الانسان في الحرب أنا فلان أو أنا ابن فلان يعني انه يجري على مقتضى العادة لاظهار الشجاعة فلا يعد من باب الرياء والسمعة (ثم) أي بعد ما اجتمع المسلمون ورجع الشبان المسرعون (صفهم) أي جعلهم صافين كأنهم بنيان مرصوص (رواه مسلم والبخاري معناه) أي فالحديث متفق عليه في مؤداه (وفي رواية لهما قال البراء كنا والله اذا احمر البأس) أي اشتد الحرب من قولهم موت أحمر وقال النووي احمرار البأس كناية عن اشتداد الحرب فاستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة أو لاستعار نار الحرب واشتعالها كما في الحديث السابق حمي الوطيس (نتقي به) أي نلتجئ اليه ونطلب الخلاص بسببه (وان الشجاع) بضم أوله أي البليغ في الشجاعة (منا للذي يحاذيه) أي يوازيه ويحاذي منكبه منكبه والمعنى ان أحدا لم يقدر حينئذ على التقدم عليه فاما أن يكون جبانا فيفر عنه أو شجيعا فيعوذ به ويلوذ اليه (يعني) أي يريد البراء بالضمير (النبي صلى الله عليه وسلم) وفيه بيان شجاعته وعظيم وثوقه بالله سبحانه (وعن سلمة بن الاكوع قال غزونا) أي الكفار (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا) أي يوم حنين (فولى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بعضهم (فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم) على زنة رضوا والضمير للكفار أي لما قاربوا غشيانه (نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الارض ثم استقبل به) أي بالتراب (راميا وجوههم فقال) أي دعاء أو خبرا (شاهت الوجوه) أي تغيرت وقبحت (فما خلق الله منهم انسانا) أي فما بقي منهم أحد (الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة) والتعبير بما خلق الله لافادة التأكيد وتقرير الحصر على وجه التأكيد قال الطيبي فيه بيان المعجزة من وجهين أحدهما ايصال تراب تلك القبضة الى أعينهم جميعا وثانيهما انها بحيث ملأت عين كل واحد منهم من تلك القبضة اليسيرة وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب قلت والثالث انهزامهم بذلك كما يشير اليه قوله (فولوا مدبرين) حال مؤكدة أو مقيدة أي غير راجعين (فهزمهم الله) أي ونصر رسوله واستجاب دعاءه وجمع له بين عز الجاه وحسن الحال وغنيمة المال ولذا قال (وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين رواه مسلم وعن أبي هريرة قال شهدنا) أي حضرنا (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل) أي في حقه وشأنه (ممن معه يدعي الاسلام) حال

ثم صفهم رواه مسلم والبخاري معناه وفي رواية لهما قال البراء كنا والله اذا احمر البأس نتقي به وان الشجاع منا للذي يحاذيه يعني النبي صلى الله عليه وسلم وعن سلمة بن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فولى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الارض ثم استقبل به وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين رواه مسلم وعن أبي هريرة قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي الاسلام

أو استئناف بيان قال النووي اسم الرجل قزمان قاله الخطيب البغدادي وكان من المنافقين كذا في جامع الاصول (هذا من أهل النار) مقول للقول (فلما حضر القتال) أي وقته (قاتل الرجل من أشد القتال وكثرت به الجراح) بكسر الجيم جمع الجراحة على ما في القاموس (فجاء رجل) أي متعجبا (فقال يارسول الله أرأيت الذي تحدث) أي اخبرني عن حال من أخبرت (عنه انه من أهل النار فانه قد قاتل في سبيل الله من أشد القتال فكثرت به الجراح) أي وظاهر حاله انه من أهل الجنة لانه قاتل في سبيل الله أشد القتال فرد عليه (فقال اما انه من أهل النار) أي القول ما قلت لك وان ظهر لك خلافه لانه لا عبرة بصورة الاعمال وانما المدار على حسن الاحوال وخاتمة الاعمال (فكاد) أي قرب (بعض الناس) أي بعض المسلمين ممن له ضعف في الدين وقلة معرفة بعلم اليقين (يرتاب) أي يشك في أمره لقوله انه من أهل النار (فبينما هو) أي الرجل (على ذلك) أي ما ذكر من مبهم الحال (اذ وجد الرجل ألم الجراح فاهوى بيده) أي قصد ومال (الى كنانته) بكسر أوله أي الى جعبته وهي ظرف سهمه (فانتزع سهما) أي فاخرجه (فانتحر) أي نحر نفسه (بها) أي بالمعبلة التي هي مركبة في السهم وهي كمكنسة نصل عريض طويل على ما في القاموس والحاصل انه مات كافرا لخبث باطنه أو فاسقا بقتل نفسه (فاشتد رجال من المسلمين) أي عدوا وأسرعوا قاصدين ومتوجهين (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله صدق الله حديثك) بتشديد الدال في أكثر النسخ أي حققه وفي نسخة بتخفيفها أي صدق الله في اخبارك المطابق للواقع (قد انتحر فلان وقتل نفسه) عطف تفسير وبيان (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر اشهد اني عبد الله ورسوله) قال شارح هذا كلام يقال عند الفرح فرح عليه السلام حين ظهر صدقه وقال الطيبي يحتمل تعجبا وفرحا لوقوع ما أخبر عنه فعظم الله تعالى حمدا وشكرا لتصديق قوله وأن يكون كسرا للنفس وعجبها حتى لا يتوهم انه من عنده وينصره قوله اني عبد الله (يابلال قم فاذن) أي فاعلم الناس (لا يدخل الجنة الا مؤمن) أي خالص احترازا عن المنافقين أو مؤمن كامل فالمراد دخولها مع الفائزين دخولا أوليا غير مسبوق بعذاب (وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر) أي المنافق أو الفاسق ممن يعمل رياء أو يخالطه معصية وربما يكون عملا به سوء الخاتمة نسأل الله العافية والجملة يحتمل أن تكون داخلة تحت التأذين أو استئناف بيان لاختلاف أحوال القائلين ومن نظائره من يصنف أو يدرس أو يعلم أو يتعلم أو يؤذن أو يؤم أو يأتم وامثال ذلك كمن يبني مسجدا أو مدرسة أو زاوية لغرض فاسد وقصد كاسد مما يكون سببا لنظام الدين وقوام المسلمين وصاحبه من جملة الحمر ومن جعلنا الله تعالى من المخلصين بل من المخلصين (رواه البخاري) وكذا مسلم وفي الجامع ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم رواه النسائي وابن حبان عن أنس وأحمد والطبراني عن أبي بكرة وفي رواية للطبراني عن ابن عمر بلفظ ان الله تعالى ليؤيد الاسلام برجال ما هم من أهله (وعن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي سحره يهودي (حتى انه ليخيل اليه) بصيغة المفعول أي ليظن (انه فعل الشئ) أي الفلاني مثلا (وما فعله) أي والحال انه ما فعل ذلك الشئ قيل معناه انه غلب عليه النسيان بحيث يتوهم من حيث النسيان انه فعل الشئ الفلاني وما فعله أو انه ما فعله وقد فعل وذلك في أمر الدنيا الا في الدين ونظيره ما قال تعالى في حق موسى فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى أي والحال انها ما تسعى بل انهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك فاوجس في نفسه خيفة موسى قال البيضاوي يعني فاضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية وقد قرئ تخيل على اسناده الى الله سبحانه قال النووي قد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعم انه يحط من منزل النبوة لذلك وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع وهذا الذي ادعاه باطل لان الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل فاما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بها فهو مما يعرض للبشر فغير بعيد

هذا من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال وكثرت به الجراح فجاء رجل فقال يارسول الله أرأيت الذي تحدث انه من أهل النار قد قاتل في سبيل الله من أشد القتال وكثرت به الجراح فقال اما انه من أهل النار فكاد بعض الناس يرتاب فبينما هو على ذلك اذ وجد الرجل ألم الجراح فاهوى بيده الى كنانته فانتزع سهما فانتحر بها فاشتد رجال من المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله صدق الله حديثك قد انتحر فلان وقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أشهد اني عبد الله ورسوله يابلال قم فاذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر رواه البخاري

وعن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله

أن يخيل اليه من السحر وقد قيل انه انما كان يخيل اليه ما يخيل ولكنه لم يعتقد صحته وكانت معتقداته على الصحة والسداد أقول ويمكن أن يعتقد صحة ما لم يتعلق بالدين ثم ينبه عليه ويبين له صحيح الاعتقاد كما قال تعالى لموسى لا تخف انك أنت الأعلى وقيل معنى ليخيل اليه أي يظهر له من نشاطه انه قادر على اتيان النساء فاذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يتمكن من ذلك قال النووي وكل ما جاء من أنه يخيل شيأ لم يفعله فمحمول على التخيل بالبصر لا بالعقل وليس فيه ما يطعن بالرسالة قال المظهر وأما ما زعموا من دخول الضرر في الشرع باثباته فليس كذلك لان السحر انما يعمل في أبدانهم وهم بشر يجوز عليهم من العلل والامراض ما يجوز على غيرهم وليس تأثير السحر في أبدانهم بأكثر من القتل وتأثير السم وعوارض الاسقام فيهم وقد قتل زكريا وابنه وسم نبينا صلى الله عليه وسلم وأما أمر الدين فانهم معصومون فيما بعثهم الله عز وجل وأرصدهم له وهو جل ذكره حافظ لدينه وحارس لوحيه أن يلحقه فساد وتبديل بان لا يطول ذلك بل يزول سريعا وكأنه ما حل وفائدة الحلول تنبيه على ان هذا بشر مثلكم وعلى أن السحر تأثيره حق فانه اذا أثر في أكمل الانسان فكيف غيره (حتى اذا كان ذات يوم) بالنصب ويجوز الرفع ذكره العسقلاني لكن الرفع لا يلايم قولها (عندي دعا الله ودعاه) كرر للتأكيد أو التكثير أي وأكثر الدعاء قال الطيبي أي اتى عقب دعائه بدعاء واستمر عليه ويدل على هذا التأويل الرواية الاخرى ثم دعا ثم دعا قال النووي هذا دليل على استحباب الدعاء عند حصول الامور المكروهة وحسن الالتجاء الى الله تعالى (ثم قال أشعرت) أي أعلمت (يا عائشة ان الله قد أفتاني) أي بين لي (فيما استفتيته) أي فيما طلبت بيان الامر منه وكشفه عنه ثم بينه بقوله (جاءني رجلان) أي ملكان على صورة رجلين (جلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي) وفي نسخة بالتثنية (ثم قال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل) أي ما سبب تعبه الذي بمنزلة وجعه (قال مطبوب) أي هو مسحور يقال طب الرجل اذا سحر فكنوا بالطب عن السحر كما كنوا بالسليم على اللديغ (قال) أي الآخر (ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي) قيل أي بناته لقوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد أي النساء أو النفوس السواحر التي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق قال القاضي وتخصيصه بالتعوذ لما روي ان يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت المعوذتان وأخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا رضي الله عنه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في أنه مسحور لانهم أرادوا به انه مجنون بواسطة السحر انتهى والظاهر ان ذلك قضية أخرى فانها مغايرة لما في هذا الحديث ويمكن الجمع بينهما بوقوع نوعين من السحر له صلى الله عليه وسلم ليكون أجره مرتين وان أحدهما وهو ما في هذا الحديث وقع من لبيد والآخر من بناته والله أعلم (قال) أي الآخر (فيماذا) أي سحر في أي شيء (قال في مشط) بضم الميم وفي القاموس المشط مثلثة وككتف وعنق وعتل ومنبر آلة يمتشط بها (ومشاطة) بضم الميم ما سقط من شعر الرأس أو اللحية عند تسريحه بالمشط (وجف طلعة ذكر) بضم الجيم وتشديد الفاء وهو وعاء طلع النخل وطلعة ذكر على الاضافة وأراد بالذكر فحل النخل قيل ويروى جب بالباء الموحدة أي داخل طلعة ذكر قال النووي الجف بضم الجيم والفاء هكذا هو في أكثر بلادنا وفي بعضها جب بالباء وهما بمعنى وهو وعاء طلع النخل ويطلق على الذكر والانثى فلهذا أضاف في الحديث طلعة الى ذكر اضافة بيان (قال فاين هو) أي ما ذكر مما سحر به (قال في بئر ذروان) بفتح الذال المعجمة قال شارح وفي كتاب مسلم في بئر ذي اروان قيل هو الصواب لان اروان بالمدينة أشهر من ذروان وذروان على مسيرة ساعة من المدينة وفيه بني مسجد الضرار قلت فذروان وفق في هذا المقام والله أعلم بالمرام وقال النووي وفي كتاب مسلم في بئر ذي اروان وكذا وقع في بعض روايات البخاري وفي معظمها ذروان وكلاهما صحيح مشهور والاول أصح وأجود وهي بئر في المدينة

حتى اذا كان ذات يوم عندي دعا الله ودعاه ثم قال أشعرت يا عائشة ان الله قد أفتاني فيما استفتيته جاءني رجلان جلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودي قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال في بئر ذروان

في بستان أبي زريق (فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس) أي مع جمع (من أصحابه) أي المخصوصين (الى البئر فقال هذه البئر التي اريتها) بصيغة المجهول (وكأن) بالتشديد (ماءها نقاعة الحناء) بضم النون أي لونه والمعنى ان ماءها متغير لونه مثل ماء نقع فيه الحناء والنقاعة ما يخرج من المنقوع (وكأن نخلها رؤس الشياطين) قال التوربشتي أراد بالنخل طلع النخل وانما أضافه الى البئر لانه كان مدفونا فيها وأما تشبيهه ذلك برؤس الشياطين فلما صادفوه عليه من الوحشة والنفرة وقبح المنظر وكانت العرب تعد صور الشياطين من أقبح المناظر ذهابا في الصورة الى ما يقتضيه المعنى وقيل أريد بالشياطين الحيات الخبيثات المحرمات وأياما كان فان الاتيان بهذا المنظر في الحديث مسوق على نص الكتاب في التمثيل قال تعالى كأنه رؤس الشياطين (فاستخرجه) أي ما ذكر مما سحر به (متفق عليه وعن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه (قال بينما نحن) أي حاضرون (عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما) قال التوربشتي القسم مصدر قسمت الشيء فانقسم سمي الشيء المقسوم وهو الغنيمة بالمصدر والقسم بالكسر الحظ والنصيب ولا وجه للمكسور في الحديث لانه يختص بما اذا تفرد نصيب وهذا القسم كان في غنائم خيبر قسمها بالجعرانة (أتاه ذو الخويصرة) تصغير الخاصرة (وهو رجل من بني تميم) قبيلة كبيرة شهيرة ونزل فيه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات فهو من المنافقين وسيجيء انه من أصله يخرج الخوارج وأما قول شارح هو رئيس الخوارج ففيه مسامحة اذ أول ظهورهم في زمن علي كرم الله وجهه (فقال يا رسول الله اعدل) الظاهر انه أراد بذلك التورية كما هو عادة أهل النفاق بأن يراد بالعدل التسوية أو قسمة الحق اللائق بكل أحد من العدل الذي في مقابل الظلم لكنه صلى الله عليه وسلم علم بنور النبوة أو ظهور الفراسة أو قرينة الحال فانه صلى الله عليه وسلم كان في اعطائه يرى قدر الحاجة والفاقة وغيرهما من المصلحة فتعين انه أراد المعنى الثاني أو لان التسوية في مكان ينبغي التفاضل نوع من الظلم فغضب عليه (فقال ويلك فمن يعدل اذا لم أعدل قد خبت) بكسر الخاء المعجمة وسكون الموحدة وتاء الخطاب أي حرمت المقصود (وخسرت) على الخطاب أيضا ان لم أكن أعدل قال التوربشتي وانما رد الخيبة والخسران الى المخاطب على تقدير عدم عدله لان الله تعالى بعثه رحمة للعالمين وبعثه ليقوم بالعدل فيهم فاذا قدر انه لم يعدل فقد خان المعترف بانه مبعوث اليهم نفاب وخسر لان الله لا يحب الخائنين فضلا من أن يرسلهم الى عباده انتهى وخلاصته انه اذا حكم ذلك القائل بانه لا يعدل فقد خاب القائل وخسر بهذا الحكم (فقال عمر ائذن لي أضرب عنقه) بالجزم وجوز رفعه وفي نسخة صحيحة ان أضرب عنقه (فقال دعه) أي اتركه في شرح السنة كيف منع النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله مع انه قال لئن أدركتهم لاقتلنهم قيل انما أباح قتلهم اذا كثروا وامتنعوا بالسلاح واستعرضوا الناس ولم تكن هذه المعاني موجودة حين منع من قتلهم وأول ما نجم ذلك في زمان علي رضي الله عنه وقاتلهم حتى قتل كثيرا منهم انتهى والاظهر ما ذكره الاكمل حيث قال فيه دلالة على حسن أخلاقه صلى الله عليه وسلم وانه ما كان ينتقم لنفسه لانه قال اعدل وفي رواية اتق الله وفي أخرى ان هذه القسمة ما عدل فيها وكل ذلك يوجب القتل اذ فيه النقص للنبي صلى الله عليه وسلم ولهذا لو قاله أحد في عصرنا لحكم بكفره أو ارتداده انتهى وهو لا ينافي تعليل منعه عن قتله بقوله (فان له أصحابا) أي اتباعا سيوجدون من نعتهم (انه يحقر أحدكم صلاته) أي كمية وكيفية (مع صلاتهم) أي في جنب صلاتهم المزينة المحسنة للرياء والسمعة (وصيامه مع صيامهم) أي في نوافل أيامهم قال شارح فيه تنبيه على انهم يصلون وانه نهى عن قتل المصلين انتهى وفيه انه ليس هذا النهي على اطلاقه (يقرؤن القرآن) استئناف بيان أي يداومون على تلاوته ويبالغون في تجويده وترتيله ومراعاة مخارج حروفه وصفاته (لا يجاوز تراقيهم) أي حال كونهم لا يجاوز قراءتهم عن حلوقهم وهو كناية عن عدم صعود دعائهم ونفي قبول قراءتهم قال شارح والتراقي جمع ترقوة وهي العظام بين نقرة الحلق والعاتق يريد انه لا يخلص عن ألسنتهم وآذانهم

فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه الى البئر فقال هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء وكأن نخلها رؤس الشياطين فاستخرجه متفق عليه وعن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال ويلك فمن يعدل اذا لم أعدل قد خبت وخسرت ان لم أكن أعدل فقال عمر ائذن لي أضرب عنقه فقال دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم

الى قلوبهم وأفهامهم وقال القاضي أي لا تتجاوز قراءتهم عن ألسنتهم الى قلوبهم فلا تؤثر فيها أو لا تتصاعد من مخرج الحروف وحيز الصوت الى محل القبول والاثابة (يمرقون) بضم الراء أي يخرجون (من الدين) أي من طاعة الامام أو من أهل الاسلام ويمرون عليه سريعا من غير حظ وانتفاع به (كما يمرق السهم من الرمية) بتشديد التحتية فعيلة بمعنى مفعولة وهي الصيد يقال مرق السهم من الرمية اذا خرج من الجانب الآخر أي خروج السهم ومروره بجميع أجزائه وتنزهه عن التلوث بما يمر عليه من فرث ودم قال شارح شبههم في ذلك بالرمية لاستحياشهم عما يرمون به من القول النافع ثم وصف المشبه به في سرعة تخلصه وتنزهه عن التلوث بما يمر عليه من فرث ودم ليبين المعنى المضروب له بقوله (ينظر الى نصله) بصيغة المجهول (الى رصافه) بضم الراء وبكسر بدل وهو عصب يلوى فوق مدخل النصل (الى نضيه) بفتح فكسر فتشديد (وهو قدحه) بكسر القاف وهو ماجاوز الريش الى النصل من النضي ولانه بري حتى صار نضوا فهو مجاز باعتبار ما كان وهو جملة معترضة من كلام الراوي تفسير للنضي ثم قوله (الى قذذه) من كلامه صلى الله عليه وسلم وهو جمع قذة بضم القاف وتشديد الذال المعجمة ريش السهم قال القاضي أخرج متعلقات الفعل على سبيل التعداد لا التنسق (فلا يوجد فيه) أي في السهم أو في كل واحد من المذكورات (شئ) أي من الفرث والدم والحال ان السهم أو كل واحد منها (قد سبق الفرث والدم) أي مر عليهما والمعنى كما ان هذا السهم في الرمية بحيث لم يتعلق به شئ من الروث والدم كذلك دخول هؤلاء في الاسلام ثم خروجهم منه سريعا بحيث لم يؤثر فيهم هذا وقيل المراد بالنصل القلب الذي هو المؤثر والمتأثر فاذا نظرت الى قلبه فلا تجد فيه أثرا مما شرع فيه من العبادة وبالرصاف الصدر الذي هو محل الانشراح بالاوامر والنواهي فلم يشرح لذلك ولم يظهر فيه أثر السعادة وبالنضي البدن والمعنى ان البدن وان تحمل التكاليف الشرع من الصلاة والصوم وغير ذلك لكنه لم يحصل له منه فائدة وبالقذة اطراف البدن التي هي بمنزلة الآلات لاهل الصناعات أي لم يحصل له بها ما يحصل لاهل السعادات (آيتهم) أي علامة أصحابه الكائنة فيهم الكامنة منهم (رجل اسود) أي ظاهرا أو باطنا (احدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة) بفتح الموحدة أي قطعة اللحم وأو للتخيير في التشبيه أو للشك من الراوي (تدردر) بحذف احدى التاءين أي تضطرب وتجيء وتذهب وقال الطيبي أي تحرك وترجرج مارا أو جائيا انتهى وظاهره انه جعله فعلا ماضيا وهو خلاف ما عليه الاصول المضبوطة (ويخرجون) عطف على يمرقون (على خير فرقة) أي في زمانهم (من الناس) يريد عليا وأصحابه رضي الله عنهم وفي رواية على حين فرقة بضم الفاء فعلى بمعنى في أي يظهرون في حين تشتت أمر الناس واضطراب أحوالهم وظهور التحارب فيما بينهم (قال أبو سعيد) أي الخدري راوي الحديث (أشهد) أي أحلف (اني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد ان علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه) أي فهو ومن معه خير الفرقة (فأمر) أي علي (بذلك الرجل) أي بطلب ذلك الرجل الذي آيتهم وعلامتهم (فالتمس) بصيغة المجهول أي فطلب وأخذ (فأتي به حتى نظرت اليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته) أي سابقا (وفي رواية) قال ابن الملك أي بدل أتاه ذو الخويصرة في أول هذا الحديث (أقبل رجل غائر العينين) اسم فاعل من الغور أي غارت عيناه ودخلتا في رأسه (ناتئ الجبهة) بكسر الفوقية بعدها همز أي مرتفعها (كث اللحية) بفتح فتشديد مثلثة أي كثيفها (مشرف الوجنتين) أي عالي الخدين (محلوق الرأس) أي لادعاء المبالغة في النظافة والتأكيد في قطع التعلق وهو مخالفة ظاهرة لما عليه أكثر أصحابه صلى الله عليه وسلم من ابقاء شعر رأسه وعدم حلقه الا بعد فراغ النسك غير علي كرم الله وجهه فانه كان يحلق كثيرا لما قدمنا سببه ووجهه (فقال يا محمد اتق الله) أي في قسمك (فقال فمن يطع الله) أي يتقيه من أمتي (اذا عصيته) أي مع عصمتي وثبوت نبوتي (فيأمنني الله) أي يجعلني أمينا (على أهل الارض ولا تأمنوني)

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر الى نصله الى رصافه الى نضيه وهو قدحه الى قذذه فلا يوجد فيه شئ قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد أشهد اني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد ان علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فامر بذلك الرجل فالتمس فاتي به حتى نظرت اليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته وفي رواية أقبل رجل غائر العينين ناتئ الجبهة كث اللحية مشرف الوجنتين محلوق الرأس فقال يا محمد اتق الله فقال فمن يطع الله اذا عصيته فيأمنني الله على أهل الارض ولا تأمنوني

فسأله رجل قتله فمنعه فلما ولى الرجل قال ان من ضئضئ هذا او في عقب هذا قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم

يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية فيقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد متفق عليه وعن أبي هريرة قال كنت أدعو أمي الى الاسلام وهي مشركة فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي قلت يارسول الله ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت مستبشرا بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فلما صرت الى الباب فاذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء فاغتسلت فلبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت يا أبا هريرة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي من الفرح فحمد الله وقال خيرا رواه مسلم وعنه قال انكم تقولون أكثر أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم والله الموعد وان اخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق وان اخوتي من الانصار كان يشغلهم عمل أموالهم

بتشديد النون وبخفف والخطاب على وجه العتاب الذي الخو بصرة وقومه (فسأله رجل) وهو عمر رضي الله عنه كما سبق (قتله) أي تجويزه (فمنعه) أي لما تقدم (فلما ولى) أي الرجل (قال ان من ضئضئ هذا) بكسر معجمتين وبهمزتين بينهما أولهما أي من أصله ونسبه وعقبه على ما في النهاية وقال التوربشتي من ذهب الى انهم يتولدون منه فقد أبعد اذ لم يذكر في الخوارج قوم من نسل ذي الخويصرة ثم ان الزمان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول الى ان نابذ المارقة عليا رضي الله عنه وحاربوه لا يحتمل ذلك بل معناه ان من الاصل الذي هو منه في النسب أو من الاصل الذي هو عليه في المذهب (قوما يقرؤن القرآن لا يجاوز) أي مقروؤهم (حناجرهم) أي ظواهرهم ولا يؤثر في بواطنهم (يمرقون من الاسلام) أي من كماله أو من انقياد الامام استدل به من كفر الخوارج وقال الخطابي المراد بالاسلام هنا طاعة الامام (مروق السهم) أي تخرج وجه سريعا (من الرمية) أي من غير انتفاع بها (فيقتلون أهل الاسلام) أي لتكفيرهم اياهم بسبب ارتكاب الكبائر (ويدعون) بفتح الدال أي يتركون (أهل الاوثان) أي أهل عبادة الاصنام وغيرهم من الكفار (لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد) أراد بقتل عاد استئصالهم بالهلاك فان عادا لم تقتل وانما أهلكت بالريح واستؤصلت بالاهلاك قيل دل الحديث على جواز القتل عند اجتماعهم وتظاهرهم ولذلك منع من قتل ذلك الرجل انتهى وفيه ان منع قتله لم يكن لانفراده بل لسبب آخر بيانه تقدم والله أعلم (متفق عليه وعن أبي هريرة قال كنت أدعو أمي الى الاسلام وهي مشركة) حال مؤكدة أو المراد بها انها مستمرة على الشرك (فدعوتها يوما) أي الى الاسلام ومتابعة سيد الانام (فأسمعتني في رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي في حقه وشأنه (ما أكره) أي شيأ أكرهه من الكلام أو أكره ذكره بين الانام (فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي) أي من الحزن والغبن حيث لم أقدر على تاديبها لكونها أمي (قلت) وفي نسخة فقلت (يارسول الله ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال اللهم اهد أم أبي هريرة فخرجت مستبشرا) أي مسرورا منشرحا (بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم فلما صرت) أي واصلا (الى الباب) أي باب أمي (فاذا هو) أي الباب (مجاف) أي مردود ومنه الحديث أجيفوا أبوابكم أي ردوها كذا في النهاية (فسمعت أمي خشف قدمي) بالتثنية وفي نسخة بالافراد أي صوتهما وقيل حركتهما (وخشفهما) وهو بفتح الخاء وسكون الشين المعجمتين ويحرك على ما في القاموس (فقالت مكانك) بالنصب أي الزمه (يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء) أي تحريكه وقيل صوته (فاغتسلت ولبست درعها) بكسر الدال أي قميصها (وعجلت) بكسر الجيم (عن خمارها) أي تركت خمارها من العجلة يقال عجلت عنه تركته والمعنى انها بادرت الى فتح الباب بعد لبسها الثياب قبل ان تلبس خمارها وهذا معنى ما قال الطيبي عجلت الفتح متجاوزة عن خمارها (ففتحت الباب) أي بعد ما وقع عليها النقاب ورفع عنها الحجاب (ثم قالت يا أبا هريرة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي من الفرح فحمد الله وقال خيرا) أي قولا خيرا أو كلاما يتضمن خيرا أو التقدير وصلت يا أبا هريرة خيرا باسلام أمك (رواه مسلم وعنه) أي عن أبي هريرة (قال انكم) أي معشر التابعين وقيل الخطاب مع الصحابة المتأخرين (تقولون أكثر أبو هريرة) أي الرواية (عن النبي صلى الله عليه وسلم والله الموعد) أي موعدنا فيظهر عنده صدق الصادق وكذب الكاذب لان الاسرار تنكشف هنالك وقال الطيبي أي لقاء الله الموعد يعني به يوم القيامة فهو يحاسبني على ما أزيد وانقص لاسيما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (وان اخوتي) أي اخواني وأصحابي (من المهاجرين كان يشغلهم) بفتح الياء والغين وأما الضم والكسر فلغية قليلة أو رديئة أي يمنعهم (الصفق) بفتح فسكر أي ضرب اليد على اليد عند البيع قال الطيبي هو كناية عن العقود في البيع والشراء (وان اخوتي من الانصار كان يشغلهم عمل أموالهم) أي المواضع التي فيها نخل لهم والحاصل ان

المهاجرين كانوا أصحاب تجارات والانصار أصحاب زراعات (وكنت امرأ مسكينا) أي عاجزا عن مال التجارة واسباب الزراعة (ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي صحبته وخدمته حامدا (على ملء بطني) قال الطيبي هو حال أي ألزمه صلى الله عليه وسلم قانعا بملء بطني فعداه بعلى مبالغة وفي معناه قول الشاعر

فان ملكت كفاف قوت فكن به * قنعا فان المتقي الله قانع

(وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لن يبسط) أي ان يفرش (أحد منكم ثوبه حتى اقضي) أي أفرغ (مقالتي هذه) كأنه اشارة الى دعاء دعا به حينئذ ذكره الطيبي وقيل كانت مقالته دعاءه للصحابة بالحفظ والفهم والاظهر ان المراد بها الكلام الذي كان شرع فيه (ثم يجمعه) بالنصب والرفع أي يضم ثوبه (الى صدره فينسى من مقالتي) أي من أحاديثي شيأ أبدا قال الطيبي هو جواب النفي على تقدير ان فيكون عدم النسيان مسببا عن المذكورات كلها وأوثرت لن النافية دلالة على ان النسيان بعد ذلك كالمحال وقوله من مقالتي شيأ اشارة الى جنس المقالات كلها (فبسطت نمرة) بفتح النون وكسر الميم قال الطيبي أي شملة مخططة من مآزر الاعراب وجمعها نمار كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض (حتى قضى النبي صلى الله عليه وسلم مقالته) أي تلك (ثم جمعتها الى صدري فو الذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته) أي من جنس مقالته ذلك فان المصدر يذكر ويؤنث أو ذكر باعتبار معناها وهو القول والكلام وقال الطيبي اشارة الى جنس المقالة باعتبار المذكور (الى يومي هذا) وهو وقت رواية هذا الحديث (متفق عليه وعن جرير بن عبد الله) أي البجلي (قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تريحني) من الاراحة وهي اعطاء الراحة أي ألا تخلصني (من ذي الخلصة) بفتحتين وهو بيت كان لخثعم يدعى كعبة اليمامة والخلصة اسم طاغيتهم التي كانت فيه قال الاشرف فيه ايماء الى ان النفوس الزكية الكاملة المكملة قد يلحقها العناء مما هو على خلاف ما ينبغي من عبادة غير الله تعالى وغيرها مما لا يجوز ولا ينبغي (فقلت بلى وكنت لا أثبت) بضم الباء (على الخيل) أي كنت أقع عنها أحيانا (فذكرت ذلك) أي عدم الثبوت (للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب بيده على صدري حتى رأيت) أي علمت (أثر يده) أي تأثيرها القوة ضربها (في صدري وقال اللهم ثبته) أي ظاهرا أو باطنا (واجعله هاديا) أي لغيره (مهديا) بفتح الميم وتشديد التحتية أي مهتديا في نفسه لا يزيغ عن هديه (قال فما وقعت) أي سقطت (عن فرسي بعد) أي بعد ذلك الدعاء أو بعد ذلك اليوم (فانطلق) قال الطيبي هو من كلام الراوي وقيل هو من كلام جرير ففيه التفات والمعنى فذهب جرير (في مائة) أي مع مائة (وخمسين فارسا من أحمس) أي من قوم قريش والاحمس الشجاع ففي النهاية هم قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس سموا احمسا لانهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا والحماسة الشجاعة والحاصل انهم كانوا متصلبين في الدين والقتال فلا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وأمثال ذلك (فحرقها بالنار) بتشديد الراء أي أحرق جرير الخلصة وكسرها أي وأبطلها (متفق عليه وعن أنس قال ان رجلا) قيل لم يعرف اسمه وقيل هو عبد الله بن أبي السرح وقيل انه غلط فانه مات مسلما بل هو رجل كان نصرانيا فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران (كان يكتب) أي الوحي (للنبي صلى الله عليه وسلم فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين) أي فعاد نصرانيا وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له (فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لا تقبله) فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا فالقوه فحفروا له فاعمقوا الارض ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الارض فعلموا انه ليس من الناس فالقوه (قال أنس فأخبرني أبو طلحة) وهو زوج أم أنس (انه) أي أبا طلحة (أتى الارض التي مات فيها فوجده منبوذا) أي مطروحا ملقى على وجه الارض (فقال ما شأن هذا فقالوا دفناه مرارا فلم تقبله الارض متفق عليه وعن أبي أيوب قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس) أي سقطت وغربت ومنه قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها (فسمع صوتا) يحتمل انه سمع صوت ملائكة العذاب

فقلت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لن يبسط أحد منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه الى صدره فينسى من مقالتي شيأ أبدا فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها حتى قضى النبي صلى الله عليه وسلم مقالته ثم جمعتها الى صدري فو الذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته ذلك الى يومي هذا متفق عليه وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تريحني من ذي الخلصة فقلت بلى وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب بيده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا قال فما وقعت عن فرسي بعد فانطلق في مائة وخمسين فارسا من أحمس فحرقها بالنار وكسرها متفق عليه وعن أنس قال ان رجلا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لا تقبله فأخبرني أبو طلحة انه أتى الارض التي مات فيها فوجده منبوذا فقال ما شأن هذا فقالوا دفناه مرارا فلم تقبله الارض متفق عليه وعن أبي أيوب قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتا

فقال يهود تعذب في قبورها متفق عليه وعن جابر قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح تكاد أن تدفن الراكب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت هذه الريح لموت منافق فقدم المدينة فإذا عظيم من المنافقين قد مات رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدمنا عسفان فأقام بها ليالي فقال الناس ما نحن ههنا في شيء وإن عيالنا لخلوف ما نأمن عليهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده ما في المدينة شعب ولا نقب إلا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا إليها ثم قال ارتحلوا فارتحلنا وأقبلنا إلى المدينة فوالذي يحلف به ما وضعنا رحالنا حين دخلنا المدينة حتى أغار علينا بنو عبد الله بن غطفان وما يهيجهم قبل ذلك شيء رواه مسلم وعن أنس قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد حتى الجمعة الأخرى وقام ذلك

أو صوت يهود المعذبين أو صوت وقع العذاب وعند الطبراني ما يؤيد الثاني وكذا الظاهر ما بينه صلى الله عليه وسلم (فقال يهود) أي هذا يهود أي صوته يعني صوت جماعة من اليهود (تعذب في قبورها) فيه إثبات عذاب القبر ومعجزة من حيث كشف أحوالهم (متفق عليه وعن جابر قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم من سفر فلما كان قرب المدينة) بالنصب على نزع الخافض والخبر متعلقه أي فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم واصلا بقربها (هاجت) أي ثارت وظهرت (ريح) أي عظيمة (تكاد أن تدفن الراكب) بكسر الفاء أي تقرب أن تواري به من شدة ثورانها (فقال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت هذه الريح) بصيغة المجهول أي أرسلت (لموت منافق) أي في وقت موته (فقدم المدينة فإذا عظيم من المنافقين قد مات) قيل هو رفاعة بن دريد والسفر غزوة تبوك وقيل رافع والسفر غزوة بني المصطلق (رواه مسلم) وكذا البخاري (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرجنا) أي من مكة (مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدمنا عسفان) بضم أوله في القاموس عسفان كعثمان موضع على مرحلتين من مكة وقال شارح أي رجعنا عن السفر ووصلنا إلى عسفان موضع قريب المدينة قال صاحب الأزهار وهو غلط بل هو على مرحلتين من مكة ذكره المغرب وغيره (فأقام بها) أي بتلك البقعة أو القرية (ليالي) أي وأياما (فقال الناس) أي بعض المنافقين أو الضعفاء في الدين واليقين (ما نحن ههنا في شيء) أي شغل وعمل أو في شيء من أمر الحرب (وإن عيالنا لخلوف) بالضم أي لغائبون أو نساء بلا رجال يقال حي خلوف إذا لم يبق فيهم إلا النساء والخلوف أيضا الحضور والمتخلفون والجملة حال وقوله (ما نأمن عليهم) أي على عيالنا خبر بعد خبر ولعل تذكير الضمير للتغليب أو تنزيلا منزلة الرجال في الجلادة والشجاعة (فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم) أي قولهم هذا الكلام (فقال والذي نفسي بيده ما في المدينة شعب) بكسر المعجمة طريق في الجبل (ولا نقب) أي طريق بين الجبلين أي ليس في المدينة مما يطلق عليه الشعب والنقب (إلا عليه ملكان يحرسانها) بضم الراء أي يحفظانها بأمر الله تعالى (حتى تقدموا) بفتح الدال أي ترجعوا (إليها) قال الطيبي قوله عليه أي على كل واحد من الشعب والنقب والضمير في يحرسانها راجع إلى المدينة والمراد شعبها ونقبها فات الإظهار ان يراد بهما جميعها (ثم قال ارتحلوا فارتحلنا وأقبلنا إلى المدينة) أي متوجهين إليها (فوالذي يحلف به) أي الله سبحانه (ما وضعنا رحالنا) أي متاعنا عن ظهور جمالنا (حين دخلنا المدينة حتى أغار علينا) أي معشر المدينة (بنو عبد الله بن غطفان) بفتح المعجمة فالمهملة والمعنى أن المدينة حال غيبتهم عنها كانت محروسة كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم إعجازا ولم يكن مانعا من الإغارة والتهييج عليها الأحراسة الملائكة وهذا معنى قوله (وما يهيجهم) بتشديد الياء أي ما يثير بني عبد الله على الإغارة (قبل ذلك) أي قبل دخولنا المدينة (شيء) أي من البواعث وقال شارح أي قبل الغارة وهو ليس بشيء (رواه مسلم وعن أنس رضي الله عنه قال أصابت الناس سنة) أي قحط (على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي في زمانه (فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال يا رسول الله هلك المال) أي المواشي لأنها أكثر أموالهم وهلاكها بتغيرها أو بموتها (وجاع العيال) وهو بكسر العين من يلزمه النفقة من الأهل (فادع الله لنا) أي متضرعا إليه (فرفع يديه) أي بالسؤال لديه (وما نرى) أي نحن (في السماء قزعة) بفتح القاف والزاي أي قطعة من السحاب (فوالذي نفسي بيده ما وضعها) أي يده وأفرد الضمير باعتبار إرادة الجنس (حتى ثار السحاب) أي سطع وظهر جنس السحاب ظهورا كاملا (أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر) في النهاية أي ينزل ويقطر وهو يتفاعل من الحدور ضد الصعود يتعدى ولا يتعدى اهـ والمعنى حتى يتساقط المطر (على لحيته) وقيل يريد أن السقف قد وكف حتى نزل الماء عليه ذكره ابن الملك ولا يخفى بعده (فمطرنا) بصيغة المفعول أي جاءنا المطر (يومنا) أي بقية يومنا (ذلك) وهو يوم الجمعة (ومن الغد ومن بعد الغد) يحتمل أن تكون من تبعيضية والأظهر أنها ابتدائية لقوله (حتى) أي إلى (الجمعة الأخرى وقام ذلك

(الاعرابي)

الاعرابي) حال أي وقد قام ذلك الاعرابي بعينه (أو غيره) من الاعراب أو من غيرهم قال الحافظ العسقلاني وفي رواية ثم دخل رجل في الجمعة المقبلة وهذا ظاهره انه غير الاول وفي رواية حتى جاء ذلك الاعرابي في الجمعة الاخرى وهذا يقتضي الجزم بكونه واحدا فلعل انسا ذكره بعد ان نسيه أو نسيه بعد ان ذكره قلت ويحتمل انه تردد في كون القائم الثاني هو الاول لكن غلب على ظنه تارة انه هو فعبر عنه بالجزم وتارة انه غيره فعبر عنه بالتنكير وتارة أتى بصيغة الشك لاستواء الامرين عنده فالشك منه لا من غيره والله تعالى أعلم (فقال) أي القائم (يا رسول الله تهدم) بتشديد الدال أي خرب (البناء وغرق المال) بكسر الراء أي صار غريقا (فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا) أي امطر حوالينا بفتح اللام أي في مواضع المنابع الحاصلة لنا ثم أكده بقوله (ولا علينا) أي لا تمطر في مواضع المضرة الواقعة علينا قال العسقلاني أي أنزل الغيث في مواضع النبات لا على الابنية يقال قعد حوله وحواله وحوليه وحواليه بفتح اللام ولا يقال حواليه بكسر اللام قاله الجوهري وغيره ثم قال وفي قوله ولا علينا بيان للمراد بقوله حوالينا قال الطيبي في ادخال الواو هنا معنى لطيف وذلك لانه يقتضي ان طلب المطر على حوالينا ليس مقصودا لعينه بل ليكون وقاية من أذى المطر فليست الواو مخلصة للعطف لكنها للتعليل كقولهم تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها فان الجوع ليس مقصودا بعينه لكن لكونه مانعا من الرضاع بأجرة اذ كانوا يكرهون ذلك اه وقال بعض المحققين أو ترك حوالينا لمراعاة الازدواج مع قوله علينا نحو قوله تعالى من سبأ بنبأ يقين وقال الطيبي قوله ولا علينا عطف على جملة حوالينا ولو لم تكن الواو لكان حالا أي أمطر على المزارع ولا تمطر على الابنية وأدرج في قوله علينا معنى المضرة كأنه قيل اجعل لنا لا علينا (فما يشير) حكاية حال ماضية (الى ناحية) أي جانب من السحاب جمع سحابة (الا انفرجت) أي انكشفت وتفرقت (وصارت المدينة) أي جوها (مثل الجوبة) بفتح الجيم وسكون الواو الفرجة في السحاب والمعنى ان المطر أو الغيم انكشف عما يحاذيها وأحاط بما حواليها بحيث صار جو المدينة مثل الجوبة خاليا عن السحاب فحذف المضاف وهو الجو وأقيم المضاف اليه مقامه كذا ذكره شارح وقيل المعنى حتى صارت المدينة مثل الحفرة المستديرة الواسعة وصار الغيم محيطا باطراف المدينة منكشفا عنها (وسال الوادي قناة) بالضم على انه بدل أو بيان للوادي وهي علم له غير منصرف وفي نسخة بالفتح بتقدير أعني وفي أخرى بتنوينها (شهرا) ظرف سال قال ميرك أعرب قناة بالضم على البدل بناء على ان قناة اسم للوادي ولعله من تسمية الشيء باسم ما جاوره أقول فالقناة اسم أرض بجنب الوادي والظاهر انها محفورة في الارض يكون نهر في بطنها يقال لها بالفارسية كاريز وسمي بها لطولها المشبه بالقناة وهي الرمح وقيل هو بالنصب والتنوين على التشبيه أي سال مثل قناة قيل ووقع في رواية البخاري حتى سال وادي قناة شهرا وصحح بغير تنوين في هذه الرواية اه كلامه ناقلا عن العسقلاني وقال شارح قناة نصب على الحال من فاعل سال أي سال الوادي سائلا مثل القناة ولما كان من شأن القناة الاستمرار على الجري حسن ان يجعل حالا من الوادي ويجوز فيه المصدر أي سيلان القناة وقال الطيبي نصب على الحال أو المصدر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أي مثل القناة أو سيلانا مثل سيلان القناة في الدوام والاستمرار والقوة والمقدار وقال بعض المحققين قناة بفتح القاف والنون المخففة علم على أرض ذات مزارع ناحية أحد وواديها أحد اودية المدينة المشهورة قاله الحازمي وذكر محمد بن الحسن المخزومي في اخبار المدينة ان أول من سماه وادي قناة تبع اليماني لما قدم يثرب قبل الاسلام وقيل الفقهاء يقولونه بالنصب والتنوين يتوهمونه قناة من القنوات وليس كذلك وهو الذي جزم به بعض الشراح وقال المعنى على التشبيه أي سال مثل القناة وعبارة البخاري حتى سال الوادي وادي قناة شهرا قال الكرماني قناة علم موضع قيل انه الوادي الذي عنده قبر حمزة رضي الله عنه وهو يأتي من الطائف وقيل نصب قناة على التمييز أي مقدار قناة بناء على ان تفسير قناة بالرمح أولى منه بمحفرة في الارض لانه قلما يبلغ القناة في كثرة مياهها مبلغ السيول وفيه بحث لا يخفى على ذوي النهى (ولم يجئ أحد من ناحية) أي من

الاعرابي أو غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهرا ولم يجئ أحد من ناحية

الاحدث بالجود وفي رواية قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر قال فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس متفق عليه وعن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر فاستوى عليه صاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت ان تنشق فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخذها فضمها اليه فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر رواه البخاري وعن سلمة ابن الاكوع ان رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال كل بيمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت ما منعه الا الكبر قال فما رفعها الى فيه رواه مسلم وعن أنس ان أهل المدينة فزعوا مرة فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة بطيئا وكان يقطف فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا وكان بعد ذلك لا يجارى وفي رواية فما سبق بعد ذلك اليوم رواه البخاري وعن جابر قال توفي أبي وعليه دين فعرضت على غرمائه ان يأخذوا التمر بما عليه وأبوا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد علمت ان والدي استشهد يوم أحد وترك دينا كثيرا واني أحب أن يراك الغرماء فقال لي اذهب فبيدر كل تمر على ناحية

حوانب المدينة (الاحدث) أي أخبر (بالجود) بفتح الجيم وسكون الواو أي المطر الكثير (وفي رواية قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام) بالمد وفي نسخة بكسر الهمزة جمع الاكمة وهي التل والرابية وقيل الاكمة يجمع على أكم ويجمع الاكم على اكام كجبل وجبال ويجمع الاكام على أكم مثل كتاب وكتب ويجمع الاكم على آكام كعنق وأعناق وقال ابن الملك هو بفتح الهمزة ممدودة وكسرها مقصورة جمع أكمة محركة وهو ما ارتفع من الارض (والظراب) بكسر الظاء المعجمة أي الجبال الصغار (وبطون الاودية) أي داخلها البعيدة عن الابنية (ومنابت الشجر) أي المنتج للثمر (قال) أي أنس (فأقلعت) وفي نسخة بصيغة المجهول أي كفت السحاب عن المطر وقيل انكشفت والتأنيث لانه جمع سحابة يقال أقلع المطر انقطع وفي القاموس أقلعت عنه الحمى تركته والاقلاع عن الامر الكف وفي المشارق أقلع المطر كف ومنه قوله تعالى يا سماء اقلعي اه وتبين ان صيغة المفعول من رواية المجهول والله أعلم (وخرجنا نمشي في الشمس) قال النووي فيه استحباب طلب انقطاع المطر عن المنازل والمرافق اذا كثر وتضرر رواية ولكن لا يشرع له صلاة ولا اجتماع في الصحراء (متفق عليه وعن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب استند الى جذع نخلة) بكسر الجيم أي أصلها وساقها (من سواري المسجد) جمع سارية بمعنى الاسطوانة (فلما صنع له المنبر) بصيغة المفعول (فاستوى عليه) أي قام (صاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت ان تنشق) أي تنصفين أو قطعا (فنزل النبي صلى الله عليه وسلم) أي ومشى اليها (حتى أخذها) أي بيده (فضمها اليه) أي الى نفسه صلى الله عليه وسلم وعانقها تسلية لها (فجعلت) أي طفقت الاسطوانة أو جذع النخلة واكتسب التأنيث من المضاف اليه (تئن أنين الصبي الذي يسكت) بتشديد الكاف المفتوحة أي مثل أنينه (حتى استقرت) أي سكتت وسكنت (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم في سبب بكائها (بكت على ما كانت تسمع من الذكر) أي على فوته وفوت قرب الذاكر (رواه البخاري وعن سلمة بن الاكوع ان رجلا) قال التوربشتي يقال له بشر بن راعي العير وقيل بسر بالسين المهملة وهو من أشجع وضبط في الاذكار العير بفتح العين وبالياء المثناة من تحت وقال هو صحابي (أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال كل بيمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت) دعاء عليه لانه كذب في اعتذاره (ما منعه) أي من قبول الحق وقال شارح أي من الاكل باليمين (الا الكبر) أي لا العجز قال الطيبي هو قول الراوي ورد استئنافا لبيان موجب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليه كأن قائلا قال لم دعا عليه بلا استطعت وهو رحمة للعالمين فأجيب بأن ما منعه من الاكل باليمين العجز بل منعه الكبر (قال) أي سلمة (فما رفعها) أي الرجل يمينه (الى فيه) أي فمه (بعد ذلك) لدعائه صلى الله عليه وسلم (رواه مسلم وعن أنس ان أهل المدينة فزعوا) بكسر الزاي أي خافوا من مأتى العدو مرة (فركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسا) أي عريانا (لابي طلحة بطيئا) أي في الجري والمشي (وكان) أي الفرس (يقطف) بكسر الطاء أي يمشي مشيا ضيقا ذكره شارح وقال الطيبي أي يتقارب خطاه (فلما رجع) أي النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد سبق الناس (قال وجدنا فرسكم هذا بحرا) أي جلدا سمي بحرا لان جريه لا ينفد كما لا ينفد ماء البحر وقال الطيبي هو المفعول الثاني لوجدنا وشبه الفرس بالبحر في سعة خطوه وسرعة جريه (فكان) وفي نسخة وكان (بعد ذلك لا يجارى) بفتح الراء أي لا يقاوم في الجري ولا يسبق وفي رواية لا يحاذى به فرس يجري معه (وفي رواية فما سبق بعد ذلك اليوم رواه البخاري) وكذا مسلم (وعن جابر قال توفي) بصيغة المجهول أي قبض ومات (أبي وعليه دين فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر) أي جميع تمرنا (بما عليه) أي في مقابلة ما على أبي (وأبوا) أي امتنعوا لانه كان في أعينهم قليلا وهم يهود (فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد علمت) أي أنت (ان والدي استشهد يوم أحد وترك دينا كثيرا واني) بكسر الهمزة (أحب ان يراك الغرماء) أي عندي لعلهم يراعوني (فقال لي اذهب فبيدر كل تمرة على ناحية) أي اجمع كل نوع منه جزءا على حدة أمر من بيدر الطعام اذا داسه في البيدر وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام والمراد هنا

ففعلت ثم دعوته فلما نظروا اليه كأنهم أغروا بي تلك الساعة فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدرا ثلاث مرات ثم جلس عليه ثم قال ادع لي أصحابك فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدي أمانته وأنا أرضى ان يؤدي الله أمانة والدي ولا أرجع الى اخوتي بتمرة فسلم الله البيادر كلها وحتى اني أنظر الى البيدر الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم كأنها لم تنقص تمرة واحدة رواه البخاري وعنه قال ان أم مالك كانت تهدي للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الادم وليس عندهم شيء فتعمد الى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال عصرتيها قالت نعم قال لو تركتيها مازال قائما رواه مسلم وعن أنس قال قال أبو طلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء فقالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم

اجعل كل نوع من تمرك بيدرا أى صبرة واحدة وقيل فرق كل نوع في موضعه (ففعلت) أى صبرا وبيادر (ثم دعوته) أى طلبته صلى الله عليه وسلم (فلما نظروا اليه كأنهم أغروا بي) بصيغة المجهول أى لجوا في مطالبتي والحوا كأن دواعيهم حملتهم على الاغراء بي من أغريت الكلب أى هيجته والمعنى أغاظوا على فكأنهم هيجوا بي وقيل هو من غري بالشيء اذا ولع به والاسم الغراء بالفتح والمد فمعنى أغروا بي الصقوا بي (تلك الساعة) أى ظنا منهم انه صلى الله عليه وسلم يأمرهم بالمسامحة أو بحط بعض الدين أو بالصبر فاظهروا ما يدل على انهم لا يرضون بشيء من ذلك (فلما رأى ما يصنعون طاف) أى دار (حول أعظمها) أى أكبر تلك البيادر (بيدرا) التمييز للتأكيد نحو قوله تعالى ذرعها سبعون ذراعا (ثلاث مرات) ظرف طاف (ثم جلس عليه) أى على أعظمها (ثم قال ادع لي أصحابك) أى أصحاب دينك (فحضروا فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدي) أى قضى عنه (أمانته) أى دينه وسمي أمانة لانه ائتمن على ادائه قال تعالى وتخونوا أماناتكم أى ما ائتمنتكم عليه ذكره التوربشتي (وأنا أرضى) أى كنت أرضى حينئذ (أن يؤدي الله أمانة والدي) ولا أرجع بالنصب ويجوز رفعه على أن تكون الجملة حالية أى ولا انقلب (الى اخوتي بتمرة فسلم الله البيادر كلها) أى جعلها سالمة عن النقصان ذكره شارح أو خلصها عن أيدي الغرماء ببركته صلى الله عليه وسلم (وحتى اني) بفتح الهمزة وجوز كسرها قال الطيبي حتى هي الداخل ما بعدها فيما قبلها وهي عاطفة على مقدر جمع أولا في قوله فسلم الله البيادر كلها ثم فصلها بقوله حتى كذا وحتى كذا اه ومحصله انها عطف على مقدر أى فسلم الله البيادر كلها حتى لم ينقص من تلك البيادر التي لم يكلها شيء أصلا وحتى اني (أنظر الى البيدر الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم) أى جالسا (كأنها) أى القصة أو البيدر والتأنيث باعتبار الصبرة (لم تنقص تمرة) بالرفع على ان النقص لازم أى لم ينتقص تمرة منها وفي نسخة بالنصب على انها تمييز أو مفعول والاسناد الى الصبرة مجازي وقوله (واحدة) للتأكيد (رواه البخاري) وكذا النسائي (وعنه) أى عن جابر (قال ان أم مالك) أى البهزية من بني سليم لها صحبة ورواية وهي حجازية روى عنها طاوس ومكحول (كانت تهدي) من الاهداء (للنبي صلى الله عليه وسلم في عكة) بضم فتشديد قربة صغيرة ذكره شارح وفي النهاية هي وعاء من جلد مستدير يختص بالسمن والعسل وهو بالسمن أخص (لها) أى كانت لام مالك (سمنا) مفعول لتهدي (فيأتيها بنوها فيسألون الادم) بضمتين ويسكن الثاني أى الادام (وليس عندهم) فيه تغليب (شيء) أى من الادام أو مما يشترى به والجملة حال (فتعمد) بكسر الميم أى تقصد أمهم (الى الذي) أى الى العكة والتذكير باعتبار الظرف (كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال) أى الظرف أو السمن الذي تجده فيه (يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته) أى لزيادة الطمع فانقطع الادام بناء على ان الحرص شؤم والحريص محروم (فأتت النبي صلى الله عليه وسلم) أى وأخبرته بالخبر جميعا وقال الطيبي أى فاتت وشكت انقطاع ادام بيتها من العكة (فقال عصرتيها) أى العكة والياء للاشباع وهمزة الاستفهام مقدرة (قالت نعم قال لو تركتيها) باشباع الياء أيضا أى لو تركت ما فيها من السمن وما عصرتها (مازال) أى دام بيتك (قائما) أى ثابتا دائما فان البركة اذا نزلت في شيء ولو كان قليلا كثر ذلك القليل (رواه مسلم وعن أنس قال أبو طلحة لام سليم) وهي أم أنس زوجة أبي طلحة (لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء) أى ولو قليلا من المأكول (فقالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها) وهو ما تستر المرأة به رأسها (فلفت الخبز ببعضه ثم دسته) أى خبأته وأخفته (تحت يده) أى يد أنس في النهاية يقال دسه اذا أدخله في الشيء بقهر وقوة (ولاثتني) بالثاء المثلثة أى عممتني (ببعضه) أى ببعض الخمار وهو الطرف الآخر منه قال القاضي أى عممتني أو لففتني من اللوث وهو لف الشيء بالشيء وادارته عليه اه وفيه دلالة على كمال قلة الخبز (ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت به) أى بالخبز اليه (فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم

في المسجد) قال العسقلاني المراد بالمسجد هو الموضع الذي أعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين محاصرة الاحزاب للمدينة في غزوة الخندق (ومعه الناس) اي الكثير وهم ثمانون رجلا على ما يأتي (فسلمت عليهم) أي بلفظ الجمع وقصد الجميع (فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلك) بهمزة مقدرة وقال العسقلاني بهمزة ممدودة للاستفهام أي أبعثك (أبو طلحة قلت نعم) وهو لا ينافي ارسال أمه لان مؤداهما واحد وما تقدم انهما قصدوا اعلامه صلى الله عليه وسلم عدل عن ذكرها احتشاما أولان أبا طلحة هو الباعث الاول فتامل فانه المعول (قال بطعام قلت نعم) والتفريق اما للتفهيم أو بحسب تدريج الوحي والتعليم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا) قال ابن حجر ظاهره انه صلى الله عليه وسلم فهم ان أبا طلحة استدعاه الى منزله فلذا قال لمن حوله قوموا وأول الكلام يقتضي ان أم سليم وأبا طلحة أرسلا الخبز مع أنس فيجمع بانهما أرادا ارسال الخبز مع أنس أن يأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فيأكله فلما وصل أنس ورأى كثرة الناس استحى وظهر له أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده الى المنزل فيحصل مقصودهم من اطعامه ويحتمل أن يكون ذلك على رأى من أرسله عهد اليه اذا رأى كثرة الناس دعا النبي صلى الله عليه وسلم خشية ان لا يكفيهم ذلك الشيء وقد عرفوا ايثار النبي صلى الله عليه وسلم وانه لا يأكل وحده وقد وجدت أكثر الروايات تقتضي ان أبا طلحة استدعى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة قلت هذا الكلام كله غير مستقيم على المنهج القويم لانه صلى الله عليه وسلم لما عرف بنور الوحي ان أبا طلحة أرسل أنسا بطعام وأخبره به كيف يفهم ان أبا طلحة استدعاه الى منزله ثم قوله وأول الكلام يقتضي الخ ليس في محله لانه صريح في ذلك المرام لا مقتضى الكلام ثم لا دلالة للاستحياء والاستدعاء المنسوبين لانس لانه ليس له ولاية ذلك ولا على رأى من أرسله لانه لو كان بامر أبي طلحة لما حصل له فزع واضطراب باتيان النبي صلى الله عليه وسلم اليه فالصواب انه صلى الله عليه وسلم أراد اظهار المعجزة وهو اشباع جمع كثير بخبز قليل ومنضمة الى معجزة أخرى وهي قضية العكة الآتية في بيت أبي طلحة وآنس أمه ليحصل لهم بركة عظيمة بحسن نيتهم واخلاص طويتهم وآداب خدمتهم ويكون نظير ما تقدم والله أعلم (قال أنس فانطلق) أي النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس (وانطلقت بين أيديهم) أي قدامهم كهيئة الخادم والضيف أو مسرعا لايصال الخبر لقوله (حتى جئت أبا طلحة فاخبرته) أي باتيانهم (فقال أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس) أي معهم (وليس عندنا ما نطعمهم) أي غير ما أرسلناه اليه وثم جمع كثير فكيف نقدم لهم شيأ قليلا (فقالت الله ورسوله أعلم) أي فلابد من ظهور بعض الحكم قال النووي فيه منقبة عظيمة لام سليم ودلالة على عظم دينها ورجحان عقلها وقوة يقينها تعني انه صلى الله عليه وسلم علم قدر الطعام فهو أعلم بالمصلحة ولو لم يعلم المصلحة لما فعلها (فانطلق أبو طلحة) أي مسارعا (حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه) أي حتى دخلا على أم سليم والناس وراءهما (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا أم سليم) أي تعالي واحضري (ما عندك) أي من الخبز (فأتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم) أو أبا طلحة أو غيره بالخبز يعني بتفتيته (ففت) بصيغة المجهول الماضي أي جعل فتيتا أي قطعا صغارا مفتتة وقال شارح أمره وأمر مخاطب واحد لتقديره فأمر به وقال ففت (وعصرت أم سليم عكة فادمته) بفتح الهمزة وفي نسخة بمدها أي جعلت ما خرج من العكة وهو السمن اداما لذلك الفتيت (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه) لك أي في ذلك الخبز مع الادام أو ذهاذكر من الخبز والادام (ما شاء الله أن يقول) أي من الدعاء أو الاسماء (وفي رواية ثم قال باسم الله اللهم اعظم فيها البركة ثم قال) أي لابي طلحة أو لانس أو لغيرهما (ائذن لعشرة) وانما أذن لعشرة عشرة ليكون أرفق بهم فان القصعة التي فيها الطعام لا يتحلق عليها أكثر من عشرة الا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم ذكره الطيبي وقيل انما لم يأذن للكل مرة واحدة لان الجمع الكثير اذا نظروا الى طعام قليل يزداد حرصهم الى الاكل ويظنون أن ذلك الطعام لا يشبعهم

في المسجد ومعه الناس فسلمت عليهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلك أبو طلحة قلت نعم قال بطعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فاخبرته فقال أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فادمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال ائذن لعشرة

والحرص

فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة ثم لعشرة فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا متفق عليه وفي رواية لمسلم انه قال ائذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وترك سؤرا وفي رواية للبخاري قال ادخل على عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت أنظر هل نقص منها شئ وفي رواية لمسلم ثم أخذ ما بقي فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان فقال دونكم هذا وعنه قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم باناء وهو بالزوراء فوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم قال قتادة قلت لانس كم كنتم قال ثلثمائة أو زهاء ثلثمائة متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا

والحرص عليه يمحق البركة ويمكن أن يكون بناء على أن الجمع الجليل اذا أبصروا الطعام القليل لآثر بعضهم بعضا على أنفسهم أو استحيوا من الاكل الكثير واستقلوا فأكلهم ولم يحصل لهم مرادهم من القوة في الشجاعة وعلى اداء الطاعة وقيل لضيق المنزل (فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة ثم لعشرة) أي وهلم جرا (فأكل القوم كلهم وشبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا) قال ابن حجر كذا وقع هنا بالشك وفي غير هذه الجزم بالثمانين وفي رواية بضعة وثمانين وفي رواية ابن أبي ليلى فعل ذلك بثمانين رجلا وفي رواية عند أحمد قلت كم كانوا قال كانوا نيفا وثمانين ولا منافاة بينها لاحتمال أن يكون الغي الكسر لكن في رواية عند أحمد حتى أكل منه أربعون وبقيت كما هي وهذا يؤيد التغاير وأن القضية متعددة قلت القضية متحدة والجمع بان الجمع الاول كانوا أربعين ثم لحقهم أربعون أخر ممن كانوا وراءهم أو وقع منه صلى الله عليه وسلم دعاؤهم (متفق عليه وفي رواية لمسلم أنه قال ائذن لعشرة فدخلوا فقال كلوا وسموا الله فأكلوا حتى فعل ذلك بثمانين رجلا ثم) أي بعد فراغ أكل أصحابه (أكل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وترك سؤرا) بضم سين وسكون همز ويبدل وجزم التوربشتي وقال هو بالهمز أي بقية (وفي رواية للبخاري قال أدخل على عشرة حتى عد أربعين ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم) أي من غير انتظار للاربعين الاخر ليحصل بركته للطرفين من الاربعين أو أعني ثم بعد فراغ الكل أكل (فجعلت أنظر) أي أتفكر وأتردد وأتأمل (هل نقص منها شئ) أي أم لا فلا يظهر نقص أصلا (وفي رواية لمسلم ثم أخذ ما بقي فجمعه ثم دعا فيه بالبركة فعاد كما كان فقال) أي لاهل البيت (دونكم هذا) أي خذوه قال التوربشتي فان قيل كيف تستقيم هذه الروايات من صحابي واحد في احداها يقول ترك سؤرا وفي الاخرى يقول فجعلت أنظر هل نقص منها شئ وفي الثالثة ثم أخذ ما بقي فجمعه الحديث قلنا وجه التوفيق فيهن هين بين وهو أن نقول انما قال وترك سؤرا باعتبار انهم كانوا يتناولون منه فما فضل منه سماه سؤرا وان كان بحيث يحسب انه لم ينقص منه شئ أو أراد بذلك ما فضل عنهم بعد ان فرغوا منه وقيل أخبر في الاولى انه دعا فيه بالبركة وفي الثانية يحكيه على ما وجده عليه بعد الدعاء وعوده الى المقدار الذي كان عليه قبل التناول والثالثة لا التباس فيها على ما ذكرناه (وعنه) أي عن أنس (قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم) أي جيء (باناء وهو بالزوراء) بالفتح والمد وهي البئر البعيدة القعر وقيل موضع قريب بالمدينة ذكره شارح والظاهر أن الثاني هو المراد قال ابن حجر هو مكان بالمدينة عند السوق وفي القاموس موضع بالمدينة قرب المسجد (فوضع يده في الاناء فجعل) أي شرع (الماء ينبع) بفتح الموحدة وضمها وجوز كسرها فقيل فيه ثلاث لغات والمختار الفتح وفي المصباح نبع كنصر وكمنع لغة وفي القاموس نبع ينبع مثلثة خرج من العين (من بين أصابعه) قال النووي في كيفية هذا النبع قولان حكاهما القاضي وغيره أحدهما ان الماء يخرج من نفس أصابعه وينبع من ذاتها وهو قول المزني وأكثر العلماء وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر ويؤيده ما جاء في رواية فرأيت الماء ينبع من أصابعه وثانيهما انه تعالى أكثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه (فتوضأ القوم) أي منه (قال قتادة قلت لانس كم كنتم) اي يومئذ (قال ثلثمائة) بالنصب على تقدير كنا وفي نسخة بالرفع اي نحن أو القوم ثلثمائة وكذا قوله (أو زهاء ثلثمائة) بنصب زهاء ورفعه وهو بضم الزاي وبالمد أي مقدارها قال الطيبي ثلثمائة منصوب على انه خبر لكان المقدر وزهاء ثلثمائة أي قدر ثلثمائة من زهوت القوم اذا حزرتهم (متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود قال كنا نعد الآيات) أي المعجزات والكرامات (بركة وأنتم تعدونها تخويفا) اي انذارا وهلكة قال شارح وسميت آية لانها علامة نبوته وقيل أراد ابن مسعود رضي الله عنه بذلك ان عامة الناس لا ينفع فيهم الا الآيات التي نزلت بالعذاب والتخويف وخاصتهم يعني الصحابة كان ينفع فيهم الآيات المقتضية للبركة اه وحاصله أن طريق الخواص مبني على غلبة المحبة والرجاء وسبيل العوام مبني على كثرة الخوف والعناء ويسمى الاولون بالطائرين الجنة بين المرادين والآخرون

بالسائرين السالكين المريدين وتفصيل هذا المرام مما لا يقتضيه المقام قال الطيبي قوله وأنتم تعدونها تخويفا هو من قوله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا والآيات اما أن يراد بها المعجزات أو آيات الكتاب المنزلة وكلاهما بالنسبة الى المؤمن الموافق بركة وازدياد في ايمانه و بالنسبة الى المخالف المعاند انذار وتخويف يعني لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له وفيه مدح للصحابة الذين استمدوا بصحبة خير البرية ولزوا طريقته وذم لمن عدل عن الطريق المستقيم قلت ايراد الآية المذكورة في هذا المقام غير مناسب للمرام فان معناها على ما قاله المفسرون وما نرسل بالآيات أي بالآيات المقترحة كما يدل عليه ما قبله من قوله وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وقوله الا تخويفا أي من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان أمر من بعث اليهم مؤخر الى يوم القيامة والتخويف مطلوب من المؤمنين على كلا المعنيين على ما نطق به الكتاب على أبلغ وجه وآكده حيث أتى بصيغة الحصر فكيف يستقيم لابن مسعود رضي الله عنه أن ينكر عليهم في عدها تخويفا فتبين أن مراده غير هذا المعنى مما تقدم والله أعلم والاظهر أن يقال معناه كنا نعد خوارق العادات الواقعة من غير سابقة طلب مما يترتب عليه البركة آيات ومعجزات وأنتم تحصرون خوارق العادات على الآيات المقترحة التي يترتب عليها مخافة العذاب ويدل عليه بيانه بقوله (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فادخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهور) بفتح الطاء أي الماء (المبارك) أي الكثير البركة والمعنى هلموا اليه وأسرعوا (والبركة من الله) أي لا من أحد سواه (ثم قال ابن مسعود ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا) اى احيانا (نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) وذكر صاحب الشفاء وغيره عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ كفا من حصى فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح (رواه البخاري) وكذا الترمذي (وعن أبي قتادة قال خطبنا) أي خطب لنا (رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم تسيرون عشيتكم) أى أول ليلتكم (وليلتكم) أى بقيتها وآخرها (وتأتون الماء) أى تحضرونه (ان شاء الله غدا فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد) أى لا يلتفت اليه ولا يعطف عليه بل يمشي كل واحد على حدته من غير ان يراعي الصحبة لاهتمامه بطلب الماء ووصوله اليه وحصوله لديه (قال أبو قتادة فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير) أى في ليلة (حتى ابهار الليل) بسكون الموحدة وتشديد الراء ومصدره ابهيرارا كاحمار احميرارا أى انتصف وتوسط ذكره التوربشتي ويقال ذهب معظمه وأكثره وقيل ابهار الليل اذا طلعت نجومه واستنارت (فمال عن الطريق) أى لقصد النوم (فوضع رأسه ثم قال) أى لبعض خدمه (احفظوا علينا صلاتنا) أى وقتها وهي صلاة الصبح فكأنه غلب عليهم النوم فرقدوا (فكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو اسم كان أو خبره وأول عكسه (والشمس في ظهره) أى طالعة جملة حالية (ثم قال اركبوا) قال ابن الملك في تأخيره صلى الله عليه وسلم قضاء الصلاة دليل على ان من نام عن صلاة أو نسيها ثم تذكرها لا يجب عليه القضاء على الفور وعلى ندب مفارقة الموضع الذى ترك فيه المأمور أو ارتكب فيه المنهي يعني ولو من غير قصد لكن الاظهر ان تأخيره انما هو لرجاء أن يصل الى الماء أو لخروج وقت الكراهة كما يدل عليه قوله (فركبنا فسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس) أى قدر رمح أو أكثر (نزل ثم دعا بميضاة) بكسر الميم وفتح الهمزة وفي نسخة بألف قبل الهمزة وأصله موضأة أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها قال ابن الملك بكسر الميم على وزن مفعلة من الوضوء وفي الفائق هي على مفعلة ومفعالة مطهرة كبيرة يتوضأ منها ذكره الطيبي وفي النهاية بالكسر والقصر وقد يمد والمعنى ثم طلب مطهرة (كانت معي فيها شيء) أى قليل (من ماء فتوضأ منها وضوأ دون وضوء) يعني وضوأ وسطا وذلك لقلة الماء ذكره شارح ووافقه الطيبي وقيل أراد انه استنجى في هذا الوضوء بالحجر لا بالماء والصواب الاول قاله ابن الملك والاظهر ان يقال وضوأ دون

وضوء

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فادخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل رواه البخاري وعن أبي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انكم تسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء ان شاء الله غدا فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد قال أبو قتادة فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل فمال عن الطريق فوضع رأسه ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى اذا ارتفعت الشمس نزل ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء فتوضأ منها وضوأ دون وضوء

وضوء يتوضأ في سائر الاوقات من التثليث بان اكتفى بمرة أو مرتين (قال) أي ابن مسعود (وبقي فيها شيء من ماء ثم قال) أي النبي عليه السلام (احفظ علينا) أي لاجلنا (ميضأتك) أي ذاتها وما فيها (فسيكون لها نبأ) أي خبر عظيم وشأن جسيم وفائدة جليلة ونتيجة جميلة يتحدث بها ويروى حكايتها وقال ابن الملك أي معجزة كما سيأتي (ثم أذن بلال بالصلاة) فيه استحباب الاذان للقضاء كما هو سنة للاداء (فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين) أي سنة الصبح لفوتها مع فرضه المؤديين قبل الزوال وأما اذا فاتت وحدها فلا قضاء لها الا عند محمد لكن بعد طلوع الشمس الى زوالها وبعد الزوال لا تقضى اتفاقا (ثم صلى الغدوة) أي فرض الصبح قضاء (وركب وركبنا معه فانتهينا الى الناس) أي النازلين من أهل القافلة (حين امتد النهار) أي ارتفع (وحمي كل شيء) أي اشتد حرارته (وهم يقولون يارسول الله هلكنا) أي من حرارة الهواء (وعطشنا) بكسر الطاء أي من عدم الماء (فقال لا هلك) بضم فسكون أي لا هلاك (عليكم) وهو دعاء أو خبر (ودعا بالميضأة فجعل يصب) أي الماء (وأبو قتادة يسقيهم) بفتح أوله ويضم (فلم يعد) مضارع عدا أي لم يتجاوز (أن رأى الناس) ان مصدرية أي رؤيتهم (ماء) أي كثيرا (في الميضأة تكابوا) بتشديد الموحدة أي تزاحموا (عليها) أي على الميضأة مكبا بعضهم على بعض قال الطيبي لم يضبط الشيخ محيي الدين هذه اللفظة وفي أكثر نسخ المصابيح وقعت بفتح الياء وسكون العين وضم الدال واثبات الفاء في قوله فتكابوا وليس في مسلم ولا في شرحها الفاء وان رأى الناس يحتمل ان يكون فاعلا أي لم يتجاوز رؤية الناس الماء تكابهم فتكابوا وان يكون مفعولا أي لم يتجاوز السقي أو الصب رؤية الناس الماء في تلك الحالة وهي تكبهم عليه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا الملأ) بفتحتين أي الخلق ففي القاموس الملأ محركة الخلق ومنه أحسنوا املاءكم أي اخلاقكم وفي الفائق الملأ الحسن الخلق وقيل للخلق الحسن ملأ لانه أكرم ما في الرجل وأفضله من قولهم لكرام القوم ووجوههم ملأ وانما قيل للكرام ملأ لانهم يتمالؤن أي يتعاونون أقول الاظهر ان يقال لانهم يملؤن المجالس أو يملؤن العيون عظمة أو بحشمهم وخدمهم كثرة (كلكم سيروى) بفتح الواو أي جميعكم ترون من هذا الماء فلا تزدحموا ولا تسيئوا أخلاقكم بالتدافع (قال) أي الراوي (ففعلوا) أي ما من احسان الخلق ولم يزدحموا حيث اطمأنوا (فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأسقيهم حتى ما بقي غيري) أي من الصحابة (وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب فقال لي اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يارسول الله فقال ان ساقي القوم آخرهم) أي شربا كما في بعض الروايات على ما سيأتي ولا شك ان الساقي حقيقة هو النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي قول أبي قتادة وأسقيهم لانه بمعنى أناولهم (قال فشربت وشرب قال) أي أبو قتادة (فأتى الناس الماء) أي وصلوا الى مكان الماء (جامين) بتشديد الميم أي مستريحين ذكره التوربشتي (رواء) بالكسر والمد جمع راو وهو الذي روي من الماء أو جمع ريان كعطاش جمع عطشان أي ممتلئين من الماء وقال شارح قوله جامين أي مجتمعين من الجم أو مستريحين من الجمام بالفتح وهو الراحة وزوال الاعياء قال التوربشتي وأكثر ما يستعمل ذلك في الفرس يعني لانه كثير العطش (رواه مسلم هكذا في صحيحه وكذا في كتاب الحميدي وجامع الاصول) أي ساقي القوم آخرهم بدون شربا وهو كذلك في تاريخ البخاري ورواية أحمد وأبي داود عن عبد الله بن أبي أوفى (وزاد في المصابيح بعد قوله آخرهم لفظة شربا) قلت وهو رواية الترمذي وابن ماجه عن أبي قتادة وكذا رواه الطبراني في الاوسط والقضاعي عن المغيرة (وعن أبي هريرة قال لما كان يوم غزوة تبوك) بعدم الانصراف وقد يصرف وهو موضع بينه وبين المدينة مسيرة شهر قال ابن حجر المشهور في تبوك عدم الصرف للتأنيث والعلمية ومن صرفها أراد الموضع اه والاظهر انه لا يجوز صرفه للعلمية ووزن الفعل على وزان يزيد قال السيوطي وكانت سنة تسع في رجب وهي آخر غزواته صلى الله عليه وسلم بنفسه وقيل سميت بذلك لانه صلى الله عليه وسلم رأى قوما من أصحابه يبوكون عين تبوك أي يدخلون فيها القدح أي السهم ويحركونه ليخرج الماء فقال ما زلتم تبوكونها بوكا (أصاب الناس) جواب لما أي حصل لهم (مجاعة) بفتح

قال وبقي فيها شيء من ماء ثم قال احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ثم أذن بلال بالصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم صلى الغداة وركب وركبنا معه فانتهينا الى الناس حين امتد النهار وحمي كل شيء وهم يقولون يارسول الله هلكنا وعطشنا فقال لا هلك عليكم ودعا بالميضأة فجعل يصب وأبو قتادة يسقيهم فلم يعد أن رأى الناس ماء في الميضأة تكابوا عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنوا الملأ كلكم سيروى قال ففعلوا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب وأسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب فقال لي اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يارسول الله فقال ان ساقي القوم آخرهم قال فشربت وشرب قال فأتى الناس الماء جامين رواء رواه مسلم هكذا في صحيحه وكذا في كتاب الحميدي وجامع الاصول وزاد في المصابيح بعد قوله آخرهم لفظة شربا وعن أبي هريرة قال لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة

الميم أي جوع شديد (فقال عمر يارسول الله ادعهم بفضل أزوادهم) في الحديث اختصار اذ روي انهم أصابهم مجاعة فقالوا يارسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال افعلوا فجاء عمر فقال يارسول الله ان فعلت قلت الظهور ولكن ادعهم بفضل أزوادهم والفضل مازاد من شئ والازواد جمع زاد وهو طعام يتخذ للسفر فالمعنى مرهم بأن يأتوا ببقية أزوادهم (ثم ادع الله لهم عليها) أي على تلك الازواد (بالبركة) أي كثرة الخير (فقال نعم فدعا بنطع) بكسر النون وفتح الطاء وفي نسخة بفتح فسكون والاول أفصح على ماصرح به شراح الشفاء وقال النووي في النطع لغات فتح النون وكسرها مع فتح الطاء واسكانها وأفصحهن كسر النون وفتح الطاء وفي القاموس النطع بالكسر والفتح وبالتحريك وكعنب بساط من الاديم (فبسط) بصيغة المجهول أي النطع (ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة) بضم الذال المعجمة وتخفيف الراء ففي القاموس الذرة كثبة حب معروف أصله ذرو (ويجيء الآخر بكف تمر) اسم جنس واحده تمرة بالتاء (ويجيء الآخر بكسرة) أي بقطعة من الخبز (حتى اجتمع على النطع شئ يسير) أي قليل جدا (فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة) أي بنزولها عليه (ثم قال خذوا) أي ماتريدون من الزاد الواقع في النطع (واجعلوا في أوعيتكم) وقال الطيبي أي صبوا في أوعيتكم آخذين أو خذوا صابين في أوعيتكم اه وقد أشار الى نوعي التضمين لكن التضمين للجعل أولى من الصب في هذا المقام من جهة المعنى كما لا يخفى على ذوي النهى (فأخذوا في أوعيتهم حتى ماتركوا في العسكر) أي في المعسكر أو في أيدي العسكر (وعاء الا ملؤه) وما أحلى ذلك المال الحلال (قال) أي أبو هريرة (فأكلوا) أي جميع العسكر (حتى شبعوا وفضلت) بفتح الضاد ويكسر أي زادت (فضلة) بالرفع أي زيادة كثيرة ففي القاموس الفضل ضد النقص وقد فضل كنصر وكرم والجمع فضول (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله) فيه ايماء الى أن رؤية المعجزات سبب زيادة اليقين في المعتقدات (لا يلقى الله بهما) أي بالشهادتين (عبد) قال الطيبي يجوز أن تكون الباء فيه سببية أو استعانة أو حالا وقد جيء بالجملة استطرادا أو استبشارا للامة وقوله (غير شاك) مرفوع صفة عبد قلت وفي نسخة منصوب على الاستثناء أو الحال (فيحجب) بالنصب وفي نسخة بالرفع أي فيمنع (عن الجنة) قال شارح فيحجب بالنصب باضمار ان في جواب النفي وهو لا يلقى اه قال ابن الملك والمعنى من يلقى الله بالشهادتين من غير تردد ولا شك فلا يحجب عن الجنة أبدا وقال الطيبي فيحجب مرفوع عطفا على الجملة السابقة والنفي منصب عليهما معا (رواه مسلم) وكذا البخاري نحوه عن سلمة (وعن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عروسا) هو نعت يستوي فيه المذكر والمؤنث والمعنى زوجا جديدا (بزينب) أي بسببها وقيل أي متزوجا بها (فعمدت) بفتح الميم أي قصدت (أمي أم سليم) بدل أو بيان (الى تمر وسمن وأقط) بفتح فكسر أي لبن مجفف يابس مستحجر على ما في النهاية وفي القاموس الاقط مثلثة ويحرك وككتف ورجل وابل شئ يتخذ من المخيض الغنمي (فصنعت حيسا) فالحيس مجموع الثلاثة والحديث متفق عليه يقول ابن حجر في شرح الشمائل الحيس هو تمر مع سمن أو أقط وقيل هو مجموع ثلاثة نقل غير مرضي والصواب أن يقال وقد يطلق على التمر مع سمن أو أقط كما قال وقد يجعل بدل الاقط دقيق أو فتيت ويؤيد ماذكرناه ما في القاموس الحيس الخلط وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه وربما يجعل فيه سويق (فجعلته) أي أم سليم (في تور) بمثناة فوقية فواو ساكنة فراء اناء كالقدح (فقالت يا أنس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمي وهي تقرئك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل) أي زهيد غير لائق بك (يارسول الله فذهبت) أي به اليه (فقلت) أي ما وصتني به (فقال ضعه) أي قائلا بلسان الحال ان اليسير عندنا كثير وله بعد القبول فضل كبير (ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا رجالا) أي ثلاثة (سماهم) أي عينهم بأسمائهم ونسبهم فعبرت عنهم بفلانا وفلانا وفلانا فقوله رجالا سماهم من كلام أنس بدل من فلانا الخ أو بتقدير أعني أو يعني والله أعلم (وادع لي من لقيت) أي على العموم

فقال عمر يارسول الله ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فأخذوا في أوعيتهم حتى ماتركوا في العسكر وعاء الا ملؤه قال فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة رواه مسلم وعن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت أمي أم سليم الى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته في تور فقالت يا أنس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمي وهي تقرئك السلام وتقول ان هذا لك منا قليل يارسول الله فذهبت فقلت فقال ضعه ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا ورجالا سماهم وادع لي من لقيت

(فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص باهله) بتشديد الصاد المهملة أى ممتلئ بهم والظاهر أن المراد بالبيت هو الدار ويحتمل أن يكون على بابه ويكون فيه معجزة أخرى حيث وسع خلقا كثيرا (قيل لانس عدد كم كم كانوا) جمع الضمير نظرا الى معنى العدد لزيادته على الواحد (قال زهاء ثلثمائة) بنصب زهاء على تقدير كانوا وقيل برفعه أى عددهم مقدار ثلثمائة (فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله) أى من الذكر والدعوة (ثم جعل يدعو عشرة عشرة) أى عشرة بعد عشرة لما سبق (يا كاون معه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل) بسكون لام الامر ويكسر أى يتناول (كل رجل مما يليه) أى مما يقربه من الوعاء (قال) أى أنس (فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم) أى وشبعوا جميعهم (فقال لى يا أنس ارفع) أى القدح (فرفعت فما أدرى حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت) أى فى الصورة والا فلا شك انه حين الرفع كثر ببركة وضع يده صلى الله عليه وسلم وفضلة أصحابه رضى الله عنهم هذا وقد قيل ظاهره أن الوليمة لزينب كانت من الحيس الذى أهدته أم سليم والمشهور من الروايات انه أولم عليها بالخبز واللحم ولم يقع فى القصة تكثير ذلك الطعام وأجيب بانه يجوز أن يكون حضور الحيس صادف حضور الخبز واللحم وانكار وقوع تكثير الطعام فى قصة الخبز واللحم عجيب فان أنسا يقول أولم عليها بشاة وانه أشبع المسلمين خبزا ولحما وهم يومئذ نحو الالف قلت لا دلالة فيه على أن الحيس وليمة وانما وقع ارساله هدية ثم اما فى آخر ذلك اليوم واما فى يوم آخر أولم عليها بشاة وأشبع الالف خبزا ولحما فلا منافاة بين القضيتين ولا معارضة بين المعجزتين والله سبحانه وتعالى أعلم (متفق عليه وعن جابر قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على ناضح) أى راكب على بعير يستقى عليه كما فى النهاية (قد أعيا) أى عجز عن المشى قال ابن الملك هو لازم ومتعد (فلا يكاد يسير) أى لا يقرب السير المطلوب منه (فتلاحق) أى لحق (بى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما لبعيرك قلت قد عيى) بكسر الياء أى عجز (فتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى عن العسكر وعن الناضح (فزجره) أى بالضرب أو الصوت (فدعا له فما زال بين يدى الابل) أى سائرها (قدامها) بدل أو بيان لقوله بين يدى الابل وهو ظرف لقوله فما زال ويجوز أن يكون ظرفا لقوله (يسير) وهو خبر ما زال واسمه عائد الى ناضح كذا حققه الطيبى (فقال لى كيف ترى بعيرك) أى الآن (قلت بخير قد أصابته بركتك قال أفتبيعنيه بوقية) أى بأربعين درهما صرح به شارح وهو بضم الواو ويفتح وكسر القاف وتشديد التحتية قال فى المصباح وجرى على ألسنة الناس بالفتح فى الوقية وهى لغة حكاها بعضهم وفى نسخة صحيحة بأوقية بضم الهمز وسكون الواو وقيل هذا هو المشهور والوقية يستعملها الآن المستعربون وهى بالضم لغة عامرية والاوقية لغيرهم ثم قيل هى فى الحديث أربعون درهما وعند الاطباء ومتعارف الناس الآن عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم وفى القاموس الاوقية بالضم سبعة مثاقيل كالوقية بالضم وفتح المثناة التحتية مشددة وأربعون درهما وقيده صاحب النهاية بقوله فى القديم (فبعته على أن لى فقار ظهره الى المدينة) بفتح الفاء أى ركوب فقار ظهره وهى عظام الظهر ففى النهاية فقار الظهر خرزاته الواحدة فقارة أى بالفتح كما نص عليه صاحب القاموس واسم سيفه صلى الله عليه وسلم ذو الفقار لانه كان فيه فقر صغار حسان على ما فى النهاية قال ابن الملك فيه جواز استثناء بعض منفعة المبيع مدة (فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوت عليه بالبعير) أى أتيته به غدوة (فأعطانى ثمنه ورده على) قال ابن حجر هذا بطريق المجازلات العلية اعطاء ونعت له بواسطة بلال كما رواه مسلم فلما قربت المدينة قال لبلال أعطه أوقية من ذهب وزد اه وفيه بحث اذ الظاهر أن أمره لبلال أسبق ثم اعطاؤه فى غد تحقيق مع أن حقيقة العطاء أن تكون للامر به (متفق عليه وعن أبى حميد) بالتصغير (الساعدى) نسبة الى بنى ساعدة (قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك) أى اليها أو فيها فنصب غزوة على نزع الخافض (فأتينا وادى القرى) بسكون ياء الوادى لكنها تسقط فى الدرج وفى بعضها بنصبها وهو ظاهر على أن التركيب اضافى

فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص باهله قيل لانس عدد كم كم كانوا قال زهاء ثلثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يا كلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا حتى شبعوا فخرجت طائفة ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم فقال لى يا أنس ارفع فرفعت فما أدرى حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت متفق عليه وعن جابر قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا على ناضح قد أعيا فلا يكاد يسير فتلاحق بى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما لبعيرك قلت قد عيى فتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجره فدعا له فما زال بين يدى الابل قدامها يسير فقال لى كيف ترى بعيرك قلت بخير قد أصابته بركتك قال أفتبيعنيه بوقية فبعته على أن لى فقار ظهره الى المدينة فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوت عليه بالبعير فأعطانى ثمنه ورده على متفق عليه وعن أبى حميد الساعدى قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فأتينا وادى القرى

لا منه جو وقال التوربشتي وادي القرى لا يعرب الياء من الوادي فان الكلمتين جعلتا اسما واحدا اه وهو موضع معروف أي جئناه مارين (على حديقة) أي بستان عليه حائط (لامرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرصوها) بضم الراء أي قدروا وخمنوا ثمرها (فخرصناها) أي مختلفين في قدرها (وخرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق) والوسق ستون صاعا (وقال) أي للمرأة (أحصيها) بفتح الهمزة أي اضبطيها واحفظي عددها كم يبلغ ثمرها (حتى نرجع اليك ان شاء الله وانطلقنا حتى قدمنا تبوك) رسمه بغير ألف هنا في جميع النسخ يدل على أنه غير منصرف لا غير (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب) بضم الهاء وتشديد الموحدة أي ستثور (عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها أحد) أي من مكانه فانه يضره (فمن كان له بعير فليشدد) أي فليربط من الآن (عقاله) بكسر العين ما يربط به وظيف البعير الى ذراعه (فهبت ريح شديدة) فهذه معجزة (فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيئ) بياء مشددة بعدها همز على وزن سيد وهو أبو قبيلة من اليمن ذكره في شرح مسلم وكذا في القاموس ثم قيل الجبلان أحدهما أجأ بالتحريك وهو بهمز وجيم فهمز على فعل كجبل وقيل كعصا والآخر سلمى بفتح السين وهما بأرض نجد وقيل انهما اسما باسم رجل وامرأة من العمالقة والحاصل ان هذه معجزة أخرى (قال) الراوي (ثم أقبلنا) أي في الرجوع (حتى قدمنا وادي القرى فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة عن حديقتها كم بلغ ثمرها) بفتح المثلثة والميم ويجوز ضمهما وضم وسكون والمراد ثمرها كما في نسخة (فقالت عشرة أوسق) بالنصب أي بلغ وفي نسخة بالرفع أي عدد أوساقها عشرة أوسق مطابقا لقوله عليه الصلاة والسلام فهذه معجزة ثالثة لاجل تحديها وطلب معارضتها فلا ينافيه انه قد يقع مثل هذا اتفاقيا ولعله صلى الله عليه وسلم أراد بهذه المعجزات اظهار نبوته للذين كانوا معه من أهل النفاق ولزيادة اتقان ايمان أهل العرفان (متفق عليه وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون مصر) وهي بلدة معروفة (وهي أرض يسمى) أي يذكر (فيها القيراط) وهو نصف عشر دينار وقيل خمس شعيرات وأصله قراط بتشديد الراء أبدلت الراء الاولى ياء ونظيره دينار قال القاضي أي يكثر أهلها ذكر القراريط في معاملاتهم لتشددهم فيها وقلة مروآتهم وقيل القراريط كلمة يذكرها أهلها في المسابة ويقولون أعطيت فلانا قراريط أي أسمعته المكروه وقد حكاه الطحاوي عنهم وهو أعلم بلغة أهل بلده لانه منهم ومعنى الحديث ان القوم لهم دناءة وخسة أو في لسانهم بذاء وفحش (فاذا فتحتموها) أي اذا استوليتم على أهلها وتمكنتم منهم (فأحسنوا الى أهلها) أي بالصفح والعفو عما تنكرون ولا يحملنكم سوء أعمالهم وأقوالهم على الاساءة (فان لها) أي لاهلها (ذمة) أي حرمة وأمانا من جهة ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم (ورحما) بفتح فكسر أي قرابة من قبل هاجر أم اسمعيل عليه السلام فان هاجر ومارية كانتا من القبط (أو قال ذمة وصهرا) شك من الراوي قال شارح فعلى هذه الرواية الصهر يختص بمارية والذمة بهاجر (فاذا رأيتم رجلين يختصمان في موضع لبنة) بفتح لام وكسر موحدة وهي الآجر قبل طبخه (فاخرج) أي يا أبا ذر (منها) أي من مصر والظاهر المطابق لرأيتم أن يقال فاخرجوا ولعله صلى الله عليه وسلم خص الامر به شفقة عليه من وقوعه في الفتنة لو أقام بينهم (قال) أي أبو ذر (فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل) بضم ففتح فسكون فكسر فسكون بلا انصراف (ابن حسنة) بفتحات (وأخاه ربيعة) لم يذكرهما المؤلف في أسمائه (يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها) وقد وقع هذا في آخر عهد عثمان حين عتبوا عليه ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخيه من الرضاعة وهذا من قبيل ما كوشف للنبي صلى الله عليه وسلم من الغيب انه ستحدث هذه الحادثة في مصر ويكون عقيب ذلك فتن وشرور مثل خروج المصريين على عثمان رضي الله عنه أولا وقتلهم محمد بن أبي بكر ثانيا وهو وال عليهم من قبل علي فاختبأ حين أحس بالشر في جوف حمار ميت فرموه بالنار فجعل ذلك علامة وأمارة لتلك الفتن وأمر أبا ذر بالخروج منها حين رآه وهذا هو الظاهر وعليه اقتصر الشراح وقال الطيبي أو علم ان في طباع

على حديقة لامرأة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرصوها فخرصناها وخرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة أوسق وقال أحصيها حتى نرجع اليك ان شاء الله وانطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقم فيها أحد من كان له بعير فليشدد عقاله فهبت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيئ ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة عن حديقتها كم بلغ ثمرها فقالت عشرة أوسق متفق عليه وعن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها فأحسنوا الى أهلها فان لها ذمة ورحما أو قال ذمة وصهرا فاذا رأيتم رجلين يختصمان في موضع لبنة فاخرج منها قال فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان في موضع لبنة فخرجت منها

سكانهم المتسعة ومما كسبه كما دل عليه صدر الحديث فاذا اقتضت الحال الى أن يتخاصموا فى هذا المحقر فينبغى أن يتحرز عن مخالطتهم و يجتنب عن مساكنتهم (رواه مسلم وعن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى أصحابى وفى رواية قال فى أمتى اثنا عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها) مع انه يشم من مسافة خمسمائة عام (حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة وهو من باب التعليق بالمحال كقوله تعالى ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال الشيخ التوربشتى صحبة النبى صلى الله عليه وسلم المعتد بها هى المقترنة بالايمان ولا يصح أن يطلق الصحابى الا على من صدق فى ايمانه وظهرت منه أمارته دون من أغمض عليهم بالنفاق فاضافتها اليهم لا تجوز الا على المجاز لتشبههم بالصحابة وتسترهم بالكلمة وادخالهم أنفسهم فى غمارهم ولهذا قال فى أصحابى ولم يقل من أصحابى وذلك مثل قولنا ابليس كان فى الملائكة أى فى زمرتهم ولا يصح أن يقال كان من الملائكة فان الله سبحانه وتعالى يقول كان من الجن وقد أسر بهذا القول الى خاصته وذوى المنزلة من أصحابه أمر هذه الفئة المسوّمة المتلبسة لئلا يقبلوا منهم الايمان ولا يقبلوا من قبلهم المكر والخداع ولم يكن يخفى على المحفوظين شأنهم لاشتهارهم بذلك فى الصحابة الا أنهم كانوا لا يواجهونهم بصريح المقال أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حذيفة أعلمهم بأسمائهم وذلك لانه كان ليلة العقبة مع النبى صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة تبوك حين هموا بقتله ولم يكن على العقبة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار يقوده وحذيفة يسوق به وكان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نادى أن خذوا بطن الوادى فهو أوسع لكم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ الثنية فلما سمعه المنافقون طمعوا فى المكر به فاتبعوه متلثمين وهم اثنا عشر رجلا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم خشفة القوم من ورائه فامر حذيفة ان يردهم فاستقبل حذيفة وجوه رواحلهم بمحجن كان معه فضربها ضربا بالمحجن فرعبهم الله حين أبصروا حذيفة فانقلبوا مسرعين على أعقابهم حتى خالطوا الناس فادرك حذيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحذيفة هل عرفت أحدا منهم قال لا فانهم كانوا متلثمين ولكن أعرف رواحلهم فقال ان الله تعالى أخبرنى بأسمائهم وأسماء آبائهم وسأخبرك بهم ان شاء الله عند الصباح فمن ثم كان الناس يراجعون حذيفة فى أمر المنافقين وقد ذكر عن حذيفة انهم كانوا أربعة عشر فتاب اثنان وبقى اثنا عشر على النفاق على ما أخبر به الصادق المصدوق وقد اطلعت على أسمائهم فى كتب حفاظ الحديث مروية عن حذيفة غير انى وجدت فى بعضها اختلافا فلم أر ان أخاطر بدينى فيما لا ضرورة لى (ثمانية منهم) أى من الاثنى عشر منافقا (تكفيهم) أى تدفع شرهم (الدبيلة) قال القاضى الدبيلة فى الاصل تصغير الدبل وهى الداهية فاطلقت على قرحة ردية تحدث فى باطن الانسان و يقال لها الدبلة بالفتح والضم (سراج من نار) تفسير للدبيلة والظاهر انه من كلام حذيفة (يظهر) أى يخرج السراج (فى أكتافهم حتى تنجم) بضم الجيم أى تظهر وتطلع النار (فى صدورهم) أى فى بطونهم وفى كلام القاضى ايماء الى ان قوله تظهر بصيغة التأنيث حيث قال وفسرها فى الحديث بنار تخرج فى أكتافهم حتى تنجم أى تظهر من نجم ينجم بالضم اذا ظهر وطلع ثم قال ولعله أراد بها ورما حارا يحدث فى أكتافهم بحيث يظهر أثر تلك الحرارة وشدة لهبها فى صدورهم مثله بسراج من نار وهو شعلة المصباح وقد روى عن حذيفة انه صلى الله عليه وسلم عرفه اياهم وانهم هلكوا كما أخبره الرسول صلوات الله وسلامه عليه (رواه مسلم وسنذكر حديث سهل بن سعد لاعطين هذه الراية غدا) أى رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله (فى باب مناقب على) أى فانه أولى (وحديث جابر) أى وسنذكر حديث جابر (من يصعد الثنية) بكسر الدال لالتقاء الساكنين على ان من شرطية وروى يصعد بالرفع على ان من استفهامية وتمامه فانه يحط عنه ما حط عن بنى اسرائيل (فى باب جامع المناقب) أى فانه المناسب (ان شاء الله تعالى) متعلق بسنذكر

(الفصل الثانى) (عن أبى موسى قال خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم فى

رواه مسلم وعن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى أصحابى وفى رواية قال فى أمتى اثنا عشر منافقا فيهم لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل فى سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج من نار يظهر فى أكتافهم حتى تنجم فى صدورهم رواه مسلم وسنذكر حديث سهل بن سعد لاعطين هذه الراية غدا فى باب مناقب على وحديث جابر من يصعد الثنية فى باب جامع المناقب ان شاء الله تعالى

(الفصل الثانى) عن أبى موسى قال خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم فى

أشياخ من قريش) أو في جملتهم والمراد منهم أكابرهم أو أسنهم (فلما أشرفوا) أي طلعوا (على الراهب) اسمه بحيراء وهو بضم الباء وفتح الحاء ممدودا على المشهور لكن ضبطه الشيخ الجزري بفتح الباء وكسر الحاء المهملة وياء ساكنة وفتح الراء وألف مقصورة وهو زاهد النصارى قاله شارح وقال المظهر وكان أعلم النصرانية وكذا ذكره الجزري والجمع بانه لا منع من الجمع (هبطوا) أي نزلوا في ذلك الموضع وهو بصرى من بلاد الشام على ما ذكره المظهر (فحلوا رحالهم) أي فتحوها (فخرج اليهم الراهب وكانوا) أي الناس من قريش وغيرهم (قبل ذلك يمرون به) أي بمكانه (فلا يخرج اليهم قال) أي الراوي (فهم يحلون رحالهم) اشعار بان خروجه ونزوله عليهم في أول حلولهم ووصولهم (فجعل يتخللهم الراهب) أي أخذ يمشي فيما بين القوم ويطلب في خلالهم شخصا (حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) استئناف بيان (هذا سيد العالمين) أي على الاطلاق (هذا رسول رب العالمين) أي الى العالمين جميعهم نظرا الى السابقة واللاحقة كما أشار اليه بقوله (يبعثه الله) أي يرسله أو يظهر رسالته (رحمة للعالمين) لقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وفيه ايماء الى انه مبعوث الى كافة الخلق أجمعين (فقال له أشياخ من قريش ما علمك) أي ما سبب علمك وبيان كيفيته (فقال انكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر) أي سقط (ساجدا) أي متواضعا اليه (ولا يسجدان الا لنبي) أي عظيم ورسول كريم (واني أعرفه) أي النبي أيضا (بخاتم النبوة) بفتح التاء ويكسر والنبوة بالادغام وبهمز (أسفل) بالنصب أي في مكان أسفل (من غضروف كتفه) بضمتين وهو رأس لوح الكتف (مثل التفاحة) بالنصب وفي نسخة صحيحة بالرفع وفي أخرى بالجر على انه صفة خاتم ذكره شارح وقال بعض المحققين يروى بالرفع على انه خبر محذوف وبالنصب على اضمار الفعل ويجوز الجر على الابدال دون الصفة لان مثلا وغير لا يتعارفان بالاضافة الى المعرفة (ثم رجع) أي الراهب (فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به) أي بالطعام (وكان هو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (في رعية الابل) بكسر الراء وسكون العين أي في رعايتها (فقال) أي الراهب (ارسلوا اليه) أي فان المدار عليه (فأقبل) أي بعد الارسال أو قبله (وعليه غمامة) أي سحابة (تظله) أي تجعله تحت ظله (فلما دنا من القوم) أي قرب منهم (وجدهم) أي وجد النبي صلى الله عليه وسلم القوم (قد سبقوه الى فيء شجرة) أي الى ظلها (فلما جلس مال فيء الشجرة عليه) أي زيادة على ظل السحابة أو زالت السحابة ومالت الشجرة اظهارا للخارقين وقال الطيبي قوله عليه أي واقعا ظله عليه (فقال) أي الراهب للقوم (انظروا الى فيء الشجرة مال عليه) أي ان كنتم ما تنظرون الى مظلة السماء فانظروا الى مظلة الارض ولكن الله سبحانه أعماهم وأصمهم كما أخبر به بقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وأظهر هذا المعنى في قوله سبحانه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (فقال) أي الراهب (أنشدكم الله) بنصب الجلالة وبضم الشين أي أسألكم بالله وقيل أي أطلب منكم بالله جواب هذا السؤال وبطل عمل الفعل للتعليق بالاستفهام في قوله (أيكم وليه) أي قريبه والجملة مبتدأ وخبر (قالوا أبو طالب) أي وليه (فلم يزل) أي الراهب (يناشده) أي يناشد أبا طالب ويطالب برده عليه السلام خوفا عليه من أهل الروم أن يقتلوه في الشام ويقول لابي طالب بالله عليك أن ترد محمدا الى مكة وتحفظه من العدو (حتى رده أبو طالب) أي الى مكة شرفها الله (وبعث معه أبو بكر بلالا) وفي رواية على عن أبيه انه قال فرددته مع رجال وكان فيهم بلال أخرجه رزين (وزوده الراهب من الكعك) وهو الخبز الغليظ على ما في الازهار قال شارح هو نوع من الخبز وقال الطيبي هو الخبز وهو فارسي معرب وكذا في القاموس (والزيت) أي لادام ذلك الخبز وقد ورد من طرق رواها أحمد وغيره كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة (رواه الترمذي) أي وقال حسن غريب وقال الجزري اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح أو أحدهما وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ وعده أئمتنا وهما وكذلك فان سن النبي صلى الله عليه وسلم اذ ذاك اثنا عشرة

أشياخ من قريش فلما
أشرفوا على الراهب هبطوا
فحلوا رحالهم فخرج اليهم
الراهب وكانوا قبل ذلك
يمرون به فلا يخرج اليهم
قال فهم يحلون رحالهم
فجعل يتخللهم الراهب حتى
جاء فأخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال هذا
سيد العالمين هذا رسول رب
العالمين يبعثه الله رحمة
للعالمين فقال له أشياخ من
قريش ما علمك فقال انكم
حين أشرفتم من العقبة لم
يبق شجر ولا حجر الا خر
ساجدا ولا يسجدان الا لنبي
واني أعرفه بخاتم النبوة
أسفل من غضروف كتفه
مثل التفاحة ثم رجع
فصنع لهم طعاما فلما أتاهم
به وكان هو في رعية الابل
فقال أرسلوا اليه فأقبل
وعليه غمامة تظله فلما دنا
من القوم وجدهم قد
سبقوه الى فيء شجرة فلما
جلس مال فيء الشجرة
عليه فقال انظروا الى فيء
الشجرة مال عليه فقال
أنشدكم الله أيكم وليه
قالوا أبو طالب فلم يزل
يناشده حتى رده أبو طالب
وبعث معه أبو بكر بلالا
وزوده الراهب من الكعك
والزيت رواه الترمذي

سنة وأبو بكر أصغر منه بسنتين وبلال لعله لم يكن ولد في ذلك الوقت اهـ وقال في ميزان الاعتدال
قيل مما يدل على بطلان هذا الحديث قوله وبعث معه أبو بكر بلالا ولان لم يخلق بعد وأبو بكر كان صبيا
اهـ وضعف الذهبي هذا الحديث لقوله وبعث معه أبو بكر بلالا فان أبا بكر اذ ذاك ما اشترى بلالا وقال
الحافظ ابن حجر في الاصابة الحديث رجاله ثقات وليس فيه سوى هذه اللفظة فيحتمل انها مدرجة فيه منقطعة
من حديث آخر وهما من أحد رواته كذا في المواهب اللدنية ولا يخفى ان ايراد هذا الحديث بباب علامات
النبوة كان أوفق للتحقيق والله ولي التوفيق (وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل) أي حجر كما في رواية (ولا شجر الا وهو يقول
السلام عليك يارسول الله) فالحديث معجزة للنبي وكرامة للولي (رواه الترمذي والدارمي وعن أنس ان
النبي صلى الله عليه وسلم أتي) أي جيء (بالبراق ليلة اسري به) باضافتها الى البناء وجواز اعرابها منونا
والتقدير اسري فيها به صلى الله عليه وسلم (ملجما مسرجا) على بناء المفعول فيهما أي موضوعا عليه اللجام
والسرج (فاستصعب) أي استعصى البراق (عليه) ولم يمكنه من الركوب ويقال استصعب عليه الامر أي
صعب فالمعنى صعب عليه ركوبه باستعصائه (فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا) ولم تفعل بغيره أو ولو فعلت
بسائر الانبياء (فما ركبك أحدا كرم على الله منه) برفع أكرم وفي نسخة صحيحة قال التوربشتي وجدنا
الرواية في أكرم بالنصب فلعل التقدير فما ركبك أحد كان أكرم على الله منه (قال) أي النبي صلى الله عليه
وسلم (فارفض) بتشديد الضاد المعجمة أي انصب البراق (عرقا) تمييز والمعنى سال منه العرق حياء لكون
اهتزازه صدر عنه فرحا وظن انه وقع استعصاء (رواه الترمذي) وقال هذا حديث غريب (وعن بريدة)
بالتصغير أسلمي أسلم قبل بدر ولم يشهدها وبايع بيعة الرضوان (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما انتهينا الى بيت المقدس) قد سبق ضبطه بالوجهين (قال جبريل باصبعه) أي أشار بها (فخرق) أي جبريل
(بها) أي بتلك الاشارة (الحجر فشد) أي جبريل أو النبي صلى الله عليه وسلم (به) أي بالحجر (البراق) قال
الطيبي فان قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله في حديث أنس فربطته بالحلقة التي كان يربط بها الانبياء
قلت لعل المراد من الحلقة الموضع الذي كان فيه الحلقة وقد انسد فخرقه جبريل عليه السلام (رواه الترمذي)
وكذا ابن حبان وصححه (وعن يعلى بن مرة الثقفي) قال المؤلف شهد الحديبية وخيبر والفتح وحنينا
والطائف روى عنه جماعة وعداده في الكوفيين (قال ثلاثة أشياء) أي من المعجزات (رأيتها من رسول
الله صلى الله عليه وسلم) أي في سفر واحد (بينا نحن نسير معه اذ مررنا ببعير يسنى) على بناء المفعول أي
يستقى (عليه فلما رآه البعير جرجر) أي صاح من الجرجرة وهي صوت تردد البعير في حلقه على ما ذكره القاضي
فالمعنى ردد الصوت في حلقه (فوضع جرانه) بكسر الجيم أي مقدم عنقه وقيل باطن عنقه (فوقف عليه
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اين صاحب هذا البعير) أي مالكه فجاءه (فقال بعنيه فقال بل نهبه لك) أي
لا نبيعه اياك بل نعطيك هبة (يارسول الله) فان رسالتك تقتضي جلالتك (وانه) بكسر الهمز والضمير للبعير
أي والحال انه (لاهل بيت) أراد نفسه وعياله (ما لهم معيشة) أي ليس لهم ما يعيشون به (غيره قال أما)
بتشديد الميم وفي نسخة بتخفيفها على انها للتنبيه وهو ظاهر قوله (اذ ذكرت هذا من أمره) أي فاعلم اني
ما طلبت شراءه الا لتخليصه لا لغرض آخر به (فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف) فاذا كان كذلك بان امتنع
البيع (فأحسنوا اليه) أي بكثرة العلف وقلة العمل مع جواز كثرتهما أو تساويهما اذ الظلم هو الجمع بين كثرة
العمل وقلة العلف قال الطيبي جواب أما محذوف وقوله فانه شكا جواب لاما المقدرة تقديره أما اذ ذكرت
ان البعير لاهل بيت ما لهم معيشة فلا ألتمس شراءه وأما البعير فتعاهدوه فانه اشتكى اذ لا بد لاما التفصيلية من
التكرار أقول الظاهر ان جواب أما المقدرة فتعاهدوه وأما قوله فانه شكا فانه علة للجواب والله أعلم
بالصواب وفي المغني أما بالفتح والتشديد هي حرف شرط وتفصيل وتأكيد ثم قال وقد تأتي لغير تفصيل

وعن علي بن أبي طالب قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله رواه الترمذي والدارمي وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال فارفض عرقا رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل باصبعه فخرق بها الحجر فشد به البراق رواه الترمذي وعن يعلى بن مرة الثقفي قال ثلاثة أشياء رأيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا نحن نسير معه اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر فوضع جرانه فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اين صاحب هذا البعير فجاءه فقال بعنيه فقال بل نهبه لك يارسول الله وانه لاهل بيت مالهم معيشة غيره قال أما اذ ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسنوا اليه

ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غشيته ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له فقال هي شجرة استأذنت ربها في ان تسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لها قال ثم سرنا فمررنا بماء فأتته امرأة بابن لها به جنة فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره ثم قال اخرج فاني محمد رسول الله ثم سرنا فلما رجعنا مررنا بذلك الماء فسألها عن الصبي فقالت والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك رواه في شرح السنة وعن ابن عباس قال ان امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا فثع ثعة وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعى رواه الدارمي وعن أنس قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس حزين قد تخضب بالدم من فعل أهل مكة فقال يارسول الله هل تحب ان نريك آية قال نعم فنظر الى شجرة من ورائه فقال ادع بها فدعا بها فجاءت فقامت بين يديه فقال مرها فلترجع فأمرها فرجعت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي رواه الدارمي وعن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله

أصلا نحو أما زيد فمنطلق وأما التأكيد فقل من ذكره ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشري فانه قال فائدة أما في الكلام ان يعطيه فضل تأكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت تأكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت أما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير يدل بفائدتين بيان كونه تأكيدا وانه في معنى الشرط (ثم سرنا) أي سائرين (حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض) أي تقطعها (حتى غشيته) أي أتته وغطته (ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له) أي أنا وفي نسخة بصيغة المجهول أي ذكرت القضية له وهو يحتمل الاحتمالين (فقال هي شجرة استأذنت ربها في ان تسلم على رسول الله فأذن لها) أي فجاءت للسلام (قال) أي يعلى (ثم سرنا فمررنا بماء) أي بموضع ماء فيه جمع من أهله وقال شارح أي بقبيلة (فأتته امرأة بابن لها به جنة) بكسر الجيم أي جنون (فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بمنخره) بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة في النسخ كلها وفي القاموس المنخر بفتح الميم والخاء وبكسرهما وضمهما وكمجلس الانف (ثم قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم للمجنون أو الشيطان الذي فيه (اخرج) أي منه (فاني محمد رسول الله ثم سرنا فلما رجعنا مررنا بذلك الماء فسألها) أي المرأة (عن الصبي فقالت والذي بعثك بالحق ما رأينا منه) أي من الصبي (ريبا) بفتح الراء وسكون الياء أي شيئا نكرهه (بعدك) أي بعد مفارقتك أو بعد دعائك ومنه قوله تعالى ريب المنون أي حوادث الدهر وقيل ما رأينا منه ما أوقعنا في شك من حاله وتحيرنا من أمره ومنه قوله سبحانه لا ريب فيه (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي باسناده (وعن ابن عباس قال ان امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه) أي الجنون (عند غدائنا وعشائنا) أي عند حضورهما أو وقت استعمالهما وقال شارح أي صباحنا ومساءنا (فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره) أي صدر الولد (ودعا فثع) بالمثلثة والعين المشددة أي قاء (ثعة) أي قيئة واحدة ففي النهاية الثع القيء والثعة المرة الواحدة (وخرج من جوفه مثل الجرو) بكسر الجيم وسكون الراء أي ولد الكلب (الاسود) صفة للجرو وقوله (يسعى) حال أي يمشي ذلك الجرو ويسرع (رواه الدارمي وعن أنس رضي الله عنه قال جاء جبريل) عليه السلام على ما في نسخة (الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (جالس حزين وقد تخضب بالدم) أي تلوث به يوم أحد عند كسر رباعيته (من فعل أهل مكة) أي من ضرب كفارهم وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله تعالى ذكره السيوطي في حاشية البخاري وذلك لقوله تعالى والله يعصمك من الناس لكن حصل له هذا الكسر ليكثر له الاجر والجبر في مشاركة مشقة المؤمنين ومحنة المجاهدين ولذا لما أصاب حجر أصبعه ودميت قال

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

(فقال) أي جبريل (يارسول الله هل تحب ان نريك آية) أي علامة منك على نبوتك تسلية لك على محنتك لتعرف انها سبب لمزيد محبتك وقرب منزلتك (قال نعم فنظر) أي جبريل (الى شجرة من ورائه) أي من خلفه أو من خلف النبي عليهما الصلاة والسلام (فقال) أي جبريل (ادع بها) أي اطلبها (فدعا بها فجاءت فقامت بين يديه) أي منادية لديه ومنقادة اليه صلى الله عليه وسلم (فقال) أي جبريل (مرها) أي بالرجوع (فلترجع) أي لحكمة تقتضيه (فأمرها فرجعت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبي) أي كفاني (حسبي) زيد للمبالغة أو اشارة الى تكرار خرق العادة بالمجيء والاعادة والمعنى كفاني في تسليتي عما لقيته من الحزن هذه الكرامة من ربي (رواه الدارمي وعن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر) أي في غزوة أو عمرة (فأقبل اعرابي) أي بدوي (فلما دنا) أي قرب (قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد) أي أتشهد (أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده

و رسوله قال ومن يشهد) أي على وجه خرق العادة وظهور المعجزة (على ما تقول) أي من دعوى الرسالة (قال هذه السلمة) بفتحات شجرة من البادية ذكره شارح وفي النهاية السلم شجر من العضاه واحدها سلمة بفتح اللام وورقها القرظ الذي يدبغ به وبها سمي الرجل سلمة (فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو) أي والحال ان النبي صلى الله عليه وسلم (بشاطئ الوادي) أي كان واقفا بطرفه (فاقبلت) أي الشجرة كما في نسخة (تخد الارض) بضم الخاء المعجمة وتشديد الدال المهملة أي تشقها أخدودا وقوله (خدا) على ما في بعض النسخ مفعول مطلق (حتى قامت بين يديه) أي مسلمة عليه ومسلمة لديه (فاستشهدها) أي طلب الشهادة من الشجرة (ثلاثا) أي مرتبة الامتوالبا (فشهدت ثلاثا أنه كما قال) أي ان الشان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كونه رسول رب العالمين (ثم رجعت الى منبتها) بكسر الموحدة أي موضع نباتها وموطن أصلها (رواه الدارمي وعن ابن عباس قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بم أعرف) أي من معجزاتك (انك نبي) أي صادق (قال ان دعوت) بكسر ان في أكثر الاصول وفي بعضها بفتح ان وهو الاظهر أي بان دعوت (هذا العذق) بكسر العين وهو العرجون بما فيه من الشماريخ وهو بمنزلة العنقود من العنب وبالفتح النخلة والمراد به الاول لقوله (من هذه النخلة يشهد) أي حال كون العذق يشهد أني رسول الله وقال الطيبي ان دعوت جواب لقوله بما أعرف أي باني ان دعوته يشهد اه ومقتضاه أن يكون يشهد مجزوما بصيغة الغائب والمعنى تعرف باني ان دعوته يشهد وقال شارح ان للشرط و يشهد جزاؤه أو للمصدرية و يشهد جملة حالية اه وظاهره أن يكون يشهد على الاول مخاطبا مجزوما كما في نسخة ليكون جواب الاعرابي بنعم مقدارا أو النبي صلى الله عليه وسلم لم ينتظر جوابه اذ ليس له جواب صواب (غيره فدعاه) أي العذق (رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل) أي فشرع العذق (ينزل من النخلة حتى سقط) أي وقع على الارض (الى النبي صلى الله عليه وسلم) أي منتهيا اليه ومستسلما لديه (ثم قال ارجع فعاد) أي الى ما كان عليه (فاسلم الاعرابي رواه الترمذي) وصححه (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء ذئب) بهمزة ساكنة و يبدل (الى راعي غنم) أي الى قطعة غنم راعيها معها (فأخذ) أي الذئب (منها شاة فطلبه الراعي) أي تبعه وحمل عليه (حتى انتزعها منه) أي خلصها من فمه (قال) أي الراعي فانه هو الرائي والراوي ذكره شارح (فصعد الذئب على تل) بتشديد اللام أي مكان مرتفع (فاقعى) أي جلس مقعيا بان قعد على وركيه ونصب يديه (واستثفر) بالمثلثة فالفاء أي ادخل ذنبه بين رجليه وقيل بين اليتيه (وقال قد عمدت) بفتح الميم على صيغة المتكلم اخبارا على سبيل الشكاية وفي نسخة صحيحة بصيغة الخطاب على انه استفهام على سبيل الانكار والمعنى قصدت (الى رزق رزقنيه الله) أي أباحه لي (أخذته ثم انتزعته مني) أي بناء على وجوب تخليصه عليك فالكل منقادون تحت أمره مطيعون لحكمه مستسلمون لقضائه وقدره (فقال الرجل) أي الراعي قال التوربشتي اسمه هبار بن أوس الخزاعي و يقال له مكلم الذئب (تالله) قسم فيه معنى التعجب (ان رأيت) أي ما رأيت (كاليوم) أي ما رأيت ذئبا يتكلم كاليوم ذكره شارح وفي الفائق أي ما رأيت أعجوبة كاعجوبة اليوم فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (ذئب يتكلم) خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل أي شيء هو فقال ذئب يتكلم (فقال الذئب أعجب من هذا) أي من تكلم الذئب (رجل في النخلات) بالفتحات أي نخيل المدينة الواقعة (بين الحرتين) بفتح الحاء وتشديد الراء تثنية حرة وهي أرض ذات حجارة سود بين جبلين من جبال المدينة (يخبركم بما مضى) أي بما سبق من خبر الاولين ممن قبلكم (وما هو كائن بعدكم) أي من نبأ الآخرين في الدنيا ومن أحوال الاجمعين في العقبى (قال) أي الراوي وهو أبو هريرة (فكان الرجل) أي الراعي (يهوديا) فيه رد على ما قيل من ان ذلك الرجل خزاعي فان خزاعة ليست بيهود اللهم الا أن يقال انه كان (يهوديا فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره) أي بخبر الذئب (وأسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم) أي فيما رواه (ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم انها امارات)

على ما تقول قال هذه السلمة فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بشاطئ الوادي فأقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثلاثا انه كما قال ثم رجعت الى منبتها رواه الدارمي وعن ابن عباس قال جاء أعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بما أعرف انك نبي قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة يشهد اني رسول الله فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي رواه الترمذي وصححه وعن أبي هريرة قال جاء ذئب الى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه قال فصعد الذئب على تل فاقعى واستثفر وقال قد عمدت الى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل تالله ان رأيت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم قال فكان الرجل يهوديا فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره وأسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم انها امارات

يحتمل أن يكون الضمير للقصة وأن يكون ضميرا مبهما يفسره ما بعده وأن يرجع الى معنى ما تكلم به الذئب باعتبار الحالة والقصة ذكره الطيبي والمعنى ان الحالة التي رآها وأمثالها علامات (بين يدي الساعة) أي قدامها (قد أوشك الرجل) أي قرب (أن يخرج) أي من بيته (فلا يرجع) ظاهره النصب لكن اتفق النسخ على رفعه على ان التقدير فهو لا يرجع (حتى يحدثه نعلاه) أي في رجله (وسوطه) أي في يده (بما أحدث أهله) أي من أفعال السوء أو الحسن (بعده) أي بعد خروجه من أهله ومفارقته اياهم (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي باسناده (وعن أبي العلاء) بفتح العين قال المؤلف في فصل التابعين اسمه يزيد بن عبد الله بن الشخير (عن سمرة بن جندب) تقدم ضبطهما وسبق ذكرهما (قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول) يقال تداولته الايدي أي تناوبته يعني أخذته هذه مرة وهذه مرة ذكره شارح فالمعنى نتناوب أخذ الطعام وأكله (من قصعة) بفتح القاف أي من صحفة كبيرة (من غدوة) بضم فسكون ويجوز بفتحتين فلام أي من أول النهار (حتى الليل) أي الى دخول العشية (يقوم عشرة) أي بعد فراغهم من الاكل منها (و يقعد عشرة) أي للتناول منها (قلنا) أي لسمرة (فمما كانت تمد) بصيغة المجهول من الامداد وهو ظاهر او من المد من قولك مد السراج بالزيت والمعنى فأي شيء كانت القصعة تمد منه وتزاد فيه ومن أين يكثر الطعام فيها طول النهار ولما كان في هذا السؤال نوع من التعجب (قال) أي سمرة (من أي شيء تعجب) والخطاب لابي العلاء من جملة القائلين فانه من رؤساء التابعين أو المراد خطاب العام والمعنى لا تعجب أيها المخاطب (ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء) والمعنى لا تكون كثرة الطعام فيها الا من عالم العلاء بنزول البركة فيها من السماء وفيه ايماء الى قوله تعالى وفي السماء رزقكم وهذا ظاهر شرح الكلام على وفق المرام وقال شارح ضمير قال الى النبي صلى الله عليه وسلم واليه ذهب المظهر ومن تبعه وقال الطيبي ويحتمل أن يكون القائل سمرة والسائل أبو العلاء وهو الظاهر اه ووجه ظهوره لا يخفى اذ مثل هذا السؤال من الاصحاب المشاهدين للمعجزة في غاية من الغرابة وأما سؤال التابعين من الصحابي فقد يوجه بانه توهم انه كان يأتي الطعام و يوضع في القصعة مرة بعد مرة بعد فراغ عشرة أو نحوها كما يقع في العرف على طريق العادة فأجاب الصحابي بان هذا لم يقع الا على سبيل خرق العادة فالمدد من رب السماء لا من أحد من المخلوقين من سكان الارض (رواه الترمذي والدارمي وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر في ثلثمائة) بكسر المثلثة ثانية على الاضافة (وخمسة عشر) بفتح الجزأين على التركيب (قال) استئناف بيان أو حال (اللهم انهم) أي غالبهم (حفاة) بضم الحاء جمع حاف وهو من لا نعل له (فاحملهم) بهمز وصل وكسر ميم أي أثبتهم على الحمل والمعنى أعط كلا منهم المركوب (اللهم انهم عراة) بالضم جمع عار أي عريان فيما بعد الازار (فاكسهم) بضم السين أي أعطهم الكسوة وألبسهم لباس الزينة (اللهم انهم جياع فاشبعهم) أي باطنا وظاهرا ليتقووا على الطاعة (ففتح الله له) أي للنبي صلى الله عليه وسلم ونصره على مشركي مكة وصناديد قريش وأكابرهم حتى قتل منهم سبعون وأسر سبعون (فانقلبوا) أي فرجع أصحابه (وما منهم رجل الا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا) أي من غنائم أعدائهم فصدق الله في قوله عسى أن تكرهوا شيأ و يجعل الله فيه خيرا كثيرا كما أخبر عنهم بقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون وفي الحديث ان الصبر على ما تكره فيه خير كثير ثم هذا نتيجته في الدنيا والآخرة خير وأبقى (رواه أبو داود وعن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم منصورون) أي على الاعداء (ومصيبون) أي للغنائم (ومفتوح لكم) أي البلاد الكثيرة (فمن أدرك ذلك) أي ما ذكر منكم (فليتق الله) أي في جميع أموره ليكون كاملا (وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر) ليكون مكملا لا سيما في أيام امارته وتحصيل عدالته وقيل المراد بالمنكر الغلول وهو الخيانة في الغنيمة والظاهر ان المراد هو المعنى الاعم والله أعلم (رواه أبو داود وعن جابر ان يهودية من أهل خيبر) قيل انها زينب بنت الحارث وهي

بين يدي الساعة قد أوشك الرجل ان يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده رواه في شرح السنة وعن أبي العلاء عن سمرة بن جندب قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة و يقعد عشرة قلنا فمما كانت تمد قال من أي شيء تعجب ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء رواه الترمذي والدارمي وعن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر في ثلثمائة وخمسة عشر قال اللهم انهم حفاة فاحملهم اللهم انهم عراة فاكسهم اللهم انهم جياع فاشبعهم ففتح الله له فانقلبوا وما منهم رجل الا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا رواه أبو داود وعن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم منصورون ومصيبون ومفتوح لكم فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر رواه أبو داود وعن جابر ان يهودية من أهل خيبر

بنت أخي مرحب بن أبي مرحب (سمت شاة) أي جعلتها مسمومة (مصلية) بفتح الميم وكسر اللام وتشديد التحتية أي مشوية قيل وأكثرت السم في الكتف والذراع لما علمت أنهما أحب أعضاء الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أهدتها لرسول الله) أي اليه صلى الله عليه وسلم (فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط) أي جماعة من أصحابه (معه) أي من لحم تلك الشاة (فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم) أي كفوها وامنعوها عن الاكل (وأرسل الى اليهودية فدعاها) أي طلبها فحضرت (فقال سممت هذه الشاة) لا بتقدير الاستفهام بل بالجزم في اخبار الكلام ولذا لم تقل لا أو نعم (فقالت من أخبرك) أي الله أو أحد من الخلق (قال أخبرتني هذه) أي هذه الذراع بانطاق الله اياها وقوله (في يدي) حال من هذه أي مستقرة فيها (للذراع) وقيل اللام بمعنى عن نحو قال لو يدانه لم يفعل الشر أي قال عنه والمعنى قال عن الذراع انها أخبرتني ويحتمل أن يكون بمعنى الى أي قال ذلك مشيرا اليها (قالت نعم قلت) جواب سؤال مقدر (ان كان) أي محمد (نبيا فلن تضره) أي الشاة المسمومة (وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال الطيبي فيه اختلاف اذ الرواية وردت بانه أمر بقتلها فقتلت ووجه التوفيق بينهما أنه عفا عنها في أول الامر فلما مات بشر بن البراء ابن معرور من الاكلة التي ابتلعها أمر بها فقتلت مكانه اه وفي المواهب وقيل أسلمت ولم تقتل وقال بعض المحققين قوله فعفا عنها أي تركها أولا لانه كان لا ينتقم لنفسه ثم لما مات بشر بن البراء بن معرور أمر بقتلها قصاصا ويحتمل أن يكون تركها لكونها أسلمت ثم أمر بقتلها قصاصا لقتل بشر ولم ينفرد الزهري بدعواه انها أسلمت فقد جزم بذلك سليمان التيمي في مغازيه ولفظه بعد قولها وان كنت كاذبا أرحت الناس منك وقد استبان لي انك صادق وانا أشهدك ومن حضر على دينك ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله (وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة) أي بعضهم وهو بشر (واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله) بكسر الهاء أي بين كتفيه (من أجل الذي أكل من الشاة) أي المسمومة (حجمه) استئناف بيان (أبو هند) قيل اسمه يسار الحجام (بالقرن والشفرة) بفتح فسكون أي كانت المحجمة قرنا (والمبضعة) السكين العريض (وهو) أي أبو هند (مولى لبني بياضة) بفتح الموحدة وتخفيف التحتية قبيلة (من الانصار رواه أبو داود والدارمي وعن سهل بن الحنظلية) قال المؤلف هي أم جده وقيل أمه والحنظلية نسب وبها يعرف واسم أبيه الربيع بن عمرو وكان سهل ممن بايع تحت الشجرة وكان فاضلا معتزلا عن الناس كثير الصلاة والذكر وكان عقيما لا يولد له سكن الشام ومات بدمشق في أول أيام معاوية (انهم) أي الصحابة (ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين) أي وقت توجهه اليه (فاطنبوا السير) أي أطالوه وبالغوا فيه (حتى كان عشية) أي السير ممتدا الى وقت العشية كذا ذكره الطيبي والاظهر أن يقال حتى كان الوقت عشية (فجاء فارس) أي راكب فرس (مسرعا فقال يا رسول الله اني طلعت) بكسر اللام وفي بعض النسخ بفتحها أي علوت (على جبل كذا وكذا) ففي القاموس طلع الجبل علاه كطلع بالكسر واقتصر الجوهري على الكسر وصاحب المفتاح على الفتح وفي نسخة السيد ضبط بالكسر ووضع عليه صح والله أعلم (فاذا أنا بهوازن) بفتح الهاء وكسر الزاي قبيلة كبيرة (على بكرة أبيهم) بفتح فسكون أي كلهم مجتمعين قيل كان الرجل يحمل جميع أولاده على بكرة والبكر بالفتح الفتى من الابل بمنزلة الغلام من الناس والانثى بكرة وجاؤا على بكرة أبيهم كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وقال القاضي يقال جاء القوم على بكرة أبيهم أي جاؤا بأجمعهم بحيث لم يبق منهم أحد وعلى ههنا بمعنى مع وهو مثل يضرب به العرب وكان السبب فيه ان جمعا من العرب عرض لهم انزعاج فارتحلوا جميعا ولم يخلفوا شيئا حتى ان بكرة كانت لابيهم أخذوها معهم فقال من وراءهم جاؤا على بكرة أبيهم فصار ذلك مثلا في قوم جاؤا بأجمعهم وان لم يكن معهم بكرة وهي التي يستقى عليها الماء فاستعيرت في هذا الموضع (بظعنهم) بضمتين ويسكن الثاني جماعة الرجال والنساء الذين يظعنون أي يرتحلون كذا

سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فأكل منها وأكل رهط من أصحابه معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا أيديكم وأرسل الى اليهودية فدعاها فقال سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتني هذه في يدي للذراع قالت نعم قلت ان كان نبيا فلن تضره وان لم يكن نبيا استرحنا منه فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي أصحابه الذين أكلوا من الشاة واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة حجمه أبو هند بالقرن والشفرة وهو مولى لبني بياضة من الانصار رواه أبو داود والدارمي وعن سهل بن الحنظلية انهم ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فاطنبوا السير حتى كان عشية فجاء فارس فقال يا رسول الله اني طلعت على جبل كذا وكذا فاذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم

ونعمهم اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى ثم قال من يحرسنا الليلة قال أنس بن أبي مرثد الغنوي أنا يا رسول الله قال اركب فركب فرسا له فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصلاه فركع ركعتين ثم قال هل حسستم فارسكم فقال رجل يا رسول الله ما حسسنا فثوب بالصلاة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي يلتفت الى الشعب حتى اذا قضى الصلاة قال ابشروا فقد جاء فارسكم فجعلنا ننظر الى خلال الشجر في الشعب فاذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فلم أر أحدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل نزلت الليلة قال لا الا مصليا أو قاضي حاجة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا عليك أن لا تعمل بعدها رواه أبو داود وعن أبي هريرة قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمرات فقلت يا رسول الله ادع الله فيهن بالبركة فضمهن ثم دعا لي فيهن بالبركة قال خذهن فاجعلهن في مزودك كلما أردت أن تأخذ منه شيئا فادخل فيه يدك فخذه

قاله شارح وقال الجزري أي نسائهم وهو الاظهر على انه جمع الظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج وقيل هي الهودج كانت فيها امرأة أو لا وهو مركب من مراكب النساء مقبب وغير مقبب (ونعمهم) بفتحتين أي وبأموالهم ومواشيهم (اجتمعوا الى حنين) أي متوجهين اليه (فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي متعجبا من حسن صنيعه سبحانه (وقال تلك) أي تلك الجماعة من الرجال والنساء والاموال (غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله) للتبرك أو للتقييد احتياطا (ثم قال من يحرسنا) بضم الراء أي يحفظنا عسكرنا من البيات (الليلة) أي الآتية (قال أنس بن أبي مرثد) بفتح الميم والمثلثة (الغنوي) بفتحتين (أنا يا رسول الله) قال المؤلف شهد أنس بن أبي مرثد فتح مكة وحنينا ومات سنة عشرين وله ولابيه وجده وأخيه صحبة واسم أبي مرثد كناز بفتح الكاف وتشديد النون وبالزاي وقيل ان اسمه أنيس قال ابن عبد البر وهو أكثر ويقال انه الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم أغد يا أنيس الى امرأة هذا فان اعترفت فارجمها وقيل غيره والله أعلم (قال اركب فركب فرسا له فقال استقبل هذا الشعب) بكسر أوله وهو الطريق بين الجبلين (حتى تكون في أعلاه فلما أصبحنا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصلاه فركع ركعتين) أي سنة الصبح (ثم قال هل حسستم) بكسر السين أي أدركتم بالحس (فارسكم) بان رأيتموه أو سمعتم صوته (فقال رجل يا رسول الله ما حسسنا) أي ما عرفنا له خبرا ولا رأينا له أثرا (فثوب) بتشديد الواو المكسورة أي أقيم (بالصلاة) قال الطيبي الاصل في التثويب أن يجيء الرجل مستصرخا فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر فسمى الدعاء تثويبا لذلك وكل داع مثوب (فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي) جملة حالية معترضة والمعنى فشرع حال الصلاة (يلتفت الى الشعب) أي يميل بطرف عينه الى جهة الطريق في الجبل (حتى اذا قضى الصلاة) أي أداها وفرغ منها (قال ابشروا فقد جاء فارسكم) الاضافة لادنى ملابسة (فجعلنا ننظر الى خلال الشجر في الشعب) بكسر الخاء المعجمة جمع الخلل بفتحتين وهو الفرجة بين الشيئين (فاذا هو) أي الفارس (قد جاء حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي راكبا أو نازلا (فقال اني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم) لا يخفى حسن العدول عن قوله حيث أمرت (فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما) أي أتيت طريقي الجبل وجوانبه مخافة أن يكون فيه أحد مختفيا (فلم أر أحدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل نزلت) أي عن الدابة (الليلة) أي البارحة وهي الماضية (قال لا الا مصليا أو قاضي حاجة) أي من بول أو غائط (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا عليك) أي ليس عليك حرج (في أن لا تعمل) أي من النوافل والفضائل (بعدها) أي بعد هذه الخصلة التي فعلتها فانه قد حصل لك فضيلة كاملة قال ابن الملك وفيه بشارة منه صلى الله عليه وسلم بان الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر انتهى ولا يخفى ما فيه من النظر وقال الطيبي أي لا بأس عليك بان لا تعمل بعد هذه الليلة من المبرات والخيرات فان هذه الليلة كافية لك عند الله مثوبة وفضيلة وأراد النوافل والتبرعات من الاعمال لا الفرائض فان ذلك لا يسقط ويمكن أن ينزل على ما عليه من عمل الجهاد في ذلك اليوم جبرانا لقلبه وتسلية له (رواه أبو داود وعن أبي هريرة قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمرات) بفتحات قال الشيخ أبو نصر كانت التمرات احدى وعشرين كذا في الاذكار (فقلت يا رسول الله ادع الله فيهن بالبركة) أي اسأل الله البركة فيهن ولاجلهن (فضمهن) أي فاخذهن بيده أو وضع يده عليهن (ثم دعا لي) أي لاجلي خصوصا (فيهن بالبركة) أي بالبركة فيهن وكثرة الخير فيها كاهو مع قلتهن (قال) أي بطريق الاستئناف (خذهن فاجعلهن) أي ادخلهن (في مزودك) بكسر الميم وهو ما يجعل فيه الزاد من الجراب وغيره (كلما أردت أن تأخذ منه) أي من التمر أو من المزود (شيئا) قال الطيبي ان جعل منه صلة لتأخذ وشيئا مفعول به يكون نكرة شائعة فلا يختص بالتمر وان جعل حالا من شيئا اختص به (فادخل فيه) أي في المزود (يدك

نفذه) أي التمر منه (ولا تنثره) بضم المثلثة وتكسر (نثرا) مفعول مطلق ففي المصباح نثرته نثرا من باب نصر وضرب رميت به متفرقا (فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق) أي ستين صاعا على ما هو المشهور وصرح به شارح أو حمل بعير على ما ذكره في القاموس (في سبيل الله) قال الطيبي يجوز أن يحمل حملت على الحقيقة وان يحمل على معنى الاخذ أي أخذته مقدار كذا دفعات انتهى والحمل على الحقيقة أولى فانه أبلغ في المدعى ويؤيده قوله (فكنا) أي أنا وأصحابي (نأكل منه ونطعم) أي غيرنا (وكان) أي المزود (لا يفارق حقوي) أي وسطي قال شارح الحقو الازار والمراد هنا موضع شد الازار وقال الطيبي الحقو معقد الازار وسمي الازار به للمجاورة (حتى كان يوم) بالرفع على أن كان تامة ويجوز نصبه على أن التقدير حتى كان الزمان يوم (قتل عثمان) بصيغة المصدر مضافا الى مفعوله وفي نسخة بصيغة المجهول وعثمان نائب الفاعل قال الحنفي يجوز فتح يوم مضافا الى قتل وهو جملة فعلية ويجوز رفعه على انه فاعل كان التامة (فانه) أي المزود (انقطع) أي ذلك اليوم وسقط مني وضاع فحزنت عليه حزنا شديدا وفيه ايماء الى ان الفساد اذا شاع ارتفعت البركة وكان يقول أبو هريرة

للناس هم ولي وهمان بينهم * هم الجراب وهم الشيخ عثمانا

ذكره ابن الملك (رواه الترمذي)

(الفصل الثالث) (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تشاورت قريش ليلة بمكة) أي في دار الندوة وحضر معهم الشيطان على صورة شيخ نجدي (فقال بعضهم اذا أصبح فاثبتوه) بفتح همز وكسر موحدة أي فاربطوه (بالوثاق) بفتح أوله وهو ما يشد به (يريدون النبي صلى الله عليه وسلم) أي يعنونه بالضمير بين المستتر والبارز والاظهر ان المراد باثباته بحبسه (وقال بعضهم بل اقتلوه) وحصلوا لكم منه الراحة (وقال بعضهم بل اخرجوه) أي على وجه الاهانة وقد أخبر الله سبحانه عنهم بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم خافوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت وقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم ولا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه (فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك) أي بان جاءه جبريل وأخبره بالخبر وأمره بالهجرة (فبيت عليا كرم الله وجهه على مضجعه وخرج) مع أبي بكر رضي الله عنه الى الغار (فبات علي رضي الله عنه على فراش النبي صلى الله عليه وسلم) أي لا عمية عنه في التخلية اذ كان رأي الكفار تقرر على انهم يحرسونه في الليل ثم في الصبح يقتلونه كما يشير اليه قوله (تلك الليلة وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه) بكسر السين وفتحها أي يظنون عليا (النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا) بمثلثة بعدها ألف أي وثبوا (عليه) أي على من على المرقد ظنا انه النبي عليه السلام (فلما رأوا عليا) أي مكانه (رد الله مكرهم) أي عليهم كما قال سبحانه ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (فقالوا) أي لعلي (أين) أي ذهب (صاحبك هذا) أي المشار اليه صلى الله عليه وسلم (قال) أي علي من كمال عقله (لا أدري) وهو اما حقيقة أو تورية (فاقتصوا) بتشديد الصاد المهملة أي تتبعوا (أثره) أي آثار قدمه (فلما بلغوا الجبل) أي جبل ثور (اختلط) أي اشتبه أمر الاثر (عليهم فصعدوا الجبل) بكسر العين في القاموس

نفذه ولا تنثره نثرا فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله فكنا نأكل منه ونطعم وكان لا يفارق حقوي حتى كان يوم قتل عثمان فانه انقطع رواه الترمذي

(الفصل الثالث) عن ابن عباس قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم اذا أصبح فاثبتوه بالوثاق يريدون النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل اخرجوه فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فبات علي على فراش النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا اليه فلما رأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا قال لا أدري فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل

عليهم فصعدوا الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه

فمكث فيه ثلاث ليال رواه أحمد وعن أبي هريرة قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا الي من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم عن شيء فهل أنتم مصدقي عنه قالوا نعم يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبوكم قالوا فلان قال كذبتم بل أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت قال هل أنتم مصدقي عن شيء ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كما عرفته في أبينا فقال لهم من أهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسئوا فيها والله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال هل أنتم مصدقي عن شيء ان سألتكم عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم قال هل جعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم قال فما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا ان نستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك رواه البخاري وعن عمرو بن أخطب الانصاري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الفجر وصعد على المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس فأخبرنا بما هو كائن الى يوم القيامة قال فأعلمنا أحفظنا

صعد في السلم كسمع انتهى فصعدوا الجبل من باب دخلت الدار أي فطلعوا عليه (فمروا بالغار) أي بالكهف الذي فوق ذلك الجبل فظنوا انه فيه (فرأوا على بابه نسج العنكبوت) أي منسوجه (فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه) وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وروى أن المشركين طلعوا فوق الغار بحيث لو نظروا الى أقدامهم لرأوهما فاشفق أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه ولا منع من جمع الجمع (فمكث) بضم الكاف وفتحه أي لبث (فيه ثلاث ليال) أي ثم توجه الى المدينة (رواه أحمد وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم) بفتح السين وضمها وتكسر (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجمعوا الي) أي لاجلي وفي نسخة الى أي منتهين الى أو اجمعوا مجتمعين عندي (من كان ههنا) أي في هذا المكان (من اليهود فجمعوا اليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم عن شيء) أي أولا (فهل أنتم مصدقي) بتشديد الدال والياء أي مصدقوني في الاخبار عنه أي ثانيا قال بعض المحققين في أصل المالكي صادقوني بالتحقيق قال كذا في ثلاثة مواضع في أكثر النسخ فيدل على ان الاصل دخول نون الوقاية في الاسماء المعربة المضافة الى ياء المتكلم لتقيها من خفاء الاعراب فلما منعوها ذلك صار الاصل متروكا فنبهوا عليه في بعض الاسماء المعربة المشابهة للفعل (قالوا نعم يا أبا القاسم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبوكم) أي جدكم (قالوا فلان) أي بطريق الكذب على وجه الامتحان (قال كذبتم بل أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت) بكسر الراء أي أحسنت (قال فهل أنتم مصدقي عن شيء ان سألتكم عنه) أي ثم أخبرتكم به (قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك) أي في قولنا هذا (عرفت كما عرفته في أبينا فقال لهم من أهل النار قالوا نكون فيها يسيرا) أي زمانا قليلا كما أخبر الله سبحانه عنهم بقوله وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة (ثم تخلفونا) بضم اللام وتشديد النون وتخفف أي تعقبوننا (فيها) وهذا على زعمهم الفاسد واعتقادهم الكاسد انه قول صدق وخبر حق (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسئوا فيها) اشارة الى قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وهو في الاصل زجر الكلاب فالمعنى اسكتوا واسكنوا هوانا فانكم كاذبون في أخباركم (والله لا نخلفكم فيها أبدا ثم قال هل أنتم مصدقي في شيء ان سألتكم عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم قال هل جعلتم في هذه الشاة سما قالوا نعم قال فما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا) أي في دعوى رسالتك (ان نستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك) بتشديد الراء المفتوحة ويجوز ضمها ولو روي بكسر الضاد وسكون الراء المخففة لجاز كما قرئ بالوجهين في قوله تعالى لا يضركم كيدهم شيئا في آل عمران قال الطيبي في قوله ان نستريح مفعول لاردنا وجزاء الشرط المتوسط بين الفعل والمفعول محذوف لوجود القرينة أي ان كنت كاذبا فنستريح منك وان كنت صادقا لم يضرك فنتفع بهدايتك وحاصله أردنا الامتحان يعني فاما ان نعلم انك كاذب فنستريح منك واما أن نعلم انك نبي فنتبعك وفيه انه تبين من فحواهم انهم كاذبون في دعواهم وثبت عليهم الحجة البالغة بظهور المعجزة السابغة (رواه البخاري وعن عمرو بن أخطب الانصاري) قال المؤلف هو مشهور بكنيته أبي زيد غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوات ومسح رأسه ودعا له بالجمال فيقال انه بلغ مائة سنة ونيفا وما في رأسه ولحيته الا نبذة من شعر أبيض عداده في أهل البصرة روى عنه جماعة (قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الفجر) أي صلاة الصبح (وصعد) بالكسر أي طلع (على المنبر فخطبنا) أي خطب لنا أو وعظنا (حتى حضرت الظهر) أي صلاة الظهر بدخول وقتها (فنزل فصلى ثم صعد المنبر) فيه اشعار بانه قد يتعدى بنفسه (فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر حتى غربت) بفتح الراء أي غابت (الشمس فأخبرنا بما هو كائن الى يوم القيامة) أي مجملا أو مفصلا على الاعجاز أو أكثر (قال) أي عمرو (فأعلمنا) أي الآن (أحفظنا) أي يومئذ كره

رواه مسلم وعن معن بن عبد الرحمن قال سمعت أبي قال سألت مسروقا من آذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن فقال حدثني أبوك يعني عبد الله بن مسعود انه قال آذنت بهم شجرة متفق عليه وعن أنس قال كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال وكنت رجلا حديد البصر فرأيته وليس أحد يزعم انه رآه غيري فجعلت أقول لعمر اماتراه فجعل لايراه قال يقول عمر سأراه وأنا مستلق على فراشي ثم أنشا يحدثنا عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله قال عمر والذي بعثه بالحق ما أخطؤا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يافلان بن فلان ويافلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يارسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم غير انهم لايستطيعون ان يردوا على شيأ رواه مسلم وعن أنيسة بنت زيد بن أرقم عن أبيها ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على زيد يعوده من مرض كان به قال ليس عليك من مرضك باس ولكن كيف لك اذا عمرت بعدي

الطيبي وقال السيد جمال الدين الاولى ان يقال أحفظنا الآن لتلك القصة اعلمنا أي الآن (رواه مسلم وعن معن) بفتح فسكون معدود في التابعين (ابن عبد الرحمن) أي ابن عبد الله بن مسعود الهذلي (قال) أي معن (سمعت أبي) أي عبد الرحمن ولم يذكره المؤلف في أسمائه (قال سألت مسروقا) وهو تابعي مشهور (من آذن) بالمد أي من أعلم (النبي صلى الله عليه وسلم بالجن) أي بحضورهم (ليلة) بالتنوين ويجوز فتحها بناء على اضافتها الى قوله (استمعوا القرآن) بل قيل هو أفصح في قوله ليلة أسري به وكذا في يوم ولدته أمه ومنه قوله تعالى يوم ينفع الصادقين عند جمهور القراء (فقال) أي مسروق لعبد الرحمن (حدثني أبوك يعني عبد الله بن مسعود) تفسير من بعض الرواة المتأخرين (انه) أي ابن مسعود ولا يبعد رجع الضمير اليه صلى الله عليه وسلم (قال آذنت) بالمد أي أعلمت (بهم شجرة متفق عليه وعن أنس قال كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال) أي فطلبنا رؤيته (وكنت رجلا حديد البصر فرأيته وليس أحد يزعم انه رآه) أي الهلال (غيري فجعلت أقول لعمر اماتراه فجعل لايراه) قال الطيبي كأنه اتباع لقوله فجعلت أي طفقت أريه الهلال وهو لايراه فاقحم جعل مشاكلة كما أقحم فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب تأكيدا لقوله لاتحسبن الذين يفرحون الآية ولا يبعد ان يقال التقدير فجعل عمر يطالع في السماء حال كونه لايراه (قال يقول عمر) أي بعد عجزه عن رؤيته (سأراه وأنا مستلق على فراشي) الجملة حال من الفاعل أو المفعول والمعنى سأراه بلا مشقة وليس لي الى رؤيته الآن حاجة قال الطيبي أي لايهمني الآن رؤيته بتعب ساراه بعده من غير تعب (ثم أنشا) أي ابتدأ (يحدثنا عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا) بضم فكسر أي يعلمنا (مصارع أهل بدر) أي مواضع طرحهم وصرعهم وهلاكهم (بالامس) أي بامس القضية لا الحكاية (يقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله وهذا مصرع فلان) أي غدا) كما في نسخة (ان شاء الله) يعني وهكذا الى ان بين مصارع سبعين منهم (قال عمر والذي بعثه) أي النبي صلى الله عليه وسلم (بالحق) أي بالصدق (ما أخطؤا) أي ماتجاوزوا المذكور (الحدود التي حدها) أي المواضع التي بينها وعينها (رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي نسخة السيد جمال الدين ما أخطأ بصيغة المتكلم من الثلاثي المجرد فالمعنى ما أغلطها بل أحفظها وأعرفها لكن هذا مبني على سقوط الواو عن رسم الكتابة وحينئذ يحتمل ان يكون على بناء الغائب المذكر المفرد والضمير راجع الى الله أو الى النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه أعلم (قال) أي عمر (فجعلوا) بصيغة المجهول أي فالقوا (في بئر) أي مهجورة (بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يافلان بن فلان) بفتح النونين الاولين وهما كنايتان عن العلمين (ويافلان بن فلان وهكذا) الى ان نادى كلهم أو بعضهم أكثرهم أو أقلهم (هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا) وفيه ايماء الى قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فهؤلاء ايضا لابد أنهم قالوا نعم اما بلسان القال أو ببيان الحال (فقال عمر يارسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها) أي بظاهرها أو بكمالها (فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم) متعلق باسمع والمعنى لستم باقوى أو أكثر سماعا منهم لما أقوله لهم (غير انهم لايستطيعون ان يردوا على شيأ) أي من الجواب مطلقا أو بحيث انكم تسمعون (رواه مسلم وعن أنيسة) تصغير أنيسة كجليسة (بنت زيد بن أرقم) لم يذكرها المؤلف في أسمائه (عن أبيها) قال المؤلف يكنى أبا عمر والانصاري الخزرجي يعد في الكوفيين سكنها ومات بها سنة ثمان وسبعين وهو ابن خمس وثمانين سنة روى عنه عطاء بن يسار وغيره (ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على زيد) يعني نفسه اما على التجريد أو بنوع الالتفات أو بتصرف الرواة (يعوده من مرض كان به قال ليس عليك من مرضك باس ولكن كيف لك) أي حالا ومآلا (اذا عمرت) بتشديد الميم المكسورة أي طال عمرك (بعدي فعميت) بكسر الميم أي صرت

أعمى (قال احتسب) أي اطلب الثواب (واصبر) أي على حكم رب الارباب (قال اذا) بالتنوين وفي نسخة اذا (تدخل الجنة بغير حساب) وفي نسخة الجزري بالرفع ولعل وجهه ان تدخل بمعنى تستحق دخولها بغير محاسبة (قال) أي الشخص الراوي سواء كان أنيسة أو غيرها (فعمي بعد ما مات النبي صلى الله عليه وسلم ثم رد الله عليه بصره ثم مات) ولعله صلى الله عليه وسلم لم يذكر له رد بصره ليكون منه صبرا أكثر وأجره المرتب عليه أكبر ثم حصل له المجموع الصبر (وعن أسامة بن زيد) صحابيان جليلان (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تقول) بتشديد الواو أي من كذب وافترى (علي ما لم أقل) أي متعمدا كما في رواية (فليتبوأ مقعده من النار) وهذا القدر من الحديث كاد ان يكون متواترا في المعنى كما بيناه في موضعه (وذلك) أي وسبب ورود هذا الحديث (انه) أي النبي عليه السلام (بعث رجلا) أي الى قوم أو الى أحد (فكذب عليه) أي على النبي عليه السلام وانكشف له نور النبوة أو بإعلام ربه (فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد ميتا وقد انشق بطنه ولم تقبله الارض) وهذا يؤيد قول الجويني ان المفتري على النبي عليه السلام عمدا كافر (رواهما) أي الحديثين السابقين (البيهقي في دلائل النبوة وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير) أي نصف وسق وهو ستون صاعا أو حمل بعير ويحتمل ان يراد بالشطر البعض فانه بعض معانيه كما في قوله تعالى فولوا وجوهكم شطره وهو أنسب بالمقام لدلالته بالاغلبية على المرام وقد سبق تحقيقه في حديث الطهور شطر الايمان (فما زال الرجل يأكل منه وامرأته) بالرفع أي وتأكل هي أيضا منه (وضيفهما) أي من الرجال والنساء كذلك وهو يطلق على المفرد والجمع (حتى كاله) أي الرجل بقية المأكول (ففني) أي نفد سريعا (فأتى النبي صلى الله عليه وسلم) أي فذكر له أو لم يذكر (فقال لو لم تكله لأكلتم) أي أنت وامرأتك وأضيافكما (ولقام لكم) أي على وجه الدوام ببركة النبي صلى الله عليه وسلم (رواه مسلم وعن عاصم بن كليب) بالتصغير قال المؤلف في فضل التابعين هو الجرمي الكوفي سمع أباه وغيره ومنه الثوري وشعبة وحديثه في الصلاة والحج والجهاد انتهى وكان حقه ان يقول وفي المعجزات (عن أبيه) لم يذكره المؤلف في أسمائه (عن رجل من الانصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة) بكسر الجيم وفتحها (فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على القبر) أي طرفه والجملة حال (يوصي الحافر) بتخفيف الصاد وتشدد حال أخرى (يقول) بيان أو بدل (أوسع) أمر مخاطب للحافر (من قبل رجليه) بكسر القاف وفتح الباء أي من جانبهما (أوسع من قبل رأسه فلما رجع) أي من المقبرة (استقبله داعي امرأته) أي زوجة المتوفى (فأجاب ونحن معه فجيء بالطعام فوضع يده) أي فيه (ثم وضع القوم) أي أيديهم (فأكلوا) هذا الحديث بظاهره يرد على ما قرره أصحاب مذهبنا من انه يكره اتخاذ الطعام في اليوم الاول أو الثالث أو بعد الاسبوع كما في البزازية وذكر في الخلاصة انه لا يباح اتخاذ الضيافة عند ثلاثة أيام وقال الزيلعي ولا بأس بالجلوس للمصيبة الى ثلاث من غير ارتكاب محظور من فرش البسط والاطعمة من أهل الميت وقال ابن الهمام يكره اتخاذ الضيافة من أهل الميت والكل عللوه بانه شرع في السرور لا في الشرور قال وهي بدعة مستقبحة روى الامام أحمد وابن حبان باسناد صحيح عن جرير بن عبد الله قال كنا نعد الاجتماع الى أهل الميت وصنعهم الطعام من النياحة انتهى فينبغي ان يقيد كلامهم بنوع خاص من اجتماع يوجب استحياء أهل بيت الميت فيطعمونهم كرها أو يحمل على كون بعض الورثة صغيرا أو غائبا أو لم يعرف رضاه أو لم يكن الطعام من عند أحد معين من ماله لا من مال الميت قبل قسمته ونحو ذلك وعليه يحمل قول قاضي خان يكره اتخاذ الضيافة في أيام المصيبة لانها أيام تأسف فلا يليق بهم ما يكون للسرور وان اتخذ طعاما للفقراء كان حسنا وأما الوصية باتخاذ الطعام بعد موته ليطعم الناس ثلاثة أيام فباطلة على الاصح وقيل يجوز ذلك من

الثلث

فعميت قال احتسب واصبر قال اذن تدخل الجنة بغير حساب قالت فعمي بعد ما مات النبي صلى الله عليه وسلم ثم رد الله عليه بصره ثم مات وعن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تقول علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار وذلك انه بعث رجلا فكذب عليه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد ميتا وقد انشق بطنه ولم تقبله الارض رواهما البيهقي في دلائل النبوة وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل يستطعمه فأطعمه شطر وسق شعير فما زال الرجل يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله ففني فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم رواه مسلم وعن عاصم بن كليب عن أبيه عن رجل من الانصار قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على القبر يوصي الحافر يقول أوسع من قبل رجليه أوسع من قبل رأسه فلما رجع استقبله داعي امرأته فأجاب ونحن معه فجيء بالطعام فوضع يده ثم وضع القوم فأكلوا

الثالث وهو الاظهر (فنظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى الى رسول الله كما فى نسخة (يلوك لقمة فى فيه) أى يلقيها من فمه الى جانب آخر ففى النهاية اللوك ادارة الشئ فى الفم (ثم قال أجد لحم شاة أخذت) وفى نسخة اتخذت (بغير اذن أهلها فارسلت المرأة تقول يارسول الله انى أرسلت الى النقيع) بالنون (وهو موضع يباع فيه الغنم) أى تفسير مدرج من بعض الرواة وفى المقدمة النقيع موضع بشرق المدينة وقال فى التهذيب هو فى صدر وادى العقيق على نحو عشرين ميلا من المدينة قال الخطابى اخطأ من قال بالموحدة والجملة معترضة بين الفعل وهو قولها أرسلت و بين متعلقه وهو قولها (ليشترى لى شاة) بصيغة المجهول (فلم توجد فارسلت الى جار لى قد اشترى شاة ان يرسل) أى بان يرسل الجار (بها) أى بالشاة المشتراة لنفسه (الى بثمنها) أى الذى اشتراها به (فلم يوجد) أى الجار (فارسلت الى امرأته فارسلت) أى المرأة (الى بها) أى بالشاة فظهر ان شراءها غير صحيح لان اذن جارها و رضاه غير صحيح وهو يقارب بيع الفضولى المتوقف على اجازة صاحبه وعلى كل فالشبهة قوية والمباشرة غير مرضية (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمى هذا الطعام الاسرى) جمع أسير والغالب انه فقير وقال الطيبى وهم كفار وذلك انه لما لم يوجد صاحب الشاة ليستحلوا منه وكان الطعام فى صدد الفساد ولم يكن بد من اطعام هؤلاء فامر باطعامهم انتهى وقد لزمها قيمة الشاة باتلافها ووقع هذا التصدق عنها (رواه أبو داود والبيهقى فى دلائل النبوة) متعلق بروى المقدر فتدبر (وعن حزام) بكسر حاء مهملة فزاى (ابن هشام عن أبيه) أى هشام ولم يذكرهما المؤلف فى أسمائه (عن جده حبيش) بضم حاء مهملة وفتح موحدة وسكون تحتية وشين معجمة وفى نسخة بخاء معجمة فنون ثم سين مهملة والاول أصح على ما فى جامع الاصول واقتصر عليه المصنف (ابن خالد) قال المؤلف حبيش بن خالد الخزاعى قتل يوم فتح مكة مع خالد بن الوليد وروى عنه ابنه هشام (وهو) أى حبيش (أخو أم معبد) أى الخزاعية وهى عاتكة بنت خالد يقال انها أسلمت لما نزل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فى مهاجرته الى المدينة و يقال انها قدمت المدينة فاسلمت والحديث المعروف بحديث أم معبد مشهور ذكره المؤلف (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخرج) بصيغة المفعول أى أمر بالخروج (من مكة) أو صار أهل مكة سبب خروجه اذ لم يقع اخراج اهانة كما يشير اليه قوله (خرج) أى باختياره (مهاجرا) أى من مكة لكفر أهلها (الى المدينة) أى وأهلها من الانصار ومن انضم اليهم من المهاجرين الكبار (هو وأبو بكر ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة) بضم فاء وفتح هاء ولم يذكره المؤلف (ودليلهما) أى مرشد النبى والصديق فى الطريق (عبد الله الليثى) هو مولى أبى بكر الصديق هاجر معهما الى المدينة وكان قد أسلم قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الارقم كذا ذكره بعضهم ولم يذكره المؤلف (مروا على خيمتى أم معبد) بلفظ التثنية مضافا (فسألوها لحما وتمرا ليشتروا منها فلم يصيبوا) أى لم يصادفوا (عندها شيأ من ذلك) أى مما ذكر من اللحم والتمر أو من جنس المأكول (وكان القوم مرملين) أى فاقدين الزاد فى شرح السنة المرمل من نفد زاده يقال ارمل الرجل اذا ذهب طعامه (مسنتين) أى أصابهم القحط يقال أسنت الرجل فهو مسنت (فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة) بفتح الكاف وسكون السين و بكسر أوله أى جانبها قال الطيبى كسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها جانب الخيمة وفى القاموس الكسر جانب البيت والشقة السفلى من الخباء أو ما يكسر و يثنى على الارض منها او الناحية و يكسر (فقال ما هذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها) بتشديد اللام أى تركها (الجهد) بضم الجيم و يفتح أى الهزال (عن الغنم) أى متخلفة عنها (قال هل بها من لبن) أى بعضه (قالت هى أجهد من ذلك) والمعنى ليس فيها لبن أصلا (قال أتأذنين لى ان أحلبها) من باب نصر على ما فى المصباح وفى القاموس الحلب و يحرك استخراج ما فى الضرع من اللبن كالحلاب و يحلب وفى النهاية حلبت الشاة والناقة أحلبها حلبا بفتح اللام (قالت بابى أنت وأمى ان رأيت

فنظرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلوك لقمة فى فيه ثم قال أجد لحم شاة أخذت بغير اذن أهلها فارسلت المرأة تقول يا رسول الله انى أرسلت الى النقيع وهو موضع يباع فيه الغنم ليشترى لى شاة فلم توجد فارسلت الى جار لى قد اشترى شاة ان يرسل بها الى بثمنها فلم يوجد فارسلت الى امرأته فارسلت الى بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمى هذا الطعام الاسرى رواه أبو داود والبيهقى فى دلائل النبوة وعن حزام بن هشام عن أبيه عن جده حبيش بن خالد وهو أخو أم معبد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخرج من مكة خرج مهاجرا الى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة ودليلهما عبد الله الليثى مروا على خيمتى أم معبد فسألوها لحما وتمرا ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيأ من ذلك وكان القوم مرملين مسنتين فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة فقال ما هذه الشاة يا أم معبد قالت شاة خلفها الجهد عن الغنم قال هل بها من لبن قالت هى أجهد من ذلك قال أتأذنين لى ان أحلبها قالت بابى أنت وأمى ان رأيت

بها حلبا) بفتحتين ويسكن اللام أي لبنا محلوبا (فاحلبها) قال صاحب المصباح الحلب بحركة يطلق على المصدر وعلى اللبن المحلوب (فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي طلبها (فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها) أي لام معبد (في شاتها) أي في شانها كما في نسخة أي في حقها (فتفاجت عليه) بتشديد الجيم أي فتحت ما بين رجليها للحلب (ودرت) بتشديد الراء أي أرسلت الدر بالفتح وهو اللبن (واجترت) بالراء المشددة قال الطيبي الجرة ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه (فدعا باناء يربض الرهط) بضم الياء وكسر الموحدة أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض في المكان اذا لصق به وأقام ملازما له (فحلب فيه) أي في الاناء (ثجا) أي حلبا ذا سيلان (حتى علاه) أي ظهر على الاناء (البهاء) أي بهاء اللبن وهو بفتح الباء رغوته وهي بفتح الراء وضمها وحكى كسرها الزبد يعلو الشيء عند غليانه (ثم سقاها) أي أم معبد (حتى رويت) ولعل الابتداء بها كرامة لها ولكونها صاحبة الشاة وترغيبا الى اسلامها (وسقى أصحابه) أي بعدها (حتى رووا) بضم الواو (ثم شرب آخرهم) أي في آخرهم لقوله ساقي القوم آخرهم شربا (ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء) بفتح فسكون أي بعد ابتداء بلا مكث (حتى ملأ الاناء ثم غادره) أي تركه (عندها) أي معجزة لها وزوجها (وبايعها) أي النبي صلى الله عليه وسلم (على الاسلام وارتحلوا عنها رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي باسناده (وابن عبد البر في الاستيعاب وابن الجوزي في كتاب الوفاء وفي الحديث قصة) أي طويلة وهي انه لما ارتحل النبي صلى الله عليه وسلم جاء أبو معبد يسوق أعنزا عجافا ورأى في البيت لبنا فقال من أين هذا فقالت مر بنا رجل مبارك وذكرت من وصف النبي صلى الله عليه وسلم ونعته بعبارة فصيحة فقال أبو معبد هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت ان أصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا وأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه وهو يقول

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتي أم معبد
هما نزلا بالهدى واهتدت به * فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بني كعب مقام فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا اختكم عن شاتها وانائها * فانكم ان تسالوا الشاة تشهد
فغادرها رهنا لديها لحالب * ترددها في مصدر ثم مورد

قال محيي السنة الصوت الذي سمعوا بمكة صوت بعض مسلمي الجن أقبل من أسفل مكة والناس يتبعونه ويسمعون الصوت وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة قالت أسماء فلما سمعنا عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه وجهه الى المدينة وقال ابن عبد البر فلما بلغ حسان بن ثابت ذلك جعل يجاوب الهاتف وهو يقول

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم * وقدس من يسري اليهم ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وارشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا * عمايتهم وهادية كل مهتد
لقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم باسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مسجد
وان قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في اليوم أو في ضحى الغد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد
ليهن بني كعب مقام فتاتها * ومقعدها للمؤمنين بمرصد

بها حلبا فاحلبها فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح بيده ضرعها وسمى الله تعالى ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت واجترت فدعا باناء يربض الرهط فحلب فيه ثجا حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الاناء ثم غادره عندها وبايعها وارتحلوا عنها رواه في شرح السنة وابن عبد البر في الاستيعاب وابن الجوزي في كتاب الوفاء وفي الحديث قصة

(باب الكرامات)

الكرامات جمع كرامة فهي اسم من الاكرام والتكريم وهي فعل خارق للعادة غير مقرون بالتحدي وقد اعترف بها أهل السنة وأنكرها المعتزلة واحتج أهل السنة بحدوث الحبل لمريم من غير فحل وحصول الرزق عندها من غير سبب ظاهر وأيضا في قصة أصحاب الكهف في الغار ثلثمائة سنة وأزيد في النوم أحياء من غير آفة دليل ظاهر وكذا في احضار آصف بن برخيا عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف حجة واضحة وأما المعتزلة فتعلقوا بانه لو جاز ظهور الخارق في حق الولي لخرج الخارق عن كونه دليلا على النبوة وأجيب بانه تمتاز المعجزة عن الكرامة باشتراط الدعوى في المعجزة وعدم اشتراطها في الكرامة بل في الحقيقة كرامة كل ولي معجزة لنبيه لدلالتها على حقيقة نبوته وأما قول ابن الملك وبقدرة الانبياء عليها متى أرادوها ليسهل عليهم تمهيد الاديان والشرائع ففيه نظر ظاهر

(الفصل الاول) (عن أنس رضي الله عنه ان أسيد بن حضير) بالتصغير فيهما قال المؤلف انصاري أوسي كان ممن شهد العقبة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد روى عنه جماعة من الصحابة مات بالمدينة سنة عشرين ودفن بالبقيع (وعباد) بفتح العين وتشديد الموحدة (بن بشر) بكسر فسكون انصاري أسلم بالمدينة قبل اسلام سعد بن معاذ شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها وكان فيمن قتل كعب بن الاشرف اليهودي وكان من فضلاء الصحابة روى عنه أنس بن مالك وعبد الرحمن بن ثابت وقتل يوم اليمامة وله خمس وأربعون سنة (تحدثا عند النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب ساعة من الليل) أي طويلة (في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا) أي انصرفا (من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلبان) أي حال كونهما يرجعان (الى بيتهما وبيد كل واحد منهما عصية) تصغير عصاة (فاضاءت عصا أحدهما لهما) والاظهر ان يكون هو أسبقهما اسلاما وهو المقدم ذكرا (حتى مشيا في ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ) أي وصل كل واحد (أهله رواه البخاري) قال ميرك ليس الحديث في البخاري بهذا اللفظ بل فيه عن أنس ان رجلين كانا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيآن بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله أخرجه في آخر باب علامات النبوة في الاسلام وأخرج في كتاب مناقب الانصار في باب مناقب أسيد بن حضير وعبادة بن بشر بلفظ ان رجلين خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فاذا نور بين أيديهما حتى افترقا فافترق النور معهما وقال معمر عن ثابت عن أنس ان أسيد بن حضير ورجلا من الانصار وقال حماد أخبرنا ثابت عن أنس قال كان أسيد بن حضير وعبادة بن بشر عند النبي صلى الله عليه وسلم هذا ما في صحيح البخاري وقد رواه محيي السنة في شرح السنة من طريق البخاري باللفظ الاول ثم رواه باسناد آخر باللفظ الذي أورده صاحب المشكاة فتأمل ويفهم من كلام الشيخ ابن حجر العسقلاني ان اللفظ الذي أورده المصابيح والمشكاة أخرجه عبد الرزاق في مصنفه من طريق الاسماعيلي في مستخرجه ورواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه بنحوه والله أعلم (وعن جابر قال لما حضر أحد) أي حربه (دعاني أبي من الليل) أي في بعض من الليل (فقال ما أراني) بضم الهمز أي ما أحسبني (الا مقتولا في أول من يقتل) أي في أول جمع يقتلون (من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي فانه أعز علي حتى من نفسي (وان علي دينا) أي كثيرا (فاقض) أي سريعا (واستوص باخواتك) أي اقبل وصيتي فيهن وهن كن تسعا ثم انتصاب قوله (خيرا) على المصدر أي استيصاء خيرا وقيل التقدير اقبل وصيتي بالخير في شأنهن (فاصبحنا فكان) أي أبي (أول من قتل ودفنته مع آخر) وهو عمرو بن الجموح وكان صديق والد جابر وزوج أخته (في قبر) قال ابن الملك فيه دليل على جواز دفن الاثنين في

(باب الكرامات)
(الفصل الاول)
عن أنس ان أسيد بن حضير وعباد بن بشر تحدثا عند النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلبان وبيد كل واحد منهما عصية فاضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله رواه البخاري وعن جابر قال لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال ما أراني الا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وان علي دينا فاقض واستوص باخواتك خيرا فاصبحنا فكان أول قتيل ودفنته مع آخر في قبر

قبر واحد انتهى والظاهر ان محله اذا كان ضرورة (رواه البخاري وعن عبد الرحمن بن أبي بكر) ذكره المؤلف في التابعين وقال روى عنه ابنه محمد وقال ابن الاثير اسلم ايام الحديبية وكان أسن أولاد أبي بكر وكان اسمه عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وهو الظاهر من الحديث كما لا يخفى (قال ان أصحاب الصفة كانوا أناسا) أي جماعة (فقراء) أي من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم مشاهيرهم على ما ذكره الحافظ أبو نعيم في حلية الاولياء أبو ذر الغفاري عمار بن ياسر سلمان الفارسي صهيب بلال أبو هريرة خباب بن الارت حذيفة بن اليمان أبو سعيد الخدري بشير بن الخصاصية أبو مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم وفيهم نزل قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وكانت الصفة في المسجد مسقفة بجريد النخل وكان هؤلاء الفقراء يستوطنون تلك السقيفة أو يبيتون فيها فنسبوا اليها وكان الرجل اذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه وان لم يكن له بها عريف ينزل الصفة (وان النبي صلى الله عليه وسلم قال) أي يوما (من كان عنده طعام اثنين) أي من بيانه (فليذهب بثالث) أي من هؤلاء الفقراء أصحاب الصفة قال الطيبي وهذا هو الصحيح وفي أكثر نسخ المصابيح بثلاثة وهو غير صحيح رواية ومعنى (ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس) أي ان لم يكن عنده ما يقتضي أكثر من ذلك (أو سادس) أي ان اقتضاه فاو للتنويع أو للتخيير ويحتمل ان تكون للشك أو بمعنى بل للمبالغة في باب الضيافة على ان مقتضى من كان عنده طعام اثنين ان يذهب بثالث ان من يكون عنده طعام أربعة ان يذهب باثنين بل روى أحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن جابر مرفوعا طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الاربعة وطعام الاربعة يكفي الثمانية (وان أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة) قال ابن حجر عبر عن أبي بكر بلفظ المجيء لبعد منزله من المسجد وعبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بالانطلاق لقربه انتهى ولا دلالة في الحديث على ما ذكره بل مقتضاه العكس كما لا يخفى فالاولى ان يقال انما عبر عنه بالمجيء لان الراوي هو ابنه وهو من أهل البيت فكأنه قال جاءنا بثلاثة وذهب النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة (وان أبا بكر تعشى عند النبي) صلى الله عليه وسلم أي أكل العشاء بالفتح وهو طعام الليل في بيته صلى الله عليه وسلم معه أو مع أضيافه أو بانفراده عند بيته (ثم لبث) أي مكث أبو بكر بعد تعشيه فيما بين العشاءين (حتى صليت) بصيغة المجهول أي أديت معه عليه السلام (العشاء) بكسر العين أي صلاة العشاء (ثم رجع) أي الى بيته عليه السلام (فلبث حتى تعشى النبي صلى الله عليه وسلم) أي وحده أو مع أضيافه في بيت عائشة أو غيرها وانما رجع معه اغتناما لرؤيته واهتماما لصحبته مع احتمال انه أعاد الاكل في حضرته (فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله) وفي رواية ثم ركع بدل رجع أي صلى النافلة وفي أخرى حتى نعس أي تأخر عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى نعس النبي صلى الله عليه وسلم وقام لينام فرجع الى بيته قال الكرماني ان قلت هذا يشعر بان التعشي عند النبي صلى الله عليه وسلم كان بعد الرجوع اليه وما تقدم أشعر بانه كان قبله قلت الاول بيان حال أبي بكر في عدم احتياجه الى طعام عند أهله والثاني هو سوق القصة على الترتيب الواقع أو الاول كان تعشي أبي بكر والثاني تعشي النبي صلى الله عليه وسلم انتهى والحاصل ان أبا بكر لما أبطأ في رجوعه الى بيته (قالت له امرأته ما حبسك) أي منعك (عن أضيافك) أي عن الحضور معهم (قال أوما عشيتهم) بتشديد الشين واشباع كسرة التاء الى تولد الياء وهو من التعشية وهي اعطاء العشاء والمعنى أتقدرين في خدمتهم وما أطعمتهم عشاءهم (قالت أبوا) أي امتنعوا من الاكل (حتى تجيء) أي تحضر معهم وتشاركهم في أكلهم (فغضب) أي على أهله لظن انهم قصروا في الاجتهاد والمبالغة أو على نفسه حيث غفل عن هذا المبنى وذهل عن هذا المعنى (وقال) وفي نسخة فقال (والله لا أطعمه) بفتح الهمزة والعين أي لا آكل الطعام (أبدا فحلفت المرأة ان لا تطعمه) أي أبدا كما في نسخة (وحلف الاضياف ان لا يطعموه) أي لا يأكلوه منفردين أو مطلقا (قال أبو بكر كان

رواه البخاري وعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال ان أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس وان أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة وان أبا بكر تعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم لبث حتى صليت العشاء ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء الله قالت له امرأته ما حبسك عن أضيافك قال أوما عشيتهم قالت أبوا حتى تجيء فغضب وقال والله لا أطعمه أبدا فحلفت المرأة ان لا تطعمه وحلف الاضياف ان لا يطعموه وقال أبو بكر كان

هذا) أى الحلف (من الشيطان) أى من اغوائه (فدعا بالطعام فاكل وأكلوا) قال الكرماني ان قلت كيف جازله خلاف اليمين قلنا لانه اتيان بالافضل لخبر من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه أو كان مراده لا أطعمه معكم أو فى هذه الساعة أو عند الغضب وهذا مبنى على انه هل يقبل التقييد اذا كانت الالفاظ عامة وعلى ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب انتهى ولا يخفى ضعف هذه الوجوه الاخيرة لاستيعاب لفظ التأبيد (فجعلوا) أى أبو بكر وأضيافه (لا يرفعون لقمة) أى من الصحفة الى أفواههم (الاربت) أى زادت اللقمة وارتفعت (من أسفلها) أى من الموضع الذى أخذت منه (أكثر منها) أى من تلك اللقمة وضبط أكثر بالنصب فى أكثر النسخ وفى نسخة بالرفع قال الطيبي أى ارتفع الطعام من أسفل القصعة ارتفاعا أكثر انتهى وفيه تنبيه على ان أكثر منصوب على انه صفة لمفعول مطلق محذوف فوجه الرفع ان يكون التقدير الاربت لقمة هى أكثرمنها ثم قال اسناد ربت الى القصعة مجازى اقول وكونه مجازا لان الارتفاع انما هو بالنسبة الى باقى القصعة من طعامها لا الى القصعة ذاتها لكن الاظهر ان الاسناد الى اللقمة على سبيل البدلية (فقال لامرأته) وهى ام رومان ام عبد الرحمن وام عائشة من بنى فراس بن تيم بن مالك بن النضر بن كنانة والمنتمون الى النضر بن كنانة كلهم قريش ذكره التوربشتى (يا أخت بنى فراس) بكسر الفاء (ماهذا) أى الامر العجيب والشأن الغريب (قالت وقرة عينى) بالجر وفى نسخة بالنصب ولعلها على نزع الخافض وقال ابن الملك بالجر واو القسم وبالنصب منادى حذف حرف ندائها انتهى وفيه نظر من وجوه كما لا يخفى وقال بعض المحققين قرة العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الانسان لان عينه قرت وسكنت لحصول غرضها فلا تستشرف لشئ آخر وقيل مأخوذ من القر أى البرد ولذا قيل دمعة السرور باردة وانما حلفت أمر رومان بذلك لما وقع عندها من السرور بالكرامة التى حصلت لهم ببركة الصديق وزعم بعضهم ان المراد بقرة عينها النبى صلى الله عليه وسلم (انها) أى القصعة والمراد ما فيها (الآن لاكثر منها قبل ذلك بثلاث مرار) بكسر الميم أى مرات (فأكلوا وبعث) أى الصديق (بها) أى بالقصعة أو ببعض ما فيها (الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر) بصيغة المجهول أى فروى (انه أكل منها متفق عليه وذكر حديث عبد الله بن مسعود كنا نسمع تسبيح الطعام فى المعجزات) قلت الاظهر ايراده فى باب الكرامات

(الفصل الثانى) (عن عائشة رضى الله عنها قالت لما مات النجاشى) سبق ضبطه وتقدم ذكره (كنا نتحدث) أى يذكر بعضنا لبعض (انه لا يزال يرى على قبره نور) أى فى الحبشة والمعنى ان هذا أمر مشهور فيما بيننا ومذكور عن رأى نور قبره منا ولا يتصور اتفاقنا على الكذب فهو كاد ان يكون متواترا (رواه أبو داود وعنها) أى عن عائشة (قالت لما أرادوا) أى الصحابة أو أهل البيت (غسل النبى صلى الله عليه وسلم قالوا لاندرى أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه) أى ونغطى عورته من غيرها (كما نجرد موتانا ونغسله وعليه ثيابه) جملة حالية والمعنى فاختار بعضهم التجريد قياسا وبعضهم عدمه اختصاصا (فلما اختلفوا ألقى الله) أى سلط (عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه) بفتحتين (فى صدره) فى القاموس الذقن بالتحريك مجمع اللحيين من أسفلهما ويكسر (ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو) صفة مكلم قيل هو الخضر عليه السلام (اغسلوا النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه) بيان لقوله كلمهم والحديث يدل على ان غسل الميت وعليه قميصه مستحب ذكره ابن الملك وفيه نظر اذ لا يدل الا على جوازه أو اختصاصه به اذ لم يذكر فى المذهب انه مستحب (فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص) قال ابن الهمام قد ذكروا انه صلى الله عليه وسلم غسل فى قميصه الذى توفى فيه فكيف يلبسونه الاكفان فوقه وفيه بلل قلت لا دلالة فيه على انهم ألبسوه الكفن فوق القميص مبلولا اذ يحتمل ستر عورته ثم قلع قميصه ثم الباسه كفنه بقميص والله

هذا من الشيطان فدعا بالطعام فاكل وأكلوا فجعلوا لا يرفعون لقمة الاربت من أسفلها أكثر منها فقال لامرأته يا أخت بنى فراس ماهذا قالت وقرة عينى انها الآن لاكثر منها قبل ذلك بثلاث مرار فأكلوا وبعث بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر انه أكل منها متفق عليه وذكر حديث عبد الله بن مسعود كنا نسمع تسبيح الطعام فى المعجزات

(الفصل الثانى)

عن عائشة قالت لما مات النجاشى كنا نتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور رواه أبو داود وعنها قالت لما أرادوا غسل النبى صلى الله عليه وسلم قالوا لاندرى أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه فى صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوا النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص

سبحانه وتعالى أعلم (رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن ابن المنكدر) قال المؤلف هو محمد بن المنكدر التيمي
سمع جابر بن عبد الله وأنس بن مالك وابن الزبير وعمر بن ربيعة روى عنه جماعة منهم الثوري مات سنة ثلاثين
ومائة وله نيف وسبعون سنة وهو تابعي كبير من مشاهير التابعين وأجلهم جمع بين العلم والزهد والورع
والعبادة والدين المتين والصدق في الفقه (ان سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال المؤلف وقيل
مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أعتقته واشترطت عليه خدمة النبي صلى الله عليه وسلم ما عاش
ويقال اسمه مختلف فيه وسفينة لقبه ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر وهو معه فاعيا رجل
فالقى عليه سيفه وترسه ورمحه فحمل شيأ كثيرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنت سفينة روى عنه نحوه عبد
الرحمن ومجدوز يادوكثير (أخطأ الجيش) أي أضل طريقه بحيث لا يهتدي اليهم سبيلا (بارض الروم أو
أسر) أي فيهما شك من الراوي (فانطلق هاربا يلتمس الجيش فاذا هو) أي سفينة (بالاسد) أي فرد عظيم
من جنس الاسد (فقال يا أبا الحارث) وهو كنية الاسد (أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من أمري
كيت وكيت) استئناف بيان لحاله في اغواء الطريق أولكماله في خدمته نعم الرفيق (فاقبل الاسد له بصبصة)
أي تحريك ذنب كفعل الكلب تملقا الى مالكه وتذللا لصاحبه والجملة حال وفي النهاية بصبص الكلب بذنبه
اذا حركه وانما يفعل ذلك لطمع أو خوف (حتى قام) أي الاسد (الى جنبه كلما سمع) أي الاسد (صوتا أهوى
اليه) أي قصد ليدفعه ان كان صوت أذى (ثم أقبل يمشي الى جنبه) أي الى جانب سفينة (حتى بلغ الجيش
ثم رجع الاسد) فكأنه كان دليلا ولايصاله كفيلا وقد أشار صاحب البردة الى هذه البردة بقوله

ومن تكن برسول الله نصرته * ان تلقه الاسد في آجامها تجم

(رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي باسناده (وعن أبي الجوزاء) قال المؤلف هو أوس بن عبد الله
الازدي من أهل البصرة تابعي مشهور الحديث سمع عائشة وابن عباس وابن عمر وروى عنه عمرو بن مالك وغيره
قتل سنة ثلاث وثمانين (قال قحط أهل المدينة) على بناء المفعول (قحطا شديدا فشكوا) أي الناس (الى عائشة
فقالت انظروا قبر النبي) بالنصب على نزع الخافض وفي نسخة الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم (فاجعلوا منه)
أي من قبره (كوى) بفتح الكاف وبضم ففي المغرب الكوة نقب البيت والجمع كوى وقد يضم الكاف في
المفرد والجمع اه وقيل يجمع على كوى بالكسر والقصر والمد أيضا والكوة بالضم ويجمع على كوى
بالضم والمعنى اجعلوا من مقابلة قبره في سقف حجرته منافذ متعددة (حتى لا يكون بينه) أي بين قبره (وبين
السماء سقف) أي حجاب ظاهري (ففعلوا فمطروا) بضم فكسر (مطرا) أي شديدا (حتى نبت العشب)
بضم فسكون أي العلف في منابته (وسمنت) بكسر الميم (الابل) وكذا سائر المواشي بالاولى (حتى تفتقت) أي
انتفخت خواصرها من الرعي وقيل انشقت وقيل اتسعت (من الشحم) أي من كثرته (فسمي عام الفتق)
أي سنة الخصب الذي أفضى الى الفتق هذا وقد قيل في سبب كشف قبر النبي صلى الله عليه وسلم ان السماء
لما رأت قبر النبي صلى الله عليه وسلم سال الوادي من بكائها قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض حكاية
عن حال الكفار فيكون أمرها على خلاف ذلك بالنسبة الى الابرار وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان استشفع
به عند الجدب فتمطر السماء فامرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به فلا يبقى بينه
وبين السماء حجاب أقول وكأنه كناية عن عرض الغرض المطلوب بتوجهه الى السماء وهي قبلة الدعاء ومحل
رزق الضعفاء كما قال تعالى وفي السماء رزقكم (رواه الدارمي وعن سعيد بن عبد العزيز) قال المؤلف
تنوخي دمشقي كان فقيه أهل الشام في زمن الاوزاعي وبعده وقال أحمد ليس بالشام أصح حديثا منه وهو
الاوزاعي وهو والاوزاعي عندي سواء وكان سعيد قد بكاه فسئل فقال ما قمت الى صلاة الا مثلت لي جهنم (قال
لما كان) أي وقع (أيام الحرة) بفتح وتشديد قال الطيبي هو يوم مشهور في الاسلام أيام يزيد بن معاوية لما
نهب المدينة عسكره من أهل الشام ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين وأمر عليهم مسلم بن عقبة

رواه البيهقي في دلائل النبوة
وعن ابن المنكدر أن
سفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أخطأ
الجيش بأرض الروم أو
أسر فانطلق هاربا يلتمس
الجيش فاذا هو بالاسد فقال
يا أبا الحرث أنا مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان
من أمري كيت وكيت
فاقبل الاسد له بصبصة حتى
قام الى جنبه كلما سمع صوتا
أهوى اليه ثم أقبل يمشي
الى جنبه حتى بلغ الجيش
ثم رجع الاسد رواه في شرح
السنة وعن أبي الجوزاء
قال قحط أهل المدينة قحطا
شديدا فشكوا الى عائشة
فقالت انظروا قبر النبي صلى
الله عليه وسلم فاجعلوا منه
كوى الى السماء حتى
لا يكون بينه وبين السماء
سقف ففعلوا فمطروا مطرا
حتى نبت العشب وسمنت
الابل حتى تفتقت من
الشحم فسمي عام الفتق
رواه الدارمي وعن سعيد بن
عبد العزيز قال لما كان
أيام الحرة

المرى فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وعقيبها هلك يزيد والحرة هذه أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة وقعت فيها هذه الوقعة (لم يؤذن فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم) بصيغة المجهول أى لم يؤذن أحد فيه لاجل الفتنة (ثلاثا) أى ثلاث ليال بأيامها (ولم يقم) على بناء المفعول من الاقامة أى ولم يقم أحد الاقامة (ولم يبرح) بفتح الراء لم يفارق (سعيد بن المسيب المسجد) وكان الناس يقولون فى حقه انه شيخ مجنون قال المؤلف كان سيد التابعين جمع بين الفقه والحديث والزهد والورع والعبادة لقى جماعة كثيرة من الصحابة وروى عنهم وعنه الزهرى وكثير من التابعين وغيرهم حج أربعين حجة مات سنة ثلاث وتسعين (وكان) أى سعيد فى ذلك الوقت الشديد (لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة) أى بصوت خفى لا يفهم (يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم رواه الدارمى وعن أبى خلدة) بفتح المعجمة وسكون اللام قال المؤلف هو خالد بن دينار التميمى السعدى البصرى الخياط من الخياطة من ثقات التابعين روى عن أنس وعنه وكيع وغيره (قال قلت لابى العالية) قال المؤلف اسمه رفيع بن مهران الرياحى مولاهم البصرى أدرك الجاهلية وأسلم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ودخل على أبى بكر الصديق وروى عن عمر وعلى وعنه عاصم الاحول وغيره قالت حفصة بنت سيرين كان يقول قرأت على عمر ثلاث مرات أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم بعد سنتين من وفاته توفى سنة تسعين (سمع أنس) بحذف همزة الاستفهام أى أسمع أحاديث (من النبي صلى الله عليه وسلم) أى بلا واسطة يرويها أو له مراسيل من الصحابة مع أنها حجة اتفاقا وكأنه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم تردد بعض الناس فيه (قال) أى أبو العالية (خدمه) أى خدم أنس النبي صلى الله عليه وسلم (عشر سنين) أى وعمره عشر سنين (ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم) أى بالبركة (فى عمره وولده وماله) وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة احدى وتسعين وله من العمر مائة وثلاث سنين ويقال انه ولد له مائة ولد (وكان له بستان يحمل) أى يثمر (فى كل سنة الفاكهة مرتين وكان فيها) أى فى الحديقة وهى فى معنى البستان وفى نسخة صحيحة فيه أى فى ذلك البستان (ريحان) وهو نبت معروف طيب (يجىء منه ريح المسك) وحاصل الجواب أن من كان له هذه المنزلة والصحبة وطول ملازمة الخدمة كيف لا يسمع ولا يروى عنه (رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب)

(الفصل الثالث) (عن عروة بن الزبير) أى ابن العوام يكنى أبا عبد الله القرشى سمع أباه وأمه أسماء وعائشة وغيرهم من كبار الصحابة روى عنه ابنه هشام والزهرى وغيرهما ولد سنة اثنتين وعشرين وهو من كبار التابعين وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة (أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) بضم نون وفتح فاء وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة (خاصمته أروى) بفتح الهمزة والواو ومقصورا قال صاحب جامع الاصول لا أدرى أكانت أروى صحابية أم تابعية (بنت أوس) بفتح فسكون هكذا فى نسخ المشكاة قيل وكذا فى نسخ المصابيح وفى جامع الاصول أويس بضم الهمزة وفتح الواو وبياء ساكنة وفى أسماء الرجال للمؤلف فى فصل الصحابة أوس بن أوس ويقال أوس بن أبى أوس الثقفى وهو والد عمرو بن أوس روى عنه أبو الأشعث الصنعانى وابنه عمرو وغيرهما والحاصل انها رافعته فى الخصومة (الى مروان بن الحكم) قال المؤلف يكنى أبا عبد الملك القرشى الاموى جد عمر بن عبد العزيز أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف فلم يزل بها حتى ولى عثمان فرده الى المدينة وروى عن نفر من الصحابة منهم عثمان وعلى وعنه عروة بن الزبير وعلى بن الحسين مات بدمشق سنة خمس وستين اه وكأنه كان واليا فى المدينة (وادعت) أى أروى (انه) أى سعيدا (أخذ شيأ من أرضها) أى ظلما (فقال سعيد أنا كنت آخذ من أرضها شيأ) فيه معنى الانكار على نفسه المتضمن لانكار غيره وقوله (بعد الذى سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم) مقرر لجهة الانكار (قال) أى مروان (ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) أى سعيد (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شبرا) أى قدر شبر وأراد شيأ يسيرا (من الارض) أى أرض أحد (ظلما) أى أخذ ظلم أو من جهة ظلم (طوقه) بضم الطاء وكسر الواو المشددة أى طوقه الله كما فى نسخة أى جعل ذلك الشبر منها طوقه (الى سبع أرضين)

لم يؤذن فى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثا ولم يقم ولم يبرح سعيد بن المسيب المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم رواه الدارمى وعن أبى خلدة قال قلت لابى العالية سمع أنس من النبي صلى الله عليه وسلم قال خدمه عشر سنين ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم وكان له بستان يحمل فى كل سنة الفاكهة مرتين وكان فيها ريحان يجىء منه ريح المسك رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب

(الفصل الثالث) عن عروة بن الزبير أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل خاصمته أروى بنت أوس الى مروان بن الحكم وادعت انه أخذ شيأ من أرضها فقال سعيد أنا كنت آخذ من أرضها شيأ بعد الذى سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شبرا من الارض ظلما طوقه الى سبع أرضين

بفتح الراء ويسكن قال النووي بفتح الراء واسكانها قليل وفي الحديث تصريح بأن الارض سبع طباق وهو موافق لقوله تعالى سبع سموات ومن الارض مثلهن ومن قال المراد بالسبع الاقاليم فقد وهم لانه لو كان كذلك لم يطوق الظالم بشبر من كل اقليم بخلاف طباق الارض فانها تابعة لهذا الشبر (فقال له مروان لا أسألك بينة) وفي نسخة بينة أي لا أطالبك بحجة (بعد هذا) أي بعد ايرادك هذا الحديث والمعنى أصدقك في باطن الامر انك غير ظالم أولا أشك في نقلك الحديث ولا أحتاج لرواية أخرى فانك بمنزلة راويين وأكثر وقال الطيبي وكان سعيد لما أنكر توجه عليها البينة وعند فقدها توجه اليه اليمين فاجرى مروان هذا الكلام منه مجرى اليمين وقال لا أسألك بينة بعد هذا اهـ ولا يخفى ان اعتبار مثل هذا غير شرعي في باب الدعوى فالصواب ما ذكره الكرماني من أن سعيدا ترك لها ما ادعته كما يشهد له نقل عروة (فقال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فاعم بصرها) بفتح همز وكسر ميم أي اجعل بصرها أعمى (واقتلها في أرضها) أي التي ادعت فيها وفي رواية واجعل قبره في دارها وكان سعيد مجاب الدعوة على ما في التهذيب (قال) أي عروة (فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما هي تمشي في أرضها اذ وقعت في حفرة) أي عميقة لما سيأتي من رواية في بئر (فماتت متفق عليه) وفي رواية للبخاري عن ابن عمر مرفوعا من أخذ من الارض شيأ بغير حقه خسف به الى يوم القيامة الى سبع أرضين وفي رواية أحمد والطبراني عن يعلى بن مرة من أخذ من الارض شيأ ظلما جاء يوم القيامة يحمل ترابها الى المحشر وفي رواية للطبراني والضياء عن الحكم بن الحارث من أخذ من طريق المسلمين شيأ جاء يوم القيامة يحمله من سبع أرضين (وفي رواية لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه) قال المؤلف روى عن جده وابن عباس وعنه بنوه والاعمش وغيرهم ثقة (وأنه) أي محمدا المذكور (رآها عمياء تلتمس الجدر) بضمتين ويجوز اسكان الدال جمع جدار وفي نسخة بفتح فسكون ففي القاموس الجدر الحائط كالجدار جمع جدر وجدر وجدران والمعنى انها تدور على الجدر وتمسكها (تقول أصابتني دعوة سعيد وانها مرت على بئر) أي حفرة عميقة كما سبق (في الدار التي خاصمته فيها فوقعت فيها فكانت) أي صارت (قبرها) أي حقيقة أو حكما (وعن ابن عمر ان عمر رضي الله عنه بعث جيشا) أي أرسلهم (الى نهاوند) مثلثة النون بلد من بلاد الجبل جنوبي همدان (وأمر) بتشديد الميم أي جعل أميرا عليهم (رجلا يدعى) أي يسمى (سارية) في القاموس هو ابن زنيم الذي ناداه عمر على المنبر وسارية بنهاوند اهـ ولم يذكره المؤلف (فبينما عمر يخطب) أي في مسجد المدينة على رؤس الاشهاد من أكابر الصحابة والتابعين منهم عثمان وعلي رضوان الله عليهم أجمعين فهذه كرامة عظيمة ومنقبة جسيمة دالة على مزية جلالته وصحة خلافته (فجعل) أي عمر (يصيح) أي في أثناء خطبته أو بعد تمامها (ياساري) مرخم سارية وفي نسخة ياسارية (الجبل) بالنصب أي الزم الجبل واجعله وراء ظهرك (فتعجب الناس فقدم رسول من الجيش فقال يا أمير المؤمنين لقينا) بكسر القاف وفتح الياء فقوله (عدونا) بالرفع وفي نسخة بسكون الياء ونصب عدونا (فهزمونا) أي فغلبونا أولا (فاذا بصائح يصيح ياساري الجبل فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى) فيه أنواع من الكرامة لعمر كشف المعركة وايصال صوته وسماع كل منهم لصيحته وفتحهم وتهزمهم ببركته (رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن نبيهة) بضم النون وفتح الموحدة وسكون التحتية فهاء فتاء كذا ضبطه المؤلف في أسمائه وفي نسخة نبيه بدون تاء وهو الظاهر وقيل هو الصواب فانه الموافق لما في القاموس والمغني وكذلك في التحرير للعسقلاني (ابن وهب) أي الكعبي الحجازي سمع أبان بن عثمان وكعبا مولى سعيد بن العاص وروى عنه نافع ذكره المؤلف في التابعين (ان كعبا) أي كعب الاحبار بالحاء المهملة وهو من كبار التابعين قال المؤلف هو كعب بن ماتع يكنى بأبي اسحق المعروف بكعب الاحبار أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم في زمن عمر بن الخطاب روى عن عمر وصهيب وعائشة ومات بحمص سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان رضي الله عنهم (دخل على عائشة فذكروا) أي أهل المجلس (رسول الله صلى الله عليه وسلم)

فقال له مروان لا أسألك بينة بعد هذا فقال سعيد اللهم ان كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها قال فما ماتت حتى ذهب بصرها وبينما هي تمشي في أرضها اذ وقعت في حفرة فماتت متفق عليه وفي رواية لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله ابن عمر بمعناه وانه رآها عمياء تلتمس الجدر تقول أصابتني دعوة سعيد وانها مرت على بئر في الدار التي خاصمته فيها فوقعت فيها فكانت قبرها وعن ابن عمر ان عمر بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية فبينما عمر يخطب فجعل يصيح ياساري الجبل فقدم رسول من الجيش فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا فاذا بصائح يصيح ياساري الجبل فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى رواه البيهقي في دلائل النبوة وعن نبيهة بن وهب ان كعبا دخل على عائشة فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم

أي بعض نعته أو قضية موته (فقال كعب) أي نقلا من الكتب السابقة مما رواه أو سمعه من قبله أو انكشافا له وهو المناسب لان يكون كرامة له ويمكن ان يكون كرامة لعويقة بمعنى ان الله تعالى أكرم نبيه صلى الله عليه وسلم بما ذكره من قوله (ما من يوم يطلع) بضم اللام أي يظهر فجره وتطلع شمسه (لا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا) بضم الحاء والفاء المشددة أي يحيطوا (بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربون باجنحتهم) أي للطيران حوله أو فوقه يلتمسون بركته وقربه ونوره (ويصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بالثناء الجزيل والدعاء الجميل (حتى اذا أمسوا) أي دخلوا في وقت المساء (عرجوا) بفتح الراء أي صعدوا الى السماء (وهبط) أي نزل من السماء (مثلهم) أي من عدد الملائكة في ليلتهم (فصنعوا مثل ذلك) أي من ضرب الاجنحة وكثرة التصلية (حتى اذا انشقت عنه الارض) أي عند النفخة الثانية (خرج) أي ظهر (في سبعين ألفا من الملائكة يزفونه) بضم الزاي ويكسر وتشديد الفاء أي يسرعون به دون المحبوب الى الحبيب أو المحب الى المحبوب والاول فيه المبالغة أكثر وهو باعتبار أصل اللغة أظهر فان يزفون بالضم من زففت العروس الى زوجها اذا أهديتها اليه ويزفون بالكسر من زف البعير أو الظليم وهو الذكر من النعام اذا أسرع ففيه حذف وايصال أي يسرعون به اليه والمفهوم من القاموس انه يجوز في الحديث ضم الياء وكسر الزاي على المعنيين حيث قال زف العروس الى زوجها من باب كتب كأزفها والظليم وغيره يزف من باب ضرب أسرع كأزف (رواه الدارمي)

(باب)

بالتنوين مرفوعا وفي نسخة بالسكون فقيل المعنى هذا باب في بيان هجرة أصحابه من مكة وبيان وفاته صلى الله عليه وسلم وفي نسخة باب ما يتعلق بموته صلى الله عليه وسلم من المقدمات

(الفصل الاول) (عن البراء) أي ابن عازب (قال أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب) اسم مفعول (ابن عمير) بالتصغير (وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا) أي يعلماننا القرآن (ثم جاء عمار) أي ابن ياسر (وبلال) أي ابن رباح (وسعد) أي ابن أبي وقاص (ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين) أي رجلا (من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم) أي مع الصديق الاكبر (فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ) أي في الدنيا (فرحهم به) أي مثل فرحهم بمجيئه عليه السلام الى المدينة (حتى رأيت الولائد) جمع وليدة وهي الجارية الصغيرة والذكر وليد فعيل بمعنى مفعول وقد يطلق على الامة وان كانت كبيرة وقال شارح الوليدة الصبية والامة ويناسبه قوله (والصبيان) جمع الصبي (يقولون) أي من كمال الفرح والسرور (هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء) أي وحصل به الرجاء والنجاء (قال البراء فما جاء) أي النبي عليه السلام (حتى قرأت سبح اسم ربك الاعلى) أي تعلمتها ففيه ذكر المسبب وهو القراءة وارادة السبب وهو التعلم (في سور) أي في جملة سور أو مع سور (مثلها) أي مثل سورة سبح في المقدار (من المفصل) أي من أوساطه وهذا يدل على ان سبح اسم ربك نزلت بمكة ويشكل عليه أن قوله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى نزلت في زكاة الفطر ووجوب صدقة الفطر وصلاة العيد في السنة الثانية ويحتمل أن تكون السورة مكية الا هاتين الآيتين والاصح انها كلها مكية ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد بقوله قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى زكاة الفطر وصلاة العيد فليس في الآية الا الترغيب في الزكاة والصلاة من غير بيان المراد فبينته السنة بعد ذلك كذا ذكره بعض المحققين والله أعلم (رواه البخاري وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر) أي في مرضه الذي مات فيه كما في رواية وفي أخرى كان هذا قبل أن يموت بخمس ليال (فقال ان عبدا) أي عظيما كما يدل عليه قوله (خيره الله) أي جعله مخيرا (بين أن يؤتيه) أي يعطيه (من زهرة الدنيا) بفتح الزاي أي بهجتها وحسنها وزينتها (ما شاء) مفعول مؤخر عن مبينه والمعنى مقدار ما أراده من طول العمر

وقال كعب ما من يوم يطلع الا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفوا بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يضربون باجنحتهم ويصلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين ألفا من الملائكة يزفونه رواه الدارمي

(باب)

(الفصل الاول) عن البراء قال أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرآننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء فما جاء حتى قرأت سبح اسم ربك الاعلى في سور مثلها من المفصل رواه البخاري وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء

والبقاء في الدنيا والتمتع بها (وبين ما عنده) أي الله سبحانه مما أعد له من أنواع النعيم المقيم ولذة اللقاء من الوجه الكريم (فاختار ما عنده) أي لانه خير وأبقى (فبكى أبو بكر) أي لكمال فهمه وادراكه حيث عرف مفارقته صلى الله عليه وسلم من الدنيا بقرينة المرض أولان اختيار ما عند الله وترك زهرة الدنيا بحسب الظاهر من مقدمات مراتب الاولياء ومن المعلوم أنه لا يناسبه مقام سيد الانبياء فما حمل الى أن معناه بطريق الاشارة اختيار الموت واللقاء وترك الحياة والبقاء (قال) استئنافا (فديناك بآبائنا وأمهاتنا) أي معهم لو كان يمنع الفداء (قال) الراوي (فعجبنا له) أي لابي بكر حيث بكى ولا ظهر له باعث يقتضيه وما ذلك الا لعدم فهمهم ما فهمه من الاشارة لتقيدهم بظاهر العبارة (فقال الناس) أي بعضهم لبعض (انظروا) أي نظر تعجب (الى هذا الشيخ) أي مع تكبره المقتضي لوقاره وزيادة عقله وفهمه (يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد) أي منكر غير معين (خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو) أي الشيخ (يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا) أي ومثل هذا انما يقال لاعظيم يريد الانتقال من الدنيا الى العقبى (قال أبو سعيد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير) بالنصب وهو ضمير الفصل وفي نسخة بالرفع وله وجه والمعنى فظهر لنا في آخر الامر انه صلى الله عليه وسلم كان العبد المخير (وكان أبو بكر أعلمنا) أي أكثرنا علما حيث علم أولا أن المخير هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلم اسم تفضيل ولا يبعد أن يكون فعلا ماضيا أي وقد كان أعلمنا بالقضية لكمال فهمه ايانا بالكناية (متفق عليه وعن عقبة بن عامر) جهني روى عنه جماعة من الصحابة وخلق كثير من التابعين ذكره المؤلف في الصحابة (قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد) جمع قتيل والمراد بهم الشهداء (بعد ثمان سنين) أي من دفنهم وقيل صلى عليهم صلاة الجنازة وهو الظاهر المتبادر فهو من خصوصياته أو خصوصيتهم وقال الشافعي المراد بالصلاة الدعاء (كالمودع للاحياء والاموات) قال المظهر أي استغفر لهم واستغفاره لهم كالوداع للاحياء والاموات أما الاحياء فبخروجه من بينهم وأما الاموات فبانقطاع دعائه واستغفاره لهم قال السيوطي وذلك قرب موته صلى الله عليه وسلم (ثم طلع المنبر فقال اني بين أيديكم فرط) بفتح الفاء والراء وهو الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم الرشاء والدلاء ويسقي لهم وهو فعل بمعنى فاعل كتبع بمعنى تابع يريد انه شفيع لهم لانه يتقدمهم والشفيع يتقدم على المشفوع وقد روى الترمذي في الشمائل عن ابن عباس يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة فقالت له عائشة فمن كان له فرط من أمتك قال ومن كان له فرط يا موفقة قالت فمن لم يكن له فرط من أمتك قال فانا فرط لامتي لن يصابوا بمثلي (وأنا عليكم شهيد) أي مطلع على أحوالكم اذ تعرض على أعمالكم أو أنا شاهد لكم ومثن عليكم (وان موعدكم) أي مكان وعدكم للشفاعة الخاصة بكم في يوم الجمع (الحوض) أي وروده فانه حينئذ يتميز الخبيث من الطيب والمنافق من المؤمن فتكون الشفاعة لامة الاجابة (واني لانظر) أي الآن (اليه) أي الى الحوض (وأنا في مقامي هذا) أي فوق المنبر وهو على ظاهره وكانه كشف له عنه في تلك الحالة (واني قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض) أي ستفتح لامتي خزائن الارض بفتح بلادها وايمان عبادها (واني لست أخشى عليكم) أي على مجموعكم (أن تشركوا بعدي) لان ذلك قد وقع من بعض (ولكني قد أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا) بحذف احدى التاءين أي ترغبوا (فيها) رغبة الشيء النفيس وتميلوا اليها كل الميل فان المنافسة لا تناسب النعم الفانية بل تختص بالامور الباقية ولذا قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون أي المؤمنون الكاملون (وزاد بعضهم) أي بعض الرواة على ما سبق قوله (فتقتتلوا) أي يقتل بعضكم بعضا بسبب الحسد والمال (فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم) أي في المال أو بسبب الحال قال النووي فيه معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان معناه الاخبار بان أمته تملك خزائن الارض وقد وقع ذلك وانهم لا يرتدون وقد عصمهم الله تعالى من ذلك وانهم يتنافسون في الدنيا وقد وقع ذلك (متفق عليه وعن عائشة قالت ان من نعم الله علي) أي من جملتها (ان رسول الله صلى الله

وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر قال فديناك بآبائنا وأمهاتنا فعجبنا له فقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا متفق عليه وعن عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض واني لانظر اليه وأنا في مقامي هذا واني قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض واني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وزاد بعضهم فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم متفق عليه وعن عائشة قالت ان من نعم الله علي ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم توفي في بيتي) أي لا في غيبتي (وفي يومي) أي في نوبتي لا كون متشرفة بخدمتي وفي جامع الأصول كان ابتداء مرض النبي صلى الله عليه وسلم من صداع عرض له وهو في بيت عائشة ثم اشتد به وهو في بيت ميمونة ثم استأذن نساءه أن يمرض في بيتها فأذن له وكان مدة مرضه اثني عشر يوما ومات يوم الاثنين ضحى من ربيع الاول فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لاثني عشرة خلت منه وهو الاكثر (وبين سحري ونحري) بفتح فسكون فيهما وهو يدل على كمال قربي وقربتي والمعنى انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو مستند الى صدرها وما يحاذي سحرها منه اذ السحر الرئة على ما في النهاية وقيل السحر ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن وقال ابن الملك النحر موضع القلادة من أعلى الصدر وقال ابن حجر السحر هو الصدر وهو في الاصل الرئة والمراد بالنحر موضعه ه وجاء في رواية بين حاقنتي وذاقنتي أي كان رأسه بين حنكها وصدرها ولا يعارضه ما للحاكم وابن سعد من طرق ان رأسه الكريم كان في حجر علي كرم الله وجهه لان كل طريق منها لا يخلو عن شيء كذا قاله الحافظ ابن حجر وعلى تقدير صحتها يجمع بانه كان في حجره قبل الوفاة (وان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته) قالوا الصواب فتح ان عطفا على ان رسول الله كذا ذكره الجزري وسبب ذلك انه حينئذ يدخل تحت نعم الله بخلافه اذا كسر فانه يكون عطفا على ان من نعم الله فيكون مجرد اخبار وأقول لو صحت الرواية بالكسر لكان الوجه أن يقال الواو للحال ثم الريق بالكسر ماء الفم ولما كان الجمع بينهما يحتاج الى بيان سبب قالت بطريق الاستئناف (دخل علي) أي عندي (عبد الرحمن بن أبي بكر) والمراد به أخوها (وبيده) أي بيد عبد الرحمن (سواك) أي عود يستعمل لما مر (وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم) بالاضافة وفي نسخة بتنوين مسندة ونصب الرسول وهو بضم الميم وكسر النون يقال سندت اليه استندت واسندته أنا كذا في القاموس (فرأيته) أي النبي صلى الله عليه وسلم (ينظر اليه) أي الى السواك أو الى صاحبه (وعرفت) أي والحال اني قد عرفت في الماضي من طبعه (انه يحب السواك) أي مطلقا وعند تغير الفم خصوصا (فقلت آخذه لك) أي منه (فأشار برأسه أن نعم) أي نعم فان مفسرة (فتناولته) أي أخذته منه وناولته اليه فاستعمله (فاشتد) أي السواك (عليه) أي لانه شديد (وقلت) وفي نسخة فقلت (ألينه لك) بتشديد الياء المكسورة (فأشار برأسه أن نعم فلينته) أي لينت السواك بريقي وأعطيته النبي صلى الله عليه وسلم (فأمره على أسنانه) بتشديد الراء ماض من الامرار والمعنى فاجتمع الريقان في حلقي وكذا في حلقه عند موته وفيه ايماء الى رضاه عنها حتى عند انقطاع حياته (وبين يديه ركوة) أي ظرف (فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه) وارادتها بانها الحقيقة اشعار بنهاية حرارته وايماء الى اظهار عجزه وعبوديته قيل وسببه انه كان يغمى عليه من شدة الوجع ثم يفيق ويؤخذ منه انه ينبغي فعل ذلك لكل مريض فان لم يفعله فعل به لان فيه نوع تخفيف الكرب كالتبريد ليعجب التبريد اذا اشتدت حاجة المريض اليه (ويقول لا اله الا الله) أي الواحد القهار الذي قهر العباد بالموت وهو الحي الذي لا يموت (ان للموت سكرات) بفتحات جمع سكرة أي شدائد ومشقات عظيمات من حرارات ومرارات تصيبها حتى للانبياء وأرباب الكمالات فاستعدوا لتلك الحالات واطلبوا من الله تهوينه للاموات وفي شمائل الترمذي عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت أي مشغول ومتلبس وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم أعني على منكرات الموت وقال على سكرات الموت والمراد بمنكرات الموت شدائده ومكروهاته وما يحصل للعقل من التغطية المشابهة للسكر فهو بمعنى سكرات الموت والشك انما هو في اللفظ ثم في تلك السكرات زيادة ورفع الدرجات (ثم نصب يده) أي رفعها بطريق الدعاء أو على وجه الايماء الى جهة السماء (فجعل يقول) أي مكررا (في الرفيق الاعلى) متعلق بمحذوف أي اجعلني في الرفيق الاعلى وهم هنا الانبياء الذين يسكنون أعلى عليين اسم جاء على فعيل يقع على الواحد والجماعة كالصديق والخليط واراد هنا الجمع كقوله تعالى وحسن أولئك رفيقا والرفيق المرافق في الطريق وقيل

عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وان الله جمع بين ريقي وريقه عند موته دخل على عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته ينظر اليه وعرفت منه انه يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه ان نعم فتناولته فاشتد عليه وقلت ألينه لك فأشار برأسه أن نعم فلينته فأمره وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق الاعلى

التقدير ادخلني في مكان رفيق الاعلى وأراد بالمكان المقام المحمود المخصوص به فالمعنى اجعلني ساكنا فيه قائما به وقال الجوهري الرفيق الاعلى الجنة ذكره ابن حجر وهو لا يخلو عن غرابة وقيل الرفيق الاعلى من أسمائه تعالى من الرفق والرأفة فعيل بمعنى فاعل لانه سبحانه رفيق بعباده واختار لفظة في للدلالة على زيادة القرب المشعر بالاستغراق في حضرة الرب والفناء في مقام بقاء الحب مع ما فيه من الاشارة الى التوحيد المفيد لتأكيد التأييد وقد غفل الازهري عن هذا المعنى الاظهر والمعنى الانور وغلط قائل ذلك على ما نقله ابن حجر فتأمله وتدبر ثم رأيت التور بشتي قال وقد ذهب بعضهم في الرفيق الاعلى انه اسم من أسماء الله تعالى قال الازهري غلط قائل هذا وقوله ان الله رفيق لم يوجب اطلاق هذا الاسم عليه كما لم يوجب ان الله حيي ستير اطلاق ذلك عليه وانما أراد به ايضاح معنى لم يكن يقع في الافهام الا من هذا الطريق قال الفاضل الطيبي لم لا يجوز ان يستدل بهذا الحديث على اطلاق هذا الاسم عليه وما المانع وليس هذا كقوله ان الله حيي لان ذلك اخبار وقول صاحب النهاية انه اختار ما عند الله تعالى تصريح بان المراد منه القرب والزلفى عند الله تعالى ولو أريد به الملائكة والنبيون لقيل من عند الله ويؤيده حديث أبي سعيد ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده وحديث جعفر في آخر الفصل الثالث من هذا الباب يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك الحديث ولان حصول هذه البغية مستلزم لحصول تلك المنزلة كما قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك فوقف ادخال في على الرفيق ايذان بغاية القرب وشدة تمكنه فيه وحصول رضوانه عليه واليه الاشارة بقوله راضية مرضية قلت ويؤيده رواية عائشة الآتية اللهم الرفيق الاعلى ثم المعنى كان هذا حاله ومقاله (حتى قبض ومالت يده) أي عن يمينه أو شماله أو من الطرف يشير بهما الى الاعراض عن الكونين والميل الى المكون الذي لقاؤه قرة العينين ولذا كان سيد الثقلين (رواه البخاري وعنها) أي عن عائشة رضي الله عنها (قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي يمرض) بفتح الراء أي مرض الموت (الا خير بين الدنيا والآخرة) أي بين بقائه مدة أخرى في الدنيا وبين توجهه الى عالم العقبى ولا شك انه كان يختار ما عند الله لانه خير وأبقى (وكان في شكواه) أي في مرضه (الذي قبض أخذته بحة شديدة) بضم موحدة وتشديد مهملة أي غلظ الصوت وخشونته على ما في النهاية وقال ابن حجر هي شيء يعرض في الحلق فيغير له الصوت فيغلظ وقيل المراد هنا سعلة ففي القاموس السعال والسعلة بضمهما وهي حركة تدفع بها الطبيعة أذى عن الرئة والاعضاء التي تتصل بها (فسمعته يقول) أي الرفيق الاعلى (مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) أي وحسن أولئك رفيقا يعني مع الرفيق الاعلى فالجمع بما ذكرناه والاولى حشرنا الله معهم في العقبى (فعلمت انه خير) أي بين البقاء في الدنيا وما عند الله في الاخرى من لقاء المولى (متفق عليه وعن أنس رضي الله عنه قال لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم) بفتح المثلثة وضم قاف أي اشتد مرضه (جعل) أي طفق (يتغشاه الكرب) وفي المصابيح يتغشى بلا ضمير وبلا لفظ الكرب وقال شارح له أي يتغطى ويتستر بالثياب وقيل أي يغشى عليه من شدة المرض وفي بعض النسخ جعل يتغشاه الكرب وهو بالفتح وسكون الراء الغم الذي يأخذ بالنفس أقول وهو المناسب لقوله (فقالت فاطمة) أي بنته رضي الله عنها (واكرب أباه) بسكون الهاء للسكت والالف قبله للندبة وسيلة لمد الصوت في الكلمة المفيدة للمبالغة (فقال لها ليس على أبيك كرب بعد اليوم) يعني ان الكرب كان بسبب شدة الالم وصعوبة الوجع وبعد هذا اليوم لا يكون ذلك لان الكرب كان بسبب العلائق الجسمانية وبعد اليوم ينقطع تلك العلائق الصورية ولا كرب في التعلقات الروحانية المعنوية زاد الترمذي انه قد حضر من أبيك ما ليس بتارك منه أحد الوفاة الى يوم القيامة أي هو الموت الى قيام الساعة (فلما مات قالت يا أبتاه) قال الطيبي أصله يا أبي فالتاء بدل من الياء لانهما من حروف الزيادة والالف للندبة لمد الصوت والهاء للسكت ولا بد للندبة من احدى العلامتين يا أو وا [illegible] لان الندبة لاظهار التوجع ومد الصوت والحاق الالف في آخره للفصل بينها

حتى قبض ومالت يده رواه البخاري وعنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي يمرض الا خير بين الدنيا والآخرة وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة فسمعته يقول مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فعلمت انه خير متفق عليه وعن أنس قال لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة واكرب أباه فقال لها ليس على أبيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت يا أبتاه

وبين النداء وزيادة الهاء في الوقف ارادة بيان الالف لانها خفية وتحذف في الوصل (أجاب ربا دعاه) أي الى العقبى فاختارها على الدنيا وهو بضم هاء الضمير ويسكن في الوقف مراعاة للسجع ولا يبعد أن يكون الهاء للسكت على أن المفعول محذوف للعلم به لكن لا يستقيم هذا في قوله (يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه) فانه يتعين أن يكون للضمير بخلاف قولها (يا أبتاه الى جبريل ننعاه) فانه يحتمل الاحتمالين ثم قولها من جنة الفردوس بفتح الميم ورفع الجنة في الاصول المصححة وفي نسخة بكسرها وخفض الجنة قال الجزري بفتح ميم من على انها موصولة ويحتمل كسرها على انها حرف جر أي موضع قراره من جنة الفردوس وقال الطيبي قوله من جنة الفردوس في البخاري وشرح السنة وقع من موصولة وفي بعض نسخ المصابيح ومن جارة والاول أنسب لانه من وادي قولهم ومن حفر بئر زمزم ماه اه وقوله ننعاه أي نظهر خبر موته اليه من النعي كذا قاله شارح وفي الازهار أي نبكي اليه وقيل نعزيه وقيل نخبره أقول وأوسطها أعلاها (فلما دفن قالت فاطمة يا أنس أطابت أنفسكم) أي أهانت على أنفسكم أيها الصحابة (ان تحثوا) بفتح التاء وضم المثلثة أي تكبوا (على رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي فوقه (التراب) ومما ينسب اليها في تعزيتها

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها * صبت على الايام صرن لياليا

(رواه البخاري)

(الفصل الثاني) (عن أنس رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة) بكسر العين أي رقصت (بحرابهم) بكسر الحاء المهملة جمع حربة وهي رمح قصير وقيل بخناجرهم (فرحا لقدومه رواه أبو داود وفي رواية الدارمي) أي عن أنس (قال ما رأيت يوما قط كان أحسن) أي زهر في الخاطر (ولا أضوأ) أي في نور الظاهر (من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي فانه كان يوم الوصال للمشتاقين لذلك الجمال (وما رأيت يوما أقبح) أي أسوأ وأحزن في القلب (ولا أظلم) أي في عين القالب (من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم) لانه كان يوم الفراق عن العشاق (وفي رواية الترمذي قال) أي أنس (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها) أي أشرق من المدينة (كل شئ) بالرفع فان أضاء لازم وقد يتعدى ومن بيان تقدمت قال الطيبي الضمير راجع الى المدينة وهذا يدل على أن الاضاءة كانت محسوسة (فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شئ) فان نوره شمس العالم الصوري والمعنوي وتخصيص المدينة لكونها أقرب ولنسبة رؤية الراوي أنسب (وما نفضنا أيدينا عن التراب) من النفض وهو تحريك الشئ ليزول ما عليه من التراب والغبار ونحوهما (وانا لفي دفنه) أي مشغولون بعد بجملة حالية (حتى أنكرنا قلوبنا) أي تغيرت حالها بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور أنواع الظلمة علينا ولم نجد قلوبنا على ما كانت عليه من أنوار الصفاء والرقة والالفة فيما بيننا لانقطاع مادة الوحي وفقدان بركة صحبته وأثر كسير حضور حضرته قال التوربشتي يريد انهم لم يجدوا قلوبهم على ما كانت عليه من الصفاء والالفة لانقطاع مادة الوحي وفقدان ما كان يمدهم من الرسول صلى الله عليه وسلم من التأييد والتعليم ولم يرد انهم لم يجدوها على ما كانت من التصديق (وعن عائشة قالت لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه) أي في موضع يدفن فيه فقيل يدفن في مسجده وقيل بالبقيع بين أصحابه وقيل بمكة وقيل عند أبيه ابراهيم عليه السلام أو في نفس الدفن والمعنى هل يدفن كما روى الترمذي في الشمائل عن سالم ابن عبيد وكانت له صحبة قالوا لابي بكر يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قالوا أين قال في المكان الذي قبض الله فيه روحه فان الله لم يقبض روحه الا في مكان طيب فعلموا أنه قد صدق اه وهو لا ينافي ما روي عنه في هذا الحديث (فقال أبو بكر سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ) أي ما نسيته كما في شمائل الترمذي قال يحتمل أن يكون صفة لشيأ أو استئنافا (قال) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماقبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب) أي النبي أو يريد الله (أن يدفن) أي ذلك

جاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه فلما دفن قالت فاطمة يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب رواه البخاري *(الفصل الثاني)* عن أنس قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحا لقدومه رواه أبو داود وفي رواية الدارمي قال ما رأيت يوما قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية الترمذي قال لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شئ وما نفضنا أيدينا عن التراب وانا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا وعن عائشة قالت لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قال ما قبض الله نبيا الا في الموضع الذي يحب أن يدفن

فيه ادفنوه في موضع فراشه رواه الترمذي

(الفصل الثالث) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح انه لن يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير قالت عائشة فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم أفاق فأشخص بصره الى السقف ثم قال اللهم الرفيق الاعلى قلت اذن لا يختارنا قالت وعرفت انه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح في قوله انه لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير قالت عائشة فكان آخر كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم قوله اللهم الرفيق الاعلى متفق عليه وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه ياعائشة ما ازال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر وهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم رواه البخاري وعن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا

النبي (فيه) اى في ذلك المكان (ادفنوه في موضع فراشه) اى الذي مات فيه ولعله لم يحول الى موضع من المواضع لشريفة ليكون شرف المكان بالمكين ويتشرف به أهل التمكين (رواه الترمذي) أي وقال غريب وفي اسناده عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه وقد روى هذا الحديث من غير هذا الوجه رواه ابن عباس عن أبي بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى مالك هذا الحديث وقد بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي قال ناس يدفن عند المنبر وقال آخرون يدفن بالبقيع فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مادفن نبي قط الافي المكان الذي توفي فيه فحفر فيه ذكره ميرك عن تصحيح المصابيح

(الفصل الثالث) (عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح) أي والحال انه في حال صحته (انه) أي الشان (ان يقبض نبي) أي لن يموت (حتى يرى) مجهول من الاراءة وفي نسخة معلوم من الرؤية أي يبصر أو يعرف (مقعده) أي الخاص به (من الجنة) أي من منازلها العالية (ثم يخير) بالنصب ورفع أي يجعل مخيرا بين قعوده في الدنيا وبين وصوله الى مقعده في العقبى (قالت عائشة فلما نزل) أي الموت يعني علامته (به) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم (ورأسه على فخذي) حال وجواب لما قولها (غشي عليه) أي أغمي (ثم أفاق فأشخص) أي رفع بصره (الى السقف) أي فانه جهة السموات العلى (ثم قال اللهم الرفيق الاعلى) أي اختار أو أسألك الرفيق الاعلى (قلت اذا) بالتنوين وفي نسخة اذن (لا يختارنا) بالرفع وينصب (قالت وعرفت انه) أي هذا هو الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح) قال الطيبي أي ان هذا القول اشارة الى الحديث الذي قال في حال صحته (في قوله انه لن يقبض) وفي نسخة لم يقبض (نبي قط) وهو يؤيد النسخة لا لكن أراد به أبدا (حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير قالت عائشة فكان آخر كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم قوله) بالنصب وفي نسخة بالرفع (اللهم الرفيق الاعلى) قال السهيلي وأول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله أكبر ذكره ابن حجر وروى أنه صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى يوم قال ألست بربكم (متفق عليه وعنها) أي عن عائشة (قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه ياعائشة ما أزال) أي ما أبرح (أجد ألم الطعام) أي المسموم (الذي أكلت بخيبر وهذا أوان وجدت) بفتح النون وفي نسخة بضمها قال الطيبي يجوز في أوان الضم والفتح والضم لانه خبر المبتدا والفتح على البناء لاضافته الى المبني قلت وهذا هو المختار على ماسبق في يوم ولدته وليلة أسرى به والمعنى وهذا زمان صادفت (انقطاع أبهري) بفتح الهمزة والهاء بينهما موحدة وهو عرق يتعلق به القلب فاذا انقطع مات صاحبه (من ذلك السم) أي من تأثيره سمه وبنائه والسم مثلثة السين والضم أشهر والفتح أكثرهذا وفي النهاية الابهر عرق في الظهر وهما أبهران وقيل هما الاكحلان اللذان في الذراعين وقيل هو عرق مستبطن القلب فاذا انقطع لم تبق معه حياة وقيل الابهر عرق منشؤه من الرأس ويمتد الى القدم وله شرايين تتصل بأكثر الاطراف والبدن فالذي في الرأس منه يسمى النأمة ومنه قوله أسكت الله نأمته أي أماته ويمتد الى الحلق فيسمى الوريد ويمتد الى الصدر فيسمى الابهر ويمتد الى الساق فيسمى الصافن والهمزة في الابهر زائدة (رواه البخاري) وروى ابن السني وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة ما زالت أكلة خيبر تعادني كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهري قال الهروي لا كلة بضم الهمزة وقال المي كل منها الاقمة واحدة اه وتعادني بضم التاء وتشديد الدال أي تراودني وتعاودني (عن ابن عباس قال لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي حضره الموت أو قرب منه فانه عاش بعد ذلك اليوم وهو يوم الخميس الى يوم الاثنين وقيل أي حضره الموت (وفي البيت رجال) أي كثيرة (فيهم عمر بن الخطاب) جملة حالية معترضة بين لما وجوابه وهو قوله (قال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا) أي تعالوا واحضروا (اكتب لكم كتابا) بالجزم جوابا

وقوله (لن تضلوا بعده) صفة لكتابا قال النووي في شرح مسلم اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الاحكام الشرعية في حال صحته ومرضه ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه وليس هو معصوما من الامراض والاسقام العارضة للاجسام مما لا نقص فيه لمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته وقد سحر عليه السلام حتى صار يخيل اليه انه يفعل الشيء ولم يكن يفعله ولم يصدر منه في هذا الحال كلام في الاحكام مخالف لما سبق فاذا علمت ما ذكرناه فقد اختلفوا في الكتاب الذي أراد كتابته فقيل أراد أن ينص على الخلافة في انسان معين لئلا يقع نزاع قلت هذا بعيد جدا اذ التنصيص على خلافة أبي بكر أو عمر أو العباس أو علي لا يحتاج الى كتابة بل كان مجرد القول كافيا والمقصود وافيا مع انه قد أشار الى خلافة أبي بكر بنيابة الامامة مع التصريح بقوله يأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر نعم لو قيل انه أراد أن يكتب الخلافة المستمرة خلف وفاته لمن يستحقها واحدا بعد واحد الى خروج المهدي وظهور عيسى عليه السلام لكان له وجه وجيه وتنبيه نبيه ولكن أراد الله الامر مستورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا وقيل أراد كتابا يبين فيه مهمات الاحكام ملخصة ليرتفع النزاع ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه قلت لم يكن في زمانه نزاع ليرتفع ولا خلاف ليندفع وأما باعتبار ما بعده من الزمان مما يقع من الاختلاف في كل مكان فقد أخبر بوقوعه بقوله اختلاف أمتي رحمة وبقوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وبقوله عليكم بالسواد الاعظم وبقوله وان أمتك المفتون وقد قال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم على ان الاحكام الشرعية المتفرقة في عشرين سنة كيف تصير ملخصة منصوصة في ساعة بحيث لا يتصور فيها اختلاف الامة نعم لو أريد به انه قصد أن يكتب كتابا يبين فيه بعض الاحكام التي قد توجد في الازمنة الآتية مما ليس بمذكور في الكتاب ولا محفوظ في السنة لا يبعد من طريق الرأفة وسبيل الرحمة على كافة الامة من الائمة والعامة أو أراد أن يكتب كتابا يبين فيه طريق الفرقة الناجية ويفصل فيه أحوال الفرق الضالة من المعتزلة والخوارج والرافضة وسائر المبتدعة (فقال عمر رضي الله عنه قد غلب عليه الوجع) أراد بما ذكره التخفيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند شدة الوجع وقوله (وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله) أي كافيكم في أمر الدين لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا وهو خطاب لمن نازعه في ذلك ورد عليه لا على النبي صلى الله عليه وسلم مع انه رضي الله عنه له موافقات وفق بها في مواضع من المخالفات فيمكن حمل هذه القضية على الواقعة فترتفع المخالفة ويدل عليه سكوته صلى الله عليه وسلم على تلك المقالة وصرف عنانه عن أمر الكتابة هذا وقد عرف عمر أن ذلك الامر لم يكن جزما منه بل رعاية لصالحهم وكان أصحابه اذا أمر بشيء غير جازم يراجعونه فيه وكان يتركه برأيهم (فاختلف أهل البيت) أي من كان في البيت عنده من أصحابه وأقاربه (واختصموا فمنهم من يقول قربوا) أي الدواة والقلم (يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم) بالجزم على جواب الامر أي يملي عليكم ما أراد كتابته (ومنهم من يقول ما قال عمر) أي من المنع لشدة الوجع (فلما أكثروا اللغط) بفتحتين أي الصوت الذي لا يفهم معناه ولا يتبين معناه (والاختلاف) أي الموجب للنزاع والخلاف (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا عني) أي فاني تركت قصد الكتابة اعتمادا على ما ثبت عندكم من الكتاب والسنة قال النووي وكان النبي صلى الله عليه وسلم هم بالكتاب حين ظهر له انه مصلحة أو أوحي اليه بذلك ثم ظهر أن المصلحة تركه أو أوحي اليه بذلك ونسخ وأما قول عمر رضي الله عنه حسبكم كتاب الله فقد اتفقوا على انه من دلائل فقهه وفضائله ودقائق نظره وفهمه لانه خشي أن يكتب النبي صلى الله عليه وسلم أمورا ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لكونها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها وأشار بقوله حسبكم كتاب الله الى قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم (قال عبيد الله) أي ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ولد أخي عبد الله بن مسعود وهو أحد الفقهاء السبعة من أهل الحديث سمع ابن عباس وخلقا كثيرا من الصحابة (فكان ابن عباس يقول ان الرزية) بفتح الراء وكسر الزاي بعدها

لن تضلوا بعده فقال عمر قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا عني قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول ان الرزية

بالمساكنة همزة وقد تسهل فتشدد الياء على ما في شرح البخاري أي المصيبة (كل الرزية) أي تمامها وكمالها (ما حال) أي الحال الذي وقع حائلا وصار مانعا (بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم) متعلق بحال وكان ابن عباس مال الى خلاف ما قال عمر ومن تبعه من الصحابة فتدبر قال البيهقي في كتاب دلائل النبوة انما قصد عمر رضي الله عنه بذلك التخفيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غلب الوجع عليه ولو كان مراده صلى الله عليه وسلم أن يكتب ما لا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم لقوله تعالى بلغ ما أنزل اليك من ربك كما لم يترك التبليغ لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه وكما أمر في تلك الحالة باخراج اليهود من جزيرة العرب وغير ذلك يعني مما سيأتي بيانه قال وقد حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله أنه صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ثم ترك ذلك اعتمادا على علمه من تقدير الله تعالى ذلك كما هم بالكتابة في أول مرضه حين قال وارأساه ثم ترك الكتابة وقال يأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر وذلك بسبب استخلافه أبا بكر في الصلاة وقال أيضا وان كان المراد به بيان أحكام الدين ورفع الخلاف فيها فقد علم عمر حصول ذلك من قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وعلم انه لا تقع واقعة الى يوم القيامة الا وفي الكتاب والسنة بيانها نصا أو دلالة وفي تكلف النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه مع شدة وجعه كتابة ذلك مشقة فرأى الاقتصار على ما سبق بيانه تخفيفا عليه ولئلا ينسد باب الاجتهاد على أهل العلم والاستنباط والحاق الفروع بالاصول فرأى عمر رضي الله عنه ان الصواب ترك الكتابة تخفيفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضيلة للمجتهدين وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر دليل على استصواب رأيه وكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه (وفي رواية سليمان بن أبي مسلم الاحول) قال المؤلف هو خال ابن أبي نجيح تابعي من اثبات التابعين وأثبتهم سمع طاوسا وأبا سلمة وروى عنه ابن عيينة وابن جريج وشعبة (قال ابن عباس يوم الخميس) مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف أو عكسه وقوله (وما يوم الخميس) يستعمل عند ارادة تفخيم الامر والشدة والتعجب منه كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة (ثم بكى) أي ابن عباس (حتى بل دمعه الحصى) أي حتى سالت دموعه بلا احصاء ووصلت الى ما في الارض من الحصى ثم بكاؤه يحتمل أن يكون لتذكر وفاته وفقدان حياته صلى الله عليه وسلم بتجدد الحزن عليه أو لفوات ما فات في معتقده من الخير الذي كان يحصل لو كان كتب ذلك الكتاب وهذا هو الاظهر في المقام والانسب فيما أراده من المرام (قلت يا ابن عباس وما يوم الخميس) قال ميرك قائله سعيد بن جبير الراوي عن ابن عباس وظاهر ايراد المصنف يقتضي أن قائله سليمان وليس كذلك وهذا ظاهر من سياق البخاري (قال اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه) أي في ذلك اليوم (فقال ائتوني بكتف اكتب لكم كتابا) بالجزم في جميع النسخ الحاضرة المصححة المقروءة على هذا يشكل جزم قوله (لا تضلوا بعده أبدا) ولعل وجهه أن يكون جوابا لشرط مقدر أي ان كتب لكم وعملتم به لا تضلوا أي لا تصيروا ضالين وفي نسخة لن تضلوا وهو واضح جدا أي لئلا تضلوا أو مخافة أن لا تضلوا (فتنازعوا) أي أمرهم بينهم واختلفوا في رأيهم (ولا ينبغي عند نبي تنازع) قيل هو من جملة الحديث المرفوع ويؤيده ما تقدم في العلم بلفظ ولا ينبغي عندي التنازع ويحتمل أن يكون مدرجا من قول ابن عباس وهو الظاهر المتبادر (فقالوا) أي بعضهم (ما شأنه) أي حاله صلى الله عليه وسلم (أهجر) بفتحات أي اختلف كلامه من جهة المرض على سبيل الاستفهام وفي النهاية أي هل تغير كلامه واختلط لاجل ما به من المرض ولا يجعل اخبارا فيكون من الفحش والهذيان والقائل عمر ولا يظن به ذلك قال الخطابي ولا يجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهم الغلط على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ظن به غير ذلك مما لا يليق بحاله لكنه لما رأى ما غلب عليه صلى الله عليه وسلم من الوجع وقرب الوفاة مع ما غشيه من الكرب خاف أن يكون ذلك القول مما يقوله المريض مما لا عزيمة له فيه فيجد المنافقون بذلك سبيلا الى الكلام في الدين وقد كان أصحابه يراجعونه في بعض الامور قبل أن يجزم فيها كما راجعوه يوم الحديبية في الخلاف وفي

كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم وفي رواية سليمان بن أبي مسلم الاحول قال ابن عباس يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمعه الحصى قلت يا ابن عباس وما يوم الخميس قال اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال ائتوني بكتف اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا ما شأنه أهجر

يبينه و بين قريش فاما اذا أمر بالشئ أمر عزيمة فلا يراجعه فيه أحد منهم ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم وان كان الله تعالى رفع درجته فوق الخلق كلهم لم ينزهه من سمات الحدوث والعوارض البشرية وقد سها فى الصلاة فينبغى أن يتوقف فى مثل هذا حتى يتبين حقيقته فلهذا المعنى وشبهه راجعه عمر رضى الله عنه وفى شرح مسلم قال القاضى عياض أهجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا فى صحيح مسلم وغيره اهجر على الاستفهام وهو أصح من رواية من روى هجر بغير همز لانه لا يصح منه صلى الله عليه وسلم لان معنى هجر هذى وانما جاء هذا من قائله استفهاما للانكار على من قال لا تكتبوا أى لا تتركوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلوه كامر من هجر فى كلامه لانه صلى الله عليه وسلم لا يهجر وان صحت الرواية الاخرى كانت خطأ من قائلها لانه قالها بغير تثبت لما أصابه من الحيرة والدهشة لعظم ماشاهده من النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الحالة الدالة على وفاته وخوف الفتن والضلال بعده انتهى أقول لو صحت الرواية لزم حملها على تقدير الاستفهام كما يدل عليه قوله (استفهموه) بكسر الهاء وفى بعض النسخ بفتحها هذا وفى فتح البارى قوله اهجر بهمزة عند جميع رواة البخارى فى كتاب المغازى وفى رواية فى الجهاد بلفظ قالوا هجر بغير همزة وعند الكشميهنى فقالوا هجر هجر قال القاضى معنى اهجر افحش يقال هجر الرجل اذا هذى وأهجر اذا افحش وتعسف فانه يستلزم سكون الهاء والروايات كلها انما هى بفتحها وقد تكلم القاضى وغيره فى هذا الموضع فلخصه القرطبى تلخيصا حسنا ثم لخصته من كلامه وحاصله أن قوله هجر الراجح فيه اثبات الهمزة الاستفهامية وبفتحات على انه فعل ماض والمراد به هنا ما يقع من كلام المريض مما لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته ووقوع ذلك منه صلى الله عليه وسلم مستحيل لانه معصوم فى صحته ومرضه لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ولقوله صلى الله عليه وسلم انى لا أقول فى الغضب والرضا الا حقا واذا عرفت ذلك فانما قاله من قاله منكرا على من يتوقف فى امتثال أمره باحضار أسباب الكتابة فكأنه قال أتتوقف فى ذلك أتظن انه بتغيره يقول الهذيان فى مرضه امتثل أمره واحضر ما طلبه فانه لا يقول الا الحق وهذا أحسن الاجوبة قال ويحتمل انه قال ذلك عن شك عرض له ولكن يبعد ان لا ينكره الباقون عليه مع كونهم من كبار الصحابة ولو أنكروه انقل ويحتمل ان يكون الذى صدر منه قال ذلك من دهشته وحيرته كما أصاب كثيرا منهم عند موته وقال غيره يحتمل ان قائل ذلك أراد اشتداد وجعه فأطلق اللازم وأراد الملزوم لان الهذيان الذى يقع من المريض ينشأ عن شدة مرضه واشتداد وجعه وقيل قال لارادة سكوت الذين لغطوا ورفعوا أصواتهم عنده فكأنه قال ان ذلك يؤذيه و يفضى فى العادة الى ذلك ويحتمل ان يكون قوله اهجر فعلا ماضيا من الهجر بفتح أوله وسكون ثانيه والمفعول محذوف أى الحياة وذكر بلفظ الماضى مبالغة لما رأى من علامات الموت عليه قلت و يظهر ترجيح ثالث الاحتمالات التى ذكرها القرطبى ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله فى الاسلام اه وأقول هذا بعيد من المرام ومقام الكرام فان مثله لا يكون مع الاصحاب الفخام وعلى التنزل فلا يسكتون عنه من غير زجر ولو بالكلام والله أعلم بحقيقة المرام (فذهبوا) أى فشرع بعض أصحابه (يردون عليه) أى هذا لرأى صريحا بخلاف قول عمر فانه كان تلويحا (فقال دعونى) أى اتركونى (ذرونى) بمعناه تأكيد له والمعنى دعونى من النزاع واللغط الذى شرعتم فيه (فالذى أنا فيه) أى من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه والتفكر فى ذلك ونحوه (خير مما تدعونى اليه) أى أفضل مما أنتم عليه من الاختلاف واللغط قال الخطابى وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اختلاف أمتى رحمة والاختلاف فى الدين ثلاثة أقسام أحدها فى اثبات الصانع ووحدانيته وانكار ذلك كفر وثانيها فى صفاته وانكارها بدعة وثالثها فى أحكام الفروع المحتملة وجوها فهذا جعله الله تعالى رحمة وكرامة للعلماء وقال المازرى ان قيل كيف جاز للصحابة الاختلاف فى هذا الكتاب مع قوله ائتونى أكتب فالجواب ان الاوامر يقارنها قرائن تنقلها من الندب الى الوجوب عند من قال أصلها الندب ومن الوجوب الى الندب عند من قال أصلها الوجوب ولعله ظهر منه صلى الله عليه وسلم من القرائن

استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال دعونى ذرونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى اليه

فأمرهم بثلاث فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قالها فنسيتها قال سفيان هذا من قول سليمان متفق عليه وعن أنس قال قال أبو بكر لعمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق بنا الى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها فلما انتهينا اليها بكت فقالا لها ما يبكيك أما تعلمين ان ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى لا أبكى انى لا أعلم ان ما عند الله تعالى خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أبكى ان الوحى قد انقطع من السماء فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدرى قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ونحن فى المسجد عاصبا رأسه بخرقة حتى أهوى نحو المنبر فاستوى عليه واتبعناه قال والذى نفسى بيده انى لانظر الى الحوض من مقامى هذا ثم قال ان عبدا عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة قال فلم يفطن

مادل على الالزام وجب ذلك عليهم بل جعله الى اختيارهم فاختلف اختيارهم بحسب اجتهادهم وهو دليل على رجوعهم الى الاجتهاد فى الشرعيات وأدى اجتهاد عمر رضى الله عنه الى الامتناع ولعله اعتقد ان ذلك صدر منه صلى الله عليه وسلم من غير قصد جازم وكان هذا قرينة فى ارادة عدم الوجوب والله أعلم (وأمرهم بثلاث) أى خصال (فقال) تفسير لما قبله (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) مر بيانه فى باب اخراج اليهود من جزيرة العرب (وأجيزوا الوفد) أى أكرموا الوافدين عليكم والواصلين اليكم من حواليكم وأعطوهم الجائزة والعطية فيما لديكم (بنحو ما كنت أجيزهم) أى كمية وكيفية والتمييز فيما بينهم بحسب ما يليق بهم قال النووى أمر صلى الله عليه وسلم باكرام الوفود وضيافتهم تطييبا لنفوسهم وترغيبا لغيرهم من المؤلفة وقالوا سواء كان الوفد مسلمين أو كفارا لان الكافر انما يفد غالبا فيما يتعلق بمصالحنا ومصالحه (وسكت) أى ابن عباس (عن الثالثة) أى نسيانا منه أو اقتصارا (أو قالها) أى ذكرها (فنسيتها) وفى نسخة بضم النون وتشديد السين (قال سفيان) الظاهر انه ابن عيينة (هذا) أى قوله سكت (من قول سليمان) أى الاحول قال النووى الساكت هو ابن عباس والناسى سعيد بن جبير قال مهلب والثالثة تجهيز جيش أسامة وقال القاضى عياض ويحتمل انه قوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبرى وثنا يعبد (متفق عليه وعن أنس قال قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما) بصيغتى التثنية لجلالتهما أو لكونه من مقول أنس وفى نسخة عنهم بصيغة الجمع لهم ولانس (بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق بنا الى أم أيمن) هى أم أسامة ابن زيد بن حارثة كانت مولاة النبى صلى الله عليه وسلم فزوجها زيدا واسمها بركة وهى حاضنة النبى صلى الله عليه وسلم ورثها النبى صلى الله عليه وسلم عن أبيه عبد الله وكانت تسقى الماء وتداوى الجرحى وكانت من الحبشة وتوفيت بعد عمر بعشرين يوما وأما زيد فلكته خديجة الكبرى فاستوهبه صلى الله عليه وسلم فوهبته له فاعتقه صلى الله عليه وسلم كذا ذكره بعض المحققين ولم يذكر المؤلف أم أيمن فى أسمائه (نزورها كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها) استئناف بيان كأنه قيل لم ننطلق اليها فأجيب نزورها لانها مستحقة لذلك فهو أتم بلاغة من ان لو قيل نزورها حسب ما اقتضاه تعظيم المزور (فلما انتهينا) أى أتينا الشيخان وهو كذا بصيغة المتكلم فى نسخ صحيح مسلم وفى بعض نسخ المشكاة فلما انتهيا بصيغة التثنية أى وصل أبو بكر وعمر (اليها بكت فقالا لها ما يبكيك أما تعلمين ان ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى لا أبكى انى لا أعلم) بفتح الهمز على انه مفعول له لقوله لا أبكى والمعنى لا أبكى لانى لا أعلم (ان ما عند الله تعالى خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم) أى لان هذا أمر ظاهر وظهوره باهر (ولكن أبكى ان) أى لان (الوحى) أى بالاحكام الالهية السماوية (قد انقطع من السماء فهيجتهما) بتشديد الياء أى حملتهما (على البكاء فجعلا يبكيان معها) والبكاء بهذا المعنى لا ينقطع الى آخر الدنيا (رواه مسلم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ونحن فى المسجد) حال من المفعول وهو قوله علينا (عاصبا رأسه) حال من ضمير فاعل خرج أى رابطا رأسه (بخرقة) أى عصابة (حتى) غاية لخرج أى الى أن (أهوى) أى قصد (نحو المنبر) أى الى جهته (فاستوى عليه واتبعناه) بهمزة قطع واسكان تاء وفى نسخة بهمز وصل وتشديد تاء أى لحقناه وتبعناه بان قعدنا تحت المنبر مقابليه ومتوجها اليه صلى الله عليه وسلم (قال) أى بعد الحمد والثناء (والذى نفسى بيده انى لانظر الى الحوض) أى الكوثر (من مقامى هذا) الماورد من قوله ومنبرى على حوضى وقد سبق بيانه وتحقيق شانه (ثم قال ان عبدا) أى عظيما وعند الله وجيها كريما (عرضت عليه الدنيا وزينتها) أى الفانية (فاختار الآخرة) أى ونعمتها الباقية وقد قال بعض العارفين لو خير العاقل بين قدحين أحدهما خزف باق والآخر ذهب فان اختار الخزف الباقى على الذهب الفانى فكيف والامر بالعكس فان الآخرة ذهب باق والدنيا خزف فان كما أشار اليه سبحانه بقوله والآخرة خير وأبقى (فلم يفطن) بفتح الطاء ويضم من بابى فرح ونصر على ما فى المصباح وفى القاموس فطن به واليه وله كفرح ونصر

وكرم فتبين ان ما فى بعض النسخ من كسر الطاء سهو وثم نشأ من قلة فطانة الكاتب والمعنى لم يتفطن (لها) أى لهذه النكتة والوفاة ولم يفهمها (أحد غير أبى بكر) بالرفع على البدلية وبنصب أى الا أبا بكر فانه عرفها (فذرفت عيناه) أى سالت دموع أبى بكر (فبكى ثم قال بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا) أى عبيدنا واماءنا وغيرهما لو كان جاز الفداء بشئ منها أو بجميعها (قال) أى أبو سعيد (ثم هبط) أى نزل (عن المنبر فما قام عليه حتى الساعة) أى الى الآن قال الطيبى حتى هى الجارة والمراد بالساعة القيامة يعنى فما قام عليه بعد ذلك فى حياته (رواه الدارمى وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح) أى الى آخر السورة المشيرة الى حصول الكمال المستعقب للزوال فكأنه قال اذ صحت نصرتك فاشتغل بخدمتك من تنزيه ربك وشكر نعمتك فقد تم المقصود من بعثتك (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة) أى طلبها (قال) استئناف بيان أو حال (نعيت الى نفسى) بصيغة المجهول المؤنث أى أخبرت بانى أموت قال الطيبى ضمن نعى معنى الانهاء وعدى بالى أى أنهى الى نعى نفسى كما تقول أحمد اليك فلانا يقال نعى الميت ينعاه اذا أذاع موته وأخبر به ولعل السر فى ذلك انه تعالى رتب قوله فسبح بحمد ربك على مجموع قوله اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فهو أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بخاصة نفسه من الثناء على الله بصفات الجلال حامدا له على ما أولى من النعم بصفات الاكرام وهى بذل المجهود فيما كلف به من تبليغ الرسالة ومجاهدة أعداء الدين وبالاقبال على العبادة والتقوى والتأهب للمسير الى المقامات العليا واللحوق بالرفيق الاعلى (فبكت) أى فاطمة رضى الله عنها حزنا على قرب فراقه (قال لا تبكى فانك أول أهلى لاحق بى فضحكت) أى فرحا بسرعة وصاله (فرآها بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم) يراد بها عائشة رضى الله عنها وجمعها فى قوله (فقلن) تعظيما لشأنها اذ كره الطيبى ولا يبعد مشاركة غيرها معها فيما رأته وهو الظاهر من قوله بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم مع قوله فقلن (يا فاطمة رأيناك بكيت ثم ضحكت) ولعلهن كن فى مكان متأخر عنها أو تسار النبى صلى الله عليه وسلم معها كما هو مصرح فى رواية أخرى حيث امتنعت عن الجواب حينئذ ثم أخبرت بعد موته عليه السلام (فقالت) والنسخة الصحيحة قالت (انه أخبرنى انه قد نعيت اليه نفسه فبكيت فقال لا تبكى فانك أول أهلى لاحق بى فضحكت) قال الاكمل والصحيح انها عاشت بعده ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل ثلاثة أشهر وقيل شهرين وقيل سبعين يوما (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن) عطف على جاء نصر الله وتفسير لقوله تعالى ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ايذانا بان المراد بالناس هم أهل اليمن (هم أرق أفئدة) أى أرحم قلوبا وألين صدورا (والايمان يمان) أى يمنى والالف عوض عن ياء النسبة قيل انما قال ذلك لان الايمان بدئ من مكة وهى تهامة وتهامة من أرض اليمن ولذا يقال الكعبة اليمانية وقيل انه قال هذا القول وهو بتبوك ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن فأشار الى ناحية اليمن وهو يريد مكة وقال أبو عبيد المراد بهم الانصار لانهم يمانيون فى الاصل فنسب الايمان اليهم لكونهم انصاره وقال الشيخ أبو عمرو بل المراد به أهل اليمن كما هو الظاهر ونسب الايمان اليهم اشعارا بكماله فيهم لان من اتصف بشئ وقوى قيامه به نسب ذلك الشئ اليه لا أن فى ذلك نفيا له عن غيره فلا منافاة بينه وبين قوله صلى الله عليه وسلم الايمان فى أهل الحجاز ثم المراد بهم الموجودون فى ذلك الزمان لا كل أهل اليمن فى جميع الاحيان (والحكمة) وهى عبارة عن اتقان العلم والعمل وقيل الاصابة فى القول والفعل وهما متقاربان قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وقال الطيبى الحكمة كل كلمة صالحة تمنع صاحبها عن الوقوع فى المهالك (يمانية) بتخفيف الياء وكذلك الالف فيه عوض وحكى المبرد وغيره ان التشديد لغة (رواه الدارمى) وفى الجامع الصغير الايمان يمان رواه الشيخان عن ابن مسعود وروى ابن عدى فى الكامل وأبو نعيم فى الحلية عن أنس الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى تجلسه

لها أحد غير أبى بكر فذرفت عيناه فبكى ثم قال بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا يا رسول الله قال ثم هبط فما قام عليه حتى الساعة رواه الدارمى وعن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة قال نعيت الى نفسى فبكت قال لا تبكى فانك أول أهلى لاحق بى فضحكت فرآها بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فقلن يا فاطمة رأيناك بكيت ثم ضحكت قالت انه أخبرنى انه قد نعيت اليه نفسه فبكيت فقال لى لا تبكى فانك أول أهلى لاحق بى فضحكت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن هم أرق أفئدة والايمان يمان والحكمة يمانية رواه الدارمى

مع البي الملك وفي رواية لابن عدي وابن لال عن أبي هريرة الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في العزلة وواحد في الصمت (وعن عائشة انها قالت) أي لشدة صداع بها (وارأساه) ندبت رأسها وأشارت الى الموت (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك) بكسر الكاف اشارة الى ما يستلزمه المرض من الموت (لو كان) أي ان حصل ذلك أي موتك (وأنا حي) أي والحال اني حي (فاستغفر لك) أي لمحو سيئاتك (وادعو لك) أي لرفع درجتك (فقالت عائشة واثكلياه) الثكل بالضم ويحرك على ما في القاموس الموت والهلاك وفقدان الحبيب أو الولد وقال غيره الثكل فقد الولد أو من يعز على الفاقد وليست حقيقة هنا مرادة هنا بل هو كلام يجري على ألسنتهم عند المصيبة (والله اني لاظنك) أي أحسبك (تحب موتي فلو كان ذلك) أي لو حصل موتي في يوم (لظللت) بكسر اللام أي صرت في ذلك النهار (آخر يومك معرسا) بضم ميم وسكون عين وكسر وفي نسخة بتشديد الراء أي عريسا (ببعض أزواجك) والمعنى ان فقدتني وعشت بعدي تزوجت أخرى ونسيتني سريعا يقال عرس وأعرس اذا بنى على زوجته ثم استعمل في كل جماع ذكره ابن حجر وفي النهاية التعريس نزول آخر الليل يقال منه عرس وأعرس وأعرس الرجل فهو معرس بنى بامرأته ولا يقال عرس وفي العباب ومن أعرس اتخذ عرسا وبأهله بنى عليها والقوم نزلوا في آخر الليل للاستراحة كعرسوا وهذا أكثر (فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه) بل للاضراب أي دعي ما تجدين من وجع رأسك واشتغلي بي فانه أهم من أمرك وفي توافق محنتهما ايماء الى كمال محبتهما على وفق خروج الدم من بدن المجنون الحاجم وقت افتصاد ليلى (لقد هممت) أي قصدت (أو أردت) شك من الراوي (ان أرسل الى أبي بكر وابنه) أي عبد الرحمن (وأعهد) أي أوصي أبا بكر بالخلافة بعدي واجعله ولي عهدي (ان يقول القائلون) أي لئلا يقول القائلون أو مخافة ان يقول القائلون لم يعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر الخلافة الكبرى وانما اقتصر على الخلافة الصغرى وهي الامامة مع ان فيها الاشارة الى اقامة تلك الامانة (أو يتمنى المتمنون) أي الخلافة لغيره من أنفسهم أو لغيرهم فأو للتنويع لا للشك وقال ابن الملك أي كراهة ان يقول قائل أنا أحق منه بالخلافة أو يتمنى أحد ان يكون الخليفة غيره وقال الطيبي ان يقول مفعول له على تقدير محذوف أي اجعل أبا بكر ولي عهدي كراهة ان يقول الخ وأنت تعرف ان الفعل المعلل مذكور وهو أعهد والعله محذوف في أصل الطيبي والله أعلم (ثم قلت) أي في الخاطر وفي الظاهر (يأبى الله) أي الا خلافته (ويدفع المؤمنون) أي غير خلافة أبي بكر (أو يدفع الله) شك من الراوي (ويأبى المؤمنون) أي أيضا لاستخلافي اياه في الامامة الصغرى فانها أمارة الامارة الكبرى كما فهم بعض كبراء الصحابة حيث قال عند المنازعة اختاره صلى الله عليه وسلم لامر ديننا أفلا نختاره لامور دنيانا فهذا برهان جلي وتبيان على عند كل ولي ثم في قوله ويأبى الله والمؤمنون اشارة الى تكفير من أنكر حقية خلافة الصديق اللهم الا ان يقال المراد بالمؤمنين أكثرهم ففيه اثبات حجة الفتهم بجمهور المسلمين وقال ابن الملك أي تركت الايصاء اعتمادا على ان الله تعالى يأبى كون غيره خليفة ويدفع المؤمنون غيره وفيه فضيلة لابي بكر واخبار بما سيقع فكان كما قال (رواه البخاري وعنها) أي عن عائشة (قالت رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة) أي من أجل جنازة فهو مفعول له (من البقيع) متعلق برجع (فوجدني وأنا أجد صداعا) بضم أوله أي فصادفني والحال أني أحس وجع رأسي (وأنا أقول وارأساه قال بل أنا يا عائشة وارأساه قال وما ضرك لو مت قبلي) بضم الميم وكسرها (فغسلتك) بالتخفيف (وكفنتك) بالتشديد (وصليت عليك ودفنتك) ومعناه ان موتها في حياته خير من حياتها بعد مماته (قالت لكأني بك) أي والله لكأني ... جواب قسم محذوف والمذكور ... بين الحال ... المعنى والله ... (لو فعلت ذلك) أي ما ذكر من الغسل وغيره (لرجعت الى بيتي) أي ... (فعرست فيه ببعض نسائك) بتشديد الراء وفي الصحاح أعرس الرجل بأهله اذا بنى بها ولا تقل

وعن عائشة انها قالت وارأساه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وأنا حي فاستغفر لك وادعو لك فقالت عائشة واثكلياه والله اني لاظنك تحب موتي فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض أزواجك فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه لقد هممت أو أردت ان أرسل الى أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون رواه البخاري وعنها قالت رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعا وأنا أقول وارأساه قال بل أنا يا عائشة وارأساه قال وما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك قالت لكأني بك والله لو فعلت ذلك لرجعت الى بيتي فعرست فيه ببعض نسائك

لتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بدئ في وجعه الذي مات فيه رواه الدارمي وعن جعفر بن محمد (٥٠٣) عن أبيه أن رجلا من قريش دخل على أبيه على بن الحسين فقال ألا أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى حدثنا عن أبي القاسم صلى الله عليه وسلم قال لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ان الله أرسلني اليك تكريما لك وتشريفا لك خاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك قال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا ثم جاءه اليوم الثاني فقال له ذلك فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما رد أول يوم ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم ورد عليه كما رد عليه وجاء معه ملك يقال له اسمعيل على مائة ألف ملك كل ملك على مائة ألف ملك فاستأذن عليه فسأله عنه ثم قال جبريل هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك فقال ائذن له فأذن له فسلم عليه ثم قال يا محمد ان الله أرسلني اليك فان أمرتني أن أقبض روحك قبضت وان أمرتني أن أتركه تركته فقال وتفعل يا ملك الموت قال نعم بذلك أمرت وأمرت أن أطيعك قال فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك

عرس والعامة تقوله اه والحديث حجة على اللغويين اللهم الا أن يراد بالعرس هنا النزول الا دم أي أحدى آخر الليل أو مطلقا على سبيل التجريد ويكون كناية عن الجماع أو يجعل من باب الاستعارة التبعية (فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي لما بدل عبارتها على كمال غيرتها حتى بعد وفاتها (ثم بدئ) بصيغة المجهول أي شرع (في وجعه الذي مات فيه رواه الدارمي وعن جعفر) أي الصادق (ابن محمد) الباقر (عن أبيه) أي محمد (أن رجلا من قريش دخل على أبيه) أي أبي محمد (على بن الحسين) بدل أو بيان لابيه والمراد به زين العابدين (فقال) أي على بن الحسين رضي الله عنهم (ألا أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) أي الرجل (بلى حدثنا عن أبي القاسم صلى الله عليه وسلم قال) أي على بن الحسين مرسلا فانه من أجلاء التابعين (لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل) أي للعيادة والرسالة (فقال يا محمد ان الله أرسلني اليك تكريما لك وتشريفا لك) أي تعظيما (خاصة لك) أي في قوله (يسألك) أي الله سبحانه (عما هو أعلم به منك) أي فانه أقرب الى المريد من حبل الوريد (يقول كيف تجدك) أي من الاحوال (قال أجدني يا جبريل مغموما) أي مهموما (وأجدني يا جبريل مكروبا) أي محزونا وانما أشكو بثي وحزني الى الله وأقول في كل حال الحمد لله (ثم جاءه اليوم الثاني) أي جبريل (فقال له ذلك) أي ما سبق من السؤال (فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم كما رد أول يوم) أي من بيان الحال (ثم جاءه اليوم الثالث فقال له كما قال أول يوم) أي أسبقه حقيقة أو اضافة (ورد عليه كما رد عليه) أي فيما تقدم (وجاء معه ملك) أي في هذا اليوم أو يوما آخر (يقال له اسمعيل على مائة ألف ملك) أي حاكم (كل ملك على مائة ألف ملك) أي أمير (فاستأذن عليه) أي بالدخول (فسأله) أي جبريل (عنه ثم قال) أي نقلا أو عقلا كامل قال (جبريل هذا ملك الموت يستأذن عليك) أي بالدخول (ما استأذن على آدمي قبلك) أي من الانبياء (ولا يستأذن على آدمي بعدك) أي من الاولياء بالاولى (فقال) أي لجبريل (ائذن له فأذن له فسلم عليه) أي فرد عليه (ثم قال يا محمد ان الله أرسلني اليك) أي حتى أعرض الامر عليك (فان أمرتني أن أقبض روحك قبضت وان أمرتني أن أتركه تركته) والروح يذكر ويؤنث وفي نسخة بترك الضمير (فقال وتفعل) أي أو تفعل مأموري (يا ملك الموت قال نعم بذلك) أي تخييرك (أمرت وأمرت أن أطيعك) أي فيما اخترت به وهذا أولى من قول الطيبي قوله وأمرت عطف على قوله بذلك أمرت أي بقبض روحك من اعطاف الخصص للمعطوف عليه (قال) أي على ابن الحسين (فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام) أي كالمستشير اليه (فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك) أي والا لما أرسل الى موجب عنايتك (فقال النبي صلى الله عليه وسلم لملك الموت امض) بكسر همز الوصل والضاد أي انفذ (لما أمرت به) ولا تتوقف فيه قال الطيبي والى ههنا ذكره ابن الجوزي في كتاب الوفاء وذكر بعده فقال جبريل عليه السلام السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئ الارض انما كنت حاجتي في الدنيا فقبض روحه انا لله وانا اليه راجعون (فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية) أي من كل ناحية البيت (سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله) أي في كتابه (عزاء) بفتح العين أي تسلية (من كل مصيبة) اشارة الى قوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة وفي ثوابه عوض من كل محنة وبلية قال صاحب النهاية وفي الحديث من لم يتعز بعزاء الله قيل أراد بالتعزي في هذا الحديث التسلي والتصبر عند المصيبة وأن يقول انا لله وانا اليه راجعون قال الطيبي فعلى هذا يجوز أن يقدر مضاف في قوله في الله أي ان في لقاء الله تعالى تسليا وتصبرا من كل مصيبة وأن يراد أن في الله تسلية على التجريد أي الله معز ومسل نحو قوله وفي الرحمن للضعفاء كاف ويؤيده القرينتان بعده قوله (وخلفا) بفتحتين أي عوضا (من كل هالك ودركا) بفتح الدال والراء أي تداركا (من كل فائت) وما أحسن من قال من أرباب الحال شعر

لكل شئ اذا فارقته خلف * وليس لله ان فارقت من عوض

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لملك الموت امض لما أمرت به فقبض روحه فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ان في الله

(فبالله) أى فاذا كان الامر كذلك فبعونه وحوله وقوته (فاتقوا) أى الجزع ولفزع اشارة الى قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وفى بعض النسخ موافقا لما فى الحصن الحصين فثقوا بكسر المثلثة وتخفيف القاف المضمومة أى فاعتمدوا به ايماء الى قوله تعالى وتوكل على الحى الذى لا يموت (واياه فارجوا) أى لا ترجوا سواه فانه لا اله الا الله أو من عنده فارجوا الثواب (فانما المصاب) أى فى الحقيقة (من حرم الثواب) بصيغة المفعول أى من منع المثوبة بسبب قلة الصبر فى قضية المصيبة والصبر المعتبر عند المولى هو الذى يكون عند الصدمة الاولى هذا وقال الطيبى الفاء فى قوله فبالله جواب للشرط و بالله حال قدمت على عاملها اختصاصا كما فى قوله تعالى فاياى فاعبدون أى اذا كان الله معزيا ومخلفا واخلصوه بالتقوى مستعينين به والفاء فى فاتقوا وردت لتأكيد الربط وكذا فى قوله فارجعوا وتقديم المعمول ليس لارادة التخصيص بل التعادل به القرينة فى اقتران الفاء قلت لا منافاة بين ارادة الاختصاص المفيد للاخلاص وحصول التعادل بين اقتران التماثل (فقال على) أى زين العابدين أو على بن أبى طالب (أتدرون من هذا) أى صاحب الصوت (هذا هو الخضر عليه السلام) بفتح الخاء وكسر الضاد وقيل بكسر وسكون وفى تهذيب الاسماء يجوز اسكان الضاد مع فتح الخاء وكسرها قال الطيبى وفيه دلالة بينة على ان الخضر عليه السلام حى موجود (رواه البيهقى) أى الحديث بكماله (فى دلائل النبوة) وقد علمت ان صدر الحديث الى قوله فلما توفى ذكره ابن الجوزى فى كتاب الوفاء واما ما بعده فقد ذكره ابن الجزرى فى الحصن ولفظه ولما توفى صلى الله عليه وسلم عزتهم الملائكة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ان فى الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه الحاكم فى مستدركه عن جابر ثم قال ودخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت الى الصحابة فقال ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا واليه فارغبوا ونظره اليكم فى البلاء فانظروا فانما المصاب من لم يجبر وانصرف فقال أبو بكر وعلى هذا الخضر عليه السلام رواه فى المستدرك من حديث أنس قال مبرك وليس بصحيح وقال العسقلانى هذا الحديث واهى الاسناد أى ضعيف جدا وص هذا السند لكن اذا انضم الى غيره يتقوى و يترقى الى درجة الحسن فاندفع ما قال الحضرمى فى حاشية المشكاة من أن هذا الحديث موضوع رواه عبد الله بن محرز عن يزيد الاصم عن زين العابدين وابن محرز متروك كما فى مقدمة مسلم اه ولا يخفى أنه لا يستلزم من كون أحد الرواة متروكا كون الحديث موضوعا لاسيما اذا جاء الحديث من طريق آخر وتعدد طرقه ولا يشك فى كونه ثابتا ولا يضر عدم كونه صحيحا اذ لا يتعلق به حكم شرعى مع أن أكثر الاحكام انما ثبت بالاحاديث الحسان لقلة الصحاح حيث لا معارض والله أعلم

(باب) بالرفع والاسكان

(الفصل الاول)* (عن عائشة قالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا أوصى بشئ) قال النووى وفى رواية أخرى ذكروا عند عائشة رضى الله عنها أن عليا رضى الله عنه كان وصيا فقالت متى أوصى اليه وقد كنت مسندته حتى مات فمتى أوصى ومعنى ولا أوصى بشئ اى لا أوصى بثلث ماله ولا غيره اذ لم يكن له مال ولا أوصى الى على ولا الى غيره خلاف ما زعمه الشيعة وأما الاحاديث الصحيحة فى وصيته صلى الله عليه وسلم بكتاب الله ووصيته لاهل البيت واخراج اليهود من جزيرة العرب واجازة الوفد فليست مرادة بقولها ولا أوصى وأما الارض التى كانت له صلى الله عليه وسلم بخيبر وفدك فقد سبلها صلى الله عليه وسلم فى حياته وجعلها صدقة للمسلمين (رواه مسلم) وكذا الترمذى فى الشمائل الا قولها ولا أوصى بشئ ثم قال رزين الحبشى الراوى عن عائشة وأشك فى العبد والامة وسيأتى نفيهما أيضا وأما ما حكى بعض أهل السير من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له ابل كثيرة وكان له عشرون ناقة لقاحا ترعى فى نواحى المدينة ويقوتون بألبانها فى كل ليلة وكان له سبع شياه يشربون ألبانها وكان له سبعة معز يشربون من ألبانها ولا يصلح

فبالله فاتقوا واياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب فقال على أتدرون من هذا هو الخضر عليه السلام رواه البيهقى فى دلائل النبوة

(باب)

(الفصل الاول) عن عائشة قالت ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ولا أوصى بشئ رواه مسلم

لمعارضة هذا الحديث الصحيح ولو صح لحمل على أنها كانت من ابل الصدقة وكان أصحابه الفقراء من أهل الصفة وغيرهم يشربون من ألبانها (وعن عمرو بن الحرث) أي الخزاعي له صحبة على ما في الشمائل (أخي جويرية) بالتصغير احدى أمهات المؤمنين (قال ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة) أي في الرق ففيه دلالة على أن ما ذكر من رقيق النبي صلى الله عليه وسلم في جميع الاخبار كان اما مات واما أعتقه (ولا شيأ) تعميم بعد تخصيص (الا بغلته البيضاء) أي التي كان يختص بركوبها (وسلاحه) أي الذي كان يختص بلبسه من نحو سيف ورمح ودرع ومغفر وحربة ولعل هذا الحصر اضافي مبني على عدم اعتبار أشياء أخر مثل الاثواب وأمتعة البيت والا فقد ثبت انه ترك أثوابا وغيرها قد بينت في موضعها ولعل حكمة سكوت الراوي عن ذكرها كونها محقرة بالنسبة للمذكورات (وأرضا جعلها صدقة) قال شارح الضمير المفعول لما ذكر من البغلة والسلاح والارض والظاهر المتبادر انه للارض قال العسقلاني أي تصدق بمنفعة الارض فصار حكمها حكم الوقف والمعنى انه جعلها في حياته صدقة جارية باقية الى قيامها فيدوم ثواب الصدقة بدوامها فلا ينافي ان ما عداها من أملاكه بنفس الموت تصير صدقة كما لا يخفى قال العلامة الكرماني في شرح البخاري هي نصف أرض فدك وثلث أرض وادي القرى وسهمه من خمس خيبر وحصة من أرض بني النضير وضمير جعلها راجع الى كل الثلاثة لا الى الارض فقط فانه صلى الله عليه وسلم قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة اه وسيأتي تحقيقه (رواه البخاري وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقسم ورثتي دينارا) بتأنيث الفعل ورفعه فهو اخبار حقيقة ومعناه ليس تقسم ورثتي بعد موتي دينارا اذ لست أخلف بعد موتي دينارا أملكه فيقتسمون ذلك ويحتمل أن يكون اخبارا في الصورة ونهيا في المعنى فهو أبلغ من النهي الصريح قال الطيبي ويجوز أن يكون بمعنى النهي فهو على منوال قوله

على لاحب لا يهتدى بمناره أي لا دينار هناك فيقسم اه وفي نسخة بالتذكير وفي أخرى بالجزم وفي بعض النسخ لا تقتسم من الاقتسام مرفوعا ومجزوما قال ميرك هو باسكان الميم على النهي وبضمها على النفي وهو الاشهر وبه يستقيم المعنى حتى لا يعارض ما ثبت انه صلى الله عليه وسلم لم يترك مالا يورث عنه وتوجيه رواية النهي انه لم يقطع بانه لا يخلف شيأ بل كان ذلك محتملا فنهاهم عن قسمة ما يخلف ان اتفق انه خلفه ذكره العسقلاني وقال ابن حجر في شرح الشمائل رواية مسلم لا يقتسم وهو نفي لا نهي لان المنهي عنه شرطه الامكان وارث النبي غير ممكن فتمحض للاخبار بانهم لا يقتسمون شيأ لانه لا يورث اه وفيه أن الشرط هو الامكان العقلي وهو متصور لا الامكان الشرعي لئلا يتعارضا ثم قوله ورثتي أي بالقوة والا فحيث لا قسمة فلا ورثة قال ابن حجر أي من يصلح وارثي لو أمكنت وقال ميرك هم ورثته باعتبار انهم كذلك بالقوة لكن منعوا من الميراث بالدليل الشرعي وهو قوله لا نورث ثم بين سببه وعلته مستأنفا (ما تركت) ما موصولة مبتدأ وتركت صلته والعائد محذوف أي الذي تركته (بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة) والفاء لتضمين المبتدأ معنى الشرط كقولهم الذي يأتيني فله درهم وهو ضمير الفصل يفيد التوكيد والتأبيد وفي شرح السنة قال سفيان بن عيينة كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في معنى المعتدات اذ كن لا يجوز لهن أن ينكحن أبدا فجرت لهن النفقة وقوله ومؤنة عاملي أراد بالعامل الخليفة بعده وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ نفقة أهله من الصفايا التي كانت له من أموال بني النضير وفدك ويصرف الباقي في مصالح المسلمين ثم وليها أبو بكر ثم عمر كذلك فلما صارت الى عثمان استغنى عنها بماله فأقطعها مروان وغيره من أقاربه فلم يزل في أيديهم حتى ردها عمر بن عبد العزيز وقال شارح من علمائنا يريد بما تركه من اموال الفيء التي كان يتصرف فيها تصرف الملاك ولم يكن ذلك لغيره وقوله بعد نفقة نسائه لان نفقة نسائه بعده كانت تتعلق بحياة كل واحدة منهن لكونهن محبوسات عن النكاح في الله وفي رسوله وبقي حكم نكاح النبي صلى الله عليه وسلم باقيا مدة بقائهن فوجب لهن النفقة من مال الفيء وجوب نفقة النساء على أزواجهن

وعن عمرو بن الحرث أخي جويرية قال ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيأ الا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة رواه البخاري وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقتسم ورثتي دينارا ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة

والحاصل انه ليس معنى نفقة نسائه ارثهن منه بل لكونهن محبوسات وممنوعات عن الازواج بسببه فهن فى حكم المعتدات مادامت حياتهن وقيل لا عدة عليهن لانه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره وكذلك سائر الانبياء فعلى هذا الاشكال فى نفقة النساء وقال بعضهم لعظم حقوقهن وقدم هجرتهن وكونهن أمهات المؤمنين ولذلك اختصصن بمساكنهن ولم يرثها ورثتهن قال الشارح وأما نفقة عامله مما يتعلق بعامل ذلك وهو العامل الذى استعمله على مال الفىء فاستحق العمالة بقدر عمله ولم يكن أخذها فاستثناها من مال الفىء اه ولفظ الحديث ومؤنة عاملى ففى شرح المشارق المؤنة الثقل فعولة من مأنت القوم أى احتملت مؤنتهم وفى الصحاح المؤنة تهمز ولا تهمز وقال الفراء مفعلة من الاين وهو التعب والشدة وقيل هى مفعلة من الاون وهو الخرج والعدل لانها ثقل على الانسان اه وفى الحديث المعونة تأتى على قدر المؤنة وقال بعض المحققين اختلف فى المراد بقوله مؤنة عاملى فقيل الخليفة بعده وهذا هو المعتمد وقيل يريد بذلك العامل على النخل والقيم على الارض وبه جزم الطبرى وابن بطال وأبعد من قال المراد بعامله حافر قبره عليه الصلاة والسلام وقال ابن دحية فى الخصائص المراد بعامله خادمه العامل على الصدقة وقيل العامل فيها كالاجير واستدل به على أجرة القسام وقيل كل عامل للمسلمين اذ هو عامل له ونائب عنه فى أمته (متفق عليه) ورواه الترمذى فى الشمائل بزيادة ولا درهما فقيل فائدة التقييد بهما التنبيه على أن ما فوقهما بذلك أولى وهذا الحكم عام فى الانبياء لورود الحديث الآتى لا نورث ما تركنا صدقة يعنى لا نورث نحن معاشر الانبياء فاما من جملة الفقراء ومن شرط الفقير عند الصوفية أنه لا يملك فما فى يده أمانة أو وقف أو صدقة وحاصل الحديث ما ميراثنا الا واقع ومنحصر فى صرف أحوال الفقراء والمساكين كما جاء فى حديث آخر ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يورث انما ميراثه فى فقراء المسلمين والمساكين وقيل لئلا يفرح أحد بموته من ورثته من حيثية أخذ تركته وخالف الحسن البصرى فى المسئلة العامة وقال هذا الحكم مختص بنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى يرثنى ويرث من آل يعقوب وقال وهى وراثة مال لا نبوة والا لم يقل وانى خفت الموالى من ورائى اذ لا يخافهم على النبوة وصوب الجمهور خلاف قوله لخبر النسائى انا معاشر الانبياء لا نورث والمراد فى الآية وراثة النبوة دون حقيقة الارث بل قيامه مقامه وحلوله مكانه وعلى هذا فانما خاف من استيلاء الموالى على مرتبته الظاهرة بالقهر والقوة والغلبة هذا وقال الباجى أجمع أهل السنة ان هذا حكم جميع الانبياء وقال ابن علية ان ذلك لنبينا عليه الصلاة والسلام وقالت الامامية ان جميع الانبياء يورثون ذكره السيوطى (وعن أبى بكر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث) بسكون الواو وفتح الراء اى نحن معاشر الانبياء لا نورث قال الطيبى اى لا يورث منا فحذف الجار فاستتر ضمير الجمع فى الفعل فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم اه وهذا بناء على انه لا يتعدى بنفسه وجعله بعض اللغويين متعديا بنفسه وبمن فلا خلاف ولا تحويل عن الاسناد وكذا حققه الاستاذ ولانا عبد الله السندى رحمه الله وقد جاء اللغتان فى التنزيل يرثنى ويرث من آل يعقوب وفى القاموس ورث أباه ومنه بكسر الراء يرثه كيعده وأورثه جعله من ورثته وحكى نورث على صيغة المعلوم وكذا ضبط فى نسخة اى لا نترك مالا ميراثا لاحد قال المغرب ورث أباه مالا يرثه وارثه فهو وارث والاب والمال كلاهما موروث ومنه انا معاشر الانبياء لا نورث وكسر الراء خطأ دراية اه وبه اندفع زعم من قال انه هو الاظهر والمعنى انه ليس بخطأ دراية لو صحت رواية لما قدمناه فى المعنى المستفاد من القاموس (ما تركناه) الضمير راجع الى ما الموصولة (صدقة) بالرفع جملة مستأنفة كأنه لما قيل لا نورث فقيل ما تفعلون بتركتكم فاجيب ما تركناه صدقة ذكره الطيبى ويروى صدقة بالنصب وهو كذلك فى نسخة اى ما تركناه مبذول صدقة فحذف الخبر وبقى الحال كالعوض ونظيره قوله تعالى ونحن عصبة بالنصب فى قراءة شاذة وأما قول الشيعة ان ما نافية وصدقة مفعول تركنا فبهتان وزور ويرده وجود الضمير فى تركناه فى أكثر الروايات ووجوده صدقة فى بعضها ومراغم بعض

متفق عليه وعن أبى بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركناه صدقة

الاحاديث كقوله انا معاشر الانبياء لا نورث لما يلزم من التناقض بين السابق واللاحق والله الموفق للصادق وأما ما جاء في رواية ما تركنا صدقة من غير ضمير فهو كما قال المالكي ان ما في ما تركنا موصولة مبتدأ وتركنا صلة والعائد محذوف وصدقة خبر وبه يحصل الجمع رواية ودراية (متفق عليه وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله اذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا) بفتحتين فيهما والثاني تفسير لاولهما أي سابقا ومقدما وشفيعا (بين يديها) أي قدامها حين مات راضيا عنها (واذا أراد) اي الله (هلكة) بفتحتين اي هلاكها (عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر) اي اليها أو لي قدرة خالقها (فأقر) أي الله (عينيه) بالتثنية للمبالغة اي أسرهما بما ترياه مما يشفي غيظه (بهلاكها) أي بسبب هلاكها (حين كذبوه) اي من الكفار (وعصوا أمره) اي من الفجار (رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم) يشمل الصحابة وغيرهم (يوم) اي زمان (ولا يراني) اي أحدكم حينئذ (ثم لان يراني) أي لرؤيته اياي (أحب اليه من أهله وماله معهم) اي مع أهله وهو يفيد التأكيد دفعا لما يتوهم من أن تكون الواو بمعنى او أو يحمل على الاهل تارة وعلى المال أخرى (رواه مسلم) وفي الحديث ايماء الى معنى ما ورد من الحديث المشهور طوبى لمن رآني وآمن بي

(باب مناقب قريش وذكر القبائل)

المناقب جمع المنقبة وهي الشرف والفضيلة وذكر القبائل عطف على المناقب والمراد بذكرهم أعم من مدحهم وذمهم

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع) بفتحتين جمع تابع كخدم جمع خادم أي الناس كلهم تابعون (لقريش في هذا الشان) أي في الدين والطاعة أو في الخلافة ويؤيد المعنى الاول قوله (مسلمهم) أي مسلم عامة الناس (تبع لمسلمهم) اي مسلم قريش (وكافرهم تبع لكافرهم) قال شارح واذ قد علمنا ان أحدا من قريش لم يبق بعده على الكفر علمنا ان المراد منه ان الاسلام لم ينقصهم مما كانوا عليه في الجاهلية من الشرف فهم سادة في الاسلام كما كانوا قادة في الجاهلية اه وقيل معناه ان كانوا اخيارا اساط الله عليهم اخيارا منهم وان كانوا أشرارا اساط الله عليهم أشرارا منهم كما قيل أعمالكم عمالكم وكما روى كما تكونوا يولى عليكم وفي شرح السنة معناه تفضيل قريش على قبائل العرب وتقديمهم في الامامة والامارة وقال المظهر كانت العرب تقدم قريشا وتعظمها اذ كانت دارهم موسما والبيت الذي هم سدنته منسكا وكانت لهم السقاية والرفادة يعظمون الحجيج ويسقونهم فحازوا به الشرف والرياسة عليهم وقال القاضي المراد بهذا الشان الدين والمعنى ان مسلمي قريش قدوة غيرهم من المسلمين لانهم المتقدمون في التصديق السابقون في الايمان وكافرهم قدوة غيرهم من الكفار فانهم أول من رد الدعوة وكفر بالرسول وأعرض عن الآيات قال الاشرف فلا يكون حينئذ قوله وكافرهم الى آخره في معرض المدح قلت فلا محذور حينئذ مع انه قد يقال ليس مدحا شرعا لكنه يتضمن مدحا عرفيا وهو ان هذا الجنس متبوعون في الجملة لا تابعون كما سيأتي من ان الناس تبع لقريش في الخير والشر ويؤيده انه لما بعث صلى الله عليه وسلم قال عامة العرب ينظر ما يصنع قومه فلما فتح مكة وأسلمت قريش تبعهم العرب ودخلوا في دين الله أفواجا ولهذا استمرت خلافة النبوة في قريش ثم رأيت الطيبي قال ويؤيد قول القاضي الحديث الذي يتلوه كانه قيل متبوعون في كل أمر والناس يقتفون آثارهم ويزعمون ان كل ما صدر عنهم خير ونحوه قول الشاعر

ونحن التاركون لما سخطنا * ونحن الآخذون لما رضينا

أقول وفيه اشعار بان الخلق لا يأنفون عن متابعتهم وان قابلية المتبوعية مجبولة في جبلتهم فينبغي أن لا يخرج عنهم أمر الخلافة لئلا يترتب عليه الفتنة وبه يحصل الجمع بين أقوال الائمة في معنى هذا الحديث (متفق عليه) وعن علي قال سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش صالحهم تابع

متفق عليه وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله اذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله فرطا وسلفا بين يديها واذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينيه بهلكها حين كذبوه وعصوا أمره رواه مسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ليأتين على أحدكم يوم ولا يراني ثم لان يراني احب اليه من أهله وماله معهم رواه مسلم

(باب مناقب قريش وذكر القبائل)

(الفصل الاول) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في هذا الشان مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم متفق عليه

اصالحهم وشرارهم تبع لشرارهم أخرجه أحمد فى المناقب (وعن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش) وجه تسميتهم بقريش مبسوط فى القاموس (فى الخير) أى الاسلام (والشر) أى الكفر (رواه مسلم) وكذا أحمد وفى الجامع الصغير قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما ان الطعام لا يصلح الا بالملح رواه ابن عدى فى الكامل عن عائشة مرفوعا وفى رواية ابن عساكر عن عمرو بن العاص مرفوعا قريش خالصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن أرادها بسوء خزى فى الدنيا والآخرة وروى ابن عدى عن جابر مرفوعا قريش على مقدمة الناس يوم القيامة ولولا ان تبطر قريش لاخبرتها بما لمحسنها عند الله من الثواب وروى أحمد والترمذى عن عمرو بن العاص مرفوعا قريش ولاة الناس فى الخير والشر الى يوم القيامة وفى رواية لاحمد عن أبى بكر وسعد مرفوعا قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم وعن ابن أبى ذئب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار قريش خير شرار الناس أخرجه الشافعى فى مسنده وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوة رجل من قريش تعدل قوة رجلين من غيرهم وأمانة رجل من قريش تعدل أمانة رجلين من غيرهم رواه أحمد وعن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر بنى هاشم والذى بعثنى بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت الا بكم أخرجه أحمد فى المناقب (وعن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا الامر) أى أمر الخلافة (فى قريش ما بقى منهم) أى من الناس (اثنان) أى فيكون واحد خليفة وواحد تابع له قال النووى هذه الاحاديث وما أشبهها فيها دليل ظاهر على ان الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لغيرهم وعلى هذا انعقد الاجماع فى زمن الصحابة ومن بعدهم ومن خالف فيه من أهل البدع فهو محجوج باجماع الصحابة وبين صلى الله عليه وسلم ان هذا الحكم مستمر الى آخر الدهر ما بقى من الناس اثنان وقد ظهر ما قاله صلى الله عليه وسلم الى الآن اه والتحقيق ان هذا خبر بمعنى الامر أى من كان مسلما فليتبعهم ولا يخرج عليهم والا فقد خرج هذا الامر عن قريش فى أكثر البلاد من مدة أكثر من مائتى سنة ويحتمل ان يكون على ظاهره وانه مقيد بقوله فى الحديث الآتى ما أقاموا الدين ولم يخرج منهم الا وقد انتهكوا حرماته كذا ذكره السيوطى وقيل هو على ظاهره والمراد بالناس بعض الناس اى سائر العرب ذكره ابن حجر فتدبر (متفق عليه) وفى ذخائر العقبى نسبه الى البخارى ورواه أحمد فى مسنده (وعن معاوية) أى ابن أبى سفيان (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر) أى أمر الامارة (فى قريش لا يعاديهم أحد) أى لا يخالفهم (الا كبه الله) اى أسقطه وفى رواية الا أكبه الله (على وجهه) والمعنى أذله وأهانه (ما أقاموا) أى قريش (الدين) أى أحكام دين الاسلام ثم ما مصدرية والوقت مقدر وهو متعلق بقوله كبه الله قال ابن الملك أى مدة محافظتهم على الدين وأهله وقيل المراد الصلاة لرواية ما أقاموا الصلاة لكن على هذا انما يستقيم المعنى اذا علق قوله ما أقاموا بكبه الا بأن هذا الامر فى قريش لان منهم من لم يقم الصلاة ولم يصرف عنه الامر كذا قاله التوربشتى وفيه دلالة على اختصاص الامامة بقريش وهم بنو النضر بن كنانة وجميع بطونهم فى ذلك بمنزلة واحدة ولعل ذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم انه يوجد فيهم من هو جامع لاوامر الملك والدين وصالح لامور المسلمين وفى شرح الطيبى قال المظهرى الخلافة فى قريش لا يعاديهم ولا يخالفهم أحد فى ذلك الا اذله الله تعالى ما داموا محافظين الدين اه كلامه ويفهم من كلام الشيخ التوربشتى ان قوله ما أقاموا الدين اذا علق بكبه يستقيم المعنى اذا حمل الدين على الصلاة وأما اذا حمل على الدين باصوله وفروعها فلا لان منهم من غير وبدل ولم يصرف عنه الامر وقيل معنى الحديث لا يخالف قريشا أحد فى الامور المتعلقة فى الدين بان أراد واقضه وبطلانه وقريش تريد اقامته وامضاءه الا أذله الله وقهره قال الطيبى واللفظ لا يساعد الا ما عليه المظهر وهو أظهر أقول الظاهر ان المراد بالصلاة الدين وانما عبر عنه بالاسم اعادة الدين ولكونها أم العبادات وانها تنهى عن السيئات أو ذكرها على منوال المثال أى الصلاة ونحوها من أمور الدين والله أعلم (رواه البخارى) وعن المطلب بن عبد الله بن

وعن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش فى الخير والشر رواه مسلم وعن ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا الامر فى قريش ما بقى منهم اثنان متفق عليه وعن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر فى قريش لا يعاديهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين رواه البخارى

حنطب

وعن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال الاسلام عزيزا الى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش وفى رواية لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا كلهم من قريش وفى رواية لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش متفق عليه وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله وعصية عصت الله ورسوله

حنطب عن أبيه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال أيها الناس قدموا قريشا ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها أخرجه الشافعي فى مسنده وأحمد فى المناقب (وعن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال الاسلام عزيزا) أى قويا شديدا أو مستقيما سديدا (الى اثنى عشر خليفة) قال الطيبي الى ههنا نحو حتى فى الرواية الاخرى لان التقدير لا يزال الدين قائما حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة فى ان ما بعدها داخل فيما قبلها الكشاف فى قوله تعالى فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق الى يفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها فى الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فما فيه دليل على الخروج قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لانه لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من أوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله (كلهم من قريش) قال بعض المحققين قد مضى منهم الخلفاء الاربعة ولا بد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة وقيل انهم يكونون فى زمان واحد يفترق الناس عليهم وقال التوربشتي السبيل فى هذا الحديث وما يعتقبه فى هذا المعنى أن يحمل على المقسطين منهم فانهم هم المستحقون لاسم الخليفة على الحقيقة ولا يلزم أن يكونوا على الولاء وان قدر انهم على الولاء فات المراد منه المسمون بها على المجاز وفى شرح مسلم للنووى قال القاضي عياض توجه هنا سؤال وهو انه قد جاء الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا عضوضا وهو مخالف لهذا الحديث وأجيب بان المراد بثلاثون سنة خلافة النبوة وقد جاء مفسرا فى بعض الروايات خلافة النبوة بعدى ثلاثون سنة ثم يكون ملكا ولم يشترط هذا فى الاثنى عشر وقيل المراد باثنى عشر أن يكونوا مستحقى الخلافة من العادلين وقد مضى منهم من علم ولا بد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة قلت وقد حمل الشيعة الاثنى عشر على انهم من أهل بيت النبوة متوالية أعم من أن تكون لهم خلافة حقيقة أو استحقاقا فأولهم على فالحسن فالحسين فزين العابدين فمحمد الباقر فجعفر الصادق فموسى الكاظم فعلى الرضا فمحمد التقى فعلى النقى فحسن العسكرى فمحمد المهدى رضوان الله عليهم أجمعين على ما ذكره زبدة الاولياء خواجه محمد پارسا فى كتاب فصل الخطاب مفصلة وتبعه مولانا نور الدين عبد الرحمن الجامى فى أواخر شواهد النبوة وذكر فضائلهم ومناقبهم وكراماتهم ومقاماتهم مجملة وفيه رد على الروافض حيث يظنون باهل السنة انهم يبغضون أهل البيت باعتقادهم الفاسد ووهمهم الكاسد والا فاهل الحق يحبون جميع الصحابة وكل أهل البيت لا كالخوارج الاعداء لاهل بيت النبوة ولا كالروافض المعادين لجمهور الصحابة وأكابر الامة (وفى رواية لا يزال أمر الناس) أى أمر دينهم (ماضيا) أى جاريا مستمرا على الصواب والحق (ما وليهم) أى مدة ما تولى أمرهم (اثنا عشر رجلا كلهم من قريش وفى رواية لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو) أو بمعنى الواو لمطلق الجمع أى و (حتى يكون عليهم) أى على الناس متوليا (اثنا عشر خليفة كلهم من قريش متفق عليه وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار) بكسر الغين المعجمة وتخفيف الفاء وبالراء علم قبيلة وفى القاموس بنو غفار ككتاب رهط أبى ذر الغفارى وهو مبتدأ خبره (غفر الله لها) قال ابن الملك أى أقول فى حقهم أقول وانما يقدر مثل هذا فى نحو زيدا ضرب حيث لا يصح حمل الجملة الانشائية على الاسم المرفوع بالابتدائية (وأسلم) قبيلة أخرى (سالمها الله) أى صنع الله بهم ما يوافقهم من أمر السلامة عن المكروه (وعصية) بالتصغير بطن على ما فى القاموس والمراد به قبيلة أو جماعة (عصت الله ورسوله) وفى الحديث ايماء الى أن الاسماء تنزل من السماء قال الطيبي الجملتان الاوليان يحتمل أن يكونا خبريتين وأن يحملا على الدعاء لهما وأما قوله وعصية عصت الله فهو اخبار ولا يجوز حمله على الدعاء لكن فيه اظهار شكاية منهم يستلزم الدعاء عليهم بالخذلان لا بالعصيان وفى شرح السنة قيل انما دعا لغفار وأسلم لان دخولهما فى الاسلام كان من غير حرب وكانت غفار متهمة بسرقة الحاج فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يمحو عنهم تلك السيئة ويغفرها لهم وأما عصية فهم الذين قتلوا القراء ببئر معونة فكان النبى صلى الله عليه وسلم يقنت عليهم وفى شرح مسلم

النووى قال القاضى هو من حسن الكلام والمجانسة فى الالفاظ مأخوذ من سالمته اذا لم تر فيه مكروها فكأنه دعا لهم بأن يصنع الله عنهم التعب الذى كانوا فيه (متفق عليه) ورواه أحمد والترمذى وفى رواية لاحمد والطبرانى والحاكم عن سلمة بن الاكوع وعن أبى هريرة مرفوعا أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها أما والله ما أنا قلته ولكن الله قاله وفى رواية الطبرانى عن عبد الرحمن بن سندر بلفظ أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وتجيب أجابوا الله ففى القاموس تجيب بن كندة بطن (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش) أى مسلموهم من أهل مكة وغيرهم (والانصار) أى قبيلتهم من أهل المدينة وفى القاموس ان أنصار النبى صلى الله عليه وسلم غلبت عليهم الصفة (وجهينة) بالتصغير قبيلة (ومزينة) كذلك (وأسلم وغفار وأشجع) أبو قبيلة والمراد هنا أولاده المؤمنون (موالىّ) بفتح الميم وكسر اللام وتشديد الياء التحتية جمع مولى مضافا الى ياء المتكلم وقال شارح يروى على الاضافة أى أحبائى وأنصارى ويروى موال بالتنوين أى بعضهم لبعض أحباء وأنصار لا ولاء لاحد عليهم الا الله ورسوله وقال النووى أى هم ناصروه والمختصون به وهو أيضا وليهم وناصرهم والمتكفل بهم وبمصالحهم لقوله (ليس لهم مولى دون الله ورسوله) أى غيرهما قال الطيبى جملة مقررة للجملة الاولى على الطرد والعكس وفى تمهيد ذكر الله ذكر رسوله وتخصيص ذكر الرسول ايذان بمكانته ومنزلته عند الله واشعار بأن توليه اياهم بلغ مبلغا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه (متفق عليه وعن أبى بكرة) بالتاء وهو الثقفى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وغفار ومزينة وجهينة خير من بنى تميم) فى القاموس تميم كأمير أبو قبيلة ويصرف (ومن بنى عامر) عطف باعادة الجار (والحليفين) أى ومن الحليفين يعنى المتحالفين على التناصر (بنى أسد) بفتح فسكون (وغطفان) بفتحتين وهما بدل من الحليفين أو عطف بيان قال النووى وتفضيل تلك القبائل لسبقهم الى الاسلام وحسن آثارهم فى الاحكام (متفق عليه) الا ان البخارى لم يذكر الحليفين ذكره ميرك (وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال مازلت) بكسر الزاى أى ما برحت (أحب بنى تميم منذ ثلاث) أى خصال أو كلمات وقوله (سمعت) صفة لثلاث والعائد محذوف أى سمعتها (من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم) جملة حالية أى قائلا اياها فى حقهم والمعنى انى دائما أحبهم من الوقت الذى قال النبى فى حقهم ثلاث خصال وقال الطيبى قوله ثلاث صفة موصوف محذوف وكذا سمعت اه والاظهر ما سمعت ثم قوله (سمعته يقول) بيان أو بدل لقوله سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالجملة هو تفصيل للخصال الثلاث والخصال الثلاث أحدها قوله (هم أشد أمتى على الدجال) أى حين ظهوره وفيه اشعار بوجودهم الى زمانه بكثرة (قال) أى أبو هريرة (وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه صدقات قومنا) شرفهم باضافتهم الى نفسه صلى الله عليه وسلم وهذه ثانيتها قال أبو هريرة (وكانت سبية) بفتح فكسر فتشديد تحتية أى أسيرة (منهم عند عائشة) قال ابن الملك فيه دليل على جواز استرقاق العرب اه وفى استدلاله نظر لا يخفى (فقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (اعتقيها فانها من ولد اسمعيل) بضم اللام وسكون اللام جمع ولد ذكره الطيبى وفى نسخة بفتحها ففى الصحاح الولد يكون واحدا وجمعا وكذلك الولد بالضم وقد يكون الولد جمع الولد كالاسد والاسد وهذه ثالثتها فانه دل على ان فضيلتهم لكونهم من بنى اسمعيل (متفق عليه)

(الفصل الثانى) (عن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من يرد) من الارادة اى من يقصد (هوان قريش) اى ذلهم واهانتهم (أهانه الله) أى أذله وأخزاه (رواه الترمذى) وكذا الامام أحمد فى مسنده والحاكم فى مستدركه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذقت أوّل قريش) أى يوم بدر والاحزاب (نكالا) بفتح النون أى بلاء ووبالا وقال شارح فسر هذا بالقحط والغلاء وقال الطيبى النكال العبرة وقيل العقوبة (فأذق آخرهم نوالا) أى انعاما وعطاء ونقالا (رواه الترمذى وعن أبى عامر الاشعرى) لم يذكره المؤلف فى أسمائه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الحى) أى القبيلة

عليه وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وغفار وأشجع موالىّ ليس لهم مولى دون الله ورسوله متفق عليه وعن أبى بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وغفار ومزينة وجهينة خير من بنى تميم ومن بنى عامر والحليفين بنى أسد وغطفان متفق عليه وعن أبى هريرة قال مازلت أحب بنى تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم سمعته يقول هم أشد أمتى على الدجال قال وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه صدقات قومنا وكانت سبية منهم عند عائشة فقال اعتقيها فانها من ولد اسمعيل متفق عليه

(الفصل الثانى) عن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله رواه الترمذى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أذقت أوّل قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا رواه الترمذى وعن أبى عامر الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الحى

(الاسد) بفتح فسكون قال التوربشتي هو بسكون السين أبو حي من اليمن ويقال لهم الازد وهو بالسين أفصح وهما ازدان ازد شنوأة وازد عمان اه وسيأتي ان المراد هنا ازد شنوأة (والاشعرون) وفي نسخة والاشعريون باثبات ياء النسبة قال الطيبي هو بسقوط الياء في جامع الترمذي وجامع الاصول وباثباته في المصابيح قال الجوهري تقول العرب جاءتك الاشعرون بحذف الياء (لا يفرون في القتال) أي في حال قتالهم مع الكفار وهو حال من القبيلتين على حد هذان خصمان اختصموا (ولا يغلون) بفتح فضم فتشديد أي ولا يخونون (في المغنم هم مني) أي من اتباعي في سنتي وطريقتي أو من أوليائي (وأنا منهم) أي من أوليائهم وفيه اشعار بانهم متقون لقوله تعالى ان أولياؤه الا المتقون (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) ورواه ابن سعد عن الزهري مرسلا الاشعرون في الناس كصرة فيها مسك (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الازد) أي أزد شنوأة وفي القاموس ازد بن الغوث وهو بالسين أفصح أبو حي من اليمن ومن أولاده الانصار كلهم (أزد الله) أي جنده وأنصار دينه (في الارض) قد أكرمهم الله بذلك فهم يضافون اليه (يريد الناس أن يضعوهم) أي يحقروهم ويذلوهم (ويأبى الله الا أن يرفعهم) أي ينصرهم ويعزهم ويعليهم على أعدائهم قال القاضي يريد بالازد ازد شنوأة وهو حي من اليمن أولاد أزد بن الغوث بن ليث بن مالك بن كهلان بن سبا وأضافهم الى الله تعالى من حيث انهم حزبه وأهل نصرة رسوله قال الطيبي قوله ازد الله يحتمل وجوها أحدها اشتهارهم بهذا الاسم لانهم ثابتون في الحرب لا يفرون على ما مر في الحديث السابق وعليه كلام القاضي وثانيها أن تكون الاضافة للاختصاص والتشريف كبيت الله وناقة الله على ما يدل عليه قوله يريد الناس أن يضعوهم الخ وثالثها أن يراد بها الشجاعة والكلام على التشبيه أي الاسد أسد الله جاء به اما مشاكلة أو قلب السين زايا اه وتبعه صاحب الازهار من شراح المصابيح لكن انما يتم هذا لو كان الاسد بالفتح والسكون لغة في الاسد بفتحتين كما لا يخفى وهو ليس كذلك على ما يفهم من القاموس (وليأتين على الناس زمان يقول الرجل) أي في ذلك الزمان (ياليت أبي كان أزديا وياليت أمي كانت أزدية رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) قال ميرك وقد روي موقوفا على أنس وهو عندنا أصح اه ولا يخفى انه ولو كان موقوفا فهو في الحكم يكون مرفوعا لان مثله لا يقال من قبل الرأي والله أعلم (وعن عمران بن حصين) أسلمي خزاعي أسلم هو وأبوه وسكن البصرة الى أن مات بها سنة اثنتين وخمسين (قال مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكره ثلاثة أحياء) جمع حي بمعنى قبيلة (ثقيف) كأمير أبو قبيلة من هوازن واسمه قسي بن منبه بن بكر بن هوازن كما في القاموس (وبني حنيفة) كسفينة لقب اثال بن لجيم أبو حي منهم خولة بنت جعفر الحنفية أم محمد ابن علي بن أبي طالب (وبني أمية) بضم ففتح فتشديد تحتية قبيلة من قريش قال العلماء انما كره ثقيفا للحجاج وبني حنيفة لمسيلمة وبني أمية لعبيد الله بن زياد قال البخاري قال ابن سيرين أتي عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعله في طست وجعل ينكته بقضيب وقال الترمذي في الجامع قال عمارة بن عمير لما جيء برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه في رحبة المسجد فانتهيت اليهم فقالوا قد جاءت فاذا حية قد جاءت حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد فمكثت ساعة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا قال الترمذي هذا حديث صحيح كذا في الازهار (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثقيف كذاب) أي مبالغ في الكذب (ومبير) بضم ميم وكسر موحدة أي مفسد ومهلك من البوار وهو الهلاك والفساد وتنوينهما للتعظيم (قال عبد الله بن عصمة) بفتح فسكون كوفي حنفي روى عن أبي سعيد وابن عمر وعنه اسرائيل وشريك (يقال الكذاب هو المختار بن أبي عبيد) بالتصغير وهو ابن مسعود الثقفي قام بعد وقعة الحسين ودعا الناس الى طلب ثاره وكان غرضه في ذلك أن يصرف الى نفسه وجوه الناس ويتوسل به الى الامارة وكان طالبا للدنيا مدلسا في تحصيلها كذا ذكره القاضي وقيل كان يبغض عليا وقيل كان يدعي النبوة فسمي كذابا ومن جملة كذبه دعواه ان جبريل عليه

الاسد والاشعرون لا يفرون في القتال ولا يغلون هم مني وأنا منهم رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الازد أزد الله في الارض يريد الناس أن يضعوهم ويأبى الله الا أن يرفعهم وليأتين على الناس زمان يقول الرجل ياليت أبي كان أزديا وياليت أمي كانت أزدية رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عمران ابن حصين قال مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكره ثلاثة أحياء ثقيف وبني حنيفة وبني أمية رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثقيف كذاب ومبير قال عبد الله ابن عصمة يقال الكذاب هو المختار بن أبي عبيد

والمبير هو الحجاج بن يوسف قال هشام بن حسان أحصوا ما قتل الحجاج صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا رواه الترمذي وروى مسلم في الصحيح حين قتل الحجاج عبد الله بن الزبير قالت أسماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ان في ثقيف كذابا ومبيرا فاما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك الا اياه وسيجيء تمام الحديث في الفصل الثالث وعن جابر قال قالوا يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم قال اللهم اهد ثقيفا رواه الترمذي وعن عبد الرزاق عن أبيه عن ميناء عن أبي هريرة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل أحسبه من قيس فقال يا رسول الله العن حميرا فأعرض عنه ثم جاءه من الشق الآخر فأعرض عنه ثم جاءه من الشق الآخر فأعرض عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله حميرا أفواههم سلام وأيديهم طعام وهم أهل أمن وايمان رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الرزاق ويروى عن ميناء هذا أحاديث مناكير

السلام يأتيه بالوحي ذكره ابن الملك وقال ابن عبد البر كان أبوه من جلة الصحابة ولد المختار عام الهجرة وليست له صحبة ولا رواية وأخباره غير مرضية وذلك لطلب الامارة الى أن قتله مصعب بن الزبير سنة سبع وستين وكان قبل ذلك معدودا في أهل الفضل والخير يظهر بذلك كله ولا يكتم الفسق فظهر منه ما كان يكتمه الى أن فارق ابن الزبير وطلب الامارة وكان المختار يزيف بطلب دم الحسين ويستر طلب الدنيا والامارة فيأتي منه الكذب والجنون وانما كانت امارته ستة عشر شهرا ويقال كان في أول أمره خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا وكان يضمر بغض علي كرم الله وجهه ويظهر منه لضعف عقله أحيانا كذا نقله ميرك عن التصحيح وكذا ذكره المؤلف في أسمائه (والمبير هو الحجاج بن يوسف) وهو بفتح الحاء مبالغة لحاج أي الآتي بالحجة قال المؤلف هو عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان وبعده لابنه الوليد مات بواسط في شوال سنة خمس وسبعين وعمره أربع وخمسون سنة (وقال هشام بن حسان) بالفتح فالتشديد غير منصرف وقد ينصرف (احصوا) بفتح الهمزة والصاد أي ضبطوا وعدوا (ما قتل الحجاج صبرا) بفتح فسكون أي مصبورا يعني محبوسا مأسورا لا في معركة ولا خاصة (فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا رواه الترمذي وروى مسلم في الصحيح) أي صحيحه لا في كتاب آخر من تصانيفه (حين قتل الحجاج عبد الله بن الزبير قالت أسماء) أي أمه بنت الصديق (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ان في ثقيف كذابا ومبيرا فاما الكذاب فرأيناه) أي أبصرناه أو علمناه وتعني به المختار على ما بيناه (وأما المبير فلا أخالك) بكسر الهمزة وتفتح قال شارح أخال بالفتح هو القياس وبالكسر هو الأفصح وفي الأزهار والكسر أشهر أي لا أظنك (الا اياه) قيل والظاهر فلا أخاله الا اياك فقدمت المفعول الثاني للاهتمام (وسيجيء تمام الحديث) أي بسطه (في الفصل الثالث وعن جابر قال قالوا) أي بعض الصحابة (يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف) بكسر النون جمع نبل أي سهامهم ولعله في غزوة الطائف ومحاصرتهم (فادع الله عليهم قال اللهم اهد ثقيفا) أي الى الاسلام أو غلبهم الى اطاعة الاحكام (رواه الترمذي وعن عبد الرزاق) قال المؤلف في فصل التابعين هو ابن همام يكنى أبا بكر أحد الاعلام روى عن ابن جريج ومعمر وغيرهما وعنه أحمد واسحق وصنف الكتب ومات سنة احدى عشرة ومائتين وله خمس وثمانون سنة (عن أبيه) أي همام بن الحارث النخعي تابعي سمع ابن مسعود وعائشة وغيرهما من الصحابة وروى عنه ابراهيم النخعي (عن ميناء) بميم مكسورة وفتح تحتية ساكنة فالف ممدودة هذا هو المشهور وقال صاحب المطالع يمد ويقصر كذا ذكره الامام النووي في شرح مسلم وقال المؤلف روى عن مولاه عبد الرحمن بن عوف وعثمان وأبي هريرة وعنه والد عبد الرزاق ضعفوه (عن أبي هريرة قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل أحسبه) بكسر السين وفتحها أي أظنه (من قيس) في القاموس قيس غيلان بالفتح أبو قبيلة واسمه الياس بن مضر (فقال يا رسول الله العن حميرا) بكسر فسكون ففتح أي ادع عليهم بالبعد عن الرحمة وهو أبو قبيلة من اليمن في القاموس حمير كدرهم موضع غربي صنعاء اليمن وابن سبا بن يشجب أبو قبيلة (فأعرض عنه) أي عن الرجل بادبار وجهه عنه (ثم جاءه من الشق الآخر فأعرض عنه ثم جاءه من الشق الآخر فأعرض عنه) والمعنى انه أعرض عنه من الجانبين (فقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله حميرا أفواههم سلام) أي ذات سلام أو محل سلام (وأيديهم طعام) أي ذات طعام قاله شارح فالمضاف مقدر لصحة الحمل وقال ابن الملك ويمكن ان يقال جعل أفواههم نفس السلام وأيديهم نفس الطعام مبالغة انتهى واقتصر عليه الطيبي والمعنى انهم يفشون السلام ويطعمون الطعام فجمعوا بين الاحسان وحلاوة اللسان (وهم أهل أمن) أي من المضرة (وايمان) وتصديق كامل بالغهم الى مرتبة الايقان (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الرزاق) أي من طريقه الى ميناء (ويروى) بصيغة المجهول (عن ميناء هذا) أي المشار اليه (أحاديث مناكير) قال ميرك قال أبو حاتم ميناء يكذب وقال ابن معين ليس بثقة انتهى وقال شارح للمصابيح قوله منكر هذا

الملاقى من بعض أهل المعرفة بالحديث لان المؤلف رحمه الله يعني محيي السنة لو كان يعلم انه منكر لم يتعرض له لانه قد التزم الاعتراض عن ذكر المنكر في عنوان الكتاب والله أعلم بالصواب (وعنه) أى عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد نص عليه السيد جمال الدين (قال قال لى النبي صلى الله عليه وسلم ممن أنت) أى من أى قبيلة (قلت من دوس) بفتح فسكون قبيلة من اليمن من الازد كذا في الازهار وفي القاموس هو دوس ابن عدنان بن عبد الله أبو قبيلة (قال) أى على سبيل التعجب (ما كنت أرى) بضم الهمز على المجهول أى ما كنت أظن قبل ذلك (ان في دوس أحدا فيه خير) قال في الازهار فيه منقبة لابي هريرة ومذمة لدوس لولا أبو هريرة (رواه الترمذي وعن سلمان قال قال لى) أى خاصة في الخطاب أو بيني وبينه بلا حجاب (رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبغضني فتفارق دينك) بالنصب على جواب النهي كما صرح به زين العرب (قلت يا رسول الله كيف أبغضك) أى كيف يتصور مني انى أبغضك وأنت حبيب الله ومحبوب أمتك (وبك هدانا الله) أى الى الاسلام وسائر مكارم الاحكام (قال تبغض العرب فتبغضني) أى حين تبغض العرب عموما تبغضني في ضمنهم خصوصا أو اذا أبغضت جنس العرب فربما يجر ذلك الى بغضك اياى نعوذ بالله والحاصل ان بغض العرب قد يصير سببا لبغض سيد الخلق فالحذر الحذر كيلا يقع في الخطر قال الطيبي العرب ما يقابل العجم وفي النهاية العرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس ولا واحد له من لفظه وسواء أقام بالبادية والمدن والنسبة اليهما اعرابي وعربي وفي القاموس العرب بالضم وبالتحريك خلاف العجم مؤنث وهم سكان الامصار أو عام والاعراب منهم سكان البادية لا واحد له (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن عثمان بن عفان) بغير صرف وقد يصرف (من غش العرب) أى خانهم وقال شارح أى أبغضهم (لم يدخل في شفاعتي) أى الصغرى لعموم الكبرى (ولم تنله مودتي) أى لم تصبه محبتي اياه أو لم تصل ولم تحصل له محبته اياى والمقصود نفي الكمال (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حصين بن عمر وليس هو) أى حصين المذكور (عند أهل الحديث بذاك القوي) قلت فيكون الحديث ضعيفا من طريقه وهو معتبر في الفضائل وكيف وهو مؤيد باحاديث كثيرة تكاد تصل الى التواتر المعنوي كقوله صلى الله عليه وسلم حب العرب ايمان وبغضهم نفاق رواه الحاكم عن أنس وفي رواية الطبراني في الاوسط عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب العرب ايمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني وفي رواية الطبراني في الكبير عن سهل بن سعد أحبوا قريشا فان من أحبهم أحبه الله وروى الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة مرفوعا أحبوا الفقراء وجالسوهم وأحب العرب من قلبك وليردك عن الناس ما تعلم من نفسك هذا والحديث المذكور في المتن رواه أحمد في مسنده أيضا وأقل مرتبة أسانيده أن يكون حسنا فالحديث حسن لغيره (وعن أم الحرير) بفتح الحاء المهملة وكسر الراء الاولى كذا نقله المؤلف في أسمائه وكذا ضبطه صاحب المغني وكذا في جامع الاصول وفي نسخة بضم ففتح وهو موافق لما في التقريب حيث قال بضم الحاء المهملة مصغرا ويقال بفتح أولها لا يعرف حالها من الرابعة (مولاة طلحة بن مالك) لم يذكره المؤلف (قالت سمعت مولاى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة) أى من علامات قرب القيامة (هلاك العرب) أى مسلمهم أو جنسهم وفيه ايماء الى أن غيرهم تابع لهم ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس بل ولا يكون في الارض من يقول الله (رواه الترمذي وعن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك) بالضم أى الخلافة (في قريش) أى غالبا أو ينبغي أن يكون فيهم وهو الاظهر المطابق لبقية القرائن الآتية وهي قوله (والقضاء في الانصار) أى الحكم الجزئي قاله تطييبا لقلوبهم لانهم آووا ونصروا وبهم قام عمود الاسلام وفي بلدهم تم أمره واستقام وبنيت المساجد وجمعت الجماعات ذكره ابن الملك وقال في الازهار وقيل المراد بالقضاء النقابة لان

وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ممن أنت قلت من دوس قال ما كنت أرى ان في دوس أحدا فيه خير رواه الترمذي وعن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبغضني فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن عثمان ابن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حصين بن عمر وليس هو عند أهل الحديث بذاك القوي وعن أم الحرير مولاة طلحة ابن مالك قالت سمعت مولاى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة هلاك العرب رواه الترمذي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الملك في قريش والقضاء في الانصار

النقباء كانوا منهم وقيل القضاء الجزئي وقيل لانه صلى الله عليه وسلم قال أعلمكم بالحلال والحرام معاذ وقيل القضاء المعروف لبعثه صلى الله عليه وسلم معاذا قاضيا الى اليمن انتهى والاخير هو الاظهر لقوله (والاذان في الحبشة) أي لان رئيس مؤذنيه صلى الله عليه وسلم كان بلالا وهو حبشي (والامانة في الازد) أي أزد شنوءة وهم حي من اليمن ولا ينافي قول بعض الرواة (يعني اليمن) لكن الظاهر المتبادر من كلامه ارادة عموم أهل اليمن فانهم أرق أفئدة وأهل امن وايمان والله أعلم (وفي رواية موقوفا) أي جاء هذا الحديث موقوفا ولو قال موقوف بالرفع لكان أظهر والمعنى انه وقفه بعضهم على أبي هريرة ولم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم لكن مثله موقوفا يكون حكمه مرفوعا (رواه الترمذي وقال هذا) أي سنده موقوفا (أصح) أي من اسناده مرفوعا ورواه الامام أحمد في مسنده مرفوعا وروى الطبراني عن أبي معاوية الازدي الامانة في الازد والحياء في قريش

(الفصل الثالث) (عن عبد الله بن مطيع عن أبيه) قال المؤلف قرشي عدوي من أهل المدينة يقال ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهب به أبوه اليه وكان اسم أبيه العاص فسماه النبي صلى الله عليه وسلم مطيعا وكان عبد الله من سادات قريش وهو الذي أمره أهل المدينة عليهم حين خلعوا يزيد بن معاوية سمع أباه وروى عنه الشعبي وغيره وقتل مع عبد الله بن الزبير بمكة سنة ثلاث وسبعين وكان ابن الزبير استعمله على الكوفة فاخرجه منها المختار بن أبي عبيد (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم فتح مكة لا يقتل) بصيغة النفي مجهولا (قرشي) أي منسوب الى قريش بحذف الزائد وفي القاموس النسبة قرشي وقريشي (صبرا) أي لا في المعركة كما في الازهار (بعد هذا اليوم) أي يوم الفتح (الى يوم القيامة) قال الحميدي وقد تأول بعضهم هذا الحديث فقال معناه لا يقتل قرشي بعد هذا اليوم صبرا وهو مرتد عن الاسلام ثابت على الكفر اذ قد وجد من قريش من قتل صبرا فيما سبق ومضى من الزمان بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوجد منهم من قتل صبرا وهو ثابت على الكفر انتهى والمعنى انه لا يوجد قرشي مرتدا فيقتل ويؤيده ما ورد من أن الشيطان قد أيس من جزيرة العرب وقال الطيبي ويجوز أن يكون النفي بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النهي كما ان رحمك الله ويرحمك أبلغ ونحو قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية في وجه قلت هذا وجه غير وجيه كما لا يخفى على كل نبيه ثم قال وهذا الوجه أقرب الى مدح قريش وتعظيمهم ويبقى الكلام على اطلاقه قلت لا يصح ان يكون هذا النهي على اطلاقه لانه قد يجب القتل على قرشي قصاصا أو حدا وهو لا يكون الا صبرا فيكون حكمه كحكم غيره فلا يحصل لقريش مزية فضلا عن أن يكون أقرب الى مدحهم وتعظيمهم والله أعلم (رواه مسلم وعن أبي نوفل معاوية بن مسلم) قال المؤلف سمع ابن عباس وابن عمر وروى عنه شعبة وابن جريج (قال رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة) يريد على عقبة مكة واقعة في طريق أهل المدينة حين ينزلون مكة وكان عبد الله بن الزبير مصلوبا هناك ولذا جعل له قبر في الحجون قريب العقبة لكنه غير ثابت وكذا سائر قبور الصحابة في مقبرة مكة ليس لها محل معين على وجه الصحة حتى تربة خديجة رضي الله عنها أيضا وانما بني عليها اعتمادا على رؤيا بعض الاولياء والله أعلم (قال) أي أبو نوفل (فجعلت قريش تمر عليه) أي على ابن الزبير (والناس) أي وسائر الناس يمرون عليه أيضا (حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال السلام عليك أبا خبيب) بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة الاولى بعدها تحتية ساكنة كنية ابن الزبير كني بابنه خبيب أكبر أولاده (السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب) فيه استحباب تثليث السلام على الميت ولو قبل الدفن (لقد كنت أنهاك عن هذا لقد كنت أنهاك عن هذا لقد كنت أنهاك عن هذا) المشار اليه هذا صلبه والمعنى كنت أنهاك عما يؤدي الى ما أراك فيه قال الطيبي فعلى هذا هو من وادي قوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا يعني من جهة مجاز الاول نحو قوله أعصر خمرا (أما) بالتخفيف للتنبيه (والله ان كنت) ان هي المخففة من المثقلة وضمير

والاذان في الحبشة والامانة في الازد يعني اليمن وفي رواية موقوفا رواه الترمذي وقال هذا أصح

(الفصل الثالث) عن عبد الله بن مطيع عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم فتح مكة لا يقتل قرشي صبرا بعد هذا اليوم الى يوم القيامة رواه مسلم وعن أبي نوفل معاوية بن مسلم قال رأيت عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة قال فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مر عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله ان كنت

الشأن محذوف وقوله (ما) زائدة (علمت) أي علمتك (صواما) أي كثير الصيام في النهار (قواما) كثير القيام في الليل (وصولا) بفتح الواو أي مبالغا في الصلة (للرحم) أي للقرابة وفي شرح مسلم قال القاضي عياض هذا أصح من قول بعض الاخباريين ووصفه بالامساك وقد عده صاحب كتاب الاجواد فيهم وهو المعروف من أحواله انتهى وقد أراد ابن عمر بهذا القول براءة ابن الزبير مما نسب اليه الحجاج من قول عدو الله وظالم ونحوه واعلام الناس بمحاسنه وان ابن الزبير كان مظلوما ومرجوما وعاش سعيدا ومات شهيدا اما كررنا كيدا (والله لامة) أي لجماعة (أنت شرها) أي بزعمهم (لامة سوء) بفتح السين والضم أي لفساد فهمهم وسوء اعتقادهم قوله لامة مبتدأ وأنت شرها صفتها أي ولامة أنت أكثر من وصل اليه شر الناس لامة سوء فالحكم فرضي وتقديري أو زعمي وادعائي على طريق الانكاري (وفي رواية لامة خير) فهو على سبيل تهكمي واستهزائي وهو نظير ما قال بعضهم حين اخراج أبي يزيد البسطامي من بلده بلد أبو يزيد شر أهلها نعم البلد وفي شرح مسلم للنووي هكذا هو مروي عن مشيختنا وكذا نقله القاضي عن جمهور رواة صحيح مسلم ونقله القاضي عن رواة السمرقندي لامة سوء قال وهو خطأ وتصحيف أي سهو وتحريف لكن حيث صحت الرواية وطابقت الدراية فلا معنى للتخطئة (ثم نفذ) بفتح النون والفاء والذال المعجمة أي ذهب (ومضى عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج) أي الظالم (موقف عبد الله وقوله) أي خبر وقوفه عليه وقوله في حقه لديه (فأرسل) أي الحجاج (اليه) أي الى ابن الزبير (فأنزل) بصيغة المجهول (عن جذعه) أي المصلوب عليه (فألقي) بصيغة المجهول أي فطرح (في قبور اليهود) أي في موضع قبورهم من سكان مكة أو من وارديها من غير أهلها وهذا لا ينافي ما سبق من انه مدفون في أعلى المعلى لانه حمل بعد ذلك من ذلك المحل الادنى ودفن في الموضع الاول (ثم أرسل) أي الحجاج (الى أمه أسماء بنت أبي بكر) أي يطلبها (فأبت ان تأتيه) أي فامتنعت من الاتيان اليه والوقوف لديه والسلام عليه (فأعاد عليها الرسول) أي قائدا على لسانه (لتأتيني) بتشديد النون على صيغة الخطاب لقوله (أو لابعثن اليك) أي لارسلن الى اتيانك الي (من يسحبك) بفتح الحاء أي يجرك (بقرونك) أي بضفائر شعرك (قال) أي أبو نوفل (فأبت وقالت والله لا آتيك) بمد الهمزة أي لا أجيئك (حتى تبعث الي من يسحبني بقروني قال) أي أبو نوفل (فقال) أي الحجاج (أروني سبتي) بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وفتح الفوقية وتشديد التحتية أي نعلي وكذا ضبطه النووي وقال هي النعل التي لا شعر عليها وفي نسخة صحيحة سبتيتي بكسر فسكون فكسر فوقية فتشديد تحتية ففتح فوقية فتحتية مشددة ففي النهاية السبت بالكسر الجلود المدبوغة بالقرظ وهو بالتحريك ورق السلم يتخذ منها النعال أي السبتية سميت بذلك لان شعرها قد سبت عنها أي حلق وأزيل وقيل لانها انسبتت بالدباغ أي لانت ويقال للنعل المتخذة منها سبت اتساعا ومنه يا صاحب السبتين ويروى السبتيتين على النسب وقال أبو داود منسوب الى موضع يقال له سوق السبت وفي المشارق قوله روني سبتيتي ويا صاحب السبتيين بياءين وذكر الهروي بياء واحدة مخففة تثنية سبت انتهى والمعنى ائتوني بهما أو قدموهما الي (فأخذ نعليه) أي فلبسهما (ثم انطلق يتوذف) بالواو والذال المعجمة المشددة قال أبو عبيدة معناه يسرع وقيل يتبختر (حتى دخل عليها) أي على أسماء (فقال كيف رأيتني) بكسر التاء وفي نسخة باشباع كسرتها ياء أي كيف وجدتني (صنعت بعدو الله) أراد به ابنها على زعمه الفاسد واعتقاده الكاسد (قالت رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك) والاسناد سببي فيهما (ثم قالت بلغني انك تقول له) أي في حياته أو بعد مماته (يا ابن ذات النطاقين) بكسر النون وهو ما تشد به المرأة وسطها عند معاناة الاشغال لترفع به ثوبها وسميت بذلك لانها قطعت نطاقها نصفين عند مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدت باحدهما قربته وبالآخر سفرته فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ذات النطاقين وقيل شدت باحدهما سفرته وبالآخر وسطها للشغل وكان الحجاج

ما علمت صواما قواما وصولا للرحم أما والله لامة أنت شرها لامة سوء وفي رواية لامة خير ثم نفذ عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله فأرسل اليه فأنزل عن جذعه فألقي في قبور اليهود ثم أرسل الى أمه أسماء بنت أبي بكر فأبت ان تأتيه فأعاد عليها الرسول لتأتيني أو لابعثن اليك من يسحبك بقرونك قال فأبت وقالت والله لا آتيك حتى تبعث الي من يسحبني بقروني قال فقال أروني سبتي فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها فقال كيف رأيتني صنعت بعدو الله قالت رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك بلغني انك تقول له يا ابن ذات النطاقين

(أنا والله ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبي بكر من الدواب وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه أما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ان في ثقيف كذابا ومبيرا فاما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا إخالك الا اياه قال فقام عنها فلم يراجعها رواه مسلم وعن نافع ان ابن عمر أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا ان الناس صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما يمنعك ان تخرج فقال يمنعني ان الله حرم على دم أخي المسلم قالا ألم يقل الله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة فقال ابن عمر قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون ان تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله رواه البخاري وعن أبي هريرة قال جاء الطفيل بن عمرو الدوسي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم)

من نخبته على قوله صلى الله عليه وسلم في حقها ذات النطاقين على الذم وانها خادمة وتراب قولا حجة تشد نطاقها للخدمة فكانها سلمت انها ذات نطاقين ولكن نطاق ليس هذا شانه واليه الاشارة بقولها (أنا والله ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبي بكر من الدواب) متعلق بارفع أي أربط به سفرة طعامهما وأعلقها مرفوعة خشية من الدواب كالفارة والذرة ونحوهما (وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه) اما لخدمتها المتعارفة في بيتها الممدوحة في حقها واما لربطها في وسطها لابقاء لها لها خشية ان تصير بطونية كما هو الآن عادة العرب من الحزام المصنوع من الجلد للفقراء والحقو به المصنوع من الذهب والفضة للاغنياء قال الطيبي وهو نظير قوله تعالى ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين كانه قيل نعم هو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لا اذن شر فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر بما هو مدح وان كانوا قصدوا به ذلك المذمة (أما) بالتخفيف للتنبيه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا) بالفتح وجوز الكسر على انه من جملة الحديث (في ثقيف كذابا ومبيرا) أي مفسدا (فاما الكذاب فرأيناه) تعني المختار (وأما المبير فلا إخالك) بكسر الهمز وتفتح أي فلا أظنك (الا اياه) أي ذلك المبير قال الطيبي الظاهر ان يقال لا اخاله الا اياك فقدم ثاني مفعوليه اهتماما وان المحكوم عليه بهذا الحكم هو لان المبير من هو فهو ينظر الى قوله وجعلوا لله شركاء الجن قدم شركاء وهو المفعول الثاني على الاول وهو الجن وقدم أيضا لله عليهما اهتماما ومزيدا للانكار قال النووي في سلام ابن عمر عليه وهو مصلوب استحباب السلام على الميت وتكريره وفيه الثناء على الموتى بجميل صفاتهم المعروفة وفيه منقبة عظيمة لابن عمر لقوله الحق في الملا وعدم اكتراثه بالحجاج لانه يعلم ان مقامه وثناءه عليه يبلغه فلم يمنعه ذلك ان يقول الحق ويشهد لابن الزبير بما يعلمه فيه من الخير وبطلان ما أشاع عنه الحجاج من قوله عدو الله وظالم ونحوه فاراد ابن عمر رضي الله عنهما براءة ابن الزبير من الذي نسب اليه الحجاج واعلام الناس بمحاسنه ومذهبنا ان ابن الزبير كان مظلوما انتهى ولا أظن ان فيه خلافا في مذهب من المذاهب الا عند الخوارج (قال) أي أبو نوفل (فقام عنها) أي الحجاج (فلم يراجعها) أي فلم يردها في الكلام ثم انها ماتت بعد قتل ابنها بعشرة أيام ولها مائة سنة ولم يقع لها سن (رواه مسلم وعن نافع) أي مولى ابن عمر (ان ابن عمر أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير) أي قبل قتله (فقالا ان الناس صنعوا ما ترى) أي من الاختلاف (وأنت ابن عمر) أي وقد كان خليفة (وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) يعني ومن أصحابه أيضا ولا نشك انك من الوجهين أولى بالخلافة من عبد الملك الذي من جملة أمرائه الحجاج (فما يمنعك ان تخرج) أي عليه لظهور كمال ظلمه (فقال يمنعني ان الله حرم على دم أخي المسلم قالا) أي الرجلان (ألم يقل الله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أي لا توجد وتمامه ويكون الدين لله (فقال ابن عمر قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة) أي شرك (وكان الدين لله) أي وصار دين الاسلام خالصا لله (وأنتم تريدون ان تقاتلوا حتى تكون فتنة) أي تقع فتنة بين المسلمين (ويكون الدين لغير الله) أي لتزلزل دينه وعدم ثبات أمره والحاصل ان السائل يرى قتال من خالف الامام الذي يعتقد هو طاعته وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلق بالملك في حقه كما يدل عليه قوله لقد كنت أنهاك عن مثل هذا (رواه البخاري وعن أبي هريرة) رضي الله عنه (قال جاء الطفيل) بالتصغير (ابن عمرو الدوسي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ويقال له ذو النور لانه لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى قومه فقال اجعل لي آية فقال اللهم نوّر له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رسول الله أخاف ان يقولوا انه مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فدعا قومه الى الاسلام فاسلم أبوه ولم تسلم أمه وأجابه أبو هريرة وحده وهذا يدل على تقدم اسلامه وقد جزم ابن أبي حاتم انه قدم بخيبر مع أبي هريرة وكانه قدمته ثانية كذا ذكره ابن حجر وقال المؤلف أسلم وصدق النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم رجع الى بلاد قومه فلم يزل بها حتى

هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بمن تبعه من قومه فلم يزل مقيما عنده الى ان قبض النبي صلى الله عليه وسلم وقتل يوم اليمامة شهيدا وقيل قتل عام اليرموك فى خلافة عمر روى عنه جابر وأبو هريرة عداده فى أهل الحجاز (فقال) أى الطفيل (ان دوسا قد هلكت) أى استحقت الهلاك (عصت) بيان لما قبله (وأبت) أى امتنعت عن الطاعة (فادع الله عليهم) أى بوقوع العذاب (فظن الناس انه يدعو عليهم فقال) أى لكونه رحمة للعالمين وهدى للناس (اللهم اهد دوسا وائت بهم) أى الى المدينة مهاجرين أو قربهم الى طريق المسلمين وأقبل بقلوبهم الى قبول الدين (متفق عليه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث) أى خصال أو أسباب (لانى عربي) وكل ما ينسب الى الحبيب محبوب (والقرآن) أى بالنصب ويرفع (عربي) أى لانه نزل بلغتهم وبلغتهم تعرف بلاغته وفصاحته ولانهم تحملوا الشريعة ونقلوها الينا وضبطوا أقواله وأفعاله ونقلوا الينا معجزاته ولانهم مادة الاسلام وبهم فتحت البلاد وانتشر الاسلام فى أقطار العالم ولانهم أولاد اسمعيل عليه السلام ولان سؤال القبر بلسانهم ولذا قيل من أسلم فهو عربي (وكلام أهل الجنة عربي) ويفهم منه ان كلام أهل النار غير عربي (رواه البيهقى فى شعب الايمان) وكذا الطبرانى فى الكبير والحاكم فى مستدركه والعقيلى فى الضعفاء

(باب مناقب الصحابة رضى الله عنهم أجمعين)

قال القرطبي المنقبة بمعنى الفضيلة وهى الخصلة الجميلة التى يحصل بسببها شرف وعلو مرتبة اما عند الله واما عند الخلق والثانى لا عبرة به الا ان أوصل الى الاول فاذا قيل فلان فاضل فمعناه ان له منزلة عند الله ولا يوصل اليه الا بالنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ذكره السيوطى وقال الطيبي الصحابى المعروف عند أهل الحديث وبعض أصحاب الاصول كل من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسلم ثم يعرف كونه صحابيا بالتواتر كابى بكر وعمر رضى الله عنهما أو بالاستفاضة أو بقول صحابى غيره انه صحابى أو بقول عن نفسه انه صحابى اذا كان عدلا والصحابة كلهم عدول مطلقا لظواهر الكتاب والسنة واجماع من يعتد به وفى شرح السنة قال أبو منصور البغدادى أصحابنا مجمعون على ان أفضلهم الخلفاء الاربعة على الترتيب المذكور ثم تمام العشرة ثم أهل بدر ثم أحد ثم بيعة الرضوان ومن له مزية من أهل العقبتين من الانصار وكذلك السابقون الاولون وهم من صلى الى القبلتين وقيل أهل بيعة الرضوان وكذلك اختلفوا فى عائشة وخديجة أيهما أفضل وفى عائشة وفاطمة واما معاوية فهو من العدول الفضلاء والصحابة الاخيار والحروب التى جرت بينهم كانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها وكلهم متأولون فى حروبها ولم يخرج بذلك أحد منهم من العدالة لانهم مجتهدون اختلفوا فى مسائل كما اختلف المجتهدون بعدهم فى مسائل ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم

(الفصل الاول) (عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال النبي) وفى نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى) الخطاب بذلك للصحابة لما ورد ان سبب الحديث انه كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شئ فسبه خالد فالمراد باصحابى أصحاب مخصوصون وهم السابقون على المخاطبين فى الاسلام وقيل نزل الساب منهم لتعاطيه ما لا يليق به من السب منزلة غيرهم فخاطبه خطاب غير الصحابة ذكره السيوطى ويمكن ان يكون الخطاب للامة الاعم من الصحابة حيث علم بنور النبوة ان مثل هذا يقع فى أهل البدعة فنهاهم بهذه السنة وفى شرح مسلم اعلم ان سب الصحابة حرام من أكبر الفواحش ومذهبنا ومذهب الجمهور انه يعزر وقال بعض المالكية يقتل وقال القاضى عياض سب أحدهم من الكبائر انتهى وقد صرح بعض علمائنا بانه يقتل من سب الشيخين ففى كتاب السير من كتاب الاشباه والنظائر لزين بن نجيم كل كافر تاب فتوبته مقبولة فى الدنيا والآخرة الا جماعة الكافر بسب النبي وسب الشيخين أو احدهما أو بالسحر أو بالزندقة ولو امرأة اذا أخذ قبل توبته وقال سب الشيخين ولعنهما كفر وان فضل عليا عليهما

فقال ان دوسا قد هلكت عصت وأبت فادع الله عليهم فظن الناس انه يدعو عليهم فقال اللهم اهد دوسا وائت بهم متفق عليه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث لانى عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي رواه البيهقى فى شعب الايمان

(باب مناقب الصحابة)

(الفصل الاول) عن أبى سعيد الخدرى قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابى

فمبتدع كذا في الخلاصة وفي مناقب الكردري يكفر اذا أنكر خلافتهما أو أبغضهما لمحبة النبي لهما واذا أحب عليا أكثر منهما لا يؤاخذ به انتهى ولعل وجه تخصيصهما بما ورد في فضائلهما من قوله صلى الله عليه وسلم في حقهما خاصة على ما سيأتي في باب على حدة لهما أو للاجماع على أحقيتهما خلافا للخوارج في حق عثمان وعلي ومعاوية وأمثالهم والله أعلم (فلو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا) زاد البرقاني كل يوم (ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) أي ولا بلغ نصفه أي من بر أو شعير لحصول بركته ومصادمته لاعلاء الدين وكلمته مع ما كانوا من القلة وكثرة الحاجة والضرورة ولذا ورد سبق درهم مائة ألف درهم وذلك معدوم فيما بعدهم وكذلك سائر طاعاتهم وعباداتهم وغزواتهم وخدماتهم ثم اعلم ان المد بضم الميم ربع الصاع والنصيف بمعنى النصف كالعشير بمعنى العشر وعلى هذا الضمير راجع الى المد وقيل النصيف مكيال يسع نصف مد فالضمير راجع الى الاحد قال القاضي عياض النصيف النصف أي نصف مد وقيل هو مكيال دون المد والمعنى لا ينال أحدكم بانفاق مثل أحد ذهبا من الاجر والفضل ما ينال أحدهم بانفاق مد طعام أو نصفه لما يقارنه من مزيد الاخلاص وصدق النية وكمال النفس قال الطيبي ويمكن ان يقال ان فضيلتهم بحسب فضيلة انفاقهم وعظم موقعه كما قال تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وقوله من قبل الفتح أي قبل فتح مكة يعني قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه وهذا في الانفاق فكيف بمجاهدتهم وبذل أرواحهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى ولا يخفى ان هذا انما يتم على ما سبق من سبب الحديث المستفاد منه تخصيص الصحابة الكبار لكن يعلم نهي سب غير الصحابي لصحابي من باب الاولى لان المقصود هو الزجر عن سب أحد ممن سبقه في الاسلام والفضل اذ الواجب تعظيمهم وتكريمهم حيث قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا (متفق عليه) ورواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد وكذا مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة وأخرجه أبو بكر البرقاني على شرطهما وأخرج علي بن حرب الطائي وخيثمة بن سليمان عن ابن عمر قال لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره وأخرج الخطيب البغدادي في الجامع وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال اذا ظهرت الفتن أو قال البدع وسب أصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله له صرفا ولا عدلا وأخرج الحاكم عن ابن عباس مرفوعا ما ظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم حجة على لسان من شاء من خلقه وأخرج المحاملي والطبراني والحاكم عن عويم بن ساعدة مرفوعا ان الله اختارني واختار لي أصحابا وجعل لي فيهم وزراء وأنصارا وأصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا وروى العقيلي في الضعفاء عن أنس ان الله اختارني واختار لي أصحابا وأنصارا وسيأتي قوم يسبونهم وينتقصونهم فلا تجالسوهم ولا تشاربوهم ولا تواكلوهم ولا تناكحوهم وروى أحمد عن أنس دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفقتم مثل أحد ذهبا ما بلغتم أعمالهم وروى أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئا فاني أحب ان أخرج اليكم وأنا سليم الصدر (وعن أبي بردة عن أبيه) وهو أبو موسى الاشعري (قال) أي أبوه (رفع يعني النبي صلى الله عليه وسلم) هذا قول أبي بردة وضمير يعني الى أبيه أي يريد أبو موسى بالضمير الفاعل في قوله رفع النبي وترك اسمه لظهوره والمعنى رفع النبي صلى الله عليه وسلم (رأسه الى السماء وكان كثيرا مما يرفع رأسه الى السماء) اي انتظارا للوحي الالهي بالنزول الملكي قال الطيبي من بيان لكثيرا ويجوز ان تكون من زائدة وهو خبر كان أي كان كثيرا رفع رأسه وما مصدرية انتهى والجملة معترضة حالية (فقال النجوم أمنة للسماء) بفتح الهمز والميم أي أمن وقيل أمان ومرعية وقيل حفظة جمع أمين وهو الحافظ ذكره شارح وقال الطيبي يقال أمنته وآمنته غيري وهو في أمن منه وأمنة

فلو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه متفق عليه وعن أبي بردة عن أبيه قال رفع يعني النبي صلى الله عليه وسلم رأسه الى السماء وكان كثيرا مما يرفع رأسه الى السماء فقال النجوم أمنة للسماء

وفلان أمنة وأمنة بسكون [illegible] المرة من الامن ويجوز أن يكون جمع آمن كبار وبررة (فاذا ذهبت النجوم) أى الشاملة الشمس والقمر (أتى السماء ما توعد) أى ما وعدله من الانشقاق والطي يوم القيامة والمراد بذهاب النجوم تكويرها وانكدارها وانعدامها على ما فى النهاية وغيره (وأنا أمنة لاصحابي) قال الطيبي اذا نسب أمنة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل وجهين أحدهما ان يكون مصدرا مبالغة نحو رجل عدل أو جمعا فيكون من باب قوله تعالى شهابا رصدا أى راصدين وقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا فجعل صلى الله عليه وسلم أمنا لاصحابه بمنزلة الجماعة (فاذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون) أى من الفتن والحالفات والمحن (وأصحابي أمنة لامتي فاذا ذهب أصحابي) أى جميعهم (أتى أمتي ما يوعدون) أى من ذهاب أهل الخير ومجيء أهل الشر وقيام الساعة عليهم قال فى النهاية والاشارة فى الجملة الى مجيء الشر عند ذهاب أهل الخير فانه صلى الله عليه وسلم لما كان بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه فلما توفى جالت الاراء واختلفت الاهواء كان أصحابه يسندون الامر اليه صلى الله عليه وسلم فى قول أو فعل أو دلالة حال فلما فقدوا قلت الانوار وقويت الظلم وكذلك حال السماء عند ذهاب النجوم قلت ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم (رواه مسلم) وكذا الامام أحمد فى مسنده (وعن أبي سعيد الخدرى) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان فيغزو) بالتذكير ويؤنث أى يقاتل (فئام) بكسر الفاء فهمز ويجوز ابدالها ياء أى جماعة (من الناس) فى القاموس لا واحد له من لفظه والجمع فؤم ككتب وفى شرح مسلم هو بفاء مكسورة ثم همزة أى جماعة وحكى القاضى عياض بالياء مخففة بلا همزة ولغة أخرى بفتح الفاء عن الخليل والمشهور الاول (فيقولون) أى الذين يغزون الفئام لهم وفى نسخة فيقال (هل فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) بمن الموصولة صلته صاحب فعل ماض ونصب رسول الله صلى الله عليه وسلم على المفعولية وفى نسخة بمن الزائدة على ان صاحب اسم فاعل مضاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (فيقولون نعم فيفتح لهم) على بناء المفعول (ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال) كذاهما بالاتفاق (هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) بمن الموصولة بلا خلاف (فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) بالموصولتين (فيقولون نعم فيفتح لهم) فى الحديث معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفضل لاصحابه والتابعين وتابعيهم (متفق عليه وفى رواية لمسلم) قال ابن حجر هذه رواية شاذة وأكثر الروايات مقتصرة على الطبقات الثلاث (قال) أى النبي صلى الله عليه وسلم أو أبو سعيد مرفوعا (يأتى على الناس زمان يبعث) أى فيه (منهم البعث) أى المبعوث وهو الجيش (فيقولون) أى المبعوث اليهم (انظروا هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوجد الرجل) أى الواحد فيهم (فيفتح لهم) أى ببركته (ثم يبعث البعث الثانى) أى من الناس الى جمع آخر (فيقولون انظروا هل فيهم) وفى نسخة هل فيكم (من رأى أصحاب النبي) وفى نسخة رسول الله أى أحدا من أصحابه (صلى الله عليه وسلم فيوجد) أى من رأى الصحابة وهو يوجد فى بعض النسخ (فيفتح لهم ثم يبعث البعث الثالث فيقال انظروا هل ترون فيهم من رأى من رأى) أى بالواسطة (أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم يكون بعث الرابع) بالاضافة وهو مصدر والموصوف محذوف أى بعث البعث الرابع وفى نسخة البعث الرابع على الوصف فالمراد بالبعث الجيش المبعوث (فيقال انظروا هل ترون فيهم أحدا رأى من رأى أحدا رأى) أى ذلك الاحد (أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم) فيكون واسطتين (فيوجد الرجل فيفتح له) أى لاجل ذلك التابع لاتباع التابعين وفى نسخة لهم أى لاجلهم ببركته ولما كان أهل الخير نادرا فى القرن الرابع اقتصر على القرون الثلاثة فى أكثر الروايات لكثرة أهل العلم والصلاح فيهم وقلة السفه والفساد منهم ففى صحيح مسلم عن عائشة مرفوعا

أى أمتي ما يوعدون رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون هل فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم ثم يأتى على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم متفق عليه وفى رواية لمسلم قال يأتى على الناس زمان يبعث منهم البعث فيقولون انظروا هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوجد الرجل فيفتح لهم ثم يبعث البعث الثانى فيقولون هل فيكم من رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفتح لهم ثم يبعث البعث الثالث فيقال انظروا هل ترون فيهم من رأى من رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم يكون بعث الرابع فيقال انظروا هل ترون فيهم أحدا رأى من رأى أحدا رأى أصحاب [illegible]

[illegible] القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث وروى الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا خير الناس قرني ثم الثاني ثم الثالث ثم يجيء قوم لا خير فيهم وروى الطبراني والحاكم عن جعدة بن هبيرة خير الناس قرني الذين أنا فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والآخرون أرذال وروى الحكيم الترمذي عن أبي الدرداء خير أمتي أولها وآخرها أولها فيهم رسول الله وآخرها فيهم عيسى بن مريم وبين ذلك نهج أعوج ليسوا مني ولا أنا منهم (وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتي قرني) أي الذين أدركوني وآمنوا بي وهم أصحابي (ثم الذين يلونهم) أي يقربونهم في الرتبة أو يتبعونهم في الايمان والايقان وهم التابعون (ثم الذين يلونهم) وهم اتباع التابعين والمعنى ان الصحابة والتابعين وتبعهم هؤلاء القرون الثلاثة المرتبة في الفضيلة ففي النهاية القرن أهل كل زمان وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق من الزمان وهو مصدر قرن يقرن قال السيوطي والاصح انه لا ينضبط بمدة فقرنه صلى الله عليه وسلم هم الصحابة وكانت مدتهم من المبعث الى آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة وقرن التابعين من مائة سنة الى نحو سبعين وقرن اتباع التابعين من ثم الى نحو العشرين ومائتين وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاشيا وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤسها وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الاحوال تغيرا شديدا ولم يزل الامر في نقص الى الآن وظهر مصداق قوله صلى الله عليه وسلم ثم يفشو الكذب قال الطيبي وثم فيه بمنزلة الفاء في قوله الافضل فالافضل على انه بيان لتراخي الرتبة في النزول والخير المذكور أولا أطلق على ما اقتضاه معنى التفضيل من الاشتراك حتى انتهى الى حد يرتفع فيه الاشتراك فيختص بالموصوف فلا يدخل ما بعده من قوله (ثم ان بعدهم قوما يشهدون) فهو حينئذ كما في قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقولك الصيف أحر من الشتاء قال شارح في أكثر نسخ المصابيح ثم ان بعدكم وليس بسديد والصواب ثم ان بعدهم قوما يشهدون (ولا يستشهدون) بصيغة المجهول أي والحال انه لا يطلب منهم الشهادة ولا يبعد ان تكون الواو عاطفة كبقية ما يأتي والحاصل انهم يشهدون قبل ان يطلب منهم الشهادة فهو ذم على الشهادة قبل الاستشهاد قال النووي وهذا مخالف في الظاهر للحديث الآخر خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل ان يسأل قالوا والجمع بينهما ان الذم في ذلك لمن بادر بالشهادة في حق من هو عالم بها قبل ان يسألها صاحبه وأما المدح فهو لمن كانت عنده شهادة لاحد لا يعلم بها فيخبره بها ليستشهده عند القاضي ويلحق به من كانت عنده شهادة في حدود أي المصلحة في الستر هذا ما عليه الجمهور انتهى وقيل المدح في حقوق الله والذم في حقوق الناس (ويخونون ولا يؤتمنون) جمع بينهما تأكيدا أو يخونون الناس عند ائتمانهم اياهم ولا يجعلون أمناء عند بعضهم لظهور خياناتهم وقال النووي ومعنى الجمع في قوله يخونون ولا يؤتمنون انهم يخونون خيانة ظاهرة بحيث لا يبقى معها ثقة بخلاف من خان حقيرا مرة فانه لا يخرج به عن ان يكون مؤتمنا في بعض المواطن (وينذرون) بضم الذال ويكسر على ما في القاموس أي يوجبون على أنفسهم أشياء (ولا يفون) من الوفاء أي ولا يقومون بالخروج عن عهدتها ولا يبالون بتركها بخلاف الابرار على ما قال سبحانه في حقهم يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا وقد قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أي بالأيمان والنذور والعهود (ويظهر فيهم السمن) بكسر السين وفتح الميم مصدر سمن بالكسر والضم سمانة بالفتح وسمنا كعنب فهو سامن وسمين قال صاحب النهاية في الحديث يكون في آخر الزمان قوم يتسمنون أي يتكبرون بما ليس فيهم ويدعون ما ليس لهم من الشرف وقيل أراد جمعهم الاموال وقيل يحبون التوسع في المآكل والمشارب وهي أسباب السمن وقال التوربشتي كنى به عن الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الدين فان الغالب على ذوي السمانة ان لا يهتموا بارتياض النفوس بل معظم همتهم تناول الحظوظ

وعن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن

والتهرع

والتفرغ للدعة والنوم وفي شرح مسلم قالوا والمذموم من السمن ما يستكسب وأما ما هو خلقة فلا يدخل في هذا انتهى وبه يظهر معنى ما ورد من ان الله يبغض الحبر السمين (وفي رواية ويحلفون ولا يستحلفون) أي يحلفون من غير ضرورة داعية اليه ومن غير حاجة باعثة عليه (متفق عليه وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة ثم يخلف) بضم اللام أي ثم يعقبهم ويظهر وراءهم (قوم يحبون السمانة) بضم السين وروى أحمد والشيخان والترمذي عن ابن مسعود ولفظه خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته وروى الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين بلفظ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل ان يسألوها

(الفصل الثاني) (عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا أصحابي) أي السابقين واللاحقين أحياء وأمواتا (فانهم خياركم) والخطاب للامة (ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب) أي يفشو كما في رواية (حتى ان الرجل) بكسر ان ويفتح (ليحلف) بلام التأكيد (ولا يستحلف ويشهد) عطف على يحلف أو ليحلف (ولا يستشهد ألا) للتنبيه (من سره) أي من أحب (بحبوحة الجنة) بضم الموحدتين أي وسطها وخيارها (فليلزم الجماعة) أي السواد الاعظم وما عليه الجمهور من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين فيدخل فيه حبهم واكرامهم دخولا أوليا (فان الشيطان مع الفذ) بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة أي مقارن للفرد الذي تفرد برأيه (وهو) أي الشيطان (من الاثنين أبعد) أي بعيد قال الطيبي أفعل هنا لمجرد الزيادة ولو كان مع الثلاثة لكان بمعنى التفضيل اذ البعد مشترك بين الثلاثة والاثنين دون الاثنين والفذ على ما لا يخفى (ولا يخلون رجل) نهي تأكيد وتشديد (بامرأة) أي اجنبية (فان الشيطان ثالثهم) أي فلابد ان يغويهما (ومن سرته حسنته) أي اذا وقعت منه (وساءته سيئته) أي أحزنته اذا صدرت عنه (فهو مؤمن) أي كامل لان المنافق حيث لا يؤمن بيوم القيامة استوت عنده الحسنة والسيئة وقد قال تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة (رواه) هنا بياض في أصل المصنف وألحق به النسائي واسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح الا ابراهيم بن الحسن الخثعمي فانه لم يخرج له الشيخان وهو ثقة ثبت ذكره الجزري فالحديث بكماله اما صحيح أو حسن وروى أحمد وابن حبان في صحيحه والطبراني والحاكم والبيهقي والضياء عن أبي امامة مرفوعا اذا سرتك حسنتك وساءتك سيئتك فانت مؤمن ورواه الطبراني عن أبي موسى مرفوعا ولفظه من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن (وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني رواه الترمذي) وكذا الضياء وحسنه الترمذي وروى عبد بن حميد عن أبي سعيد وابن عساكر عن واثلة طوبى لمن رآني ولمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني وروى الطبراني والحاكم عن عبد الله بن بسر طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن رأى من رآني ولمن رأى من رأى من رآني وآمن بي طوبى لهم وحسن مآب وأنشد

واستنشق الارياح من نحو أرضكم * لعلي أراكم أو أرى من يراكم

وقال بعضهم

سعدت أعين رأتك وقرت * والعيون التي رأت من رآكا

وكانه صلى الله عليه وسلم لما تذكر الحرمين من ذلك الجناب وعن رؤية الاصحاب وعن خدمة الاتباع من أولي الالباب قال تسلية طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن لم يرني وآمن بي ثلاث مرات رواه الطيالسي وعبد ابن حميد عن ابن عمر وقال أيضا طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني رواه أحمد وابن حبان عن أبي سعيد وقال أيضا طوبى لمن رآني وآمن بي مرة وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات رواه أحمد والبخاري في تاريخه وابن حبان والحاكم عن ابي امامة ورواه احمد أيضا عن أنس وحاصله انه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل كما هنا من الايمان بالغيب عن مشاهدة المعجزات التي قارب من رآها

وفي رواية ويحلفون ولا يستحلفون متفق عليه وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة ثم يخلف قوم يحبون السمانة

(الفصل الثاني)

عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا أصحابي فانهم خياركم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يظهر الكذب حتى ان الرجل ليحلف ولا يستحلف ويشهد ولا يستشهد ألا من سره بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد ولا يخلون رجل بامرأة فان الشيطان ثالثهم ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن رواه وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمس النار مسلما رآني أو رأى من رآني رواه الترمذي

وعن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابى فى أمتى كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح رواه فى شرح السنة وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد من أصحابى يموت بأرض الا بعث قائدا ونورا لهم يوم القيامة رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وذكر حديث ابن مسعود لا يبلغنى أحد فى باب حفظ اللسان

(الفصل الثالث) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فقولوا لعنة الله على شركم رواه الترمذى

ان يكون ... بابه ان (وعن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله) بالنصب فيهما أى اتقوا الله ثم اتقوا الله (فى أصحابى) أى فى حقهم والمعنى لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم أو التقدير أذكركم الله ثم أنشدكم الله فى حق أصحابى وتعظيمهم وتوقيرهم كما يقول الاب المشفق الله الله فى حق أولادى ذكره الطيبى او التقدير اتقوا الله اتقوا عقابه فى عداوة أصحابى المقربين بساحة المتحضرين الى جنابى (لا تتخذوهم غرضا من بعدى) بفتح الغين المعجمة والراء أى هدفا بالكلام القبيح لهم فى المحاورات ورميهم فى غيبتهم بالوقائع والمكروهات (فمن أحبهم فبحبى) أى بسبب حبى اياهم (أحبهم) وقال الطيبى بسبب حبه اياى أحبهم وهو أنسب بقوله (ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم) والمعنى انما أحبهم لانه يحبنى وانما أبغضهم لانه يبغضنى والعياذ بالله تعالى فحقيق لذلك قول من قال ان من سبهم فقد استوجب القتل فى الدنيا على ما سبق من مذهب المالكية (ومن آذاهم فقد آذانى) أى حكما (ومن آذانى فقد آذى الله) ونظيره من يطع الرسول فقد أطاع الله (ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) أى يعاقبه فى الدنيا أو فى الاخرى ولعله مقتبس من قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا (رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابى فى أمتى كالملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح) استئناف مبين لوجه الشبه ولا يلزم من التشبيه أن يكون من جميع الوجوه حتى يقال كثرة الملح تفسد الطعام كما قيل فى حق النحو انه فى الكلام كالملح فى الطعام بل المراد منه أن الطعام بدونه ليس له كمال المرام (قال الحسن) أى البصرى (فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح) أى فى حال الفاقات نصلح بكلامهم ورواياتهم ومعرفة مقاماتهم وحالاتهم وبالاقتداء بأخلاقهم وصفاتهم فان العبرة بهذه الاشياء دون صورهم وذواتهم (رواه) أى البغوى (فى شرح السنة) أى باسناده وكذا رواه أبو يعلى فى مسنده عن أنس مرفوعا (وعن عبد الله بن بريدة) بالتصغير (عن أبيه) يعنى أبا موسى الاشعرى (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد من أصحابى) من الاولى زائدة لتأكيد نفى الاستغراق والثانية بيانية (يموت بأرض الا بعث) أى الا حشر ذلك الاحد من أصحابى (قائدا) أى لاهل تلك الارض (ونورا) أى هاديا لهم (يوم القيامة رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب) وكذا رواه الضياء (وذكر حديث ابن مسعود لا يبلغنى أحد) أى من أصحابى عن أحد شيأ فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر أى مع كلكم فلو سمعت شيأ منكم ربما تغير خاطرى بمقتضى البشرية فالاولى سد باب الذريعة المؤدية الى الاذية (فى باب حفظ اللسان) أى على ظن انه أولى بذلك الباب والله أعلم بالصواب

(الفصل الثالث) (عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم) أى أبصرتم أو عرفتم (الذين يسبون أصحابى فقولوا لعنة الله على شركم) فيه اشارة الى أن لعنهم يرجع اليهم فانهم أهل الشر والفتنة وان الصحابة من أهل الخير المستحقين للرضا والرحمة قال الطيبى وهو من كلام المنصف الذى كل من سمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك ومنه بيت حسان فى حق من هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعر

أتهجوه ولست له بكفؤ * فشركما لخيركما الفداء

والتعريض والتورية أوصل بالمجادل الى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا (رواه الترمذى) وكذا الخطيب ورواه ابن عدى عن عائشة مرفوعا شرار أمتى أجرؤهم على أصحابى وفى الحديث المرفوع يكون فى آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام فاقتلوهم فانهم مشركون وفى رواية ينحلون حب أهل البيت وليسوا كذلك انهم يسبون أبا بكر وعمر كذا فى الصواعق ولعل الحكمة فى سب الروافض بعض الصحابة والخوارج بعض أهل البيت انهم لما انقطع عنهم أعمالهم بانتهاء آجالهم أراد الله أن يستمر لهم الثواب الى يوم المآب وأن يرجع أعداؤهم الى سوء الحساب

وشدة

وشدة العذاب (وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سألت ربي عن اختلاف أصحابي) أي عن حكمة تخالفهم في فروع الشرائع (من بعدي فأوحى) أي الله كما في نسخة (الي يا محمد ان أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء) أي في اظهار الهداية وابطال الغواية كما قال تعالى وبالنجم هم يهتدون (بعضها أقوى من بعض) أي بحسب مراتب أنوارها المقدرة لها (ولكل نور) أي وكذلك لكل من الاصحاب نور بقدر استعداده (فمن أخذ بشئ مما هم عليه) بيان شئ (من اختلافهم) بيان ما (فهو عندي على هدى) وفيه ان اختلاف الأئمة رحمة للامة قال الطيبي المراد به الاختلاف في الفروع لا في الاصول كما يدل عليه قوله فهو عندي على هدى قال السيد جمال الدين الظاهر أن مراده صلى الله عليه وسلم الاختلاف الذي في الدين من غير اختلاف للغرض الدنيوي فلا يشكل باختلاف بعض الصحابة في الخلافة والامارة قلت الظاهر أن اختلاف الخلافة أيضا من باب اختلاف فروع الدين الناشئ عن اجتهاد كل لا من الغرض الدنيوي الصادر عن الحظ النفسي فلا يقاس الملوك بالحدادين (قال) أي عمر (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم) أي فاقتدوا بهم جميعهم أو بأكثرهم وان لم يتيسر (فبأيهم اقتديتم اهتديتم) وكأنه أخذ من هذا بعضهم فقال من تبع عالما لقي الله سالما (رواه رزين) قال ابن الربيع اعلم أن حديث أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم أخرجه ابن ماجه كذا ذكره الجلال السيوطي في تخريج أحاديث الشفاء ولم أجده في سنن ابن ماجه بعد البحث عنه وقد ذكره ابن حجر العسقلاني في تخريج أحاديث الرافعي في باب أدب القضاء وأطال الكلام عليه وذكر أنه ضعيف واه بل ذكر عن ابن حزم انه موضوع باطل لكن ذكر عن البيهقي انه قال ان حديث مسلم يؤدي بعض معناه يعني قوله صلى الله عليه وسلم النجوم أمنة للسماء الحديث قال ابن حجر صدق البيهقي هو يؤدي صحة التشبيه للصحابة بالنجوم اما في الاقتداء فلا يظهر نعم يمكن أن يتلمح ذلك من معنى الاهتداء بالنجوم قلت الظاهر أن الاهتداء فرع الاقتداء قال وظاهر الحديث انما هو اشارة الى الفتن الحادثة بعد انقراض الصحابة من طمس السنن وظهور البدع ونشر الجور في أقطار الارض اه وتكلم على هذا الحديث ابن السبكي في شرح ابن الحاجب الاصلي في الكلام على عدالة الصحابة ولم يعزه لابن ماجه وذكره في جامع الاصول ولفظه عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب مرفوعا سألت ربي الحديث الى قوله اهتديتم وكتب بعده أخرجه فهو من الاحاديث التي ذكرها رزين في تجريد الاصول ولم يقف عليها ابن الاثير في الاصول المذكورة وذكره صاحب المشكاة وقال أخرجه رزين

(باب مناقب أبي بكر رضي الله عنه)

(الفصل الاول) (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من أمن الناس) بفتح الهمزة والميم وتشديد نون أي أنعمهم (علي) أو أبذلهم لاجلي (في صحبته) أي دوام ملازمته ببذل نفسه في خدمتي (وماله) أي وبذل ماله بل وجميع ماله في طريقتي (أبو بكر) كذا في صحيح مسلم (وفي البخاري أبابكر) أي بالنصب وهو الظاهر لانه اسم ان والرفع مشكل ذكره الطيبي قال المظهر وفيه أوجه الاول أن يكون من زائدة على مذهب الاخفش وقيل ان ههنا بمعنى نعم كما في جواب قوله لعن الله ناقة حملتني اليك ان وصاحبها فقوله أبو بكر مبتدأ ومن أمن الناس خبره وقيل اسم ان ضمير الشان اه فالتقدير انه من أمن الناس أو هو من باب علي بن أبو طالب وأما ما توهم بعضهم من ان قوله أبو بكر خبر مبتدأ محذوف وهو على انه جواب عن سؤال كأنه قيل من أمن الناس فقيل أبو بكر فغير صحيح لبقاء ان حينئذ بلا خبر قال التوربشتي يريد ان من ابذلهم وأسمحهم من من عليه منا لا من من عليه منة اذ ليس لاحد أن يمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه ورد مورد الاحماد واذا حمل على معنى الامتنان عاد ذما على صاحبه لان المنة تهدم الصنيعة (ولو كنت متخذا خليلا) قال القاضي الخليل الصاحب الواد الذي يفتقر اليه ويعتمد في الامور عليه من أصل التركيب من الخلة بالفتح وهي الحاجة والمعنى لو كنت متخذا من الخلق خليلا ارجع اليه في الحاجات

وعن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سألت ربي عن اختلاف اصحابي من بعدي فاوحى الي يا محمد ان اصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها اقوى من بعض ولكل نور فمن اخذ بشئ مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم رواه رزين

(باب مناقب ابي بكر)

(الفصل الاول) عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر وعند البخاري ابا بكر ولو كنت متخذا خليلا

لاتخذت ابابكر خليلا ولكن
اخوة الاسلام ومودته
لاتبقين في المسجد خوخة
الا خوخة أبي بكر وفي
رواية لو كنت متخذا خليلا
غير ربي لاتخذت ابابكر

واعتمد اليقين أنه مات (لاتخذت أبا بكر خليلا) ولكن الذي ألجأ إليه واعتمد عليه في جملة الأمور ومجامع الأحوال هو الله تعالى وإنما سمي إبراهيم عليه السلام خليلا من الخلة بالفتح التي هي الخصلة فإنه تخلق بخلال حسنة اختصت به أو من التخلل فإن الحب تخلل شغاف قلبه واستولى عليه أو من الخلة من حيث إنه عليه السلام ما كان يفتقر حال الافتقار إلا إليه وما كان يتوكل إلا عليه فيكون فعيل بمعنى فاعل وفي الحديث بمعنى مفعول (ولكن أخوة الإسلام) استدراك عن مضمون الجملة الشرطية وفحواها كأنه قال ليس بيني وبينه خلة ولكن بيننا أخوة الإسلام فنفى الخلة المنبئة عن الحاجة وأثبت الإخاء المقتضي للمساواة في المحبة والألفة ولذا قال (ومودته) أي ومودة الإسلام الناشئة عن المحبة الدينية لا لغرض من الأغراض الدنيوية أو النفسية الدنية قال السيد جمال الدين أي لكن بيني وبينه أخوة الإسلام أو لكن أخوة الإسلام حاصلة أو لكن أخوة الإسلام أفضل كما وقع في بعض الطرق فإن أريد أفضلية أخوة الإسلام ومودته عن الخلة كما هو الظاهر من السوق يشكل فيجب أن يراد أفضليتها من غير الخلة أو يقال أفضل بمعنى فاضل أو يقال أخوة الإسلام التي بيني وبين أبي بكر أفضل من أخوة الإسلام التي بيني وبين غيره أو من أخوة الإسلام التي بينه وبين غيري والأول أحسن تأمل أقول ويمكن أن يكون الحديث محمولا على ما كان تعاهد العرب من عهدة الأخوة وعقد الخلة والمحبة فيما بينهم فقال لو كنت متخذا خليلا من الخلق لعقد الخلة وعهد المحبة لاتخذت أبا بكر خليلا من بين أصحابي ولكن أخوة الإسلام ومودته الشاملة له ولغيره كافية أو أفضل حيث إنه خالص لله وعلى وفق رضاه ومن غير ملاحظة من سواه وقال ابن الملك اللام في قوله ولكن أخوة الإسلام للعهد أي ولكن أخوة الإسلام الذي سبق من المسلمين أفضل لأن اتخاذه خليلا بفعله وأخوة الإسلام بفعل الله تعالى فما اختاره الله للنبي صلى الله عليه وسلم يكون أفضل مما اختاره لنفسه (لا تبقين) بصيغة المجهول نهيا مؤكدا مشددا وفي نسخة بفتح أوله والمعنى لا تتركن باقية (في المسجد) أي مسجد المدينة (خوخة إلا خوخة أبي بكر) الخوخة بفتح الخاءين المعجمتين وسكون الواو كوة في الجدار تؤدي الضوء إلى البيت وقيل باب صغير ينصب بين بيتين أو دارين ليدخل من أحدهما إلى الآخر قال التوربشتي وهذا الكلام كان في مرضه الذي توفي فيه في آخر خطبة خطبها ولا خفاء بأن ذلك تعريض بأن أبا بكر هو المستخلف بعده وهذه الكلمة إن أريد بها الحقيقة فذلك لأن أصحاب المنازل اللاصقة بالمسجد قد جعلوا من بيوتهم مخترقا يمرون فيه إلى المسجد أو كوة ينظرون إليها منه فأمر بسد جميعها سوى خوخة أبي بكر تكريما له بذلك أولا ثم تنبيها للناس في ضمن ذلك على أمر الخلافة حيث جعله مستحقا لذلك دون الناس وإن أريد به المجاز فهو كناية عن الخلافة وسد أبواب المقالة دون التطارق إليها والتطلع عليها وأرى المجاز فيه أقوى إذ لم يصح عندنا أن أبا بكر كان له منزل بجنب المسجد وإنما كان منزله بالسنح من عوالي المدينة ثم إنه مهد المعنى المشار إليه وقرره بقوله ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا لعلم أنه أحق الناس بالنيابة عنه وكفى بها حجة على هذا التأويل تقديمه إياه في الصلاة وإباؤه كل الإباء أن يقف غيره ذلك الموقف اهـ وقيل أراد صلى الله عليه وسلم بخوخة أبي بكر خوخة بنته عائشة فإنه صلى الله عليه وسلم أمر بسد خوخات الأزواج إلا خوخة عائشة ووجه الإضافة إلى أبي بكر ظاهر لإقامته فيه بابنته كما يشير إليه لفظ المسجد ذكره السيد جمال الدين وفي الرياض عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بسد الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر أخرجه الترمذي وأبو حاتم وأخرجه ابن إسحق وزاد في آخره فإني لا أعلم رجلا كان أفضل في الصحبة يدا منه وعن جبير بن نفير أن أبوابا كانت مفتحة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بها فسدت غير باب أبي بكر فقالوا سد أبوابنا غير باب خليله فبلغه ذلك فقام فيهم فقال أتقولون سد أبوابنا وترك باب خليله فلو كان منكم خليل كان هو خليلي ولكني خليل الله فهل أنتم تاركون لي صاحبي فقد واساني بنفسه وماله وقال لي صدقت وقلتم كذبت (وفي رواية) أي مستقلة (لو كنت) وفي رواية بدلا مما قبله فكان المناسب أن يقول ولو كنت (متخذا خليلا غير ربي) أي بإفادة هذه الزيادة (لاتخذت أبا بكر

خليلا) أى لكن لا يجوز لى أن آخذ غير الله خليلا لا كونه خليلا سواء يكون بمعنى الفاعل أو المفعول (متفق عليه) ورواه أحمد والترمذى وأبو حاتم وفى مسند أبى يعلى عن ابن عباس أبو بكر صاحبى ومؤنسى فى الغار سدوا كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر وأخرجه أحمد والبخارى وأبو حاتم واللفظ له عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى مرضه الذى مات فيه عاصبا رأسه فجلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال انه ليس من الناس أحد أمن على بنفسه وماله من ابن أبى قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذته ولكن خلة الاسلام سدوا عنى كل خوخة فى المسجد غير خوخة أبى بكر قال أبو حاتم وفى قوله سدوا الخ دليل على حسم اطماع الناس كلهم من الخلافة الا أبا بكر (وعن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخى) زاد أحمد فى الدين (وصاحبى) زاد أحمد فى الغار ذكره السيوطى (وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا) فيه ايماء الى قوله تعالى وما صاحبكم بمجنون واشارة الى أن من جعل غير ربه خليلا يكون مجنونا مختال عقله ويصير مخذولا ذليلا قال الطيبى فى قوله اتخذ الله مبالغة من وجهين أحدهما انه أخرج الكلام على التجريد حيث قال صاحبكم ولم يقل اتخذنى وثانيهما اتخذ الله صاحبكم بالنصب عكس ما لمح اليه الحديث السابق من قوله غير ربى فدل الحديثان على حصول المخالة من الطرفين (رواه مسلم) ورواه أحمد والبخارى عن ابن الزبير ورواه أحمد والبخارى أيضا عن ابن عباس بلفظ لو كنت متخذا من أمتى خليلا دون ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخى وصاحبى وفى رواية البخارى لو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذته خليلا ولكن اخوة الاسلام أفضل وروى مسلم عن جندب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس ليال وهو يقول انى أبرأ الى الله عز وجل ان يكون لى منكم خليل فان الله عز وجل قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وأخرج الواحدى فى تفسيره عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وانه لم يكن نبى الا له فى أمته خليل الا وان خليلى أبو بكر وأخرج الحافظ أبو الحسن على بن عمر الحربى السكرى عن أبى بن كعب انه قال ان أحدث عهدى بنبيكم صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بخمس ليال دخلت عليه وهو يقلب يديه وهو يقول انه لم يكن نبى الا وقد اتخذ من أمته خليلا وان خليلى من أمتى أبو بكر بن أبى قحافة الا وان الله تعالى قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا والاحاديث النافية للاتخاذ أصح وأثبت وان صحت هذه الرواية فيكون قد أذن الله له عند تبريه من خلة غير الله مع تشوقه لخلة أبى بكر لولا خلة الله فى اتخاذه خليلا مراعاة لجنوحه اليه وتعظيما لشأن أبى بكر ولا يكون ذلك انصرافا عن خلة الله عز وجل بل الخلتان ثابتتان كما تضمنه الحديث احداهما تشريف للمصطفى صلى الله عليه وسلم والاخرى تشريف لابى بكر رضى الله عنه والله أعلم وفى الجملة هذا الحديث دليل ظاهر على ان أبا بكر أفضل الصحابة (وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه) أى الذى توفى فيه (ادعى لى) بضم همز وصل وكسر عين على ان أصله ادعوى فاعل بالنقل والحذف وهو أمر مخاطبة أى نادى (أبا بكر أباك) بدل (وأخاك) عطف على أبا بكر والمراد به عبد الرحمن وفى شرح مسلم ان طلبه لاخيها ليكتب الكتاب وقوله (حتى أكتب كتابا) أى آمر أن يكتب كتابا (فانى أخاف أن يتمنى متمن) أى الخلافة على تقدير عدم الكتابة (ويقول قائل) أى وأخاف أن يقول قائل ممن يتمنى الامارة (انا اولى) أى أنا مستحق الخلافة ولا يكون مستحقا لها مع وجود أبى بكر كما يدل عليه قوله (ويأبى الله والمؤمنون) أى خلافا للمنافقين والروافض فى أمر الخلافة (الا أبا بكر) قال شارح أى يأبيان خلافة كل أحد الا خلافة أبى بكر اه ومعنى أبى الله يمتنع لعدم رضاه ولعدم قدره وقضاه (رواه مسلم وفى كتاب الحميدى) وهو الجامع بين الصحيحين وقع فى نسخة (أنا أولى بدل أنا اولى) فى شرح مسلم قوله أنا اولى هكذا هو فى بعض النسخ المعتمدة أى يقول أنا أحق بالخلافة ولا يستحقها غيرى وفى بعضها أنا أولى أى أنا أحق بالخلافة قال القاضى عياض هذه الرواية أجود اه

خليلا متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكنه أخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا رواه مسلم وعن عائشة قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه ادعى لى أبا بكر أباك وأخاك حتى اكتب كتابا فانى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا اولى ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر رواه مسلم وفى كتاب الحميدى أنا أولى بدل أنا اولى

فالجزم من المصنف انه رواه مسلم خلافا للحميدي ليس من الحزم قال النووي وهذا دليل لاهل السنة على ان خلافة أبي بكر رضي الله عنه ليست بنص من النبي صلى الله عليه وسلم صريحا بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضله ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة بين الانصار وغيرهم أولا ولذكر حافظ النص ما معه ورجعوا اليه واتفقوا عليه وأما ما يدعيه الشيعة من النص على علي كرم الله وجهه والوصية اليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين وأول من يكذبهم علي حين سئل هل عندكم شيء ليس في القرآن قال ما عندي الا ما في هذه الصحيفة الحديث ولو كان عنده نص لذكره (وعن جبير بن مطعم قال أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فكلمته في شيء) أي من أمرها (فأمرها أن ترجع اليه) أي الى النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى حتى يعطيها شيأ ذكره شارح (قالت يا رسول الله أرأيت) أي أخبرني (ان جئت ولم أجدك) ولعل مسكنها كان بعيدا من المدينة (كأنها) أي قال جبير كأن المرأة (تريد) أي تعني بعدم الوجدان (الموت) أي موته صلى الله عليه وسلم (قال فان لم تجديني فأتي أبا بكر) أي فانه خليفتي مطلقا أو وصيي في هذا الامر والاول أظهر ولذا قال النووي ليس فيه نص على خلافته بل هو اخبار بالغيب الذي أعلمه الله به قلت ويؤيده ما أخرجه ابن عساكر عن ابن عباس قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله شيأ فقال تعودين فقالت يا رسول الله ان عدت فلم أجدك تعرض بالموت قال ان جئت فلم تجديني فأتي أبا بكر فانه الخليفة من بعدي (متفق عليه) وعن سهل بن أبي حثمة قال بايع اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم بقلائص الى أجل فقال علي للاعرابي ائت النبي صلى الله عليه وسلم فسله ان أتى عليه أجله من يقضيه قال يقضيك أبو بكر فرجع الى علي فأخبره فقال علي ارجع فسله ان أتى على أبي بكر أجله من يقضيه فأتى الاعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال يقضيك عمر فقال علي للاعرابي سله من بعد عمر فقال يقضيك عثمان فقال علي للاعرابي ائت النبي صلى الله عليه وسلم واسأله ان أتى على عثمان أجله من يقضيه فسأله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أتى على أبي بكر أجله وعلى عمر وعثمان فان استطعت أن تموت فمت أخرجه الاسماعيلي في معجمه (وعن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه) أي أرسله أميرا (على جيش ذات السلاسل) باضافة الجيش قال القاضي السلاسل رمل ينعقد بعضه ببعض وسمي الجيش بذلك لانهم كانوا بموضع الى أرض بها رمل كذلك (قال فأتيته) أي قبل السفر ويحتمل أن يكون بعده (فقلت أي الناس أحب اليك) أي الموجودين في زمنك أو المراد بهم أهل الجيش وذلك لان سبب سؤاله لما أمره النبي صلى الله عليه وسلم على الجيش وفيهم أبو بكر وعمر لمصلحة كانت تقتضيه وقع في نفس عمرو انه مقدم عنده في المنزلة عليهما فسأله لذلك لكن يؤيد الاول وهو ارادة العموم الذي هو أفيد للمفهوم جوابه (قال عائشة) أي هي أحبهم الي من النساء (قلت من الرجال) أي سؤالي عنهم أو التقدير من أحب اليك (قال أبوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا) أي فعد النبي صلى الله عليه وسلم رجالا آخرين بعد أسئلة أخرى (لي فسكت) أي عن ذلك السؤال (مخافة أن يجعلني في آخرهم) أي آخر الناس مطلقا أو آخر من أسأل عنهم لو سألته (متفق عليه وعن محمد بن الحنفية) قد ذكره وهو ابن علي من غير فاطمة رضي الله عنهم (قال قلت لابي) أي لعلي كرم الله وجهه (أي الناس خير بعد النبي صلى الله عليه وسلم قال) أي علي (أبو بكر) أي هو أبو بكر أو أبو بكر هو الخير (قلت ثم من قال عمر وخشيت أن يقول عثمان) أي لو قلت ثم من فعدلت عن سؤال السؤال لهذا الخشية (قلت ثم أنت قال ما أنا الا رجل من المسلمين) وهذا على سبيل التواضع منه مع العلم بانه حين المسئلة خير الناس بلا نزاع لانه بعد قتل عثمان رضي الله عنهم (رواه البخاري) وكذا أحمد (وعن ابن عمر قال كنا) أي معشر الصحابة (في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل) أي لا نساوي (بأبي بكر أحدا) أي من الصحابة بل نفضله على غيره (ثم عمر ثم عثمان) أي ثم لا نعدل بهما أحدا أو ثم نفضلهما على غيرهما (ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل) أي لا نوقع المفاضلة بينهم والمعنى لا نفضل بعضهم على بعض

وعن جبير بن مطعم قال أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فكلمته في شيء فأمرها أن ترجع اليه قالت يا رسول الله أرأيت ان جئت ولم أجدك كأنها تريد الموت قال فان لم تجديني فأتي أبا بكر متفق عليه وعن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال أبوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم متفق عليه وعن محمد بن الحنفية قال قلت لابي أي الناس خير بعد النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت أن يقول عثمان قلت ثم أنت قال ما أنا الا رجل من المسلمين رواه البخاري وعن ابن عمر قال كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نفاضل

والمراد مفاضلة مثلهم والافاضل بدر واحد وأهل بيعة الرضوان وسائر علماء الصحابة أفضل وأول هذا التفاضل بين الاصحاب وأما أهل البيت فهم أخص منهم وحكمهم يغايرهم فلا يرد عدم ذكر علي والحسنين والعمين رضي الله عنهم أجمعين قال المظهر وجه ذلك انه أراد به الشيوخ وذوي الاسنان منهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر شاورهم فيه وكان علي رضي الله عنه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث السن وفضله لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة وقال التوربشتي وأيضا قد عرف ان أهل بدر وأهل بيعة الرضوان وأصحاب العقبتين الاولى والثانية يفضلون غيرهم وكذلك علماء الصحابة وذوو الفهم منهم والمتبتلون عن الدنيا (رواه البخاري وفي رواية لابي داود قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم) أي الذين هم خير الامم (بعده) أي بعد النبي وامثاله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو بعد وجوده (أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم) لا يخفى ان الاحاديث المتقدمة لها المناسبة التامة بباب مناقب الثلاثة

(الفصل الثاني) (عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لاحد عندنا يد) أي عطاء وانعام (الا وقد كافأناه) بهمزة ساكنة بعد الفاء ويجوز ابدالها الفا في القاموس كافأه مكافأة جازاه ذكره في المهموز وكفاه مؤنته كفاية ذكره في المعتل ولا يخفى ان المناسب للمقام هو المعنى الاول وفي بعض النسخ المصححة بالياء ولا يظهر له وجه والمعنى جازيناه مثلا بمثل أو أكثر (ما خلا أبا بكر) أي ما عداه أي الا اياه (فان له عندنا يدا) قيل أراد باليد النعمة وقد بذلها كلها اياه صلى الله عليه وسلم وهي المال والنفس والاهل والولد ذكره شارح ويحتمل أن يكون المراد بتلك اليد اعتاق بلال كما أشير اليه قوله وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وفسر بان المراد منه أبو بكر واليه ينظر قوله (يكافيه الله) أي يجازيه (بها يوم القيامة) أي جزاء كاملا واقتصر صاحب الرياض على هذا المقدار من الحديث وقال رواه الترمذي وقال حسن غريب (وما نفعني مال أحد قط ما نفعني) ما مصدرية ومثل مقدر أي مثل ما نفعني (مال أبي بكر ولو كنت متخذا) أي من أمتي (خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا) للتنبيه (وان صاحبكم خليل الله) يحتمل أن يكون فعيلا بمعنى فاعل أو مفعول والاول أظهر في هذا المقام فتدبر (رواه الترمذي) وفي الجامع ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر رواه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة وفي الرياض عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر فبكى أبو بكر وقال ما أنا ومالي الا لك أخرجه أحمد وأبو حاتم وابن ماجه والحافظ الدمشقي في الموافقات وعن ابن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مال رجل من المسلمين أنفع لي من مال أبي بكر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه أخرجه عبد الرزاق في جامعه قلت وكأنه اشارة الى قوله تعالى أو صديقكم هذا وعن عائشة قالت انفق أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا أخرجه أبو حاتم وعن عروة قال أسلم أبو بكر وله أربعون ألفا أنفقها كلها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله أخرجه أبو عمر وعن عروة قال أعتق أبو بكر سبعة كانوا يعذبون في الله منهم بلال وعامر بن فهيرة أخرجه أبو عمر وعن اسمعيل بن قيس قال اشترى أبو بكر بلالا وهو مدفون بالحجارة بخمسين أواق ذهبا فقالوا لو أبيت الا أوقية لبعناكه فقال لو أبيتم الا مائة أوقية لاخذته أخرجه في الصفوة (وعن عمر رضي الله عنه) أي موقوفا (قال) أي عمر (أبو بكر سيدنا) أي نسبا وحسبا (وخيرنا) أي أفضلنا معرفة وكسبا (وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي حضورا وغيبا (رواه الترمذي وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنت صاحبي في الغار) أي في غار ثور بمكة حالة الهجرة من ديار الكفار حيث قال تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فالمعنى أنت صاحبي المخصوص حينئذ أو أنت صاحبي بشهادة الله اذ أجمع المفسرون على ان المراد بصاحبه في الآية هو

بينهم رواه البخاري وفي رواية لابي داود قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم

(الفصل الثاني) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لاحد عندنا يد الا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا الا وان صاحبكم خليل الله رواه الترمذي وعن عمر قال أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أنت صاحبي في الغار

أبو بكر وقد قال من أنكر صحبة أبي بكر كفر لانه أنكر النص الجلي بخلاف انكار صحبة غيره من عمر أو عثمان أو علي رضوان الله عليهم أجمعين (وصاحبي) أي الخصوص (على الحوض) وفيه ايماء الى انه صاحبه في الدارين كما أنه صاحبه الآن في البرزخ (رواه الترمذي) وفي مسند الفردوس للديلمي عن عائشة أبو بكر مني وأنا منه وأبو بكر أخي في الدنيا والآخرة (وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره) وفي معناه من هو أفضل القوم من غيرهم وفيه دليل على انه أفضل جميع الصحابة فاذا ثبت هذا فقد ثبت استحقاق الخلافة ولا ينبغي أن يجعل المفضول خليفة مع وجود الفاضل (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عمر رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق) أي في بعض الجهات (ووافق ذلك عندي مالا) أي صادف أمره بالتصدق حصول مال عندي فعندي حال من مال والجملة حال عما قبله يعني والحال انه كان لي مال كثير في ذلك الزمان (فقلت اليوم أسبق أبا بكر) أي بالمبارزة أو بالمغالبة (ان سبقته يوما من الايام) وان شرطية دل على جوابها ما قبلها أو التقدير ان سبقته يوما فهذا يومه وقيل ان نافية أي ما سبقته يوما قبل ذلك فهو استئناف تعليل (قال) أي عمر (فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك فقلت مثله) أي أبقيت مثله يعني نصف ماله (وأتى أبو بكر بكل ما عنده) وهو أبلغ من كل ماله بكسر اللام وأصرح من كل ما له بالفتح (فقال يا أبا بكر ما أبقيت لاهلك فقال أبقيت لهم الله ورسوله) أي رضاهما وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لهما ما بينكما كما بين كلمتيكما (قلت) أي في باطني واعتقدت (لا أسبقه الى شئ) أي من الفضائل (أبدا) لانه اذا لم يقدر على مغالبته حين كثرة ماله وقلة مال أبي بكر ففي غير هذا الحال أولى أن لا يسبقه (رواه الترمذي وأبو داود) وقال الترمذي حسن صحيح ومما يناسبه ما أخرجه أحمد عن ابن مسعود قال مر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وأنا أحمد الله عز وجل وأصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال سل تعط ولم أسمعه فادلج أبو بكر فسرني بما قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتاني عمر فأخبرني بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فقلت قد سبقك اليها أبو بكر قال عمر ما استبقنا خيرا لا قد سبقني اليه انه كان سباقا للخيرات فقال عبد الله ما صليت فريضة ولا تطوعا الا دعوت الله في دبر صلاتي اللهم اني أسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنات الخلد وأنا أرجو أن أكون دعوت بهن البارحة أخرجه أحمد وابن شاهين وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمع قراءة ابن مسعود ليلا من سره أن يقرأ القرآن رطبا فليقرأ كما يقرؤه ابن أم عبد فلما أصبحت غدوت اليه لابشره فقال قد سبق أبو بكر قال ما سابقته الى خير قط الا سبقني أخرجه أحمد ومعناه في الصحيحين (وعن عائشة ان أبا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنت عتيق الله من النار فيومئذ سمي عتيقا) قال الراغب العتيق المتقدم في الزمان أو المكان أو الرتبة ولذا قيل للقديم عتيق والكريم عتيق ولمن خلا عن الرق عتيق اه ومنه البيت العتيق لكرمه أو لقدم زمانه أو لرتبة مكانه أو لانه عتق عن الطوفان أو عن تصرف الجبابرة ثم قوله فيومئذ سمي عتيقا أي لقب به من ذلك اليوم قال المؤلف اسمه عبد الله بن عثمان أبي قحافة بضم القاف ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وصل بالاب السابع الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ولم يفارقه في جاهلية ولا اسلام وهو أول الرجال اسلاما كان أبيض نحيفا خفيف العارضين معروق الوجه غائر العينين ناتئ الجبهة ولابويه وولده وولد ولده صحبة ولم يجتمع هذا لاحد من الصحابة كان مولده بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر الا أياما ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والعشاء وله ثلاث وستون سنة وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس فغسلته وصلى عليه عمر بن الخطاب وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين ولم يرو عنه من الحديث الا القليل لقلة مدته بعد النبي صلى الله

وصاحبي على الحوض رواه الترمذي وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عمر قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته يوما قال فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لاهلك فقلت مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال يا أبا بكر ما أبقيت لاهلك فقال أبقيت لهم الله ورسوله قلت لا أسبقه الى شئ أبدا رواه الترمذي وأبو داود وعن عائشة ان أبا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت عتيق الله من النار فيومئذ سمي عتيقا

عليه وسلم (رواه الترمذي وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض) أي من الخلق (ثم أبو بكر) أي من أمتي أو من الاولياء مطلقا (ثم عمر ثم آتي) بصيغة المتكلم أي أجيء (أهل البقيع) وهو مقبرة المدينة (فيحشرون معي) أي يجمعون قال تعالى وان يحشر الناس ضحى (ثم انتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين) أي بين أهليهما (في محشر القيامة) وفيه ايماء الى ماروي من أحب قوما حشر معهم وقال الطيبي أي أجمع معهم بين حرم مكة وحرم المدينة وقال شارح أي أجمع أنا وهم حتى يكون لي وهم اجتماع بين الحرمين اه وذلك بظاهره مخالف لقوله انتظر أهل مكة لان كلامهما يدل على انه صلى الله عليه وسلم يتوجه الى حرم مكة وان أهل مكة يتوجهون اليه صلى الله عليه وسلم فيحصل الاجتماع بين الحرمين والظاهر من كلامه صلى الله عليه وسلم انه ينتظرهم في البقيع الى أن يجتمعوا فيتوجهوا الى المحشر وهو أرض الشام فيجتمعون هنالك مع سائر الانام (رواه الترمذي) وذكر الحديث في الجامع الى قوله ثم انتظر أهل مكة وقال رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر هذا ولا يخفى ان هذا الحديث كان أنسب أن يذكر في مناقب الشيخين رضي الله عنهما (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي فقال أبو بكر يا رسول الله وددت) بكسر الدال أي أحببت (اني كنت معك حتى أنظر اليه) أي الى باب الجنة (فقال أما) للتنبيه (انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي) أي فسترى بابها وتدخلها قبل كل أحد من أمتي وفيه دليل على انه أفضل الامة والالما سبقهم في دخول الجنة وايماء الى انه أسبق الامة ايمانا لقوله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم قال الطيبي لما تمنى رضي الله عنه بقوله وددت والتمني انما يستعمل فيما لا يستدعي امكان حصوله قيل له لا تتمن النظر الى الباب فان لك ما هو أعلى منه وأجل وهو دخولك فيه أول أمتي وحرف التنبيه ينبهك على الرمزة التي لوحنا بها (رواه أبو داود)

(الفصل الثالث) (عن عمر رضي الله عنه ذكر عنده أبو بكر) جملة حالية وحاصله انه روي عن عمر انه ذكر عنده أبو بكر (فبكى) أي عمر (وقال وددت ان عملي كله) أي في جميع الايام (مثل عمله) أي مثل عمل أبي بكر (يوما واحدا من أيامه) أي في زمن مماته صلى الله عليه وسلم (وليلة واحدة من لياليه) أي أوقات حياته عليه السلام والظاهر ان الواو بمعنى أو فانه أبلغ في المبالغة باعتبار كل من الحالة أو التوزيع بحسب الوقتين المختلفين (أما ليلته فليلة سار) بالرفع والتنوين أي سافر وهاجر فيها (مع رسول الله) وفي نسخة مع النبي (صلى الله عليه وسلم الى الغار) وفي بعض النسخ المصححة بفتح ليلة بنيت للاضافة الى المبني وهو الاظهر (فلما انتهيا اليه) أي وصلا الى الغار (قال) أي أبو بكر (والله لا تدخله) بالرفع وفي نسخة بالجزم (حتى أدخل قبلك) أي الغار لما ذكره بقوله (فان كان فيه شيء) أي مما يؤذي من سبع أو هوام (أصابني دونك فدخل فكسحه) أي كنسه (ووجد في جانبه) أي في أحد أطرافه (ثقبا) بضم مثلثة وفتح قاف جمع ثقبة كغرفة وغرف وقد جاء ثقب كقفل وفلس كل منهما لغة في المفرد بمعنى الخرق والجحر لكن المراد هنا الجمع لقوله (فشق ازاره وسدها به وبقي منها اثنان فألقمهما رجليه) أي جعل رجليه كاللقمتين لهما غاية للعرض على سدهما حيث لم يبق من ازاره ما يدخلهما (ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره) بكسر الحاء وفي نسخة بفتحها في القاموس الحجر بالكسر ويفتح الحضن وفي النهاية الحجر بالفتح والكسر الحضن والثوب وكذا في المشارق وزادوا اذا أريد به المصدر فالفتح لا غير وان أريد به الاسم فالكسر لا غير (ونام) أي النبي صلى الله عليه وسلم فان نوم العالم عبادة كما ان نوم الظالم عبادة باعتبارين مختلفين (فلدغ أبو بكر في رجله) بدل من أبو بكر بدل البعض وجيء بفي بيانا لشدة تمكن اللدغ فيها كما في قول الشاعر * يجرح في عراقيبها نصلي * (من الجحر) أي من أحد الجحرين (ولم يتحرك) أي أبو بكر (مخافة ان ينتبه) من باب الافتعال وفي نسخة ان يتنبه من باب التفعيل أي خشية ان يستيقظ (رسول

رواه الترمذي وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين رواه الترمذي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي فقال أبو بكر يا رسول الله وددت اني كنت معك حتى أنظر اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي رواه أبو داود

(الفصل الثالث) عن عمر ذكر عنده أبو بكر فبكى وقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من أيامه وليلة واحدة من لياليه أما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهيا اليه قال والله لا تدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخل فكسحه ووجد في جانبه ثقبا فشق ازاره وسدها به وبقي منها اثنان فألقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول

الله صلى الله عليه وسلم) أي في غير أوانه فتصبر على وجعه (فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي فاستنبه فرأى بكاءه (فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي) بفتح الفاء ويكسر ففي القاموس فداه يفديه فداء وفدى ويفتح أعطى شيئا فأنقذه والفداء ككساء وكعلى وإلى ذلك المعطى اهـ وقال الأصمعي الفداء يمد ويقصر أما المصدر من فاديت فممدود لا غير والفاء في كل ذلك مكسور وحكى الفراء فداك مقصور وممدود ومفتوح وفداك أبي وأمي فعل ماض مفتوح الأول أو يكون اسما على ما حكاه الفراء كذا في المشارق (فتفل) أي بزق (رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي عليه كما في نسخة أي على موضع اللدغ (فذهب ما يجده) أي ما كان يحسه من الألم (ثم انتقض) بالقاف والمعجمة أي رجع (أثر السم عليه) وقال الطيبي أي نكس الجرح بعد أن اندمل أثر تفل رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكان) أي الانتقاض (سبب موته) أي فحصل له شهادة في سبيل الله حالة كونه رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه (وأما يومه) أي أبي بكر (فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي زكاة) يحتمل أن يكون العطف تفسيريا لما قال بعض علمائنا من قيل له أد الزكاة فقال لا أؤدي كفر (فقال لو منعوني عقالا) بكسر أوله أي حبلا صغيرا (لجاهدتهم عليه) أي لقاتلتهم على أخذه أو لأجل منعه ففي النهاية أراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة لأن على صاحبها التسليم وإنما يقع القبض بالرباط وقيل أراد ما يساوي عقالا من حقوق الصدقة وقيل إذا أخذ المصدق أعيان الإبل قيل أخذ عقالا وإذا أخذ أثمانها قيل أخذ نقدا وقيل أراد بالعقال صدقة العام يقال أخذ المصدق عقال هذا العام إذا أخذ منهم صدقته وبعث فلان على عقال بني فلان إذا بعث على صدقاتهم واختاره أبو عبيد وقال هذا أشبه عندي بالمعنى وقال الخطابي إنما يضرب المثل في مثل هذا بالأقل لا بالأكثر وليس بسائر في لسانهم أن العقال صدقة عام قلت ولهذا قال أبو عبيد بالمعنى فلا اعتراض عليه بالمبنى وبهذا استبعادات يقاتل على الشيء الحقير وإن كان قد يعبر عن الكثير بالقليل على قصد المبالغة كالنقير والقطمير ويؤيد إيماء أبي عبيد أنه في أكثر الروايات لو منعوني عناقا وفي أخرى جديا قال الطيبي قد جاء في الحديث ما يدل على القولين فمن الأول حديث عمر رضي الله عنه أنه كان يأخذ مع كل فريضة عقالا فإذا جاءت إلى المدينة باعها ثم تصدق بها وحديث محمد بن سلمة أنه كان يعمل الصدقة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يأمر الرجل إذا جاء بفريضتين أن يأتي بعقاليهما وقرانيهما ومن الثاني حديث عمر أنه أخذ الصدقة عام الرمادة فلما أحيا الناس بعث عامله فقال اعقل عنهم عقالين فاقسم فيهم عقالا وائتني بالآخر يريد صدقة عامين اهـ ولا خلاف في إطلاق العقال على كل منهما وإنما الخلاف في المراد به هنا والله أعلم (فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس) أي اطلب ألفتهم لا فرقتهم (وارفق بهم) بضم الفاء أي الطف بهم ولا تغلظ عليهم (فقال لي أجبار في الجاهلية) أي أنت شجيع متهور غضوب في زمن الجاهلية (وخوار) بتشديد الواو أي جبان وضعيف (في الإسلام) أي في أيامه وأحكامه مع أن ما ورد من أن معادن العرب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا مشعر بأن طباعهم الأصلية لم تتغير عن أحوالهم الأولية وإنما يختلف إيقاعها في الأمور الدينية بعد ما كان يعرف حصولها في الحالات التعصبية من الأمور النفسية والعرفية ففي النهاية هو من خار يخور إذا ضعفت قوته ووهنت شوكته قال الطيبي أنكر عليه ضعفه ووهنه في الدين ولم يرد أن يكون جبارا بل أراد به التصلب والشدة في الدين لكن لما ذكر الجاهلية قرنه بذكر الجبار فلذا توهم أن المراد به أنه كان جبارا متسلطا متعديا عن الحد في الجاهلية وقد عفا الله عما سلف فهذا إنما لا يضره أبدا ولا شك أن إرادة هذا المعنى أيضا أبلغ في تحصيل المدعى من المؤدى (إنه) أي الشأن وهو استئناف تعليل (قد انقطع الوحي) أي فلا نصل إلى التيقن فلا بد للناس الاجتهاد المبين (وتم الدين) وفي نسخة تم الدين أي لقوله تعالى اليوم أكملت لكم

الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي زكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام إنه قد انقطع الوحي وتم الدين

دينكم وأتممت عليكم نعمتي (أينقص) أي الدين وهو بصيغة الفاعل وفي نسخة على بناء المفعول بناء على انه لازم أو متعد (وأنا حي) جملة حالية على طبق قولهم جاء زيد والشمس طالعة (رواه رزين) وفي الرياض ذكره من قوله لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ثم قال رواه النسائي بهذا اللفظ ومعناه في الصحيحين ونقل الحلبي في حاشية الشفاء للقاضي عياض عن أبي الحسن الاشعري انه قال لم يزل أبو بكر بعين الرضا من الله واختلف الناس في مراده بهذا الكلام فقال بعضهم لم يزل مؤمنا قبل البعثة وبعدها وهو الصحيح المرضي وقال آخرون بل أراد انه لم يزل بحاله غير مغضوب فيها عليه لعلم الله تعالى بأنه سيؤمن ويصير من خلاصة الابرار قال الشيخ تقي الدين السبكي لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة في ذلك وهذه العبارة التي قالها الاشعري في حق الصديق لم تحفظ عنه في حق غيره فالصواب ان الصديق لم يثبت عنه في حال كفر بالله اه وهو الذي سمعناه من مشايخنا وممن يقتدى به وهو الصواب ان شاء الله ونقل ابن ظفر بل في أنباء نجباء الابناء ان القاضي أبا الحسن أحمد بن محمد الزبيدي روى باسناده في كتابه المسمى معالي العرش الى عوالي الفرش ان أبا هريرة قال اجتمع المهاجرون والانصار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر وعيشك يا رسول الله اني لم أسجد لصنم قط وقد كنت في الجاهلية كذا وكذا سنة وان أبا قحافة أخذ بيدي وانطلق بي الى مخدع فيه الاصنام فقال هذه آلهتك الشم العلي فاسجد لها وخلاني ومضى فدنوت من الصنم فقلت اني جائع فاطعمني فلم يجبني فقلت اني عار فاكسني فلم يجبني فأخذت صخرة فقلت اني ملق عليك هذه الصخرة فان كنت الها فامنع نفسك فلم يجبني فألقيت عليه الصخرة فخر لوجهه وأقبل أبي فقال ما هذا يا بني فقلت هو الذي ترى فانطلق بي الى أمي وأخبرها فقالت دعه فهو الذي ناجاني الله تعالى به فقلت يا أمه ما الذي ناجاك به قالت ليلة أصابني المخاض لم يكن عندي أحد فسمعت هاتفا يقول يا أمة الله على التحقيق ابشري بالولد العتيق اسمه في السماء الصديق لمحمد صاحب ورفيق قال أبو هريرة فلما انقضى كلام أبي بكر نزل جبريل عليه السلام وقال صدق أبو بكر اه ومما يؤيده كنت أنا وأبو بكر كفرسي رهان لانه لو كان على الكفر لما صدق عليه هذا الامر ولعل وجه ما قال صلى الله عليه وسلم لو اتخذت أحدا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا هو انه صدر عنه ما سبق مشابها لما وقع من الخليل في ضرب الصنم ومخالفة الاب والله أعلم

(باب مناقب عمر رضي الله عنه)

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الامم) بيان لما يعني من أي في الذين كانوا قبلكم (محدثون) بفتح الدال المشددة أي ناس ملهمون كما فسره به ابن وهب (فان يك في أمتي أحد) أي واحد منهم فرضا وتقديرا (فانه عمر) أي وان يك أكثر فهو حينئذ أولى وأظهر قال التوربشتي المحدث في كلامهم هو الرجل الصادق الظن وهو في الحقيقة من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الاعلى فيكون كالذي حدث به وفي قوله فان يك في أمتي أحد فهو عمر لم يرد هذا القول مورد التردد فان أمته أفضل الامم وان كانوا موجودين في غيرهم من الامم فبالحري ان يكونوا في هذه الامة أكثر عددا وأعلى رتبة وانما ورده مورد التأكيد والقطع به ولا يخفى على ذي الفهم محله من المبالغة كما يقول الرجل ان يكن لي صديق فانه فلان يريد بذلك اختصاصه بالكمال في صداقته لا نفي الاصدقاء اه وتوضيحه انك لا تريد بذلك الشك في صداقته والتردد في انه هل لك صديق بل المبالغة في ان الصداقة مختصة به لا تتخطاه وقيل هو على ظاهره لان الحكمة في كونهم في بني اسرائيل احتياجهم الى ذلك حيث لا يكون بينهم نبي وكتبهم طرأ عليها التبديل واحتمل عنده صلى الله عليه وسلم ان لا تحتاج هذه الامة الى ذلك لاستغنائها بالقرآن المأمون تبديله وتحريفه ذكره السيوطي قال الطيبي هذا الشرط من باب قول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه يخيل في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه والمراد بالمحدث الملهم المبالغ فيه الذي انتهى الى درجة

أينقص وأنا حي رواه رزين

(باب مناقب عمر)

(الفصل الاول) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما قبلكم من الامم محدثون فان يك في أمتي أحد فانه عمر

متفق عليه وعن سعد بن أبي وقاص قال استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن فلما استأذن عمر قمن فبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال أضحك الله سنك يارسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب قال عمر يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم أنت أفظ وأغلظ

الانبياء في الالهام فالمعنى لقد كان فيما قبلكم من الامم أنبياء يلهمون من قبل الملا الاعلى فان يك في أمتي أحد هذا شأنه فهو عمر جعله لانقطاع قرينه وتفوقه على أقرانه في هذا كأنه تردد في أنه هل هو نبي أم لا فاستعمل ان ويؤيده ما ورد في الفصل الثاني لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب فلو في هذا الحديث بمنزلة ان على سبيل الفرض والتقدير كما في قول عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (متفق عليه) قال ميرك ولفظه للبخاري ولمسلم نحوه عن عائشة ومن العجب ان الحاكم أخرج حديث عائشة في مناقب عمر مستدركا على مسلم في كونه لم يخرجه وقد أخرجه في المناقب أيضا قلت وقد سبق منه الجواب والله أعلم بالصواب ثم لفظ الحديث في الجامع قد كان فيما مضى قبلكم من الامم ناس محدثون فان يك في أمتي منهم أحد فانه عمر بن الخطاب رواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة ففي قول المصنف متفق عليه مسامحة لا تخفى كما أشار اليه ميرك ثم اعلم أن لفظ أحمد ومسلم عن عائشة قد كان يكون في الامم محدثون فان يك في أمتي أحد فهو عمر بن الخطاب ذكره في الرياض ثم قال وأخرجه الترمذي وصححه أبو حاتم وخرجه البخاري عن أبي هريرة وخرج عنه من طريق آخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فان يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر ومعنى محدثون والله أعلم ملهمون الصواب ويجوز أن يحمل على ظاهره بان تحدثهم الملائكة لا بوحي بل بما يطلق عليه اسم حديث وتلك فضيلة عظيمة (وعن سعد بن أبي وقاص قال استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة) أي جماعة من النساء (من قريش) قال القسطلاني هن عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش وغيرهن وقال العسقلاني أي نسوة من أزواجه صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكن معهن غيرهن لكن قرينة قوله (يكلمنه ويستكثرنه) تؤيد الاول أي يستكثرنه في الكلام ولا يراعين مقام الاحتشام وقال النووي أي يطلبن منه النفقات الكثيرة وفي رواية يسألنه ويستكثرنه (عالية) بالنصب على الحال وقال السيوطي أو بالرفع على الوصف اه وفي رواية رافعات (أصواتهن) بالرفع على الفاعلية وقال القاضي عياض يحتمل ان هذا قبل النهي عن رفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن علو أصواتهن انما كان لاجتماعهن في الصوت لا أن كلام كل واحدة بانفراده أعلى من صوته صلى الله عليه وسلم أقول ليس في الكلام دليل على أن رفع أصواتهن كان فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم ليرد الاشكال بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية بل المراد انهن في تلك الحالة على خلاف عادتهن من الخفض ورفعن أصواتهن في كلامهن معه صلى الله عليه وسلم اعتمادا على حسن خلقه صلى الله عليه وسلم (فلما استأذن عمر) والحال انه من الاجانب بالنسبة الى أكثرهن لاسيما وهو غيور وغضوب غالب عليه الصفة الجلالية (قمن) أي من مكانهن (فبادرن الحجاب) أي سارعن الى حجابهن على مقتضى آدابهن (فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك) أي يتبسم ومن الغريب ان عمر مع غاية قهره وشدة سطوته كان مظهر انبساطه صلى الله عليه وسلم (فقال) أي عمر كما في رواية (أضحك الله سنك) وفي رواية يارسول الله أي أدام الله فرحك الموجب لبروز سنك وظهور نورك ولكن لابد له من سبب وظهور أمر عجب فأطلعني عليه وشرفني بالاشارة اليه (فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي) أي في حالة غريبة ومقالة عجيبة (فلما سمعن صوتك) اي بالاذن (ابتدرن الحجاب) أي بالانتقال من مكانهن وانقطاعهن وشأنهن خوفا منك وهيبة لك (قال عمر) أي خطابا لهن (يا عدوات أنفسهن أتهبنني) بفتح الهاء يقال هبت الرجل بكسر الهاء اذا وقرته وعظمته من الهيبة أي أتوقرنني (ولا تهبن) أي ولا تعظمن (رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلن نعم) هذا غير راجع الى مجموع قول عمر بل الى قوله أتوقرنني فقط والا فيشكل كما لا يخفى ولا يبعد أن يكون نعم تقريرا وتأكيدا ومقدما لقوله (أنت أفظ وأغلظ) أي أنت كثير الفظاظة أي سيء الكلام وكثير

الغلظ أي شديد القلب بخلافه صلى الله عليه وسلم فانه حسن الخلق كما أخبر الله سبحانه بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقد قال صلى الله عليه وسلم على ما رواه ابن ماجه عن ابن عمرو مرفوعا خياركم خياركم لنسائهم قال الطيبي لم يرد بذلك اثبات مزيد الفظاظة والغلظة لعمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان حليما وأسيرا رقيق القلب في الغاية بل المبالغة في فظاظة عمر وغلظته مطلقا اه وخلاصته ان فيك زيادة فظاظة وغلظة بالقياس الى غيرك لا بالقياس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان رفيقا حليما جدا لكن يشكل هذا بما ذكره البخاري في رواية أخرى في باب التبسم من كتاب الادب فقال انك أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمكن دفعه بأن يجعل من باب العسل أحلى من الخل والشتاء أبرد من الصيف فيرجع المعنى الى أن كلا منهما في حاله على أعلى مرتبة كماله (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه) بكسر الهمز والهاء منونا وقد يترك تنوينه أي حدث حديثا ولا تلتفت الى جوابهن (يا ابن الخطاب) وفي رواية يا عمر وقيل هو اسم فعل يطلب به الزيادة أي استزد على ما أنت عليه من التصلب ويؤيده قوله (والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا) أي ذاهبا طريقا واسعا (قط الا سلك فجا غير فجك) ففيه منقبة عظيمة لعمر الا أن ذلك لا يقتضي وجوب العصمة اذ لا يمنع ذلك من وسوسته الموجبة لمثله قال التوربشتي ايه اسم سمي به الفعل لان معناه الامر تقول للرجل اذا استزدته من حديث أو عمل ايه بكسر الهاء فان وصلت نونت وقلت ايه حدثنا واذا أسكته وكففته قلت ايها عنا ومن حقه في هذا الحديث أن يكون ايها أي كف يا ابن الخطاب عن هذا الحديث ورواه البخاري في كتابه مجرورا منونا والصواب ايها وروى مسلم هذا الحديث في جامعه وليس لهذه الكلمة في روايته ذكر أقول اذا صحت الرواية وطابقت الدراية على ما قدمناه من تصحيح معناه فلا معنى للتخطئة في مبناه والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وقال الطيبي معنى قول عمر أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوقرنني ولا توقرن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شرح السنة ومن قولهم هبت الرجل اذا وقرته وعظمته يقال هب الناس يهابوك أي وقرهم يوقروك اه كلامه ولا شك ان الامر بتوقير رسول الله صلى الله عليه وسلم مطلوب لذاته تجب الاستزادة منه فكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه استزادة منه في طلب توقيره وتعظيم جانبه ولذلك عقبه بقوله والذي نفسي بيده الخ فانه يدل على استرضاء ليس بعده استرضاء حيث أجاد منه صلى الله عليه وسلم لفعاله كلها لا سيما هذه الفعلة قال التوربشتي في قوله ما لقيك الشيطان سالكا تنبيه على صلابته في الدين واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض حتى كان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسيف الصارم والحسام القاطع ان أمضاه مضى وان كفه كف فلم يكن له على الشيطان سلطان الا من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هو كالوازع بين يدي الملك ولهذا كان الشيطان ينحرف عن الفج الذي سلكه ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة الى العالمين مأمورا بالعفو عن المذنبين معنيا بالصفح عن الجاهلين لم يكن ليواجههم فيما لا يحمد من فعل مكروه أو سوء أدب بالفظاظة والغلاظة والزجر البليغ اذ لا يتصور الصفح والعفو مع تلك الخلال فلهذا تسامحوا فيها واستحسن اشعارهن الهيبة من عمر رضي الله عنه قال النووي هذا الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان متى رآه سالكا فجا هرب لهيبته من عمر رضي الله عنه وفارق ذلك الفج لشدة بأسه قال القاضي عياض ويحتمل أنه ضرب مثلا بالشيطان واغوائه وان عمر رضي الله عنه فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد وخالف ما يأمر به والصحيح الاول (متفق عليه) وكذا أخرجه أحمد وأخرجه النسائي وأبو حاتم ولفظهما فلما سمعن صوت عمر انقمعن وسكن أي ذللن وارتدعن فقال عمر يا عدوات أنفسهن الحديث من غير ذكر جوابهن (وقال الحميدي) أي في جامعه بين الصحيحين (زاد البرقاني) بفتح الموحدة وقد تكسر منسوب الى برقان قرية من قرى خوارزم بعد قوله (يا رسول الله ما أضحكك) اه فكأنه حذفه بعض الرواة نسيانا أو اختصارا لظهوره أو هذا من زيادة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك متفق عليه وقال الحميدي زاد البرقاني بعد قوله يا رسول الله ما أضحكك

بعض الثقات أو من ادراج بعض الرواة والمعنى عليه كما قررناه في شرح الحديث اليه (وعن جابر قال قال النبي) وفي نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة) أي ليلة المعراج أو في عالم الكشف وحالة الرؤيا (فاذا أنا بالرميصاء) بالصاد المهملة تصغير رمصاء وهي امرأة في عينها رمص بفتحتين وهو ما جمد من الوسخ في الموق وهو هنا اسم أم أنس أو لقبها (امرأة أبي طلحة) بدل أو عطف بيان وجوز رفعها وكذا نصبها (وسمعت خشفة) بفتح المعجمتين والفاء أي حركة وزنا ومعنى وفي نسخة بالسكون أي صوتا في المشارق الخشفة بفتح الخاء وسكون الشين هو الصوت ليس بالشديد قال أبو عبيد وقال الفراء هو الصوت الواحد وبتحريك الشين الحركة وفي النهاية الخشفة بالفتح والسكون الحركة اه والمراد هنا صوت النعل الناشئ من حركة الماشي (فقلت من هذا) أي المتحرك أو صاحب الحركة (فقال) أي قائل من جبريل أو غيره من الملائكة أو خزان الجنة (هذا بلال ورأيت قصرا بفنائه) بكسر الفاء وتخفيف النون والمد أي ما امتد من جوانبه (جارية) أي مملوكة وحوراء (فقلت لمن هذا) أي القصر وما فيه وفي حواليه (فقالوا) وفي نسخة قالوا أي جماعة من أهل الجنة أو من سكان القصر (لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله) أي القصر (فأنظر اليه) أي نظرا مفصلا أو الى باطنه كما رأيت ظاهره (فذكرت غيرتك) أي شدتها أو حدتها وفي القاموس يقال غار على امرأته وهي عليه تغار غيرة بالفتح (فقال عمر بأبي أنت وأمي) الباء للتعدية وأنت مبتدأ وبأبي خبره أي أنت مفدى بأبي وأمي كذلك وفي نسخة بأبي وأمي أي أنت مفدى بهما والمعنى جعلهما الله فداءك (يا رسول الله أعليك) أي على فعلك أو دخولك (أغار) متكلم من الغيرة وقيل في الكلام قلب والاصل أعليها أغار منك وزاد عبد العزيز وهل رفعني الله الا بك وهل هداني الله الا بك ذكره السيوطي (متفق عليه) وروى أحمد والترمذي وابن حبان والنسائي عن أنس وأحمد والشيخان عن جابر وأحمد أيضا عن بريدة وعن معاذ مرفوعا دخلت الجنة فاذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر قالوا لشاب من قريش فظننت اني أنا هو قلت ومن هو قالوا عمر ابن الخطاب فلولا ما علمت من غيرتك لدخلت وروى أحمد ومسلم والنسائي عن أنس مرفوعا دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي فقلت ما هذه الخشفة فقيل الغميصاء بنت ملحان ورواه عبد بن حميد عن أنس والطيالسي عن جابر بلفظ دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت ما هذه قالوا هذا بلال ثم دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت ما هذه قالوا هذه الغميصاء بنت ملحان قال في الرياض عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخلت الجنة فرأيت قصرا من ذهب ولؤلؤ فقلت لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فما منعني ان أدخله الا علمي بغيرتك قال عليك أغار بأبي أنت وأمي عليك أغار أخرجه أبو حاتم ونحو جه مسلم ولم يقل من ذهب ولؤلؤ وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أدخلت الجنة فاذا أنا بقصر من ذهب قالوا لعمر بن الخطاب أخرجه أحمد وأبو حاتم وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فاذا أنا بامرأة تتوضأ الى جانب قصر قلت لمن هذا فقالت لعمر بن الخطاب فذكرت غيرة عمر فوليت مدبرا قال أبو هريرة فبكى عمر ونحن جميع في ذلك المجلس ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله أعليك أغار أخرجه مسلم والترمذي وأبو حاتم وعن بريدة قال لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة ما دخلت الجنة الا سمعت خشخشتك امامي دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك امامي فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت لمن هذا القصر فقالوا لرجل من العرب قلت أنا عربي لمن هذا القصر فقالوا لرجل من قريش فقلت أنا قرشي لمن هذا القصر قالوا لرجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال أنا محمد لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فقال يا رسول الله ما أذنت قط الا صليت ركعتين وما أصابني حدث قط الا توضأت عنده ورأيت ان لله علي ركعتين قال صلى الله عليه وسلم بهما (وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص) بضمتين جمع قميص والجملة حالية (منها) أي من القمص (ما يبلغ الثدي) بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد التحتية جمع

وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فاذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفة فقلت من هذا فقال هذا بلال ورأيت قصرا بفنائه جارية فقلت لمن هذا فقالوا لعمر بن الخطاب فأردت أن أدخله فأنظر اليه فذكرت غيرتك فقال عمر بأبي أنت وأمي أنت يا رسول الله أعليك أغار متفق عليه وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي

الثدي وفي نسخة بالفتح والسكون والتخفيف فهو مفرد أريد به الجنس (ومنها ما دون ذلك) أي قمص أقصر منه أو أطول منه أو أعم منهما بناء على أن دون ذلك بمعنى غير ذلك لقوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك وفي فتح الباري يحتمل أن يريد دونه من جهة السفل وهو ظاهر فيكون أطول ويحتمل أن يريد دونه من جهة العلو فيكون أقصر ويؤيد الاول ما في رواية الحكيم الترمذي من طريق آخر عن ابن المبارك عن يونس عن الزهري في هذا الحديث فمنهم من كان قميصه الى سرته ومنهم من كان قميصه الى ركبته ومنهم من كان قميصه الى انصاف ساقيه قلت وفي رواية الرياض ومنها ماله وأسفل من ذلك (وعرض على عمر بن الخطاب) أي فيما بينهم (وعليه قميص) أي عظيم (يجره) أي يسحبه في الارض لطوله (قالوا) أي بعض الصحابة من الحاضرين (فما أولت ذلك يا رسول الله) أي فما عبرت جر القميص لعمر (قال الدين) بالنصب أي أولته الدين وفي نسخة بالرفع أي المؤول به هو الدين والمعنى يقام الدين في أيام خلافته مع طول زمان امارته وبقاء آثره وحاله حال حياته ومماته أولان الدين يشيد الانسان ويحفظه ويقيه المخالفات كوقاية الثوب وشموله قال النووي القميص الدين وجره يدل على بقاء آثاره الجميلة وسنته الحسنة في المسلمين بعد وفاته ليقتدى به وأما تفسير اللبن بالعلم فلكثرة الانتفاع بهما وفي انهما سبب الصلاح فاللبن غذاء الانسان وسبب صلاحهم وقوة أبدانهم والعلم سبب الصلاح وغذاء الارواح في الدنيا والآخرة (متفق عليه) ورواه أحمد وأبو حاتم (وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن) وفي رواية ذرأيت قدحا أتيت به فيه لبن (فشربت حتى اني) بكسر الهمزة وقد يفتح (لارى الري) بكسر الراء وتشديد الياء أي أثر اللبن من الماء (يخرج) أي يظهر وفي رواية يجري (في أظفاري ثم أعطيت فضلي) أي سؤري الكثير الخالص (عمر بن الخطاب) ولا ينافى أن سؤره حصل للصديق أيضا لانه كان قليلا جدا ولا أن سؤره لعثمان وعلي أيضا وصل فانه لهما لم يكن صافيا (قالوا فما أولته) أي اللبن وفي رواية فما أولت ذلك (يا رسول الله قال العلم) بالنصب وروى بالرفع على ما قدمنا والمراد بالعلم هو علم الدين والله أعلم قال العلماء بين عالم الاجسام وعالم الارواح عالم آخر يقال له عالم المثال وهو عالم نوراني شبيه بالجسماني والنوم سبب لسير الروح المنور في عالم المثال ورؤية ما فيه من الصور غير الجسدانية فالعلم مصور بصورة اللبن في ذلك العالم بمناسبة ان اللبن أول غذاء البدن وسبب صلاحه والعلم أول غذاء الروح وسبب صلاحه وقيل التجلي العلمي لا يقع الا في أربع صور الماء واللبن والخمر والعسل تناولتها آية فيها ذكرت انهار الجنة فمن شرب الماء يعطى العلم اللدني ومن شرب اللبن يعطى العلم بأسرار الشريعة ومن شرب الخمر يعطى العلم بالكمال ومن شرب العسل يعطى العلم بطريق الوحي وقد قال بعض العارفين ان الانهار الاربعة عبارة عن الخلفاء وبطابقه تخصيص اللبن بعمر رضي الله عنه في هذا الحديث وأما الري في العلم فقد اختلف فيه فمنهم من قال بوجوده لان الاستعداد متناه ولا يزيد على ما لم يقبل فيحصل الري وظاهر الحديث معهم ومنهم من قال بعدمه لقوله تعالى وقل رب زدني علما فالامر بطلب زيادة العلم بلا ذكر النهاية يدل على انه لا ينتهي ولذا قيل من لم يكن في زيادة فهو في نقصان وان التوقف ليس في طور الانسان ويدل عليه حديث منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا ومنه ما نقل عن أبي يزيد البسطامي قدس الله سره السامي انه قال شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب ولا رويت ويمكن الجواب عن دليل الاولين بان العلم اذا حصل بقدر الاستعداد القابل أعطاه الله تعالى استعداد العلم آخر فيحصل له عطش آخر وعن هذا قيل طالب العلم كشارب البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا وعن الحديث بانه محمول على البداية قبل نزول الآية التي تدل على عدم النهاية (متفق عليه) وأخرجه أحمد وأبو حاتم والترمذي وصححه ولهذا بلغ علمه ما روى عن ابن مسعود انه قال لو جمع علم أحياء العرب في كفة ميزان ووضع علم عمر في كفة لرجح علم عمر ولقد كانوا يرون انه ذهب بتسعة أعشار العلم (وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم رأيتني على قليب) أي بئر لم تطو وضدها

ومنها ما دون ذلك وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله قال الدين متفق عليه وعن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت حتى اني لارى الري يخرج في أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم متفق عليه وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم رأيتني على قليب

المطوية بالحجارة والآجر (عليها) أي فوقها (دلو) أي ودلو معلقة عليها (فنزعت) أي جذبت ثم ماء (منها ما شاء الله) أي ما قدره الله وقضاه (ثم أخذها) أي الدلو (ابن أبي قحافة) بضم القاف (فنزع منها ذنوبا) بفتح الذال المعجمة وهو الدلو وفيها ماء أو الملأى أو دون الملأى كذا في القاموس (أو ذنوبين) شك من الراوي والصحيح رواية ذنوبين ذكره ابن الملك والاظهر ان أو بمعنى بل فلا يحتاج الى تخطئة الراوي ولا الى شكه وتردده ويمكن أن يكون المراد بذكرهما اشارة الى قلته مع عدم النظر عن تحقق عدده (وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه) جملة حالية دعائية وقعت اعتراضية مبينة ان الضعف الذي وجد في نزعه لما يقتضيه تغير الزمان وقلة الاعوان غير راجع اليه بنقيصة (ثم استحالت) أي انقلبت الدلو التي كانت ذنوبا (غربا) بفتح فسكون أي دلوا عظيمة على ما في القاموس وزاد ابن الملك التي يتخذ من جلد ثور (فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا) بتشديد التحتية أي رجلا قويا (من الناس ينزع) بكسر الزاي (نزع عمر) أي جبذه وهو مفعول مطلق (حتى ضرب الناس بعطن) بفتحتين أي حتى أرووا ابلهم فأبركوها وضربوا لها عطنا وهو مبرك الابل حول الماء قال القاضي لعل القليب اشارة الى الدين الذي هو منبع ما به تحيا النفوس ويتم أمر المعاش ونزع الماء في ذلك اشارة الى ان هذا الامر ينتهي من الرسول عليه السلام الى أبي بكر ومنه الى عمر ونزع أبي بكر ذنوبا أو ذنوبين اشارة الى قصر مدة خلافته وان الامر انما يكون بيده سنة أو سنتين ثم ينتقل الى عمر وكان مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وضعفه فيه اشارة الى ما كان في أيامه من الاضطراب والارتداد واختلاف الكلمة أو الى ما كان له من لين الجانب وقلة السياسة والمداراة مع الناس ويدل على هذا قوله وغفر الله له ضعفه وهو اعتراض ذكره صلى الله عليه وسلم ليعلم ان ذلك موضوع ومغفور عنه غير قادح في منصبه ومصير الدلو في نوبة عمر غربا وهو الدلو الكبير الذي يستقى به البعير اشارة الى ما كان في أيامه من تعظيم الدين واعلاء كلمة الله وتوسع خطاه وقوته وجده في النزع اشارة الى ما اجتهد في اعلاء أمر الدين وافشائه في مشارق الارض ومغاربها اجتهادا لم يتفق لاحد قبله ولا بعده والعبقري القوي وقيل العبقر اسم واد يزعم العرب أن الجن تسكنه فنسبوا اليه كل من تعجبوا منه أمرا كقوة وغيرها فكأنهم وجدوا ما وجدوا منه خارجا عن وسع الانسان فنسبوا انه جيء من العبقر ثم قالوا لكل شيء نفيس وقال النووي قوله في نزعه ضعف ليس فيه حط لمنزلته ولا اثبات فضيلة لعمر عليه وانما هو اخبار عن مدة ولايتهما وكثرة انتفاع الناس في ولاية عمر لطولها ولاتساع الاسلام وفتح البلاد وحصول الاموال والغنائم وأما قوله والله يغفر له ضعفه فليس فيه نقص ولا اشارة الى ذنب وانما هي كلمة كان المسلمون يزينون بها كلامهم وقد جاء في صحيح مسلم انها كلمة كان المسلمون يقولونها افعل كذا والله يغفر لك وفي قوله فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة اشارة الى نيابة أبي بكر وخلافته بعده وراحته صلى الله عليه وسلم بوفاته من نصب الدنيا ومشاقها وفي قوله ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر الى قوله وضربوا بعطن اشارة الى ان أبا بكر قمع أهل الردة وجمع شمل المسلمين وابتدأ الفتوح ومهد الامور وتمت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر رضي الله عنه (وفي رواية ابن عمر قال ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر فاستحالت في يده غربا فلم أر) اي فلم أبصر أو فلم أعرف (عبقريا يفري فريه) بفتح فسكون وفي نسخة بفتح فكسر فتشديد أي يعمل عمله قال النووي روي باسكان الراء وتخفيف الياء وبكسر الراء وتشديد الياء وهما لغتان صحيحتان وأنكر الخليل التشديد ومعناه لم أر سيدا يعمل عمله ويقطع قطعه وأصل الفري بالاسكان القطع تقول العرب تركته يفري الفري اذا عمل العمل فأجاد (متفق عليه) المفهوم من الرياض ان الرواية الاولى لمسلم وحده وان الرواية الثانية لهما ولاحمد وزاد بعد قوله يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن وفي بعض الطرق رأيت اني أنزع على حوض فأخذ أبو بكر الدلو من يدي فنزع ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له فاما ابن الخطاب فأخذها حتى تولى الناس والحوض يتفجر أخرجاه وأحمد وللحديث مناسبة لباب مناقب الشيخين لكن لما كان فيه زيادة

عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه ثم استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن وفي رواية ابن عمر قال ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر فاستحالت في يده غربا فلم أر عبقريا يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن متفق عليه

مدح لعمر خصه المصنف بباب مناقبه

(الفصل الثانى) (عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق) أى أظهره ووضعه (على لسان عمر وقلبه) قال الطيبي ضمن جعل معنى أجرى فعداه بعلى وفيه معنى ظهور الحق واستعلائه على لسانه وفى وضع الجعل موضع أجرى اشعار بان ذلك كان خلقيا ثابتا مستقرا (رواه الترمذى) أى وصححه وكذا رواه أحمد وأبو حاتم عن أبى هريرة وعن ابن عمر مثله وفى رواية بعد قوله وقلبه يقول الحق وان كان مرا وفى رواية ان الله نزل الحق على قلب عمر ولسانه أخرجهما البغوى فى الفضائل (وفى رواية أبى داود عن أبى ذر قال ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول) أى عمر (به) أى بالحق أو التقدير يقول الحق بسبب ذلك الوضع والجملة استئناف بيان أو حال عيان (وعن على رضى الله عنه) أى موقوفا (قال ما كنا) أى أهل البيت أو معشر الصحابة ويؤيده رواية ونحن متوافرون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (نبعد) من الابعاد بمعنى الاستبعاد وقيل معناه ما كنا نعده بعيدا (ان السكينة) أى ما به تسكين النفس وتميل اليه وتطمئن به القلب ويعتمد عليه (تنطق) أى تجرى (على لسان عمر) أى من قلبه وقد قال ابن مسعود ما رأيت عمر قط الا وكان بين عينيه ملكا يسدده قال التوربشتى أى لم يكن نبعد انه ينطق بما يستحق أن تسكن اليه النفوس وتطمئن به القلوب وانه أمر غيبى ألقى على لسانه ويحتمل انه أراد بالسكينة الملك الذى يلهمه ذلك القول وفى النهاية قيل أراد بها السكينة التى ذكرها الله فى كتابه العزيز وقيل فى تفسيرها انها حيوان له وجه كوجه الانسان مجتمع وسائرها خلق رقيق كالريح والهواء وقيل هى صورة كالهرة كانت معهم فى جيوشهم فاذا ظهرت انهزم أعداؤهم وقيل هى ما كانوا يسكنون اليه من الآيات التى أعطاها موسى عليه السلام والاشبه بحديث عمر أن يكون من الصورة المذكورة ذكره الطيبى ولا يخفى بعد ارادة القولين هنا فالاقرب هو القول الاخير الذى أشار اليه التوربشتى أولا وهو الذى ينزل على معناه جميع ما جاء فى القرآن من لفظ السكينة كقوله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين وقوله فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ونحو ذلك (رواه البيهقى فى دلائل النبوة وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم) الظاهر انه من المراسيل (قال اللهم أعز الاسلام) أى قوه وانصره (بأبى جهل بن هشام أو بعمر بن الخطاب) أو للتنويع لا للشك ولا يبعد أن تكون بل للاضراب (فأصبح عمر) أى دخل فى الصباح بعد دعائه عليه السلام له (فغدا) أى أقبل غاديا أى ذاهبا فى أول نهاره (على النبى صلى الله عليه وسلم) قال الطيبى هو امانجر أى غدا مقبلا على النبى أو ضمن غدا معنى أقبل ونحوه قوله تعالى وغدوا على حرد قادرين اه فعلى الاول غدا من الافعال الناقصة وعلى الثانى يتعلق على بغدا (فأسلم ثم صلى) أى النبى صلى الله عليه وسلم وفى نسخة بصيغة المجهول أى صلى المؤمنون (فى المسجد ظاهرا) أى عيانا غير مخفى أو غالبا غير مخوف روى الحاكم أبو عبد الله فى دلائل النبوة عن ابن عباس ان أبا جهل قال من قتل محمدا فله على مائة ناقة وألف أوقية من فضة فقال عمر الضمان صحيح فقال نعم عاجلا غير آجل فخرج عمر فلقيه رجل فقال أين تريد قال أريد محمدا لاقتله قال وكيف تأمن من بنى هاشم قال انى لاظنك قد صبوت قال ألا أخبرك بأعجب من هذا ان أختك وختنك قد صبوا مع محمد فتوجه عمر الى منزل أخته وكانت تقرأ سورة طه فوقف يستمع ثم قرع الباب فأخفوها فقال عمر ما هذه الهينمة فأظهرت الاسلام فرقى عمر حزينا كئيبا فباتوا كذلك الى ان قامت الاخت وزوجها يقرآن طه ما أنزلنا فلما سمع قال ناولنى الكتاب حتى أنظر فيه فلما قرأ الى قوله الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى قال اللهم ان هذا أهل أن لا يعبد سواه أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فبات ساهر العين ينادى فى كل ساعة واشوقاه لى محمد حتى أصبح فدخل عليه خباب بن الارت فقال يا عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بات الليلة ساهرا يناجى الله عز وجل أن يعز الاسلام بك أو بأبى جهل وانا أرجو أن تكون دعوته قد سبقت فيك فخرج متقلدا سيفه فلما وصل الى منزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج اليه رسول

(الفصل الثانى) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه رواه الترمذى وفى رواية أبى داود عن أبى ذر قال ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وعن على قال ما كنا نبعد ان السكينة تنطق على لسان عمر رواه البيهقى فى دلائل النبوة وعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الاسلام بأبى جهل ابن هشام أو بعمر بن الخطاب فأصبح عمر فغدا على النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم ثم صلى فى المسجد ظاهرا

الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عمر أسلم أو لينزل الله بك ما أنزل بوليد بن المغيرة فارتعدت فرائص عمر ووقع السيف من يده فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقال اللات والعزى تعبد على رؤس الجبال وفي بطون الاودية والله يعبد سرا والله لا يعبد الله سرا بعد يومنا هذا (رواه أحمد والترمذي) وانتهت روايته الى قوله فاسلم ولم يذكر ثم صلى الخ وقال غريب من هذا الوجه وفي سنده أبو عمرو بن النضر تكلم فيه بعضهم وقال يروي المناكير من قبل حفظه اه وزيادة ثم صلى الخ رواها محيي السنة في شرح السنة من جملة الحديث في هذا السند ذكره ميرك وقال ابن الربيع في مختصر المقاصد الحسنة للسخاوي حديث اللهم أيد الاسلام بأحب هذين الرجلين اليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب رواه الامام أحمد والترمذي في جامعه وغيرهما عن ابن عمر به مرفوعا وقال الترمذي حسن صحيح غريب وصححه ابن حبان والحاكم في مستدركه عن ابن عباس اللهم أيد الدين بعمر بن الخطاب وفي لفظ أعز الاسلام بعمر وقال انه صحيح الاسناد وفيه عن عائشة اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال انه صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه قلت وأما ما يدور على الالسنة من قولهم اللهم أيد الاسلام بأحد العمرين فلا أعلم له أصلا اه كلامه وقال الزركشي حديث اللهم أعز الاسلام الخ رواه الترمذي وروى الحاكم عن عائشة اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر أبو بكر التاريخي عن عكرمة انه سئل عن حديث اللهم أيد الاسلام فقال معاذ الله دين الاسلام أعز من ذلك ولكنه قال اللهم أعز عمر بالدين أو أبا جهل أقول ليس فيما ورد من الحديث محذور بل هو من قبيل قوله تعالى فعززنا هما بثالث أي قوينا الرسولين وما أتيا من الدين به أو من باب قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم على انه يمكن ان يكون من نوع القلب في الكلام كما في عرضت الناقة على الحوض ولذا ورد أيضا زينوا أصواتكم بالقرآن والحاصل انه ان صحت الرواية وطابقت الدراية فلا وجه للتخطئة ثم لا شك في حصول اعزاز الدين به رضي الله عنه أولا من اخفائه الى اعلانه كما في قوله تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وهو كمال الاربعين ايماء الى ذلك وآخرا من فتوحات البلاد وكثرة ايمان العباد وفيما بينهما من غلظته على المنافقين والمشركين كما في قوله تعالى أشداء على الكفار اشعارا اليه ولو ما تم أمر خلافة الصديق وجهاده مع المرتدين الا بمعونته وما فتح باب النزاع والمخالفة الباعثة على المقاتلة فيما بين المسلمين الا بعد موته وبعد غيبته ولعله صلى الله عليه وسلم أشار بذلك في قوله لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب وقال داود بن الحصين والزهري لما أسلم عمر نزل جبريل فقال يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وهو مروي عن ابن عباس على ما رواه أبو حاتم والدارقطني وقال المؤلف هو عدوي قرشي يكنى أبا حفص أسلم سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس بعد أربعين رجلا واحدى عشرة امرأة ويقال به تمت الاربعون قال ابن عباس سألت عمر بن الخطاب لأي شيء سميت الفاروق فقال اسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ثم شرح الله صدري للاسلام فقلت الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فما في الارض نسمة أحب الي من نسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اين رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت اختي هو في دار الارقم عند بني الارقم عند الصفا فأتيت الدار فاذا حمزة في أصحابه جلوس في الدار ورسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت فضربت الباب فاستجمع القوم فقال لهم حمزة ما لكم قالوا عمر بن الخطاب قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بمجامع ثيابي ثم نترني نترة فما ملكت ان وقعت على ركبتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنت بمنته يا عمر فقلت أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد فقلت يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الاختفاء والذي بعثك بالحق لتخرجن فأخرجناه صلى الله عليه وسلم في صفين حمزة في أحدهما وأنا في الآخر ولي كديد ككديد الطحين حتى دخلنا المسجد فنظرت الى قريش والى حمزة فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق فرق الله بي بين الحق والباطل اه وذكر أهل

رواه أحمد والترمذي

التفسير عن ابن عباس أيضا ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق أكذلك قال نعم فقال مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل فأخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت قيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت أظن ان يجترئ عمر على قتل مؤمن فأنزل الله تلك الآية فهدر دم ذلك الرجل وبرئ عمر من قتله ظلما فقال جبريل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقد قال السيوطي ورد أيضا بلفظ ابن عمر من حديث عمر نفسه أخرجه البيهقي في الدلائل ومن حديث أنس أخرجه البيهقي ومن حديث ابن مسعود أخرجه الحاكم ومن حديث ربيعة السعدي أخرجه البغوي في معجمه ومن حديث ابن عباس وخباب أخرجهما ابن عساكر في تاريخه ومن حديث عثمان بن الارقم ومرسل سعيد بن المسيب ومراسيل الزهري أخرجهما ابن سعد في الطبقات وورد بلفظ عائشة من حديث ابن عباس رواه الحاكم ومن حديث ابن عمر أخرجه ابن سعد ومن حديث أبي بكر الصديق أخرجه الطبراني في الاوسط ومن حديث ابن مسعود أخرجه ابن عساكر ومن حديث ثوبان أخرجه الطبراني ومن مرسل الحسن أخرجه ابن سعد وقال ابن عساكر في الجمع بين اللفظين انه دعا بالاول أولا فلما أوحى اليه أن أبا جهل لن يسلم خص عمر بدعائه فاجيب فيه وقد اشتهر هذا الحديث على الالسنة بلفظ بأحب العمرين ولا أصل له من طرق الحديث بعد الفحص البالغ اه كلام السيوطي رحمه الله (وعن جابر قال قال عمر لابي بكر يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أما) للتنبيه (انك ان قلت ذلك) أي اذ قلت ذلك الكلام وعظمتني من بين الانام فأجازيك بمثل هذا المرام من التبشير في هذا المقام (فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر) وهو اما محمول على أيام خلافته أو مقيد ببعد أبي بكر والمراد في باب العدالة أو في طريق السياسة ونحو ذلك جمعا بين الالفاظ الواردة في السنة قال الطيبي جواب قسم محذوف وقع جوابا للشرط على سبيل الاخبار كأنه أنكر عليه قوله يا خير الناس بعد رسول الله لقوله ما طلعت الشمس الخ ونحوه في الاخبار والانكار قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله اه والتحقيق ما قدمناه مع ان معنى الآية هو الاخبار عن كون النعمة من الله على طريق الانحصار وان كان يتضمن انكاران يكون نعمة من الاغيار لا سيما في نظر الابرار ومشاهدة الاخيار كما قيل * ليس في الدار غيره ديار * (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) قيل نقل في الميزان عن أهل الحديث تضعيفه وأقول يقويه ما في الجامع من ان قوله ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر رواه الترمذي والحاكم في مستدركه عن أبي بكر مرفوعا وقد أخرج البغوي في الفضائل عن ثابت بن الحجاج فقال خطب عمر ابنة أبي سفيان فابوا ان يزوجوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي المدينة خير من عمر ولا شك ان المراد بعده صلى الله عليه وسلم للاجماع وبعد أبي بكر لما تقدم والله أعلم (وعن عقبة بن عامر قال قال النبي) وفي نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) بزيادة حسن في نسخة من الترمذي وقد ذكره ابن الجوزي أيضا عنه ورواه أيضا أحمد في مسنده والحاكم في صحيحه عنه والطبراني عن عصمة بن مالك وفي بعض طرق هذا الحديث لو لم أبعث لبعثت يا عمر (وعن بريدة) بالتصغير (قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه) أي أزمنة غزواته (فلما انصرف جاءته) أي النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة جاءت (جارية سوداء فقالت يا رسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله صالحا) أي منصورا وفي رواية سالما (ان أضرب بين يديك) أي قدامك وفي حضورك (بالدف) بضم الدال وتشديد الفاء وهو أفصح وأشهر وروي الفتح أيضا

وعن جابر قال قال عمر لابي بكر يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أما انك ان قلت ذلك فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عقبة ابن عامر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن بريدة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت يا رسول الله اني كنت نذرت ان ردك الله صالحا أن أضرب بين يديك بالدف

وأتغـنى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نذرت فاضربي والافلا فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخـل عمر فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليخاف منك يا عمر اني كنت جالسا وهي تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخـل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف

هو ما يطلب به والمراد به الدف الذي كان في زمن المتقدمين وأما ما فيه الجلاجل فينبغي ان يكون مكروها اتفاقا وفيه دليل على ان الوفاء بالنذر الذي فيه قربة واجب والسرور بمقدمه صلى الله عليه وسلم قربة سيما من الغزو الذي فيه تهلك الانفس وعلى ان الضرب بالدف مباح وفي قولها (واتغنى) دليل على ان سماع صوت المرأة بالغناء مباح اذا خلا عن الفتنة (فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نذرت فاضربي والافلا) فيه دلالة ظاهرة على ان ضرب الدف لا يجوز الا بالنذر ونحوه مما ورد فيه الاذن من الشارع كضربه في اعلان النكاح فما استعمله بعض مشايخ اليمن من ضرب الدف حال الذكر فمن أقبح القبيح والله ولي دينه وناصر نبيه (فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب) جملة حالية (ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها) بهمز وصل مكسور وسكون سين أي أليتها بان رفعتها ووضعته تحتها (ثم قعدت عليها) أي على استها التستره عن عمر هيبة وفي رواية ثم قعدت عليه أي على الدف (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليخاف منك يا عمر) يريد به تلك المرأة السوداء لانها شيطان الانس وتفعل فعل الشيطان أو المراد شيطانها الذي يحملها على فعلها المكروه وهو زيادة الضرب التي هي من جنس اللهو على ما حصل به اظهار الفرح (اني كنت جالسا) استئناف تعليل (وهي تضرب) حال (فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف) أي تحت استها (ثم قعدت عليها) قال التوربشتي وانما مكنها صلى الله عليه وسلم من ضرب الدف بين يديه لانها نذرت فدل نذرها على انها عدت انصرافه على حال السلامة نعمة من نعم الله عليها فانقلب الامر فيه من صنعة اللهو الى صنعة الحق ومن المكروه الى المستحب ثم انه لم يكره من ذلك ما يقع به الوفاء بالنذر وقد حصل ذلك بادنى ضرب ثم عاد الامر في الزيادة الى حد المكروه ولم ير ان يمنعها لانه لو منعها صلى الله عليه وسلم كان يرجع الى حد التحريم فلذا سكت عنها وحمد انتهاءها عما كانت فيه بمجيء عمر اه وفيه انه كان يمكن ان يمنعها امتناعا يرجع الى حد التحريم قال الطيبي فان قلت كيف قررامساكها عن ضرب الدف ههنا بمجيء عمر ووصفه بقوله ان الشيطان ليخاف منك يا عمر ولم يقرر انتهاء أبي بكر رضي الله عنه الجاريتين اللتين كانتا تدففان أيام منى قلت منع أبا بكر بقوله دعهما وعلله بقوله فانها أيام عيد وقرر ذلك ههنا ودل ذلك على ان الحالات والمقامات متفاوتة فمن حالة تقتضي الاستمرار ومن حالة لا تقتضيه أقول ويمكن ان يقال منع الصديق لهما عن فعلهما بحضور الحضرة النبوية لا يخلو انه من قصور آداب البشرية فلذا ما قرر له ذلك وبين له سبب استمرار فعلهما هنالك وأما ههنا فلو دخل عمر ورآها على حالها بحضرة سماع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يكن يمنعها كما هو مقتضى حسن آدابه لكن لما جعل الله مأتاه سببا لانتهائها عن فعلها المكروه بحسب أصله ولو صار مندوبا بموجب نذرها واستحسنه صلى الله عليه وسلم وقرر امتثاله وقرر منعه بالقوة الالهية الغالبة على الارادة الشيطانية وقيل انه صلى الله عليه وسلم علم انتهاءها عما كانت فيه بمجيء عمر وسكت ليظهر بذلك فضل عمر ويقول ما قال اه ولا يخفى ان هذه العلة مدخولة فان الزيادة تبقى معلولة ثم لا يبعد ان يكون انتهاء مدة ضرب الدف على طريق العرف بابتداء مأتى عمر في مجلس الحضرة النبوية وأظن ان هذا أظهر وأولى مما تقدم والله أعلم ثم ظهر لي وجه وهو ان يقال ان عمر رضي الله عنه ما كان يحب ما صورته يشبه باطلا وان كان هو من وجه حق ويؤيده ما روي عن الاسود بن سريع قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني قد حمدت الله بمحامد فقال عليه السلام ان ربك تعالى يحب المدحات بما امتدحت به ربك قال فجعلت أنشده فجاء رجل يستأذن قال فاستنصتني له رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصف لنا أبو سلمة كيف استنصته قال كما يصنع بالهر فدخل الرجل فتكلم ساعة ثم خرج ثم أخذت أنشده أيضا ثم رجع بعد فاستنصتني فقلت يا رسول الله من ذا الذي تستنصتني له فقال هذا رجل لا يحب الباطل هذا عمر بن الخطاب أخرجه أحمد وأطلق على هذا باطلا وهو متضمن حقا لانه حمد ومدح لله الا انه من جنس الباطل اذ الشعر كله جنس واحد ومن هذا

القبيل ماروي عن عائشة أنها قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بحريرة طبختها له فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فابت فقلت لتأكلن أو لالطخن وجهك فأبت فوضعت يدي في الحريرة وطليت بها وجهها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فوضع فخذه لها وقال لسودة الطخي وجهها فلطخت وجهي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم أيضا فمر عمر فنادى يا عبد الله يا عبد الله فظن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيدخل فقال قوما فاغسلا وجوهكما قالت عائشة فمازلت أهاب عمر لهيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه رواه ابن غيلان من حديث الهاشمي وخرجه الملا في سيرته (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فسمعنا لغطا) بفتح لام وغين معجمة أي صوتا شديدا لا يفهم (وصوت صبيان فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية) بفتحتين أي جارية أو امرأة منسوبة الى الحبش (تزفن) بسكون الزاي وكسر الفاء وبضم أي ترقص (والصبيان حولها) أي ينظرون اليها ويتفرجون عليها (فقال يا عائشة تعالي) بفتح اللام أي تقدمي (فانظري) وهو أمر مخاطبة من التعالي وأصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم كذا ذكره البيضاوي في قوله تعالى قل تعالوا وقرئ بضم لام تعالوا فان الاصل فيه تعاليوا فنقل ضمة الياء الى ماقبلها بعد سلب حركة ماقبلها وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وعلى هذا يجوز كسر اللام في تعالي كما هو المشهور على السنة أهل زماننا خصوصا أهل الحرمين الشريفين وأما علال فتح اللام في الجمع والمخاطبة فبناء على القلب والحذف (فجئت فوضعت لحيي) بالاضافة الى ياء المتكلم تثنية لحي بالفتح وسكون الحاء المهملة منبت اللحية من الانسان (على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو مجتمع رأس الكتف والعضد (فجعلت) أي شرعت (انظر اليها) أي الى الحبشية (ما بين المنكب) ظرف لانظر حذف منه في أي فيما بين المنكب (الى رأسه فقال لي) أي بعد ساعة أو فكان يقول لي (أما شبعت أما شبعت) أي مكررا (فجعلت أقول لا) أي لا لا لا لعدم الشبع حرصا على النظر اليها بل كان قصدي من قولي لا (لانظر منزلتي) أي نهاية مرتبتي وغاية محبتي (عنده اذ طلع عمر) أي ظهر (فارفض الناس عنها) بتشديد الضاد المعجمة أي تفرق النظارة التي كانوا حول الحبشية الراقصة عنها لمهابة عمر والخوف من انكاره عليهم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لانظر الى شياطين الجن والانس) وفي رواية الى شياطين الانس والجن (قد فروا من عمر قالت) أي عائشة (فرجعت) أي من عند النبي صلى الله عليه وسلم (الى بيتي) وفيه دليل على عظمة خلقه عليه الصلاة والسلام وغلبة صفة الجمال عليه كما يدل على غلبة نعت الجلال على عمر رضي الله عنه (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب) وأخرجه ابن السمان في الموافقة عن عائشة قالت دخلت امرأة من الانصار الي فقالت اني أعطيت الله عهدا اذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم لانقرن على رأسه بالدف قالت عائشة فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال قولي لها فلتف بما حلفت فقامت بالدف على رأس النبي صلى الله عليه وسلم فنقرت نقرتين أو ثلاثا فاستفتح عمر فسقط الدف من يدها وأسرعت الى خدر عائشة فقالت لها عائشة مالك قالت سمعت عمر فهبته فقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليفر من حس عمر

(الفصل الثالث) (عن أنس وابن عمر ان عمر رضي الله عنه قال وافقت ربي) قال الطيبي ما أحسن هذه العبارة وما ألطفها حيث راعى فيها الادب الحسن ولم يقل وافقني ربي مع ان الآيات انما نزلت موافقة لرأيه واجتهاده أقول ولعله رضي الله عنه أشار بقوله هذا ان فعله حادث لاحق وقضاء ربه قديم سابق (في ثلاث) لكن في الرياض عن أنس قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث الحديث أخرجه الشيخان وأبو حاتم قال الحافظ العسقلاني ليس في تخصيص الثلاث ماينفي الزيادة لانه حصلت له الموافقة في أشياء من مشهورها قصة أسارى بدر وقصة الصلاة على المنافقين وهما في الصحيح وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين خمسة عشر قال صاحب الرياض منها تسع لفظيات وأربع معنويات واثنتان في التوراة فان أردت تفصيلها فراجعها (قلت يا رسول

رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فسمعنا لغطا وصوت صبيان فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية تزفن والصبيان حولها فقال يا عائشة تعالي فانظري فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلت أنظر اليها ما بين المنكب الى رأسه فقال لي أما شبعت أما شبعت فجعلت أقول لا لانظر منزلتي عنده اذ طلع عمر فارفض الناس عنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لانظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر قالت فرجعت رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب *(الفصل الثالث)* عن أنس وابن عمر ان عمر قال وافقت ربي في ثلاث قلت يارسول

الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى) أي لكان حسنا أو للتمني والمراد ان نجعل مصلى لصلاة الطواف بأن يكون فيما خوله أفضل (فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) بكسر الخاء على ان الامر للاستحباب وقيل للايجاب وفي نسخة بفتح الخاء وهي قراءة المدني والشامي من السبعة قال القاضي أي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها اه والاظهر انه خبر بمعناه الامر وهو أبلغ في الحكم المقرر فكأنه أمر به وامتثل فأخبر والمراد بمقام ابراهيم الحجر الذي فيه أثر قدمه والموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج أو رفع بناء البيت ولا منع من الجمع وهو موضعه اليوم روي انه عليه السلام أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم عليه السلام فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت والمراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قال البيضاوي وللشافعي في وجوب الركعتين قولان اه وهما واجبتان عقب كل طواف عندنا (وقلت يارسول الله يدخل على نسائك البر) بفتح الموحدة أي البار وهو الصالح (والفاجر) أي الفاسق (فلو أمرتهن ان يحتجبن) أي عن الاجانب مطلقا (فنزلت آية الحجاب) وهي قوله تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب وقد أخرج الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حيسا في قعب فمر عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال حس أوه لو أطاع فيكن ما رأتكن عين فنزلت آية الحجاب وقوله حس بكسر السين والتشديد كلمة يقولها الانسان اذا أصابه ما أحرقه كالجمرة والضربة ونحوهما (واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلواء وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له الحديث فنزل يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك (فقلت عسى ربه ان طلقكن أن يبدله) بالتشديد والتخفيف أي يعطيه بدلا عنكن (أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وفي رواية لابن عمر قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر) بدل تفصيل باعادة الجار (متفق عليه) لكن الرواية الثانية منسوبة الى مسلم على ما في الرياض وأخرج الواحدي في أسباب النزول وأبو الفرج عن أنس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في أربع قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله لو اتخذت على نسائك حجابا فانه يدخل عليك البر والفاجر فانزل الله تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب وقلت لازواج النبي صلى الله عليه وسلم لتنتهين أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن م ونزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قلت فتبارك الله أحسن الخالقين فنزل وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم تزيد في القرآن يا عمر فنزل جبريل بها وقال انها تمام الآية أخرجه السجاوندي في تفسيره وقد روي مثل ذلك عن عبد الله بن أبي سرح كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أملى كذلك قال ان كان محمد يوحى اليه فأنا كذلك فارتد وقد روي انه راجع الاسلام واستعمله عمر (وعن ابن مسعود) أي موقوفا (قال فضل الناس) بضم فاء وتشديد ضاد معجمة ونصب الناس على انه مفعول ثان مقدم على نائب الفاعل وهو قوله (عمر بن الخطاب رضي الله عنه) أي فضله الله عليهم لاختصاصه (بأربع) أي من الخصال (بذكر الاسارى) أي بذكره اياهم أو بذكرهم عنده (يوم بدر أمر بقتلهم) استئناف أو حال (فأنزل الله تعالى لولا كتاب) أي مكتوب أو حكم (من الله سبق) أي اثباته في اللوح أو في العلم بانه لا يعاقب المخطئ في اجتهاده أو ان أهل بدر مغفور لهم (لمسكم) أي لاصابكم (فيما أخذتم) أي من الفداء عوضا عن الاعداء (عذاب عظيم) أي في الدنيا قبل الاخرى وكان أخذهم الفدية يوم بدر من الكفار خطأ في الاجتهاد مبنيا على ان أخذ المال منهم أنسب

الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يارسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك وفي رواية لابن عمر قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر متفق عليه وعن ابن مسعود قال فضل الناس عمر بن الخطاب بأربع بذكر الاسارى يوم بدر أمر بقتلهم فأنزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم

ليتقوى المؤمنون به والكلهم يؤمنون به بعد ذلك وذهب اليه أبو بكر ومن تبعه من أرباب الجمال أو بل ينبغي قتلهم فانهم أئمة الكفر ورؤساؤه وهو قول عمر ومن وافقه من أصحاب الجلال ولما كان صلى الله عليه وسلم من كمله مائلا الى الجمال اختار قول الصديق في الحال وكان مطابقا لما في أزل الآزال من حسن المآل وتفصيله على ما في الرياض عن ابن عباس عن عمر قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله بنو العم وبنو العشيرة والاخوان غير أنا نأخذ منهم الفداء فيكون لنا قوة على المشركين وعسى الله ان يهديهم الى الاسلام ويكونوا لنا عضدا قال فما ترى يا ابن الخطاب قلت يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدهم فتقربهم فنضرب أعناقهم قال فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما أصبحت غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان قلت يا نبي الله من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال لقد عرض على عذابكم أدنى من الشجرة والشجرة قريبة حينئذ وأنزل الله تعالى ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة أخرجه مسلم وعند البخاري معناه وفي رواية لاحمد فأنزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم الآية وفي طريق ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى عمر فقال لقد كاد يصيبنا بلاء أخرجه الواحدي مسندا في أسباب النزول وفي بعضها لقد كاد يصيبنا بخلافك شر يا ابن الخطاب وفي رواية لو نزل من السماء نار لما نجا منها الا عمر وفي هذه الاحاديث دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان يحكم باجتهاده (ويذكره الحجاب) والضمير لعمر (أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان يحتجبن فقالت له زينب) أي بنت جحش وهي بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم واحدى أمهات المؤمنين (وانك علينا) أي تحكم أو تغار (يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا) جملة حالية (فأنزل الله تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن) بالهمز ونقله أي اطلبوهن حال كونهن (من وراء حجاب) أي ستارة (وبدعوة النبي) أي وباجابة دعائه صلى الله عليه وسلم في حقه بقوله (اللهم أيد الاسلام) أي أعزه (بعمر وبرأيه في أبي بكر رضي الله عنه) أي وباجتهاده في شأن أبي بكر حال خلافته (كان أول ناس) وفي نسخة صحيحة أول الناس (بايعه) أي أبا بكر ثم غيره تابعه (رواه أحمد وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة قال أبو سعيد والله ما كنا نرى) بضم النون وفتح الراء أي ما كنا نظن (ذلك الرجل الا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله) أي مات عمر وفيه دفع توهم انه وقع له تغير في آخر عمره (رواه ابن ماجه) قال الطيبي فان قلت فيلزم من هذا انه أفضل من أبي بكر قلت قوله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل اشارة الى مبهم والقصد فيه ان يجتهد ويتحرى كل واحد من أمته أن ينال تلك الدرجة وانما ينال بتوخي العمل وتحري الاصوب من الاخلاق الفاضلة والاجتهاد في الدين والمواظبة على المبرات ولم تشاهد هذه الخلال في أحد كما شوهد منه رضي الله عنه من أول حاله الى منتهاه وبهذا القياس ظنوا ان المشار اليه هو لا غيره ونحوه اخفاء ليلة القدر في الليالي فلا يلزم من هذا أن يكون هو أفضل من أبي بكر وأيضا يجوز أن يحمل على الخصوص ويؤيد التقرير الاول الحديث الذي يتلوه اه وحاصل كلامه ان كون المراد بذلك الرجل عمر مظنون فيه عند بعضهم فلا يدل على انه أفضل من أبي بكر عند الجمهور كما تقرر عليه الانعقاد وحصل به الاعتماد مع أنه قد يقال المراد به انه أفضل أهل زمانه حال خلافته فيرتفع الاشكال من أصله لكن فيه ان المشار اليه بذلك ليس مبهما بل هو مبين في الجملة كما هو مصرح في سياق حديث ابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن أبي أمامة الباهلي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه وكان من قوله انه قال انه لم تكن فتنة في الارض منذ ذرأ الله آدم أعظم من فتنة الدجال وذكر الحديث الى ان قال وان من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها فينشرها بالمنشار حتى يلقى شقتين ثم يقول انظروا الى عبدي هذا فاني أبعثه الآن ثم لم يزعم ان

ويذكره الحجاب أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم ان يحتجبن فقالت له زينب وانك علينا يا ابن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا فأنزل الله تعالى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب وبدعوة النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أيد الاسلام بعمر وبرأيه في أبي بكر كان أول ناس بايعه رواه أحمد وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة قال أبو سعيد والله ما كنا نرى ذلك الرجل الا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله رواه ابن ماجه

له ربك يا عدو الله فيبعثه الله فيقول له الخبيث من ربك فيقول ربي الله وأنت عدو الله أنت الدجال والله ما كنت أشد بصيرة بك من اليوم قال أبو الحسن الطنافسي فحدثنا المحاربي حدثنا عن عبد الله بن الوليد الوصافي عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل أرفع أمتي درجة في الجنة قال أبو سعيد والله ما كنا نرى ذلك الرجل الا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله اهـ سياق ابن ماجه فانظر وتأمل سياق المصنف الحديث واختصاره حتى لم يفهم المقصود من الحديث ذكره ميرك فعلى هذا قوله والله ما كنا الخ معناه انا كنا نظن ان ذلك الرجل الذي يقتل على يد الدجال هو عمر حتى مات فتبين انه غير لكن يشكل أفضلية ذلك الرجل ويدفع بان معناه في زمانه وقد تقدم عن الجزري في باب العلامات بين يدي الساعة ان ذلك الرجل المقتول على يد الدجال هو الخضر عليه السلام فلا اشكال بناء على انه نبي كما هو أصح الاقوال والله أعلم بالحال (وعن أسلم) هو مولى عمر بن الخطاب كنيته أبو خالد كان حبشيا وقيل من سبي اليمن اشتراه عمر بمكة سنة احدى عشرة سمع عمر وغيره بعثه أبو بكر ليقيم الحج للناس روى عنه زيد بن أسلم وغيره مات في ولاية مروان وله مائة وأربع عشرة سنة (قال سألني ابن عمر بعض شأنه) وفي بعض النسخ عن بعض شأنه (يعني) أي يريد بالضمير (عمر) ولعل المراد بعض شأنه المخفي عن الناس من عادته الكائنة بينه وبين الله على طريق الاخلاص (فأخبرته فقال ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال الطيبي رحمه الله يحتمل وجهين أي بعد وفاة رسول الله أو بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخلال وتعقيبه بقوله (من حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم) يدل على الاول لان المراد بيان ابتداء استمراره على تلك الحالات وثباته عليها (حتى مضى لسبيله) اى مات وضبط حين بالفتح وفي نسخة بالجر (كان) أي ذلك الاحد (أجد) أي أجهد في الدين (وأجود) أي أحسن في طلب اليقين (حتى انتهى) أي الى آخر عمره (من عمر) تنازع فيه أجد وأجود ذكره الطيبي وقال السيوطي أي في زمن خلافته ليخرج أبو بكر (رواه البخاري وعن المسور) بكسر فسكون ففتح (ابن مخرمة) بفتح فسكون خاء معجمة ففتح راء هو ابن أخت عبد الرحمن بن عوف ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين وقدم به الى المدينة في ذي الحجة سنة ثمان وقبض النبي صلى الله عليه وسلم وله ثمان سنين وسمع منه وحفظ عنه وكان فقيها من أهل الفضل والدين وتقدمت بقية ترجمته (قال لما طعن عمر) بصيغة المجهول أي طعنه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بالمدينة يوم الاربعاء لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين (جعل) أي طفق (عمر يألم) أي يظهر أثر ألمه بالانين ونحوه (فقال له ابن عباس وكأنه) أي ابن عباس (يجزعه) بتشديد الزاي أي ينسبه الى الجزع ويلومه عليه ويقول له ما يسليه بما يزيل عنه الجزع نحو قوله تعالى فزع عن قلوبهم أي أزيل عنهم الفزع والجملة معترضة بين القائل ومقوله (يا أمير المؤمنين ولا كل ذلك) بالرفع وفي نسخة بالنصب والمعنى لا تبالغ فيما أنت فيه من الجزع قال ميرك وفي نسخة ولئن كان ذلك كذا وقع عند أكثر رواة البخاري والذي في الاصل رواية الكشميهني وبعضهم ولا كان ذلك وكأنه دعاء أي لا يكون ما تخافه أولا يكون الموت بتلك الطعنة (لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض) أي لقوله لو كان بعدي نبي لكان عمر (ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض) أي حيث جعلك أمير المؤمنين (ثم صحبت المسلمين) أي أيام خلافتك (فأحسنت صحبتهم) أي باظهار العدالة واتقان السياسة (ولئن فارقتهم) أي في هذه القضية (لتفارقنهم) وفي نسخة لتفارقهم (وهم عنك راضون) أي وهذا كله يدل على ان الله عنك راض وأنت راض عنه فانت مبشر بقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية والموت تحفة المؤمن حيث يكون سببا للقاء المولى في المقام الاعلى (قال أي عمر (أما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه فانما ذلك من) بفتح ميم وتشديد نون أي منة عظيمة (من الله من به علي) أي تفضل علي به من غير كسب بل بجذبة منه فلا أنكر كرمه بل أشكره وأحمده

وعن أسلم قال سألني ابن عمر بعض شأنه يعني عمر فأخبرته فقال ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قبض كان أجد وأجود حتى انتهى من عمر رواه البخاري وعن المسور بن مخرمة قال لما طعن عمر جعل يألم فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه يا أمير المؤمنين ولا كل ذلك لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقك وهو عنك راض ثم صحبت المسلمين فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون قال أما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه فانما ذلك من من الله من به علي

(وأما ماذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فانما ذلك من من الله من به علي) أي حيث وفقني على تقديمه ومساعدته في تقويمه وأصل اعراضه عن رضا الناس للاشعار بأنه لا اعتبار لهم وانما المدار على رضا الله كما قال تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه ولايماء أن رضاهم أيضا من أثر رضا الله ورسوله ومن جملة ما من الله به عليه وهداه الله اليه (وأما ماترى من جزعي) أي فزعي الذي توهم انه من أجل موتي (فهو من أجلك ومن أجل أصحابك) عطف باعادة الجار أي من جهة اني أخاف عليكم من وقوع الفتن بينكم لما كان كالباب يسد الفتن ومع هذا كله أخاف أيضا على نفسي ولا آمن من عذاب ربي لانه (والله لو ان لي طلاع الارض) بكسر أوله أي ما علاها ذهبا حتى يطلع و يسيل (لافتديت به من عذاب الله قبل ان أراه) أي الله أو عذابه وانما قال ذلك لغلبة الخوف الذي وقع له في ذلك الوقت من خشية التقصير فيما يجب من حقوق الله أو من الفتنة بمدحهم كذا في فتح الباري وقال الطيبي كانه رضي الله عنه رجح جانب الخوف على الرجاء لما أشعر من فتن تقع بعده في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجزع جزعا عليهم وترحما لهم ومن استغناء الله تعالى عن العالمين كما قال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وكان جانب الخوف عليه غالبا فاستمر على ذلك هضما لنفسه وانكسارا ولذلك نسب ما حصل له من الفضيلة الى منة الله تعالى وافضاله وفي الاستيعاب ان عمر رضي الله عنه حين احتضر قال ورأسه في حجر ابنه عبد الله ظلوم لنفسي غير اني مسلم أصلي صلاتي كلها وأصوم قال المؤلف ودفن يوم الاحد عاشر محرم سنة أربع وعشرين وله من العمر ثلاث وستون وهو أصح ما قيل في عمره وكانت خلافته عشر سنين ونصفا وصلى عليه صهيب وروى عنه أبو بكر و باقي العشرة وخلق كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين (رواه البخاري) وفي الرياض من جملة كراماته ومكاشفاته ماروى عن عمرو بن الحارث قال بينما عمر يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة ونادى ياسارية الجبل مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لمجنون ترك خطبته ونادى ياسارية الجبل فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان ينبسط عليه فقال يا أمير المؤمنين تجعل للناس عليك مقالا بينما أنت في خطبتك اذ ناديت ياسارية الجبل أي شيء هذا فقال والله ماملكت ذلك حين رأيت سارية وأصحابه يقاتلون عند جبل يؤتون منه من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك ان قلت ياسارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلم يمض أيام حتى جاء رسول سارية بكتابه ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم من حين صلينا الصبح الى ان حضرت الجمعة ودر حاجب الشمس فسمعنا صوت مناد ينادي الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله تعالى و يروى ان مصر لما فتحت أتى أهلها عمرو بن العاص وقالوا له ان هذا النيل يحتاج في كل سنة الى جارية بكر من أحسن الجواري فنلقيها فيه والا فلا يجري وتخرب البلاد وتقحط فبعث عمرو الى أمير المؤمنين عمر يخبره بالخبر فبعث اليه عمر الاسلام يجب ما قبله ثم بعث اليه بطاقة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الى نيل مصر من عبد الله عمر بن الخطاب أما بعد فان كنت تجري بأمر الله فاجر على اسم الله وأمره ان يلقيها في النيل فجرى في تلك الليلة ستة عشر ذراعا فزاد على كل سنة ستة أذرع وفي رواية فلما ألقى كتابه جرى ولم يعد يقف خرجها الملا في سيرته قلت الاول أخرجه البيهقي وأبو نعيم واللالكائي وابن الاعرابي والخطيب وابن مردويه عن نافع عن ابن عمر باسناد حسن والثاني أخرجه أبو الشيخ في العظمة بسنده الى قيس بن الحجاج عن جدته ولما دخل أبو مسلم الخولاني المدينة من اليمن وكان الاسود بن قيس الذي ادعى النبوة في اليمن عرض عليه ان يشهد انه رسول الله فابى فقال أتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال وأمر بتأجيج نار عظيمة وألقى فيها أبو مسلم فلم يضره فأمر بنفيه من بلاده فقدم المدينة فلما دخل من باب المسجد قال عمر هذا صاحبكم الذي زعم الاسود الكذاب انه يحرقه فنجاه الله منها ولم يكن القوم ولا عمر سمعوا قضيته ولا رأوه ثم قام اليه واعتنقه وقال ألست عبد الله بن أيوب قال بلى فبكى عمر ثم قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم شبيها بابراهيم الخليل عليه السلام وروى انه عس ليلة من الليالي وأتى على امرأة

وأما ماذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فانما ذلك من من الله به علي وأما ماترى من جزعي فهو من أجلك ومن أجل أصحابك والله لو ان لي طلاع الارض ذهبا لافتديت به من عذاب الله قبل ان أراه رواه البخاري

وهي تقول لابنتها قومي وامزقي اللبن فقالت لا تفعلين فان أمير المؤمنين عمر نهى عن ذلك فقالت ومن أين يدري فقالت مالم يعلم هو فان رب أمير المؤمنين يدري ذلك فلما أصبح عمر قال لابنه عاصم اذهب الى مكان كذا وكذا فان هناك صبية فان لم تكن مشغولة فتزوج بها لعل الله ان يرزقك منها نسمة مباركة فتزوج عاصم تلك البنية فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر فتزوجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز خرجهما في الفضائل وروى عن عمر انه أبصر اعرابيا نازلا من جبل فقال هذا رجل مصاب بولده قد نظم فيه سبعة أبيات لو أشاء لاسمعتكم ثم قال يا اعرابي من أين أقبلت فقال من أعلى هذا الجبل قال وما صنعت فيه قال أودعته وديعة لي قال وما وديعتك قال بني لي هلك فدفنته فيه قال فاسمعنا من مرثيتك فيه قال ما يدريك يا أمير المؤمنين فوالله ما تفوهت بذلك وانما حدثت به نفسي ثم أنشد شعر

يا غائبا ما يؤب من سفر * عاجله عند موته على صغره
يا قرة العين كنت لي آنسا * في طول ليلي نعم وفي قصره
ما تقع العين حيثما وقعت * في الحي من الاعلى أثره
شربت كاسا من أبوك شاربه * لا بد منه له على كبره
يشربها والانام كلهم * من كان في بدوه وفي حضره
فالحمد لله لا شريك له * في حكمه كان ذا وفي قدره
قدر موتا على العباد فما * يقدر خلق يزيد في عمره

قال فبكى عمر حتى بل لحيته ثم قال صدقت يا اعرابي ومن كثرة اتباعه السنة ما رواه أحمد عن عبد الله بن عباس قال كان للعباس ميزاب على طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافى الميزاب صب ماء بدم الفرخين فأصاب عمر فأمر عمر بقلعه ثم رجع فطرح ثيابه ولبس ثيابا غير ثيابه ثم جاء فصلى بالناس فأتاه العباس وقال والله انه للموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر للعباس وأنا أعزم عليك لما صعدت على ظهري حتى تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك العباس أخرجه وهذه الاسنة أكثر من ألف كراسة ومن ذلك ان نفقته في حجته كانت ستة عشر دينارا ومع ذلك يقول أسرفنا في هذا المال ولم يستظل الا تحت كساء أو نطع ملقى على شجرة

(باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)

(الفصل الاول) (عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يسوق بقرة) أي يدفعها من ورائها (اذ أعيا) بفتح الهمز وفي نسخة صحيحة اذ عيي بفتح العين وكسر الياء الاولى أي تعب الرجل من المشي (فركبها فقالت انا) أي جنس البقر (لم نخلق لهذا) أي للركوب (انما خلقنا لحراثة الارض) بفتح الحاء أي اثارتها لزراعتها وفيه دلالة على ان ركوب البقر والحمل عليها غير مرضي كذا ذكره ابن الملك فالحصر اضافي انما كيدما قبله وقال ابن حجر استدل به على ان الدواب لا تستعمل الا فيما جرت العادة باستعمالها فيه ويحتمل أن يكون ذلك اشارة الى تعظيم ما خلقت لاجله ولم يرد الحصر في ذلك لانه غير مراد اتفاقا لان من جملة ما خلقت له ان تذبح وتؤكل بالاتفاق قلت لا شك ان الحديث يفيد نفي جواز ركوب البقر لا سيما وقد قرره صلى الله عليه وسلم لنا وليس الكلام في ذبحها وأكلها لانهما معلومان من الدين بالضرورة فهما مستثنيان شرعا وعرفا (فقال الناس) أي الحاضرون (سبحان الله) أي تعجبا (بقرة تكلم) بضم الميم مضارع حذف منه احدى التاءين أي البقرة تتكلم والحال انها من الحيوانات الصامتة (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أومن به) جزاء شرط محذوف أي فان كان الناس يستغربونه ويتعجبون منه فاني لا استغربه وأومن به (أنا وأبو بكر وعمر) قال شارح عطف على المستكن في أومن وأنا تأكيد له وقال الطيبي رحمه الله فان قلت ما فائدة ذكر أنا وعطف ما بعده عليه وهلا عطف على المستتر في أومن مستغنيا

(باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما) *(الفصل الاول)* عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يسوق بقرة اذ أعيا فركبها فقالت انا لم نخلق لهذا انما خلقنا لحراثة الارض فقال الناس سبحان الله بقرة تكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أومن به أنا وأبو بكر وعمر

منه بالجار والمجرور قلت لو لم يذكر انا لاحتمل أن يكون وأبو بكر عطفا على محل ان واسمها والخبر محذوف فلا يدخل في معنى التأكيد وتكون هذه الجملة واردة على التبعية ولا كذلك في هذه الصورة يعني في زيادة أنا فانه يفيد حينئذ الاشتراك (وما هما ثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم أي وليس أبو بكر وعمر في المكان الذي قال صلى الله عليه وسلم فيه لكلام المذكور وفي رواية الترمذي فاني أومن بذلك ثم أبو بكر وعمر وما هما في القوم يومئذ قال التوربشتي انما أراد بذلك تخصيصهما بالتصديق الذي بلغ عين اليقين وكوشف صاحبه بالحقيقة التي ليس وراءها للتعجب مجال قال ابن الملك قوله به أي أصدق أنا بما اخبرني به الملك من تكلم البقرة وأبو بكر وعمر لقوة ايمانهما بما أخبرت قال ابن حجر وهو محمول على انه صلى الله عليه وسلم كان أخبرهما به فصدقاه أو اطلق ذلك لما اطلع عليه من انهما يصدقان بذلك ولا يترددان فيه اهـ والاخير هو الصحيح لما يدل عليه مقام المدح وكما يشعر اليه قول الراوي وما هما ثم والافكل مؤمن يصدق النبي فيما أخبر به فلا بد من وجه تمييزهما عن غيرهما كما يشير اليه مشاركتهما في الايمان المنسوب اليه صلى الله عليه وسلم (وقال) أي النبي عليه السلام (بينما رجل في غنم له) أي في قطعة غنم كائنة له ملكا واختصاصا أو رعيا (اذ عدا الذئب) أي حمل ذئب من الذئاب (على شاة منها) أي من قطعة الغنم (فأخذها) أي الذئب الشاة (فادركها صاحبها فاستنقذها) أي استخلصها من الذئب (فقال له الذئب فمن لها) أي فمن يحفظ الشاة (يوم السبع) بفتح السين المهملة وسكون الموحدة وفي نسخة بضمها (يوم لا راعي لها غيري) قال شارح وروي السبع بضم الباء وسكونها كعضد وعضد والمراد بيوم السبع حين يموت الناس ويبقى الوحوش أو يوم الاهمال من قولهم سبع الذئب الغنم اذا افترسها وأكلها فالمراد به من لها عند الفتن حين يتركها الناس لا راعي لها نهبة للذئاب والسباع فجعل السبع لها راعيا اذ هو منفرد بها ويكون حينئذ بضم الباء وقيل بسكن على لغة تميم وهذا انذار بما يكون من الشدائد والفتن التي يهمل الناس فيها مواشيهم فيتمكن منها السباع بلا مانع وقيل يوم السبع بسكون الباء وروي بضمها أيضا عيد كان لاهل الجاهلية يجتمعون فيه على اللهو ويهملون مواشيهم فيأكلها السبع وقيل السبع بسكون الباء الموضع الذي عنده المحشر يريد به يوم القيامة وهو ضعيف لا يناسب ما بعده من قوله يوم لا راعي لها غيري (فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم فقال أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم متفق عليه) وأخرجه أحمد (وعن ابن عباس قال اني لواقف في قوم فدعوا الله) أي القوم وفي رواية يدعون الله (لعمر وقد وضع على سريره) جملة حالية من عمر والمعنى انه وضع عمر يوم مات على سريره للغسل وحضر جمع من أصحابه (اذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه) بكسر الميم وفتح الفاء ويجوز عكسه (على منكبي) بفتح ميم وكسر كاف (يقول) أي مخاطبا لعمر (يرحمك الله) وفي رواية يرحمك الله (اني لارجو) وفي نسخة اني كنت لارجو (أن يجعلك الله مع صاحبيك) أي النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر في القبر أو في الجنة ذكره السيوطي قال الطيبي واللام في قوله (لاني) تعليل لقوله أن يجعلك الله مع صاحبيك أي أرجو أن يجعلك معهما في عالم القدس لاني (كثيرا ما كنت) بزيادة ما لافادة المبالغة في الكثرة عكس قوله تعالى وقليل ما هم قال الطيبي كذا في صحيح البخاري وما فيه ابهامية مؤكدة وليس في جامع الاصول لفظة ما وقوله كنت خبران وكثيرا ظرف وعامله كان قدم عليه ونحوه قليلا ما تشكرون وفي أكثر نسخ المصابيح وقع هكذا لاني كثيرا مما كنت بزيادة من وليس له محمل صحيح الا أن يتعسف ويقال اني أجد كثيرا مما كنت أسمع أقول ويمكن أن تكون ما موصولة بمعنى من والمعنى لاني في كثير من الاوقات ممن كنت (أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنت) أي في مكان كذا (وأبو بكر وعمر وفعلت) أي الشيء الفلاني من أمور العبادة ومن رسوم العادة (وأبو بكر وعمر وانطلقت) أي ذهبت أي الى مكان كذا (وأبو بكر وعمر ودخلت) أي المسجد ونحوه (وأبو بكر وعمر وخرجت) أي من نحو البيت (وأبو بكر وعمر) قيل دل على جواز العطف على الضمير المرفوع المتصل بلا تأكيد وفصل وهو مما لا يجيزه النحويون في النثر

وما هما ثم وقال بينما رجل في غنم له اذ عدا الذئب على شاة منها فأخذها فادركها صاحبها فاستنقذها فقال له الذئب فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم فقال أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم متفق عليه وعن ابن عباس قال اني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر وقد وضع على سريره اذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول يرحمك الله اني لارجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لاني كثيرا ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنت وأبو بكر وعمر وفعلت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر ودخلت وأبو بكر وعمر وخرجت وأبو بكر وعمر

الأعلى ضعف والصحيح جواز هما نظما ونثرا كما قاله الطيبي ونظيره قول عمر كنت وجار لي من الانصار وكذا قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا فان كلمة لا بعد العاطف ومع ذلك هي زائدة اهـ وفي رواية زاد هنا اني كنت لارجو أن يجعلك الله معهما (قال ابن عباس فالتفت) أي الى ورائي (فاذا) أي ذلك الرجل (على بن أبي طالب رضي الله عنه) وفي نسخة عنهم (متفق عليه) وفي رواية لهما عنه وانه وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون و يثنون و يصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني الا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت فاذا هو علي بن أبي طالب فترحم على عمر وقال ماخلفت أحدا أحب الى ان ألقى الله بمثل عمله منك وأيم الله ان كنت لاظن ان يجعلك الله مع صاحبيك وذلك انى كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر وانى كنت لارجو أن يجعلك الله معهما

(الفصل الثاني) (عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة ليتراءون) بفتح الياء والهمز من الرؤية وأصله يتراءيون من باب التفاعل أي يرى بعضهم بعضا (أهل عليين) أي مقامهم ومنزلتهم في غاية من العلو والارتفاع (كما ترون) أي تبصرون (الكوكب الدري) بضم الدال و يكسر وتشديد الياء التحتية و يهمز أيضا أي المضيء كالدر أو الدافع بنوره ظلمة ماحوله (في أفق السماء) بضمتين و يسكن الثاني على مافي القاموس أي ناحيتها وجمعه آفاق (وان أبا بكر وعمر منهم) أي من أهل عليين (وأنعما) أي زادا في الدرجة والرتبة وتجاوزا عن كونهما أهل عليين في المنزلة وقيل المعنى دخلا في النعيم كما قال أشمل اذا دخل في الشمال وهو عطف على المقدر في منهم أي استقرا منهم وأنعما (رواه) أي البغوي (في شرح السنة) أي باسناده (وروى نحوه أبو داود والترمذي وابن ماجه) قال التوربشتي وفي أكثر نسخ المصابيح انهم واللام زائدة على الرواية فانه نقل هذا الحديث عن كتاب الترمذي وفيه منهم وأنعما من غير لام قال الطيبي وكذا في سنن أبي داود وابن ماجه وجامع الاصول بغير لام وقال السيوطي في الجامع الصغير ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم رواه أحمد والشيخان عن أبي سعيد والترمذي عن أبي هريرة وزاد في الجامع الكبير قالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين رواه ابن حبان والدارمي عن أبي سعيد ورواه ابن حبان عن سهل بن سعد وفي رواية لاحمد والشيخين عن سهل بن سعد ان أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة كما تراءون الكوكب في السماء وفي رواية لاحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن أبي سعيد والطبراني عن جابر بن سمرة وابن عساكر عن ابن عمر وعن أبي هريرة ان أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الطالع في أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما وفي رواية لابن عساكر عن أبي سعيد ان أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لاهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لاهل الدنيا وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة) الكهول بضمتين جمع الكهل وهو على مافي القاموس من جاوز الثلاثين أو أربعا وثلاثين الى احدى وخمسين فاعتبر ما كانوا عليه في الدنيا حال هذا الحديث والا لم يكن في الجنة كهل كقوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وقال شارح يعني الكهول عند الدخول وهو معلول مدخول وقيل سيدا من مات كهلا من المسلمين فدخل الجنة لانه ليس فيها كهل بل من يدخلها ابن ثلاث وثلاثين واذا كانا سيدي الكهول فاولى أن يكونا سيدي شباب أهلها اهـ وفيه بحثان لايخفيان (من الاولين) أي من أولياء الامم المتقدمين فيكون ان أفضل من أصحاب الكهف ومؤمن آل فرعون ومن الخضر أيضا على القول بانه ولي (والآخرين) أي من أولياء هذه الامة وعلمائهم وشهدائهم (الا النبيين والمرسلين) فخرج عيسى عليه السلام وكذا الخضر على القول

بنبوته

قال ابن عباس فالتفت فاذا على بن أبي طالب متفق عليه

(الفصل الثاني) عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الجنة ليتراءون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما رواه في شرح السنة وروى نحوه أبو داود والترمذي وابن ماجه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين

بنبوته (رواه الترمذي) أي عن أنس (ورواه ابن ماجه عن علي رضي الله عنه) وفي الجامع الصغير رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن علي وابن ماجه عن أبي جحيفة وأبو يعلى والضياء في المختارة عن أنس والطبراني في الاوسط عن جابر وعن أبي سعيد وفي الرياض عن علي قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين يا علي لا تخبرهما أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وأخرجه عن أنس وقال حسن غريب وأخرجه أحمد وقال سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين وأخرجه المخلص الذهبي ولم يقل شبابها وزاد قال علي فما أخبرت به حتى ماتا ولو كانا حيين ما حدثت به وقوله ولا تخبرهما يا علي ربما سبق الى الوهم انه عليه السلام خشي عليهما العجب والامن وذلك وان كان من طبع البشرية الا ان منزلتهما عنده صلى الله عليه وسلم أعلى من ذلك وانما معناه والله لا تخبرهما يا علي قبلي لا بشرهما بنفسي فيبلغهما السرور مني وانما قال سيدا كهول أهل الجنة مع ان أهل الجنة شباب اشارة الى كمال الحال فان الكهول أكمل الانسانية عقلا من الشباب ومدارج الجنة على قدر العقول كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي يا علي اذا تقرب الناس بانواع البر فتقرب أنت بانواع العقل أخرجه الجنيدي وعن الشعبي قال آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبي بكر وعمر فأقبل أحدهما آخذ بيد صاحبه فقال صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى سيدي كهول أهل الجنة فلينظر الى هذين المقبلين رواه الغيلاني (وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا أدري ما بقائي فيكم) وفي رواية الا قليلا قال الطيبي ما استفهامية أي لا أدري كم مدة بقائي فيكم أقليل أم كثير وفيه تعليق (فاقتدوا باللذين) باللامين للاشعار بانه تثنية الذي (من بعدي أبي بكر وعمر) بدل من اللذين وفي رواية وأشار الى أبي بكر وعمر (رواه الترمذي) وفي الجامع اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن حذيفة وزاد الحافظ أبو نصر انهما حبل الله الممدود فمن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها (وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد لم يرفع أحد) أي من الصحابة (رأسه) أي رأس نفسه لهيبة مجالسه ورعاية الادب حال انبساطه وأنسه وأبعد شارح حيث قال أي رأس النبي صلى الله عليه وسلم لاشتغاله بذكر الله تعالى (غير أبي بكر وعمر) بالرفع على البدلية من أحد وفي نسخة بالنصب على الاستثناء (كانا يتبسمان اليه ويتبسم اليهما) استئناف بيان والتبسم مجاز عن كمال الانبساط فيما بينهم (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) وفي الرياض عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فلا يرفع اليه أحد منهم بصره الا أبا بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما أخرجه أحمد والترمذي وقال غريب والمخلص الذهبي والحافظ الدمشقي وعن أبي هريرة قال كنا نجلس عند النبي صلى الله عليه وسلم كأن على رؤسنا الطير ما يتكلم أحد منا الا أبو بكر وعمر (وعن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم) أي من الحجرة الشريفة (ودخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله) الظاهر انه نوع لف ونشر مرتب فوض الى رأي السامع لظهوره عنده (وهو آخذ) بصيغة اسم الفاعل (بايديهما) أي بيديهما (فقال هكذا) أي بالوصف المذكور من الاجتماع المسطور (نبعث) أي نخرج من القبور الى موضع النشور (يوم القيامة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عبد الله بن حنطب) بفتح الحاء والطاء المهملتين بينهما نون ساكنة ومنهم من يروي بالطاء المعجمة ومنهم من يضمهما ذكره ابن الملك وهو تابعي ولم يذكره المؤلف في أسمائه (أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر) أي نفسهما مبالغة كرجل عدل أو هما في المسلمين أو في الدين كالسمع والبصر في الاعضاء فحذف كاف التشبيه للمبالغة ولذا يسمى تشبيها بليغا أو هما في العزة عندي بمنزلتهما ويؤيده هذا ما ذهب اليه بعضهم من أن المراد بالاسماع والابصار في قوله صلى الله عليه وسلم

رواه الترمذي ورواه ابن ماجه عن علي وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر رواه الترمذي وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد لم يرفع أحد رأسه غير أبي بكر وعمر كانا يتبسمان اليه ويتبسم اليهما رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم ودخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بايديهما فقال هكذا نبعث يوم القيامة رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله ابن حنطب ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر فقال هذان السمع والبصر

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا أبو بكر وعمر قال القاضي ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم سماهما بذلك لشدة حرصهما على استماع الحق واتباعه وتهالكهما على النظر في الآيات المبثة في الانفس والآفاق والتأمل فيها والاعتبار بها اهـ وفيه دليل على فضل السمع على البصر كما تؤيده الآيات القرآنية من قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار ونحوه في مواضع كثيرة بتقديم السمع على البصر ولعل وجهه ان حصول العلم بدون البصر يتصور بخلاف فقد السمع مع انه يستلزم الصمم البكم والله أعلم (رواه الترمذي مرسلا) قال شارح وهذا الحديث مرسل لان عبد الله الراوي هذا لم ير النبي صلى الله عليه وسلم زاد ميرك وقد يقال له صحبة قلت وقد يقال له رؤية لكن ليس له رواية لكن قال السيوطي في الجامع الصغير أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر من الرأس رواه أبو يعلى في مسنده عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه عن جده مرفوعا قال ابن عبد البر وماله غيره ورواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس مرفوعا والخطيب عن جابر مرفوعا وروى الملا في سيرته عن ابن مسعود وأبي ذر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر في أمتي مثل الشمس والقمر في النجوم (وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن نبي الا وله وزيران من اهل السماء ووزيران من أهل الارض) الوزير الموازر لانه يحمل الوزر أي الثقل عن اميره والمعنى انه اذا أصابه امر شاورهما كما أن الملك اذا حزبه امر مشكل شاور وزيره ومنه قوله تعالى واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري اي عضدي ليحصل به نصري واشركه في امري اي في تدبير امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان الهيئة الاجتماعية لها بركة كثيرة في العبادات الالهية (فاما وزيراي من اهل السماء فجبريل وميكائيل) فيه دلالة ظاهرة على فضله صلوات الله وسلامه عليه على جبريل وميكائيل عليهما السلام كما أن فيه ايماء الى تفضيل جبريل على ميكائيل (واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر) فيه دلالة ظاهرة على فضلهما على غيرهما من الصحابة وهم افضل الامة وعلى ان أبا بكر افضل من عمر لان الواو وان كان لمطلق الجمع ولكن ترتيبه في لفظ الحكيم لابد له من اثر عظيم (رواه الترمذي وقال حسن غريب) ورواه الحاكم عن أبي سعيد والحكيم عن ابي هريرة بلفظ ان لي وزيرين من اهل السماء ووزيرين من اهل الارض فوزيراي من اهل السماء جبريل وميكائيل ووزيراي من أهل الارض ابو بكر وعمر وروى ابن عساكر عن ابي ذر ولفظه ان لكل نبي وزيرين ووزيراي وصاحباي ابو بكر وعمر واخرج الحافظ ابو الحسن علي بن نعيم البصري عن انس بن مالك قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره قال فدبده المباركة بين كتفي ابي بكر ومد يساره بين كتفي عمر ثم قال لهما أنتما وزيراي في الدنيا وانتما وزيراي في الآخرة هكذا تنشق الارض عني وعنكما وهكذا ازور وانتما رب العالمين وعن الحسن البصري قال مكتوب على ساق العرش او في ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله وزيراه ابو بكر الصديق وعمر الفاروق اخرجه صاحب الديباج وعن عبد العزيز بن عبد المطلب عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل ايدني من اهل السماء بجبريل وميكائيل ومن اهل الارض بابي بكر وعمر أخرجه السمرقندي (وعن ابي بكرة) أي الثقفي (أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت كأن) بتشديد النون (ميزانا نزل من السماء فوزنت) بصيغة المجهول المخاطب (أنت) ضمير فصل وتأكيد لتصحيح العطف (وأبو بكر فرجحت) بفتح الجيم وسكون الحاء أي ثقلت وغلبت (أنت) للتأكيد المجرد (ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان) وفيه ايماء الى وجه ما اختلف في تفضيل علي وعثمان (فاستاء) بهمز وصل وسكون سين فتاء فالف فهمز أي فحزن (لها) أي للرؤيا (رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني) هذا قول الراوي (فساءه) أي فاحزن النبي صلى الله عليه وسلم (ذلك) أي ماذكره الرجل من رؤياه وذلك لما علم صلى الله عليه وسلم من أن تأويل رفع الميزان انحطاط رتبة الامور وظهور الفتن بعد خلافة عمر ومعنى رجحان كل من الآخر في الميزان ان الراجح أفضل من المرجوح وانما لم يوزن عثمان وعلي لان خلافة

رواه الترمذي مرسلا وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن نبي الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فاما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الارض فابو بكر وعمر رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن أبي بكرة أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فاستاء لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني فساءه ذلك

على على اختلاف الصحابة فرقة معه وفرقة مع معاوية فلا تكون خلافة مستقرة متفقا عليها اه كره ابن الملك وفي النهاية استاء بوزن افتعل من السوء وهو مطاوع ساءه يقال استاء فلان بكذا أي ساءه فقوله روى فاستاءلها أي طلب تاويلها بالنظر والتأمل قال التوربشتي انما ساءه والله أعلم من الرؤيا التي كرها ماعرفه من تاويل رفع الميزان فان فيه احتمالا لانحطاط رتبة الامر في زمان القائم به بعد عمر رضي الله عنه عما كان عليه من النفاذ والاستعلاء والتمكن بالتأييد ويحتمل أن يكون المراد من الوزن موازنة أيامهم لما كان نظر فيها من رونق الاسلام وبهجته ثم ان الموازنة انما تراعى في الاشياء المتقارب به مع مناسبة مابظهر الرجحان فاذا تباعدت كل التباعد لم يوجد للموازنة معنى فلهذا رفع الميزان (فقال) أي النبي عليه السلام (خلافة نبوة) بالاضافة ورفع خلافة على الخبر أي الذي رأيته خلافة نبوة وقيل التقدير هذه خلافة (ثم يؤتي الله الملك من يشاء) وقيل أي انقضت خلافة النبوة يعني هذه الرؤيا دالة على ان الخلافة بالحق تنقضي وتنتهي حقيقتها بانقضاء خلافة عمر رضي الله عنه وقال الطيبي رحمه الله دل اضافة الخلافة الى النبوة على ان لا نبوت فيها من طلب الملك والمنازعة فيه لاحد وكانت خلافة الشيخين على هذا وكون المرجوحية انتهت الى عثمان رضي الله عنه دل على حصول المنازعة فيها وان الخلافة في زمن عثمان وعلي مشوبة بالملك فاما بعدهما فكانت ملكا عضوضا (رواه الترمذي) وأبو داود وأخرجه أحمد في مسنده عن ابن عمر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غدوة بعد طلوع الشمس فقال رأيت قبل الفجر كأني أعطيت المقاليد والموازين فاما المقاليد فهي المفاتيح وأما الموازين فهذه التي يوزن بها ووضعت في كفة ووضعت أمتي في كفة فرجحت ثم جيء بابي بكر فوزن بهم فرجح ثم جيء بعمر فوزن بهم فرجح ثم جيء بعثمان فوزن بهم فرجح ثم رفعت قلت ولعل في رواية كل أحد منهم بجميع الامة ايماء الى اتفاق جميع الامة على خلافته وكانه قدمهم وناب بجماهم وفي رفع الميزان اشارة الى الاختلاف الواقع بعد ذلك ولا تنافي بين هذا الحديث وبين حديث أخرجه أحمد أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت الليلة في المنام كان ثلاثة من أصحابي وزنوا فوزن أبو بكر فوزن ثم وزن عمر فوزن ثم وزن عثمان فنقص صاحبنا وهو صالح اه بل نحملهما على معنيين مختلفين جمعا بين الحديثين بقدر الامكان فان ذلك أولى من الغاء أحدهما فيحمل قوله السابق فرجح أبو بكر على ما تقدم من الاتفاق على خلافته ويحمل قوله فوزن على موافقة رأيهم وأن رأيه وازن آراءهم فجاء موزونا معتدلا معهم لم يخالفوه في رأي رآه ومن أحاديث الباب ما أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين ومما يناسبه ما روي عن مالك بن أنس وقد سأله الرشيد كيف كانت منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته قال كقرب قبريهما من قبره بعد وفاته قال شفيتني يا مالك أخرجه البصري والحافظ السلفي ونحوه أخرجه ابن السمعاني في الموافقة عن علي بن الحسين ومما يناسبه أيضا ما أخرجه القلعي عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم استلف من يهودي شيأ الى الحول فقال أرأيت ان جئت ولم أجدك فالى من أذهب قال الى أبي بكر قال فان لم أجده قال الى عمر قال ان لم أجده قال ان استطعت أن تموت اذا مات عمر فمت ومن أحاديث الباب ما أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن حذيفة مرفوعا اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء والحاكم من حديث ابن مسعود

(الفصل الثالث) (عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يطلع) بتشديد الطاء أي يشرف أو يظهر أو يدخل (عليكم رجل من أهل الجنة فاطلع أبو بكر ثم قال يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فاطلع عمر رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عائشة رضي الله عنها قالت بينا رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجري) بفتح الحاء وكسرها (في ليلة ضاحية) أي مقمرة (اذ قلت يا رسول الله هل

فقال خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء رواه الترمذي وأبو داود

(الفصل الثالث) عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فاطلع أبو بكر ثم قال يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فاطلع عمر رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عائشة رضي الله عنها قالت بينا رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجري في ليلة ضاحية اذ قلت يا رسول الله هل

يكون لاحد من الحسنات عدد نجوم السماء قال نعم عمر قالت فاين حسنات أبي بكر قال انما جميع حسنات عمر كحسنة واحدة من حسنات أبي بكر) ولعله لسبقه الى الاسلام والله تعالى أعلم بالمرام (رواه رزين) وان اتفق خلاف لهما في بادي النظر رجعوا اليه في ثانيه مستصوبين رأيه معترفين بان الحق كان معه كما في قتال أهل الردة ونحو ذلك وهذا المعنى فقد في عثمان فانهم خالفوا رأيه في كثير من وقائعه ولم يرجعوا اليه بل أصروا الى انكارهم عليه حتى قتل وكان مع ذلك على الحق على ما شهدت به الاحاديث وكان رجلا صالحا على ما دل عليه هذا الحديث فالنقص انما كان عما ثبت للشيخين قبله كذا حققه الطبري في الرياض النضرة في فضائل العشرة

(باب مناقب عثمان رضي الله عنه)

(الفصل الاول) (عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا في بيته كاشفا عن فخذيه أو ساقيه) قال النووي رحمه الله احتج به المالكية وغيرهم ممن يقول ليست الفخذ عورة ولا حجة فيه لانه شك الراوي في المكشوف هل هما الساقان أم الفخذان فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ قلت ويجوز أن يكون المراد بكشف الفخذ كشفه عما عليه من القميص لا من المئزر كما سيأتي ما يشعر اليه من كلام عائشة وهو الظاهر من أحواله صلى الله عليه وسلم مع آله وصحبه (فاستأذن ابو بكر فاذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فاذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بعدما كان مضطجعا (وسوى ثيابه) أي بعد عدم تسويته وفيه ايماء الى أنه لم يكن كاشفا عن نفس أحد العضوين بل عن الثياب الموضوعة عليهما ولذا لم تقل وستر فخذه فارتفع به الاشكال واندفع به الاستدلال والله تعالى أعلم بالاحوال (فلما خرج) أي عثمان ومن معه أو تقديره فلما خرج القوم (قالت عائشة دخل أبو بكر فلم تهتش له) بتشديد الشين أي لم تتحرك لاجله وفي شرح مسلم الهشاشة البشاشة وطلاقة الوجه وحسن الالتقاء (ولم تباله) أي أبا بكر وفي نسخة بهاء السكت في القاموس ما أباليه مبالاة أي ما أكترث والمعنى ثبت على اضطجاعك وعدم جمع ثيابك (ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة) بالياءين في الفعلين وهي اللغة الفصحى قال النووي فيه فضيلة ظاهرة لعثمان رضي الله عنه وان الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة قال المظهر وفيه دليل على توقير عثمان رضي الله عنه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يدل على حط منصب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عنده صلى الله عليه وسلم وقلة الالتفات اليهما لان قاعدة المحبة اذا كملت واشتدت ارتفع التكلف كما قيل اذا حصلت الالفة بطلت الكلفة قلت فانقلب الحديث دلالة على فضلهما الا أنه لما كان الظاهر المتبادر منه تعظيمه وتوقيره ذكر في باب مناقبه وأغرب ابن الملك حيث جزم أن المراد بالاستحياء التوقير وسيأتي في الرواية الآتية ما يدل على أن المراد به حقيقة الاستحياء وذلك لان مقتضى حسن المعاملة والمجاملة في المعاشرة هو المشاكلة والمقابلة بالنسبة الى كل أحد من غلبة الصفة والحالة التي تكون فيه ألا ترى ان من يرى صاحبه بكثرة التواضع يقتضي له زيادة التواضع معه وكذا اذا كان كثير الانبساط يوجب الانبساط واذا كان كثير الادب يحمل صاحبه على تكلف الادب معه وعلى هذا القياس سائر الاحوال من السكوت والكلام والضحك والقيام وأمثال ذلك هذا وقد قال الحافظ السخاوي في فتاويه سئلت عن الموطن الذي استحت فيه الملائكة من سيدنا عثمان رضي الله عنه فأجبت لم أقف عليه في حديث يعتمد ولكن أفاد شيخنا البدر النسابة في بعض مجاميعه عن الجمال الكازروني انه لما آخى بين المهاجرين والانصار بالمدينة في غيبة أنس بن مالك وتقدم عثمان لذلك كان صدره مكشوفا فتأخرت الملائكة حياء فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بتغطية صدره فعادوا الى مكانهم فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب تأخرهم فقالوا حياء من عثمان اه فهذا يدل على أن الحياء يوجب الحياء وان حياء الملائكة صار سببا لحياء عثمان وكانه استمر عليه وبالغ فيه حتى صار سببا لاستحياء غيره منه والله أعلم وعن الحسن وذكر عثمان وشدة حيائه فقال ان كان ليكون

يكون لاحد من الحسنات عدد نجوم السماء قال نعم عمر قالت فاين حسنات أبي بكر قال انما جميع حسنات عمر كحسنة واحدة من حسنات أبي بكر رواه رزين

(باب مناقب عثمان رضي الله عنه)

(الفصل الاول) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا في بيته كاشفا عن فخذيه أو ساقيه فاستأذن أبو بكر فاذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استأذن عمر فاذن له وهو كذلك فتحدث ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه فلما خرج قالت عائشة دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة

وفي رواية قال ان عثمان رجل حيي واني خشيت ان أذنت له على تلك الحالة أن لا يبلغ الي في حاجته رواه مسلم

(الفصل الثاني) عن طلحة بن عبيد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي رفيق ورفيقي يعني في الجنة عثمان رواه الترمذي ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة وقال الترمذي هذا حديث غريب وليس اسناده بالقوي وهو منقطع

في البيت والباب عليه مغلق ثم يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه كما أخرجه أحمد وصاحب الصفوة (وفي رواية قال) قال ميرك ظاهر ايراد المصنف يقتضي أن الرواية الثانية مع الأولى بلفظها في حديث واحد وانما هما حديثان فالمتقدم من حديث عائشة والرواية الثانية من حديث سعيد بن العاص ان عثمان وعائشة حدثاه ان أبا بكر استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى اليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحالة فقضى اليه حاجته ثم انصرف قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة اجمعي عليك ثيابك يعني المرط قال فقضيت اليه حاجتي ثم انصرفت فقالت عائشة يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان فقال (ان عثمان رجل حيي) فعيل بمعنى كثير الحياء (واني خشيت ان أذنت له على تلك الحالة أن لا يبلغ الي في حاجته) أي ان أذنت له في تلك الحالة أخاف أن يرجع حياء مني عندما يراني على تلك الهيئة ولا يعرض علي حاجته لغاية أدبه وكثرة حيائه (رواه مسلم) وكذا أحمد وأبو حاتم وروى أحمد عن حفصة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع ثوبه بين فخذيه فجاء أبو بكر يستأذن فأذن له وهو على هيئته ثم جاء عمر يستأذن فأذن له وهو على هيئته ثم جاء عثمان يستأذن فتجلل ثوبه ثم أذن له فتحدثوا ساعة ثم خرجوا قلت يا رسول الله دخل أبو بكر وعمر وعلي وناس من أصحابك وأنت على هيئتك لم تتحرك فلما دخل عثمان تجللت ثوبك قال ألا أستحيي ممن يستحيي منه الملائكة وخرجه رزين مختصرا وقال البخاري قال محمد ولا أقول ذلك في يوم واحد وجاء في رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عثمان رجل ذو حياء فسألت ربي أن لا يقفه للحساب فشفعني فيه وفي رواية اني سألت عثمان حاجة سرا فقضاها سرا فسألت الله أن لا يحاسب عثمان وفي رواية فسألت الله أن يحاسبه سرا وهذه من خصائصه اذ ورد في سياق أول من يحاسب أبو بكر ثم عمر ثم علي وقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر مرفوعا أشد أمتي حياء ابن عفان وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة مرفوعا عثمان حيي تستحيي منه الملائكة وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر مرفوعا عثمان أحيى أمتي وأكرمها وأخرج أبو نعيم عن أبي أمامة مرفوعا أشد هذه الامة بعد نبيها حياء عثمان بن عفان وأخرج أبو يعلى عن عائشة مرفوعا قال ان عثمان حيي ستير تستحيي منه الملائكة

(الفصل الثاني) (عن طلحة بن عبيد الله) وهو أحد العشرة المبشرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي رفيق) أي خاص (ورفيقي يعني في الجنة عثمان) خبر للمبتدا والجملة معترضة بينهما من كلام طلحة أو غيره تفسيرا وبيانا لمكان الرفاقة والاظهر انه في كلامه صلى الله عليه وسلم على سبيل الاطلاق الشامل للدنيا والعقبى جزاء وفاقا ثم هو لا ينافي كون غيره أيضا رفيقا له صلى الله عليه وسلم كما ورد عن ابن مسعود في رواية الطبراني ولفظه ان لكل نبي خاصة من أصحابه وان خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر نعم يستفاد منه ان لكل نبي رفيقا وانه له رفقاء ولا منع من ذلك في مقام الجمع ومع هذا في تخصيص ذكره اشعار بعظيم منزلته ورفع قدره (رواه الترمذي) أي عن طلحة (ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة قال) وفي نسخة وقال (الترمذي هذا حديث غريب) والغرابة لا تنافي الصحة ولذا قال (وليس اسناده بالقوي وهو) أي الحديث أو اسناده (منقطع) وهو أن يكون الساقط من الرواة اثنين متواليين أو سقط واحد فقط أو أكثر من اثنين لكن بشرط عدم التوالي فيتحصل منه أن الحديث ضعيف لكنه يعتبر ويقوى في الفضائل ويؤيده ما رواه ابن عساكر عن أبي هريرة مرفوعا لكل نبي خليل في أمته وان خليلي عثمان بن عفان وأورد السيوطي حديث الاصل في الجامع بلفظ لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان رواه الترمذي عن طلحة وابن ماجه عن أبي هريرة وفي الرياض عن زيد بن أسلم قال شهدت عثمان يوم حوصر ولو ألقي حجر لم يقع الا على رأس رجل فرأيت عثمان أشرف من الخوخة التي مقام جبريل على الناس فقال لطلحة أنشدك الله أتذكر يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في موضع كذا وكذا ليس معه أحد من أصحابه غيري وغيرك قال نعم قال فقال

الله رسول الله صلى الله عليه وسلم يا طلحة انه ليس من نبي الا ومعه من أصحابه رفيق في الجنة وان عثمان رفيق في الجنة يعني قال طلحة اللهم نعم ثم انصرف أخرجه أحمد وأخرجه الترمذي مختصرا عن طلحة بن عبيد الله ولفظه لكل نبي رفيق ورفيقي عثمان ولم يقل في الجنة (وعن عبد الرحمن بن خباب) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى ولم يذكره المؤلف في أسمائه (قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم) أي حضرته (وهو يحث) بضم حاء وتشديد مثلثة أي يحرض (الناس على جيش العسرة) أي على ترتيب غزوة تبوك وسميت جيش العسرة لانها كانت في زمان اشتداد الحر والقحط وقلة الزاد والماء والمركب بحيث يعسر عليهم الخروج من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم لما كانت المناهضة الى عدو جم العدد شديد البأس بالنسبة الى المسلمين مع كثرتهم حينئذ فانه قيل على ما ذكره شارح كان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر ويوم أحد سبعمائة ويوم الحديبية ألف وخمسمائة ويوم الفتح عشرة آلاف ويوم حنين اثنا عشر ألفا وهي آخر مغازيه (فقام عثمان) أي بعد حثه عليه السلام (فقال يا رسول الله علي) أي نذر علي (مائة بعير باحلاسها) أي مع جلالها (واقتابها) أي رحالها قال التوربشتي وغيره الاحلاس جمع حلس بالكسر وسكون اللام وهو كساء رقيق يجعل تحت البرذعة والاقتاب جمع قتب بفتحتين وهو رحل صغير على قدر سنام البعير وهو للجمل كالاكاف لغيره يريد على هذه الابل بجميع أسبابها وأدواتها (في سبيل الله) أي في طريق رضاه (ثم حض) بتشديد المعجمة أي حث وحرض (على الجيش) أي في ذلك المقام أو في غيره من الزمان (فقام عثمان فقال علي مائتا بعير) أي غير تلك المائة لا بانضمامها كما يتوهم والله أعلم (باحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض) أي ثالثا وفي رواية ثم حض على الجيش (فقام عثمان فقال علي ثلثمائة بعير باحلاسها وأقتابها في سبيل الله) فالتزم عثمان رضي الله عنه في كل مرتبة بحكم رتبة المقام ففي المقام الاول ضمن مائة واحدة وفي الثاني مائتين وفي الثالث ثلثمائة فالمجموع ستمائة وسيأتي له من الزيادة (قال طلحة فانا) أي بنفسي من غير أن أسمع من غيري (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر وهو يقول ما على عثمان) ما هذه نافية بمعنى ليس وفي قوله (ما عمل بعد هذه) موصولة اسم ليس أي ليس عليه ولا يضره الذي يعمل في جميع عمره بعد هذه الحسنة والمعنى انها مكفرة لذنوبه الماضية مع زيادة سيآته الآتية كما ورد في ثواب صلاة الجماعة وفيها اشارة الى بشارة له بحسن الخاتمة وقال شارح ما فيه اما موصولة أي ما بأس عليه الذي عمله من الذنوب بعد هذه العطايا في سبيل الله أو مصدرية أي ما على عثمان عمل من النوافل بعد هذه العطايا لان تلك الحسنة تنوب عن جميع النوافل قال المظهر أي ما عليه ان لا يعمل بعد هذه من النوافل دون الفرائض لان تلك الحسنة تكفيه عن جميع النوافل اه وهو حاصل المعنى والا فلا يطابق المبنى (ما على عثمان ما عمل بعد هذه) كرره تأكيدا لما قرره قال الطيبي ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث حاطب بن أبي بلتعة لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم اه ولا يخفى ما بينهما من الفرق عند ذوي النهى اذ الاول مجزوم به قطعا والثاني مبني على الرجاء (رواه الترمذي) وكذا رواه أحمد وقال في آخره قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها وأخرج عبد الصمد يحرك يده كالمتعجب ما على عثمان ما عمل بعدها وقال أبو عمرو جهز عثمان جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا وأتم الالف بخمسين فرسا وعن ابن شهاب الزهري قال حمل عثمان بن عفان في غزوة تبوك على تسعمائة وأربعين بعيرا وستين فرسا أتم الالف بها أخرجه القزويني والحاكمي (وعن عبد الرحمن بن سمرة) أي القرشي أسلم يوم الفتح وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ابن عباس والحسن وخلق سواهما (قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في كمه حين جهز) بتشديد الهاء أي حين رتب وعاون (جيش العسرة فنثرها) أي كبها (في حجره) بكسر الحاء وفتحها أي ثوبه أو حضنه صلى الله عليه وسلم (فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها) أي الدنانير (بيده في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل) فاعل ضر والمعنى

وعن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث الناس على جيش العسرة فقام عثمان فقال يا رسول الله على مائة بعير باحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال على مائتا بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله ثم حض فقام عثمان فقال على ثلاثمائة بعير باحلاسها واقتابها في سبيل الله فانا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عن المنبر وهو يقول ما على عثمان ما عمل بعد هذه ما على عثمان ما عمل بعد هذه رواه الترمذي وعن عبد الرحمن ابن سمرة قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل

لم يضر عثمان الذى عمل أى من الذنوب سابقا ولاحقا (بعد اليوم) أى بعد عمله اليوم (مرتين) ظرف يقول ولعل التكرار فيه وفيما قبله للاشعار بعدم ضرره ودوام نفعه فى الدارين والمراد بالتثنية التكرير والتكثير ويؤيده انه فى رواية أحمد ويردد هامرارا هذا وقال السيد جمال الدين فى كمية رجال جيش العسرة روايتان احداهما انهم سبعون ألف رجل والاخرى انهم عشرون ألفا وعلى اختلاف الروايتين جهز عثمان رضى الله عنه ثلث جيش العسرة فعلى هذا يكون الالف دينار الذى جاء به عثمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كمه غير ثلاثمائة بعير والله أعلم اه وفى الرياض عن عبد الرحمن بن عوف قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاءه عثمان بن عفان فى جيش العسرة بتسعمائة أوقية من ذهب أخرجه الحافظ السلفى وهذه الاختلافات فى الروايات قد توهم التضاد بينهن والجمع ممكن بأن يكون عثمان دفع ثلثمائة بعير باحلاسها وأقتابها على ما تضمنه الحديث السابق ثم جاء بالالف لاجل المؤن التى لا بد للمسافر منها ثم لما اطلع على ان ذلك لا يكفى زاد فى الابل وأردف بالخيل تتميما للالف ثم لما لم يكتف بذلك تمم الالف أبعرة وزاد عشرين فرسا على تلك الخمسين وبعث بعشرة آلاف دينار للمؤن وفى رواية أخرجها الدارقطنى عن عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر فى وجوه القوم فقال من يجهز هؤلاء غفر الله له يعنى جيش العسرة فجهزتهم حتى لم يفقدوا عقالا ولا خطاما (رواه أحمد) وأخرجه الترمذى وقال حسن غريب وعن حذيفة قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى عثمان فى جيش العسرة فبعث اليه عثمان بعشرة آلاف دينار فصب بين يديه فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول بيده و يقلبها ظهرا لبطن و يقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى ما عمل بعدها أخرجه الملا فى سيرته والفضائلى (وعن أنس رضى الله عنه لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان) وهى البيعة التى كانت تحت الشجرة عام الحديبية سميت بها لانه نزل فى أهلها لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة (كان عثمان رضى الله عنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة) أى رسولا منه اليهم مرسلا من الحديبية الى مكة وفى رواية الى أهل مكة أى لتبليغ بعض الاحكام فشاع انهم قتلوه (فبايع) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (الناس) أى بيعا خاصا على الموت (فبايعوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان فى حاجة لله) أى نصرة دينه حيث احتاج خلقه اليه ونظيره قوله سبحانه يخادعون الله والذين آمنوا حيث نزل ذاته العزيزة شريكا للمؤمنين تشريفا وتعظيما أو يقدر مضاف و يقال فى حاجة خلقه (وحاجة رسوله) أى تخصيصا أو ذكر الله للتزيين زيادة للكلام من التحسين وقال الطيبى هو من باب قوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة عند الله ومكانة وان حاجته حاجته تعالى الله عن الاحتياج علوا كبيرا اه ولا يخفى ان ظاهر معنى الآية ان الذين يخالفونهما كما حقق فى حديث يؤذينى ابن آدم والله أعلم (فضرب باحدى يديه على الاخرى) أى فى البيعة عن جهة عثمان على فرض انه حى فى المكان والزمان والمعنى انه جعل احدى يديه نائبة عن يد عثمان فقيل هى اليسرى وقيل هى اليمنى وهو الصحيح لما سيأتى بيانه بالتصريح (فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا) وفى رواية لعثمان أى له كما فى رواية (من أيديهم) أى من أيدى بقية الصحابة (لانفسهم) فغيبته ليست بنقصة بل سبب منقبة (رواه الترمذى وقال حسن صحيح غريب وعن ثمامة) بضم المثلثة (ابن حزن) بفتح حاء مهملة وسكون زاى فنون (القشيرى) بالتصغير يعد فى الطبقة الثانية من التابعين رأى عمر وابنه عبد الله وأبا الدرداء وسمع عائشة وروى عنه الاسود بن شيبان البصرى (قال شهدت الدار) أى حضرت دار عثمان التى حاصروه فيها وتفصيل قضيتها مذكور فى الرياض وغيره (حين أشرف عليهم عثمان) أى اطلع على الذين قصدوا قتله (فقال أنشدكم الله والاسلام) بضم الشين ونصب الاسمين أى أسألكم بالله والاسلام أى بحقهما (هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب) أى يعد عذبا أى حلوا (غير بئر رومة) برفع غير وجوز نصبه والبئر مهموز و يبدل ورومة بضم الراء

بعد اليوم مرتين رواه أحمد وعن أنس قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فبايع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان فى حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لانفسهم رواه الترمذى وعن ثمامة ابن حزن القشيرى قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان فقال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة

وسكون الواو وفيم اسم بئر في العقيق الاصغر اشتراها عثمان رضي الله عنه بمائة ألف درهم وفي المدينة عقيقان سميا بذلك لأنهما عقا عن حرة المدينة أي قطعا (فقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين) بكسر الدال جمع دلو وهو كناية عن الوقف العام وفيه دليل على جواز وقف السقايات وعلى خروج الموقوف عن ملك الواقف حيث جعله مع غيره سواء ذكره ابن الملك وجملة يجعل مفعول له أو حال أي اراده ان يجعل أو قاصدا ان يجعل دلوه مساويا أو مصاحبا مع دلائهم في الاستقاء ولا يخصها من بينهم بالملكية وقوله مع دلاء المسلمين هو المفعول الثاني لجعل أي يجعل دلوه وروي عن عثمان رضي الله عنه انه قال ان المهاجرين قدموا المدينة واستنكروا ماءها وكان لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع القربة منها بمد فقال صلى الله عليه وسلم هل تبيعها بعين في الجنة قال يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي سواها ولا أستطيع ذلك فقال من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين (بخير) متعلق بيشتري والباء للبدل قال الطيبي وليست مثلها في قولهم اشتريت هذا بدرهم ولا في قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى من يشتريها بثمن معلوم ثم يبدلها بخير منها أي باحصل وأكمل أو بخير حاصل (له) أي لاجله (منها) أي من تلك البئر أو من جهتها (في الجنة واشتريتها من صلب مالي) بضم الصاد أي من أصله أو خالصه في الرياض قال فبلغ ذلك عثمان فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اجعل لي مثل الذي جعلته له عينا في الجنة قال نعم قال قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين أخرجه الفضائلي (وأنتم اليوم تمنعوني ان أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر) أي مما فيه ملوحة كماء البحر والاضافة فيه للبيان أي ما يشبه البحر (فقالوا اللهم نعم) قال المطرزي قد يؤتى باللهم ماقبل الا اذا كان المستثنى عزيزا نادرا وكان قصدهم بذلك الاستظهار بمشيئة الله تعالى في اثبات كونه ووجوده ايماء الى انه بلغ من الندور حد الشذوذ وقيل كلمتي الجحد والتصديق في جواب المستفهم كقوله اللهم لا ونعم (فقال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد) أي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة (ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فنزيدها) بالرفع وفي نسخة بالنصب أي فنزيد تلك البقعة (في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي) أي بعشرين ألفا أو خمسة وعشرين ألفا على ما رواه الدارقطني وروى البخاري عن ابن عمر ان المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن وسقفه بالجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيأ وزاد فيه عمر وبناه على بنائه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد وأعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج وأخرج أبو الخير القزويني الحاكمي عن سالم بن عبد الله بن عمر انه كان من شأن عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أهل مكة يا فلان الا تبيعني دارك أزيدها في مسجد الكعبة ببيت أضمنه في الجنة فقال الرجل يا رسول الله مالي بيت غيره فان أنا بعتك داري لا يؤويني وولدي بمكة شيء قال الا بل بعني دارك أزيدها في مسجد الكعبة ببيت أضمنه لك في الجنة فقال الرجل والله مالي الى ذلك حاجة فبلغ ذلك عثمان وكان الرجل صديقا له في الجاهلية فأتاه فلم يزل به عثمان حتى اشترى منه داره بعشرة آلاف دينار فقال يا رسول الله بلغني انك أردت من فلان داره لتزيدها في مسجد الكعبة ببيت تضمنه له في الجنة وانما هي داري فهل أنت آخذها ببيت تضمنه لي في الجنة وأخذها منه وضمن له بيتا في الجنة وأشهد له على ذلك المؤمنين كذا في الرياض (وأنتم) بالفاء هنا خلافا لما تقدم (اليوم تمنعوني أن أصلي فيها) أي في تلك البقعة فضلا عن سائر المسجد (فقالوا اللهم نعم قال) بلا فاء هنا وفيما بعده خلافا لما قبل (انشدكم الله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي) أي وقال لي ما قال مما يدل على حسن حالي ومآلي (قالوا اللهم نعم قال انشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة) بفتح مثلثة وكسر موحدة وتحتية ساكنة فراء جبل بمكة وفي المصباح جبل بين مكة ومنى وهو يرى من منى وهو على يمين الذاهب منها الى مكة وقال

فقال من يشتري بئر رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي وأنتم اليوم تمنعوني ان أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر فقالوا اللهم نعم فقال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان المسجد ضاق باهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة فاشتريتها من صلب مالي فأنتم اليوم تمنعوني ان أصلي فيها ركعتين فقالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون اني جهزت جيش العسرة من مالي قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكة

الطيبي ثبير جبل بالمزدلفة على يسار الذاهب الى منى وهو جبل كبير مشرف على كل جبل بمنى وبمكة جبال كل منها اسمه ثبير اه والمشهور انه جبل مشرف على منى من جمرة العقبة الى تلقاء مسجد الخيف وامامه قليلا على يسار الذاهب الى عرفات كذا حكاه عز الدين بن جماعة وقال عياض فى المشارق انه على يسار الذاهب الى منى وقال ابن جماعة وقيل وهو جبل عظيم بالمزدلفة على يمين الذاهب الى عرفة قال الطبرى وقيل هو أعظم جبل بمكة عرف برجل من هذيل كان اسمه ثبير ادفن فيه وقال الجوهرى والسهيلى والمطرزى فى المغرب هو جبل من جبال مكة اى بقرب مكة وقيل هو جبل مقابل لجبل حراء اه وفى رواية قال حراء مكان ثبير (ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل) أى اهتز ثبير (حتى تساقطت حجارته) أى بعضها (بالحضيض) أى أسفل الجبل وقرار الارض (فركضه) أى ضربه (برجله قال) استئناف (أسكن ثبير) أى يا ثبير (فانما عليك نبى وصديق وشهيدان) أى حقيقيان حيث قتلا عقب الطعن وما تاقر بيا من أثر الضرب وهما عمر وعثمان ولا ينافيه ان النبى صلى الله عليه وسلم والصديق شهيدان حكميان حيث كان أثر موتهما من السم القديم لهما (قالوا اللهم نعم قال الله أكبر) كلمة يقولها المتعجب عند الزام الخصم وتبكيته ولذلك قال (شهدوا ورب الكعبة انى شهيد) بفتح الهمز مفعول شهدوا أى شهد الناس انى شهيد (ثلاثا) أى قال الله أكبر الى آخره ثلاث مرات لزيادة المبالغة فى اثبات الحجة على الخصم وذلك لانه لما أراد ان يظهر لهم انه على الحق وان خصماءه على الباطل على طريق يلجئهم الى الاقرار بذلك أورد حديث ثبير مكة وانه من أحد الشهيدين مستفهما عنه فاقروا بذلك وأكدوا اقرارهم بقولهم اللهم نعم فقال الله أكبر تعجبا وتعجيبا وتجهيلا لهم واستهجانا لفعلهم ونظيره قوله تعالى هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون فانه تعالى لما ضرب مثل عابد الاصنام وعابد الله تعالى برجلين أحدهما له شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعى انه عبده فهم يتجاذبونه وهو متحير فى أمره لا يدرى أيهم يرضى بخدمته والآخر قد سلم لمالك واحد وخاص له فهو يلتزم خدمته فهمه واحد وقلبه مجتمع واستنطقهم منهم بقوله هل يستويان مثلا فلا بد لهم أن يذعنوا و يقولوا لا فقال الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون كذا حققه الطيبى (رواه الترمذى والنسائى والدارقطنى) وفى بعض الروايات زادوا نشدكم بالله من شهد بيعة الرضوان اذ بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين أهل مكة فقال هذه يدى وهذه يد عثمان فبايع لى فانتشد له رجال زاد الدارقطنى فى بعض طرقه وانشدكم بالله هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجنى احدى ابنتيه بعد الاخرى رضا لى ورضا عنى قالوا اللهم نعم (وعن مرة بن كعب) بضم ميم وتشديد راء قال المؤلف فى فصل الصحابة عداده فى أهل الشام روى عنه نفر من التابعين مات بالاردن سنة خمس وخمسين (قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم) لعل فى زيادة من تأكيدا افادة السماع بلا واسطة (وذكر الفتن) جملة حالية (فقربها) بتشديد الراء أى قرب النبى صلى الله عليه وسلم الفتن يعنى وقوعها (فمر رجل مقنع) بفتح النون المشددة أى مستتر فى ثوب جعله كالقناع (فقال) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (هذا) أى هذا الرجل المقنع (يومئذ) أى يوم وقوع تلك الفتن (على الهدى) من قبيل قوله تعالى أولئك على هدى من ربهم فمفعول سمعت محذوف دل عليه قوله هذا يومئذ على الهدى (فقمت اليه) أى لقرب الرجل لاعرفه فاذا هو عثمان بن عفان (قال) أى الراوى (فأقبلت عليه) اى على النبى صلى الله عليه وسلم (بوجهه) أى بوجه عثمان والمعنى أدرت وجهه اليه ليتبين الامر عليه (فقلت هذا) أى أهذا هو الرجل الذى يومئذ على الهدى (قال نعم) فيه مبالغة فى استحضار القضية وتأكيدها بتحقق الصورة الجلية (رواه الترمذى وابن ماجة وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح) وفى الرياض عن كعب بن عجرة قال ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فتنة فقربها وعظمها قال ثم مر رجل مقنع فى ملحفة فقال هذا يومئذ على الحق فانطلقت فاخذت بضبعه فقلت هذا يا رسول الله قال هذا فاذا هو عثمان بن عفان أخرجه أحمد وأخرج الترمذى معناه عن مرة بن كعب البهزى وقال هذا يومئذ على الهدى ورواه أحمد أيضا عن مرة بن كعب البهزى

ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض فركضه برجله قال اسكن ثبير فانما عليك نبى وصديق وشهيدان قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا ورب الكعبة انى شهيد ثلاثا رواه الترمذى والنسائى والدارقطنى وعن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الفتن فقربها فمر رجل مقنع فى ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان قال فاقبلت عليه بوجهه فقلت هذا قال نعم رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح

(وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان انه لعل الله يقمصك قميصا فان أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي في الحديث قصة طويلة وعن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل هذا فيها مظلوما لعثمان رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب اسنادا وعن أبي سهلة قال قال لي عثمان يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى عهدا وأنا صابر عليه رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح

(الفصل الثالث) عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال جاء رجل من أهل مصر يريد حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال من هؤلاء القوم قالوا هؤلاء قريش قال فمن الشيخ فيهم قالوا عبد الله بن عمر قال يا ابن عمر انى سائلك عن شئ فحدثني هل تعلم ان عثمان فر يوم أحد قال نعم قال هل تعلم انه تغيب عن بدر ولم يشهدها قال نعم قال هل تعلم انه تغيب عن بيعة)

قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة قال كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الارض كأنها صياصى بقر قالوا فنصنع ماذا يا رسول الله قال عليكم بهذا وأصحابه قال فاسرعت حتى عطفت الرجل فقلت هذا يا نبي الله قال هذا فاذا هو عثمان بن عفان وفي رواية لاحمد قال فاسرعت حتى عييت فلحقت بالرجل فقلت هذا يا نبي الله الخ (وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال) أي لعثمان ذات يوم كما في رواية (يا عثمان انه) أي الشان (لعل الله) وفي رواية ان الله لعله (يقمصك) بتشديد الميم اي يلبسك (قميصا) قيل أي خلافة والمراد خلعة الخلافة (فان أرادوك) أي حاولك (على خلعه) أي نزعه (فلا تخلعه لهم) وفي رواية فلا تخلعه ثلاثا والمعنى ان قصدوا عزلك فلا تعزل نفسك عن الخلافة لاجلهم لكونك على الحق وكونهم على الباطل وفي قبول الخلع ايهام وتهمة ولهذا الحديث كان عثمان رضي الله عنه ما عزل نفسه حين حاصروه يوم الدار قال الطيبي استعار القميص للخلافة ورشحها بقوله على خلعه قال في أساس البلاغة ومن المجاز قمصه الله وشي الخلافة وتقمص لباس العز ومن هذا الباب قوله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري وقولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه انتهى (رواه الترمذي وابن ماجه) وكذا أبو حاتم (وقال الترمذي حسن غريب) وفي رواية فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه لهم ولا كرامة يقولها مرتين أو ثلاثا وفي رواية فان أرادك المنافقون خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني يا عثمان ان الله عسى ان يلبسك قميصا فذكره ثلاث مرات أخرجها أحمد (وقال الترمذي في الحديث قصة طويلة) وفي بعض الروايات زاد وأنشدكم بالله من شهد بيعة الرضوان اذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين أهل مكة فقال هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع لي فانتدله رجال زاد الدارقطني في بعض طرقه وأنشدكم بالله هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجني احدى ابنتيه بعد الاخرى رضاني ورضا عني قالوا اللهم نعم (وعن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة) أي عظيمة (فقال يقتل هذا فيها مظلوما لعثمان) بيان هذا (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب اسنادا) وأخرجه أحمد وقال يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما فنظرت فاذا هو عثمان بن عثمان (وعن أبي سهلة) قال المؤلف في فصل الصحابة هو السائب بن خلاد يكنى أبا سهلة الانصاري الخزرجي مات سنة احدى وتسعين روى عنه ابنه خلاد وعطاء بن يسار انتهى والظاهر ان المراد به هنا مولى عثمان كما سيأتي قريبا والله أعلم (قال قال لي عثمان يوم الدار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى عهدا) أي أوصاني ان لا أخلع بقوله وان أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم (وأنا صابر عليه) أي على تحمل ذلك العهد (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح) وعن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الى بعض أصحابي قلت أبا بكر قال لا قلت عمر قال لا قلت ابن عمك قال لا قلت عثمان قال نعم فلما جاء قال تنحي فجعل يساره ولون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا يا أمير المؤمنين الا تقاتل قال لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى عهدا واني صابر نفسي عليه رواه أحمد

*(الفصل الثالث) (عن عثمان بن عبد الله بن موهب) بفتح الميم وسكون الواو وفتح الهاء والباء الموحدة على ما في الجامع والمغني وفي القاموس موهب كمقعد اسم فما وقع في شرح ابن حجر من ضبطه بكسر الهاء وهم قال المؤلف هو تيمي روى عن أبي هريرة وابن عمر وغيرهما وعنه شعبة وأبو عوانة (قال جاء رجل من أهل مصر) أي الى مكة (يريد حج البيت فرأى قوما جلوسا) أي جالسين (فقال من هؤلاء القوم قالوا) أي قال بعض من سئل (هؤلاء قريش) أي أكابرهم (قال فمن الشيخ) أي العالم المعتبر (فيهم) فان الشيخ في قومه كالنبي في أمته (قالوا عبد الله بن عمر قال يا ابن عمر اني سائلك عن شئ فحدثني) أي اخبرني عن جوابه (هل تعلم ان عثمان فر يوم أحد) يعني والفرار منقصة عظيمة (قال نعم قال هل تعلم انه تغيب عن بدر فلم يشهد) أي لم يحضرها ذكره تأكيدا وأراد انه فاته فضل أهل بدر (قال نعم قال هل تعلم انه تغيب عن بيعة

الرضوان فلم يشهدها قال نعم قال الله أكبر) قال الطيبي قوله الله أكبر بعد ما عد من الامور بمنزلة الله أكبر في الحديث السابق فانه أراد أن يلزم ابن عمر ويحط من منزلة عثمان على الطريق المذكور فلما قال ابن عمر نعم قال الله أكبر تعجبا وتعجيبا واظهار الافحامه اياه (قال ابن عمر تعال) أي ارتفع عن حضيض مقامك من الجهل الى علو فهم القضايا المهمة المبينة عند أرباب العلم والمعرفة (أبين لك) بالجزم على جواب الامر وفي نسخة بالرفع أي أنا أبين لك (أما فراره يوم أحد فأشهد ان الله عفا عنه) وفي رواية وغفر له يعني لقوله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ومن المعلوم ان العفو خارج عن معتبة العيبة بالغيبة (وأما تغيبه عن بدر فانه كانت تحته) أي تحت عقده (رقية) بالتصغير (بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي وهذا علامة كمال رضا النبي صلى الله عليه وسلم حيث زوجه بنته ثم الاخرى وهي أم كلثوم وبه سمي ذا النورين ثم قال لو كانت لي بنت أخرى لزوجتها اياه وفي الرياض عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الي ان أزوج كريمتي عثمان بن عفان أخرجه الطبراني وأخرجه خيثمة بن سليمان عن عروة بن الزبير عن عائشة وزاد بعد قوله كريمتي يعني رقية وأم كلثوم وعن أبي هريرة قال لقي النبي صلى الله عليه وسلم عثمان عند باب المسجد فقال يا عثمان هذا جبريل اخبرني ان الله قد أمرني ان أزوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها أخرجه ابن ماجه القزويني والحافظ أبو بكر الاسماعيلي وغيرهما وعنه قال قال عثمان لما ماتت امرأته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بكيت بكا شديدا فقال رسول الله ما يبكيك فقلت أبكي على انقطاع صهري منك فقال هذا جبريل بأمر الله عز وجل ان أزوجك أختها وعن ابن عباس معناه وزاد فيه والذي نفسي بيده لو ان عندي مائة بنت تموت واحدة بعد واحدة زوجتك أخرى حتى لا يبقى من المائة شيء هذا جبريل أخبرني ان الله عز وجل يأمرني ان أزوجك أختها وان أجعل صداقها مثل صداق أختها أخرجه الفضائلي وفي الذخائر عن سعيد بن المسيب قال آم عثمان من رقية وآمت حفصة بنت عمر من زوجها فمر عمر بعثمان فقال هل لك في حفصة وكان عثمان قد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرها فلم يجبه فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال هل لك في خير من ذلك أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان خيرا منها أم كلثوم أخرجه أبو عمر وقال حديث صحيح وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فأمرني ان أزوج عثمان ابنتي وقالت عائشة كن لما لا ترجوه أرجى منك لما ترجوه فان موسى عليه السلام خرج يلتمس نارا فرجع بالنبوة أخرجها الحافظ أبو نعيم البصري (وكانت) أي رقية (مريضة) أي في المدينة وفي الذخائر عن ابن شهاب انها كانت أصابتها الحصبة فمرضت وتخلف عليها عثمان وماتت بالمدينة وجاء زيد بن حارثة بشيرا بفتح بدر وعثمان قائم على قبر رقية أخرجه أبو عمر وعن ابن عباس قال لما عزى رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنته رقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات أخرجه الدولابي (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه) أي جمع له بين أجر العقبى وغنيمة الدنيا فلا نقصان في حقه أصلا فيكون نظير تغيب علي عن تبوك حيث جعله خليفة على أهله وأمره بالاقامة فيهم لكن لم يعرف انه جعل لعلي سهم من الغنيمة أيضا أم لا والله أعلم ثم رأيته في الرياض انه كذلك (وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز) أي أكثر عزة من جهة العشيرة من بقية الصحابة (ببطن مكة من عثمان لبعثه) أي مكانه كما في رواية لكن لما فقد الاعزمة حتى امتنع عمر رضي الله عنه خوفا على نفسه معللا يا رسول الله ما لي قوم بمكة يعينوني ويحفظوني وراء ظهري (فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان) أي الى مكة فاستقبله أهله ورهطه وركبوه قدامهم وأجاروه من تعرض أحد له وقالوا طف بالبيت لعمرك فقال حاشا اني أطوف في غيبته صلى الله عليه وسلم (وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان الى مكة) أي وشاع عندهم ان المشركين تعرضوا الحرب بالمسلمين فاستعد المسلمون للقتال وبايعهم النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة

الرضوان فلم يشهدها قال نعم قال الله أكبر قال ابن عمر تعال أبين لك أما فراره يوم أحد فأشهد ان الله عفا عنه وأما تغيبه عن بدر فانه كانت تحته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان الى مكة

على ان لا تغيظ واوقيل بل جاء الخبر بان عثمان قتل (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى أشار (بيده اليمنى هذه) أى قائلا هذه (يد عثمان فضرب بها على يده) أى اليسرى (وقال هذه) أى هذه البيعة أوهذه اليد (لعثمان) أى لاجله أوعنه على فرض وجود حياته أواشارة الى تكذيب خبر مماته (ثم قال ابن عمر اذهب بها) أى بالكلمات التى أجبت لك عن أسئلتك الآن معك فانه لا يضرنا بل يضرك قال الطيبي فلما نقض ابن عمر كل واحد مما بناه وأقامه من أصله قال تهكما اذهب بها أى بما جئت وتمسكت به بعدما بينت لك الحق المحض الذى لا يرتاب فيه انتهى والمعنى لا ينفعك اعتقادك الفاسد فى عثمان بعدما بينت لك الحق الصريح بالجواب الصحيح (رواه البخارى) وكذا الترمذى واللفظ مختلف والمعنى واحد (وعن أبى سهلة مولى عثمان رضى الله عنه) وفى بعض النسخ المصححة رضى الله عنهما بلفظ التثنية تغليبا ولم يذكره المؤلف فى أسمائه (قال جعل النبى صلى الله عليه وسلم يسر) بضم فكسر فتشديد أى يخفى الكلام (الى عثمان ولون عثمان يتغير) أى من البياض والحمرة الى الصفرة (فلما كان يوم الدار) بالرفع وينصب (قلنا ألا تقاتل) بتخفيف ألا ويشدد (قال لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم) استئناف تعليل أى لانه (عهد الى أمرا فانا صابر) بالتنوين (نفسى عليه) قال الطيبي أى أوصانى بان أصبر ولا أقاتل ولا يجوز أن يقال هى قوله فان أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم فان ذلك يوهم المقاتلة معهم للدفع فعلى هذا ينبغى ان يحمل الحديث الآخر فى الفصل الثانى على هذا المعنى ليتفق قلت الاظهر ان العهد كان مركبا من عدم الخلع وترك القتال للدفع بل لمجرد الصبر للوصول الى مقام الجمع (وعن أبى حبيبة) اسمه عمرو بن نصر المازنى الهمدانى روى عن على بن أبى طالب ذكره المؤلف فى التابعين (انه دخل الدار وعثمان محصور فيها وانه) أى أبا حبيبة (سمع أبا هريرة يستأذن عثمان فى الكلام) أى عنده أو على الحاضرين من الحاضرين ويؤيد الثانى قوله (فاذن له فقام فحمد الله وأثنى عليه) أى على الله وهو عطف تفسير وبيان أو الحمد بمعنى الشكر (ثم قال) أى أبو هريرة (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم) أى أيها الامة أو أيها الصحابة (ستلقون بعدى فتنة) أى محنة عظيمة (واختلافا) أى كثيرا (أو قال اختلافا وفتنة) شك الراوى فى تقديم احد اللفظين (فقال له) أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قائل فمن لنا يا رسول الله) قال الطيبي هو متوجه الى قوله اختلافا أى ستلقون اختلافا بين الامير ومن خرج عليه فمن تأمرنا ان نتبعه ونلزمه فتكون لنا العاقبة لا علينا (أوما تأمرنا به) شك من الراوى بين اللفظين مع ان مؤداهما فى المعنى واحد (قال عليكم بالامير وأصحابه وهو) أى أبو هريرة والاظهر أى النبى صلى الله عليه وسلم (يشير الى عثمان بذلك) أى بقوله الامير بان يكون حاضرا فى ذلك المجلس أو مذكورا فيه (رواهما) أى الحديثين السابقين (البيهقى فى دلائل النبوة) قال المؤلف كان اسلامه فى أول الاسلام على يدى أبى بكر قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهاجر الى أرض الحبشة الهجرتين وكان أبيض ربعة حسن الوجه عظيم اللحية بصغرها استخلف أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين وقتله الاسود التجيبى من أهل مصر وقيل غيره ودفن ليلة السبت بالبقيع وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة وقيل ثمان وثمانون وكانت خلافته اثنتى عشرة سنة الا أياما وروى عنه خلق كثير

(باب مناقب هؤلاء الثلاثة رضى الله عنهم)

*(الفصل الاول) (عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد) بكسر العين أى طلع (أحدا) أى جبل أحد (وأبو بكر وعمر وعثمان) أى معه (فرجف) أى تحرك (بهم) أى اضطرابا واهتزازا بقدومهم (فضربه) أى النبى عليه السلام (برجله فقال اثبت أحد) أى ولا تظهر شيأ على ظاهرك كالكاملين الواصلين على ما حكى أن الجنيد سئل ما بالك عند السماع ظاهرا مع تحقق حالك باطنا فقرأ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب (فانما عليك نبى وصديق وشهيدان) أى وصحبة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب بها على يده وقال هذه لعثمان ثم قال ابن عمر اذهب بها الآن معك رواه البخارى وعن أبى سهلة مولى عثمان قال جعل النبى صلى الله عليه وسلم يسر الى عثمان ولون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار قلنا ألا تقاتل قال لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى أمرا فانا صابر نفسى عليه وعن أبى حبيبة انه دخل الدار وعثمان محصور فيها وانه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان فى الكلام فاذن له فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستلقون بعدى فتنة واختلافا أو قال اختلافا وفتنة فقال له قائل من الناس فمن لنا يا رسول الله أوما تأمرنا به قال عليكم بالامير وأصحابه وهو يشير الى عثمان بذلك رواهما البيهقى فى دلائل النبوة

(باب مناقب هؤلاء الثلاثة)

(الفصل الاول)*عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله فقال اثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان

أهل التمكين والوقار لابدائها من تأثير حال من الاظهار وتقدم مثله في جبل ثبير (رواه البخاري) وكذا أحمد والترمذي وأبو حاتم وأخرجه أحمد عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا على حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فتحرك الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبت حراء فانه ليس عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وفي رواية عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وفي رواية سعد بن أبي وقاص ولم يذكر عليا أخرجهما مسلم وأخرجه الترمذي ولم يذكر سعدا وقال اهدأ مكان اسكن وقال حديث صحيح وأخرجه الترمذي أيضا عن سعيد بن زيد وذكر انه كان عليه العشرة الا أبا عبيدة وقال اثبت حراء الحديث فاختلاف الروايات محمول على تعدد القضية في الاوقات واثبات الشهادة لبعضهم حقيقة وللباقين حكما والله أعلم (وعن أبي موسى الاشعري قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط) أي بستان (من حيطان المدينة) بكسر الحاء جمع (فجاء رجل) أي لا يعرف حاله (فاستفتح) أي طلب الفتح (فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة) أي العالية (ففتحت له فاذا أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله) وفي نسخة النبي (صلى الله عليه وسلم فحمد الله) أي شكره على تلك البشارة وفي رواية قال اللهم حمدا وفي رواية قال الحمد لله (ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فاذا عمر فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم استفتح رجل فقال لي) زاده هنا لكمال الاهتمام بمعرفة القضية (افتح له وبشره بالجنة على بلوى) أي مع بلية عظيمة (تصيبه) على ما ذكره الاشرف وقال الطيبي اذا جعل على متعلقا بقوله بالجنة يكون المبشر به مركبا واذا جعل حالا من ضمير المفعول كانت البشارة مقارنة بالانذار ولا يكون المبشر به مركبا وهو الظاهر وعلى معناه انتهى والاظهر الاول لان البلاء نعمة عند أرباب الولاء (فاذا عثمان) وانما خص عثمان به مع ان عمر أيضا ابتلي به لعظم ابتلاء عثمان لاسيما مع امتداد الزمان وقلة الاعوان من الاعيان (فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال الله المستعان) أي المطلوب منه المعونة على جميع المؤنة ومنه الصبر على مرارة تلك البلية ثم في ترتيب مأتاهم الى الجنة التي فيها النبي صلى الله عليه وسلم ايماء الى مراتبهم العلية في الجنة العالية في مقعد صدق عند مليك مقتدر ومن القرب بحضرة النبي البشير (متفق عليه) ذكر في الرياض عن أبي موسى انه خرج الى المسجد فسأل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا وجهه ها هنا فخرجت في أثره حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ فقمت اليه فاذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وهو بالضم ما ارتفع من الارض فجلست عند الباب فقلت لأكونن بواب النبي صلى الله عليه وسلم فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال أبو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا أبو بكر يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فأقبلت حتى قلت لأبي بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد أخاه يأت به فاذا انسان يحرك الباب فقلت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذنك فقال ائذن له وبشره بالجنة فجئت فقلت ادخل ويبشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر فرجعت وجلست وقلت ان يرد الله بفلان خيرا يأت به فجاء انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك ثم جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فجئت فقلت

رواه البخاري وعن أبي موسى الاشعري قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حائط من حيطان المدينة فجاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فاذا أبو بكر فبشرته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فاذا عمر فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم استفتح رجل فقال لي افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فاذا عثمان فأخبرته بما قال النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال الله المستعان متفق عليه

ادخل ورسول الله يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر قال شريك قال سعيد بن المسيب فأولتها قبورهم أخرجه أحمد ومسلم وابن أبي حاتم وأخرجه البخاري وزاد بعد قوله فأولتها قبورهم اجتمعت وانفرد عثمان وأخرجه مسلم أيضا من طريق أخرى عن أبي موسى ولفظه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئا في حائط من حيطان المدينة وهو يقول بعود في الماء والطين ينكت به فجاء رجل فاستفتح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتح له وبشره بالجنة فإذا هو أبو بكر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح آخر فجلس ساعة ثم قال له افتح له وبشره بالجنة فإذا هو عمر ففتحت له وبشرته بالجنة ثم استفتح آخر فجلس ساعة ثم قال افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه قال ففتحت له فإذا هو عثمان فبشرته بالجنة وقلت له الذي قال فقال اللهم صبرا وخرج الترمذي معناه عنه ولفظه انطلقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل حائطا للأنصار فقضى حاجته فقال لي يا أبا موسى املك على الباب ولا يدخلن أحد على إلا بإذن فجاء رجل فضرب الباب فقلت من هذا قال أبو بكر قلت يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن قال ائذن له وبشره بالجنة ثم ذكر نحوه في عمر وعثمان وهذا الحديث يدل على تكرر القضية فإن أبا موسى ذكر في حديث مسلم الأول أنه سأل عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل وجه ههنا فاتبع أثره وهذا الحديث ينطق بأنه انطلق معه ويحتمل أن يكون لما اتبع أثره لحق به قبل دخول الحائط الذي فيه بئر أريس ثم انطلق معه حتى دخل فقال له تلك المقالة ويكون أبو موسى ذكر سبب جلوسه بوابا في رواية ولم يذكره في رواية واستوفى القصة في رواية واختصرها في رواية والقصة واحدة والله أعلم

(الفصل الثاني) (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي) جملة حالية معترضة بين القول ومقوله (أبو بكر وعمر وعثمان) أي على هذا الترتيب عند ذكرهم وبيان أمرهم (رضي الله عنهم) وقال شارح أبو بكر وما عطف عليه مبتدأ أخبره رضي الله عنهم والجملة مقول القول ورسول الله حي جملة معترضة أي كنا نذكر هؤلاء الثلاثة بأن الله تعالى رضي عنهم وفي بعض النسخ بعد قوله حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أي ونسكت عن الباقين (رواه الترمذي) وفي رواية له عنه قال كنا نفاضل على عهد رسول الله فنقول أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره وعنه كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفضل أبا بكر ثم عمر ثم عثمان خرجه البخاري وعنه كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة محمد بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان خرجه أبو داود الحافظ في الموافقات وعنه قال اجتمع المهاجرون والأنصار على أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان وعنه كنا نتحدث في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أوفر ما كانوا أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان خرجهما خيثمة بن سعد وخرج معناه الحاكمي وزاد فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره كذا في الرياض النضرة

(الفصل الثالث) (عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أري) بضم الهمز وكسر الراء وفتح الياء أي أبصر في منامه (الليلة) أي البارحة (رجل صالح كأن أبا بكر نيط) بكسر أوله أي علق (برسول الله صلى الله عليه وسلم ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر) قال الطيبي كان من الظاهر أن يقول رأيت نفسي الليلة وأبو بكر نيط بي فجرد منه صلى الله عليه وسلم لكونه رسول الله وحبيبه رجلا صالحا وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع رجلا تفخيما غب تفخيم انتهى وخلاصته أن قوله رجل صالح بيان للضمير المرفوع في أري على سبيل التجريد وإنما يتم هذا على أن أري بفتح الراء صيغة لمجهول المتكلم على ما في نسخة لكن قيد وصحح بأنه أري بصيغة الماضي المجهول ورجل صالح مفعول ما لم يسم فاعله ويؤيده أنه لما كان الرجل الصالح على صرافة إبهامه (قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا أما

(الفصل الثاني)

عن ابن عمر قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم رواه الترمذي

(الفصل الثالث)

عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أري الليلة رجل صالح كأن أبا بكر نيط برسول الله صلى الله عليه وسلم ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا أما

الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بالاجتهاد والظن الغالب والاحتمال ان صاحبا كعلي مثلا رأى تلك الرؤيا فأخبره صلى الله عليه وسلم أو انكشف له بنور النبوة فأظهره لكن لحكمة أبهمه وستره ويؤيده ما قال صاحب الرياض أخرجه أبو حاتم في صحيحه وهكذا أريت والصواب أرى الليلة (وأما نوط بعضهم ببعض) أي تعلقهم واتصالهم (فهم ولاة الامر) أي أمر الدين (الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود) وفي الرياض ذكر باب ما جاء في مناقب أبي بكر وعمر وعلي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من تحت الصور رجل من أهل الجنة فطلع أبو بكر فهنأناه ثم لبث هنيهة ثم قال يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة فطلع عمر فهنأناه ثم قال يطلع عليكم من تحت هذا الصور رجل من أهل الجنة اللهم اجعله عليا ثلاث مرات فطلع علي أخرجه أحمد والصور جماعة النخل وسيأتي حديث علي في الفصل الثاني من باب مناقب العشرة من المختصات بالثلاثة

(باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

قال أحمد والنسائي وغيرهما لم يرد في حق أحد من الصحابة بالاسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي كرم الله وجهه وكان السبب في ذلك انه تأخر ووقع الاختلاف في زمانه وكثر محاربوه والخارجون عليه فكان ذلك سببا لانتشار مناقبه لكثرة من كان يرويها من الصحابة ردا على من خالفه والا فالثلاثة قبله لهم من المناقب ما يوازيه ويزيد عليه كذا ذكره السيوطي وقد جاء في الصحيح من شعره رضي الله عنه

* أنا الذي سمتني أمي حيدره * وحيدرة اسم الاسد وكانت فاطمة أمه لما ولدته سمته باسم أبيها فلما قدم أبو طالب كره الاسم فسماه عليا وعن سهل بن سعد قال استعمل على المدينة رجل من آل مروان قال فدعا سهل ابن سعد فأمره ان يشتم عليا فأبى فقال اما اذ أبيت فقل لعن الله أبا تراب فقال سهل ما كان لعلي اسم أحب اليه من أبي تراب انه كان يفرح به اذا دعي به فقال له اخبرنا عن قصته لم سمي أبا تراب قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت فقال أين ابن عمك فقالت كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج ولم يقل عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان انظر أين هو فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول قم أبا تراب قم أبا تراب أخرجه الشيخان وفي الرياض عن أبي سعيد التيمي قال كنا نبيع الثياب على عواتقنا ونحن غلمان في السوق فاذا رأينا عليا قد أقبل قلنا بزرك اشكم قال علي ما يقولون قال يقولون عظيم البطن قال أجل أعلاه علم وأسفله طعام وعن أبي لبيد قال رأيت علي بن أبي طالب يتوضأ فحسر العمامة عن رأسه فرأيت رأسه مثل راحتي عليه مثل خط الاصابع من الشعر أخرجه ابن الضحاك وعن قيس بن عباد قال قدمت المدينة أطلب العلم فرأيت رجلا عليه بردان وله ضفيرتان قد وضع يده على عاتق عمر فقلت من هذا قالوا علي أخرجه ابن الضحاك أيضا ولا تضاد بينهما اذ يكون الشعر انحسر عن وسط رأسه وكان في جوانبه شعر مسترسل جمع فضفر باثنتين

(الفصل الاول) (عن سعد بن أبي وقاص) أحد العشرة المبشرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي أنت مني بمنزلة هرون من موسى) يعني في الآخرة وقرب المرتبة والمظاهرة به في أمر الدين كذا قاله شارح من علمائنا وقال التوربشتي كان هذا القول من النبي صلى الله عليه وسلم مخرجه الى غزوة تبوك وقد خلف عليا رضي الله عنه على أهله وأمره بالاقامة فيهم فأرجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا منه فلما سمع به علي أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا رسول الله زعم المنافقون كذا فقال كذبوا انما خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أما ترضى يا علي ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى تأول قول الله سبحانه وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي والمستدل بهذا الحديث على ان الخلافة كانت له بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم زائغ عن منهج الصواب فان الخلافة في الاهل في حياته لا تقتضي الخلافة في الامة بعد مماته

الرجل الصالح فرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما نوط بعضهم ببعض فهم ولاة الامر الذي بعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود

(باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه)

(الفصل الاول)

عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي أنت مني بمنزلة هرون من موسى

والقابسة التي تمسكوا بها انتقض عليهم بموت هرون قبل موسى عليهما السلام وانما يستدل بهذا الحديث على قرب منزلته واختصاصه بالمواخاة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم وفي شرح مسلم قال القاضي عياض هذا مما تعلقت به الروافض وسائر فرق الشيعة في ان الخلافة كانت حقا لعلي رضي الله عنه وانه وصى له بها فكفرت الروافض سائر الصحابة بتقديمهم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لانه لم يقم في طلب حقه وهؤلاء اسخف عقلا وأفسد مذهبا من أن يذكر قولهم ولا شك في تكفير هؤلاء لان من كفر الامة كلها والصدر الاول خصوصا فقد أبطل الشريعة وهدم الاسلام ولا حجة في الحديث لاحد منهم بل فيه اثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره وليس فيه دلالة على استخلافه بعده لان النبي صلى الله عليه وسلم انما قال هذا حين استخلفه على المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا ان هرون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى لانه توفي قبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة وانما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة وقال الطيبي وتحريره من جهة علم المعاني ان قوله مني خبر للمبتدا ومن اتصالية ومتعلق الخبر خاص والباء زائدة كما في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به أي فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم يعني أنت متصل بي ونازل مني منزلة هرون من موسى وفيه تشبيه ووجه الشبه منه لم يفهم انه رضي الله عنه فيما شبهه به صلى الله عليه وسلم فبين بقوله (الاانه لانبي بعدي) ان اتصاله به ليس من جهة النبوة فبقي الاتصال من جهة الخلافة لانها تلي النبوة في المرتبة اما ان يكون حال حياته أو بعد مماته فخرج من ان يكون بعد مماته لان هرون عليه السلام مات قبل موسى فتعين ان يكون في حياته عند مسيره الى غزوة تبوك انتهى وخلاصته ان الخلافة الجزئية في حياته لاتدل على الخلافة الكلية بعد مماته لاسيما وقد عزل عن تلك الخلافة برجوعه صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي شرح مسلم قال بعض العلماء في قوله الاانه لانبي بعدي دليل على ان عيسى بن مريم اذا نزل ينزل حكما من حكام هذه الامة يدعو بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولا ينزل نبيا أقول ولا منافاة بين ان يكون نبيا ويكون متابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم في بيان احكام شريعته واتقان طريقته ولو بالوحي اليه كما يشير اليه

الاانه لانبي بعدي متفق عليه وعن زر بن حبيش

قوله صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي أي مع وصف النبوة والرسالة والافمع سلبهما لا يفيد زيادة المزية فالمعنى انه لايحدث بعده نبي لانه خاتم النبيين السابقين وفيه ايماء الى انه لو كان بعده نبي لكان عليا وهو لا ينافي ماورد في حق عمر صريحا لان الحكم فرضي وتقديري فكأنه قال لو تصور بعدي نبي لكان جماعة من أصحابي أنبياء ولكن لانبي بعدي وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم لوعاش ابراهيم لكان نبيا وأما حديث علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل فقد صرح الحفاظ كالزركشي والعسقلاني والدميري والسيوطي انه لا أصل له ثم رأيت بعضهم ذكر وزيادة ولو كان لكنته لكن قال الخطيب هذه الزيادة لا نعلم من رواها الا ابن الازهر وكان يضع وقال ابن النجار المتن صحيح والزيادة غير محفوظة الله أعلم بواضعها (متفق عليه) وفي الرياض أخرجه الشيخان وأخرجه الترمذي وأبوحاتم ولم يقولا الاانه لانبي بعدي وعنه قال خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا في غزوة تبوك فقال يارسول الله تخلفني في النساء والصبيان قال اما ترضى بان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الاانه لانبي بعدي أخرجه أحمد ومسلم وأبوحاتم وعن أسماء بنت عميس قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أقول كما قال أخي موسى اللهم اجعل لي وزيرا من أهلي أخي عليا اشدد به ازري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا أخرجه أحمد في المناقب وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي في غزوة تبوك أما ترضى أن يكون لك من الاجر مثل مالي ولك من المغنم مالي وأخرجه الخلعي وروى ابن ماجه وأبو بكر الطبري في جزئه عن أبي سعيد ولفظه علي مني بمنزلة هرون من موسى الاانه لانبي بعدي وروى الخطيب عن البراء والديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس لفظ علي مني بمنزلة رأسي من بدني (وعن زر) بكسر الزاي وتشديد الراء (ابن حبيش) بضم مهملة وفتح موحدة وسكون تحتية فشين معجمة قال المؤلف أسدي كوفي عاش في الجاهلية ستين سنة

وفي الاسلام ستين وهو من أكابر القراء المشهورين من أصحاب عبد الله بن مسعود وسمع عمر وروى عنه خلق كثير من التابعين وغيرهم (قال قال علي رضي الله عنه والذي فلق الحبة) أي شقها وأخرج النبات منها (وبرأ النسمة) أي خلق كل ذات روح (انه) أي الشأن (لعهد النبي الامي الي) أي أوصى كذلك وبالغ فيه حتى كانه عهد الي وفي نسخة بسكون الهاء على انه مصدر مرفوع مضاف الى النبي الامي وهو فاعله لقوله الي وان في قوله (ان لايحبني) مصدرية أو تفسيرية لما في العهد من معنى القول والمعنى لايحبني حبا مشروعا مطابقا للواقع من غير زيادة ونقصان ليخرج النصيري والخارجي (الامؤمن) أي كامل الايمان فمن أحبه وأبغض الشيخين مثلا فما أحبه حبا مشروعا أيضا كما أشار اليه السيد جمال الدين لكن عبارته قاصرة بل موهمة حيث قال أي لايحبني حبا مشروعا فلا ينتقض حينئذ بمن يحبه ويبغض أبا بكر وعمر (ولا يبغضني الامنافق) أي حقيقة أو حكما (رواه مسلم) وأخرجه الترمذي ولفظه عهد الي من غير قسم وقال حسن صحيح وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة أخرجه أحمد والترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أم سلمة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لايحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن أخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق أخرجه أحمد في المسند وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس أوصيكم بحب ذي قرابتي أخي وابن عمي علي بن أبي طالب فانه لايحبه الامؤمن ولا يبغضه الامنافق من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني أخرجه أحمد في المناقب وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب عليا في حياته وبعد موته أخرجه أحمد وروى الحاكم عن أنس مرفوعا حب العرب ايمان وبغضهم نفاق وروى ابن عدي عن أنس حب أبي بكر وعمر ايمان وبغضهما نفاق وروى ابن عساكر عن جابر حب أبي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فانا أحفظه يوم القيامة (وعن سهل بن سعد) أي الساعدي (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر) أي زمن محاصرته أو آخر نهار من أيامه لما في البخاري فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين هذه الراية) أي العلم التي هي علامة للامارة (غدا) أي في غد (رجلا يفتح الله على يديه) أي بسببه (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) وفيه ايماء الى قوله تعالى يحبهم ويحبونه وبحثه طويل الذيل عزيز النيل وفي رواية قال فبات الناس يدوكون ليلهم أيهم يعطى والدوك الخوض (فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي أتوه وقت الغدوة (كلهم يرجون) أي يتمنون (ان يعطاها) أي الراية التي هي آية الفتح فجمع الضمير في يرجون نظرا الى معنى كلهم وأفرد في يعطى نظرا الى لفظه وفيه لطيفة وهي شمول الرجاء دون حصول الاعطاء (فقال أين علي بن أبي طالب) فيه انه وقع في هذا المقام مراد وغير مريد والله غالب على أمره في اعطاء المزيد لمن يريد (فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه) والمعنى انه حصل عذر له به قال الطيبي أي أين علي مالي لا أراه حاضرا فيستقيم جوابهم هو يا رسول الله يشتكي عينيه ونحوه قوله تعالى مالي لا أرى الهدهد كانه صلى الله عليه وسلم استبعد غيبته عن حضرته في مثل ذلك الموطن لاسيما وقد قال لاعطين هذه الراية الى آخره وقد حضر الناس كلهم طمعا بان يكون هو الذي يفوز بذلك الوعد وتقديم القوم الضمير وبناء يشتكي عليه اعتذار منهم على سبيل التوكيد (قال فارسلوا اليه) بكسر السين والمعنى فارسلوا اليه (فاتى به) أي فجيء به (فبصق) وفي رواية فلما جاء بصق (رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي ألقى بزاقه (في عينيه) وفي رواية ودعا له (فبرأ) بفتح الراء وقد يكسر أي فصح علي من جهة عينيه وعوفي عافية كاملة (حتى كان لم يكن به وجع) أي ولا سبب وجع من الرمد ولا ضعف بصر أصلا (فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله أقاتلهم) بهمزة مقدرة وبدونها (حتى يكونوا مثلنا) أي حتى يسلموا (قال انفذ

قال قال علي رضي الله عنه والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الامي صلى الله عليه وسلم الي ان لايحبني الامؤمن ولا يبغضني الامنافق رواه مسلم وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجون ان يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقالوا هو يا رسول الله يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرأ حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ

بضم الفاء أي امض (على رسلك) بكسر فسكون أي رفقك ولينك (حتى تنزل بساحتهم) أي حتى تبلغ فناءهم وتدخل أرضهم (ثم ادعهم الى الاسلام) أي أولا (وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه) أي في الاسلام ... م وكان هنا محذوفا أو جملة مطوية وهي فان أبوا عنه فاطلب الجزية (فان أبوا فقاتلهم حتى يسلموا) حقيقة أو حكما أو معناه ينقادوا قال الطيبي كأنه صلى الله عليه وسلم استحسن قوله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا واستحمده على ما قصده من مقاتلته اياهم حتى يكونوا أمثالنا مهتدين لاعلاء دين الله ومن ثم حثه صلى الله عليه وسلم على ما نواه بقوله (فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم) يراد به حمر الابل وهي أعزها وأنفسها ويضربون بها المثل في نفاسة الشيء وانه ليس هناك أعظم منه قال النووي تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا انما هو للتقريب الى الافهام والافقدر يسير من الآخرة خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معها أقول والظاهر أن قوله فوالله الخ تأكيد لما أرشده من دعائهم الى الاسلام أولا فانه ربما يكون سبب الايمان من غير حاجة الى قتالهم المتفرع عليه حصول الغنائم من حمر النعم وغيرها فان ايجاد مؤمن واحد خير من اعدام ألف كافر على ما صرح به ابن الهمام في أول كتاب النكاح معللا به على وجه تقديمه على كتاب السير والجهاد والحمر بضم فسكون جمع أحمر وأما بضم الميم فهو جمع حمار والنعم بفتحتين وقد يكسر عينه على ما في القاموس الابل والشاء أو خاص بالابل وأما النعم بكسر النون فهو جمع نعمة (متفق عليه) وروى الطبراني عن أبي رافع مرفوعا لان يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس أي خير من الدنيا وما فيها وقيل أراد ان تكون له وتتصدق بها وفي الرياض عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله عليه قال عمر فما أحببت الامارة الا يومئذ فتساورت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فأعطاه اياها وقال امش ولا تلتفت فسار علي شيأ ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله على ما أقاتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل أخرجه مسلم وعن سلمة بن الاكوع قال كان علي قد تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان به رمد فقال انا أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج علي فلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما كانت الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية أو ليأخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله أو قال يحب الله ورسوله يفتح الله عليه فاذا نحن بعلي وما نرجوه فقال هذا علي فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح الله عليه أخرجه البخاري ومسلم وعن بريدة قال حاصرنا خيبر فأخذ اللواء أبو بكر فانصرف ولم يفتح له ثم أخذ عمر من الغد فخرج ورجع ولم يفتح له وأصاب الناس يومئذ شدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني دافع غدا الى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح عليه فبتنا طيبة أنفسنا ان الفتح غدا فلما أصبح صلى الله عليه وسلم قام قائما فدعا باللواء والناس على مصافهم فدعا عليا وهو أرمد فتفل في عينيه ودفع اللواء اليه ففتح له قال بريدة وأنا فيمن تطاول لها أخرجه أحمد في المناقب وعن سلمة بن الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق برايته وكانت بيضاء الى بعض حصون خيبر فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث الغد عمر بن الخطاب فقاتل ولم يكن فتح وقد جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض حتى يفتح الله عليك قال سلمة فخرج والله بها يأنح يهرول وانا خلفه نتبع أثره حتى ركز رايته في رضم من حجارة تحت الحصن فاطلع اليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت قال أنا علي بن أبي طالب قال اليهودي علوتم وما أنزل على موسى أو كما قال فما رجع حتى فتح الله على يديه أخرجه ابن اسحق (وعن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجنا مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته فلما دنا من الحصن خرج اليه أهله فقاتلهم

على رسلك حتى تنزل
بساحتهم ثم ادعهم الى
الاسلام وأخبرهم بما يجب
عليهم من حق الله فيه
فوالله لان يهدي الله بك
رجلا واحدا خير لك من ان
يكون لك حمر النعم متفق
عليه

فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول على بابا كان عند الحصن فترس به نفسه فلم يزل بيده حتى فتح الله عليه) ثم القاه من يده حين فرغ فلقد رأيتني في نفر مع سبعة انا ثامنهم نجتهد على ان نقلب ذلك الباب فما نقلبه (أخرجه أحمد في المناقب وعن جابر بن عبد الله ان على بن أبي طالب حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وبعد ذلك لم يحمله أربعون رجلا) وفي طريق ضعيف ثم اجتمع عليه سبعون رجلا فكان جهدهم ان أعادوا الباب (أخرجهما الحاكمي في الاربعين وعن على قال مارمدت بعد تفل النبي صلى الله عليه وسلم في عيني) أخرجه أحمد وأخرج أحمد أيضا عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال كان أبي يسمر مع على وكان على يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف فقيل له لو سألته فسأله فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى وانا ارمد العين يوم خيبر فقلت يارسول الله انى أرمد العين فتفل في عيني وقال اللهم أذهب عنه الحر والبرد فما وجدت حرا ولا بردا منذ يومئذ وقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ليس بفرار فتشرف لها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاعطانيها (وذكر حديث البراء قال لعلى أنت منى وانا منك في باب بلوغ الصغير) أى لما كان له تعلق بالحضانة والحديث هنالك مشتمل على فضل على وجعفر وزيد بن حارثة رضى الله عنهم أجمعين

(الفصل الثانى) (عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عليا منى وانا منه) أى فى النسب والمصاهرة والمسابقة والمحبة وغير ذلك من المزايا الا في محض القرابة والا فغيره مشارك له فيها (وهو ولى كل مؤمن) أى حبيبه كما قاله ابن الملك أو ناصره أو متولى أمره قال الطيبي هو اشارة الى قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وفي الكشاف قيل نزلت في على رضى الله عنه فان قلت كيف يصح ان يكون لعلى واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به ترغيبا للناس في مثل فعله لينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمن يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان قال البيضاوى قوله وهم راكعون أى متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون أى يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه فانها نزلت في على كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه انتهى والحديث رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه بروايات مختلفة قال القاضى واستدل به الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولى المتولى للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه من انه تعالى لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما لم يقل أوليائكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع مع ان حمل الجمع على الواحد أيضا خلاف الظاهر قال السيد معين الدين الصفوى ماقبل الآية ينادى على ان المراد من الولاية ليس التولى للامور والمستحق للتصرف كما قالت الشيعة بل ذكره بلفظ الجمع تحريضا على المبادرة على الصدقة فيدخل فيه كل من يبادر فلا يستدل بهذه الآية على امامة على رضى الله عنه انتهى والحاصل ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لاسيما واللفظ بصيغة الجمع فيدخل على كرم الله وجهه فيه دخولا أوليا الا ان الامر محصور فيه حقيقيا (رواه الترمذى) وفي الرياض عن عمران بن حصين قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليها عليا قال فمضى على السرية فاصاب جارية فانكروا عليه وتعاقد أربعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اذا لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه بما صنع على فقال عمران وكان المسلمون اذا قدموا من سفر بدؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه ثم انصرفوا الى رحالهم فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أحد الاربعة فقال يارسول الله ألم تر أن عليا صنع كذا وكذا فأعرض عنه ثم قام الثانى فقال مثل مقالته فأعرض عنه ثم قام الثالث فقال مثل مقالته فاعرض عنه ثم قام الرابع فقال مثل ماقالوا فأقبل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والغضب يعرف في وجهه فقال ما تريدون من على ثلاثا ان عليا منى وأنا منه وهو ولى كل مؤمن بعدى أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وأخرجه أحمد

وذكر حديث البراء قال لعلى أنت منى وأنا منك في باب بلوغ الصغير *(الفصل الثانى)* عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عليا منى وأنا منه وهو ولى كل مؤمن رواه الترمذى

وقال فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاربع وقد تغير وجهه فقال دعوا عليا على مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن من بعدي وله طريق آخر عن بريدة وأصله في صحيح البخاري وأخرجه أحمد في المناقب عن أبي رافع قال لما قتل علي أصحاب الالوية يوم أحد قال جبريل يا رسول الله ان هذه لهي المواساة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انه مني وأنا منه فقال جبريل وأنا منكما يا رسول الله (وعن زيد بن أرقم) ذكره تقدم (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كنت مولاه فعلي مولاه) قيل معناه من كنت أتولاه فعلي يتولاه من الولي ضد العدو أي من كنت أحبه فعلي يحبه وقيل معناه من يتولاني فعلي يتولاه كذا ذكره شارح من علمائنا وفي النهاية المولى يقع على جماعة كثيرة كالرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه وأكثرها قد جاءت في الاحاديث فيضاف كل واحد الى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه وقوله من كنت مولاه يحمل على أكثر هذه الاسماء المذكورة قال الشافعي يعني بذلك ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وقول عمر لعلي أصبحت مولى كل مؤمن أي ولي كل مؤمن وقيل سبب ذلك ان أسامة قال لعلي لست مولاي انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه وفي شرح المصابيح للقاضي قالت الشيعة هو المتصرف وقالوا معنى الحديث ان عليا رضي الله عنه يستحق التصرف في كل ما يستحق الرسول صلى الله عليه وسلم التصرف فيه ومن ذلك أمور المؤمنين فيكون امامهم قال الطيبي لا يستقيم أن تحمل الولاية على الامامة التي هي التصرف في أمور المؤمنين لان المتصرف المستقل في حياته صلى الله عليه وسلم هو هو لا غيره فيجب أن يحمل على المحبة وولاء الاسلام ونحوهما اه وقيل سبب ورود هذا الحديث كما نقله الحافظ شمس الدين الجزري عن ابن اسحق أن عليا تكلم بعض من كان معه باليمن فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم حجه خطب بها تنبيها على قدره وردا على من تكلم فيه كبريدة كما في البخاري وسبب ذلك كما رواه الذهبي وصححه انه خرج معه الى اليمن فرأى منه جفوة فقصه للنبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتغير وجهه عليه السلام ويقول يا بريدة الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه (رواه أحمد والترمذي) وفي الجامع رواه أحمد وابن ماجه عن البراء وأحمد عن بريدة والترمذي والنسائي والضياء عن زيد بن أرقم ففي اسناد المصنف الحديث عن زيد بن أرقم الى أحمد والترمذي مسامحة لا تخفى وفي رواية لاحمد والنسائي والحاكم عن بريدة بلفظ من كنت وليه فعلي وليه وروى المحاملي في أماليه عن ابن عباس ولفظه علي بن أبي طالب مولى من كنت مولاه والحاصل أن هذا حديث صحيح لا مرية فيه بل بعض الحفاظ عده متواترا اذ في رواية لاحمد انه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلي لما نوزع أيام خلافته وسيأتي زيادة تحقيق في الفصل الثالث عند حديث البراء (وعن حبشي) بضم حاء وسكون موحدة فكسر فتشديد تحتية (ابن جنادة) بضم الجيم قال المؤلف رأى النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وله صحبة عداده في أهل الكوفة روى عنه جماعة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي مني وأنا من علي) مر معناه (ولا يؤدي عني) أي نبذ العهد (الا أنا وعلي) كان الظاهر أن يقال لا يؤدي عني الا علي فأدخل أنا تأكيد المعنى الاتصال في قوله علي مني وأنا منه قال التوربشتي كان من دأب العرب اذا كان بينهم مقاولة في نقض وابرام وصلح ونبذ عهد أن لا يؤدي ذلك الا سيد القوم أو من يليه من ذوي قرابته القريبة ولا يقبلون ممن سواهم فلما كان العام الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه أن يحج بالناس رأى بعد خروجه أن يبعث عليا كرم الله وجهه خلفه لينبذ الى المشركين عهدهم ويقرأ عليهم سورة براءة وفيها انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الى غير ذلك من الاحكام فقال قوله هذا تكريرا عليه بذلك قالت واعتذارا لابي بكر في مقامه هنالك ولذا قال الصديق لعلي حين لحقه من ورائه أمير أو مأمور فقال بل مأمور وفيه ايماء الى أن امارته انما تكون متأخرة

وعن زيد بن أرقم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كنت مولاه فعلي مولاه رواه أحمد والترمذي وعن حبشي بن جنادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني الا أنا أو علي

عن خلافة الصديق كما لا يخفى على ذوي التحقيق (رواه الترمذي) وكذا أحمد والنسائي وابن ماجه عن حبشي على ما في الجامع ورواه أحمد عن أبي جنادة فلعل أحمد له روايتان ولم يذكر المؤلف أبا جنادة في أسمائه
(وعن ابن عمر قال آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم) بمد الهمزة أي جعل المؤاخاة في الدين (بين أصحابه) أي اثنين اثنين كأبي الدرداء وسلمان (فجاء علي تدمع عيناه) أي فسئل ما لك (فقال) وفي رواية يا رسول الله (آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ) بالهمز ويجوز إبداله واوا (بيني وبين أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي جبرا له بما كان خيرا له (أنت أخي في الدنيا والآخرة رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب) وأخرجه أحمد في المناقب عن عمر بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين الناس وترك عليا حتى بقي آخرهم لا يرى له أخا فقال يا رسول الله آخيت بين الناس وتركتني قال ولم تراني تركتك تركتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك فان ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعيها بعد الا كذاب (وعن أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير) أي مشوي أو مطبوخ أهدي اليه صلى الله عليه وسلم وفي رواية أهدت امرأة من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم طيرين بين رغيفين فقدمت اليه (فقال اللهم ائتني بأحب خلقك اليك) وفي رواية والى رسولك (يأكل) بالرفع وفي نسخة بالجزم (معي هذا الطير فجاءه علي فأكل معه رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) أي اسنادا أو متنا ولا منع من الجمع قال ابن الجوزي موضوع وقال الحاكم ليس بموضوع وفي المختصر قال له طرق كثيرة كلها ضعيفة وفي الرياض رواه أحمد في المناقب قال الامام التوربشتي نحن وان كنا لا نجهل بحمد الله فضل علي رضي الله عنه وقدمه وسوابقه في الاسلام واختصاصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لقرابته القريبة ومؤاخاته اياه في الدين ونتمسك من حبه بأقوى وأولى مما يدعيه الغالون فيه فلسنا نرى أن نضرب عن تقرير أمثال هذه الاحاديث في نصابها صفحا لما نخشى فيه من تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين وهذا باب أمر بمحافظته وجيء أمر بالذب عنه فحق علينا أن ننصر فيه الحق ونقدم فيه الصدق وهذا حديث يدلس به المبتدع شأنه ويوصل به المنتحل جناحه ليتخذه ذريعة الى الطعن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه التي هي أول حكم أجمع عليه المسلمون في هذه الامة وأقوم عماد أقيم به الدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق هذا الحديث لا يقاوم ما أوجب تقديم أبي بكر والقول بخيريته من الاخبار الصحاح منضما اليها اجماع الصحابة لمكان سنده فان فيه لاهل النقل مقالا ولا يجوز حمل أمثاله على ما يخالف الاجماع لا سيما والصحابي الذي يرويه ممن دخل في هذا الاجماع واستقام عليه مدة عمره ولم ينقل عنه خلافه فلو ثبت عنه هذا الحديث فالسبيل أن يؤول على وجه لا ينقض عليه ما اعتقده ولا يخالف ما هو أصح منه متنا واسنادا وهو أن يقال يحمل قوله بأحب خلقك على أن المراد منه ائتني بمن هو من أحب خلقك اليك فيشاركه فيه غيره وهم المفضلون باجماع الامة وهذا مثل قولهم فلان أعقل الناس وأفضلهم أي من أعقلهم وأفضلهم ومما يبين لك ان حمله على العموم غير جائز وأن النبي صلى الله عليه وسلم من جملة خلق الله ولا جائز أن يكون علي أحب الى الله منه فان قيل ذلك شيء عرف بأصل الشرع قلنا والذي نحن فيه عرف أيضا بالنصوص الصحيحة واجماع الامة فيؤول هذا الحديث على الوجه الذي ذكرناه أو على أنه أراد به أحب خلقه اليه من بني عمه وذويه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلق القول وهو يريد تقييده ويعم به ويريد تخصيصه فيعرفه ذوو الفهم بالنظر الى الحال أو الوقت أو الامر الذي هو فيه قال الطيبي والوجه الذي يقتضيه المقام هو الوجه الثاني لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره أن يأكل وحده لانه ليس من شيمة أهل المروآت فطلب من الله تعالى أن يؤتى له من يؤاكله وكان ذلك براو احسانا منه اليه وأبر المبرات بذوي الرحم وصلته كأنه قال بأحب خلقك اليك من ذوي القرابة القريبة ومن هو أولى باحساني وبري اليه اهـ وفيه أنه لا شك ان العم أولى من ابنه وكذا البنت وأولادها في أمر البر والاحسان على أن قول الطيبي هذا انما يتم اذا

رواه الترمذي ورواه أحمد عن أبي جنادة وعن ابن عمر قال آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له أنت أخي في الدنيا والآخرة رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن أنس قال كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال اللهم ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي هذا الطير فجاءه علي فأكل معه رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب

وعن علي رضي الله عنه قال كنت اذا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني واذا سكت ابتدأني رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب

لم يكن أحد هناك ممن يؤاكله ولا شك في وجوده لا سيما وانس حاضر وهو خادمه ولم يكن من عادته أنه لا يأكل معه فالوجه الاول هو المعول ونظيره ما ورد أحاديث بلفظ أفضل الاعمال في أمور لا يمكن جمعها الا بأن يقال في بعضها ان التقدير من أفضلها (وعن علي رضي الله عنه قال كنت اذا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي طلبت منه شيأ (أعطاني) أي المسؤل أو جوابه (واذا سكت ابتدأني) أي بالتكلم أو الاعطاء ففيه اشعار بأن حسن الادب هو السكوت وتفويض الامر الموجب للتعظيم المتفرع عليه الاقبال المنتج للاعطاء أولا ويؤيده حديث من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ومما يدل على كرمه وزهده ما ذكره أصحاب المناقب عن علي قال لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واني لأربط الحجر على بطني من الجوع وان صدقتي اليوم أربعون ألفا وفي رواية وان صدقة مالي لتبلغ أربعين ألف دينار أخرجهما أحمد وربما يتوهم متوهم ان مال علي تبلغ زكاته هذا القدر وليس كذلك فانه كان أزهد الناس فقيل معناه ان الذي تصدقت به منذ كان لي مال الى اليوم كذا وكذا ألفا ثم ذكره لذلك انما هو في معرض الشكر على هذه الحالة وعدم الاكتراث بما خرج لله تعالى وان اخراجه أبلغ في الزهد من عدمه وأبعد من قال ويحتمل أن يكون في معرض التوبيخ لنفسه تنتقل الحال الى مثل هذا بعد ذلك الحال وعن سهل بن سعد أن علي بن أبي طالب دخل على فاطمة والحسن والحسين يبكيان فقال ما يبكيهما قالت الجوع فخرج علي فوجد دينارا في السوق فجاء الى فاطمة فأخبرها فقالت اذهب الى فلان اليهودي فخذ لنا به دقيقا فجاء الى اليهودي فاشترى به دقيقا فقال اليهودي أنت ختن هذا الذي يزعم انه رسول الله قال نعم قال فخذ دينارك ولك الدقيق فخرج علي حتى جاء به فاطمة فأخبرها فقالت اذهب الى فلان الجزار فخذ لنا بدرهم لحما فذهب فرهن الدينار بدرهم على لحم فجاء به فعجنت ونصبت وخبزت فأرسلت الى أبيها فجاءهم فقالت يا رسول الله اذكر لك فان رأيته حلالا أكلناه وأكلت من شأنه كذا فقال كلوا باسم الله فأكلوا فبينماهم مكانه اذا غلام ينشد الله والاسلام الدينار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعي له فسأله فقال سقط مني في السوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا علي اذهب الى الجزار فقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك أرسل الي بالدينار ودرهمك علي فأرسل به فدفع اليه أخرجه أبو داود ومما يدل على تواضعه ما أخرجه البغوي في معجمه عن أبي صالح بياع الاكسية عن جده قال رأيت عليا اشترى تمرا بدرهم فحمله في ملحفته فقيل يا أمير المؤمنين الا نحمله عنك قال أبو العيال أحق بحمله وعن زيد بن وهب ان الجعد بن نعجة من الخوارج عاتب عليا في لباسه فقال مالي وللباس هذا هو أبعد من الكبر وأجدر ان يقتدي به المسلم أخرجه أحمد وصاحب الصفوة ومما يدل على ورعه ما أخرجه أحمد عن عبد الله بن رزين قال دخلت على علي يوم الاضحى فقرب الينا حريرة فقلت أصلحك الله لو قربت الينا من هذا البط يعني الاوز فان الله قد أكثر الخير فقال يا ابن رزين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل للخليفة من مال الله الا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين أيدي الناس وعن علي بن أبي ربيعة ان علي بن أبي طالب جاءه ابن التياح فقال يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء قال الله أكبر فقام متوكئا على ابن التياح حتى قام وأمر فنودي في الناس فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول يا صفراء يا بيضاء غري غيري ها وها حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين أخرجه أحمد في المناقب وفي رواية عند أحمد فصلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة وعن علي قال جعت بالمدينة جوعا شديدا فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة فاذا أنا بامرأة قد جمعت مدرا فظننتها تريد بله فأتيتها فعاطيتها كل دلو بتمرة فعددت ستة عشر ذنوبا حتى مجلت يدي ثم أتيتها فقلت بكلتي يدي هكذا بين يديها وبسط اسمعيل راوي الحديث يديه جميعا فعدت لي ستة عشر تمرة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته وأكل معي منها وقال لي خيرا ودعا لي أخرجه أحمد في المناقب وصاحب الصفوة والفضائلي (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) وأخرج ابن سعد عن علي انه قيل له مالك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال انى كنت اذا سألته أنبأنى واذا سكت ابتدأنى (وعنه) أى عن على (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا دار الحكمة) وفى رواية أنا مدينة العلم وفى رواية المصابيح أنا دار العلم (وعلى بابها) وفى رواية زيادة فمن أراد العلم فليأته من بابه والمعنى على باب من أبوابها ولكن التخصيص يفيد نوعا من التعظيم وهو كذلك لانه بالنسبة الى بعض الصحابة أعظمهم وأعلمهم ومما يدل على ان جميع الاصحاب بمنزلة الابواب قوله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم مع الايماء الى اختلاف مراتب أنوارها فى الاهتداء ومما يحقق ذلك أن التابعين أخذوا أنواع العلوم الشرعية من القراءة والتفسير والحديث والفقه من سائر الصحابة غير على رضى الله عنه أيضا فعلم عدم انحصار البابية فى حقه اللهم الا أن يختص بباب القضاء فانه ورد فى شأنه انه أقضاكم كما انه جاء فى حق أبى انه أقرؤكم وفى حق زيد بن ثابت انه أفرضكم وفى حق معاذ بن جبل انه أعلمكم بالحلال والحرام ومما يدل على جزالة علمه ما فى الرياض عن معقل بن يسار قال وضأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل لك فى فاطمة تعودها فقلت نعم فقام متوكئا على فقال انه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجرها لك قال فكأنه لم يكن على شئ حتى دخلنا على فاطمة فقلنا كيف تجدينك قالت لقد اشتد حزنى واشتد فاقتى وطال سقمى قال عبد الله بن أحمد بن حنبل وجدت بخط أبى فى هذا الحديث قال أوما ترضين ان زوجك أقدمهم سلما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما أخرجه أحمد وعن ابن عباس وقد سأله الناس فقالوا أى رجل كان عليا قال كان قد ملئ جوفه حكما وعلما وبأسا ونجدة مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أحمد فى المناقب وعن سعيد بن المسيب قال عمر كان يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن أخرجه أحمد قال الطيبى لعل الشيعة تتمسك بهذا التمثيل ان أخذ العلم والحكمة منه مختص به لا يتجاوزه الى غيره الا بواسطته رضى الله عنه لان الدار انما يدخل من بابها وقد قال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها ولا حجة لهم فيه اذ ليس دار الجنة بأوسع من دار الحكمة ولها ثمانية أبواب (رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب) أى اسنادا (وقال) أى الترمذى (روى بعضهم هذا الحديث عن شريك) وهو شريك ابن عبد الله قاضى بغداد ذكره شارح (ولم يذكروا) أى ذلك البعض (فيه) أى فى اسناد هذا الحديث (عن الصنابحى) بضم صاد وكسر موحدة ومهملة (ولا نعرف) أى نحن (هذا الحديث عن أحد من الثقات غير شريك) بالنصب على الاستثناء وفى نسخة بالجر على انه بدل من أحد قيل وفى بعض نسخ الترمذى عن شريك بدل غير شريك والله أعلم ثم اعلم ان حديث انا مدينة العلم وعلى بابها رواه الحاكم فى المناقب من مستدركه من حديث ابن عباس وقال صحيح وتعقبه الذهبى فقال بل هو موضوع وقال أبو زرعة كم خلق افتضحوا فيه وقال يحيى بن معين لا أصل له كذا قال أبو حاتم ويحيى بن سعيد وقال الدارقطنى ثابت ورواه الترمذى فى المناقب من جامعه وقال انه منكر وكذا قال البخارى انه ليس له وجه صحيح وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وقال ابن دقيق العيد هذا الحديث لم يثبتوه وقيل انه باطل لكن قال الحافظ أبو سعيد العلائى الصواب انه حسن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف فضلا عن أن يكون موضوعا ذكره الزركشى وسئل الحافظ العسقلانى عنه فقال انه حسن لا صحيح كما قال الحاكم ولا موضوع كما قال ابن الجوزى قال السيوطى وقد بسطت كلام العلائى والعسقلانى فى التعقبات التى على الموضوعات اه وفى خبر الفردوس انا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلى بابها وشذ بعضهم وأجاب أن معنى وعلى بابها انه فعيل من العلو على حد قراءة صراط على مستقيم برفع على وتنوينه كما قرأ به يعقوب (وعن جابر قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا يوم الطائف) قال شارح أى يوم أرسل النبى صلى الله عليه وسلم عليا الى الطائف (فانتجاه) من باب الافتعال من النجوى أى فساره وقال له نجوى (فقال الناس) أى المنافقون أو عوام الصحابة (لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتجيته) أى ما خصصته بالنجوى (أنا ولكن الله انتجاه) بتشديد لكن ويخفف والمعنى انى بلغته عن الله ما أمرنى أن أبلغه اياه على سبيل النجوى

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا دار الحكمة وعلى بابها رواه الترمذى وقال هذا حديث غريب وقال روى بعضهم هذا الحديث عن شريك ولم يذكروا فيه عن الصنابحى ولا نعرف هذا الحديث عن أحد من الثقات غير شريك وعن جابر قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا يوم الطائف فانتجاه فقال الناس لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتجيته ولكن الله انتجاه

بينهما انتهى والله لا انتجيته فهو نظير قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال الطيبي رحمه الله كان ذلك أسرارا الهية وأمورا غيبية جعله من خزانها اهـ وفيه ان الظاهر أن الامر المتناجى به من الاسرار الدنيوية المتعلقة بالاخبار الدينية من أمر الغزو ونحوه اذ ثبت في صحيح البخاري انه سئل علي كرم الله وجهه هل عندكم شئ ليس في القرآن فقال والذي خلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا الا ما في القرآن الا فهما يعطاه رجل في كتابه وما في الصحيفة قيل وما في الصحيفة فقال العقل وفكاك الاسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ثم هذا التناجي يحتمل انه بعد نزول آية يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة واختلفوا في ان أمره للندب أو للوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا حتى يمكن العمل به وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيري كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم (رواه الترمذي وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا يحل لاحد يجنب) بضم أوله وكسر نونه قال الطيبي ظاهره أن يجنب يكون فاعلا لقوله لا يحل وقوله (في هذا المسجد) ظرف ليجنب وفيه اشكال ولذلك أوله ضرار بن صرد صفة لاحد (غيري وغيرك) بالنصب على الاستثناء وفي كثير من النسخ بالرفع ولا يظهر له وجه الا أن يقال خبر مبتدأ محذوف أي هو غيري وغيرك (قال علي بن المنذر) قال المؤلف هو كوفي يعرف بالطريقي روى عن ابن عيينة والوليد بن مسلم وعنه الترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم قال ابن أبي حاتم سمعت منه مع أبي وهو ثقة صدوق وقال النسائي شيعي محض ثقة مات سنة ست وخمسين ومائتين (فقلت لضرار) بكسر الضاد المعجمة (ابن صرد) بضم ففتح فتنوين يكنى أبا نعيم الكوفي الطحان سمع المعتمر بن سليمان وغيره وروى عنه علي بن المنذر (ما معنى هذا الحديث قال لا يحل لاحد يستطرقه جنبا غيري وغيرك) قال القاضي ذكر في شرحه انه لا يحل لاحد يستطرقه جنبا غيري وغيرك وهذا انما يستقيم اذا جعل يجنب صفة لاحد ومتعلق الجار محذوفا فيكون تقدير الكلام لا يحل لاحد تصيبه الجنابة يمر في هذا المسجد غيري وغيرك وكان ممر دارهما خاصة في المسجد قال الطيبي والاشارة في هذا المسجد مشعرة بأن له اختصاصا بهذا الحكم ليس لغيره من المساجد وليس ذلك الا لأن باب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الى المسجد وكذا باب علي ويؤيده حديث ابن عباس في الفصل الثالث أمر بسد الابواب الا باب علي (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب) وقال الجزري هذا الحديث ضعيف باتفاقهم اهـ وسيأتي بحث وارد هنا في الفصل الثالث عند قوله أمر بسد الابواب الا باب علي (وعن أم عطية) قال المؤلف هي نسيبة بضم النون وفتح السين المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة بنت كعب وقيل بنت الحارث الانصارية بايعت النبي صلى الله عليه وسلم فتمرض المرضى وتداوي الجرحى (قالت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم علي قالت فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رافع يديه يقول) أي حين ارساله أو عند توقع اقباله (اللهم لا تمتني) بضم فكسر أي لا تقبض روحي (حتى تريني) بضم فكسر أي تبصرني (عليا) أي رجوعه بالسلامة (رواه الترمذي) وعن الحسن انه قال حين قتل علي لقد فارقكم رجل ما سبقه الاولون بعلم ولا أدركه الآخرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه بالسرية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله لا ينصرف حتى يفتح عليه أخرجه أحمد

(الفصل الثالث) (عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن) أي كامل (رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب اسنادا) وقد سبق ما يؤيده (وعنها) أي عن أم سلمة (قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب عليا) أي من جهة النسب (فقد سبني) أو من شتم عليا فكأنه شتمني فمقتضاه ان يكون سب علي كفرا أو هو محمول على التهديد والوعيد أو مبني على الاستحلال والله أعلم بالحال (رواه أحمد) وكذا الحاكم وروى الطبراني عن ابن عباس من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وفي رواية للطبراني عن علي من سب الانبياء قتل ومن سب أصحابي جلد وفي

رواه الترمذي وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا يحل لاحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك قال علي بن المنذر فقلت لضرار بن صرد ما معنى هذا الحديث قال لا يحل لاحد يستطرقه جنبا غيري وغيرك رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن أم عطية قالت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم علي قالت فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رافع يديه يقول اللهم لا تمتني حتى تريني عليا رواه الترمذي

(الفصل الثالث) عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن غريب اسنادا وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب عليا فقد سبني رواه أحمد

الرياض عن عمرو بن شاش الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية قال خرجت مع علي الى اليمن فجفاني في سفري ذلك حتى وجدت في نفسي عليه فلما قدمت المدينة وأظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت المسجد ذات غدوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فلما رآني أمدني عينيه يقول حدد الى النظر حتى اذا جلست قال يا عمرو والله لقد آذيتني قلت أعوذ بالله ان أوذيك يا رسول الله فقال بلى من آذى عليا فقد آذاني أخرجه أحمد وعن ابن عباس رضي الله عنه قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي بن أبي طالب فقال له أنت سيد في الدنيا سيد في الآخرة من أحبك فقد أحبني وحبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي وعدوي عدو الله الويل لمن أبغضك أخرجه أحمد في المناقب وعن ابن عباس أيضا لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله عز وجل أكبه الله على منخره أخرجه أبو عبد الله الجلالي وعن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سب عليا فقد سبني أخرجه أحمد وعن عروة بن الزبير ان رجلا وقع في علي بن أبي طالب بمحضر من عمر فقال له عمر أتعرف صاحب هذا القبر هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب لا تذكر عليا الا بخير فانك ان تنقصه آذيت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم أخرجه أحمد في المناقب وعن أبي سعيد الخدري قال اشتكى الناس عليا يوما فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا فسمعته يقول يا أيها الناس لا تشكوا عليا فوالله انه لأخشن في ذات الله أو قال في سبيل الله أخرجه أحمد (وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال لي) أي مخصوصا به (النبي صلى الله عليه وسلم فيك مثل) أي في حقك شبه (من عيسى) أي من وجهين متعارضين لقومين متخالفين (أبغضته اليهود) أي بغضا مفرطا (حتى بهتوا أمه) من بهته كمنعه قال عليه مالم يفعل والمعنى انهم افتروا على امه بان نسبوها الى الزنا (وأحبته النصارى) أي حبا بليغا (حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له) أي مع اختلاف لهم في تلك المنزلة (ثم قال) أي علي موقوفا (يهلك في) أي يضل في حقي (رجلان) أي أحدهما رافضي والآخر خارجي (محب مفرط) بضم فسكون أي مبالغ عن الحد (يقرظني) بكسر الراء المشددة أي يمدحني (بما ليس في) أي بتفضيلي على جميع الصحابة أو على الانبياء أو باثبات الالوهية كطائفة النصيرية (ومبغض) وانما لم يقل هنا مفرط لان البغض باصله ممنوع بخلاف أصل الحب فانه ممدوح (يحمله) اي يبعثه ويكسبه (شنآني) بفتحتين وبسكون الثاني وحكي ترك الهمز أي عداوتي (على أن يبهتني) أي يتكلم علي بالبهتان وينسب الى الزور والعصيان (رواه أحمد) أي في المسند وعنه قال ليحبني أقوام حتى يدخلوا النار في حبي ويبغضني أقوام حتى يدخلوا النار في بغضي رواه أحمد في المناقب وعن السدي قال قال علي اللهم العن كل مبغض لنا وكل محب لنا غال أخرجه أحمد في المناقب (وعن البراء بن عازب وزيد بن أرقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل) أي في مرجعه من حجة الوداع في حال كمال أصحابه من الاجتماع (بغدير خم) بضم خاء وتشديد ميم اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف الى الغيضة (أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال ألستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين) أي بجنسهم (من أنفسهم) وفيه ايماء الى قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم (قالوا بلى قال ألستم تعلمون اني أولى بكل مؤمن) أي بخصوصه (من نفسه) أي فضلا عن بقية أهله (قالوا بلى فقال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) وفي رواية وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار (فلقيه عمر رضي الله عنه بعد ذلك فقال له هنيأ) أي طوبى لك أو عش عيشا هنيا (يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت) أي صرت في كل وقت (مولى كل مؤمن ومؤمنة) تمسكت الشيعة انه من النص المصرح بخلافة علي رضي الله عنه حيث قالوا معنى المولى الاولى بالامامة والالما احتاج الى جمعهم كذلك وهذه من أقوى شبههم ودفعها علماء أهل السنة بان المولى بمعنى المحبوب وهو كرم الله وجهه سيدنا وحبيبنا وله معان أخر تقدمت ومنه الناصر وأمثاله فخرج عن كونه نصا فضلا عن ان يكون صريحا ولو سلم أنه بمعنى الاولى بالامامة فالمراد به المآل والا لزم ان يكون هو الامام مع وجوده عليه السلام فتعين أن يكون المقصود

وعن علي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك مثل من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليست له ثم قال يهلك في رجلان محب مفرط يقرظني بما ليس في ومبغض يحمله شنآني على ان يبهتني رواه أحمد وعن البراء بن عازب وزيد بن أرقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بغدير خم أخذ بيد علي فقال ألستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال ألستم تعلمون اني أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى فقال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر بعد ذلك فقال له هنيئا يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة

منه حين بويع بعقد البيعة له فلا ينافيه تقديم الأئمة الثلاثة عليه لانعقاد اجماع من يعتد به حتى من علي ثم سكوته عن الاحتجاج به الى أيام خلافته قاض على من له أدنى مسكة بانه علم منه انه لا نص فيه على خلافته عقب وفاته عليه السلام مع ان عليا كرم الله وجهه صرح نفسه بانه صلى الله عليه وسلم لم ينص عليه ولا على غيره ثم هذا الحديث مع كونه آحاد اختلف في صحته فكيف ساغ للشيعة ان يخالفوا ما اتفقوا عليه من اشتراط التواتر في أحاديث الامامة ما هذا الا تناقض صريح وتعارض قبيح (رواه أحمد) أي في مسنده وأقل مرتبته ان يكون حسنا فلا التفات لمن قدح في ثبوت هذا الحديث وأبعد من رده بان عليا كان باليمن لثبوت رجوعه منها وادراكه الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم ولعل سبب قول هذا القائل انه وهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا القول عند وصوله من المدينة الى غدير خم ثم قول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه موضوعة مردودة فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبي كثيرا منها والله أعلم وفي الرياض عن رباح بن الحرث قال جاء رهط الى علي بالرحبة فقالوا السلام عليك يا مولانا فقال كيف أكون مولاكم وأنتم عرب قالوا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه قال رباح بن الحرث فلما مضوا تبعتهم فسألت من هؤلاء قالوا نفر من الانصار فيهم أبو أيوب الانصاري أخرجه أحمد وعن بريدة قال غزوت مع علي اليمن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت عليا فتنقصته فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير فقال يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه أخرجه أحمد (وعن بريدة قال خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها صغيرة) وفي رواية فسكت ولعلها محمولة على مرة أخرى (ثم خطبها علي فزوجها منه) يوهم انه مما يدل على أفضليته على عليهما وليس كذلك أو يحتمل انها كانت صغيرة عند خطبتهما ثم بعد مدة حين كبرت ودخلت في خمسة عشر خطبها علي أو المراد انها صغيرة بالنسبة اليهما الكبر سنهما وزوجها من علي لمناسبة سنه لها أو لوحي نزل بتزويجها له ويؤيده ما في الرياض انه قال لابي بكر وعمر وغيرهما ممن خطبها لم ينزل القضاء بعد فارتفع الاشكال واندفع الاستدلال (رواه النسائي) وأخرج أبو الخير القزويني الحاكمي عن أنس بن مالك قال خطب أبو بكر الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر لم ينزل القضاء ثم خطبها عمر مع عدة من قريش كلهم يقول له مثل قوله لابي بكر فقيل لعلي لو خطبت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عسى ان يزوجكها قال وكيف وخطبها أشراف قريش فلم يزوجها فخطبها فقال صلى الله عليه وسلم قد أمرني ربي بذلك قال أنس ثم دعاني النبي صلى الله عليه وسلم بعد أيام فقال لي يا أنس اخرج وادع لي أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير وبعدة من الانصار قال فدعوتهم فلما اجتمعوا عنده صلى الله عليه وسلم وأخذوا مجالسهم وكان علي غائبا في حاجة النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره في سمائه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم باحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى اسمه وعظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشج به الارحام وألزمه للانام فقال عز من قائل وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فأمر الله تعالى يجري الى قضائه وقضاؤه يجري الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله تعالى أمرني ان أزوج فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب فاشهدوا اني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة ان رضي بذلك علي بن أبي طالب ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بين أيدينا ثم قال انتهبوا فنهبنا فبينا نحن ننهب اذ دخل علي على النبي صلى الله عليه وسلم فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه ثم قال ان الله أمرني ان أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة ان رضيت بذلك فقال قد رضيت بذلك يا رسول الله قال أنس

رواه أحمد وعن بريدة قال خطب أبو بكر وعمر فاطمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها صغيرة ثم خطبها علي فزوجها منه رواه النسائي

فقال النبي صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما وأسعد جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيرا طيبا قال أنس فوالله لقد أخرج منهما كثيرا طيبا (وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بسد الابواب) أي المفتوحة (في المسجد الا باب علي) ولذا قال لا يحل لاحد يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك قيل وهم يشكل هذا الحديث بما مر في مناقب أبي بكر من أمره بسد الخوخ جميعها الا خوخة أبي بكر لان ذاك فيه التصريح ان أمرهم بالسد كان حال مرض موته وهذا ليس فيه ذلك فيحمل هذا على أمر متقدم على المرض وبذلك يتضح قول العلماء ان ذلك فيه اشارة الى خلافة أبي بكر على ان ذلك الحديث أصح من هذا وأشهر فانه حديث متفق عليه وهذا كما قال المؤلف (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) أي متنا أو اسنادا أو معا لكن قد أخرج أحمد والضياء عن زيد بن أرقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني أمرت بسد هذه الابواب غير باب علي وفي الرياض أخرجه أحمد عن زيد بن أرقم قال كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبواب شارعة في المسجد قال فقال يوما سدوا هذه الابواب الا باب علي قال فتكلم فيه ناس فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني أمرت بسد هذه الابواب غير باب علي فقال فيه قائلكم واني والله ما سددت شيأ ولا فتحته ولكن أمرت بشيء فاتبعته وعن ابن عمر قال لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لان يكون لي واحدة منهن أحب الي من حمر النعم زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته وولدت له وسد الابواب الا بابه في المسجد واعطاه الراية يوم خيبر أخرجه أحمد وعن عبد الله بن شريك عن عبد الله بن أرقم الكناني قال خرجنا الى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك فقال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الابواب الشارعة في المسجد وترك باب علي أخرجه أحمد قال السعدي عبد الله بن شريك كذاب وقال ابن حبان كان غاليا في التشيع وقد روى هذا الحديث عن ابن عباس وجابر ولا يصح وانما الصحيح ما أخرج في الصحيحين عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى باب في المسجد الا سد الا باب أبي بكر وان صح الحديث في علي أيضا حمل ذلك أيضا على حالين مختلفين توفيقا بين الحديثين والله أعلم (وعن علي رضي الله عنه قال كانت لي منزلة) أي مرتبة قرب (من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن لاحد من الخلائق) فيه مبالغة لا تخفى حيث عبر عن الصحابة بجميع الخلائق التي لا تحصى (آتيه) بالمد استئناف بيان لتلك المنزلة أي أجيئه (بأعلى سحر) أي بأول أو فأنه وهو السدس الاخير على ما ذكره الكشاف (فأقول السلام عليك يا رسول الله) أي سلام استئذان (فان تنحنح) أي مع جواب السلام أو بدونه بناء على ان سلام الاستئذان هل له جواب واجب أولا (انصرفت الى أهلي) أي رجعت الى أهل بيتي علما بان هنالك مانعا شرعيا أو عرفيا (والا) أي وان لم يتنحنح (دخلت عليه) أي وتشرفت بالحضور لديه ومطالعة النظر اليه (رواه النسائي وعنه) أي عن علي (قال كنت شاكيا) أي مريضا (فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي ذاهبا أو عائدا (وأنا أقول اللهم ان كان أجلي) أي انتهاء عمري (قد حضر) أي وقته (فأرحني) أي بالموت من الاراحة وهي اعطاء الراحة بنوع ازاحة للبلية (وان كان) أي أجلي (متأخرا فارفغني) بفتح الفاء وسكون الغين المعجمة أي وسع لي في المعيشة باعطاء الصحة فان عافيتك أوسع وفي نسخة صحيحة بالعين المهملة ويؤيد الاول ما في النهاية في حديث علي أرفغ لكم المعاش أي أوسع وعيش رافغ أي واسع ذكره الطيبي وهو مشعر بان أرفغني من باب الافعال والله أعلم بالحال وفي القاموس الرفغ السعة والخصب وزاد في الصحاح يقال رفغ عيشه رفاغة أي اتسع فهو عيش رافغ ورفيغ أي واسع طيب وترفغ لرجل توسع في رفاغته من العيش قال ميرك والظاهر ان رفغ لازم فقول الطيبي في الحديث أي وسع لي عيشي لا يخلو عن تأويل قلت يعني به الحذف والايصال ثم قال والذي صح في أصل سماعنا فارفعني بالعين المهملة من الرفع ومعناه ظاهر وهو الانسب بالمقام كما لا يخفى على المتأمل قلت اذا وقع حق التأمل في المقام يظهر انه غير ملائم للمرام لان الرفع المتعدي بمعنى القبض ومنه قوله تعالى ورافعك الي نعم ان صحت الرواية فيقال التقدير فارفع أي المرض

وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بسد الابواب الا باب علي رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن علي قال كانت لي منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن لاحد من الخلائق آتيه بأعلى سحر فأقول السلام عليك يا نبي الله فان تنحنح انصرفت الى أهلي والا دخلت عليه رواه النسائي وعنه قال كنت شاكيا فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول اللهم ان كان أجلي قد حضر فأرحني وان كان متأخرا فارفغني وان كان بلاء

عنى (وان كان) عطف على ان كان الاول فتامل والمعنى وان كان المرض (بلاء) أى مما قدرته قضاء (فصبرنى) بالتشديد الموحدة المكسورة أى اعطنى الصبر عليه ولا تجعلنى من أهل الجزع لديه وفيه ايماء الى قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت فأعاد) أى على (عليه ماقال) أى أولا (فضربه برجله) أى ليتنبه عن غفلة أمره وينتهى عن شكاية حاله وتتصل اليه بركة قدمه ويحصل له كمال متابعته فى أثره (وقال اللهم عافه) بهاء الضمير وفى نسخة بهاء السكت وكذا فى قوله (أو اشفه) شك الراوى هذا كلام أحد الرواة المتأخرة وفيه تنبيه نبيه على أن عليا ونحوه ينبغى أن يقول فى مرضه اللهم عافنى أو اشفنى من غير ترديد فان الله تعالى لا مستكره له (قال) أى على (فما اشتكيت وجعى) أى هذا (بعد) أى بعد دعائه صلى الله عليه وسلم (رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح) قال المؤلف هو أمير المؤمنين على بن أبى طالب القرشى يكنى أبا الحسن وأبا تراب وهو أول من أسلم من الذكور فى أكثر الاقوال وقد اختلف فى سنه يومئذ فقيل كان له خمس عشرة سنة وقيل ثمان سنين وقيل عشر سنين شهد مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها غير تبوك فانه خلفه فى أهله وفيها قال له ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى كان آدم شديد الادمة عظيم العينين أقرب الى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية اصلع أبيض الرأس واللحية استخلف يوم قتل عثمان وهو يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادى بالكوفة صبيحة الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين ومات بعد ثلاث ليال من ضربته وغسله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وصلى عليه الحسن ودفن سحرا وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل ثمان وخمسون وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياما روى عنه بنوه الحسن والحسين ومحمد وخلائق من الصحابة والتابعين اه ولا يخفى انه كان مقتضى ما سبق من ترتيب الابواب أن يذكر ههنا بابا فى مناقب هؤلاء الاربعة ولعله اكتفى بما يذكرون فى ضمن العشرة المبشرة وسيأتى فى حديث على فى حق الاربعة بخصوصهم فى أواخر الفصل الثانى

(باب مناقب العشرة المبشرة رضى الله عنهم)

أراد بذكرهم أعم من أن يكونوا مجتمعين فى حديث واحد أو متفرقين فى أحاديث وفيه ايماء الى أن أفضل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة بقية العشرة على ما صرح به السيوطى فى النقاية

(الفصل الاول) (عن عمر رضى الله عنه) أى موقوفا (قال) أى قرب موته يوم الشورى (ما أحد أحق بهذا الامر) أى أمر الخلافة (من هؤلاء النفر) وهو من ثلاثة الى عشرة (الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض) اى فى كمال الرضا بحيث انه كان معلوما لكل أحد بلا شبهة أو المراد بالرضا الرضا المخصوص وهو الذى يستحقون به الخلافة قال الطيبى على الاحقية بقوله ورسول الله عنهم راض والحال انه صلى الله عليه وسلم كان راضيا عن الصحابة كلهم فيحمل رضاه عنهم على الزيادة لكونهم من العشرة المبشرة بالجنة وكلهم من قريش والائمة منهم (فسمى عليا) أى فعده (وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن) أى فهم أفضل الناس فى ذلك الزمان فلما دفن عمر أجمعوا على خلافة عثمان وسيأتى ترجمة الاربعة عند ذكر كل منهم منفردا ان شاء الله تعالى ثم اعلم ان اقتصار عمر على الستة من العشرة لا اشكال فيه لانه منهم وكذلك أبو بكر ومنهم أبو عبيدة وقد مات قبل ذلك وأما سعيد بن زيد فهو ابن عم عمر فلم يسمه عمر فيهم مبالغة فى التبرى وقد صرح من رواية المدائنى بأسانيده ان عمر عد سعيد بن زيد فيمن مات النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض الا أنه استثناه من أهل الشورى لقرابته منه (رواه البخارى) وفى الرياض عن عمرو بن ميمون انهم قالوا لعمر بن الخطاب لما طعنه أبو لؤلؤة أوص يا أمير المؤمنين واستخلف قال ما أرى أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وطلحة وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص قال ويشهد عبد الله بن عمر وليس له من الامر شئ كهيئة

فصبرنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت فاعاد عليه ما قال فضربه برجله وقال اللهم عافه أو اشفه شك الراوى قال فما اشتكيت وجعى بعد رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح

(باب مناقب العشرة رضى الله عنهم)

(الفصل الاول) عن عمر قال ما أحد أحق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن رواه البخارى

وعن قيس بن أبي حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد رواه البخاري

التعزية له فان أصاب الأمر سعدا فهو ذاك والا فليستعن به أيكم ما أمر فاني لم أعزله من عجز ولا خيانة فلما توفي وفرغ من دفنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبد الرحمن اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمري الى علي وقال سعد قد جعلت أمري الى عبد الرحمن وقال طلحة قد جعلت أمري الى عثمان فخلا هؤلاء الثلاثة علي وعثمان وعبد الرحمن فقال عبد الرحمن للآخرين أيكما يتبرأ من هذا الامر ويجعله اليه والله عليه والاسلام لينظرن الى أفضلهم في نفسه وليحرص على صلاح الامة قال فاسكت الشيخان علي وعثمان فقال عبد الرحمن أفتجعلونه الي والله علي أن لا آلو عن أفضلكم قالا نعم فأخذ بيد علي فقال ان لك من القدم والاسلام والقرابة ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن ثم خلا بعثمان فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال لعثمان ارفع يدك فبايعه ثم بايعه علي ثم ولج أهل الدار فبايعوه أخرجه البخاري وأبو حاتم وفي رواية ذكرها ابن الجوزي في كتاب منهاج أهل الاصابة في محبة الصحابة ان عبد الرحمن لما قال لعلي وعثمان أفتجعلونه الي قالا نعم قال لعلي أبايعك على سيرة أبي بكر وعمر فقال علي واجتهاد رأيي فخاف أن يترخص من المباح ما لا يحتمله من ألف ذلك التشدد من سيرة الشيخين فقال لعثمان أبايعك على سيرة أبي بكر وعمر فقال نعم فبايعه فسار سيرة أبي بكر وعمر مدة ثم ترخص في مباحات ولم يحملوها حتى أنكروا عليه وأخرج أبو الخير القزويني الحاكمي عن أسامة بن زيد عن رجل منهم انه كان يعني عبد الرحمن بن عوف كلما دعا رجلا منهم يعني من أهل الشورى تلك الليلة وذكر مناقبه وقال انك لها أهل فان أخطأتك فمن يقول ان أخطأتني فعثمان اه والحكمة في ترتيب الامر بعد ما قاله بعض العارفين من انه أراد الله أن يتشرف كل منهم بمنصب الخلافة وكان أمر الله قدرا مقدورا وكان ذلك في الكتاب مسطورا وقد أجاب محمد بن جرير الطبري لما قيل له ان العباس مع جلالته وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزلته لم يدخله في الشورى فقال انه انما جعلها في أهل السبق من المهاجرين البدريين والعباس لم يكن مهاجرا ولا سابقا ولا بدريا وسيأتي أن عثمان وطلحة وسعيدا في حكم أهل بدر بحيث أعطى لهم من سهمها وأجرها ثم اعلم أن الامامة تثبت اما بعقدها من أهل العقد والحل لمن عقدت له من أهلها كأبي بكر واما بنص من الامام على استخلاف واحد من أهلها كعمر ويجوز نصب المفضول مع وجود من هو أفضل منه باجماع العلماء بعد الخلفاء الراشدين على امامة بعض من قريش مع وجود أفضل منه منهم ولان عمر جعل الخلافة بين ستة منهم عثمان وعلي وهما أفضل زمانهما بعد عمر فلو تعين الافضل لعين عمر عثمان أو عليا فدل عدم تعيينه أنه يجوز نصب غيرهما مع وجودهما اذ غير الافضل قد يكون أقدر منه على القيام بمصالح الدين وأعرف بتدبير الملك وأوفق لانتظام حال الرعية وأوثق في اندفاع الفتنة واما اشتراط العصمة في الامام وكونه هاشميا وظهور معجزة على يديه يعلم بها صدقه فمن خرافات الشيعة وجهالاتهم وتوطئة وتمهيد لهم على ضلالاتهم من بطلان خلافة غير علي مع انتفاء ذلك في علي كرم الله وجهه (وعن قيس بن أبي حازم) قال المؤلف بجلي أدرك زمن الجاهلية وأسلم وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه فوجده قد توفي يعد في تابعي الكوفة روى عن العشرة الا عن عبد الرحمن بن عوف وعن جماعة كثيرة سواهم من الصحابة وليس في التابعين من روى عن تسعة من العشرة الا هو وروى عنه جماعة كثيرة من التابعين شهد النهروان مع علي بن أبي طالب وطال عمره حتى جاوز المائة ومات سنة ثمان وتسعين (قال رأيت يد طلحة شلاء) بتشديد اللام فعلاء من الشلل وهو نقص في الكف وبطلان العمل وليس معناه القطع كما زعم بعضهم (وقى) استئناف بيان علة (بها) أي حفظ بها (النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد) أي جعل يده وقاية له يومئذ فحصل لها ما حصل بسببه من طعنة وقعت عليها (رواه البخاري) قال المؤلف هو طلحة بن عبد الله يكنى أبا محمد القرشي أسلم قديما وشهد المشاهد كلها غير بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان بعثه مع سعيد بن زيد يتعرفان خبر العير التي كانت لقريش مع أبي سفيان بن حرب فعادا يوم اللقاء ببدر وجرح يوم أحد أربعا وعشرين جراحة

قيل كانت فيه بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية وكان آدم كثير الشعر حسن الوجه قتل في وقعة يوم الجمل يوم الخميس لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ودفن بالبصرة وله أربع وستون سنة (وعن جابر قال قال النبي) وفي نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم من يأتيني) باثبات الياء التي هي لام الفعل فمن هذه موصولة وفي نسخة صحيحة بحذفها تخفيفا أو على ان من شرطية محذوفة الجواب والمعنى من يجيئني (بخبر القوم) أي قوم الكفار (يوم الاحزاب) وهو يوم الخندق (قال الزبير أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا) بتشديد الياء ويجوز تخفيفها أي ناصرا مخلصا (وحواري) بتشديد الياء المفتوحة وفي نسخة بكسرها وفي نسخة وحواريي (الزبير) وفي شرح مسلم قال القاضي عياض ضبط جماعة من المحققين بفتح الياء المشددة وضبط أكثرهم بكسرها اه ولا يخفى أن الاخير يحتمل أن يكون بعد الياء المشددة ياء الاضافة مفتوحة على وفق القراءة المتواترة في قوله تعالى ان وليي الله الذي نزل الكتاب ويحتمل أن يكون ياء الاضافة ساكنة تحذف وصلا وتثبت وقفا ويحتمل أن يكون بالياء المشددة المكسورة فقط كما روي عن السوسي في أن ولي الله بكسر الياء المشددة ثم لا يخفى انه على تقدير الياء المشددة المفتوحة أو المكسورة بلا ياء الاضافة ينبغي أن يكون مرسوما بياء واحدة كما وجدناه في بعض النسخ المصححة ومنها نسخة الجزري وهو الظاهر من نقل النووي والموافق للرسم القرآني ثم توجيه المشددة بلا ياء بعدها هو انه جاء الحواري بتخفيف الياء وقد قرئ قال الحوارون بالتخفيف شاذا فالثانية ياء اضافة وهي قد تكون مفتوحة وقد تكون ساكنة وتكسر لالتقاء الساكنين هذا وفي شرح السنة المراد منه الناصر وحواري عيسى عليه السلام انصاره سموا به لانهم كانوا يغسلون الثياب فيحورونها أي يبيضونها قال المؤلف هو الزبير بن العوام أبو عبد الله القرشي وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم أسلم قديما وهو ابن ست عشرة سنة فعذبه عمه بالدخان ليترك الاسلام فلم يفعل وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول من سل السيف في سبيل الله وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد كان أبيض طويلا يميل الى الخفة في اللحم قتله عمرو بن جرموز بسفوان بفتح السين والفاء من أرض البصرة سنة ست وثلاثين وله أربع وستون سنة ودفن بوادي السباع ثم حول الى البصرة وقبره مشهور بها وروى عنه ابناه عبد الله وعروة وغيرهما (متفق عليه) وفي الجامع ان لكل نبي حواريا وان حواري الزبير رواه البخاري والترمذي عن جابر والترمذي والحاكم عن علي وفي الرياض عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير أخرجه البخاري والترمذي والحاكم بزيادة ولفظه ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير وأخرجه الترمذي عن علي وقال حسن صحيح وأخرجه أحمد عن عبد الله بن الزبير بزيادة ولفظه لكل نبي حواري والزبير حواري وابن عمتي (وعن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتي بني قريظة) أي من يذهب اليهم وهم طائفة من اليهود من سكان حوالي المدينة (فيأتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه) أي في الفداء (فقال فداك أبي وأمي) بفتح الفاء وقد يكسر وفي هذه التفدية تعظيم لقدره واعتداد بعمله واعتبار بأمره وذلك لان الانسان لا يفدي الا من يعظمه فيبذل نفسه أو أعز أهله له وقال صاحب النهاية في الحديث فاغفر فداء لك ما اقتفينا اطلاق هذا اللفظ مع الله تعالى محمول على المجاز والاستعارة لانه انما يفدي من المكاره من تلحقه فيكون المراد بالفداء التعظيم (متفق عليه) وأخرجه الترمذي وقال حديث حسن وهذا القول لمن ينقل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب لغيره وأخرج أحمد عنه قال جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه يوم أحد والمشهور في ذلك اليوم انه كان لسعد ويحتمل أن يكون جمعهما لهما واشتهر في سعد لكثرة ترديد القول له بذلك وقد روي عنه أنه قال جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه مرتين في أحد وفي

وعن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر القوم يوم الاحزاب قال الزبير أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواريا وحواري الزبير متفق عليه وعن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال فداك أبي وأمي متفق عليه

وعن علي قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع أبويه لاحد الا لسعد بن مالك فاني سمعته يقول يوم أحد يا سعد ارم فداك أبي وأمي متفق عليه وعن سعد بن أبي وقاص قال اني لاول العرب رمى بسهم في سبيل الله متفق عليه وعن عائشة قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا يحرسني اذ سمعنا صوت سلاح فقال من هذا قال أنا سعد قال ما جاء بك قال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام متفق عليه وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح

قريظة وعن عروة قال أوصى الزبير الى ابنه عبد الله صبيحة الجمل فقال يا بني ما من عضو الا وقد جرح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى ذلك الى الوجه أخرجه الترمذي وقال حسن غريب وعن عبد الله بن الزبير قال قلت الزبير ما يمنعك أن تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث عنه أصحابه فقال أما والله لم أفارقه منذ أسلمت ولكني سمعته يقول من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار أخرجه البخاري (وعن علي رضي الله عنه قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم جمع أبويه) أي في الفداء (لاحد) أي من الصحابة (الا لسعد بن مالك فاني سمعته يقول يوم أحد يا سعد ارم فداك أبي وأمي) قيل الجمع بينه وبين خبر الزبير ان عليا لم يطلع على ذلك أو أراد بذلك تقييده بيوم أحد اهـ والظاهر الاطلاق المقيد بنفي السماع بلا واسطة وهو لا ينافي انه اطلع على تفديه الزبير بواسطة خبر قال المؤلف سعد بن أبي وقاص يكنى أبا اسحق واسم أبي وقاص مالك بن وهيب الزهري القرشي أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة سنة وقال كنت ثالث الاسلام وأنا أول من رمى بسهم في سبيل الله شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مجاب الدعوة مشهورا بذلك تخاف دعوته وترجى لاشتهار اجابتها عندهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه اللهم سدد سهمه وأجب دعوته وجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم وللزبير أبويه فقال لكل واحد منهما فداك أبي وأمي ولم يقل ذلك لاحد غيرهما وكان آدم أشعر الجسد مات في قصره بالعقيق قريبا من المدينة فحمل على رقاب الرجال الى المدينة وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة ودفن بالبقيع سنة خمس وخمسين وله بضع وسبعون سنة وهو آخر العشرة موتا وولاه عمر وعثمان الكوفة فروى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين (متفق عليه وعن سعد بن أبي وقاص قال اني لاول العرب) التعريف فيه للجنس وقوله (رمى بسهم في سبيل الله) صفته فهو كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * ذكره الطيبي وخلاصته ان رمى صفة أول أي أول عربي رمى والادم في العرب للجنس المحمول على العهد الذهني (متفق عليه) وتمامه على ما في الرياض ولقد كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق الحبلة وهذا السمر حتى ان كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط أخرجه الشيخان وعن عامر بن سعد قال بينا سعد في ابله فجاءه ابنه عمر فلما رآه سعد قال أعوذ بالله من شر الراكب فقال له نزلت في ابلك وتركت بنيك يتنازعون الملك بينهم فضرب سعد صدره وقال اسكت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي أخرجه مسلم قال ابن قتيبة كان آخر العشرة موتا وقال الفضائلي بل كان آخر المهاجرين وفاة (وعن عائشة قالت سهر) كفرح أي لم ينم وفي رواية أرق (رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه) أي وقت قدومه (المدينة ليلة) وفي رواية ذات ليلة قال الطيبي قوله مقدمه مصدر ميمي ليس بظرف لعمله في المدينة ونصبه على الظرفية على تقدير مضاف وهو الوقت أو الزمان وليلة بدل البعض من المقدر أي سهر ليلة من الليالي وقت قدومه المدينة من بعض الغزوات (فقال ليت رجلا صالحا) وفي رواية من أصحابي (يحرسني) بضم الراء وفي رواية الليلة أي يحفظني بقية الليلة لأنام مستريح الخاطر مطمئن القلب (اذ سمعنا) وفي رواية فسمعنا (صوت سلاح) بكسر أوله وفي رواية خشخشة السلاح (فقال من هذا قال أنا سعد قال ما جاء بك قال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه) وفي رواية أحرسك (فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام) وفي رواية حتى سمعنا غطيطه (متفق عليه) وفي الرياض أخرجه مسلم والترمذي (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل أمة) وفي رواية ان لكل أمة (أمين) أي ثقة ومعتمد ومرضي (وأمين هذه الامة) وفي رواية وان أميننا أيتها الامة (أبو عبيدة بن الجراح) بتشديد الراء وانما خصه بالامانة وان كانت مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة لغلبتها فيه بالنسبة اليهم وقيل لكونها غالبة بالنسبة الى سائر صفاته وأخرج أبو حذيفة في فتوح الشام ان أبا بكر لما توفي وخالد على الشام واليا واستخلف عمر كتب الى أبي عبيدة بالولاية على الجماعة وعزل خالدا فكتم أبو عبيدة الكتاب من خالد وغيره حتى انقضت الحرب وكتب خالد الامان لاهل

دمشق وأبو عبيدة الامير وهم لا يدرون ثم لما علم خالد بذلك بعد مضي نحو من عشرين ليلة دخل على أبي عبيدة وقال يغفر الله لك جاءك كتاب أمير المؤمنين بالولاية فلم تعلمني وتصلي خلفي والسلطان سلطانك فقال له أبو عبيدة ويغفر الله لك ما كنت لأعلمك حتى تعلمه من غيري وما كنت لا كسر عليك حربك حتى ينقضي ذلك كله وقد كنت أعلمك ان شاء الله تعالى وما سلطان الدنيا أريد ولا للدنيا أعمل وان ما ترى سيصير الى زوال وانقطاع وانما نحن اخوان وقوام بأمر الله عز وجل وما يضر الرجل ان يلي عليه اخوه في دينه ولا دنياه بل يعلم أن الوالي يكاد أن يكون أدناهما الى الفتنة وأوقعهما في الخطيئة لما تعرض من الهلكة الا من عصم الله عز وجل وقليل ماهم فدفع أبو عبيدة عند ذلك الكتاب الى خالد وتوفي رضي الله عنه بالأردن بضم الهمزة وتشديد النون كورة بأعلى الشام سنة ثمان عشرة في خلافة عمر وهو ابن ثمان وخمسين (متفق عليه) وروى أحمد عن عمر مرفوعا ان لكل نبي أمينا وأميني أبو عبيدة بن الجراح وعن حذيفة جاء السيد والعاقب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ابعث معنا أمينك فقال سابعث معكم أمينا حق أمين فتشرفت لها الناس فبعث أبا عبيدة أخرجه الشيخان وعن أبي مسعود قال لما جاء العاقب والسيد صاحبا نجران أرادا أن يلاعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما لصاحبه لا تلاعنه فوالله لئن كان نبيا ولاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا أبدا قال فأتياه فقالا لا نلاعنك ولكنا نعطيك ما سألت فابعث معنا رجلا أمينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأبعث رجلا أمينا حق أمين قال فاستشرف لها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قفى قال هذا أمين هذه الامة أخرجه أحمد وأخرجه الترمذي وقال فبعث أبا عبيدة مكان قم يا أبا عبيدة ولم يذكر ما بعده ومن كلامه بادروا السيآت القديمات بالحسنات الحادثات والارب مبيض لثيابه مدنس لدينه والارب مكرم لنفسه وهو لها مهين قال المؤلف هو عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري القرشي أسلم مع عثمان بن مظعون وهاجر الى الحبشة الهجرة الثانية وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت معه يوم أحد ونزع الحلقتين اللتين دخلتا في وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد من حلق المغفر فوقعت ثنيتاه كان طوالا معروف الوجه خفيف اللحيتين مات في طاعون عمواس بفتح العين بالاردن سنة ثمان عشرة ودفن ببيسان وصلى عليه معاذ بن جبل وهو ابن ثمان وخمسين سنة يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في فهر بن مالك روى عنه جماعة من الصحابة (وعن ابن أبي مليكة) بالتصغير قال المؤلف هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة واسم أبي مليكة زهير بن عبد الله التيمي القرشي الاحول من مشاهير التابعين وعلمائهم وكان قاضيا على عهد عبد الله بن الزبير سمع ابن عباس وابن الزبير وعائشة وروى عنه ابن جريج وخلق كثير سواهم مات سنة سبع عشرة ومائة (قال سمعت عائشة وسئلت) اي والحال انها سئلت (من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا) أي جاعلا خليفة له (لو استخلفه) أي صريحا على الفرض (قالت أبو بكر فقيل ثم من) بفتح الميم أي الذي (بعد أبي بكر قالت عمر قيل من بعد عمر قالت أبو عبيدة بن الجراح) ففيه ان اعتقاد عائشة على أن أبا عبيدة كان أولى بالخلافة بعد الشيخين من بقية أصحاب الشورى (رواه مسلم وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء) بكسر الحاء منصرفا وقد لا ينصرف (هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله) وفي نسخة لنبي (صلى الله عليه وسلم اهدأ) بفتح الدال وسكون الهمز أي اسكن (فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد) يريد به الجنس لان المذكور في الحديث بعد الصديق كلهم شهداء ثم أو للتنويع أو بمعنى الواو وقال النووي في الحديث معجزات لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاخباره ان هؤلاء شهداء فقتل عمر وعثمان وعلي مشهور وقتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفا تاركا للقتال وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركا للقتال فأصابه سهم فقتله وقد ثبت ان من قتل ظلما فهو شهيد وفيه بيان فضيلة هؤلاء وفيه اثبات التمييز في الحجارة وجواز التزكية اه وأغرب السيد جمال الدين حيث قال في كون من أصابه سهم مقتولا ظلما تأمل (وزاد بعضهم) أي في

متفق عليه وعن ابن أبي مليكة قال سمعت عائشة وسئلت من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلفه قالت أبو بكر فقيل ثم من بعد أبي بكر قالت عمر قيل من بعد عمر قالت أبو عبيدة بن الجراح رواه مسلم وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدأ فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وزاد بعضهم

الحديث قوله (وسعد بن أبي وقاص ولم يذكر) أي ذلك البعض (عليا) فقوله زاد فيه مسامحة اذ فيه معاوضة ومبادلة ثم تقدم ان سعدا مات في قصره بالعقيق فتوجيه هذه الرواية أن يكون بالتغليب أو كما قال السيد جمال الدين انه ينبغي أن يقال كان موته بمرض من الامراض التي تورث حكم الشهادة اهـ ومع هذا فيه نوع تغليب كما لا يخفى (رواه مسلم) وعن عبد الله بن سالم عن سعيد بن زيد قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حراء فتحرك فقال اثبت حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد قيل من هم يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وعبد الرحمن بن عوف قال قيل فمن العاشر قال أنا أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وفي الرياض انه مات بالمدينة على فراشه فتوجه شهادته انه شهيد حكمي كسعد وعبد الرحمن حيث ماتا على فراشهما أيضا أو دخلوا في صفة الصديقية ولا بعد فيه فانه قال تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم

(الفصل الثاني) (عن عبد الرحمن بن عوف) قال المؤلف يكنى أبا محمد الزهري القرشي أسلم قديما على يد أبي بكر الصديق وهاجر الى الحبشة الهجرتين وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وثبت يوم أحد وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في غزوة تبوك وأتم ما فاته كان طويلا رقيق البشرة أبيض مشربا بالحمرة ضخم الكفين أقنى أصيب يوم أحد عشرين جراحة أو أكثر فأصابه بعضها في رجله فعرج ولد بعد الفيل بعشر سنين ومات سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله اثنتان وسبعون سنة روى عنه ابن عباس وغيره وفي الرياض كان اسمه في الجاهلية قيل عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ووصفه بانه الصادق البار ذكره الدارقطني (ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة) الظاهر ان هذا الترتيب هو المذكور على لسانه صلى الله عليه وسلم كما يشعر اليه ذكر اسم الراوي بين الاسماء والا كان مقتضى التواضع أن يذكره في آخرهم فينبغي أن يعتمد عليه في ترتيب البقية من العشرة (رواه الترمذي) أي عن عبد الرحمن (ورواه ابن ماجه) وكذا أحمد والضياء والدارقطني (عن سعيد بن زيد) قال المؤلف يكنى سعيد بن زيد أبا الاعور العدوي أسلم قديما وشهد المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم غير بدر فانه كان مع طلحة يطلبان خبر عير قريش وضرب له النبي صلى الله عليه وسلم بسهم وكانت فاطمة أخت عمر تحته وبسببها كان اسلام عمر كان آدم طوالا أشعر مات بالعقيق فحمل الى المدينة ودفن بالبقيع سنة احدى وخمسين وله بضع وسبعون سنة روى عنه جماعة اهـ ولم يذكر المؤلف حديثا يدل على مناقبه منفردا اكتفاء بما سبق عنه في باب الكرامات وفي الرياض عن عمر بن الخطاب ابن عم أبيه كان أبو زيد يطلب دين الحنيفية دين ابراهيم قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكان لا يذبح للانصاب ولا يأكل الميتة ولا الدم وخرج يطلب الدين هو وورقة بن نوفل فتنصر ورقة وأبى هو التنصر فقال له الراهب انك تطلب دينا ما هو على وجه الارض اليوم قال وما هو قال دين ابراهيم كان يعبد الله لا يشرك به شيأ ويصلي الى الكعبة وكان زيد على ذلك حتى مات وعن سعيد بن زيد قال خرج ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو يطلبان الدين حتى مرا بالشام فاما ورقة فتنصر وأما زيد فقيل له ان الذي تطلب أمامك قال فانطلق حتى أتى الموصل فاذا هو براهب قال ما تطلب قال الدين فعرض عليه النصرانية فقال لا حاجة لي فيها وأبى أن يقبلها فقال ان الذي تطلب سيظهر بأرضك فاقبل وهو يقول لبيك حقا حقا تعبدا ورقا مهما يجشمني أي يحملني ويكلفني فاني جاشم عذت بما عاذ به ابراهيم قال ومر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو سفيان بن الحرث يأكلان من سفرة لهما فدعواه الى الغداء فقال يا ابن أخي اني لا آكل مما ذبح على النصب قال فما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث صلى الله عليه وسلم قال فأتاه سعيد بن زيد فقال ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له فقال نعم فاستغفر له

وسعد بن أبي وقاص ولم يذكر عليا رواه مسلم

(الفصل الثاني) عن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن ابن عوف في الجنة وسعد ابن أبي وقاص في الجنة وسعيد ابن زيد في الجنة وأبو عبيدة ابن الجراح في الجنة رواه الترمذي ورواه ابن ماجه عن سعيد بن زيد

وقال انه يبعث يوم القيامة أمة واحدة أخرجه ابن عمرو عن أسماء قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيري وكان يحيي الموؤدة ويقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها وأنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها أخرجه البخاري وعن أبي سعيد عن أبيه قال في قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها نزلت في ثلاثة نفر كانوا يوحدون الله عز وجل زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبي أخرجه الواحدي وأبو الفرج في أسباب النزول (وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم أمتي) أي أكثرهم رحمة (بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله) أي أقواهم في دين الله كما في رواية (عمر وأصدقهم حياء عثمان وأفرضهم) أي أكثرهم علما بالفرائض (زيد بن ثابت) أي الانصاري كاتب النبي صلى الله عليه وسلم وكان حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم له احدى عشرة سنة وكان أحد فقهاء الصحابة الاجلة القائم بالفرائض وهو أحد من جمع القرآن وكتبه في خلافة أبي بكر ونقله من المصحف في زمن عثمان روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة خمس وأربعين وله ست وخمسون سنة (وأقرؤهم) أي أعلمهم بقراءة القرآن (أبي بن كعب) أي الانصاري الخزرجي كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكناه أبا المنذر وعمر أبا الطفيل وسماه النبي صلى الله عليه وسلم سيد الانصار وعمر سيد المؤمنين مات بالمدينة سنة تسع عشرة روى عنه خلق كثير (وأعلمهم بالحلال والحرام) وفي نسخة بالحرام والحلال (معاذ بن جبل) يكنى أبا عبد الله الانصاري الخزرجي وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الانصار وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وبعثه صلى الله عليه وسلم الى اليمن قاضيا ومعلما روى عنه عمر وابن عمر وابن عباس وخلق سواهم وأسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة في قول بعضهم واستعمله عمر على الشام بعد أبي عبيدة بن الجراح فمات في عامه ذلك من طاعون عمواس سنة ثماني عشرة وله ثمان وثلاثون سنة وقيل غير ذلك (ولكل أمة أمين) أي مبالغ في الامانة (وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح) ومما يدل على كمال زهده ما ذكره في الرياض عن عروة بن الزبير قال لما قدم عمر بن الخطاب من الشام تلقاه أمراء الاجناد وعظماء الارض فقال عمر أين أخي قالوا من قال أبو عبيدة قالوا يأتيك الآن فلما أتاه نزل فاعتنقه ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته الا سيفه وترسه ورحله فقال عمر ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك فقال يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل أخرجه صاحب الصفوة والفضائلي وزاد بعد قوله ويأتيك الآن فجاء على ناقة مخطومة بحبل وفي رواية ان عمر قال له اذهب بنا الى منزلك قال فدخل منزله فلم ير شيأ قال أين متاعك ما أرى الا لبدا وصحفة وسيفا وأنت أمير أعندك طعام فقام أبو عبيدة الى جوبة فأخذ منها كسرات فبكى عمر وقال غرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة (رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وروي) بصيغة المجهول أي الحديث (عن معمر عن قتادة مرسلا) أي بحذف الصحابي (وفيه) أي في هذا المروي (وأقضاهم علي) أي أعلمهم بأحكام الشرع قاله شارح والاظهر ان معناه أعلم بأحكام الخصومة المحتاجة الى القضاء قال النووي في فتاويه قوله أقضاكم علي لا يقتضي انه أقضى من أبي بكر وعمر لانه لم يثبت كونهما من المخاطبين وان ثبت فلا يلزم من كون واحد أقضى من جماعة كونه أقضى من كل واحد يعني لاحتمال التساوي مع بعضهم ولا يلزم من كون واحد أقضى أن يكون أعلم من غيره ولا يلزم من كونه أعلم كونه أفضل يعني لا يلزم من كونه أكثر فضيلة كونه أكثر مثوبة كذا في الازهار وفيه بحث لان المدار عندنا على الظاهر اذ لا نطلع نحن على السرائر وقد قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم وأما حديث ما فضلكم أبو بكر بفضل صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه فقد ذكره الغزالي بلفظ ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صوم وقال العراقي لم أجده مرفوعا وهو عند الحكيم الترمذي من قول بكر بن عبد الله المزني نعم لو لوحظ اعتبار

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبي بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح رواه أحمد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وروي عن معمر عن قتادة مرسلا وفيه وأقضاهم علي

وعن الزبير قال كان على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعان فنهض الى الصخرة فلم يستطع فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أوجب طلحة رواه الترمذي

وعن جابر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طلحة ابن عبيد الله قال من أحب أن ينظر الى رجل يمشي على وجه الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى هذا وفي رواية من سره أن ينظر الى شهيد

الاسبقية في أكثرية الثواب الاخر وبعد المشاركة في سائر الابواب لكان له وجه وجيه الى صوب الصواب فقد قالوا المعتبر في السبق هو ايمان أبي بكر وان شاركه علي وخديجة وزيد اذ ايمان الصغير والمرأة والمولى لاسيما وهم من الاتباع ليس له شان عند الاعداء ولهذا اقوى الايمان بحمزة وعز باسلام عمر كما قال عز وجل فعززنا بثالث والحاصل أن الاحاديث متعارضة والادلة متناقضة فالعبرة بما اتفق عليه جمهور الصحابة وبما أجمع عليه أئمة أهل السنة ومع هذا المسئلة ظنية لا يقينية خلافا لمن خالف وقد صرح شيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردي حيث قال في علم الهدى فان قبلت النصح فامسك عن التصرف في أمرهم واجعل محبتك للكل على السواء من غير أن ترجح محبة أحدهم على الآخر وامسك عن التفضيل ولغلو وان خامر باطنك فضل احدهم على الآخر فاجعل ذلك من جملة اسرارك فلا يلزمك اظهاره ولا يلزمك أن تحب أحدهم أكثر من الآخر أو تعتقد فضله أكثر من الآخر بل يلزمك محبة الجميع والاعتراف بفضل الجميع ويكفيك في العقيدة السليمة أن تعتقد صحة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ثم تعلم أن عليا ومعاوية كانا على القتال والخصام وكان الطائفتان يسب بعضهم بعضا وما حكم أحد منهم بكفر الآخرين وانما كانت ذنوبا لهم فلا تكفر أحدا بما ترى منه من الجدل والسب واعتقد ان أمير المؤمنين عليا اجتهد في الخلافة وأصاب في الاجتهاد وكان أحق الناس بالخلافة اذ ذاك وان معاوية اجتهد في ذلك وأخطأ في الاجتهاد ولم يكن مستحقا لها مع علي رضي الله عنه والله تعالى ينفعنا بحبهم ويحشرنا في زمرتهم (وعن الزبير قال كان على النبي صلى الله عليه وسلم درعان يوم أحد) أي مبالغة في قوله تعالى خذوا حذركم وقوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة فانه اشتمل لدرع وان فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأقوى افرادها حيث قال الا ان القوة الرمي (فنهض) أي فقام منتهيا أو متوجها (الى الصخرة) أي التي كانت هناك ليستوي عليها وينظر الى الكفار ويشرف على الابرار ويظهر للفرار والكرار وفي رواية فذهب لينهض على صخرة (فلم يستطع) أي لثقل درعيه (فقعد طلحة تحته) أي وجعل نفسه تحته وبه ذا رفع قدره وفي رواية فبرك طلحة تحته (حتى استوى) أي النبي وفي رواية فصعد على الصخرة (فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أوجب طلحة) أي الجنة كما في رواية والمعنى انه أثبتها لنفسه بعمله هذا أو بما فعل في ذلك اليوم فانه خاطر بنفسه يوم أحد وفدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلها وقاية له حتى طعن ببدنه وجرح جميع جسده حتى شلت يده وجرح ببضع وثمانين جراحة (رواه الترمذي) وكذا أحمد وقال الترمذي حسن صحيح وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان عتبة بن أبي وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فكسر رباعيته اليمنى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهري شجه في جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته فدخل حلقتان من حلق الدرع في وجنته ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرة من الحفر التي عمل عامر ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ علي بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ومص مالك بن سنان أبو سعيد الخدري الدم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من مس دمه دمي لم تمسه النار أخرجه ابن اسحق (وعن جابر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى طلحة بن عبيد الله قال) استئناف أو حال (من أحب أن ينظر الى رجل يمشي على وجه الارض وقد قضى نحبه) أي نذره والمراد به الموت أي مات وان كان حيا (فلينظر الى هذا) قال السيوطي في مختصر النهاية النحب النذر كأنه ألزم نفسه أن يصدق أعداء الله في الحرب فوفى به وقيل الموت كأنه الزم نفسه أن تقاتل حتى تموت وقال التوربشتي النذر والنحب المدة والوقت ومنه يقال قضى فلان نحبه اذا مات وعلى المعنيين يحمل قوله سبحانه فمنهم من قضى نحبه فعلى النذر أي نذره فيما عاهد الله عليه من الصدق في مواطن القتال والنصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الموت أي مات في سبيل الله وذلك انهم عاهدوا الله أن يبذلوا نفوسهم في سبيله فأخبر ان طلحة ممن وفى بنفسه أو ممن ذاق الموت في سبيله وان كان حيا ويدل عليه قوله (وفي رواية من سره) أي أحبه وأعجبه وأفرحه (أن ينظر الى شهيد

يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله) وكان طلحة قد جعل نفسه يوم أحد وقاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول عقرت يومئذ في سائر جسدي حتى عقرت في ذكري وكانت الصحابة رضي الله عنهم اذا ذكروا يوم أحد قالوا ذاك يوم كان كله لطلحة وأقول الرواية الثانية يحتمل أن تكون ايماء الى حصول الشهادة في مآله الدالة على حسن خاتمته وكماله وفي شرح الطيبي قال شيخنا شيخ الاسلام أبو حفص السهروردي ان هذا ليس على سبيل المجاز مغيابه التعبير بالحال عن المآل بل هو ظاهر في معناه جلي من حيث فحواه اذ الموت عبارة عن الغيبوبة عن عالم الشهادة وقد كان هذا حاله من الانجذاب بكليته الى عالم الملكوت وهذا انما يثبت بعد احكام المقدمات من كمال التقوى والزهد في الدنيا والخروج من الارتهان بنظر الخلق وامتطاء صهوة الاخلاص وكمال الشغل بالله عز وجل بتناوب أعمال القلب والقالب وصدق العزيمة في العزلة واغتنام الوحدة والفرار عن مساكنة الانس بالجلساء والاخوان (رواه الترمذي) ووافقه الحاكم في الرواية الثانية بلفظ من أحب بدل من سره وروى ابن ماجه عن جابر وابن عساكر عن أبي هريرة وأبي سعيد طلحة شهيد يمشي على وجه الارض وروى الترمذي وابن ماجه عن معاوية وابن عساكر عن عائشة طلحة ممن قضى نحبه وفي الرياض عن موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية فقال ألا أبشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه أخرجه الترمذي وقال غريب وعن طلحة ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترؤن على مسألته يوقرونه ويهابونه فسأله الاعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر فلما رآني النبي صلى الله عليه وسلم قال أين السائل عمن قضى نحبه قال الاعرابي أنا يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه أخرجه الترمذي وقال حسن غريب وفي الرياض ان محمدا ولده وهو السجاد سمي به لكثرة عبادته ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فسموه محمدا وكنوه أبا القاسم فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم سماه محمدا وكناه أبا سليمان وقال لا أجمع بين اسمي وكنيتي أخرجه الدارقطني وروي ان عليا مر به قتيلا فقال هذا السجاد قتله بره بأبيه رواه الدارقطني (وعن علي رضي الله عنه قال سمعت اذني) بضم الذال و يسكن (من في رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي من فمه وقوله اذني للمبالغة على طريق رأيت بعيني (يقول) وفي رواية وهو يقول (طلحة والزبير جاراي في الجنة) وهو كناية عن كمال قربهما له (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) وكذا رواه الحاكم (وعن سعد بن أبي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ يعني يوم أحد) هذا تفسير من روى بعد سعد (اللهم اشدد) بضم الدال الاولى أي قو (رميته) بفتح فسكون أي رميه وفي رواية سدد سهمه (وأجب دعوته رواه) أي البغوي (في شرح السنة) وعنه أي عن سعد (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم استجب) أي الدعاء (لسعد) أي ابن أبي وقاص على ما فهم من الترمذي (اذا دعاك) أي كلما دعاك (رواه الترمذي) وأخرجه أيضا عن قيس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحديث (وعن علي رضي الله عنه قال ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه وأمه) أي في التفدية وفي رواية أبويه (لاحد الا لسعد) أي يوم أحد أو بناء على سماعه ويؤيد الاول قوله (قال له) أي لا لغيره (يوم أحد ارم فداك أبي وأمي) بفتح الفاء وقد يكسر (وقال له) أي أيضا (ارم أيها الغلام) أي الشاب القوي (الحزور) بفتح الحاء المهملة والزاي والواو المشددة وفي نسخة بسكون الزاي وتخفيف الواو ولد الاسد ذكره شارح وفي النهاية وهو الذي قارب البلوغ والجمع الحزاورة ذكره الطيبي قال السيد جمال الدين هذا أصل معناه ولكن المراد هنا الشاب لان سعدا جاوز البلوغ يومئذ اه وقد سبق انه أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة فليحمل على انه قارب بلوغ كمال الرجولية في الشجاعة ففي القاموس الحزور كعملس الغلام القوي والرجل القوي (رواه الترمذي) وفي رواية غير سعد بن مالك فانه جعل يقول له يوم أحد ارم فداك أبي وأمي رواه مسلم والترمذي وقال حسن صحيح وأخرجه من طريق آخر ولفظه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله رواه الترمذي وعن علي قال سمعت أذني من في رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة والزبير جاراي في الجنة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن سعد بن أبي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ يعني يوم أحد اللهم اشدد رميته وأجب دعوته رواه في شرح السنة وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم استجب لسعد اذا دعاك رواه الترمذي وعن علي قال ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه وأمه الا لسعد قال له يوم أحد ارم فداك أبي وأمي وقال له ارم أيها الغلام الحزور رواه الترمذي

يفدي أحدا بأبويه الحديث وقال حسن صحيح وأخرجه من طريق آخر ولفظه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم أفدى رجلا غير سعد فانه قال يوم أحد ويوم حنين ارم فداك أبي وأمي أخرجه الملا في سيرته وعنه قال جمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم له أبويه يوم أحد قال كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم ارم فداك أبي وأمي قال فنزعت له بسهم ليس فيه نصل فأصبت جبينه فسقط وانكشفت عورته
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه أخرجه الشيخان وأخرج الترمذي منه جمع أبويه
يوم أحد وفي بعض طرقه نثل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته يوم أحد وقال ارم فداك أبي وأمي
أخرجه الشيخان وفي الرياض ان سعدا كان ممن لزم بيته في الفتنة وأمر أهله ان لا يخبروه من اخبار الناس
بشيء حتى تجتمع الامة على الامام وعن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده عام حجة الوداع بمكة من
مرض أشفى فيه فقال سعد يا رسول الله قد خفت ان أموت بالارض التي هاجرت منها فقال صلى الله عليه وسلم
اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا وفيه ذكر الوصية وقوله والثلث كثير وفيه ان صدقتك من مالك صدقة
وان نفقتك على عيالك صدقة وان ما تأكل امرأتك من مالك صدقة أخرجه الشيخان (وعن جابر قال أقبل
سعد) أي الى المجلس الاسعد (فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا خالي) أي من قوم أمي (فليرني) بضم ياء وكسر
راء أي فليبصرني (امرؤ) أي كل امرئ يعني شخص (خاله) أي ليظهر ان ليس لاحد خال مثل خالي (رواه
الترمذي) وقال غريب (وقال) أي الترمذي (وكان سعد من بني زهرة) بضم الزاي حي من قريش (وكانت
أم النبي صلى الله عليه وسلم من بني زهرة) وزهرة اسم امرأة كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
(فلذلك) أي لما ذكر من الكونين (قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا خالي وفي المصابيح فليكرمن) أمر غائب
من الاكرام مؤكدا (بدل فليرني) قال ابن حجر وهو تصحيف قلت بل هو تحريف فقد قال الطيبي الفاء فيه على
تقدير الشرط في الكلام فان الاشارة بهذا لمزيد التمييز وكمال التعيين فهو كالاكرام له أي أنا أكرم خالي
هذا واذا كان كذلك فليتبع كل سنتي فليكرمن كل أحد خاله وعلى رواية الكتاب كما في الترمذي والجامع
تقديره أنا أميز خالي كمال تمييز وتعيين لا باهي به الناس فليرني كل امرئ خاله مثل خالي ونحوه في التمييز قول
الشاعر أولئك آبائي فجئني بمثلهم * اذا جمعتنا يا جرير المجامع

(الفصل الثالث) (عن قيس بن أبي حازم قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول اني لاول رجل من
العرب رمى بسهم في سبيل الله) سبق معناه مع تحقيق مبناه وهذا القدر من الحديث أخرجه الشيخان
(ورأيتنا) أي جماعة من الصحابة (نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام الا الحبلة) بضم الحاء
المهملة وسكون الموحدة ثمر السمر يشبه اللوبيا قاله ابن الاعرابي وقيل ثمر العضاه (وورق السمر) بفتح السين
المهملة وضم الميم شجر معروف واحدته اسمرة وبها سموا كذا في القاموس (وان) مخففة من الثقيلة (كان
أحدنا ليضع) واللام لام الفارقة والمعنى يخرج منه (كما تضع الشاة) أي من البعر والمعنى ان نجواهم يخرج
بعر اليبسه وعدم الغذاء المألوف (ماله خلط) بكسر الخاء المعجمة أي لا يختلط بعضه ببعض لجفافه ويبسه
(ثم أصبحت) أي صارت (بنو اسد) أي قبيلتهم (تعزرني) بتشديد الزاي أي توبخني (على الاسلام) أي على
الصلاة لانها عماد الاسلام أو على عمدة شرائعه والمراد انهم كانوا يؤدبونني ويعلمونني الصلاة ويعيرونني باني
لا أحسنها (لقد خبت) بكسر الخاء المعجمة وسكون الموحدة أي خسرت (اذا) بالتنوين أي اذا لم أحسن
الصلاة وافتقر الى تعليم بني أسد اياي (وضل عملي) أي جميع طاعاتي ومجاهداتي ومسابقتي في الاسلام
وصدق قدمي في الدين (وكانوا) أي بنو اسد حين ولاه عمر العراق (وشوا) بفتح الشين المخففة أي نموا وسعوا
(به) أي بعيبه على زعمهم (الى عمر رضي الله عنه) أي بالرسالة أو الكتابة (وقالوا لا يحسن) أي سعد
(الصلاة) أي أركانها أو شرائطها أو سننها ومراعاة أحوالها هذا وفي النهاية التعزير الاعانة والتوقير والنصرة
مرة بعد مرة قلت ومنه قوله تعالى وتعزروه وتوقروه قال وأصل التعزير المنع والرد وكان من نصرته قد

وعن جابر قال أقبل سعد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا خالي فليرني امرؤ خاله رواه الترمذي وقال كان سعد من بني زهرة وكانت أم النبي صلى الله عليه وسلم من بني زهرة فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا خالي وفي المصابيح فليكرمن بدل فليرني

(الفصل الثالث) عن قيس بن أبي حازم قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول اني لاول رجل من العرب رمى بسهم في سبيل الله ورأيتنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام الا الحبلة وورق السمر وان كان أحدنا ليضع كما تضع الشاة ماله خلط ثم أصبحت بنو اسد تعزرني على الاسلام لقد خبت اذا وضل عملي وكانوا وشوا به الى عمر وقالوا لا يحسن الصلاة

رددت عنه اعداءه ومنعتهم من اذاه ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحد تعزير لانه يمنع الجاني ان يعاود الذنب وهو من الاضداد ومنه حديث سعد أصبحت بنو أسد تعزرني على الاسلام أي توقفني عليه وقيل توبخني على التقصير فيه قال الطيبي عبر عن الصلاة بالاسلام كما عبر عنها بالايمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم ايذانا بانها عماد الدين و رأس الاسلام (متفق عليه) وعن جابر بن سمرة قال شكا أهل الكوفة سعد بن مالك الى عمر فقالوا لا يحسن الصلاة قال سعد أما أنا فكنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمد في الاولين وأحذف في الاخرين فقال عمر ذاك الظن بك أبا اسحق قال فبعث رجالا يسألون عنه في مساجد الكوفة قال ولا يأتون مسجدا من مساجد الكوفة الا أثنوا عليه خيرا وقالوا معروفا حتى أتوا مسجدا من مساجد بني عبس قال فقال رجل يقال له أبا سعدة اللهم انه كان لا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية قال فقال سعد أما والله لادعون بثلاث اللهم ان كان كاذبا فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن فكان بعد ذلك يقول اذا سئل شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد قال جابر بن سمرة فانا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وانه يتعرض للجواري في الطريق فيغمزهن وفي رواية وأما أنا فامد في الاولين وأحذف في الاخرين ولا آلو ما اقتديت به من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر صدقت ذلك الظن بك أو ظني بك أبا اسحق أخرجه البخاري وأخرجه البرقاني على شرطه بنحوهما وقال فقال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر فانا رأيته يتعرض للاماء في السكك واذا قيل له كيف أنت يا أبا سعدة قال كبير مفتون أصابتني دعوة سعد وعنده اللهم ان كان كاذبا فاعم بصره وأطل عمره ثم ذكر ما بعده (وعن سعد قال رأيتني وأنا ثالث الاسلام) والآخران أبو بكر وخديجة ذكره السيوطي وهذا يدل على ان ايمان علي متأخر ويمكن دفعه بان الكلام في البالغ أو في الاجانب (وما أسلم أحد) أي ممن أسلم قبلي (الا في اليوم الذي أسلمت فيه ولقد مكثت) بفتح الكاف وضمها أي لبثت (سبعة أيام) أي على ما كنت عليه من الاسلام ثم أسلم بعد ذلك من أسلم والمعنى مكثت سبعة أيام على هذه الحالة وهي قوله (واني لثلث الاسلام) بضم اللام و يسكن قال أبو عبد الله معنى ثلث الاسلام يعني انه ثالث ثلاثة حين أسلم قال بعض المحققين الجمع بينه و بين خبر عمار رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه الا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر بأن يحمل قول سعد على الاحرار البالغين ليخرج الاعبد المذكورون وعلي أو لم يكن اطلع على أولئك (رواه البخاري وأخرجه البغوي في معجمه) وقال ما أسلم أحد قبلي وقال ستة أيام وعن جابر بن سعد عن أبيه قال لقد رأيتني وأنا ثلث الاسلام أخرجه البخاري وفي رواية الفضائلي ان الاثنين أبو بكر وعلي (وعن عائشة) وفي الرياض عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لنسائه ان أمركن) أي شانكن (مما يهمني) بفتح الياء وضم الهاء وتشديد الميم وفي نسخة بضم فكسر أي مما يوقعني في الهم وفي رواية لمما يهمني (من بعدي) أي من بعد وفاتي حيث لم يترك لهن ميراثا وهن قد آثرن الحياة الآخرة على الدنيا حين خيرن (ولن يصبر عليكن) أي على بلاء مؤنتكن (الا الصابرون) أي على مخالفة النفس من اختيار القلة واعطاء الزيادة (والصديقون) أي كثيرو الصدق في البذل والسخاوة (قالت عائشة يعني) أي يريد بهم (المتصدقين ثم قالت عائشة لابي سلمة بن عبد الرحمن) أي ابن عوف قال المؤلف أبو سلمة روى عن عمه عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين وأعلامهم و يقال ان اسمه كنيته وهو كثير الحديث سمع ابن عباس وأبا هريرة وابن عمر وغيرهم روى عنه الزهري و يحيى بن أبي كثير والشعبي وغيرهم مات سنة سبع وتسعين وله اثنتان وسبعون سنة اه ولا يخفى انه مخالف لاصل الحديث (سقى الله أباك من سلسبيل الجنة) وهي عين في الجنة سميت لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها في الباطن ومنه قوله تعالى يسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا قال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء

متفق عليه وعن سعد قال رأيتني وأنا ثالث الاسلام وما أسلم أحد الا في اليوم الذي أسلمت فيه ولقد مكثت سبعة أيام واني لثلث الاسلام رواه البخاري وأخرجه البغوي في معجمه وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لنسائه ان أمركن مما يهمني من بعدي ولن يصبر عليكن الا الصابرون والصديقون قالت عائشة يعني المتصدقين ثم قالت عائشة لابي سلمة بن عبد الرحمن سقى الله أباك من سلسبيل الجنة

فى التركيب حتى صار ان الكلمة متناسبة ودلت على غاية السلاسة بل المعنى سلسبيلا الجنة (وكان ابن عوف) من كلام الراوى حال من عائشة والعامل قالت كذا قاله الطيبي ولا يبعد أن يكون من قول عائشة بيانا لتصدقه وتبيانا لقولها يعنى المتصدقين (قد تصدق على أمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعين ألفا) أى من درهم أو دينار (رواه الترمذى) وفى رواية وقد رصد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بمال بيع بأربعمائة ألف أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أوصى بحديقة لأمهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وعن الزهرى قال تصدق عبد الرحمن بن عوف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة فى سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة أخرجه فى الصفوة وعن عروة بن الزبير أنه قال أوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين ألف دينار فى سبيل الله أخرجه الفضائلى وعن ابن عباس قال مرض عبد الرحمن بن عوف فأوصى بثلث ماله فصح فتصدق بذلك بيد نفسه ثم قال يا أصحاب رسول الله كل من كان من أهل بدر له على أربعمائة دينار فقام عثمان وذهب مع الناس فقيل له يا أبا عمرو ألست غنيا قال هذه وصلة من عبد الرحمن لا صدقة وهو من مال حلال فتصدق عليهم فى ذلك اليوم مائة وخمسين ألف دينار فلما جن عليه الليل جلس فى بيته وكتب جريدة بتفريق جميع المال على المهاجرين والانصار حتى كتب ان قميصه الذى على بدنه لفلان وعمامته لفلان ولم يترك شيأ من ماله الا كتبه للفقراء فلما صلى الصبح خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم هبط جبريل وقال يا محمد ان الله تعالى يقول اقرئ منى على عبد الرحمن السلام واقبل منه الجريدة ثم ردها عليه وقل له قد قبل الله صدقتك وهو وكيل الله ووكيل رسوله فليصنع فى ماله ما شاء وليتصرف فيه كما كان يتصرف قبل ولا حساب عليه وبشره بالجنة أخرجه الملا فى سيرته وعن جعفر بن برقان قال بلغنى ان عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألفا أخرجه صاحب الصفوة وعن محمد ان عبد الرحمن بن عوف توفى وكان فيما خلفه ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدى الرجال منه وترك أربع نسوة فأصاب كل امرأة ثمانون ألفا أخرجه فى الصفوة وعن صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن قال صالحنا امرأة عبد الرحمن التى طلقها فى مرضه من ثلث الثمن بثلاثة وثلاثين ألفا وفى رواية من ربع الثمن أخرجه أبو عمرو قال الطائى قسم ميراثه على ستة عشر سهما فبلغ نصيب كل امرأة مائتى ألف درهم (وعن أم سلمة) وهى احدى أمهات المؤمنين (قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأزواجه ان الذى يحنو) أى يجود ويبر (عليكن) أى ما تنفقن (بعدى) أى بعد موتى (هو الصادق) أى الصادق الايمان (البار) بتشديد الراء أى صاحب الاحسان (اللهم اسق) بوصل الهمزة وقطعها (عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة) وهذا دعاء له قبل ان يصدر منه ما صدر من الحنو كأنه صنع الصنيعة فشكره ودعا له ومن هنا دعت الصديقة بهذا الدعاء حين تصدق على أمهات المؤمنين بالحديقة (رواه أحمد) وفيه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ذكره الطيبي ولا يبعد ان يكون الدعاء هنا أيضا من كلامها رضى الله عنها (وعن حذيفة) أى ابن اليمان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق ذكره (قال جاء أهل نجران) بفتح نون فسكون جيم موضع باليمن فتح سنة عشر سمى بنجران بن زيدان بن سبأ وموضع بحوران قرب دمشق وموضع بين الكوفة وواسطة الكل من القاموس والمراد به الاول على ما هو الظاهر (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابعث) أى ارسل (الينا رجلا أمينا) أى ليكون أميرا أو قاضيا أو معلما لنا (فقال لابعثن اليكم رجلا أمينا حق أمين) بالنصب على انه مفعول مطلق نحو قولهم قد مت خير مقدم أى أمينا صادق الامن وثابته ومستحقا ان يقال له الامين قال الطيبي فيه توكيد ولذا أضافه نحو ان زيدا العالم حق عالم وجد عالم أى عالم حقا وجدا يعنى عالم يبالغ فى العلم جدا ولا يترك من الجد المستطاع منه شيأ ومنه قوله تعالى وجاهدوا فى الله حق جهاده أى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة (فاستشرف) أى

وكان ابن عوف قد تصدق على أمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعين ألفا رواه الترمذى وعن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأزواجه ان الذى يحنو عليكن بعدى هو الصادق البار اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة رواه أحمد وعن حذيفة قال جاء أهل نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ابعث الينا رجلا أمينا فقال لابعثن اليكم رجلا أمينا حق أمين فاستشرف

طمع (لها) أي للامارة وتوقعها (الناس) أي حرصا منهم على تحصيل صفة الامانة لا على الولاية من حيث هي (قال) أي حذيفة (فبعث أبا عبيدة بن الجراح متفق عليه) وعن على رضى الله عنه قال قيل يارسول الله من نؤمر) بضم نون وفتح همزة وكسر ميم مشددة فراء أي من نجعله أميرا علينا (بعدك) أي بعد موتك وفي نسخة صحيحة بالتاء الفوقية بدل النون أي من تجعله أميرا علينا بعدك ويؤيد الاول قوله (قال ان تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا) أي دينا لا يحكم الا بالامانة وعلى وجه العدالة (زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة) فيه اشعار الى ان الخليفة ينبغي ان يكون بهذه الصفة ليتم الاخلاص الموجب للخلاص وفي رواية تجدوه مسلما أمينا وفي رواية تجدوه قويا في أمر الله ضعيفا في نفسه (وان تؤمروا عمر تجدوه قويا) أي قادرا على حمل ثقل أعباء الامارة (أمينا) أي لا تخشى منه الخيانة (لا يخاف في الله لومة لائم) أي لا يراعي أحدا في أمر الدين والمعنى أنه صلب في الدين اذا شرع في أمر من أموره لا يخاف انكار منكر ومضى فيه كالمسمار المحمى لا يزعه قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم والومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كأنه قيل لا يخاف شيأ قط من لوم أحد من اللوام وفي رواية تجدوه قويا في أمر الله قويا في نفسه (وان تؤمروا عليا ولا أراكم) بضم الهمز أي والحال اني لا أظنكم (فاعلين) أي التأمير له بلا خلاف حال خلافته (تجدوه هاديا) أي مرشدا مكملا (مهديا) بفتح ميم وتشديد تحتية أي مهتديا كاملا (يأخذ بكم الطريق المستقيم) قال الطيبي رحمه الله يعني الامر مفوض اليكم أيها الامة لانكم أمناء مجتهدون مصيبون في الاجتهاد ولا تجتمعون الا على الحق الصرف وهؤلاء المذكورون كالحلقة المفرغة لا يدرى أيهم أكمل فيما يدلي اليهم مما يستحق به الامارة قيل وفي تقديم أبي بكر ايماء الى تقدمه ولم يذكر عثمان صريحا لكن في قوله ولا أراكم اشارة الى أنه المتقدم على علي ثم أبعد من قال قوله ولا أراكم فاعلين متعلق بامارة عمر وعلي رضي الله عنهما نعم يمكن أن يقال المعنى لا أراكم فاعلين تأميرا على مقدما على كلهم لما علم من قضاء الله وقدره أن عمر على أطول من أعمارهم فلو قدم لفاتهم الخلافة مع انه كتب لهم الخلافة أيضا فتبين أنكم غير فاعلين فالظن بمعنى اليقين والله أعلم وهو الموفق والمعين (رواه أحمد) وعن حذيفة قال قالوا يارسول الله ألا نستخلف قال الا اني ان استخلفت عليكم فعصيتم خليفتي نزل العذاب قالوا ألا نستخلف أبا بكر قال ان تستخلفوه تجدوه قويا في أمر الله ضعيفا في نفسه قالوا ألا نستخلف عمر قال ان تستخلفوه تجدوه قويا في أمر الله قويا في بدنه قالوا ألا نستخلف عليا قال ان تستخلفوه تجدوه هاديا مهديا يسلك بكم الطريق المستقيم خرجه ابن السمان (وعنه) أي عن علي (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر) فيه جواز الدعاء بالرحمة للاحياء (زوجني ابنته) بهمزة وصل والجملة استئناف تعليل وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم والافله صنيع عليه من جهة تزوجها (وحملني الى دار الهجرة) أي على بعيره ولو على قبول ثمنه (وصحبني في الغار) أي حين هجرني الاغيار (وأعتق بلالا من ماله) أي وجعله خادما لي في مآله (رحم الله عمر يقول الحق) أي الصرف أو القول الحق (وان كان) أي ولو كان الحق الصرف أو القول الحق (مرا) أي صعبا على الخلق (تركه الحق) استئناف بيان (وماله من صديق) جملة حالية أي صيره قول الحق بهذه الصفة أو خلاه بهذه الحالة وهي انه لا صديق له اكتفاء برضا الله ورسوله والمعنى من صديق تكون صداقته للمراعاة والمداراة لا مطلقا والا فلا شك ان الصديق كان صديقا له قال الطيبي قوله تركه الخ جملة مبينة لقوله يقول الحق وان كان مرا لان تمثيل الحق بالمرارة يؤذن باستبشاع الناس من سماع الحق استبشاع من يذوق العلقم فيقل لذلك صديقه وقوله وماله من صديق حال من المفعول اذا جعل ترك بمعنى خلى واذا ضمن معنى صير كان هذا مفعولا ثانيا والواو فيه داخلة على المفعول الثاني كما في بعض الاشعار (رحم الله عثمان تستحيي منه الملائكة رحم الله عليا اللهم ادر الحق) أمر من الادارة أي اجعل الحق دائرا وسائرا معه (حيث دار) أي علي أو الحق (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب)

لها الناس قال فبعث أبا عبيدة بن الجراح متفق عليه وعن علي قال قيل يارسول الله من نؤمر بعدك قال ان تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة وان تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا يخاف في الله لومة لائم وان تؤمروا عليا ولا أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم رواه أحمد وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة وصحبني في الغار وأعتق بلالا من ماله رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله من صديق رحم الله عثمان تستحيي منه الملائكة رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب

(باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم)

(الفصل الاول) عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزلت هذه الآية ندع أبناءنا وأبناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي رواه مسلم وعن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فادخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فادخلها ثم جاء علي فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه مسلم

وفي نسخة صحيحة زيادة ورضي الله عنهم

(الفصل الاول) (عن سعد بن أبي وقاص قال لما نزلت هذه الآية) أي المسماة بآية المباهلة (ندع أبناءنا وأبناءكم) أولها فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم (دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا) فنزله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والاخوة (وفاطمة) أي لانها أخص النساء من أقاربه (وحسنا وحسينا) فنزلهما منزلة ابنيه صلى الله عليه وسلم (فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي) أي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (رواه مسلم وعن عائشة قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة) أي صباحا وفي رواية ذات غداة (وعليه مرط) بكسر ميم وسكون راء كساء يكون من خز وصوف فيه علم (مرحل) بفتح الحاء المهملة المشددة ضرب من برود اليمن لما عليه من تصاوير الرحل كذا ذكره شارح وروي بجيم وهو ما عليه صورة المراجل بمعنى القدور (من شعر) بفتح عين ويسكن (اسود فجاء الحسن بن علي فادخله) أي تحت المرط بالامر أو الفعل وفي رواية فادخله فيه (ثم جاء الحسين فدخل معه) أي بادخال أو بغيره لصغره وفي رواية فادخله فيه (ثم جاءت فاطمة فادخلها) أي فيه كما في رواية (ثم جاء علي فادخله) أي فيه كما في رواية (ثم قال) أي قرأ (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أي الاثم وكل ما يستقذر من وأة (أهل البيت) نصب على النداء أو المدح وفيه دليل على ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته أيضا لانه مسبوق بقوله يا نساء النبي لستن كأحد من النساء وملحوق بقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن فضمير الجمع اما للتعظيم أو لتغليب ذكور أهل البيت على ما يستفاد من الحديث (ويطهركم تطهيرا) من التلوث بالارجاس والادناس المبتلى بها أكثر الناس قال الطيبي استعار للذنب الرجس وللتقوى الطاهر لان غرض المقترف للمقبحات أن يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما المحسنات فالغرض منها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينظر أولي الالباب عما كره الله لعباده وينهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمره به وبأتي تراجم الحسنين وأمهما في محالها المختصة بهم (رواه مسلم) وأخرجه أحمد عن واثلة وزاد في آخره اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق وفي الرياض عن سعد قال أمر معاوية سعدا أن يسب أبا تراب فقال أما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه لان يكون في واحدة منهن أحب الي من حمر النعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له وخلفه في بعض مغازيه فقال علي تخلفني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي وسمعته يقول يوم خيبر لاعطين الراية وذكر القصة ولما نزلت هذه الآية تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة والحسن والحسين وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي أخرجه مسلم والترمذي وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح وفي رواية للترمذي قالت أم سلمة وأنا معهم يا رسول الله قال أنت على مكانك وأنت على خير وعن أم سلمة قالت بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يوما اذ قالت الخادم ان عليا وفاطمة بالسدة أي الباب قالت فقال لي قومي فتنحي لي عن أهل بيتي قالت فقمت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران فاخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا باحدى يديه وفاطمة بالاخرى وقبل فاطمة وقبل عليا وأغدف أي أرسل عليهم خميصة سوداء ثم قال اللهم اليك لا الى النار أنا وأهل بيتي قالت قلت وأنا يا رسول الله صلى الله عليك قال وأنت أخرجه أحمد والظاهر أن هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة والمنع وقع من دخولها معهم فيما جللهم به وعليها يحمل قولها في الحديثين الاولين وأنا معهم أي أدخل معهم لا انها ليست من أهل البيت بل هي منهم ولذلك

وعن البراء قال لما توفي ابراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا في الجنة رواه البخاري وعن عائشة قالت كنا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عنده فاقبلت فاطمة ماتخفى مشيتها من مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها قال مرحبا بابنتي ثم أجلسها ثم سارها فبكت بكاء شديدا فلما رأى حزنها سارها الثانية فاذا هي تضحك

لما قالت في الحديث الآخر وأنا ولم تقل معهم أي انا أيضا الى الله لا الى النار قال وأنت الى الله لا الى النار وكذا لما قالت وأنا من أهل البيت في رواية قال وأنت من أهل البيت وأثبتك أيضا على انه قد ورد أنه صلى الله عليه وسلم أذن لها في الدخول معهم في الكساء وعن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا قال نزلت في خمسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين أخرجه أحمد في المناقب وأخرجه الطبراني وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا رواه أحمد وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة أنا واياك وهذين يعني حسنا وحسينا وهذا الراقد يعني عليا في مكان واحد يوم القيامة أخرجه أحمد وعن ابن عباس قال لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى قالوا يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما أخرجه أحمد في المناقب (وعن البراء قال لما توفي ابراهيم) أي ابن النبي صلى الله عليه وسلم من مارية القبطية سريته ولد بالمدينة في ذي الحجة سنة ثمان ومات وله ستة عشر شهرا أو قيل ثمانية عشر ودفن بالبقيع عند عثمان بن مظعون عمه الرضاعي (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا) بضم الميم وكسر الضاد أي من يكمل رضاعه وفي نسخة صحيحة بفتحهما أي موضع رضاع كامل (في الجنة) فيه دلالة ظاهرة ان أرباب الكمال يدخلون الجنة في الحال عقيب الانتقال وان الجنة الموعودة مخلوقة موجودة قال الخطابي هذا يروى على وجهين أحدهما مرضعا بفتح الميم أي رضاعا والآخر مرضعا بضم الميم أي من يتم رضاعه يقال امرأة مرضع بلا هاء وأرضعت المرضعة فهي مرضعة اذا بني الاسم من الفعل قال التوربشتي أصوب الروايتين الفتح لان العرب اذا أرادوا الفعل ألحقوا به هاء التأنيث واذا أرادوا أنها ذات رضيع أسقطوا الهاء فقالوا امرأة مرضع بلا هاء ولما كان المراد من هذا اللفظ ان الله يقيم له من لذات الجنة وروحها ما يقع منه موقع الرضاع فكأنه كان رضيعا لم يستكمل مدة الرضاع كان المصدر فيه أقوم وأصوب ولو كان على ما ذكر من الرواية لكان من حقه أن يلحق به هاء التأنيث قال الطيبي هذا اذا أريد تصوير حالة الارضاع والقام المرضعة الثدي في في الصبي في مشاهدة السامع كأنه ينظر اليها والا فلا الكشاف في قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما أرضعت فان قيل لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع التي شأنها أن ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة عما أرضعت أي عن ارضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل ووجهه القاضي في شرحه مجيبا عنه بقوله أو ان له من يقوم مقام المرضعة في المحافظة والانس اه ولا يخفى أن ارتكاب المجاز غير جائز مع امكان الحقيقة بل لاجل المبالغة في تحقق الارضاع عبر عن المرضع بالمرضعة ايماء الى أن حالة ارضاعه أمر مشاهد له صلى الله عليه وسلم (رواه البخاري وعن عائشة قالت كنا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم) نصبه على النداء على سبيل الاختصاص أو تفسير للضمير المبهم على تقدير أعني وخبر كان قولها (عنده) أي جالسين أو مجتمعين وفي رواية لم تغادر منهن واحدة (فاقبلت فاطمة) روي انما سميت بها لان الله فطمها وذريتها ومحبيها عن النار وفي رواية فاقبلت فاطمة تمشي (ماتخفى) أي ماتمتاز وفي رواية ماتخطئ (مشيتها) بكسر الميم لان المراد هيئتها (من مشية رسول الله) وفي نسخة من مشية النبي (صلى الله عليه وسلم) أي شيأ كما في رواية فالنفي والمعنى مشيتها كمشية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا قرب مرض موته (فلما رآها قال مرحبا بابنتي ثم أجلسها) أي أمرها بالجلوس (عنده) أي قريبا منه وفي رواية عن يمينه أو عن شماله (ثم سارها) بتشديد الراء وفي رواية فسارها أي كلمها سرا (فبكت بكاء شديدا فلما رأى حزنها) بضم فسكون وفي نسخة بفتحتين أي شدة حزنها أو كثرة بكائها وفي رواية جزعها (سارها الثانية فاذا هي) أي فاطمة (تضحك) أي تتبسم وتنبسط

وتشرح وفي رواية فضحكت فقالت لها ما خصك رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين نسائه بالسرار ثم أنت تبكين (فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي لطهارة أو صلاة (سألتها عما سارك) الظاهر مما سارها على أن ما موصولة لكن التقدير سألتها قائلة عم سارك فما استفهامية وفي رواية سألتها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم (قالت ما كنت لافشي) من الافشاء أي أذيع وأظهر (على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره) بكسر السين أي ما أخفاه لانه لو أراد افشاءه لما أسره (فلما توفي قلت عزمت) أي أقسمت (عليك بمالي عليك من الحق) أي من نسبة الامومية الثانية أو الاخوة أو المحبة الصادقة والمودة السابقة فما موصولة (لما) بفتح لام وتشديد ميم أي الا (أخبرتني) وفي نسخة باشباع التاء وفي رواية لما حدثتني ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الطيبي يعني ما أطلب منك الا اخبارك اياي بما سارك ونحوه أنشدك بالله الا فعلت (قالت أما الآن فنعم) أي أخبرك وتفصيله هذا (أما حين سارني في الامر الاول) أي الموجب للحزن وفي رواية في المرة الاولى (فانه أخبرني أن جبريل كان يعارضني) وفي رواية يعارضه (القرآن كل سنة مرة) أي يدارسني جميع ما نزل من القرآن من المعارضة المقابلة ومنه عارضت الكتاب بالكتاب أي قابلته كذا في النهاية ولعل سبب المقابلة ابقاء الحافظة وليظهر الناسخ والمنسوخ من المقابلة وفيه اشارة الى استحباب المدارسة (وانه) بكسر الهمزة وفي نسخة بالفتح (عارضني به العام) أي هذه السنة وفي رواية أنه عارضه الآن (مرتين) فيه ايماء الى أن هذا الحديث بعد رمضان الآخر من عمره (ولا أرى) بضم الهمز وفتح الراء أي ولا أظن وفي رواية واني لا أرى (الاجل) أي انتهاءه (الا قد اقترب فاتقي الله) أي دومي على التقوى أوزيدي فيها ما استطعت (واصبري) أي على الطاعة وعن المعصية وفي البلية لاسيما على مفارقتي (فاني) وفي رواية فانه (نعم السلف) أي الفرط (أنا لك) أي على الخصوص والجملة بتأويل مقول في حقي خبر لان في اني قال الطيبي أنا مخصوص بالمدح ولك بيان كأنه لما قيل نعم السلف أنا قيل لمن قيل لك (فبكيت) وفي رواية قالت فبكيت لذي رأيت (فلما رأى جزعي) أي قلة صبري (سارني الثانية قال) وفي رواية فقال (يا فاطمة ألا ترضين) وفي رواية أما ترضين (ان تكوني سيدة نساء أهل الجنة) أي جميعها أو مخصوصة بهذه الامة وفي رواية سيدة نساء هذه الامة (أو نساء المؤمنين) شك من الراوي والحديث بظاهره يدل على انها أفضل النساء مطلقا حتى من خديجة وعائشة ومريم وآسية وقد تقدم الخلاف والله أعلم (وفي رواية فسارني فأخبرني انه يقبض) أي يموت (في وجعه فبكيت ثم سارني فاخبرني اني أول أهل بيته أتبعه) بفتح فسكون ففتح وفي نسخة بتشديد التاء الفوقية وكسر الموحدة أي ألحقه (فضحكت) وتوضيحه ما في الذخائر انه قال وفي رواية بعد قول عائشة حتى اذا قبض سألتها فقالت انه حدثني انه كان جبريل يعارضه القرآن كل عام مرة وانه عارضني به في العام مرتين هذا ولا أرى الا قد حضر أجلي وانك أول أهلي لحوقا بي ونعم السلف أنا لك ثم سارني وذكر مثل الاول أخرجهما مسلم وعن عائشة قالت ما رأيت أحدا أشبه سمتا ودلا وهديا وحديثا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكانت اذا دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام اليها فقبلها وأجلسها في مجلسه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل عليها قامت له فقبلته وأجلسته في مجلسها فلما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أتت فاطمة فأكبت عليه فقبلته ثم رفعت رأسها فبكت ثم أكبت عليه ثم رفعت رأسها فضحكت فقلت ان كنت لاظن ان هذه من أعقل نسائنا فاذا هي من النساء فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لها أرأيت حين أكببت على النبي صلى الله عليه وسلم ورفعت رأسك فبكيت ثم أكببت عليه فرفعت رأسك فضحكت ما حملك على ذلك قالت اني اذا لبذرة أخبرني انه ميت من وجعه هذا فبكيت ثم أخبرني اني أسرع أهله لحوقا به فذلك حين ضحكت أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وقال الترمذي حسن غريب وفي الذخائر عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر آخر عهده اتيان فاطمة وأول من يدخل عليه اذا قدم فاطمة أخرجه أحمد وعن أبي ثعلبة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عما سارك قالت ما كنت لافشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سره فلما توفي قلت عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني قالت أما الآن فنعم أما حين سارني في الامر الاول فانه أخبرني أن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وانه عارضني به العام مرتين ولا أرى الاجل الا قد اقترب فاتقي الله واصبري فاني نعم السلف أنا لك فبكيت فلما رأى جزعي سارني الثانية قال يا فاطمة ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين وفي رواية فسارني فأخبرني انه يقبض في وجعه فبكيت ثم سارني فأخبرني اني أول أهل بيته أتبعه فضحكت

متفق عليه وعن المسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني وفي رواية يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها متفق عليه

اذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم أتى فاطمة ثم أتى أزواجه أخرجه أبو عمرو وقال المؤلف هي فاطمة الكبرى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمها خديجة وهي أصغر بناته في قول وهي سيدة نساء العالمين تزوجها علي بن أبي طالب في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان وبنى عليها في ذي الحجة فولدت له الحسن والحسين والمحسن وزينب وأم كلثوم ورقية وماتت بالمدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر وقيل بثلاثة أشهر ولها ثمان وعشرون سنة وغسلها علي وصلى عليها ودفنت ليلا روى عنها علي وابناها الحسن والحسين وجماعة سواهم قالت عائشة ما رأيت أحدا قط أصدق من فاطمة غير أبيها (متفق عليه) وروى الحاكم عن أبي سعيد فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا مريم بنت عمران (وعن المسور بن مخرمة) سبق ذكره (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة) وفي رواية ان فاطمة (بضعة) بفتح موحدة أي قطعة لحم (مني) وقد تكسر الباء على ما في النهاية وفي القاموس البضعة بفتح الموحدة وحكى ضمها وكسرها وسكون المعجمة قطعة من اللحم والمعنى انها جزء مني كما ان القطعة جزء من اللحم ونعم ما قال الامام مالك ولا أفضل أحدا على بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فمن أغضبها أغضبني) أي فكأنه أغضبني ففيه نوع من التشبيه البليغ فاندفع ما استدل به السهيلي على ان من سبها يكفر اذ لا يخفى ان مثل هذا الكلام محمول على المبالغة في تمام المرام ومنه قوله عليه السلام على ما رواه ابن عساكر عن علي من آذى مسلما فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومنه ما رواه أحمد والبخاري في تاريخه عن معاوية وابن حبان عن البراء من أحب الانصار فقد أحبه الله ومن أبغض الانصار أبغضه الله ومنه ما رواه الطبراني في الاوسط عن أنس مرفوعا حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب العرب ايمان وبغضهم كفر فمن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني (وفي رواية) أي بعد قوله فقد أغضبني أو زيادة عليه (يريبني) من الارابة بالموحدة أي يقلقني في الظاهر (ما أرابها ويؤذيني) أي في الباطن (ما آذاها) في شرح السنة رابني الشيء وأرابني بمعنى شككني وأدهشني ما استيقنه قال الطيبي بغير ألف معناه يسوءني ما يسوءها ويزعجني ما أزعجها قلت الظاهر انهما لغتان والمزيد له مزية ومناسبة لقوله ما أرابها ويؤيده اتفاق النسخ على الضم والله أعلم ثم أول الحديث قال مسور سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني في ان ينكحوا علي بن أبي طالب ولا آذن ثم لا آذن ثم لا آذن الا ان يريد ابن أبي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما هي بضعة مني يريبني الحديث وفي شرح مسلم قالوا في الحديث تحريم ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم بكل حال وعلى كل وجه وان تولد الايذاء مما كان أصله مباحا وهو من خواصه صلوات الله وسلامه عليه وهو لوجهين أحدهما ان ذلك يؤدي الى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي صلى الله عليه وسلم فيهلك علي رضي الله عنه من أذاه فنهى عن ذلك لكمال شفقته على علي وثانيهما انه خاف الفتنة عليها بسبب الغيرة وقيل ليس المراد بقوله لا آذن النهي عن جمعهما بل معناه انه صلى الله عليه وسلم علم من فضل الله تعالى انهما لا يجتمعان كما قال أنس بن النضر والله لا تكسر ثنيتها (متفق عليه) وفي لفظ البخاري عن المسور بن مخرمة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول ان بني هشام بن المغيرة استأذنوني في ان ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ثم لا آذن لهم الا ان يحب ابن أبي طالب ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها او يؤذيني ما آذاها أخرجه الشيخان والترمذي وصححه وعن المسور ان علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل وعنده فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت له ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل قال المسور فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد ثم قال أما بعد فاني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وان فاطمة بضعة مني وانما أكره ان يفتنوها وانه والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبدا قال فترك علي

استقبحه وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم فقال ان فاطمة مني وانى أخاف ان تفتن فى دينها ثم ذكر صهراله من بنى عبد شمس فاثنى عليه فى مصاهرته اياه فاحسن قال حدثنى فصدقنى ووعدنى فاوفى لى وانى لست أحرم حلالا ولا أحل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله مكانا واحدا أبدا وعن يحيى بن سعيد القطان قال ذاكرت عبد الله بن داود قول النبى صلى الله عليه وسلم لا آذن الا ان يحب على ان يطلق ابنتى وينكح ابنتهم قال ابن داود حرم الله على على ان ينكح على فاطمة حياتها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلما قال النبى صلى الله عليه وسلم لا آذن لم يكن يحل لعلى ان ينكح على فاطمة الا ان يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعت عمر بن داود يقول لما قال النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها حرم الله على على أن ينكح على فاطمة ويؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول الله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله أخرجهما الحافظ أبو القاسم الدمشقى وعن المسور بن مخرمة انه بعث اليه حسن بن الحسن يخطب ابنته فقال له ذا يأتى فى العتمة فلقيه فحمد المسور الله عز وجل واثنى عليه وقال أما بعد فما من نسب ولا سبب ولا صهر أحب الى من نسبكم وصهركم ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة منى يقبضنى ما يقبضها ويبسطنى ما يبسطها وان الانساب يوم القيامة تنقطع الا نسبى وسببى وصهرى وعندك ابنتها ولو زوجتك لقبضها ذلك فانطلق عاذرا أخرجه أحمد وفيه دليل على ان الميت يراعى منه ما يراعى فى الحى وقد ذكر الشيخ أبو على السنجى فى شرح التلخيص انه يحرم التزوج على بنات النبى صلى الله عليه وسلم ولعله يريد من ينتسب اليه بالبنوة ويكون هذا دليله وفى الجامع فاطمة بضعة منى يقبضنى ما يقبضها ويبسطنى ما يبسطها وان الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبى وسببى وصهرى رواه أحمد والحاكم وعن المسور فاطمة أحب الى منك وأنت أعز على منها قاله لعلى رواه الطبرانى فى الاوسط عن أبى هريرة وفى الصواعق روى عن أبى أيوب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش يا أهل الجمع نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق (وعن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء) أى بموضع فيه ماء (يدعى) أى يسمى ذلك الماء أو ذلك المكان (خما) بضم فتشديد وهو موضع بالجحفة بين مكة والمدينة وتقدم أنه كان حين رجوعه من مكة وتوجهه الى المدينة عام حجة الوداع (فحمد الله) أى شكره (واثنى عليه) أى بعلى ذاته وجلى صفاته (ووعظ) أى نصحهم بما نفعهم (وذكر) بتشديد الكاف أى نبههم من نوم غفلتهم (ثم قال أما بعد) أى بعد الحمد والثناء (ألا) بتخفيف اللام للتنبيه زيادة فى الاهتمام على التوجيه (أيها الناس انما أنا بشر) أى مثلكم لكن امتيازى عنكم بانه (يوحى الى يوشك) أى يقرب (أن يأتينى رسول ربى) أى جبريل ومعه عزرائيل أو المراد به ملك الموت (فأجيبه) بالنصب (وأنا تارك فيكم الثقلين) بفتحتين أى الامرين العظيمين سمى كتاب الله وأهل بيته بهما لعظم قدرهما ولان العمل بهما ثقيل على تابعهما قال صاحب الفائق الثقل المتاع المحمول على الدابة وانما قيل للجن والانس الثقلان لانهما اثقال الارض فكأنهما ثقلاها وقد شبه بهما الكتاب والعترة فى ان الدين يستصلح بهما ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين وفى شرح السنة سماهما ثقلين لان الاخذ والعمل بهما ثقيل وقيل فى تفسير قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا أى أوامر الله ونواهيه لانه لا يؤدى الا بتكلف ما يثقل وقيل قولا ثقيلا أى له وزن وسمى الانس والجن ثقلين لانهما فضلا بالتمييز على سائر الحيوان وكل شئ له وزن وقدر متنافس فيه فهو ثقيل (أولهما كتاب الله فيه الهدى) أى الهداية عن الضلالة (والنور) أى نور القلب للاستقامة أو سبب ظهور النور يوم القيامة (فخذوا بكتاب الله) أى استنباطا وحفظا وعلما (واستمسكوا به) أى وتمسكوا به اعتقادا وعملا ومن جملة كتاب الله العمل باحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله سبحانه وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومن

وعن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس انما أنا بشر يوشك ان يأتينى رسول ربى فأجيب وأنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به

فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة رواه مسلم وعن ابن عمر انه كان اذا سلم على ابن جعفر قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين رواه البخاري وعن البراء قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي على عاتقه يقول اللهم اني أحبه فاحبه

يطع الرسول فقد أطاع الله وقل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي رواية فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به (فحث) بتشديد المثلثة أي فحرض أصحابه (على كتاب الله) أي على محافظته ومراعاة مبانيه ومعانيه والعمل بما فيه (ورغب فيه) بتشديد الغين المعجمة أي ذكر المرغبات من حصول الدرجات في حقه ثم يمكن انه رهب وخوف بالعقوبات لمن ترك متابعة الآيات فيكون حذفه من باب الاكتفاء ويمكن انه اقتصر على البشارة ايماء الى سعة رحمة الله تعالى وان رحمته للعالمين وأمته أمة مرحومة (ثم قال) أي النبي عليه السلام (وأهل بيتي) أي وثانيهما أهل بيتي (أذكركم الله) بكسر الكاف المشددة أي أحذركموه (في أهل بيتي) وضع الظاهر موضع المضمر اهتماما بشأنهم واشعارا بالعلة والمعنى أنبهكم حق الله في محافظتهم ومراعاتهم واحترامهم واكرامهم ومحبتهم ومودتهم وقال الطيبي أي أحذركم الله في شأن أهل بيتي وأقول لكم اتقوا الله ولا تؤذوهم واحفظوهم فالتذكير بمعنى الوعظ يدل عليه قوله وعظ وذكر قلت وقد تقدم التغاير بينهما والحمل على التأسيس أولى (أذكركم الله في أهل بيتي) كرر الجملة لافادة المبالغة ولا يبعد ان يكون أراد باحدهما آله وبالاخرى أزواجه لما سبق من أن أهل البيت يطلق عليهما وفي رواية قال ثلاث مرات (وفي رواية) أي بدل أولهما كتاب الله الخ (كتاب الله هو حبل الله) أي ما يوصل العبد الى ربه ويتوسل به الى قربه والترقي من حضيض البشرية الى أوج رفعة الملكية بالحضور في الحضرة الالهية والغيبة عن شعور أمور الكونية وهو مقتبس من قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا (من اتبعه) أي ايمانا وحفظا وعلما وعملا واخلاصا (كان على الهدى) أي على الهداية الكاملة (ومن تركه) أي بجهة من الجهات المتقدمة (كان على الضلالة) أي الغواية الشاملة فالقرآن كالحبل ذو وجهين يمكن ان يكون وسيلة للترقي وان يكون ذريعة للتنزل والتدلي كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا القرآن حجة لك أو عليك وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا نفعنا الله به ورفعنا بسببه (رواه مسلم) وفي الذخائر فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته قال بلى ان نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الله عليه الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل عباس قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة قال نعم أخرجه مسلم وأخرج معناه أحمد عن أبي سعيد ولفظه انه صلى الله عليه وسلم قال اني أوشك ان ادعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي وان اللطيف الخبير أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما (وعن ابن عمر) أي موقوفا (انه كان) أي ابن عمر والاظهر ان يكون التقدير كان النبي صلى الله عليه وسلم (اذا سلم على ابن جعفر) أي ابن أبي طالب وابن جعفر هو عبد الله ولم يذكره المؤلف في أسمائه (قال السلام عليك يا ابن ذي الجناحين) بفتح الجيم قال القاضي لما رأى جعفرا في الجنة يطير مع الملائكة لقبه بذي الجناحين ولذلك سمي طيارا أيضا قال المؤلف أسلم قديما بعد أحد وثلاثين انسانا وكان أكبر من أخيه علي بن أبي طالب بعشر سنين وكان أشبه الناس خلقا وخلقا برسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه ابنه عبد الله وخلق كثير من الصحابة قتل شهيدا يوم مؤتة سنة ثمان وله احدى وأربعون سنة فوجد فيما أقبل من جسده سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف (رواه البخاري وعن البراء قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم والحسن بن علي) بالرفع والواو للحال (على عاتقه) بكسر التاء وهو ما بين المنكب والعنق (يقول اللهم اني أحبه) أي حبا بليغا (فاحبه) ولا شك انه أحبه الله فيجب التخلق باخلاق الله والتعلق بشمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في جميع أحيانه وأحواله قال المؤلف كنيته أبو محمد سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته وسيد شباب أهل الجنة ولد في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وهو أصح ما قيل في ولادته ومات سنة خمسين وقيل سنة تسع وأربعين وقيل سنة أربع وأربعين ودفن بالبقيع روى عنه ابنه الحسن بن الحسن وأبو هريرة وجماعة كثيرة ولما

متفق عليه وعن أبي هريرة قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من النهار حتى أتى خباء فاطمة فقال أثم لكع أثم لكع يعني حسنا فلم يلبث ان جاء يسعى حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه متفق عليه وعن أبي بكرة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي الى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول ان ابني هذا سيد

أبوه علي بن أبي طالب بالكوفة بايعه الناس على الموت أكثر من أربعين ألفا وسلم الأمر الى معاوية بن أبي سفيان في النصف من جمادى الاولى سنة احدى وأربعين وأما الحسين فكنيته أبو عبد الله ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع وكانت فاطمة علقت به بعد ان ولدت الحسن بخمسين ليلة وقتل يوم الجمعة يوم عاشوراء سنة احدى وستين بكربلاء من أرض العراق فيما بين الكوفة والحلة وقتله سنان بن أنس النخعي ويقال أيضا سنان بن أبي سنان وقيل قتله شمر بن ذي الجوشن وأجهز عليه خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وكسر اللام وتشديد الياء ابن يزيد الاصبحي من حمير حز رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وقال شعر

أوقر ركابي فضة وذهبا * اني قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

وقيل انه قتل مع الحسين من ولده واخوته وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا روى عنه أبو هريرة وابنه علي زين العابدين وفاطمة وسكينة بضم السين المهملة وفتح الكاف وسكون الياء والنون ابنتاه وكان للحسين يوم قتله ثمان وخمسون سنة وقضى الله تعالى ان قتل عبيد الله بن زياد يوم عاشوراء سنة سبع وستين قتله ابراهيم بن مالك ابن الاشتر النخعي في الحرب وبعث رأسه الى المختار وبعثه المختار الى ابن الزبير وبعث به ابن الزبير الى علي بن الحسين (متفق عليه وعن أبي هريرة قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من النهار) أي قطعة منه (حتى أتى خباء فاطمة) بكسر الخاء المعجمة وبموحدة بعدها ألف فهمز أي بيتها كما قاله النووي قال الطيبي هو من المجاز على نحو استعمال المشفر على الشفة وفي رواية خبأ وهو المخدع وفي بعض نسخ المصابيح خباب فاطمة والظاهر انه مغير اهـ وفيه نظر اذ قال شارح للمصابيح الخباب بالفتح مقدم الباب وقال ابن الملك أراد به حجرتها وقيل حول دارها وقال الجزري جناب بفتح الجيم والنون وبالباء الموحدة فناء الدار (فقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (أثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم أي أهنالك (لكع) بضم اللام وفتح الكاف من غير انصراف كعمر وزفر وفي نسخة بصرفه قال شارح اللكع الصبي الصغير معدول من اللكع بكسر الكاف يقال لكع الرجل يلكع لكعا فهو لكع اذا خس أي صار خسيسا وهو غالب الاستعمال في الصغير الذكر ويقال للانثى لكاع مبنية وقيل هو ليس بمعدول وانما هو مثل نغر وصرد حقه ان ينون لانه ليس بمعدول وقال ابن الملك لكع بضم اللام وفتح الكاف الصغير قدرا أو جثة والثاني هو المراد هنا وقال غيره يقال للصبي الصغير لكع مصروفا ذهابا الى صغر جثته ويطلق على العبد واللئيم والاحمق لصغر قدرهم وفي القاموس اللكع كصرد اللئيم والعبد والاحمق ومن لا يتجه لمنطق ولا غيره ويقال في النداء يا لكع ولا يصرف في المعرفة لانه معدول من لكع وفي النهاية اللكع عند العرب العبد ثم استعمل في الحمق والذم وقد يطلق على الصغير ومنه الحديث انه صلى الله عليه وسلم جاء لطلب الحسن بن علي قال أثم لكع فان أطلق على الكبير أريد به الضعيف العلم والعقل قال القاضي المراد به هذا الاستصغار الرحمة والشفقة كالتصغير في يا حميراء (أثم لكع) كرره للاهتمام في تحصيله (يعني حسنا) تفسير من الراوي (فلم يلبث) بفتح الموحدة أي لم يمكث مجيئه (ان جاء يسعى) أي ساعيا (حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبه) أي طالب صحبته قال ابن الملك فيه جواز المعانقة وقال النووي فيه استحباب ملاطفة الصبي في معانقته ومداعبته رحمة ولطفا واستحباب التواضع مع الاطفال وغيرهم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه) اللهم اجعلنا من محبيه ومواليه ولا تجعلنا من مبغضيه ومعاديه فان محبوب المحبوب محبوب وفي قلب المحب المغلوب مطلوب (متفق عليه وعن أبي بكرة) أي الثقفي (قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي) بالرفع ويجوز نصبه (الى جنبه) يحتمل الايمن والايسر (وهو) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقبل على الناس مرة وعليه) أي وعلى الحسن (أخرى) وفي رواية الذخائر ينظر الى الناس مرة واليه مرة (ويقول ان ابني هذا سيد) أصله سيود قلبت الواو ياء وأدغمت قيل وهو من لا يغلبه غضبه وقيل الذي يفوق في الخير والاول أليق بما بعده الآتي والاظهر الثاني

لانه انما يطلق حقيقة على من جمع السيادة نسبا وحسبا وعلما وعملا (ولعل الله) أى بصيغة الرجاء أيماء الى عدم وجوب شئ على المولى فالمعنى أرجو منه سبحانه (ان يصلح به) أى بسببه (بين فئتين عظيمتين من المسلمين) قال التوربشتى كفى به شرفا وفضلا فلا اسود ممن سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدا وانما وصف الفئتين بالعظيمتين لان المسلمين كانوا يومئذ فرقتين فرقة معه وفرقة مع معاوية وكان الحسن رضى الله عنه يومئذ أحق الناس بهذا الامر فدعاه ورعه وشفقته على أمة جده الى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله ولم يكن ذلك لقلة ولا ذلة فقد بايعه على الموت أربعون ألفا وقال والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى ويضرنى ان لى أمر محمد صلى الله عليه وسلم على ان يهراق فى ذلك محجمة دم وشق ذلك على بعض شيعته حتى حملته العصبية على ان قال عند الدخول السلام عليك يا عار المؤمنين فقال العار خير من النار وفى شرح السنة فى الحديث دليل على ان واحدا من الفريقين لم يخرج بما كان منه فى تلك الفتنة من قول أو فعل عن ملة الاسلام لان النبى عليه السلام جعلهم كلهم مسلمين مع كون احدى الطائفتين مصيبة والاخرى مخطئة وهكذا سبيل كل متأول فيما يتعاطاه من رأى ومذهب اذا كان له فيما تناوله شبهة وان كان مخطئا فى ذلك ومن هذا اتفقوا على قبول شهادة أهل البغى ونفوذ قضاء قاضيهم واختار السلف ترك الكلام فى الفتنة الاولى وقالوا تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلا نلوث به ألسنتنا (رواه البخارى) وعن أبى بكرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا وكان الحسن يجىء وهو صغير وكان كلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وثب على رقبته وظهره فيرفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه رفعا رفيقا حتى يضعه فقالوا يا رسول الله رأيناك تصنع بهذا الغلام شيأ ما رأيناك تصنعه بأحد قال انه ريحانتى من الدنيا ان ابنى هذا سيد وعسى الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين أخرجه أبو حاتم وأخرجه أحمد بمعناه ولم يقل ريحانتى من الدنيا وزاد قال الحسن بن الحسن والله بعد ان ولى لم يهرق فى خلافته ملء محجمة دم وعن أبى هريرة قال كنا نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم العشاء فاذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فاذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذا رفيقا فيضعهما على الارض فاذا عاد عادا حتى قضى صلاته فاقعدهما على فخذيه قال فقمت اليه فقلت يا رسول الله أردهما فبرقت برقة فقال الحقا بأمكما قال فمكث ضوءها حتى دخلا أخرجه أحمد وعن معاوية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمص لسان الحسن أو شفته وانه لن يعذب الله لسانا أو شفة مصهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أحمد وفى الذخائر قال أبو عمر ولما قتل على بن أبى طالب بايع الحسن أكثر من أربعين ألفا كلهم قد بايع أباه قبله على الموت وكانوا أطوع للحسن وأحب فيه منهم فى أبيه فبقى سبعة أشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من أرض السواد علم انه لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب أكثر الاخرى فكتب الى معاوية يخبره انه يصير الامر اليه على ان يشترط عليه ان لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ مما كان فى أيام أبيه فاجابه معاوية الا أنه قال عشرة أنفس فلا أؤمنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب اليه يقول انى قد آليت انى متى ظفرت بقيس ابن سعد ان أقطع لسانه ويده فراجعه الحسن انى لا أبايعك أبدا وأنت تطالب قيسا أو غيره بتبعة قلت أو كثرت فبعث اليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال اكتب ما شئت فيه فأنا التزمه فاصطلحا على ذلك واشترط عليه الحسن ان يكون الامر له من بعده فالتزم ذلك كله معاوية واصطلحا على ذلك وكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وكان رضى الله عنه يقول ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى ويضرنى ان لى أمر محمد صلى الله عليه وسلم على ان يهراق فى ذلك محجمة دم وعن أبى العريف قال كنا فى مقدمة الحسن بن على اثنا عشر ألف مستميتين حرصا على قتال أهل الشام فلما جاء ناصلح الحسن كانما كسرت ظهورنا من الغيظ والحزن فلما جاء الحسن الكوفة أتاه شيخ منا يكنى أبا عمرو سفيان بن أبى ليلى فقال السلام عليك يا مذل المؤمنين قال لا تقل يا أبا عمرو فانى لم أذل المؤمنين ولكنى كرهت ان أقتلهم فى

ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
رواه البخارى

وعن عبد الرحمن بن أبي نعم قال سمعت عبد الله بن عمر وسأله رجل عن المحرم قال شعبة أحسبه يقتل الذباب قال أهل العراق يسألوني عن الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما ريحاني من الدنيا رواه البخاري

طاب الملك وعن عبد الله بن بريدة ان الحسن دخل على معاوية فقال لاجيزنك بجائزة لم أجز بها أحدا قبلك
ولا أجيز بها أحدا بعدك فأجازه باربعمائة ألف ألف فقبلها وروى انه لما جرى الصلح بين معاوية والحسن فقال
له معاوية قم فاخطب الناس واذكر ما كنت فيه فقام الحسن فخطب فقال الحمد لله الذى هدانا بنا وحقن بنا
دماءكم الا ان أكيس الكيس التقى وان أعجز العجز الفجور وان هذا الامر الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية اما
ان يكون أحق به منى أو يكون حقى وتركته لله ولصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائهم ثم التفت
وقال وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم نزل فقال عمرو بن العاص لمعاوية ما أردت الا هذا وفى رواية
ان الحسن قال فى خطبته يا معاوية ان الخليفة من سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بطاعته
وليس الخليفة من دان بالجور وعطل السنن واتخذ الدنيا أما وأبا (وعن عبد الرحمن بن أبى نعم) بضم نون
وسكون عين كذا فى المغنى وكذا فى النسخ المعتمدة وسائر النسخ الحاضرة ولم يذكره المؤلف فى أسمائه بل
ذكر عبد الرحمن بن أبى غنم وقال بفتح الغين المعجمة وسكون النون (قال سمعت عبد الله بن عمر وسأله رجل
عن المحرم) جملة حالية (قال شعبة) أى أحد رواة هذا الحديث ولم يذكره المؤلف فى أسمائه (أحسبه)
بكسر السين وفتحها أى أظنه أى السائل سأله عن المحرم وفى الذخائر عن ابن عمر وقد سئل عن المحرم (يقتل
الذباب) يعنى أيجوز قتله أم لا والجملة معترضة (قال) وفى رواية فقال أى ابن عمر فى جوابه متعجبا (أهل
العراق) أى الكوفة فانهم او البصرة تسميان عراق العرب (يسألونى) بتشديد النون وتخفف (عن الذباب)
أو عن قتل الذباب كما فى نسخة والمعنى انهم يظهرون كمال رعاية التقوى فى نسكهم قال الطيبى قوله قال أهل
العراق حال من سمعت وقد مقدرة والاصل سمعت قول عبد الله وقوله وسأله رجل عن المحرم أيضا حال وقوله
قال شعبة أحسبه يقتل الذباب قول بعض الرواة تفسير سؤال الرجل واستفتاؤه أى ما تقول فى شأن المحرم
يقتل الذباب اه‍ (وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) حال من ضمير الفاعل فى يسألونى (وقال)
وفى رواية وقد قال أى والحال انه قال (رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى فى حق ابن بنته (هما يعنى الحسنين
ريحانى) ضبط فى جميع النسخ بفتح النون وتشديد ياء المتكلم وسيأتى الكلام عليه وفى الذخائر هما ريحانتاى
(من الدنيا) أى من رزق الله الذى رزقنيه من الدنيا يقال سبحان الله وريحانه أى أسبح الله واسترزقه وهو
مخفف من ريحان مشددا فيعلان من الروح لان انتعاشه بالرزق ويجوز ان يراد بالريحان المشموم لان
الشمامات تسمى ريحانا ويقال حباه بطاقة نرجس وبطاقة ريحان فيكون المعنى انهما مما أكرمنى الله به
وحبانى لان الاولاد يشمون ويقبلون فكأنهما من جملة الرياحين التى أنبتها الله وفى النهاية الريحان الرحمة
والراحة والرزق وبه سمى الولد ريحانا وكل نبت طيب الريح من أنواع المشموم وقال الطيبى موقع من الدنيا
ههنا كموقعها فى قوله صلى الله عليه وسلم حبب الى من الدنيا الطيب والنساء أى نصيبى منها ونصب ريحانى
على المدح أقول الظاهر من كلام الفائق انه جعل ريحانى خبر المبتدأ ومن الدنيا بمعنى فى الدنيا لكن يشكل
على رواية الكتاب بغير رفع ولعله مبنى على ما روى ريحانتاى أو ريحاناى أو ريحانى بكسر النون وتخفيف
الياء والافراد باعتبار كل منهما أو لتقدير كل ريحانى ثم رأيت القاضى عياضا قال فى المشارق قوله وهما
ريحاناى من الدنيا الولد يسمى الريحان ومن هنا بمعنى فى أى فى الدنيا وقيل ريحاناى من الجنة فى الدنيا كما قال فى
الحديث الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة وقد قيل يوجد منهما ريح الجنة والريحان ما يستراح اليه أيضا
وقيل سماهما بذلك لان الولد يشم كما يشم الريحان اه‍ وعن جابر بن عبد الله على ما رواه أحمد فى المناقب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب سلام عليك يا أبا الريحانتين فعن قليل يذهب ركناك والله
خليفتى عليك فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على هذا أحد الركنين فلما ماتت فاطمة قال
هذا الركن الآخر (رواه البخارى) وعن عبد الرحمن بن أبى نعم ان رجلا من أهل العراق سأل ابن عمر عن
دم البعوض يصيب الثوب فقال ابن عمر انظروا الى هذا يسأل عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله

صلى الله عليه وسلم وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحسن والحسين هما ريحانتاي من الدنيا أخرجه الترمذي وصححه (وعن أنس قال لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي وقال) أي أنس (في الحسين أيضا كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم) وسيأتي في حديث علي في الفصل الثاني تفصيل معنى هذا الحديث (رواه البخاري) وكذا الترمذي (وعن ابن عباس قال ضمني) بتشديد الميم أي أخذني (النبي صلى الله عليه وسلم الى صدره) ايماء الى انه منبع العلم ومعدن الحكم (فقال اللهم علمه الحكمة) أي اتقان العلم والعمل قال تعالى يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وليس المراد بها الحكمة الفلاسفة ففي النهاية الحكمة عبارة عن معرفة افضل الاشياء بأفضل العلوم والحكيم الذي يحكم الاشياء ويتقنها وفي فتح الباري واختلف في المراد بالحكمة ههنا فقيل الاصابة في القول وقيل الفهم عن الله وقيل ما يشهد العقل بصحته وقيل نور يفرق بينه وبين الالهام والوسواس وقيل سرعة الجواب وقيل غير ذلك قلت لا منع من الجمع شعر

عباراتنا شتى وحسنك واحد * فكل الى ذاك الجمال يشير

(وفي رواية علمه الكتاب) أي علمه ما يتعلق به من سائر العلوم الشرعية وحكي عن ابن عباس انه قال

جميع العلم في القرآن لكن * تقاصر عنه افهام الرجال

وهذه الرواية تؤيد قول من فسر الحكمة بعلم الكتاب ولذا يقال لابن عباس ترجمان الكتاب وقال الطيبي الظاهر ان يراد بالحكمة السنة قال تعالى يعلمهم الكتاب والحكمة قلت الاظهر أن يراد بالكتاب لفظه وقراءته وبالحكمة معرفة أحكامه وتبيين آياته فانه رضي الله عنه كان مشهورا بالعلمين أعني القراءة والتفسير على ان تفسير الحكمة بالسنة في الآية لوقوعها عطفا على الكتاب والاصل التغاير في العطف لكن سيأتي انه دعا له بالفقه أيضا وهو العلم بالكتاب والسنة أصولا وفروعا فهو جامع العلوم رضي الله عنه قال المؤلف ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة وقيل عشر كان حبر هذه الامة وعالمها دعا له صلى الله عليه وسلم بالحكمة والفقه والتأويل ورأى جبريل عليه السلام مرتين وكف بصره في آخر عمره ومات بالطائف سنة ثمان وستين في أيام ابن الزبير وهو ابن احدى وسبعين سنة روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين (رواه البخاري وعنه) أي عن ابن عباس (قال ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء) بالفتح والمد أي مكان البراز (فوضعت له وضوأ) بفتح الواو ماء لوضوئه (فلما خرج قال من وضع هذا) أي ظرف الماء (فأخبر) بصيغة الماضي المجهول أي فأخبره مخبر وهو ميمونة وغيره (فقال اللهم فقهه) بكسر القاف المشددة أي اجعله فقيها عالما (في الدين) أي أصوله وفروعه وليس المراد به الفقه المتعارف المختص بفروع المعاملات والخصومات قال النووي فيه فضيلة الفقه واستحباب الدعاء بظاهر الغيب واستحباب الدعاء لمن عمل خيرا وقد أجاب الله دعاءه في حقه فكان من الفقه بالمحل الاعلى (متفق عليه وعن أسامة بن زيد) أي ابن حارثة القضاعي وأمه أم أيمن واسمها بركة وهي حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مولاة لابيه عبد الله بن عبد المطلب وأسامة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن مولاه وحبه وابن حبه قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين وقيل غير ذلك ونزل وادي القرى وتوفي به بعد قتل عثمان وقيل سنة أربع وخمسين قال ابن عبد البر وهو عندي أصح روى عنه جماعة (عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه) أي يأخذ أسامة (والحسن فيقول اللهم أحبهما فاني أحبهما) فيه اشعار بان محبته لله ولذا رتب محبة الله على محبته وفي ذلك أعظم منقبة لهما ولفظ الذخائر اللهم اني أحبهما فأحبهما أو كما قال رواه البخاري (وفي رواية قال) أي أسامة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني) بضم الياء وكسر العين أي يجلسني (على فخذه) أي اليمنى أو اليسرى (ويقعد الحسن بن علي على فخذه الاخرى ثم يضمهما) كذا في المصابيح وجامع الاصول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة ذكره الطيبي

وعن انس قال لم يكن أحدا أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي وقال في الحسين أيضا كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وعن ابن عباس قال ضمني النبي صلى الله عليه وسلم الى صدره فقال اللهم علمه الحكمة وفي رواية علمه الكتاب رواه البخاري وعنه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء فوضعت له وضوأ فلما خرج قال من وضع هذا فأخبر فقال اللهم فقهه في الدين متفق عليه وعن اسامة ابن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذه والحسن فيقول اللهم أحبهما فاني أحبهما وفي رواية قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الاخرى ثم يضمهما

والظاهر أن يفهمنا على تغليب المتكلم كما أن في يفهمهما تغليب الغائب ففي تمشية التفاتا نوع مسامحة (ثم يقول اللهم ارحمهما) أي رحمة شاملة كاملة تغنيهما عن رحمة من سواك (فأني أرحمهما) أي رحمة خاصة والا فرحمته عامة للمؤمنين بل شاملة للعالمين (رواه البخاري وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا) أي أرسل جيشا (وأمر) بتشديد الميم أي جعل أميرا (عليهم أسامة بن زيد فطعن) بفتح العين من طعن كمنع في العرض والنسب وأما بالضم فبالرمح واليد ويقال هما لغتان والمعنى فتكلم (بعض الناس) أي المنافقون أو أجلاف العرب (في امارته) بكسر الهمزة أي ولايته لكونه مولى (فقال رسول الله) وفي نسخة نبي الله (صلى الله عليه وسلم ان كنتم تطعنون في امارته فقد كنتم تطعنون في امارة أبيه) يشير الى امارة زيد بن حارثة في غزوة مؤتة (من قبل) أي من قبل هذا أو من قبل امارة ابنه قال الطيبي قوله فقد كنتم طعنتم هذا الجزاء انما يترتب على الشرط بتأويل التنبيه والتوبيخ أي طعنكم الآن فيه سبب لان أخبركم ان ذاك من عادة الجاهلية وهجيراهم ومن ذلك طعنكم في أبيه من قبل نحو قوله تعالى ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل (وايم الله) همزة وصل وقيل قطع أي والله (ان) مخففة أي الشان (كان) أي أبوه (لخليقا) أي لجديرا وحقيقا (للامارة) أي لفضله وسبقه وقربه مني وفي أصل المالكي وايم الله لقد كان وفي نسخة عنده ان كان خليقا فقد استعمل ان المخففة المتروكة العمل عاريا مما بعدها من اللام الفارقة لعدم الحاجة اليها قال التوربشتي انما طعن من طعن في امارتهما لانهما كانا من الموالي وكانت العرب لا ترى تأمير الموالي وتستنكف عن اتباعهم كل الاستنكاف فلما جاء الله بالاسلام ورفع قدر من لم يكن له عندهم قدر بالسابقة والهجرة والعلم والتقى وعرف حقهم المحفوظون من أهل الدين فاما المرتهنون بالعادة والممتحنون بحب الرياسة من الاعراب ورؤساء القبائل فلم يزل يختلج في صدورهم شيء من ذلك لاسيما أهل النفاق فانهم كانوا يسارعون الى الطعن وشدة النكير عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث زيد بن حارثة رضي الله عنه أميرا على عدة سرايا وأعظمها جيش مؤتة وسار تحت رايته في تلك الغزوة خيار الصحابة منهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وكان خليقا بذلك لسوابقه وفضله وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان يبعث اسامة وقد أمره في مرضه على جيش فيهم جماعة من مشيخة الصحابة وفضلائهم وكأنه رأى في ذلك سوى ما توسم فيه من النجابة ان يمهد الامر ويوطئه لمن يلي الامر بعده لئلا ينتزع أحد يدا من طاعة وليعلم كل منهم ان العادات الجاهلية قد عميت مسالكها وخفيت معالمها (وان كان) أي أبوه (لمن أحب الناس الي وان هذا) أي أسامة (لمن أحب الناس الي بعده) أي بعد أبيه زيد (متفق عليه) وعند النسائي عن عائشة قالت ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في جيش قط الا أمره عليهم قال بعض المحققين فيه جواز امارة المولى وتولية الصغار على الكبار والمفضول على الفاضل قلت ولعل تأميره مع تأمير ابنه وقع جبرا لما اختاره من عبوديته صلى الله عليه وسلم حين خيره فقد قال المؤلف زيد بن حارثة أمه سعدى بنت ثعلبة من بني معن خرجت به تزور قومها فاغارت خيل لبني القين في الجاهلية فمروا على ابيات من بني معن رهط أم زيد فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام يقال له ثمان سنين فوافوا به سوق عكاظ فعرض للبيع فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد لعمته خديجة بأربعمائة درهم فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته له فقبضه ثم ان خبره اتصل بأهله فحضر أبوه حارثة وعمه كعب في فدائه فخيره النبي صلى الله عليه وسلم بين نفسه والمقام عنده وبين أهله والرجوع اليهم فاختار النبي صلى الله عليه وسلم لما يرى من بره واحسانه اليه فحينئذ خرج به النبي صلى الله عليه وسلم الى الحجر فقال يا من حضر اشهدوا ان زيدا ابني يرثني وارثه فصار يدعى زيد بن محمد الى ان جاء الله بالاسلام ونزل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فقيل له زيد بن حارثة وهو أول من أسلم من الذكور في قول وكان النبي صلى الله عليه وسلم أكبر منه بعشر سنين وقيل بعشرين سنة وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاته أم أيمن فولدت له اسامة ثم تزوج زينب بنت جحش بنت عمة النبي

ثم يقول اللهم ارحمهما فاني أرحمهما رواه البخاري وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعثا وأمر عليهم اسامة بن زيد فطعن بعض الناس في امارته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنتم تطعنون في امارته فقد كنتم تطعنون في امارة أبيه من قبل وايم الله ان كان لخليقا للامارة وان كان لمن أحب الناس الي وان هذا لمن أحب الناس الي بعده متفق عليه

صلى الله عليه وسلم ثم طلقها فتكبرها عليه فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسم الله تعالى في القرآن أحدا من الصحابة غيره في قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وروى عنه ابنه اسامة وغيره وقتل في غزوة مؤتة وهو أمير الجيش في جمادى الاولى سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين سنة (وفي رواية لمسلم نحوه) أي نحو الحديث المتفق عليه سابقا (وفي آخرها) أي رواية مسلم (أوصيكم به) أي باسامة (فانه من صالحيكم) أي ممن غلب عليه الصلاح فيما بينكم والا فكل الصحابة صالحون والخطاب لجماعة من الحاضرين أو التابعين معه (وعنه) أي عن عبد الله بن عمر (قال) أي ابن عمر (ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) ايراد هذا الحديث في هذا الباب للاشعار بان مولى الرجل من أهل بيته (ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد) قال النووي كان صلى الله عليه وسلم تبنى زيدا ودعاه ابنه وكانت العرب تتبنى مواليهم وغيرهم فيصير ابنا له يوارثه وينسب اليه (حتى نزل القرآن) أي الآية منه أدعوهم لآبائهم قبله وما جعل أدعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل أدعوهم أي انسبوهم لآبائهم هو أقسط أي أعدل عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم الآية فرجع كل انسان الى نسبه (متفق عليه وذكر حديث البراء قال لعلي أنت مني في باب بلوغ الصغير وحضانته) بكسر الحاء ويفتح أي تربيته

(الفصل الثاني) (عن جابر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته) أي حجة الوداع (يوم عرفة وهو على ناقته القصواء) بفتح القاف ممدودا ويقصر قيل سميت قصواء لا لانها مجدوعة الاذن بل لان القصواء لقب لها (يخطب) حال (فسمعته يقول يا أيها الناس اني تركت فيكم ما) موصولة صلتها (ان أخذتم به) أي تمسكتم به علما وعملا (لن تضلوا بعده) أي بعد أخذ ذلك الشئ (كتاب الله) بالنصب بيان ما في ما ان أخذتم به أو بدل أو بتقدير اعني وفي نسخة بالرفع أي هو كتاب الله (وعترتي) في محل نصب أو رفع وقوله (أهل بيتي) معرب من وجهين قال التوربشتي عترة الرجل أهل بيته ورهطه الادنون ولاستعمالهم العترة على أنحاء كثيرة بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله أهل بيتي ليعلم انه أراد بذلك نسله وعصابته الادنين وأزواجه اه والمراد بالاخذ بهم التمسك بمحبتهم ومحافظة حرمتهم والعمل بروايتهم والاعتماد على مقالتهم وهو لا ينافي أخذ السنة من غيرهم لقوله صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ولقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال ابن الملك التمسك بالكتاب العمل بما فيه وهو الائتمار بأوامر الله والانتهاء بنواهيه ومعنى التمسك بالعترة محبتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم زاد السيد جمال الدين اذا لم يكن مخالفا للدين قلت في اطلاقه صلى الله عليه وسلم اشعار بان من يكون من عترته في الحقيقة لا يكون هديه وسيرته الا مطابقا للشريعة والطريقة (رواه الترمذي وعن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي) أي بعد فوتي وفي نسخة بعده وتي (أحدهما) وهو كتاب الله (أعظم من الآخر) وهو العترة كما بينه بقوله (كتاب الله) بالنصب وبالرفع وهو أظهر هنا لقوله (حبل ممدود بين السماء والارض) أي قابل للترقي والتنزل كما مر بيانه وسبق برهانه (وعترتي أهل بيتي) قال الطيبي في قوله اني تارك فيكم اشارة الى انهما بمنزلة التوأمين الخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه يوصي الامة بحسن المخالقة معهما وايثار حقهما على أنفسهم كما يوصي الاب المشفق الناس في حق أولاده ويعضده الحديث السابق في الفصل الاول أذكركم الله في أهل بيتي كما يقول الاب المشفق الله الله في حق أولادي وأقول الاظهر هو ان أهل البيت غالبا يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله فالمراد بهم أهل العلم منهم المطلعون على سيرته الواقفون على طريقته العارفون بحكمه وحكمته وبهذا يصلح ان يكونوا مقابلا لكتاب الله سبحانه كما قال ويعلمهم الكتاب والحكمة ويؤيده ما أخرجه أحمد في المناقب عن حميد بن عبد الله بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عنده قضاء قضى به علي بن أبي طالب فأعجبه وقال الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت

وفي رواية لمسلم نحوه وفي آخره أوصيكم به فانه من صالحيكم وعنه قال ان زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه الا زيد بن محمد حتى نزل القرآن أدعوهم لآبائهم متفق عليه وذكر حديث البراء قال لعلي انت مني في باب بلوغ الصغير وحضانته

(الفصل الثاني) عن جابر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول يا أيها الناس اني تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي رواه الترمذي وعن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين عن محمد بن مسعر اليربوعي قال قال علي للحسن كم بين الايمان واليقين قال أربع أصابع قال بين قال اليقين ما رأته عينك والايمان ما سمعته اذنك وصدقت به قال أشهد انك عن انت منه ذرية بعضها من بعض وفارق الزهري فهام على وجهه فقال له زين العابدين قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك فقال الزهري الله أعلم حيث يجعل رسالته فرجع الى أهله وماله (ولن يتفرقا) أي كتاب الله وعترتي (في مواقف القيامة حتى يردا على الحوض) أي الكوثر قال الطيبي في تفصيل مجمل الحديث ما موصولة والجملة الشرطية صلتها وامساك الشيء التعلق به وحفظه قال تعالى ويمسك السماء ان تقع على الارض وتمسك بالشيء اذا تحرى الامساك به ولهذا لما ذكر التمسك عقبه بالمتمسك به صريحا وهو الحبل في قوله كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وفيه تلويح الى قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه كان الناس واقعون في مهواة طبيعتهم مشتغلون بشهواتهم وان الله تعالى يريد بلطفه رفعهم فادلى حبل القرآن اليهم ليخلصهم من تلك الورطة فمن تمسك به نجا ومن أخلد الى الارض هلك ومعنى كون أحدهما أعظم من الآخر ان القرآن هو أسوة للعترة وعليهم الاقتداء به وهم أولى الناس بالعمل بما فيه ولعل السر في هذه التوصية واقتران العترة بالقرآن أن ايجاب محبتهم لائح من معنى قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى فانه تعالى جعل شكر انعامه واحسانه بالقرآن منوطا بمحبتهم على سبيل الحصر فكانه صلى الله عليه وسلم يوصي الامة بقيام الشكر وقيد تلك النعمة به ويحذرهم عن الكفران فمن أقام بالوصية وشكر تلك الصنيعة بحسن الخلافة فيهما لن يفترقا فلا يفارقانه في مواطن القيامة ومشاهدها حتى يردا الحوض فشكرا صنيعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فحينئذ هو بنفسه يكافئه والله تعالى يجازيه بالجزاء الاوفى ومن أضاع الوصية وكفر النعمة فحكمه على العكس وعلى هذا التأويل حسن موقع قوله (فانظروا كيف تخلفوني فيهما) والنظر بمعنى التأمل والتفكر أي تأملوا واستعملوا الروية في استخلافي اياكم هل تكونون خلف صدق أو خلف سوء اه وقوله تخلفوني بتشديد النون وتخفف (رواه الترمذي) ورواه أحمد والطبراني عن زيد بن ثابت ولفظه اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض (وعنه) أي عن زيد بن أرقم (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين) أي لاجلهم وفي حقهم (أنا حرب) أي محارب وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة أخرجه أحمد والترمذي وقال كان معي في الجنة وقال حديث غريب (لمن حاربهم) جعل صلى الله عليه وسلم نفسه نفس الحرب مبالغة كرجل عدل (وسلم) بكسر أوله ويفتح أي مسالم ومصالح (لمن سالمهم) والمعنى من أحبهم أحبني ومن أبغضهم أبغضني (رواه الترمذي وعن جميع بن عمير) بالتصغير فيهما قال المؤلف تيمي من الكوفة قال السخاوي سمع عمر وعائشة وروى عنه العلاء بن صالح وصدقة بن المثنى (قال دخلت مع عمتي على عائشة فسألت) أي أنا وفي نسخة بصيغة التأنيث أي عمتي (أي الناس كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت) أي عائشة (فاطمة) أي هي كانت أحب (فقيل من الرجال) أي هذا جوابك من النساء فمن أحب اليه من الرجال (قالت زوجها رواه الترمذي) وفي الرياض عن عائشة سئلت أي الناس أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة فقيل من الرجال قالت زوجها ان كان ما علمته صواما قواما أخرجه الترمذي وقال حسن غريب وفي الازهار رواه السدي وقال الحاكم السدي شيعي يسب الشيخين اه وقد ذكروا ان السدي شخصان كبير وهو سني وصغير وهو رافضي قال السيوطي في شرح التقريب من امارات كون الحديث موضوعا ان يكون الراوي رافضيا والحديث في فضائل أهل البيت قال الشيخ الحافظ علي بن عراق في كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الاخبار الشنيعة الموضوعة أو في ذم من حاربهم وذكر بعض شيوخي انه روى عن شيخه الحافظ المحدث البرهان الناجي

ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما رواه الترمذي وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم رواه الترمذي وعن جميع بن عمير قال دخلت مع عمتي على عائشة فسألت أي الناس كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة فقيل من الرجال قالت زوجها رواه الترمذي

بالوضع أي من امارات الموضوع أن يكون فيه وأعطي ثواب نبي أو النبيين ونحوهما قلت كلام السيوطي وابن عراق ليس على الاطلاق بل ينبغي أن يكون مقيدا بما اذا وجد فيه مبالغة زائدة غير معروفة في مدح أهل البيت أو ذم اعدائهم والا ففضل أهل البيت وذم من حاربهم أمر مجمع عليه عند علماء السنة وأكابر أئمة الامة ثم لا يلزم من أكثرية المحبة تحقق الافضلية اذ محبة الاولاد وبعض الاقارب أمر جبلي مع العلم القطعي بان غيرهم قد يوجد أفضل منهم وأما بالنسبة الى الاجانب فالافضلية توجب زيادة المحبة وبهذا يندفع الاشكال والله أعلم بالاحوال (وعن عبد المطلب بن ربيعة) أي ابن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي سكن المدينة ثم تحول منها الى دمشق ومات بها سنة اثنتين وستين روى عنه عبد الله بن الحرث ذكره المؤلف في فصل الصحابة (ان العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا) بصيغة المفعول (وأنا عنده فقال ما أغضبك) أي أي شيء جعلك غضبان (قال يا رسول الله ما لنا) أي معشر بني هاشم (ولقريش) أي بقيتهم (اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة) على صيغة المفعول من الابشار وروي من التبشير وعليه بعض النسخ قال الطيبي كذا في جامع الترمذي وفي جامع الاصول مسفرة يعني على انه اسم فاعل من الاسفار بمعنى مضيئة قال التوربشتي هو بضم الميم وسكون الباء وفتح الشين يريد بوجوه عليها البشر من قولهم فلان مؤدم مبشر اذا كانت له أدمة وبشرة محمودتين اه والمعنى تلاقي بعضهم بعضا بوجوه ذات بشر وبسط (واذا لقونا) بضم القاف (لقونا بغير ذلك) أي بوجوه ذات قبض وعبوس وكان وجهه انهم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله (فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي من اظهار ذلك أو من أصل هذه الصفة الذميمة (حتى احمر وجهه) أي اشتد حمرته من كثرة غضبه (ثم قال والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان) أي مطلقا وأريد به الوعيد الشديد أو الايمان الكامل فالمراد به تحصيله على الوجه الاكمل (حتى يحبكم) أي أهل البيت (لله ولرسوله) أي من حيث أظهر رسوله فيكم والله أعلم حيث يجعل رسالته وقد كان يتفوه أبو جهل حيث يقول اذا كان بنو هاشم أخذوا الراية والسقاية والنبوة والرسالة فما بقي لبقية قريش (ثم قال يا أيها الناس من آذى عمي) أي خصوصا (فقد آذاني) أي فكأنه آذاني (فانما عم الرجل صنو أبيه) بكسر الصاد وسكون النون أي مثله وأصله ان يطلع نخلتان أو ثلاث من أصل عرق واحد فكل واحدة منهن صنو يعني ما عم الرجل وأبوه الا كصنوين من أصل واحد فهو مثل أبي أو مثلي (رواه الترمذي) أي عن عبد المطلب (وفي المصابيح عن المطلب) قال المؤلف هو المطلب بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي كان عاملا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عداده في أهل الحجاز وروى عنه عبد الله بن الحرث قدم مصر لغزو افريقية سنة تسع وعشرين ولم يقع الى أهل الحديث عنه رواية اه فما وقع في المصابيح سهو سببه وهم وفي الجامع روى الترمذي عن أبي هريرة العباس عم رسول الله وان عم الرجل صنو أبيه وروى ابن عساكر عن علي مرفوعا العباس عمي وصنو أبي فمن شاء فليباه بعمه وفي ذخائر العقبى عن ابن عباس قال ان العباس قال يا رسول الله انا لنخرج فنرى قريشا تحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودر عرق الغضب بين عينيه ثم قال والله لا يدخل قلب امرئ ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي رواه أحمد وعن أبي أيوب الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة نبينا خير الانبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك ومنا سبطا هذه الامة الحسن والحسين وهما ابناك ومنا المهدي أخرجه الطبراني في معجمه (وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس مني) أي من أقاربي أو من أهل بيتي أو متصل بي (وأنا منه رواه الترمذي) وكذا الحاكم وروى الخطيب عن ابن عباس مرفوعا العباس وصيي ووارثي وكان العباس أكبر منه صلى الله عليه وسلم بسنتين ومن لطائف طبعه وحسن أدبه انه لما قيل له أنت أكبر أم النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو أكبر وأنا أسن قال المؤلف وأمه امرأة من النمر بن قاسط

وعن عبد المطلب بن ربيعة ان العباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا وأنا عنده فقال ما أغضبك قال يا رسول الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فانما عم الرجل صنو أبيه رواه الترمذي وفي المصابيح عن المطلب

وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس مني وأنا منه رواه الترمذي

وهي أول عربية كست الكعبة الحرير والديباج وأصناف الكسوة وذلك أن العباس ضل وهو صبي فنذرت ان وجدته ان تكسو البيت الحرام فوجدته ففعلت ذلك وكان العباس رئيسا في الجاهلية واليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية أما السقاية فهي معروفة وأما العمارة فانه كان يحمل قريشا على عمارته بالخير وترك السباب فيه وقول الهجر قال مجاهد أعتق العباس عند موته سبعين مملوكا ولد قبل سنتي الفيل ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من رجب سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين ودفن بالبقيع وكان أسلم قديما وكتم اسلامه وخرج مع المشركين يوم بدر مكرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من لقي العباس فلا يقتله فانه خرج مكرها وأسره أبو اليسر كعب بن عمرو ففادى نفسه ورجع الى مكة ثم أقبل الى المدينة مهاجرا روى عنه جماعة (وعنه) أي عن ابن عباس (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس اذا كان غداة الاثنين) بهمزة وصل وقد عدوا قول الشاعر * وكل سر جاوز الاثنين شاع * لحنا لعدم ازانه الا بهمز القطع مع انه قد يجوز لضرورة الشعر (فأتني أنت وولدك) بفتحتين وبضم وسكون أي أولادك (حتى ادعو لهم) أي للاولاد معك قال الطيبي وهو كذا في الترمذي وفي جامع الاصول وبعض نسخ المصابيح لكم اه والمعنى حتى ادعو لكم جميعا (بدعوة ينفعك الله بها وولدك) أي وينفع بها أولادك (قال ابن عباس فغدا) أي العباس (وغدونا) أي نحن معاشر الاولاد (معه) والمعنى فذهبنا جميعنا اليه صلى الله عليه وسلم وأبعد شارح في قوله أي قال ابن عباس فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وألبسنا) أي النبي صلى الله عليه وسلم جميعنا أو نحن الاولاد مع العباس (كساءه) أي لباسه الخاص على وجه الاختصاص وارادة الاخلاص (ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده) أي أولاده (مغفرة ظاهرة وباطنة) أي ما ظهر من الذنوب وما بطن من العيوب التي لم يعلمها الا علام العيوب (لاتغادر) أي لاتترك تلك المغفرة (ذنبا) أي غير مغفور (اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وزاد رزين واجعل الخلافة باقية في عقبه وقال الترمذي هذا حديث غريب) قال التوربشتي أشار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الى انهم خاصته وأنهم بمثابة النفس الواحدة التي يشملها كساء واحد وانه يسأل الله تعالى أن يبسط عليهم رحمته بسط الكساء عليهم وانه يجمعهم في الآخرة تحت لوائه وفي هذه الدار تحت رايته لاعلاء كلمة الله تعالى ونصرة دعوة رسوله اللهم احفظه في ولده أي اكرمه وراع أمره كيلا يضيع في شأن ولده وهذا معنى رواية رزين واجعل الخلافة باقية في عقبه (وعنه) أي عن ابن عباس (انه) أي ابن عباس كما صرح به شارح (رأى جبريل مرتين) روى ابن النجار عن ابن عباس قال دخلت أنا وأبي على النبي صلى الله عليه وسلم فلما خرجنا من عنده قلت لابي أما رأيت الرجل الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ما رأيت رجلا أحسن وجها منه فقال لي أهو كان أحسن وجها أم النبي صلى الله عليه وسلم قلت هو قال فارجع بنا فرجعنا حتى دخلنا عليه فقال له أبي يا رسول الله أين الرجل الذي كان معك زعم عبد الله انه كان أحسن وجها منك قال يا عبد الله رأيته قلت نعم قال اما ان ذلك جبريل اما انه حين دخلتما قال لي يا محمد من هذا الغلام قلت ابن عمي عبد الله بن عباس قال انه لحل للخير قلت يا روح الله ادع الله له فقال اللهم بارك عليه اللهم اجعل منه كثيرا طيبا اه ولا يخفى أن قوله أحسن يحتاج الى توجيه حسن وتأويل مستحسن وهو انه لما رآه أول نظرة استحسنه بحيث انه ظن انه أحسن كما هو مشاهد في المرئيات المستحسنة أولا أو لان جبريل كان متوجها اليه منبسطا عليه أو لعدم تمييز ابن عباس حينئذ مع المناسبة الطفولية المشابهة بالصفة الملكية التي كأنها علة الضم من الجنسية والا فجبريل عليه السلام كان يظهر على صورة دحية ولم ينقل احد من الصحابة انه كان أحسن صورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (ودعا له) أي لابن عباس (رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين) أي مرة باعطاء الحكمة أو علم الكتاب حين ضمه الى صدره ومرة بتعليم الفقه حين خدمه بوضع ماء وضوئه (رواه الترمذي وعنه) أي عن ابن عباس (انه قال دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤتيني الله الحكمة) أي العلم بأصول الشريعة وفروعها (مرتين) أي مرة بلفظ الحكمة ومرة بعبارة

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس اذا كان غداة الاثنين فأتني أنت وولدك حتى أدعو لكم بدعوة ينفعك الله بها وولدك فغدا وغدونا معه وألبسنا كساءه ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لاتغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وزاد رزين واجعل الخلافة باقية في عقبه وقال الترمذي هذا حديث غريب وعنه انه رأى جبريل مرتين ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين رواه الترمذي وعنه انه قال دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤتيني الله الحكمة مرتين

الفقه والظاهر انهما في مجلسين كما تقدم والله أعلم (رواه الترمذي وعن أبي هريرة قال كان جعفر يحب
المساكين) أي محبة زائدة (ويجلس اليهم) أي ويتواضع لهم (ويحدثهم ويحدثونه) أي بالمؤانسة
(وكان) وفي نسخة صحيحة وكان (رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنيه) أي لكثرة ما ذكر (بأبي المساكين)
أي ملازمهم ومداومهم كما كنى عليا بأبي تراب لمباشرته ومعاشرته بقعوده ورقوده عليه وكما قال الصوفي
أبو الوقت وابن الوقت وللمسافر ابن السبيل (رواه الترمذي وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام جعفرا يطير) أي بأجنحة روحانية أو جسمانية (في الجنة مع الملائكة) قال
التوربشتي كان جعفر قد أصيب بمؤتة من أرض الشام وهو أمير بيده راية الاسلام بعد زيد بن حارثة فقاتل
في الله حتى قطعت يداه ورجلاه فأرى نبي الله صلى الله عليه وسلم فيما كوشف به ان له جناحين ملطخين بالدم
يطير بهما في الجنة مع الملائكة (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أبي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) قال المظهر يعني هما أفضل من مات شابا في سبيل
الله من أصحاب الجنة ولم يرد به سن الشباب لانهما ماتا وقد كهلا بل ما يفعله الشباب من المروة كما يقال فلان
فتى وان كان شيخا يشير الى مروته وفتوته أو انهما سيدا أهل الجنة سوى الانبياء والخلفاء الراشدين وذلك
لان أهل الجنة كلهم في سن واحد وهو الشباب وليس فيهم شيخ ولا كهل قال الطيبي ويمكن أن يراد هما
الآن سيدا شباب من هم من أهل الجنة من شبان هذا الزمان (رواه الترمذي) وكذا أحمد عن أبي سعيد
والطبراني عن عمر وعن علي وعن جابر وعن أبي هريرة والطبراني في الاوسط عن أسامة بن زيد وعن البراء
وابن عدي في الكامل عن ابن مسعود ورواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر ولفظه الحسن والحسين سيدا
شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما وكذا رواه الطبراني عن قرة وعن مالك بن الحويرث والحاكم عن ابن
مسعود ورواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم عن أبي سعيد بلفظ الحسن والحسين سيدا
شباب أهل الجنة الا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا ما كان من
مريم بنت عمران (وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحسن والحسين هما ريحاني) بفتح
نون وتشديد ياء كما سبق وفي نسخة صحيحة بنار يحاناي وفي نسخة ريحاني بكسر النون (من الدنيا رواه الترمذي
وقد سبق) أي هذا الحديث (في الفصل الاول) قال السيد جمال الدين فيه اشارة الى الاعتراض على صاحب
المصابيح ثانيا ويدفع بان الاول رواية البخاري وقعت في محله وهذا رواية الترمذي جاء في موضعه فلا تكرار مع
ان اللفظين متغايران في الجملة (وعن أسامة بن زيد) أي ابن حارثة (قال طرقت النبي صلى الله عليه وسلم) أي
طلبت الطريق اليه ففي القاموس الطرق الاتيان بالليل كالطروق ففي الكلام تجريد أو تأكيد والمعنى أتيته
(ذات ليلة) أي ليلة من الليالي وذات مقحمة لتأكيد الابهام (في بعض الحاجة) أي لاجل غرض حاجة من
الحاجات الحادثة في الاوقات (فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل) أي محتجب (على شيء لا أدري ما هو
فلما فرغت من حاجتي قلت ما هذا الذي أنت مشتمل عليه فكشفه) أي أزال ما عليه من الحجاب أو المعنى فكشف
الحجاب عنه على انه من باب الحذف والايصال (فاذا الحسن والحسين على وركيه) بفتح فكسر وفي القاموس
بالفتح والكسر وككتف ما فوق الفخذ (فقال هذان ابناي) أي حكما (وابنا ابنتي) أي حقيقة (اللهم
اني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما) ولعل المقصود من اظهار هذا الدعاء حمل أسامة زيادة على محبتهما
(رواه الترمذي وعن سلمى) بفتح أوله زوجة أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم قابلة ابراهيم ابن نبي الله
صلى الله عليه وسلم روى عنها ابنها عبيد الله بن علي (قالت دخلت على أم سلمة) وهي من أمهات المؤمنين (وهي
تبكي) أخرج أحمد في المناقب عن الربيع بن منذر عن أبيه قال كان حسن بن علي يقول من دمعت عيناه فينا
دمعة أو قطرت عيناه فينا قطرة آتاه الله عز وجل الجنة (فقلت ما يبكيك) بضم أوله وكسر كافيه (قالت
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني في المنام) هذا من كلام سلمى أو عن بعدها أي تريد أم سلمة بالرؤية

الرؤية

رواه الترمذي وعن أبي هريرة قال كان جعفر يحب المساكين ويجلس اليهم ويحدثهم ويحدثونه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكنيه بأبي المساكين رواه الترمذي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت جعفرا يطير في الجنة مع الملائكة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة رواه الترمذي وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحسن والحسين هما ريحاني من الدنيا رواه الترمذي وقد سبق في الفصل الاول وعن أسامة بن زيد قال طرقت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في بعض الحاجة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل على شيء لا أدري ما هو فلما فرغت من حاجتي قلت ما هذا الذي أنت مشتمل عليه فكشفه فاذا الحسن والحسين على وركيه فقال هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما رواه الترمذي وعن سلمى قالت دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني في المنام

الرؤية في المنام (وعلى رأسه ولحيته التراب) أي أثره من الغبار (فقلت مالك) أي من الحال (يا رسول الله قال شهدت) أي حضرت (قتل الحسين آنفا) بمد همزة ويجوز قصرها أي في هذه الساعة القريبة (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) قال ميرك رواه الترمذي وقال حسن غريب وفي سنده حسن بن أسامة بن زيد يضعف قال الذهبي ولم يصح خبره قلت لكن يقويه خبر ابن عباس الآتي في الفصل الثالث (وعن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أهل بيتك أحب اليك قال الحسن والحسين وكان يقول لفاطمة ادعي لي) بسكون الياء وفتحها أي اطلبي لأجلي (ابني) بصيغة التثنية (فيشمهما) بضم الشين وقد يفتح ففي القاموس الشم حس الانف شممته بالكسر أشمه بالفتح وشممته أشمه بالضم قال غيره شممت الشيء من باب فرح وجاء من باب نصر لغة فيه والمعنى فيحضران فيشمهما لانهما ريحاناه (ويضمهما اليه) أي بالاعتناق والاحتضان (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) وفي المختار حسن غريب (وعن يعلى بن مرة قال جاء الحسن والحسين يستبقان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده في عنقه فضمه الى بطنه صلى الله عليه وسلم ثم جاء الآخر فجعل يده الاخرى في رقبته ثم ضمه الى بطنه صلى الله عليه وسلم وقبل هذا ثم قبل هذا ثم قال اني أحبهما فأحبوهما أيها الناس الولد مبخلة مجبنة مجهلة رواه أحمد (وعن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا اذ جاء الحسن والحسين عليهما) وفي نسخة بزيادة الواو الحالية (قميصان أحمران) أي فيهما خطوط حمر (يمشيان ويعثران) بضم المثلثة ويجوز تثليثها ففي القاموس عثر كضرب ونصر وعلم وكرم كبا والمعنى انهما يسقطان على الارض لصغرهما وقلة قوتهما وفي رواية الكشاف يعثران ويقومان (فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما) أي على كتفيه (ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله) أي في قوله (انما أموالكم وأولادكم) أي بالخطاب العام (فتنة) أي محنة (فنظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر) أي عنهما لتأثير الرحمة والرقة في قلبي (حتى قطعت حديثي) أي كلامي في الخطبة (ورفعتهما) أي عندي ليحصل لهما الرفعة عند الله وعند خلقه (ثم أخذ في خطبته) على ما في الكشاف (رواه الترمذي وأبو داود والنسائي) وقال الترمذي حسن غريب (وعن يعلى بن مرة) بضم فتشديد ثقفي شهد الحديبية وخيبر والفتح وحنينا والطائف روى عنه جماعة وعداده في الكوفيين (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسين مني وأنا من حسين) قال القاضي كأنه صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر وبين انهما كالشيء الواحد في وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة وأكد ذلك بقوله (أحب الله من أحب حسينا) فان محبته محبة الرسول ومحبة الرسول محبة الله (حسين سبط) بكسر السين وفتح الموحدة أي ولد ابنتي (من الاسباط) وأخذه من السبط بالفتح وهي شجرة لها أغصان كثيرة وأصلها واحد كأن الوالد بمنزلة الشجرة والاولاد بمنزلة أغصانها وقيل في تفسيره انه أمة من الامم في الخير قال القاضي السبط ولد الولد أي هو من أولاد أولادي أكده به البعضية وقررها ويقال للقبيلة قال تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أي قبائل ويحتمل أن يكون المراد هنا على معنى انه يتشعب منه قبيلة ويكون من نسله خلق كثير فيكون اشارة الى ان نسله يكون أكثر وأبقى وكان الامر كذلك (رواه الترمذي) وكذا سعيد بن منصور في سننه وقال الترمذي حسن وعن خالد بن معدان قال وفد المقدام بن معدي كرب وعمرو بن الاسود الى معاوية فقال معاوية للمقدام أعلمت أن الحسن بن علي توفي فرجع المقدام فقال له معاوية أتراها مصيبة وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره وقال هذا مني وحسين من علي أخرجه أحمد وهو لا ينافي ما رواه أحمد وابن عساكر عن المقدام بن معدي كرب مرفوعا الحسن مني والحسين من علي لانه أراد قسمة الوالدين للابوين فالكبير للجد والصغير للاب كما هو معروف في العرف ولفظ الجامع حسين مني وأنا منه أحب الله من أحب حسينا الحسن والحسين سبطان من الاسباط أخرجه البخاري في الادب المفرد والترمذي والنسائي والحاكم في

وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت مالك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفا رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أهل بيتك أحب اليك قال الحسن والحسين وكان يقول لفاطمة ادعي لي ابني فيشمهما ويضمهما اليه رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا اذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وعن يعلى بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الاسباط رواه الترمذي

رواه الترمذي وعن حذيفة قال قلت لامي دعيني آتي النبي صلى الله عليه وسلم فأصلي معه المغرب واسأله أن يستغفر لي ولك فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه المغرب فصلى حتى صلى العشاء ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي فقال من هذا حذيفة قلت نعم قال ما حاجتك غفر الله لك ولامك ان هذا ملك لم ينزل الارض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم علي و يبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل الحسن بن علي على عاتقه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو رواه الترمذي وعن عمر انه فرض لاسامة في ثلاثة آلاف وخمسمائة وفرض لعبد الله بن عمر في ثلاثة آلاف فقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت أسامة علي فوالله ما سبقني الى مشهد قال لان زيدا كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك وكان أسامة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي رواه الترمذي وعن جبلة بن حارثة قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ابعث معي أخي زيدا قال هو ذا فان انطلق معك لم أمنعه قال زيد يارسول الله والله لا أختار عليك أحدا قال فرأيت رأي أخي أفضل من رأيي رواه الترمذي وعن أسامة بن زيد قال لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس المدينة

مستدركه عن يعلى بن مرة (وعن علي رضي الله عنه قال الحسن أشبه) فعل ماض أي شابه في الصورة (رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر الى الرأس) قال الطيبي بدل من الفاعل المضمر في أشبه أو من المفعول بدل البعض وكذا قوله الآتي ما كان أسفل (والحسين أشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك) أي كالساق والقدم فكان الاكبر أخذ الشبه الاقدم لكونه أسبق والباقي للاصغر وتحقق وفيه اشعار بأنهما لم يأخذا شبها كثيرا من والديهما (رواه الترمذي) وكذا أبو حاتم وقال الترمذي حسن غريب (وعن حذيفة قال قلت لامي دعيني) أي اتركيني وخلي سبيلي (آتي) باثبات الياء فهو استئناف أي أنا آتي (النبي صلى الله عليه وسلم فأصلي معه المغرب) ولعلها كانت تمنعه لبعد محله خوفا عليه أو عليها (واسأله أن يستغفر لي ولك) أي وأذنت لي (فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه المغرب فصلى) أي النبي صلى الله عليه وسلم النوافل (حتى صلى العشاء ثم انفتل) أي انصرف ورجع (فتبعته فسمع صوتي) أي صوت حركة رجلي (فقال من هذا حذيفة) أي فقال قبل جواب حذيفة فلعله علم من نور النبوة أو طريق الفراسة وهو خبر مبتدا محذوف أي أهذا أو هو أو أنت حذيفة (قلت نعم قال ما حاجتك غفر الله لك ولامك) وهذا ابهام وتبيين للحاجة السابقة ثم استأنف وقال (ان هذا) أي المحسوس عنده صلى الله عليه وسلم الملحوظ حكما عند حذيفة (ملك لم ينزل الارض قط قبل هذه الليلة) فيه ايماء الى تعظيم الامر الذي نزل فيه (استأذن ربه أن يسلم علي و يبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب) وفي الذخائر أخرجه أحمد والترمذي وقال حسن غريب (وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملا الحسن بن علي) وفي رواية حاملا الحسن (على عاتقه) بكسر التاء أي ما بين منكبه وعنقه (فقال رجل نعم المركب) أي هو (ركبت) أي ركبته (يا غلام فقال صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو رواه الترمذي) أي وقال غريب (وعن عمر رضي الله عنه انه فرض) أي قدر في امارته (وظيفة لاسامة في ثلاثة آلاف وخمسمائة) أي من أموال بيت المال رزقا له (وفرض) أي عمر (لعبد الله بن عمر) أي ولده بل أعز أولاده (في ثلاثة آلاف) أي بنقص خمسمائتين وظيفة أسامة (فقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت أسامة علي) أي في الوظيفة المشعرة بزيادة الفضيلة (فوالله ما سبقني الى مشهد) أي محضر من الخير علما وعملا وقال الطيبي أراد بالمشهد مشهد القتال ومعركة الكفار (قال لان زيدا) أي أبا أسامة (كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك) فيه دلالة على ما قدمناه من أنه لا يلزم من كون أحد أحب أن يكون أفضل (وكان أسامة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك) وسببه أنهما من أهل البيت فان مولى القوم منهم (فآثرت) بهمز ممدود أي اخترت (حب رسول الله صلى الله عليه وسلم) بكسر الحاء وقد يضم أي محبوبه (على حبي) أي مع قطع النظر عن ملاحظة الفضيلة بل رعاية لجانب المحبة وايثارا للمودة ومخالفة لما تشتهيه النفس من مزية الزيادة الظاهرة (رواه الترمذي وعن جبلة) بفتح الجيم والموحدة (ابن حارثة) قال المؤلف في فصل الصحابة هو أكبر من أخيه زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عنه أبو اسحق السبيعي وغيره (قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ابعث معي أخي زيدا) بيان أو بدل (قال هو ذا) هو عائد الى زيد وذا اشارة اليه أي هو حاضر مخير (فان انطلق معك لم أمنعه) أي فاني أعتقته (قال زيد يارسول الله والله لا اختار عليك) أي على ملازمتك (أحدا) أي لا أخا ولا أبا ولا أما أبدا (قال) أي جبلة (فرأيت) أي فعلمت بعد ذلك (رأي أخي) أي زيد (أفضل من رأيي) حيث اختار الملازمة لحضرة المتفرع عليه خير الدنيا والآخرة (رواه الترمذي وعن أسامة بن زيد قال لما ثقل) بضم القاف أي ضعف (من مرضه الذي مات منه رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت) أي نزلت من سكني التي كانت في عوالي المدينة (وهبط الناس) أي الصحابة جميعهم من منازلهم (المدينة) أي اليها على طريق الحذف والايصال نحو قوله تعالى واختار موسى قومه أي منهم قال الشراح انما قال هبطت لانه

كان يسكن العوالي والمدينة من أي جهة توجهت اليها صح فيها الهبوط لانها أواخذت في ارتفاع من الارض ينحدر اليها السيل وأطرافها ونواحيها من الجوانب كلها مستعلية عليها (فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصمت) على بناء المفعول يقال أصمت العليل اذا اعتقل لسانه (فلم يتكلم) أي أصلا (فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يديه علي) أي على بدني (ويرفعهما) أي عني (فاعرف) أي بنور الولاية وظهور الفراسة (انه يدعو لي) أي لمحبته ورعاية خدمته حتى حين غيبة حضرته (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عائشة قالت أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينحي) بتشديد الحاء المكسورة أي يزيل (مخاط أسامة) بضم الميم وهو ما يسيل من الانف (قالت عائشة دعني) أي اتركني (حتى أنا الذي أفعل) أي خدمته (قال يا عائشة أحبيه فاني أحبه رواه الترمذي وعن أسامة قال كنت جالسا) أي عند بابه عليه الصلاة والسلام (اذ جاء علي والعباس يستأذنان) أي يريدان طلب الاذن في دخولهما (فقالا لأسامة استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم) ولعله كان صغيرا اذ ذاك (فقلت يا رسول الله علي والعباس يستأذنان) أي على الباب (فقال أتدري ما جاء بهما) أي ما سبب مجيئهما (قلت لا قال لكني أدري ائذن لهما) بهمزة ساكنة وصلا وبابدالها ياء (فدخلا) أي بعد اذنهما (فقالا يا رسول الله جئناك نسألك أي أهلك أحب اليك قال فاطمة بنت محمد قالا ما جئناك نسألك عن اهلك) أي من أزواجك وأولادك بل نسألك عن أقاربك ومتعلقيك (قال أحب أهلي الي) أي من الرجال (من قد أنعم الله عليه) اي بالاسلام والهداية والاكرام (وأنعمت عليه) أي أنا بالعتق والتبني والتربية وهذا وان ورد في حق زيد لكن ابنه تابع له في حصول الانعامين (قالا ثم من قال ثم علي بن أبي طالب) وفي نسخة بدون ثم فهذا نص جلي على انه لا يلزم من الاحبية الافضلية فان عليا أفضل من أسامة وزيد بالاجماع قال الطيبي أي أهلك أحب اليك مطلق ويراد به المقيد أي من الرجال بينه ما بعده وهو قوله أحب أهلي الي من قد أنعم الله عليه وفي نسخ المصابيح قوله ما جئناك نسألك عن أهلك مقيد بقوله من النساء وليس في جامع الترمذي وجامع الاصول هذه الزيادة ولم يكن أحد من الصحابة الا وقد أنعم الله عليه وأنعم عليه رسوله الا أن المراد المنصوص عليه في الكتاب وهو قوله تعالى واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه وهو زيد لا خلاف في ذلك ولا شك وهو وان نزل في حق زيد لكنه لا يبعد أن يحصل أسامة تابعا للابيه في هاتين النعمتين وحل ما حل مامن الله تعالى في التنزيل من الانعام على بني اسرائيل نحو أنعمت عليكم نعم أسداها الى آبائهم (فقال العباس يا رسول الله جعلت عمك آخرهم) أي آخر أهلك (قال ان عليا سبقك بالهجرة) اي وكذا بالاسلام فهذا أوجب تقديم الاحبية المترتبة على الافضلية لا على الاقربية ونظيره انه جاء العباس وأبو سفيان وبلال وسلمان الى باب عمر يستأذنونه فقال خادم عمر بعد اعلامه بالجماعة يدخل بلال فقال أبو سفيان للعباس أما ترى انه يقدم علينا موالينا فقال العباس نحن تأخرنا بهذا جزاؤنا (رواه الترمذي) وروى الديلمي في الفردوس عن عائش بن ربيعة خير اخوتي علي وخير أعمامي حمزة (وذكر ان عم الرجل صنو أبيه في كتاب الزكاة) أي حيث قاله صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة زكاة العباس

(الفصل الثالث) (عن عقبة بن الحارث) قرشي أسلم يوم الفتح عداده في أهل مكة روى عنه عبد الله ابن أبي مليكة وغيره (قال صلى أبو بكر العصر) أي في زمن خلافته أو قبلها (ثم خرج يمشي ومعه علي فرأى) أي أبو بكر (الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال بابي) قال الطيبي يحتمل أن يكون التقدير هو مفدى بابي فقوله (شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم) يكون خبرا بعد خبر او أفديه بابي فعلى هذا شبيه خبر مبتدأ محذوف وفي تنكيره لطف وفيه اشعار بعلية الشبه للتفدية اه ولا يعارض هذا قول علي لم أر قبله ولا بعده مثله لان المنفي محمول على عموم الشبه والمثبت على معظمه كما أشار اليه الطيبي بقوله وفي تنكيره لطف أي ايماء لطيف الى ان المراد به نوع شبه وقوله (ليس) أي الحسن (شبيها بعلي وعلي يضحك) أي فرحا والجملة حال (رواه البخاري) قال ميرك كذا وقع في المشكاة قوله شبيها بالنصب على انه خبر ليس وهو ظاهر لكنه في

صلى الله عليه وسلم يضع يديه علي ويرفعهما فاعرف انه يدعو لي رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن عائشة قالت أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن ينحي مخاط أسامة قالت عائشة دعني حتى أنا الذي أفعل قال يا عائشة أحبيه فاني أحبه رواه الترمذي وعن أسامة قال كنت جالسا اذ جاء علي والعباس يستأذنان فقالا لأسامة استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله علي والعباس يستأذنان فقال اتدري ما جاء بهما قلت لا قال لكني أدري ائذن لهما فدخلا فقالا يا رسول الله جئناك نسألك أي أهلك أحب اليك قال فاطمة بنت محمد قالا ما جئناك نسألك عن أهلك قال أحب أهلي الي من قد أنعم الله عليه وأنعمت عليه أسامة بن زيد قالا ثم من قال ثم علي بن أبي طالب فقال العباس يا رسول الله جعلت عمك آخرهم قال ان عليا سبقك بالهجرة رواه الترمذي وذكر ان عم الرجل صنو أبيه في كتاب الزكاة

(الفصل الثالث) عن عقبة بن الحرث قال صلى أبو بكر العصر ثم خرج يمشي ومعه علي فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال بابي شبيه

وعن أنس قال أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين فجعل في طست فجعل ينكت وقال في حسنه شيأ قال أنس فقلت والله انه كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم كان مخضوبا بالوسمة رواه البخاري وفي رواية الترمذي قال كنت عند ابن زياد فجيء برأس الحسين فجعل يضرب بقضيب في أنفه ويقول ما رأيت مثل هذا حسنا فقلت اما انه كان من أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا حديث صحيح حسن غريب وعن أم الفضل بنت الحرث انها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني رأيت حلما

البخاري في جميع الروايات ليس شبيه بالرفع واعرابه لا يخلو من خفاء فقيل ليس حرف عطف وهو مذهب الكوفي واقيل يجوز أن يكون شبيه اسم ليس ويكون خبرها ضميرا متصلا حذف استغناء عنه بلفظ شبيه ونحوه قوله في خطبته يوم النحر أليس ذو الحجة اه ولا يخفى ظهور الوجه الاول لخلوه عن التكلف وفيل لا يخفى ما في التوجيهين من التعسف والاظهر أن يقال ان اسم ليس ضمير الشان وشبيه خبر مبتدأ محذوف أي هو شبيه والجملة خبر ليس قلت وفيه أن هذا التوجيه يشتمل على تعسفين بخلاف ما سبق فانه متضمن لتعسف واحد هذا ولفظ الحديث على ما في الذخائر عن عقبة بن الحرث قال رأيت أبا بكر حمل الحسن على رقبته وهو يقول بابي شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم ليس شبيها بعلي وهو يضحك اخرجه البخاري وفي رواية خرجت مع أبي بكر من صلاة العصر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي يمشي الى جانبه فمر الحسن يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته يعني أبا بكر وهو يقول الحديث وفي الحديث رد على الغرابية وهم على ما في حواشي الشفاء طائفة من الرفضة لقبوا بذلك لقولهم كان محمد أشبه بعلي من الغراب بالغراب فبعث الله جبريل الى علي فغلط (وعن أنس قال أتى) أي جيء (عبيد الله بن زياد برأس الحسين) قال المؤلف هو عبيد الله بن عبد الله بن زياد وهو الذي سير الجيش لقتل الحسين وهو يومئذ أمير الكوفة ليزيد ابن معاوية قتل بارض الموصل على يد ابراهيم بن مالك بن الاشتر النخعي في أيام المختار بن أبي عبيد سنة ست وستين (فجعل) بصيغة المفعول أي وضع (رأس الحسين في طست) بفتح طاء وسكون سين مهملة وسبق تحقيقه (فجعل) أي ابن زياد (ينكت) بفتح الياء وضم الكاف والفوقية أي يضرب (برأس القضيب) في أنفه كما سيأتي وفي النهاية قوله ينكت أي يفكر ويحدث بنفسه وأصله من النكت بالعصا وهو ضرب الارض بها ونكت الارض بالقضيب هو أن يؤثر فيها بطرفه كفعل المفكر المهموم (وقال) أي ابن زياد (في حسنه) أي في حسن الحسين (شيأ) أي من المدح كما سيجيء (قال أنس فقلت والله انه كان أشبههم) أي أشبه الصحابة أو أهل البيت (برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان) أي الحسين حينئذ (مخضوبا بالوسمة) بكسر السين وقد يسكن فقال بعض الشراح الوسمة نبت يخضب به و يميل الى السواد وتسكين السين لغة فيه وفي المصباح لغة الحجاز بكسر السين وهي أفصح من السكون بل أنكر الزهري السكون وقال كلام العرب بالكسر نبت يخضب بعروقه اه وهو بفتح الواو وأخطأ من ضمها وقيل يجوز فتح سينها وفي القاموس الوسمة وكفرحة ورق النيل أو نبات يخضب بورقه وفي النهاية الوسمة نبات يخضب به (رواه البخاري وفي رواية الترمذي قال) أي أنس (كنت عند ابن زياد فجيء برأس الحسين) أي اليه (فجعل) أي شرع (يضرب بقضيب في أنفه ويقول ما رأيت مثل هذا حسنا) بضم فسكون قيل هذا لا يلائم السياق الا أن يحمل على الاستهزاء اه فحينئذ يحمل استهزاؤه على المكابرة وزيادة المعاندة (فقلت اما) بالتخفيف للتنبيه (انه) أي الحسين (كان من أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال) أي الترمذي (هذا حديث صحيح حسن غريب) وللطبراني فجعل يجعل قضيبا في يده في عينه وأنفه فقلت ارفع قضيبك فقد رأيت فارسول الله صلى الله عليه وسلم في موضعه وفي رواية البزار قال فقلت له اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشم حيث يقع قضيبك قال فانقبض كذا في فتح الباري وفي الذخائر عن عمارة بن عمير قال لما جيء برأس ابن زياد وأصحابه نضدت في المسجد في الرحبة فانتهيت اليهم وهم يقولون قد جاءت قد جاءت فاذا حية قد جاءت تتخلل الرؤس حتى دخلت في منخر عبيد الله بن زياد فمكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيب ثم قالوا قد جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثا أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح (وعن أم الفضل بنت الحرث) اسمها لبابة العامرية امرأة العباس بن عبد المطلب وأم أكثر بنيه وهي أخت ميمونة أم المؤمنين ويقال انها أول امرأة أسلمت بعد خديجة روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة فمنها (انها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني رأيت حلما) بضم فسكون وبضمتان ففي النهاية الحلم بضمتين وبضم فسكون ما يراه

النائم (منكرا) بفتح الكاف المخففة أي مهولا (الليلة) أي البارحة (قال وما هو قالت انه شديد) أي صعب سماعه (قال وما هو قالت رأيت كان قطعة من جسدك قطعت) بصيغة المجهول وكذا قوله (فوضعت في حجري) بالكسر ويفتح وتقدم ان الحجر بالكسر أشهر في الحضن وبالفتح في التربية (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت خيرا تلد فاطمة ان شاء الله غلاما يكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره) وفي نسخة في حجري (ثم كانت مني التفاتة) أي وقعت مني ملاحظة فنظرت الى جانب (فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تهريقان الدموع) بفتح الهاء ويسكن أي تسيلان ماء العين للبكاء (قالت فقلت يا نبي الله بابي أنت وأمي مالك) أي من الحال الذي يبكيك (قال أتاني جبريل) وفي نسخة عليه السلام (فأخبرني ان أمتي) أي أمة الاجابة (ستقتل ابني هذا) أي ظلما (فقلت) أي لجبريل (هذا) أي ابني هذا الزيادة التأكيد (قال نعم وأتاني بتربة من تربته) أي من ترابه (الذي يقتل به حمراء) بالفتح صفة لتربة وفي الذخائر عن سلمى قالت دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت مالك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفا أخرجه الترمذي وقال حديث غريب والبغوي في الحسان (وعن ابن عباس انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم) أي بعد موته عليه السلام (ذات يوم بنصف النهار) وفي الذخائر زيادة وهو قائم (أشعث أغبر) أي حال كونه متفرق الشعر مغبر البدن (بيده قارورة فيها دم فقلت بأبي أنت وأمي ما هذا) أي الدم (قال هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل) وفي نسخة ولم أزل (التقطه منذ اليوم) قال الطيبي هذا من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر لقوله هذا ويجوز أن يكون خبرا ودم الحسين بدل من هذا وقوله (فاحصى ذلك الوقت) من كلام ابن عباس اه أي حفظ تاريخ ذلك الوقت من زمن الرؤيا (فاجد قتل ذلك الوقت) أي فوجدته قتل في ذلك الوقت والعدول عن الماضي الى المضارع لاستحضار الحال الغريبة ولا يخفى ان هذا انما يتم اذا كان وقت القتل محفوظا في نفس الرؤيا بان قال صلى الله عليه وسلم هذا دم الحسين وأصحابه يقتلون في وقت كذا لكن يشكل بقوله لم أزل التقطه منذ اليوم اللهم الا ان يقال تصويره ان الرائي رأى في نومه كأنه مضى عليه بعض سنين ثم في آخر سنة منها يوم عاشوراء سنة كذا رآه صلى الله عليه وسلم بالوصف المذكور والقول المسطور فحفظ تاريخ الوقت فوجده مطابقا والنعت موافقا والله أعلم ثم رأيت الحديث في الذخائر من غير قوله فاحصى ذلك الوقت فاجد الخ بل لفظه بعد قوله لم أزل التقطه منذ اليوم فوجدته قد قتل في ذلك اليوم أخرجه ابن بنت منيع وأبو عمرو الحافظ السلفي والله أعلم (رواهما) أي حديثي أم الفضل وابن عباس (البيهقي في دلائل النبوة وأحمد الاخير) أي وروى أحمد الحديث الاخير وهو حديث ابن عباس فقط وعن علي قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تفيضان قلت يا نبي الله أغضبك أحد ما شأن عينيك تفيضان قال قام من عندي جبريل قبل حديثي وحدثني ان الحسين يقتل بشط الفرات قال فقال هل لك الى ان أشمك من تربته قلت نعم فمد يده فقبض قبضة من تراب فاعطانيها فلم أملك عيني ان فاضتا أخرجه أحمد (وعنه) أي عن ابن عباس (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم) أي به كما في نسخة وهو بفتح الياء وضم الذال المعجمة أي يرزقكم (من نعمة) أي من أي نعمة لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفي نسخة صحيحة من نعمه بكسر النون وفتح العين فيم مضاف الى هاء الضمير أو المعنى ان كنتم لا تحبون الله الا لما يغذوكم به من نعمة فاحبوه والا فلا فهو سبحانه محبوب لذاته وصفاته عند العارفين من المحبين سواء أنعم أم لا فهو على منوال قوله سبحانه فليعبدوا رب هذا البيت (فاحبوني) أي اذا ثبت سبب محبة الله فاحبوني (لحب الله) لان محبوب المحبوب محبوب ولقوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفي نسخة وأحبوني بالواو عطفا على ما قبله (وأحبوا أهل بيتي لحبي) أي اياهم

منكر الليلة قال وما هو قالت انه شديد قال وما هو قالت رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت خيرا تلد فاطمة ان شاء الله غلاما يكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره ثم كانت مني التفاتة فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تهريقان الدموع قالت فقلت يا نبي الله بابي أنت وأمي مالك قال أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني ان أمتي ستقتل ابني هذا فقلت هذا قال نعم وأتاني بتربة من تربته حمراء وعن ابن عباس انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم ذات يوم بنصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بابي أنت وأمي ما هذا قال هذا دم الحسين وأصحابه ولم أزل التقطه منذ اليوم فاحصى ذلك الوقت فأجد قتل ذلك الوقت رواهما البيهقي في دلائل النبوة وأحمد الاخير وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي

أو بأيكم باى (رواه الترمذى) وكذا الحاكم فى مستدركه وقال الترمذى حسن غريب (وعن أبى ذر) قال المؤلف هو جندب بن جنادة الغفارى وهو من أعلام الصحابة وزهادهم أسلم قديما بمكة ويقال كان خامسا فى الاسلام ثم انصرف الى قومه فاقام عندهم الى ان قدم المدينة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد الخندق ثم سكن الربذة الى ان مات بها سنة اثنين وثلاثين فى خلافة عثمان وكان يتعبد قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم روى عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين (انه قال) أى أبو ذر (وهو آخذ) أى متعلق (بباب الكعبة) قال الطيبى أراد الراوى بهذا مزيد توكيد لاثبات هذا الحديث وكذا أبو ذر اهتم بشان روايته فاورده فى هذا المقام على رؤس الانام ليتمسكوا به (سمعت النبى) وفى نسخة صحيحة رسول الله (صلى الله عليه وسلم يقول الا ان مثل أهل بيتى) بفتح الميم والمثلثة أى شبههم (فيكم مثل سفينة نوح) أى فى سببية الخلاص من الهلاك الى النجاة (من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) فكذا من التزم محبتهم ومتابعتهم نجا فى الدارين والا فهلك فيهما ولو كان يفرق المال والجاه أو أحدهما (رواه أحمد) وكذا الحاكم لكن بدون لفظ ان قال الطيبى وفى رواية أخرى لابى ذر يقول من عرفنى فأنا من قد عرفنى ومن أنكرنى فانا أبو ذر سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الا ان مثل أهل بيتى الحديث أراد بقوله فانا من قد عرفنى وبقوله فأنا أبو ذر أنا المشهور بصدق اللهجة وثقة الرواية وان هذا الحديث صحيح لا مجال للرد فيه وهذا تلميح الى ما روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبى ذر وفى رواية لابى ذر من ذى لهجة أصدق ولا أوفى من أبى ذر شبه عيسى بن مريم فقال عمر بن الخطاب كالحاسد يا رسول الله أنتعرف ذلك له قال أعرف ذلك فاعرفوه أخرجه الترمذى وحسنه الصغانى فى كشف الحجاب شبه الدنيا بما فيها من الكفر والضلالات والبدع والجهالات والاهواء الزائغة ببحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض وقد أحاط بأكنافه واطرافه الارض كلها وليس منه خلاص ولا مناص الا تلك السفينة وهى محبة أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم وما أحسن انضمامه مع قوله مثل أصحابى مثل النجوم من اقتدى بشئ منه اهتدى ونعم ما قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره نحن معاشر أهل السنة بحمد الله ركبنا سفينة محبة أهل البيت واهتدينا بنجم هدى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فنرجو النجاة من أهوال القيامة ودركات الجحيم والهداية الى ما يوجب درجات الجنان والنعيم المقيم اه وتوضيحه أن من لم يدخل السفينة كالخوارج هلك مع الهالكين فى أول وهلة ومن دخلها ولم يهتد بنجوم الصحابة كالروافض ضل ووقع فى ظلمات ليس بخارج منها هذا ورواه أحمد عن أنس مرفوعا ان مثل العلماء فى الارض كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر فاذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة ويؤيده ما أخرجه أحمد فى المناقب عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النجوم أمان لاهل السماء فاذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتى أمان لاهل الارض فاذا ذهب أهل بيتى ذهب أهل الارض

(باب مناقب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم)

وفى نسخة ورضى الله عنهن

(الفصل الاول) (عن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها) أى نساء زمانها أو عالمها (مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد) بالتصغير قال القرطبى الضمير عائد الى غير مذكور لكنه يفسره الحال والمشاهدة يعنى به الدنيا والذى يظهر لى ان قوله خير نسائها خبر مقدم والضمير لمريم فكأنه قال مريم خير نساء زمانها (متفق عليه) وكذا رواه الترمذى والنسائى ورواه الحارث عن عروة مرسلا خديجة خير نساء عالمها ومريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها (وفى رواية قال أبو كريب) بالتصغير (وأشار وكيع الى السماء والارض) قال التوربشتى والضمير فى الاولى عائد الى الامة التى كانت فيهم مريم وفى الثانية الى هذه الامة ولهذا كرر القول من أولها تنبيها على ان حكم كل واحد منهما

رواه الترمذى وعن أبى ذر انه قال وهو آخذ بباب الكعبة سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الا ان مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك رواه أحمد

(باب مناقب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم)

(الفصل الاول) عن على قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد متفق عليه وفى رواية قال أبو كريب وأشار وكيع الى السماء والارض

غير حكم الآخر وقال القاضي كلام مستأنف واشارة وكيع الذي هو من جملة رواة هذا الحديث الى السماء والارض منبئة عن كونهما خير من هو فوق الارض وتحت أديم السماء وهو نوع من الزيادة في البيان ولا يستقيم أن يكون تفسيرا لقوله خير نسائها الا ان اعادة الضمير الى السماء غير مستقيمة فيها ثم انهما شيآن مختلفان والضمير راجع الى شيء واحد قال القاضي انما وحد الضمير لانه أراد جملة طبقات السماء وأقطار الارض أوان مريم خير من صعد بروحهن الى السماء وخديجة خير نساء على وجه الارض والحديث ورد في أيام حياتها وقال الطيبي يجوزان يرجع الضمير الى السماء والارض وان اختلفا باعتبار الدنيا مجازا كما عبر بهما عن العالم في قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء الكشاف أي لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض ونحوه قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة على معنى له الحمد في الدنيا والآخرة فعبر بهما عن الدنيا ويؤيد هذا التأويل ما سيأتي في الفصل الثاني من حديث حسبك من نساء العالمين مريم الحديث وتفسير وكيع انما يستقيم اذا بين ما أبهم في الحديث والمبهم فيه كل واحد اه وقال النووي الاظهر في معناه ان كل واحدة منهما خير من نساء الارض في عصرها وأما الفضل بينهما فمسكوت عنه ذكره الجزري (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم) أي وهو صلى الله عليه وسلم بحراء (فقال يارسول الله هذه) اشارة الى ما في ذهن جبريل (خديجة قد أتت) أي توجهت من (مكة معها اناء فيه ادام) أي مع خبز (أو طعام) أي مشتمل عليهما (فاذا أتتك) أي تحقق ما تاها عندك (فاقرأ عليها) بفتح الراء أي أبلغها (السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب) بفتحتين أي لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف وقال ابن حجر أي من قصب اللؤلؤ ولم يقل من لؤلؤ اذ في لفظ القصب مناسبة لانها أحرزت قصب السبق لمبادرتها الى الايمان دون غيرها قلت ويؤيده حديث خديجة سابقة نساء العالمين الى الايمان بالله وبمحمد رواه الحاكم في مستدركه عن حذيفة (لا صخب) بفتح الصاد والخاء المعجمة ولا لنفي الجنس أي لا صياح أو لا اختلاط صوت (فيه) أي في القصب المعبر به عن القصر وفي نسخة فيها فالضمير راجع الى الجنة ويؤيده قوله (ولا نصب) بفتحتين قال تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب أي كلال قال شارح أي لا يكون لها شاغل يشغلها عن لذائذ الجنة ولا تعب ينغصها وقال القاضي نفى عن القصب الصخب والنصب لانه ما من بيت في الدنيا يسكنه قوم الا كان بين أهله صخب وجلبة والا كان في بنائه واصلاحه نصب وتعب فأخبر الله تعالى ان قصور الجنة خالية عن هذه الآفات قال الطيبي ويؤيد الوجه الثاني ان بناء بيت الجنة حاصل بقوله كن ليس كأبنية الدنيا فانها انما يتسبب بناؤها بصخب ونصب وكذا السكون فيها لا يخلو عنهما وليس حكم بيت الجنة كذلك (متفق عليه) ورواه النسائي (وعن عائشة قالت ماغرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم) بكسر الغين المعجمة من غار يغار نحو خاف يخاف (ماغرت على خديجة) ما الاولى نافية والثانية موصولة أو مصدرية أي ماغرت مثل التي غرتها أو مثل غيرتي عليها والغيرة الحمية والانف (وما رأيتها) الجملة حالية وهي تقتضي عدم الغيرة لعدم الباعث عليها غالبا ولذا قالت (ولكن كان يكثر ذكرها) أي في مقام المدح (وربما) بالتشديد ويخفف (ذبح الشاة) أي شاة من الشياه (ثم يقطعها) بتشديد الطاء أي يكثر قطعها (أعضاء) أي عضوا عضوا بأن يجعل كل عضو قطعة (ثم يبعثها) أي أعضاء الشاة (في صدائق خديجة) أي أصدقائها جمع صديقة وهي المحبوبة (فربما قلت له كأنه) أي الشأن (لم تكن في الدنيا امرأة الا خديجة) بالرفع وفي نسخة صحيحة بالنصب (فيقول انها كانت وكانت) أي كانت صوامة وقوامة ومحسنة ومشفقة الى غير ذلك قال الطيبي كرر كانت ولم يرد به التثنية ولكن التكرير ليتعلق به كل مرة من خصالها ما يدل على فضلها كقوله تعالى وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا ولم يذكرها متعلقه للشهرة تفخيما (وكان) أي مع هذا (لي منها ولد) بضم فسكون وفي نسخة صحيحة بفتحتين والمراد بهما جمع ولد ومنهم فاطمة قال المؤلف خديجة

وعن أبي هريرة قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذه خديجة قد أتت معها اناء فيه ادام وطعام فاذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب متفق عليه وعن عائشة قالت ماغرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ماغرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة فربما قلت له كأنه لم تكن في الدنيا امرأة الا خديجة فيقول انها كانت وكانت وكان لي منها ولد

بنت خويلد بن أسد القرشية كانت تحت ابن هالة بن زرارة ثم تزوجها عتيق بن عابد ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ولها يومئذ من العمر أربعون سنة ولم ينكح صلى الله عليه وسلم قبلها امرأة ولا نكح عليها حتى ماتت وهي أول من آمن من كافة الناس ذكرهم وأنثاهم وجميع أولاده منها غير ابراهيم فانه من مارية وماتت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بأربع سنين وقيل بثلاث وكان قد مضى من النبوة عشر سنين وكان لها من العمر خمس وستون سنة وكان مدة مقامها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة ودفنت بالحجون (متفق عليه) ورواه الترمذي (وعن أبي سلمة) قال المؤلف هو وروى عن عمه عبد الله بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري القرشي أحد الفقهاء السبعة المشهورين بالفقه في المدينة في قول ومن مشاهير التابعين وأعلامهم (ان عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائش) بضم الشين وفي نسخة بفتحها على الترخيم (هذا جبريل يقرئك السلام) من الاقراء ففي القاموس قرأ عليه السلام كأقرأه ولا يقال اقرأه الا اذا كان السلام مكتوبا (قالت وعليه السلام ورحمة الله قالت) أي عائشة (وهو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (يرى ما لا أرى) وأبعد شارح حيث قال أو يرى جبريل ما لا أراه اه واستنبط من هذا الحديث فضل خديجة على عائشة لانه ورد في حقها ان جبريل أقرأها السلام من ربها وههنا من جبريل نفسه (متفق عليه) ورواه الترمذي والنسائي (وعن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أريتك) بصيغة المجهول المتكلم من الاراءة أي أعلمتك (في المنام ثلاث ليال يجيء بك) الباء للتعدية أي يأتي بصورتك (الملك في سرقة) بفتحتين (من حرير) أي في قطعة من جيد الحرير قيل وهو معرب سرة (فقال) أي الملك (لي هذه) أي هذه الصورة (امرأتك) أي صورتها (فكشفت عن وجهك الثوب فاذا أنت هي) أي تلك الصورة قال الطيبي يحتمل وجهين أحدهما كشفت عن وجه صورتك فاذا أنت الآن تلك الصورة وثانيهما كشفت عن وجهك عندما شاهدتك فاذا أنت مثل الصورة التي رأيتها في المنام وهو تشبيه بليغ حيث حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وحملها عليه كقوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل ومنه مسألة الكتاب كنت أظن ان العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هي أي فاذا الزنبور مثل العقرب فحذف الاداة مبالغة فحصل التشابه واليه يلمح الآية وأتوا به متشابها ومعنى المفاجأة في اذا يساعد هذا الوجه اه والجمع بينه وبين قولها نزل جبريل بصورتي في راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني بان المراد ان صورتها كانت في الخرقة والخرقة في راحته ويحتمل ان يكون نزل بالكيفيتين لقوله في نفس الخبر نزل مرتين أي نزل جبريل بصورتها في راحته والملك آخر في سرقة (فقلت) أي في جواب الملك (ان يكن هذا) أي ما رأيته في المنام (من عند الله يمضه) بضم الياء من الامضاء أي ينفذه لدي ويوصله الي ويظهره علي وفي نسخة بهاء السكت قال الطيبي هذا الشرط مما يقوله المتحقق لثبوت الامر المدل بصحته تقريرا لوقوع الجزاء وتحققه ونحوه قول السلطان لمن تحت قهره ان كنت سلطانا انتقمت منك أي السلطنة مقتضية للانتقام وفي شرح مسلم قال القاضي عياض ان كانت هذه الرؤيا قبل النبوة وقبل تخليص احلامه صلى الله عليه وسلم من الاضغاث فمعناها ان كانت رؤيا حق وان كانت بعد النبوة فلها ثلاث معان أحدها المراد ان تكون الرؤيا على وجهها وظاهرها لا تحتاج الى تعبير وتفسير فسيمضه الله وينجزه فالشك عائد الى انها رؤيا على ظاهرها أم تحتاج الى تعبير وصرف عن ظاهرها وثانيها أن المراد ان كانت هذه الزوجية في الدنيا يمضها الله فالشك انها زوجية في الدنيا أم في الجنة وثالثها انه لم يشك ولكن أخبر على التحقيق وأتى بصورة الشك وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة يسمونه تجاهل العارف وسماه بعضهم مزج الشك باليقين قال الطيبي وهذا هو الذي ضعفناه فيما سبق وكان من توارد الخاطر قال المؤلف خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها بمكة في شوال سنة عشر من النبوة وقبل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك وأعرس بها بالمدينة في شوال سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهرا ولها تسع سنين وقيل دخل بها بالمدينة بعد سبعة أشهر من مقدمه وقبض عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة وله تسع سنين ومات عنها

متفق عليه وعن أبي سلمة ان عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام قالت وعليه السلام ورحمة الله قالت وهو يرى ما لا أرى متفق عليه وعن عائشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أريتك في المنام ثلاث ليال يجيء بك الملك في سرقة من حرير فقال لي هذه امرأتك فكشفت عن وجهك الثوب فاذا أنت هي فقلت ان يكن هذا من عند الله يمضه

ولها ثمان عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وكانت فقيهة عالمة فصيحة فاضلة كثيرة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عارفة بأيام العرب وأشعارها وروى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وماتت بالمدينة سنة سبع وخمسين وقيل سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان وأمرت أن تدفن ليلا فدفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة في أيام معاوية (متفق عليه وعنها) أي عن عائشة (قالت ان الناس كانوا يتحرون) بتشديد الراء المفتوحة من التحري وهو طلب الحرى بمعنى اللائق أو قصد الاحرى بمعنى الاحق والاولى قال الطيبي هو الرواية وفي بعض نسخ المصابيح يتحينون وما وجدناها في الاصول وفي النهاية التحري القصد والاجتهاد في الطلب والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول وفي الحديث تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر أي تعمدوا طلبها فيها اهـ والمعنى يطلبون زيادة الثواب (بهداياهم يوم عائشة) أي في اليوم الذي هو نوبة عائشة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها (يبتغون) أي يطلبون (بذلك) أي بارسال هداياهم اليه في يومها (مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي زيادة رضاه لمزيد محبته لها (وقالت ان نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كن حزبين) أي طائفتين اتفقت مزاج كل طائفة ورأيها في عشرتها وصحبتها (فحزب) أي جمع منهن (فيه عائشة) وسبق ذكرها (وحفصة) وهي بنت عمر بن الخطاب وأمها زينب بنت مظعون كانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بن حذافة السهمي هاجرت معه ومات عنها بعد غزوة بدر فلما انقضت عدتها عرضها عمر على أبي بكر وعثمان فلم يجبه واحد منهما فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحه اياها في سنة ثلاث وطلقها تطليقة واحدة ثم راجعها حيث نزل عليه الوحي راجع حفصة فانها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة روى عنها جماعة من الصحابة والتابعين وماتت في شعبان سنة خمس وأربعين وهي ابنة ستين (وصفية) وهي بنت حيي بن أخطب من بني اسرائيل سبط هرون ابن عمران عليه السلام وكانت تحت كنانة بن أبي الحقيق فقتل يوم خيبر في محرم سنة سبع ووقعت في السبي فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وقعت في سهم دحية الكلبي فاشتراها منه بسبعة أرؤس فاسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وماتت سنة خمسين ودفنت بالبقيع روى عنها أنس وابن عمر وغيرهما (وسودة) أي بنت زمعة أسلمت قديما وكانت تحت ابن عم لها يقال له السكران بن عمرو فلما مات زوجها تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها بمكة وذلك بعد موت خديجة قبل ان يعقد على عائشة وهاجرت الى المدينة فلما كبرت أراد طلاقها فسألته ان لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فأمسكها وتوفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين (والحزب الآخر) أي من أمهات المؤمنين (أم سلمة) وهي بنت أبي أمية اسمها هند وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت أبي سلمة فلما مات أبو سلمة سنة أربع وقيل سنة ثلاث تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في ليال بقين في شوال من السنة التي مات فيها أبو سلمة وماتت سنة تسع وخمسين ودفنت بالبقيع وكان عمرها أربعا وثمانين سنة روى عنها ابن عباس وعائشة وزينب بنتها وابن المسيب وخلق سواهم كثير من الصحابة والتابعين (وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي وباقيهن وهن زينب وأم حبيبة وجويرية بالتصغير وميمونة أما زينب فهي بنت جحش وأمها أمية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تحت زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم فطلقها ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة خمس وهي أول من مات من أزواجه بعده وكان اسمها برة فجعله النبي صلى الله عليه وسلم زينب قالت عائشة في شأنها لم تكن امرأة خيرا منها في الدين واتقى لله واصدق حديثا وأوصل للرحم واعظم صدقة وأشد تبذلا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب الى الله تعالى ماتت بالمدينة سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين ولها ثلاث وخمسون سنة روت عنها عائشة وأم حبيبة وغيرهما وأما أم حبيبة فاسمها رملة بنت أبي سفيان بن صخر بن حرب وأمها صفية بنت أبي العاص عمة عثمان بن عفان فقد اختلف في نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها وموضع العقد فقيل انه عقد بأرض الحبشة سنة ست وزوجه منها النجاشي

متفق عليه وعنها قالت ان الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ان نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كن حزبين فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأمهرها أربعمائة دينار وقيل أربعة آلاف درهم من عنده وبعث النبي صلى الله عليه وسلم شرحبيل بن حسنة فجاء بها اليه ودخل بها بالمدينة وقيل انه عقد عليها بالمدينة وزوجه منها عثمان بن عفان وماتت بالمدينة سنة أربع وأربعين روى عنها جماعة كثيرة وأما جويرية فهي بنت الحرث بن حزام سباها النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فقضى عنها النبي صلى الله عليه وسلم كتابتها ثم أعتقها وتزوجها وكان اسمها برة فغيره النبي صلى الله عليه وسلم وسماها جويرية وماتت في ربيع الاول سنة ست وخمسين ولها خمس وستون سنة روى عنها ابن عباس وابن عمر وجابر وأما ميمونة فهي بنت الحارث الهلالية العامرية ويقال ان اسمها كان برة فسماها النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة وكانت تحت مسعود بن عمرو الثقفي في الجاهلية ففارقها فتزوجها أبو درهم وتوفى عنها فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة سنة سبع في عمرة القضاء بسرف على عشرة أميال من مكة وقدر الله تعالى انها ماتت في المكان الذي تزوجها فيه بسرف سنة احدى وستين وقيل احدى وخمسين وقيل غير ذلك وصلى عليها ابن عباس وهي أخت أم الفضل امرأة عباس وأخت اسماء بنت عميس وهي آخر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم روى عنها جماعة منهم عبد الله بن عباس كذا في الاسماء للمؤلف (فكلم حزب أم سلمة) أي اياها والمعنى فكلمنها (فقلن لها كلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس) بالرفع على ما في نسخة السيد على انه استئناف تعليل وقال ابن حجر بالجزم والميم مكسورة لالتقاء الساكنين ويجوز الرفع قلت الصواب الرفع لقوله (فيقول) والمعنى ليكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فيقول لهم (من أراد أن يهدي) بضم الياء وكسر الدال أي يرسل هدية (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليهده) وضع السيد في نسخته علامة الشك فوق الضمير وفيه انه يستوي وجوده وعدمه في المعنى المراد ثم قد يحذف ضمير المفعول لكن النسخ اجتمعت على وجوده وهو أوضح من تقديره فلا وجه للشك وتنظيره والمعنى فليرسل مهداه أي هديته (اليه) أي الى النبي صلى الله عليه وسلم (حيث كان) أي من حجرات الامهات ومرادهن انه لا يقع التحري في ذلك لا لهن ولا لغيرهن بل بحسب ما يتفق الامر فيهن ليرتفع التمييز الباعث للغيرة عنهن (فكلمته) أي أم سلمة (فقال) النبي صلى الله عليه وسلم (لها لا تؤذيني في عائشة) أي في حقها وهو أبلغ من لا تؤذي عائشة لما يفيد من ان ما آذاها فهو يؤذيه (فان الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة) أي لحاف زوجة (الا عائشة) قال الطيبي الا بمعنى غير أي امرأة غير عائشة اه والمعنى الا في ثوب عائشة وفي كتاب الخميس قالت عائشة نزلت الملائكة لا تنزل دي من أحببت وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اللحاف (قالت) أي أم سلمة (أتوب الى الله من أذاك) أي مما يجر الى أذاك (يا رسول الله ثم انهن) أي حزب أم سلمة (دعون فاطمة) أي طلبنها (فارسلن) أي فبعثنها (الى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي لتكلمه في هذه القضية (فكلمته) ولعلها ما اطلعت على قصة أم سلمة السابقة (فقال يا بنية) تصغير للشفقة والمرحمة (الا تحبين ما أحب قالت بلى قال فأحبي هذه) أي عائشة يعني ولا تذكري ما يكون سببا لكراهية خاطرها (متفق عليه) ورواه النسائي (وذكر حديث أنس فضل عائشة على النساء) تمامه كفضل الثريد على سائر الاطعمة (في باب بدء الخلق برواية أبي موسى) وتقدم الخلاف في ان المراد بالنساء جنسهن أو أزواجه صلى الله عليه وسلم عموما أو بعد خديجة والاظهر انها أفضل من جميع النساء كما هو ظاهر الاطلاق من حيث الجامعية للكمالات العلمية والعملية المعبر عنهما في التشبيه بالثريد فانما ضرب المثل بالثريد لانه أفضل طعام العرب وانه مركب من الخبز واللحم والمرقة ولا نظير لها في الاغذية ثم انه جامع بين الغذاء واللذة والقوة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ وسرعة المرور في الحلقوم والمريء فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها المثل به ليعلم انها أعطيت مع حسن الخلق وحسن الخلق وحسن الحديث وحلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل التحبب الى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والاصغاء اليها والى غير ذلك من المعاني التي اجتمعت فيها

فكلم حزب أم سلمة فقلن لها كلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس فيقول من أراد أن يهدي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليهده اليه حيث كان فكلمته فقال لها لا تؤذيني في عائشة فان الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة الا عائشة قالت أتوب الى الله من أذاك يا رسول الله ثم انهن دعون فاطمة فارسلن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمته فقال يا بنية ألا تحبين ما أحب قالت بلى قال فأحبي هذه متفق عليه وذكر حديث أنس فضل عائشة على النساء في باب بدء الخلق برواية أبي موسى

وحسبك من تلك المعاني انها عتقت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تعتق غيرها من النساء وروت عنه ما لم يروه مثلها من الرجال والله أعلم بالحال

(الفصل الثاني) (عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسبك) أي بالخطاب العام والمعنى يكفيك (من نساء العالمين) أي الواصلة الى مراتب الكاملين في الاقتداء بهن وذكر محاسنهن ومناقبهن وزهدهن في الدنيا واقبالهن على العقبى (مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون) والظاهر ان مراتبهن على وفق ذكرهن ولعل هذا الحديث قبل حصول كمال عائشة ووصولها الى وصال الحضرة ثم رأيت في الجامع روى أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن أبي موسى مرفوعا كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وان فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال الطيبي حسبك مبتدأ ومن نساء متعلق به ومريم خبره والخطاب اما عام أو لانس أي كافيك معرفتك فضلهن عن معرفة سائر النساء اه قال السيوطي في النقاية نعتقد ان أفضل النساء مريم وفاطمة وأفضل أمهات المؤمنين خديجة وعائشة وفي التفضيل بينهما أقوال ثالثها التوقف أقول التوقف في حق الكل أولى اذ ليس في المسئلة دليل قطعي والظنيات متعارضة غير مفيدة للعقائد المبنية على اليقينيات (رواه الترمذي) وكذا أحمد وابن حبان والحاكم في مستدركه عن أنس ورواه أحمد والطبراني عنه أيضا بلفظ خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون ورواه الحاكم في مستدركه عن عائشة بلفظ سيد نساء أهل الجنة أربع مريم وفاطمة وخديجة وآسية (وعن عائشة أن جبريل جاء بصورتها) أي بصورة عائشة والباء للتعدية (في خرقة حرير خضراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة رواه الترمذي وعن أنس قال بلغ صفية أن حفصة قالت) أي في حق صفية (انها بنت يهودي) أي نظرا الى أبيها (فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك فقالت) أي صفية (قالت لي حفصة) أي في حقي (اني ابنة يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي) أي نظرا الى جدها الاكبر وهو اسحق أو هرون (وان عمك لنبي) وهو اسمعيل أو موسى والاول فهم ما ذكره المظهر وقال الطيبي لعل الاخير هو الاظهر (وانك) أي الآن (لتحت نبي ففيم تفخر) بفتح الخاء أي تفخر حفصة عليك وفيه ايماء الى ظهور مختار الطيبي فان الاول يشترك فيه غايته أن أبا حفصة اسمعيل وعمها اسحق وأما الثاني فيختص بصفية وبه يحصل لها المزية في جامع الاصول هي بنت حيي بن أخطب من سبط هرون بن عمران عليه السلام (ثم قال اتقي الله) أي مخالفته أو عقابه بترك مثل هذا الكلام الذي هو من عادات الجاهلية (يا حفصة رواه الترمذي والنسائي وعن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة عام الفتح) الظاهر أن هذا وهم اذ لم يثبت عند أرباب السير وقوع هذه القضية عام الفتح بل كان هذا في عام حجة الوداع أو حال مرض موته عليه السلام (فناجاها) أي كلمها بالسر (فبكت ثم حدثها) أي خفية أيضا (فضحكت) وتقدم أن عائشة سألتها في حياته فلم تخبرها وبعد مماته اجابتها نحو ما ذكرت أم سلمة بقولها (فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عن بكائها وضحكها) أي عن سببهما (فقالت) وفي نسخة قالت (أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يموت) أي قريبا (فبكيت ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة الا مريم بنت عمران فضحكت) وهو لا ينافي ما قال لها أيضا من انك أول من يلحقني من أهلي على ما سبق قال الطيبي هذا الحديث غير مناسب لهذا الباب انما يناسب باب مناقب أهل البيت لكن ذكره مستطردا للحديث الاول من هذا الفصل حيث ذكرت فيه فاطمة مع ذكر خديجة ومريم وهو فن من بديع الكلام اه فيكون تفصيلا لبعض ما سبق مجملا ولا يبعد أن يكون تلميحا الى ما ورد من أن مريم تكون زوجة نبينا صلى الله عليه وسلم في الجنة (رواه الترمذي) وفي الجامع فاطمة سيدة نساء أهل الجنة الا مريم بنت عمران رواه الحاكم في مستدركه

(الفصل الثاني) عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون رواه الترمذي وعن عائشة أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة رواه الترمذي وعن أنس قال بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك فقالت قالت لي حفصة اني ابنة يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وان عمك لنبي وانك لتحت نبي ففيم تفخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة رواه الترمذي والنسائي وعن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة عام الفتح فناجاها فبكت ثم حدثها فضحكت فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عن بكائها وضحكها قالت أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يموت فبكيت ثم أخبرني أني سيدة نساء أهل الجنة الا مريم بنت عمران فضحكت رواه الترمذي

(الفصل الثالث) (عن أبي موسى قال ما اشتكل) أي ما اشتبه وفي نسخة ما أشكل أي ما أغلق (علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) بالنصب في جميع النسخ الحاضرة المعتمدة وقال الطيبي بالجر بدل من المجرور ويجوز النصب على الاختصاص (حديث قط) أي معنى حديث أو فقد حديث يتعلق بمسألة مهمة (فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه) أي من ذلك الحديث ومتعلقاته (علما) أي نوع علم بأن يوجد الحديث عندها تصريحا أو تأويلا لان يؤخذ الحكم منه تلويحا (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب) وأما حديث خذوا شطر دينكم عن الحميراء يعني عائشة فقال الحافظ ابن حجر العسقلاني لا أعرف له اسنادا ولا رواية في شيء من كتب الحديث الا في النهاية لابن الاثير ولم يذكر من خرجه وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير انه سأل المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه وقال السخاوي ذكره في الفردوس بغير اسناد وبغير هذا اللفظ ولفظه خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء وبيض له صاحب مسند الفردوس ولم يخرج له اسنادا وقال السيوطي لم أقف عليه (وعن موسى بن طلحة) قال المؤلف يكنى أبا عيسى التيمي القرشي سمع جماعة من الصحابة مات سنة أربع ومائة (قال ما رأيت أحدا أفصح من عائشة رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب)

(باب جامع المناقب)

(الفصل الاول) (عن عبد الله بن عمر) أي ابن الخطاب القرشي العدوي أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير وشهد ما بعد الخندق من المشاهد وكان من أهل الورع والعلم والزهد شديد التحري والاحتياط قال جابر بن عبد الله ما منا أحد الا مالت به الدنيا ومال اليها ما خلا عمر وابنه عبد الله قال نافع ما مات ابن عمر حتى أعتق ألف انسان أو زاد وكان يتقدم الحجاج في المواقف بعرفة وغيرها الى المواضع التي كان النبي صلى الله عليه وسلم وقف فيها وكان يعز على الحجاج وخطب الحجاج يوما وأخر صلاة الفجر أو العصر فقال ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك فقال له الحجاج لقد هممت أن أضرب الذي في عينيك قال لا تفعل فانك سفيه مسلط وقيل انه أخفى قوله ذلك عن الحجاج ولم يسمعه فأمر الحجاج رجلا فسم زج رمحه وزاحمه في الطريق ووضع الزج في ظهر قدمه وكانت ولادته قبل الوحي بسنة وموته سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر وقيل بستة أشهر وكان أوصى أن يدفن في الحل فلم يقدر على ذلك من أجل الحجاج ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وله أربع وثمانون سنة روى عنه خلق كثير (قال رأيت في المنام كأن) بالتشديد على التشبيه للملاحظة في التعبير (في يدي) وفي نسخة بالتثنية (سرقة) بفتحتين أي قطعة (من حرير) أي كائنة منه (لا أهوي) بكسر الواو أي لا أقصد (بها الى مكان في الجنة الا طارت بي اليه) أي تبلغني الى ذلك المكان مثل جناح الطائر والباء للتعدية وقال الطيبي أي لا أريد الميل بها الى مكان في الجنة الا كانت مطيرة بي ومبلغة اياي الى تلك المنزلة فكأنها مثل جناح الطير الطائر (فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أخاك رجل صالح أو ان عبد الله رجل صالح) قال شارح لمصابيح تأول هذا على ان السرقة كانت ذات يده من العمل الصالح وبياض السرقة منبئ عن خلوصه من الهوى وصفائه عن كدر النفس اه ولعله مبني على ان في المصابيح سرقة من حرير بيضاء والله أعلم (متفق عليه) قال ميرك ولفظ مسلم أرى عبد الله رجلا صالحا وقال السيد جمال الدين ورواه الترمذي والنسائي (وعن حذيفة) سيأتي ترجمته (قال ان أشبه الناس دلا) بفتح الدال المهملة وتشديد اللام أي طريقة (وسمتا) أي سيرة (وهديا) أي هداية ودلالة (برسول الله صلى الله عليه وسلم) متعلق بأشبه (لابن أم عبد) بفتح لام التأكيد الداخل على خبر ان والمراد به عبد الله بن مسعود وكانت أمه تكنى أم عبد قال القاضي الدل قريب من الهدي والمراد به السكينة والوقار وما يدل على كمال صاحبه من ظواهر أحواله وحسن مقاله والسمت القصد في الامور وبالهدي حسن السيرة وسلوك الطريقة المرضية وقال شارح السمت يستعار لهيئة أهل الخير (من حين يخرج) متعلق باشبه والمعنى ان أكثرية الشبه فيما ذكر مستمرة عليه من حين يخرج (من بيته الى أن يرجع اليه) أي الى بيته

(الفصل الثالث) عن أبي موسى قال ما اشتكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة الا وجدنا عندها منه علما رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وعن موسى بن طلحة قال ما رأيت أحدا أفصح من عائشة رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب

(باب جامع المناقب)

(الفصل الاول) عن عبد الله بن عمر قال رأيت في المنام كأن في يدي سرقة من حرير لا أهوي بها الى مكان في الجنة الا طارت بي اليه فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخاك رجل صالح أو ان عبد الله رجل صالح متفق عليه وعن حذيفة قال ان أشبه الناس دلا وسمتا وهديا برسول الله صلى الله عليه وسلم لابن أم عبد من حين يخرج من بيته الى أن يرجع اليه

وهذا بحسب الظاهر الذي جا الطالع عليه (لا ندري ما نصنع في أهله) أي في حال كونه عند أهله (اذا خلا) أي معهم من غير أن يكون هناك أحد قال الطيبي لا ندري جملة مستأنفة تقرير لما نشهد له بما يستبين لنا من ظاهر أمره ولا ندري ما بطن منه (رواه البخاري وعن أبي موسى الاشعري) سيأتي منقبته (قال قدمت) أي المدينة (أنا وأخي من اليمن فمكثنا) بفتح الكاف وضمها أي فلبثنا (حينا) أي زمانا كثيرا (ما نرى) بضم النون وفتح الراء على ما صرح به النووي أي ما نظن (الا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لما نرى) بفتح النون أي لما نبصر (من دخوله ودخول أمه) أي من كثرة دخولهما (على النبي صلى الله عليه وسلم) قال الطيبي قوله ما نرى حال من فاعل مكثنا ويجوز أن يكون صفة حينا أي زمانا غير ظانين فيه شيأ الا كون عبد الله بن مسعود كذا قال المؤلف يكنى أبا عبد الرحمن الهذلي كان اسلامه قديما في أول الاسلام قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وقبل عمر بزمان وقيل كان سادسا في الاسلام ثم ضم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سواكه ونعله وطهوره في السفر هاجر الى الحبشة وشهد بدرا ثم ما بعدها من المشاهد وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال رضيت لامتي ما رضي لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد وكان خفيف اللحم قصيرا شديد الادمة نحيفا يكاد طوال الرجال يوازيه جالسا ولي القضاء بالكوفة وبيت مالها لعمر وصدرا من خلافة عثمان ثم صار الى المدينة فمات بها سنة اثنتين وثلاثين ودفن بالبقيع وله بضع وستون سنة روى عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومن بعدهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين اه وهو عند ائمتنا أفقه الصحابة بعد الخلفاء الاربعة (متفق عليه) ورواه الترمذي والنسائي (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استقرؤا القرآن من أربعة) أي اطلبوا القرآن من هؤلاء الاربعة فانهم حفظة الصحابة (من عبد الله بن مسعود) بزيادة من لمزيد البيان في البيان (وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل) في شرح مسلم قالوا هؤلاء الاربعة تفرغوا لاخذ القرآن منه صلى الله عليه وسلم مشافهة وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض أو لان هؤلاء تفرغوا لان يؤخذ عنهم أو انه صلى الله عليه وسلم اراد الاعلام بما يكون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من تقدم هؤلاء الاربعة وانهم أقرأ من غيرهم قال المؤلف سالم بن معقل مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة كان من أهل فارس من اصطخر وكان من فضلاء الموالي ومن خيار الصحابة وكبارهم شهد بدرا وروى عنه ثابت بن قيس وابن عمر وغيرهما وأما أبي ومعاذ بن جبل فقد تقدم ذكرهما (متفق عليه) ورواه الترمذي (وعن علقمة) تابعي مشهور وقد سبق ذكره (قال قدمت الشام فصليت ركعتين) أي في مسجد دمشق (ثم قلت اللهم يسر) أي سهل (لي جليسا صالحا) أي عالما عاملا أو قائما بحق الله وحق عباده (فأتيت قوما فجلست اليهم فاذا شيخ) أي كبير أو عالم (قد جاء حتى جلس الى جنبي) روى ان لله ملائكة تجر الاهل الى الاهل (قلت) أي للقوم (من هذا قالوا أبو الدرداء قلت) أي له (اني دعوت الله أن ييسر) أي يسهل (لي جليسا صالحا فيسرك لي فقال من أنت فقلت من أهل الكوفة) قال الطيبي أي رجل من أهل الكوفة ليطابق السؤال أو تقدير السؤال من أين أنت ليطابقه الجواب وقوله أوليس عندكم الخ فقال ابن الملك صوابه من أين أنت لقوله من أهل الكوفة ولعل لفظة أين سقطت من القلم أو من بعض الرواة أو صحف اين بانت ومن الجارة بمن الاستفهامية اه ولا يخفى انه يلزم منه تخطئة جماعة من الرواة الثقات في الحفظ والتيقظ فالاحسن أن يقال ان الجواب يدل على أن السؤال عن معرفة ما أو معرفة بلده أو يحمل على أن المجيب مقصر أو مقتصر أو يكون رجل أو علقمة محذوفا أو تقديره فقلت في جملة الجواب من أهل الكوفة وانما اقتصر عليه لما يترتب عليه ما بعده وينشأ عنه وهذا هو الاظهر لئلا ينسب أحد من الاكابر الى الخطأ وعلى تقدير الضرورة فنسبته الى التابعي أولى من الصحابي خصوصا السائل فانه لا يقال للسائل سؤالك غير مطابق للجواب بل الامر بالعكس والله أعلم بالصواب ثم رأيت نظير هذا الاشكال في باب الحب في الله عند قوله أين تريد فقال أريد أخا لي فأجابوا بأن السؤال متضمن لقوله أين

لا ندري ما نصنع في أهله اذا خلا رواه البخاري وعن أبي موسى الاشعري قال قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينا ما نرى الا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لما نرى من دخوله ودخول أمه على النبي صلى الله عليه وسلم متفق عليه وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استقرؤا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل متفق عليه وعن علقمة قال قدمت الشام فصليت ركعتين ثم قلت اللهم يسر لي جليسا صالحا فأتيت قوما فجلست اليهم فاذا شيخ قد جاء حتى جلس الى جنبي قلت من هذا قالوا أبو الدرداء قلت اني دعوت الله أن ييسر لي جليسا صالحا فيسرك لي فقال من أنت قلت من أهل الكوفة

تريد ومن أنت تريد ثم رأيت انه وقع في البخاري في رواية فقال ممن أنت كذا في جامع الاصول وفي رواية من أين أنت كذا في الحميدي (قال) أي أبو الدرداء (أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوسادة) بكسر الواو والمخدة (والمطهرة) بفتح الميم ويكسر ففي القاموس المطهرة بالكسر والفتح اناء يتطهر به وفي الخلاصة فتح الميم في المطهرة أعلى ولا يخفى ما فيه من العبارة اللطيفة قال القاضي يريد به انه كان يخدم الرسول صلى الله عليه وسلم ويلازمه في الحالات كلها فيصاحبه في المجالس ويأخذ نعله ويضعها اذا جلس وحين نهض ويكون معه في الخلوات فيسوي مضجعه ويضع وسادته اذا أراد أن ينام ويهيئ له طهوره ويحمل معه المطهرة اذا قام الى الوضوء اه وحاصله انه لشدة ملازمته له صلى الله عليه وسلم في هذه الامور ينبغي أن يكون عنده من العلم الشرعي ما يستغني طالبه عن غيره وفيه اشعار بما ذكر في آداب المتعلمين من أن الطالب أولا يحيط بعلم علماء بلده ثم يرتحل الى غيره من البلدان في طلب زيادة البيان من الاعيان (وفيكم) أي وأليس فيكم (الذي أجاره الله) أي أنقذه وخلصه (من الشيطان على لسان نبيه) أي بناء على لسانه مما صدر عنه من دعائه (يعني) أي يريد (أبو الدرداء به عمارا) وهذا قول بعض الرواة (أوليس فيكم صاحب السر) أي صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم (الذي لا يعلمه) أي ذلك السر (غيره) أي غير حذيفة قيل من تلك الاسرار أسرار المنافقين وأنسابهم أسر بها اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دل عليه حديثه المذكور قبل هذا (يعني حذيفة) قال المؤلف عمار بن ياسر العنسي مولى بني مخزوم وحليفهم وذلك ان ياسرا والد عمار قدم مكة مع أخوين له يقال لهما الحرث ومالك في طلب أخ لهم رابع فرجع الحرث ومالك الى اليمن وأقام ياسر بمكة فحالف أبا حذيفة بن المغيرة فزوجه أمة له يقال لها سمية فولدت له عمارا فأعتقه أبو حذيفة فعمار مولى وأبوه حليف أسلم عمار قديما وكان من المستضعفين الذين عذبوا بمكة ليرجعوا عن الاسلام وأحرقه المشركون بالنار فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر به فيمر يده عليه ويقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم وهو من المهاجرين الاولين وشهد بدرا والمشاهد كلها وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الطيب المطيب قتل بصفين وكان مع علي بن أبي طالب سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث وتسعين سنة روى عنه جماعة منهم علي وابن عباس رضي الله عنهم وأما حذيفة فهو ابن اليمان واسم اليمان حسيل بالتصغير واليمان لقبه وكنيته حذيفة أبو عبد الله العبسي بفتح العين وسكون الباء روى عنه عمر وعلي وأبو الدرداء وغيرهم من الصحابة والتابعين مات بالمدائن وبها قبره سنة خمس وثلاثين وقيل ست وثلاثين بعد قتل عثمان بأربعين ليلة (رواه البخاري) وكذا النسائي (وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت الجنة) بصيغة المجهول (فرأيت امرأة أبي طلحة) وهي أم سليم تزوجها مالك بن النضر أبو أنس بن مالك فولدت له أنسا ثم قتل عنها مشركا وأسلمت فخطبها أبو طلحة وهو مشرك فأبت ودعته الى الاسلام فأسلم فقالت اني أتزوجك ولا آخذ منك صداقا لاسلامك فتزوجها أبو طلحة روى عنها خلق كثير (وسمعت خشخشة) بالخاءين والشينين المعجمات أي صوتا يحدث من تحرك الاشياء اليابسة واصطكاكها كالسلاح والنعل والثوب (امامي) أي قدامي تقدم الخادم على المخدوم (فاذا بلال) وهو ابن رباح مولى أبي بكر الصديق أسلم قديما وهو أول من اظهر اسلامه بمكة شهد بدرا وما بعده من المشاهد وسكن الشام آخرا ولا عقب له روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ومات بدمشق سنة عشرين ودفن بباب الصغير وله ثلاث وستون سنة وقيل مات بحلب ودفن بباب الاربعين وكان ممن عذبه أهل مكة على الاسلام وممن كان يعذبه ويتولى ذلك بنفسه أمية ابن خلف الجمحي وكان من قدر الله تعالى ان قتله بلال يوم بدر قال جابر كان عمر يقول أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني بلالا اه وأخرج أحمد في مسنده ان أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم ادراع الحديد وصهروهم في

قال أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوسادة والمطهرة وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه يعني عمارا أوليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره يعني حذيفة رواه البخاري وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أريت الجنة فرأيت امرأة أبي طلحة وسمعت خشخشة امامي فاذا بلال

الشمس فما منهم أحد الا وآتاهم على ما أرادوا الا بلالا فانه هانت عليه نفسه في الله عز وجل وهان على قومه فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد كذا في الرياض (رواه مسلم) وكذا البخاري والنسائي ذكره السيد جمال الدين (وعن سعد بن أبي وقاص) أحد العشرة (قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر) أي أشخاص (فقال المشركون) أي من أكابر صناديد قريش (للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد) أي ابعد عن حضرتك (هؤلاء) أي الموالي والفقراء (لا يجترؤن علينا) أي لا يكون لهم جراءة علينا في مخاطبتهم بنا ان كنت تريد ان نؤمن بك وندخل عليك (قال) أي سعد (وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل) بالتصغير (وبلال ورجلان لست أسميهما) بتشديد الميم وجوز تخفيفها أي لا أذكرهما قال صاحب الازهار ورجلان خباب وعمار وانما قال لست أسميهما لمصلحة في ذلك عند المتكلم وقيل للنسيان والاول أقرب الى اللفظ قال المؤلف خباب بن الارت يكنى أبا عبد الله التميمي وانما لحقه سباء في الجاهلية فاشترته امرأة من خزاعة وأعتقته أسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو ممن عذب في الله على اسلامه فصبر نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة روى عنه جماعة (فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع) أي من الميل الى طردهم طمعا في اسلام الاكابر المتفرع عليه اسلام الكل بعدهم (فحدث نفسه) أي للتألف بهم أن يطردهم صورة بأن لا يأتوه حال وجود الاكابر عنده أو يقوموا عنه اذا هم جلسوا عنده مراعاة للجانبين وقال الطيبي ورد في تفسير الآية ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء جالسناك وحدثناك فقال صلى الله عليه وسلم ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا اذا جئنا قال نعم طمعا في ايمانهم (فأنزل الله تعالى) أي عتابا بالسيد الانبياء في حق الفقراء (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة) بفتح الغين والدال بعده ألف مبدلة من واو وفي قراءة بضم وسكون وفتح واو (والعشي) أي بهما طرفا النهار أو الملوان (يريدون وجهه) جملة حالية أي يريدون بعبادتهم رضا الله تعالى لا شيئا آخر من أغراض الدنيا (رواه مسلم وعن أبي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا موسى لقد أعطيت مزمارا) بصيغة المجهول أي صوتا حسنا ولحنا طيبا (من مزامير آل داود) أي من الحانه والاول أعم واستعير المزمار بكسر الميم وهو الآلة للصوت الحسن والنغمة الطيبة قال القاضي أي أعطيت حسن صوت يشبه بعض الحسن الذي كان لصوت داود والمراد بآل داود نفسه اذ لم يكن آله مشهورا بحسن الصوت قال المؤلف هو عبد الله بن قيس الاشعري أسلم بمكة وهاجر الى أرض الحبشة ثم قدم مع أهل السفينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة عشرين ففتح أبو موسى الاهواز ثم لم يزل على البصرة الى صدر من خلافة عثمان ثم عزل عنها فانتقل الى الكوفة وقام بها وكان واليا على أهل الكوفة الى أن قتل عثمان ثم انتقل أبو موسى الى مكة بعد التحكيم فلم يزل بها الى أن مات سنة اثنتين وخمسين (متفق عليه) ورواه الترمذي (وعن أنس رضي الله عنه قال جمع القرآن) أي قرأه كلما ذكره شارح والاظهر أنه حفظه أجمع (على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي في زمانه (أربعة) أي من الرجال أراد أنس بالاربعة أربعة من رهطه وهم الخزرجيون اذ روي ان جمعا من المهاجرين أيضا جمعوا القرآن (أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت) وقد سبق ذكرهم (وأبو زيد قيل لانس من أبو زيد قال أحد عمومتي) بضم العين والميم أي أحد أعمامي قال المؤلف في أسمائه هو الذي جمع القرآن حفظا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في اسمه فقيل سعد بن عبيد وقيل قيس بن السكن اه والحاصل ان الذين حفظوا القرآن كله في حياته صلى الله عليه وسلم وهم من الانصار هذه الاربعة فلا منافاة بينه وبين خبر استقرؤا القرآن على ان مفهوم العدد غير معتبر وعلى انه لا يلزم من الاخذ بالقرآن منهم أن يكونوا استظهروا القرآن جميعه هذا وفي شرح مسلم قال المازري هذا الحديث مما تعلق به بعض الملاحدة في تواتر القرآن وجوابه من وجهين أحدهما انه ليس فيه تصريح بأن غير الاربعة لم يجمعه فيكون المراد الذين علمهم

رواه مسلم وعن سعد قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترؤن علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه رواه مسلم وعن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا موسى لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود متفق عليه وعن أنس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد ابن ثابت وأبو زيد قيل لانس من أبو زيد قال أحد عمومتي

متفق عليه وعن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نبتغي وجه الله تعالى فوقع أجرنا على الله فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيأ منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له ما يكفن فيه الا نمرة فكنا اذا غطينا رأسه خرجت رجلاه واذا غطينا رجليه خرج رأسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الاذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها

من الا انه اذا أربعة والمراد نفي علمه لا نفي غيره من القراء وقد روى مسلم حفظا جماعات من الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وذكر منهم المازري خمسة عشر صحابيا وثبت في الصحيح انه قتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القرآن وكانت اليمامة قريبا من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فهؤلاء الذين قتلوا من جامعيه يومئذ فكيف الظن بمن لم يقتل ممن حضرها ومن لم يحضرها ولم يذكر في هؤلاء الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من كبار الصحابة الذين يبعد كل البعد انهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم في الخير وحرصهم على ما هو دون ذلك من الطاعات وكيف يظن هذا بهم ونحن نرى أهل عصرنا يحفظه منهم في كل بلدة ألوف وثانيهما انه لو ثبت انه لم يجمع الا أربعة لم يقدح في تواتره اذ ليس من شرط التواتر أن ينقل جميعهم جميعه بل اذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك قال التوربشتي المراد من الاربعة أربعة من رهط أنس وهم الخزرجيون ويحتمل انه أراد أربعة من الانصار أوسهم وخزرجهم وهو أشبه وكان بين الحيين منافرة قبل الاسلام بقيت منها بقية من العصبية بعد الاسلام فلعله ذكر ذلك على سبيل المفاخرة لما روي عن أنس انه قال افتخرت الاوس والخزرج فقالت الاوس منا غسيل الملائكة حنظلة بن الراهب ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت ومنا من اهتز العرش لموته سعد بن معاذ وقالت الخزرج منا أربعة قرؤا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرهم زيد بن ثابت وأبو زيد ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب فقوله لم يقرأه غيرهم أي لم يقرأ كله أحد منكم يا معشر الاوس (متفق عليه وعن خباب) بفتح الخاء المعجمة وتشديد الموحدة الاولى (ابن الارت) بفتح همزة وراء وتشديد فوقية (قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نبتغي وجه الله تعالى) أي رضاه (فوقع أجرنا على الله) أي ثبت أجرنا الدنيوي والاخروي عنده سبحانه (فمنا من مضى) أي مات (لم يأكل من أجره) أي الدنيوي (شيأ) أي من الغنائم ونحوه مما تناولها من أدرك زمن الفتوح فيكون أجره كاملا فالمراد بالاجر ثمرته فليس مقصورا على أجر الآخرة (منهم مصعب) بصيغة المجهول (ابن عمير) بالتصغير (قتل يوم أحد) أي استشهد (فلم يوجد له ما يكفن فيه) بتشديد الفاء المفتوحة (الا نمرة) بفتح نون وكسر ميم أي كساء غليظ فيه خطوط بيض وسود (فكنا اذا غطينا رأسه) أي بها (خرجت رجلاه) أي ظهرتا (واذا غطينا رجليه) أي بها (خرج رأسه) أي انكشف فتحيرنا في أمره (فقال صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه) أي لانه أشرف (واجعلوا على رجليه من الاذخر) بكسر الهمزة والخاء وهو نبت معروف (ومنا من أينعت) بهمز مفتوح وسكون تحتية وفتح نون أي نضجت (له ثمرته) وأدركت وطابت وبلغت أوان الجداد وهو كناية عن حصول بعض المراد والينع بفتح الياء ادراك الثمار ومنه قوله تعالى انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه وفي النهاية أينع الثمر يونع ويينع ينعا فهو مونع ويانع اذا أدرك ونضج وأينع أكثر استعمالا (فهو) أي من أينعت له ثمرته (يهدبها) بفتح الياء وكسر الدال ويضم على ما اقتصر عليه النووي وحكى ابن التين تثليثها أي يجتنيها قال الطيبي هذه الفقرة قرينة لقوله فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيأ كأنه قيل ومنهم من لم يعجل شيء من ثوابه ومنهم من عجل بعض ثوابه وقوله يهدبها على صيغة المضارع لاستمرار الحال الماضية والآتية استحضارا له في مشاهدة السامع وفي الحديث ما من غازية تغزو في سبيل الله فيصيبون الغنيمة الا تعجلوا ثلثي أجرهم في الآخرة ويبقى لهم الثلث وفيه بيان فضيلة مصعب بن عمير وانه ممن لم ينتقص له من ثواب الآخرة شيء قال المؤلف مصعب قرشي عبدري من أجلة الصحابة وفضلائهم هاجر الى أرض الحبشة في أول من هاجر اليها ثم شهد بدرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مصعبا بعد العقبة الثانية الى المدينة يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين وهو أول من جمع الجمعة بالمدينة قبل الهجرة وكان في الجاهلية من أنعم الناس عيشا وألينهم لباسا فلما أسلم زهد في الدنيا وقيل انه بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان بايع العقبة الاولى وكان يأتي الانصار في دورهم ويدعوهم الى الاسلام فيسلم الرجل والرجلان حتى فشا الاسلام فيهم فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه ان يجمع بهم فأذن له ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مع السبعين الذين قدموا عليه في

العقبة الثانية فاقام بمكة قبلا الاولى بتول و جال سبقوا اباسعد واثنه عليه وكان اسلامه بعد دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم (متفق عليه وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اهتز العرش) بتشديد الزاي أي تحرك (لموت سعد بن معاذ) وفي رواية اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ والمعنى اهتز اهتشاشا وسرورا بتقلبه من الدار الفانية الى الدار الباقية وذلك لان ارواح السعداء والشهداء مستقرها تحت العرش تأوي الى قناديل معلقة هنالك وقيل اهتز استعظاما لتلك الواقعة وقيل اهتز فرح حملة العرش بقدوم روحه فاقام العرش مقام حامليه وقيل محمول على ظاهره ويكون اهتزازه اعلاما للملائكة بوقوع أمر عظيم وقال النووي اختلفوا في تأويله فقال طائفة هو على ظاهره واهتزاز العرش تحركه فرحا بقدوم روح سعد وجعل الله في العرش تمييزا ولا مانع منه كما قال تعالى وان منها لما يهبط من خشية الله وهذا القول هو المختار وقال المازري قال بعضهم هو على حقيقته لا ينكره هذا من جهة العقل لان العرش جسم من الاجسام يقبل الحركة والسكون وقيل المراد اهتزاز أهل العرش وهم حملته وغيرهم من الملائكة فحذف المضاف والمراد بالاهتزاز الاستبشار ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته والمعاير بدون ارتياحه اليها واقباله عليها وقال الحربي هو كناية عن تعظيم شان وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم الى أعظم الاشياء فيقولون أظلمت بموت فلان الارض وقامت له القيامة وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة وهو النعش وهذا القول باطل ترده الرواية الاخرى وانما أولوا هذا التأويل لانه لم يبلغهم هذه الرواية قال المؤلف سعد بن معاذ الانصاري الاشهلي الاوسي أسلم بالمدينة بين العقبة الاولى والثانية وأسلم باسلامه بنو عبد الاشهل ودارهم أول دار أسلمت من الانصار وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانصار وكان مقداما مطاعا شريفا في قومه وهو من أجلة الصحابة وأكابرهم وخيارهم شهد بدرا واحدا وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ورمي يوم الخندق في أكحله فلم يرقأ الدم حتى مات بعد شهر وذلك في ذي القعدة سنة خمس وهو ابن سبع وثلاثين سنة ودفن بالبقيع روى عنه نفر من الصحابة (متفق عليه) وفي الجامع اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ رواه أحمد ومسلم عن أنس ورواه أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن جابر (وعن البراء قال أهديت) بصيغة المجهول (لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها) أي يلمسونها او يمسحونها (ويتعجبون من لينها) أي نعومتها ورقتها (فقال أتعجبون من لين هذه) أي الحلة (لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين) أي المناديل التي يمسح بها سعد يده خير من هذه والمعنى ان أرفع شيء من هذه لا يساوي أوضع شيء من تلك قال النووي المناديل جمع منديل وهو هذا الذي يحمل في اليد قال ابن الاعرابي وغيره هو مشتق من الندل وهو النقل لانه ينقل من واحد الى واحد وقيل هو من الندل وهو الوسخ لانه يندل به قال الخطابي انما ضرب المثل بالمناديل لانها ليست من علية الثياب بل هي تبذل من أنواع المرافق فيمسح بها الايدي وينفض بها الغبار عن البدن وتغطى ما يهدى في الاطباق وتتخذ لفافا للثياب فصار سبيلها سبيل الخادم وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم فاذا كان أدناها هكذا فما ظنك بأعلاها (متفق عليه) ورواه الترمذي (وعن أم سليم) وهي أم أنس (انها قالت يا رسول الله أنس خادمك أدع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده) بفتحتين وضم فسكون أي أولاده (وبارك له فيما أعطيته) أي من المال والولد والبركة زيادة النماء في افادة النعماء (قال أنس فوالله ان مالي لكثير) أي غاية الكثرة ونهاية البركة على وفق البغية (وان ولدي) أي بلا واسطة (وولد ولدي ليتعادون) بضم الدال المشددة أي يزيدون في العدد (على نحو المائة اليوم) أي في هذا الوقت من الحديث روي انه قال رزقت من صلبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين أي ذكورا الا بنتين على ما قيل وان أرضي لتثمر في السنة مرتين ذكره ابن حجر في شرح الشمائل وقال صاحب المشكاة في أسماء رجاله أنس بن مالك بن النضر الخزرجي كنيته أبو حمزة قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهو ابن عشر سنين وانتقل الى البصرة في خلافة عمر ليفقه الناس وهو آخر من مات

متفق عليه وعن جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اهتز العرش لموت سعد بن معاذ وفي رواية قال اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ متفق عليه وعن البراء قال أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويتعجبون من لينها فقال أتعجبون من لين هذه لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين متفق عليه وعن أم سليم انها قالت يا رسول الله أنس خادمك أدع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته قال أنس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم

بالبصرة من الصحابة سنة احدى وتسعين وله من العمر مائة وثلاث سنين وقيل تسع وتسعون سنة قال ابن عبد البر وهو أصح ويقال انه ولد له مائة ولد وقيل ثمانون منهم ثمانية وسبعون ذكرا واثنتان أنثى روى عنه خلق كثير اه فما ذكره ابن حجر بظاهره يخالف هذا النقل وكذا يخالف ظاهر الحديث لانه دال على مجموع أولاده وأولادهم يتجاوز عن المائة لا أولاد الاولاد والله أعلم بالعباد والمراد وقال النووي هذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وفيه دليل لمن يفضل الغنى على الفقر وأجيب بانه يختص بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم وانه قد بارك فيه ومتى بارك فيه لم يكن فيه فتنة فلم يحصل بسببه ضرر ولا تقصير في أداء حق الله وفيه استحباب انه اذا دعى بشيء يتعلق بالدنيا ينبغي ان يضم الى دعائه طلب البركة فيه والصيانة وقد ثبت في صحيح البخاري عن أنس انه دفن من أولاده قبل مقدم الحجاج مائة وعشرين قلت وكأنه أراد باولاده المعنى الاعم الشامل للصلب وغيره والا لذكر أولاد الاولاد أيضا اذ المقام يقتضيه والله أعلم (متفق عليه) ورواه الترمذي (وعن سعد بن أبي وقاص قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على وجه الارض) صفة مؤكدة لاحد كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض لمزيد التعميم والاحاطة اه وفيه نظر لا يخفى اذ الحديث ليس من قبيل الآية فان الدابة ما دب على الارض فتكون الارض داخلة في مفهوم الدابة فذكرها يفيد التأكيد ونظيره رأيته بعيني وسمعته باذني بخلاف لفظ أحد فانه يفيد معنى العموم ا قابل للتقييد فقوله يمشي على وجه الارض صفة احترازية عمن كان قبله من العشرة فكأنه قال لاحد هو حي الآن على وجه الارض (انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام) وقال ميرك يحتمل ان قوله على وجه الارض صفة مخصصة لاهل الجنة لكن يرد عليه انه حين التكلم حي اه وقال النووي ليس هذا مخالفا لقوله صلى الله عليه وسلم أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة الى آخر العشرة وغيرهم من المبشرين بالجنة فان سعدا قال ما سمعت ونفى سماعه ذلك لا يدل على نفي البشارة للغير واذا اجتمع النفي والاثبات فالاثبات مقدم عليه اه ويؤيد ما قدمنا ما ذكره الحافظ العسقلاني بان الحديث استشكل بانه صلى الله عليه وسلم قال لجماعة انهم من أهل الجنة غير عبد الله بن سلام ويبعد ان لا يطلع سعد على ذلك أو ينفي سماع ذلك عن نفسه كراهة تزكية نفسه فالظاهر ان ذلك بعد موت المبشرين لان عبد الله بن سلام عاش بعدهم ولم يتأخر بعده من العشرة غير سعد وسعيد ويؤخذ ذلك من قوله يمشي على وجه الارض ووقع عند الدارقطني ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي انه من أهل الجنة اه ولا يخفى ما فيه من الغموض على حصول المدعى اللهم الا ان يقال ان سعدا لم يذكر نفسه بناء على ان تبشيره بلغه من غيره وهذا سمعه بنفسه كما يشير اليه صدر الحديث لكن يبقى الكلام في وجود سعيد او يمكن دفعه به أيضا ويمكن ان يراد بقوله يمشي انه وقع بشارته صلى الله عليه وسلم لعبد الله حين كان يمشي على وجه الارض بمعنى انه بشر بخلاف بشارات غيره وبه يزول الاشكال والله أعلم بالاحوال (متفق عليه) ورواه النسائي (وعن قيس بن عباد) بضم عين وتخفيف موحدة بصري من الطبقة الاولى من تابعي البصرة روى عن جماعة من الصحابة (قال كنت جالسا في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع) أي السكون والوقار والحضور (فقالوا) أي بعض الحاضرين (هذا رجل من أهل الجنة فصلى ركعتين) أي تحية المسجد أو غيرها (تجوز) بتشديد الواو أي اختصر (فيهما) على ما لا بد منه وخففهما في النهاية فتجوز في صلاتي أي أخففها وأقللها (ثم خرج وتبعته فقلت) أي له (انك حين دخلت المسجد قالوا هذا رجل من أهل الجنة قال والله ما ينبغي لاحد ان يقول ما لا يعلم) قال النووي هذا انكار من عبد الله بن سلام عليهم حيث قطعوا له بالجنة فيحتمل ان هؤلاء بلغهم خبر سعد بن أبي وقاص ان ابن سلام من أهل الجنة ولم يسمع هو ذلك ويحتمل انه كره الثناء عليه بذلك تواضعا وايثارا للخمول وكراهة للشهرة قال الطيبي فعلى هذا الاشارة بقوله (فساحدثك لم ذاك) وهو بلا لام الى انكاره اياهم يعني اني أحدثك سبب انكاري عليهم وهو هذا (اني رأيت رؤيا) الخ وهذا لا يدل على النص بقطع النبي صلى الله عليه وسلم على اني من أهل الجنة

متفق عليه وعن سعد بن أبي وقاص قال ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشي على وجه الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام متفق عليه وعن قيس بن عباد قال كنت جالسا في مسجد المدينة فدخل رجل على وجهه أثر الخشوع فقالوا هذا رجل من أهل الجنة فصلى ركعتين تجوز فيهما ثم خرج وتبعته فقلت انك حين دخلت المسجد قالوا هذا رجل من أهل الجنة قال والله ما ينبغي لاحد أن يقول ما لا يعلم فساحدثك لم ذاك رأيت رؤيا

كما نص على ضبطه ويمكن ان تكون الاشارة بذلك الى قولهم هذا رجل من أهل الجنة يعني لا ينبغي لاحد ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه ان يقول بما لا يعلم فانهم علموا ذلك وقالوا وأما أيضا أقول رأيت رؤيا (على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي في زمانه (فقصصتها عليه ورأيت) بيان لما قبله (كأني في روضة ذكر) أي عبد الله بن سلام (من سعتها) بفتح أولهما (وخضرتها وسطها) بالنصب على انه ظرف وقع خبرا مقدما لمبتدإ مؤخر وقوله (عمود من حديد أسفله) أي أسفل العمود (في الارض وأعلاه في السماء) والجملتان صفتان لعمود (في أعلاه) أي العمود (عروة) بضم العين أي حلقة ففي القاموس العروة من الدلو والكوز المقبض فاستعيرت لما يوثق و يعول عليه (فقيل لي ارقه) بفتح القاف وسكون الهاء للسكت وفي نسخة بضم الهاء على انه ضمير ففي القاموس رقى كرضى صعد وقال ابن الملك من رقي يرقى اذا صعد والهاء للسكت و يجوز ان يعود الى العمود (فقلت لا أستطيع) أي الرقي والصعود (فأتاني منصف) بكسر الميم وفتح الصاد ذكره النووي وعليه النسخ المعتمدة وقال القاضي عياض و يقال بفتح الميم وهو الخادم من نصف نصافة اذا خدم وفي شرح مسلم قالوا هو الوصيف الصغير المدرك للخدمة (فرفع) أي المنصف (ثيابي من خلفي فرقيت) بكسر القاف وقال ميرك وحكي فتحها أقول وفيه نظر اذ رقى يرقى كرمى يرمي من الرقية ولا معنى لها ههنا بل المراد فصعدت (حتى كنت في أعلاه) أي أعلى العمود وفي نسخة في أعلاها أي أعلى العروة (فاخذت) وفي نسخة أخذت (بالعروة فقيل) أي لي (استمسك) أي بالغ في المسك بمعنى الاخذ (فاستيقظت وانها لفي يدي) أي ان الاستيقاظ كان حال الاخذ من غير فاصل فلم يرد انها بقيت في يده حال يقظته ولو حمل على ظاهره لما امتنع في قدرة الله تعالى لكن يظهر خلافه ويحتمل أن يريد ان أثرها بقي في يدي بعد الاستيقاظ كان يصبح فيرى يده مقبوضة (فقصصتها على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك الروضة الاسلام وذلك العمود عمود الاسلام وتلك العروة) مبتدأ خبره قوله (الوثقى) وفي نسخة صحيحة العروة الوثقى قال الطيبي الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انقطاعها (فانت على الاسلام حتى تموت) اه كلامه صلى الله عليه وسلم (فقال قيس وذلك الرجل عبد الله بن سلام) ولا يبعد أن يكون من قول عبد الله بن سلام بان يخبر عن نفسه (متفق عليه وعن أنس قال كان ثابت بن قيس بن شماس) بتشديد الميم (خطيب الانصار) أي فصيحهم أي في النثر كما يقال الشاعر في النظم قال المؤلف خزرجي شهد له النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطيب الانصار واستشهد يوم اليمامة مع مسيلمة الكذاب سنة اثنتي عشرة وروى عنه أنس بن مالك وغيره (فلما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الى آخر الآية) وهو قوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (جلس ثابت في بيته واحتبس) أي نفسه (عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ) استشكل بان الآية المذكورة نزلت سنة تسع وسعد بن معاذ مات قبل ذلك سنة خمس وأجيب بان ما نزل في قصة ثابت مجرد رفع الصوت لا أول السورة وهو ولا تقدموا بين يدي الله (فقال) أي النبي صلى الله عليه وسلم لسعد حيث كان رئيسهم (ما شأن ثابت) أي حيث انه غير ثابت معنا (أيشتكي) أي مرضا أو وجعا فكأنه تحير في الجواب ولم يعرف طريق الصواب (فأتاه) أي ثابتا سعد (فذكر) أي سعد (له) أي لثابت (قول رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي في تفقده (فقال ثابت أنزلت هذه الآية) اي المتقدمة (ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بحسب الجبلة (فانا من أهل النار) ولم يعرف ان المراد به رفع صوت يكون اختيارا يقتضي قلة الادب (فذكر ذلك) أي تعليل ثابت (سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة) أي حيث بالغ في الادب حتى لم يجوز رفع الصوت الجبلي أيضا ووقع مصداق ذلك انه قتل باليمامة شهيدا وقد نقل الكوراني عن أنس لما كان يوم قتال مسيلمة الكذاب تحنط ولبس الكفن فقاتل حتى قتل في كفنه (رواه مسلم) والنسائي (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا) أي جالسين (عند

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصتها عليه ورأيت كأني في روضة ذكر من سعتها وخضرتها وسطها عمود من حديد أسفله في الارض وأعلاه في السماء في أعلاه عروة فقيل لي ارقه فقلت لا أستطيع فأتاني منصف فرفع ثيابي من خلفي فرقيت حتى كنت في أعلاه فأخذت بالعروة فقيل استمسك فاستيقظت وانها لفي يدي فقصصتها على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك الروضة الاسلام وذلك العمود عمود الاسلام وتلك العروة العروة الوثقى فانت على الاسلام حتى تموت وذلك الرجل عبد الله بن سلام متفق عليه وعن أنس قال كان ثابت بن قيس بن شماس خطيب الانصار فلما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الى آخر الآية جلس ثابت في بيته واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال ما شأن ثابت أيشتكي فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت أنزلت هذه الآية ولقد علمتم اني من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من أهل الجنة رواه مسلم وعن أبي هريرة قال كنا جلوسا عند

النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة) بضم الجيم والميم ويسكن (فلما نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال الطيبي هذا على أن يكون آخرين عطفا على الاميين يعني انه تعالى بعثه في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم بعد الصحابة رضي الله عنهم (قالوا من هؤلاء) أي وآخرين منهم (يارسول الله قال) أي أبو هريرة (وفينا سلمان الفارسي) بكسر الراء ويسكن (قال) أي أبو هريرة (فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان) أي على كتفه (ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء) قال الطيبي جمع اسم الاشارة والمشار اليه سلمان وحده ارادة للجنس ويحتمل أن يراد بهم العجم كلهم لوقوعه مقابلا للاميين وهم العرب وان يراد به أهل فارس ولو ههنا بمعنى ان لمجرد الفرض والتقدير على سبيل المبالغة قال المؤلف سلمان الفارسي يكنى أبا عبد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصله من فارس من رامهرمز ويقال بل كان أصله من أصفهان من قرية يقال لها جي سافر يطلب الدين فدان أولا بدين النصرانية وقرأ الكتب وصبر في ذلك على مشقات متتالية فأخذه قوم من العرب فباعوه من اليهود ثم انه كوتب فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابته ويقال انه تداوله بضعة عشر سيدا حتى أفضى الى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقال سلمان منا أهل البيت وهو أحد الذين اشتاقت اليهم الجنة وكان من المعمرين قيل عاش مائتين وخمسين سنة وقيل ثلاثمائة وخمسين سنة والاول أصح وكان يأكل من عمل يده ويتصدق بعطائه ومناقبه كثيرة وفضائله غزيرة وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه في كثير من الاحاديث ومات بالمدائن سنة خمس وثلاثين روى عنه أنس وأبو هريرة وغيرهما (متفق عليه) وفي الجامع لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من فارس رواه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة ورواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة أيضا ولفظه لو كان العلم معلقا بالثريا لتناوله قوم من أبناء فارس (وعنه) أي عن أبي هريرة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك) بالتصغير للشفقة (هذا) أي المشار اليه (يعني أبا هريرة) تفسير منه أو من غيره مدرج فيه معترضة (وأمه) عطف على عبيدك (الى عبادك المؤمنين) متعلق بحبب (وحبب اليهم) وفي نسخة اليهما (المؤمنين) قال ميرك كذا وقع بضمير الجمع في أصل سماعنا من المشكاة وهو الموافق لاصل السماع من صحيح مسلم وأكثر النسخ الحاضرة منه وتوجيهه باعتبار ان أقل الجمع اثنان أو باعتبار أهلهما وأولادهما والمنتسبين اليهما ليكون أشمل والله أعلم اه ويمكن أن يقال نزلا منزلة الجماعة تعظيما لهما كما ينزل الواحد أيضا منزلة جمع (رواه مسلم وعن عائذ بن عمرو) بالواو وهو اسم فاعل من العوذ بمعنى اللوذ قال المؤلف هو مدني من أصحاب الشجرة سكن البصرة وحديثه في البصريين روى عنه جماعة (ان أبا سفيان) أي ابن حرب (أتى) أي مر (على سلمان وصهيب) بالتصغير (وبلال في نفر) أي وعلى بلال مع جمع قال النووي هذا الاتيان كان لابي سفيان وهو كافر في الهدنة بعد صلح الحديبية (فقالوا) اي سلمان وأصحابه (ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله) يعنون أبا سفيان (مأخذها) بفتح الخاء المعجمة أي حقها وفي نسخة صحيحة وهي أصل السيد مآخذها بهمزة ممدودة وكسر خاء على انه جمع روعي فيه مقابلة الجمع لسيوف قال الطيبي ما نافية وأما مأخذها فقيل مفعول به وقيل مفعول فيه ويجوز أن يكون مصدرا والكلام اخبار فيه معنى الاستفهام المتضمن للاستبطاء يعني لم تستوف السيوف حقها من عنقه واستعار الاخذ للسيف تشبيها له بمن له حق على صاحبه وهو يلزمه ويطالبه والغريم يمتنع عن ايفاء حقه ويماطله (فقال أبو بكر) اي لهم (أتقولون هذا لشيخ قريش) أي لكبيرهم (وسيدهم) اي رئيسهم (فأتى) أي أبو بكر (النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره) أي بخبرهم وخبره (فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم) لعل ههنا للاشفاق نحو قوله تعالى لعلك باخع نفسك وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي لا أعيش بعد عامي هذا (لئن كنت أغضبتهم) حيث انهم مؤمنون محبوبون لله تعالى (لقد أغضبت ربك) أي حيث راعيت جانب الكافر بربه (فأتاهم) أي أبو بكر

(فقال

النبي صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فلما نزلت وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قالوا من هؤلاء يارسول الله قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك هذا يعني أبا هريرة وأمه الى عبادك المؤمنين وحبب اليهما المؤمنين رواه مسلم وعن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها فقال أبو بكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال يا أبا بكر لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فأتاهم

(فقال يا أخوتاه) بالهاء الساكنة (أغضبتكم) أي فاعفوا عني والاظهر ان الاستفهام مقدر أي أأغضبتكم
(قالوا لا) أي لا حرج عليك أو لا غضب لنا بالنسبة اليك (يغفر الله لك) جملة دعائية قال الطيبي يجب أن يوقف
على لا ولو زادوا واوا كما في جواب اليزيدي عن سؤال المأمون لا وجعلني الله فداك لحسن موقعه وقوله
(يا أخي) الظاهر أن يقال يا أخانا ولعله حكاية قول كل واحد واحد قال النووي ضبطوه بضم الهمزة على
التصغير وهو تصغير تحبيب وفي بعض النسخ بفتحها اه وفي نسخة السيد جمال الدين وكثير من الاصول
المعتمدة بالتصغير وفتح الياء وفي بعض النسخ بكسرها وقد قرئ بهما في يا بني وفي نسخة بفتح الهمزة وسكون
الياء ويجوز فتحها هذا وقال المؤلف صهيب بن سنان مولى عبد الله بن جدعان التيمي يكنى أبا يحيى كانت
منازلهم بأرض الموصل فيما بين دجلة والفرات فأغارت الروم على تلك الناحية فسبته وهو غلام صغير فنشأ
بالروم فابتاعه منهم كلب ثم قدمت به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان فأعتقه فأقام معه الى أن هلك ويقال انه لما
كبر في الروم وعقل هرب منهم وقدم مكة فحالف عبد الله بن جدعان وأسلم قديما بمكة قال انه أسلم وعمار بن
ياسر في يوم واحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم بدار الارقم بعد بضعة وثلاثين رجلا وكان من المستضعفين
المعذبين في الله بمكة ثم هاجر الى المدينة وفيه نزل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله روى عنه
جماعة مات سنة ثمانين بالمدينة وهو ابن تسعين سنة ودفن بالبقيع وأما أبو سفيان فتأتي ترجمته في منقبته
(رواه مسلم وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية الايمان) أي علامة كماله (حب الانصار) قال
ابن التين المراد حب جميعهم لان ذلك انما يكون للدين فمن أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض به فليس داخلا
في ذلك وهو تقرير حسن (وآية النفاق بغض الانصار) وضع الظاهر موضع المضمر اهتماما بشأنهم واشعارا
بالعلة في حبهم وبغضهم وهو جمع ناصر أو نصير واللام للعهد والمراد أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الاوس والخزرج وكانوا يعرفون قبل الاسلام بأبناء قيلة وهي الام التي تجمع القبيلتين فسماهم النبي صلى الله
عليه وسلم الانصار فصار علما لهم ونزل القرآن بمدحهم وقد أطلق على أولادهم وحلفائهم ومواليهم وانما
فازوا بهذه المنقبة لاجل ايوائهم النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته حيث تبوؤا الدار والايمان وجعلوه مستقرا
ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك فكان ذلك موجب المعاداة لعرب
والعجم فأفضى ذلك الى الحسد وهو يجر الى البغض فلذا جاء الترهيب عن بغضهم والترغيب في حبهم فمن أحبهم
فذلك من كمال ايمانه ومن أبغضهم فذلك من علامة نفاقه ونقصان ايقانه (متفق عليه) ورواه أحمد والنسائي
وكذا ابن ماجه عنه لكن لفظه حب الانصار آية الايمان وبغض الانصار آية النفاق (وعن البراء) أي ابن
عازب (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الانصار لا يحبهم الا مؤمن) أي كامل (ولا يبغضهم الا
منافق) أي حقيقي أو مجازي وهو الفاسق الشبيه بالمنافق (فمن أحبهم) أي لله (أحبه الله ومن أبغضهم) أي
بغير سبب شرعي بالنسبة الى بعض أفرادهم (أبغضه الله متفق عليه وعن أنس قال ان ناسا) أي جمعا (من
الانصار قالوا حين أفاء الله على رسوله) أي أعطاه (فيأ) أي غنيمة (من أموال هوازن) وهي قبيلة شهيرة
(ما أفاء) أي شيأ أفاءه عليه (فطفق) أي فأخذ وشرع (رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة) حين
مرجعه من الطائف (يعطي رجالا من قريش المائة من الابل) ومن جملتهم أبو سفيان والده معاوية وكان
اعطاؤه تألفا لهم بالاسلام ولذا كان يعطي الصادقين من المهاجرين والانصار أقل من المائة (فقالوا) أي
ناس من الانصار زعما منهم انه صلى الله عليه وسلم يراعي بعض قومه من قريش (يغفر الله لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يعطي قريشا) أي شيأ كثيرا (ويدعنا) أي يتركنا في اعطاء الكثير (وسيوفنا تقطر) بضم الطاء
أي والحال أن سيوفنا نحن معاشر الانصار تتقطر (من دمائهم) أي من دماء كفار قريش بجهادنا اياهم حتى
يسلموا قال الطيبي قولهم يغفر الله توطئة وتمهيد لما يرد بعده من العتاب كقوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت
لهم وقولهم وسيوفنا تقطر من دمائهم من باب قول العرب عرضت الناقة على الحوض اه ولا يبعد أن

فقال يا اخوتاه أغضبتكم قالوا لا يغفر الله لك يا أخي رواه مسلم وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغض الانصار متفق عليه وعن البراء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله متفق عليه وعن أنس قال ان ناسا من الانصار قالوا حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق يعطي رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويدعنا وسيوفنا تقطر من دمائهم

يكون التقدير وسيوفنا باعتبار ما عليها تقطر من دمائهم وهو اشعار بقرب قتلهم كفار قريش وايماء الى أنهم أولى بزيادة البر فالجملة حال مقررة لجهة الاشكال (فحدث) بضم حاء وتشديد دال مكسورة أى فحكى (لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم) أى بقول ذلك البعض من الانصار (فارسل) أى الرسول رسولا (الى الانصار فجمعهم) أى الرسول أو أمر بجمعهم (رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة) أى خيمة (من ادم) بفتحتين أى جلد (ولم يدع) بسكون الدال وضم العين اى لم يطلب وفى نسخة بفتح الدال وسكون العين أى لم يترك معهم (أحدا غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث) أى أى شئ خبر عظيم (بلغنى عنكم فقال فقهاؤهم) أى علماؤهم أو عقلاؤهم (أما ذو ورأينا) أى أصحاب عقولنا وفهومنا (يا رسول الله فلم يقولوا شيأ) أى من هذا الباب (وأما أناس) بضم الهمز لغة فى ناس أى جماعة (منا حديثة) اى جديدة (أسنانهم) جمع السن بمعنى العمر والمراد منهم الشبان (قالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويدع الانصار) أى يتركهم (وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أعطى) أى من هذا المال (رجالا حديثى عهد بكفر أتألفهم) أى أطلب الفتهم بالاسلام باعطاء المال لا لكونهم من قريش أو لغرض آخر من الاحوال (أما ترضون أن يذهب الناس) اى غيركم من المتألفة قلوبهم (بالاموال وترجعون الى رحالكم) بكسر الراء أى منازلكم فى المدينة (برسول الله) وفى نسخة صلى الله عليه وسلم (قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا) فيه تأكيد لما فهم من بلى وما أحسن من قال من أرباب الذوق والحال

رضينا قسمة الجبار فينا * لنا علم وللاعداء مال
فان المال يفنى عن قريب * وان العلم يبقى لا يزال

(متفق عليه وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار) فى شرح السنة ليس المراد منه الانتقال عن النسب الولادى لانه حرام مع أن نسبه صلى الله عليه وسلم أفضل الانساب وأكرمها وانما أراد به النسب البلادى ومعناه لولا الهجرة من الدين ونسبتها دينية لا يسعنى تركها لانها عبادة كنت مأمورا بها لانتسبت الى داركم ولانتقلت عن هذا الاسم اليكم وقيل أراد صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام اكرام الانصار والتعريض بأن لا رتبة بعد الهجرة أعلى من النصرة وبيان انهم بلغوا من الكرامة مبلغا لولا انه صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الى المدينة لعد نفسه من الانصار لكرامتهم عند الله تعالى وتلخيصه لولا فضلى على الانصار بسبب الهجرة لكنت واحدا منهم وهذا تواضع منه صلى الله عليه وسلم وحث للناس على اكرامهم واحترامهم لكن لا يبلغون درجة المهاجرين السابقين الذين أخرجوا من ديارهم وقطعوا عن أقاربهم وأحبابهم وحرموا أوطانهم وأموالهم وهم رضى الله عنهم ما نالوا ذلك بآلة الا لاجل رضا الله ورسوله واعلاء دين الله وسنة رسوله والانصار وان اتصفوا بصفة النصرة والايثار والمحبة والايواء ولكنهم مقيمون فى مواطنهم ساكنون مع أقاربهم وأحبابهم وحسبك شاهدا فى فضل المهاجرين قوله هذا لان فيه اشارة الى جلالة رتبة الهجرة فلا يتركها نبى مهاجرى لانصارى (ولو سلك الناس واديا) أى طريقا حسيا أو معنويا (وسلكت الانصار واديا) أى سبيلا آخرا (أو شعبا) بكسر فسكون شك من الراوى اذ ما لهما واحد (لسلكت وادى الانصار أو شعبها) أى شعب جماعة الانصار وتركت سلوك وادى سائر الناس قال الخطابى أراد ان أرض الحجاز كثيرة الاودية والشعاب فاذا ضاق الطريق عن الجميع فسلك رئيس شعبا تبعه قومه حتى يفضوا الى الجادة وفيه وجه آخر وهو انه أراد بالوادى الرأى والمذهب كما يقال فلان فى واد وأنا فى واد وقيل أراد صلى الله عليه وسلم بذلك حسن موافقته اياهم وترجيحهم فى ذلك على غيرهم لما شاهد منهم حسن الوفاء بالعهد وحسن الجوار وما أراد بذلك وجوب متابعته اياهم فان متابعته حق على كل مؤمن لانه صلى الله عليه وسلم هو المتبوع المطاع لا التابع المطيع (الانصار شعار) بكسر أوله ويفتح وهو الثوب الذى يلى شعر البدن

فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمقالتهم فارسل الى الانصار فجمعهم فى قبة من أدم ولم يدع معهم أحدا غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغنى عنكم فقال فقهاؤهم أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيأ وأما أناس منا حديثة أسنانهم قالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويدع الانصار وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أعطى رجالا حديثى عهد بكفر أتألفهم أما ترضون أن يذهب الناس بالاموال وترجعون الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا متفق عليه وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا وسلكت الانصار واديا أو شعبا لسلكت وادى الانصار وشعبها الانصار شعار

(والناس دثار) بكسر الدال المهملة والثوب الذي فوق الشعار شبه الانصار بالشعار لرسوخ صداقتهم وخلوص مودتهم والمعنى انهم أقرب الناس الي مرتبة وأولاهم مني منزلة (انكم) التفات اليهم متضمن للترحم عليهم (ستر ون بعدي أثرة) بفتحتين وبضم فسكون أي استئثارا (يستأثر عليكم أمراؤكم) بامور الدنيا من الغنائم والفيء ونحوهما ويفضل عليكم غيره نفسه أو من هو أدنى منكم (فاصبروا) أي على ذلك الاستئثار (حتى تلقوني على الحوض) أي فحينئذ يحصل جبر خاطركم المتعطش الى لقائي بسقيكم شربة لا تظمؤن بعدها أبدا (رواه البخاري وعنه) أي عن أبي هريرة (قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح) أي فتح مكة (فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن) أي ذو أمن والامن ضد الخوف وقيل أي مأمون قال الطيبي انما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حين أسلم أبو سفيان وقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قال المؤلف هو أبو سفيان بن صخر بن حرب الاموي القرشي والد معاوية ولد قبل الفيل بعشر سنين وكان من اشراف قريش في الجاهلية وكان انتهى اليه راية الرؤساء في قريش أسلم يوم فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم وشهد حنينا وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة بعير وأربعين أوقية فيمن أعطاه من المؤلفة قلوبهم وفقئت عينه يوم الطائف فلم يزل أعور الى يوم اليرموك فاصاب عينه الاخرى حجر فعميت روى عنه عبد الله بن عباس مات سنة أربع وثلاثين بالمدينة ودفن بالبقيع (ومن ألقى السلاح) أي آلة الحرب (فهو آمن فقالت الانصار) أي بعضهم (أما الرجل) أي النبي صلى الله عليه وسلم (فقد أخذته رأفة) أي شدة رحمة (بعشيرته) أي قبيلته (ورغبة) أي محبة (في قريته) أي في أهل بلدته أو بالسكون في قريته (ونزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بما قالوا (قال قلتم أما الرجل أخذته) وفي نسخة صحيحة فقد أخذته (رأفة بعشيرته ورغبة في قريته كلا) ردع أي ليس الامر كما توهمتم من اقامتي بمكة لان هجرتي الى المدينة كانت خالصة لله كما بينه بقوله (اني عبد الله ورسوله) أي كوني على هذه الصفة يقتضي ان لا أعود الى دار تركتها لله وان لا أرغب في بلدة هاجرت منها لله (هاجرت الى الله) أي الى ثوابه أو مأموره (واليكم) أي والى دياركم لمبايعتكم الى والى المهاجرين اليكم كما قال تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم وخلاصته ان القصد في الهجرة كان الى الله وان التهاجر كان من دار قومي الى داركم (المحيا) أي محياي (محياكم والممات) أي مماتي (مماتكم) والمعنى ما حييت أحيي في بلادكم كما تحيون فيه واذا توفيت توفيت في بلادكم كما تتوفون لا أفارقكم حيا ولا ميتا (قالوا) أي الانصار (والله ما قلنا) أي ما قلناه (الا ضنا) بكسر الضاد المعجمة وتشديد النون أي شحا وبخلا (بالله ورسوله) أي من شرف الجوار والصحبة واسم الله للتحسين والتزيين وقال الطيبي يريدون ما قلنا ذلك الا ضنة بما آتانا الله من كرامته خشية أن يفوتنا فيناله غيرنا ونحاور سوله صلى الله عليه وسلم أن ينتقل من بلدتنا الى بلدته انتهى وتوضيحه انهم علموا ان الآدمي مجبول على حب الاقارب والاوطان فخشينا أن تميل عنا اليهم فحركناك بهذا الكلام وجربناك ليتبين لنا المرام فلا يرد انهم كيف قالوا ذلك مع قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على ما أورده الطيبي رحمه الله (قال فان الله ورسوله يصدقانكم) أي في اخباركم عن أخباركم (ويعذرانكم) بفتح أوله وبضم أي يقبلان ما ذكرتم من اعتذاركم فيما قلتم من دعوى الضنة وفيه دلالة على جواز البخل بالعلماء والصلحاء وعدم الرضا بمفارقتهم (رواه مسلم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى صبيانا ونساء مقبلين) أي راجعين (من عرس) وهو بضم العين طعام الوليمة ذكره ابن الملك والاظهر ما في القاموس العرس الاقامة في الفرح وبضم وبالضم وبضمتين طعام الوليمة والوليمة طعام العرس أو كل طعام صنع لدعوة وغيرها (فقام النبي صلى الله عليه وسلم) أي عن طريقهم أو الى لقيهم (فقال اللهم أنتم) فيه التفات والتقدير اللهم أنت تعلم صدقي فيما أقول في حق الانصار ثم

والناس دثار انكم ستروت بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض رواه البخاري وعنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن فقالت الانصار أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته ونزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلتم أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ورغبة في قريته كلا اني عبد الله ورسوله هاجرت الى الله واليكم المحيا محياكم والممات مماتكم قالوا والله ما قلنا الا ضنا بالله ورسوله قال فان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم رواه مسلم وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى صبيانا ونساء مقبلين من عرس فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أنتم

خاطبهم بقوله (أنتم من أحب الناس الى اللهم أنتم من أحب الناس الى اللهم أنتم من أحب الناس الى) كرره للتأكيد وفي الخطاب التفات وتغليب الصبيان على النساء أو الغائبين على الحاضرين ويؤيده قول الراوي يعني الانصار أي يريد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أنتم طائفة الانصار (متفق عليه وعنه) أي عن أنس (قال مر أبو بكر) أي الصديق (والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم) أي والحال ان أهل ذلك المجلس (يبكون) أي في أيام مرضه صلى الله عليه وسلم (فقال ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم) يعنون نخاف فوته ان قدر الله موته (فدخل أحدهما) روي انه العباس (على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك) أي بما ذكر من بكائهم وسبب عنائهم (فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب) بتشديد الصاد أي ربط وشد (على رأسه حاشية برد) أي على هيئة عصابة لدفع وجع رأسه من الشدة (فصعد) بكسر العين أي طلع (المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم فحمد الله) أي شكره على ما أنعم (وأثنى عليه) أي بالوجه الاتم (ثم قال أوصيكم) أي أيها الناس أو المهاجرون (بالانصار) أي برعايتهم وحمايتهم (فانهم كرشي) بفتح فكسر وفي نسخة بكسر فسكون أي بطانتي (وعيبتي) بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة أي وخاصتي كذا ذكره الزركشي وفي القاموس الكرش بالكسر وككتف لكل مجتر بمنزلة المعدة للانسان مؤنثة وعيال الرجل وصغار ولده والجماعة وفي النهاية أراد انهم بطانته وموضع سره وأمانته أو أراد الجماعة أي جماعتي وأصحابي وفي المصباح أي انهم في المحبة والرأفة بمنزلة الاولاد الصغار لان الانسان مجبول على محبة ولده الصغير قال التوربشتي الكرش لكل مجتر بمنزلة المعدة للانسان والعرب تستعمل الكرش في كلامهم موضع البطن والبطن مستودع مكتوم السر والعيبة مستودع مكنون المتاع والاول أمر باطن والثاني أمر ظاهر فيحتمل انه ضرب المثل بهما ارادة اختصاصهم به في أموره الظاهرة والباطنة وفي شرح السنة عيبتي أي خاصتي وهو موضع سري والعرب تكني عن القلب والصدر بالعيبة لانهما مستودع السرائر كما ان العياب مستودع الثياب (وقد قضوا) أي أدى الانصار (الذي عليهم) أي من الوفاء بما وقع لهم من المبايعة ليلة العقبة فانهم بايعوا على انهم ينصرون النبي صلى الله عليه وسلم ولهم الجنة فوفوا بذلك ذكره العسقلاني (وبقي الذي لهم) أي من الاجر والثواب عند الله تعالى (فاقبلوا من محسنهم) أي ان أتوا بعذر فيما صدر عنهم (وتجاوزوا عن مسيئهم) أي ان عجزوا عن عذر (رواه البخاري وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه) أي من حجرته واستمر على مشيته (حتى جلس على المنبر فحمد الله) أي على ما وجد من النعمة لديه (وأثنى عليه) أي بما ألهمه اليه (ثم قال أما بعد) أي بعد الحمد والثناء (فان الناس) أي أهل الاسلام لانهم خلاصة الناس (يكثرون) بضم المثلثة اخبار بالغيب (ويقل الانصار) بفتح الياء وكسر القاف وتشديد اللام قال التوربشتي لان الانصار هم الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصروه في حال الضعف والعسرة وهذا أمر قد انقضى زمانه لا يلحقهم اللاحق ولا يدرك شأوهم السابق فكلما مضى منهم واحد مضى من غير بدل ويكثر غيرهم ويقلون (حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام) أي من حيث ان الملح بوصف القلة سبب لكمال الطعام في اللذة وهذه الجملة الاخيرة تؤيد ما قال الطيبي وهذا المعنى أي التقليل ثم في حق المهاجرين الذين هاجروا من مكة الى المدينة ولعل الحمل على الحقيقة أظهر لان المهاجرين وأولادهم كثروا وتبسطوا في البلاد وانتشروا فيها وملكوها بخلاف الانصار انتهى وهذا أمر مشاهد في الاشراف والعلويين والعباسية وبني خالد وأمثالهم (فمن ولي منكم) بفتح الواو وكسر لام وفي نسخة بضم وتشديد أي من تولى منكم (أيها المهاجرون) مثلا (شيأ) يجوز أن يكون مفعولا به وان يكون في موضع مصدر أي قليلا من الولاية وقوله (يضر فيه قوما) أي مسيئين (وينفع فيه آخرين) أي محسنين صفة كاشفة (فليقبل) أي المتولي منكم (من محسنهم) أي احسانهم

من أحب الناس الى الله ثم أنتم من أحب الناس الى يعني الانصار متفق عليه وعنه قال مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا فدخل أحدهما على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم رواه البخاري وعن ابن عباس قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه حتى جلس على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الناس يكثرون ويقل الانصار حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام فمن ولي منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم

(وليتجاوز عن مسيئهم) أى اساءتهم (رواه البخارى وعن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار) وهم التابعون (وابناء ابناء الانصار) وفى نسخة ولابناء الانصار وهم الاتباع فدعا لاهل القرون الثلاثة التى هى خير القرون ولا يبعد ان يراد به أبناؤهم ولو بوسائط الى يوم القيامة (رواه مسلم وعن أبى أسيد) بالتصغير (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دور الانصار) أى أفضل قبائلهم (بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحارث ابن الخزرج ثم بنو ساعدة وفى كل دور الانصار خير) أى فضل بالنسبة الى غيرهم من أهل المدينة وهو تعميم بعد تخصيص قال العسقلانى الخير الاول بمعنى أفضل والثانى بمعنى الفضل يعنى الخير حاصل فى جميع الانصار وان تفاوتت مراتبهم وقال النووى خير دور الانصار خير قبائلهم وكانت كل قبيلة تسكن محلة فتسمى تلك المحلة دار بنى فلان ولهذا جاء فى كثير من الروايات بنو فلان من غير ذكر الدار قالوا تفضيلهم على قدر سبقهم فى الاسلام وما ... ثرهم فيه وفى هذا دليل على جواز تفضيل القبائل والاشخاص من غير مجازفة ولا هوى ولا يكون هذا غيبة قال القاضى ان أراد به ظاهره فقوله بنو النجار على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويكون خيريتها بسبب خيرية أهلها وما وجد فيها من الطاعات والعبادات (متفق عليه) ورواه الترمذى والنسائى وفى الجامع خير ديار الانصار بنو النجار رواه الترمذى عن جابر وفى رواية للترمذى عنه خير ديار الانصار بنو عبد الاشهل (وعن على رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا) كذا فى جميع النسخ الحاضرة والظاهر اياى فكانه من باب استعارة المرفوع للمنصوب (والزبير) أى ابن العوام وقد سبق ذكره فى العشرة (والمقداد) بكسر الميم وهو ابن عمرو الكندى وذلك ان أباه حالف كندة فنسب اليها وانما سمى بابن الاسود لانه كان حليفه أو لانه كان فى حجره وقيل بل كان عبدا فتبناه وكان سادسا فى الاسلام روى عنه على وطارق بن شهاب وغيرهما مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين (وفى رواية وأبا مرثد بدل المقداد) بفتح الميم والمثلثة وسكون راء بينهما قال المؤلف هو كناز بن حصين ويقال ابن حصن الغنوى مشهور بكنيته شهد بدرا هو وابنه مرثد وهو من كبار الصحابة روى عن حمزة وعنه واثلة بن الاسقع وعبد الله ابن عمر مات سنة اثنتى عشرة وقال السيد جمال الدين هو وابنه حليفا حمزة بن عبد المطلب قال الواقدى وابن اسحق آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبادة بن الصامت قال محمد بن سعد شهد أبو مرثد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بالمدينة فى خلافة أبى بكر الصديق وهو ابن ست وستين سنة ثم الحاصل من الجمع بين الروايتين انه صلى الله عليه وسلم بعث الاربعة الا ان المذكور فى بعض الروايات المقداد وفى بعضها أبو مرثد وتوضيحه ما قال الطيبى انه لم يرد بذلك ان المبدل منحى بل المراد انه ذكر فى رواية هذا وفى رواية ذاك لان الاربعة قد بعثوا لهذا الامر انتهى ولا يخفى ان المبدل منحى فى الرواية الثانية ولذا قال بدل المقداد وان كان فى نفس الامر غير منحى عن المراد وفى شرح مسلم وعن على رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد الغنوى والزبير بن العوام وفى الرواية السابقة والمقداد بدل أبا مرثد ولا منافاة بل بعث الاربعة عليا والزبير والمقداد وأبا مرثد (فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ) بخاءين معجمتين مصروفا وقد لا يصرف قال الطيبى بالخاءين المعجمتين هو الصواب وهى موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة وفى القاموس وخاخ يصرف ويمنع (فان بها ظعينة) أى امرأة اسمها سارة وقيل أم سارة مولاة لقريش (معها كتاب) أى مكتوب من أهل المدينة الى أهل مكة (فخذوه منها فانطلقنا تتعادى) أى تتسابق (بنا خيلنا حتى أتينا الى الروضة) أى روضة خاخ (فاذا نحن بالظعينة) أى المرأة (فقلنا اخرجى الكتاب قالت ما معى من كتاب) من زائدة لمزيد تأكيد النفى (فقلنا لتخرجن) بفتح لام فضم فسكون فكسر تين وتشديد نون أى لتظهرن (الكتاب أو لتلقين) بفتح فضم فسكون فكسر ففتح فتشديد

وليتجاوز عن مسيئهم رواه البخارى وعن زيد ابن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار وابناء ابناء الانصار رواه مسلم وعن أبى أسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحرث بن الخزرج ثم بنو ساعدة وفى كل دور الانصار خير متفق عليه وعن على قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد وفى رواية وأبا مرثد بدل المقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الى الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجى الكتاب قالت ما معى من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين

وفي نسخة صحيحة بكسر الفوقية وفي نسخة بحذفهما وهو ظاهر أي لترمين (الثياب) لتجردن عنها الكتاب لنا الامر وفي نسخة بصيغة المجهول ورفع الثياب وهو ظاهر أيضا قال ميرك كذا جاءت الرواية باثبات الياء مكسورة ووجهه حسنة فان قلت القواعد العربية تقتضي ان تحذف تلك الياء ويقال لتلقن قلت القياس ذلك واذا صحت الرواية بالياء فتأويل الكسرة انها للمشاكلة لتخرجن والفتح بالحمل على المؤنث الغائب على طريق الالتفات من الخطاب الى الغيبة وفي بعض النسخ بفتح القاف ورفع الثياب كذا قاله الكرماني في شرح البخاري وقال الشيخ ابن حجر العسقلاني في شرحه كذا فيه باثبات الياء والوجه حذفها وقيل انما اثبتت للمشاكلة لتخرجن قال ويظهر لي ان صواب الرواية لتلقين الثياب بالنون بلفظ الجمع وهو ظاهر جدا لا اشكال فيه البتة ولا يحتاج الى تخريج وتكلف والله أعلم انتهى كلامه أقول ويؤيده ما وقع عند البخاري في باب فضل من شهد بدرا بلفظ لتخرجن الكتاب أو لنجردنك انتهى (فأخرجته من عقاصها) وهو بكسر العين جمع عقيصة وهي الشعر المضفور وقال العسقلاني والجمع بينه وبين رواية أخرجته من حجزتها بضم الحاء وسكون الجيم وبالزاي أي معقد الازار لأن عقيصتها طويلة بحيث تصل الى حجزتها فربطته في عقيصتها وغرزته بحجزتها (فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه) أي في الكتاب (من حاطب) بكسر الطاء (ابن أبي بلتعة الى ناس من المشركين) قال الطيبي ليس هذا حكاية المكتوب بل هو من كلام الراوي وضع موضع قوله الى فلان وفلان وفلان (من أهل مكة يخبرهم) أي حاطب أو مكتوبه مجازا (ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي ببعض شأنه وحاله وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فنزل جبريل فأخبره (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي لحاطب (ماهذا) أي الفعل الشنيع (فقال يارسول الله لا تعجل علي) أي في الحكم بالكفر ونحوه ثم استأنف يبين عذره في فعله بقوله (اني كنت امرأ ماصقا) بصيغة المجهول أي حليفا (في قريش) أي فيما بينهم (ولم أكن من أنفسهم) قال النووي وكان حليف الزبير بن العوام (وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة) أي ذوو قرابة أي أقارب أو قرابتهم مع ناس (يحمون) أي الاقارب أو الناس الذين أقاربهم يحفظون ويراعون (بها) أي بتلك القرابة (أموالهم) أي أموال المهاجرين (وأهليهم بمكة) يحتمل ان يكون ظرفا ليحمون والاقرب ان التقدير أموالهم وأهاليهم الكائنين بمكة (فأحببت اذ فاتني ذلك) أي القرب من النسب (فيهم) أي في قريش قال الطيبي اذ فاتني تعليل وقع بين الفعل ومفعوله وهو قوله (ان أتخذ فيهم يدا) أي صنيعة (يحمون) أي قريش (بها) أي بتلك اليد (قرابتي) أي الكائنة بمكة قال الطيبي قوله يحمون صفة يدا وأراد باليد يد الانعام أو قدرة (وما فعلت) أي ذلك (كفرا) أي أصليا (ولا ارتدادا عن ديني) أي حادثا (ولا رضا بالكفر) أي بوجوده (بعد الاسلام) أي بعد حصوله وهو تأكيد لما قبله أو تعميم لانواع حدوث الكفر (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي خطابا للاصحاب (انه قد صدقكم) بتخفيف الدال أي قال الصدق (فقال عمر دعني) أي اتركني (يارسول الله اضرب) بالجزم أي أقطع (عنق هذا المنافق) وانما قال ذلك مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب في معذرته لما كان عند عمر من قوة في الدين وبغض من ينتسب الى النفاق وظن ان من خالف ما أمره النبي صلى الله عليه وسلم استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقا لكونه أبطن خلاف ما أظهر وعذر حاطب ما ذكره فانه صنع ذلك متأولا ان لا ضرر فيه (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه) أي حاطبا (قد شهد بدرا) أي حضره (وما يدريك) أي أي شيء يعلمك انه مستحق للقتل (لعل الله اطلع) بتشديد الطاء أي أقبل (على أهل بدر) ونظر اليهم نظر الرحمة والمغفرة (فقال اعملوا ما شئتم) أي من الاعمال الصالحة والافعال النافلة قليلة أو كثيرة (فقد وجبت لكم الجنة) أي ثبتت أو وجبت بوجوب اختياري من الوعد الواجب وقوعه قال الطيبي معنى الترجي فيه راجع الى عمر رضي

الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة الى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرأ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة فأحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة

الله

الله عنه لان وقوع هذا الامر محقق عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوثر على التحقيق بعثا له على التفكر والتامل فلا ينقطع الامر في كل شئ انتهى والاقرب ان ذكره للثلاث كل من شهد بدرا على ذلك وينقطع عن العمل بقوله اعملوا ما شئتم فان المراد به اظهار العناية لا الترخيص لهم في كل فعل بل الحديث الآتي عن حفصة صريح في انه صلى الله عليه وسلم كان في مقام الرجاء لا في حال القطع والله أعلم (وفي رواية فقد غفرت لكم) وهي أرجى مما قبلها كما لا يخفى قال النووي هذا في الآخرة وأما في الدنيا فلو توجه على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه وقد أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على مسطح حد الفرية وكان بدريا وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجواز هتك استار الجواسيس وقراءة كتبهم وفيه هتك ستر المفسد اذا كان فيه مصلحة أو كان في الستر مفسدة وما فعله حاطب كان كبيرة قطعا لانه يتضمن ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ولا يجوز قتله لانه لا يكفر به انتهى كلامه وفيه انه لو ارتكب كبيرة متضمنة لاذى النبي صلى الله عليه وسلم لكان كفرا فالصواب انه لم يقصد به أذى النبي صلى الله عليه وسلم بل انما قصد دفع أذى الكفار عن قرابته على ظن انه لا يضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الابلاغ وقد صدقه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك نعم قصر في اجتهاده حيث أخفى أمره ولم يستأذن منه صلى الله عليه وسلم في فعله ذلك والله أعلم (فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي) أي الذين أعاديهم (وعدوكم) أي الذين يعادونكم وهم الكفار (أولياء) أي أحباء وما بعده تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الآية وانما عم الخطاب ليدخل فيه أمثال حاطب ولذا قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (متفق عليه وعن رفاعة) بكسر الراء (ابن رافع) يكنى أبا معاذ الزرقي الانصاري شهد بدرا واحدا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مع علي الجمل وصفين مات في أول ولاية معاوية روى عنه ابناه عبيد ومعاذ وابن أخيه يحيى بن خلاد (قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم قال) أي جبريل (ما تعدون) بضم عين وتشديد دال أي ما تعتبرون (أهل بدر فيكم) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم أوله ولمن كان من أصحابه معه والمعنى أي شئ من مراتب الفضل تحسبونه لاهل بدر (قال من) أي هم من (أفضل المسلمين أو كلمة نحوها) والظاهر انها هم أفضل المسلمين (قال) أي جبريل (وكذلك) أي عندنا كم (من شهد بدرا من الملائكة) أي هم أفضل ممن لم يشهد منهم فيكونون أفضل الملائكة أو من أفاضلهم وقال الطيبي أي ممن يعدون ليطابقه الجواب وهو من أفضل المسلمين وأتى بما بدل من تعظيما لشأنهم نحو قولهم سبحان ما سخركن لنا انتهى ولا يخفى عدم ظهور افادة التعظيم من العدول من من الى ما وانما جاء ما في موضع بمعنى من أو أريد به الوصف كما في المثال المذكور ونحوه قوله تعالى ونفس وما سواها (رواه البخاري وعن حفصة) أي بنت عمر ام المؤمنين (قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو أن لا يدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية) بالتخفيف ويشدد (قلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى وان منكم) أي ما منكم (الا واردها) أي مار بها أو حاضرها وكانت حفصة ظنت ان معنى واردها داخلها (قال فلم تسمعيه) أي أفلم تسمعي كلام الله (يقول) أي بعد ذلك (ثم ننجي الذين اتقوا) أي من الدخول وقال ابن الملك أي فينجي الله المتقين بفضله عنها فتكون عليهم بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم ويترك الكافرين فيها بعدله انتهى ويوافقه قول الطيبي

وفي رواية فقد غفرت لكم فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء متفق عليه وعن رفاعة بن رافع قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة رواه البخاري وعن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأرجو ان لا يدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية قلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى وان منكم الا واردها قال فلم تسمعيه يقول ثم ننجي الذين اتقوا وفي رواية لا يدخل النار ان شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها

يعني أردت بقولي ان لا يدخل الكافر ولا يعذب فيها ولا نجاة له منها انتهى ويؤيده ما اخترناه سابقا ما قاله النووي في شرح مسلم الصحيح ان المراد بالورود المرور على الصراط وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون قال الطيبي والاول هو الوجه على ما يظهر بادني تأمل قلت تأملنا كثيرا ولم يظهر وجه أرجحيته ولا قدرا يسيرا بل ظهر ان المعنى الثاني أبلغ وأتم والله أعلم ثم قال الطيبي وفيه جواز المناظرة والاعتراض والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة لا انها أرادت رد مقالته صلى الله عليه وسلم قلت وفي تسميته مناظرة واعتراضا وجوابا لا يخلو عن سوء أدب يرجى مسامحته بل الصواب انها استشكلت معنى الحديث حيث ظاهره على ظنها غير موافق للآية فسألت سؤال استرشاد لا سؤال اعتراض كما هو طريق أرباب المناظرة لا على سبيل ما هو واجب على كل من لم يفهم معنى آية أو حديث أو جمع بينهما أو غير ذلك من المسائل ان يسأل واحدا من العلماء كما قال تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وانما تسمى بالمناظرة المباحثة والمجادلة بين النظراء والامثال في المعاصرة وفي رواية لا يدخل النار ان شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها بيان لاصحاب الشجرة أو بدل (رواه مسلم) وكذا أبو داود والترمذي وابن ماجه ذكره السيد جمال الدين وقال ميرك ظاهر ايراد المصنف يقتضي ان هذا الحديث في صحيح مسلم من مسند حفصة وليس كذلك فان فيه من مسند أم مبشر الانصارية انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حفصة يقول لا يدخل النار ان شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها فقالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله عز وجل ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا هكذا في صحيح مسلم وليس حديث حفصة في واحد من الصحيحين بل هو في صحيح مسلم من حديث أم مبشر نعم رواه ابن ماجه من طريق أم مبشر عن حفصة كما هو في المصابيح وكذا رواه في شرح السنة والله أعلم هذا محصل ما أورده الجزري في تصحيح المصابيح انتهى ولا يخفى ان معنى هذا الحديث مروي عن حفصة في صحيح مسلم فصح اسناده اليه (وعن جابر قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة) قد سبق الخلاف فيه (قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الارض) ولذا قال بعض العلماء منهم السيوطي ان أفضل الصحابة الخلفاء الاربعة ثم بقية العشرة ثم أهل أحد ثم أهل الحديبية (متفق عليه وعنه) أي عن جابر (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يصعد الثنية) بكسر الدال على انه مجزوم حرك لالتقاء الساكنين وفي نسخة بالرفع على ان من موصولة مبتدأ متضمن معنى الشرط والثنية هي الطريق العالي في الجبل وقوله (ثنية المرار) بالنصب بدل أو عطف بيان والمرار بضم الميم وهو المشهور وعلى ما في النهاية وبعضهم يكسرها وبعضهم يقوله بالفتح وهو موضع بين مكة والحديبية من طريق المدينة وانما حثهم على صعودها لانها عقبة شاقة وصلوا اليها ليلا حين أرادوا مكة سنة الحديبية فرغبهم في صعودها بقوله (فانه يحط عنه) بصيغة المجهول أي يوضع عنه (ما حط) أي مثل ما وضع (عن بني اسرائيل) أي لو فعلوا ما أمروا به وفيه ايماء الى قوله تعالى وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم أي حط عنا ذنوبنا حطة (فكان) بالفاء وفي نسخة وكان (أول من صعدها خيلنا) بالرفع وأبدل منه (خيل بني الخزرج) والمعنى انه كان خيلنا أول خيل من صعدها (ثم تتام) بتشديد الميم تفاعل من التمام أي تتابع (الناس وجاؤا كلهم وتموا) والمعنى صعد الثنية كلهم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر) وهو عبد الله بن أبي رئيس المنافقين فالاستثناء منقطع نحو جاء القوم الا حمارا (فأتيناه فقلنا تعال) أي الى الحضرة العلية (يستغفر) بالجزم على جواب الامر وفي نسخة أن يستغفر فالتقدير لان يستغفر (لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان أجد ضالتي) أي من جمل أو خيل (أحب الي من أن يستغفر لي صاحبكم) وهذا كفر صريح منه وقد أشار اليه قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم

رواه مسلم وعن جابر قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الارض متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يصعد الثنية ثنية المرار فانه يحط عنه ما حط عن بني اسرائيل فكان أول من صعدها خيلنا خيل بني الخزرج ثم تتام الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلكم مغفور له الا صاحب الجمل الاحمر فأتيناه فقلنا تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان أجد ضالتي أحب الي من أن يستغفر لي صاحبكم

مستكبرون سواء [illegible] (رواه مسلم) [illegible] حديث أنس (قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (لأبي بن كعب ان الله أمرني أن أقرأ عليك) [illegible] بقراءة المعلم على المتعلم تعليمه وفيه منقبة عظيمة ومرتبة جسيمة حيث ان الله تعالى وتعظيم [illegible] تمييزه عن القرائه بالقراءة عليه ليكون ايماء الى انه رئيس القراء (في باب بعد فضائل القرآن) متعلق بقوله ذكر

(الفصل الثاني) (عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا باللذين) بصيغة التثنية وفي نسخة الذين بصيغة الجمع ولعله للتعظيم أو بناء على ان أقل الجمع اثنان (من بعدي) أي من بعد موتي أو من بعد الاقتداء بي (من أصحابي) أي من جملة أصحابي (أبي بكر وعمر) بدل أو بيان للذين (واهتدوا بهدي عمار) أي سيروا بسيره وكان الاقتداء أعم من الاهتداء حيث يتعلق به القول والفعل بخلاف الاهتداء فانه يختص بالفعل (وتمسكوا بعهد ابن أم عبد) أي بوصية ابن مسعود وقوله ولذا يختار امامنا الاعظم روايته وقوله على سائر الصحابة بعد الخلفاء الاربعة لكمال فقاهته ونصحه وصحبته قال التوربشتي يريد بعهد عبد الله بن مسعود وهو ما يعهد اليه فيوصيهم به وأرى أشبه الاشياء بما يراد من عهده أمر الخلافة فانه أول من شهد بصحتها وأشار الى استقامتها من أفاضل الصحابة وأقام عليها الدليل فقال لا نؤخر من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا نرضى لدنيانا من ارتضاه لديننا ومما يؤيد هذا المعنى المناسبة الواقعة بين أول الحديث وآخره في أوله اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وفي آخره وتمسكوا بعهد ابن أم عبد ومما يدل على صحة ما ذهبنا اليه قوله (وفي رواية حذيفة ما حدثكم ابن مسعود فصدقوه) وهذا اشارة الى ما أسر اليه من أمر الخلافة في الحديث الذي نحن فيه ويشهد لذلك الاستدراك الذي أوصله بحديث الخلافة فقال لو استخلفت عليكم فعصيتموه عذبتم ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه وحذيفة هو الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ولم أر في التعريض بالخلافة في سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوضح من هذين الحديثين ولا أصح من حديث أبي سعيد سدوا عني كل خوخة الا خوخة أبي بكر رضي الله عنه ثم قوله بدل (وتمسكوا بعهد ابن أم عبد) الظاهر بدل تمسكوا فان الواو العاطفة لا بد من وجودها على التقديرين (رواه الترمذي) الرواية الاولى رواها الترمذي من حديث ابن مسعود وقال غريب لا نعرفه الا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل وهو يضعف في الحديث والرواية الثانية رواها الترمذي أيضا لكن من حديث حذيفة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا أدري ما بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي وأشار الى أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه وقال حديث حسن نقله ميرك عن التصحيح أقول وحديث حذيفة رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وفي الجامع الصغير اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر رواه أحمد والترمذي وابن ماجه ثم أورد الحديث الذي في المشكاة وقال رواه الترمذي عن ابن مسعود والروياني عن حذيفة وابن عدي عن أنس (وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت مؤمرا) وفي نسخة بزيادة أحدا على انه مفعوله وهو بتشديد الميم المكسورة أي جاعل أحدا أميرا يعني أمير جيش بعينه وفي رواية لو كنت مستخلفا (من غير مشورة) بفتح فسكون ففتح وفي نسخة بفتح فضم والوجهان في الصحاح وفي القاموس مشورة مفعلة لا مفعولة بمعنى كمقولة (لأمرت عليهم ابن أم عبد رواه الترمذي وابن ماجه) وفي الجامع بلفظ لو كنت مؤمرا على أمتي أحدا من غير مشورة منهم لأمرت عليهم ابن أم عبد قال التوربشتي ومن أي وجه روي هذا الحديث فلا بد ان يؤول على انه صلى الله عليه وسلم أراد به تأميره على جيش بعينه أو استخلافه في أمر من أموره حال حياته ولا يجوز ان يحمل على غير ذلك فانه وان كان من العلم والعمل بمكان وله الفضائل الجمة والسوابق الجلة فانه لم يكن من قريش وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان هذا الامر في قريش فلا يصح حمله الا على الوجه الذي ذكرناه (وعن خيثمة) [illegible]

رواه مسلم وذكر حديث أنس قال لأبي بن كعب ان الله أمرني ان أقرأ عليك في باب بعد فضائل القرآن

(الفصل الثاني)

عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن أم عبد وفي رواية حذيفة ما حدثكم ابن مسعود فصدقوه بدل وتمسكوا بعهد ابن أم عبد رواه الترمذي وعن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت مؤمرا من غير مشورة لأمرت عليهم ابن أم عبد رواه الترمذي وابن ماجه وعن خيثمة

ابن أبي سبرة قال أتيت المدينة فسألت الله أن ييسر لي جليسا صالحا فيسر لي أبا هريرة فجلست إليه فقلت إني سألت الله أن ييسر لي جليسا صالحا فوفقت لي فقال من أين أنت قلت من أهل الكوفة جئت التمس الخير وأطلبه فقال أليس فيكم سعد بن مالك مجاب الدعوة وابن مسعود صاحب طهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعليه وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وسلمان صاحب الكتابين يعني الانجيل والقرآن رواه الترمذي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح نعم الرجل أسيد بن حضير نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تشتاق الى ثلاثة علي وعمار وسلمان رواه الترمذي وعن علي قال استاذن عمار على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب رواه الترمذي وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خير عمار بين أمرين الا اختار أشدهما ايسرهما

المعجمة وسكون الياء التحتية وفتح الثاء المثلثة (ابن أبي سبرة) بفتح السين المهملة وسكون الموحدة قال المؤلف هو خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي وكان خيثمة من كبار التابعين سمع عليا وابن عمر وغيرهما وعنه الاعمش ومنصور وعمرو بن مرة وورث مائتي ألف فأنفقها على العلماء (قال أتيت المدينة فسألت الله أن ييسر) أي يسهل (لي جليسا صالحا) أي مجالسا يصلح ان يجلس معه ويستفاد من مجالسته (فيسر لي أبا هريرة فجلست إليه فقلت إني سألت الله أن ييسر لي جليسا صالحا فوفقت لي) أي جعلت أنت موافقا لي واتفق لي مجالستك (فقال من أين أنت قلت من أهل الكوفة جئت التمس الخير) أي العلم المقرون بالعمل المعبر عنهما بالحكمة التي قال الله فيها ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وقد يقال لا خير خير منه أو لا خير غيره (وأطلبه) عطف تفسير يفيد بيان المبالغة (فقال أليس فيكم) أي في بلدكم (سعد بن مالك) وهو سعد بن أبي وقاص (مجاب الدعوة) وقد تقدم ذكره وبيان اجابة دعوته (وابن مسعود صاحب طهور رسول الله صلى الله عليه وسلم) بفتح الطاء أي ما يتطهر به فانه كان صاحب مطهرته (ونعليه) وكذا صاحب وسادته ونحوهما مما يدل على كمال خدمته وقربه المنتجة لكمال معرفته وحسن أدبه (وحذيفة صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وسلمان صاحب الكتابين) يعني الانجيل والقرآن فانه آمن بالانجيل قبل نزول القرآن وعمل به ثم آمن بالقرآن أيضا وهو المعروف بسلمان الخير ولم يعرف اسم أبيه فسئل عنه فقال انا ابن الاسلام وكان يأكل من كسب يده بعمل الخوص وقد سبق بعض ترجمته (رواه الترمذي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح) وقد تقدم ذكرهم (نعم الرجل أسيد بن حضير) بالتصغير فيهما قال المؤلف انصاري أوسي كان ممن شهد العقبة الثانية وكان بين العقبتين سنة شهد بدرا وما بعدها من المشاهد روى عنه جماعة من الصحابة مات بالمدينة سنة عشرين ودفن بالبقيع (نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس) بتشديد الميم (نعم الرجل معاذ بن جبل) وسبق ذكرهما (نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح) بفتح جيم فضم ميم قال المؤلف انصاري خزرجي شهد العقبة وبدرا هو وأبوه عمرو وهو الذي قتل مع معاذ بن عفراء أبا جهل ولمعاذ ذكر في باب قسمة الغنائم روى ابن عبد البر عن أبي اسحاق ان معاذ بن عمرو قطع رجل أبي جهل وصرعه قال وضرب ابنه عكرمة بن أبي جهل يد معاذ فطرحها ثم ضربه معاذ بن عفراء حتى أثبته ثم تركه وبه رمق ثم وقف عليه عبد الله بن مسعود واحتز رأسه حين أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلتمس أبا جهل في القتلى روى عنه عبد الله بن عباس ومات في زمن عثمان (رواه الترمذي) وكذا النسائي (وقال) أي الترمذي (هذا حديث غريب وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تشتاق) أي اشتياقا كثيرا (الى ثلاثة) أي أشخاص (علي) بالجر ويجوز رفعه (وعمار وسلمان) قال الطيبي سبيل اشتياق الجنة الى هؤلاء الثلاثة سبيل اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ قلت ولعل وجه الاختصاص ان عليا وعمارا قاتلا بين طائفة فريق من أهل البغي والفساد والتعدي والعناد فقاتلا على طريق السداد حتى قتلا فيمن قتل من العباد وسلمان وقع في الغربة مدة كثيرة من الزمن وابتلي بالعبودية والمحن (رواه الترمذي وعن علي رضي الله عنه قال استأذن عمار على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له مرحبا بالطيب المطيب) فيه مبالغة كظل ظليل (رواه الترمذي) وكذا ابن ماجه (وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خير عمار) بضم فتشديد تحتية أي ما جعل مخيرا (بين أمرين الا اختار أرشدهما) وهو أصل الترمذي أي أصلحهما وفي نسخة صحيحة وهو أصل المصابيح أشدهما بالشين المعجمة أي أصعبهما فقيل هذا بالنظر الى نفسه فلا ينافي رواية ما خير عمار بين أمرين الا اختار

أيسرهما فانه بالنظر الى ... أشدهما بالسنن المروية أى أمرهما والأظهر فى الجمع بين الروايات انه كان يختار أصلحهما وأمرهما فيما بين ترجيحه والاخذ بما وأيسرهما (رواه الترمذى) وكذا النسائى وابن ماجه وفى الجامع بلفظ أرشدهما قال ورواه الترمذى والحاكم وزاد ابن عساكر عن عائشة مرفوعا كم من ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره (وعن أنس قال لما حملت جنازة سعد بن معاذ) أى لما حملها الناس ورأوها خفيفة (قال المنافقون ما أخف جنازته) ما للتعجب (وذلك) أى استخفافهم واستحقاره (لحكمه فى بنى قريظة) أى بان تقتل المقاتلة وتسبى الذرية فنسبه المنافقون الى الجور والعدوان وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالاصابة فى حكمه كما سبق فى محله (فبلغ ذلك) أى كلامهم (النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الملائكة كانت تحمله) أى ولذا كانت جنازته خفيفة على الناس وأيضا ثقل الميت مشعر بتعلقه الى الدنيا وخفته الى قوة شوقه للمولى وسرعة طيران روحه الى المقصد الاعلى قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون قال الطيبى كانوا يريدون بذلك حقارته وازدراءه فاجاب صلى الله عليه وسلم بما يلزم من تلك الخفة بتعظيم شأنه وتفخيم أمره (رواه الترمذى وعن عبد الله بن عمرو) أى ابن العاص (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أظلت الخضراء) أى على أحد (ولا أقلت) بتشديد اللام أى حملت ورفعت (الغبراء) أى الارض (أصدق من أبى ذر) مفعول أقلت وصفة للاحد المقدر وهو نوع من التنازع والمراد به ذا الحصر التأكيد والمبالغة فى صدقه لا انه أصدق من غيره مطلقا اذ لا يصح ان يقال أبو ذر أصدق من أبى بكر رضى الله عنه وهو صديق هذه الامة وخيرها بعد نبيها وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم اصدق من أبى ذر وغيره كذا قالوا وفيه انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء مستثنى شرعا وأما الصديق لكثرة تصديقه لا يمنع ان يكون أحد أصدق فى قوله وقد جاء فى الحديث أقرؤكم أبى وأقضاكم على ولا بدع أن يكون فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل أو يشترك هو والافضل فى صفة من الصفات على وجه التسوية (رواه الترمذى وعن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة) بفتح فسكون وقيل بفتحتين وهى اللسان وقيل طرفه والمعنى من ذى نطق وقيل لهجة اللسان ما ينطق به أى من صاحب كلام (أصدق) أى أكثر صدق (ولا أوفى) أى بكلامه من الوعد والعهد (من أبى ذر) قال الطيبى من زائدة وذى لهجة معمول أقلت وقد تنازع فيه العاملان فاعمل الثانى وهو مذهب البصريين وهذا دليل ظاهر لهم كقوله تعالى يستغفر لكم رسول الله اذ لو أعمل الاول لنصب رسول الله فعلى هذا أصدق فى الحديث صفة موصوف محذوف أى ولا أقلت الغبراء ذا لهجة أصدق قلت الموصوف الذى ذكره بعينه مذكور لكنه يحتاج الى موصوف آخر فالتقدير ولا أقلت الغبراء أحدا ذا لهجة أصدق ثم قوله لو أعمل الاول لنصب رسول الله فيه مسامحة لان تعالوا غير متعد بنفسه بل بحرف الجر كما فى قوله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة والاظهر ان متعلقه محذوف للاكتفاء بظهوره فلا يكون من هذا الباب والله أعلم بالصواب (شبه عيسى بن مريم) بالجر بدل أى شبيهه وفى الاستيعاب من الحديث من سره ان ينظر الى تواضع عيسى ابن مريم فلينظر الى أبى ذر انتهى فالتشبيه يكون من جهة التواضع فقول الراوى (يعنى فى الزهد) مبنى على عدم اطلاعه للحديث المذكور مع انه لا منافاة بين ان يكون متواضعا وزاهدا بل الزهد هو الموجب للتواضع ثم قوله يعنى فى الزهد ليس فى المصابيح وانما هو من زوائد صاحب المشكاة (رواه الترمذى) قال ميرك وزاد فيه فقال عمر بن الخطاب أفتعرف ذلك له قال نعم فاعرفوه له انتهى وهو حديث رجاله موثوقون وفى الجامع رواه أحمد والترمذى وأبو داود والحاكم فى مستدركه عن ابن عمرو ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر قال التوربشتى قوله أصدق من أبى ذر مبالغة فى صدقه لا انه أصدق من كل على الاطلاق لانه لا يكون أصدق من أبى بكر بالاجماع فيكون عاما قد خص

رواه الترمذى وعن أنس قال لما حملت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون ما أخف جنازته وذلك لحكمه فى بنى قريظة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الملائكة كانت تحمله رواه الترمذى وعن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبى ذر رواه الترمذى وعن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة اصدق ولا أوفى من أبى ذر يشبه عيسى بن مريم يعنى فى الزهد رواه الترمذى

قال الطيبي يمكن أن يراد به أنه لا يراجعه في الشيء ويقول المعاريض في الكلام فلا يرضى [illegible]
مع الناس ولا يساهلهم ويظهر الحق البحت والصدق المحض [illegible]
الكلام ايفاء لا يغادر شيئا منه وقد روى الامام أحمد عن أبي ذر أنه استأذن على عثمان [illegible]
فقال عثمان يا كعب ان عبد الرحمن توفي وترك مالا فما ترى فيه فقال ان كان يصل فيه حق الله تعالى فلا بأس
عليه فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب لو أن لي
هذا الجبل ذهبا أنفقه ويتقبل مني أذر خلفي منه ست أواقي أنشدك بالله يا عثمان أسمعته ثلاث مرات
قال نعم وروى ابن عبد البر ان عثمان استقدمه لشكوى معاوية منه فاسكنه الربذة فمات بها وقال
علي في حقه ذاك رجل وعى علما عجز عنه الناس ثم أوكئ عليه شيء (وعن معاذ بن جبل لما حضره الموت
قال) أي معاذ (التمسوا العلم) أي علم الكتاب والسنة أو علم الحلال والحرام وهو الاظهر لقوله صلى
الله عليه وسلم أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وبهذا ظهر أيضا وجه الخصوصية (عند أربعة)
أي من الرجال (عند عويمر) تصغير عامر (أبي الدرداء) قال المؤلف هو عويمر بن عامر الانصاري الخزرجي
واشتهر بكنيته والدرداء ابنته تأخر اسلامه قليلا وحسن اسلامه وكان فقيها عالما سكن الشام ومات بدمشق
سنة اثنتين وثلاثين (وعند سلمان وعند ابن مسعود وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهوديا فأسلم) صفة
كاشفة قال الطيبي ليس بصفة مميزة لعبد الله لانه لا يشارك في اسمه غيره بل هو مدح له في التوصية بالتماس العلم
منه لانه جمع بين الكتابين (فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه) أي عبد الله بن سلام (عاشر
عشرة في الجنة) اي مثل عاشر عشرة ونحوه أبو يوسف أبو حنيفة اذ ليس هو من العشرة المبشرة كذا ذكره
ميرك وهو قول الطيبي او المعنى يدخل بعد تسعة نفر من الصحابة في الجنة ذكره السيد جمال الدين وفيه انه يلزم
تقدمه على بعض العشرة فلعله العاشر من الذين أسلموا من اليهود أو مما عدا العشرة المبشرة فيدخل الجنة بعد
تسعة عشر من الصحابة والله أعلم (رواه الترمذي) وكذا النسائي (وعن حذيفة قال قالوا) اي بعض الصحابة بعد
امتناعه من الاستخلاف (يارسول الله لو استخلفت) أي ان استخلفت شخصا فان يكون وقال الطيبي لو هذه
للتمني اي ليتنا أو الامتناعية وجوابه محذوف أي لكان خيرا اه وفيه انه نوع اعتراض (قال ان استخلفت
عليكم) اي أحدا (فعصيتموه) أي استخلافي أو مستخلفي (عذبتم) اي عذابا شديدا قال الطيبي عذبتم جواب
الشرط ويجوز أن يكون مستأنفا والجواب فعصيتموه والاول أوجه لما يلزم من الثاني أن يكون
الاستخلاف سببا للعصيان والمعنى أن الاستخلاف المستعقب للعصيان سبب للعذاب وقوله (ولكن
ما حدثكم حذيفة فصدقوه وما أقرأكم عبد الله) أي ابن مسعود (فاقرؤه) من الاسلوب الحكيم لانه زيادة
على الجواب كأنه قيل لا يهمكم استخلافي فدعوه ولكن يهمكم العمل بالكتاب والسنة فتمسكوا بهما وخص
حذيفة لانه كان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنذرهم من الفتن الدنيوية وعبد الله بن مسعود
لانه كان منذرهم من الامور الاخروية اه والاظهر أنه استدراك من مفهوم ما قبله والمعنى ما استخلف
عليكم أحدا ولكن الخ ثم وجه اختصاصهما بهذا المقام انهما شاهدان على صحة خلافة الصديق على ما تقدم
والله أعلم ففيه اشارة الى الخلافة دون العبارة لئلا يترتب على الثاني شيء من المعصية الموجبة للتعذيب بخلاف
الاول فانه يبقى للاجتهاد مجال (رواه الترمذي) قال ميرك وفي اسناده شريك وفيه مقال قلت وأخرجه ابن السمان
عن حذيفة ولفظه قالوا يارسول الله ألا تستخلف قال اني ان استخلفت عليكم فعصيتم خليفتي نزل العذاب بكم
قالوا ألا نستخلف أبا بكر قال ان تستخلفوه تجدوه قويا في أمر الله ضعيفا في نفسه قالوا ألا نستخلف عمر قال ان
تستخلفوه تجدوه قويا في أمر الله قويا في بدنه قالوا ألا نستخلف عليا قال ان تستخلفوه تجدوه هاديا مهديا يسلك
بكم الطريق المستقيم (وعنه) اي عن حذيفة (قال ما أحد من الناس تدركه الفتنة) اي البلية الدنيوية (الا
أنا أخافها عليه الا محمد بن مسلمة) بكسر فسكون ففتح (فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول) اي

وعن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال التمسوا العلم عند أربعة عند عويمر أبي الدرداء وعند سلمان وعند ابن مسعود وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهوديا فأسلم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه عاشر عشرة في الجنة رواه الترمذي وعن حذيفة قال قالوا يارسول الله لو استخلفت قال ان استخلفت عليكم فعصيتموه عذبتم ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه وما أقرأكم عبد الله فاقرؤه رواه الترمذي وعنه قال ما أحد من الناس تدركه الفتنة الا أنا أخافها عليه الا محمد بن مسلمة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

عنا بالله (لا تضرنا [illegible]

الصحابة وكان من [illegible] الصحابة وكان [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

[illegible] وهو ابن سبع وسبعين سنة (رواه) [illegible]

[illegible] وسكت عنه وأقره عبد العظيم (وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيت الزبير) [illegible]

[illegible] (مصباحا) اى سراجا (فقال يا عائشة ما أرى) بضم الهمزة وفتح الراء اى ما أظن (أسماء) [illegible]

[illegible] وجة الزبير (الا قد نفست) بضم النون وكسر الفاء وقد يفتح النون أى ولدت وصارت [illegible]

[illegible] (ولا تسموه) بالواو وفي المصابيح فلا تسموه وهو بصيغة الخطاب تغليبا للحاضر على الغائب والضمير

المولود (حتى أسميه فسماه عبد الله وحنكه بتمرة) بتشديد النون (بيده) يقال حنكت الصبي اذا مضغت تمرا

أو غيره ثم دلكته بحنكه وفيه انه اذا ولد لاحد ولد أن يطلب من شريف القوم أن يسمي ذلك الولد ويحنكه

بتمرة أو عسل ونحوهما من الحلواء تبركا بريقه قال المؤلف هو أسدي قرشي كناه النبي صلى الله عليه وسلم

بكنية جده لامه أبي بكر الصديق وسماه باسمه وهو أول مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة أول سنة من

الهجرة وأذن أبو بكر في أذنه وولدته أمه أسماء بقباء وأتت به النبي صلى الله عليه وسلم فوضعته في حجره فدعا

بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه وحنكه وكان أول شيء دخل في جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا له

وبرك عليه وكان أطلس لا شعر له في وجهه كان كثير الصيام والصلاة شهما ذا أنفة شديد الباس قوالا بالحق

وصولا للرحم اجتمع له ما لم يجتمع لغيره أبوه حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه أسماء بنت الصديق

وجده الصديق وجدته صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم وخالته عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وبايع

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان سنين قتله الحجاج بن يوسف بمكة وصلبه يوم الثلاثاء لسبع عشرة

خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وكان بويع له بالخلافة سنة أربع وستين وكان قبل ذلك

لا يخاطب بالخلافة فاجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان وغير ذلك ما عدا الشام أو بعضه

وحج بالناس ثماني حجج روى عنه خلق كثير (رواه الترمذي وعن عبد الرحمن بن أبي عميرة) بفتح فكسر

مدني صحابي كذا ذكره ميرك وقال المؤلف مدني وقيل قرشي مضطرب الحديث لا يثبت في الصحابة قاله ابن

عبد البر وهو شامي روى عنه نفر (عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاوية) الظاهر المتبادر من الاطلاق

انه معاوية بن أبي سفيان والا فمعاوية بن الحكم ومعاوية بن جاهمة أيضا من الصحابة على ما ذكره المؤلف

في أسماء رجاله (اللهم اجعله هاديا) أى للناس أو دالا على الخير (مهديا) بفتح الميم وتشديد الياء أى مهتديا

في نفسه (واهد به) أى بمعاوية الناس فيه تأكيد لمعنى الهداية المتعدية اعلم أن الهداية اما مجرد الدلالة

أو هي الدلالة الموصلة الى البغية قال الامام محمد بن اسمعيل البخاري فهديناهم دللناهم على الخير والشر كقوله

تعالى وهديناه النجدين والهدى الذي للارشاد بمعنى الاسعاد من ذلك قوله سبحانه أولئك الذين هداهم الله

فبهداهم اقتده وقال غيره معنى الهداية في اللغة الدلالة هداه في الدين يهديه هداية اذا دله على الطريق

والهدى يذكر لحقيقة الارشاد أيضا ولهذا جاز النفي والاثبات قال تعالى انك لا تهدي من أحببت وقال تعالى

وانك لتهدي الى صراط مستقيم قال الطيبي لو حمل قوله هاديا على المعنى الاول كان قوله مهديا تكميلا له لانه

رب هاد ولا يكون مهديا وقوله واهد به تتميما لان الذي فاز بدلوله فوزا يتبعه كل أحد تكميل ثم تتميم واذا ذهب

الى المعنى الثاني كان مهديا تأكيدا وقوله اهد به تكميلا يعني انه كامل مكمل ولا ارتياب ان دعاء النبي صلى

الله عليه وسلم مستجاب فمن كان هذا حاله كيف يرتاب في حقه ومن أراد زيادة بيان في معنى الهداية فعليه

بفتوح الغيب فان فيه ما يكفيه قال المؤلف قرشي أموي وأمه هند بنت عتبة كان هو وأبوه من مسلمة الفتح

من المؤلفة قلوبهم وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لم يكتب له من الوحي شيئا انما

[illegible] يكتب له كتبه روى عنه ابن عباس وأبو سعيد تولى الشام بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان [illegible]

لا تضرك الفتنة رواه

وعن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيت الزبير

مصباحا فقال يا عائشة

ما أرى أسماء الا قد نفست

ولا تسموه حتى أسميه فسماه

عبد الله وحنكه بتمرة

بيده رواه الترمذي وعن

عبد الرحمن بن أبي عميرة عن

النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال لمعاوية اللهم اجعله

هاديا مهديا واهد به

وحا كما الى أن مات وذلك أربعون سنة منها في أيام عمر أربع سنين أو نحوها ومدة خلافة عثمان اثنتي عشرة سنة
وابنه الحسن وذلك تمام عشرين سنة ثم استوثق له الامر بتسليم الحسن بن علي اليه في سنة احدى وأربعين
ودام له عشرين سنة ومات في رجب بدمشق وله ثمان وسبعون سنة وكان لصابه لقوة في آخر عمره وكان
يقول في آخر عمره ياليتني كنت رجلا من قريش بذي طوى ولم أر من هذا الامر شيأ وكان عنده ازار رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورداؤه وقميصه وشيء من شعره وأظفاره فقال كفنوني في قميصه وأدرجوني في ردائه
وأزروني بازاره واحشوا منخري وشدقي ومواضع السجود مني بشعره وظفره وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين
(رواه الترمذي وعن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم الناس) التعريف فيه للعهد
والمعهود مسلمة الفتح من أهل مكة (وآمن عمرو بن العاص) أي قبل الفتح بسنة أو سنتين طائعا راغبا مهاجرا
الى المدينة فقوله صلى الله عليه وسلم هذا تنبيه على انهم أسلموا رهبة وآمن عمرو رغبة فان الاسلام يحتمل أن
يشوبه كراهة والايمان لا يكون الا عن رغبة وطواعية ذكره الطيبي وغيره وقال ابن الملك انما خصه
بالايمان رغبة لانه وقع اسلامه في قلبه في الحبشة حين اعترف النجاشي بنبوته فاقبل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مؤمنا من غير أن يدعوه أحد اليه فجاء الى المدينة في الحال ساعيا فاً من قام به النبي صلى الله عليه
وسلم على جماعة فيهم الصديق والفاروق وذلك لانه كان مبالغا قبل اسلامه في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم
واهلاك أصحابه فلما آمن أراد صلى الله عليه وسلم أن يزيل عن قلبه أثر تلك الوحشة المتقدمة حتى يأمن من
جهته ولا ييأس من رحمة الله تعالى (رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وليس اسناده بالقوي وعن جابر
قال لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا جابر ما لي أراك منكسرا) أي منكسر البال والخاطر يعني
مهموما حزينا مغموما (قلت استشهد أبي وترك عيالا) اي كثيرا (ودينا) أي ثقيلا فاجتمع أسباب الحزن
(قال أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك قلت بلى يا رسول الله قال ما كلم الله أحدا قط) أي قبل أبيك فيه ايماء الى
انه بخصوصه أفضل من سائر الشهداء الماضية حيث ما كلم الله أحدا منهم (الا من وراء حجاب) فيه اشارة
الى أن قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب الآية مقيد بالدنيا لقوله (وأحيا أباك
فكلمه كفاحا) بكسر الكاف أي مواجها عيانا ففي النهاية أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول وقال
شارح أي كلم أباك من غير واسطة بينه وبين الله تعالى فان قلت كيف الجمع بين هذا الحديث وبين قوله
تعالى بل أحياء عند ربهم لان التقدير هم أحياء فكيف يحيا الحي فقال المظهر قيل جعل الله تعالى تلك الروح
في جوف طير خضر فأحيا ذلك الطير بتلك الروح فصح الاحياء أو أراد بالاحياء زيادة قوة روحه فشاهد
الحق بتلك القوة قال الطيبي وهذا الجواب أيضا من الاسلوب الحكيم أي لا تهتم بشأن أمر دنياه من هم عياله
وقضاء دينه فان الله تعالى يقضي عنه دينه ببركة نبيه ويلطف بعياله ولكن أبشرك بما هو فيه من القرب
عند الله سبحانه وما لقيه به من الكرامة والمخاطبة (قال يا عبدي) الخاص (تمن علي) اي ما تريد (أعطك) أي
اياه مع المزيد (قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية) خبر بمعنى الدعاء أي احيني حتى استشهد في سبيلك مرة أخرى
ليكون وسيلة الى زيادة مرضاة المولى (قال الرب تبارك وتعالى انه قد سبق مني انهم) اي الاموات (لا يرجعون)
اي الى الدنيا بحيث انهم يعيشون فيها مدة طويلة يعملون فيها الطاعات فلا ينافي وقوع احياء بعض
الاموات لعيسى وغيره والاظهر ان الضمير راجع الى الشهداء ومعناه لا يرجعون بالتماسهم وتمنيهم فلا يشكل
بشهيد الدجال أيضا وقال السيد جمال الدين قوله انهم اي اهل احد أو مطلق الشهداء فلا يشكل بقصة عزير
(فنزلت) أي في حقه وأصحابه من شهداء أحد (ولا تحسبن) بالخطاب مع فتح السين وكسرها اي لا تظن أيها
المخاطب وفي قراءة بالغيبة أي لا يحسبن حاسب (الذين قتلوا) وفي رواية قتلوا بالتشديد أي استشهدوا (في
سبيل الله أمواتا) مفعول ثان (الآية) يعني بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل

رواه الترمذي وعن عقبة
ابن عامر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أسلم الناس
وآمن عمرو بن العاص
رواه الترمذي وقال هذا
حديث غريب وليس
اسناده بالقوي وعن جابر قال
لقيني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا جابر ما لي
أراك منكسرا قلت استشهد
أبي وترك عيالا ودينا قال
أفلا أبشرك بما لقي الله به
أباك قلت بلى يا رسول الله
قال ما كلم الله أحدا قط الا
من وراء حجاب وأحيا أباك
فكلمه كفاحا قال يا عبدي
تمن علي أعطك قال يا رب
تحييني فأقتل فيك ثانية قال
الرب تبارك وتعالى انه قد
سبق مني انهم لا يرجعون
فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله أمواتا الآية

أي المجاهدين وإن الله يحب الشجاع ولو على قتل حية (رواه الترمذي) وقال حسن غريب (وعنه) أي عن جابر
رضي الله عنه (قال استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين مرة) يحتمل التكثير وتحقيق مجالس
أو مجالس ويؤيد الأول قوله (رواه الترمذي) حيث لفظه استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البعير
خمسا وعشرين وقال حديث حسن وقصة البعير مشهورة قال المؤلف جابر بن عبد الله كنيته أبو عبد الله
الأنصاري السلمي من مشاهير الصحابة وأحد المكثرين من الرواية شهد بدرا وما بعدها مع النبي صلى الله عليه
وسلم ثماني عشرة غزوة وقدم الشام ومصر وكف بصره آخر عمره روى عنه خلق كثير مات بالمدينة سنة أربع
وسبعين وله أربع وتسعون سنة وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة في قول وأما أبوه فلم يذكره المؤلف في
أسمائه (وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من أشعث) أي متفرق شعر الرأس (أغبر) أي
مغبر البدن (ذي طمرين) بكسر فسكون أي صاحب ثوبين خلقين (لا يؤبه له) بضم ياء وسكون واو وقد
يهمز وفتح موحدة ففي النهاية لا يبالى به ولا يلتفت إليه لحقارته ويقال ما وبهت له بفتح الباء وكسرها وبهاء
بالسكون والفتح وأصل الواو الهمزة اه والمفهوم من القاموس أن الهمزة لغة أخرى قال ابن الملك كم
خبرية مبتدأ ومن مبين لها وخبره لا يؤبه اه والظاهر أن الخبر هو قوله (لو أقسم على الله لأبره) أي لأمضاه على
الصدق وجعله بارا في الحلف (منهم البراء بن مالك) وهو أخو أنس شهد أحدا وما بعدها من المشاهد وكان
من الأبطال الأشداء قتل من المشركين مائة مبارزة سوى من شارك فيه ولم يذكره المؤلف في أسمائه (رواه
الترمذي والبيهقي في دلائل النبوة) وكذا الضياء (وعن أبي سعيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا) للتنبيه
(إن عيبتي) أي خاصتي (التي آوي) أي أميل وأرجع (إليها أهل بيتي وإن كرشي) أي بطانتي (الأنصار
فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا عن) وفي نسخة من (محسنهم) والضمير راجع إلى الصنفين من أهل البيت
والأنصار على حد قوله تعالى هذان خصمان اختصموا ويحتمل أن يرجع إلى الأخير والأول يعلم
بالطريق الأولى (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يبغض الأنصار) أي جميعهم أو جنسهم (أحد يؤمن بالله واليوم الآخر رواه الترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح وعن أنس عن أبي طلحة) أي زوج أمه (قال قال لي) أي بخصوصي (رسول الله صلى الله عليه
وسلم أقرئ) بفتح الهمزة وكسر الراء وفي نسخة كما في المصابيح بكسر همز وفتح راء أي أبلغ (قومك السلام)
ففي النهاية يقال أقرئ فلانا السلام واقرأ عليه السلام وكأنه حين يبلغه السلام يحمله على أن يقرأ السلام
وفي المغرب اقرأ سلامي على فلان وأقرئه سلامي عني وفي القاموس قرأ عليه السلام أبلغه كأقرأه أولا
يقال أقرأه إلا إذا كان السلام مكتوبا وفي الصحاح فلان قرأ عليك السلام وأقرأك السلام بمعنى وأقرأه
القرآن فهو مقرئ وفي المصباح قرأت على زيد السلام أقرأه عليه قراءة وإذا أمرت منه قلت اقرأ عليه السلام
قال الأصمعي وتعديته بنفسه خطأ فلا يقال اقرأه السلام لأنه بمعنى أتل عليه وحكى ابن القطان أنه يتعدى
بنفسه رباعيا فيقال فلان يقرئك السلام (فإنهم) أي قومك (ما علمت) ما موصولة أي بناء على ما علمته فيهم
من الصفات (أعفة) بفتح فكسر فتشديد جمع عفيف وهي خبران وما علمت معترضة (صبر) بضمتين جمع
صابر كبزل وبازل وفي نسخة بضم فتشديد مفتوحة كركع جمع راكع قال الطيبي ما موصولة والخبر محذوف
أي الذي علمت منهم أنهم كذلك يتعففون عن السؤال ويتحملون الصبر عند القتال وهو مثل ما في الحديث
يقلون عند الطمع ويكثرون عند الفزع وقال شارح ما مصدرية يعني أنهم يتعففون ويتحملون مدة علمي
بحالهم أو في علمي بحالهم أو موصولة أي فيما علمت منهم (رواه الترمذي وعن جابر أن عبدا لحاطب) أي ابن
أبي بلتعة (جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا إليه فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار) أي
لكثرة ما ظلمني (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت) أي حيث جزمت وأكدت (لا يدخلها فإنه
قد شهد بدرا والحديبية) أي ومن حضرهما لا يدخل النار جزما أو دخولا مؤبدا ... في مقابلة ...

رواه الترمذي وعنه قال استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين مرة رواه الترمذي وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك رواه الترمذي والبيهقي في دلائل النبوة وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إن عيبتي التي آوي إليها أهل بيتي وإن كرشي الأنصار فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا عن محسنهم رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبغض الأنصار أحد يؤمن بالله واليوم الآخر رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن أنس عن أبي طلحة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ قومك السلام فإنهم ما علمت أعفة صبر رواه الترمذي وعن جابر أن عبدا لحاطب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو حاطبا إليه فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت لا يدخلها فإنه قد شهد بدرا والحديبية

بقوله في كتابه يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء الآية (رواه مسلم وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية) أي قوله تعالى (وان تتولوا) أي ان تعرضوا أو تنصرفوا وتدبروا عن الايمان بجهد ونصرة دينه (يستبدل) أي الله (قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) بل يكونون خيرا منكم (قالوا) أي بعض الصحابة (من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا) وفيه رد على ابن الملك حيث قال الخطاب لصناديد قريش (فضرب) أي النبي صلى الله عليه وسلم (بيده على فخذ سلمان الفارسي) وفيه ايماء الى قربه (ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس) بضم فسكون أي طائفة العجم مطلقا أو من يكون لسانه فارسيا أو من بلده فارس وهو اقليم منه شيراز والاول أظهر لما يدل عليه الحديث الذي يليه (رواه الترمذي وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال ذكرت الاعاجم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بالمدح أو الذم (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانا بهم أو ببعضهم) شك من الراوي والظاهر أن المراد بهم مجموعهم فلا ينافي قوله (أو ببعضهم أوثق) أي أرجى في الاعتماد على طلب الدين (مني بكم أو ببعضكم) قيل فيه تفضيل الاعاجم أقول والظاهر أن هذا مقتبس من قوله تعالى ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ومن قوله ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي ومن الآية السابقة بهذا وقال المظهر أنا مبتدأ وأوثق خبره ومني صلة أوثق والباء في بهم مفعوله واو عطف على بهم والباء في بكم مفعول فعل مقدر يدل عليه أوثق وأوثق أو ببعضكم عطف على بكم اما متعلق أيضا بأوثق اذ هو في قوة لوثوق وزيادة فكأنه فعل لان جاز أن يعمل في مفعولين أو بآخر دل عليه الاول والمعنى وثوقي واعتمادي بهم أو ببعضهم أكثر من وثوقي بكم أو ببعضكم قال الطيبي الاول من باب العطف على الانسحاب والثاني من باب العطف على التقدير والمخاطبون بقوله بكم أو ببعضكم قوم مخصوصون دعوا الى الانفاق في سبيل الله فتقاعدوا عنه فهو كالتأنيب والتعيير عليهم ويدل عليه قوله تعالى في الحديث السابق وان تتولوا يستبدل قوما غيركم فانه جاء عقيب قوله تعالى ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل يعني أنتم هؤلاء المشاهدون بعد ممارستكم الاحوال وعلمكم بان الانفاق في سبيل الله خير لكم تدعون اليه فتتثبطون عنه وتتولون فان استمر توليكم يستبدل الله قوما غيركم بذالون لارواحهم وأموالهم في سبيل الله ولا يكونوا أمثالكم في الشح البالغ فهو تعريض وبعث لهم على الانفاق فلا يلزم منه التفضيل قلت ان كان مراده أنه لا يلزم التفضيل مطلقا فهو خلاف الكتاب والسنة مع أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وان كان مراده انه لا يلزم التفضيل المطلق فهو صحيح اذ يدل على انهم في بعض الصفات أفضل من العرب ولا بدع أن يوجد في المفضول زيادة فضيلة بالنسبة الى بعض فضائل الفاضل فجنس العرب أفضل من جنس العجم بلا شبهة وانما الكلام في بعض الافراد والله أعلم بالعباد (رواه الترمذي)

(الفصل الثالث) (عن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي سبعة نجباء رقباء) باضافة سبعة وهما على وزن فعلاء جمع ونجيب هو الكريم المختار والرقيب الحافظ على الاقتدار والمراد بهم الموجودون في زمن كل نبي لقوله (وأعطيت أنا أربعة عشر) أي نجيبا رقيبا بطريق الضعف تفضلا (قلنا من هم) أي الاربعة عشر (قال أنا) قال الطيبي فاعل ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ضمير علي رضي الله عنه يعني هو عبارة عنه نقله بالمعنى أي بقوله أنا (وابناي) أي الحسنان (وجعفر) أي أخو علي (وحمزة) قال المؤلف حمزة بن عبد المطلب كنيته أبو عمارة بضم العين عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب وهو أسد الله أسلم قديما في السنة الثانية من المبعث وقيل بل كان اسلام حمزة بعد دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الارقم في السنة السادسة فأعز الله الاسلام باسلامه وشهد بدرا واستشهد يوم أحد قتله وحشي بن حرب وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه

رواه مسلم وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس رواه الترمذي وعنه قال ذكرت الاعاجم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانا بهم أو ببعضهم أوثق مني بكم أو ببعضكم رواه الترمذي

(الفصل الثالث) عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي سبعة نجباء رقباء وأعطيت أنا أربعة عشر قلنا من هم قال أنا وابناي وجعفر وحمزة

وسلم بأربع سنين قال ابن عبد البر ولا يصح هذا عندي لانه رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن تكون ثويبة أرضعتهما في زمانين وقيل كان أسن منه بسنتين روى عنه علي والعباس وزيد بن حارثة اه (وأبو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وعبد الله بن مسعود وأبو ذر والمقداد) وقد تقدم تراجمهم والواو لمطلق الجمع (رواه الترمذي وعن خالد بن الوليد) قال المؤلف مخزومي وأمه لبابة الصغرى أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان أحد أشراف قريش في الجاهلية سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيف الله مات سنة احدى وعشرين وأوصى الى عمر بن الخطاب وروى عنه ابن خالته ابن عباس وعلقمة وجبير بن نفير (قال كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام) أي مكالمة في معاملة (فأغلظت له في القول فانطلق عمار يشكوني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خالد) قال الطيبي هذا كلام الراوي عن خالد وقال محذوف يدل عليه قوله بعده قال خالد فخرجت وقال ميرك يحتمل أن يكون من كلام خالد على الالتفات (وهو) أي عمار (يشكوه) أي خالدا (الى النبي صلى الله عليه وسلم قال) اي الراوي (فجعل) أي خالد (يغلظ له) أي لعمار (في الكلام ولا يزيده) أي خالد عمارا (الا غلظة) أي شدة في الغضب (والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم) تأكيد لما قبله (فبكى عمار) أي من قلة صبره وكثرة غضبه ورأى انه صلى الله عليه وسلم خافض رأسه كأنه متفكر في أمره فتضرع اليه (وقال) أي عمار (يارسول الله ألا تراه) أي ألا تعلم خالدا فيما يقول في حقي من الغلظة (فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه وقال من عادى عمارا) أي بلسانه (عاداه الله ومن أبغض عمارا) اي بقلبه (أبغضه الله قال خالد فخرجت) اي من عنده صلى الله عليه وسلم أي تسكينا للقضية أو على قصد ارضاء عمار بالكلية كما يدل عليه قوله (فما كان شئ أحب الي من رضاء عمار) أي بعدما خرجت (فلقيته) أي فواجهته (بما رضي) أي من التواضع والاستحلال والاعتناق ونحوها من أسباب الرضا (فرضي) أي عمار عني رضي الله عنهما (وعن أبي عبيدة) اي ابن الجراح (قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خالد سيف) أي كسيف سله الله على المشركين وسلطه على الكافرين أو ذو سيف (من سيوف الله عز وجل) أي حيث يقاتل مقاتلة شديدة في سبيله مع أعداء دينه وقال الطيبي هو من باب قول الله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم جعل بالادعاء جنس السيوف نوعين متعارف وغيره وخالد من أحد نوعيه اه والظاهر أن الآية ليست من هذا القبيل بل هو استثناء منقطع أي لكن من أتى الله بقلب سليم فانه ينفعه سلامة قلبه في ذلك اليوم أو المضاف مقدر أي الا مال وابن من أتى الله فالاستثناء متصل أو التقدير يوم لا ينفع مال ولا بنون أحدا الا من أتى الله بقلب سليم (ونعم فتى العشيرة) أي في بني مخزوم والمخصوص بالمدح محذوف أي هو (رواهما) اي الحديثين (أحمد) وفي الجامع خالد بن الوليد سيف من سيوف الله رواه البغوي عن عبد الله بن جعفر وروى ابن عساكر عن عمر مرفوعا خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على المشركين وروى الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس خالد بن الوليد سيف الله وسيف رسوله وحمزة أسد الله وأسد رسوله وأبو عبيدة بن الجراح أمين الله وأمين رسوله وحذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن عز وجل (وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى أمرني بحب أربعة) اي على الخصوص (وأخبرني انه) اي سبحانه وتعالى (يحبهم قيل يارسول الله سمهم لنا) أي حتى نحن نحبهم أيضا تبعا لمحبة الله ورسوله (قال علي منهم) وفي نسخة الجامع منهم علي (يقول ذلك ثلاثا) أي للاشعار بانه أفضلهم أو يحبه قدر ثلاثتهم (وأبو ذر والمقداد وسلمان أمرني بحبهم وأخبرني انه يحبهم) هذا فذلكة مفيدة لتأكيد ما سبق (رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب) ولفظ الجامع ان الله تعالى أمرني بحب أربعة وأخبرني انه يحبهم علي منهم وأبو ذر والمقداد وسلمان رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم في مستدركه (وعن جابر قال كان عمر يقول أبو بكر سيدنا) اي خيرنا وأفضلنا (وأعتق) أي أبو بكر (سيدنا يعني) أي يريد عمر بقوله سيدنا الثاني (بلالا) وانما

وأبو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وعبد الله بن مسعود وأبو ذر والمقداد رواه الترمذي وعن خالد بن الوليد قال كان بيني وبين عمار بن ياسر كلام فاغلظت له في القول فانطلق عمار يشكوني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خالد وهو يشكو الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فجعل يغلظ له ولا يزيده الا غلظة والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت لا يتكلم فبكى عمار وقال يارسول الله ألا تراه فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه وقال من عادى عمارا عاداه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله قال خالد فخرجت فما كان شئ أحب الي من رضا عمار فلقيته بما رضي فرضي وعن أبي عبيدة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خالد سيف من سيوف الله عز وجل ونعم فتى العشيرة رواهما أحمد وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى أمرني بحب أربعة وأخبرني انه يحبهم قيل يارسول الله سمهم لنا قال علي منهم يقول ذلك ثلاثا وأبو ذر والمقداد وسلمان أمرني بحبهم وأخبرني انه يحبهم رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب وعن جابر قال كان عمر يقول أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا

رواه البخاري وعن قيس ابن أبي حازم ان بلالا قال لأبي بكر ان كنت انما اشتريتني لنفسك فامسكني وان كنت انما اشتريتني لله فدعني وعمل الله رواه البخاري وعن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا ماء ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشئ ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فاريه انا نأكل فاذا أهوى بيده ليأكل فقومي الى السراج كي تصلحيه فأطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة وفي رواية مثله ولم يسم أبا طلحة

قاله تواضعا فان عمر أفضل منه اجماعا وقال ابن التين يعني ان بلالا من السادة ولم يرد انه أفضل من عمر وقال غيره السيد الاول حقيقة والثاني قاله عمر تواضعا على سبيل المجاز اذ السيادة لا تثبت الافضلية وقد قال ابن عمر ما رأيت أسود من معاوية على انه رأى أبا بكر وعمر كذا ذكره العسقلاني في فتح الباري والاظهر أنه قال ابن عمر بعد الخلفاء الاربعة فالمراد به انه أسود في زمانه (رواه البخاري وعن قيس بن أبي حازم) قال المؤلف هو أحمسي بجلي أدرك زمن الجاهلية وأسلم وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ليبايعه فوجده توفي يعد في تابعي الكوفة روى عن العشرة الا عن عبد الرحمن بن عوف وعن جماعة كثيرة سواهم من الصحابة وليس في التابعين من روى عن تسعة من العشرة الا هو وروى عنه جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين شهد النهروان مع علي بن أبي طالب وطال عمره حتى جاوز المائة ومات سنة ثمان وتسعين (ان بلالا قال لابي بكر) أي حين أراد التوجه الى الشام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لعدم صبره على رؤية المسجد النبوي بغير حضوره صلى الله عليه وسلم وعدم القدرة على الاذان فيه ولا على تركه في زمن غيره وسيجيء انه صار سيد الابدال ومحلهم غالبا هو الشام (ومنعه أبو بكر رضي الله عنه) أي عن الرواح بالالزام على المجاورة مع اختيار الاذان (ان كنت انما اشتريتني لنفسك) أي لرضاها ووفق مدعاها (فأمسكني) أي فاحكم علي بالقعود (وان كنت انما اشتريتني لله فدعني) أي فاتركني (وعمل الله) أي العمل الذي اخترته لله أو الامر الذي قدره الله وقضاه وأما حديث رحيل بلال ثم رجوعه الى المدينة بعد رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام وأذانه بها وارتجاج المدينة به فلا أصل له وهي بينة الوضع ذكره السيوطي في الذيل (رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود) أي فقير أصابه الجهد وهو المشقة والحاجة أو الجوع (فارسل) أي النبي عليه الصلاة والسلام (الى بعض نسائه) اي من الازواج الطاهرات (فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي) أي من المأكول والمشروب (الا ماء ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك) أي وهكذا حتى أرسله الى كل واحدة منهن (وقلن كلهن مثل ذلك) ولعل هذا كان في أول الحال قبل أن يفتح خيبر وغيرها ويحصل الغنائم والاموال (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه) من باب التفعيل وفي نسخة من باب الافعال وهو مرفوع فمن موصولة مبتدأ خبره جملة قوله (يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له أبو طلحة) وهو زيد بن سهل الانصاري زوج أم أنس بن مالك وسبق ذكره (فقال أنا) أي أضيفه (يا رسول الله فانطلق به الى رحله) أي منزله (فقال لامرأته وهي أم أنس هل عندك شئ) أي من الطعام (قالت لا الا قوت صبياني) بالرفع وقيل بالنصب أي الا قوت الصغار بناء على انهم يجوعون في كل ساعة من الليل والنهار والا فمن المعلوم انه لا يجوز اجاعة الصبيان واضاعتهم واطعام الضيفان واطاعتهم (قال فعلليهم) أي سكنيهم من علله بشئ أي ألهاه به (ونوميهم) أي رقديهم وكأنه قصدا ان لا يروا أكل الضيف فيشتهوا كما هو عادة الاولاد (فاذا دخل ضيفنا فاريه) أي فاحضري به لانها كانت عجوزا والقضية قبل الحجاب وأظهري به (انا) أي جميعنا (نأكل) أي من هذا الطعام فان الضيف اذا رأى ان أحدا امتنع من الاكل يتشوش خاطره (فاذا أهوى) أي قصد الضيف ومد (بيده ليأكل فقومي الى السراج كي تصلحيه) أي لاصلاحه فكي تعليلية (فأطفئيه) أي ليقع الظلام فلا يطلع على امتناعنا من أكل الطعام (ففعلت فقعدوا) أي ثلاثتهم (وأكل الضيف وباتا طاويين) أي جائعين (فلما أصبح) أي الضيف قال الطيبي هي ههنا تامة وقوله (غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم) جواب لما وضمن فيه معنى الاقبال أي لما دخل في الصباح أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا اه وفي أكثر النسخ المصححة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمعنى ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغدوة (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي بنور الكشف أو من طريق الوحي (لقد عجب الله أو ضحك الله) والمعنى رضي (من فلان وفلانة) أي أبي طلحة وامرأته (وفي رواية مثله) بالرفع وفي نسخة بالنصب أي مثل ما ذكر من الحديث المتقدم (ولم يسم أبا طلحة) أي في هذه

الرواية (وفي آخره فأنزل الله تعالى ويؤثرون) أي أضيافهم أو غيرهم (على أنفسهم) أي على حظوظها (ولو كان) أي وقع (بهم خصاصة) أي حاجة ومجاعة قال الطيبي والجملة في موضع الحال ولو بمعنى الفرض أي يؤثرون على أنفسهم مفروضة خصاصتهم (متفق عليه وعنه) أي عن أبي هريرة (قال نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فجعل الناس يمرون) أي علينا من كل جانب (فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا يا أبا هريرة فأقول فلان) أي اسميه باسمه ووصفه (فيقول نعم عبد الله هذا ويقول) أي في مار غيره (من هذا فأقول فلان فيقول بئس عبد الله هذا) وهذا من باب ما روى أبو يعلى وغيره مرفوعا اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس (حتى مر) أي استمر هذا السؤال والجواب حتى مر (خالد بن الوليد فقال من هذا فأقول خالد بن الوليد) وفي هذا اشعار بأنه صلى الله عليه وسلم كان في خيمة وأبو هريرة خارجها والا فمثل خالد بن الوليد لا يخفى عليه صلى الله عليه وسلم (فقال نعم عبد الله) أي هذا (خالد بن الوليد سيف من سيوف الله) أو التقدير نعم عبد الله خالد بن الوليد هو سيف من سيوف الله والجملة على التقدير بن مبينة لسبب المدح (رواه الترمذي وعن زيد بن أرقم قال قالت الانصار يا نبي الله لكل نبي أتباع وانا قد اتبعناك) بتشديد التاء أي بالغنا في اتباعك (فادع الله أن يجعل أتباعنا منا) قال الطيبي الفاء تستدعي محذوفا أي لكل نبي أتباع ونحن أتباعك لانا قد اتبعناك فادع الله أن يكون أتباعنا منا أي متصلين بنا مقتفين آثارنا باحسان كما قال تعالى والتابعين لهم باحسان وقال غيره أتباع الانصار حلفاؤهم والموالي والمعنى ادع الله أن يقال لهم الانصار حتى يتناولهم الوصية لهم بالاحسان اليهم وغير ذلك (فدعا) أي النبي عليه السلام (به) أي بجعل أتباعهم منهم (رواه البخاري وعن قتادة) تابعي جليل مشهور سبق ذكره (قال ما نعلم حيا) أي ما نعرف قبيلة وقوما (من أحياء العرب) أي من قبائلهم (أكثر شهيدا) صفة حيا بعد صفة وكذا قوله (أعز) أي شهيدا (يوم القيامة) أي يتحقق فيه (من الانصار) والجار متعلق بالفعلين على التنازع (قال) أي قتادة دليلا على ما ذكره (قال أنس قتل منهم) أي من الانصار (يوم أحد سبعون) ظاهره أن الجميع من الانصار وهو كذلك الا القليل اذ روى ابن منده من حديث أبي قتل من الانصار يوم أحد أربعة وستون ومن المهاجرين ستة وصححه ابن حبان من هذا الوجه (ويوم بئر معونة) بفتح فضم (سبعون ويوم اليمامة على عهد أبي بكر سبعون رواه البخاري وعن قيس بن حازم قال كان) أي في زمن الصديق (عطاء البدريين) أي الذين حضروا قضية بدر (خمسة آلاف خمسة آلاف) كرره ليفيد أن كل واحد منهم له خمسة آلاف (وقال عمر لافضلنهم على من بعدهم) أي على غيرهم في المرتبة يعني كانت عطياتهم كاملة بخلاف غيرهم وأنا أيضا لافضلنهم على غيرهم وان زدت على هذا المقدار (رواه البخاري)

(تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع للبخاري رضي الله عنهم أجمعين)

أي هذا ذكر من ذكر من أهل بدر بأسمائهم في صحيح البخاري حقيقة أو حكما ليدخل عثمان دون من لم يسم فيه ودون من لم يذكر فيه أصلا قال ميرك والمراد بمن تسمى من جاء ذكره فيه برواية عنه أو عن غيره بأنه شهد بدرا لا بمجرد ذكره دون التنصيص على انه شهدها وبهذا يجاب عن ترك ايراد مثل أبي عبيدة بن الجراح فانه شهدها باتفاق أهل الحديث والسير وذكره في صحيح البخاري في عدة مواضع الا انه لم يقع فيه التنصيص على انه شهدها اه وقد سبق في رواية أبي داود عن ابن عمر انه خرج يوم بدر في ثلثمائة وخمسة عشر وجاء في رواية أن المشركين كانوا ألفا والصحابة ثلاثمائة وسبعة عشر (النبي محمد بن عبد الله الهاشمي) بدأ به صلى الله عليه وسلم تيمنا بذكره وتبركا باسمه ذكره ميرك أو دفعا لوهم انه لم يكن معهم (عبد الله بن عثمان) اسم الصديق عبد الله وعثمان اسم أبيه أبي قحافة وكنيته أبو بكر الصديق (القرشي) يعني التيمي وكان أنيسه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وجليسه في العريش وحافظه من العدو وشاهرا سيفه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي اليه أحد الا أهوى اليه (عمر بن الخطاب

وفي آخره فأنزل الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة متفق عليه وعنه قال نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا فجعل الناس يمرون فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا يا أبا هريرة فأقول فلان فيقول نعم عبد الله هذا ويقول من هذا فأقول فلان فيقول بئس عبد الله هذا حتى مر خالد بن الوليد فقال من هذا فقلت خالد بن الوليد فقال نعم عبد الله خالد بن الوليد سيف من سيوف الله رواه الترمذي وعن زيد بن أرقم قال قالت الانصار يا نبي الله لكل نبي أتباع وانا قد اتبعناك فادع الله أن يجعل اتباعنا منا فدعا به رواه البخاري وعن قتادة قال ما نعلم حيا من أحياء العرب أكثر شهيدا أعز يوم القيامة من الانصار قال وقال أنس قتل منهم يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة على عهد أبي بكر سبعون رواه البخاري وعن قيس بن أبي حازم قال كان عطاء البدريين خمسة آلاف خمسة آلاف وقال عمر لافضلنهم على من بعدهم رواه البخاري *(تسمية من سمي من أهل بدر)* في الجامع للبخاري النبي محمد بن عبد الله الهاشمي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عثمان أبو بكر الصديق القرشي عمر ابن الخطاب

العدوى) منسوب الى عدى بن كعب بطن من قريش (عثمان بن عفان القرشي) يعني الاموى (خلفه النبي صلى الله عليه وسلم) بتشديد اللام أى تركه خلفه خليفة (للاطلاع على ابنته) أى رقية على ما فى نسخة السيد لكنها ليست فى البخارى والمعنى لمراعاة حالها فانها كانت مريضة حينئذ (وضرب له بسهمه) أى وقدر له بنصيبه من الغنيمة (على بن أبي طالب الهاشمي) عن ابن عباس قال كان على آخذا راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قال الحاكم يوم بدر والمشاهد أخرجه أحد فى المناقب ثم اعلم أن المصنف الى هنا راعى المراتب الرتبية ثم اعتبر ترتيب الحروف الهجائية (اياس) بكسر الهمز و بفتح (ابن البكير) تصغير البكر قال المؤلف هو ليثى شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكان اسلامه فى دار الارقم مات سنة أربع وثلاثين (بلال بن رباح) بفتح الراء (مولى أبي بكر الصديق حمزة بن عبد المطلب الهاشمي) عم النبي صلى الله عليه وسلم (حاطب بن أبي بلتعة حليف لقريش) وسبق انه حليف الزبير (أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي) قيل اسمه مهشم وقيل هاشم كان من فضلاء الصحابة شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة شهيدا وهو ابن ثلاث وخمسين سنة (حارثة بن الربيع) بضم ففتح فتشديد تحتية مكسورة وهو اسم أمه واسم أبيه سراقة (الانصارى قتل يوم بدر) هو قول قيل من الانصار وهو حارثة بن سراقة (كان) أى حال قتله (فى النظارة) بفتح النون وتشديد الظاء المعجمة أى من الذين طلبوا مكانا مرتفعا ينظرون الى العدو و يخبرون عن حالهم ففى الصحاح النظارة قوم ينظرون الى شئ وزاد فى القاموس و بالتخفيف يعنى التنزه لحن تستعمله بعض الفقهاء وقال الحافظ العسقلانى أى خرج نظارا على ما أخرجه أحمد والنسائى وزاد ما خرج لقتال أقول لعله كان به عذر منعه عن القتال فعين أن يكون عينا للمسلمين (خبيب) بضم معجمة وفتح موحدة (ابن عدى الانصارى) أى الاوسى شهد بدرا وأسر فى غزوة الرجيع سنة ثلاث فانطلق به الى مكة فاشتراه بنو الحرث بن عامر وكان خبيب قد قتل الحرث يوم بدر كافرا فاشتراه بنوه ليقتلوه فقام عندهم أسيرا ثم صلب بالتنعيم وهو أول من صلب فى الاسلام روى عنه الحرث بن البرصاء (خنيس) بضم معجمة وفتح نون (ابن حذافة السهمى) أى القرشي وهو الذى كان زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل النبي صلى الله عليه وسلم شهد بدرا ثم أحدا فجرح فمات بالمدينة من جراحته ولا عقب له (رفاعة بن رافع الانصارى) شهد بدرا واحدا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد مع على الجمل وصفين ومات فى أول ولاية معاوية (رفاعة ابن عبد المنذر أبو لبابة الانصارى) عطف بيان لما قبله قال المؤلف رفاعة بن عبد المنذر الانصارى الاوسى هو أبو لبابة غلبت عليه كنيته كان من النقباء وشهد العقبة و بدرا والمشاهد بعدها وقيل لم يشهد بدرا بل أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة وضرب له بسهمه مع أصحاب بدر مات فى خلافة على بن أبي طالب (الزبير بن العوام القرشي) وهو أحد العشرة المبشرة (زيد بن سهل أبو طلحة الانصارى) عطف بيان لما قبله قال المؤلف أبو طلحة زيد بن سهل الانصارى النجارى وهو مشهور بكنيته وهو زوج أم أنس بن مالك وكان من الرماة المذكورين قال النبي صلى الله عليه وسلم لصوت أبي طلحة فى الجيش خير من فئة مات سنة احدى وثلاثين وهو ابن سبع وسبعين سنة شهد العقبة مع السبعين ثم شهد بدرا وما بعدها من المشاهد (أبو زيد الانصارى) هو الذى جمع القرآن حفظا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اختلف فى اسمه قيل سعد بن عمير وقيل قيس بن السكن (سعد بن مالك الزهرى) هو سعد بن أبي وقاص أحد العشرة (سعد ابن خولة) بفتح الخاء المعجمة (القرشي) شهد بدرا ومات بمكة فى حجة الوداع (سعيد بن عمرو بن نفيل) بضم النون ففتح فاء القرشي هو أحد العشرة (سهل بن حنيف) بالتصغير (الانصارى) أى الاوسى شهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها وثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وصحب عليا بعد النبي صلى الله عليه وسلم واستخلفه على المدينة ثم ولاه فارس مات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين (ظهير) بالتصغير (بن رافع الانصارى) اى الاوسى شهد العقبة الثانية و بدرا وما بعدها من المشاهد (وأخوه) أى أخو ظهير واسمه مظهر بضم

العدوى عثمان بن عفان القرشي خلفه النبي صلى الله عليه وسلم على ابنته رقية وضرب له سهمه على بن أبي طالب الهاشمي اياس بن بكير بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق حمزة بن عبد المطلب الهاشمي حاطب بن أبي بلتعة حليف لقريش أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي حارثة بن الربيع الانصارى قتل يوم بدر وهو حارثة بن سراقة كان فى النظارة خبيب بن عدى الانصارى خنيس بن حذافة السهمى رفاعة بن رافع الانصارى رفاعة بن عبد المنذر أبو لبابة الانصارى الزبير بن العوام القرشي زيد بن سهل أبو طلحة الانصارى أبو زيد الانصارى سعد بن مالك الزهرى سعد بن خولة القرشي سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل القرشي سهل بن حنيف الانصارى ظهير بن رافع الانصارى وأخوه

الميم وفتح المعجمة وكسر الهاء المشددة ولم يسمه البخاري وذكر انه ما شهد بدرا لكن قال أبو عمر وان ظهير الم يشهدها وشهد أحدا وما بعدها وكذا قيل لم يشهدها ظهير فتسقط الواو من قوله وأخوه كذا ذكره العسقلاني (عبدالله بن مسعود الهذلي) بضم ففتح نسبة الى قبيلة بني هذيل من غير قبائل قريش وسبق ذكره (عبد الرحمن بن عوف الزهري) بضم فسكون نسبة الى بني زهرة قبيلة من قريش وهو أحد العشرة (عبيدة بن الحرث القرشي) لم يذكره المؤلف في أسمائه (عبادة) بضم عين وتخفيف الموحدة (ابن الصامت الانصاري) كان نقيبا وشهد العقبة الاولى والثانية والثالثة وشهد بدرا والمشاهد كلها قيل مات ببيت المقدس سنة اربع وثلاثين (عمرو بن عوف) أى المزني كان قديم الاسلام وهو ممن نزل فيه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع سكن المدينة ومات بها في آخر أيام معاوية (حليف بني عامر بن لؤي) بدل أو بيان لما قبله ولؤي بضم فتح همز ويبدل واوا فتشديد (عقبة بن عمرو الانصاري) قال المؤلف يكنى أبا مسعود البدري شهد العقبة الثانية ولم يشهد بدرا عند جمهور أهل العلم بالسير وقيل انه شهدها والاول أصح وانما نسب الى ماء بدر لانه نزله فنسب اليه ولذلك خطئ البخاري بعده من أصحاب بدر (عامر بن ربيعة العنزي) بفتح العين وسكون النون ففي المقدمة العنزة بفتح النون والزاي ينسب اليه العنزيون وقال المغني وأما عامر بن ربيعة العنزي فبسكون النون وكذا يفهم من القاموس وفي نسخة العدوي والظاهر انه تصحيف قال المؤلف هاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها أسلم قديما مات سنة اثنتين وثلاثين (عاصم بن ثابت) يكنى أبا سليمان الانصاري شهد بدرا وهو الذي حمته الدبر وهي النحل من المشركين أن يحتزوا رأسه في غزوة الرجيع حين قتله بنو لحيان فسمي حمي الدبر (عويم) تصغير عام بمعنى سنة (ابن ساعدة الانصاري) هو أوسي شهد العقبتين وبدرا والمشاهد كلها ومات في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم (عتبان) بكسر فسكون (ابن مالك الانصاري) خزرجي سلمي بدري مات زمن معاوية (قدامة) بضم القاف (ابن مظعون) بالظاء المعجمة قرشي جمحي خال عبدالله بن عمر هاجر الى أرض الحبشة وشهد بدرا وسائر المشاهد مات سنة ست وثلاثين (قتادة بن النعمان) بضم أوله (الانصاري) عقبي بدري وشهد بعدهما المشاهد كلها وأبو سعيد الخدري أخوه لامه مات سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر وكان من فضلاء الصحابة (معاذ بن عمرو بن الجموح) بفتح جيم وضم ميم قال المؤلف خزرجي شهد العقبة وبدرا هو وأبوه عمرو وهو الذي قتل مع معاذ بن عفراء أبا جهل ولهما ذكر في باب قسمة الغنائم ثم روى ابن عبد البر عن أبي اسحق ان معاذ بن عمرو قطع رجل أبي جهل وصرعه قال وضرب ابنه عكرمة بن أبي جهل يد معاذ فطرحها ثم ضربه معاذ بن عفراء حتى أثبته ثم تركه وبه رمق ثم وقف عليه عبدالله بن مسعود واحتز رأسه حين أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس أبا جهل في القتلى قلت لما كان قتل أبي جهل موجبا للثواب الكبير فدر الله ان جماعة شاركوا في قتله (معوذ) بتشديد الواو المكسورة أو المفتوحة والذال معجمة قال السيوطي هو بتشديد الواو وفتحها على الاشهر وجزم الرقشي انه بالكسر على ما في فتح الباري واقتصر عليه المغني وهو ظاهر ما في القاموس وكذا ضبطه المؤلف (ابن عفراء) بفتح عين فسكون فاء قال المؤلف هو معاذ بن الحرث أخو معاذ وعفراء أمه شهد بدرا وهو الذي قتل أبا جهل مع أخيه معاذ وهما أصحاب زرع ونخل وقاتل في بدر حتى قتل بها (وأخوه) أى أخو معاذ قال صاحب جامع الاصول شهد بدرا معاذ وأخواه عوف ومعوذ والحرث أبوهم وعفراء أمهم وقال المؤلف معاذ بن الحرث ابن رفاعة الانصاري الزرقي وعفراء أمه وهي بنت عبيد بن ثعلبة وكان هو ورافع بن مالك أول أنصاريين من الخزرج أسلما شهد بدرا وأخواه عوف ومعوذ وقتل أخواه هذان ببدر وشهد بعد بدر من المشاهد في قول بعضهم وبعضهم يقول انه جرح يوم بدر فمات بالمدينة من جراحته وقيل انه عاش الى زمن عثمان (مالك بن ربيعة أبو أسيد الانصاري) بالتصغير كنية مالك وهو مشهور بكنيته وهو ساعدي شهد المشاهد كلها مات سنة ستين وله ثمان وسبعون بعد ان ذهب بصره وهو آخر من مات من البدريين (مسطح) بكسر فسكون ففتح

عبدالله بن مسعود الهذلي
عبد الرحمن بن عوف
الزهري عبيدة بن الحرث
القرشي عبادة بن الصامت
الانصاري عمرو بن
عوف حليف بني عامر
ابن لؤي عقبة بن عمرو
الانصاري عامر بن ربيعة
العنزي عاصم بن ثابت
الانصاري عويم بن ساعدة
الانصاري عتبان بن مالك
الانصاري قدامة بن مظعون
قتادة بن النعمان الانصاري
معاذ بن عمرو بن الجموح
معاذ بن عفراء وأخوه مالك
ابن ربيعة أبو أسيد
الانصاري مسطح

(ابن أثاثة) بضم الهمزة (ابن عباد) بفتح فتشديد موحدة (ابن المطلب بن عبد مناف) أى القرشى شهد بدرا واحدا والمشاهد كلها بعدها وهو الذى قال فى عائشة أم المؤمنين ما قاله من حديث الافك وجلده النبى صلى الله عليه وسلم فيمن جلد ويقال ان مسطحا لقبه واسمه عوف قال ابن عبد البر لاخلاف فى ذلك مات سنة اربع وثلاثين وهو ابن ست وخمسين (مرارة) بضم الميم (ابن الربيع) بفتح فكسر الانصارى عامرى شهد بدرا وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وتاب الله عليهم ونزل القرآن فى شأنهم (معن بن عدى الانصارى) بفتح ميم فسكون عين شهد بدرا وما بعدها من المشاهد وقتل يوم اليمامة فى خلافة الصديق شهيدا وكان النبى صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين زيد بن الخطاب فقتلا معا يومئذ (مقداد) بكسر الميم (ابن عمرو الكندى) بكسر الكاف (حليف بنى زهرة) بدل أو بيان وقال المؤلف ان اباه حالف كندة فنسب اليها وانما سمى ابن الاسود لانه كان حليفه أو لانه تبناه وكان سادسا فى الاسلام مات بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة فحمل على رقاب الناس ودفن بالبقيع سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين سنة (هلال ابن أمية) بالتصغير (الانصارى) أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فتاب الله عليهم شهد بدرا وهو الذى قذف امرأته بشريك له ذكر فى اللعان روى عنه جابر وابن عباس فتحصل ان عدد المجموع خمسة وأربعون وفى نسخة رضى الله عنهم أجمعين

(باب ذكر اليمن والشام وذكر أويس القرنى)

فى المغرب اليمن مأخوذ من اليمين بخلاف الشام لانها بلاد على يمين الكعبة والنسبة اليها يمنى بتشديد الياء أو يمانى بالتخفيف على تعويض الالف من احدى يائى النسبة وفى القاموس اليمن محركة ما على يمين القبلة من بلاد الغور وهو يمنى ويمانى ويمان والشام بلاد عن مشاءمة القبلة وسميت بذلك لان قوما من بنى كنعان تشاءموا اليها أى تياسروا أو سمى بشام بن نوح فانه بالشين بالسريانية أو لان أرضها شامات بيض وحمر وسود وعلى هذا لا يهمز وقد يذكر قلت وعلى الاول يهمز ويجوز ابداله وهو الاشهر فى الاستعمال والاشمل للمعانى ثم المراد بذكر اليمن والشام أعم من أن يكون الحديث متعلقا بذكر المكانين أو بأهلهما فقوله وذكر أويس القرنى تخصيص بعد تعميم للتشريف ثم القرن بفتحتين ففى القاموس القرن بفتح فسكون ميقات أهل نجد وهى قرية عند الطائف واسم الوادى كلمه وغلط الجوهرى فى تحريكه وفى نسبة أويس القرنى اليه لانه منسوب الى قرن بن رومان بن ناجية بن مراد أحد أجداده

(الفصل الاول) (عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس) تصغير أوس (لا يدع) أى لا يترك (باليمن غير أم له) والمعنى انه ليس له أهل وعيال فى اليمن غيرها وانما منعه عن الاتيان الينا خدمتها (قد كان به) أى بأويس (بياض) أى برص (فدعا الله فاذهبه الا موضع الدينار أو الدرهم) شك من الراوى ولعله أبقاه للعلامة كما قيل فى ظفر آدم انه أثر من جلده السابق أو ترك ذلك البعض ليكون سبب تذكره ولهذا كان يحب الخمول والعزلة ويكره الشهرة والخلطة (فمن لقيه منكم فليستغفر لكم) قال النووى هذه منقبة ظاهرة لاويس القرنى وفيه طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وان كان الطالب أفضل منهم أقول وفى رواية لمسلم عن عمر انه قال لاويس القرنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتى عليكم أويس بن عامر مع امداد من اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرأ منه الا موضع درهم له والدة هو لها بر لو أقسم على الله لابره فلو استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لى فاستغفر له (وفى رواية قال) أى عمر (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين) أى من حيث انه من المخضرمين وحصل له مانع شرعى عن حضور حضرته ونور طلعته صلى الله عليه وسلم (رجل يقال له أويس) قال النووى والحديث يدل على انه خير التابعين وقال أحمد بن حنبل وغيره أفضل التابعين سعيد بن المسيب والجواب ان مرادهم ان سعيدا أفضل فى العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه

وغيرها

ابن أثاثة بن عباد بن المطلب ابن عبد مناف مرارة بن الربيع الانصارى معن بن عدى الانصارى مقداد بن عمرو الكندى حليف بنى زهرة هلال بن أمية الانصارى رضى الله عنهم أجمعين

(باب ذكر اليمن والشام وذكر أويس القرنى)

(الفصل الاول) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فاذهبه الا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم وفى رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خير التابعين رجل يقال له أويس

وهو الاوفق لكونه أكثر ثوابا عند الله تعالى (وله والدة) أي أم (هو بار لها وكان به بياض) أي برص (وذهب الله به) أي أذهبه كله (الا قدر اليسير) وفيه معجزة ظاهرة (فرده) أي فالتمسوه أو مروه وبناه على أمرنا بإكم أو اياه (فليستغفر لكم) قال ابن الملك أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه باستغفار أويس لهم وان كان الصحابة أفضل من التابعين ليدل على ان الفاضل يستحب له أن يطلب الدعاء من المفضول أو قاله صلى الله عليه وسلم تطييبا لقلبه لانه كان يمكنه الوصول الى حضرته لكن منعه بره لامه فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم به لئلا يندفع به انه مسيء في التخلف اه وهو لا ينافي ما نقل انه ترك أمه وجاء واجتمع بالصحابة فان امتناعه من الاتيان كان بعذر عدم من يكون في خدمتها وقائما بمؤنتها فلما وجد السعة توجه الى الصحابة أو لما فرض حجة الاسلام تعين ما أتاه أو أذنت له بالسير في سبيل الله (رواه مسلم) وفي الرياض عن أسيد بن جابر قال كان عمر بن الخطاب اذا أتى عليه أمداد أهل اليمن يسألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال أنت أويس ابن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن قال نعم قال فكان بك برص فبرأت منه الا موضع درهم قال نعم قال ألك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي عليكم أويس بن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم له والدة هو لها بر لو أقسم على الله لابره فان استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لي فاستغفر له فقال له عمر أين تريد قال الكوفة قال ألا أكتب لك الى عاملها قال أكون في غبراء الناس أحب الي قال فلما كان في العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس فقال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث ثم قال فان استطعت ان يستغفر لك فافعل فأتى أويسا فقال استغفر لي فقال أنت أعهد عهدا بسفر صالح فاستغفر لي قال لقيت عمر قال نعم فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه أخرجه مسلم اه ولا يخفى ان وجه مخفاته انه كان مستجاب الدعوة في مادة الاستغفار ولو كان ظاهر التوجه اليه البر والفاجر مستورا أو غيره فلا يمكنه الاستغفار للكل ولا امتناعه عن البعض لما يوجبه من الايحاش وكشف الحال والله أعلم بالاحوال وروى الحاكم عن علي مرفوعا خير التابعين أويس وروى ابن عدي عن ابن عباس سيكون في أمتي رجل يقال له أويس بن عبد الله القرني وان شفاعته في أمتي مثل ربيعة ومضر (وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة) أي من سائر من يأتيكم والرقة ضد القساوة والغلظة والفؤاد القلب وقيل باطنه وقيل ظاهره والمعنى هم أكثر رقة ورحمة من جهة الباطن (والين قلوبا) أي أكثر لينة لقبول النصيحة والموعظة من قلوب سائر الناس بحسب الظاهر قال المظهر وصف الافئدة بالرقة والقلوب باللين وذلك انه يقال ان الفؤاد غشاء القلب اذا رق نفذ القول فيه وخلص الى ما وراءه واذا غلظ تعذر وصوله الى داخله فاذا صادف القلب لينا علق به ونجع فيه وقال القاضي الرقة ضد الغلظة والصفاقة واللين مقابل القساوة فاستعيرت في أحوال القلب فاذا نبا عن الحق وأعرض عن قبوله ولم يتأثر عن الآيات والنذر يوصف بالغلظة فكان شغافه صفيقا لا ينفذ فيه الحق وجرمه صلب لا يؤثر فيه الوعظ واذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين فكان حجابه رقيقا لا يأبى نفوذ الحق وجوهره لين يتأثر بالنصح ثم لما وصفهم بذلك أتبعه ما هو كالنتيجة والغاية بقوله (الايمان يمان والحكمة يمانية) فان صفاء القلب ورقته ولين جوهره يؤدي به الى عرفان الحق والتصديق به وهو الايمان والانقياد لما يوجبه ويقتضيه والتيقظ والاتقاء فيما يأتيه ويذره وهو الحكمة فيكون قلوبهم معادن الايمان وينابيع الحكمة وهي قلوب منشؤها اليمن نسب اليه الايمان والحكمة معا لانتسابهما اليه تنويها بذكرهما وتعظيما لشأنهما وقال الطيبي يمكن ان يراد بالفؤاد والقلب ما عليه أهل اللغة في كونهما مترادفين فكرر ليناط به معنى غير المعنى السابق فان الرقة مقابلة للغلظة واللين مقابل للشدة والقسوة فوصفت أولا بالرقة ليشير الى التخلق مع الناس وحسن المعاشرة مع الاهل والاخوان قال تعالى ولو كنت فظا

وله والدة وكان به بياض فرده فليستغفر لكم رواه مسلم

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية

والفخر والخيلاء في أصحاب الابل والسكينة والوقار في أهل الغنم متفق عليه

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل

غليظ القلب لانفضوا من حولك وثانيا بالين ليؤذن بان الآيات النازلة والدلائل المنصوبة ناجعة فيها وصاحبها مقيم على التعظيم لامر الله فقوله الايمان يمان والحكمة يمانية يشمل حسن المعاملة مع الله تعالى والمعاشرة مع الناس فلشدة شكيمة اليهود وعنادهم قيل فيهم ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ولين جانب المؤمنين وصفوا بقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اه وقال شارح الايمان يمان هو نسبته الى اليمن والالف فيه عوض عن ياء النسبة فلا يجتمعان قال أبو عبيدة مكة من أرض تهامة وتهامة من أرض اليمن ولهذا سميت مكة وما واليها من أرض الحجاز تهائم فمكة على هذا التقدير يمانية وبها ظهر الايمان قال وفيه وجه آخر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا القول وهو بتبوك ومكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن فأشار الى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة وقيل عنى بهذا القول الانصار لانهم يمانون وهم نصروا الايمان والمؤمنين وآووهم فنسب اليهم وهذه وجوه متقاربة مع ما فيها من بعد التناسب بين الفصل الاول من الكلام والثاني فانه أتاكم أهل اليمن يخاطب بذلك أصحابه والجمهور منهم أهل الحرمين وما حولهما فعلم ان المشير لهم غير المخاطبين وقيل المراد أهل اليمن وينسب اليهم الايمان اشعار بكماله فيهم والمراد الموجودون منهم في ذلك الزمان لا كل أهل اليمن في جميع الاحيان فالمقصود تفضيل أهل اليمن على غيرهم من أهل المشرق ويؤيده قوله أتاكم أهل اليمن ثم قوله الايمان يمان لاينافي كونه مجازيا وايماء ينبئ عن استعداد أهل اليمن لقبول ذلك وفشوه فيهم واستقرار أمرهم عليه فانهم هم الذين مدت بامدادهم الشام والعراق زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم قوله والحكمة يمانية بالتخفيف وفي نسخة بالتشديد فقيل اراد بها الفقه في الدين وقيل كل كلمة صالحة تمنع صاحبها عن الوقوع في الهلكة ولما كانت قلوبهم معادن الايمان وينابيع الحكمة وكانت الخصلتان منتهى هممهم نسب الايمان والحكمة الى معادن نفوسهم ومساقط رؤسهم نسبة الشيء الى مقره (والفخر) أي الافتخار بالمباهاة والمنافسة في الاشياء الخارجة عن نفس الانسان كالمال والجاه (والخيلاء) بضم ففتح ممدودة وهي التكبر بتخيل انه أفضل من غيره وعدمه عن قبول الحق والانقياد (في أصحاب الابل) وفي معناه الخيل بل هي أدعى بالويل وسيأتي الجمع بينهما في رواية (والسكينة والوقار) أي التأني والحلم والانس (في أهل الغنم) قال القاضي تخصيص الخيلاء بأصحاب الابل والوقار بأهل الغنم يدل على ان مخالطة الحيوان تؤثر في النفس وتعدى اليها هيآت واخلاقا تناسب طباعها وتلائم أحوالها وفاقات واهذا قيل الصحبة تؤثر في النفس ولعل هذا أيضا وجه الحكمة في أن كل نبي رعى الغنم وخلاصة الكلام ورابطة النظام بين فصول الحديث ان أهل اليمن يغلب عليهم الايمان والحكمة كما ان أهل الابل يغلب عليهم الفخر وأهل الغنم يغلب عليهم السكون فمن أراد صحبة أهل الايمان والعرفان فعليه بمصاحبة نحو أهل اليمن على وجه الايمان قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفيه اشعار الى اظهار معجزة وهي أنه يظهر في اليمن كثير من الاولياء مع دلة أهله بخلاف سائر الاطراف فانه وان ظهر منهم الصالحون فهم بالنسبة الى كثرة خلائقهم قليلون (متفق عليه) وفي الجامع الايمان يمان رواه الشيخان عن أبي مسعود وروى الشيخان والترمذي عن أبي هريرة مرفوعا أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية (وعنه) أي عن أبي هريرة رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر) أي معظمه ذكره السيوطي والاظهر ان يقال منشؤه (نحو المشرق) بالنصب قال الطيبي نحو ورأس الامر الاسلام أي ظهور الكفر من قبل المشرق وقال ابن الملك أي منه يظهر الكفر والفتن كالدجال ويأجوج ومأجوج وغيرهما وقال النووي المراد باختصاص المشرق به مزيد تسلط الشيطان على أهل المشرق وكان ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم ويكون حين يخرج الدجال من المشرق فانه منشأ الفتن العظيمة ومثار الكفر الترك وقال السيوطي نقلا عن الباجي يحتمل ان يريد فارس وان يريد نجدا (والفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل) قال الراغب الخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة تراءت

الانسان من نفسه ومنها تتزول لفظ الخيل ما قيل انه لا يركب أحد فرسا الا وجد في نفسه نخوة والخيل في الاصل اسم للافراس والفرسان جميعا اه والاظهر ان الخيل اسم جنس للفرس لقوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وأما قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبوا فمجاز (والفدادين) بالتشديد ويخفف أي وفي الفلاحين عطف على أهل الخيل وقوله (أهل الوبر) بفتح الواو والموحدة شعر الابل وهو بالجر بدل أو بيان والمراد بهم سكان الصحارى لان بيوتهم غالبا خيام من الشعر قال صاحب النهاية الفدادون بالتشديد الذين تعلو أصواتهم في حروثهم ومواشيهم واحدهم فداد يقال فد الرجل يفد فديدا اذا اشتد صوته وقيل هم المكثرون من الابل وقيل هم الجمالون والبقارون والحمارون والرعيان وقيل الفدادون بالتخفيف جمع فداد مشددا وهي البقرة التي تحرث بها وأهلها أهل جفاء وغلاظة قال التوربشتي اذا روي بالتخفيف تقديره وفي أهل الفدادين وأرى أصوب الروايتين بالتشديد لما في حديث أبي مسعود الذي يتلوه هذا الحديث والجفاء والغلظ في الفدادين والتخفيف في هذه الرواية غير مستقيم وتقدير الحذف فيه مستبعد رواية ومعنى فرددنا المختلف فيه الى المتفق عليه هذا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى سكة وشيأ من آلات الحرث فقال ما دخل هذا دار قوم الا أدخل عليهم الذل وأين ايقاع الفخر والخيلاء من موقع الذل قلت لعله صلى الله عليه وسلم أخبر عما سيقع في آخر الزمان من ان كثرة الزراعة تكون سببا للافتخار والتكبر كما هو مشاهد في أرباب الدنيا من أهل المزارع الكثيرة في العجم بحيث انهم يتقدمون في المحافل على أصحاب الابل والخيل بل لهم اعتبار عظيم عند الملوك حتى يصير أكثرهم وزراء لهم وكبراء عند سائر رعيتهم (والسكينة) أي الوقار والتأني والحلم والانس (في أهل الغنم متفق عليه) وكذا رواه الامام مالك قال ميرك الا ان مسلما لم يقل والفدادين بالواو بل هي محذوفة فيه وفي البخاري ثابتة فعلى رواية مسلم نعت لاهل الخيل وعلى اثباته عطف عليه اقلت فعلى رواية مسلم مراد الجمع بين الوصفين وعلى رواية البخاري يراد التغاير بينهما فيكون عطفا على الخيل برواية تخفيف الفدادين وعلى أهل الخيل برواية التشديد والله الملهم للتسديد (وعن أبي مسعود الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ههنا جاءت الفتن نحو المشرق) حال متعلق بمحذوف أي قال صلى الله عليه وسلم من ههنا جاءت الفتن مشيرا نحو المشرق كذا ذكره الطيبي ولا يبعد أن يكون من الراوي مدرجا على قصد التفسير لقوله صلى الله عليه وسلم ههنا (والجفاء) بالمد وهو ضد الوفاء وفي القاموس الجفاء نقيض الصلة ويقصر والاظهر ان المراد به ههنا غلظ الالسنة بقرينة قوله (وغلظ القلوب في الفدادين أهل الوبر) بيان للفدادين ويراد بأهل الوبر الاعراب أو سكان الصحارى وانما ذمهم لبعدهم عن المدن والقرى الموجب لقلة العلم الحاصل به حسن الاخلاق وسائر علوم الشريعة قال تعالى الاعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله وفي الحديث من بدا جفا (عند أصول أذناب الابل والبقر) أي هم تبع لها واليها وعيشون خلفها للرعي فيهما أو لاثارة الارض خلف البقر واسقي الماء خلفهما فالمراد بهم الاكارون وفيه ايماء الى انهم جعلوا المتبوع تابعا والتابع متبوعا فعكسوا ما هو معتبر موضوعا ومشروعا واشارة الى قوله تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل وقال الطيبي قوله عند ظرف لقوله الفدادين على تأويل الذين بهم جلبة وصياح عند سوقهم لها لان سائق الدواب انما يعلو صوته خلفها (في ربيعة ومضر) اما خبر مبتدأ محذوف أي هذه الطائفة فيهم أو خبر بعد خبر لقوله والجفاء وقال الطيبي بدل من قوله في الفدادين باعادة العامل (متفق عليه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء في المشرق) ولفظ الجامع في أهل المشرق (والايمان) ولفظ الجامع والسكينة والايمان (في أهل الحجاز) أي مكة والمدينة وحواليهما وقال ابن الملك أراد به الانصار (رواه مسلم) وكذا الامام أحمد في مسنده (وعن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا) لعل تقديمه على اليمن مشيرا الى انه مبارك في أصله لقوله تعالى الذي باركنا حوله ولوجود كثير من الانبياء فيه فالمراد زيادة البركة أو البركة الحاصلة

والفدادين أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم متفق عليه وعن أبي مسعود الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ههنا جاءت الفتن نحو المشرق والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين أهل الوبر عند أصول أذناب الابل والبقر في ربيعة ومضر متفق عليه وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء في المشرق والايمان في أهل الحجاز رواه مسلم وعن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا

لاهل المدينة وسائر المؤمنين على الخصوص (اللهم بارك لنا في يمننا) أي بركة ظاهرية ومعنوية ولهذا كثر الاولياء فيهم والظاهر في وجه تخصيص المكانين بالبركة لان طعام أهل المدينة مجلوب منهما (قالوا) أي بعض الصحابة (يارسول الله وفي نجدنا) عطف تلقين والتماس أي قل وفي نجدنا ليحصل البركة لنا من صوبه أيضا والنجد ما ارتفع من الارض وهو اسم خاص لما دون الحجاز على ما في النهاية وقال ابن الملك هو خلاف الغور من بلاد العرب (قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا) قال الاشرف انما دعا لهما بالبركة لان مولده بمكة وهو من اليمن ومسكنه ومدفنه بالمدينة وهي من الشام وناهيك من فضل الناحيتين ان احداهما مولده والاخرى مدفنه فانه أضافهما الى نفسه وأتى بضمير الجمع تعظيما وكرر الدعاء ثلاث مرات (قالوا يارسول الله وفي نجدنا فاظنه قال في الثالثة) يعني أو في الثانية (هنالك) أي في ناحية نجد وهو المعنى بقوله نحو المشرق (الزلازل) أي الحسية أو المعنوية وهي تزلزل القلوب واضطراب أهلها (والفتن) أي البليات والمحن الموجبة لضعف الدين وقلة الديانة فلا يناسبه دعوة البركة له (وبها) أي بتلك البقعة ونواحيها (يطلع) بضم اللام أي يظهر (قرن الشيطان) أي حزبه وأهل وقته وزمانه واعوانه ذكره السيوطي (رواه البخاري) وكذا مسلم والترمذي نقله السيد جمال الدين

(الفصل الثاني) (عن أنس عن زيد بن ثابت) هذا نقل الصحابي عن مثله ويكون من باب نقل الاقران والاظهر انه من نقل الاصاغر عن الاكابر (ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر قبل اليمن) بكسر القاف وفتح الموحدة أي الى جانبه (فقال اللهم أقبل) أمر من الاقبال والباء في قوله (بقلوبهم) للتعدية والمعنى اجعل قلوبهم مقبلة الينا واتما دعا بذلك لان طعام أهل المدينة كان يأتيهم من اليمن ولذا عقبه ببركة الصاع والمد لطعام يجلب لهم من اليمن فقال (وبارك لنا في صاعنا ومدنا) وأراد بهما الطعام المكتال بهما فهو من باب اطلاق الظرف وارادة المظروف أو المضاف مقدر أي طعام صاعنا ومدنا ثم الصاع على ما في القاموس أربعة امداد كل مد رطل وثلث والرطل ويكسر اثنتا عشرة أوقية والاوقية أربعون درهما قال الداودي معيار المد الذي لا يختلف أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا بصغيرهما اذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي صلى الله عليه وسلم اه وجربت ذلك فوجدته صحيحا انتهى كلامه وقال التوربشتي وجه التناسب بين الفصلين ان أهل المدينة ما زالوا في شدة من العيش وعوز من الزاد لا تقوم أقواتهم لحاجتهم فلما دعا الله بان يقبل عليهم بقلوب أهل اليمن الى دار الهجرة وهم الجم الغفير دعا الله بالبركة في طعام أهل المدينة ليتسع على القاطن بها والقادم عليها فلا يسأم المقيم من القادم عليه ولا تشق الاقامة على المهاجر اليها (رواه الترمذي) وفي الجامع اللهم ان ابراهيم كان عبدك وخليلك دعاك لاهل مكة بالبركة وأنا عبدك ورسولك أدعوك لاهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لاهل مكة مع البركة بركتين رواه الترمذي عن علي (وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى للشام) أي حالة طيبة لها ولاهلها قال الطيبي طوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا (قلنا لاي ذلك يارسول الله) بتنوين العوض في أي أي لاي شئ كما في بعض نسخ المصابيح قال الطيبي كذا في جامع الترمذي على حذف المضاف اليه أي لاي سبب قلت لذلك وقد أثبت في بعض نسخ المصابيح لفظ شئ وأغرب ميرك حيث قال حذف المضاف اليه وأجرى اعرابه على المضاف اه وغرابته لا تخفى (قال لان ملائكة الرحمن) فيه ايماء الى أن المراد بهم ملائكة الرحمة (باسطة أجنحتها عليها) أي على بقعة الشام وأهلها بالحافظة عن الكفر (رواه أحمد والترمذي) وكذا الحاكم في مستدركه وفي رواية الطبراني عنه بلفظ طوبى للشام ان الرحمن لباسط رحمته عليه أي على الشام فهو يذكر ويؤنث باعتبارين (وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستخرج نار) يحتمل أن يكون حقيقة وهو الظاهر على ما ذكره المزري ويحتمل أن يراد بها الفتنة (من نحو حضرموت) بفتح فسكون ففتحتين سكون ففتح في القاموس حضرموت وبضم الميم بلد

اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يارسول الله وفي نجدنا قال اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يارسول الله وفي نجدنا فاظنه قال في الثالثة هنالك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان رواه البخاري

(الفصل الثاني) عن أنس عن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر قبل اليمن فقال اللهم أقبل بقلوبهم وبارك لنا في صاعنا ومدنا رواه الترمذي وعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى للشام قلنا لاي ذلك يارسول الله قال لان ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها رواه أحمد والترمذي وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستخرج نار من نحو حضرموت

وقبيلة ويقال هذا حضرموت وتاء وتفتاب فيقال حضرموت بضم الراء وان شئت لا تنون الثاني (أو من حضرموت) أى من جانبها المقتص منها (تحشر الناس) أى تجمعهم النار وتسوقهم على ما فى النهاية (قلنا يارسول الله فما تأمرنا) أى فى ذلك الوقت (قال عليكم بالشام) أى خذوا طريقها والزموا فريقها فانها سالمة من وصول النار الحسية أو الحكمية الهاجية تئذ لحفظ ملائكة الرحمة اياها قال التوربشتي يحتمل أن تكون النار رأى عين وهو الاصل ويحتمل انها فتنة عبر عنها بالنار وعلى التقديرين فالوجه فيه انه قبل قيام الساعة لانهم قالوا فما تأمرنا يعنون فى التوقى منها فقال عليكم بالشام (رواه الترمذى وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها) أى القصة (ستكون هجرة بعد هجرة) قال الشارحون كان من حق الثانية أن يؤتى بها مع لام العهد لان المراد منها الهجرة الواجبة قبل الفتح وانما أتى بها منكرة لتساوق الاولى فى الصيغة مع اضمار فى الكلام اى بعد هجرة تحققت ووجبت وانما حسن الحذف اعتمادا على معرفة السامعين والمعنى ستكون هجرة الى الشام بعد هجرة كانت الى المدينة قال التوربشتي وذلك حين تكثر الفتن ويقل القائمون بأمر الله فى البلاد ويستولى الكفرة الطغام على بلاد الاسلام ويبقى الشام تسوسها العساكر الاسلامية منصورة على من ناواهم ظاهرين على الحق حتى يقاتلوا الدجال فالمهاجر اليها حينئذ فاز بدينه ملتجئ اليها لاصلاح آخرته يكثر سواد عباد الله الصالحين القائمين بأمر الله تعالى ولعل الحديث اشارة الى العصر الذى نحن فيه قال الطيبي ويمكن أن يراد التكرير كما فى قولك لبيك وسعديك أى ألبك الباباً بعد الباب والفاء فى قوله (فخيار الناس) يلوح اليه لانه تفصيل للمجمل كأنه قيل ستحدث للناس مفارقة من الاوطان وكل أحد يفارق وطنه الى آخر ويهجره هجرة بعد هجرة فخيارهم من يهاجر أو يرغب (الى مهاجر ابراهيم) عليه السلام وهو الشام اه وقوله الى مهاجر ابراهيم بفتح الجيم أى موضع هجرته والى مخففة الياء المنقلبة الى الالف على انها حرف جر مجرد وهو الرواية تتعلق بمحذوف وهو خبر المبتدا تقديره فخيار الناس المهاجرون الى مهاجره لان المهاجر حينئذ فاز بدينه وفى بعض النسخ الى بتشديد الياء على انها مضافة الى ياء المتكلم فهو متعلق بخيار وحينئذ مهاجر مرفوع على انه خبر المبتدا بتقدير حذف المضاف تقديره فخيار الناس مهاجر مهاجر مهاجر ابراهيم فحذف المضاف وأعرب المضاف اليه باعرابه والمراد بمهاجر ابراهيم الشام فان ابراهيم لما خرج من العراق مضى الى الشام (وفى رواية فخيار أهل الارض ألزمهم) أى أكثرهم لزوما (مهاجر ابراهيم) عليه السلام بفتح الجيم أى الشام فمهاجر بالنصب ظرف الزم وهو أفعل التفضيل عمل فى اسم الظاهر (ويبقى فى الارض شرار أهلها) أى أهل الارض من الكفار والفجار (تلفظهم) بكسر الفاء أى ترميهم (أرضوهم) بفتح الراء والمعنى ترمى شرار الناس أراضيهم من ناحية الى ناحية أخرى قال الشراح يعنى ينتقل من الاراضى التى يستولى عليها الكفرة خيار أهلها ويبقى خساس تخلفوا عن المهاجرين رغبة فى الدنيا ورهبة من القتال وحرصا على ما كان لهم فيها من ضياع ومواش ونحوهما من متاع الدنيا فهم لخسة نفوسهم وضعف دينهم كالشئ المسترذل المستقذر عند النفوس الزكية وكان الارض تستنكف عنهم فتقذفهم والله سبحانه يكرههم فيبعدهم من مظان رحمته ومحل كرامته ابعاد من يستقذر الشئ وينفر عنه طبعه فلذلك منعهم من الخروج وثبطهم قعودا مع أعداء الدين نحو قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم فقوله (تقذرهم نفس الله) من التمثيلات المركبة التى لا تطلب لمفرداته ممثلا وممثلا به مثل شابت لمة الليل وقامت الحرب على ساق ثم اعلم أن قوله تقذرهم بفتح الدال المعجمة من قذرت الشئ بالكسر أى كرهته ونفس الله بسكون الفاء أى ذاته قال التوربشتي وهو وان كان من حيث انه حصل له مضاف ومضاف اليه يقتضى المغايرة واثبات شيئين لكنه جاز من حيث الاعتبار على سبيل الاتساع تعالى الله عن الاثنوية ومشابهة المحدثات علوا كبيرا (تحشرهم النار مع القردة والخنازير) أى تلازمهم النار ليلا ونهارا وتجمعهم مع الكفرة الذين هم باعتبار صغيرهم وكبيرهم كالقردة والخنازير (تبيت) أى

أو من حضرموت تحشر الناس قلنا يارسول الله فما تأمرنا قال عليكم بالشام رواه الترمذى وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون هجرة بعد هجرة فخيار الناس الى مهاجر ابراهيم وفى رواية فخيار أهل الارض ألزمهم مهاجر ابراهيم ويبقى فى الارض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم تقذرهم نفس الله تحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت

النار (معهم اذا باتوا وتقيل) بفتح التاء أي تضحى وتقيل النار (معهم اذا قالوا) أي استراحوا وظلوا وهو من القيلولة وهي الاستراحة بالنهار فالجملة مستأنفة مبينة لدوام الملازمة وقال الطيبي جملة مؤكدة لما قبلها أو حال منه وأما الجمل السابقة فكلها مستأنفة أجوبة للأسئلة المقدرة قال المظهر النار ههنا الفتنة يعني تحشرهم نار الفتنة التي هي نتيجة أفعالهم القبيحة وأقوالهم مع القردة والخنازير لكونهم متخلقين بأخلاقهم فيظنون أن الفتنة لا تكون الا في بلدانهم فيختارون جلاء أوطانهم ويتركونها والفتنة تكون لازمة لهم ولا تنفك عنهم حيث يكونون وينزلون ويرحلون (رواه أبو داود وعن ابن حوالة) بفتح الحاء ولم يذكره المؤلف في أسمائه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيصير الامر) أي أمر الاسلام أو أمر القتال (ان تكونوا جنودا) أي عساكر (مجندة) بتشديد النون المفتوحة أي مجموعة في كلمة الاسلام أو مختلفة في مراعاة الاحكام (جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق) أي عراق العرب وهو البصرة والكوفة أو عراق العجم وهو ما وراءهما دون خراسان وما وراء النهر (فقال ابن حوالة خر لي) بكسر الخاء وسكون الراء أمر من الخيرة بمعنى الاختيار أي اختر لي جندا الزمه (يا رسول الله ان أدركت ذلك) أي ذلك الوقت (فقال عليك بالشام فانها) أي الشام (خيرة) بكسر الخاء وفتح التحتية وقد تسكن أي مختارة (الله من أرضه) أي من بلاده فيها خير عباده قال الطيبي الخيرة بكون الياء الاسم من قولك اختار وبالفتح فهو الاسم من قولك اختاره ومحمد خيرة الله من خلقه بالفتح والسكون اهـ والمعنى انه اختارها الله من جميع الارض للاقامة في آخر الزمان (يجتبي اليها خيرته) بالنصب على ما في أكثر النسخ المعتمدة وفي نسخة بالرفع ثم من تبعيضية في قوله (من عباده) قال شارح يجتبي يفتعل من جبوت الشيء وجبيته فالمعنى يجمع الله الى أرض الشام المختارين من عباده ويجوز أن يكون يجتبي لازما أي يجتمع اليها المختارون من عباده وقال السيد جمال الدين خيرته مرفوع بانه فاعل يجتبي ان كان من الاجتباء اللازم وهو بمعنى الاجتماع أو منصوب بانه مفعول ان كان من الاجتباء المتعدي وهو بمعنى الاصطفاء والاختيار اهـ والمختار انه من الثاني موافقة لما ورد في التنزيل الله يجتبي اليه من يشاء (فاما ان أبيتم) أي امتنعتم من القصد الى الشام (فعليكم بيمنكم واسقوا) بهمز الوصل ويجوز قطعه أي أنفسكم ودوابكم (من غدركم) بضم معجمة وفتح مهملة أي حياضكم (فان الله توكل) أي تكفل (لي) أي لاجلي واكرامي في أمتي وقيل صوابه تكفل لي أي ضمن القيام (بالشام) أي بأمر الشام وحفظ أهله قال التوربشتي قوله فاما ان أبيتم هذا كلام معترض أدخله بين قوله عليكم بالشام وبين قوله واسقوا من غدركم أي الزموا الشام واسقوا من غدركم فان الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهلها ورخص لهم في النزول بأرض اليمن ثم عاد الى ما بدئ منه وانما أضاف اليمن اليهم لانه خاطب به العرب واليمن من أرض العرب ومعنى قوله واسقوا من غدركم ليسق كل واحد من غديره الذي يختص به والاجناد المجندة بالشام لاسيما أهل البوادي ... في المروج من شأنهم أن يتخذ كل فرقة لنفسها غديرا تستنقع فيها الماء للشرب والطهور وسقي الدواب فوصاهم بالسقي مما يختص بهم وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب لئلا يكون سببا للاختلاف وتهيج الفتنة وقول الطيبي كأن قوله فاما ان أبيتم وارد على التأنيب والتعيير يعني ان الشام مختارة الله تعالى من أرضه فلا يختارها الا الخيرة الله من عباده فان أبيتم أيها العرب ما اختاره الله تعالى واخترتم بلادكم ومسقط رأسكم من البوادي فالزموا يمنكم واسقوا من غدره لانه أوفق لكم من مياه البوادي أقول فيه ان جمع الضمير في القرينتين بعد افراده في قوله عليك بالشام نعلم من هذا ان الشام أولى بالاختيار ... الاضطرار والغدر جمع غدير وهو حفرة يقع فيها الماء وعربها أكثرها من ... ولذلك أضيف اليهم قال التوربشتي في بعض النسخ فان الله قد توكل لي بالشام وهو صواب فقد تكفل لي وهو ما في أصل الكتاب ومن بعض رواة الحديث ...

معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا رواه أبو داود وعن ابن حوالة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيصير الامر ان تكونوا جنودا مجندة جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق فقال ابن حوالة خر لي يا رسول الله ان أدركت ذلك فقال عليك بالشام فانها خيرة الله من أرضه يجتبي اليها خيرته من عباده فأما ان أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم فان الله عز وجل توكل لي بالشام وأهله

في شيء فقد تكفل بالقيام به والمعنى ان الله ضمن لي حفظها وحفظ أهلها من بأس الكفرة واستيلائهم بحيث يتخطفهم ويدمرهم بالكلية (رواه أحمد وأبو داود) قال الطيبي في مسند أحمد وجامع الاصول عن أبي داود كما في المصابيح وقوله لي ليس بصلة توكل وصلته اما على أو الباء ولا يجوز الاول فتعين الثاني أي توكل بالشام لاجلي وفي النهاية يقال توكل بالامر اذا ضمن القيام به

(الفصل الثالث) (عن شريح بن عبيد) بالتصغير فيهما حضرمي تابعي روى عن أبي امامة وجبير بن نفير وعنه صفوان بن عمرو ومعاوية بن صالح (قال ذكر أهل الشام عند علي رضي الله عنه) أي بالسوء (وقيل العنهم يا أمير المؤمنين قال لا) أي لا يجوز لعنهم أو لا العنهم (اني) بالكسر على انه استئناف تعليل (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الابدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا يسقي بهم الغيث) أي المطر (وينتصر بهم على الاعداء) أي من الكفار (ويصرف عن أهل الشام بهم) أي ببركتهم أو بسبب وجودهم فيها (العذاب) أي الشديد كما سيأتي ان هذا الحديث رواه أحمد وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن مسعود مرفوعا ان الله تعالى خلق ثلثمائة نفس قلوبهم على قلب آدم وله أربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل وله ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل كلما مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وكلما مات واحد من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وكلما مات من الخمسة واحد أبدل الله مكانه من السبعة وكلما مات واحد من السبعة أبدل الله مكانه من الاربعين وكلما مات واحد من الاربعين أبدل الله مكانه من الثلثمائة وكلما مات واحد من الثلثمائة أبدل الله مكانه من العامة بهم يدفع البلاء عن هذه الامة قال بعض العارفين لم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أحدا على قلبه اذ لم يخلق الله في عالمي الخلق والامر أعز وأشرف وألطف من قلبه صلى الله عليه وسلم فلا يساويه ولا يحاذيه قلب أحد من الاولياء سواء كانوا ابدالا أو اقطابا قال الشيخ علاء الدين السمناني في كتاب العروة له والبدل من البدلاء السبعة كما أخبر عنه عليه الصلاة والسلام فقال هو من السبعة وسيدهم وكان القطب في زمان النبي صلى الله عليه وسلم أويس القرني عصام مفري أن يقول اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن وهو مظهر خاص للتجلي الرحماني كما كان النبي صلى الله عليه وسلم مظهرا خاصا للتجلي الالهي المخصوص باسم الذات وهو الله سبحانه اه وفيه نظر ظاهر فانه على تقدير ثبوته بالنقل أو الكشف يشكل بانه كيف تكون القطبية له مع وجود الخلفاء الاربعة الذين هم أفضل الناس بعد الانبياء بالاجماع مع أن علماء هذا ليس له ذكر لا في الصحابة ولا في التابعين وقد قال صلى الله عليه وسلم خير التابعين أويس القرني على أن الامام اليافعي رحمه الله على ما نقله السيوطي عنه قال وقد سترت أحوال القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة غيرة من الحق عليه (وعن رجل من الصحابة) تقدم ان جهالة الصحابي لا تضر فان الصحابة كلهم عدول ومراسيلهم حجة اتفاقا (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستفتح الشام) أي بلادها (فاذا خيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق) بكسر الدال وفتح الميم ويكسر على ما في القاموس وهو الآن مشهور بالشام (فانها) أي مدينة دمشق (معقل المسلمين) بفتح ميم وكسر قاف أي ملاذهم (من الملاحم) بفتح ميم وكسر حاء جمع الملحمة وهي الحرب والقتال والمعنى يتحصن المسلمون ويلتجؤن اليها كما يلتجئ الوعل الى رأس الجبل (وفسطاطها) بضم الفاء وقد يكسر وهو البلدة الجامعة للناس (ومنها) أي من أراضي دمشق (أرض يقال لها) أي لتلك الارض (الغوطة) بضم الغين وهي اسم البساتين والمياه التي عند دمشق ويقال لها غوطة دمشق قال الزمخشري جنان الدنيا أربع غوطة دمشق ونهر الابلة وشعب بوان وسمرقند قال ابن الجوزي رأيت كلها وفضل الغوطة على الثلاث كفضل الاربع على غيرها (رواهما) أي الحديثين السابقين (أحمد) أي في مسنده (وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة) أي الحقة (بالمدينة) أي غالبا لكون علي في الكوفة زمن خلافته أو الخلافة

رواه احمد وأبو داود *(الفصل الثالث)* عن شريح بن عبيد قال ذكر أهل الشام عند علي وقيل العنهم يا أمير المؤمنين قال لا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الابدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب وعن رجل من الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستفتح الشام فاذا خيرتم المنازل فيها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق فانها معقل المسلمين من الملاحم وفسطاطها منها أرض يقال لها الغوطة رواهما أحمد وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بالمدينة

والثالث بالشام وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمودا من نور خرج من تحت رأسي ساطعا حتى استقر بالشام رواهما البيهقي في دلائل النبوة وعن أبي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام رواه أبو داود وعن عبد الرحمن بن سليمان قال سيأتي ملك من ملوك العجم فيظهر على المدائن كلها الا دمشق رواه أبو داود

(باب ثواب هذه الامة)

(الفصل الاول) عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أجلكم في أجل من خلا من الامم ما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس ألا لكم الاجر مرتين

المستقرة بالمدينة (والثالث بالشام) وفيه اشعار بان معاوية بعد تسليم الحسن لم يصر خليفة و يؤيده ما رواه أحمد والترمذي وأبو يعلى وابن حبان عن سفينة الخلافة بعدي في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك (وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمودا) بفتح العين أي اسطوانة (من نور) ولعله أمر الخلافة المشبه بالعمود في انه عماد بناء الاسلام واستحكام ثبات الاحكام (خرج من تحت رأسي ساطعا) أي رافعا لامعا واصلا أثره في الآفاق والانفس (حتى استقر) أي ثبت ذلك العمود واستمر (بالشام رواهما) أي الحديثين (البيهقي في دلائل النبوة) ووافقه في الحديث الاول البخاري في تاريخه والحاكم في مستدركه (وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فسطاط المسلمين) أي مكان الفئة منهم (يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام رواه أبو داود وعن عبد الرحمن بن سليمان) لم يذكره المؤلف في أسمائه (قال سيأتي ملك من ملوك العجم فيظهر) أي يغلب (على المدائن) أي البلدان (كلها) أي جميعها (الا دمشق) أي الا مدينة دمشق الشام (رواه أبو داود)

(باب ثواب هذه الامة)

أي الطائفة الجامعة بين الاجابة والمتابعة لمعرفتهم بالفرقة الناجية وفي التنقيح المبتدع ليس من الامة على الاطلاق قال في التوضيح المراد بالامة المطلقة أهل السنة والجماعة وهم الذين طريقتهم كطريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم دون أهل البدع قال صاحب التلويح لان المبتدع وان كان من أهل القبلة فهو من أمة الدعوة دون المتابعة كالكفار

(الفصل الاول) (عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما أجلكم) قال الطيبي الاجل المدة المضروبة للشيء قال تعالى ولتبلغوا أجلا مسمى و يقال للمدة المضروبة لحياة الانسان أجله فيقال دنا أجله وهو عبارة من دنو الموت وأصله استيفاء الاجل أي مدة الحياة والمعنى ما أجلكم في أجل من مضى من الامم السابقة في الطول والقصر الا مقدار ما بين صلاة العصر الى صلاة المغرب من الزمان اه وتوضيحه ان الاجل تارة يعبر عن جميع الوقت المضروب للعمر سواء يكون معلقا أو مبرما كما في قوله تعالى ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده وتارة يطلق على انتهاء المدة وآخرها وهو المعنى بقوله سبحانه فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون والمراد بالاجل هنا هو المعنى الاول فالمعنى ان مدة أعماركم القليلة (في أجل من خلا من الامم) اى في جنب آجال من مضى من الامم الكثيرة (ما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس) أي مثل ما بينهما في جنب ما بين صلاة الظهر الى العصر أو ما بين الفجر والظهر لا ما بين الفجر والعصر لمثل المضروب الآتي وخلاصته أن مدتكم في العمل قليلة وأجرتكم كثيرة على قياس ما ذكر من المثل وهو قوله (وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى) أي مع الرب سبحانه وتعالى (كرجل استعمل عمالا) بضم وتشديد جمع عامل أي طلب منهم العمل (فقال) أي على طريق الاستفهام (من يعمل لي الى نصف النهار) وهو من طلوع الشمس الى زوالها فالمراد بالنهار العرفي لانه عرف عمل العمال (على قيراط قيراط) أي نصف دانق على ما في الصحاح وقيل القيراط جزء من أجزاء الدينار وهو نصف عشره في أكثر البلاد والياء فيه بدل من الراء كما انها بدل من النون في الدينار ويدل عليه جمعهما على دنانير وقراريط وكرر قيراط للدلالة على ان الاجر لكل واحد منهم قيراط لا لمجموع الطائفة قيراط (فعملت اليهود) أي أتباع موسى السابق في الزمان (الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال) أي الرجل المستعمل للعمال (من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى) أي اتباع عيسى بعد اليهود (من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا) للتنبيه (فأنتم الذين تعملون) بالخطاب وبلا فاء في رواية البخاري فانتم تعملون وفي نسخة صحيحة بالغيبة وهو الظاهر من ايراد الموصول أي فأنتم أيها الملة الذين يعملون أو فهم الذين يعملون مثلا (من صلاة العصر الى مغرب الشمس الا) للتنبيه (لكم الاجر مرتين) أي

مثلي ما لليهود والنصارى وكأنه مقتبس من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته فان هذه الامة صدقوا نبيهم والانبياء الماضية أيضا فغضب اليهود والنصارى فقالوا نحن أكثر اعمالا وأقل عطاء) أى قال أهل الكتاب ربنا أعطيت أمة محمد ثوابا كثيرا مع قلة أعمالهم وأعطيتنا ثوابا قليلا مع كثرة أعمالنا ولعلهم يقولون ذلك يوم القيامة وقد حكى عنهم النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة الماضي لتحقق ذلك أو صدر عنهم مثل ذلك لما اطلعوا على فضائل هذه الامة فى كتبهم أو على ألسنة رسلهم وعلى كل تقدير ففى الحديث دليل على ان الثواب للاعمال ليس على قدر التعب ولا على جهة الاستحقاق لان العبد لا يستحق على مولاه لخدمته أجرا بل المولى يعطيه من فضله وله ان يتفضل على من يشاء من العبيد على وجه المزيد فانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال الطيبي لعل هذا تخييل وتصوير لا ان ثمة مقاولة ومكالمة حقيقة اللهم الا أن يحمل ذلك على حصولها عند اخراج الذر فيكون حقيقة اه واستدل به علماؤنا على قول أبي حنيفة ان أول العصر بصيرورة ظل كل شئ مثليه اذ لا يتصور ان يكون النصارى أكثر عملا من هذه الامة الا باعتبار هذه المدة فان قيل من الزوال الى صيرورة ظل كل شئ مثله أكثر منه الى آخر النهار فيتحقق كون النصارى أكثر عملا على هذا التقدير أجيب بان التفاوت بين هذين الوقتين لا يعرفه الا الحساب والمراد من الحديث تفاوت ظاهر لكل أحد من الامة أو لأكثرهم فان الاحكام الفقهية مبنية على الاعتبارات الغالبة فالنادر لا حكم له وقال الكرماني فى شرح البخاري لا يلزم من كونهم أكثر عملا أكثر زمانا لاحتمال كون العمل أكثر فى الزمان الاقل فأقول هذا الاحتمال بعيد معارض باحتمال كون العمل أقل فى الزمان الاكثر فاذا تعارض الاحتمالان العقليان تساقطا والعرف حاكم باعتبار الغالب ان الزمان معيار للعمل فيكون العمل الاكثر فى الزمن الازيد وكذا عكسه مع ان فى نفس الحديث الشريف دلالة على اعتبار هذا المعيار (قال الله تعالى فهل ظلمتكم) أى هل نقصتكم (من حقكم شيأ) مفعول به أو مطلق (قالوا) أى أهل الكتاب (لا قال الله تعالى فانه) أى الشان (فضلي) أى عطائي الزائد (أعطيه من شئت) أو التقدير فان العطاء الكثير المدلول عليه بالسياق فضلي وقال الطيبي الضمير واقع موقع اسم الاشارة والمشار اليه قوله الاجر مرتين وانما لم يكن ظلما لانه تعالى شرط معهم شرطا وقبلوا أن يعملوا به فكان فضله مع النصارى على اليهود بشرطه فى زمان أقل من زمانهم مع انهما فى الاجر متساويان وأما المسلمون فمدة عملهم أقل مع ضعف الاجر وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء اه لكن قوله انهما فى الاجر متساويان ليس فى محله لان المراد باليهود والنصارى الممثلين فى هذا الحديث هم الذين ثبتوا على دين الحق من متابعة الكتابين والنبيين دون الكفار من الطائفتين فانهم ليس لهم من الاجر شئ ولا شك أن النصارى حيث آمنوا بعيسى والانجيل مع ايمانهم بموسى والتوراة لهم من المثوبة الحسنى ما ليس لليهود الذين كان ايمانهم بكتابهم ونبيهم فقط كما حقق فى تفسير قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين فعلم من هذا الحديث أن تكرار الاجر غير مختص بالكتابي اذا دخل فى دين الاسلام كما هو متوهم من ظاهر آية يؤتكم كفلين من رحمته وأولئك يؤتون أجرهم مرتين ومن حديث ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ويوضحه ما فى تفسير البغوي بسنده مرفوعا قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوما يعملون له عملا يوما الى الليل على أجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى أجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فابوا وتركوا واستأجر قوما آخرين بعدهم فقال أكملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذى جعلت لنا فيه فقال أكملوا بقية عملكم وانما بقى من النهار شئ يسير فابوا واستأجر قوما أن يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجر الفريقين بذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور يعنى فى قوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به (رواه البخاري)

فغضبت اليهود والنصارى
قالوا نحن أكثر عملا وأقل
عطاء قال الله تعالى فهل
ظلمتكم من حقكم شيأ
قالوا لا قال الله تعالى فانه
فضلي أعطيه من شئت
رواه البخاري

وفي شرح السنة قال الخطابي يروى هذا الحديث على وجوه مختلفة في توقيت العمل من النهار وتقدير الاجرة ففي هذه الرواية قطع الاجرة لكل فريق قيراطا قيراطا وتوقيت العمل عليهم زمانا زمانا واستيفاؤهم وابطالهم الاجرة وفيه قطع الخصومة وزوال العتب عنهم وابراؤهم من الذنب وهذا الحديث مختصر وانما اكتفى الراوي منه بذكر مآل العاقبة فيما أصاب كل واحد من الفرق وقد روى محمد بن اسمعيل هذا الحديث باسناده عن سالم بن عبد الله عن ابيه وقال أوتي أهل التوراة التوراة فعملوا حتى انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتي أهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم أوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فهذه الرواية تدل على ان مبلغ الاجرة لليهود لعمل النهار كله قيراطان وأجرة النصارى للنصف الباقي قيراطان فلما عجزوا عن العمل قبل تمامه لم يصيبوا الى قدر عملهم فاعطوا على قدر عملهم وهو قيراط ثم انهم لما رأوا المسلمين قد استوفوا قدر أجرة الفريقين حاسدوهم فقالوا نحن أكثر عملا وأقل أجرا اه وبالجملة فدل الحديث على ان زمن هذه الامة أقل من زمن النصارى كما ان زمن النصارى أقل من زمن اليهود وعلى أن دين هذه الامة متصل الى قيام الساعة لا ينسخه ناسخ (وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان) أي انه يعني الشان وقد روى صاحب المشارق في أنواع شتى بحذف ان وكذا هو في الجامع الصغير بلفظ (من أشد أمتي لي حبا) أي بالنسبة الى غيرهم في زمانهم (ناس) بالرفع على انه مبتدأ موصوف بقوله (يكونون بعدي) أي يوجدون بعد فوتي (يود أحدهم لو رآني) أي يتمنى ان رآني (مفديا بأهله وماله) قال المظهر الباء في باهله باء التعدية كما في قوله بأنت وأبي يعني يتمنى أحدهم أن يكون يفدي باهله وماله لو اتفق رؤيتهم ووصولهم الي قال الطيبي لو هنا كما في قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فلابد ليود من مفعول فوضع ما بعده موضعه منزلته كأنه قيل يود أحدهم ويحب ما يلازم قوله لو رآني باهله أي فدى أهله وماله لرآني قلت الاظهر كلام المظهر على ما أشار اليه ان لو هنا حرف مصدري بمنزلة ان الا انها لا تنصب وأكثر وقوعها بعد ود ويود نحو ودوا لو تكفرون ودوا لو تدهن فيدهنون يود أحدهم لو يعمر ألف سنة قال المغني وأكثرهم لم يثبت ورود لو المصدرية والذي أثبته الفراء وأبو علي وأبو البقاء والتبريزي وابن مالك ويقول المانعون في نحو يود أحدهم لو يعمر ألف سنة انها شرطية وأن مفعول يود وجواب لو محذوفان والتقدير يود أحدهم التعمير لو يعمر ألف سنة لسره ذلك ولا خفاء فيما في ذلك من التكلف (رواه مسلم وعن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال) وفي نسخة بالفوقية (من أمتي) أي من جملة أمتي بالاجابة (أمة) أي طائفة (قائمة بامر الله) أي بامر دينه وأحكام شريعته من حفظ الكتاب وعلم السنة والاستنباط منهما والجهاد في سبيله والنصيحة لاهله وسائر فروض الكفاية كما يشير اليه قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (لا يضرهم) أي لا يضر دينهم وأمرهم (من خذلهم) أي من ترك عونهم ونصرهم بل ضر نفسه وظلم عليها باساءتها (ولا من خالفهم) أي لم يوافقهم على أمرهم (حتى يأتي أمر الله) أي موتهم أو انقضاء عهدهم (وهم على ذلك) أي على القيام بامره وفيه اشارة الى أن وجه الارض لا يخلو من الصلحاء القائمين على أوامر الله المتباعدين عن نواهيه الحافظين لامور الشريعة يستوي عندهم معاونة الناس ومخالفتهم اياهم وفسر شارح أمر الله بالقيامة ويشكل عليه حديث لا تقوم الساعة حتى لا يكون في الارض من يقول الله وقال شارح قائمة بامر الله أي متمسكة بدينه قيل هم الامة القائمة بتعليم العلم وهذا الحديث لا فئة الدين وقيل هم المقيمون على الاسلام المدعون له من قام الشيء دام والباء في بامر الله بمعنى مع أو للتعدية أي دائمة مع أمر الله أو مديمة اياه وقيل يحتمل أن المراد به أن شوكة أهل الاسلام لا تزول بالكلية فان ضعف أمره في قطر قوي وعلا في قطر آخر وقام باعلائه طائفة من المؤمنين وقال التوربشتي الامة القائمة بامر الله وان اختلف فيها فان المعتد به من الاقاويل انها الفئة المرابطة بثغور الشام نصر الله بهم وجه الاسلام لما في بعض طرق هذا

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني باهله وماله رواه مسلم وعن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من أمتي أمة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك

الحديث وهم بالشام وفي بعضها حتى تقاتل آخرهم المسيح الدجال وفي بعضها قيل يا رسول الله وأين هم قال بيت المقدس ثم قيل ما وجه هذا الحديث وما في معناه من الاحاديث التي وردت في الشام وقد عاثت الذئاب في القطيع وعبرت الجنود العاتية من الفرات وأباحت على ما وراءه من البلاد كنبج وسروج وحلب وما حواليها قلت انما أراد بقوله لا يضرهم كل الضرر وقد أضر الكفار يوم أحد بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولما كانت العاقبة للتقوى لم يعد ذلك ضررا عليهم مع ان الفئة الموعودة لهم بالنصر هم الجيوش الغازية بها ولم يصبهم بحمد الله الى اليوم غضاضة ولا هوان بل كان لهم النصرة وعلى عدوهم الدبرة (متفق عليه) ورواه أيضا أبو داود والنسائي وابن ماجه كذا قاله السيد جمال الدين ورواه الشيخان عن ... لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون ورواه ابن ماجه عن أبي ... لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله لا يضرها من خالفها ورواه الحاكم عن عمر ولفظه ... طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة (وذكر حديث أنس ان من عباد الله) أي من لو أقسم على الله لأبره (في كتاب القصاص)

(الفصل الثاني) (عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتي مثل المطر) أي في حكم ابهام افراد الجنس (لا يدرى أوله) أي أوائل المطر أو المطر الاول (خير) أي أنفع (أم آخره) أي أواخره أو المطر الآخر قال التوربشتي لا يحمل هذا الحديث على التردد في فضل الاول على الآخر فان القرن الاول هم المفضلون على سائر القرون من غير شبهة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وفي الرابع اشتباه من قبل الراوي وانما المراد بهم نفعهم في بث الشرع والذب عن الحقيقة قال القاضي نفى تعلق العلم بتفاوت طبقات الامة في الخيرية وأراد به نفي التفاوت كما قال تعالى قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض أي بما ليس فيهن كأنه قال لو كان يعلم لانه أمر لا يخفى ولكن لا يعلم لاختصاص كل طبقة منهم بخاصية وفضيلة توجب خيريتها كما ان كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النشو والنماء لا يمكنك انكارها والحكم بعدم نفعها فان الاولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاجابة والايمان والآخرين آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات واتبعوا من قبلهم بالاحسان وكما أن المتقدمين اجتهدوا في التأسيس والتمهيد فالمتأخرون بذلوا وسعهم في التلخيص والتجريد وصرفوا عمرهم في التقرير والتأكيد فكل ذنبهم مغفور وسعيهم مشكور وأجرهم موفور اه وحاصله انه كما لا يحكم بوجود النفع في بعض الامطار دون بعض وكذا لا يحكم بوجود الخيرية في بعض أفراد الامة دون بعض من جميع الوجوه اذ الحيثيات مختلفة الكيفيات ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ومع هذا فالفضل للمتقدم وانما هذا تسلية للمتأخر ايماء الى ان باب الله مفتوح وطالب الفيض من جنابه مفسوح قال الطيبي وتمثيل الامة بالمطر انما يكون بالهدى والعلم كما ان تمثيله صلى الله عليه وسلم الغيث بالهدى والعلم فتختص هذه الامة المشبهة بالمطر بالعلماء الكاملين منهم والمكملين لغيرهم فيستدعي هذا التفسير أن يراد بالخير النفع فلا يلزم من هذا المساواة في الافضلية ولو ذهب الى الخيرية فالمراد وصف الامة قاطبة سابقها ولاحقها وأولها وآخرها بالخير وانها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة بالبنيان مفرغة كالحلقة التي لا يدرى أين طرفاها وفي أسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها تريد المكملة ويلمح الى هذا المعنى قول الشاعر

ان الخيار من القبائل واحد * وبنو حنيفة كلهم أخيار

فالحاصل أن الامة مرتبط بعضها مع بعض في الخيرية بحيث أبهم أمرها فيها وارتفع التمييز بينها وان كان بعضها أفضل من بعض في نفس الامر وهو قريب من سوق المعلوم مساق غيره وفي معناه أنشد مروان بن أبي حفصة

تشابه يوما بأسه ونواله * فما نحن ندري أي يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه * وما منهما الا أغر محجل

متفق عليه وذكر حديث أنس ان من عباد الله في كتاب القصاص
(الفصل الثاني) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره

ومن المعلوم ان ما يحصل في يوم بداءة العمر أفضل من يوم يأسه لكن البدء لما لم يكن يكمل ويستتب الا بالباء
أشكل عليه الامر فقال ما قال وكذا أمر المطر والامة اه وتحقيقه ان هذه الامة كلها لا تخلو عن الخير كما
أشار اليه بقوله هذه أمة مرحومة لكون نبيها نبي الرحمة بخلاف سائر الامم فان الخير انحصر في سابقهم ثم جاء
الشر في لاحقهم حيث بدلوا كتبهم وحرفوا ما كان عليه أولهم (رواه الترمذي) أي وقال هذا حديث حسن
غريب ورواه أحمد عن عمار بن ياسر وابن حبان في صحيحه عن سلمان فقول النووي في فتاواه ضعيف متعقب
وقد يصحح كلامه بانه ضعيف في بعض طرقه لكن في عرف المحدثين ينافيه الاطلاق فالاحسن أن يقال انه
ضعيف في نفسه حسن لغيره بل قال بعض المحققين حديث مثل أمتي مثل المطر حديث ذو رتق
بها الى الصحة اه وفي الجامع الصغير رواه أحمد والترمذي عن أنس وأحمد عن عمار
والطبراني عن ابن عمر وعن ابن عمرو

(الفصل الثالث) (عن جعفر) أي الصادق (عن أبيه) أي محمد الباقر (عن جده) أي زين
العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ويسمى مثل هذا السند سلسلة الذهب (قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا) من الابشار في القاموس ابشر فرح ومنه ابشر بخير (وابشروا)
كرره للتأكيد أو أحدهما للدنيا والآخر للأخرى ولا يبعد أن يكون الثاني بمعنى بشروا على ما في القاموس
(انما مثل أمتي) أي أفراد أمة الاجابة (مثل الغيث) أي مثل أنواع المطر في حصول المنفعة (لا يدرى
آخره خير أم أوله) ولعل عكس الترتيب هنا لافادة زيادة المبالغة (أو كحديقة) أو للتنويع أو التخيير
والمعنى كمثل بستان ذي أشجار ذات أثمار شبه به الدين باعتبار شرائعه وأركانه وشعبه وأغصانه (أطعم)
بصيغة المجهول أي انتفع (منها) أي من بعضها (فوج) أي جمع (عاما) أي سنة (ثم أطعم منها) أي
من بعضها الآخر (فوج عاما لعل آخرها فوجا) منصوب على التمييز (أن يكون) أي آخرها (أعرضها
عرضا وأعمقها عمقا وأحسنها حسنا) بالنصب على انه خبر يكون وجوز الطيبي رفعها كما سيأتي لكنه غير
موجود في النسخ الحاضرة (كيف تهلك أمة) أي بالكلية (أنا أولها والمهدي وسطها) بفتح السين
ويسكن (والمسيح) أي عيسى عليه السلام (آخرها) أي آخر الامة (ولكن بين ذلك) أي بين ما ذكر
من أولها أو أوسطها المتصل بآخرها (فيج) بفتح فاء وسكون ياء فجيم أي فوج (أعوج) وأفرد باعتبار لفظ
الفوج قال في المصباح الفيج الجماعة وقد يطلق على الواحد فيجمع على فيوج وأفياج كبيوت وأبيات
وقال الازهري أصل فيج فيج بالتشديد لكنه خفف كما قيل في هين هين (ليسوا) أي ذلك الفوج وجمعه
باعتبار المعنى (مني) أي متصلا بي ومتبعا لي أو من أتباعي وأحبابي (ولا أنا منهم) بل أنا بريء منهم وغير راض
عنهم بفسقهم وظلمهم هذا وقال الطيبي في قوله أو حديقة أو هذه مثلها في قوله تعالى أو كصيب من السماء
في انها استعارة للتساوي في غير الشك كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين يريد انهما سيان في استصواب
أن تجالسا ومعناه أن كيفية صلة أمتي مشبهة بكيفيتي المطر والحديقة وانهما سواء في استقلال كل واحدة
منهما بوجه التمثيل فبأيهما مثلتها فانت مصيب في تمثيلها بهما جميعا فان قلت أي فرق بين التمثيلين قلت شبهت
الامة في التمثيل الاول بالمطر في نفع الناس بالعلم والهدى وفي الثاني بالاستنفاع من علم الرسول وهديه في
انباتها الكلأ والعشب الكثير وحصول الانتفاعات ثم انتفاع الناس منها بالرعي والسقي وهو المعني بالفوج
الذي اطعم من الحديقة عاما والحديقة كل ما أحاط به البناء من البساتين وغيرها وقوله ان يكون خبر لعل
وادخل فيه ان تشبيها لعل بعسى واسم يكون يحتمل ان يكون ضميرا عائدا الى آخرها واعرضها خبره ووصف
الامة بالطول والعرض والعمق باعتبار ملابستها بالحديقة وان يكون اعرضها صفة موصوف محذوف
هو اسم يكون والخبر مقدر أي أن تكون الحديقة أعرضها عرضا له ان روي مرفوعا أعرض وأعمق وأحسن
جيء بها مبالغة أي أبلغها عرضا وعمقا وحسنا نحو قولك العسل أحلى من الخل والصيف أحر من الشتاء أقول

رواه الترمذي
(الفصل الثالث) عن جعفر عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا وأبشروا انما مثل أمتي مثل الغيث لا يدرى آخره خير أم أوله أو كحديقة أطعم منها فوج عاما ثم أطعم منها فوج عاما لعل آخرها فوجا أن يكون أعرضها عرضا وأعمقها عمقا وأحسنها حسنا كيف تهلك أمة أنا أولها والمهدي وسطها والمسيح آخرها ولكن بين ذلك فيج أعوج ليسوا مني ولا أمنهم

لا يخفى الفرق بينهما على ذوق النفس ثم قال وقوله احسنهما سمتا كقوله جسيما جده وجسمين حنونه وعرضا يحتمل ان يكون اسم عين بدليل قوله واحبهما عقا وان يكون اسم معنى بدليل واحسنهما سمتا (رواه رزين) في أن يقال مرسلا لان الامام زين العابدين معدود من أكابر التابعين وكذا ولده محمد الباقر معدود من التابعين لانه سمع جابر بن عبد الله وأباه زين العابدين وروى عنه ابنه جعفر الصادق وغيره وأما جعفر الصادق فذكره المؤلف في التابعين واظن انه سهو أو وهم فانه لم يدرك احدا من الصحابة بل روى عن ابيه وغيره وسمع منه الائمة الاعلام كأبي حنيفة ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وغيرهم ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده زين العابدين (وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده) وقد سبق الكلام على ما يتعلق بهذا المرام (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الخلق) أي أي المخلوقات (أعجب) أي أغرب (اليكم ايمانا) تمييز (قالوا) أي بعض الصحابة (الملائكة) أي أعجب الخلق ايمانا أو التقدير هم الملائكة (قال وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم) أي مقربون ومشاهدون عجائب الملكوت وغرائب الجبروت فأي عجب وغرابة في ايمانهم (قالوا) أي ذلك البعض أو بعض آخر (فالنبيون) أي ان لم يكن الملائكة فالنبيون (قال وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم) بصيغة الفاعل وفي نسخة بالمفعول (قالوا فنحن قال وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم) أي فيما بينكم تشاهدون معجزاتي وأتلو عليكم آياتي (قال) أي الراوي (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعجب الخلق الي) أي عندي (ايمانا لقوم يكونون) أي يوجدون (من بعدي) أي من بعد مماتي من التابعين وأتباعهم الى يوم الدين (يجدون) استئناف بيان أي يصادفون (صحفا) بضمتين جمع صحيفة أي مصاحف وأجزاء (فيها كتاب) أي مكتوب من عند الله وهو القرآن (يؤمنون بما فيها) أي بما في تلك الصحف ولا يبعد أن يفسر الصحف بما يشمل الكتاب والسنة وحيث ورد الكلام في الاعجبية والاغربية فلا استدلال بالحديث في الافضلية بوجه من وجوه المزية هذا وقال الطيبي قوله أعجب ايمانا يحتمل أن يراد به أعظم ايمانا على سبيل المجاز لان من تعجب في شيء عظمه فجوابهم مبني على المجاز ورده صلى الله عليه وسلم مبني على ارادة الحقيقة والفاء في قوله فالنبيون وفي قوله فنحن كما في قولك الامثل فالامثل والافضل فالافضل ولا يلزم من هذا أفضلية الملائكة على الانبياء لان القول في كون ايمانهم متعجبا منه بحسب الشهود والغيبة قيل في تفسير قوله تعالى يؤمنون بالغيب أي غائبين عن المؤمن به ويعضده ما روي ان أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن أفضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية اه ولا يخفى أن الصحابة أيضا كانوا مؤمنين بالغيب لكن باعتبار بعض المؤمن به مع مشاهدة بعضه بخلاف التابعين فان ايمانهم بالغيب كله فمن هذه الحيثية ايمانهم أعجب وأفضل والله أعلم (وعن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي) لم يذكره المؤلف في أسمائه وذكر أباه العلاء فقال هو عبد الله من حضرموت كان عاملا للنبي صلى الله عليه وسلم على البحرين وأقره أبو بكر وعمر عليها الى ان مات العلاء سنة أربع عشرة روى عنه السائب بن يزيد وغيره (قال حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم) يحتمل أن يكون أباه أو غيره (يقول) أي النبي صلى الله عليه وسلم (انه) أي الشان (سيكون في آخر هذه الامة قوم لهم مثل أجر أولهم يأمرون بالمعروف) استئناف بيان (وينهون عن المنكر ويقاتلون) أي بأيديهم أو بألسنتهم (أهل الفتن) أي من البغاة والخوارج والروافض وسائر أهل البدع (رواهما) أي الحديثين (البيهقي في دلائل النبوة وعن أبي أمامة) أي الباهلي (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآني) يعني وآمن بي (وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن بي) ولا يبعد أن يكون هذا قيدا لهما قال الطيبي قوله وطوبى جملة معطوفة على السابقة أي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات فعلى هذا سبع مرات ظرف لقال قدر الفاصل بين طوبى وما يتعلق به ويحتمل أن يكون سبع مرات مصدر الطوبى ومقولا لقول رسول الله

رواه رزين وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الخلق أعجب اليكم ايمانا قالوا الملائكة قال وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم قالوا فالنبيون قال وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم قالوا فنحن قال وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أعجب الخلق الي ايمانا لقوم يكونون من بعدي يجدون صحفا فيها كتاب يؤمنون بما فيها وعن عبد الرحمن بن العلاء الحضرمي قال حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول انه سيكون في آخر هذه الامة قوم لهم مثل أجر أولهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون أهل الفتن رواهما البيهقي في دلائل النبوة وعن أبي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طوبى لمن رآني وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وآمن بي

صلى الله عليه وسلم والمراد به التكثير لا التحديد اهـ وخلاصته أن سبع مرات على الأول قول الراوي وهو بعيد والأقرب ما قررنا ثانيا كما تؤيده الروايات الآتية (رواه أحمد) وفي الجامع طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات (رواه أحمد) والبخاري في تاريخه وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه عن أبي أمامة وكذا أحمد أيضا عن أنس ورواه الطيالسي وعبد بن حميد عن ابن عمر بلفظ طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني ثلاث مرات رواه أحمد وابن حبان عن أبي سعيد ولفظه طوبى لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني (وعن أبي محيريز) بضم ميم وفتح حاء وسكون تحتية فراء مكسورة فتحتية ساكنة فزاي لم يذكره المؤلف في أسمائه (قال قلت لأبي جمعة) بضمتين وبسكون الثاني (رجل) بدل من أبي جمعة (من الصحابة) بيان لرجل قال المؤلف يقال له الأنصاري ويقال الكناني واختلف في اسمه فقيل حبيب بن سباع وقيل جنيد بن سباع وقيل غير ذلك له صحبة يعد في الشاميين (حدثنا) بصيغة الأمر استدعاء والتماسا (حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم) أي قبلت (أحدثك حديثا جيدا) بفتح جيم وتشديد ياء مكسورة أي حسنا (تغدينا) أي أكلنا الغداء (مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح) وهو أحد العشرة المبشرة (فقال) أي أبو عبيدة (يا رسول الله أحد) أي أأحد (خير منا) أي ممن بعدنا أو من السابقين واللاحقين (أسلمنا) أي على يدك (وجاهدنا معك قال نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني) والمعنى أنهم خير منكم من هذه الحيثية وإن كنتم خيرا منهم من جهة المسابقة والمشاهدة والمجاهدة قال الطيبي قوله معك حال من الجملة الثانية ومثله مقدر في الجملة الأولى أي أسلمنا معك كقوله تعالى قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان وحرف الاستفهام محذوف ويحتمل أن يكون لمجرد الاستفهام وأسلمنا وجاهدنا حال ونعم وقعت موقعها وأن يكون الاستفهام للإنكار وأسلمنا استئناف لبيان نفي خيرية الغير منهم وعلى هذا فنعم وقع بل فالخيرية بحسب الشهود والغيبة كما سبق بيانه آنفا والله أعلم (رواه أحمد والدارمي وروى رزين عن أبي عبيدة من قوله قال يا رسول الله أحد خير منا إلى آخره وعن معاوية بن قرة) بضم قاف وتشديد راء فتاء قال المؤلف معاوية بن قرة يكنى أبا إياس البصري سمع أباه وأنس بن مالك وعبد الله بن مغفل روى عنه قتادة وشعبة والأعمش عن أبيه وهو قرة بن إياس المزني سكن البصرة ولم يرو عنه غير ابنه معاوية قتله الأزارقة (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم) أي للقعود فيها أو التوجه إليها (ولا يزال طائفة من أمتي منصورين) أي غالبين على أعداء الدين (لا يضرهم من خذلهم) أي ترك نصرتهم ومعاونتهم (حتى تقوم الساعة) أي يقرب قيامها لما سبق من أنها لا تقوم وفي الأرض من يقول الله (قال ابن المديني) من أكابر المحدثين (هم) أي تلك الطائفة (أصحاب الحديث) أي المحدثون من حفاظ الحديث ورواتهم أو العاملون بالسنة المبينة للكتاب فالمراد بهم أهل السنة والجماعة قال الطيبي لا منافاة بين هذا الحديث وبين قوله في الحديث السابق لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله على ما مر فإن المراد منها الفئة المرابطة بثغور الشام لأن اللفظ يحتمل كلا المعنيين أقول ويحتمل أيضا الجمع بين الوصفين قال وأما قوله لا يضرهم من خذلهم فيحتمل الخذلان على ترك المعاونة لهم على المبتدعة فيكون هنا مجازا وهناك حقيقة اهـ والظاهر أن كلا المعنيين حقيقة ففي القاموس خذله وعنه خذلا وخذلانا بالكسر ترك نصرته (رواه الترمذي) أي الحديث بقوله قال ابن المديني جملة معترضة لبيان الحديث وتفسيره ويحتمل أن يكون مدرجا لخلاف فيه ورواه الترمذي (وقال هذا حديث حسن صحيح) وسبق جواب الإشكال عن هذا الإسناد (وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تجاوز) أي عفا وزاد في الجامع (لي) أي لأجلي (عن أمتي) أي أمة الإجابة (الخطأ) بفتحتين وبجوز مده وهو ضد الصواب والمراد به ما لم يتعمده والمعنى أنه عفا عن الإثم المترتب عليه بالنسبة إلى ما ترتب الإثم والإفالمؤاخذة المالية كما في قتل النفس خطأ وإتلاف مال الغير ثابتة شرعا ولذا

رواه أحمد وعن ابن محيريز قال قلت لأبي جمعة رجل من الصحابة حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم أحدثكم حديثا جيدا تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال يا رسول الله أحد خير منا أسلمنا وجاهدنا معك قال نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني رواه أحمد والدارمي وروى رزين عن أبي عبيدة من قوله قال يا رسول الله أحد خير منا إلى آخره وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ولا يزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة قال ابن المديني هم أصحاب الحديث رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ

قال علماؤنا أصول الفقه الخطأ عذر صالح لسقوط حق الله تعالى اذا حصل من اجتهاد ولم يجعل عذرا في حقوق العباد حتى وجب عليه ضمان العدوان (والنسيان) وهو لا ينافي الوجوب في حق الله تعالى لكن النسيان اذا كان غالبا كما في الصوم والتسمية في الذبيحة يكون عفوا ولا يجعل عذرا في حقوق العباد حتى لو أتلف مال انسان بالنسيان يجب عليه الضمان (وما استكرهوا عليه) بصيغة المجهول أي ما طلب منهم من المعاصي على وجه الاكراه وهو حمل الانسان على ما يكرهه ولا يريد مباشرته لولا الحمل عليه بالوعيد كالقتل والضرب الشديد وله تفصيل في حق الله وحق العباد محله كتب أصول الفقه (رواه ابن ماجه والبيهقي) وفي الجامع رواه ابن ماجه عن أبي ذر والطبراني والحاكم في مستدركه عن ابن عباس وفي رواية للطبراني عن ثوبان (وعن بهز) بفتح موحدة وسكون هاء فزاي (ابن حكيم) أي ابن معاوية بن حيدة القشيري البصري قد اختلف العلماء فيه (عن أبيه) أي حكيم بن معاوية قال البخاري في صحته نظر روى عنه ابنه معاوية بن حكيم وقتادة عن جده أي معاوية بن حيدة لم يذكره المؤلف في أسمائه (انه) أي جده (سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير أمة) المعنى انهم كانوا كذلك في علم الله أو اللوح المحفوظ أو بين الامم المتقدمة والمراد جميع المؤمنين من هذه الامة على الاظهر ويدل له هذا الحديث وقيل خاص بالمهاجرين أو بالاصحاب وقيل منهم كذا في تفسير شيخنا المرحوم مولانا زين الدين عطية السلمي المكي وفي تفسير الكوراني وقيل خاص بالشهداء والصالحين وقيل كان بمعنى صار وقال البغوي قوله كنتم أي أنتم كقوله تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا وقال في موضع آخر واذكروا اذ أنتم قليل وقال البيضاوي قوله كنتم دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفورا رحيما اه وروي عن عمر رضي الله عنه ان هذه الآية تكون لاولنا ولا تكون لآخرنا كذا ذكره البغوي وأيده بحديث خير القرون قرني ثم قال وقال الآخرون هم جميع المؤمنين من هذه الامة قال السيد الصفوي وهو الاصح (أخرجت للناس) أي أظهرت لهذا الجنس والجملة صفة لامة وقال الصفوي يعني أنتم خير الناس وأنفع الناس للناس ويوضحه ما قال البغوي انه قال قوله للناس من صلة قوله خير أمة أي أنتم خير الناس للناس وقال أبو هريرة معناه كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال قتادة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في دينهم فهم خير أمة للناس وقيل قوله للناس من صلة قوله أخرجت ومعناه ما أخرج الله للناس أمة خيرا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد أشار اليه صاحب البردة بقوله

لما دعا الله داعينا لطاعته * بأكرم الرسل كنا أكرم الامم

اشارة خفية الى أن المفهوم من كون الامة موصوفا بنعت الخيرية أن يكون رسولهم منعوتا بنعت الاكرمية ولكنه عكس القضية الاستدلالية اجلالا لمرتبة الرسالة العلية فان كوننا خير أمة من بقايا جائزته وجدوى متابعته لان تكريم التبع من تكريم المتبوع على مقتضى المعقول والمشروع والا فبعكس المطبوع والموضوع ولا يظهر حسن المصنوع (قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم (أنتم تتمون) بضم فكسر فتشديد أي تكملون وتوفون (سبعين أمة) أي من الامم الكبار (أنتم خيرها وأكرمها على الله) قال الطيبي في قوله تعالى أي في تفسير قوله تعالى فالمراد بسبعين التكثير لا التحديد ليناسب اضافة الخبر الى المفرد النكرة لانه لاستغراق الامم الفائتة للحصر باعتبار افرادها أي اذا تقصيت أمة أمة من الامم كنتم خيرها وتتمون علة للخيرية لان المراد به الختم كما ان نبيكم خاتم الانبياء أنتم خاتم الامم اه وفيه ايماء الى ان [illegible] مسك في الاختتام كما أشار لفظ النبوة في نفس الحديث الشريف بالاتمام (رواه الترمذي و[illegible] والدارمي) وكذا رواه الامام أحمد في مسنده والطبراني والحاكم في مستدركه (وقال الترمذي هذا حديث حسن) وفيه اشعار الى حسن المقطع وقد ذكر البغوي بسنده مرفوعا قال ان الجنة حرمت على الانبياء

والنسيان وما استكرهوا عليه رواه ابن ماجه والبيهقي وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي وقال الترمذي هذا حديث حسن

كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتى اه وهذا اشارة الى حسن الخاتمة المبنية على حسن البدائع كما أشار اليه قوله سبحانه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فنحن الآخرون الاولون والآخرون السابقون والحمد لله الذى جعلنا من أهل الاسلام وعلى دين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وبشكره تزيد البركات والخيرات وقد فرغت من تسويد هذا الشرح أنامل العبد المفتقر الى كرم ربه الغنى البارى على بن سلطان محمد الهروى القارى الملتجئ الى الحرم المحترم المكى خادم الكتاب القديم والحديث النبوى عامله الله بلطفه الخفى وكرمه الوفى وعفا عما زل قدمه أو ذل قلمه ... له بالحسنى وبلغه المقام الاسنى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وذلك عاشر ربيع الثانى عام ثمان وألف من الهجرة النبوية على صاحبها الوف من الصلاة وآلاف من التحية

---

*(يقول مصححه راجى غفران المساوى * محمد الزهرى الغمراوى)*

حمدا لمن أنطق الموجودات بصحيح الدلالات على قيوميته وأودع الكائنات حسن العبارات القاضية بوحدانيته وشكرا له على مسلسل نعمائه وموصول بره المطرد عظيم هباته وصلاة وسلاما على من أسندت اليه سائر الكمالات وتواترت بجلائل رسالته مجلى البينات من ختمت به النبوات وارتقت بكمالاته ذروة المجد المؤمنون وعلى آله وأصحابه وسائر محبيه وأحزابه *(أما بعد)* فقد تم بحمده تعالى طبع شرح مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للعلامة الفاضل والملاذ الكامل من تحلت عقد الفضائل بدرر بيانه وازدهت جيد الكمال بوشى تبيانه من جمع من علوم السنة والقرآن ما يبرهن على علو قدمه وارتفاع قدره فى هذا الشأن الجهبذ الذى طار صيته فى كل فن خصوصا علوم الشرع التى له فيها كل فاضل يذعن العلامة الشيخ على بن سلطان محمد القارى رحمه الله وأدام علينا احسانه السارى وهو كتاب حوى من السنن ما للفقيه اليه احتياج ومن النوابغ النبوية ما للقلوب اليه ارتياح وبه لها علاج وكيف لا وقد جمع ما فى الكتب الستة من السنن مع حسن السبك بالتبويب وجاء الشرح بأعجب الاساليب فى بيان كل معنى عجيب فعظم موقعه فى الفائده وحل محلا فيه لكل مؤمن عظيم المائده واتضحت به المرادات النبويه فاصبح شفاء تستطب وتستنصح به القلوب الغويه والعقيمه وجاءه الطبع فاصلح ما أحدثته يد الترك من السقام وقوبل على عدة نسخ حتى جاء على ما يرام وقد وشيت غرره وحليت طرره بالمتن مشكاة المصابيح ليغتنم القارى ويمتع النظر ما بين حسن وصحيح وذلك بالمطبعه الميمنيه بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابى الحلبى ذى العجز والتقصير وذلك فى شهر شوال سنة ١٣٠٩ من الهجرة النبويه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

صحيفة

صحيفة

(تمت [illegible])